جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٢٤هـ - ٣١٠هـ

طبعة جديدة مخرجة للشواهد الشعرية كاملة بأسلوب جديد
ومخرجة للآثار كاملة مع الحكم عليها

خرج أحاديثه وعلق عليها
إسلام منصور عبد الحميد

خرج شواهده الشعرية
أحمد عاشور إبراهيم
أحمد رمضان محمد

المجلد الأول

دار الحديث
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

جَامِعُ البَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ القُرْآنِ

تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ

اسم الكتـــاب : تفسير الطبري

اسم المؤلـــف : الإمام ابن جرير الطبري

اسم المحقـــق : إسلام منصور عبد الحميد وآخرون

القطـــــع : ١٧×٢٤سم

عدد الصفحـات : ٩٢٨ صفحة / مجلد ١

عدد المجـلدات : ١٢ مجلداً

سنة الطبـــع : ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع : ٢١٣٦/٢٠١٠

الترقيم الدولي : ٨-٣٣٧-٣٠٠-٩٧٧-٩٧٨

6 222007 703898

طبـــع . نشـــر . توزيـــع

١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر تليفون : ٢٥٨٩٩٤٠٩ / ٢٥٩١٨٧١٩ / ٢٥٩١٩٦٩٧ فاكس : ٢٥٩١٩٦٩٧

www.darelhadith.com E-mail: info@darelhadith.com

مقدمة العمل في الكتاب

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء، والرفعة والعلاء، والمجد والثناء، تعالى عن الأنداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والنظراء (١).

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وافتتح خلقه بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام:١] واختتمه بالحمد فقال بعد ذكر مآل أهل الجنة والنار: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الزمر:٧٥]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٧٠] (٢).

الحمد لله الذي أنزل على خاتم الرسل والأنبياء أكمل كتاب، فكشف به ظلمات الجهل وأسباب العذاب، وأماط به عن نفائس العلوم وذخائرها الحجاب، وكشف به عن حقائق الدين وأسراره ومحاسنه النقاب، وأخلص به العبادة للعزيز الوهاب، وفتح به مآرب الدارين الباب، وأغلق باتباعه والعمل به دون الشر جميع الأبواب، تحيا بوابل علومه القلوب النيرة أعظم مما تحيا الأرض بوابل السحاب، يتحيز بتدبر آياته الخطأ من الصواب، والقشور من اللباب، وتجل ألفاظه ومعانيه وأحكامه، وأخباره عن الوصمة والعاب: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص:٢٩]. وعد الله متبعه ما هو خير وأبقى: وقال فيه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] (٣)

حكم بالفلاح لمن تبعه، وبالخسران لمن أعرض عنه بعد ما سمعه، وأعجز الخليقة عن معارضته، وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته، ثم سهل على الخلق مع إعجازه تلاوته، ويسر على الألسن قراءته، أمر فيه وزجر، وبشر وأنذر، وذكر المواعظ ليتذكر، وقصَّ عن الأحوال الماضيين ليُعْتَبر، وضرب به الأمثال ليتدبر، ودل على آيات التوحيد ليتفكر.

وأوعد المعرضين عنه من جميع الأحزاب بالنار، قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود:١٧] وهو عام للكفار. وشبه بالحمر المعرضين عنه من الكفرة قال: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر:٤٩-٥٠].

فيكفي المعرض عنه أنه حمار من حمير النار. وبيَّن تعالى أنَّ المعرض عنه يحمل يوم القيامة ما لا يستطيع له حملاً. قال: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾ [طه:٩٩-١٠١]. فتح الله به قلوبًا غلفًا، وأعينًا عميًا، وآذنًا صمًا، وقال فيه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].

---

(١) معالم التنزيل في التفسير والتأويل، للبغوي [١/ ٥ ط دار الفكر]. .

(٢) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير [١/ ٣٩-ط دار الوفاء].

(٣) أضواء البيان للشنقيطى [١/ ٣٣ ط دار الحديث بالقاهرة].

لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على طول التكرار ما تعاقب الليل والنهار، رفع الله به قومًا ووضع به آخرين، وقال: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤-٤٥].

وهو آخر الكتب السماوية عهدًا برب العالمين، فكل الشر في الإعراض عنه، وكل الخير في الإقبال عليه، فطوبى لمن كان حجة له، وويلٌ لمن كان حجة عليه، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]. ففيه للمطيع أعظم وعد، وللعاصي أشد وعيد، ومع هذا كله، فإن أكثر المنتسبين للإسلام اليوم في أقطار الدنيا معرضون عن التدبر في آياته غير مكترثين بقول من خلقهم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]. لا يتأدبون بآدابه، ولا يتخلقون بما فيه من مكارم الأخلاق، يطلبون الأحكام في التشريعات الضالة المخالفة له، غير مكترثين بقول ربهم: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

بل المتأدب بآداب القرآن، المتخلق بما فيه من مكارم الأخلاق محتقر مغمور فيه عند جُلِّهم إلا من عصمه الله، فمنهم يحتقرونه واحتقاره لهم أشد، كما قال الشافعي رحمه الله:

فهذا زاهد في قرب هذا ... وهذا فيه أزهد منه فيه

فإياك يا أخي ثم إياك أن يزهدك في كتاب الله تعالى كثرة الزاهدين فيه، ولا كثرة المحتقرين لمن يعمل به ويدعو إليه، وأعلم أنَّ العاقل الكيس الحكيم لا يكترث بانتقاد المجانين (١).

وقد ذم - جل وعلا - المعرض عن هذا القرآن العظيم في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧].

ومعلوم: أنَّ كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم. أي: تصفحها وتفهمها، وإدراك معانيها والعمل بها، فإنه معرض عنها، غير متدبر لها، فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات.

وقد بين النبي ﷺ أن المستغلين بذلك هم خير الناس، كما ثبت عنه ﷺ في الصحيح من حديث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

فإعراض كثير من الأقطار عن النظر في كتاب الله والعمل به وبالسُّنة الثابتة المبينة له من أعظم المناكر وأشنعها وإن ظن فاعلوه أنهم على هدى (٢). ولا حصول لتدبر كلام الله سبحانه وتعالى إلا بالاطلاع على معانيه ومقاصدها من خلال كتب التفسير.

لذلك فإن علم التفسير هو من أجلِّ العلوم التي ينبغي أن ينشغل به المسلمون.

وها أنا ذا أقدّم لواحد من هذه الكتب، ألا وهو كتاب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ(تفسير الطبري) بعد أن قمت بتخريج آثاره كلها والحكم عليها صحة وضعفًا، وقام أخوان فاضلان بتخريج الأبيات الشعرية كاملة وغير ذلك كما سيأتي تفصيله معتمدًا في ذلك على أصح النسخ المطبوعة للكتاب، وقبل أن أعرض عملي ومنهجي على كتاب تفسير الطبري فلابد من الكلام على الكتاب وصاحبه أولاً، ومكانته بين كتب التفسير ومنهج المصنف فيه، ولمن أراد معرفة المزيد فعليه بالعدد

(١) أضواء البيان [١/ ٣٣-٣٤ ط دار الحديث]. (٢) أضواء البيان (٧/ ٢٥٦).

الثالث والثلاثين أعلام المسلمين التي تصدر عن دار القلم بدمشق، فأبدأ مستعينًا بالله.

أولا: عَصْرُ الطبري: عاش الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) جميع حياته في ظل الخلافة العباسية التي كانت ترعى المسلمين، وتحمل راية الإسلام، وتلتزم بالأحكام الشرعية، وتقوم على نشر الدعوة الإسلامية، وإمداد الجيوش للفتوحات، والوقوف في وجه دعوات الإلحاد والإضلال، والشعوبية والقومية، والتصدي للحركات الانعزالية والانفصالية، والصمود أمام قوات الدول المعادية، والجيوش الجرّارة للدولة البيزنطية، وفي شرق الدولة الإسلامية.

ولذلك ظهر في القرن الثالث والرابع - اللذين عاش فيهما الطبري - ظهر كبار العلماء والفقهاء، والأدباء والمؤرخين، والمفسرين والمجتهدين في المذاهب، والمحققين لها، منهم الشافعي (٢٠٤هـ) وأحمد بن حنبل (٢٤١هـ) وداود الظاهري (٢٧٠هـ) مؤسس المذهب الظاهري.

واطلع الطبري رحمه الله تعالى على آراء أصحاب المذاهب المختلفة، والعلوم المتنوعة، ودرسها وأتقن معظمها، ثم بدأ بالعطاء والإنتاج والتأليف حتى مات زمن خلافة المقتدر بالله، ليكون أنموذجًا صادقًا لأعلام القرن الثالث والرابع، بعد أن أصبح ألمع المحدثين وأبرع المؤرخين، وأقدر الفقهاء، ويستحق بجدارة أن يعرف بشيخ المؤرخين، وأبي المفسرين، والإمام الفقيه المجتهد.

ولم يكن الطبري رحمه الله تعالى بالرجل المغمور، أو العالم المنسي، فقد بارك الله فيه، وفي علمه، وعرف الناس ترجمته الشخصية، وحياته العلمية، وسيرته الذاتية، ورحلاته، وانكبّ العلماء والطلاب على نسخ كتبه، لينهلوا من معينه، ويرشفوا من حوضه، وظل الطبري مشهورًا في اسمه، لامعًا في علمه، أثناء حياته وبعد وفاته، وحتى اليوم وسيبقى كذلك إلى ما شاء الله تعالى.

وإن معظم كتب التراجم والرجال والأعلام والطبقات أوردت ترجمة الإمام الطبري الذي توفي في مطلع القرن الرابع الهجري (٣١٠ هـ) بدءًا من تلامذته، ومن يليهم، بين مطوِّل ومقصِّر، ومُسْهِب ومُخْتَصِر.

وبقي اسم الطبري مرفوعًا، وذكره ساطعًا، وعلمه مُنسابًا، ومكانته مرموقة، وفضله ظاهرًا في مختلف الآفاق شرقًا وغربًا، وعلى اختلاف العصور في القديم والحديث، وأصبح في الوقت الحاضر محط أنظار الباحثين، وقِبلةً للدارسين، ومنهلاً للبحوث والمقالات، نذكر منها:

١ - الطبري المفسر، للدكتور سيد أحمد خليل، المدرس بجامعة عين شمس، وهو بحث قدّمه إلى جامعة القاهرة للحصول على الدكتوراه في الآداب سنة ١٩٥٣م.

٢ - كلمة المستشرق الألماني (نولدكه)[1].

٣ - كلمة المستشرق الألماني (لوت)، وهو فصل في مجلة المستشرقين سنة ١٨٨١م.

٤ - بحث المستشرق الألماني (جولدتسيهر)، وهو فصل في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)، الذي نقل إلى العربية مرتين، الأولى من الدكتور علي حسن عبد القادر، والثانية من الدكتور عبد الحليم النجار، ونشرتها مكتبة الخانجي في مطبعة السُّنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٥٥م، مع وجوب الانتباه

---

(١) انظر: كتاب مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، مطبعة السُّنة المحمدية، بالقاهرة، سنة ١٩٥٥م.

إلى السموم التي يدسها جولدتسيهر في كتبه وبحوثه.

٥ - مقال للدكتور ولفنسون إسرائيل، بعنوان (جامع البيان في تفسير القرآن للطبري) نشره بجريدة الأهرام ٤/ ١/ ١٩٣٤م.

٦ - مقال الدكتور فؤاد حسنين علي، نشره في الأهرام ٢١/ ١/ ١٩٣٤م، ردَّ به على أخطاء وقعت في مقال الدكتور ولفنسون إسرائيل.

٧ - بحث الدكتور جواد علي بعنوان: (موارد تاريخ الطبري) ويقع في ١٨٤ صفحة كبيرة، نشرها في الأعداد الثلاثة الأولى من مجلة المجمع العلمي العراقي لسنوات ١٩٥٠، ١٩٥٢، ١٩٥٤، وفيه دراسة عن نشأة علم التاريخ الإسلامي، والمصادر التاريخية الأولى.

٨ - مقال للدكتور ناصر الدين الأسد في مجلة معهد المخطوطات العربية ٢/ ٢٠٧ - ٢١١ [١].

٩ - بحث مطول في كتاب: (التفسير ورجاله) للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور من تونس.

١٠ - بحث مطول في كتاب (التفسير والمفسرون) للدكتور الشيخ محمد حسين الذهبي.

١١ - بحث جيد عن تاريخ الطبري للأستاذ شاكر مصطفى في كتابه (التاريخ العربي والمؤرخون).

١٢ - الإمام الطبري، بحث في التفسير قدّمه عبد الله بن عبد العزيز المصلح في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، بدون تاريخ.

١٣ - كتاب الطبري للدكتور أحمد محمد الحوفي، من سلسلة أعلام العرب رقم ١٣، بالقاهرة، ثم أعيد طبعه بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

١٤ - مؤتمر الاحتفاء بذكرى الإمام أبي جعفر الطبري الذي عقدته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (أيسيسكو) في القاهرة بتاريخ ٢٢-٢٤ ذي الحجة ١٤٠٩هـ الموافق ٢٥-٢٧/ ٧/ ١٩٨٩م.

١٥ - أعلام المسلمين (٣٣)/ للدكتور محمد الزحيلي، ومنه استخلصت هذه المقدمة.

ويضاف إلى ذلك الكتابات المتعددة عن كتب الطبري في (كشف الظنون) و (مفتاح السعادة) و(معجم المؤلفين) وفي مختلف العلوم التى ساهم فيها الطبري، وكتب تاريخ التشريع، وتاريخ الفقه، والمداخل الفقهية، وكذلك البحوث والدراسات التي صُدِّرت بها كتب الطبري عند تحقيقها ونشرها وهي (تاريخ الطبري) بطبعاته المتعددة، و(تفسير الطبري) وهو كتابنا هذا، (وتهذيب الآثار) و(اختلاف الفقهاء) وغير ذلك مما ينتج ثروة كبيرة، وذخيرة واسعة عن حياة الطبري، بما يستحق عن إنصاف وجدارة، كما سنرى إن شاء الله تعالى.

ثانيا: هوية الطبري الشخصية:

اسمه: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب [٢].

---

(١) تاريخ التراث العربي، سزكين ١/ ٢/ ١٦٧ .

(٢) انظر ترجمة الطبري في طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٠)، تهذيب الأسماء (١/ ٧٨)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧١٠)، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٩٨)، طبقات الفقهاء (ص ٩٣)، طبقات القراء (٢/ ١٠٦)، تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢)، معجم الأدباء (١٨/ ٤٠) إنباه الرواة (٣/ ٨٩)، وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٢)، المنتظم (٦/ ١٧٠)، البداية والنهاية (١١/ ١٤٥)، المحمّدون من الشعراء (ص٢٦٣)، شذرات الذهب (٢/ ٢٦٠)، الفهرست (ص٣٢٦)، النجوم الزاهرة (٣/

كنيته ونسبه: يكنى الطبري بأبي جعفر، وعُرف بذلك، واتفق المؤرخون عليه، ولم يكن له ولد اسمه جعفر؛ لأنه لم يتزوج أصلاً، وإنما تكنَّى به التزامًا بآداب الشرع، وسُنة الرسول ﷺ بإطلاق الكنية على أصحابه، وأطفال الصحابة وشبابهم، وترغيب المسلمين باتخاذ الكنية للصبي، وقبل أن يولد للرجل، لما روى البخاريُّ ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وكان لي أخ يقَال له: أبو عمير، قال: أحسبُه فطيم، وكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: «**يا أبا عُمير، ما فعل النغير**»[(١)].

وهذا من التربية الإسلامية السامية التى تترك أحسن الآثار على الطفل ونشأته ونفسيته، كما تقيم أساس التعاون، وحسن المعاملة، والأدب الجم في مخاطبة الرجل قبل أن يتزوج، أو قبل أن يولد له ولد، قال ابن القيم: (والكنية نوع تكثير وتفخيم للمكنَّي، وإكرام له)[(٢)].

أما نسبه فلا خلاف فيه أيضًا، فالطبري نسبه من طبرستان، وهي ولاية كبيرة، وناحية واسعة الأرجاء في بلاد فارس، بين جُرْجان والدَّيْلم على بحر قزوين، وتضم قرى كثيرة ينسب أهلها غالبًا إليها، وهم كثر[(٣)] وهذه أشهر نسبة للإمام أبي جعفر. كما ينسب الطبري نسبة أخرى فيقال: الآمُلي، نسبة إلى بلدة آمُل التي ولد بها، وتقع في قصبة طبرستان، وهي أكبر مدينة فيها ولا تطلق عليه هذه النسبة إلا قليلاً؛ لأن أكثر من ولد بآمُل ينسب إلى طبرستان. وللطبري نسبة ثالثة، وهي البغدادي، نسبة إلى بغداد التي سكنها، واستوطن فيها، ونشر فيها علمه، وأملى بها معظم كتبه، ثم مات بها، ولذلك قال ابن الجزرى: (الإمام أبو جعفر الطبري الآمُلى البغدادي)[(٤)] فجمع الأنساب الثلاثة له.

ولادة الطبري ونشأته: ولد الطبري رحمه الله تعالى في مدينة (آمُل) من أعمال طبرستان، وأكبر مدينة فيها، وهذا باتفاق المؤرخين.

وكانت ولادته سنة (٢٢٤هـ/ ٨٣٩م) على الأرجح، وقيل: إنه ولد في سنة (٢٢٥هـ/ ٨٤٠م)، ولعله ولد في آخر سنة (٢٢٤هـ) أو أول (٢٢٥هـ)، وذكر الطبري نفسه سبب هذا الشك والتردد عندما سأله عنه تلميذه أبو بكر بن كامل، فقال: كان أهل بلادنا يؤرخون بالأحداث دون السنين، فأُرخ مولدي بحادث كان بالبلد، فلما نشأتُ سألت عن ذلك الحادث، فاختلف المؤرخون، قال بعضهم كان ذلك في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين، وقال آخرون بل كان ذلك في أول سنة خمس وعشرين ومائتين، وكثيرًا ما يقتصر الكتّاب والمؤرخون على التاريخ الأول[(٥)].

---

٢٠٥)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، روضات الجنات (٧/ ٢٩٢)، كشف الظنون (١/ ٦٤، ٣٠٣) مفتاح السعادة (١/ ٢٥٢، ٢/ ٨٠، ٣١٥) الطبري للحوفي (ص٣٠)، الطبري للمصلح (ص١٠)، تاريخ التراث العربي (١/ ٢/ ١٥٩) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٣/ ٤٥)، ظهر الإسلام (٢/ ٣٨، ٢٠٢).

(١) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٩١) ط البغا، صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ١٢٨).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص٨٥).

(٣) لب الألباب في تحرير الأنساب (ص١٦٧)، مراصد الاطلاع (٢/ ٨٧٨).

(٤) طبقات القراء (٢/ ١٠٦).

(٥) معجم الأدباء (١٨/ ٤٠، ٤٨) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٠) لسان الميزان (٥/ ١٠٢) والمراجع السابقة في ترجمته.

ونشأ الطبري بآمل، وتربى في أحضان والده، وغمره برعايته، وتفرّس فيه النباهة والذكاء والرغبة في العلم، فتولى العناية به، ووجهه منذ الطفولة إلى حفظ القرآن الكريم، كما هي عادة المسلمين في مناهج التربية الإسلامية، وخاصة أن والده رأى حلمًا، تفاءل به خيرًا عند تأويله، قال الطبري: رأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله ﷺ ومعي مِخلاة مملوءة بالأحجار، وأنا أرمي بين يديه، ولما قصَّ رؤياه على صديقه قال له: إنَّ ابنك إن كبر نصح في دين الله، وذب عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم، وأنا يومئذ صبي صغير (١).

الحالة الاجتماعية للطبري: عاش الإمام الطبري رحمه الله تعالى عَزَبًا، ولم يتزوج، ولا شك أن العزوبة وترك الزواج ليس من الشرع، وإذا كان متعمدًا يأثم صاحبه؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**وأتزوج النساء. . . فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**» (٢)، ونهى الإسلام عن الترهب والرهبانية، وهي ترك الزواج وأمور الحياة للانقطاع إلى العبادة والآخرة، ودعا الرسول ﷺ إلى الزواج، ورغب فيه، فقال: «**يا معشر الشباب من استطاع الباءة [وهي القدرة البدنية والمالية على شئون الزواج] فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر، وأحفظ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصيام، فإنه له وجاء**» (٣).

ولم تذكر لنا المصادر التاريخية سبب عزوف الطبري عن الزواج، وهل كان لعارض جسمي، أم لعلة خَلقية، أم لضائقة مالية؟.

والشيء الثابت أن الطبري رحمه الله كان متفرغًا لطلب العلم، منكبًا على تحصيله، ورحل في سبيله - كما سنرى - وقضى معظم شبابه في السفر والترحال والانتقال من بلد إلى آخر، ولم يستقر في بلده، ثم في بغداد، إلا بعد الكهولة، وثبت أيضًا أنه كان قليل المال في هذه المرحلة، وكان يوفر ماله ليستطيع متابعة الرحلة والسفر ونسخ الكتب وشرائها، وكان يعتمد في ذلك على والده أولاً، ثم على ريع أملاكه التي ورثها من والده، ولما استقر في الإقامة، وبلغ شأوه في العلم والحياة، كان زاهدًا بالمال، لا يهتم لجمعه، وبقي منقطعًا للعلم والتأليف والتصنيف والتدريس.

وأغلب الظن أن هذا النهم العلمي، والانشغال في طلب العلم، والتفرغ له كان هو السبب الأساسي في عزوبته وعدم زواجه، فالعلم يشغل صاحبه، ويمنحه متعة نادرة، ولذة خاصة لا يدركها إلا من يجرِّبها، وإذا انغمس فيها الإنسان في شبابه خفت عنده الرغبة بالزواج، وإذا بلغ الكهولة وتقدم به السنّ، وألف العزوبة ومجالس العلم زالت عنه هذه الرغبة، وشعر بالمقابل أنها تخفف عنه تبعات الزواج والأولاد والذرية، ليأنس بالمعارف والعلوم، ويصاحب الكتب والمجلدات والمخطوطات، ويشغل وقته بالمطالعة والتصنيف فيكثر إنتاجه، ويغزر علمه، ويزداد عطاؤه، ويعم نفعه، وهذا ما حصل مع كثير من علمائنا الأعلام كالطبري والنووي وغيرهما، لذلك وصف مَسْلمة بن قاسم أبا جعفر الطبري فقال: (كان حَصُورًا لا يعرف النساء، شغله طلب العلم، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ولم يزل طالبًا للعلم، مولعًا به إلى أن مات (٤).

---

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٤٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا (الترغيب والترهيب ٣/ ٤٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا (الترغيب والترهيب ٣/ ٤٠).

(٤) لسان الميزان (٥/ ١٠٢).

وفاة الطبري: بارك الله في حياة الطبري فعاش ستة وثمانين عامًا في سبيل العلم ونشره، وتضاعفت هذه الأعوام بما لا يعلمه إلا الله تعالى، لتبقى ذكراه خالدة في التاريخ، واسمه يتردد على الألسنة، وكتبه تنتقل من جيل إلى جيل وعلمه ينتفع به الناس إلى يوم الدين.

وبقي الطبري مستوطنًا في بغداد - عاصمة الدولة العباسية، وأعظم مركز للثقافة والعلم في العالم في ذلك الوقت - يؤدي رسالته، ويلتفُّ حوله الطلاب والعلماء، ويُملي كتبه التي بدأ بعضها في آخر حياته، حتى أسلم روحه إلى بارئها يوم ٢٦ شوال ٣١٠هـ/ ٩٢٣م، على الصحيح، وذلك في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله، ودفن الطبري في داره الكائنة بَرْحبة يعقوب ببغداد[١].

قال ابن كثير: (ولمَّا تُوفي اجتمع الناس من سائر أقطار بغداد وصلوا عليه بداره، ودفن بها، ومكث الناس يترددون إلى قبره يصلون عليه[٢].

ثالثًا: الطبري وطلبه للعلم:

الطبري يبدأ التعلم في آمُل: بعد أن نشأ الطبري في بيت كريم، وأسرة عريقة، وتلقى التربية الإسلامية في البيت، ورضع لُبان المعرفة والآداب الدينية من أبويه، توجه إلى المساجد ومعاهد القرآن الكريم في بلدة ومهبط رأسه آمُل، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وأتقن قراءته وعرف أحكامه، فصلى بالناس إمامًا وهو ابن ثماني سنوات، ثم بدأ يكتب الحديث، وهو في التاسعة، ووهب نفسه للعلم، وهو في مقتبل شبابه[٣]. وظهرت على الطبري في طفولته سماتُ النبوغ الفكري، وبدت عليه مخايلُ التفتح الحاد، والذكاء الخارق، والعقل المتَّقد، والملكات الممتازة، وأدرك والده ذلك، فعمل على تنميتها، وحرص على الإفادة والاستفادة منها، فوجهه إلى العلماء ومعاهد الدراسة، وساعده على استغلال كل هذه الطاقات دون أن يشغله بشيء من شئون الحياة ومطالبها، ورأى له رؤيا تفاءل بها، كما سبق، وخصص له المال للإنفاق على العلم والتعلم، وسرعان ما حقق الطبري أحلام والده، وزاد له في آماله وطموحه[٤].

الطبري في بلاد فارس: وبعد أن استوعب الطبري علوم بلده ازداد ظمأً إلى العلم، وبدأ الرحلة في طلبه سنة ست وثلاثين ومائتين، وهو ابن اثنتى عشرة سنة، وقيل بعد ذلك فجاب الآفاق، وأكثر التطواف، وانتقل من بلد إلى بلد[٥]. وبدأ الطبري رحلته العلمية إلى البلاد المجاورة له في بلاد فارس، وتنقل بين مدن طبرستان، ثم اتجه إلى الري وما جاورها ليأخذ عن علمائها الحديث واللغة والتاريخ والتفسير في الليل والنهار، متنقلًا كالنحلة من عالم إلى آخر، ومغردًا كالطير من فن إلى غيره[٦].

---

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٤٠)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٦) وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٢)، تاريخ بغداد (٢/ ١٦٦)، ابناه الرواة (٣/ ٩٠).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٤٧)، وانظر: المحمدون من الشعراء (ص٢٦٥)، معجم الأدباء (١٨/ ٤٠).

(٣) انظر تاريخ التراث العربي (١/ ٢/ ١٥٩)، معجم الأدباء (١٨/ ٤٩).

(٤) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٤٩).

(٥) انظر: طبقات القراء (٢/ ١٠٧)، لسان الميزان (٥/ ١٠٢)، تاريخ الأدب العربي (٣/ ٤٥)، ظهر الإسلام (٢/ ٢٠٣).

(٦) معجم الأدباء (١٨/ ٤٩)، وانظر: تاريخ التراث العربي (١/ ٢/ ١٥٩)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٠).

الطبري في العراق: اتجه الطبري إلى العراق بشوق ورغبة، ليحصّل العلم من علماء الأمصار المختلفة، ويأخذ الحديث من أفواه الأئمة مباشرة، ويمّم وجهه إلى بغداد للالتقاء بالإمام أحمد بن حنبل، ولكن المنية عاجلت الإمام أحمد فتوفي سنة ٢٤١هـ قبل أن يصل إليها أبو جعفر، فأقام أبو جعفر بمدينة السلام، وهي عاصمة الدولة العباسية وحاضرة العلم والعلماء، فكتب عن شيوخها وأكثر عنهم، وسمع الحديث من محدثيها، والفقه من العلماء والفقهاء على مختلف المذاهب[(١)].

ثم انحدر إلى البصرة، ليسمع الحديث ممن بقي من شيوخها في وقته، كمحمد بن موسى الحرشي، وعماد بن موسى القزاز، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني، وبشر بن معاذ، وأبي الأشعث، ومحمد بن بشار ابن بُندار، ومحمد بن المعنى أو المعلى[(٢)].

وانتقل الطبري بعد البصرة إلى واسط، وسمع العلوم والحديث من بعض شيوخها[(٣)] ثم صار إلى الكوفة، وأخذ العلم عن كبار علمائها، وكتب الحديث فيها عن أبي كُريب محمد بن العلاء الهمداني (٢٤٨هـ) وهناد بن السَّرى (٢٤٣هـ) وإسماعيل بن موسى (٢٤٥هـ) وغيرهم، ويقال: إنه سمع من أبي كُريب أكثر من مائة ألف حديث[(٤)] وأخذ القراءات عن سليمان الطلحى[(٥)].

وبعد أن جمع علم البصرة وواسط والكوفة رجع ثانية إلى بغداد؛ لأنه لم يرتو منها في المرة الأولى، وفيها من العلم والعلماء ما يحتاج لوقت آخر واندفع إلى دار السلام فكتب بها، ولزم المقام بها مدة، ودرس علوم القرآن عامة، وعلم القراءات خاصة على أحمد بن يوسف التغلبي، وتلقى فقه الشافعي عن الحسن بن محمد الصبَّاح الزعفراني (٢٦٠هـ) وكتب عنه كتابًا في الفقه، ودرسه في بغداد على جماعة منهم أبو سعيد الإصطخرى (٣٢٨هـ) وغيره، وظهرت في بغداد شهرته العلمية، وعرفته محافل الدراسة، وأقر بفضله وعلمه العلماء، ودرس الفقه الظاهري على داود بن علي (٢٧٠هـ) مباشرة[(٦)]، بعد أن ملأ جعبته العلمية من العراق، أراد أن ينوّع مصادره، ويجدد ينابيعه، ليطلع على ألوان شهية فغرّب إلى الشام ومصر.

الطبري في الشام: كانت الشام حاضرة الدولة الأموية، وكانت دمشق تفوح بعطرها على العالم سياسيًا وإداريًا وعلميًا في عهد بني أمية، وبقيت مشاعل العلم تشع فيها لتضيء دروب البشرية، وكانت موئل العلماء، ومقصد الباحثين والرحالة، فيمم الطبريُّ وجهه نحوها، وزار المدن بأجناد الشام والسواحل والثغور، وأخذ القرآن الكريم برواية الشاميين عن العباس ابن الوليد المقرئ البيروتى، وأقام مدة في بيروت يلتقي به، وذهب إلى مصر ثم عاد إلى الشام ثانية[(٧)].

الطبري في مصر: كان الطبري يشتاق إلى مصر وعلمائها، وكانت نفسه تهفو إليها، ويرغب بزيارتها؛ لأنها كانت غنية بعلمائها، ثرية بخيراتها وعطائها، فلم يستقر الطبري طويلاً في بلاد الشام حتى اندفع إلى مصر، فوصل إليها سنة ٢٥٣هـ في أوائل عهد أحمد بن طولون، وصار إلى الفسطاط،

---

(١)، (٢)، (٣) معجم الأدباء (١٨/ ٥٠).
(٤) معجم الأدباء (١٨/ ٥١-٥٢) (٥) الطبري للحوفي (ص٣٥).
(٦) معجم الأدباء (١٨/ ٥٣، ٥٤) الإعلام (٣/ ٨) الفهرست (ص٣٢٦).
(٧) معجم الأدباء (١٨/ ٥٢)، طبقات القراء (٢/ ١٠٧).

وكان بها بقية من الشيوخ وأهل العلم فأكثر عنهم الكتابة، وأخذ فقه الإمام مالك على تلاميذ أبي محمد عبد الله بن وهب المتوفى سنة ١٩٦هـ، وهم يونس بن عبد الأعلى وبنو عبد الحكم: محمد وعبد الرحمن وسعد وابن أخي ابن وهب كما درس فقه الإمام الشافعي على يد تلاميذه كالربيع بن سليمان المرادي (٢٧٠هـ) والربيع بن سليمان الأزدي الجيزي (٢٥٦هـ) وإسماعيل بن يحيى بن إبراهيم المزني (٢٦٤هـ) ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم (٢٦٨هـ) الذي جمع بين مذهب مالك ومذهب الشافعي.

أقام الطبري مدة بمصر ثم رغب بالعودة إلى الشام، فقضى إربه العلمي بالشام، ثم رجع ثانية إلى مصر (سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) فالتقى يونس بن عبد الأعلى الصدفي، وأخذ عنه قراءة حمزة وورش، وكان بمصر وقت دخول الطبري إليها أبو الحسن علي بن سراج المصري (٣٠٨هـ)، وكان متأدبًا فاضلًا، ويلقى من يفد إلى مصر، فتعرض إلى الطبري وبان له فضله في علوم اللغة، وسأله عن شعر الطِّرماح، وكان الطبري يحفظه عن ظهر قلب، فوجده فاضلًا في كل ما يذاكره به من الأدب والعلم والشعر [1]، ودرس الطبري بمصر العروض بعد أن سئل عنه وأصبح عروضيًا [2].

العودة إلى الوطن: وبعد هذه الرحلة العلمية المباركة عاود الطبريَّ الحنينُ إلى الوطن، فترك مصر، ورجع إلى وطنه، وفي الطريق قصد مدينة السلام بغداد، وكتب فيها العلم، ثم عاد إلى طبرستان، ثم إلى مسقط رأسه وديار آبائه، وهو العالم المتمكن، والباحث القدير، والمناظر الفريد، والداعية العامل، وكانت هذه الزيارة لطبرستان هي الأولى منذ أن فارقها في طلب العلم، ولم يطل المقام في بلده فرجع إلى بغداد، ونزل في قنطرة البردان، واشتهر اسمه في العلم، وشاع خبره بالفهم والتقدم [3].

ثم عاد الطبري ثانية إلى طبرستان (٢٩٠هـ)، ومكث قليلًا، ثم جذبته بغداد مرة أخرى [4].

استقرار الطبري في بغداد: وآن للمسافر أن يحط رحاله، ويلقي ترحاله، فاستقر الطبري في بغداد، وأقام بها، وانقطع فيها للتدريس والتأليف إلى أن ودّع الحياة، وكانت بغداد مركز الفقهاء والعلماء والأدباء والنحويين والمتأدبين فالتقى الطبري بهم، وتسامر معهم، وأخذ منهم وأعطى، ونال الثناء العاطر، والمكانة العليا في نفوسهم، واحتل مركز الصدارة، وكانت له مناظرات وجولات مع معظم أهل العلم [5]. قال الخطيب البغدادي: (استوطن بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته) [6].

وبذلك يختم الطبري حياته العلمية ورحلته في طلب العلم مع آخر لحظة من حياته سنة (٣١٠هـ)، بعد أن بذل فيه جميع أوقاته، ووهب له حياته وتفرغ في جمعه، ورحل في طلبه، وعكف على التصنيف والتأليف، وجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وصار الطبري رحمه الله تعالى موسوعة علمية، ودائرة معارف، نسّقها في عقله وفكره، وقدّمها لطلابه وتلاميذه، وسكبها بإتقان

---

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٥٢، ٥٣) طبقات القراء (٢/ ١٠٧)، الفهرست (ص٣٢٦)، الطبري للحوفي (ص٣٧)، الطبري بمصلح (ص١٧، ٢٣).

(٢) معجم الأدباء (١٨/ ٥٦).

(٣) معجم الأدباء (١٨/ ٥٦)، الطبري للحوفي (ص٤٠)، الطبري للمصلح (ص١٨).

(٤) معجم الأدباء (١٨/ ٥٦).

(٥) معجم الأدباء (١٨/ ٦٠، ٦١)، الطبري للحوفي (ص٤١).

(٦) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣)، وانظر: معدم الأدباء (١٨/ ٤١).

وجودة في كتبه التي تدل على غزارة علمه وفضله، وبعد هذه الرحلة في طلب العلم وتحصيله، والسعي في مناكب الأرض، وأداء وظيفة الإنسان في الحياة يعود الطبري إلى ربه راضيًا مرضيًا، فيدفن في التراب من حيث أتى، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[طه: ٥٥].

العلم من المهد إلى اللحد: ولكن الطبري رحمه الله حقق عمليًا وتطبيقيًا وسلوكيًا المثل القائل [اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد] فبدأ التعلم في أحضان والديه وحفظ القرآن في كنف أسرته، واستمر حتى بلغ السادسة والثمانين من عمره، فلم تفتر عزيمته، ولم يخفَّ نشاطه، ولم يجفَّ قلمه، وبقي أمله في العلم، وتفاؤله في خدمة الدين حتى هذه السنة، وكان في شيخوخته قد بدأ بعدة كتب، وقطع في كل منها شوطًا، ولم يتمها، كفضائل علي، وفضائل أبي بكر وعمر، وفضائل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم، والموجز في الأصول، وتهذيب الآثار، كما وعد وقطع بكتاب الآدر في الأصول، ولم يخرج منه شيئًا، وأراد أن يعمل كتابًا في القياس فلم يعمله[(١)].

قال أبو القاسم الحسين بن حبيش الورَّاق: «كان قد التمس مني أبو جعفر أن أجمع له كتب الناس في القياس، فجمعتُ له نيفًا وثلاثين كتابًا، فأقامت عنده مُدَيْدَة، ثم كان من قطعه للحديث قبل موته بشهور ما كان، فردها عليَّ، وفيها علامات له بحمرة قد علم عليها»[(٢)].

وهكذا كانت همة الشيخ قبيل المرض تتجه إلى التصنيف، وزيادة التأليف، فكانت همة جبارة بأن يطلب جمع الكتب في الموضوع ليدرسها، ويعتمد عليها، وينقِّح آراءها، ويعرض الأقوال منها، ويبرهن على كل منها، ويستدل لكل مذهب، ثم يبدي رأيه، ويدلي بدلوه، ويعلن الراجح والحق والصواب الذي وصل إليه، كما كان منهجه في سائر كتبه، ليختتم عمره وحياته في العلم، ويلقى وجه ربه بنفس مطمئنة، ليدخل في عباد الله الصالحين، وكتب الطبري رحمه الله الكثير الكثير مما لا يمكن لإنسان أن يفعله إلا بتوفيق الله تعالى، حتى وصل إنتاجه إلى ستين ألف ورقة، فهنيئًا له ما قدم، ونسأل الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بعلمه، وأن تستضيء بمشاعل نوره.

رابعًا: إنتاج الطبري وآثاره:

العلوم التي جمعها الطبري: لم يقتصر الطبري رحمه الله تعالى على فن وعلم واحد، بل جمع مختلف العلوم الشرعية واللغوية وغيرها، وكان إمامًا فيها.

فكان الطبري رحمه الله إمامًا في السُّنة وعلوم الحديث، وعدَّه النووي رحمه الله من طبقة الترمذي والنسائي، وسمع الحديث من كثيرين، بعضهم من شيوخ البخاري ومسلم، وحدث عنه خلائق من الناس، وصنف في ذلك الكتب النافعة المفيدة، كما سنرى.

وكان الطبري إمامًا في القراءات وعلوم القرآن فحفظ القرآن الكريم في صغره، ثم جمع القراءات، واختار لنفسه قراءة، وصنف في القراءات، ودرس التفسير بتعمق، وصنف تفسير القرآن: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» الذي ضم فيه علوم القرآن المختلفة حتى اعتبر إمام المفسرين أو شيخ المفسرين، كما سنرى.

وكان الطبري إمامًا في الفقه، وعلم الخلاف، والفقه المقارن، واختلاف العلماء، وكان من الأئمة

---

(١) ، (٢) معجم الأدباء (١٨/ ٨١).

المجتهدين، وصاحب مذهب مستقل، وتبعه بعض الناس على مذهبه، وصنف الكتب الجياد في الفقه العام، والفقه المقارن، والفقه المذهبي، كما سنري. ويعتبر الطبري إمامًا في علم التاريخ، وهو شيخ المؤرخين، وصنف كتابه العظيم: «تاريخ الرسل والملوك» وكتابه تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين إلى شيوخه، المعروف «بذيل المذيَّل» وغيرهما من الكتب وهو ما نفرده في فصل مستقل.

وكان الطبري مبرِّزًا في علوم العربية من المعاني واللغة والنحو والصرف والعروض والبيان، وكان عالمًا بالفلسفة والمنطق والجدل، وكان عنده شيء من علم الطب والجبر والرياضيات وكان فصيح اللسان، وله نظم وشعر. وكان الطبري عالمًا بأصول الدين والتوحيد وعلم الكلام، وله كتب في ذلك، وكان عالمًا بالحديث، فهو الحافظ المحدث، وصنف الكتب في علم الحديث ومصطلحه، والتزم بمنهج المحدثين في معظم كتبه، وكان عالمًا بأصول الفقه وقواعد الاجتهاد والاستنباط، وصنف فيه وعمل به، وكان الطبري عالمًا بآداب النفس وعلم الأخلاق والتربية، وصنف فيها، كما سنري.

وصفه الخطيب البغدادي فقال: وكان أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه، لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظًا لكتاب الله تعالى، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسُّنن وطُرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في (تاريخ الأمم والملوك) وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه [تهذيب الآثار] لم أرَ سواه في معناه إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرَّد بمسائل حفظت عنه [(١)].

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة: (ما أحد تحت أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير) [(٢)].

وقال الحافظ الذهبي عن الطبري: (الإمام العلم الفرد، الحافظ أبو جعفر الطبري، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف) [(٣)]. وقال أيضًا: (كان ثقة، صادقًا، حافظًا، رأسًا في التفسير، إمامًا في الفقه والإجماع، والاختلاف، علاّمة في التاريخ وأيام الناس، عارفًا بالقراءات وباللغة وغير ذلك) [(٤)].

مؤلفات الطبري وكتبه: وهنا نَسْرد أسماء الكتب والمصنفات التى خلَّفها الطبري، وذكرها علماء التاريخ والتراجم في سيرة الطبري [(٥)]:

١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري، وسيأتي الحديث عنه وعن طبعاته ومخطوطاته.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري، وهو موجود ومطبوع.

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣)، وانظر معجم الأدباء (١٨/ ٤١)، تهذيب الأسماء (١/ ٧٨)، ظهر الإسلام (٢/ ٢٠٣).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٩)، البداية والنهاية (١١/ ١٤٦).

(٣) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧١٠). (٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٠).

(٥) انظر معجم الأدباء (١٨/ ٤٢) وما بعدها، تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧١١)، مفتاح السعادة (١/ ٤١٦)، (٢/ ١٢٦)، تاريخ التراث العربي (١/ ٢/ ١٦٢)، تاريخ الأدب العربي (٣/ ٤٥) وما بعدها، كشف الظنون (١/ ٦٤، ٣٠٣) إنباه الرواة (٣/ ٩٠)، الطبري للحوفي (٨٩)، الفهرست (ص٣٢٦)، الطبري للمصلح (ص٣٨).

٣ - كتاب ذيل المذيَّل، طبع منه جزء.
٤ - اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، المعروف باختلاف الفقهاء، وهو في علم الخلاف، وبقي منه جزء، وطبع.
٥ - لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، وهو كتاب فقه في المذهب الجريري.
٦ - الخفيف في أحكام شرائع الإسلام في الفقه، وهو مختصر لكتاب (اللطيف).
٧ - بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام، وهو في تاريخ الفقه الإسلامي ورجاله وأبوابه.
٨ - تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، وسماه القفطي: (شرح الآثار) وهو كتاب في الحديث، بقيت منه بقايا طبعت في أربعة مجلدات.
٩ - آداب القضاة، وهو في الفقه عن أحكام القضاء وأخبار القضاة.
١٠ - أدب النفوس الجيدة والأخلاق الحميدة.
١١ - كتاب المسند المجرد، ذكر فيه الطبري حديثه عن الشيوخ، بما قرأه على الناس.
١٢ - الرد على ذي الأسفار، وهو رد على داود بن عليٍّ الأصبهاني مؤسس المذهب الظاهري.
١٣ - كتاب القراءات وتنزيل القرآن ويوجد منه نسخة خطية بالأزهر.
١٤ - صريح السنة، وهي رسالة في عدة أوراق في أصول الدين.
١٥ - البصير في معالم الدين، وهو رسالة في أصول الدين، كتبها لأهل طبرستان فيما وقع بينهم من الخلاف في الاسم والمسمى، وذكر مذاهب أهل البدع والرد عليهم.
١٦ - فضائل علي بن أبي طالب، وهو كتاب في الحديث والتراجم، ولم يتمه الطبري رحمه الله.
١٧ - فضائل أبي بكر وعمر، ولم يتمه. ١٨ - فضائل العباس ولم يتمه.
١٩ - كتاب في عبارة الرؤيا في الحديث، مات ولم يتمه.
٢٠ - مختصر مناسك الحج.
٢١ - مختصر الفرائض.
٢٢ - الرد على ابن عبد الحكم على مالك، في علم الخلاف والفقه المقارن.
٢٣ - المرجز في الأصول، ابتدأه برسالة الأخلاق، ولم يتمه.
٢٤ - الرمي بالنشاب، أو رمي القوس، وهو كتاب صغير، ويشك في نسبته إلى الطبري.
٢٥ - الرسالة في أصول الفقه، ذكرها الطبري في ثنايا كتبه، ولعلها على شاكلة (الرسالة) للإمام الشافعي في أصول الاجتهاد والاستنباط.
٢٦ - العدد والتنزيل.
٢٧ - مسند ابن عباس، ولعله الجزء الخاص من كتاب: (تهذيب الآثار) وطبعت البقية الباقية منه في مجلدين.
٢٨ - كتاب المسترشد. ٢٩ - اختيار من أقاويل الفقهاء.
وهذه الكتب الأربعة الأخيرة لم يذكرها ياقوت في (معجم الأدباء)[1].

(١) الطبري للحوفي (ص٩٨).

السمات العامة لإنتاج الطبري: يظهر لنا من الاستعراض السريع لكتب الإمام الطبري ومصنفاته بعض السمات العامة:

* تدل كتب الطبري على غزارة علمه، وسعة ثقافته، ودقته في اختيار العلوم الشرعية والأحكام المتعلقة بها.

وكان فصيح اللسان، جيد اللغة، ناصع البيان، صحيح الأسلوب، متحرزًا من الأخطاء اللغوية والنحوية.

وله قلم سيَّال، ونَفَس طويل، وصبر على البحث والدرس، فكان يعتكف على التصنيف، وكتابة الموسوعات العلمية في صنوف العلم، مع ما منَّ الله عليه من ذكاء خارق، وعقل متفتح، وجَلَد على تحمل المشاق.

قال الخطيب البغدادي: (وسمعت علي بن عبيد الله بن عبد الغفار اللغوي السِّمْسِمي يحكي: أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة[١]، وهذا يعني أنه كتب نحو ستمائة ألف ورقة.

ونقل ياقوت الحموي قال: (وحدث عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بكتاب الصِّلة، وهو كتاب وصل به تاريخ ابن جرير: أن قومًا من تلاميذ ابن جرير حصَّلوا أيام حياته منذ بلغ الحُلُم إلى أن توفي، وهو ابن ست وثمانين، ثم قسَّموا عليها أوراق مصنفاته، فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة، وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق)[٢].

وحدَّث الخطيب البغدادي عن القاضي أبي عمر عبيد الله ابن أحمد السِّمساد وأبي القاسم بن عقيل الورَّاق أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: (أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما يُفني الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ثم قال: تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوًا مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك فقال: ماتت الهمم، فاختصره في نحوٍ مما اختصر التفسير[٣].

ولم يكن إنتاج الطبري بالغث، بل كان سمينًا ودسمًا ومحيطًا بموضوع البحث وما قيل فيه، ولم يكن مجرد جمع وتدوين لكتب غيره، بل كان ينتقي ويختار، وكانت شخصيته بارزة، وتحليله واضحًا، وتعليله دقيقًا، وتعمقه ظاهرًا، وترجيحاته متوفرة تقريبًا في كل العلوم والروايات والآراء والأقوال، وكان يصرح بالرأي المختار، والصواب من الأقوال، مع الأمانة العلمية، ونسبة الآراء إلى أصحابها، وعزو الأقوال لمصادرها، مع كل الثقة بالنفس والحفظ والضبط والأدب الجم، والتقدير لمن سبقه، والاحترام للناس، مع حمله بشدة على المنحرفين والشاذين.

وقد سلمت بعض هذه الكتب من عوادي الدهر، وحوادث الأيام، ونكبات التاريخ، ونجت من

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣)، وانظر: معجم الأدباء (١٨/ ٤١)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧١١) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٢) مفتاح السعادة (١/ ٤١٦، ٢/ ١٥٦) الطبري للمصلح (ص٣٧).
(٢) معجم الأدباء (١٨/ ٤٤)، وانظر: ظهر الإسلام (٢/ ٢٠٣).
(٣) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣) وانظر: معجم الأدباء (١٨/ ٤٢).

الحرق والإتلاف والغرق والضياع، ولكن فُقد القسم الأكبر، وضاع معظمه، ولا يزال الأمل كبيرًا في العثور على شيء منه.

ومن أهم ما تناقلته الأجيال، ودلّ على عظمة الطبري، وخلّد ذكره، حتى وصل إلينا سالمًا، وطبع عدة مرات: كتاب تفسير القرآن الكريم: (جامع للبيان عن تأويل آي القرآن) وكتاب التاريخ: (تاريخ الأمم والملوك) في ثمانية مجلدات، وقطعتين من كتاب (اختلاف الفقهاء) نشر كلا منهما أحد المستشرقين، وأربع قطع من كتاب (تهذيب الآثار) تمثل جزءًا من مسند عمر بن الخطاب، ومسند علي بن أبي طالب، ومسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وهي آخر ما طبع ونشر من كتب الطبري في القاهرة والرياض.

ويوجد بعض النسخ الخطية الأخرى لبعض كتبه مما لم ير النور حتى الآن، وتتجه الأنظار إلى تحقيقها ونشرها.

تلاميذ الطبري وأتباعه: لم يكن إنتاج الطبري محصورًا في كتبه ومصنفاته، ولم يكن الطبري محبوسًا بين الجدران الأربعة، وبين أكوام الكتب والمخطوطات، ولم يعش الطبري في برج عاجيٍّ، بعيدًا عن الحياة والمجتمع والأمة والأحداث، ومتفرغًا للتصنيف والتأليف حتى قدم كل هذا العطاء، وإنما كان الطبري منفتحًا على الحياة والناس، سواء في مرحلة الطلب والدراسة، وفي أثناء الرحلة والانتقال، وعند الاستقرار والثبات، وكان اجتماعيًا ودمِثًا كما سنرى، ويلتقي العلماء من جميع الأصناف، ثم يخالط الناس، ويستمع إلى مشاكلهم، وما يجرى معهم، ويتقبل أسئلتهم، ويعطي الفتاوى لهم، ويُملي على طلابه وتلامذته، ويقرأ القرآن والقراءات [(١)]، ويحدث بآثار رسول الله ﷺ، ويصلي إمامًا في الجماعة ويقصده الناس والقراء للصلاة خلفه وسماع قراءته وتجويده [(٢)].

كان الطبري يناظر الأئمة في عصره ويجادل العلماء من أتباع المذاهب الأخرى، ويتبارى مع المحدثين في الأسانيد والمعاني، ويدلي بآرائه وأدلته وحججه فيما يذهب إليه [(٣)].

كما كان الطبري إمامًا في الفقه، وصاحب مذهب، وله أتباع وتلاميذ، أخذوا علمه، وحملوا فقهه، ونشروا مذهبه، وعملوا به في الحياة والقضاء أكثر من مائة سنة إلى أن انقرض واندثر من الحياة والتطبيق [(٤)].

لذلك نعتبر أن إنتاج الطبري وآثاره لا تنحصر في كتبه ومصنفاته، وإنما تشمل طلابه وتلاميذه وأتباعه ومواقفه ومناظراته، ولا نريد أن نفرد هنا أسماء تلاميذه وأتباعه، لأنه ورد بعضهم ضمنًا في البحث، وسوف نخصص بعضهم في الفصول القادمة عند كل علم من العلوم.

---

(١) قال ابن كامل: (وكان عند أبي جعفر رواية ورش عن نافع . . . وكان يقصر فيها) (معجم الأدباء ١٨/ ٦٧).

(٢) قال عبد العزيز بن محمد الطبري: (وكان أبو جعفر مجودًا في القراءة، موصوفًا بذلك، يقصده القراء البعداء من الناس للصلاة خلفه يسمعون قراءته وتجويده) (معجم الأدباء ١٨/ ٦٦).

(٣) انظر مناظرته مع المزني، ولقاءه مع ثعلب، ومذاكرته مع ابن حمدان وغيرهم في (معجم الأدباء ١٨/ ٥٤، ٥٦، ٦٠).

(٤) سأل أبو بكر بن مجاهد أبا بكر كامل: (على مذهب من تفقه. فقال على مذهب أبي جعفر الطبري، فقال: رحمه الله أبا جعفر) (معجم الأدباء ١٨/ ٥٤).

وكان الطبري رحمه الله يحنو على تلاميذه وطلابه، ويعتبرهم كأبناء وأولاد له، فقد حرم نعمة الأبوة، فكان أبًا لطلابه، والعلم رحم بين أهله، وقد يفوق نسب العلم نسب الدم، وخاصة بالنسبة للإمام، لأن طلابه سيحملون علمه، وينشرون مذهبه، وينقلون حججه وآراءه، وينافحون عنه، وينسخون كتبه.

وكان الطبري رحمه الله يعامل طلابه معاملة كريمة، ويحبهم ويحبونه، ويعطف عليهم، ويساوي بينهم، ويمتنع أن يفاضل بينهم، أو يخصّ أحدهم بعلم، وإذا غاب أحدهم سأل عنه، وأخَّر الدرس والقراءة حتى يحضر، وهذه بعض النقول عن صلة الطبري بتلاميذه:

قال ابن كامل: (جفاني بعض أصحابه في مجلسه، فانقطعت عنه زمانًا، ثم إنه نعيني فاعتذر إليَّ، كأنه قد جنى جناية، ولم يزل في ترفقه وكلامه حتى عدت إليه)[(١)].

وقال أبو بكر بن كامل: (وكان عند أبي جعفر رواية ورش عن نافع عن يونس بن عبد الأعلى عنه، وكان يقصر فيها، فحرص أبو بكر بن مجاهد - مع موضعه في نفسه، وعند أبي جعفر - أن يسمع منه هذه القراءة منفردًا فأبي إلا أن يسمعها مع الناس، فما أثر ذلك في نفس أبي بكر، وكان ذلك كرهًا من أبي جعفر أن يخصَّ أحدًا بشيء من العلم)[(٢)].

وقال أيضًا: (وكان من أخلاقه ذلك؛ لأنه كان إذا قرأ عليه جماعة كتابًا، ولم يحضُره أحدهم لا يأذن لبعضهم أن يقرأ دون بعض، وإذا سأله إنسان في قراءة كتاب وغاب لم يُقرئه حتى يحضر إلا كتاب الفتوى، فإنه كان أي وقت سئل عن شيء منه أجاب فيه)[(٣)].

وكان التلاميذ أوفياء مع أستاذهم وشيخهم، فحملوا علمه، ونشروا كتبه، وعملوا بمذهبه، ودافعوا عن آرائه وحججه، وصنف بعضهم كتبًا في سيرته وحياته، وأكمل بعضهم كتابه التاريخ، وحاول آخرون إكمال (تهذيب الآثار) فلم يقدروا.

اتهام الطبري بالتشيع: ويتعلق بعلم الطبري وتعلمه ما أثير حوله من الاتهام بالتشيُّع، لأنه صنف في فضائل علي رضي الله عنه، وأثبت الأسانيد والروايات لحديث غدير خُمّ، كما وردت هذه التهمة من أبي بكر محمد بن داود الأصبهاني الفقيه الظاهري الذي شرع بتصنيف كتاب في الرد على الطبري فيما كتبه من مناظرات مع داود نفسه، فكان ابنه محمد يتكلم في الطبري ويرميه بالعظائم والرفض، كما فعل ذلك عوامّ الحنابلة في بغداد[(٤)]، كما سنذكره.

وليس المراد بالتشيُّع هنا مجرد حبّ علي رضي الله عنه وشيعته، ومعرفة فضل آل البيت، فهذا جزء من الدين، وهو عقيدةُ أهل السُّنة والجماعة، ولكن المراد بالاتهام التشيُّع المرفوض والمذموم الذي يغالي في حبّ علي كرم الله وجهه وآل البيت، ويتطرف في حبهم، ويصل به إلى الطعن ببقية الصحابة، وازدراء مواقفهم، وسبّهم سرًّا وعلنًا، وهذا ما يبرأ منه الطبري رحمه الله تعالى.

قال الذهبي عنه: (ثقة صادق، فيه تشيع يسير، وموالاة لا تضر) ثم قال: (أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ، فقال: كان يضع للروافض - كذا قال السُّليماني - وهذا رجم بالظن الكاذب، بل

---

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٥٤-٥٥).
(٢) معجم الأدباء (١٨/ ٦٧).
(٣) معجم الأدباء (١٨/ ٦٨).
(٤) انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٤٦).

ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين، وما ندعي عصمته من الخطأ، ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى، فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يُتأني فيه، لاسيما في مثل إمام كبير، فلعل السليماني أراد الآتي، ولو حلفت أن السليماني ما أراد إلا الآتي لبررتُ، والسليماني حافظ مُتقن، كان يدري ما يخرج من رأسه فلا أعتقد أن يطعن في مثل هذا الإمام بهذا الباطل) والتالي هو (محمد بن جرير بن رُستم، أبو جعفر الطبري، رافضي له تواليف، منها كتاب الرواة عن أهل البيت، رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني) (١)، وقال الذهبي أيضًا: (وكان ابن جرير من رجال الكمال، وشُنع عليه بيسير تشيع، وما رأينا إلا الخير، وبعضهم ينقل عنه أنه كان يجيز مسح الرجلين في الوضوء، ولم نر ذلك في كتبه) (٢).

وابن رستم هذا يقول بقول الشيعة في مسح الأرجل في الوضوء فنسب خطأ إلى صاحبنا الطبري، وهو بريء من كل ذلك، فالإمام الطبري يخالف الشيعة في معتقدهم في أبي بكر وعمر وخلافة علي رضي الله عنهم، ويكفّر من يسب الصحابة، ويحرم نكاح المتعة، ويقول بغسل الرجلين في الوضوء، ويخالف الشيعة والمعتزلة والقدرية في رؤية الله يوم القيامة ونسبة الأعمال إلى أصحابها دون تدخل لقدرة الله تعالى فيها، مما يدل على بطلان هذه التهمة التي ألصقت زورًا وبُهتانًا بالإمام أبي جعفر الطبري، وهو الذي صنف الكتب في أصول الدين، والتزم بعقيدة أهل السُّنة والجماعة وسلف الأمة، وقال: إن من ينكر إمامتي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، إنه يقتل، وأنكر مجرد وصفه بالمبتدع (٣).

خامسًا: مواهب الطبري وصفاته: تمتع الطبري بمواهب فطرية متميزة، جبله الله عليها، وتفضل عليه بها، كما حفلت حياته بمجموعة من الصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة، والسيرة المشرقة، وذكر لنا معاصروه صفاته الخلقية وما كانت عليه حاله، ومنها:

نبوغ الطبري وذكاؤه: إن كثيرًا من صفات الإنسان تكون هبةً من الله تعالى، وعطاءً مباركًا من الخالق البارئ، ولا دخل للإنسان فيها، والله يختص برحمته من يشاء، ويفضل بعض الناس على بعض، ويرزق المواهب الخاصة لبعض عباده.

ومما يدل على هذا النبوغ والذكاء ما قصه الطبري عن نفسه في تعلمه (علم العروض) في ليلة واحدة، فقال: (لما دخلتُ مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني، وامتحنني في العلم الذي يتحقق به، فجاءني يومًا رجل فسألني عن شيء من العروض، ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له: علي قول ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غدٍ فصر إلي، وطلبت من صديق لي العروض للخليل بن أحمد، فجاء به، فنظرت فيه ليلتي فأمسيت غير عروضي، وأصبحت عروضيًا (٤).

وهذا يدل أيضًا على فطانته، وسرعة بديهته، وكفاءته في حسن التخلص من المواقف المحرجة، وذكرنا سابقًا أنه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وصلى بالناس، وهو ابن ثماني سنين، وكتب

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٩٩)، وحقق ذلك بجلاء ووضحه الخوانساري في روضات الجنات (٧/ ٢٩٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٥)، وانظر المرجع نفسه (ص٢٧٩) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧١٢)، وسيرد مزيد تفصيل لذلك في مبحث الطبري.
(٤) معجم الأدباء (١٨/ ٥٦).

الحديث وهو ابن تسع [١]، وهذا ينقلنا إلى ما وهبه الله تعالى من حافظة.

حفظ الطبري: وكان الطبري رحمه الله تعالى يتمتع بحافظة نادرة، ويجمع عدة علوم، ويحفظ موضوعاتها، وأدلتها وشواهدها، وإن كتبه التى وصلتنا لأكبر دليل على ذلك، وهي: كتاب التفسير، وكتاب التاريخ، وكتاب تهذيب الآثار، وكتاب اختلاف الفقهاء.

وصفه تلميذه أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري فقال: (كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ ما لا يجهله أحد عرفه، لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة، ولا ظهر من كتب المصنفين، وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له) وعدد بعض كتبه والعلوم اللغوية والأدبية والشرعية التي أتقنها، ثم قال: (وكان يحفظ من الشعر للجاهلية والإسلام ما لا يجهله إلا جاهل به) [٢].

وقال أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن المفلس الفقيه عند ذكره فضل العلماء، قال: (والله إني لأظن أبا جعفر الطبري، قد نسي مما حفظ إلى أن مات ما حفظه فلان طول عمره) [٣].

ونقل أبو عمر بن عبد الواحد الزاهد صورة على حافظة الطبري لشعر الشعراء فقال (سمعت ثعلبًا بقول: قرأ علي أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عنده بمدة طويلة) [٤]، وأكمل أبو بكر بن مجاهد الصورة فقال: (قال أبو العباس -يعني ثعلبًا- يومًا: من بقي عندكم؟ يعني في الجانب الشرقي ببغداد من النحويين؟ فقلت: ما بقي أحدٌ، مات الشيوخ فقال: حتى خلا جانبكم؟ قلت: نعم، إلا أن يكون الطبري الفقيه، فقال لي: ابنُ جرير؟ قلت: نعم، قال: ذاك من حُذاق الكوفيين، قال أبو بكر: وهذا من أبي العباس كثير، لأنه كان شديد النفس شرس الأخلاق، وكان قليل الشهادة لأحدٍ بالحذق في علمه) [٥].

وحصل للطبري مثل ذلك مع محمد بن العلاء الهمذاني، أبو كُريب (٢٤٨هـ) عندما صار إلى الكوفة، (وكان أبو كريب شرس الخُلُق من كبار أصحاب الحديث، قال أبو جعفر: حضرت باب داره مع أصحاب الحديث، فاطلع من باب خوخة له، وأصحاب الحديث يلتمسون الدخول، ويضجون، فقال: أيكم يحفظ ما كتب عني؟ فالتفت بعضهم إلى بعض، ثم نظروا إلى وقالوا: أنت تحفظ ما كتبت عنه؟ قال: قلت: نعم، فقالوا: هذا، فسله، فقلت: حدثنا في كذا بكذا وفي يوم كذا بكذا، قال: وأخذ أبو كريب مسألته إلى أن عظم في نفسه، فقال له: ادخل إليَّ، فدخل إليه، وعرف قدره على حداثته، ومكنه من حديثه، وكان الناس يسمعون به، فيقال: إنه سمع من أبي كريب أكثر من مائة ألف حديث) [٦].

أوصاف الطبري الخلقية وعاداته: كان الطبري رحمه الله محطَّ الأنظار، وكانت أبصار تلاميذه متعلقة به ماديًّا ومعنويًّا، وكانوا يلازمونه في كثير من أوقات حياته، ولذلك سجلوا لنا بعض الصفات الجسدية لأستاذهم، دون أن يتوسعوا في ذلك، أو يستقصوا جميع أعضائه وحركاته ونقل علماء

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٥٦).
(٢) معجم الأدباء (١٨/ ٥٩، ٦٠).
(٣) معجم الأدباء (١٨/ ٦٩).
(٤) معجم الأدباء (١٨/ ٦٠).
(٥) معجم الأدباء (١٨/ ٦٠).
(٦) معجم الأدباء (١٨/ ٥١- ٥٢).

التراجم والتاريخ هذه الأوصاف، فقالوا[(١)] : كان الطبري أسمر إلى الأدمة، أعين أي: واسع العينين، نحيف الجسم، مديد القامة، فصيح اللسان، أسود الشعر، وبقي السواد في شعر رأسه ولحيته إلى الوفاة، وظهر فيه بعض الشيب ولم يغيره بصبغ وغيره.

وكان الطبري يأكل الخبز من الدقيق الأبيض، بعد غسل القمح أو نزع قشره؛ لأن من مذهبه أن الشمس والنار والريح لا تطهر نجسًا، وكان يأكل العنب والتين والرطب، ويشرب حليب الغنم التي ترعى، بعد أن يصفى ويوضع على النار حتى يذهب منه جزء، ويصنع منه الثريد من الخبز، ويضاف إليه الصَّعتر وحبة البركة والزيت، وكان يأكل الحصرم في وقته، وكان يأكل اللحم الأحمر الصرف بعد أن يطبخه بالزبيب، ويتجنب اللحم السمين، ويقول عنه: إنه يلطخ المعدة، كما كان يتجنب السمسم والعسل، ويقول: إنهما يفسدان المعدة، ويغيران النكهة، كما كان يتجنب أكل التمر ويظن أن التمر يلطخ المعدة، ويضعف البصر، ويفسد الأسنان، ويفعل في اللحم كذا وكذا، ولما عاتبه أحد أصحابه، وهو أبو علي الصواف، وقال له: أنا آكل التمر طول عمرى، ولا أرى إلا خيرًا، رد عليه الطبري فقال: (وما بقي على التمر أن يعمل بك أكثر مما عمل) وكان الصواف قد وقعت أسنانه، وضعف بصره، ونحف جسمه، وكثر اصفراره، كما كان الطبري يتجنب الثلج.

ولعل ظنه في الغسل والتمر كذلك إمّا لمزاج خاص به، وإما لأنه كان مريضًا في معدته أو كبده، مما يسمى بذات الجنْب وكان المرض يعتاده وينتفض عليه، ويداوي نفسه به، ويتعالج بأدوية، ويعتمد على كتاب: (فردوس الحكمة) الذي أخذه عن مؤلفه على بن زين سماعًا ومباشرة، وكان الطبري يصف الأدوية منه لغيره[(٢)] .

ومن آداب الطبري في الأكل أنه إذا تناول اللقمة سمّى، ووضع يده اليسرى على لحيته ليوقيها من الدسم، فإذا حصلت اللقمة في فيه أزال يده، ويتناول الطعام لقمة لقمةً من جانب واحد من القصعة، لذلك قال عنه أبو علي محمد بن إدريس الجمال، وكان من وجوه القوم بمدينة السلام: (حضرنا يومًا مع أبي جعفر الطبري وليمة فجلست معه على مائدة، فكان أجمل الجماعة أكلًا، وأظرفهم عشرة)[(٣)]، وقال ابن كامل: (ما رأيت أظرف أكلًا من أبي جعفر)[(٤)].

وكان الطبري إذا جلس لا يكاد يُسمع له تنخُم ولا تبصُق، ولا يُرى له نُخامة، وإذا أراد أن يمسح ريقه ذؤابة منديله، ومسح جانبي فيه، قال أبو بكر بن كامل: ولقد حرصت مرارًا أن يستوي لي مثل ما يفعله فيتعذر على اعتياده، قال: (وما سمعته قط لاحنًا، ولا حالفًا بالله عز وجل)[(٥)].

وكان الطبري رحمه الله ينظم وقته بين التدريس والتصنيف والنوم والعبادة، فكان ينام قيلولة الظهر، ويصلى الظهر في بيته، ثم يبدأ بالتصنيف إلى العصر، ثم يخرج، فيصلي العصر، ويجلس للناس يُقرئ القرآن، ويقرأ عليه إلى المغرب، ثم يجلس للفقه والدرس والمذاكرة بين يديه إلى صلاة

---

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٤٠، ٩٠، ٩١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٦) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٦)، البداية والنهاية (١١/ ١٤٥) المحمدون من الشعراء (ص٢٦٥)، مفتاح السعادة (٢/ ٣١٦).
(٢) معجم الأدباء (١٨/ ٩٢ -٩٣).
(٣) المرجع السابق (١٨/ ٩٢، ٩٣).
(٤) معجم الأدباء (١٨/ ٨٩).
(٥) معجم الأدباء (١٨/ ٩٠).

العشاء الآخرة، ثم يدخل منزله، فإذا دخل منزله بعد المجلس فلا يسمح لأحد بالدخول عليه لاشتغاله بالتصنيف إلا في أمر مهم، مع المحافظة على حزبه من القرآن الكريم وكان يقرأ كل ليلة ربعًا أو حظًّا وافرًا، قال ابن كامل: (وقد قسم ليله ونهاره في مصلحة نفسه ودينه والخلق كما وفقه الله عز وجل)[١].

صفات الطبري الخلقية: كان الطبري على جانب رفيع من مكارم الأخلاق، فكسب محبة أصدقائه ومشايخه وتلاميذه ومعارفه؛ لأن الأخلاق الحميدة أساس التعامل والتعاون والتعارف وتبادل المحبة والثقة، ومفتاح العلم والتعلم.

وجمع لنا تلميذ الطبري عبد العزيز بن محمد أخلاق أستاذه فقال: (وكان أبو جعفر ظريفًا في ظاهره، نظيفًا في باطنه، حَسن العشرة لمجالسيه، متفقدًا لأحوال أصحابه، مهذبًا في جميع أحواله، جميل الأدب في مأكله وملبسه، وما يخصه في أحوال نفسه، منبسطًا مع إخوانه، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة وربما جيء بين يديه بشيء من الفاكهة فيجري في ذلك المعنى ما لا يخرج من العلم والفقه والمسائل، حتى يكون كأجد جد، وأحسن علم)[٢].

ورع الطبري وزهده: وهاتان الصفات من فضائل الأخلاق، ومن أشد الصفات التى يجب أن يتحلى بها العالم والداعية، والمربي والإمام.

وكان الطبري رحمه الله تعالى على جانب كبير من الورع والحذر من الحرام، والبعد عن مواطن الشُبه، واجتناب محارم الله تعالى، والخوف منه والاقتصار في المعيشة على ما يرده من ريع أرضه وبستانه الذي خلفه له أبوه[٣].

يقول أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري كلامًا جميلًا في وصف أبي جعفر، وفيه: (وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والأمانة وتصفية الأعمال وصدق النية وحقائق الأفعال ما دّل عليه كتابه في آداب النفوس) وقال: (وكان عازفًا عن الدنيا، تاركًا لها ولأهلها، يرفع نفسه عن التماسها)[٤].

وقال أبو محمد أيضًا عن الإمام أبي جعفر: (وكان شديد التوقي والحذر والنزاهة والورع، يدل على ذلك ما أودعه كتابه: (آداب النفوس)، المنبه على دينه وفضله)[٥].

وقال ابن كثير: (وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم وكان من كبار الصالحين).

وكان الطبري رحمه الله تعالى زاهدًا في الدنيا، غير مكترث بمتاعها ومفاتنها وكان يكتفي بالقليل القليل أثناء طلبه للعلم، وبما يقوم به أوْدُه، ويمتنع عن قبول عطايا الملوك والحكام والوزراء، وله في ذلك قصص وأمثلة نذكر بعضها:

- قال أبو محمد الفَرْغاني، صاحب ابن جرير: (أرسل العباس ابن الحسن الوزير إلى ابن جرير: قد أحببت أن أنظر في الفقه، وسأله أن يعمل له مختصرًا فعمل له كتاب: (الخفيف)، وأنفذه، فوجه إليه

---

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٨٨، ٩٢) وانظر المرجع نفسه (١٨/ ٨٦، ٩٢).
(٢) معجم الأدباء (١٨/ ٨٦).
(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٥).
(٤) معجم الأدباء (١٨/ ٦٠، ٦١).
(٥) معجم الأدباء (١٨/ ٦٠، ٦١).

ألف دينار فلم يقبلها، فقيل له: تصدق بها، فلم يفعل)[(١)].

وقال الفرغاني: (رحل ابن جرير من مدينة آمُل لما ترعرع، وسمح له أبوه بالسفر، وكان طول حياته يُنفذ إليه بالشيء بعد الشيء إلى البلدان، فسمعته يقول: (أبطأت عني نفقة والدي، واضطررت إلى أن فتقت كُمَّي القميص، فبعتهما)[(٢)].

وهكذا عاش الطبري رحمه الله على شظف العيش في سبيل العلم، فحصّل ما حصل، وجمع فأوعى، وأعطى فأثرى، وهذا يؤكد كلمة الإمام الشافعي: (ما أفلح في العلم إلا طلبه عن قلة).

عفة الطبري وإباؤه: وكان الطبري رحمه الله متوقفًا عن الأخلاق التي لا تليق بأهل العلم ولا يُؤثرها إلى أن مات، ولما كان يناظر مرة داود بن علي الظاهري في مسألة، فوقف الكلام على داود، فشق ذلك على أصحابه، فقام رجل منهم، وتكلم بكلمة مُمضَّة وموجعة لأبي جعفر، فأعرض عنه، ولم يردَّ عليه، وترفع عن جوابه، وقام من المجلس، وصنف كتابًا في هذه المسألة والمناظرة[(٣)].

وقال أبو بكر بن كامل: (سألت أبا جعفر عن المسألة التى تناظر فيها هو والمزنيُّ فلم يذكرها؛ لأنه كان أفضل من أن يرفع نفسه، وأن يذكر ظفره على خصم في مسألة، وكان أبو جعفر يفضل المزني فيطريه ويذكر دينه)[(٤)].

وتناظر الطبري مع عبد الله بن حمدان في الدِّينور عند رجوعه إلى طبرستان، وأغرب أبو جعفر عليه ثلاثة وثمانين حديثًا، وأغرب عليه ابن حمدان ثماني عشر حديثًا، مع محافظة الطبري على أدب المناظرة وحفظ اللسان، ويكتفي بالقول: هذا خطأ من جهة كذا، ومثلي لا يذاكر به، فيخجل وينقطع[(٥)].

وكان الطبري عفيف النفس أكثر من ذلك، فهو مع زهده لا يسأل أحدًا، مهما ضاقت به النوائب، وينفق على نفسه مما تنتجه أرضه في قرية تركها له أبوه بطبرستان، ويعف عن أموال الناس، ويترفع عن العطايا.

وفي هذه الخصوص حصلت قصة طريفة نذكرها هنا: جمعت الرحلة بين محمد بن جرير الطبري، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، بمصر، وهم المحدثون وعلماء الحديث فيها، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني، حتى أتوضأ صلاة الخيرة، فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع وخِصِي من قبل والي مصر يدق الباب، ففتحوا الباب، فنزل عن دابته، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو هذا، فأخرج صُرّة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صُرّة فيها خمسون دينارًا

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٤).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٥) وانظر رواية أخرى للقص في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧١).

(٣) معجم الأدباء (١٨/ ٧٨- ٧٩).

(٤) معجم الأدباء (١٨/ ٥٤).

(٥) انظر معجم الأدباء (١٨/ ٥٧).

فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صُرّة فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو ذا يصلي، فلما فرغ دفع إليه الصُرّة، وفيها خمسون دينارًا، ثم قال: إن الأمير كان قائلاً بالأمس [أي: نائمًا في الظهيرة] فرأى في المنام خيالاً، قال: إن المحامد طَوَوْا كشحهم جياعًا، فأنفذ إليهم هذه الصرار، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلى أمدكم).

تواضع الطبري وعفوه: كان الطبري شديد التواضع لأصحابه وزواره وطلابه، دون أن يتكبر بمكانته، أو يتعالى بعلمه، أو يتعاظم على غيره، فكان يدعى إلى الدعوة فيمضي إليها ويُسأل في الوليمة فيجيب إليها، ويكون حضورًا مشهودًا من أجله، وشريفًا بحضوره، وكان يخرج إلى الصحراء فيأكل معهم [١]، وصفه عبد العزيز بن محمد فقال: كان جميل الأدب في مأكله وملبسه وما يخصه من أحوال نفسه، منبسطًا مع إخوانه حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة [٢]. وكان الطبري لا يحمل الحقد والضغينة، وله نفس رضيَّة، يتجاوز عمن أخطأ معه ويعفو عمن أساء إليه.

قال أبو بكر بن كامل: حضرت أبا جعفر حين حضرته الوفاة، فسألته أن يجعل كل من عاداه في حلّ، وكنت سألته ذلك لأجل أبي الحسن ابن الحسين الصواف لأني كنت قرأت عليه القرآن (وهو الذي عادى الطبري لمدحه أبا حنيفة وثنائه عليه) فقال: كل من عاداني وتكلم في حلٍ إلا رجلاً رماني ببدعة [٣].

وكان محمد بن داود الظاهري قد اتهم الطبري بالأباطيل، وشنّع عليه وأخذ بالرد عليه؛ لأن الطبري ناظر والده، وفند حججه، ورد آراءه، فلما التقى الطبري بمحمد من داود تجاوز عن كل ذلك، وأثنى على علم الوالد حتى وقف الولد عن تجاوز الحد، وإشاعة التهم على الطبري [٤].

الطبري والحنابلة: شاع كثيرًا في كتب التراجم أن الطبري رحمه الله لما قدم بغداد من طبرستان، واستقر في بغداد، وظهر علمه وفضله تعصب عليه جماعة منهم أبو عبد الله الجصاص وجعفر بن عرفة والبياض، وأوغر الحسد صدورهم عليه، كما قصده الحنابلة فسألوه عن رأيه في الإمام أحمد بن حنبل وآرائه الفقهية، ورأيه في حديث الجلوس على العرش، وخاصة أن الطبري لم يذكر الإمام أحمد بين الفقهاء في كتاب: (اختلاف الفقهاء) فأجابهم أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا يُعَدُّ خلافه، فقالوا له: فقد ذكره العلماء في الاختلاف، فقال: ما رأيت رُوي عنه، ولا رأيت له أصحابًا يُعوَّل عليهم، أي: في الفقه، وأن الإمام أحمد كان إمام الأئمة في الحديث، ولم ينشئ مذهبًا فقهيًا، فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث آذوه وضايقوه، ورموا الحجارة على بابه، حتى تدخل نازوك صاحب الشرطة ومنعهم من ذلك.

وما كان من الإمام الطبري إلا أن يخاطبهم بمقدار عقولهم وفهمهم وتعصبهم، وكتب كتابًا في الاعتذار إليهم، وذكر مذهبه واعتقاده الذي يتفق مع عقيدة الإمام أحمد والسلف، وجرح من ظن فيه غير ذلك، وذكر فضل الإمام أحمد بن حنبل وقرأ عليهم الكتاب، وانتهت المشكلة، ولكن بقي بعض

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٨٩).
(٢) معجم الأدباء (١٨/ ٨٦).
(٣) معجم الأدباء (١٨/ ٨٤).
(٤) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٨٠) البداية والنهاية (١١/ ١٤٦).

الحنابلة يتحاملون عليه، وذكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وغيره أن الحنابلة ظلموه في تصرفهم، وأن بعض عوام الحنابلة أساءوا التصرف عند دفنه(١).

وأخيرًا نختم الكلام عن مواهب الطبري وصفاته بجملة قالها طبيب ذمي لأبي جعفر، وذلك أن الطبري كان يعاني من ذات الجنب، وكانت تعتاده وتنتقض عليه، ويعالج نفسه منها ويتداوي لها، فلما علم الوزير علي بن عيسى بذلك بعث له طبيبًا ليعالجه، فسأل الطبيب أبا جعفر عن حاله، فعرفه حاله وما استعمل وأخذه لعلته، وما انتهى إليه في يومه ذاك، وما كان رسمُه أن يعالج به، وما عزم على أخذه من العلاج، فقال الطبيب: ما عندي فوق ما وصفته لنفسك شيء، ثم قال عبارته الخالدة (والله لو كنت في ملتنا لعُدِدت من الحواريين، أي: كرسل السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، وفقك الله)(٢).

وكان الطبري رحمه الله كأحد الحواريين، وقام بعلمه وعمله ودينه وورعه وتقواه ما يصل إلى تلك الدرجة وزيادة، تطبيقًا لما جاء في الأثر (علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل)(٣).

ثناء العلماء على الطبري: لقي الطبري رحمه الله تعالى ثناءً عاطرًا، ومدحًا رقيقًا، ووصفًا جميلًا من العلماء الأعلام الذين عرفوا فضله ومكانته، وتقواه وورعه، وعلمه وتصانيفه، فكان يستحق هذه الألقاب والأوسمة عن جدارة، ونحن نقتبس بعضها:

١- قال الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ): (كان أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره)(٤).

٢- قال ياقوت الحموي (٦٢٦هـ): (أبو جعفر الطبري، المحدث، الفقيه، المقرئ، المؤرخ، المعروف، المشهور)(٥).

٣- قال جمال الدين القفطي (٦٤٦هـ): (العالم، الكامل، الفقيه، المقرئ، النحوي، اللغوي، الحافظ، الأخباري، جامع العلوم، لم يُر في فنونه مثله، وصنف التصانيف الكبار)(٦).

٤- وقال القفطي أيضًا: (الإمام، العالم، واحد الدهر، وفريد كل عصر، مؤلف التاريخ، والتفسير المشهورين الكبيرين، إلى ما انضاف إليهما من تصانيفه العزيزة الوجود، الغريبة بين أمثالها في الجودة والموجود، وقد كان له رحمه الله شعر فوق شعر العلماء)(٧).

٥- قال ابن خلِّكان (٦٨١هـ): (صاحبُ التفسير الكبير، والتاريخ الشهير، كان إمامًا في فنون كثيرة . . . ، له مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه، وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين)(٨).

٦- قال مؤرخ الإسلام الحافظ أبو عبد الله الذهبي (٧٤٨هـ): (الإمام الجليل، المفسر أبو جعفر، صاحب التصانيف الباهرة. . . .، من كبار أئمة الإسلام المعتمدين)(٩).

---

(١) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٥٩) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٤)، البداية والنهاية (١١/ ١٤٦).
(٢) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٩٤).
(٣) ذكره بعض العلماء بأنه حديث مرفوع، وقال آخرون: لا أصل له. (انظر: كشف الخفا ٢/ ٨٣).
(٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣).
(٥) معجم الأدباء (١٨/ ٤٠).
(٦) إنباه الرواة (٣/ ٨٩).
(٧) المحمدون من الشعراء ص (٢٦٤).
(٨) وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٢).
(٩) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٩٨).

٧- وقال الذهبي أيضًا: (الإمام العَلَم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة...، أكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علمًا، وذكاء، وكثرة تصانيف، قلَّ أن ترى العيون مثله) ثم قال: (قلت: كان ثقة، صادقًا، حافظًا، رأسًا في التفسير، إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفًا بالقراءات، وباللغة، وغير ذلك) (١).

٨- وقال تاج الدين ابن السُّبكي (٧٧١هـ): (الإمام الجليل، المجتهد المطلق، أبو جعفر من أهل آمُل طبرستان، أحد أئمة الدنيا علمًا ودينًا) (٢).

٩- وقال الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ): (روى الكثير عن الجم الغفير، ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث، وصنف التاريخ الحافل، وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير، وغيرها من المصنفات الحافلة في الأصول والفروع، ومن أحسن ذلك: (تهذيب الآثار) ولو كمل لما احتيج معه إلى شيء، ولكان فيه الكفاية لم يتمه...) ثم قال: (قلت: وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان حسن الصوت بالقراءة مع المعرفة التامة بالقراءات على أحسن الصفات، وكان من كبار الصالحين، وهو أحد المحدثين الذين اجتمعوا بمصر في أيام ابن طولون) ثم قال: (بل كان أحد أئمة الإسلام علمًا وعملاً بكتاب الله وسُنة رسوله) (٣).

١٠- وقال يوسف بن تغري بردي (٨٧٤هـ): (وهو أحد أئمة العلم، يُحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه، وكان مفننًا في علوم كثيرة، وكان واحد عصره) (٤).

١١- وقال أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده (٩٦٨هـ): (كان حافظًا لكتاب الله، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن) (٥).

سادسًا: الطبري مُفسّرًا:

نشأة علم التفسير: ظهر التفسير حقيقة مع نزول القرآن الكريم، وذلك بأن يبين القرآن معنى آية بآية أخرى، أو يشرح لفظًا مجملاً بلفظ مُبَين، أو يحدد المراد من اصطلاح شرعي خاص، وهو ما يُعرف بتفسير القرآن بالقرآن، وهو أول أنواع التفسير، وأهم الأنواع، وأعلاها درجة، مثل قوله تعالى: - ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧] فجاء القرآن الكريم مفسّرًا هذه الكلمات بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]. وآيات خلق الإنسان من تراب، أو من طين، وبيان المراد من الخيط الأبيض والخيط الأسود وأنه الفجر والنور في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ومثل ذلك كثير.

وتجلى التفسير بشكل أوسع في بيان الرسول ﷺ وتوضيحه، وذلك بتفسير آيات القرآن الكريم، وتحديد معناها، ومعرفة أحكام الله تعالى الواردة في القرآن الكريم عن طريق الحديث الشريف الذي

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧/ ٢٧٠).
(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٠).
(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٤٥، ١٤٦).
(٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٠٥).
(٥) مفتاح السعادة (٢/ ٣١٥).

صدر عن رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً وتقريرًا، فكان رسول الله ﷺ أول مُفسر من البشر للقرآن الكريم نظريًا وعمليًا، وهو أعلم البشر بمعاني كتاب الله تعالى، وإدراك أسراره، ومعرفة مقاصده.

وهذا هو النوع الثاني للتفسير، وهو تفسير القرآن بالسُّنة، ويأتي بالدرجة الثانية بعد تفسير القرآن للقرآن، وإن تفسير الرسول ﷺ وبيانه للقرآن أحد الوظائف النبوية، والمهمات الدينية المكلَّف بها من الله تعالى، بقوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل :٤٤]، وقوله تعالى ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل :٦٤].

والقرآن الكريم نزل بلغة عربية على أمة عربية، فكان الصحابة يدركون معانيه، ويفهمون ألفاظه، ويحيطون بمقاصده وتراكيبه، ويعلمون أسباب نزول الآيات ومناسباتها، وإذا أشكل عليهم منه شيء أو ورد فيه اصطلاح ديني معين، فزعوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه عنه ويقفون على مراد الله تعالى منه.

وكان القرآن الكريم دستور حياتهم، ومنهج معيشتهم، وغذاء أرواحهم، وملجأ قلوبهم، ومهوى أفئدتهم، وملء عيونهم وجفونهم، لذلك ظهرت آثاره عليهم بالتربية والتوجيه، والإعداد والإصلاح والتقدم والازدهار فكانوا بحق جيل القرآن الفريد بفهمه والتفاعل معه.

وبعد وفاة الرسول ﷺ والتحاقه بالرفيق الأعلى تولى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وظيفة البيان والتعليم والتفسير، وتصدى كبار الصحابة إلى بيان المعنى الصحيح، والتفسير المقبول لآيات الله تعالى، اعتمادًا على ما أخذوه وفهموه من رسول الله ﷺ أولاً، واستنادًا إلى اللغة العربية وعادات العرب ومقاصد الشريعة وأسباب النزول ثانيًا، وإعمالاً لعقولهم وتفكيرهم واجتهادهم وملكاتهم وإدراكهم وعلمهم ثالثًا، وهنا ظهر التفسير بالرأي والاجتهاد والاستنباط.

وتبوأ عدد من الصحابة مركز الصدارة في تفسير القرآن الكريم، وأبرز المفسرين من الصحابة: الخلفاء الأربعة: أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي، رضوان الله عليهم، وأكثر من تصدى لذلك منهم الإمام علي كرّم الله وجهه الذي كان يقول: (سلوني عن كتاب الله تعالى، فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل) وكان يقول أيضًا: (والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت، وأين نزلت، إن ربي وهب لي قلبًا عقولاً، ولسانًا سؤولاً)[(١)].

ومن الصحابة المفسرين عبد الله بن مسعود الذي كان يقول مثل ما قال علي[(٢)].

ومنهم أبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وعرف ابن عباس بأنه ترجمان القرآن، وحبر الأمة، ورئيس المفسرين. كما ورد شيء من التفسير عن أنس وأبي هريرة وجابر وابن عمرو[(٣)].

وروي التفسير عن ابن عباس في مكة عدد من كبار التابعين، منهم مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس، وطاوس وعطاء ابن أبي رباح، كما روى التفسير عن ابن مسعود عدد من علماء الكوفة

(١) انظر مفتاح السعادة: (٢/ ٦٤)، تفسير القرطبي (١/ ٣٥)، الإتقان (٢/ ٢٣٩).

(٢) قال عبد الله بن مسعود: والله الذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، وأين نزلت، ومتى نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته، انظر صحيح البخاري (٤/ ١٩١٢) تخريج أحاديث البزدوي ص (٢٣٨).

(٣) انظر: مفتاح السعادة (٢/ ٦٤)، والإتقان (٢/ ١٨٦)، التفسير والمفسرون (١/ ٦٣).

كعلقمة والأسود بن يزيد النخعي وعبيد بن عمرو السَّلماني وعمرو بن شرحبيل وغيرهم.

وقام التابعون برواية التفسير عن النبي ﷺ، وعن الصحابة، ثم أدَّوا وظيفتهم، وأضافوا اجتهادهم ورأيهم واستنباطهم من الكتاب الكريم، وسمِّي مجموع ذلك -فيما بعد- التفسير بالمأثور.

تدوين التفسير: اعتمد التفسير في عصر الصحابة والتابعين على الرواية، وكان ينقل ويدرج مع الحديث الشريف، ولما دوَّن المحدثون الحديث الشريف جعلوا التفسير فرعًا من فروعه ولا يزال أثر ذلك واضحًا في كتب السُّنة وأمهات مصادر الحديث حتى اليوم.

وجاءت الطبقة التالية من صغار التابعين وتابعي التابعين فدونوا الروايات السابقة في التفسير، وأفردوها عن علم الحديث، وظهر لأول مرة ما عُرف بكتب التفسير بالمأثور التي تجمع أحاديث التفسير، وأقوال الصحابة والتابعين في القرن الثاني الهجري، مثل تفسير مجاهد (١٠٤هـ) وتفسير عطاء الخراساني (١٣٣هـ) والناسخ والمنسوخ لقتادة (١١٨هـ) والناسخ والمنسوخ وكتاب التنزيل للزهري (١٢٤هـ) وكان عبد الملك بن جريج (١٤٩هـ) أول من جمع الأخبار المتعلقة بالتفسير في كتاب[(١)].

وفي هذا العصر دُوِّنت العلوم، وتطور تصنيف التفاسير بجمع الروايات المختلفة مع ذكر أسانيدها، أو حذف الأسانيد، وظهر التأثر بالعلوم المختلفة كالنحو والإعراب، والقراءات وأسباب النزول، والفقه وعلم الكلام، والعلوم العقلية والفلسفية، وصنفت التفاسير مع مراعاة العلم الذي يتقنه المفسر، أو يراه مهمًا ومؤثرًا لفهم كلام الله تعالى، فظهرت التفاسير المتنوعة بحسب الموضوعات مع التفسير بالرأي، وتفسير مفردات القرآن، أو التفسير الإشاري، وتفسير آيات الأحكام والتفسير اللغوي والبلاغي . . .[(٢)].

ولا بد من التنويه أن تفسير القرآن الكريم يعتمد على أصول محددة، وقواعد معينة ومقدمات أساسية، وعلوم ضرورية، كاللغة العربية، وأصول الفقه، وأصول الدين، وأسباب النزول، ودلالة الألفاظ حقيقة ومجازًا وعرفًا والجدل وغيره.

وبدأ في القرن الثالث الهجري منهج النقد للروايات والنصوص المتعلقة بالتفسير، لبيان الصحيح والضعيف، والراجح والمتروك، مع وضع القيود والشروط للمفسِّر، وهذا ما نص عليه إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري في مقدمة تفسيره وصنف بعدها أعظم تفسير وأقدم تفسير وصل إلينا كاملًا، وهو: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) أو تفسير الطبري[(٣)].

رغبة الطبري في التفسير: كان القرآن الكريم -وما يزال- مهوى الأفئدة، وأول كتاب يفتح المسلم عينيه عليه، وقد حفظ الطبري رحمه الله تعالى القرآن الكريم من الصغر، كما سبق، ثم اتجه إلى تدبره وفهمه، ودراسته ومعرفة معناه من العلماء الذين أخذ عنهم في مختلف الأقطار الإسلامية، واطلع على بيان القرآن الكريم في السُّنة الشريفة التي رواها وجمعها حتى صار مُحَدِّثًا فيها، وعكف على كتاب الله

(١) انظر التفسير ورجاله ص (٢١)، تاريخ التراث (١/ ١/ ٥٦)، التفسير والمفسرون (١/ ١٠٤ و١٤٠)، كشف الظنون (١/ ٢٩٨).

(٢) انظر: كشف الظنون (١/ ٣٠٠)، مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٠ والتفسير ورجاله ص ٢٣، الإتقان (٢/ ١٨٨) وما بعدها.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي (١/ ١/ ٥٥، ٦٣، ٨٣، ١١٨)، الإتقان (٢/ ١٩٠).

تعالى، كما هو مطلوب في الشرع ومنصوص عليه في آيات القرآن الكريم، ورَغّب فيه الرسول ﷺ، ونهج عليه الصحابة والسلف الصالح، وهو ما يجب الالتزام به في كل زمان، ومن كل مسلم، حتى يتم الانتفاع الحقيقي والكامل من كلام الله تعالى القائل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]وحض القرآن الكريم على التدبر، ونعى على من يترك ذلك فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

فاتجهت رغبة الطبري -رحمه الله تعالى- إلى رعاية كتاب الله، والعناية بتدبره وفهمه، وتحصيل الأدوات اللازمة، والعلوم الضرورية لذلك، كما سنرى.

طلب الطبري للتفسير: فقد اتجه الطبري رحمه الله تعالى إلى تَعلّم ودراسة جميع ما وصل إليه علم التفسير في القرنين الماضيين من التفسير بالمأثور، وأقوال العلماء في ذلك، واستقصاء ما يتعلق بعلوم القرآن من اللغة والقراءات وأسباب النزول والاجتهادات في آيات الأحكام، وجمع الشعر الذي يوضح معاني كتاب الله، لقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: (عليكم بديوانكم لا تضلوا وهو شعر العرب، فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم) وهو ما أكده ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بقوله: (الشعر ديوان العرب)، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعنا إلى ديوانهم فالتمسنا معرفة ذلك منه) [(١)] إلى أن ملك الطبري ناصية العلوم، وعكف على التأليف والتصنيف في مختلف العلوم التي ساعدته على فهم كتاب الله ثم الشروع في التفسير بعد أن استخار الله تعالى في عمل كتاب التفسير، وسأله العون على ما نواه ثلاث سنوات قبل البدء به، ثم شرح الله صدره لذلك، وأعانه على عمله وإتقانه وإكماله [(٢)].

مؤهلات الطبري لتفسير القرآن: جمع الإمام الطبري الوسائل الأساسية التي تؤهله لتفسير القرآن الكريم، قبل أن يفكر بذلك، وقبل أن يشرع في التفسير، ويخوض في كلام الله تعالى وأول خطوة في ذلك حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ثم إتقان القراءة، ومعرفة القراءات، وهذا ما توجه إليه الطبري، فجمع القراءات، وصار إمامًا فيها، ثم صنّف كتابًا في ذلك، وتفرد بقراءة مستقلة، وجمع أقوال الصحابة والتابعين في التفسير بالمأثور، وكان محدثًا، وجمع الأحاديث، وصنّف فيها الكتب النافعة، وصار إمامًا في السُّنة وعلوم الحديث، وعدّه النووي رحمه الله تعالى من طبقة الترمذي والنسائي، وأتقن علوم القرآن وما يتعلق بالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والروايات والأخبار التي أشار إليها القرآن الكريم، كما كان الإمام الطبري مبرّزًا في اللغة العربية وعلومها من المعاني والبيان والنحو والإعراب والشعر وفقه اللغة والبديع والأدب، وكان واسع الباع في الفقه، والأحكام الشرعية، والحلال والحرام، وآيات الأحكام، وأصول الفقه، وآلات الاجتهاد والاستنباط والاستدلال، وكان عارفًا بجدل القرآن الكريم، وما يتعلق بالتوحيد والعقيدة والصفات التي كانت مثار جدل واختلاف بين الفرق الكلامية والاعتقادية في عصره، وما بعده.

---

(١) انظر الإتقان (٢/ ١٠).

(٢) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٦٢)، وانظر المقومات التي يجب أن تتوفر بالمفسر، ويجب مراعاتها في الإتقان (٢/ ١٨٥)، والبرهان للزركشي (١/ ٣٤).

ويضاف إلى ذلك ما وهب الله تعالى به الإمام الطبري من الملكة العقلية، والنبوغ الفكري، والذكاء الحاد، والزهد الإسلامي، مما خوله إلى التفوق العلمي، ليصبح موسوعة كبرى في مختلف العلوم عامة، وفي علوم القرآن والتفسير خاصة.

وهذه المؤهلات العلمية التي حباها الله تعالى للإمام الطبري لم يقف عندها ليمد يده لتفسير كتاب الله تعالى المنزَّل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بل تجاوز ذلك ليضع قواعد علم التفسير، ويرسم أصول التفسير، ويحدد المنهج القويم لكل من يريد تأويل كلام الله تعالى، وفهم مراده بشكل صحيح وسليم، فكان الطبري بحق مؤسس أصول التفسير، وباني حدوده وقواعده، ودوَّن هذه الأسس في مقدمة تفسيره -كما سنرى ذلك- وتقدم الخطوة المميزة والحاسمة باتباع هذا المنهج، والسير على هذه الأسس في نفس التفسير وفي هذا المجال نستأنس برأي هذا الإمام بتفسير القرآن الكريم والحاجة إليه.

الحاجة إلى تفسير القرآن ووجوب تعلمه: يرى الإمام الطبري رحمه الله تعالى أن من أعظم مِننِ الله تعالى على عباده تنزيل القرآن الكريم، الذي هو دستور الحياة، وناموس الوجود وفيه الهدى والخير والنور، وأنه الفضيلة العظمى التي شرّف الله بها أمة محمد ﷺ على سائر الأمم، فقال رحمه الله تعالى: (فإن من جسيم ما خص الله به أمة محمد ﷺ من الفضيلة وشرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، وحَبَاهم به من الكرامة السَّنية: حفظه ما حفظ -جل ذكره وتقدست أسماؤه- عليهم من وحيه، وتنزيله، الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم ﷺ دلالة، وعلى ما خصه به من الكرامة علامة واضحة وحجة بالغة... فجعله لهم في دُجى الظلم نورًا ساطعًا وفي سدف الشبه شهابًا لامعًا، وفي فضلة المسالك دليلًا هاديًا وإلى سبيل النجاة والحق حاديًا) ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

ويما أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وأنزل للتطبيق والعمل، وتنظيم الحياة للأفراد والمجتمع، والأمة والدولة، وأنه كتاب للتدبر والتفكر، والاعتبار والفهم، والاستدلال والاستنباط، فإن الإنسان يحتاج إلى تفسيره لما يتضمنه من أساليب اللغة المختلفة، ففيه الحقيقة والمجاز، والصريح والكناية، والإيجاز والإطناب، والقصص والأمثال، والأخبار والأحكام، والعقيدة والشريعة، والتربية والأخلاق والمصطلحات الشرعية، والاعتبارات العرفية والزمانية والمكانية، وفيه المجمل والمفسر، والمحكم والمتشابه، بل هو -كما قلنا سابقًا- كتاب الوجود وناموس الكون، وسنن الحياة حتى تقوم الساعة، وظهرت هذه الحاجة للتفسير منذ نزول الوحي فبين القرآن الكريم بعضه ببعضه، ونهض رسول الله ﷺ بالبيان بذاته، وهرع إليه الصحابة رضوان الله عليهم للاستفسار عن مراد الله وغايته وهدفه، ثم نهض كبار الصحابة وعلماؤهم بهذه الوظيفة المقدسة.

لذلك يرى الطبري رحمه الله تعالى وجوب تعلم التفسير، واتجه بنفسه إلى تعلمه، وجاب البلاد في دراسته وأخذه من أفواه العلماء، وعكف على مطالعته ما كتب من التفاسير قبله، وجمع آلات المفسر، ووسائل التفسير، ثم فكر بتصنيف تفسير خاص، أداءً للواجب، وشعورًا بالمسئولية أمام الله تعالى، ونشرًا للعلم، فتردد وهاب الموقف، وسأل الله العون على ذلك ثم استخار الله تعالى في

الشروع بهذا العمل الجليل ثلاث سنين، إلى أن شرح الله صدره، وبدأ به، وهو ينادي بالسعادة التي تغمر من يتلو كتاب الله بفهم وتدبُّر، ويقول: (إني لأعجب ممن قرأ القرآن، ولم يعلم تأويله، كيف يلتذُّ بقراءته؟) [١].

ثم عقد الطبري فصلاً في مقدمة تفسيره بعنوان: (ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن، ومن كان يفسره من الصحابة) وبدأه بالحديث الموقوف عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن). ثم قال الطبري رحمه الله تعالى: (وكان الله جل ثناؤه قد أمر عباده بتدبره، وحثهم علي الاعتبار بأمثاله).

ثم أفاض الطبري -رحمه الله تعالى- بذكر فضل التفسير، وأهميته، وثواب القائمين عليه، وبيان منهجه، وإرساء قواعده، ووضع أصوله، وضبط قوانينه، من اللغة والعقل والقرآن والسُّنة وأقوال السلف.

وجاء (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) أعظم تفسير، وعُدَّ أصلاً لبقية المفسرين، ومرجعًا لكل قاصد لفهم كتاب الله تعالى وتأويله وتفسيره، وصار الطبري أعظم مفسِّر، وأعلم المفسرين، واستحق أن يلقب بجداره بشيخ المفسرين، كما أعتبر أبا المفسرين.

ومن هنا نرى أنه آن أوان الشروع للوصف الدقيق والمباشر لكتاب الطبري رحمه الله تعالى في التفسير، وبيان خصائصه وميزاته إن شاء الله تعالى.

سابعًا: وصف تفسير الطبري:يُعد تفسير الطبري رحمه الله تعالى باتفاق العلماء موسوعة علمية كبري، ودائرة معارف متنوعة؛ لأنه يحتوي مختلف صنوف العلوم الدينية واللغوية، مما ينذُرُ وجوده في تفسير آخر، ولذلك بلغ القمة، واستقر على الذروة، وبقي في المكان الشامخ، يقصده كل دارس، ويستفيد منه كل مفسر، ويستعين به كل من تناول علمًا من علوم القرآن.

ويقع هذا التفسير في ثلاثين جزءًا من الحجم الكبير، يبدأ بمقدمة ثم يتناول تفسير القرآن الكريم، بحسب ترتيبه المتلوّ سورة سورة، وآية آية، ابتداء من سورة الفاتحة، وانتهاء بسورة الناس.

محتويات تفسير الطبري:إن أولى الناس بمعرفة الكتاب وهو صاحب الكتاب ومصنفه ومؤلِّفه، ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة :١٤]وصاحب الدار أدرى بمن فيها، وأهل مكة أدرى بشعابها، والإمام الطبري رحمه الله تعالى أعرف الناس بمحتويات كتابه، ولذلك نص عليها في مقدمته العظيمة للتفسير، وهي مقدمة مطوَّلة، نقف عندها كثيرًا، ونستعين بها في هذا البحث، كما يقف عندها الدارسون والمفسرون والعلماء.

وشرح الإمام الطبري المحتويات بطولها، وأوجزها ياقوت الحموي رحمه الله تعالى في معجم الأدباء فقال: (وكتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبة ورسالة التفسير تدل على ما خص الله به القرآن العزيز من البلاغة والإعجاز والفصاحة التي نافي بها سائر الكلام، ثم ذكر من مقدمات الكلام في التفسير، وفي وجوه تأويل القرآن وما يعلم تأويله، وما ورد في جواز تفسيره، وما حُظر في ذلك، والكلام في قول النبي ﷺ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وبأي الألسنة نزل؟ والرد على من قال: إن فيه أشياء من

(١) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٦٣)، تفسير الطبري (١/ ٦) وما بعدها، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٤).

غير الكلام العربي، وتفسير أسماء القرآن والسور، وغير ذلك مما قدّمه، ثم تلاه بتأويل القرآن حرفًا حرفًا، فذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعي التابعين، وكلام أهل الأعراب من الكوفيين والبصريين، وجُمَلًا من القراءات، واختلاف القراءة فيما فيه من المصادر واللغات، والجمع والتثنية، والكلام في ناسخه ومنسوخه، وأحكام القرآن والخلاف فيه، والرد عليه من كلام أهل النظر فيما تكلم فيه بعض أهل البدع، والرد عليهم، في مذهب أهل الإثبات ومُبتغي السنن، إلى آخر القرآن)[١] .

اسم التفسير وعنوانه: يُعرف هذا التفسير باسم (تفسير الطبري) واشتهر بين العلماء والناس، وبين أيدي الطلاب والنسّاخ والمكاتب بهذا الاسم، ولكن الإمام الطبري رحمه الله تعالى سمى كتابه باسم (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ليكون الاسم دليلًا على المسمى، والعنوان مشيرًا إلى المضمون، وكان ذلك كذلك، وحقق الإمام الطبري ما قصد ووضع وأراد، فجاء التفسير بحق يجمع وجوه البيان، وأقوال العلماء وآراء المجتهدين، واجتهاد الصحابة والتابعين، في المأثور والمنقول، والرأي والمعقول، ووازن بين الآراء المختلفة، ورجح ما وجده أقرب، أو أقوى من اللغة وكلام العرب، وبما هو ثابت في الشرع، وأصح تاريخًا وعقلًا.

وجاء استعمال الطبري لكلمة (تأويل) مقصودًا؛ لأنه يريد بالتأويل درجة بعد التفسير، خلافًا لقول بعض العلماء بأن التفسير والتأويل مترادفان، بينما يرى أكثر المتأخرين أن التفسير بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، أو أنه يرجع إلى معرفة المعنى بالنقل والرواية، وأن التأويل بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة، أو أنه معرفة المعنى بالاجتهاد والاستنباط والرأي، وترجيح محتملات اللفظ، والاستدلال على ذلك بالأدلة المختلفة العقلية والنقلية، والتاريخية واللغوية، واستنباط الأحكام وتحديد العقيدة، وبيان المراد من النص[٢] وهذا ما أراده الطبري رحمه الله تعالى، فالتفسير عنده مقدمة للتأويل، وأن التفسير هو بيان المراد باللفظ وهو ما نقله من مرويات الصحابة والتابعين، وأن التأويل يبين المعاني المختلفة التي تحتملها ألفاظ القرآن، مع ما ورد فيها عن السلف، ثم يعمد إلى الترجيح والموازنة، ونقد الأسانيد واستخدام اللغة والإعراب في بيان المراد، مع الاستشهاد بالتاريخ، واستنباط الأحكام، وهذا ما حرص عليه الإمام الطبري وقصده في عنوانه، والتزمه في تفسيره، وامتاز به عن جميع التفاسير بالمأثور التي سبقته، ولذلك جاء تفسير الطبري في الحقيقة جامعًا للتفسير والتأويل معًا.

مصادر تفسير الطبري: عاش الإمام الطبري في القرن الثالث الهجري الذي يمثل قمة الثقافة، والنمو العقلي والتفتح الذهني، وازدهار العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وترجمة العلوم المختلفة عن الأمم السابقة، وكان لهذا الظرف تأثير كبير على الإمام الطبري الذي تمثل هذه العلوم واستوعب ثقافة عصره، ثم بدأ بالعطاء الموسوعي، والثقافة الواسعة، ليكون الطبري أصدق صورة، وأوضح مثل لعلماء القرن الثالث الهجري.

---

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٦٣).

(٢) انظر كتاب تعريف عام بالعلوم الشرعية (ص٤٦) تفسير الطبري (٣٠/ ٣٩١) وما بعدها، التفسير بالمأثور ومناهج المفسرين (ص٥١) وما بعدها، التفسير والمفسرون (١/ ١٥) وما بعدها، البرهان (٢/ ١٤٦، ١٤٩) الإتقان (٢/ ١٤٢، ١٧٣) دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر للدكتور فتحي الدريني (١/ ٢٩٦، ٢٩٨).

وسبق أن تفسير الطبري احتوى على العلوم الدينية واللغوية والعقلية والتاريخية، وأنه جمع جهود العلماء الذين سبقوه في هذا الخصوص، وصاغها في كتابه العظيم، ليترك لنا أكبر ذخيرة من ذخائر الإسلام في ذلك العصر(١).

لذلك كانت مصادر تفسير الطبري متنوعة من جهة، وكثيرة من جهة أخرى مع ما أضافه إليها من معارفه واجتهاده وفكره، مما نشير إليه ونذكر به: منها كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وقتادة بن دعامة، والحسن البصري، وعكرمة مولى ابن عباس، والضحاك بن مزاحم، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن جريج ومقاتل بن حيان وغيرهم من مفسري الصحابة والتابعين.

ولم يدخل الطبري في تفسيره شيئًا من كتاب محمد بن السَّائب الكلبي، ولا مقاتل بن سليمان، ولا محمد بن عمر الواقدي، لأنهم أظناء، كما لم يتعرض لتفسير غير موثوق، لكن إذا رجع إلى التاريخ والسِّير وأخبار العرب حكى عن محمد بن السائب الكلبي، وعن ابن هشام، وعن محمد بن عمر الواقدي وغيرهم فيما يفتقر إليه، ولا يأخذ إلا عنهم. وكان الطبري رحمه الله يعتمد على كتب الحديث ومشهور كتب السُّنة في الروايات والأحاديث والآثار في التفسير.

ويعتمد في اللغة والمعاني على كتاب علي بن حمزة الكسائي، وهو أحد القراء السبعة، وكان إمامًا في النحو واللغة، وعلى كتاب يحيى بن زياد الفراء، وهو أبرع الكوفيين وأعلمهم في النحو واللغة وفنون الأدب، وعلى كتاب أبي الحسن سعيد بن مَسْعَدة الأخفش الأوسط، وهو أحد نحاة البصرة، ومن أئمة اللغة، وعلى كتاب أبي علي قطرب محمد بن المستنير النحوي اللغوي البصري، الإمام صاحب التصانيف المشهورة(٢).

كما اعتمد الطبري رحمه الله على كتب تابعي التابعين، وعلماء التفسير في القرن الثاني الهجري، ومنها: تفسير سفيان بن عُيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد بن حُميد، وسعيد بن بشير الأزدي الشامي وأبي بكر بن أبي شيبة وآخرين.

ومن هنا ذكر السيوطي رحمه الله تعالى في (الإتقان) عن طبقات المفسرين، طائفة من مفسري الصحابة ثم طبقة التابعين وقال عنهم: (وهؤلاء قدماء المفسرين وغالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة، ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين... وبعدهم محمد بن جرير الطبري، وكتابه أجلُّ التفاسير وأعظمها)(٣).

ويضاف إلى هذه الكتب مصادر أخرى في تفسير آيات الأحكام وعلم الجدل والعقيدة، مما سنشير إليه في منهج الطبري إن شاء الله تعالى.

---

(١) قال أبو محمد الفرغاني عن الطبري: (ثم من كتبة التفسير الذي لو ادعى عالم أن يُصنف منه عشرة كتب، كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقصى لفعل) انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٣).

(٢) انظر معجم الأدباء (١٨/ ٦٤). بتصريف.

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٨٦-١٩٠).

أهمية تفسير الطبري: يعتبر تفسير الطبري من أعظم التفاسير الإسلامية قدرًا، وأرفعها شأنًا وأكثرها أهمية، وأنه ذخيرة من ذخائر الإسلام، ويحتل المكانة السامية، والدرجة الأولى في نظر العلماء.

وأري أن هذه الأهمية ترجع إلى ثلاثة أسباب أساسية وهي:

١ - **الناحية التاريخية:** إن تفسير الطبري أقدم كتاب وصل إلينا من القرون الثلاثة الأولى، فقد بدأ في تصنيفه سنة ٢٨٣هـ، وانتهى من إملائه سنة ٢٩٠هـ[١]، وجمع بين مجلداته كتب التفسير التي سبقته وهو - في الماضي والحاضر والمستقبل - المرجع الأمين لجمع أقوال الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ورصد آرائهم وتخليد ذكراهم، وحفظ أعمالهم واجتهاداتهم، ولولا كتاب التفسير للطبري لضاع كثير من الآراء وطمست معظم المعالم وتشوهت كثير من الحقائق، ودخلت في حيز النسيان، فجاء تفسير الطبري وسجل لنا صورة مشرقة عن السلف الصالح في القرنين الأول والثاني الهجريين، الذين كانوا أوعية للعلم، ويمثلون مرحلة انتقالية مهمة وخطيرة بين العهد النبوي وعصر الصحابة والخلافة الراشدة والأموية، وبين مرحلة استقرار العلوم وتدوينها في العهد العباسي عامة، والقرن الثالث خاصة.

وإن كتب التفسير التي سبقت الطبري - والتي أشرنا إليها سابقًا - والمحاولات التفسيرية قبله قد ذهبت بمرور الزمن، ولم يصل إلينا منها إلا النادر القليل، وما ضمنه الطبري في ثنايا كتابه العظيم، وسِفْره الخالد، مما يدعو إلى التقاط وتجميع هذه التفاسير الأولى من تفسير الطبري وغيره.

٢ - **الناحية العلمية والموضوعية:** جمع الطبري في تفسيره مختلف فنون العلوم الدينية، وسبك بينها واستخدمها في تفسير القرآن الكريم، كما سبق في مصادره، وكما سنذكر في منهجه، فيعتمد على الحديث وعلومه، وعلوم القرآن عامة والتفسير وأسباب النزول والقراءات خاصة، وعلوم اللغة والأدب والبيان والنحو والبلاغة، وعلوم التاريخ والسِّير والأخبار وعلم التوحيد والفرق، وعلم الفقه وأصول الفقه والفقه العام، والفقه المقارن، وجمع أقوال الفقهاء والاستدلال لهم ومناقشة الأدلة، والوصول إلى الترجيح، وغير ذلك من العلوم التي يستمتع بها القارئ، وكأنه في حديقة غَنّاء تجمع مختلف الأزهار، وتغرد فيها أشجان الطيور، وتتناغم فيها صنوف الثمار.

ولم يكتف الطبري رحمه الله بالجمع بين هذه العلوم، والحفاظ على التفاسير قبله، بل نقاها من الشوائب، وصفّاها من الكدر، يقول الشيخ محمد الفاضل بن عاشور: (كان التفسير عندما انتهى إلى الطبري، في أوائل القرن الثالث: نهرًا مزبدًا، ذا ركام ورواسب، قد انصب إلى بحر خضم عُباب، فامتزج بمائه، وتشرَّب من عناصره، وصفا إليه من زبده، وتطهر لديه من رُكامه ورواسبه)[٢].

٣ - **الناحية التراثية:** وتبلورت الناحيتان السابقتان لتجعل من تفسير الطبري تراثًا حضاريًا موروثًا، وفكرًا مؤصَّلًا خالدًا، وموردًا للعلم وينبوعًا للعطاء، ويصبح عمدة المتأخرين بعده، ومرجعًا مهمًا لجميع المفسرين، وأصحاب العلوم المتصلة بالقرآن الكريم وعلومه ومعارفه، ويعتبر كعبة للعلماء وطلاب العلم ومحبي الدراسة وعشاق المعرفة وينكبون حوله للرشف منه، واكتساب المعرفة من صفحاته.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٣).

(٢) التفسير ورجاله (ص٣٠)، وانظر: التفسير والمفسرون (١/ ٢٠٩).

وتظهر هذه الأهمية لتفسير الطبري من خلال تأثيره في غيره، وتأثر من جاء به، وافتقار كل باحث ومفسر ودارس لعلوم القرآن للرجوع إلى تفسير الطبري، حتى اصطبغت جميع التفاسير بعده بصبغته، واقتبسوا من معينه، ورشفوا من حوضه، مع اختلاف المشارب والاتجاهات والمذاهب فاختط لهم سبيلًا رشدًا التزموا سلوكه.

يقول الشيخ ابن عاشور: (وأن الذي ينظر نظرة المقارنة بين تفسير الطبري، والتفاسير التي جاءت بعده: من ابن عطية والزمخشري إلى الفخر الرازي والبيضاوي، إلى الذين ساروا على خطاهم، واغترفوا من بحارهم: من ابن عرفة إلى أبي السعود، أو الذين تحرروا من اتباعهم، متوخين الابتكار في الأسلوب والاستقلال في الفهم: من ابن تيمية وابن القيم إلى محمد عبده ورشيد رضا: ليجد من وحدة الأساليب، وتقارب الطرائق على مر تلك الألف سنة وزيادة بين الطبري والذين جاءوا من بعده، ما لا يوجد في أي من الفنون بين أوضاع القرن الثالث وأوضاع القرون المتعاقبة من السادس إلى الرابع عشر) (١).

وتتأكد أهمية تفسير الطبري من خلال آراء الأئمة والفقهاء، والعلماء والمفسرين فيه، وثنائهم عليه، بعبارات خالدة، وحِكَم مأثورة، وثناء منقطع النظير، مما سنفرده في الفقرة التالية.

أقوال العلماء في تفسير الطبري: احتل تفسير الطبري سويداء القلب عند العلماء على مر التاريخ في القديم والحديث، وحظي بالرعاية والعناية، وأثنى عليه الأئمة والعلماء، والمؤرخون والمفسرون، وسطَّروا الجمل المذهَّبة حوله، وعلقوا عليه أوسمة الفخار، مما يدل على أهميته ومكانته، وهذه بعض عباراتهم:

قال أبو بكر بن خزيمة بعد أن استعار تفسير الطبري من ابن خالويه ورده بعد سنين، قال: (نظرت فيه من أوله إلى آخره فما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير) (٢) وهذه شهادة من عالم كبير بعد الخبرة والاطلاع والدراسة.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى عن تفسير الطبري: (لم يصنف أحد مثله) (٣).

وقال العلامة الشيخ أبو حامد الإسفراييني: (لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرًا) (٤).

وقال مؤرخ الإسلام المحدث الحافظ الذهبي: (وله كتاب التفسير، لم يصنف أحد مثله) (٥).

وقال العلامة الحافظ المفسِّر جلال الدين السيوطي: (وكتابه - يعني تفسير الطبري - أجلُّ التفاسير وأعظمُها . . . فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب، والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين . . .) ثم قال السيوطي رحمه الله تعالى: (فإن قلت: فأي

---

(١) التفسير ورجاله ص (٣٢).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٠) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤) معجم الأدباء (١٨/ ٤٢).

(٣) تهذيب الأسماء (١/ ٧٨) وهو ما قاله ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٢).

(٤) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٤٢) طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٣) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣) تهذيب الأسماء (١/ ٧٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٠).

التفاسير ترشد إليه، وتأمر الناظر أن يعوِّل عليه؟ قلت: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله) (١).

وقال أبو عمر الزاهد، غلام ثعلب: قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفًا خطأ في نحوٍ أو لغة) (٢).

وقال العلامة الزركشي: (ثم إن محمد بن جرير جمع على الناس أشتات التفاسير، وقرب البعيد) (٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وتفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير، وأعظمها قدرًا. . .) وقال: (وأما التفاسير التي في أيدي الناس، فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل ابن بكير والكلبي) (٤).

وقال الشيخ محمد الفاضل بن عاشور: (فكان جديرًا بالتفسير، حين تناوله الطبري بتلك المشاركة الواسعة، وذلك التفنن العجيب، أن يبلغ أوجه، وأن يستقر على الصورة الكاملة التى تجلت فيها منهجيته، وبرزت بها خصائصه، مسيطرة على كل ما ظهر من بعده من تآليف لا تحصى في التفسير) (٥).

وقال الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي: (وقد اعتبر الطبري أبا التفسير، كما اعتبر أبًا للتاريخ الإسلامي، وذلك بالنظر لما في هذين الكتابين من الناحية العلمية. . .) ثم يقول: (يعتبر تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسرين الذين عُنُوا بالتفسير النقلي وإن كان في الوقت نفسه يُعتبر مرجعًا غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي نظرًا لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحًا يعتمد على النظر العقلي، والبحث الحر الدقيق) (٦).

وكان أبو بكر بن كامل - تلميذ الطبري - قد وصف لنا إملاء الطبري لتفسيره وقراءته على طلابه سنة ٢٧٠هـ، ثم قال: (واشتهر الكتاب، وارتفع ذكره . . .) وحمل هذا الكتاب مشرقًا ومغربًا، وقرأه كل من كان في وقته من العلماء، وكل فضله وقدمه) (٧).

مخطوطات تفسير الطبري وتقييمها: هذا التفسير النفيس لقي من العناية في حياة مصنفه وبعده ما لم يلقه كتاب آخر، وتنافس العلماء والأمراء في اقتنائه وشرائه، ولا زال إلى يوم الناس هذا في المقدمة بدون منازع، على كثرة المصنفات في التفسير، فإنها ولا أبالغ - قد زادت على الألف.

وفي العصور المتأخر فُقِد كتاب ابن جرير ولم يكد يوجد منه إلا نقول هنا وهناك حتى قال

(١) الإتقان (٢/ ١٩٠).

(٢) انظر: مقدمة الأستاذ محمود شاكر لتفسير الطبري (١/ ١٢) طبعة دار المعارف.

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٥٩).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٣٦١، ٣٨٥).

(٥) التفسير ورجاله (ص٣١).

(٦) التفسير والمفسرون (١/ ٢٠٦، ٢٠٧).

(٧) معجم الأدباء (١٨/ ٦٢) ولعل الطبري بدأ تفسير القرآن سنة (٢٧٠هـ) بينما نقل آخرون أنه أملاه سنة (٢٨٣هـ).

المستشرق الألماني (نولدكه) عام ١٨٦٠ بعد اطلاعه على بعض فقرات من هذا الكتاب (لو حصلنا على هذا الكتاب لاستطعنا أن نستغني عن كل كتب التفسير المتأخرة عليه، ولكنه يبدو -للأسف- مفقودًا بالكلية) [مذاهب التفسير الإسلامي لجولدزيهر ص ١٠٨] وقبل ذلك لم يذكره إسماعيل البغدادي في كتابه (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون).

وبفضل من الله سبحانه وتعالى تم العثور على نسخة كاملة مخطوطة من هذا التفسير العظيم عند أمير (حائل) الأمير حمود من آل رشيد من أمراء نجد، وقد طبع الكتاب على هذه المخطوطة قريبًا، مع المخطوطة التي وجدت في دار الكتب المصرية بالقاهرة وإن كانت ناقصة، والمخطوطة الناقصة كذلك التي وجدت في حلب في مكتبتها الأحمدية، وقد ابتهجت الأوساط العلمية بطباعته في ذلك الحين، واقرأ ذلك في كتاب (جولدزيهر) حيث صور الفرحة التي عمت أوساط المستشرقين بطباعته، وقد رصدت أكاديمية الفنون الجميلة بباريس عام ١٩٠٠ جائزة لمن يتصدي لدراسة التفسير وبيان منهج مؤلفه فيه.

قال الشيخ محمود شاكر في مقدمته للكتاب: وتوليت تصحيح نص الكتاب، وضبطه، ومقابلته علي ما بين أيدينا من مخطوطاته ومطبوعاته، ومراجعته على كتب التفسير التي نقلت عنه. اهـ. فلم يُشر الشيخ -رحمه الله تعالى- إلى أي نسخة كاملة للكتاب، بل أشار إشارات عامة.

وقد أشار الدكتور التركي في مقدمته على طبعته الجديدة إلى سبعة نسخ خطية إليك بيانها.

النسخة الأصل: تاريخ النسخ: بها جزآن مؤرخان بتاريخ سنة ٣٩١هـ.

نوع الخط وصفته: - أندلسي عدد الأوراق: ٢٠٠١ ماعدا جزئين لم يذكر عدد أوراقهما.

بداية المخطوط: يبدأ بتفسير الآية ١٩ من سورة البقرة.

نهاية المخطوط: تفسير طرف من أول سورة قريش.

حالة المخطوط: بها مقابلات في بعض أجزائها.

ملاحظات: تضم هذه النسخة أجزاء متفرقة من الكتاب ناقصة من أولها وأجزاء أخرى ليست بالقليلة على مدار النسخة.

مصدره: خزانة جامعة القرويين بفاس وعنها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بأرقام (٢٨٧ - ٢٧٩) رقمه (٧٩١/ ٤٠، ٤٩١/ ٤٠/ ٣٧/ ٨٠).

إضافة: هناك جزء مصور من المكتبة البريطانية ويمثل السفر الثالث من هذه المخطوطة كتب على ورق غزال، في أواخر القرن الهجري الرابع ويقع في ٧٧ ورقة من القطع المتوسطة ومسطرته ما بين (٢٢-٢٧) سطر يبدأ في أثناء الآية ٥٧ من سورة البقرة وينتهي بالآية ١٠٢ من السورة نفسها.

النسخة الثانية: نسخة الخزانة العامة بالرباط. تاريخ النسخ: بدون.

نوع الخط وصفته: معتاد عدد الأوراق: ٢٥٥ معدل عدد الأسطر في الصفحة: ١٨.

بداية المخطوط: من أول الكتاب.

نهاية المخطوط: بانتهاء الآية ٦١ من سورة البقرة.

حالة المخطوط: ناقص نقص كبير.

ملاحظات : هو جيد في أوله ثم مال إلى الاختصار في آخره .
مصدره : الخزانة العامة بالرباط وعن مصدره لدى معهد المخطوطات مخطوطة برقم (٧٦) رقمه : (٢٩٩ق) .

النسخة الثالثة: اسم الناسخ : عبد الحق بن عمر الشهير بالخطيب المصري .
تاريخ النسخ : ٥/ ١٢/ ١١٤٤ .
نوع الخط وصفته : نسخ معتاد . مقاس الورق : من القطع الكبير .
عدد الأوراق : ٢١٤١ معدل عدد الأسطر في الصفحة : ٤٧ .
ملاحظات : النسخة تضم الكتاب كاملاً مصدره : مكتبة أيا صوفيا رقمه (١٠١- ١٠٠) .

النسخة الرابعة: اسم الناسخ : لم يذكر .
تاريخ النسخ : ١١٤٠هـ/ ١/ ١٧
نوع الخط وصفته : نسخ معتاد . مقاس الورقة : من القطع الكبير
عدد الأوراق : ١٥٦٧ هذه عدد أوراق الكتاب ما عدا ربعه الأخير الذى يمثل الجزء الرابع لم تذكر عدد أوراقه .
معدل عدد الأسطر فى الصفحة : ٤٥ .
ملاحظات : تضم الكتاب كاملاً ، فى أربعة مجلدات .
مصدره : محفوظة بمكتبة أيا صوفيا رقمه ١٧٢ - ١٦٩ .

النسخة الخامسة: اسم الناسخ : راجع الملاحظات
تاريخ النسخ : راجع الملاحظات . نوع الخط وصفته : نسخ
ملاحظات :
(١) هذه النسخة تضم الكتاب كاملاً ، فى خمسة مجلدات مصدره : مكتبة أيا صوفيا .
مصدره : محفوظة بمكتبة أيا صوفيا رقمه ١٧٢ - ١٦٩ .
(٢) كتب الجزء الثالث من النسخة : عامر الشبابيبي المالكى الأزهرى . سنة ١١٤٠ .
(٣) كتب الجزء الخامس والأخير : عامر بن أحمد بن عامر الأشمونى الشافعى الأزهرى

النسخة السادسة: اسم الناسخ : سلامة بن الحاج سلامة بن الحاج حجازى
تاريخ النسخ : شوال/ ١١٤٧ هـ.
عدد الأوراق : ٨٨٧ معدل عدد الأسطر فى الصفحة : ٤٠- ٤٥ سطرًا .
بداية المخطوط : من أواخر الجزء السابع ، (٧٤) من سورة الأنعام .
نهاية المخطوط : إلى بداية الجزء العشرين (٩٣) من سورة النحل .
مصدره : مركز الملك فيصل رقمه : ١٠٠ - ١٠١ .

النسخة السابعة: عنوانها : (عنوان المخطوط) جامع البيان فى تأويل القرآن .
اسم الناسخ : كتب على الجزء التاسع عشر أن ناسخه هو : على بن محمد بن عباد عبدالصمد الديديلمي الشافعى ، وأنه كتبه بالقاهرة .

تاريخ النسخ : انظر الملاحظات (٣) .

عدد الأوراق : ٤٩٧٤ . عدد الأجزاء : ٢٥ مجلدة .

حالة المخطوط : تشمل فى الأصل التفسير كاملًا إلا أنه فقد المجلد الثالث منها ويشمل : من أثناء تفسير الآية (١٥٠) من سورة البقرة إلى أثناء الآية (٢٢٠) من السورة نفسها .

ملاحظات :

(١) هذه النسخة هى التى اعتمد عليها الشيخ / محمود شاكر - رحمه الله - فى تحقيقه للتفسير .

(٢) وقع فى بعض أجزاء النسخة أنها أوقفت من : المعز الأشرف العالى السيفى صرغتمش ، رأس نوبة الأمراء الجندارية المالكى الناصرى .

(٣) من الجزء الرابع إلى الجزء العشرين من هذه النسخة قد كتب ما بين شهر ذى الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة وشهر ربيع أول سنة ست عشرة وسبعمائة .

*** تقييم طبعات الكتاب وتحقيقاته:**

أهم طبعات الكتاب:

(١) طبعة المطبعة الميمنية ، سنة ١٣٢١ هـ الموافق ١٩٠١م فى ثلاثين جزءًا .

(٢) طبعة مصطفى البابى الحلبى فى عشرة أجزاء عام ١٣٢١هـ الموافق ١٩٠١م

(٣) طبعة بولاق عام ١٣٢٣هـ فى ثلاثين جزءًا وبهامشه تفسير غريب القرآن للنيسابوري وانتهت هذه الطبعة عام ١٣٣٠هـ .

(٤) طبعة المطبعة الأميرية عام ١٣٣٣ هـ فى ثلاثين جزءًا وبهامشه تفسير غريب القرآن للنيسابوري .

(٥) طبعه أخرى لمكتبة البابى الحلبى فى ثلاثين جزءًا عام ١٣٧٣هـ ، وهى من أفضل طبعات تفسير الطبرى ، ذلك أنها روجعت على عدة نسخ خطية .

(٦) وقد أصدرت مطبعة البابى الحلبى نشرة مصورة من هذه النشرة عام ١٣٨٨هـ .

(٧) طبعة لدار الفكر فى بيروت متوافقة تمامًا مع هذه الطبعة البابية السابقة ، ولكنها قامت بحذف المقدمة والخاتمة ولم تشر إلى أنها نشرة مطبعة البابى الحلبى .

(٨) الطبعة التى قام عليها العالم الجليل محمود محمد شاكر وأخوه العلامة المحدث أحمد محمد شاكر رحمهما الله ابتداء من عام ١٣٧٤ هـ ونشرته دار المعارف بالقاهرة ، وتوقف عملها عند الآية ٢٨ من سورة إبراهيم .

(٩) طبعة دار السلام بالقاهرة الطبعة الأولى التى تصدرها الدار من تفسير الإمام الطبرى المشهور بـ (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) بتحقيق مجموعة من الباحثين ، وكتب على غلاف هذه الطبعة (نسخة مقابلة على مخطوط كامل ، ومراجعة على نسخة الشيخين محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر ، ومتممة لها) . وتقع هذه الطبعة فى عشرة مجلدات كبار من القطع العادى ، وورقها أصفر خفيف ، ومجموع صفحات الكتاب كلها ٨٨٥٦ حيث تتالى ترقيم الصفحات من أول التفسير إلى آخره ، وقد قاموا بترقيم الأحاديث والآثار كما صنع محمود شاكر بطبعته فبلغت ٣٨٢٧٧ حديثًا وأثرًا وفى آخر كل مجلد فهرس للسور وبعض الآيات المفسرة ، وليس للكتاب فهارس شاملة للآثار والشعر .

وقد اعتمدوا فى تحقيقهم للكتاب على المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب والوثائق القومية للكتاب بالقاهرة، وهى النسخة التى اعتمد عليها الشيخ محمود محمدشاكر، وفيها نقص فى بعض المواضع وقد نبه على ذلك محمود شاكر فى تحقيقه لتفسير الطبرى ١٢/ ٥٧٧٠ فى هذه النسخة قد استدركوا هذا النقص من نسخة خطية أخرى دون ذكرها انظر: ٥/ ٣٥٨١-٣٥٨٢ فى حين اعتمد الدكتور عبد الله التركى ودار هجر فى تحقيقهم للتفسير على مخطوطات أخرى، وجعلوا الأصل الذى أخرجوا الكتاب عليه هى مخطوطة جامعة القرويين. واستدراك النقص الذى فى مخطوطة دار الكتب من هذه المخطوطة انظر تحقيق التركى ١٠/ ٣٣٢-٣٣٣.

(١٠) الطبعة التى قام بالإشراف عليها الدكتور التركى بالتعاون مع دار هجر، وسيأتى الكلام عليها.

* هذه هى طبعات الكتاب المشهورة التى عنيت بالكتاب عناية يطمئن إليها مع ما فيها من السقط وعدم وضوح المراد - أحيانًا - لطول الفصل وعدم وجود علامات ترقيم تهدي القارئ أثناء قراءته عدا الطبعتان الأخيرتان.

(١١) التحذير من طبعة لتفسير الطبرى زعم ناشرها أنه بتحقيق محمود شاكر.

- طبعة دار إحياء التراث العربى وكتب على غلافها: ضبط وتعليق محمود شاكر، وهى صف جديد للكتاب وليست هذه الطبعة مصورة من تحقيق محمود شاكر، وقد فعلوا ذلك فى المحلى لابن حزم فذكروا أنه بتحقيق أحمد شاكر صف جديد.

هذا وغيره لعلهم يقصدون به التدليس والإيهام، ولا أظن - والله تعالى أعلم - أنهم يقصدون إعادة طبعة محمود شاكر ونقل تعليقاته عليها، وهناك طبعة شبيهة بها، أشار ناشرها فى الداخل إلى أن محمود شاكر المذكور اسمه فى صفحة الكتاب الأولى هو باحث لديهم واسمه محمود بن فلان شاكر، فهذا نوع من تدليس التسوية فى الكتب.

ونجد فى هذه الطبعة فى الصفحة بعد الغلاف (ضبط وتعليق محمود شاكر الحرستانى تصحيح على عاشور، والحرستانى باحث ومؤرخ شهير مقيم فى الرياض ونحسب فيه الخير والله حسيبه، وطبعته تمتاز بتحقيق النص وخاصة الأبيات الشعرية وليست التعاليق فيها متوسعة كطبعة الشيخين آل شاكر رحمهما الله.

(١٢) طبعة دار الحديث بالقاهرة، وقد اعتمدت فيها على أفضل الطبعات الموجودة، والتى قد قوبلت على النسخ الخطية المشار إليها سابقًا، ثم خرجت فيها كل الآثار مع الحكم عليها وكذلك الأشعار، وسيأتى مزيد بيان عن عملى فى نهاية هذه المقدمة.

* **مختصرات تفسير الطبرى**: ومن صور إقبال الناس على تفسير الطبرى، واعتباره عمدة التفاسير، حرصهم على تقريبه للناس، وتسهيل الانتفاع به، وتلخيصه وترجمته، ولكن نظرًا لتنوع العلوم فيه، وسعة المعلومات التى يتناولها لم يكثر تلخيصه كما حصل لغيره من التفاسير، ومن هذه المختصرات:

(١) **مختصر ابن صمادح**: وهو أبو يحيى محمد بن صمادح التجيبى الأندلسي (٤٨٤هـ) وكان متداولاً بين طلبة العلم بالأندلس حتى القرن الثامن الهجرى، ويعرف بـ(تلخيص الطبرى).

وهو مجرد تفسير لغريب القرآن الكريم مأخوذ من تفسير الطبرى، ولم يتناول تفسير الآيات، ولم

يعرض لآراء المفسرين فى الآية، ويوجد منه نسخة بصنعاء برقم ١٠٧ تفسير، ويتكون من ٢٤٢ ورقة، وقام السيد محمد أبو العزم الزفيتى بتحقيقه وطبعه فى مجلدين، ثم طبعته دار الشروق على هامش المصحف، وأسمته (مصحف الشروق المفسر الميسر) عام ١٣٩٧ هـ، ويقع فى ٧٢٤ صفحة من الحجم الكبير[١].

(٢) **اختصار تفسير الطبرى:** لأبى بكر، أحمد بن على بن بيغجور، المعروف بابن الإخشيذ، من روساء المعتزلة وزهادهم، وكان فصيحًا وله معرفة بالعربية والفقه، ومن تصانيفه: (نقل القرآن) (والإجماع) و (اختصار تفسير الطبرى) وذكر هذا المختصر ابن النديم فى (الفهرست)، والزركلى فى (الأعلام).

(٣) **مختصر تفسير الطبرى:** للشيخ محمد على الصابونى والدكتور صالح أحمد رضا، وهو تلخيص موجز لا يبين رأي الطبرى من رأى غيره من المفسرين، ولا يتعرض للقراءات والأسانيد والشعر وأسباب النزول إلا ماندُر، ولا لاستنباط الأحكام، ويقع فى مجلدين، وطبعته دار القرآن الكريم ببيروت عام ١٤٠٣هـ، وبهامشه تحقيقات وتعليقات نافعة.

(٤) **المختصر الصحيح لتفسير الطبرى:** للعبد الفقير إلى رحمة ربه ومغفرته إسلام منصور عبد الحميد، وهو تحت الطبع بطريقة تسهل على كل أحد تناوله كما كان يتمنى الإمام السيوطى ويحلم بتلخيص تفسير الطبرى، فقال فى (طبقات المفسرين ص ٩٦): (قد منَّ الله على بإدامة مطالعته والاستفادة منه، وأرجو أن أصرف العناية إلى إختصاره وتهذيبه، ليسهل على كل أحد تناوله إن شاء الله تعالى).

* **التفسير عربى والطبرى فارسي:** ومما يستوقف الباحث والناظر والقارئ أن يرى تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) جاء بلغة عربية سليمة، وأسلوب عربى فصيح، ويتضمن البلاغة اللغوية، والإعجاز البيانى، ويحوى مئات الشواهد وأبيات الشعر، ويذخر بثروة لغوية يندر وجودها فى تفسير آخر، ويعتمد على أمهات كتب اللغة، فقد صاغه الطبرى رحمه الله تعالى بحسب معطيات اللغة العربية، دون أن يرتكب خطأ، أو يقع فى غلط، كما شهد بذلك العالم اللغوى غلام ثعلب، وأصبح تفسير الطبرى مرجعًا للمختصين بالأدب والشعر واللغة، كتبت البحوث والدراسات عن اللغة والشعر فى تفسير الطبرى.

وسبق البيان أن الطبرى من أهل فارس، وولد فى آمُل طبرستان، ونشأ بها وتعلم فيها، وانتقل إلى الرى - قرب طهران الآن - ثم رحل فى طلب العلم، فكيف تم الجمع بين هذا التفسير العربى المبين مع هذا المصنف الفارسى.

لاحاجة للتذكير بأن القرآن الكريم نزل بلسان عربى، ولا يمكن تفسيره وفهمه إلا حسب اللغة العربية، وبناء على أصولها وقواعدها واستعمالاتها ودلالاتها.

- والمهم هنا أن نشيد بعظمة الإسلام الحنيف، الذى لم يقتصر على إخراج الأمة العربية من الظلمات إلى النور، وتوحيد قبائلها، والقضاء على الأوثان والأصنام فيها، وتوجيه طاقاتها إلى خير

(١) ويقوم الآن أحد طلابنا المتخرجين من كلية الشريعة بطبع هذا المختصر فى بيروت سنة ١٩٨٩م.

الإنسانية، وحمل رسالة السماء، بل تجاوز ذلك فانتقل هذا الدين الرشيد من الجزيرة العربية إلى العالم أجمع، فحرر شعوبها من العبودية والاستكبار والذل، وفتح عيونها على الهدى والنور فدخلت فى دين الله أفواجًا طائعة مختارة، ثم انصهرت مع الأمة العربية عقيدة وفكرًا، وثقافة وعزًّا، مع الاحتفاظ بلغاتها وقومياتها، ونهضت هذه الشعوب مجتمعة لرفع راية التوحيد، ونشر نور العلم والحضارة على العالم أجمع، مع وحدة الهدف والغاية وصارت اللغة العربية - لغة القرآن والإسلام - لغة العلوم والثقافات، وأصبحت لغة عالمية لجميع شعوب الأرض، ومختلف صنوف المعارف، فنشر القرآن اللغة العربية، وجند لها جهابذة المسلمين من العرب وغيرهم لخدمتها وتدوينها والسهر عليها.

وشارك المسلمون غير العرب فى هذا العمل الجليل، وقدموا لدينهم وإسلامهم وأمتهم الأعمال الخالدة، والجهود المضنية، حتى جاءت بعض العصور التى انفردوا فيها فى خدمة الدين والإسلام، كما برز كثير منهم فى الدراسات العربية، والمعاجم اللغوية، وفاقوا أبناء العروبة، حبًّا للغة القرآن، واقتداء بنبي الإسلام، وطمعًا فى الثواب والأجر عند رب العالمين، وحققوا أروع الأمثلة فى التقاء الأمم والشعوب على الخير، والتعاون على البر، والتكاتف فى وجه الطغاة والبغاة والظلمة والمستعمرين، تحقيقًا لقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] وظهر التنافس بين هذه الأمم والشعوب إلى الأعمال الصالحة وخير البشرية، وليس إلى التدمير والاستعمار والحروب الباردة والساخنة، والعداوة والتقاتل والعنصرية وهذا هو الأمل الذى يحدونا اليوم للعودة إلى الإسلام، والتمسك بأحكام الدين والالتفاف حول مائدة القرآن لتذوب فوارق الجنس واللون والثروات، ويتم التعاون الدولي الحقيقي، ويتم السلام العالمى بين شعوب الأرض قاطبة، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ويحظون بمرضاته.

ومن هذا المنطلق، وبهذا التصور تنتفى الغرابة بين تفسير الطبرى العربى، وكون الطبري فارسيًا، بل نجد أن ذلك هو الأمر الطبيعى المنسجم مع رؤية الإسلام، ليرتقى كل مسلم - مهما كان لونه وجنسه ولغته إلى ذروة المجد والقيادة والريادة فى جميع المجالات بما يقدم من جهد وعمل، ويأتى الطبرى شيخًا لمفسرى كتاب الله تعالى، ويلمع اسمه بعمله، وينضم إلى العلماء المسلمين من غير العرب كأبى حنيفة والفيروزأبادى والبخارى ومسلم والجوينى والبيضاوى، ولعلنا نذكر أن الطبقة الثانية التى حملت دعوة الإسلام ومشعل العلوم الإسلامية كادت أن تكون من غير العرب وهم طبقة التابعين الذين جاءوا بعد الصحابة ثم أعقبهم عدد من العلماء فى مختلف العلوم، لا يعدون بالآلاف بل بالملايين، وكتب التراجم والتاريخ خير شاهد.

ويعبر الثعالبى النيسابوري (المسلم غير العربى) عن هذه المعانى بصدق وإخلاص وجلاء ووضوح فيقول: (فإن من أحب الله تعالى أحب رسوله المصطفى ﷺ، ومن أحب الرسول العربى أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التى بها نزل أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عُنِي بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها. . . .) ثم يقول (والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هى أداة العلم، ومفتاح التفقه فى الدين، وسبب إصلاح

المعاش والمعاد).

رحم الله أبا منصور الثعالبي النيسابوري الذي التزم ما قاله، وعبَّر به عن الحقيقة الإسلامية والعربية، وكان لسان صدق لهم، وكتب هذه الأحرف من نور في مقدمة كتابه (فقه اللغة)[١].

ثامنًا: منهج الطبري في التفسير:

* **أصول التفسير جملة في مقدمة الطبري:** عرض الإمام الطبري منهجه بإيجاز، بعد أن بيَّن فضل محمد ﷺ بالنبوة والمعجزات، وفضل الله تعالى على هذه الأمة بحفظ كتابها ومعجزة نبيها، ثم بيَّن فضل العناية بكتاب الله تعالى، ثم قال (ونحن في شرح تأويله) وبيان ما فيه من معان منشئون - إن شاء الله ذلك - كتابًا مستوعبًا لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه جامعًا، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيًا، ومخبرون في كل ذلك، بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة، فيما اتفقت عليه الأمة[٢] واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبينو علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه، والله نسأل عونه وتوفيقه، لما يقرب من محابه، ويبعد من مساخطه، وصلى الله على صفوته من خلقه، وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

ثم شرع الطبري بتفصيل منهجه في أصول التفسير مع ذكر الأدلة الشرعية واللغوية، وضرب الأمثلة العملية من القرآن الكريم والسنة وكلام العرب واللغة والشعر ونورد خلاصة عنه فيما يلي.

* **ملخص منهج الطبري في التفسير:** لخص لنا الأستاذ الفاضل محمد محمود الحلبي - في كلمة الناشر للطبعة الثالثة منهج الطبري باختصار فقال: (وهو تفسير ذو منهج خاص، يذكر الآية أو الآيات من القرآن، ثم يعقبها بذكر أشهر الأقوال التي أُثِرَت عن الصحابة والتابعين من سلف الأمة في تفسيرها ثم يورد بعد ذلك روايات أخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوة في الآية كلها أو في بعض أجزائها بناء على خلاف في القراءة، أو اختلاف في التأويل، ثم يُعقِّب على كل ذلك بالترجيح بين الروايات، واختيار أولاها بالتقدمة، وأحقها بالإيثار، ثم ينتقل إلى آية أخرى، منتهجًا نفس النهج عارضًا، ثم ناقدًا، ثم مرجحًا). وهو إذ ينقد، أو يرجح، يرد النقد أو الترجيح إلى مقاييس تاريخية من حال رجال السند في القوة والضعف أو إلى مقاييس علمية وفنية: من الاحتكام إلى اللغة التي نزل بها الكتاب، نصوصها وأقوال شعرائها، ومن نقد القراءة وتوثيقها أو تضعيفها، ومن رجوع إلى ما تقرر بين العلماء من أصول العقائد، أو أصول الأحكام أو غيرها من ضروب المعارف التي أحاط بها ابن جرير، وجمع فيها مادة لم يجتمع لكثير من غيره من كبار علماء عصره. . .) إلى آخر كلامه، ونكتفي بهذا القدر من الموجز لنذكر بعض الفقرات تفصيلاً.

* **مجال المفسرين في القرآن الكريم:** صنف الإمام الطبري رحمه الله تعالى آيات القرآن الكريم بالنسبة إلى فهم معناها، وإدراك حقيقتها، وتحديد المراد منها إلى ثلاثة أصناف، وحصر مجال العلماء والمفسرين في الصنف الثالث فقط، وأنه لا يحق لهم تخطي ذلك ولا تجاوزه، وسمى هذه الأصناف ثلاثة وجوه، وهي:

---

(١)، (٢) فقه اللغة ص ٢.

أحدها: الآيات الكريمة التى أنزلها الله تعالى على نبيه ﷺ، ولا يعلم تأويلها إلا الله، ولا سبيل إلى الوصول لمرادها وهى مما استأثر الله تعالى بعلمها، وحجب علمه عن جميع خلقه فيها، وتنحصر غالبًا فى الآجال التى ضربها الله تعالى للأمور الحادثة، وأخبر الله فى كتابه أنها كائنة، مثل وقت قيام الساعة، ووقت نزول عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، ونفخ الصور، وما أشبه ذلك مما لا يعلم أحد حدودها، ولا يعرف أحد تأويلها إلا الخبر بأشراطها، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه، وكان رسول الله ﷺ إذا سئل عن شيء منها أجاب: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ثم يبين الأشراط، كأشراط الساعة، وصفات الدجال.

ثانيها: الآيات الكريمة التى أنزلها الله تعالى على نبيه ﷺ، وأمره بتفسيرها، وكلّفه ببيانها فى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[النحل: ٦٤]، وخصَّ الله تعالى نبيه دون سائر أمته بعلم تأويلها؛ لأن الأمة بحاجة إلى ذلك، من آيات أمره ونهيه، وندبه وإرشاده، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، والمقادير والأنصبة التى تتعلق بها الأحكام، وهذه لا يجوز لأحد القول فيها، ولا تفسيرها أو تأويلها إلا ببيان رسول الله ﷺ أو تأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة قد تصبها دالة أمته على تأويلها.

ثالثها: الآيات الكريمة التى أنزل الله تعالى، ويعلم تفسيرها وتأويلها كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن، وعلم بدلالات ألفاظ هذا اللسان، وأسلوب التعبير فيه، وذلك بإقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة، وما ألفته العرب من وجوه استعمالات الألفاظ والتراكيب مما يتعلق بالحقيقة والمجاز، والمشترك والمجمل، وما يثبت عن نقل العدول الأثبات فيما لم يكن فيه نقل مستفيض، أو بالنقل المستفيض من جهة اللسان، وبالشواهد من أشعار العرب السائرة، ومن منطقهم ولغاتهم المعروفة، وهذا يدركه العالم، ويقوم به المفسِّر مستعينًا بما ورد فى السُّنة، وما نقل عن السلف من الصحابة والأئمة، والخلف من التابعين وعلماء الأمة، وهذا هى دائرة التفسير لكتاب الله تعالى.

* **إنكار الطبرى للتفسير بالرأى:** بعد أن بيَّن الطبرى رحمه الله تعالى الآيات الكريمة التى تقع فى مجال التفسير، ويمكن للعلماء والمفسرين أن يبينوا تفسيرها وتأويلها ومعناها، لم يترك الحبل على غاربه، وإنما وضع قواعد التفسير، وأصول التأويل، وحذَّر من التفسير بالرأى، والتلاعب فى كلام الله تعالى بحسب الأهواءالشخصية، والأغراض الخاصة التى وقعت، ولا تزال تدفع - بعض الناس من تأويل بعض الآيات بما يخدم مصالحها، وتُحرِّف معانى كتاب الله تعالى ليوافق آراءها المذهبية، وأفكارها الطائفية، ومزاعمها الباطلة، وأورد الأحاديث الكثيرة بأسانيدها إليه فى تحريم ذلك، فمن ذلك ما رواه عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبى ﷺ، قال: «**من قال فى القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فليتبوأ مقعده من النار**» وفى رواية أخرى: «**من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**» وذكر عدة آثار فى ذلك، منها ما رواه عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: (أىُّ أرض تقلُّنى، وأى سماء تُظلُّنى إذا قلت فى القرآن برأيي أو بما لا أعلم).

ولذلك تجنب الطبرى التفسير بالرأى المجرد فقط، أو الرأى الناشئ من بدعة مضلة، أو مذهب

خاص، أو طائفة منحرفة، أو يهدف إلى مطمع سياسى أو تعصب ممقوت، وحرم ذلك بقوله: (إن ما كان من تأويل آي القرآن الذى لا يدرك علمه بنص بيان رسول الله ﷺ، أو بنصبة الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه؛ لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق، وإنما هو إصابة خارص وظان، والقائل فى دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم، وقد حرَّم الله جل ثناؤه ذلك.

وروى الطبرى بإسناده عن جندب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال فى القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ**» ثم قال الطبرى: يعنى ﷺ أنه أخطأ فى فعله، بقيله فيه برأيه، وإن وافق قيله ذلك عين الصواب عند الله؛ لأن قيله فيه برأيه ليس بقيل عالم، إن الذى قال فيه من قول حق وصواب، فهو قائل على الله ما لا يعلم، آثم بفعله ما قد نهى عنه وحظر عليه.

* **التفسير بالمأثور**: يتسم تفسير الطبرى بالتفسير بالمأثور؛ لأنه يحوى جميع تراث السلف فى التفسير، ويلتزم الطبرى رحمه الله تعالى بما اتفق عليه المسلمون فى درجات التفسير، فيلجأ أولاً إلى تفسير القرآن بالقرآن نفسه، ثم إلى تفسير القرآن بالسنة البيانية وما ثبت عن رسول الله ﷺ، ثم يتبع ذلك بالآثار الواردة عن الصحابة رضوان الله عليهم، وعن التابعين الذين اتبعوهم بإحسان.

ويؤكد الطبرى التزامه بالتفسير بالمأثور من السنة خاصة فى الآيات التى لا يمكن تحقيق معناها، وإدراك مرادها، وتفصيل أحكامها إلا بالتوقيف والوحى بما اختص به الله تعالى رسوله بالبيان، كما يقدم الطبرى مجموعة كبيرة من أقوال الصحابة والتابعين فى تفسير الآيات؛ لأن الصحابة عاشوا عهد نزول القرآن، وعرفوا أسباب النزول، واختصوا بصحبة رسول الله ﷺ، ورشفوا من معينه، واستضاءوا بنور النبوة، وأخذوا عنه الكثير الكثير، فهم أولى من غيرهم بفهم كتاب الله تعالى، ولذلك يستشهد الطبرى بما رُوى عن الصحابة ثم عن التابعين، ويحشد تفسيره بالروايات الكثيرة والآراء العديدة، والأقوال المتباينة، ولكنه يرتبها ويصنفها، ويجمع الروايات والأقوال المتفقة على حكم أو تفسير معنى، ثم يعقبها بفصيلة أخرى فى معنى آخر، ثم يبدأ بالمناقشة والموازنة والمحاكمة بنقد الأسانيد وترجيح الراجح منها، وتأييد ما رجَّحه بالشواهد النحوية والأشعار العربية والقراءات - ويشدد الطبرى - رحمه الله تعالى - فى ضرورة الرجوع إلى آثار الصحابة والتابعين، وما نقل عنهم فى تفسير القرآن الكريم نقلاً صحيحًا مستفيضًا، وأن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح، ويردُّ على الأقوال المخالفة بقوله مثلاً: (لأنه خلاف المعروف من كلام العرب، وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس رضى الله عنهما).

ويحمل الطبرىُّ بقوة على أصحاب الرأى الذين يحاولون الاستقلال بالرأى، ويفسرون القرآن الكريم بمجرد الرأى.

ونتيجة لهذا المنهج الذى يرسمه الطبرى، ويطالب به، نشأت خصومة شديدة عند الخلف - وحتى يومنا هذا - فى الحكم على تفسير الطبرى: هل هو تفسير بالمأثور أم تفسير بالرأى والاستنباط والاجتهاد؟ وهو ما سنبينه فى الفقرة التالية.

* **الطبرى بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى**: إن التصور السريع السابق لتفسير الطبرى، والإطلاع الظاهر على صفحاته، وظاهرة كثرة الروايات والنقول والآثار فى تفسير الآيات حمل كثيرًا من

الناس على القول بأن تفسير الطبرى نوع من التفسير بالمأثور، وعد ابن خلدون الطبرى من مُدَونى التفسير بالمأثور، ويضرب كثير من المؤرخين والمفسرين المثل بتفسير الطبرى على التفسير بالمأثور، وقرر ذلك فريق من المحدثين وبعض المستشرقين (١)- ولكن المدقق فى تفسير الطبرى، والمحقق فى عباراته واختياراته، والمتأمل فى منهجه فى ذكر الروايات وما يعقبها من الموازنة بينها، والمحاكمة بنقد الأسانيد، معتمدًا على السياق، وإعادة الكلام إلى معاقده، والتمسك بدلالة المفردات اللغوية على المعانى التى تستعمل فيها، ومناسبة النقل مع بعضه، والاستشهاد بالشعر العربى، والرجوع إلى أقوال النحويين فى تخريج التراكيب، والوصول من وراء كل ذلك إلى ترجيح ما يراه راجحًا، وتأييده بمختلف الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف وموارد اللغة وغيرها، إن المدقق فى ذلك يتأكد له أن تفسير الطبرى ليس مجرد تفسير بالمأثور، بل يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى المعتمد على الحجة والأدلة والاستنباط والاستدلال، وإعمال الرأى بملكته الناصعة، وتفكيره السديد، واجتهاده المبنى على القواعد والأصول، وأنهُ صاحب منهج علمى، وبحث أصيل، وأنه يقصد من استقصاء الروايات والأخبار والآثار والآراء الواردة فى الآيات بيان مدلول اللفظ أو الجملة أو الآية، ثم يعقب عليها بالنقد والتمحيص والترجيح والرفض، مع إقامة الدليل لكل ما يرجحه أو يرفضه مع الجزم فى ذلك، والموضوعية ونقد ما يراه واهنًا مهما كان قائله، مهما كان مصدره، ولذلك عَنْوَنَ كتابه: (تأويل آي القرآن) ولم يسمه تفسيرًا (٢).

يقول الشيخ محمد الفاضل بن عاشور: (وبهذه الطريقه أصبح تفسير ابن جرير الطبرى تفسيرًا علميًا، يغلب فيه جانب الإنظار غلبة واضحة على جانب الآثار) (٣).

ويقول الشيخ الذهبي: (ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، كما نجده يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحال إلى ذلك، كما أنه يستنبط الأحكام التى يمكن أن تؤخذ من الآية، مع توجيه الأدلة، وترجيح ما يختار (٤).

* **الالتزام باللغة العربية:** اعتمد الطبرى فى منهجه فى التفسير على اللغة العربية بمختلف علومها وفنونها وهذا أمر طبيعي ومنطقي، وهو ما يجب الالتزام به؛ لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين، وأبان عن مراد الله تعالى بمقتضى دلالة اللغة العربية وأسلوبها واستعمالاتها ووجوه البيان فيها.

والإمام الطبري -رحمه الله تعالى- درس علوم العربية وأتقنها وأجاد استعمالها والتحدث بها والكتابة فيها والتفنن فى مجالاتها، وأكد فى مقدمة تفسيره على ذلك مطولاً بعنوان: (القول فى البيان عن اتفاق معانى آى القرآن ومعانى منطق من نزل بلسانه من وجه البيان، والدلالة على أن ذلك من الله جل وعز هو الحكمة البالغة، مع الإبانة عن فضل المعنى الذى به باين القرآن سائر الكلام) وهو أن فصاحة القرآن الكريم هى أحد وجوه معجزته، وأن الله تعالى لا يخاطبنا بما لا نفهمه وأن القرآن وقع

---

(١) انظر: التفسير بالمأثور ومناهج المفسرين فيه، للدكتور محمد أبو النور الحديدى صقر ص ٩١، دراسات وبحوث فى الفكر الإسلامى المعاصر ١/ ١٤٥ وما بعدها، التفسير والمفسرون ١/ ٢١٠/ ٢٢٤، التفسير ورجاله ص ٣٣.

(٢) انظر البحث المعمق فى هذا الخصوص للدكتور فتحى الدرينى فى دراسات وبحوث فى الفكر الإسلامى المعاصر ١/ ١٤٥-٣٤٠ بعنوان (الإمام الطبرى ومنهجه العلمى فى التفسير)

(٣) التفسير ورجاله ص ٣٦.

(٤) التفسير والمفسرين ١/ ٢١٠.

فيه ما يقع فى كلام العرب من الإيجاز والإطناب، والإطالة والإكثار، وأنه لغة العرب تتفق مع غيرها من بعض الكلمات، وأن اللغة التى نزل بها القرآن من لغات العرب، وأنه أنزل على سبعة أحرف منها، وأنه لا يوجد فى الطبري لفظ غير عربي. واعتمد الطبري على اللغة العربية فى تأويل آي القرآن الكريم، وذخر تفسيره بذلك حتى أصبح مرجعًا لعلماء اللغة، ويتجلى عمله فى ثلاث نقاط أساسية.

(١) **الالتزام بالدلالات اللغوية** فى تحديد معانى القرآن الكريم وأن فهم المراد من كلام الله يلزم أن يكون موافقًا لمعانى كلام العرب، واستعمالاتهم اللغوية والبيانية، بجانب النقول المأثورة، ولا يكتفى الطبرى بإيراد المعانى اللغوية، وتعدد الاستعمال والمعانى للألفاظ، بل يفاضل بينها ويختار أرجحها عنده، ولذلك تكرر قوله فى كل صفحة تقريبًا (وأولى القولين أو القول - فى ذلك عندي - بالصواب، كذا) ولكن إذا تعارض المدلول اللغوى، مع المنقول عن الصحابة والتابعين فالطبرى يرجح أقوال هؤلاء؛ لصلتها بالمعنى الشرعى، فيقدم المنقول على غيره.

(٢) **الاستشهاد بالشواهد الشعرية**: التى ذخر بها تفسير الطبرى، وزادت عن ألفى بيت من الشعر، وذكر فهرسها فى ثلاثين صفحة، وفى كل صفحة ثلاثة أعمدة، فى نهاية الجزء الثلاثين من طبعة الحلبى الثالثة.

ويستشهد الطبرى بالشواهد الشعرية على دلالة الألفاظ أو لاثبات قاعدة نحوية، أو لفهم المعنى المقصود من الآية، وهذا أمر مقرر من الشرع، ومأخوذ به عند جمهور المفسرين؛ لأن القرآن نزل بلسان عربى مبين، ويجرى استعمال ألفاظه مجرى استخدام العرب لها، وما تعارفت عليه من دلالة ألفاظها وتراكيبها، وقد سار على هذا النحو حَبْرُ الأمة، وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما، وثبت مثله عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الذى كان يوصى بحفظ أشعار الجاهلية، وأنها ديوان العرب، ويستعان بها على فهم كلام الله تعالى، كما سبق بيانه.

(٣) **الاهتمام بالنحو والإعراب**: فقد اهتم الطبرى رحمه الله تعالى بقواعد النحو ومواطن الإعراب فى الآيات التى يتوقف فهم المعنى عليها، وكان يتعرض كثيرًا لمذاهب النحويين من البصريين والكوفيين فى النحو والصرف، وكان يورد أقوالهم وآراءهم، ويسجلها فى تفسيره الذى أصبح مرجعًا لذلك، وكان يوجّه الأقوال، ويرجح بينها، وتاره ينتصر لمذهب الكوفيين، دون إسهاب فى الموضوع، أو استطراد فى البحث، ويقتصر على ما تمس الحاجة إليه؛ لأنه فى معرض تفسير، وليس فى مجال التصنيف فى النحو والصرف والإعراب.

* **الاستعانة بالروايات والأخبار التاريخية**: وذلك أن القرآن الكريم ذكر كثيرًا قصص الأمم السالفة من أجل الاعتبار والاتعاظ فى العقيدة والسلوك، والبداية والنهاية، فإذا وصل إليها الطبرى توقف عندها، واستعان بالأخبار التاريخية التى تتعلق بموضوع القصة وهنا تسربت الإسرائيليات [1] إلى التفاسير

(١) الإسرائيليات: هى المرويات عن أهل الكتاب، سواء منها ما تعلق بأديانهم أم لا - وإنما روى عن طريقهم، وأغلب الرواه لها كانوا من اليهود الذين أسلموا، ومن أشهرهم وهب بن منبه، وكعب الأحبار، كما دخل بعض هذه المرويات عن طريق القصاص والمتصوفة والباطنية وغيرهم. وعقب ابن كثير عن قصة إسرائيلية فى الآية (٤٤) من سورة النمل وذكرها بعض المفسرين قولاً، فقال: (هو منكر غريب جدًا، لعله من أوهام عطاء بن السائب، على ابن عباس، والأقرب فى مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما وجد فى صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله

عامة، ومنها تفسير الطبرى، فنقل تفاصيل أخبار الأمم، وتوسع بأخبار القصص، بما ورد فى ذلك عن اليهود وكتبهم وما تسرَّب منها عن طريق من أسلم منهم، مثل كعب الأحبار، وكذا وهب بن منبه، وابن جريج السدى وغيرهم كما ينقل الطبرى عن محمد بن إسحاق كثيرًا مما رواه عن مسلمة النصارى وكان الطبرى أبا للتاريخ، وصنف أعظم كتاب فيه وهو (تاريخ الملوك والأمم) فكان متأثرًا بنقل الروايات التاريخية فى كتابه، وانتقل ذلك إلى تفسيره، وهو في معظم الأحيان يذكر هذه الروايات بأسانيدها، ويتعقب كثيرًا من هذه الروايات بالنقد والتمحيص والرد، ولكنه لم يستوعب ذلك، ولم يستقص، وبقى تفسيره محتاجًا إلى الفحص الشامل والتنبيه على هذه الروايات الضعيفة والإسرائيليات المدسوسة، التى تسربت إلى معظم كتب التفسير، وشوهت صورتها، وأورثت البلبلة والاضطراب فى نفوس المسلمين مما يخدش العقيدة، ويوهن الأخلاق، ويناقض أحكام الشريعة الغرَّاء.

واعتذر الأستاذ محمود شاكر عما ذكره الطبرى من الإسرائيليات فقال: (ولما رأيت أن كثيرًا من العلماء كان يعيب على الطبرى أنه حشد فى كتابه كثيرًا من الرواية عن السالفين الذين قرأوا الكتب، وذكروا فى معانى القرآن ما ذكروا من الرواية عن أهل الكتابين السالفين: التوراة والإنجيل أحببت أن أكشف عن طريقه الطبرى فى الاستدلال بهذه الروايات رواية رواية، وأبين كيف أخطأ الناس فى فهم مقصده، وأنه لم يجعل هذه الروايات قط مهيمنة على كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأحببت أن أُبيِّن عند كل رواية مقالة الطبرى فى إسنادها، وأنه إسناد لا تقوم به حجة فى دين الله، ولا فى تفسير كتابه، وأن استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم).

وإنني أميل إلى تأييد الأستاذ محمود شاكر فى تبرئة الطبرى من وصمة الإسرائيليات فى كتابه وأنها سُبَّة فى التفسير، وذلك من ناحيتين:

الأولى: أنه ذكر لها الأسانيد، ومن المقرر فى أصول الحديث وعلومه أن من أسند لك فقد أحالك وحملك مسئولية البحث عن رجال السند، ومعرفة حرصهم وعدالتهم، وبذلك يخرج الطبرى من العهدة.

الثانية: أن تفسير الطبري لم يكتب لعامة الناس، ولا لطلاب العلم، وأنصاف العلماء، وإنما كتب للعلماء والأئمة والمختصين الذين يدركون هذه الأمور، ولا تلتبس عليهم، ويستطيعون تمييز الطيب من الخبيث، وأن ذكر هذه الروايات لمجرد العلم والاطلاع عليها لتجنبها، وهو ما يفعله علماء الحديث فى تدوين الأحاديث الضعيفة والموضوعة لتركها وعدم الاعتماد عليها، وكشف أمرها والتحذير منها.

وأن الإمام الطبرى لا يحمل وزر المفسرين الذين جاءوا بعده، ونقلوا الأخبار التاريخية والروايات

تعالى، فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بنى إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان ومما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ) (تفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٦).

وبين الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبى خطورة الإسرائيليات بأنها تفسد على المسلمين عقائدهم فى صفات الله، وتصوير الأنبياء بما لا يليق بإنسان عادى فضلاً عن أن يكون نبيًا، وإنها تصور الإسلام فى صورة دين خرافى يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها، وكلها نسيج عقول ضالة، وخيالات جماعات مضللة، وأنها كادت تذهب بالثقة فى بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين، وكادت تصرف الناس عن الفرض الذى أنزل القرآن من أجله إلى توافه وصغائر وعبث ومضيعة للوقت (الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٣٩ - ٤٤ طبعة ٢).

الإسرائيلية بعد أن حذفوا أسانيدها، وعَرَضوها فى كتبهم كأنها حقائق مُسَلَّمة، وأصبحت مَسبَّة ومَسْلَبة على كتب التفسير.

* **عناية الطبرى بالقراءات فى تفسيره:** القراءات جمع قراءة، وعرف ابن الجزرى القراءات فقال: (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة) أى: إن هذا العلم يتعلق بطريقة النطق لألفاظ القرآن الكريم، مع تعدد الطرق، واختلاف الوجوه فى الأداء المنقول حصرًا عن النبى ﷺ.

وكان الطبرى رحمه الله تعالى عالمًا بالقراءة، وصنف فيها كتابًا مشهورًا، وله قراءة خاصة به، وأشاد فى مقدمة تفسيره بقراءات القرآن، ثم اعتنى بذلك أثناء التفسير، ويجد القارئ أثر ذلك واضحًا فى كل آية لها وجهان أو أكثر فى القراءة، فإنه يذكرها، ثم يذكر الأدلة التى تقومها، كما يذكر القراءة الأخرى بأدلتها، ثم يرجح إحداهما، أو يساوى بينهما، أو يبرز ما تمتاز به إحداهما على الأخرى، مما أثار حفيظة بعض علماء القراءات على عبارات الطبرى التى تؤذِن بالرد والطعن فيها، وحمَّلوا الطبرى وزر من أتى بعده من القراء والمفسرين الذين اقتدوا به فى رد بعض القراءات والطعن فيها ولو كانت متواترة، وأخضعها لمقاييس أصحاب اللغة، وهو مما يجب أن تصان منه.

والحقيقة أن الطبرى لم يخضع القراءات لمقاييس اللغة، ولكنه رأى أن القراءة المنسوبة إلى النبى ﷺ ليست بمعزل على يقين عن مقاييس اللغة الفصحى التى هى وعاء القرآن الكريم، وأنه ذكر كل قراءة مع الدليل المقبول عقلاً ولغة وتؤيده الآثار، وأن منهجه فى عرض القراءات ينسجم مع منهجه فى التفسير بالاعتماد على الرواية التى يؤيدها النقل المستفيض وموافقة رسم المصحف، وإجماع الحجة من القراء وقوة الوجه فى العربية أو الأفصح فى اللغة، وأن ترجيحه لقراءة ما يعتمد على رأى الأكثرية، أو الاعتضاد برأى أهل التأويل، أو اتساق الأسلوب مع القراءة، وإذا تساوت الوجوه المختلفة عنده صوَّب الجميع، وكان الطبرى - رحمه الله تعالى - يتمسك برأى الحجة وإن خالف رأيه، مما يدل على موضوعيته واتزانه، وكان يتهم المخالف لقراءة العامة بالشذوذ، وينتقد الإسناد المضطرب، ويعتمد على السند للرواية والقراءة.

ومن هذه الصورة المختصرة، والمبادئ الموجزة لاهتمام الطبرى بالقراءات ندرك أن تفسيره محشو بالقراءات، ويعتبر مرجعًا فى ذلك، وخاصة أنه سبق غيره فى توجيه القراءات، وبين الآثار التى تترتب على الاختلاف فيها، والأحكام التى تستنبط من إحداها دون الأخرى، ووجود الاختلاف فى التفسير بسببها، وهو عمل لا يستطيعه إلا أمثال الطبرى.

* **الاجتهادات الفقهية فى تفسير الطبرى:** الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من الأدلة التفصيلية، أى هو معرفة وإدراك الأحكام التى تتوقف على مصدر شرعى بالنظر والاجتهاد والبحث، وهو الطريق لمعرفة الحلال والحرام عند الله تعالى للالتزام به، والتقيد به، بناء على قواعد الاستنباط والاستدلال التى عرفت باسم أصول الفقه.

والقرآن الكريم هو المصدر الأول والأساس لمعرفة الأحكام الشرعية، ويتضمن ما يزيد عن خمسمائة آية فى ذلك، تسمى آيات الأحكام التى تبّين حكم الله تعالى فى الحياة العملية للإنسان، والتى كانت مصدر الإشعاع الفقهى والاستنباط أمام الأئمة والعلماء المجتهدين، والتى أفردها بعض

المفسرين فيما بعد بكتب مستقلة كأحكام القرآن للجصاص ، وأحكام القرآن لابن العربى وأحكام القرآن للشافعي .

والطبرى رحمه الله تعالى درس الفقه ، وتعمق فيه ، وصار فقيهًا من الطراز الأول ، وبلغ رتبة الاجتهاد فى المذهب الشافعى ، ثم ترقى فى التفقه حتى صار مجتهدًا مطلقًا ، وصاحب مذهب مستقل ، فلا غرو أن يتناول آيات الأحكام بالتفسير المستفيض ، وأن يعرض عند كل آية منها أقوال الصحابة والتابعين ، وآراء الأئمة المجتهدين والفقهاء المتنوعين ، وأن يلتزم بمنهجه العام فى التفسير عند نقل الآراء الفقهية بالأسانيد ، والأمانة العلمية ، والتصنيف للآراء ، وبيان الأدلة ، ثم مناقشتها ثم الترجيح بينها ، وكان يدلي بدلوه في هذا الخصوص بكل صراحة ووضوح ، ويصرح باجتهاده ورأيه ، وبدعمه بالأدلة وقواعد الاستنباط وكيفية الاجتهاد ، حتى أصبح تفسير الطبرى أحد المصادر الأصيلة للفقهاء والأئمة والمجتهدين ، وخاصة لأقوال الصحابة والتابعين وآراء المذاهب المندثرة ، أو التى انقرض أتباعها ، وضاعت كتبها ، وفقدت مصنفاتها .

وأصبح تفسير الطبرى اليوم - وبعد أن ضاعت معظم كتبه الفقهية وفقدت مصنفاته فى الفقه وأصول الفقه - أصبح تفسيره الصورة الصادقة التى تؤخذ منها آراؤه ، وتجمع منها اجتهاداته ، وتكشف لنا عن ملكاته الفقهية والاجتهادية ، وعن طريقته فى الاستدلال والاستنباط ، مما يدعونا لجمع هذه الأقوال والآراء ، وإفرادها فى كتاب مستقل ، كما يدعونا لاستنساخ آيات الأحكام ، ونشرها فى طبعة خاصة ، ويوجب علينا استخراج أصوله الفقهية ، وقواعده الاجتهادية التي توضح أصول مذهبه ؛ كالاعتماد على النص العربي للقرآن الكريم ، وأخذ الأحكام منه بما يتفق مع أسلوب اللسان العربى ، مع مراعاة القراءات ، واعتماده على السنة الشريفة ، والتفسير المأثور عن الصحابة والتابعين وبقية السلف ، وتقديره لإجماع الأمة والوقوف عنده ، ثم أخذه بالقياس على الأصول الثلاثة الأولى ، بناء على ثبوت العلة ، وقبول النصوص للتعليل ، والمساواة بين الأشباه والنظائر ، والتفريق بين المختلفات ، والرجوع إلى المصالح التى تحقق مقاصد الشرع ، وبناء الأحكام على عرف الناس فى زمن نزول الوحى ، وما تعارفه أهل كل عصر بما لا يتعارض مع نص شرعى ، مع إظهار الترابط بين الآيات ذات الموضوع الواحد ، والإحالة فى تفسير المتأخر منها على المتقدم ، ليتجنب التكرار والإطالة ، والحرص على الجمع بين المأثور والرأى مما كان له أكبر الأثر على غيره[(١)] .

وتجدر الإشارة هنا إلى منهج الطبرى عامة فى التفسير ، ومنهجه فى الاجتهاد الفقهى خاصة ، وهو قياسه على طريقة المقارنة والموازنة ، وجمع الآراء ، وتصنيف الأقوال المتشابهة ، والاستدلال لها ، ومناقشتها ، والتصريح بالأقوى أو الأسد أو الأقرب أو الصواب ، مع التدليل للراجح ، وبيان أدلة الترجيح ، مع الثقة بالنفس ، وقوة الشخصية ، ووضوح الرؤية ، مما يؤكد أن كتب الطبرى عامة ، وتفسيره خاصة ، تمثل الأنموذج المبكر الذى سبق أوانه فى الفقه المقارن ، وهذا يتفق مع ثقافة الطبرى الواسعة ، وملكاته المتنوعة ، وجمعه للعلوم المختلفة ، ودراسته للمذاهب الفقهية المتعددة ، وتدوينه فيها ؛ لتصبح كتبه المصدر الأساسي لآراء العلماء والفقهاء والمجتهدين فى القرنين الأول والثانى

(١) انظر بحث (الجانب الفقهى فى تفسير الطبرى) للدكتور محمد الدسوقى ص ١٢ ، ٣٣ .

الهجريين، ولتكون كتب الطبري صورة صادقة على ثقافة القرن الثالث الهجري التى وصلت القمة، وأحاطت بمختلف العلوم والفنون .

* **عرض العقيدة الصحيحة:** القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لعقيدة المسلم، وجاءت فيه الآيات الكثيرة فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، وأسماء الله تعالى وصفاته.

وكانت آيات الصفات والقضاء والقدر وبعض أمور الآخرة منار بحث بين علماء الأمة، واستغلت ذلك بعض الفرق، وتسترت وراء هذه الآيات بحسن نية أوسوء طوية، وغالت فى تفسيرها، وتطرفت فى معانيها وخرجت عن عقيدة السلف، وشذَّت عن أهل السنة والجماعة، وأنشأت فرقًا متطرفة، وكانت فى صراع مع أئمة المسلمين وعلمائهم، ونشطت فى القرنين الثانى والثالث الهجريين، واستغلت الآيات المتشابهات وغيرها لإنحراف العقيدة كالباطنية والمعتزلة والقدرية .

ولما تناول الطبرى رحمه الله تعالى تفسير آيات التوحيد والعقيدة، والغيبيات والصفات والقضاء والقدر، عرض عقيدة أهل السنة والجماعة وشرح مذهب السلف فى الصفات وغيرها، ودخل فى مسائل علم الكلام، وناقش أصحاب الفرق والمذاهب الكلامية، ورد على أهل الزيغ والضلال، وأظهر أصول الإيمان والاعتقاد كما ثبت عن السلف، وردَّ مثلاً على القدرية فى مسألة الاختيار وناقش المعتزلة فى رؤية الله تعالى يوم القيامة، وعارض فكرة التجسيم والتشبيه، وتمسك بدلالات الألفاظ واللسان العربى على مراد الله تعالى، دون أن يفتح مجالاً للتخرصات والتأويلات التى قصدها أهل الباطن، وشدد النكير على من سب الصحابة من الخوارج وغيرهم وكان الطبرى رحمه الله تعالى يناقش علماء الكلام بالجدل الواضح والأدلة المنطقية والعقلية ويعتمد على النصوص الشرعية بما ثبت عن الصحابة والتابعين، مما يشهد له بأنه كان عالمًا بارعًا فى علم العقيدة والتوحيد والكلام، وكانت له معرفة بأهل الفرق والمذاهب الكلامية، وكان ملتزمًا بالقرآن ونصوصه، وعقيدة السلف وأهل السنة والجماعة، ومنافحًا عن دين الله، ومجاهدًا فى إثبات الحق، دون أن تأخذه فى الله لومة لائم[(١)] .

* **المآخذ التي وردت على تفسير الطبرى:** لم يسلم الطبرى من النقد، وكشف الأخطاء التى وقع بها، والغلط الذى جاء فى تفسيره، ويمكن إجمالها فما يلى :

(١) إن الطبرى لم يطبق منهجه النقدى الكامل للأسانيد على جميع ما جاء فى التفسير، وإنما فعل ذلك فى بعض الروايات النادرة، وترك غيرها، مع ما فيها من أسانيد ضعيفة كان جديرًا به أن ينبه عليها ويكشفها .

(٢) حشد الطبرى فى تفسيره كثيرًا من الروايات الإسرائيلية والنصرانية والأساطير والخرافات وقصص الوعظ الخيالية، وكان المفروض على الطبرى رحمه الله تعالى أن ينبه على حقيقتها، دون أن يكتفي بذكرها وإشاعتها والسكوت عنها .

(٣) ورد فى تفسير الطبرى بعض الروايات المتناقضة عن ابن عباس رضى الله عنهما، ولم يرجح رواية منها على أخرى، ولم يتعرض لبيان الصواب من ذلك .

---

(١) انظر : التفسير والمفسرون (١/ ٢٢٠). الإمام الطبرى للمصلح (ص ٧٥)، ظهر الإسلام (٢/ ٣٩).

كما اعترض بعض العلماء على الطبرى فى نقده لبعض القراءات وإبهامه لأسماء بعض علماء العربية الذين أخذ منهم، وأشار إلى أسمائهم إشارة، إلى غير ذلك.

والطبري رحمه الله تعالى ليس معصومًا، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويرد عليه، إلا صاحب النبوة، كما قال الإمام مالك، وكتاب الطبري الذي بلغ ستة آلاف صفحة ليس غريبًا أن ترد عليه المآخذ، وأن تصدر منه أخطاء، والرسول ﷺ يقول: «**كل ابن آدم خطاء**» ولكنها أخطاء محدودة، ومآخذ معدودة لا تتجاوز عدد الأصابع، وينطبق عليه المثل فى قول الشاعر: (كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه) ويكفيه شهادة إمام اللغة غلام ثعلب أنه قرأ جميع التفسير ولم يجد فيه خطأً فى اللغة والنحو.

وهذه الأخطاء - والحمد لله - ليست فى العقيدة ولا فى أصول الدين ولا فى أركان الإسلام، ولا فى قواعد الدين، ولا فى الأحكام القطعية، ولا فى النصوص الثابتة ولا فى مقاعد الإجماع، وممكن للطبرى رحمه الله، أو لغيره، أن يعتذر عن هذه المثالب البسيطة، أو يرد عليها، ويناقش فيها، وهى فى مجملها لا تظهر للعيان، ولا تقف أمام عمله الجبار، وجهده المبارك، وثوابه الكبير، ومكانته المرموقة. اهـ.

تاسعًا: خطة العمل التى سرت عليها لخدمة كتاب تفسير الطبرى: تقدم معنا فى هذه المقدمة أن تفسير الطبرى قد طبع طبعات عدة، إلا أنها على جودة بعضها - لم تهتم بجانب مهم وهو تخريج الآثار والحكم عليها، وتخريج الشواهد الشعرية تخريجًا مناسبًا إلا ما كان من عمل آل شاكر رحمهما الله تعالى فى أول اثنى عشر جزءًا من القرآن، ومع هذا فلم يتم تخريج كل الآثار فى الجزء الذى علقا عليه، ولم يحكما على كل الآثار التى خرجوها، وكذلك التخريج للشواهد الشعرية كان ناقصًا. وهذا النقص حاولت أن يكون هو ما تتميز به هذه الطبعة الجديدة لتفسير الطبرى، وقد سرت لتحقيقها على خطوات:

(١) اعتمدت على أفضل النسخ المطبوعة للكتاب، وكان أهمها تلك النسخة التى قوبلت على سبع نسخ خطية جمعت الكتاب كاملاً دون نقص؛ ولذلك فإنه يكون من العبث أن أقابل الكتاب على نسخ خطية قوبل المطبوع عليها من قبل.

(٢) تم ترقيم آثار الكتاب كاملة.

(٣) تم عمل فهرس شامل لأطراف الآثار وكذلك الشواهد الشعرية.

(٤) ضبط كثير من الكلمات المشكلة.

(٥) وضع علامات الترقيم بما يتناسب وقواعد الإملاء.

(٦) وضع فقرات مناسبة بما يتناسب مع المعنى وسياق الكلام.

(٧) وضع الآية المفسرة وسط السطر ببنط وحجم ولون مخالف بالرسم العثمانى.

(٨) عزو كل الآيات إلى أماكنها فى السورة سواء كانت مفسرة أو فى سياق كلام المصنف.

(٩) قمت بتخريج كل آثار الكتاب المرفوعة والموقوفة والمقطوعة حسب ما تقتضيه القواعد الحديثية.

(١٠) حكمت بالصحة أو الضعف على كل آثار الكتاب، ووضعت درجة الأثر قبل تخريجه تسهيلاً

وتيسيرًا على القارئ.

(١١) اختصرت فى التخريج اختصارًا لا يخل دون الإطالة، بما يتناسب مع حجم الكتاب.

(١٢) تكلمت فى كثير من الآثار على سند المصنف دون غيره؛ لأن الأسانيد الأخرى تعود إليه، أو لغرابة الإسناد أو لغير ذلك مما يعرفه طلبة علم الحديث.

(١٣) لم أدع راويًا إلا وتكلمت عليه جرحًا وتعديلاً والإشارة لاتصال السند بينه وبين من يروى عنه، وقد أذكر ذلك مجملاً، فأقول: (رجاله ثقات وسنده متصل)، وهذه العبارة تكررت كثيرًا مع الأسانيد المتكررة.

(١٤) لم أكرر الكلام على الراوى إن كنت قد تكلمت عليه من قبل إلا ما كان من أسانيد يدور عليها التفسير كإسناد عائلة العوفى، وأسباط، وغيرهما، فقد كررت العبارة حتى يحفظها القارئ فيسهل عليه معرفة حكم الإسناد بمجرد قراءته أو الاطلاع عليه.

(١٥) سلكت فى الحكم على الأسانيد منهج المتقدمين دون منهج المتأخرين أو المحدثين، دون إهمال فائدة وقعت عليها لأى عالم من علماء هذا الفن.

(١٦) استدركت على بعض الذين يتساهلون في الحكم على أسانيد التفسير فى مكانها.

(١٧) لم أنقل شيئًا من هوامش الطبعات السابقة إلا وعزوته لأصحابه، وكان هذا قليل جدًا.

(١٨) رفعت الشواهد الشعرية لأخوين كريمين من المتخصصين من أجل تخريجها تخريجًا علميًا مختصرًا بما يتناسب مع حجم الكتاب.

(١٩) وضعت بحر الشعر متصدرًا، ثم القائل، ثم معانى بعض المفردات، ثم المعنى الإجمالى للشاهد. وغير هذا مما تراه بين يديك في هذه الطبعة الجديدة لتفسير الطبري

ولا أنسى قبل أن أغادر أن أتقدم بالشكر الخالص لشريكة حياتى زوجتى التى ساعدتنى كثيرًا للتفرغ من أجل العمل فى هذا الكتاب أسئل الله سبحانه وتعالى لها الثبات فى الدنيا والآخرة.

وإنى أستقبل النصح والإرشاد من كل ناصح وجد خطأ أو زللاً أو نقصًا أراد أن ينبهنى عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه الظالم لنفسه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه.

إسلام منصور عبد الحميد

ima778@hotmail.com

٠١٦/٢٩٨٢٥٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قُرِئَ عَلى أَبي جَعْفرٍ محمدِ بنِ جريرِ الطَّبريِّ في سَنةِ سِتٍّ وثلاثِمائةٍ، قال:

الحمدُ للهِ الذي حَجَّتِ الألبابَ بدائعُ حِكَمِه، وخَصَمتِ العقولَ لطائفُ حُجَجِه، وقَطَعَتْ عُذرَ المُلحِدينَ عَجائبُ صُنْعِه، وهَتفتْ في أسْماعِ العالَمينَ ألسُنُ أدلَّتِه، شاهدةً أنَّه اللهُ الذي لا إلهَ إلا هو، الذي لا عِدْلَ له مُعادِلٌ، ولا مِثْلَ له مُماثِلٌ، ولا شَريكَ له مُظاهِرٌ، ولا وَلدَ له ولا والدَ، ولم يكنْ له صاحبةٌ، ولا كُفوًا أحدٌ، وأنه الجَبَّارُ الذي خَضَعتْ لجَبَروتِه الجَبابرةُ، والعزيزُ الذي ذَلَّتْ لعزَّتِه المُلوكُ الأعِزَّةُ، وخَشَعتْ لمَهابةِ سَطْوتِه ذَوُو المَهابةِ، وأذعَنَ له جميعُ الخَلْقِ بالطاعة طوْعًا وَكَرْهًا، كما قال اللهُ جلَّ ثناؤه، وتَقَدَّسَتْ أسماؤه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

فكلُّ موجودٍ إلى وَحدانيتِه داعٍ، وكلُّ محسوسٍ إلى رُبوبيتِه هادٍ، بما وسَمَهم به من آثارِ الصنعةِ؛ من نَقْصٍ وزيادةٍ، وعَجْزٍ وحاجةٍ، وتصرُّفٍ في عاهاتٍ عارضةٍ، ومقارنةِ أحداثٍ لازمةٍ؛ لتكونَ له الحُجةُ البالغةُ.

ثم أرْدفَ ما شَهِدتْ به من ذلك أدلَّتُه، وأكَّد ما استنارت في القُلوبِ منه بَهْجَتُه، برسُلٍ ابتعثَهم إلى عبادِه، دُعاةً إلى ما اتضحت لديهم صِحَّتُه، وثَبَتَتْ في العُقولِ حُجَّتُه؛ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]وليذَّكَّر أُولو النُّهى والحِلْم، فأمدَّهم بعَوْنِه، وأبانهم من سائرِ خَلْقِه، بما دلَّ به على صِدْقِهم من الأدلةِ، وأيَّدَهم به منَ الحُجَجِ البالغةِ والآيِ المُعجِزةِ؛ لئلا يقولَ القائلُ منهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝٣٣ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣-٣٤].

فجعلهم سُفراءَه بينه وبينَ خَلْقِه، وأُمناءَه على وَحْيِه، واختصَّهم بفضْلِه، واصطفاهم بِرسالتِه، ثم جَعَلَهم - فيما خَصَّهم به من مَواهِبِه، ومَنَّ به عليهم من كراماتِه - مَراتبَ مختلفةً، ومنازلَ مُفترقةً، ورفعَ بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ، متفاضلاتٍ متبايناتٍ. فكرَّمَ بعضَهم بالتكليمِ والنجوى، وأيَّد بعضَهم برُوح القدسِ، وخصَّه بإحياءِ الموتى، وإبراءِ أُولي العاهةِ والعَمَى.

وفضَّل نَبيَّنا محمدًا ﷺمن الدرجاتِ بالعُليا، ومنِ المراتبِ بالعُظمى. فحَباه من أقسامِ كرامتِه بالقسمِ الأفضلِ، وخصَّه من درجاتِ النُّبوَّةِ بالحظِّ الأجزَلِ، ومنَ الأتباعِ والأصحابِ بالنصيبِ الأوْفرِ. وابتعثه بالدعوةِ التامةِ، والرسالةِ العامةِ، وحَاطَه وحيدًا، وعَصَمَهُ فريدًا، مِن كلِّ جبارٍ عاندٍ، وكلِّ شيطانٍ ماردٍ حتى أظهرَ به الدِّينَ، وأوضحَ به السبيلَ، وأنهجَ به مَعالمَ الحقِّ، وَمَحقَ به مَنارَ الشِّركِ، وزَهَقَ به الباطلُ، واضمحلَّ به الضلالُ وخُدَعُ الشيطانِ وعِبادةُ

الأصنامِ والأَوثانِ، مُؤَيَّدًا بدلالةٍ على الأيام باقيةٍ، وعلى الدهورِ والأزمانِ ثابتةٍ، وعلى مَرِّ الشهور والسنين دائمة، يزدادُ ضياؤُها على كَرِّ الدهورِ إشراقًا، وعلى مَرِّ الليالي والأيام ائتلاقًا، خِصِّيصَى منَ اللهِ له بها دونَ سائرِ رُسُلِه - الذين قَهَرَتْهم الجَبابرةُ، واستذلَّتهمُ الأممُ الفاجرةُ، فتعفَّتْ بَعْدَهم منهم الآثارُ، وأخملَتْ ذكرَهم الليالي والأيامُ - ودونَ مَن كان منهم مُرْسَلاً إلى أمةٍ دون أمة، وخاصَّةٍ دونَ عامةٍ، وجماعةٍ دونَ كافَّةٍ.

فالحمدُ للهِ الذي كَرَّمَنا بتصديقِهِ، وشرَّفَنا باتِّباعِه، وجَعَلَنا مِن أهلِ الإقرارِ والإيمانِ به وبما دعا إليه وجاءَ به، صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، أزكى صلواتِه، وأفضلَ سلامِه، وأتمَّ تحياتِه.

ثُم أمَّا بعدُ، فإنَّ مِن جَسيم ما خصَّ اللهُ به أمةَ نبيِّنا محمد ﷺ مِن الفضيلةِ، وشرَّفَهم به على سائرِ الأممِ منَ المنازلِ الرفيعةِ، وحَبَاهم به مِن الكرامةِ السَّنِيّةِ، حِفْظَه ما حفظ عليهم - جلَّ ذكْرُه، وتقدَّست أسماؤه - مِن وَحْيِه وتنزيلِه، الذي جَعَله على حقيقةِ نُبوةِ نَبيِّهم ﷺ دَلالةً، وعلى ما خَصَّه به مِن الكرامةِ علامةً واضحةً، وحُجةً بالغةً، أبانه به مِن كلِّ كاذبٍ ومُفترٍ، وفصَل به بينهم وبينَ كلِّ جاحدٍ ومُلحِدٍ، وفرَق به بينهم وبينَ كلِّ كافرٍ ومُشركٍ؛ الذي لو اجتمعَ جميعُ مَنْ بينَ أقطارِها، من جِنِّها وإنسِها وصَغيرِها وكَبيرِها، على أنْ يأتوا بسورةٍ من مثلِه لم يأتوا بمثله ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيرًا، فَجَعَله لهم في دُجَى الظُّلَم نورًا ساطعًا، وفي سُدَفِ الشُّبَهِ شهابًا لامعًا، وفي مَضَلةِ المَسالكِ دليلاً هاديًا، وإلى سُبلِ النجاةِ والحقِّ حاديًا، ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]. حَرَسَه بعينٍ منه لاَ تنامُ، وحَاطَه برُكنٍ منه لاَ يُضَامُ، لا تَهِي على الأيامِ دعائمُه، ولا تَبيدُ على طولِ الأزمانِ مَعالمُه، ولا يجورُ عن قَصْدِ المَحجَّةِ تابعُه، ولا يَضلُّ عن سُبُلِ الهدى مُصَاحِبُه، مَن اتبعه فاز وهَدَى، ومن حاد عنه ضلَّ وغَوَى، فهو مَوْئِلُهم الذي إليه عند الاختلافِ يَئِلونَ، ومَعقِلُهم الذي إليه في النوازلِ يَعتقلون، وحِصْنُهم الذي به من وَساوسِ الشيطانِ يتحصنونَ، وحِكمةُ ربِّهم التي إليها يَحتكمونَ، وفَصْلُ قضائِه بينهم الذي إليه ينتهونَ، وعن الرضا به يَصدرونَ، وحَبلُه الذي بالتمسكِ به من الهلكةِ يعتصمونَ.

اللهمَّ فوفِّقْنا لإصابةِ صوابِ القولِ في مُحْكَمِه ومُتَشابِهِه، وحلالِه وحرامِه، وعامِّه وخاصِّه، ومُجمَلِه ومُفسَّرِه، وناسخِه ومَنسوخِه، وظاهرِه وباطنِه، وتأويلِ آيِهِ وتفسيرِ مُشْكِلِه، وألهِمْنا التمسكَ به والاعتصامَ بمُحْكَمِه، والثباتَ على التسليم لمتشابِهِه. وأَوزِعْنا الشُّكرَ على ما أنعمتَ به علينا مِن حِفْظِه والعلمِ بحُدودِه، إنك سميعُ الدعاءِ قريبُ الإجابةِ، وصلَّى اللهُ على محمدٍ النبيِّ وآله وسَلَّم تسليمًا.

اعلموا عبادَ اللهِ، رَحِمَكم اللهُ، أنَّ أحقَّ ما صُرِفت إلى علمِه العِنايةُ، وبُلِغت في مَعرفَتِه الغايةُ، ما كان للهِ في العلمِ به رضًا، وللعالمِ به إلى سبيل الرشادِ هُدًى، وأنَّ أجمعَ ذلك لباغيه

كتابُ اللهِ الذي لا رَيْبَ فيه، وتنزيلُه الذي لا مِرْيةَ فيه، الفائزُ بجزيلِ الذُّخرِ وسَنِيِّ الأجرِ تاليه، الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بينِ يَدَيْه ولا مِن خَلفِه، تنزيلٌ من حَكيمٍ حَميدٍ.

ونحنُ - في شرح تأويلِه، وبيانِ ما فيه مِن مَعانيه - مُنشئونَ إنْ شاء اللهُ ذلك، كِتابًا مُستوعِبًا لكلِّ ما بالناسِ إليه الحاجةُ من علمِه، جامعًا، ومِن سائرِ الكُتبِ غيرِه في ذلك كافيًا، ومُخبرون في كلِّ ذلك بما انتهى إلينا من اتفاقِ الحُجةِ فيما اتفقتْ عليه منه، واختلافِها فيما اختلفت فيه منهُ، ومُبيِّنو عِلَلَ كلِّ مذهبٍ من مذاهبِهم، ومُوَضِّحو الصحيحَ لدينا من ذلك، بأوجزِ ما أمكنَ من الإيجازِ في ذلك، وأخصرِ ما أمكنَ من الاختصار فيه.

واللهَ أسألُ عَوْنَه وتوفيقَه لِما يُقَرِّبُ من مَحَابِّهِ، ويُبْعِدُ من مَساخِطِه، وصلَّى اللهُ على صَفوتِه مِن خَلْقِه وعلى آلِهِ وسَلَّم تسليمًا كثيرًا.

وأولُ ما نبدأُ بهِ منَ القِيلِ في ذلك: الإبانةُ عن الأسبابِ التي البدايةُ بها أَوْلَى، وتقديمُها قبلَ ما عداها أَحْرى، وذلك: البيانُ عَمَّا في آيِ القرآنِ من المعاني التي من قِبَلِها يَدخلُ اللَّبْسُ على مَن لم يُعَانِ رياضةَ العلومِ العربيةِ، ولم تَستحكمْ معرفتُه بتصاريفِ وُجوهِ منطقِ الألسُنِ السَّلِيقيَّةِ الطبيعيةِ.

القولُ في البيانِ عن اتفاقِ معاني آيِ القرآن ومَعاني مَنطِق مَنْ نزل بلسانِه القرآنُ من وَجْه البيانِ والدِّلالةِ على أن ذلك منَ اللهِ جلَّ وعزَّ هو الحكمةُ البالغةُ مع الإبانةِ عن فضْلِ المعنى الذي به بَايَن القرآنُ سائرَ الكلام

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: إنَّ مِن عظيمِ نِعَمِ اللهِ تعالى ذِكْرُه على عِبادِه، وجَسيمِ مِنَّتِه على خَلْقِه؛ ما مَنَحَهم مِن فَضْلِ البيانِ الذي به عن ضمائرِ صُدورِهم يُبِينون، وبه على عزائمِ نُفوسِهم يَدُلُّونَ، فذَلَّلَ به منهم الألسُنَ، وسهَّلَ به عليهم المُستصعبَ، فبِهِ إياه يُوَحِّدونَ، وإيَّاه به يُسَبِّحونَ ويقدِّسونَ، وإلى حاجاتهم به يَتوصَّلونَ، وبه بينهم يتَحاوَرُونَ؛ فيتعارفون ويتعاملونَ.

ثم جَعَلهم جلّ ذِكْرُه - فيما منحهم من ذلك - طبقاتٍ، ورَفَعَ بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ؛ فبَيْنَ خَطيبٍ مُسْهِبٍ، وذَلِقِ اللسانِ مُهْذِبٍ، ومُفْحَمٍ عن نفسِه لا يُبِينُ، وَعَيِيٍّ عن ضميرِ قلبِه لا يُعَبِّرُ، وجعل أعلاهم فيه رُتبةً، وأرفعَهم فيه درجةً، أبلغَهم فيما أرادَ به بَلاغًا، وأبينَهم عن نفسِه به بيانًا، ثم عرَّفهم في تنزيلِه ومُحكَمِ آيِ كتابِه فضلَ ما حَبَاهم به مِن البيانِ، على مَن فضَّلهم به عليه من ذي البَكَمِ والمُستَعْجِمِ اللِّسانِ، فقال تعالى ذكرُه: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

فقد وَضَحَ إذَنْ لذوي الأفهام، وتبيَّنَ لأولي الألبابِ، أنَّ فضلَ أهلِ البيانِ على أهلِ البَكَمِ والمستعجمِ اللسانِ، بفضلِ اقتدارِ هذا من نفسِه على إبانةِ ما أراد إبانتَه عن نفسِه ببيانِه، واستعجامِ لسانِ هذا عَمَّا حاولَ إبانتَه بلسانِه.

فإن كانَ ذلك كذلك - وكان المعنى الذي به باينَ الفاضلُ المفضولَ في ذلك، فصارَ به فاضلاً والآخرُ مفضولاً، هو ما وصَفْنا من فضْلِ إبانةِ ذي البَيان، عما قصَّرَ عنه المستعجمُ اللسانِ، وكان ذلكَ مختلفَ الأقدارِ، متفاوتَ الغاياتِ والنهاياتِ- فلا شكَّ أنَّ أعلى مَنازلِ البيانِ درجةً، وأسنى مَراتبِه مرتبةً؛ أَبلغُه في حاجةِ المُبينِ عن نفسِه، وأبينُه عن مُرادِ قائلِه، وأقربُه مِن فَهْم سامِعِه، فإنْ تجاوزَ ذلك المِقدارَ، وارتفعَ عن وُسْعِ الأنامِ، وعَجَزَ عن أنْ يأتيَ بمثلِه جميعُ العبادِ؛ كان حُجةً وعَلَمًا لِرُسُلِ الواحدِ القهارِ - كما كانَ حُجةً وعَلَمًا لها إحياءُ الموتى وإبراءُ الأبرصِ وذَوي العَمى، بارتفاعِ ذلك عن مَقاديرِ أعلى منازلِ طبِّ المُتطبِّبينَ وأرفعِ مَراتبِ عِلاجِ المُعالِجينَ، إلى ما يَعْجِزُ عنه جميعُ العالِمِينَ. وكالذي كانَ لها حُجةً وعَلَمًا قطعُ مسافةِ شهرينِ في الليلةِ الواحدِة، بارتفاعِ ذلك عن وُسعِ الأنامِ، وتعذُّرِ مثلِه على جميعِ العبادِ، وإن كانوا على قَطْعِ القليلِ من المسافةِ قادرينَ، ولليسيرِ منه فاعلينَ.

فإن كان ما وصفْنا من ذلك كالذي وصفْنا، فبَيِّنٌ ألاَّ بَيانَ أبْيَنُ، ولا حِكمةَ أبْلغُ، ولا منطقَ أعلى، ولا كلامَ أشرفُ- من بيانٍ ومنطقٍ تَحدَّى به امرؤٌ قومًا في زمانٍ هم فيه رؤساءُ صِناعةِ الخُطَبِ والبلاغةِ، وقيلِ الشِّعرِ والفصَاحةِ، والسجعِ والكِهانةِ، على كلِّ خَطيبٍ منهم وبليغٍ وشاعرٍ منهم وفَصيحٍ، وكلِّ ذي سجعٍ وكهانةٍ - فَسفَّه أحلامَهم، وقصَّر بعقولِهم، وتبرأ من دينِهم، ودعا جميعَهم إلى اتباعِه والقَبولِ منه والتصديقِ به، والإقرارِ بأنه رسولٌ إليهم من ربِّهم. وأخبَرهم أنَّ دلالتَه على صدْقِ مقالَتِه، وحجَّتَه على حقيقةِ نبوّتِهِ - ما أتاهم به مِنَ البيانِ، والحكمةِ والفُرقانِ، بلسانٍ مثلِ ألسنتِهم، ومنطقٍ مُوافِقةٍ معانيه معانيَ منطِقهم. ثم أنبأَ جميعَهم أنهم عن أنْ يأتوا بمثلٍ بعضِه عَجَزَةٌ، ومن القُدرةِ عليه نقَصَةٌ. فأقرَّ جميعُهم بالعجزِ، وأذعنوا له بالتصديقِ، وشَهِدوا على أنفسِهم بالنقصِ. إلا مَن تجاهلَ منهم وتعامَى، واستكبر وتعاشَى، فحاولَ تكلُّفَ ما قد عَلِمَ أنه عنه عاجزٌ، ورامَ ما قد تيقن أنه عليه غيرُ قادرٍ. فأبدى مِن ضَعْفِ عقلِه ما كانَ مستترًا، ومن عِيِّ لسانِه ما كان مَصُونًا، فأتى بما لا يعجِزُ عنه الضعيفُ الأخرقُ، والجاهلُ الأحمقُ، فقال: (والطاحناتِ طحنًا، والعاجناتِ عجنًا، فالخابزاتِ خبزًا، والثارداتِ ثَرْدًا، واللاقماتِ لَقْمًا!) ونحوِ ذلك من الحماقاتِ المُشْبِهَةِ دعواه الكاذبةَ.

فإذْ كانَ تفاضُلُ مراتبِ البيانِ، وتبايُنُ منازلِ درجاتِ الكلامِ، بما وصَفْنا قبلُ - وكان اللهُ تعالى ذكرُه وتقدَّست أسماؤه، أحكمَ الحُكماءِ، وأحلمَ الحُلماءِ، - كان معلومًا أنَّ أبينَ البيانِ بيانُه، وأفضلَ الكلامِ كلامُه، وأنَّ قَدْرَ فضْلِ بيانِه، جلّ ذكره، على بيانِ جميعِ خلقِه، كفضلِه على جميعِ عبادِه. فإنْ كانَ كذلكَ - وكان غيرَ مُبينٍ منّا عن نفسِه مَنْ خاطبَ غَيْره بما لا يَفهمُه عنه المُخاطَبُ - كان معلومًا أنه غيرُ جائزٍ أن يُخاطبَ جل ذكره أحدًا من خلقِهِ إلا بما يفهمُه المُخاطَبُ، ولا يرسلَ إلى أحدٍ منهم رسولاً برسالةٍ إلا بلسانٍ وبيانٍ يفهمُه المرسَلُ إليه؛ لأنَّ المُخاطَبَ والمُرسَلَ إليه، إن لم يَفهَم ما خُوطِبَ به وأُرْسل به إليه، فحالهُ - قبلَ الخِطابِ وقبلَ

مجيءِ الرسالةِ إليه وبعدَه - سواءٌ، إذ لم يُفدْه الخطابُ والرسالةُ شيئًا كان به قبلَ ذلك جاهلاً. واللهُ جل ذكْره يتعالى عن أن يُخاطبَ خطابًا أو يُرسلَ رسالةً لا توجبُ فائدةً لمن خُوطب أو أُرسلتْ إليه؛ لأن ذلك فينا من فِعلِ أهلِ النقصِ والعَبَثِ، واللهُ تعالى عن ذلك مُتَعالٍ.

ولذلك قال جل ثناؤه في مُحكم تنزيلِه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤]. وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]. فغيرُ جائزٍ أن يكونَ به مهتديًا، مَنْ كانَ بما يُهْدَى إليه جاهلاً.

فقد تبيَّنَ إذن - بما عليه دَلَّلْنا من الدِّلالةِ - أنَّ كلَّ رسولٍ للهِ جل ثناؤه أرسلَه إلى قوم، فإنما أرسلَه بلسانِ مَن أرسلَه إليه، وكلَّ كتابٍ أنزلَه على نبيٍّ، ورسالةٍ أرسلَها إلى أمةٍ، فإنَّما أنزلَهُ بلسانِ مَن أنزلَه أو أرسلَه إليه. فاتضحَ بما قُلنا ووصَفْنا، أنَّ كتابَ اللهِ الذي أنزلَه إلى نبيِّنا محمدٍ ﷺ بلسانِ محمدٍ ﷺ.

وإذْ كان لسانُ محمد ﷺ عربيًا، فبيِّنٌ أنَّ القرآنَ عربيٌّ. وبذلك أيضًا نَطَقَ محكمُ تنزيلِ ربِّنا، فقال جلَّ ذكْره: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. وإذْ كانتْ واضحةً صِحةُ ما قُلنا - بما عليه استشْهَدنا مِن الشواهدِ، ودَلَّلْنا عليه مِن الدلائلِ - فالواجبُ أن تكونَ معاني كتابِ اللهِ المنزلِ على نبيِّنا محمدٍ ﷺ، لمعاني كلامِ العربِ مُوافقةً، وظاهرُه لظاهرِ كلامِها مُلائمًا، وإنْ باينه كتابُ اللهِ بالفضيلةِ التي فضَلَ بها سائرَ الكلامِ والبيانِ، بما قد تقدَّمَ وَصْفُناه.

فإذْ كانَ ذلكَ كذلكَ، فبيِّنٌ - إذْ كان موجودًا في كلامِ العربِ الإيجازُ والاختصارُ، والاجتزاءُ بالإخفاءِ من الإظهارِ، وبالقلةِ من الإكثارِ في بعضِ الأحوالِ، واستعمالُ الإطالةِ والإكثارِ، والتَّرْدادِ والتَّكْرارِ، وإظهارُ المعاني بالأسماءِ دون الكنايةِ عنها، والإسرارُ في بعض الأوقاتِ، والخبرُ عن الخاصّ في المراد بالعامّ الظاهرِ، وعن العامّ في المراد بالخاصّ الظاهرِ، وعن الكنايةِ والمرادُ منه المُصرَّحَ، وعن الصفةِ والمرادُ الموصوفُ، وعن الموصوف والمرادُ الصفةُ، وتقديمُ ما هو في المعنى مؤخرٌ، وتأخيرُ ما هو في المعنى مقدّمٌ، والاكتفاءُ ببعضٍ من بعضٍ، وبما يظهرُ عما يُحذفُ، وإظهارُ ما حظه الحذفُ - أن يكون ما في كتاب اللهِ المُنَزَّلِ على نبيِّه محمدٍ ﷺ من ذلك، في كلِّ ذلك له نظيرًا، وله مِثْلاً وشَبيهًا.

ونحنُ مُبَيِّنو جَميعِ ذلكَ في أماكنِه، إنْ شاءَ اللهُ ذلكَ وأيَّد منه بعونٍ وقوّةٍ.

القولُ في البَيَانِ عن الأحرفِ التي اتفقتْ فيها ألفاظُ العربِ وألفاظُ غيرِها من بعضِ أجناسِ الأممِ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: إنْ سَأَلَنا سائلٌ فقال: إنكَ ذكرتَ أنه غيرُ جائزٍ أن يُخاطِبَ اللهُ أحدًا من خلقِه إلا بما يَفهمُه، وأنْ يرسلَ إليه رسالةً إلا باللِّسانِ الذي يَفقهُه.

١- **فما أنت قائلٌ فيما حدّثكم به** محمدُ بن حُميدٍ الرازيُّ، قال: حَدَّثنا حَكَّامُ بن سَلْم، قال: حدثنا عَنْبسة، عن أبي إسحاقَ، عن أبي الأحوص، عن أبي مُوسى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، قال: الكفلانِ: ضِعْفانِ منَ الأجرِ، بلسانِ الحبشةِ (١).

٢- **وفيما حدّثكم به** ابنُ حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثنا حكامٌ، قال: حدَّثنا عَنْبسةُ، عن أبي إسحاقَ، عن سعيدِ بن جبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: ٦] قال: بلسانِ الحبشة إذا قامَ الرجلُ مِن الليلِ، قالوا: نَشأ (٢).

٣- **وفيما حدّثكم به** ابنُ حُميدٍ، قالَ: حَدّثنا حَكَّامٌ، قال: حَدَّثنا عَنْبسةُ، عن أبي إسحاقَ، عن أبي مَيْسرةَ: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠] قال: سبِّحي، بلسانِ الحبشةِ (٣).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وكلُّ ما قلنا في هذا الكتابِ: (حدَّثكم) فقد حدثونا به.

٤- **وفيما حدّثكم** به محمدُ بنُ خالدِ بنِ خِداشٍ الأزديُّ، قال: حَدَّثنا سَلْمُ بنُ قتيبةَ، قال: حَدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمَةَ، عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن يوسفَ بنِ مهرانَ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنه سُئل عن قوله: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ [المدثر: ٥١] قال: هُو بالعربيةِ الأسدُ، وبالفارسيةِ شار، وبالنبطيةِ أريا، وبالحبشيةِ قَسْورة (٤).

٥- **وفيما حدثكم به ابنُ حميدٍ قال**: حدّثنا يعقوبُ القُمِّيُّ، عن جعفرِ بنِ أبي المغيرةِ، عن

---

(١) [**ضعيف**] مداره على أبي إسحاق السبيعي مدلس ولم يصرح، ولا يُقال: إنَّ حديثه عن أبي الأحوص لا يحتاج أن يُدلسَه؛ لأن هذا خاص بما يرويه عن أبي الأحوص عن ابن مسعود. يرويه عن السبيعي عنبسةُ: وهو ابن سعيد الأسدي ثقة، يرويه عنه حكّام بن سليم ثقة، ولكن قال فيه الإمام أحمد: كان يحدِّث عن عنبسة أحاديث غرائب، يرويها عنه محمد بن حميد الرازي شيخ المصنف، وشيخ كثير من المصنفين أصحاب السنن، ضعفه أكثر الحفاظ، وكان سبب تضعيفهم له كما قال ابن العجمي في الكشف الحثيث [٦٥٣]: عن يعقوب القمي قال صالح جزرة: كنا نتهم ابن حميد في كل شيء، ما رأيت أجرأ على الله منه، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض. وقال أبو أحمد العسال: سمعت فضلك الرازي يقول: دخلت على محمد بن حميد وهو يركب الأسانيد على المتون. اهـ، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك انظرها في الجرح والتعديل [١٢٧٥]، وهذا الضعف لا يُقبل ولا يُحتمل في أسانيد التفسير ولا في أسانيد غيره. والعلم عند الله.

(٢) [**صحيح**] مداره على أبي إسحاق، وعنبسة، وحكام، وابن حميد الرازي، تقدم الحديث عنهم قبله. وعزاه السيوطي في الدر [٨/ ٣١٦] لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن نصر، وابن المنذر، والبيهقي، وقد علقه البخاري بصيغة الجزم في كتاب الجمعة من الصحيح، باب: قيام النبي ﷺ بالليل...، وعلّق عليه ابن حجر فقال: وهذا التعليق وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير عنه. اهـ، وقد صححته اعتمادًا على جزم البخاري وقول ابن حجر، ولم أقف على سند عبد بن حميد، وقد أخرجه ابن أبي شيبة [٢٩٩٧٠]، والحاكم [٣٨٦٦] بإسناد صحيح، ولكن عن ابن مسعود، وفيه عنعنة أبي إسحاق، وله - أي: أثر ابن مسعود - إسناد آخر عند ابن أبي حاتم في التفسير [١٩٠٢٠] بسند صحيح ليس فيه السبيعي. والعلم عند الله. وانظر تخريج البيهقي [٤٧٥٧].

(٣) [**ضعيف**] أبو إسحاق السبيعي مدلس ولم يصرح.

(٤) [**ضعيف**] فيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف لا يُحتمل، والبعض خصَّ ضعفه بأنه يرفع الموقوف، والصحيح ما ذهب إليه الأكثرون من تضعيفه في كل شيء كما قال أحمد، ويوسف بن مهران روى عنه علي وجعفر بن إياس، ووثقه أبو زرعة وابن سعد، فهو صدوق.

سعيدِ بن جُبَيرٍ قال: قالت قريشٌ: لولا أُنزلَ هذا القرآنُ أعجميًا وعربيًا؟ فأنزلَ اللهُ تعالى ذكْره: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] فأنزلَ اللهُ بعدَ هذه الآيةِ في القرآنِ بكلِّ لسانٍ، فمنه ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢، والحجر: ٧٤] قال: فارسية أُعْرِبَتْ (سنگ وگِلْ)(١).

٦- وفيما حدثكم به محمدُ بنُ بشَّارٍ، قال: حَدَّثنا عبدُ الرحمنِ بن مهديٍّ، قال: حَدَّثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاقَ، عن أبي مَيْسرةَ، قالَ: في القرآنِ مِن كلِّ لسانٍ(٢).

وفيما أشبهَ ذلك من الأخبارِ التي يطولُ بذكْرِها الكتابُ، مما يدلُّ على أنَّ فيه من غيرِ لسانِ العربِ.

قيل له: إنَّ الذي قالوه من ذلك غيرُ خارجٍ من معنى ما قُلنا - من أجلِ أنهم لم يقولوا: هذه الأحرفُ وما أشبَهها لم تكنْ للعربِ كلامًا، ولا كانَ ذاك لها مَنطقًا قبل نزولِ القرآنِ، ولا كانتْ بها العربُ عارفةً قبلَ مجيءِ الفُرقانِ - فيكونُ ذلك قولاً لقولِنا خِلافًا. وإنما قال بعضُهم: حرفُ كذا بلسانِ الحبشةِ معناهُ كذا، وحرفُ كذا بلسانِ العجم معناه كذا. ولم نستنكرْ أنْ يكونَ منَ الكلام ما يتفقُ فيه ألفاظُ جميعِ أجناسِ الأمم المختلفةِ الألسنِ بمعنًى واحدٍ، فكيفَ بجنسينِ منها؟ كما وجَدْنا اتفاقَ كثيرٍ منه فيما قد عَلِمناه من الألسنِ المختلفةِ، وذلكَ كالدرهم والدينارِ والدواةِ والقلمِ والقِرْطاسِ، وغيرِ ذلكَ - مما يُتْعِبُ إحصاؤه ويُمِلُّ تعدادُه، كَرِهْنا إطالَةَ الكتابِ بذكْره - مما اتفقت فيه الفارسيةُ والعربيةُ باللفظِ والمعنى. ولعلّ ذلك كذلك في سائرِ الألسنِ التي يُجهل منطقُها ولا يُعرَف كلامُها.

فلو أنَّ قائلاً قالَ فيما ذكْرنا من الأشياءِ التي عَددْنا وأخْبَرْنا اتفاقَه في اللفظِ والمعنى بالفارسيةِ والعربيةِ، وما أشبهَ ذلك مما سَكتنا عن ذكْره: ذلك كلُّه فارسيٌّ لا عربيٌّ، أو ذلكَ كلُّه عربيٌّ لا فارسيٌّ، أو قالَ: بعضُه عربيٌّ وبعضُه فارسيٌّ، أو قالَ: كانَ مَخرجُ أصلِه من عندِ العربِ فوقعَ إلى العجمِ فنطقوا به، أو قالَ: كانَ مخرجُ أصلِه من عندِ الفرسِ فوقعَ إلى العربِ فأعربَته. كان مُستجهَلاً؛ لأن العربَ ليستْ بأوْلى أن تكونَ كان مخرجُ أصلِ ذلك منها إلى العجمِ، ولا العجم بأحقَّ أن تكون كان مخرجُ أصلِ ذلك منها إلى العربِ، إذ كان استعمالُ ذلك بلفظٍ واحدٍ ومعنًى واحدٍ موجودًا في الجنسينِ.

وإذْ كانَ ذلك موجودًا على ما وصَفْنا في الجنسَينِ، فليسَ أحدُ الجنسين بأَوْلى بأن يكونَ أصلُ

---

(١) [ضعيف] جعفر بن أبي المغيرة وثقه أحمد وغيره، ولم يجرحه أحد إلا ابن منده بقوله: (ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير)!! وقد كان جعفر من أخص أصحاب سعيد ودخل معه مكة أيام خامس الخلفاء عبد الله بن الزبير، وسبب قول ابن منده هو أنه روى عن ابن جبير عن ابن عباس في تفسير الكرسي بما لا يُتابع عليه، وانظر الميزان [١٥٣٨]، وهذا بمفرده لا يقدح في روايته كلها عن سعيد، ويعقوب صدوق حسن الحديث، وابن حميد هو شيخ المصنف وقد تقدم الحديث في تضعيفه، ولولاه لكان الأثر حسنًا.

(٢) [ضعيف] رجاله كلهم ثقات ولكنَّ أبا إسحاق مدلس ولم يصرح.

ذلك كان مِنْ عندهِ من الجنسِ الآخَرِ. والمُدَّعِي أن مخرجَ أصلِ ذلك إنما كان مِن أحدِ الجنسينِ إلى الآخَرِ - مُدَّعٍ أمرًا لا يوصَلُ إلى حقيقةِ صحّتِه إلا بخبرٍ يُوجِبُ العلمَ، ويُزِيلُ الشكَّ، ويَقْطعُ العُذرَ مَجِيئُه.

بل الصواب في ذلك عندنا: أن يُسَمَّى: عربيًا أعجميًا، أو حبشيًا عربيًا؛ إذْ كانت الأُمَّتانِ له مُستعملتَيْنِ - في بيانِها ومنطقِها - استعمالَ سائرِ منطقِها وبيانِها. فليسَ غيرُ ذلكَ من كلامِ كلِّ أمةٍ منهما، بأَوْلَى أنْ يكونَ إليها منسوبًا منه.

فكذلكَ سبيلُ كلِّ كلمةٍ واسم اتَّفَقتْ ألفاظُ أجناسِ أمم فيها وفي معناها، ووُجدَ ذلك مُستعملاً في كلِّ جنسٍ منها استعمالَ سائرِ مَنطقِهم، فَسبيلُ إضافتِه إلى كلِّ جنسٍ منها، سبيلُ ما وصَفْنا - من الدرهم والدينارِ والدواةِ والقلم، التي اتفقت ألسنُ الفرسِ والعربِ فيها بالألفاظِ الواحدةِ، والمعنى الواحدِ، في أنه مُستَحقٌّ إضافتَه إلى كلِّ جنسٍ من تلك الأجناسِ- باجتماع وافتراق.

وذلك هُو معنى قولِ مَن روينا عنه القولَ في الأحرفِ التي مَضَت في صدرِ هذا البابِ، من نسبةِ بعضِهم بعضَ ذلك إلى لسانِ الحبشةِ، ونسبةِ بعضِهم بعضَ ذلك إلى لسانِ الفرسِ، ونسبةِ بعضِهم بعضَ ذلك إلى لسانِ الروم؛ لأنَّ مَن نَسَب شيئًا من ذلك إلى ما نسَبه إليه، لم ينفِ - بنسبته إياه إلىَ ما نسبه إليه - أن يكونَ عربيًا، ولا مَن قالَ منهم: هو عربيٌّ. نفى ذلك أنْ يكونَ مُستَحِقًّا النسبةَ إلى مَن هو من كلامِه مِن سائرِ أجناسِ الأمم غيرِها. وإنما يكونُ الإثباتُ دليلاً على النفي، فيما لا يجوزُ اجتماعُه من المعاني، كقولِ القائِل: فلانٌ قائمٌ. فيكونُ بذلكَ من قولِه دالاً على أنه غيرُ قاعدٍ، ونحوِ ذلك مما يَمتنعُ اجتماعُه لِتنافيهما. فأمَّا ما جازَ اجتماعُه فهو خارجٌ من هذا المعنى. وذلك كقولِ القائل: فلانٌ قائمٌ مكلِّمٌ فلانًا، فليس في تثبيتِ القيامِ له ما دلَّ على نفي كلامٍ آخَرَ، لجوازِ اجتماعِ ذلك في حالٍ واحدٍ من شخصٍ واحدٍ. فقائلُ ذلك صادقٌ إذا كان صاحبُه على ما وَصَفه به.

فكذلكَ ما قُلنا - في الأحرفِ التي ذكرنا وما أشبهَها - غيرُ مستحيلٍ أنْ يكونَ عربيًا بعضُها أعجميًا، وحبشيًا بعضُها عربيًا، إذ كانَ موجودًا استعمالُ ذلك في كلتا الأمتينِ. فناسِبُ ما نَسبَ من ذلك إلى إحدى الأمتينِ أو كلتيهما مُحِقٌّ غيرُ مُبطلٍ.

فإنْ ظنَّ ذو غباءٍ أنَّ اجتماعَ ذلك في الكلام مستحيلٌ - كما هُو مستحيلٌ في أنساب بني آدمَ - فقد ظنَّ جهلاً، وذلك أنَّ أنسابَ بني آدمَ محصورةٌ على أحدِ الطرفينِ دونَ الآخرِ؛ لقولِ اللهِ تعالى ذكْره: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]. وليسَ ذلكَ كذلكَ في المنطقِ والبيانِ؛ لأنَّ المنطقَ إنما هُو منسوبٌ إلى مَن كانَ به معروفًا استعمالُه.

فلو عُرِفَ استعمالُ بعضِ الكلامِ في أجناسٍ مِنَ الأممِ - جنسينِ أو أكثَر - بلفظٍ واحدٍ ومعنًى واحدٍ، كان ذلك منسوبًا إلى كلِّ جنسٍ من تلكَ الأجناسِ، لا يستحقُّ جنسٌ منها أنْ يكونَ به

أَوْلى من سائرِ الأجناسِ غيرِه. كما لو أنَّ أرضًا بيَن سَهلٍ وجبلٍ، لها هواءُ السهلِ وهواءُ الجبلِ، أو بينَ برٍّ وبحرٍ، لها هواءُ البَّر وهواءُ البحرِ، لم يمتنعْ ذو عقلٍ صحيحٍ أن يصفَها بأنها سُهْليةٌ جبليةٌ، أو بأنها بَرِّية بَحْرية؛ إذ لم تكنْ نسبتُها إلى إحدى صِفتَيها نافيةً حقَّها من النسبة إلى الأخرى. ولو أفردَ لها مُفرِدٌ إحدى صِفتَيها ولم يسلبْها صفتَها الأُخْرى، كان صادقًا مُحقًّا.

وكذلكَ القولُ في الأحرفِ التي تقدمَ ذِكْرُناهَا في أولِ هذا البابِ.

وهذا المعنى الذي قلناه في ذلكَ، هو معنى قولِ مَن قالَ: في القرآنِ مِن كلِّ لسانٍ. عندنا بمعنًى، واللهُ أعلمُ: أنَّ فيه مِن كلِّ لسانٍ اتفقَ فيه لفظُ العربِ ولفظُ غيرِها من الأممِ التي تنطقُ به، نظيرَ ما وصَفْنا مِن القولِ فيما مضى.

وذلكَ أنه غيرُ جائزٍ أن يُتوهَّمَ على ذي فطرةٍ صحيحةٍ، مُقرٍّ بكتابَ اللهِ، مِمَّن قد قرأَ القرآنَ وعرفَ حدودَ اللهِ، أنْ يعتقدَ أنَّ بعضَ القرآنِ فارسيٌّ لا عربيٌّ، وبعضَه نَبَطيٌّ لا عربيٌّ، وبعضه روميٌّ لا عربيٌّ، وبعضَه حبشيٌّ لا عربيٌّ، بعدَ ما أخبرَ اللهُ تعالى ذكرُه عنه أنه جعله قرآنًا عربيًّا؛ لأن ذلك إنْ كانَ كذلك، فليسَ قولُ القائلِ: القرآنُ حبشيٌّ أو فارسيٌّ، ولا نسبةَ مَن نَسَبه إلى بعضِ ألسنِ الأممِ التي بعضُه بلسانه دونَ العربِ، بأَوْلى بالتطويلِ مِن قولِ القائلِ: هُو عربيٌّ. ولا قولَ القائلِ: هُو عربيٌّ بأَوْلى بالصّحةِ والصوابِ من قولِ ناسِبِه إلى بعضِ الأجناسِ التي ذكْرنا. إذ كانَ الذي بلسانِ غيرِ العربِ من سائرِ ألسنِ أجناسِ الأممِ فيه، نظيرَ الذي فيه مِن لسانِ العربِ.

وإذ كانَ ذلكَ كذلكَ، فبيِّنٌ إذن خطأُ من زعمَ أنَّ القائلَ مِن السلفِ: في القرآنِ من كلِّ لسانٍ، إنما عنى بِقيلِه ذلكَ، أنَّ فيه مِن البيانِ ما ليسَ بعربيٍّ، ولا جائزةٌ نسبتُه إلى لسانِ العربِ.

ويقالُ لمنَ أبَى ما قُلنا - مِمَّن زعمَ أنَّ الأحرفَ التي قَدَّمْنا ذكرَها في أولِ البابِ وما أشبهَها، إنما هِي كلامُ أجناسٍ منَ الأممِ سوى العربِ، وقعتْ إلى العربِ فعرَّبْته -: ما برهانُك على صحةِ ما قلتَ في ذلكَ، مِن الوجهِ الذي يجبُ التسليمُ له، فقد علمتَ مَن خالفك في ذلك، فقال فيه خلافَ قولِك؟ وما الفرقُ بينَك وبينَ مَن عارضَك في ذلك فقال: هذه الأحرفُ، وما أشبهَها مَن الأحرفِ غيرِها، أصلُها عربي، غيرَ أنها وقعتْ إلى سائرِ أجناسِ الأممِ غيرِها فنطَقَتْ كلُّ أمةٍ منها ببعضِ ذلك بألسنتِها، من الوجهِ الذي يجبُ التسليمُ له؟

فلن يقولَ في شيءٍ من ذلكَ قولاً إلا أُلزِمَ في الآخَرِ مِثلَه.

فإن اعتلَّ في ذلك بأقوال السلفِ التي قد ذكرنا بعضَها وما أشبهَها، طُولبَ مُطالبَتَنا مَنْ تأوَّلَ عليهم في ذلك تأويلَه، بالذي قد تقدمَ بيانُنا. وقيلَ له: ما أنكرتَ أن يكون مَن نَسَبَ شيئًا من ذلك منهم إلى من نسبه مَن أجناس الأمم سوى العرب، إنما نسبُه إلى إحدى نسبَتَيه التي هُو لها مُستحقٌّ، مِن غيرِ نَفيٍ منه عنه النسبة الأخرى. ثم يقالُ له: أرأيتَ مَن قالَ لأرضٍ سُهْليةٍ جبليةٍ: هي سُهليةٌ، ولم ينكر أن تكونَ جبليةً، أو قالَ: هي جبليةٌ، ولم يدفعْ أن تكونَ سُهْليةً، أنافٍ

عنها أن تكونَ لها الصفةُ الأخرى بقيلِه ذلك؟

فإن قال: نعم. كابَرَ عَقْلَه. وإن قال: لا. قيلُ له: فما أنكرتَ أن يكونَ قولُ مَن قالَ في سِجّيلٍ: هي فارسيةٌ، وفي القِسطاسِ: هي روميةٌ. نظيرَ ذلك. وسُئل الفرقَ بينَ ذلك، فلن يقولَ في أحدهما قولاً إلا أُلزِم في الآخَرِ مثلَه.

القولُ في اللغةِ التي نزلَ بها القرآنُ مِن لغاتِ العربِ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قد دَلَّلنا، على صِحةِ القولِ بما فيه الكفايةُ لمَن وُفِّق لِفَهمِه، على أنَّ اللهَ جل ثناؤه أنزل جميعَ القرآنِ بلسانِ العربِ دونَ غيرِها مِن ألسنِ سائرِ أجناسِ الأممِ، وعلى فسادِ قولِ مَن زعَمَ أنَّ منه ما ليسَ بلسانِ العربِ ولغتِها.

فنقولُ الآن - إذ كانَ ذلكَ صحيحًا - في الدَّلالةِ عليه بأيِّ ألسُنِ العربِ أُنْزِل: أبِأَلْسُنِ جميعِها أم بألسُنِ بعضِها؟ إذ كانت العربُ، وإن جمَعَ جميعَها اسمُ أنهم عربٌ، فهم مُختلفو الألسُنِ بالبيانِ، مُتباينو المنطقِ والكلامِ. وإذْ كانَ ذلكَ كذلكَ، وكانَ اللهُ جل ذكرُه قد أخبَر عبادَه أنه قد جعلَ القرآنَ عربيًّا وأنه أُنزلَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، ثم كان ظاهرُه مُحتملاً خصوصًا وعُمومًا، لم يكنْ لنا السبيلُ إلى العلمِ بما عنى اللهُ تعالى ذكْره من خصوصِه وعمومِه، إلا ببيانِ مَنْ جُعلَ إليه بيانَ القرآنِ، وهو رسولُ اللهِ ﷺ فإذ كانَ ذلكَ كذلكَ، وكانت الأخبارُ قد تظاهرت عنه ﷺ:

٧- **بما حدثنا به** خَلَّادُ بنُ أسلمَ، قالَ: حَدَّثنا أنسُ بنُ عياضٍ، عن أبي حازمٍ، عن أبي سَلَمةَ، قال-: لا أعلمُه إلا عن أبي هريرةَ-: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أُنزلَ القرآنُ على سَبْعةِ أحرفٍ، فالمِراءُ في القرآنِ كُفرٌ - ثلاثَ مراتٍ - فما عرَفْتم منه فاعملوا به، وما جَهِلتم منه فردُّوه إلى عالِمِه**»[(١)].

٨- **وحدثني** عُبَيْدُ بن أسباطَ بن محمدٍ، قال: حَدَّثنا أبي، عن محمدِ بن عمرٍو، عن أبي سلمةَ، عن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أُنزلَ القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ، عليمٌ حكيمٌ، غفورٌ رحيمٌ**»[(٢)].

---

(١) [صحيح] أخرجه أحمد [٢/ ٢٨٦/ ٧٨٣٥]، وفي [٢/ ٤٢٤/ ٩٤٧٤]، وفي [٢/ ٤٧٥/ ١٠١٤٨]، وفي [٢/ ٤٩٤/ ١٠٤١٩]، وفي [٢/ ٥٠٣/ ١٠٥٤٦]، وفي [٢/ ٥٢٨/ ١٠٨٤٦]، وأبو داود [٤٦٠٣]، وابن حِبّان [١٤٦٤] من طرق عن (محمد بن عَمرو، وعُمر بن أبي سلمة) كلاهما عن أبي سَلَمة... فذكره. وأخرجه ابن أبي شَيْبَة [١٠/ ٥٢٩/ ٣٠١٦٠] قال: حدَّثنا يحيى بن يعلى التيمي، عن منصور. وأحمد [٢/ ٢٥٨/ ٧٤٩٩] قال: حدَّثنا يزيد، أخبرنا زكريا. وأبو يَعْلَى [٥٨٩٧] قال: حدَّثنا عُثمان بن أبي شَيْبة، حدَّثنا يَحْيَى بن يَعْلَى التَّيْمِي، حدَّثنا مَنْصُور. كلاهما (منصور بن المعتمر، وزكريا) عن سَعْد بن إبراهيم، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جِدَالٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ». ليس فيه: عمر بن أبي سلمة. وهذا خلاف لا يضر في صحة السند، وسند المصنف كذلك لا غبار عليه، وقال الشوكاني في فتح القدير: إسناده صحيح. اهـ، وله أسانيد أخرى مضطربة ومختلفة كما في العلل لابن أبي حاتم [١٧١٢-١٧١٤]، والعلل للدارقطني [١٣٥١-١٧٩٠].

(٢) [**صحيح إلى قوله: أحرف**] قال أبو حاتم: ابن حبان (٧٤٣): قول محمد بن عمرو أدرجه في الخبر، والخبر إلى سبعة أحرف فقط. اهـ.

٩- **حدثنا** أبو كُريبٍ، قال: حدثني عَبْدةُ بنُ سليمانَ، عن محمدِ بنِ عمرٍو، عن أبي سلمةَ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ مثلَه(١).

١٠- **وحدثنا** محمدُ بنُ حُميدٍ الرازيُّ، قالَ: حَدَّثنا جريرُ بنُ عبدِ الحميد، عن مغيرةَ، عن واصلِ بنِ حيَّانَ، عمَّن ذكَره، عن أبي الأحوصِ، عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«أُنزلَ القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ، لكلِّ حرفٍ منها ظهرٌ وبطنٌ، ولكلِّ حرفٍ حَدٌّ، ولكلِّ حدٍّ مُطَّلَعٌ»**(٢).

١١- **حدثنا** ابنُ حميدٍ، قالَ: حَدَّثنا مهرانُ، قال: حَدَّثنا سفيانُ، عن إبراهيمَ الهَجَريِّ، عن أبي الأحوصِ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ مثله(٣).

١٢- **حدثنا** أبو كُريبٍ محمدُ بنُ العلاءِ، قال: حَدَّثنا أبو بكرِ بنِ عياشٍ، قالَ: حَدَّثنا عاصمٌ، عن زِرٍّ، عن عبد اللهِ، قالَ: اختلفَ رجُلان في سورةٍ، فقال هذا: أقرَأني النبيُّ ﷺ. وقال هذا: أقرأني النبيُّ ﷺ. فأتى النبيَّ ﷺ فأُخبِر بذلك، قال: فتغير وجهُهُ، وعنده رجلٌ فقال: **«اقرءوا كما عُلِّمتم - فلا أدري أبشيءٍ أُمِرَ أم بشيءٍ ابتدعه من قِبَلِ نفسِه - فإنما أهلكَ مَن كان قبلَكم اختلافُهم على أنبيائهم»**. قال: فقام كلُّ رجلٍ منا وهو لا يقرأُ على قراءةِ صاحبِهِ(٤). نحو هذا ومعناه.

١٣- **حدثنا** سعيدُ بنُ يحيى بنِ سعيدِ الأمويُّ، قالَ: حَدَّثنا أبي، قالَ: حَدَّثنا الأعمشُ - وحَدَّثني أحمدُ بنُ منيعٍ، قالَ: حَدَّثنا يحيى بنُ سعيدِ الأمويُّ، عن الأعمشِ- عن عاصمٍ، عن

---

(١) [صحيح] وانظر التخريج قبله.

(٢) [ضعيف] فيه المغيرة بن مقسم الضبي ثقة من رجال الصحيحين إلا أنه مدلس، ولكنَّ تدليسه خاص بما يرويه عن إبراهيم النخعي، وجرير ثقة حافظ من رجال الصحيحين اختلط بآخره حديث أشعث بحديث عاصم الأحول ثم جاء بهز فميزهما له، والرازي شيخ المصنف تقدم الحديث على ضعفه، وهو علة الأثر، هو والمبهم الذي يروي عنه واصل بن حيان، وله طرق أخرى لا تقوى لتصحيحه، وراجع تعليق الشيخ شاكر، وكذا الضعيفة [٢٩٨٩]. أما متنه الأول فثابت من حديث أبي هريرة كما تقدم.

(٣) [ضعيف] فيه إبراهيم الهجري ضعيف الحديث، ومهران كذلك وإن كان أقوى من الهجري، وعنده غلط كثير في حديث سفيان، وهو الثوري، وابن حميد شيخ المصنف تقدم الكلام على ضعفه، وله إسناد آخر عند البزار في مسنده [٢٠٨١] إلى قوله: (وبطن) وإسناده حسن لو لا عنعنة السبيعي، وكذلك أخرجه أبو يعلى في مسنده [٥٤٠٣] ولكن فيه ابن أبي أويس، وهو وإن كان من رجال الصحيحين إلا أنه ضعيف فيما ليس فيهما. ولكنَّ قوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» صحيح، وسيأتي لها شواهد كثيرة بأسانيد صحيحة.

(٤) [حسن] فيه عاصم بن بهدلة صدوق، وأبو بكر بن عياش كذلك إلا أنَّه يخطئ، وقد تابعه إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق كما عند ابن أبي شيبة [٣١٨]، وكذلك تابعه وهيب بن خالد كما عند أحمد بسند كالذهب [٣٩٧١]، وحماد بن سلمة كما عند أحمد أيضًا [٤٣١٠]، وشيبان بن عبد الرحمن التميمي كما في مسند الشاشي [٦٢٧]، وتابعه الأعمش كما سيأتي بعده، وتابعه غيرهم، فمداره على عاصم، ورواه عنه غير واحد وأسانيدهم إليه صحيحة أو حسنة، ومنها الضعيف كما عند ابن حبان [٧٤٧]. وهو عند البخاري أيضًا بنحوه، وفيه أنَّ أحد الرجلين اللذين اختلفا كان ابن مسعود نفسه، وفي الذي بعده فيه أنَّ الرجل الذي كان عند النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

زرُّ بنِ حُبيشٍ، قالَ: قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: تَمارَيْنا في سورةٍ منَ القرآنِ، فقلنا: خمسٌ وثلاثونَ أو ستٌّ وثلاثونَ آيةً. قالَ: فانطَلَقنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فوجَدْنا عليًّا يُناجيه، قالَ: فقُلْنا: إنا اختلفنا في القراءةِ. قالَ: فاحمرَّ وجهُ رسولِ اللهِ ﷺ وقالَ: «**إنما هَلكَ مَن كانَ قبلَكم باختلافِهم بينَهم**». قال: ثم أَسرَّ إلى عليٍّ شيئًا، فقال لنا عليٌّ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمرُكم أن تقرءوا كما عُلِّمتم(١).

١٤- **حدثنا** أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا عُبيدُ اللهِ بنُ مُوسى، عن عيسى بنِ قرطاسٍ، عن زيدٍ القصارِ، عن زيدِ بنِ أرقمَ، قالَ: كنا معَهُ في المسجدِ فَحَدَّثنا ساعةً ثم قالَ: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: أقرأني عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ سُورةً، أقرأنيها زيدٌ وأقرأنيها أُبيُّ بنُ كعبٍ، فاختلفتْ قراءتُهم، فقراءةُ أيِّهم آخُذُ؟ قال: فسكتَ رسولُ اللهِ ﷺ، قال: وعليٌّ إلى جَنْبِهِ، فقالَ عليٌّ: لِيقرأ كلُّ إنسانٍ كما عُلِّم، كلٌّ حسنٌ جميلٌ(٢).

١٥- **حدثني** يونسُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: أخبرنا ابنُ وهبٍ، قال: أخبرني يونسُ، عن ابنِ شهابٍ، قال: أخبرني عروةُ بنُ الزبيرِ: أنَّ المِسْوَرَ بنَ مَخرمةَ وعبدَ الرحمنِ بنَ عبدٍ القاريَّ أخبراه: أنهما سَمِعا عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه يقولُ: سمعتُ هشامَ بنَ حكيمٍ يقرأُ سورةَ الفُرقانِ في حياةِ رسولِ اللهِ ﷺ، فاستمعتُ لقراءتِه، فإذا هُو يقرؤُها على حروفٍ كثيرةٍ لم يُقرِئْنيها رسولُ اللهِ ﷺ كذلك، فكِدْتُ أُساوِرُه في الصلاةِ، فتصبَّرتُ حتى سلَّم، فلما سلَّم لبَّبْتُه بردائه فقلت: مَنْ أقرأكَ هذه السورةَ التي سمعتُك تقرَؤُها؟ قال: أقرأنيها رسولُ اللهِ ﷺ! فقلتُ: كذبتَ، فواللهِ إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ هُو أقرأني هذه السورةَ التي سمعتُك تقرؤُها! فانطلقتُ به أقودُه إلى رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إني سمعتُ هذا يقرأُ سورةَ الفُرقانِ على حروفٍ لم تُقرِئْنيها، وأنت أقرأْتَني سورةَ الفرقانِ! قالَ: فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أرْسِلْه يا عمر، اقرأ يا هشامُ**». فقرأ عليه القراءةَ التي سمعتُه يقرؤُها، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**هَكَذا أُنزلتْ**». ثُم قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**اقرأْ يا عمر**». فقرأتُ القراءةَ التي أقرأني رسولُ اللهِ ﷺ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**هَكَذا أنزلتْ**». ثُم قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّ هذا القرآنَ أُنزِلَ على سبعةِ أحرفٍ، فاقرءُوا ما تَيَسَّرَ منها**»(٣).

---

(١) [حسن] رجاله كلهم ثقات، إلا أنَّ الأعمش مدلس، ولم يصرح، ومع هذا فلا أعلم أحدًا أنكره عليه، وعاصم من أقرانه، والأولى أن يسقطه إن أراد أن يدلسه، ومع هذا فقد تابعه غير واحد كما في الذي قبله. والعلم عند الله.

(٢) [موضوع] عيسى بن قرطاس كذاب، وشيخه مجهول العين والحال، وقد أخرجه الطبراني في الكبير [٥٠٧٨] عن محمد الحضرمي عن أبي كريب... فذكره.

(٣) [صحيح] متفق عليه، وهذا سند رجاله كلهم ثقات، وقد تابع يونسَ معمرٌ كما في جامعه [٢٠٣٦٩]، ومالك في الموطأ [٢٤٢- ٤٧٢]، وعن مالك الشافعي كما في السنن المأثورة [١٠٢]، والمسند [١١٦٨] وكذلك عبد الرحمن بن مهدي كما في فضائل القرآن للقاسم بن سلام، ويحيى بن يحيى كما عند مسلم [٨١٨]، وتابع يونسَ أيضًا فليحُ بن سليمان كما عند الطيالسي [٣٩]، وعقيل بن خالد كما عند البخاري [٤٩٩٢]، وشعيب بن دينار، عنده أيضًا [٥٠٤١] وغيرهم.

١٦- **حدثني** أحمدُ بنُ منصورٍ، قالَ: حَدَّثنا عبدُ الصمدِ بنُ عبدِ الوارثِ، قالَ: حَدَّثنا حربُ بنُ أبي ثابتٍ مِن بَني سُلَيم، قالَ: حَدَّثنا إسحاقُ بنُ عبدِ اللهِ بنُ أَبي طلحةَ، عَن أبيهِ، عَن جدهِ، قالَ: قرأَ رجلٌ عندَ عمَرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه فغيَّرَ عليه، فقالَ: لَقَدْ قرأتُ على رسولِ اللهِ ﷺ فلمْ يُغيِّرْ عليَّ. قالَ: فاختصَما عندَ النبيِّ ﷺ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، ألَمْ تُقرِئْني آيةَ كَذا وكَذا؟ قالَ: «**بَلَى!**» قالَ: فوقعَ في صدرِ عمرَ شيءٌ، فعرفَ النبيُّ ﷺ ذلك في وجهِه، قالَ: فضربَ صدْرَه وقالَ: «**ابْعَدْ شيطانًا**» -قالَها ثلاثًا- ثُم قالَ: «**يا عمرُ، إنَّ القرآنَ كلَّه صَوابٌ، ما لمْ تجعلْ رحمةً عذابًا أو عذابًا رحمةً**»(١).

١٧- **حدثنا** عُبيدُ اللهِ بنُ محمدٍ الفِريابيُّ، قال: حَدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ ميمونٍ، قالَ: حَدَّثنا عبيدُ اللهِ - يعني ابنَ عمرَ- عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، قالَ: سمعَ عمُر بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه رجلًا يقرأُ القرآنَ، فسمَع آيةً على غيرِ ما سَمعَ من النبيِّ ﷺ، فأتى به عمرُ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ هذا قرأَ آيةَ كَذا وكَذا. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أُنزِلَ القرآنُ على سَبْعةِ أحرفٍ، كلُّها شافٍ كافٍ**»(٢).

١٨- **حدثني** يونسُ بنُ عبد الأعلَى، قالَ: أخبرنا ابنُ وهبٍ، قالَ: أخبرني هشامُ بنُ سعدٍ، عن عليِّ بنِ أَبي عليٍّ، عن زُبَيدٍ، عن علقمةَ النخعيِّ، قالَ: لَمَّا خرجَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ مِنَ الكوفةِ اجتمعَ إليه أصحابُه فودّعَهم، ثُم قال: لا تَنازَعُوا في القرآنِ، فإنه لا يختلفُ ولا يتلاشى(٣)، ولا يتغيرُ لكثرةِ الردِّ. وإنَّ شريعةَ الإسلام وحدودَه وفرائضَه فيه واحدةٌ، ولو كانَ شيءٌ منَ الحَرفَيْنِ ينهَى عن شيءٍ يأمرُ به الآخَرُ، كانَ ذلكَ الاختلافُ. ولكنه جامعٌ ذلك كلَّه، لا تختلفُ فيه الحدودُ ولا الفرائضُ، ولا شيءٌ مِن شرائعِ الإسلامِ. ولقد رأيتُنا نتنازعُ فيه عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، فيأمرُنا فنقرأُ عليه، فيخبرُنا أن كلَّنا مُحسنٌ. ولو أعلمُ أحدًا أعلَمَ بما أنزلَ اللهُ على رسولِه مني لطلبتُه، حتى أزدادَ علمَه إلى علمي. ولقد قرأتُ من لسانِ رسولِ اللهِ ﷺ

---

(١) [ضعيف] جد إسحاق هو زيد بن سهل أبو طلحة الأنصاري صحابي رضي الله عنه، وأبوه عبد الله بن أبي طلحة صحابي صغير رضي الله عنه، وإسحاق نفسه ثقة حجة من رجال الصحيحين، أما حرب بن أبي ثابت فهو مجهول الجهالتين، أو إحداهما على أحسن الأحوال، وعبد الصمد ثقة، وأحمد صدوق. وقد أخرجه أحمد[١٥٩٣١]، والروياني في مسنده [١٤٩٢]، ومداره على حرب، قال الشيخ شاكر: حرب بن ثابت: ثبت في نسخ الطبري هنا حرب بن أبي ثابت، وهو خطأ صرف من الناسخين، صوابه حرب بن ثابت، وهو المنقري . . . البصري. اهـ، ثم تكلم الشيخ رحمه الله على علة أخرى في الحديث وصححه!! والعلم عند الله.

(٢) [موضوع] فيه عبد الله بن ميمون متروك الحديث، ولفظ الحديث صحيح، بغير هذا السند تقدم أوله، وسيأتي آخره من حديث أُبَيٍّ.

(٣) قال الشيخ أحمد شاكر: قال أخي السيد محمود محمد شاكر: . . . ولا يتلاشى فقد قال أهل اللغة: إنه مولد من لا شيء، كأنه اضمحل حتى صار إلى لا شيء. ومجيئه في هذا الخبر غريب. أقول: وإذ تبين أن راويه علي بن أبي علي اللهبي ممن يصطنع الأحاديث ويروي عن الثقات الموضوعات، كما قال ابن حبان، فلا يبعد أن يقول هذه الكلمة المولدة من عند نفسه، وهو متأخر أدرك عصر التوليد، فقد أرخه البخاري. اهـ.

سبعينَ سورةً، وقد كنتُ علِمتُ أنه يُعْرَضُ عليه القرآنُ في كلِّ رمضانَ، حتى كانَ عامُ قُبضَ، فَعُرِضَ عليه مرّتينِ، فكان إذا فرغَ أقْرَأُ عليه فيخبرُني أني مُحسنٌ. فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنَّها رغبةً عنها، ومَن قرأ على شيءٍ من هذه الحروفِ فلا يَدعنَّه رغبةً عنه، فإنه مَن جَحدَ بآيةٍ جحدَ به كلِّه(١).

١٩- **حدثني** يونسُ بنُ عبدِ الأعلى، قالَ: أنبأنا ابنُ وَهبٍ، قالَ: أخبرني يونسُ - وحَدَّثنا أبو كريبٍ، قالَ: حَدَّثنا رِشْدينُ بنُ سعدٍ، عن عُقيلِ بنِ خالدٍ - جميعًا عن ابنِ شهابٍ، قالَ: حدثني عُبيدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عُتبةَ أنَّ ابنَ عباسٍ حَدَّثه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **«أقرأني جبريلُ على حَرفٍ، فراجعتُه، فلمْ أزَلْ أستزيدُه فيزيدُني، حتى انتهى إلى سَبعةِ أحرفٍ»**.

قال ابنُ شهابٍ: بلغني أن تلك السبعة الأحرفِ، إنما هي في الأمرِ الذي يكونُ واحدًا، لا يختلفُ في حلالٍ ولا حرام(٢).

٢٠- **حدثني** محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي مخلدٍ الواسطيُّ، ويونسُ بنُ عُبدِ الأعلَى الصدفيُّ، قالا: حَدَّثنا سفيانُ بن عيينةَ، عن عُبيدِ اللهِ، أخبره أبوه: أنَّ أمَّ أيوبَ أخبرتْه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«نزَلَ القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ، أيَّها قرأْتَ أصبْتَ»**(٣).

٢١- **حدثنا** إسماعيلُ بن مُوسى السُّدِّيُّ، قالَ: أنبأنا شَريكٌ، عَن أبي إسحاقَ، عَن سليمانَ بن صُرَدَ، يرفعُه، قالَ: **«أتاني مَلَكانِ، فقالَ أحدُهما: اقْرَأْ. قالَ: علَى كمْ؟ قالَ: على حرفٍ، قال: زِدْهُ. حتى انتهى بِه إلى سَبْعةِ أحرفٍ»**(٤).

---

(١) [موضوع] فيه علي بن أبي علي متروك الحديث، وزبيد لا أعلم له رواية عن علقمة غير هذه فضلًا عن السماع، ومع هذا فسندها إليه غير صحيح، ولم يذكره أحدٌ في الرواة عن علقمة، ولا علقمة في شيوخه، وأخرجه الطبراني في الكبير بسند أضعف من هذا، وقد جاء الحديث مختصرًا بنحوه عند البخاري [٥٠٠٠]، ومسلم [٢٤٦٢].

(٢) [صحيح] فيه رشدين بن سعد ضعيف الحديث، ولكن أخرجه معمر في جامعه [٢٠٣٧٠] عن الزهري... فذكره، وسنده صحيح، وتابع معمرًا عقيلٌ كما عند المصنف، والبخاري [٤٩٩١]، وتابعه كذلك يونس كما عند البخاري [٣٢١٩]، ومسلم [٨١٩].

(٣) [ضعيف] فيه أبو عبيد الله، لم يرو عنه غير ابنه، وذكره ابن حبان في الثقات [٧/ ٦٥٧] وهذا لا يُعتبر توثيقًا له إلا إذا روى عنه في صحيحه، وهذا يرد على قول الحافظ في التقريب: وثقه ابن حبان.

وقال العجلي: مكي تابعي ثقة. كما في هامش تهذيب الكمال [٣٤/ ٤١٠ - هامش ٧]، وهذا لا يرفع عنه الجهالة كما هو معلوم، فتوثيق العجلي وابن حبان لمثل هذا الراوي كعدمه، وفيه أيضًا شيخ المصنف لم يرو عنه غيره وأحمد بن عمرو بن الضحاك ابن أبي عاصم النبيل، فهو أيضًا مجهول الحال. وقد أخرجه الحميدي [٣٤٣]، وسعيد بن منصور في سننه [٣٢]، وابن أبي شيبة [٣٠١١٧]، وابن راهويه [٢٣٢١]، وأحمد [٢٧٠٧٦-٢٦٨٩٧] ومداره على أبي عبيد الله، وحاله قد عرفته، وقد صححه الشيخ أحمد شاكر معتمدًا على ذكر ابن حبان لأبي عبيد في الثقات!! والعلم عند الله.

(٤) [ضعيف] فيه أبو إسحاق السبيعي مدلس، ولم يصرح، وشريك ضعيف، وشيخ المصنف صدوق، وقد أخرجه غير المصنف بأسانيد مدارها على أبي إسحاق وقد عرفت ما فيه، ولكنَّ لفظه صحيح تقدم من حديث ابن عباس، وسيأتي من حديث أُبي، وأبي بكرة.

٢٢- **حدثنا** ابنُ البرقيِّ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ أبي مريمَ، قالَ: حَدَّثنا نافعُ بنُ يزيدَ، قالَ: حدثني عُقَيْلُ بنُ خالدٍ، عن ابنِ شهابٍ، عن عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ، عن ابنِ عباسٍ، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «**أقرأني جبريلُ القرآنَ على حرفٍ، فاستزدته فزادني، ثم استزدته فزادني، حتى انتهى إلى سبعةِ أحرفٍ**»(١).

٢٣- **حدثني** الربيعُ بنُ سليمانَ، قالَ: حَدَّثنا أسدُ بنُ مُوسى، قالَ: حَدَّثنا سفيانُ، عن عُبيدِ اللهِ بن أبي يزيدَ، عن أبيه، أنه سمعَ أمَّ أيوبَ تُحدثُ عن النبيِّ ﷺ، فذكَر نحوَه - يعني نحوَ حديثِ ابنِ أبي مخلدٍ(٢).

٢٤- **حدثنا** الربيعُ بنُ سليمانَ، قالَ: حَدَّثنا أسدُ بنُ مُوسى، قالَ: حَدَّثنا أبو الربيعِ السَّمَّانُ، قالَ: أخبرني عُبيدُ اللهِ بن أبي يزيدَ، عن أبيهِ، عن أمِّ أيوبَ، أنها سَمِعتِ النبيَّ ﷺ يقولُ: «**نزلَ القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ، فما قرأتَ أصبتَ**»(٣).

٢٥- **حدثنا** أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا يحيى بنُ آدمَ، قالَ: حَدَّثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاقَ، عن فلانٍ العَبْديِّ - قال أبو جعفرٍ: ذهَبَ عني اسمُه - عن سليمانَ بنِ صُرَدَ، عن أُبيّ بن كعبٍ، قال: رُحْتُ إلى المسجدِ، فسمعتُ رجلاً يقرأُ، فقلتُ: مَن أقرأَكَ؟ فقالَ: رسولُ اللهِ ﷺ. فانطلقتُ بِه إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقلتُ: استقرئ هذا. قالَ: فقرأَ، فقالَ: «**أحسنتَ**». قالَ: فقلتُ: إنكَ أقرأتَني كَذا وكَذا! فقالَ: «**وأنتَ قد أحسنتَ**». قالَ: فقلتُ: قد أحسنتَ! قد أحسنتَ! قالَ: فضربَ بيدِه على صدرِي، ثُم قالَ: «**اللهمّ أذهِبْ عن أُبيٍّ الشكَّ**». قالَ: ففِضْتُ عرَقًا، وامتلأَ جَوْفي فَرَقًا، ثُم قالَ: «**إنَّ المَلَكينِ أتياني، فقالَ أحدُهما: اقرإِ القرآنَ على حرفٍ. وقالَ الآخَرُ: زِدْه. قالَ: فقلتُ: زِدْني. قالَ: اقرأه على حرفينِ. حتى بلغَ سبعةَ أحرفٍ، فقالَ: اقرأ على سبعةِ أحرفٍ**»(٤).

٢٦- **حدثنا** محمدُ بن بشَّارٍ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ أَبي عَديٍّ - وحدّثنا أبو كرَيبٍ، قالَ: حَدَّثنا محمدُ بنُ ميمونٍ الزعفرانيُّ - جميعًا عن حُميدٍ الطويلِ، عن أنسٍ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنه، عن أُبيّ بنِ كعبٍ رضيَ اللهُ عنه، قالَ: ما حَاك في صدري شيءٌ منذُ أسلمتُ، إلا أني قرأتُ آيةً، فقرأَها رجلٌ غيرَ قراءتي، فقلتُ: أقرأنيها رسولُ اللهِ ﷺ. وقال الرجلُ: أقرأنيها رسولُ اللهِ ﷺ. فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقلتُ: أقرأتَني آيةَ كَذا وكَذا؟ قال: «**بَلَى**». قال الرجلُ:

---

(١) [صحيح] تقدم برقم (١٩). (٢) [صحيح] قد تقدم برقم (٢٠).

(٣) [ضعيف] تقدم قبله.

(٤) [صحيح] فيه فلان العبدي واسمه سقير أو صقير لم يرو عنه غير أبي إسحاق وذكره ابن حبان في الثقات، وسكت عنه البخاري، وبهذا حسنه الشيخ شاكر رحمه الله، وهو لا يسلم له، وأبو إسحاق مدلس ولم يصرح، ولكن أخرجه معمر في جامعه [٢٠٣٧١] عن قتادة قال: قال لي أبي: . . . فذكره، وتابع قتادة زر بن حبيش كما في مشيخة ابن طهمان [١٢٥]، والطيالسي [٥٤٥] بإسناد حسن، وعبد الرحمن بن أبي ليلى كما عند الطيالسي [٥٥٩]، ومسلم [٨٢٠] بإسناد صحيح، ورواه غير هؤلاء عن أبي.

أَلَمْ تُقرئني آيةَ كَذا وكَذا؟ قال: «**بَلَى، إنَّ جبريلَ وميكائيلَ عليهما السلامُ أتياني، فقعدَ جبريلُ عن يميني، وميكائيلُ عن يساري، فقالَ جبريلُ: اقرإِ القرآنَ على حرفٍ واحدٍ. وقالَ ميكائيلُ: استزِدْه، قالَ جبريلُ: اقرإِ القرآنَ على حَرفينِ. فقال ميكائيلُ: استزِدْه. حتى بلغ ستةَ أو سبعةَ**» - الشكُّ من أبي كُريب - وقالَ ابنُ بشَّارٍ في حديثه: حتى بلغ سبعةَ أحرفٍ -ولم يَشكَّ فيه- «**وكلٌّ شافٍ كافٍ**»[1]. ولفظُ الحديث لأبي كُريبٍ.

٢٧- **وحدثني** يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى قالَ: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قالَ: أخبرني يحيى بنُ أيوبَ، عن حُميدٍ الطويلِ، عنِ أنسِ بنِ مالكٍ، عن أبيِّ بنِ كعبٍ، عن النبيِّ ﷺ بنحوه. وقال في حديثه: «**حتى بلغ ستةَ أحرفٍ، قال: اقرأه على سبعةِ أحرفٍ، كلٌّ شافٍ كافٍ**»[2].

٢٨- **حدثنا** محمدُ بن مرزوقٍ قالَ: حَدَّثنا أبو الوليدِ، قالَ: حَدَّثنا حمادُ بن سلمةَ، عن حُميدٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، عن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ، عن أبيِّ بن كعبٍ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أُنزِلَ القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ**»[3].

٢٩- **حدثنا** أبو كُريبٍ قالَ: حدَّثنا حُسينُ بنُ عليٍّ، وأبو أُسامةَ، عن زائدةَ، عن عاصمٍ، عن زرٍّ، عن أُبيٍّ قال: لقي رسولُ اللهِ ﷺ جبريلَ عند أحجارِ المِرَاءِ فقالَ: «**إني بُعِثتُ إِلَى أمةٍ أُمِّيِّينَ، منهم الغلامُ والخادمُ والشيخُ العاسِي والعجوزُ، فقالَ جبريلُ: فليقرءوا القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ**»[4]. ولفظُ الحديثِ لأبي أسامةَ.

٣٠- **حدثنا** أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا ابن نُميرٍ، قالَ: حَدَّثنا إسماعيلُ بن أبي خالدٍ - وحَدَّثنا عبدُ الحميدِ بنِ بيانٍ القَنَّادُ، قالَ: حَدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ الواسطيُّ، عن إسماعيلَ- عن عبدِ اللهِ بنِ عيسى بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي لَيْلى، عن جدِّه، عن أُبيِّ بنِ كعبٍ، قالَ: كنتُ في المسجدِ، فدخلَ رجلٌ يصلي، فقرأَ قراءةً أنكرتُها عليه، ثم دخلَ رجلٌ آخرُ، فقرأَ قراءةً غيرَ قراءةِ صاحبه، فدخَلْنا جميعًا على رسولِ اللهِ ﷺ، قالَ: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ هذا قرأَ قراءةً أنكرتُها عليه، ثم دخلَ هذا فقرأَ قراءةً غيرَ قراءةِ صاحبِه. فأمرهُما رسولُ اللهِ ﷺ فقرأا، فحسَّنَ رسولُ الله ﷺ شأنَهُما، فوقعَ في نفسي من التكذيبِ، ولا إذْ كنتُ في الجاهليةِ! فلما رأى رسولُ اللهِ ﷺ ما غَشِيَني، ضربَ في صدري، فَفِضتُ عرَقًا، كأنما أنظرُ إلى اللهِ فَرَقًا. فقالَ لي: «**يا أُبيّ، أُرْسِلَ إليَّ أنِ اقرإِ القرآنَ على حرفٍ، فرددتُ عليه: أنْ هَوِّنْ على أمتي، فردَّ عليَّ**

---

(١) [صحيح] فيه حميد الطويل يُدلس عن أنس بإسقاط ثابت، وهو ثقة فلا يُتوقف في عنعنته عن أنس طالما عُرفت الواسطة، ومحمد الزعفراني صدوق ما لم يخالف، فسند المصنف حسن، وقد تقدم أنَّ الحديث معروف من حديث أُبي بأسانيد صحيحة. والعلم عند الله.

(٢) [صحيح] رجال المصنف كلهم ثقات عدا يحيى فهو صدوق، وقد تقدم الحديث كثيرًا بأسانيد صحيحة.

(٣) [صحيح] كما تقدم، إلا أنَّ حماد هنا أدخل عبادة بين أنس وأبي، وحماد كان قد اختلط، فلا يُقبل منه ما خالف فيه غيره من الثقات.

(٤) [صحيح] تقدم كثيرًا، وسند المؤلف حسن؛ فيه عاصم.

في الثانيةِ: أنِ اقرإ القرآنَ على حرفٍ. فرددتُ عليه أنْ هَوِّنْ على أمتي، فردَّ عليَّ في الثالثةِ، أنِ اقرأه على سبعةِ أحرفٍ، ولكَ بكلِّ رَدَّة رَدَدتُكَها مَسألةٌ تسألُنيها. فقلتُ: اللهمَّ اغفرْ لأمتي، اللهمَّ اغفرْ لأمتي، وأخرتُ الثالثةَ ليوم يرغبُ إليَّ فيه الخلقُ كلُّهم حتى إبراهيمُ». إلا أن ابن بيانَ قال في حديثه: فقالَ لهم النبيُّ ﷺ: «قد أصبتُم وأحسنتُم». وقالَ أيضًا: فارفضَضْتُ عَرَقًا[1].

٣١- حدثنا أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا محمدُ بن فُضيلٍ، عن إسماعيلَ بن أبي خالدٍ، بإسنادهِ عن النبيِّ ﷺ نحوه، وقالَ: قالَ لي: «أعيذُك باللهِ من الشكِّ والتكذيبِ». وقالَ أيضًا: «إنَّ اللهَ أمرني أقرأَ القرآن على حرفٍ، فقلتُ: اللهمَّ ربِّ خفِّفْ عن أمتي. فقالَ: اقرأه على حرفينِ. فأمَرني أنْ أقرأه على سبعةِ أحرفٍ، من سبعةِ أبوابٍ منَ الجنةِ، كلُّها شافٍ كافٍ»[2].

٣٢- حدثنا أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا وكيعٌ، عن إسماعيلَ بن أبي خالدٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ عيسى بنِ أبي ليلى، عن ابنِ أبي ليلى، وعن ابنِ أبي ليلى عن الحكم، عن ابن أبي ليلة، عن أُبيّ قالَ: دخلتُ المسجدَ فصليتُ، فقرأتُ النحلَ، ثُم جاءَ رجلٌ آخرُ فقرأها على غيرِ قراءتي، ثُم جاءَ رجلٌ آخرُ فقرأَ خِلافَ قراءتِنا، فدخل نفسي من الشكِّ والتكذيبِ أشدُّ مما كنتُ في الجاهليةِ، فأخذتُ بأيديهما فأتيتُ بهما النبيَّ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، استقرئْ هذينِ. فقرأَ أحدُهما، فقالَ: «أصبتَ». قال: ثم استقرأَ الآخرَ، فقالَ: «أصبتَ». فدخل قلبي أشدُّ مما كان في الجاهليةِ من الشكِّ والتكذيبِ، فضربَ رسولُ اللهِ ﷺ صدري، وقال: «أعاذكَ اللهُ من الشكِّ، وأخسَأَ عنكَ الشيطانَ». قال إسماعيلُ: ففِضْتُ عَرَقًا. ولم يقله ابنُ أبي ليلى. قالَ: فقالَ: «أتاني جبريلُ فقال: اقرإ القرآن على حرفٍ واحدٍ. فقلتُ: إنَّ أمتي لا تَستطيعُ. حتى قالَ سبعَ مراتٍ، فقالَ لي: اقرأ على سبعةِ أحرفٍ، ولكَ بكلِّ رَدة رُدِدتها مسألةٌ. قال: فاحتاجَ إليَّ فيها الخلائقُ، حتى إبراهيمُ»[3].

٣٣- حدثنا أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا عبدُ اللهِ، عن ابنِ أبي ليلى، عن الحَكمِ، عن عبدِ الرحمنِ بن أبي ليلى، عن أُبيٍّ، عن النبيِّ ﷺ، بنحوه[4].

٣٤- حدثني أحمدُ بنُ محمدٍ الطُّوسيُّ، قالَ: حَدَّثنا عبدُ الصمدِ، قالَ: حدثني أبي، قالَ: حَدَّثنا محمدُ بن جُحادةَ، عن الحَكمِ بنُ عُتَيْبَةَ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ أبي ليلى، عن أُبيّ بن كعبٍ، قالَ: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ وهو عندَ أضَاةِ بني غِفارٍ فقالَ: إنَّ اللهَ تبارك وتعالى يأمرُك أنْ

---

(١) [صحيح] رجاله كلهم رجال الصحيحين أو أحدهما غير محمد بن يزيد الواسطي، ومع هذا فهو ثقة ثبت. وقد تقدم الحديث عن بعض أسانيده.

(٢) [صحيح] تقدم قبله.

(٣) [صحيح] تقدم قبله.

(٤) [صحيح] تقدم قبله.

تُقرئَ أمتَكَ القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ، فمن قرأ منها حرفًا فهو كما قرأ[١].

٣٥- **حدثنا** محمدُ بنُ المثنى، قالَ: حَدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ، قالَ: حَدَّثنا شعبةُ، عن الحَكم، عن مجاهدٍ، عن ابن أبي ليلى، عن أُبيّ بن كعبٍ: أن النبيَّ ﷺ كان عندَ أضاةِ بني غِفارٍ، قالَ: فأتاه جبريلُ فقالَ: **«إنَّ اللهَ يأمُرك أنْ تُقرئَ أمتَك القرآنَ على حرفٍ. قالَ: أسألُ اللهَ مُعَافاتَه ومغفرتَه، وإنَّ أمتي لا تطيقُ ذلكَ. قالَ: ثُم أتاهُ الثانيةَ فقالَ: إنَّ اللهَ يأمُرك أنْ تقرئَ أمتَك القرآنَ على حَرفينِ. قالَ: أسألُ اللهَ معافاتَه ومغفرتَه، وإنَّ أمتي لا تُطيقُ ذلكَ. ثُم جاءه الثالثةَ فقالَ: إنَّ اللهَ يأمُركَ أنْ تُقرئَ أمتَك القرآنَ على ثلاثةِ أحرفٍ. قالَ: أسألُ اللهَ معافاتَه ومغفرتَه، وإنَّ أمتي لا تُطيقُ ذلك. ثم جاءه الرابعةَ فقالَ: إنَّ الله يأمُرك أن تقرئَ أمتَك القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ، فأيَّما حرفٍ قرءُوا عليه فقد أصابوا»**[٢].

٣٦- **حدثنا** محمدُ بنُ المثنى، قالَ: حَدَّثنا ابنُ أبي عَديٍّ، عن شُعبةَ، عن الحَكم، عن مجاهدٍ، عن ابنِ أبي ليلى، قال: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ عند أضاةِ بني غفارٍ - فذكر نحوه[٣].

٣٧- **حدثنا** أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا مُوسى بنُ داودَ، قالَ: حَدَّثنا شُعبةُ - وحَدَّثنا الحسنُ بن عرَفةَ، قالَ: حدثنا شبابةُ قالَ: حَدَّثنا شعبةُ - عن الحَكمِ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ أبي ليلى، عن أُبيّ بن كعبٍ، عن النبيِّ ﷺ، بنحوه[٤].

٣٨- **حدثني** يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى، قالَ: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قالَ: أخبرني هشامُ بنُ سعدٍ، عن عُبيدِ اللهِ بنِ عمرَ، عن عبد الرحمنِ بنِ أبي ليلى، عن أُبيّ بنِ كعبٍ أنه قالَ: سمعتُ رجلاً يقرأُ في سورة النحلِ قراءةً تُخالِفُ قراءتي، ثُم سمعُت آخرَ يقرؤها قراءةً تُخالفُ ذلك، فانطلقتُ بهما إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقلتُ: إني سمعتُ هذين يقرأان في سورةِ النحلِ، فسألتُهما: مَن أقرأهما؟ فقالا: رسولُ اللهِ ﷺ. فقلتُ: لأذهبنَّ بكما إلى رسولِ اللهِ ﷺ، إذ خالفتما ما أقرأني رسولُ اللهِ ﷺ. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأحدِهما: **«اقرأْ»**. فقرأَ، فقالَ: **«أحسنتَ»**. ثُم قالَ للآخرِ: **«اقرأْ»**. فقرأَ، فقالَ: **«أحسنتَ»**. قالَ أُبيّ: فوجدتُ في نفسي وَسْوسة الشيطانِ، حتى احمرَّ وجهي، فعرفَ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ في وجهي، فضربَ بيدِه في صدري، ثُم قالَ: **«اللهمَّ أخسئ الشيطانَ عنه! يا أبيّ، أتاني آتٍ من ربي فقالَ: إنَّ اللهَ يأمُرك أنْ تقرأَ القرآنَ على حرفٍ واحدٍ. فقلتُ: ربِّ خَفِّفْ عني. ثم أتاني الثانيةَ فقالَ: إنَّ اللهَ يأمُرك أنْ تقرأَ القرآنَ على حرفٍ واحدٍ. فقلتُ: ربِّ خففْ عن أمتي. ثم أتاني الثالثةَ فقالَ مثلَ ذلكَ، وقلتُ مثلَ ذلكَ. ثُم أتاني الرابعةَ فقالَ: إنَّ اللهَ يأمرُك أنْ تقرأَ القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ، ولكَ بكلِّ رَدَّة مسألةٌ. فقلتُ: يا**

(١) [صحيح] تقدم قبله، وفي سند المصنف شيخه، وهو صدوق حسن الحديث.
(٢) [صحيح] تقدم قبله، وكل رجال المصنف ثقات مرضيون.
(٣) [صحيح] تقدم قبله، ورجاله كلهم ثقات إلا أنه مرسل.
(٤) [صحيح] تقدم قبله، ورجاله كلهم ثقات، عدا الحسن وشبابة، صدوقان.

ربِّ اغفرْ لأمتي، يا ربِّ اغفر لأمتي. واختبأتُ الثالثة شفاعةً لأمتي يومَ القيامةِ»[(١)].

٣٩- حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلَى الصَّنعانيُّ، قالَ: حَدَّثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ، قالَ: سمعتُ عُبيدَ اللهِ بنَ عمَر، عن سيَّارٍ أبي الحَكم، عن عبدِ الرحمنِ بن أبي ليلى، رَفعه إلى النبيِّ ﷺ: ذكرَ أنَّ رَجُلينِ اختصَما في آيةٍ منَ القرآنِ، وكلٌّ يزعمُ أنَّ النبيَّ ﷺ أقرأه، فتقارآ إلى أُبيّ، فخالفَهما أُبيّ، فتقارءُوا إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا نبيَّ اللهِ، اختلفنا في آيةٍ منَ القرآنِ، وكلُّنا يزعُم أنك أقرأتَه. فقالَ لأحدِهما: «اقرأْ». قالَ: فقرأَ، فقالَ: «أصبتَ». وقالَ للآخرِ: «اقرأْ». فقرأَ خلافَ ما قرأَ صاحبُه، فقالَ: «أصبتَ». وقالَ لأُبيّ: «اقرأْ». فقرأَ فخالفَهما، فقالَ: «أصبتَ». قالَ أُبيّ: فدخلَني منَ الشكِّ في أمرِ رسولِ اللهِ ﷺ ما دَخلَ فيَّ من أمرِ الجاهليةِ، قالَ: فعرفَ رسولُ اللهِ ﷺ الذي في وجهي، فرفعَ يدَه فضربَ صدري، وقالَ: «استعذْ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيم»، قالَ: ففِضْتُ عرَقًا، وكأني أنظرُ إلى الله فَرَقًا. وقال: «إنه أتاني آتٍ من ربِّي فقال: إنَّ ربَّك يأمُرك أن تقرأَ القرآنَ على حرفٍ واحدٍ. فقلتُ: رَبِّ خفِّفْ عن أمتي. قالَ: ثُم جاءَ الثانية، فقالَ: إنَّ ربَّك يأمُرك أن تقرأَ القرآنَ على حرفٍ واحدٍ. فقلتُ: ربِّ خفِّفْ عن أمتي. قالَ: ثُم جاءَ الثالثةَ فقالَ: إنَّ ربَّك يأمُرك أن تقرأَ القرآنَ على حرفٍ واحدٍ. فقلتُ: ربِّ خفِّفْ عن أمتي. قالَ: ثُم جاءني الرابعةَ فقالَ: إنَّ ربَّك يأمُرك أن تقرأَ القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ، ولكَ بكلِّ رَدَّة مسألةٌ. قالَ: قلتُ: ربِّ اغفرْ لأمتي، ربِّ اغفرْ لأمتي، واختبأتُ الثالثةَ شفاعةَ لأمتي، حتى إنَّ إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ لَيرغبُ فيها»[(٢)].

٤٠- حدثنا أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا زيدُ بنُ الحُبَابِ، عن حمَّادِ بنِ سلمةَ، عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن عبدِ الرحمنِ بن أبي بَكْرةَ، عن أبيه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قالَ جبريلُ: اقرءوا القرآنَ على حرفٍ. فقالَ ميكائيلُ: استزدْه. فقالَ: علَى حرفينِ. حتى بلغَ ستةَ أو سبعةَ أحرفٍ، فقالَ: كلُّها شافٍ كافٍ، ما لم تَختمْ آيةَ عذابٍ بآيةِ رحمةٍ، أو آيةَ رحمة بآيةِ عذابٍ. كقولك: هَلُمَّ وتعالَ»[(٣)].

٤١- حدثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى، قالَ: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قالَ: أخبرني سليمانُ بنُ بلالٍ، عن يزيدَ بن خُصَيفةَ، عن بُسرِ بن سعيدٍ: أن أبا جُهيم الأنصاريَّ أخبره: أنَّ رجلينِ اختلفا في آيةٍ منَ القرآنِ، فقالَ هذا: تلقَّيتُها من رسولِ اللهِ ﷺ. وقالَ الآخرُ: تلقَّيتُها من رسولِ اللهِ ﷺ، فسألا رسولَ اللهِ ﷺ عنها، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ القرآنَ أُنزلَ على سبعةِ

---

(١) [ضعيف] تقدم كثيرًا قبله كما في (٣٢) وما بعده، وهذا مرسل.

(٢) [صحيح] تقدم كثيرًا قبله، ورجال المصنف ثقات.

(٣) [ضعيف] فيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف الحديث، وقد أخرجه ابن أبي شيبة [٣٠١٢٢]، والطحاوي في المشكل [٨/ ١٢٧]، وأحمد [١٩٩١٢- ١٩٩٩٢]، ومداره على حماد عن علي. وأخرجه ابن أبي شيبة [٣٠٠٢٨] والنميري في أخبار المدينة [١٧٤٥]، وابن أبي حاتم [١١٤٦٥]، والطبراني في الكبير [٨٦٨٠]، من طرق صحيحة عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قد سمعت القراء فوجدتهم مقاربين فاقرءوا كما علمتم وإياكم والتنطع والاختلاف فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال. هكذا موقوفًا على ابن مسعود.

أحرفٍ، فلا تَمَارَوْا في القرآنِ، فإنَ المِراءَ فيه كفرٌ»(١).

٤٢- **حدثنا** يونسُ، قالَ: أخبرَنا سفيانُ، عن عمرو بن دينارٍ، قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: **«أُنزِلَ القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ، كلُّها شافٍ كافٍ»**(٢).

٤٣- **حدثني** يونسُ، قالَ: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، أخبرَني سليمانُ بنُ بلالٍ، عن أبي عيسى بنِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، عن أبيه، عن جدِّه، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ: أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **«أُمِرتُ أن أقرأَ القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ، كلٌّ كافٍ شافٍ»**(٣).

٤٤- **حدثنا** أحمدُ بن حازمِ الغِفاريُّ، قالَ: حَدَّثنا أبو نُعيم، قالَ: حَدَّثنا أبو خَلْدةَ، قالَ: حَدَّثني أبو العاليةِ، قالَ: قرأَ على رسولِ اللهِ ﷺ مِن كلِّ خمسٍ رَجلٌ، فاختلفوا في اللغةِ، فرضي قراءتِهم كلِّهم، فكان بنو تَميم أعرَبَ القوم(٤).

٤٥- **حدثنا** عمرُو بنُ عثمانَ العثمانيُّ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ أبي أويسٍ، قالَ: حَدَّثنا أخي، عن سليمانَ بنِ بلالٍ، عن محمدِ بنِ عجلانَ، عن المقبُريِّ، عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **«إنَّ هذا القرآنَ أُنزلَ على سبعةِ أحرفٍ، فاقرءوا ولا حرَجَ، ولكنْ لا تَختِموا ذكْرَ رحمةٍ بعذابٍ، ولا ذكْرَ عذابٍ برحمةٍ»**(٥).

(١) [ضعيف] فيه بشر، أو بسر بن سعيد، يُكتب حديثه، وقد تابعه مسلم بن سعيد كما عند الهروي في فضائل القرآن [٧٢٨]، وهو مجهول الحال، وقد جعل البعض هذه المتابعة شكًا من أبي عبيد الهروي كابن كثير. ولعله الأصوب خلافًا للشيخ شاكر رحمه الله، و الحديث تقدم بإسناد صحيح بلفظه عن أبي هريرة في رقم (٧).

(٢) [ضعيف] إسناد المصنف مرسل صحيح، ولألفاظ الحديث شواهد بلفظه تقدمت.

(٣) [ضعيف] أبو عيسى وأبوه مجهولا الجهالتين، ولفظ الحديث صحيح من حديث أُبي وغيره كما تقدم.

(٤) [ضعيف] ولكنَّ سنده صحيح إلى أبي العالية، وهو مرسل عن النبي ﷺ، أخرجه ابن أبي شيبة [٣٢٥٠٦]، والشيباني في الآحاد والمثاني [١١٥٦] كلاهما عن الفضل بن دكين... فذكره.

(٥) [ضعيف] فيه المقبري ثقة اختلط قبل أن يموت، ولم يحدث وقت اختلاطه إلا ما رواه عنه شعبة. وعبد الحميد أخ ابن أبي أويس ثقة من رجال الصحيحين وهو علة الإسناد، تشدد الأزدي فاتهمه بالوضع، وأخوه إسماعيل بن أبي أويس هو الضعيف مع أنه من رجال الصحيحين، وشيخ المصنف روى عنه غير واحد غير المصنف، وقال ابن أبي حاتم: صدوق. قال الشيخ شاكر: وهذا الحديث، بهذا الإسناد واللفظ، لم أجده في موضع آخر، وإسناده صحيح على شرط الشيخين. اهـ. قلت: وهذا الكلام فيه خطأ من جهتين: الأولى: أنَّ هذا الحديث قد جاء بإسناد آخر بنفس اللفظ كما عند الطحاوي في مشكل الآثار [٨/ ١١٤] قال: وَحَدَّثَنَا فَهْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا وَلا حَرَجَ، غَيْرَ أَنْ لا تَجْمَعُوا بَيْنَ ذِكْرِ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، وَلا ذِكْرِ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ». اهـ. وعبد الله بن صالح ضعيف يكتب حديثه، وهذا الإسناد في الحقيقة وإن كان غير إسناد المصنف ولكنه عبارة عن متابعة غير صحيحة له، فلا نستطيع أن نحسنه به. الثانية: قوله: إسناده صحيح على شرط الشيخين. ولقد استقرأت روايات سليمان بن بلال في الصحيحين، بل وباقي الستة، فلم أجد رواية واحدة يرويها عن محمد بن عجلان، إلا إن كان الشيخ شاكر يقصد أنَّ رواته كلهم من رجال الصحيحين، وهذا هو الأقرب، ومع هذا فلا يصح أن نعبر عنه بهذا اللفظ، وهذا أيضًا مستدرك على الشيخ شاكر أيضًا؛ لأن محمد بن عجلان من رواة مسلم فقط، وليس له رواية في البخاري. والعلم عند الله.

٤٦- **حدثنا** محمدُ بنُ مرزوقٍ، قالَ: حَدَّثنا أبو مَعْمرٍ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ أبي الحجاجِ، قال: حَدَّثنا عبدُ الوارثِ بن سعيد قالَ: حَدَّثنا محمدُ بن جُحادةَ، عن الحكَمِ بن عُتيبةَ، عن مجاهدٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ليلى، عن أُبيِّ بن كعبٍ، قالَ: أتى النبيَّ ﷺ جبريلُ، وهو بأضاةِ بني غِفَارٍ، فقالَ: «**إنَّ اللهَ يأمُرك أن تُقرئَ أمتَكَ القرآنَ على حرفٍ واحدٍ. قالَ: فقالَ: أسألُ اللهَ مغفرَتَه ومعافاتَه - أو قال: مُعافاتَهُ ومَغْفِرتَهُ - سل الله لهم التخفيفَ، فإنهم لا يُطيقونَ ذلك. فانطلقَ ثُم رَجَعَ، فقالَ: إنَّ اللهَ يأمُرك أن تُقرئَ أمتَك القرآنَ على حرفينِ. فقالَ: أسألُ اللهَ مغفرَتَه ومعافاتَه - أو قال: معافاتَه ومغفرتَه - إنهم لا يُطيقونَ ذلك، فَسَلِ اللهَ لهمُ التخفيفَ. فانطلقَ ثُم رَجَعَ، فقالَ: إنَّ اللهَ يأمُرك أن تُقرئَ أمتَكَ القرآنَ على ثلاثةِ أحرفٍ. فقالَ: أسألُ اللهَ مغفرتَه ومعافاتَه - أو قالَ: معافاتَه ومغفرَتَه - إنهم لا يُطيقونَ ذلك، سَلِ اللهَ لهمُ التخفيفَ. فانطلقَ ثُم رجعَ، فقالَ: إنَّ اللهَ يأمُرك أنْ تقرئَ أمتكَ القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ، فَمَنْ قرأَ منها بحرفٍ فهو كما قرأَ**»(١).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: صحّ وثبتَ أنَّ الذي نزلَ به القرآنُ من ألسنِ العربِ، البعضُ منها دونَ الجميعِ، إذ كان معلومًا أن ألسِنَتَها ولُغاتِها أكثرُ من سبعةٍ، بما يَعْجَزُ عن إحصَائِهِ.

فإن قالَ: وما بُرْهانُك على أن معنى قولِ النبيِّ ﷺ: «**نزلَ القُرآنُ على سبعةِ أحرفٍ**»، وقولِه: «**أُمِرتُ أن أقرأَ القرآن على سبعةِ أحرفٍ**»، هو ما ادَّعيتَه - مِن أنه نزلَ بسبعِ لغاتٍ، وأُمِرَ بقراءتِه على سبعةِ ألسُنٍ- دونَ أن يكونَ معناهُ ما قاله مخالفوك، مِن أنه نزلَ بأمرٍ وزَجْرٍ وترغيبٍ وترهيبٍ وقَصَصٍ وَمثَلٍ ونحوِ ذلك من الأقوالِ، فقد علمتَ قائلَ ذلك من سلفِ الأمة وخيارِ الأئمةِ؟.

قيلَ له: إنَّ الذينَ قالوا ذلكَ لمْ يدَّعُوا أنَّ تأويلَ الأخبارِ التي تَقَدَّمَ ذِكْرُنَاهَا، هُو مَا زعمتَ أنَّهم قالُوه في الأحرفِ السبعةِ التي نزلَ بِها القُرآنُ دونَ غيرِه، فيكونَ ذلكَ لقولِنا مُخالفًا، وإنما أَخْبَرُوا أنَّ القرآنَ نزلَ على سَبْعةِ أَحْرفٍ، يَعْنَون بذلكَ أنه نزلَ على سَبْعةِ أوجهٍ. والذي قالوه من ذلك كما قالُوا.

وقد رَوَينا بمثلِ الذي قالُوا من ذلكَ عن النبيِّ ﷺ وعن جماعةٍ من أصحابِه، أخبارًا قد تَقَدَّمَ ذِكْرُنا بعضَها، وسنستقصِي ذِكْرَ باقيها ببيانِه، إذا انتهينا إليه إنْ شاءَ اللهُ.

---

(١) [صحيح] رجاله كلهم ثقات، إلا أنَّ النسائي وابن حبان وصفا الحكم بالتدليس، وسبب ذلك روايته صحيفة القاسم في التفسير عن مجاهد بغير واسطة وهو لم يسمع التفسير منه، والحكم ثقة ثبت من رجال الصحيحين، وحديثه عن مجاهد هناك متفق عليه، والنسائي كان أحيانًا يصف الراوي بالتدليس فيما يتعلق بشيخ معين، وابن حبان كذلك، فإذا علمنا أنَّ الحكم روى صحيفة مجاهد عن كتاب القاسم، فهي وجادة صحيحة نقبلها، فقد سمع من مجاهد في الجملة ورآه ويعرفه، والحكم ليس بمختلط ولا سيئ الحفظ حتى تخلط عليه صحيفة القاسم عن مجاهد في التفسير، ولا يصح أن نصف الحكم بالتدليس في كل شيوخه، ولا حتى في مجاهد فنتوقف في عنعنته، وهذا وإن كان يصح في الحكم فلا يصح في الليث كما سيأتي في مكانه إن شاء الله. والحديث أخرجه أحمد [٢٠٦٧٣]، وابن حبان [٧٣٨] وغيرهما.

فأمَّا الذي تَقَدَّمَ ذِكْرُناه مِن ذلك، فخبرُ أُبيِّ بنِ كَعبٍ مِن رواية أَبي كُريبٍ، عن ابن فضيلٍ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، الذي ذكر فيه عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «**أُمِرتُ أنْ أقرأَ القُرآنَ على سَبْعَةِ أحرفٍ، مِن سَبْعةِ أبوابٍ منَ الجنةِ**».

والسبعةُ الأحرفُ: هُو ما قلنا مِن أنه الألسنُ السَّبعةُ. والأبوابُ السَّبعةُ منَ الجنةِ: هي المعاني التي فيها؛ منَ الأمرِ والنهي والترغيبِ والترهيبِ والقَصَصِ والمَثَلِ، التي إذا عَمِلَ بها العاملُ، وانتهى إلى حدودِها المنتهى، استوجبَ بِه الجنةَ. وليس - والحمدُ للهِ - في قولِ مَن قالَ ذلك مِن المُتقدمينَ، خلافٌ لشيءٍ مما قلناه.

والدلالةُ على صِحةِ ما قلناه - مِن أنَّ معنى قولِ النبيِّ ﷺ: «**نَزَلَ القُرآنُ على سَبْعةِ أحرفٍ**»، إنما هو أنه نزلَ بسَبْعِ لغاتٍ، كما تَقَدَّمَ ذِكْرُناه من الرواياتِ الثابتةِ عن عمَر بنِ الخطابِ، وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، وأُبيّ بنِ كعبٍ، وسائرِ مَنْ قد قَدَّمْنا الروايةَ عنه، عن النبيِّ ﷺ في أوَّلِ هذا البابِ - أنهم تَمارَوْا في القرآنِ، فخالفَ بَعْضُهم بَعْضًا في نفْسِ التلاوةِ، دونَ ما في ذلك منَ المعاني، وأنهم احتكمُوا فيه إلى النبيِّ ﷺ فاستقرأ كلَّ رجلٍ منهم، ثم صَوَّبَ جميعَهُم في قراءتِهم على اختلافِها، حتى ارتابَ بعضُهم لتصويبِهِ إياهُم، فقالَ ﷺ للذي ارتابَ منهم عندَ تصويبِهِ جميعَهم: «**إنَّ اللهَ أمرَني أنْ أقرأَ القُرآنَ على سَبْعةِ أحرفٍ**».

ومعلومٌ أنَّ تمارِيَهم فيما تَمارَوْا فيه مِن ذلكَ، لو كان تَمارِيًا واختلافًا فيما دَلَّتْ عليه تلاواتُهم من التحليلِ والتحريمِ والوعْدِ والوعيدِ وما أشبَهَ ذلكَ، لكانَ مُستحيلاً أنْ يُصوِّبَ جميعَهم ﷺ، ويأمرَ كلَّ قارئٍ منهم أنْ يَلْزمَ قراءتَه في ذلكَ على النحوِ الذي هُو عليه؛ لأنَّ ذلكَ لو جازَ أنْ يكونَ صحيحًا، وجبَ أنْ يكونَ اللهُ جلّ ثناؤه قد أمرَ بفعلِ شيءٍ بعينهِ وفَرَضَه، في تلاوةِ مَن دلّتْ تلاوتُه على فَرْضِه، ونَهَى عن فَعْلِ ذلك الشيءَ بعينِهِ وزَجَرَ عنه، في تلاوةَ الذي دَلَّتْ تِلاوتُه على النَّهْيِ والزجرِ عنه، وأباحَ وأطلَقَ فِعْلَ ذلك الشيءِ بعينِهِ، وجَعَلَ لمَنْ شاءَ مِن عبادِه أنْ يفعَله فِعْلَه، ولمَن شاءَ منهم أن يتركه تَرْكَه في تلاوةِ من دَلَّتْ تِلاوتُه على التخيير!

وذلك مِن قائلِه - إنْ قالَه - إثباتُ ما قد نَفَى اللهُ جل ثناؤه عن تَنْزيلِه وحُكْم كتابِه فقالَ: تعالى ذكره ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وفي نفْيِ اللهِ جلّ ثناؤه ذلكَ عَن حُكْمِ كتابِهِ، أوضَحُ الدليلِ علَى أنه لم يُنَزلْ كتابَهُ علَى لسانِ محمدٍ ﷺ إلا بُحكم واحدٍ متفقٍ في جميعِ خَلْقِهِ، لا بأحكامٍ فيهم مُختلفةٍ.

وفي صِحَّةِ كونِ ذلكَ كذلكَ، ما يُبطلُ دعْوَى مَن ادَّعى خلافَ قولِنا في تأويلِ قولِ النبيِّ ﷺ: «**أُنزِلَ القُرآنُ على سَبْعةِ أحرفٍ**» للذينَ تخاصَمُوا إليه عندَ اختلافِهم في قراءتِهم؛ لأنه ﷺ قد أمرَ جميعَهم بالثبوتِ على قراءتِه، ورَضِيَ قراءةَ كلِّ قارئٍ منهم - على خلافِها قراءةَ خُصُومِه ومُنازِعيه فيها - وصَوَّبها. ولو كانَ ذلكَ منه تَصْويبًا فيما اختلَفَتْ فيه المعاني، وكان قولُه ﷺ: «**أُنْزِلَ القُرآنُ على سَبْعةِ أحرفٍ**» إعلامًا منه لَهم أنه نَزَلَ بِسَبْعَةِ أوْجُهٍ مختلفةٍ، وسَبْعةِ مَعانٍ مُفترِقةٍ

- كان ذلكَ إثباتًا لَما قد نفى اللهُ عن كتابِهِ مِنَ الاختلافِ، ونفيًا لِما قد أوجبَ له مِنَ الائتلافِ. مَعَ أنَّ في قيامِ الحُجةِ بأنَّ النبيَّ ﷺ لم يَقْضِ في شيءٍ واحدٍ في وقتٍ واحدٍ بحُكمينِ مُختلفينِ، ولا أذِنَ بذلكَ لأمتِهِ - ما يُغني عن الإكثارِ في الدَّلالةِ على أنَّ ذلك مَنفيٌّ عن كتابِ اللهِ.

وفي انتفاءِ ذلكَ عَن كتابِ اللهِ، وُجُوبُ صِحَّةِ القَولِ الذي قُلناه، في معنى قولِ النبيِّ ﷺ: **«أُنزلَ القُرآنُ على سَبْعةِ أحْرفٍ»**، عندَ اختصَامِ المُختِصِمينَ إليه فيما اختلفُوا فيه من تِلاوةِ ما تلَوْه مِنَ القرآنِ، وفسادِ تأويلِ قولِ مَن خالفَ قولَنا في ذلك.

وأُخرى: أنَّ الذينَ تمارَوْا فيما تمارَوْا فيه مِن قراءتِهم فاحتكَمُوا إلى النبيِّ ﷺ، لم يكنْ مُنكَرًا عندَ أحدٍ منهم أنْ يأمرَ اللهُ عبادَه جلّ ثناؤه في كتابِه وتَنْزيلِهِ بما شاءَ، ويَنْهَى عمَّا شاءَ، ويَعِدَ فيما أحبَّ من طاعاتِه، ويُوعِدَ على مَعاصِيه، ويَحْتِمَ لنبيه ويَعِظَه فيه ويضربَ فيه لعبادِهِ الأمثالَ- فيُخاصِمَ غيرَه على إنكارِه سَماعَ ذلك مِن قارئه. بل علَى الإقرارِ بذلك كلِّه كانَ إسلامُ مَن أسلَمَ منهم. فما الوجهُ الذي أوجَبَ له إنكارَ ما أنكر، إن لم يكنْ كانَ ذلك اختلافًا منهم في الألفاظِ واللغاتِ؟

وبعد، فقد أبان صِحةَ ما قلنا الخَبرُ عن رسولِ اللهِ ﷺ نصًا. وذلك الخبرُ الذي ذكَرنا:

٤٧- **أن أبا كريب حدَّثنا قالَ**: حَدَّثنا زيدُ بنُ الحُبَابِ، عن حمادِ بنِ سَلَمَةَ، عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بَكْرةَ، عن أبيه قالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«قالَ جبريلُ: اقرإِ القُرآنَ على حَرْفٍ. قال ميكائيلُ: استزدْه. فقال: علَى حَرْفينِ. حتى بلغ ستَّة أو سبعةَ أحرفٍ، فقال: كلُّها شافٍ كافٍ، ما لم يَختمْ آيةَ عذابٍ بآية رحمةٍ، أو آيةَ رحمةٍ بآية عذابٍ، كقولك: هَلمَّ وتعالَ»**(١).

فقد أوضَحَ نصُّ هذا الخَبَرِ أنَّ اختلافَ الأحْرفِ السَّبعةِ، إنما هو اختلافُ ألفاظٍ، كقولك: (هَلُم وتعالِ) باتفاق المعاني، لا باختلاف معانٍ مُوجِبةٍ اختلافَ أحكام.

وبمثلِ الذي قُلنا في ذلكَ صَحَّتِ الأخبارُ عن جماعةٍ مِنَ السَّلَفِ والْخَلَفِ.

٤٨- **حدثني** أبو السائب سَلْمُ بن جُنادةَ السُّوَائيُّ، قال: حَدَّثنا أبو معاويةَ - وحَدَّثنا محمدُ بنُ المثنى قالَ: حَدَّثنا ابنُ أبي عَديّ، عن شُعبةَ - جميعًا عن الأعمشِ، عن شَقيقٍ قالَ: قالَ عبدُ اللهِ: إني قد سمعتُ القَرَأةَ، فوجدتُهم متقاربينَ فاقرءوا كما عُلِّمتُم، وإياكم والتنطع، فإنما هُو كقولِ أحدِكم: هَلُمّ وتعالَ(٢).

٤٩- **وحدثنا** محمدُ بنُ المثنى، قالَ: حَدَّثنا أبو دَاودَ، قال: حَدَّثنا شُعبةُ، عن أبي إسحاقَ، عَمَّن سمع ابنَ مسعودٍ يقولُ: مَن قَرَأَ مِنكم علَى حرفٍ فلا يَتَحوَّلَنَّ، ولو أعلمُ أحدًا أعلمَ مِنّي

---

(١) [ضعيف] وقد تقدم أنَّه صحيح عن ابن مسعود في رقم (٤٠).

(٢) [صحيح] رجاله كلهم ثقات، والأعمش مدلس، وقد كفانا مؤنته شعبة، وابن أبي عدي هو محمد بن إبراهيم السلمي ثقة من رجال الصحيحين، وهذا هو الصحيح موقوف، وقد تقدم أن المرفوع ضعيف وقد تقدم قبله.

بكتابِ اللهِ لأتيته [(١)].

٥٠- **وحدثنا** ابنُ المُثنى، قالَ: حَدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْديّ، قالَ: حَدَّثنا شُعبةُ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عابسٍ، عن رجلٍ من أصحابِ عبدِ اللهِ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، قالَ: مَن قرأَ القرآن علَى حرفٍ فلا يَتَحَوَّلَنَّ منه إلى غَيرهِ [(٢)].

فمعلومٌ أنَّ عبدَ اللهِ لَمْ يَعْنِ بقوله هذا: مَن قَرَأَ مَا فِي القُرآنِ مِنَ الأمرِ والنَّهْي فلا يَتَحَوَّلنّ منه إلى قِراءةِ ما فيه مِن الوعدِ والوعيدِ، ومَن قرأ ما فيه مِن الوعدِ والوعيدِ فلا يَتَحَوَّلنَّ منه إلى قراءةِ ما فيه من القَصَصِ والمَثَل. وإنما عَنى رحمةُ اللهِ عليه أنَّ مَن قرأ بحَرْفه - وحرْفُه: قراءتُه، وكذلك تقولُ العربُ لقراءةِ رجلٍ: حرفُ فلانٍ. وتقولُ للحرفِ من حروفِ الهجاءِ المقطَّعةِ: حرفٌ. كما تقولُ لقصيدةٍ من قصائدِ الشاعرِ: كلمةُ فلانٍ- فلا يَتَحَوَّلنّ عنه إلى غَيره رغبةً عنه. ومن قرأ بحرفِ أُبيٍّ، أو بحرف زيدٍ، أو بحرفِ بعضِ مَن قرأَ مِن أصحَابِ رسولِ اللهِ ﷺ ببعضِ الأحْرفِ السبعةِ - فلا يَتَحَوَّلنّ عنه إلى غَيرِه رغبةً عنه، فإنَّ الكفرَ ببعضِه كفرٌ بِجَمِيعِه، والكفرُ بحرفٍ من ذلكَ كفرٌ بِجَميعِهِ، يعني بالحرفِ ما وَصَفْنا مِن قراءة بعضِ مَن قرأ ببعضِ الأحرفِ السبعةِ.

٥١- **وقد حدثنا** يحيى بنُ داودَ الواسطيُّ، قالَ: حَدَّثنا أبو أسامةَ، عن الأعمشِ قالَ: قرأَ أنسٌ هذه الآيةَ: (إنَّ ناشئةَ الليلِ هِي أشدُّ وَطئًا وأصوَبُ قيلًا) [المزمل: ٦] فقالَ له بعضُ القومِ: يا أبا حَمزةَ، إنما هي ﴿وَأَقْوَمُ﴾ فقال: أقْوَمُ وأصْوَبُ وأهْيأ، واحدٌ [(٣)].

٥٢- **حدثني** محمدُ بنُ حُميدٍ الرازيُّ، قالَ: حَدَّثنا حَكّامٌ، عن عَنْبسةَ، عن ليثٍ، عن

---

(١) [صحيح لغيره دون قوله: (من قرأ منكم على حرف فلا يتحولنَّ)] رجاله ثقات، وأبو داود هو الطيالسي، ومن طريقه رواه المصنف، إلا أنَّ أبا إسحاق السبيعي مدلس، ولم يستطع أن يدلسه على شعبة فصرَّح بأنه لم يسمعه من ابن مسعود، ولا ندري من الذي سمعه منه، ومع هذا فقد رواه أكثر من واحد عن ابن مسعود، والأثر متفق عليه، كما عند البخاري [٥٠٠٢]، ومسلم [٢٤٦٣] وغيرهما بدون قوله: [من قرأ منكم على حرف فلا يتحولنَّ].

(٢) [ضعيف] وقد تقدم قبله، وفيه هذا الرجل المبهم عن ابن مسعود.

(٣) [ضعيف] فإن الأعمش عن أنس مرسل قال علي بن المديني: لم يسمع من أنس إنما رآه رؤية بمكة يصلي خلف المقام، فأما طرق الأعمش عن أنس فإنما يرويها عن يزيد الرقاشي عن أنس. اهـ من جامع التحصيل [٢٥٨]، ويزيد بن أبان الرقاشي ضعيف الحديث.

قال الشيخ أبو إسحاق في النافلة [١٧٥]: ثم إن معنى هذا الحديث باطل جدًا؛ لأنه يحيل لفظ القرآن. ولابن الأنباري كلام شريف جليل حول هذا الحديث، نقله عنه القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١- ٤٢) قال: (وقد ترامى ببعض هؤلاء الزائغين إلى أن قال: من قرأ بحرف يوافق معنى القرآن فهو مصيب، إذا لم يخالف معنى، ولم يأت بغير ما أراد الله وقصد له، واحتجوا بقول أنس هذا، وهو قول لا يعرج عليه، ولا يلتفت إلى قائله؛ لأنه لو قرأ بألفاظ تخالف ألفاظ القرآن، إذا قاربت معانيها، واشتملت على عامتها، لجاز أن يقرأ في موضع: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] الشكر للباري ملك المخلوقين!! ويتسع الأمر في هذا حتى يبطل لفظ جميع القرآن، ويكون التالي له مفتريًا على الله -عز وجل -، كاذبًا على رسوله ﷺ... ثم قال: والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في الضلال؛ حديث لا يصح عن أحد من أهل العلم؛ لأنه مبني على رواية الأعمش عن أنس... اهـ.

مجاهدٍ: أنه كانَ يقرأُ القُرآنَ على خمسةِ أحرُفٍ(١).

٥٣- **وحدثنا** ابنُ حميدٍ، قالَ: حَدَّثنا حَكَّامٌ، عن عَنبسةَ، عن سالمٍ: أنَّ سعيدَ بنَ جُبَيرٍ كانَ يقرأُ القُرآنَ علَى حَرْفينِ(٢).

٥٤- **وحدثنا** ابنُ حميدٍ، قالَ: حَدَّثنا جَريرٌ، عَن مُغِيرةَ قالَ: كان يزيدُ بنُ الوليدَ يقرأُ القُرآنَ على ثلاثِة أحْرفٍ(٣).

أفتَرَى الزاعمَ أنَّ تأويلَ قولِ النبيِّ ﷺ: «**أُنزلَ القُرآنُ علَى سَبْعةِ أحرفٍ**»، إنما هو أنه نَزَلَ على الأَوْجُهِ السبعةِ التي ذكْرنا، مِنَ الأمر والنَّهي والوعدِ والوعيدِ والجدلِ والقَصَصِ والمَثَلِ - كان يَرى أنَّ مجاهدًا وسعيدَ بنَ جُبَير لم يقرأا من القُرآنِ إلا ما كان من وَجْهَيْه أو وُجوهِه الخمسةِ دونَ سائرِ معانيه؟ لَئِن كانَ ظنَّ ذلك بهما، لقد ظنَّ بهما غيرَ الذي يُعرفانِ به مِن مَنازِلِهما من القُرآنِ، ومَعرِفَتِهما بآيِ الفُرقانِ!

٥٥- **وحدثني** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ عُليَّة، قالَ: حَدَّثنا أيوبُ، عن مَحمدٍ، قالَ: نُبئتُ أنَّ جِبرائيلَ وميكائيلَ أتيا النبيَّ ﷺ فقالَ له جِبرائيلُ: اقرإِ القرآنَ على حَرْفينِ. فقالَ له ميكائيلُ: استزِدْه. فقالَ: اقرإِ القرآنَ على ثلاثةِ أَحْرفٍ. فقالَ له ميكائيلُ: استزِدْه. قالَ: حَتَّى بلَغَ سبعةَ أَحْرفٍ.

قالَ مُحمدٌ: لا تختلفُ في حلالٍ ولا حرام، ولا أمْرٍ ولا نَهْي، هُو كقولِكَ: تعالَ وهَلُم وأقبِلْ. قالَ: وفي قراءتِنا: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٢٩، ٥٣]، في قراءةِ ابن مسعود: (إن كانت إلا زَقْيَة واحدة)(٤).

٥٦- **وحدثني** يعقوبُ قالَ: حَدَّثنا ابنُ عُليةَ، قالَ: حَدَّثنا شُعيبٌ - يعني ابنَ الحَبْحَابِ -

---

(١) [ضعيف] تقدم الكلام عن الرازي شيخ المصنف، وحكام، وعنبسة، ومجاهد معروف لم يسمع منه التفسير أحدٌ إلا القاسم بن أبي بزة، ثم رواه عنه الحكم - كما تقدم - وجماعة منهم الليث، فهي وجادة صحيحة، إلا أنَّ الليث ضعيف سيئ الحفظ مختلط، لا يستطيع أن يميز ما حفظه مما قرأه، ولا يستطيع أن يميز ما في صحيفة القاسم مما أدخل عليه، أو ما قد يتوهم - نتيجة لاختلاطه - أنه من صحيفة القاسم، فلا نسطيع أن نقبل وجادة الليث عن مجاهد بخلاف الحكم، وقد قبلها فضيلة الشيخ الطريفي في (أسانيد التفسير)، ولم يذكر اختلاطه، وذكر أنَّ أكثر ما يرويه الليث قد توبع عليه، ومع هذا فإني لا أعلم أحدًا تابع الليث على هذا متابعة صحيحة.

(٢) [ضعيف] فيه شيخ المصنف، وقد تقدم الكلام على ضعفه، وتقدم الكلام عن رواية حكام عن عنبسة، وسالم هو الأفطس ثقة.

(٣) [ضعيف] فيه شيخ المصنف، وقد تقدم الحديث على ضعفه، وجرير من رجال الصحيحين، ومغيرة هو ابن مقسم الضبي ثقة ثبت من رجال الصحيحين يدلس في حديث إبراهيم النخعي وحده، وسمع يزيدَ كما في العلل [٢١٨] لأحمد، وجامع التحصيل [٥٢]، ويزيد بن الوليد مجهول، ومع هذا فهو قوله، والسند إليه ضعيف، والعلم عند الله.

(٤) [ضعيف] محمد هو ابن سيرين مرسل عن النبي ﷺ، ولكن الجزء المنسوب إليه في آخر الأثر صحيح الإسناد إليه فقط، ولكنه منقطع بينه وبين ابن مسعود؛ لأنه لم يدركه، يرويه عنه أيوب السختياني ثقة ثبت من رجال الصحيحين، وعنه إسماعيل بن علية الأسدي مثله، وعنه يعقوب بن إبراهيم ثقة من رجال الصحيحين.

قالَ: كانَ أبو العاليةِ إذا قَرَأَ عندَه رجلٌ لم يَقُلْ: (ليسَ كمَا تقرأُ). وإنما يقولُ: أمَّا أنا فأقرأُ كذا وكذا. قالَ: فذكرتُ ذلكَ لإبراهيمَ النخَعيِّ، فقال: أُرَى صاحبكَ قد سَمِع: (أنَّ مَن كفَرَ بحرفٍ منه فقدْ كفرَ به كُلِّه)(١).

٥٧- حَدَّثنا يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى، قالَ: أنبأنا ابنُ وهْبٍ، قالَ: حَدَّثنا يونسُ، عن ابنِ شهابٍ، قالَ: أخبرني سعيدُ بنُ المسيّبِ: أنَّ الذي ذَكَرَ اللهُ تعالى ذِكْرُه: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ﴾ [النحل: ١٠٣] إنما افتَتَنَ أنه كانَ يكتبُ الوحيَ، فكانُ يملي عليه رسولُ الله ﷺ: سميعٌ عليمٌ، أو عزيزٌ حكيمٌ، أو غيرَ ذلكَ مِن خواتمِ الآيِ، ثم يشتغلُ عنه رسولُ الله ﷺ وهو عَلى الوَحْي، فيستفهمُ رسولَ الله ﷺ فيقولُ: أعزيزٌ حكيمٌ، أوِ سميعٌ عليمٌ، أو عزيزٌ عليمٌ؟ فيقول له رسولُ الله ﷺ: «**أيَّ ذلك كتبت فهو كذلك**». ففَتَنَه ذلك، فقال: إنَّ محمدًا وكَلَ ذلك إليّ، فأكتبُ ما شئتُ.

وهو الذي ذكر لي سعيدُ بنُ المسيبِ من الحُروفِ السّبعةِ(٢).

٥٨- حَدَّثنا ابنُ حُميدٍ، قالَ: حَدَّثنا جَريرٌ، عن مُغيرةَ، عن إبراهيمَ، عن عبدِ اللهِ، قالَ: مَن كفرَ بحرفٍ منَ القرآنِ، أو بآيةٍ منه، فقد كَفَرَ به كُلِّه(٣).

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: فإنْ قالَ لنا قائلٌ: فإذْ كانَ تأويلُ قولِ النبيِّ ﷺ: «**أُنزلَ القُرآنُ علَى سَبعةِ أَحْرفٍ**» عندَك ما وصفتَ، بما عليه استشهدتَ، فأوْجِدنا حَرْفًا في كتابِ الله مقروءًا بسبعِ لغاتٍ، فنحقق بذلكَ قولَكَ. وإلا فإنْ لم تجدْ ذلكَ كذلكَ: كانَ معلومًا بِعَدَمِكَهُ - صِحةُ قولِ مَن زعمَ أنَّ تأويلَ ذلكَ: أنه نزلَ بسبعةِ مَعانٍ، وهُو الأمرُ والنهيُ والوعدُ والوعيدُ والجدلُ والقَصَصُ والمَثَلُ- وفَسَادُ قولِكَ. أو تقولَ في ذلك: إنَّ الأحرفَ السبعةَ لغاتٌ في القرآنِ سبعٌ، متفرقةٌ في جَميعِه، من لغاتِ أحياءٍ من قبائلِ العَرَبِ مختلفةِ الألسُنِ- كمَا كانَ يقولُه بعضُ مَن لم يُنْعِم النظرَ في ذلك. فيصير بذلك إلى القولِ بما لا يَجْهلُ فسادَه ذُو عقلٍ، ولا يلتبسُ خَطؤه على ذي لُبٍّ.

وذلك أنَّ الأخبارَ التي بها احْتَجَجْتَ لِتصحيحِ مقالتِكَ في تأويلِ قولِ النبيِّ ﷺ: «**نزلَ القرآنُ على سَبعةِ أَحْرفٍ**»، وهي الأخبارُ التي رويتَها عن عُمرَ بنِ الخطابِ، وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، وأُبيّ بن كعبٍ، رحمةُ اللهِ عليهم، وعَمَّن رويتَ ذلك عنه من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ بأنهم تَمارَوْا في تِلاوةِ بعضِ القُرآنِ، فاختلفوا في قراءتِهِ دونَ تأويلِه، وأنكرَ بعضٌ قراءةَ بعضٍ، مَعَ

---

(١) [صحيح] إبراهيم هو النخعي ثقة مشهور من رجال الصحيحين، وابن الحبحاب هو شعيب الأزدي ثقة من رجال الصحيحين، وابن علية ويعقوب تقدما. وأبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي البصري ثقة من رجال الصحيحين.

(٢) [ضعيف] رجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين غير شيخ المصنف فهو من رجال مسلم فقط، وسنده متصل إلى سعيد، وهو مرسل عن النبي ﷺ.

(٣) [ضعيف] رجاله كلهم ثقات غير شيخ المصنف فهو ضعيف الحديث، وقد تقدّم الحديث عنهم، وله إسناد آخر موضوع، بمتن أطول من هذا، تقدم برقم (١٨).

دَعْوى كلِّ قارئٍ منهم قراءةً منها: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أقرأه ما قرأ بالصفةِ التي قَرَأ. ثم احتكموا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فكانَ مِن حُكمِ رسولِ اللهِ ﷺ بينهم، أنْ صوَّبَ قراءةَ كلِّ قارئٍ منهم، على خلافِها قراءةَ أصحَابِه الذين نازعُوه فيها، وأمرَ كلَّ امرئٍ منهم أن يقرأ كما عُلِّمَ، حتى خالطَ قلبَ بعضِهمُ الشكُّ في الإسلام؛ لِمَا رأى مِن تصويبِ رسولِ اللهِ ﷺ قراءةَ كلِّ قارئٍ منهم على اختلافِها. ثم جَلاهُ اللهُ عنه ببيانِ رسولِ اللهِ ﷺ له: أنَّ القُرآنَ أُنزلَ على سَبعةِ أحرفٍ.

فإنْ كانتِ الأحرفُ السبعةُ التي نزلَ بها القُرآنُ، عندَك -كما قالَ هذا القائلُ- متفرقةً في القُرآنِ، مثبتةً اليومَ في مصاحفِ أهلِ الإسلامِ، فقد بَطَلَتْ معاني الأخبارِ التي رويتَها عمَّن رويتَها عنه مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ: أنهم اختلفوا في قِراءةِ سُورةٍ مِن القُرآنِ، فاختصَمُوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأمرَ كلًّا أنْ يقرأ كما عُلِّمَ؛ لأنَّ الأحرفَ السّبعةَ إذا كانت لغاتٍ مُتفرقةً في جميعِ القُرآنِ، فغيرُ مُوجِبٍ حَرْفٌ مِن ذلك اختلافًا بين تَاليه؛ لأن كُلَّ تالٍ فإنما يتلو ذلك الحَرْفَ تلاوةً واحِدةً على ما هُو به في المُصحَفِ، وعلى ما أُنزل.

وإذْ كانَ ذلكَ كذلكَ، بَطَلَ وَجْهُ اختلافِ الذين رُوِيَ عنهم أنهم اختلَفوا في قراءةِ سُورةٍ، وفَسَدَ معنى أمْرِ النبيِّ ﷺ كلَّ قارئٍ منهم أنْ يقرأَه على ما عُلِّمَ. إذْ كان لا معنى هنالِكَ يُوجبُ اختلافًا في لفظٍ، ولا افتراقًا في مَعْنًى. وكيفَ يَجوزُ أنْ يكونَ هنالِكَ اختلافٌ بينَ القوم، والمُعلِّمُ واحِدٌ، والعلمُ واحدٌ غيرُ ذي أَوْجهٍ؟! وفي صِحةِ الخبرِ عن الذين رُوي عنهمُ الاختلافَ في حُروفِ القُرآنِ على عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ - بأنهم اختلَفوا وتحاكَموا إلى رَسولِ اللهِ ﷺ في ذلِكَ، على ما تقدَّمَ وَصْفُنَاهُ - أبيَنُ الدَّلالةِ على فَسادِ القولِ بأنَّ الأحرُفَ السبعةَ إنما هِي أحرفٌ سَبعةٌ مُتفرقةٌ في سُورِ القُرآنِ، لا أنها لغاتٌ مُختلفةٌ في كَلمةٍ واحِدةٍ باتفاقِ المَعاني.

مَعَ أنَّ المُتدبرَ إذا تدبرَ قولَ هذا القائلِ - في تَأويلِه قولَ النبيِّ ﷺ: «**أُنزلَ القُرآنُ على سَبعةِ أحرفٍ**»، وادِّعائه أنَّ معنى ذلك أنها سبعُ لغاتٍ مُتفرقةٍ في جَميعِ القُرآنِ، ثم جَمعَ بين قِيلِه ذلك، واعتلالِه لِقِيلِه ذلك بالأخبارِ التي رُوِيَت عمَّن رُوِيَ ذلك عنه من الصّحابةِ والتابعينَ أنه قالَ: هُو بِمَنزلةِ قولِكَ: تعالَ وهَلُم وأقبلْ؛ وأنَّ بعضَهم قالَ: هُو بِمَنزلةِ قراءةِ عبدِ الله: (إلا زقيةً)، وهي في قراءتنا: (إلا صَيْحَة) وما أشبه ذلك من حُجَجِهِ - عَلِمَ أنَّ حُجَجَهُ مفسِدةٌ في ذلك مقالتَه، وأنّ مقالتَه فيه مُضادةٌ حُجَجَه؛ لأنَّ الذي نزلَ به القُرآنُ عندَه إحدى القراءتَينِ -: إما (صيحة)، وإما (زَقية) وإما (تعالَ) أو (أقبِلْ) أو (هَلُم) - لا جميعَ ذلك؛ لأن كلَّ لغةٍ منَ اللغاتِ السَّبعِ عندَه في كلمةٍ أو حرفٍ من القُرآنِ، غيرُ الكلمةِ أو الحرفِ الذي فيه اللغةُ الأُخرى.

وإذْ كانَ ذلكَ كذلكَ، بَطَلَ اعتلالُه لِقولِهِ بقولِ مَن قالَ: ذلكَ بمنزلةِ (هَلُم) و(تعالَ) و(أقبِلْ)؛ لأنَّ هذه الكلماتِ هي ألفاظٌ مختلفةٌ، يَجْمَعُها في التأويلِ مَعنًى واحِدٌ. وقد أبطلَ قائلُ هذا القولِ الذي حَكَيْنا قولَه، اجتماعَ اللغاتِ السَّبعِ في حرفٍ واحدٍ من القُرآنِ. فقد تَبَيَّنَ بذلك إفسادُ حُجَّتِه

لِقولِهِ بقولِه، وإفسادُه قولَه بِحجَّتِه.

فقيل له: ليسَ القولُ في ذلكَ بواحدٍ من الوجهينِ اللذينِ وصفتَ. بل الأحرفُ السبعةُ التي أنزلَ اللهُ بها القُرآنَ، هنَّ لغاتٌ سَبعٌ، في حرفٍ واحدٍ، وكلمةٍ واحدةٍ، باختلافِ الألفاظِ واتّفاقِ المَعاني، كَقولِ القائلِ: هَلُم، وتعالَ، وأقبِلْ، وإليَّ، وقَصْدي، ونَحْوي، وقُرْبي، ونحوِ ذلك، مما تَختلفُ فيه الألفاظُ بضروبٍ منَ المنطقِ وتَتفقُ فيه المَعاني، وإن اخْتلفَتْ بالبيانِ به الألسُنُ، كالذي رَوَينا آنفًا عن رسولِ اللهِ ﷺ، وعَمَّن رَوَينا ذلك عنه مِن الصّحابَةِ أنَّ ذلك بمنزلَةِ قَولِه: (هَلُمَّ وتعالَ وأقبِلْ)، وقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً﴾، و(إلا زَقيةً).

فإن قال: ففي أيِّ كتابِ اللهِ نَجدُ حَرفًا واحِدًا مَقروءًا بلغات سبعٍ مُختلفات الألفاظِ، مُتفقاتِ المَعنى، فنسلِّمُ لك صحةَ ما ادّعيتَ منِ التأويلِ في ذلك؟

قيل: إنَّا لم نَدَّعِ أنَّ ذلك موجودٌ اليومَ، وإنما أَخبَرْنا أنَّ مَعنى قولِ النبيِّ ﷺ: «**أُنزلَ القُرآنُ على سَبعةِ أحرفٍ**»، على نحوِ ما جاءت به الأخبارُ التي تقدَّمَ ذِكْرُناها. وهو ما وَصَفْنا، دونَ ما ادعاه مُخالِفونا في ذلك؛ لِلْعِلَلِ التي قد بَيَّنا.

فإن قال: فَما بالُ الأحرُفِ الأُخَرِ السّتةِ غيرُ مَوجودةٍ، إنْ كانَ الأمرُ في ذلك علَى ما وَصَفْتَ، وقد أقرأَهُنَّ رسولُ اللهِ ﷺ أصحَابَهُ، وأمرَ بالقراءةِ بهنَّ، وأنزلَهنَّ اللهُ من عِندِه على نبيِّهِ ﷺ؟ أنُسِخَتْ فرُفِعَتْ، فما الدَّلالةُ على نَسْخِها ورَفْعِها؟ أم نَسِيتهنَّ الأمةُ، فذلك تَضْييعُ ما قد أُمِروا بحفظِهِ؟ أم ما القصَّةُ في ذلك؟

قيل له: لم تُنسخْ فَتُرْفَعْ، ولا ضَيَّعَتْها الأمةُ وهِي مأمورةٌ بحفظِها. ولكنَّ الأمةَ أُمِرتْ بحفظِ القُرآنِ، وخُيِّرت في قِراءتِه وحِفظِه بأيِّ تلك الأحرفِ السّبعةِ شاءتْ. كما أُمِرتْ، إذا هي حَنثتْ في يمينٍ وهي مُوسرةٌ، أنْ تكفر بأيِّ الكفاراتِ الثّلاثِ شاءتْ: إما بعتقٍ، أو إطعامٍ، أو كِسوةٍ. فلو أجمعَ جَميعُها على التكفيرِ فيها بواحِدةٍ منَ الكفاراتِ الثّلاثِ، دونَ حَظْرِها التّكفيرَ فيها بأيِّ الثلاثِ شاءَ المكفِّرُ، كانت مُصيبةً حُكْمَ اللهِ، مُؤديةً في ذلك الواجبَ عليها من حقِّ اللهِ. فكذلك الأمةُ، أُمِرت بحفظِ القُرآنِ وقراءتِهِ، وخُيِّرت في قراءتِهِ بأيِّ الأحرفِ السّبعةِ شاءت: فرأَتْ - لِعلّةٍ من العِللِ أوجبتْ عليها الثباتَ على حرفٍ واحدٍ- قراءتَهُ بحرفٍ واحدٍ، ورفْضَ القراءةِ بالأحرفِ السّتةِ الباقيةِ، ولم تَحْظُرْ قراءتَه بجميعِ حُروفِه على قارئِه، بما أُذِنَ له في قراءتِه به.

فإن قال: وما العِلةُ التي أوجبَتْ عليها الثباتَ على حَرفٍ واحِدٍ دونَ سائرِ الأحرفِ السّتةِ الباقيةِ؟

٥٩- **قيل**: **حدّثنا** أحمدُ بنُ عَبْدةَ الضَّبيُّ، قالَ: حَدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ مُحمدٍ الدَّرَاوَرْديُّ، عن عُمارةَ بنِ غزيَّةَ، عن ابنِ شهابٍ، عن خَارجةَ بنِ زيدِ بنِ ثابتٍ، عن أبيه زيدٍ، قالَ: لما قُتلَ أصحابُ رَسولِ اللهِ ﷺ باليمَامةِ، دخلَ عُمرُ بنُ الخطابِ على أبي بَكْرٍ فقالَ: إنَّ أصحابَ

رسولِ اللهِ ﷺ باليمامة تهافتوا تَهافتَ الفَراشِ في النارِ، وإني أخشَى أنْ لا يشهدوا مَوْطنًا إلا فعلُوا ذلك حتى يُقتَلُوا - وهمْ حَمَلةُ القُرآنِ- فَيضيعَ القُرآنُ ويُنسَى. فلو جَمَعْتَه وكَتَبْتَه. فنفرَ منها أبو بكرٍ وقالَ: أفعلُ ما لم يفعلْ رسولُ الله ﷺ؟! فتراجَعا في ذلك. ثُم أرسلَ أبو بكرٍ إلى زيدِ بنِ ثابتٍ، قالَ زيدٌ: فدخلتُ عليه وعُمرُ مُحْزَئِلٌ، فقال أبو بَكرٍ: إنَّ هذا قد دَعاني إلى أمْرٍ فأبيتُ عليه، وأنت كاتبُ الوَحْي. فإنْ تكن معه اتبعتُكما، وإن توافِقْني لا أفعلُ. قال: فاقتصَّ أبو بَكرٍ قولَ عُمَرَ، وعُمَرُ ساكتٌ، فنفَرْتُ مِن ذلك وقلتُ: نفعلُ ما لم يفعلْ رسولُ الله ﷺ؟! إلى أن قال عُمرُ كلمةً: (وما عليكُما لو فعلتُما ذلك؟) قال: فذهَبْنا ننظرُ، فقلْنا: لا شيءَ واللهِ! ما علينا في ذلك شيءٌ! قالَ زَيدٌ: فأمرَني أبو بَكرٍ فكتبتُه في قِطَعِ الأُدُمِ وكِسَرِ الأكتافِ والعُسُب.

فلما هَلكَ أبو بَكرٍ وكانَ عُمرُ، كتبَ ذلك في صحيفةٍ واحدةٍ، فكانت عندَه. فلمَّا هلكَ، كانتِ الصّحيفةُ عندَ حَفْصَةَ زَوْجِ النبيِّ ﷺ.

ثُم إنَّ حُذيفةَ بنَ اليمَانِ قدِمَ من غزوةٍ كان غزاها في فَرجِ إرْمينِيَةَ فلم يدخُلْ بيتَه حتى أتى عثمانَ بنَ عفانَ فقالَ: يا أميرَ المُؤمنينَ: أدرِكِ الناسَ! فقالَ عثمانُ: وما ذاكَ؟

قالَ: غزوت فَرْجَ إرمينيةَ، فحضَرها أهلُ العراقِ وأهلُ الشام، فإذا أهلُ الشام يقرءُون بقراءةِ أُبيّ بنِ كعبٍ، فيأتون بما لم يسمَعْ أهلُ العراقِ، فَيُكفِّرهم أهلُ العِراقِ. وإذا أهلُ العراق يقرءُونَ بقراءةِ ابنِ مسعودٍ، فيأتونَ بما لم يَسْمَعْ أهلُ الشامِ، فَيُكفِّرُهم أهلُ الشام.

قالَ زيدٌ: فأمرَني عثمانُ بنُ عفانَ أكْتبُ له مُصحفًا، وقالَ: إنِّي مُدخِلٌ معكَ رجلاً لبيبًا فصيحًا، فما اجتمعتُما عليه فاكتباه، وما اختلفتُما فيه فارفعاه إليَّ. فجعلَ أبانَ بنَ سعيدِ بنِ العاصِ، قال: فلمَّا بلغا: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨] قال زيد: فقلتُ: (التابوه) وقال أبانُ بنُ سَعيدٍ: (التابوت)، فرفَعْنا ذلك إلى عثمانَ فكتَبَ: (التابوت) قالَ: فلمَّا فرغتُ عرضْتُه عَرْضةً، فلم أجِدْ فيه هَذه الآيَةَ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] قالَ: فاستعرضتُ المُهاجِرينَ أسألُهم عنها، فلم أجدْها عندَ أحدٍ منهم، ثم استعرضتُ الأنصارَ أسألُهم عنها، فلم أجِدْها عند أحدٍ منهم، حتى وجدتُها عندَ خُزيمةَ بنَ ثابتٍ، فكتبتُها، ثم عرَضْتُه عَرضَةً أُخرى، فلم أجِدْ فيه هاتينِ الآيتينِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ إلى آخر السورةِ [التوبة: ١٢٨-١٢٩]، فاستعرضْتُ المُهاجرينَ، فلم أجِدْها عِندَ أحدٍ منهم، ثم استعرضْتُ الأنصَارَ أسألُهم عنها فلم أجِدْها عِندَ أحدٍ منهم، حتى وجدتُها مع رَجلٍ آخرَ يُدعَى خُزيمةَ أيضًا، فأثبتُها في آخرِ (براءة)، ولو تمَّتْ ثلاثَ آيات لجعلتُها سورةً على حِدَةٍ. ثم عرضْتُه عَرْضةً أُخرى، فلم أجِد فيه شيئًا، ثم أرسلَ عُثمانَ إلى حَفصة يسألُها أنْ تعطيَه الصّحيفةَ، وحلَفَ لها لَيرُدَّنَّها إليها فأعطَتْه إياها، فعرضَ المُصحفَ عليها، فلم يختلفا في شيءٍ. فردَّها إليها، وطابَتْ نفسُه، وأمرَ الناسَ أن يَكتُبوا مَصاحفَ. فلما ماتَتْ حَفصةُ أرسلَ إلى عبدِ اللهِ بن عُمرَ

في الصّحيفةِ بعزمةٍ، فأعطاهُم إياها فغُسلَتْ غسلاً [١].

٦٠- وحدثني به أيضًا يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى، قالَ: حَدَّثنا نعيمُ بنُ حمادٍ قالَ: حَدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ، عن عُمارةَ بن غَزِيةَ، عن ابنِ شهابٍ، عن خارجةَ بنِ زيدٍ، عن أبيه زيدِ بنِ ثابتٍ بنحوه سواء [٢].

٦١- وحدثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قال: حَدَّثنا ابنُ عُلَيَة، قالَ: حَدَّثنا أيوبُ، عن أبي قِلابةَ قالَ: لمَّا كان في خلافةِ عُثمانَ، جَعلَ المُعلِّمُ يُعَلِّمُ قراءةَ الرجلِ، والمُعلمُ يُعلِّمُ قِراءةَ الرجلِ، فجعَلَ الغِلمانُ يلتقونَ فيختلفونَ، حتى ارتفعَ ذلك إلى المُعلمينَ - قالَ أيوبُ: فلا أعلمُه إلا قالَ-: حتى كَفَرَ بعضُهم بقراءة بعضٍ. فبلَغ ذلك عُثمانَ، فقامَ خطيبًا فقالَ: (أنتم عندي تَختلفونَ فيه وتَلحَنونَ، فمَن نأى عني من أهِل الأمصارِ أشَدُّ فيه اختلافًا وأشدُّ لحنًا. اجتمِعُوا يا أصحابَ مُحمدٍ، فاكتبوا للناسِ إمامًا). قال أبو قِلابةَ: فحدَّثني مالكُ أبو أنسٍ [٣] قال: كنتُ فيمن يُمْلَى عليهم، قالَ: فرُبَّما اختلَفُوا في الآيةِ فَيَذكرونَ الرجلَ قد تلقَّاها من رسولِ اللهِ ﷺ، ولعلَّهُ أنْ يكونَ غائبًا أو في بعضِ البوادي، فيكتبونَ ما قبلَها وما بعدَها، ويَدَعُون موضِعَها، حتى يجيءَ أو يُرْسَلَ إليه. فلما فرغَ من المُصحفِ، كَتَبَ عُثمانُ إلى أهلِ الأمصارِ: (إني قد صَنعتُ كذا وكذا، ومَحوتُ ما عندي، فامحُوا ما عندَكم) [٤].

٦٢- حدثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى، قالَ: حَدَّثنا ابنُ وهبٍ، قالَ: أخبرَني يونسُ قالَ: قالَ

---

(١) [صحيح لغيره] رجاله كلهم ثقات تقدم الحديث عنهم، وعمارة بن غزية حسن الحديث، ولم يضعفه غير ابن حزم، وذكره العقيلي في الضعفاء، ولم يورد له شيئًا يدل على وهنه، وهذا كله لا شيء مع توثيق العلماء له وخاصة ابن معين، وأحمد، وأبو زرعة، وأبو حاتم والنسائي. والدراوردي صدوق في حفظه شيء، والضبي شيخ المصنف ثقة كذلك، فالسند متصل، وقد أخرجه الطحاوي كذلك في المشكل [٢٦٤٥] قال: حدثنا يونس قال: حدثنا نعيم بن حماد قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد... فذكره. كما هو عند المصنف، وقد ثبت متن هذا الأثر في الصحيح وكتب السنن متفرقًا، ليس مجموعًا هكذا بين قصة أبي بكر وعمر، وقصة حذيفة مع عثمان، وقصة زيد وفقده لآية الأحزاب، فجاءت كلُّ واحدةٍ منها على حدة؛ ولذلك أنكر البعض على عمارة جمعه ذلك في أثر واحد، ولعله اجتمع له هذه المتون بإسناد واحد عن الزهري فجمعها بإسناد واحد دون تفرقة، كما فعل البخاري رحمه الله في حديث: «إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماءً ثم لينتثر، ومن استجمر فليوتر، وإذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها...» فهما حديثان عند كل المصنفين، منهم مالك الذي روى من طريقه البخاري ومسلم. والعلم عند الله سبحانه وتعالى.

(٢) [صحيح لغيره] تقدم قبله، وهنا يتابع المصنف الطحاوي في نفس طريقه، وانظر سند الطحاوي في التخريج قبله.

(٣) يعني جد الإمام مالك صاحب المذهب المعروف، وهو الواسطة بين أبي قلابة وعثمان.

(٤) [صحيح] وقد تقدم الحديث عن رجاله وأنهم رجال الصحيح، فأبو قلابة هو عبد الله بن زيد بن عامر، وأيوب هو السختياني، وابن علية هو إسماعيل، ولكنَّ أبا قلابة يرسل عن كثير من الصحابة ولا أعلم له سماعًا من عثمان، وقد ذكر فيه سماعه من جد مالك صاحب الموطأ، مالك بن أنس، وأنه كان ممن يُملى عليه. وهو عن عثمان على شرط مسلم والعلم عند الله.

ابنُ شهابٍ : أخبرَني أنسُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ : أنه اجتمعَ لِغزوةِ أَذْرَبِيجانَ وإرمينيةَ أهلُ الشامِ وأهلُ العِراقِ، فتذاكرُوا القُرآنَ ، فاختلَفوا فيه حتى كاد يكونُ بينهم فِتنةٌ . فركِبَ حُذيفةُ بنُ اليَمانِ - لمَّا رأى اختلافَهم في القُرآنِ - إلى عُثمانَ ، فقالَ : (إنّ الناسَ قد اختلَفوا في القُرآنِ ، حتى إني واللهِ لأخشَى أنْ يَصيبَهم مثلُ ما أصابَ اليهودَ والنصارى منَ الاختلافِ!!) . قالَ : ففزِعَ لذلك فَزَعًا شديدًا ، فأَرسلَ إلى حَفصةَ فاستخرجَ الصُّحفَ التي كان أبو بكرٍ أمرَ زيدًا بجمعِها ، فنسَخَ منها مَصاحِفَ ، فبعثَ بها إلى الآفاقِ (١) .

٦٣- حدَّثني سعيدُ بنُ الربيعِ ، قالَ : حَدَّثنا سُفيانُ بنُ عُيينةَ ، عن الزُّهريِّ ، قالَ : قُبِضَ النبيُّ ﷺ ولم يكُن القُرآنُ جُمِعَ ، وإنما كان في الكَرانيفِ والعُسُب والسَّعَف (٢) .

٦٤- حدَّثنا سَعيدُ بنُ الرّبيعِ قالَ : حَدَّثنا سُفيانُ ، عن مُجالدٍ ، عن الشَّعبيِّ ، عن صَعْصَعَةَ أنَّ أبا بكرٍ أوَّلُ مَن وَرَّثَ الكَلالةَ وجَمعَ المُصحفَ (٣) .

وما أشبهَ ذلك منَ الأخبارِ التي يطولُ باستيعابِ جَميعِها الكتابُ ، والآثارِ الدالةِ على أنَّ إمامَ المُسلمينَ وأميرَ المُؤمنينَ عُثمانَ بن عَفانَ رحمةُ اللهِ عليه ، جمعَ المُسلمينَ - نظرًا منه لهم ، وإشفاقًا منه عليهم ، ورأفةً منه بهم ، حِذارَ الرِّدّةِ من بعضِهم بعدَ الإسلامِ ، والدُّخولِ في الكُفرِ بعدَ الإيمانِ ، إذْ ظهرَ من بعضِهم بمحضَرِه وفي عصرِه التكذيبُ ببعضِ الأحرفِ السَّبعةِ التي نزلَ عليها القُرآنُ ، مع سَماعِ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ من رَسولِ اللهِ ﷺ النهيَ عن التكذيبِ بشيءٍ منها ، وإخبارِه إياهم أنَّ المِراءَ فيها كفرٌ - فحمَلَهم رحمةُ اللهِ عليه ، إذْ رأى ذلك ظاهرًا بينهم في عصْرِه ، ولحَداثَةِ عهدِهم بنزولِ القُرآنِ ، وفِراقِ رسولِ اللهِ ﷺ إياهم بما أمِنَ عليهم معه عَظيمَ البلاءِ في الدينِ ؛ من تِلاوةِ القُرآنِ على حَرفٍ واحِدٍ ، وجمَعَهم على مُصحفٍ واحِدٍ ، وخَرَّق ما عدا المُصحفَ الذي جمَعَهم عليه . وعزَمَ على كُلِّ مَن كان عندَه مُصحفٌ مُخالفٌ المُصحفَ الذي جَمَعَهم عليه أن يُخَرِّقه . فاستوسقَتْ له الأمةُ على ذلك بالطاعَةِ ، ورأَتْ أنَّ فيما فعَلَ من ذلك الرُّشْدَ والهِدايةَ ، فتركَتِ القِراءة بالأحرفِ السّتةِ التي عَزَمَ عليها إمامُها العادلُ في تركِها ، طاعةً منها له ، ونظرًا منها لأنفسِها ولِمن بعدَها من سائرِ أهلِ مِلّتِها ، حتى دَرَسَتْ من الأمةِ معرفتُها ، وتعفَّتْ آثارُها ، فلا سَبيلَ اليومَ لأحدٍ إلى القِراءةِ بها ، لدثورِها وعُفُوِّ آثارِها ، وتتابعِ المُسلمينَ على رفضِ القِراءةِ بها ، من غيرِ جُحودٍ منها صِحتَها وصِحةَ شيءٍ منها ، ولكن نظرًا منها لأنفسِها ولسائرِ أهلِ دينِها . فلا قِراءةَ للمُسلمينَ اليومَ إلا بالحرفِ الواحدِ الذي اختارَه لهم

(١) [صحيح] رجال المصنف رجال الصحيح تقدم الحديث عن أغلبهم ، وسنده متصل .

(٢) [حسن] إلى الزهري ، مرسل عن النبي ﷺ ، رجاله كلهم ثقات من رجال الصحيح ، وشيخ المصنف ، قال عنه أبو حاتم : صدوق .

(٣) [ضعيف] صعصعة بن صوحان العبدي وثقه النسائي وغيره ، وهو وإن كان لا يعلم له سماعًا من أبي بكر ، إلا أنه هنا لا يروي عنه ، بل يروي قصته فقط ، ومع هذا فالسند ضعيف إليه من أجل مجالد بن سعيد الهمداني ، ضعيف الحديث . والله تعالى أعلم .

إمامُهم الشفيقُ الناصحُ، دونَ ما عداه منَ الأحرفِ الستةِ الباقيةِ.

فإن قال بعضُ مَن ضَعُفَتْ معرفتُه: وكيفَ جَازَ لهم تَرْكُ قِراءةٍ أقرأَهُموها رسولُ الله ﷺ، وأمرَهم بقراءتِها؟ قيل: إن أمْرَه إياهم بذلك لم يكُن أمْرَ إيجابٍ وفَرضٍ، وإنما كان أمرَ إباحةٍ ورُخصةٍ؛ لأنَّ القِراءةَ بها لو كانت فَرْضًا عليهم، لَوجبَ أنْ يكونَ العِلمُ بكلِّ حرفٍ من تلك الأحرفِ السّبعةِ، عندَ مَن يقومُ بنقلِه الحُجةُ، وَيقطعُ خبرُهُ العُذرَ، ويُزيلُ الشَّكَّ مِن قَرَأةِ الأمةِ. وفي تركِهم نَقْلَ ذلك كذلك أوضَحُ الدليلِ على أنهم كانوا في القراءةِ بها مُخيَّرِينَ، بعدَ أنْ يكونَ في نَقَلَةِ القرآنِ منَ الأمةِ مَن تَجبُ بنقله الحُجةُ ببعضِ تلك الأحرفِ السّبعةِ. وإذْ كانَ ذلك كذلك، لم يكُن القَومُ بتركِهم نَقْلَ جميعِ القِراءاتِ السَّبعِ، تاركينَ ما كان عليهم نقله، بل كان الواجبُ عليهم من الفعلِ ما فعلُوا. إذْ كانَ الذي فعلُوا من ذلك، كان هو النَّظرَ للإسلام وأَهلِه. فكان القِيامُ بفعلِ الواجِبِ عليهم، بهم أَوْلى مِن فِعْلِ ما لو فعلُوه، كانوا إلى الجِنايةِ على الإسلامِ وأَهلِه أقربَ مِنهم إلى السلامةِ، من ذلك. فأمَّا مَا كانَ من اختلافِ القِراءةِ في رَفْعِ حرفٍ وجرِّه ونَصْبِه، وتسكينِ حرفٍ وتحريكِه، ونَقْلِ حرفٍ إلى آخرَ مع اتّفاقِ الصورةِ، فمِن معنى قولِ النبيِّ ﷺ: **«أُمِرتُ أنْ أقرأَ القُرآنَ على سَبعةِ أحرفٍ»** - بمعزِلٍ؛ لأنه معلومٌ أنه لا حرفَ من حُروفِ القُرآنِ مما اختلَفت القِراءةُ في قراءتِه بهذا المعنى - يوجبُ المِراء به كُفْرَ المماري به في قول أحدٍ من علماءِ الأمةِ. وقد أوجبَ ﷺ بالمراءِ فيه الكفرَ، من الوجْهِ الذي تنازعَ فيه المُتنازعونَ إليه، وتظاهرَتْ عنه بذلك الرِّوايةُ على ما قد قَدّمنا ذكرَها في أولِ هذا البابِ.

فإن قال لنا قائلٌ: فهل لكَ من علم بالألسُنِ السّبعةِ التي نزلَ بها القُرآنُ؟ وأيُّ الألسُنِ هي مِن ألسُنِ العربِ؟ قلنا: أما الألسُنُ الستةُ التي قد نزلَت القِراءةُ بها، فلا حاجةَ بنا إلى معرفتِها؛ لأنا لو عرفناها لم نقرأ اليومَ بها معَ الأسباب التي قدمنا ذكْرَها. وقد قيلَ: إنَّ خمسةً منها لعَجُزِ هوَازن، واثنين منها لقريش وخُزاعةَ. رُوي جَميعُ ذلك عن ابنِ عباسٍ، وليستِ الرواية به عنه من روايةِ مَن يُجوِّزُ الاحتجاجَ بنقلِه. وذلك أن الذي رَوَى عنه: (أنَّ خمسةً منها من لسانِ العَجُزِ من هَوازنَ)، الكلبيُّ عن أبي صالحٍ، وأنّ الذي رَوَى عنه: (أنَّ اللِّسانَينِ الآخَرينِ لسانُ قريشٍ وخُزاعة)، قَتادةُ، وقَتادةُ لم يلقَه ولَم يَسْمَعْ منه.

٦٥- **حدثني** بذلك بعضُ أصحابِنا، قالَ: حَدَّثنا صالحُ بنُ نصر الخُزاعِيُّ، قالَ: حَدَّثنا الهيثمُ بن عَديٍّ، عن سَعيدِ بنِ أبي عَروبةَ، عن قَتادةَ، عن ابنِ عباسٍ قالَ: نزلَ القُرآنُ بلسان قريشٍ ولسانِ خُزاعةَ، وذلك أنَّ الدارَ واحدةٌ[1].

---

(١) [ضعيف] قتادة لم يصرح عن ابن عباس، وهو لم يسمع منه، وحتى إن كان سمع منه - وهو ليس كذلك - فقد جاء في الفضائل لأبي عبيد: وكذلك يحدثون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عمن سمع من ابن عباس. اهـ وسعيد اختلط، ولا أعلم هل سمع الهيثم منه قبل أو بعد، ومع هذا فالهيثم متروك الحديث، وصالح وثقه المصنف، ولا أدري حال بعض أصحاب المصنف الذين روى ذلك عنهم. والعلم عند الله.

٦٦- **وحدثني** بعضُ أصحابِنا، قالَ: حَدَّثنا صالحُ بنُ نصرٍ، قالَ: حَدَّثنا شُعبةُ، عن قَتادةَ، عن أبي الأسودِ الدُّؤَليِّ، قالَ: نزلَ القُرآنُ بلسانِ الكَعبينِ: كعبِ بنِ عمرٍو وكعبِ بنِ لُؤَيّ. فقالَ خالدُ بنُ سلمةَ لِسعد بن إبراهيمَ: ألاَ تعجبُ مِن هذا الأعمى؟! يَزعُم أنَّ القُرآنَ نزلَ بلسانِ الكَعبينِ؛ وإنما نَزَل بلسانِ قُريشٍ![(١)].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والعَجُزُ من هَوازنَ: سعدُ بنُ بكرٍ، وجُشَمُ بنُ بكر، ونصرُ بن مُعاويةَ، وثَقيفٌ. وأمَّا مَعنى قولِ النبيِّ ﷺ، إذْ ذكرَ نُزولَ القُرآنِ على سَبعةِ أحرفٍ: «**إن كُلَّها شافٍ كافٍ**» فإنه كما قالَ جلَّ ثناؤه في وصفِهِ القُرآنَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، جعلَه اللهُ للمُؤمنينَ شفاءً، يَستشفون بمواعِظِه من الأدواءِ العارضةِ لصُدورِهم من وَساوِسِ الشَّيطانِ وَخطراتِهِ، فيَكفيهم ويُغنيهم عن كُلِّ ما عداه من المَواعِظِ ببيانِ آياتهِ.

القولُ في البيانِ عن معنى قولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «أُنزلَ القُرآنُ من سَبعةِ أبوابِ الجنةِ»، وذكرُ الأخبارِ المرويةِ بذلك

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اختلَفَتِ النَّقَلَةُ في ألفاظِ الخبرِ بذلك عن رسولِ اللهِ ﷺ: فَرُوِيَ عن ابنِ مَسعودٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: كانَ الكِتابُ الأولُ نزلَ مِن بابٍ واحِدٍ وعلَى حرفٍ واحِدٍ، ونزلَ القُرآنُ مِن سَبعةِ أبوابٍ وعلَى سَبعة أحرفٍ: زاجرٌ وآمرٌ وحلالٌ وحرامٌ، ومُحكمٌ ومتشابهٌ، وأمثالٌ، فأحِلُّوا حلاله وحَرِّموا حرامَه، وافعلوا ما أُمِرتم به، وانتهوا عما نُهِيتم عنه، واعتبِرُوا بأمثالِهِ، واعملوا بمُحكَمِه، وآمِنوا بمتشابهِهِ، وقولوا: آمنَّا به كُلٌّ مِن عِندِ ربِّنا.

٦٧- **حدثني** بذلك يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى، قالَ: أخبرنا ابنُ وهبٍ، قالَ: أخبرَني حَيوَةُ بنُ شريحٍ، عن عُقيلِ بنِ خالدٍ، عن سَلَمةَ بنِ أبي سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، عن أبيه، عن ابنِ مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ[(٢)].

ورُوِي عن أبي قِلابةَ عن النبيِّ ﷺ مُرْسَلاً غيرُ ذلك:

٦٨- **حدثنا** مُحمدُ بنُ بشارٍ، قالَ: حَدَّثنا عبادُ بنُ زكريا، عن عوفٍ، عن أبي قِلابةَ، قالَ: بلغَني أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**أُنزلَ القُرآنُ على سَبعةِ أحرفٍ: أمرٍ، وزجرٍ، وترغيبٍ، وترهيبٍ وجَدَلٍ، وقَصَصٍ، ومَثَلٍ**»[(٣)].

---

(١) [ضعيف] أبو الأسود ثقة من رجال الصحيحين، ولا أعلم لقتادة سماعًا أو رواية عنه، ولكنه هنا يرويه عنه شعبة، وقد كفانا مؤنة تدليسه، وقد ولد قتادة قبل وفاة أبي الأسود بثماني سنين، فيحتمل أنه سمع منه في آخره، وما فاته منه سمعه من ابنه عنه، ويحتمل أنه سمعه من ابنه واختصره بعض الرواة، وهذا كله إذا صحَّ السند لشعبة، ففيه بعض أصحاب المصنف الذين لا نعرفهم، وصالح وثقه المصنف.

(٢) [منكر] والمحفوظ أنه قول ابن مسعود، وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٤١)، والنافلة (١/ ٣٠/ ٧٠).

(٣) [ضعيف] عباد بن زكريا مجهول، والأثر مع هذا مرسل، من بلاغات أبي قلابة.

ورُوِيَ عن أُبيٍّ، عن رسولِ اللهِ ﷺ في ذلك:

٦٩- **ما حدثني به** أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا مُحمدُ بنُ فضيلٍ، عن إسماعيلَ بن أبي خالدٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ عيسى بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ليلى، عن أبيه، عن جدِّه، عن أُبيّ بن كعبٍ، قالَ: قالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ أمرني أنْ أقرأَ القُرآنَ على حَرفٍ واحِدٍ، فقلتُ: ربِّ خفِّفْ عن أمَّتي. قال: اقرأهُ على حَرفينِ. فقلتُ: ربِّ خفِّفْ عن أمتي. فأمَرني أنْ أقرأه على سَبعةِ أحرفٍ من سَبْعةِ أبوابٍ منَ الجنةِ، كلُّها شافٍ كافٍ**»(١).

وروي عن ابنِ مَسعودٍ من قِيلِه خلافُ ذلك كُلِّه:

٧٠- **وهو ما حدثنا به** أبو كُريبٍ، قال: حَدَّثنا المُحاربيُّ، عن الأحوصِ بن حكيم، عن ضَمْرةَ بنِ حبيبٍ، عن القاسمِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ، قالَ: إنَّ اللهَ أنزلَ القُرآنَ على خَمسةِ أحرفٍ: حَلالٍ وحرامٍ، ومُحكمٍ ومُتشابهٍ، وأمثالٍ. فأحِلَّ الحلالَ، وحَرِّمِ الحرامَ، واعملْ بالمُحكمِ، وآمِنْ بالمُتشابِهِ، واعتبِرْ بالأمثالِ(٢).

وكلُّ هذه الأخبارِ التي ذكرناها عن رسولِ اللهِ ﷺ، متقاربةُ المَعاني؛ لأن قولَ القائلِ: فلانٌ مقيمٌ على بابٍ من أبوابِ هذا الأمرِ، وفلانٌ مقيمٌ على وَجْهٍ من وجوهِ هذا الأمرِ، وفلانٌ مُقيمٌ على حرفٍ من هذا الأمرِ - سواءٌ. ألاَ تَرى أنَّ اللهَ تعالى ذكره وصفَ قومًا عَبدوه على وَجْهٍ من وجُوه العباداتِ، فأخبرَ عنهم أنهم عبدُوه على حرفٍ فقالَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج: ١١]، يعني أنهم عبدُوه على وَجْهِ الشكِّ، لا على اليقينِ والتسليم لأمْرِه.

فكذلك روايةُ مَن روى عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «**نزلَ القُرآنُ مِن سَبعةِ أبوابٍ**» و«**نزلَ علَى سَبعةِ أحرفٍ**» سواءٌ، مَعناهُما مُؤتلفٌ، وتأويلُهما غيرُ مُختلف في هذا الوجْهِ. ومَعنى ذلك كلِّه، الخبرُ منه ﷺ عما خصَّه اللهُ به وأمته مِن الفَضيلةِ والكرامةِ التي لم يؤتِها أحدًا في تَنزيلِه؛ وذلك أنَّ كلَّ كتابٍ تقدَّمَ كتابَنا نزولُه على نبيّ من أنبياءِ اللهِ صلى الله عليهم، فإنما نزلَ بلسانٍ واحدٍ، متى حُوِّلَ إلى غيرِ اللِّسانِ الذي نزلَ به، كان ذلك له تَرجمةً وتفسيرًا لا تِلاوةً له على ما أنزلهُ اللهُ. وأَنزَل كتابنَا بألسُنٍ سَبعةٍ، بأيِّ تلك الألسُنِ السَّبعةِ تَلاهُ التالي، كان لهُ تاليًا على ما أنزلَهُ اللهُ لا مُترجِمًا ولا مفسِّرًا، حتى يُحوِّلَه عن تلك الألسُنِ السَّبعةِ إلى غيرِها، فيصيرَ فاعلُ ذلك حينئذٍ - إذا أصابَ معناه- له مُترجِمًا. كَما كانَ التالي بعضَ الكُتبِ التي أنزلَها اللهُ بلسانٍ واحدٍ -إذا تلاه بغيرِ اللِّسانِ الذي نزلَ به- له مُترجِمًا، لا تاليًا على ما أنزلَه اللهُ به. فذلك مَعنى قولِ النبيِّ ﷺ:

---

(١) [صحيح] رجاله ثقات، وقد تقدم كما في (٣٢) و(٣٥).

(٢) [ضعيف] القاسم بن عبد الرحمن الشامي، وحفيد ابن مسعود كلاهما يُرسل عن ابن مسعود، وضمرة صدوق، قال أبو حاتم الرازي: لا بأس به، ومع ذلك فلا أعلم له سماعًا عن القاسم ولا رواية، والأحوص بن حكيم ضعيف الحديث، والمحاربي هو عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي ثقة من رجال الصحيحين، وأبو كريب محمد بن العلاء الهمداني الكوفي ثقة ثبت من رجال الصحيحين.

«كانَ الكِتابُ الأولُ، نزلَ علَى حَرفٍ واحِدٍ، ونَزلَ القُرآنُ علَى سَبعةِ أَحْرفٍ».

وأمَّا مَعنى قولِه ﷺ: **«إنَّ الكِتابَ الأولَ نَزلَ مِن بابٍ واحِدٍ، ونَزلَ القُرآنُ مِن سَبعةِ أبوابٍ»**، فإنه ﷺ عَنى بقولِه: **«نَزلَ الكِتابُ الأولُ مِن بابٍ واحِدٍ»** - واللهُ أعلمُ - ما نزلَ مِن كُتبِ اللهِ على مَن أنزلَه مِن أنبيائِه، خاليًا من الحُدود والأحكام والحَلالِ والحَرام، كَزَبورِ داودَ، الذي إنما هو تذكيرٌ ومواعِظُ، وإنجيلُ عيسى، الذي هو تمجيدٌ ومَحامدُ وحَضٌّ على الصَّفحِ والإعراضِ -دونَ غيرِها مِن الأحكامِ والشَّرائعِ- وما أشبهَ ذلكَ مِن الكُتبِ التي نزلَتْ ببعضِ المَعاني السَّبعةِ التي يَحوي جميعَها كتابُنا، الذي خَصَّ اللهُ به نبيَّنا مُحمدًا ﷺ وأمَّتَه. فلم يكُن المتعبِّدون بإقامتِه يَجدونَ لِرضَى اللهِ تعالى ذكْره مَطلبًا يَنالونَ به الجَنةَ، ويَستوجبونَ به مِنه القُرْبَةَ، إلا مِن الوجْهِ الواحِدِ الذي أُنزلَ به كتابهُم، وذلك هُو البابُ الواحِدُ مِن أبوابِ الجَنةِ الذي نزلَ منه ذلك الكِتابُ.

وخصَّ اللهُ جلَّ وعزَّ نبيَّنا مُحمدًا ﷺ وأمَّتَه، بأن أنزلَ عليهم كِتابَه على أوجُهٍ سبعةٍ مِن الوجُوهِ التي يَنالونَ بها رضوانَ اللهِ، ويُدركونَ بها الفوزَ بالجَنة إذا أقامُوها، فكُلّ وجْهٍ من أوجُهِه السبعةِ بابٌ مِن أبوابِ الجَنةِ الذي نزلَ مِنها القُرآنُ؛ لأنَّ العاملَ بكَلِّ وجهٍ من أوجُهه السّبعةِ، عاملٌ على بابٍ مِن أبوابِ الجَنةِ، وطالبٌ من قِبَلِه الفوزَ بها. والعملُ بما أمرَ اللهُ جلَّ ذكره في كتابِه، بابٌ مِن أبوابِ الجَنةِ، وترْكُ ما نهى اللهُ عنه فيه بابٌ آخرُ ثانٍ مِن أبوابِها؛ وتحليلُ ما حلَّلَ اللهُ فيه بابٌ ثالثٌ من أبوابِها؛ وتحريمُ ما حرَّمَ اللهُ فيهِ بابٌ رابعٌ من أبوابِها؛ والإيمانُ بمُحكمِه المُبَيَنِ بابٌ خامسٌ من أبوابِها؛ والتسليمُ لمتشابِهه الذي استأثرَ اللهُ بعلمِه وحَجَبَ عِلْمَه عن خَلقِه والإقرارُ بأن كلَّ ذلك من عندِ ربِّه: بابٌ سادسٌ من أبوابِها؛ والاعتبار بأمثالِه والاتعاظُ بعظاتِه، بابٌ سابعٌ من أبوابِها. فجميعُ ما في القُرآنِ -مِن حُروفِه السَّبعةِ، وأبوابِه السّبعةِ التي نزلَ منها- جعلَه اللهُ لعبادِهِ إلى رضوانِه هاديًا، ولهم إلى الجَنةِ قائدًا. فذلك مَعنى قولِه ﷺ: **«نزلَ القُرآنُ مِن سَبعةِ أبوابِ الجَنةِ»**. وأمَّا قولُه ﷺ في القُرآنِ: **«إنَّ لكلِّ حرفٍ منه حَدًّا»**، يَعني لكَلِّ وجهٍ من أَوْجُهِهِ السّبعةِ حدًّا حدَّه اللهُ جل ثناؤه، لا يَجوزُ لأحدٍ أن يَتجاوزَه. وقولُه ﷺ: **«وإنَّ لكلِّ حرفٍ منها ظَهرًا وبطنًا»**، فظهرُه: الظاهرُ في التّلاوةِ، وبَطنُه: ما بَطَنَ مِن تأويلِه. وقولُه ﷺ: **«وإنّ لكلّ حدٍّ من ذلك مُطَّلَعًا»**، فإنه يَعني أنَّ لكلّ حدٍّ من حُدودِ اللهِ التي حدَّها فيه -من حلالٍ وحرام، وسائرِ شرائعِه- مِقدارًا مِن ثوابِ اللهِ وعِقابِه، يُعاينُه في الآخرةِ، ويَطَّلعُ عليه ويُلاقيه في القيامةِ. كما قالَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه: (لو أنَّ لي ما في الأرضِ مِن صَفراءَ وبيضاءَ لافتديتُ به من هَوْلِ المُطَّلَعِ)(١)، يَعني بذلك ما يَطَّلعُ عليه ويَهجُمُ عليه مِن أمْرِ الله بعدَ وفاتِه.

---

(١) [حسن] أخرجه ابن أبي شيبة [٣٤٤٩٤] قال: حدثنا أبو خالد الأحمر- قلت (إسلام): يعني سليمان بن حيان الأزدي- عن داود- قلت: (إسلام): يعني ابن أبي هند- عن عامر - قلت (إسلام): يعني الشعبي - عن ابن عباس قال: دخلت على عمر حين طعن. . . فذكره. وهذا سند حسن من أجل الأحمر. =

القولُ في الوجُوهِ التي مِن قِبَلِها يُوصَلُ إلى مَعرفةِ تأويلِ القُرآنِ

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قد قُلنا في الدَّلالةِ على أنَّ القرآنَ كُلَّه عَربيٌّ، وأنه نَزَلَ بألسُنِ بعضِ العَربِ دونَ ألسُنِ جميعِها، وأنَّ قِراءةَ المُسلمينَ اليومَ -ومَصاحفَهم التي هي بينَ أظهُرِهم- ببعضِ الألسُنِ التي نزلَ بها القُرآنُ دون جَميعِها. وقُلنا -في البيانِ عَمَّا يَحويه القُرآنُ مَن النورِ والبُرهانِ، والحِكمةِ والتِّبْيانِ التي أودَعها اللهُ إياه: مِن أمْرِه ونهيِه، وحلالِه وحَرامِه، ووعْدِه ووعيدِه، ومُحكَمِه ومُتشابِهِه، ولطائِفِ حُكْمِه- ما فيه الكِفايةُ لمَن وُفِّق لفَهمِه.

ونحنُ قائلونَ في البَيانِ عن وُجُوهِ مَطالبِ تأويلِه:

قالَ اللهُ جَلَّ ثناؤه وتقدَّسَت أسماؤه، لنبيِّه مُحمدٍ ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال أيضًا - له - جلَّ ذكره: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

فقد تبينَ ببيانِ اللهِ جلَّ ذكره: أنَّ ممَّا أنزلَ اللهُ مِنَ القُرآنِ على نبيِّه ﷺ، ما لا يُوصَلُ إلى عِلْمِ تأويلِه إلا ببيَانِ الرسولِ ﷺ. وذلكَ تأويلُ جَميعِ ما فيه: مِن وُجُوهِ أمْرِه - واجِبِه ونَدْبِه وإرْشادِه - وصنوفِ نَهيِه، ووظائِفِ حُقوقِه وحُدودِه، ومَبالغِ فرائضِه، ومَقاديرِ اللازمِ بعضَ خَلْقه لبعضٍ، وما أشبَهَ ذلكَ مِن أحكامِ آيِهِ، التي لم يُدرَكْ عِلمُها إلا ببيَانِ رَسولِ اللهِ ﷺ لأمَّتِه. وهذا وَجهٌ له لا يَجوزُ لأحدٍ القولُ فيه، إلا ببيانِ رَسولِ اللهِ ﷺ له تأويلَه بنصٍّ منه عليه، أو بَدلالةٍ قد نصَبها، دالَّةٍ أمَّتَه على تأويلِه.

= وأخرجه أبو يعلى في مسنده [٢٧٣١] قال: حدثنا أبو عباد قطن بن نسير الغبري حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت البناني عن أبي رافع قال: كان أبو لؤلؤة... وذكر القصة بطولها ثم قال.... عبد الله بن عباس فقال:... فذكره. وقطن يعتبر به، وجعفر بن سليمان الضبعي صدوق ما لم يخالف، وأبو رافع القبطي المدني صحابي. وابن حبان [٦٨٩١] قال: أخبرنا أبو يعلى حدثنا غسان بن الربيع حدثنا ثابت بن يزيد عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن عباس أنه دخل على عمر... فذكره. وغسان ضعيف، وثابت ثبت.

وفي [٦٩٠٥] قال: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى - قلت: (إسلام): يعني: أبا يعلى- حدثنا قطن بن نسير الغبري حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا ثابت البناني عن أبي رافع... فذكره كما عند أبي يعلى. وقد تقدم ضعفه من أجل قطن. والطبراني في الأوسط [٥٧٩] قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي قال: حدثنا مبارك بن فضالة قال: حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن بن عمر قال: لما طعن أبو لؤلؤة عمر... قال ابن عباس:... فذكره ومبارك مدلس وقد صرَّح.

والحاكم [٤٥١٥] قال: أخبرنا الحسن بن يعقوب العدل، ثنا يحيى بن أبي طالب، ثنا عبد الوهاب بن عطاء، ثنا داود بن أبي هند عن عامر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخلت على عمر حين طعن... فذكره. وهو طريق داود بن أبي هند المتقدم.

وأنّ منه ما لا يَعْلمُ تأويلَه إلا اللهُ الواحُد القهارُ، وذلك ما فيه مِن الخبرِ عن آجالٍ حادثةٍ، وأوقاتٍ آتيةٍ، كوقتِ قيامِ السَّاعةِ، والنفخِ في الصورِ، ونزولِ عيسى بنِ مَريَم، وما أشبهَ ذلك: فإنَّ تلك أوقاتٌ لا يَعلمُ أحدٌ حدودَها، ولا يَعرفُ أحدٌ مِن تأويلِها إلا بالخبرَ عن أشراطِها؛ لاستئثارِ اللهِ بعلْم ذلك على خَلْقه.

وبذلكَ أنزلَ ربُّنا مُحكَمَ كِتابِه فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وكان نبيُّنا مُحمدٌ ﷺ إذا ذكَر شيئًا من ذلك، لم يَدلَّ عليه إلا بأشراطِه دونَ تحدِيدِه بوقتِه كالذي رُوِيَ عنه ﷺ أنه قالَ لأصحابِه إذْ ذكَر الدجَّالَ: «**إنْ يَخرجْ وأنا فيكُم، فأنا حَجِيجُه، وإنْ يَخرجْ بعدي، فاللهُ خليفتي عليكُم**» وما أشبَهَ ذلكَ منَ الأخبارِ - التي يطُولُ باستيعابِها الكِتابُ- الدالَّةِ على أنه ﷺ لم يكُن عندَه علمُ أوقاتِ شيءٍ منه بمقاديرِ السِّنينَ والأيامِ، وأنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه إنما كان عرَّفه مَجيئَه بأشراطِه، ووقْتَه بأدلتِه.

وأنَّ منه ما يَعْلم تأويلَه كلُّ ذي عِلْم باللِّسانِ الذي نزلَ به القُرآنُ، وذلك: إقامةُ إعرابه، ومعرفةُ المُسمَّيات بأسمائِها اللازمةِ غيرِ المشترَكِ فيها، والمَوصوفاتِ بصفاتِها الخاصَّةِ دونَ ما سواها، فإنّ ذلكَ لا يجهلُه أحدٌ مِنهم، وذلكَ كسامعٍ مِنهم لو سَمِعَ تاليًا يتلو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]، لم يجهلْ أنَّ معنى الإفساد هو ما ينبغي تركُهُ مما هو مضرَّة، وأن الإصلاحَ هو ما ينبغي فِعله مما فِعْلهُ منفعةٌ، وإنْ جَهِل المعانيَ التي جعلَها اللهُ إفسادًا، والمعانيَ التي جَعلَها اللهُ إصْلاحًا، فالذي يعلمُه ذو اللِّسانِ -الذي بلسانه نزلَ القُرآنُ- مِن تأويلِ القُرآنِ، هُو ما وصفتُ: مِنْ مَعرفةِ أعيانِ المُسمَّياتِ بأسمائِها اللازمَةِ غيرِ المُشترَك فيها، والمَوصُوفاتِ بصفاتِها الخاصةِ، دونَ الواجبِ من أحكامِها وصفاتِها وهيئاتها التي خصَّ اللهُ بعلمِها نبيَّه ﷺ، فلا يُدرَك عِلمُهُ إلا ببيانِه، دونَ ما استأثرَ اللهُ بعلمِه دونَ خلْقِه.

وبمثلِ ما قُلنا مِن ذلك رُوِي الخبرُ عن ابنِ عباسٍ:

٧١- **حدثنا** مُحمدُ بن بشَّارٍ، قالَ: حَدَّثنا مؤمَّلٌ، قالَ: حَدَّثنا سُفيانُ، عن أبي الزِّنادِ قالَ: قالَ ابنُ عباسٍ: التفسيرُ على أربعةِ أوجُهٍ: وجهٌ تعرفُه العَربُ من كَلامِها، وتفسيرٌ لا يُعذَرُ أحدٌ بجَهالتِه، وتفسيرٌ يَعلَمُه العلماءُ، وتفسيرٌ لا يعلمُه إلا اللهُ(١).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذا الوجهُ الرابعُ الذي ذكَره ابنُ عباسٍ: مِنْ أنَّ أحدًا لا يُعذَرُ بجهالتِه، مَعنًى غيرُ الإبانةِ عن وُجُوهِ مَطالبِ تأويلِه. وإنما هو خبرٌ عن أنَّ مِن تأويلِه ما لا يَجوزُ لأحدِ الجهلُ به.

(١) [ضعيف] محمد بن بشار العبدي ثقة ثبت، ومؤمل بن إسماعيل العدوي ضعيف يعتبر به، وأبو الزناد هو عبد الله بن ذكوان ثقة ثابت من رجال الصحيحين، وهو لا يروي عن ابن عباس ولم يسمع منه. وله شاهد في الذي بعده فيه الكلبي وأبو صالح.

وقد رُوِيَ بنحوِ ما قُلنا في ذلك أيضًا عن رسولِ اللهِ ﷺ خبرٌ في إسنادِه نظرٌ.

٧٢- **حدثني** يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى الصَّدَفيُّ، قالَ: أخبرَنا ابنُ وهبٍ قالَ: سمعتُ عَمرَو بنَ الحارثِ يحدِّثُ، عن الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ، مَولَى أمِّ هانئٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**أُنزلَ القُرآنُ علَى أربعةِ أحرفٍ: حَلالٌ وحَرامٌ لاَ يُعذَرُ أحدٌ بالجَهالَةِ به، وتفسيرٌ تُفسِّرُه العَربُ، وتفسيرٌ تفسِّره العلماءُ، ومُتشابِهٌ لاَ يعلمُه إلا اللهُ، ومَن ادَّعى عِلْمَه سوى الله فهو كاذبٌ**»(١).

ذكرُ بعضِ الأخبَارِ التي رُويت بالنهي عن القَولِ في تأويلِ القُرآنِ بالرَّأيِ

٧٣- **حدثنا** يحيى بنُ طلحةَ اليَربوعيُّ، قالَ: حَدَّثنا شَريكٌ، عن عبدِ الأعلَى، عن سَعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**مَن قالَ في القُرآنِ برأيِهِ فليتبوَّأْ مَقعدَه منَ النارِ**»(٢).

٧٤- **حدثنا** مُحمدُ بن بشَّارٍ، قالَ: حَدَّثنا يحيى بنُ سَعيدٍ، قالَ: حَدَّثنا سُفيانُ، قالَ: حَدَّثنا عبدُ الأعلَى - هو ابنُ عامر الثعلبُّي- عن سَعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَن قالَ في القُرآنِ برأيِه - أو بما لا يعلَمُ - فلْيتبوَّأْ مَقعدَه منَ النارِ**»(٣).

٧٥- **وحدثنا** أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا مُحمدُ بنُ بشرٍ، وَقبيصةُ، عن سُفيانَ، عن عبدِ الأعلَى، قالَ: حَدَّثنا سَعيدُ بنُ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**من قالَ في القُرآنِ بغيرِ علم فلْيتبوَّأْ مَقعدَه مِنَ النارِ**»(٤).

٧٦- **حدثنا** مُحمدُ بنُ حميدٍ، قالَ: حَدَّثنا الحَكَم بنُ بَشيرٍ، قالَ: حَدَّثنا عَمرو بنُ قيس المُلائيُّ، عن عبدِ الأعلَى، عن سَعيدِ بنِ جُبيرٍ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ: مَن قالَ في القُرآنِ برأيِهِ فلْيتبوَّأْ مَقعدَه مِنَ النارِ(٥).

٧٧- **حدثنا** ابنُ حميدٍ، قالَ: حَدَّثنا جَريرٌ، عن لَيثٍ، عن بَكرٍ، عن سَعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ قالَ: مَن تكلَّم في القُرآنِ برأيِه فلْيتبوَّأْ مَقعدَه منَ النارِ(٦).

٧٨- **حدثني** أبو السائبِ سَلْمُ بن جُنادةَ السُّوَائيُّ، قالَ: حَدَّثنا حفصُ بنُ غِياثٍ، عن الحسنِ بن عُبيدِ اللهِ، عن إبراهيمَ، عن أبي مَعمرٍ قالَ: قالَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ: أيُّ أرضٍ تُقِلُّني،

---

(١) [ضعيف] فيه أبو صالح مولى أم هانئ، واسمه باذام، ضعيف الحديث، وقال البخاري: كان مجاهد ينهى عن تفسيره، وقال الكلبي عنه أنه قال له: كل ما حدثتك به كذب، والكلبي هو محمد بن السائب متروك الحديث.

(٢) [ضعيف] فيه عبد الأعلى الثعلبي ضعيف الحديث، وكذلك شيخ المصنف، وشريك ضعيف لاختلاطه وتدليسه، وقد أخرجه غير واحد ومداره على عبد الأعلى.

(٣) [ضعيف] تقدم قبله.

(٤) [ضعيف] تقدم قبله.

(٥) [ضعيف] تقدم قبله.

(٦) [ضعيف] فيه شيخ المصنف، تقدم ضعفه، والليث بن أبي سليم ضعيف، وبكر هذا لم أقف عليه، فلا أعلم أحدًا يروي عن ابن جبير، أو يروي عنه الليث اسمه بكر، ولكنَّ الذي يروي عن ابن جبير هو بكير بن شهاب الكوفي لم يرو عنه من الثقات غير عبد الله بن الوليد العجلي، وقال أبو حاتم الرازي: شيخ.

وأيُّ سَماءٍ تُظِلُّني، إذا قُلتُ في القُرآنِ مَا لا أعلمُ؟![١].

٧٩- **حدثنا** مُحمدُ بنُ المُثنى، قالَ: حَدَّثنا ابنُ أبي عَديٍّ، عنْ شعبةَ، عن سُليمانَ، عن عبدِ اللهِ بن مُرةَ، عن أبيَ معمرٍ قالَ: قالَ أبو بكرٍ الصِّديقِ: أيُّ أرضٍ تُقِلُّني، وأيُّ سَماءٍ تُظلّني، إذا قُلتُ في القُرآنِ برأيي - أو: بما لا أعلمُ؟![٢].

قَالَ أبُو جَعْفرٍ: وهذه الأخبارُ شاهدةٌ لنا على صِحةِ ما قُلنا: مِن أنَّ ما كانَ مِن تأويل القُرآنِ الذي لا يُدرَكُ علمُه إلا بنَصِّ بيانِ رسولِ اللهِ ﷺ، أو بنَصْبِه الدلالةَ عليه - فغيرُ جائزٍ لأحدٍ القِيلُ فيه بِرأيِه.

بل القائلُ في ذلك برأيِهِ - وإنْ أصابَ عينَ الحقِّ فيه - فمُخطئٌ في فِعله بِقِيله فيه برأيه؛ ولأنَّ إصابتَه ليستْ إصابةَ مُوقنٍ أنه مُحقٌّ، وإنما هو إصابةُ خارصٍ وظانٌّ. والقائلُ في دينِ اللهِ بالظنّ، قائلٌ على اللهِ ما لا يعلَمْ، وقد حرَّمَ اللهُ جلّ ثناؤه ذلك في كتابه على عبادِه فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. فالقائلُ في تأويلِ كتابِ اللهِ، الذي لا يُدرَكُ علمُه إلا ببيَانِ رسولِ اللهِ ﷺ، الذي جعَلَ اللهُ إليه بيانَه -قائلٌ بما لا يَعلمُ وإن وافقَ قِيلُه ذلك في تأويلِه، ما أرادَ الله به من مَعناه؛ لأن القائلَ فيه بِغيرِ علمٍ، قائلٌ علَى اللهِ ما لا علمَ له به، وهذا هُو معنى الخبرِ الذي:

٨٠- **حدثنا** به العباسُ بنُ عبدِ العظيم العنبريُّ، قالَ: حَدَّثنا حَبَّانُ بنُ هلالٍ، قالَ: حَدَّثنا سُهيلٌ أخو حزم، قالَ: حَدَّثنا أبو عِمرانَ الجَونيُّ عن جندب: أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**مَن قالَ في القُرآنِ برأيِه فَأصابَ، فقد أخطأ**»[٣].

قال أبو جَعْفَرٍ: يعني ﷺ أنه أخطأ في فِعْله، بقِيلِه فيه برأيِه، وإنْ وافقَ قِيلُه ذلك عينَ الصَّوابِ

---

(١) [ضعيف] أبو معمر هو عبد الله بن سخبرة الأزدي تابعي ثقة أرسل الحديث عن أبي بكر، وإبراهيم هو النخعي، والحسن بن عبيد الله هو النخعي ثقة من رجال مسلم، وشيخ المصنف هو شيخ صدوق. كما قال أبو حاتم الرازي. فهو صحيح إلى أبي معمر.

وقد جاء الأثر عن غير واحد عن أبي بكررضي الله عنه: فقد أخرجه سعيد بن منصور [٣/ ١٦٩] قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَن أيوب عَنِ ابنِ أبي مُليكة قَالَ: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن آية من كتاب الله عز وجل قَالَ: أية أرض تُقلني أو أية سماء تظلني أو أين أذهب وكيف أصنع إذا أَنَا قلت في آية من كتاب الله بغير ما أراد الله بها. اهـ، وابن أبي مليكة مرسل عن عمر وعثمان، فما بالك بمن فوقهم. ولكنه صحيح إليه. وأخرجه ابن أبي شيبة [٣٠١٠٣] بسنده عن الشعبي عن أبي بكر. وقد أخرجه غير واحد عن عائشة عن أبي بكر في قصة الإفك، ولكن بغير قوله: (القرآن) فأطلقها.

(٢) [ضعيف] تقدم قبله.

(٣) [ضعيف] أبو عمران هو عبد الملك بن حبيب ثقة من رجال الصحيحين، وسهيل بن أبي حزم عليه مدار الحديث وهو ضعيف الحديث، وحبان ثقة ثبت، وشيخ المصنف ثقة حافظ، وله شواهد كلها أضعف منه لا تشدد من أزره، وانظر النافلة [١٠٢].

عندَ الله؛ لأنَّ قِيلَه فيه برأيِه، ليسَ بِقِيلِ عالمٍ أنَّ الذي قالَ فيه مِن قولٍ حقٌّ وصوابٌ. فهو قائلٌ على اللهِ ما لا يعلمُ، آثمٌ بفعْلِه ما قد نُهيَ عنه وحُظِرَ عليه.

ذكرُ الأخبارِ التي رُويت في الحضِّ على العلمِ بتفسيرِ القرآنِ، ومَن كان يفسِّره مَن الصَّحابةِ

٨١- **حدثنا** مُحمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ بن شقيقٍ المَروزيُّ قالَ: سمعتُ أبي يقولُ: حَدَّثنا الحُسينُ بن واقدٍ، قالَ: حَدَّثنا الأعمشُ، عن شَقيقٍ، عن ابنِ مسعودٍ قالَ: كانَ الرجلُ مِنَّا إذا تعلَّمَ عَشْرَ آياتٍ لم يُجاوزْهُنَّ حتى يَعرفَ مَعانيَهُنَّ، والعملَ بهنَّ(١).

٨٢- **حدثنا** ابنُ حميدٍ قالَ: حَدَّثنا جَريرٌ، عن عَطاءٍ، عن أبي عبدِ الرحمنِ، قالَ: حَدَّثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: أنهم كانوا يستقرِئون مِنَ النبيِّ ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْرَ آياتٍ لم يُخلِّفوها حتى يعمَلوا بما فيها منَ العملِ، فتعلَّمْنا القُرآنَ والعملَ جَميعًا(٢).

٨٣- **وحدثنا** أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا جابرُ بنُ نوحٍ، قالَ: حَدَّثنا الأعمشُ، عن مُسْلمٍ، عن مَسْروقٍ قالَ: قالَ عبدُ اللهِ: والذي لا إلهَ غيرُه، ما نَزلتْ آيةٌ في كتابِ اللهِ إلا وأنا أعلَمُ فيمَ نزلتْ؟ وأينَ أُنزلت؟ ولو أعلمُ مكانَ أحدٍ أعلمَ بكِتابِ اللهِ مِنّي تنالُه المَطايا لأتيتُه(٣).

٨٤- **وحدثني** يحيى بنُ إبراهيمَ المَسعوديُّ، قالَ: حَدَّثنا أبي، عن أبيه، عن جدِّه، عن الأعمشِ، عن مُسلمٍ، عن مَسروقٍ قالَ: كان عبدُ اللهِ يقرأُ علينا السُّورةَ، ثم يُحدِّثنا فيها ويفسِّرُها عامَّةَ النهارِ(٤).

٨٥- **حدثني** أبو السَّائبِ سَلْمُ بنُ جُنادةَ قالَ: حَدَّثنا أبو مُعاويةَ، عن الأعمشِ، عن شقيقٍ، قالَ: استعملَ عليٌّ ابنَ عباسٍ على الحَجِّ، قالَ: فخطبَ الناسَ خُطبةً لو سمِعَها التركُ والرُّومُ لأسلموا، ثم قرأَ عليهم سُورةَ النورِ، فجعلَ يفسِّرُها(٥).

---

(١) [صحيح] فيه الأعمش سليمان بن مهران ثقة من رجال الصحيحين ولكنه مدلس، ولا توقف في عنعنته فيمن أكثر عنهم كأبي وائل شقيق بن سلمة الأسدي ثقة من رجال الصحيحين. وعلي بن الحسن ثقة ثبت من رجال الصحيحين، والحسين مثله، وشيخ المصنف ثقة.

(٢) [حسن لغيره] قال الشيخ شاكر: هذا إسناد صحيح متصل. اهـ، قلت: وكيف يكون صحيحًا متصلاً وفيه شيخ المصنف، تقدم تضعيفه أكثر من مرة، ولكن للأثر إسناد آخر كما عند الطحاوي في شرح المشكل [٤/ ٨٥] قال: حدثنا سُلَيْمَانُ بن شُعَيْبٍ قال: ثنا الخَصِيبُ بن نَاصِحٍ الحَارِثِيُّ قال: ثنا هَمَّامُ بن يحيى عن عَطَاءٍ.. فذكره. وسنده حسن من أجل الخصيب، وسليمان.

(٣) [صحيح] أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣) وغيرهما، وهذا سند ضعيف من أجل جابر بن نوح بن جابر الحماني ضعيف الحديث.

(٤) [ضعيف] مسروق هو ابن الأجدع ثقة من رجال الصحيحين، ومسلم هو ابن صبيح الهمداني مثله، والأعمش تقدم الحديث عنه، وشيخ المصنف قال عنه النسائي: صدوق، وأبوه مجهول الحال، وجده محمد بن عبد الملك المسعودي ثقة.

(٥) [صحيح] رجاله كلهم ثقات، والأعمش مكثر عن شقيق.

٨٦- **وحدثنا** مَحمدَ بن بَشارٍ، قالَ: حَدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهديٍّ، قالَ: حَدَّثنا سُفيانُ، عن الأعمشِ، عن أبي وائلٍ شقيقِ بنِ سَلَمَةَ، قالَ: قرأَ ابنُ عباسٍ سورةَ البَقرةِ، فجعَلَ يُفسِّرُها، فقالَ رجلٌ: لو سَمعتْ هذا الديلمُ لَأسلمَتْ(١).

٨٧- **حدثنا** أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ يمَانٍ: عن أشعثَ بنِ إسْحاقَ، عن جعفرٍ، عن سَعيدِ بنِ جُبيرٍ قالَ: مَن قرأَ القُرآنَ ثم لم يُفسِّره، كان كالأعجمي أو كالأعرابيِّ(٢).

٨٨- **حدثنا** أبو كُريبٍ قالَ: ذكَر أبو بكرِ بنُ عياشٍ: الأعمشَ، قالَ: قالَ أبو وائلٍ: وَليَ ابنُ عباسٍ المَوسمَ؛ فخَطبهم، فقرأَ على المِنبرِ سُورةَ النورِ، واللهِ لو سَمِعَها التركُ لأسلَموا. فقيلَ له: حدِّثنا به عن عاصم. فسكَتَ(٣).

٨٩- **وحدثنا** أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ إدريسَ، قالَ: سَمِعتُ الأعمشَ، عن شقيقٍ، قالَ: شَهِدتُ ابنَ عباسٍ وَوليَ المَوسِمَ، فقرأَ سُورةَ النورِ على المِنبرِ، وفسَّرها، لو سَمعتِ الرومُ لأسلَمَتْ!(٤).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وفي حَثِّ اللهِ عز وجلّ عبادَه على الاعتبارِ بما في آيِ القُرآنِ من المواعِظِ والبيناتِ - بقولِه جلَّ ذكْره لنبيِّه ﷺ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨] وما أشبَهَ ذلك من آيِ القرآنِ، التي أمَر اللهَ عبادَه وحَثَّهم فيها على الاعتبارِ بأمثالِ آيِ القُرآنِ، والاتِّعاظِ بمواعظِهِ- ما يدلُّ على أنَّ عليهم مَعرفةَ تأويلِ ما لم يُحجَبْ عنهم تأويلُه من آيه؛ لأنه مُحالٌ أن يُقالَ لمَن لا يفهمُ ما يُقال له ولا يَعقِلُ تأويلَه: (اعتبرْ بما لا فَهْم لك به ولا مَعرفةَ من القِيل والبيان والكلام). إلا على مَعنى الأمْر بأن يَفهمَه ويَفقَهَه، ثم يَتدبَّرُه ويَعتبرَ به. فأما قبلَ ذلك، فمستحيلٌ أمرُه بتدبُّره وهو بمعناه جاهلٌ. كما مُحالٌ أنْ يقالَ لبعضِ أصْنافِ الأُممِ الذينَ لا يَعقِلونَ كَلامَ العَربِ ولا يَفهُمونه، لو أُنْشِدَ قصيدةَ شعرٍ مِن أشعارِ

---

(١) [صحيح] رجاله كلهم ثقات، وقد تقدم الحديث عن رجاله.

(٢) [ضعيف] فيه جعفر بن دينار، المشهور بجعفر بن أبي المغيرة الخزاعي، روى عنه غير واحد، ونقل ابن حبان توثيق أحمد له، ووثقه ابن شاهين، وقال الذهبي: صدوق. وانفرد ابن منده بقوله: ليس بالقوي في سعيد بن جبير، وأشعث بن إسحاق الأشعري ثقة، وابن يمان هو يحيى بن يمان العجلي ضعيف يعتبر به، وأبو كريب محمد بن العلاء ثقة ثبت من رجال الصحيحين، والأثر ضعيف من أجل ابن يمان.

(٣) [صحيح لغيره] أبو بكر بن عياش بن سالم صدوق، قال الشيخ شاكر: في معنى وقوله (فقيل له: حدِّثنا به عن عاصم! فسكت): يريد: أن أبا بكر بن عياش قال: الأعمش، ولم يقل: حدثنا الأعمش ولم يذكر من الذي حدثه عنه، ففهم السامعون أنه دلس شيخه الذي رواه عنه عن الأعمش، وظنوا أنه عاصم بن أبي النجود، فقالوا له: حدثنا به عن عاصم، فأبى وسكت. فلعله سمعه من شيخ آخر ضعيف. اهـ. قلت: هذا يرده أنَّ أبا بكر ليس بمدلس ولا أعلم أحدًا رماه بذلك، وسكوته لا يعني تدليسه، والعلم عند الله، وقد تابعه ابن إدريس كما في الذي بعده.

(٤) [صحيح] ابن إدريس هو عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي، ثقة ثبت من رجال الصحيحين، وهو شاهد صحيح للذي قبله.

بعضِ العَربِ ذاتَ أمثالٍ ومواعظَ وحِكَم: (اعتِبْر بما فيها مَن الأمثالِ، واذّكِرْ بما فيها من المواعِظِ)- إلا بمعنى الأمرِ له بفَهم كلامِ العَربِ ومعرفتِه، ثم الاعتبارِ بما نبهه عليه ما فيها من الحِكَم. فأما وهي جاهِلةٌ بمعاني ما فيها مَن الكلامِ والمَنطقِ، فمُحالٌ أمرُها بما دلَّت عليه مَعاني ما حَوَتْه منَ الأمثالِ والعِبَرِ. بل سَواءٌ أمرُها بذلك وأمرُ بعضِ البهَائم به، إلا بعدَ العِلْم بمعاني المَنطقِ والبَيانِ الذي فيها. فكذلكَ ما في آي كتابِ اللهِ من العِبَرِ والحِكَم والأمْثالِ والمَواعِظِ، لا يَجوزُ أنْ يُقالَ: (اعتِبرْ بها) إلا لمَن كان بمعاني بيانِه عالمًا، وبكلامِ العَربِ عارفًا؛ وإلا بمعنى الأمرِ -لمَن كانَ بذلك منهُ جاهلاً- أنْ يعلمَ معاني كلامِ العَربِ، ثُم يتدبَّره بعدُ، ويتعظُ بحِكمَه وصُنوفِ عِبَره.

فإذْ كانَ ذلكَ كذلكَ -وكان اللهُ جلَّ ثناؤه قد أمرَ عبادَه بتدبُّره وحثَّهم على الاعتبارِ بأمثالِه- كان معلومًا أنه لم يأمُرْ بذلك مَن كان بما يدُلُّ عليه آيُهُ جاهلاً. وإذْ لم يَجُزْ أن يأمرَهم بذلك إلا وهُمْ بما يدلُّهم عليه عالِمونَ، صحَّ أنهم -بتأويل ما لم يُحجَبْ عنهم عِلْمُه من آيه الذي استأثرَ اللهُ بعلمِه منه دونَ خلْقِه، الذي قد قدّمنا صِفَته آنفًا- عارفونَ. وإذْ صَحَّ ذلك فسَدَ قولُ من أنكرَ تفسيرَ المُفسرينَ -من كِتابِ اللهِ وتنزيلِه- ما لم يَحجُبْ عن خَلْقِه تأويلَه.

ذكرُ الأخبارِ التي غلِطَ في تأويلها مُنْكِرُو القول في تأويلِ القُرآنِ

فإن قالَ لنا قائلٌ: فما أنتَ قائلٌ فيما:

٩٠- **حدثكم به** العباسُ بنُ عبدِ العظيمِ، قالَ: حَدَّثنا مُحمدُ بنُ خالدِ ابنِ عَثْمةَ، قالَ: حَدَّثني جَعفرُ بنُ مُحمدٍ الزُّبيريُّ، قالَ: حَدَّثني هِشامُ بنُ عُروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ، قالَتْ: ما كان النبيُّ ﷺ يُفسِّرُ شيئًا منَ القرآن إلا آيًا بعَددٍ، علَّمهنَّ إياه جِبريلُ[(١)].

٩١- **حدثنا** أبو بكرٍ مُحمدُ بنُ يَزيدَ الطَّرَسُوسيُّ، قال: أخبرنا مَعْنُ بنُ عيسى، عن جعفرِ بنِ خالدٍ، عن هِشامِ بنِ عُروة، عن أبيه، عن عائشَةَ، قالَتْ: لم يكُن النبيُّ ﷺ يفسِّرُ شيئًا منَ القُرآنِ، إلا آيًا بعَددٍ، علَّمهنَّ إياه جِبريلُ عليه السّلامَ.

٩٢- **وحَدَّثنا** أحمدُ بنُ عَبدةَ الضبيُّ، قالَ: حَدَّثنا حَمادُ بنُ زيدٍ، قالَ: حَدَّثنا عُبيدُ اللهِ بنُ عُمرَ، قالَ: لَقد أدركتُ فُقهاءَ المَدينةِ، وإنهم لَيُعْظِمُونَ القولَ في التفسيرِ، منهم: سَالمُ بنُ

---

(١) [منكر] فيه جعفر بن محمد الزبيري متروك الحديث، ومع هذا فالمحفوظ موقوف على عائشة، ومع وقفه فإنّه ضعيف لأن فيه ابن أبي الزناد، قال الدارقطني في العلل: يَرْوِيهِ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، وَاخْتُلِفَ عَنْهُ: فَرَوَاهُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الزُّبَيْرِيُّ، عَنْ هِشَام، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لا يُفَسِّرُ إلا مَا عَلَّمَهُ جِبْرِيلُ. وَخَالَفَهُ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، رَوَاهُ عَنْ هِشَام، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ لَهُ: لَمْ تَكُنْ عَائِشَةُ تُفَسِّرُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ إلا مَا سَمِعَتْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ الصَّحِيحُ. اهـ، وقلتُ: وقد تابع الزبيري فلان بن محمد بن خالد، كما عند أبي يعلى في مسنده [٤٥٢٨]، وهو مبهم كما ترى، وتبعه جعفر بن خالد الأسدي، كما في الذي بعده، وهو مجهول الحال، ولعله هو المبهم عند أبي يعلى، وقال البعض: إنّه هو نفسه الزبيري، ومع هذا فالسند إليه واهٍ جدًا، فيه شيخ المصنف وهو متروك الحديث، وقد تابع هذا المتروك بندار محمد بن بشار، كما في الثقات لابن حبان. والعلم عند الله.

عبدِ اللهِ، والقاسِمِ بنُ محمدٍ، وسَعيدُ بنُ المسيَّبِ، ونافعٌ[(١)].

٩٣- **وحدثنا** مُحمدُ بنِ بشَّارٍ، قالَ: حَدَّثنا بِشرُ بنُ عُمرَ، قالَ: حَدَّثنا مالكُ بنُ أنسٍ، عن يحيى بنِ سَعيدٍ، قالَ: سمعتُ رجلاً يسألُ سعيدَ بنَ المسيبِ عن آيةٍ منَ القُرآنِ، فقالَ: لا أقولُ في القُرآنِ شيئًا[(٢)].

٩٤- **حدثنا** يونسُ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ وهبٍ، قالَ: أخبرني مالكٌ، عن يحيى بنِ سَعيدٍ، عن سَعيدِ بنِ المسيبِ: أنه كان إذا سُئلَ عن تفسيرِ آيةٍ مِنَ القُرآنِ، قالَ: إنَّا لا نَقولُ في القُرآنِ شَيئًا[(٣)].

٩٥- **حدثنا** يونسُ، قالَ: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قالَ: سَمِعتُ اللَّيثَ يُحدثُ عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن ابنِ المسيَّبِ: أنه كان لا يتكلمُ إلا في المَعلوم من القُرآنِ[(٤)].

٩٦- **حدثنا** ابنُ حميدٍ، قالَ: حَدَّثنا حَكَّامٌ، قالَ: حَدَّثنا سُفيانُ، عن هِشامٍ، عن ابنِ سِيرينَ، قالَ: سألتُ عَبِيدةَ السلمانيَّ عن آيةٍ، قالَ: عليك بالسَّدادِ، فقد ذهبَ الذين عَلِمُوا فيمَ أُنزل القُرآنُ[(٥)].

٩٧- **حدثني** يعقوبُ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ عُليَّةَ، عن أيوبَ وابن عونٍ، عن مُحمدٍ ابن سيرين قالَ: سألتُ عَبِيدةَ عن آيةٍ منَ القُرآنِ. فقالَ: ذهبَ الذين كانوا يعلَمون فيمَ أُنزل القُرآنُ، فاتّقِ اللهَ وعليكَ بالسَّدادِ[(٦)].

٩٨- **حدثني** يَعقوبُ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ عُليةَ، عن أيوبَ، عن ابنِ أبي مُليكةَ: أنَّ ابنَ عباسٍ سُئلَ عن آيةٍ لو سُئلَ عنها بعضُكم لقالَ فيها، فأبى أنْ يقولَ فيها[(٧)].

٩٩- **حدثني** يَعقوبُ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ عُليةَ، عن مَهديِّ بنِ مَيمونٍ، عن الوليدِ بنِ مُسلم قال: جاءَ طَلْقُ بنُ حَبيبٍ إلى جُندبِ بنِ عَبدِ اللهِ، فسأله عن آيةٍ منَ القُرآنِ فقالَ له: أُحَرِّجُ عليكَ إن كنتَ مُسلمًا، لَمَا قُمْتَ عني - أو قال: أن تجالسني[(٨)].

---

(١) [صحيح] عبيد الله بن عمر، وحماد بن زيد ثقات أثبات من رجال الصحيحين، وشيخ المصنف ثقة من رجال مسلم.

(٢) [صحيح] أخرجه مالك ومن طريقه المصنف، وإسناد المصنف كله صحيح.

(٣) [صحيح] أخرجه مالك ومن طريقه المصنف، وسنده صحيح.

(٤) [صحيح] تقدم الحديث عن رجاله، وهم ثقات، وسنده متصل.

(٥) [صحيح] فيه شيخ المصنف، تقدم الكلام على ضعفه، وله إسناد صحيح في الذي بعده.

(٦) [صحيح] رجاله ثقات تقدم الحديث عنهم، وسنده متصل.

(٧) [صحيح] ابن أبي مليكة هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، وروايته عن ابن عباس في الصحيحين، وبقية رجاله ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٨) [ضعيف] فيه الوليد بن مسلم مدلس أفحش التدليس وهو التسوية، ولا أعلم راويًا عنه اسمه مهدي غير مهدي بن جعفر بن جيهان بن بهرام الزاهد، وليس هو مهدي بن ميمون، والأخير لا أعلمه يروي عن أحدٍ اسمه الوليد. والعلم عند الله.

١٠٠- **حدثني** العباس بنُ الوليدِ، قالَ: أخبرني أبي، قالَ: حَدَّثنا عبدُ اللهِ بن شَوْذَبٍ، قالَ: حدثني يَزيدُ بنُ أبي يَزيدَ، قالَ: كنا نسألُ سعيدَ بنَ المسيَّبِ عن الحَلالِ والحَرامِ، وكان أعلمَ الناسِ، فإذا سألناه عن تَفْسيرِ آيةٍ منَ القُرآنِ سَكَتَ كأن لم يَسْمَعْ[(١)].

١٠١- **وحدثنا** مُحمدُ بنُ المُثنى، قالَ: حَدَّثنا مُحمدُ بنُ جعفرٍ، قالَ: أخبرَنا شُعبةُ، عن عمرِو بنُ مُرةَ، قالَ: سألَ رجلٌ سعيدَ بنَ المسيبِ عن آيةٍ من القُرآنِ، فقالَ: لا تسألْني عن القُرآنِ، وسَلْ مَن يزعمُ أنه لا يَخفى عليه شَيء منه. يعني عِكرمة[(٢)].

١٠٢- **وحدثنا** ابنُ المُثنى، قالَ: حَدَّثنا سَعيدُ بنُ عامرٍ، عن شُعبةَ، عن عَبدِ اللهِ بنِ أبي السَّفَرِ، قالَ: قالَ الشَّعبيُّ: واللهِ مَا مِن آيةٍ إلا قد سألتُ عنها، ولكنها الرِّوايةُ عن الله تعالى[(٣)].

١٠٣- **حدثني** يَعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ عُليةَ، عن صالحٍ -يعني ابنِ مُسلم- قالَ: حَدَّثني رجلٌ، عن الشَّعبيِّ، قالَ: ثَلاثٌ لا أقولُ فيهنَّ حتى أَموتَ: القرآنُ، والرُّوحُ، والرأيُ[(٤)]. وما أشبهَ ذلك مَن الأخبار؟

قيل له: أما الخبرُ الذي رُوِيَ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه لَم يكن يفسِّرُ منَ القُرآن شيئًا إلا آيًا بعَددٍ، فإنَّ ذلك مصحِّح ما قلنا منَ القولِ في البابِ الماضي قَبْلُ، وهو: أنَّ مِن تأويلِ القُرآنِ ما لا يُدرَكُ علمُه إلا ببيانِ الرسولِ ﷺ. وذلك تفصيلُ جُمَلِ ما في آيِهِ مِن أمْرِ اللهِ ونَهْيِه وحَلالِه وحَرامِه، وحُدودِه وفَرائضِه، وسائرِ مَعاني شَرائعِ دينِه، الذي هو مُجمَلٌ في ظاهرِ التنزيلِ، وبالعبادِ إلى تفسيرِه الحاجةُ - لا يُدرَكُ علمُ تأويلِه إلا ببيَانٍ من عندِ اللهِ على لسانِ رسولِ اللهِ ﷺ، وما أشبهَ ذلك مما تَحْويه آيُ القُرآنِ، من سائرِ حُكْمِهِ الذي جعلَ اللهُ بيانَه لخَلقِه إلى رسولِه ﷺ. فلا يَعلمُ أحدٌ مِن خَلْقِ اللهِ تأويلَ ذلكَ إلا ببَيانِ الرَّسولِ ﷺ، ولا يَعلمُه رسولُ اللهِ ﷺ إلا بتعليمِ اللهِ إيَّاه ذلك بوحْيِه إليه، إما معَ جِبريلَ، أو معَ مَن شاءَ مِن رُسلِه إليه. فذلك هُو الآيُ التي كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يفسِّرُها لأصحابِه بتعليمِ جبريلَ إياه، وهُنَّ لا شك آيٌ ذواتُ عَددٍ. ومِن آيِ القُرآنِ ما قد ذكَرْنا أنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه استأثرَ بعلمِ تأويلِه، فلم يُطلعْ على علْمِه مَلَكًا مُقربًا ولا نبيًا مُرسلاً، ولكنهم يُؤمنونَ بأنه مِن عِندِه، وأنه لا يَعلمُ تأويلَه إلا اللهُ. فأما ما لا بُدَّ للعبادِ من علْمِ تأويلِه، فقد بيَّنَ لهم نبيُّهم ﷺ ببيانِ اللهِ ذلك له بوحْيِه معَ جِبريلَ. وذلك هو المعنى الذي أمرهَ اللهُ ببيانِه لهم فقالَ له جلَّ ذكْره: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

---

(١) [حسن] يزيد بن أبي يزيد الرشك ثقة من رجال الصحيحين، وعبد الله بن شوذب الخراساني روى عنه جمع ووثقه جهابذة أهل الجرح والتعديل، ولا يضره جهالة ابن حزم له، والوليد بن مزيد العذري ثقة ثبت، والعباس بن الوليد بن مزيد العذري شيخ المصنف صدوق.

(٢) [صحيح] محمد بن جعفر الهذلي ثقة من رجال الصحيحين، ومحمد بن المثنى العنزي ثقة ثابت من رجال الصحيحين، وبقية رجاله تقدموا، وسنده متصل.

(٣) [صحيح] سعيد بن عامر الضبعي ثقة من رجال الصحيحين، وبقية رجاله تقدموا، وسنده متصل.

(٤) [ضعيف] فيه هذا الرجل المبهم الراوي عن الشعبي، ولا أدري من هو صالح بن مسلم الذي يروي عنه ابن علية.

إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. ولو كان تَأويلُ الخَبر عن رسَولِ اللهِ ﷺ - أنه كان لا يُفسِّرُ منَ القُرآنِ شَيئًا إلا آيًا بعَددٍ- هو ما يَسبقُ إليه أوهامُ أهلِ الغباءِ، مِن أنه لم يكن يفسِّرُ منَ القُرآن إلا القليلَ من آيِه واليسيرَ من حُروفِهِ، كان إنما أُنزلَ إليه ﷺ الذكرُ ليَتركَ للناس بيانَ ما أُنزل إليهم، لا ليبينَ لهم ما أُنزلَ إليهم. وفي أمْرِ اللهِ جلّ ثناؤه نبيَّه ﷺ ببلاغ ما أَنزَلَ إليه، وإعلامِه إياه أنه إنما نَزَّلَ إليه ما أَنزلَ لِيبينَ للناسِ ما نُزلَ إليهم، وقيامِ الحُجةِ علَى أنَّ النبيّ ﷺ قد بلّغَ وأدّى ما أمرَه اللهُ ببلاغِه وأدائِه على ما أمَره به، وصِحةِ الخَبرِ عن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ بقيلهِ: كانَ الرجلُ منا إذا تعلَّمَ عَشْرَ آياتٍ لم يُجاوزْهُن حتى يعلَمَ مَعانيَهنَّ والعَملَ بهنَّ - ما ينبئُ عن جهلِ مَن ظنَّ أو توهَّمَ أنَّ معنى الخبرِ الذي ذَكَرنا عن عائشَةَ عن رَسولِ اللهِ ﷺ: أنه لم يكُن يُفسرُ مِن القُرآنِ شيئًا إلا آيًا بعَددٍ، هو أنه لَم يكُن يُبينُ لأمتِه مِن تأويلِه إلا اليَسيرَ القَليلَ منه. هَذا مَعَ ما في الخبر الذي رُويَ عن عائشَةَ من العِلَّة التي في إسنادِه، التي لا يَجوزُ مَعها الاحتجاجُ به لأحدٍ مِمَّن عَلِمَ صَحيحَ سَندِ الآثارِ وفاسِدَها في الدين؛ لأنَّ راويَه ممن لا يُعْرفُ في أهلِ الآثارِ، وهو: جعفرُ بنُ محمدٍ الزُّبيريُّ. وأمَّا الأخبارُ التي ذَكَرناها عَمَّن ذكرناها عنه من التابعينَ، بإحجامِه عن التَّأويلِ، فإنَّ فِعلَ مَن فَعلَ ذلك منهم، كَفِعلِ مَن أحجَمَ مِنهم عَن الفُتيا في النَّوازلِ والحَوادثِ، معَ إقرارِه بأنّ اللهَ جلَّ ثناؤه لم يَقبضْ نبيَّه إليه، إلا بعدَ إكمَالِ الدين به لعبادِه، وعلْمِه بأن للهِ في كلِّ نازلةٍ وحَادثةٍ حُكمًا موجودًا بنصٍّ أو دَلالةٍ. فلم يكُن إحجامُه عن القولِ في ذلك إحجامَ جاحدٍ أنْ يكونَ للهِ فيه حُكمٌ موجودٌ بينَ أظهُرِ عِبادِه، ولكن إحجامَ خائفٍ أنْ لا يَبلُغَ باجتهاده ما كلَّفَ اللهُ العلماءَ مِن عِباده فيه. فكذلك مَعنى إحجَامِ مَن أَحْجمَ عن القِيل في تَأويل القُرآنِ وتَفسِيره مِن العُلماءِ السَّلفِ، إنَّما كانَ إحجامُه عنه حِذارًا أن لا يبلُغ أداءَ ما كُلِّف مِن إصابةِ صَوابِ القولِ فيه، لا علَى أن تأويلَ ذلك محَجوبٌ عَن عُلماءِ الأمةِ، غيرُ موجودٍ بينَ أظهُرِهِمْ.

ذكْر الأخبار عن بعضِ السَلفِ فيمَن كان مِن قُدماءِ المُفَسِّرين مَحموداً عِلْمُه بالتفسير ومَن كانَ مِنهم مَذمومًا علمُه به

١٠٤- **حدثنا** مُحمّدُ بنُ بشَّارٍ، قالَ: حَدَّثنا وكيعٌ، قالَ: حَدَّثنا سُفيانُ، عن سُليمانَ، عَن مُسلم قالَ: قالَ عبدُ اللهِ: نِعْمَ تُرْجمانُ القُرآنِ ابنُ عباسٍ[(١)].

١٠٥- **حدثني** يحيى بنُ داودُ الواسطِيُّ، قالَ: حَدَّثنا إسحاقُ الأزرقُ، عن سُفيانَ، عن الأعمشِ، عن أبي الضُّحى، عن مَسروقٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ، قالَ: نِعْم التُّرجمانُ للقُرآنِ ابنُ عباسٍ[(٢)].

---

(١) [صحيح] مسلم هو ابن صبيح الهمداني أبو الضحى ثقة من رجال الصحيحين، وسليمان هو الأعمش مدلس، وقد صرَّح كما في الذي سيأتي بعده بواحد، وبقية رجاله ثقات تقدموا.

(٢) [صحيح] يحيى بن داود بن ميمون شيخ المصنف روى عنه جمع من الثقات، وقال ابن حبان: مستقيم الحديث، وإسحاق بن يوسف بن مردان الأزرق ثقة ثابت من رجال الصحيحين، وسفيان هو الثوري، ومسروق بن الأجدع الهمداني ثقة من رجال الصحيحين، وسيأتي التصريح بالتحديث عن الأعمش بعده.

١٠٦- **حدثني** مُحمّدُ بنُ بشّارٍ، قالَ: حَدَّثنا جَعْفَر بنُ عَوْنٍ، قالَ: حَدَّثنا الأعمشُ، عن أبي الضُّحى، عن مَسروقٍ، عن عبدِ اللهِ، بنحوه(١).

١٠٧- **حدثنا** أبو كُريبٍ قالَ: حَدَّثنا طَلقُ بن غَنام، عن عُثمان المَكيِّ، عن ابنِ أبي مُليكةَ قالَ: رأيتُ مجاهدًا يسألُ ابنَ عباسٍ عن تفسيرِ القُرآنِ، ومَعه ألواحُه، فيقولُ له ابنُ عباسٍ: اكتب. قال: حتى سَأله عن التفسير كلِّه(٢).

١٠٨- **حدثنا** أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا المُحَاربيُّ ويونسُ بنُ بُكيرٍ قالاَ: حَدَّثنا مُحمّدُ بنُ إسحاقَ، عن أبانِ بنِ صالحٍ، عن مُجاهدٍ، قالَ: عَرضْتُ المُصحفَ على ابن عباسٍ ثلاثَ عَرْضاتٍ، مِن فاتحتِه إلى خاتمتِه، أُوقِفُه عندَ كُلِّ آيةٍ منه وأسألُه عنها(٣).

١٠٩- **حدثني** عبيدُ اللهِ بنُ يوسفَ الجُبَيْريُّ، عن أبي بكرٍ الحنفيِّ، قالَ: سمعتُ سُفيانَ الثوريَّ يقولُ: إذا جاءكَ التفسيرُ عن مجاهدٍ فَحَسْبُكَ به(٤)

١١٠- **حدثنا** مُحَمّدُ بنُ المُثنى، قالَ: حَدَّثنا سُليمانَ أبو داودَ، عن شُعبةَ، عن عَبدِ المَلِكِ بنِ مَيْسَرةَ، قالَ: لم يَلْقَ الضحَّاكُ ابنَ عباسٍ، وإنما لِقي سعيدَ بنَ جُبيرٍ بالرَّيِّ، وأخذ عنه التفسير(٥).

١١١- **حدثنا** ابنُ المُثنى، قالَ: حَدَّثنا أبو داود، عن شُعبةَ، عن مُشَاشٍ، قالَ: قلتُ للضحاكِ: سمعتَ من ابنِ عباسٍ شيئًا؟ قالَ: لا(٦).

١١٢- **حدثنا** أبو كُريبٍ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ إدريسَ، قالَ: حَدَّثنا زكريا، قالَ: كان الشَّعبيُّ يمرّ بأبي صالحٍ باذانَ، فيأخُذُ بأُذنه فيَعرُكُها ويقولُ: تُفسِّرُ القرآنَ وأنتَ لا تقرأُ القُرآنَ؟!(٧).

١١٣- **حدثني** عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بن شَبُّويهِ، قالَ: حَدَّثنا عليُّ بنُ الحُسين بنِ واقدٍ، قالَ: حَدَّثني أبي، قالَ: حَدَّثنا الأعمشُ، قالَ: حَدَّثني سَعيدُ بنُ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [غافر: ٢٠]: قادرٌ على أنْ يَجزيَ بالحسنةِ الحسنةَ وبالسيئةِ السيئةَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) [صحيح] جعفر بن عون القرشي ثقة من رجال الصحيحين، والأعمش صرَّح بالتحديث، وتقدم الحديث عن باقي رجاله.

(٢) [صحيح] طلق بن غنام ثقة من رجال البخاري، لم يضعفه غير ابن حزم، وعثمان بن الأسود بن موسى بن باذان المكي ثقة ثابت من رجال الصحيحين.

(٣) [حسن] محمد بن إسحاق صدوق مدلس، وقد وقع التصريح منه كما في تفسير ابن كثير.

(٤) [صحيح] أبو بكر الحنفي هو عبد الكبير بن عبد المجيد البصري ثقة من رجال الصحيحين، وعبيد الله بن يوسف الجبيري روى عنه جمع كبير من الثقات، وذكره ابن حبان في ثقاته، وقال الحافظ: صدوق.

(٥) [صحيح] عبد الملك بن ميسرة الفزاري ثقة من رجال مسلم، وسليمان هو الطيالسي.

(٦) [حسن] مشاش هو أبو ساسان السليمي وثقه ابن معين، وقال أبو زرعة: ليس به بأس. وقال أبو حاتم الرازي: صدوق صالح الحديث. وقال مرة: ثقة. ومنه نعلم أنَّ قول الحافظ في التقريب عنه: مقبول. ليس بمقبول!!

(٧) [صحيح] زكريا هو ابن أبي زائدة ثقة من رجال الصحيحين، ولكن يدلس عن الشعبي، وهو هنا لا يروي عنه بل يحكي عنه، وهو لا يكذب فيما يحكيه، وابن إدريس هو عبد الله بن إدريس الأودي ثقة ثابت من رجال الصحيحين.

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠]، قال الحسينُ: فقلتُ للأعمشِ: حدَّثني به الكلبيُّ، إلا أنه قالَ: إنَّ اللهَ قادرٌ أن يَجزيَ بالسيئةِ السيئةَ وبالحسنةِ عَشْرًا، فقالَ الأعمشُ: لو أنَّ الذي عندَ الكلبيِّ عندي ما خرجَ مِني إلا بخفيرٍ[١].

١١٤- **حدثني** سُليمانُ بنُ عبدِ الجَبارِ، قالَ: حَدَّثنا عليُّ بنُ حَكيمٍ الأوْديُّ، قالَ: حَدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ بُكَيرٍ، عن صالحِ بنِ مُسلمٍ، قالَ: مرّ الشعبيُّ على السُّدِّيّ وهو يُفسّرُ، فقالَ: لأنْ يُضرَبَ على استِكَ بالطبلِ، خيرٌ لك مِن مجلسِك هذا[٢].

١١٥- **حدثني** سُليمانُ بنُ عَبدِ الجَبَّارِ، قالَ: حَدَّثني عليُّ بنُ حَكيم، قالَ: حَدَّثنا شَريكٌ، عن سَلْم بنِ عَبدِ الرحمنِ النَّخَعيِّ، قالَ: كنتُ معَ إبراهيمَ، فرأى السُّدِّيَّ، فقالَ: أمَا إنه يُفسِّرُ تَفسيرَ القومِ[٣].

١١٦- **حدثنا** ابنُ البَرْقيِّ، قالَ: حَدَّثنا عَمْرُو بنُ أبي سَلَمَةَ، قالَ: سَمِعتُ سَعيدَ بنَ بَشِيرٍ، يقولُ عن قتادةَ، قالَ: ما بقي أحَدًا يَجري مَع الكلبيِّ في التفسيرِ في عِنَانٍ[٤].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قَد قُلنا فيما مَضى مِن كِتابِنا هذا في وُجوهِ تَأويلِ القُرآنِ، وأنَّ تأويلَ جَميعِ القُرآنِ على أوجُهٍ ثلاثةٍ:

أحدها: لا سَبيلَ إلى الوُصولِ إليه، وهُو الذي استأثرَ اللهُ بعلْمِه، وحَجبَ علْمَه عن جَميعِ خَلْقِه، وهُو أوقاتُ مَا كانَ مِن آجالِ الأُمورِ الحَادِثةِ، التي أَخبرَ اللهُ في كتابِهِ أنها كائنةٌ؛ مثلُ: وقتِ قيامِ السَّاعةِ، ووقتِ نُزولِ عيسىَ ابنِ مَريمَ، ووقْتِ طُلوعِ الشَّمسِ من مَغرِبِها، والنفخِ في الصورِ، وما أشبهَ ذلكَ.

والوجه الثاني: ما خَصَّ اللهُ بعلمِ تأويلِهِ نبيَّه ﷺ دونَ سائرِ أمته، وهُو ما فيه مما بِعبادِهِ إلى عِلْمِ تأويلِه الحاجةُ، فلا سَبيلَ لهم إلى عِلْمِ ذلك إلا ببيَانِ الرَّسولِ ﷺ لهم تأويلَه.

والثالث منها: ما كان عِلْمُهُ عندَ أهْلِ اللِّسانِ الذي نَزلَ بِه القُرآنُ، وذلكَ عِلْمُ تأويلُ غَريبه وإعرابِه، لا يُوصَلُ إلى عِلْم ذلك إلا مِن قِبَلِهم.

فإذْ كانَ ذلكَ كذلكَ، فأحقُّ المُفَسرينَ بإصابةِ الحقِّ - في تأويلِ القرآنِ الذي إلى عِلْمِ تَأويلِه

---

(١) [ضعيف] علي بن الحسين بن واقد يعتبر به، وشيخ المصنف ثقة من أئمة أهل الحديث كما قال الخطيب، وقد تقدم الحديث عن كل رجاله. قال الشيخ شاكر: يأتي هذا الخبر في تفسير سورة غافر: (٢٠). ونصه هناك: ما خرج مني إلا بحقير، والذي كان هنا في المطبوعة: ما خرج مني بحقير، والصواب ما أثبتناه. و الخفير: مجير القوم الذي يكونون في ضمانه ما داموا في بلاده. اهـ.

(٢) [ضعيف] صالح بن مسلم بن رومان ضعيف الحديث، وعبد الله بن بكير يكتب حديثه، وعلي بن حكيم الأودي ثقة، وسليمان شيخ المصنف صدوق.

(٣) [ضعيف] سلم صدوق، وشريك ضعيف.

(٤) [ضعيف] سعيد بن بشير الأزدي ضعيف الحديث، وعمرو بن أبي سلمة ضعيف يعتبر به، وشيخ المصنف هو أحمد بن عبد الرحيم المصري المشهور بابن البرقي صدوق.

للعبادِ السّبيلُ- أوضَحُهم حُجةً فيما تأوَّل وفسَّر، مما كان تأويلُه إلى رَسولِ اللهِ ﷺ دونَ سائرِ أمتهِ مِن أخْبارِ رسولِ اللهِ ﷺ الثابتة عنه؛ إمَّا مِن جِهَةِ النقْلِ المُستفِيضِ، فيما وُجِدَ فيه مِن ذلك عنه النقلُ المُستفِيضُ، وإمَّا مِن جِهَة نقلِ العُدولِ الأثْباتِ، فيما لم يكُن فيه عنه النَّقلُ المُستفِيض، أو مِن جِهَةِ الدلالةِ المنصوبةِ على صِحَّته؛ وأوضَحُهم برهانًا - فيما ترجَم وبيَّن مِن ذلك- ممَّا كان مُدرَكًا علمُه مِن جِهةِ اللِّسانِ؛ إمَّا بالشَّواهِدِ مِن أشْعارِهم السَّائرةِ، وإمَّا مِن مَنطِقِهم ولغاتِهم المُستفِيضَةِ المَعروفةِ، كائنًا مَن كان ذلك المُتأوِّلُ والمُفسِّرُ، بعدَ أنْ لا يكونَ خارجًا تأويلُه وتفسيرُه ما تأولَ وفسَّرَ من ذلك، عَن أقوالِ السَّلفِ مِنَ الصّحابةِ والأئمةِ، والخَلفِ مِنَ التابعينَ وعُلماءِ الأمةِ.

القولُ في تأويلِ أسماءِ القُرآنِ وسُوَرِه وآيهِ

قال أبو جعفرٍ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ سمَّى تنزيلَه الذي أنزلَه على نبيِّه مُحمدٍ ﷺ أسْماءً أربعة:

منهن: (القُرآنُ)، فقالَ في تَسْميته إياه بذلكَ في تنزيلِه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

ومنهنّ: (الفُرقانُ)، قالَ جلَّ ثناؤه في وحْيِه إلى نَبيِّه ﷺ مُسَمِّيه بذلكَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ومنهن: (الكِتابُ): قالَ تباركَ اسْمُهُ في تسميته إياه به: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١- ٢].

ومنهنّ: (الذكر)، فقال تعالى ذكره في تَسْمِيَتِه إياه به: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ولكلِّ اسْم من أسْمائِهِ الأربعَةِ في كَلام العَربِ، مَعْنًى ووجهٌ غيرُ معنى الآخَرِ ووجْهِه:

فأما (القُرآنُ)، فإن المُفسِّرين اختلفوا في تأويلِه، والواجِبُ أنْ يكونَ تأويلُه علَى قولِ ابنِ عبَّاسٍ مِن التلاوَةِ والقِراءةِ، وأنْ يكونَ مصدرًا مِن قولِ القَائلِ: قرأتُ القرآن، كقولك: (الخُسران) من (خَسِرتُ)، و(الغُفرانُ) من (غفر اللهُ لك)، و(الكُفرانُ) من (كَفرتُك)، (والفُرقانُ) من (فَرَق اللهُ بينَ الحقِّ والبَاطلِ).

١١٧- وذلك أنَّ يحيى بنَ عُثمانَ بنِ صالحٍ السهميَّ حدثني، قالَ: حَدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ، قالَ: حَدَّثني مُعاويةُ بنُ صالحٍ، عن عليِّ بنِ أبي طَلحةَ، عنِ ابنِ عباسٍ في قولِه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يقول: بيَّناه، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] يقول: اعمَلْ به[(١)].

وَمعنى قَولِ ابنِ عباسٍ هذا: فإذا بيَّناهُ بالقِراءةِ، فاعمَلْ بما بيَّناه لكَ بالقِراءةِ. وممَّا يُوضّحُ

(١) [ضعيف] علي بن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس وهو صدوق، ولكنه سمعه من مجاهد أو عكرمة أو سعيد، أو رواه من صحيفة، ومعاوية بن صالح ثقة من رجال مسلم، وعبد الله بن صالح يكتب حديثه، ويحيى صدوق. وعلة الأثر هي أبو صالح.

صِحةَ ما قُلنا في تأويلِ حَديثِ ابنِ عباسٍ هذا، ما:

١١٨- **حدثني** به مُحمّدُ بنُ سَعدٍ، قالَ: حَدَّثني أبي، قالَ: حَدَّثني عَمّي، قالَ: حَدَّثني أبي، عن أبيه، عن ابنِ عبّاسٍ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] قالَ: أنْ نُقرئَكَ فلا تَنْسَى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ عليكَ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ يَقولُ: إذا تُلِيَ عليكَ فاتَّبِعْ ما فيه[١].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فقد صَرَّحَ هذا الخَبرُ عن ابنِ عبّاسٍ: أنَّ معنى (القُرآنِ) عندَه القِراءةُ، فإنه مَصدرٌ من قولِ القَائلِ: قَرأتُ. على ما بيَّناه. وأمَا علَى قولِ قتادةَ، فإنَّ الواجِبَ أنْ يكونَ مَصدرًا، من قَول القائلِ: قَرأتُ الشيءَ، إذا جَمعتَهُ وضَمَمْتَ بعضَه إلى بَعضٍ، كقولكِ: (ما قَرأَتْ هذه الناقةُ سَلًى قطُّ) تُريدُ بذلكَ أنها لم تَضُمَّ رَحِمًا على وَلدٍ، كَما قالَ عَمرو بن كُلثوم التغلبيُّ:

تُرِيكَ إذَا دَخَلْتَ على خَلاء ... وَقَدْ أمِنَتْ عُيُونَ الكاشِحِينا

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ، أدْماءَ، بِكْرٍ ... هِجَانِ اللّوْن، لَمْ تَقْرَأ جَنِينا[٢]

يعني بقوله: (لم تَقرأ جنينًا)، لم تَضمُمْ رَحِمًا على وَلدٍ.

١١٩- **وذلك أنّ بِشر بنَ مُعاذِ العَقَديّ حدثنا قال**: حَدَّثنا يَزيدُ بنُ زُرَيْع قالَ: حَدَّثنا سَعيدُ بنُ أبي عَرُوبةَ، عن قَتادةَ في قولِه تعالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ يقولُ: حِفْظَه وتَأْلِيفه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ اتَّبعْ حَلالَه، واجتنِبْ حَرامَه[٣].

---

(١) [ضعيف جدًا] محمد بن سعد العوفي شيخ المصنف، قال الدارقطني: لا بأس به. وقال الخطيب: كان لينًا في الحديث. وسعد بن محمد بن الحسن العوفي أبوه متروك الحديث، وعمه هو الحسين بن الحسن بن عطية، أو محمد بن الحسن بن عطية، وكلاهما ضعيف الحديث، وأبوهما مثلهما، وعطية مثله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) [الوافر] والقائل: هو عمرو بن كلثوم شاعر جاهلي، أشهر شعره معلقته التي مطلعها (ألا هبي بصحنك فاصبحينا...)، يقال: إنها في نحو ألف بيت وإنما بقي منها ما حفظه الرواة، وفيها من الفخر والحماسة والغزل العجب، وهذا البيت منها، مات في الجزيرة الفراتية. اللغة: (تريك) الضمير فيه إلى أم عمرو صاحبته، والفاعل متعلق بـ(الكاشحينا) جمع الكاشح وهو العدو المُعرض عنك بكشحه (على خلاء) على غرة وهي خالية متبذلة (ذراعي) مثنى ذراع وهي ما دون الركبة من الإنسان (العيطل) من النساء هي الطويلة العنق في حسن جسم، وقيل: إنها بمعنى معطلة لا زوج لها، والمعطلة أي: الحسناء فهي معطلة من العيوب (أدماء) رقيقة الجلد ناعمة (بكر) شابة عذراء (هجان) بيضاء مستوية البياض لم يخالطه شيء من الألوان (تقرأ) تجمع وتحفظ في فرجها (جنينًا) ولدًا. المعنى: يصف هذا الجاهلي الفاجر امرأةً وصفًا دقيقًا عندما دَخَلَ عليها فجاةً بعد أن اختلت بنفسها وقد أَمِنَتْ من أحدٍ أن ينظر إليها أو يدخل عليها، فتجردت من ثيابها، فيصف ساقيها بالطول الحسن الذي يتناسب مع باقي الجسد، وهي كذلك طويلة العنق بدون عيب، وأنَّ جلدها رقيق لأنها فتاة في مقتبل عمرها ناصعة البياض، ومع هذا فهي لا زوج لها، ولم تحمل يومًا جنينًا ولم تجمع في رحمها وبطنها ولدًا ليغير ملامح جسدها. الشاهد فيه: استشهد به جماعة من المفسرين على أنَّ معنى القُرء يعني الجمع في قوله: (لم تقرأ جنينًا) أي: لم تجمع في رحمها ولدًا، ومن هذا الأصل: قرء المرأة وهو أيام اجتماع الدم في رحمها، فسمي القرآن قرآنًا؛ لأنه يجمع السور ويضمها. والله تعالى أعلم.

(٣) [صحيح] سعيد بن أبي عروبة ثقة ثابت من رجال الصحيحين، ولكنه اختلط، ويزيد بن زريع سمع منه قبل الاختلاط، وهو ثقة ثابت من رجال الصحيحين مثله، وبشر بن معاذ الأعمى المكفوف الضرير العقدي شيخ المصنف صدوق، فهذا إسناد حسن، وله إسناد آخر صحيح سيأتي بعده.

١٢٠- حدثنا مُحمّدُ بنُ عبد الأعلى الصّنعانيُّ، قالَ: حَدَّثنا مُحمّدُ بنُ ثورٍ، قَالَ: حَدَّثنا مَعْمَرٌ، عن قَتادة بمثلِه[١].

فرأى قَتادةُ أنَّ تأويلَ (القُرآنِ): التأليفُ.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: ولكِلا القَولينِ - أعنى قَوْلَ ابنِ عبَّاسٍ وقَوْلَ قَتادةَ - اللذَينِ حَكَيناهُما، وجْهٌ صحيحٌ في كَلام العربِ. غيرَ أنَّ أَوْلى قَوْلَيْهما بتأويلِ قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قولُ ابن عباس؛ لأن الله جلّ ثناؤه أمرَ نَبيِّه ﷺ في غيرِ آيةٍ مِن تَنزيلِه باتباعِ ما أَوْحَى إليه، ولـم يرخِّصْ له في تَرْكِ اتباعِ شَيْءٍ مِن أمْرِه إلى وقتِ تَأليفِه القُرآنَ. فكذلِكَ قولُه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ نظيرُ سائرِ ما في آيِ القُرآنِ التي أَمرَه اللهُ فيها باتباعِ ما أَوْحَى إليه في تَنْزيلِه.

ولَو وَجبَ أنْ يكونَ مَعنى قَوْلِه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فإذا أَلَّفناه فاتّبعْ ما أَلَّفنا لكَ فيه - لَوَجَبَ ألاَّ يكُونَ كانَ لزِمَه فَرْضُ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ولا فرضُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢] قبلَ أن يُؤلَّفَ إلى ذلك غيرُه من القُرآنِ - وذلك، إنْ قالَه قائلٌ - خُروجٌ مِن قولِ أهْلِ المِلَّةِ.

وإذ صَحّ أنَّ حُكم كلِّ آيةٍ من آيِ القُرآنِ كانَ لازمًا النبيَّ ﷺ اتباعُه والعَمَلُ به، مُؤلَّفةً كانت إلى غيرِها أو غيرَ مؤلَّفةٍ - صَحَّ ما قالَ ابنُ عباسٍ في تأويلِ قَوْلِه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أنه مَعْنيٌّ به: فإذا بيَّناه لكَ بِقراءتِنَا، فاتَّبعْ ما بَيَّناه لكَ بقراءتِنا. دونَ قولِ مَن قَالَ: مَعْناهُ: فإذا أَلَّفناهُ فاتَّبعْ ما أَلَّفناهُ.

وقَد قيلَ: إنَّ قولَ الشاعرِ:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنوانُ السُّجُودِ بِه ... يُقَطِّعُ اللَّيلَ تَسْبِيحًا وقُرْآنَا[٢]

---

(١) [صحيح] محمد بن ثور الصنعاني ثقة، ومحمد بن عبد الأعلى القيسي الصنعاني ثقة من رجال مسلم.

(٢) [البسيط] والقائل: حَسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، وهذا البيت هو الرابع من قصيدة يرثي فيها ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قبله ثلاثة أبيات وهن مطلعها، يقول فيها:

مَن سَرَّهُ المَوتُ صِرفًا لا مِزاجَ لَهُ ... فَلْيَأتِ مَأسَدَةً في دارِ عُثمانا

مُستَحقِبِي حَلَقَ الماذِيِّ قَد شَفَعَت ... فَوقَ المَخاطِمِ بَيضًا زانَ أبدانا

بَل لَيتَ شِعري وَلَيتَ الطَّيرَ تُخبِرُني ... ما كانَ شَأنُ عَلِيٍّ وَابنِ عَفّانا

اللغة: (ضحوا) ذبحوا يوم الأضحى، (بأشمط) اختلط بياضه بسواده، ويكون في لحية الرجل وشعر المرأة، (عنوان) الأثر أو العلامة التي يستدل بها على الشيء. والمعنى: يرثي الشاعرُ أميرَ المؤمنين الذي قُتل أيام التشريق، وهو زمن ذبح الأضحية، وقد أظهر قاتلوه الذهاب للحج ومكثوا حتى خرج الحجيج وفرغت المدينة من مُدافعيها فذبحوه في وقت تُذبح فيه الأضاحي دون أن يستحيي قاتلوه من كبر سنه وهيبته عندما رأوه أشيبَ، وأثر السجود في جبهته التي تدل على تقواه وورعه وبراءته مما يتهمونه به، فكيف يجمع بين تقطيع الليل بتجزئته بين التسبيح وتلاوة القرآن وبين ظلم رعيته، حاشاه رضي الله عنه وأرضاه. الشاهد فيه: قوله: (قرآنا) بمعنى قراءة. والله تعالى أعلم.

يَعني به قائلُه: تسبيحًا وقراءةً.

فإنْ قالَ قائلٌ: وكيفَ يَجوزُ أنْ يُسمّى (قرآنًا) بمعنى القِراءة، وإنما هُو مَقروءٌ؟

قيلَ: كَما جازَ أن يُسَمّى المَكتوبُ (كِتابًا)، بمعنى: كتابُ الكاتبِ، كمَا قالَ الشاعرُ في صِفة طَلاقٍ كتبه لامرأتِه:

تُؤَمِّلُ رَجْعةً مِنّي، وفيها كِتابٌ مِثلَ ما لَصِقَ الغِرَاءُ[(١)]

يريد: طَلاقًا مَكتوبًا، فجعلَ (المكتوبَ) كتابًا.

وأمَّا تأويلُ اسْمِهِ الذي هو (فُرْقانٌ): فإن تفسيرَ أهلِ التفسيرِ جاء في ذلكَ بألفاظٍ مُختلفةٍ، هِي في المَعاني مؤتلفةٌ.

١٢١ - **فقالَ عكرمةُ، فيما حَدَّثنا به ابنُ حُميدٍ، قالَ**: حَدَّثنا حَكّامُ بنُ سَلْمٍ، عن عَنبسَةَ، عن جَابرٍ، عنِ عِكْرمةَ: أنه كانَ يقولُ: هُو النَّجاةُ[(٢)].

وكذلكَ كانَ السُّدِّيّ يتأوَّلهُ.

١٢٢ - **حدثنا** بذلكَ مُحمدُ بنُ الحُسينِ، قالَ: حَدَّثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ، قَالَ: حَدَّثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ. وهو قَولُ جماعةٍ غَيرِهما[(٣)].

وكانَ ابنُ عباسٍ يَقولُ: (الفُرقانُ): المَخرَجُ.

١٢٣ - **حَدّثني** بذلكَ يحيى بنُ عُثمانَ بنِ صالحٍ، قَالَ: حَدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صَالحٍ، عن مُعاويةَ بنِ صالحٍ، عن عليِّ بنِ أبي طَلحةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ[(٤)].

وكذلكَ كانَ مُجاهدٌ يقولُ في تَأويلِه.

١٢٤ - **حَدّثنا** بذلكَ ابن حُميدٍ، قالَ: حَدَّثنا حَكّامٌ، عن عنبسَةَ، عن جَابرٍ، عن مُجاهدٍ[(٥)].

وكانَ مُجاهِدٌ يقولُ في قَولِ اللهِ جلَّ ثناؤه: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]: يومٌ فَرَقَ اللهُ فيه بينَ الحقّ والباطِلِ.

١٢٥ - **حَدّثني** بذلكَ مُحمّدُ بنُ عمروٍ الباهليُّ، قالَ: حَدَّثني أبو عاصِمٍ، عن عيسَى بنِ

---

(١) [الوافر] القائل: مسلم بن معبد بن طواف الوالبي الأسدي، شاعر اشتهر في العصر الأموي، أورد له البغدادي قصيدة همزية في خبر إبل له وهذا منها، قال في أولها:

بَكَت إبِلي وَحُقَّ لَها البُكاءُ وَفَرَّقَها المَظالِمُ وَالعَداءُ

والمعنى: أن الشاعر يتخيل إبله المنصرفة عنه بكتاب بينه وبين آخذها، يتخيلها لها قلبًا ترجو به أن ترجع إليه، أو يقوم هو بإرجاعها، والحال أنَّ هذا مستحيل؛ لأن الكتاب الذي انصرفت به عنه لا تنمحي كلماته أبدًا كالشيء الذي ألصق بأقوى مواد اللصق وقتها وهو الغراء. الشاهد فيه: قوله: (كتاب) بمعنى مكتوب.

تنبيه: قول المصنف: (يريد طلاقًا مكتوبًا) إن كان يريد به قائل البيت فقد علمت أنه يتكلم عن الإبل لا عن امرأة، وإن كان يريد أيَّ قائل للبيت يقصد هذا المعنى فذاك، والغالب أنه أراد الأول. والعلم عند الله.

(٢) [ضعيف جدًا] جابر هو ابن يزيد الجعفي، متروك الحديث، وشيخ المصنف ضعيف.

(٣) [ضعيف] أسباط بن نصر ضعيف يعتبر به.

(٤) [ضعيف] فيه عبد الله بن صالح يكتب حديثه. (٥) [ضعيف] فيه جابر الجعفي متروك الحديث.

مَيمونٍ، عن ابن أبي نَجيحٍ، عن مُجاهِدٍ[١].

وكلُّ هذه التَّأويلاتِ في معنى (الفُرقان) -على اختلافِ ألفاظِها- مُتقارباتُ المَعاني؛ وذلكَ أنَّ مَن جُعِل له مَخرجٌ مِن أمرٍ كانَ فيه، فقد جُعل له ذلك المَخرجُ منه نجاةً. وكذلك إذا نُجّي مِنه، فقد نُصِر على مَن بَغاه فيه سُوءًا، وفُرِق بينَه وبينَ باغيه السُّوءَ. فَجَميعُ ما روينا عمَّن روينا عنه في مَعنى (الفُرْقان)، قولٌ صَحيحُ المَعاني؛ لاتّفاقِ مِعاني ألفاظِهم في ذلكَ.

وأصلُ (الفُرْقانِ) عِندَنا: الفَرْقُ بينَ الشَّيئينِ والفَصْلُ بينَهما. وقد يكونُ ذلكَ بقضاءٍ، واستنقاذٍ، وإظهارِ حُجَّةٍ، ونَصْرٍ وغَيرِ ذلكَ مِن المَعاني المُفرّقةِ بينَ المُحقِّ والمُبطِلِ.

فقد تَبينَ بذلكَ أنَّ القرآن سُمّي (فُرقانًا)، لفَصْلِه بحُجَجِه وأدلّته وحُدودِ فرائِضِه وسَائرِ مَعاني حُكمِه بين المُحقِّ والمُبطِلِ. وفُرقانُه بينهما: بنصْرِه المُحقَّ، وتَخذيلِه المُبطلَ، حُكمًا وقَضاءً.

وأمّا تأويلُ اسْمِه الذي هو (كِتابٌ): فهو مَصدرٌ من قولك: (كَتبتُ كِتابًا) كَما تَقولُ: قُمت قِيامًا، وحَسبتُ الشيءَ حِسابًا. والكِتابُ: هو خَطُّ الكَاتبِ حُروفَ الكتابِ المُعجَم مَجموعةً ومُفترقةً. وسُمّي (كِتابًا)، وإنما هُو مَكتوبٌ، كَما قالَ الشَّاعُر في البيتِ الذي استشهدنا به:

... ... وفيها كِتابٌ مِثلَ ما لَصِقَ الغِراءُ[٢]

يعني به مكتوبًا. وأما تأويلُ اسْمه الذي هُو (ذِكْرٌ): فإنه مُحتملٌ معنيين:

أحدَهما: أنه ذِكْرٌ مَن اللهِ جلَّ ذكْره، ذكَّر به عِبادَه، فعرَّفهم فيه حُدودَه وفَرائضَه، وسَائرَ ما أودعَه مِن حُكمِه.

والآخَرَ: أنه ذِكْرٌ وشَرَفٌ وفخرٌ لمَن آمنَ به وصَدَّق بما فيه، كَما قالَ جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤]، يَعني به أنه شَرَفٌ لَه ولِقَومِه.

ثُم لسُوَرِ القُرآنِ أسماءٌ سَمَّاها بها رَسولُ اللهِ ﷺ

١٢٦- **حدثنا** مُحمّدُ بنُ بشَّارٍ، قالَ: حَدَّثنا أبو دَاودَ الطَّيالسيُّ، قالَ: حَدَّثنا أبو العَوَّامِ - وحَدَّثني مُحمّدُ بنُ خَلفِ العَسْقلانيُّ، قالَ: حَدَّثنا رَوَّادُ بنُ الجَرَّاحِ، قالَ: حَدَّثنا سَعيدُ بنُ بَشيرٍ، جَميعًا - عَن قَتادةَ، عن أبي المَليحِ، عن وَاثلةَ بنِ الأسْقَعِ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**أعطِيتُ مكان التوراةِ السبعَ الطُّوَل، وأعطيتُ مكانَ الزَّبور المِئِين، وأعطيتُ مَكانَ الإنجيلِ المَثاني، وفُضِّلت بالمُفصَّلِ**»[٣].

---

(١) [حسن] عبد الله بن أبي نجيح هو عبد الله بن يسار ثقة من رجال الصحيحين، لم يسمع التفسير من مجاهد، وإنما أخذه من القاسم بن أبي بزة، وبه تتصل الرواية طالما عرفنا الواسطة الثقة، وعيسى بن ميمون صدوق، وأبو عاصم هو النبيل لا يُسأل عنه، ومحمد بن عمرو الباهلي صدوق.

(٢) [الوافر] تقدم قريبًا.

(٣) [ضعيف] كل طرقه ضعيفة لا تقوى للتحسين، فيه أبو العوام شيخ الطيالسي، واسمه عمران بن داود العمي، يعتبر به، وتابعه سعيد بن بشير وهو ضعيف الحديث، والطريق إليه ضعيف؛ فيه رواد بن الجراح ضعيف أيضًا. وله شواهد ستأتي.

١٢٧ - **حدَّثني** يَعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قَالَ: حَدَّثنا ابنُ عُليةَ، عن خَالدِ الحَذَّاءِ، عن أبي قِلابةَ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**أعطِيتُ السّبعَ الطُّوَلَ مَكانَ التّوراةِ، وأعطِيتُ المَثانِيَ مَكانَ الزَّبورِ، وأُعطِيتُ المِئِين مَكانَ الإنجيلِ، وفُضِّلتُ بالمُفصَّلِ**».

قالَ خَالدٌ: كانوا يُسمُّونَ المُفصَّلَ: العَربيَّ. قالَ خالدٌ: قالَ بعضُهم: ليسَ في العَربيّ سَجدةٌ(١).

١٢٨ - **حَدَّثنا** مُحمّدُ بنُ حُميدٍ، قالَ: حَدَّثنا حَكّامُ بنُ سَلْم، عن عَمرِو بنِ أبي قَيسٍ، عن عاصِم، عن المُسيَّبِ، عن ابنِ مَسعودٍ قالَ: الطُّوَلُ كالتوراةِ، والمِئونَ كالإنجِيلِ، والمَثاني كالزَّبورِ، وسَائرِ القُرآنِ بَعدُ فَضْلٌ على الكُتُبِ(٢).

١٢٩ - **حَدّثني** أبو عُبيدٍ الوَصّابيُّ، قالَ: حَدَّثنا مُحمّدُ بنُ حَفْصٍ، قالَ: أنبأنا ابن حِميرٍ، حَدَّثنا الفَزاريُّ، عن ليثِ بنِ أبي سُلَيم، عن أبي بُرْدةَ، عن أبي المَلِيح، عن وَاثلةَ عن رَسولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «**أعطاني ربيّ مَكانَ التّوراةِ السّبعَ الطُّوَلَ، ومَكانَ الإنجيلِ المَثاني، ومَكانَ الزَّبورِ المِئِينَ، وفضّلني بالمُفصَّلِ**»(٣).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والسّبعُ الطُّوَلُ: البَقرةُ، وآلُ عِمْران، والنِّساءُ، والمَائدةُ، والأنعامُ، والأعرافُ، ويُونسُ، ، في قولِ سَعيدِ بنِ جُبيرٍ.

١٣٠ - **حَدّثني** بذلكَ يَعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قالَ: حَدَّثنا هُشيمٌ، عن أبي بِشرٍ، عن سَعيدِ بنِ جُبيرٍ(٤).

وقد رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ قَولٌ يدلُّ على مُوافقته قَولَ سَعيدٍ هذا.

١٣١ - **وذلك ما حَدّثنا به** مُحمّدُ بنُ بَشّارٍ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ أبي عَديّ، ويحيى بنُ سَعيدٍ، ومُحمّدُ بنُ جعفرٍ، وسَهلُ بنُ يُوسفَ، قالوا: حَدَّثنا عَوْفٌ، قالَ: حَدَّثني يَزيدُ الفَارسيُّ، قالَ: حَدَّثني ابنُ عبَّاسٍ: قَالَ: قُلتُ لعُثمانَ بنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُم علَى أنْ عَمَدْتُم إلى الأنفالِ، وهِي مِن المَثاني، وإلى بَراءة وهِي مِن المِئِينَ، فَقَرنتُم بينَهُما ولم تَكْتبوا بينهما سطرَ: (بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم)، ووضَعتُمُوهُما في السّبعِ الطُّوَلِ؟ ما حَمَلَكُم علَى ذلك؟ قالَ عُثمانُ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ ممَّا يأتي عَلَيه الزّمانُ وهُو تُنزلُ عليه السُّورُ ذواتُ العَدِد، فكانَ إذَا نزلَ عليه الشّيءُ دعَا ببعضِ مَن كان يَكتبُ فيقولُ: ضَعُوا هَؤلاءِ الآياتِ في السُّورةِ التي يُذْكَر فيها كذا

(١) [ضعيف] فأبو قلابة عن النبي ﷺ مرسل، ولكنه صحيح إليه، وله شاهد تقدم، ولكنه لا يصلح لتحسينه؛ لأن أبا قلابة ليس من كبار التابعين، ثم إن ضعف الذي قبله لأكثر من علة.

(٢) [ضعيف] فيه المسيب بن رافع ثقة من رجال الصحيحين، ولكنه لم يسمع من ابن مسعود، وعاصم هو ابن بهدلة صدوق، وعمرو مثله، وحكام بن سلم الكناني ثقة من رجال مسلم، ومحمد بن حميد الرازي ضعيف، وقد تقدم.

(٣) [ضعيف] فيه الليث بن أبي سليم ضعيف الحديث، وشيخ المصنف كذلك، وقد تقدم له شاهدان لا يقويان لتحسينه، وقد حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة [١٤٨٠].

(٤) [صحيح] فيه هشيم مدلس، وقد صرَّح كما عند ابن كثير [١/ ١٥٥].

وكذا. وكانت الأنفالُ مِن أوائلِ مَا أُنزِلَ بالمَدينةِ، وكانت براءةُ مِن آخِر القُرآنِ نُزولاً وكانت قِصَّتُها شَبيهةً بقصّتِها، فظننتُ أنها منها. فقُبِضَ رَسولُ اللهِ ﷺ ولم يُبيِّنْ لنا أنها منها، فَمِن أجْلِ ذلكَ قَرَنتُ بينهما، ولم أَكتبْ بينهما سَطرَ: (بسْمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ)، ووضَعْتُهما في السبع الطُّوَلِ(١).

فهَذا الخَبرُ يُنبِئُ عن عُثمانَ بنِ عَفانَ رَحمةُ اللهِ عليه، أنه لم يُكن تَبيَّنَ له أنَّ الأنفالَ وبراءةَ مِن السّبعِ الطُّوَلِ، ويُصرِّحُ عن ابنِ عباسٍ أنه لم يكُن يَرى ذلك منها.

وإنّما سُمّيتْ هَذه السّورُ السبعَ الطُّوَلَ: لطُولها على سَائرِ سُوَرِ القُرآنِ.

وأما المِئونَ: فهِيَ ما كان من سُور القُرآنِ عَددُ آيِهِ مِئةُ آيةٍ، أو تَزيدُ عليها شَيئًا أو تَنقصُ منها شَيئًا يسيرًا.

وأما المَثاني: فإنها ما ثَنّى المِئينَ فتلاها، وكَان المِئونَ لَها أَوائلَ، وكَان المَثاني لها ثَوانيَ.

وقَد قِيلَ: إنَّ المَثانيَ سُمّيت مَثانيَ، لتثنيةِ اللهِ جلَّ ذكْره فِيها الأمثالَ والخَبرَ والعِبرَ. وهُو قولُ ابنِ عبّاسٍ.

١٣٢ - **حَدّثنا** بذلكَ أبو كُريبٍ، قَالَ: حَدَّثنا ابنُ يَمانٍ، عن سُفيانَ، عن عَبدِ اللهِ بنِ عُثمانَ، عن سَعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عبّاسٍ(٢).

ورُوِيَ عن سَعيدِ بنِ جُبيرٍ، أنه كانَ يقولُ: إنما سُمّيت مَثانيَ؛ لأنها ثُنّيَتْ فيها الفَرائضُ والحُدودُ.

١٣٣ - **حَدّثنا** بذلكَ مُحمّدُ بنُ بَشّارٍ، قالَ: حَدَّثنا مُحمّدُ بنُ جعفرٍ، قالَ: حَدَّثنا شُعبةُ، عن أبي بِشْرٍ، عن سَعيدِ بنِ جُبيرٍ(٣).

وقَد قَالَ جَماعةٌ يَكثرُ تَعدادُهُمْ: القُرآنُ كُلُه مَثانٍ.

وقالَ جَماعةٌ أُخرُ: بل المَثاني فَاتحةُ الكِتابِ؛ لأنها تُثَنّى قِراءتُها فِي كُلِّ صَلاةٍ. وسَنذْكرُ أسماءَ قائلي ذلك وعِللَهم، والصّوابَ مِن القَولِ فيما اختلفوا فيه مِن ذلك، إذا انتهينا إلى تأويل قولِه تعالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧] إنِ اللهُ شَاءَ ذلك. وبمثلِ ما جَاءتْ به الرّوايةُ عَن رَسولِ اللهِ ﷺ في أسماءِ سُورِ القُرآنِ التي ذُكرَتْ، جَاءَ شِعرُ الشّعراءِ.

فقالَ بَعضُهم:

حَلفتُ بالسَّبعِ اللّواتي طُوِّلتْ
وبِمِئينَ بعدَها قد أُمْئِيَتْ
وبمَثانٍ ثُنِّيتْ فكُرِّرتْ
وبالطَّواسِينِ التي قد ثُلِّثَتْ

(١) [ضعيف] يزيد الفارسي مجهول.
(٢) [ضعيف] فيه يحيى بن يمان العجلي، يعتبر به.
(٣) [صحيح] رجاله ثقات وسنده متصل.

وبالحَوامِيم اللَّوَاتِي سُبِّعتْ
وبالمفصَّلِ اللَّواتِي فُصِّلتْ(١)

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وهَذه الأبياتُ تدلُّ علَى صحَةِ التأويلِ الذي تأوَّلناه في هَذه الأسماءِ.

وأما (المُفصَّلُ): فإنما سُميت مفصَّلاً لكثرة الفصول التي بين سورَها بـ(بسم الله الرحمن الرحيم).

ثُم تُسمى كُلُّ سُورةٍ من سُورِ القُرآنِ (سُورةً)، وتُجمعُ (سُوَرًا)، على تَقديرِ (خُطبةٍ وخُطبٍ)، (وغُرفةٍ وغُرَفٍ).

والسورةُ، بغير همز: المَنزلةُ من مَنازلِ الارتفاعِ. ومِن ذلك سُورُ المَدينةِ، سُمّي بذلك الحَائطُ الذي يَحويها؛ لارتفاعِه على ما يَحويه. غيرَ أنَّ السُّورةَ مِن سُورِ المَدينةِ لَم يُسمعْ في جَمعِها (سُوَرٌ)، كما سُمعَ في جَمْعِ سُورة مِن القُرآنِ (سُوَرٌ). قال العَجَّاج في جَمْع السُّورة منَ البناءِ:

فرُبَّ ذِي سُرَادِقٍ مَحْجُورِ
سُرْتُ إليه في أعالي السُّورِ(٢)

---

(١) [الرجز] القائل: أبو عبيدة، أنشدها ولم يُسم قائلها.

اللغة: أمأيت: أمأيت لك الشيء أي: أكملت لك عدته حتى بلغ المئة. الطواسين اللواتي ثلثت: يعني طسم (الشعراء)، و(طس) النمل، و(طسم) القصص. الحواميم اللواتي سبعت: وهي السور السبع من سورة غافر إلى سورة الأحقاف.

(٢) [الرجز] القائل: العجاج عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أدرك الإسلام وأسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك فَفُلج وأقعد، وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد، وكان بعيدًا عن الهجاء وهو والد رؤبة الراجز المشهور.

وهاذان البيتان اللذان ذكرهما المصنف ليسا بمتتالين بل بينهما بيتين آخران كما في ديوانه:

فربَّ ذي سُرادِقٍ مَحجورِ
جَمٍّ الغَواشي حاضِرِ المَحضورِ
أَشوسُ عَن سِفارَةِ السَّفيرِ
سُرتُ إِلَيهِ في أَعالي السورِ

اللغة: (سرادق) ما أحاط بالبناء، ويراد به كل ما أحاط بالشيء، كما في قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، (محجورا) ممنوعًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]، (جم) كثير، كما في قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، و(الغواشي) الستر أو الإتيان، ومن الأول قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] و(الحاضر) كناية عن الطعام، و(محضور) مغطى، (أشوس) إذا ضمَّ عينيه للنظر وضمَّ أجفانه، أو ينظر بأحد شقي عينيه تغيظًا، (السفير) هو الكاشف بين الخصمين ليصلح بينهما، والمراد هنا كشف الطعام المغطى، و(سرت) ارتفعت إليه. المعنى: إنني قد أتحين فرصة وقت إطعام رجلٍ يسكن في دار عالية البناء والأسوار فأنظر إلى طعامه الكثير الذي يأتيه ويغشى سفرته، أنظر إليه مِن طرف خفي وهو يكشف الأطعمة المغطاة فيجمع بينها في معدته. والشاهد فيه: قوله: (السُّورِ) وانظر ما ذكره المصنف. والله أعلى وأعلم.

فخرَجَ تقديرُ جَمْعِها على تقدير جَمْع بُرَّة وبُسْرة؛ لأنَّ ذلك يُجمعُ بُرًّا وبُسرًا. وكذلك لم يُسمعْ في جَمْعِ سُورةٍ مَن القرآنِ سُورٌ، ولَو جُمعتْ كذلك لم يكُن خطأً في القياسِ، إذا أُريدَ به جَميعُ القُرآنِ. وإنما تركُوا - فيما يُرى - جَمْعَه كذلكَ؛ لأنَّ كلَّ جَمْع كان بلفظِ الواحِدِ المذكَّرِ مثلُ: بُرّ وشعيرٍ وقَصَبٍ وما أشبَهَ ذلك، فإنَّ جِماعَهُ مَجرى الواحِدِ منَ الأشياءِ غيرِه؛ لأنَّ حُكم الواحِدِ منه مُنفردًا قَلَّمَا يُصابُ، فجَرى جِماعُهُ مَجرى الواحِدِ من الأشياءِ غيرِه، ثم جُعلتِ الواحدةُ منه كالقطعةِ من جَميعِهِ، فقيلَ: بُرَّة وشَعيرة وقَصَبة، يُرادُ به قِطعة مِنه. ولم تكُن سُوَرُ القُرآنِ مَوجودةً مُجتمعةً اجتماعَ البُرّ والشَّعيرِ وسُورِ المَدينةِ، بل كُلّ سُورةٍ منها مَوجودةٌ منفردةٌ بنفسِها، انفرادَ كُلِّ غُرْفةٍ من الغُرفِ وخُطبةٍ من الخُطَبِ، فجُعِلَ جَمعُها جَمْعَ الغُرَفِ والخُطَبِ، المبنيّ جَمْعُها من واحِدِها.

ومَن الدَّلالِةِ على أنَّ مَعْنى السُّورةِ: المَنزلةُ مِن الارتفاعِ، قولُ نَابغةَ بَني ذُبيانَ:

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الـلـهَ أعـطـاكَ سُـورَةً ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ[١]

يعني بذلك: أنَّ اللهَ أعطاهُ مَنزلةً مِن مَنازِلِ الشَرفِ التي قصَرتْ عنها مَنازلُ المُلوكِ.

وقَد هَمَزَ بعضُهم السّورةَ مِن القُرآنِ. وتأويلُها، في لُغةِ مَن هَمَزها، القِطعةُ التي قد أُفضِلتْ مِن القُرآن عما سِواها وأُبقيَتْ. وذلك أن سُؤر كلِّ شيءٍ: البقيةُ مِنه تَبقَى بعدَ الذي يُؤخذُ منه؛ ولذلكَ سُمّيت الفَضْلةُ مِن شَراب الرجلِ -يَشرَبُه ثم يُفضِلها فيبُقِيها في الإناء- سُؤْرًا. ومِن ذلك قولُ أعشَى بني ثَعلبةَ، يصفُ امرأةً فارقته فأبقَتْ في قلْبه مِن وجْدِها بقيةً:

فبَـانَـتْ، وقَـد أَسْأَرتْ فِي الفُؤادِ ... صَدْعًا، على نَأيِهَا، مُسْتَطِيرا[٢]

(١) [الطويل] القائل: النابغة الذُّبياني وهو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي من شعراء الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وكان شعره كثيرًا، وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلُّف في شعره ولا حشو، وعمَّرَ زمنا مديدًا. اللغة: يتذبذب: يضطرب ويحار. المعنى: أعطاك الله منزلةً رفيعةً، لو حاول ملك الوصول إليها؛ لبقيَ مُعلقًا دونها حائرًا يضطرب ويتردد، لا يستطيع بلوغها.

(٢) [المتقارب] القائل: الأعشى وهو: ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له: أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير. شاعر من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات، لُقِّبَ بـ(صناجة العرب)؛ لتغنيه بالشعر، عاش عمرًا طويلاً، أدرك الإسلام ولم يُسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في آخر عمره، وروي البيت في ديوانه:

وَبَـانَـتْ وَقَـدْ أَوْرَثَـتْ فِي الفُـؤَا ... دِ صَدْعًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرا

أما الصورة التي أوردها المصنف فقد جاءت عند (المعافي بن زكريا) في كتاب (الجليس الصالح والأنيس الناصح) ص (٢٢٨) وهي:

فبانت وقد أسأرت في الفؤا ... د صدعًا على نأيها مستطيرا

اللغة: فبانت: بانَت المرأةُ عن الرجل، وهي بائنٌ: انفصلت عنه بطلاق. أسأرت سُؤرًا وسُؤرَة: إذا أَفْضَلْتَها وأَبقيتها والسَّائِرُ: الباقي. صدعًا: صَدَعَ الشيءَ يَصْدَعُه صَدْعًا وصَدَّعه فانْصَدَعَ وتَصَدَّعَ: شَقّه بنصفين، وقيل: صَدّعه شقّه. نأيها: النَّأْيُ: البُعدُ، نَأى يَنْأى: بَعُدَ، بوزن نَعى يَنْعَى. ونَأَوْتُ: بَعُدْت. مستطيرا: استطار الشيء في الشيء، أي: تفشَّى وظهر وامتدَّ. المعنى: يصف الشاعر حال قلبه المتشتت المتقطع من أثر فراق امرأة بعدت عنه، وزاد وصفه قلبه بالاستطار بعد الصدع مبالغة في بيان هذا الأثر الذي لا يجبر ولا يلتئم.

وقال الأعشى في مثل ذلك:

بَانَتْ، وقَد أَسْأَرَت في النَّفسِ حَاجتَهَا بَعدَ ائتِلافٍ؛ وخيرُ الوُدِّ ما نَفَعَا (١)

وأما الآيةُ مِن آي القُرآنِ، فإنها تَحتملُ وَجْهين في كَلام العَربِ:

أحدهُما: أنْ تكُون سُمِّيت آيةً؛ لأنها عَلامةٌ يُعرفُ بهَا تَمامُ ما قبلَها وابتداؤها، كالآية التي تكُون دَلالةً على الشّيءِ يُستدلُّ بها عليه، كَقولِ الشَّاعرِ:

أَلِكْني إلَيها، عَمْرَكَ اللهَ يا فَتى بـآيـةِ مَـا جَـاءتْ إلـينـا تَـهَـادَيـا (٢)

يعني: بعَلامةِ ذلكَ. ومِنه قَوْله جلَّ ثناؤه: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ﴾ [المائدة: ١١٤] يعني بذلك: عَلامةً منك لإجابَتِك دُعاءَنا وإعطائِكَ إيَّانا سُؤْلَنا.

والآخر منهما: القِصَّةُ، كما قالَ كَعْبُ بنُ زُهيرِ بنِ أبي سُلْمَى:

ألاَ أبْـلِـغـا هَـذا الـمُـعَـرِّضَ آيَـةً أَيَقْظانَ قالَ القولَ إذْ قَالَ، أمْ حَلَمْ (٣)

يعني بقوله: (آية): رسالةً منّي وخبرًا عني.

فيكون معنى الآيات: القِصصَ، قِصةٌ تتلو قصةً، بفُصُولٍ ووُصُولٍ.

---

(١) [البسيط] القائل: الأعشى (سبق التعريف به).

اللغة: أسأرت: من أسأر، أي: ترك فضلًا وبقية، ومنه (السؤر). ائتلاف: اجتماع وأُلفة ووفاق.

المعنى: أنها فارقته وقد تركت في نفسه حاجته إليها، وكان هذا الرحيل بعد وفاق وودّ.

(٢) [الطويل] القائل: سحيم، حبشي أعجمي اللسان، ينشد الشعر ثم يقول: أهشند والله. يريد: أحسنت والله. وكان عبد الله بن أبي ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: إني قد ابتعت لك غلامًا شاعرًا حبشيًا. فكتب إليه عثمان: لا حاجة لي به فاردده، فإنما قصارى أهل العبد الشاعر إن شبع أن يشبب بنسائهم وإن جاع أن يهجوهم. فرده عبد الله، فاشتراه أبو معبد فكان كما قال عثمان، رضي الله تعالى عنه، شبب بنته عميرة وأفحش وشهرها، فحرقه بالنار، فمن ذلك قوله فيه:

أَلِكْنِي إِلَيْهَا عَمْرَكَ الله يَا فَتَى بـآيَـةِ مَـا جَـاءَتْ إِلَـيْـنَـا تَـهَـادِيَـا

اللغة: ألكني إليها: معناه: أبلغ رسالتي إليها، والألوك: الرسالة. عَمْرَكَ اللَّهَ، أي: بإقرارك لله بالبقاء. تهاديا: التهادي في المشية هو التمايل دلالاً أو ضعفًا.

المعنى: يتوسل إليه بإيمانه بالله أن يوصله إليها فإنه يعرفها جيدًا ويشتاق إليها، وعلامة ذلك وأمارته أنها إذا مشت تتمايل مما يُظهر مفاتنها.

(٣) [الطويل] القائل: كعب بن زهير بن أبي سلمى، المازني، أبو المضرّب. أبوه الشاعر الجاهلي (زهير بن أبي سلمى) من أصحاب المعلقات، وكعب شاعر عالي الطبقة من الطبقة الثانية تحديدًا، وكان مشهورًا في الجاهلية، ورُوي أنه لما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي ﷺ دمه فجاءه كعب مستأمنًا وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول. فعفا عنه النبي ﷺ، وخلع عليه بردته. وروي البيت:

أَلا أَبـلِـغـا هـذا الـمُـعَـرِّضِ أَنَّـهُ أَيَقظانَ قالَ القَولَ إِذ قالَ أَم حَلَم

ورجّح الشيخ (شاكر) الصورة الأولى (المُعَرِّضِ آيَةً). المعنى: يفخر كعب بنفسه قائلاً: أخبرا عني وعن علاماتي من يُعَرِّض بي، أهو يعي ما يقول ويعرف أم أنه يَحلم فلا يعرف ما يقول؟!

تنبيه: قصة كعب مع النبي ﷺ، وقصيدته (بانت سعاد) لا تصح، وانظر في ذلك تخريجي للسنن الكبرى للبيهقي، وكذلك رسالة للشيخ ناصر الفهد فهو عمدتي هناك.

القولُ في تأويلِ أسماءِ فَاتحة الكِتابِ

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: صَحَّ الخَبرُ عن رَسولِ اللهِ ﷺ بما:

١٣٤- حَدَّثني به يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى، قالَ: حَدَّثنا ابنُ وهبٍ، قالَ: أخبرَني ابنُ أبي ذئبٍ، عن سَعيدِ المَقْبُريِّ، عن أبي هُريرةَ، عن رسَولِ اللهِ ﷺ، قالَ: «هِيَ أمُّ القُرآنِ، وهِيَ فَاتحةُ الكِتابِ، وهِيَ السبعُ المَثاني»(١).

فهذه أسماءُ فَاتحةِ الكِتابِ.

وسُمّيت (فَاتحةَ الكِتابِ): لأنه يُفتتحُ بكتابتها المَصاحفُ، وبقِراءتِها الصَّلواتِ، فهِي فَواتحُ لِما يتلُوها مِن سُورِ القُرآنِ في الكِتابة والقِراءةِ.

وسُمّيت (أمَّ القُرآنِ): لتقدُّمِها على سَائِر سُورِ القُرآنِ غيرِها، وتأخُّرِ ما سِواها خلْفَها في القِراءةِ والكِتابةِ. وذلك مِن مَعناها شبيهٌ بمعنى فَاتحةِ الكِتابِ. وإنما قيلَ لها - لِكونِها كذلك -: أمَّ القُرآنِ؛ لتسميةِ العَربِ كلَّ جَامعٍ أمرًا أو مقدَّمٍ لأمرٍ إذا كانَتْ له تَوابعُ تتبعُهُ، هُو لها إمامٌ جَامعٌ، أُمًّا، فتقولُ للجِلدةِ التي تَجمَعُ الدِّماغَ: (أُمَّ الرَّأسِ). وتُسمي لِواءَ الجيشِ ورايتَهم التي يَجتمعونَ تَحتَها للجيشِ (أُمًّا). ومِن ذلك قولُ ذي الرُّمّةِ، يَصفُ رايةً مَعقودةً على قَناةٍ يَجتمعُ تَحتَها هُو وصَحْبُه:

وَأَسْمَرَ، قَوَّامٍ إذَا نَامَ صُحْبَتِي ... خَفِيفِ الثِّيابِ لا تُوَارِي لَهُ أَزْرَا
عَلَى رَأْسِه أُمٌّ لنا نَقْتَدِي بِهَا ... جِماعُ أُمورٍ لا نُعاصِي لَهَا أمْرَا
إذَا نَزلتْ قِيلَ: انزلُوا، وإذا غَدَتْ ... غَدَتْ ذاتَ بِرْزِيقٍ تَخالُ بِهَا فَخْرَا(٢)

---

(١) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، والحديث عند البخاري وغيره بألفاظ متقاربة، ومختصرة، ومزيدة.

(٢) [الطويل] القائل: ذو الرُّمّة، وهو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، من فحول الطبقة الثانية في عصره، كان شديد القصر دميمًا، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وكان مقيمًا بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيرًا، امتاز بإجادة التشبيه.

ورويت الأبيات في الديوان على النحو التالي:

وَأَسمرَ قَوّامٍ إذا نامَ صُحبَتي ... خَفيفِ ثِيابٍ لا يُواري لَهُ أَزرا
عَلى رَأسِهِ أُمٌّ لَهُ يَهتَدي بِها ... جِماعِ أُمورٍ لا نُعاصي لَها أَمرا
إذا نَزَلَت قيلَ انزلوا وَإذا غَدَت ... غَدَت ذاتَ بِرزيقٍ تَخالُ بِها فَخرا

اللغة: أسمر: يعني رمحًا أسمر القناة. قوام: يظل الليل قائمًا ساهرًا. خفيف الثياب: يعني اللواء. والأزر: الظهر. أم له: يقصد اللواء. جماع أمور: أي: تجمعها فتجتمع عليها. الأمور: جمع أمر: يعني شئونًا عظامًا. لا نعاصي لها أمرًا: أي: لا نخالفها إلى ما تنهانا عنه. نزلت: يقصد الراية. غدت: سارت غدوة. والبزريق: الجماعات. المعنى: يقول: إن رمحه أسمر عاري الثياب، لا يواري اللواء ظهره كما يواري الثوب ظهر اللابس، وأنهم يقتدون ويهتدون باللواء يتبعونه في الأمور العظام ولا يعصون أمره، ثم وصف الراية وهي تهتز وتميل فخرًا لكثرة أتباعها من الغزاة والفرسان الذين يجتمعون تحتها.

يعني بقوله: (علَى رأسِه أُمٌ لنا)، أي: على رأسِ الرّمْحِ رايةٌ يَجتمعونَ لِهَا في النّزولِ والرّحيلِ وعندَ لقاءِ العَدوّ.

وقَد قِيلَ: إنَّ مكةَ سُمّيتْ (أُمّ القُرى)؛ لتقدُّمِها أمامَ جَميعِها، وجَمْعِها ما سِواها. وقِيلَ: إنما سُمّيت بذلكَ؛ لأنَّ الأرضَ دُحِيَتْ مِنها فصَارتْ لجَميعِها أُمًّا. ومِن ذلكَ قولُ حُميدِ بنِ ثَوْرٍ الهِلاليِّ:

إذا كانتِ الخَمسُونَ أُمَّكَ، لَم يَكنْ ... لِدَائك، إلاَّ أَنْ تَموتَ، طَبِيبُ[1]

لأنّ الخَمسِينَ جَامعةٌ ما دُونَها مِن العَددِ، فسَمّاها أُمًّا للذي قد بلَغَها.

وأمَّا تأويلُ اسْمِها أنها (السَّبْعُ): فإنها سَبعُ آياتٍ: لا خِلافَ بَيْنَ الجَميعِ مِن القرَأةِ والعُلماءِ في ذلكَ. وإنما اختلفوا في الآي التي صَارتْ بها سَبعَ آياتٍ: فقالَ عُظْمُ أَهْلِ الكُوفةِ: صَارتْ سَبْعَ آياتٍ بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. ورُوِيَ ذلكَ عَن جَماعةٍ مِن أصْحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ والتابعينَ.

وقال آخرون: بلِ هِي سَبعُ آياتٍ، وليسَ مِنهنّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ولكن السَّابعةُ: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وذلك قَوْلُ عُظْم قَرَأةِ أهلِ المَدينةِ ومُتَفَقِّهيهم.

قَالَ أبُو جَعْفرٍ: وقَد بيَّنا الصّوابَ مِن القَولِ عِندَنا في ذلكَ فِي كِتابِنا: (اللطيفُ في أحكَامِ شَرائعِ الإسْلام) بوجيزٍ من القَولِ، وسنَستقصِي بَيانَ ذلك بحكايةِ أقْوالِ المُختلفينَ فِيه مِن الصّحابةِ والتَّابعينَ والمُتقدمينَ والمُتأخرينَ في كِتابنا: (الأكبرُ في أحكَامِ شَرائعِ الإسْلامِ) إنِ اللهُ شَاءَ ذلك.

وأمَّا وصْفُ النبيّ ﷺ آياتها السبعَ بأنهن مَثانٍ: فلأنها تُثَنَّى قراءتها في كل صلاةِ تَطوُّعٍ ومكتوبةٍ. وكذلك كان الحسن البصري يتأوّل ذلك.

١٣٥- **حدثني** يَعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قالَ: حَدَّثنا ابن عُليَةَ، عن أبي رَجاءٍ، قالَ: سألتُ الحَسَنَ عن قَوْلِه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] قال: هِي فَاتحةُ الكِتابِ. ثُم سُئِلَ عَنها وأنا أَسْمعُ فقرأها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حتى أتى علَى آخِرِها،

---

(١) [الطويل] القائل: ليس كما قال الطبري أنه (حميد بن ثور) بل إن البيت منسوب لشاعرين هما: (التَّيْمِي) وهو عبد الله بن أيوب، ويكنى أبا محمد مولى بني تميم ثم مولى بني سليم، ذكر ذلك ابن النطاح [الأغاني ٥/ ٢١٦]. وقد روي بروايات متعددة، تركتها من أجل الاختصار. الشاعر الثاني الذي تنسب إليه القصيدة: الحسن بن عمرو الإباضي، وهو شاعر من شعراء الخوارج له شعر في كتاب شعر الخوارج. وأورد الأستاذ عباس حسن تلك الأبيات:

إذا ما خَلوتَ الدَّهرَ يَومًا فَلا تَقُل ... خَلوتُ وَلكِن قُل عَلَيَّ رَقيبُ
وَلا تَحسَبَنَّ اللَّهَ يَغفَلُ ساعَةً ... وَلا أَنَّ ما يَخفى عَلَيهِ يَغيبُ
إذا كانَتِ السَّبعونَ أمَّكَ لَم يَكُن ... لِدائِكَ إلاّ أن تَموتَ طَبيبُ
وَإِنِ امرَءًا قَد سارَ سَبعينَ حِجَّةً ... إِلى مَنهَلٍ مِن وِردِهِ لَقَريبُ
إِذا ما انقَضى القَرنُ الَّذي أَنتَ مِنهُمُ ... وَخُلِّفتَ في قَرنٍ فَأَنتَ غَريبُ

فنسب الأبيات الثلاثة الأول للإباضي، ونسب البيتين الرابع والخامس لـ (التيمي).

فقالَ: تُثَنَّى في كُلِّ قِراءةٍ - أو قالَ - فِي كُلِّ صَلاةٍ. الشَّكُّ مِن ابن أبي جَعفرٍ [(١)].

والمَعْنى الذي قُلْنا في ذلكَ قَصَد أبو النَّجم العِجْليُّ بقَوْلِه:

الحَمْدُ للهِ الذي عافاني
وكُلَّ خَيْرٍ بَعدَهُ أعْطاني
مِنَ القُرَانِ ومِنَ المَثانِي [(٢)]

وكذلكَ قولُ الراجِز الآخَرِ الذي يقول:

نَشَدْتُكُم بِمُنزِلِ الفُرقانِ
أُمِّ الكِتَابِ السَّبعِ مِن مَثَانِي
ثُنِّينَ مِنْ آيٍ مِنَ القُرْآنِ
والسَّبعِ سَبعِ الطُّوَلِ الدَّوانِي [(٣)]

وليس في وُجوب اسم (السّبعِ المَثانِي) لفَاتحةِ الكِتاب، ما يَدْفَعُ صِحَّة وُجُوب اسم (المَثاني) للقُرآنِ كُلِّه، ولِما ثَنَّى المئين مِنَ السُّورِ؛ لأن لكِلِّ ذلك وَجْهًا ومَعنًى مَفهومًا، لا يَفْسُد بتسمِيَتِه بعضَ ذلك بالمثاني تَسْمِيةُ غيرِه بها.

فأما وجْهُ تسميةِ ما ثَنَّى المِئينَ مِن سُور القُرآنِ بالمثاني، فقد بَيَّنا صِحّتَه، وسَنَدُلُّ على صِحّةِ وجْهِ تَسْميةِ جَميعِ القُرآنِ به عِندَ انتهائِنا إليه في سُورةِ الزُّمَرِ، إنْ شَاءَ اللهُ تعالى.

(١) [صحيح] أبو رجاء هو محمد بن سيف الحداني الأزدي ثقة، وسيأتي في تفسير سورة الحج بدون شك من المصنف بلفظ القراءة.

(٢) [الرجز] القائل: لم ينسبه أبو عبيدة في كتابه، وإن كان نسبه الطبري لأبي النجم العجلي وهو (الفضل بن قدامة العجلي)، أبو النجم من بني بكر بن وائل، من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشادًا للشعر، نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام، ولكن لم يرد نسبة الأبيات لأبي النجم في أي كتاب من كتب الأدب فيما وقفت عليه، روى أبو عبيدة الأخير: (رب المثاني الآى والقرآنِ).

(٣) [الرجز] القائل: لم ينسب أبو عبيدة الأبيات. اللغة: نشدتكم: سألتكم. بمنزل الفرقان: بمن أنزل القرآن، وهو الحق تبارك وتعالى. ثُنِّيَن: كُررن مرة بعد مرة. الدواني: جمع دانية، أي: قطوفها دانية.

القولُ في تأويلِ الاستِعاذةِ

تأويلُ قَوْلِه: (أعوذُ):

والاسْتِعاذَةُ: الاسْتِجارَةُ.

وتأويلُ قَولِ القائلِ: (أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرَّجِيم): أَستجِيرُ باللهِ - دُونَ غَيرِه مِن سَائرِ خَلْقِه - مِنَ الشَّيطانِ أن يَضُرَّني في دِيني، أو يَصُدَّني عَن حَقٍّ يلزَمُني لِرَبي.

تأويلُ قولِه: (مِنَ الشَّيطانِ):

والشَّيطانُ في كَلامِ العَرَبِ: كُلُّ مُتمرِّدٍ مِنَ الجِنِّ والإنسِ والدَّوَابِّ وكُلِّ شَيءٍ؛ ولذلكَ قالَ رَبُّنا جلَّ ثناؤه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، فجعَلَ من الإنسِ شَياطينَ مِثلَ الذي جعلَ منَ الجِنِّ. وقالَ عُمرُ بنُ الخَطابِ رحمةُ اللهِ علَيه، ورَكِبَ بِرذَوْنًا فجعَلَ يتَبخترُ به، فجعَلَ يَضْرِبُه فلا يَزدادُ إلا تَبخترًا، فَنزلَ عنه، وقالَ: ما حَمَلْتُموني إلا علَى شَيطانٍ، ما نَزَلْتُ عَنهُ حتى أنكَرتُ نَفسِي.

١٣٦ - **حَدَّثنا** بذلكَ يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى، قَالَ: أخبَرنا ابنُ وهْبٍ، قالَ: أخبرَني هِشامُ بنُ سَعدٍ، عن زَيدِ بنِ أَسْلَم، عن أَبيه، عن عُمرَ[(١)].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وإنَّما سُميَ المُتمرِّدُ مِن كُلِّ شَيءٍ شَيطانًا؛ لمُفارقةِ أخلاقِه وأفعالِه أخلاقَ سائرِ جِنْسِه وأفعالَهُ، وبُعدِه منَ الخير. وقد قيلَ: إنه أُخِذَ مِن قَوْلِ القَائلِ: شَطَنَتْ دَاري مِن دارِكَ. يُريدُ بذلكَ: بَعُدت. ومِن ذلكَ قولُ نابغةِ بني ذُبيانَ:

نَأَتْ بِسُعَادَ عَنْك نَوًى شَطُونُ ... فبانَتْ والفُؤادُ بِها رَهِينُ[(٢)]

(١) [صحيح] هشام بن سعد ضعيف يكتب حديثه، وقد تابعه مالك بن أنس متابعة صحيحة، كما أخرجه ابن شبة، وأبو داود في الزهد، قال: نا عثمان بن صالح بن سعيد الخياط، ومحمد بن جابر بن الأشعث، قالا: نا بشر بن عمر، قال عثمان: قال نا، وقال ابن جابر: قال: سمعت، وقال ابن شبة حدثنا: مالكا، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى الشام، فلما كنا بأدنى الريف، و دنونا منها نزل عمر فذهب لحاجته فجاء وقد أقلب الرحل فروتي وألقيتها بين شعبتي الرجل فركب بعيري وركبت بعيره فاطلع أناس فقالوا: أمير المؤمنين؟قلت: هذا، فجعلوا يتراطنون فيما بينهم فقال: إن هؤلاء لا يعليهم فرون علينا بزة قوم غضب الله فيها، فأعينهم تزدرينا، ثم سار حتى لقيه عمرو بن العاص وأمراء الأجناد. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين إنك تقدم على قوم حديثي عهد بكفر قال: فمه؟قال: تؤتى بدابة فتركبها. قال: ما شئتم، فأتي ببرذون فركبه فجعل البرذون يحركه وجعل عمر يضربه ويسائس اهه ولا يزيده إلا مشيًا، فقال لسائس الدابة: ما ينقم أمير المؤمنين منه؟ثم نزل. فقال: ما حملتموني إلا على شيطان، وما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي، قربوا بعيري!! فركبه ثم اعتزل الناس... ثم ذكر الأثر بطوله.

(٢) [الوافر] القائل: النابغة الذبياني - سبق التعريف بالشاعر -. اللغة: نَوًى شَطونٌ: بعيدة، و(شطون) من مادة (شطن) ومنها جاء الشيطان؛ لبعده عن رحمة الله. المعنى: رحلت الحبيبة لمكان قصي بعيد، والقلب مازال بها متعلقًا.

والنوى: الوجْهُ الذي نَوَتْهُ وقَصَدتْه. والشَّطُونُ: البَعيد. فَكأنَّ الشَّيطانَ - علَى هَذا التَّأويلِ - فَيْعَالٌ مِن شَطَن. ومِمَّا يَدلّ علَى أنَّ ذلكَ كذلكَ قَوْلُ أُميَّةَ بنِ أبي الصَّلتِ:

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاه عَكَاهُ ثُم يُلْقَى في السِّجْنِ والأَكْبَالِ[١]

ولو كان فَعْلانَ مِن شاطَ يَشيطُ، لقالَ: أيُّما شائطٍ، ولكنه قالَ: أيُّما شاطنٍ؛ لأنه مِن (شَطَن يَشْطُنُ، فهو شاطن).

تأويلُ قوله: (الرَّجِيم):

وأما الرّجيمُ فهو: فَعيلٌ بمعنى مَفعولٍ، كَقَولِ القَائلِ: كَفٌّ خَضيبٌ، ولِحيةٌ دَهينٌ، ورجلٌ لَعينٌ، يُريدُ بذلك: مَخضُوبةٌ ومدهونةٌ ومَلعونٌ.

وتأويلُ الرَّجيم: المَلعونُ المَشتومُ. وكُلُّ مشتومٍ بقولٍ رَديءٍ أو سَبٍّ فهو مَرْجُومٌ. وأصْلُ الرَّجم الرَّميُ، بقولٍ كانَ أو بفعلٍ. ومِن الرَّجْم بالقَولِ قولُ أبي إبراهيمَ لإبراهيمَ صَلواتُ اللهِ عليه: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]. وقَد يَجوزُ أنْ يكُونَ قِيلَ للشَّيطانِ: رَجيمٌ؛ لأنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه طَرَده مِن سَمواتِهِ، ورَجَمَه بالشُّهبِ الثَّواقِبِ.

وقَد رُوي عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ أولَ ما نزلَ جِبريلُ علَى النبيِّ ﷺ عَلَّمه الاسْتِعاذَةَ.

١٣٧- **حدثنا** أبو كُرَيْبٍ، قالَ: حَدَّثنا عُثمانُ بنُ سَعيدٍ، قالَ: حَدَّثنا بِشْرُ بنُ عُمَارةَ، قالَ: حَدَّثنا أبو رَوْقٍ، عن الضَّحَّاكِ، عن عَبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ، قالَ: أولُ ما نزلَ جِبريلُ علَى مُحمّدٍ قالَ: يا مُحمَّدُ استعذْ، قلْ: أَستعيذُ بالسَّميعِ العَليمِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم. ثُم قالَ: قُلْ: بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم. ثُم قَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. قالَ عَبدُ اللهِ: وهِي أولُ سُورةٍ أنزلَها اللهُ علَى مُحمدٍ بلسَانِ جِبريلَ، فأمَرهُ أنْ يَتعوذَ باللهِ دُونَ خَلْقِهِ[٢].

---

(١) [الخفيف] القائل: أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلعًا على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبدًا وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام، وعاد إلى الطائف فسأل عن خبر محمد ﷺ، وقدم مكة وسمع منه آيات من القرآن وسألته قريش رأيه فقال: أشهد أنه على الحق. قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. ثم خرج إلى الشام وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وحدثت وقعة بدر وعاد أمية يريد الإسلام فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خالٍ له فامتنع وأقام في الطائف إلى أن مات، أخباره كثيرة وشعره من الطبقة الأولى، إلا أن علماء اللغة لا يحتجون بهِ لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب، وهو أول من جعل في مطالع الكتب باسمك اللهم، فكتبتها قريش. وجاء البيت في ديوانه:

أَيُّمـا شـاطِنٌ عَصـاهُ عَكـاهُ ثُمَّ يُلقى في السِّجنِ وَالأَغلالِ

اللغة: شاطن: من (شطن) وتأتي للدلالة على البعد. عكاه: عكاه في الحديد والوثاق، أي: شده شدًا وثيقًا. الأكبال: جمع (كبل) وهو القيد من الحديد.

(٢) [ضعيف] الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس مرسل لم يسمع منه على الصحيح، وقد رجح الشيخ شاكر سماعه منه، والسند إليه ضعيف فيه بشر بن عمارة الخثعمي، ضعيف الحديث، وعثمان بن سعيد الكوفي الزيات لا بأس به، وأبو كريب محمد بن العلاء بن كريب الهمداني ثقة حافظ. والعلم عند الله.

القول في تأويل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

القول في تأويل قوله: ﴿بِسْمِ﴾:

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: إنَّ الله تعالى ذِكْرهُ وتَقَدَّسَتْ أسماؤُه، أدَّبَ نَبيّه مُحَمَّدًا ﷺ بِتَعْليمِه تَقْديمَ ذِكْر أسمائِه الحُسْنَى أمام جَميع أفعاله، وتَقَدَّمَ إليه في وصْفِهِ بها قَبْل جَميع مُهِمَّاته، وجَعَلَ ما أدَّبَه به من ذلك وعَلَّمَه إيَّاه منه لِجَميع خَلْقه سُنَّةً يَسْتَنُّونَ بها، وسَبيلاً يَتَّبِعونَه عليها، في افتِتاح أوائِل مَنْطِقهم وصُدور رَسائِلهم وكُتُبهم وحاجاتهِمْ، حتَّى أغْنَتْ دَلالة ما ظَهَرَ من قول القائِل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ على مَا بَطَنَ من مُراده الذي هو محذوف.

وَذلك أنَّ الباء من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ مُقْتَضيةٌ فِعْلاً يكون لها جالِبًا، ولا فِعْل معها ظاهِر، فَأغْنَتْ سامِع القائِلِ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ معرِفَتُه بِمُرادِ قائِله من إظْهار قائِل ذلك مُرادَهُ قولاً؛ إذْ كان كُلّ ناطِق به عند افتِتاحه أمْرًا قد أحضَرَ مَنْطِقهُ به - إمَّا معه وإمَّا قَبْلَه بلا فَصْل - ما قد أغْنَى سامِعه من دَلالةٍ شاهِدة على الذي من أجْله افتَتَحَ قِيلَه به؛ فَصارَ استِغْناءُ سامِع ذلك منه عن إظْهار ما حُذِفَ منه، نَظيرَ استِغْنائِه إذا سَمِعَ قائِلاً قِيلَ له: ما أكَلْت اليوم؟ فَقال: طَعامًا، عن أنْ يُكَرِّر المسئول مع قوله (طَعامًا): أكَلْت؛ لِما قد ظَهَرَ لَدَيْه من الدَّلالة على أنَّ ذلك معناه بِتَقَدُّمِ مسألة السَّائِل إيَّاه عَمَّا أكَلَ.

فَمعقولٌ إذن أنَّ القائِلَ إذا قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ثُمَّ افتَتَحَ تالِيًا سورة، أنَّ إتْباعَه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ تِلاوةَ السّورة، يُنْبِئ عن معنى قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ومَفْهوم به أنّه مُريد بِذلك: أقْرَأُ (بسم الله الرحمن الرحيم). وكذلك قوله: (باسم الله). عند نُهوضه لِلْقيام أو عند قُعوده وسائِر أفعالهِ، يُنْبِئُ عن معنى مُراده بِقولِه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، وأنّه أرادَ بِقِيلِه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أقوم بِاسْمِ اللّه، وأقْعُد بِاسْمِ اللّه. وكذلك سائِر الأفعال.

وَهذا الذي قُلْنا في تأويل ذلك هو معنى قول ابن عَبَّاس، الذي:

١٣٨ - حَدَّثنا به أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن عبد الله بن عَبَّاس، قال: إنَّ أوّل ما نَزَلَ به جِبْريل على مُحَمَّد ﷺ، قال: يا مُحَمَّد، قُلْ: أستَعيذُ بالسَّميعِ العَليم من الشَّيْطان الرَّجيم. ثُمَّ قال: قُلْ: بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم. قال: قال له جِبْريل: بِسْمِ الله يا مُحَمَّد. يقول: اقْرَأْ بِذِكْرِ الله رَبِّك، وقُمْ واقْعُدْ بِذِكْرِ اللّه[١].

(١) [ضعيف] تقدم قبله.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: فَإنْ قال لنا قائِل: فَإِنْ كان تأويل قول الله: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ ما وصَفْتَ، والجالِب (الباءَ) في ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ ما ذَكَرْتَ، فكيف قِيلَ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾، بمعنى (أقْرَأُ باسْمِ اللَّه) أو: (أقوم بِاسْمِ اللَّه) أو: (أقْعُد بِاسْم اللَّه)؟ وقد عَلِمْتَ أنَّ كُلّ قارِئٍ كِتاب اللَّه، فَبِعَوْنِ الله وتَوْفيقه قِراءَتُه، وأنّ كُلّ قائِم أو قاعِد أو فاعِلٍ فِعْلاً، فَبِاللَّه قيامُه وقُعوده وفِعْله؟ وهَلَّا - إذ كان ذلك كذلك - قِيلَ: (باللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحيم)، ولم يُقَلْ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾. فَإنَّ قول القائِل: أقوم وأقْعُد باللَّه الرَّحْمَن الرَّحيم، أو أقْرَأُ باللَّه؛ أوضَحُ معنًى لِسامِعِه من قوله: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾، إذْ كان قوله: أقوم أو أقْعُد بِاسْمِ اللَّه، يُوهِم سامِعه أنَّ قيامه وقُعوده بِمعنى غَيْرِ اللَّه.

قِيلَ له وبالله التوفيق: إنَّ المَقْصود إليه من معنى ذلك غَيْرُ ما تَوَهَّمْته في نَفْسك، وإنّما معنى قوله: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ أبْدَأُ بِتَسْمِيةِ الله وذِكْره قَبْل كُلّ شَيْء، أو: أقْرَأُ بِتَسْمِيَتِه، أو: أقوم وأقْعُد بِتَسْميتي الله وذِكْره؛ لا أنَّه يَعْني بِقيلِه ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾: أقوم باللَّه، أو: أقْرَأُ باللَّهِ؛ فَيكون قول القائِل: (أقْرَأُ باللَّهِ)، أو (أقوم أو أقْعُد باللَّهِ)، أولَى بِوَجْه الصَّواب في ذلك من قوله: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾.

فَإِنْ قال: فَإنْ كان الأمْر في ذلك على ما وَصَفْتَ، فكيف قِيلَ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ وقد عَلِمْتَ أنَّ الاسمَ اسمٌ، وأنّ التّسْمية مَصْدَر من قولك: سَمَّيْت؟

قِيلَ: إنَّ العرب قد تُخْرِج المَصادِر مُبْهَمةً على أسماء مُخْتَلِفة، كَقولِهم: أكْرَمْت فُلانًا كَرامةً، وإنّما بِناءُ مَصْدَر (أفْعَلْتُ) - إذا أُخْرِجَ على فِعْله -: (الإفعالُ)، وكَقولِهم: أهَنْتُ فُلانًا هَوانًا، وكَلَّمْته كَلامًا، وَبِناء مَصْدَر (فَعَّلْتُ) التَّفْعيل، ومن ذلك قول الشَّاعِر:

أكُفْرًا بعدَ رَدِّ الموتِ عَنِّي ... وَبعدَ عَطائِكَ المِائةَ الرِّتاعا(١)

يُريد: إعْطائِك.

وَمنه قول القائل الآخَر:

فَإنْ كان هذا البُخْلُ منك سَجِيَّةً ... لَقد كُنْتُ في طَوْلي رَجاءَكَ أشْعَبا(٢)

يُريد: في إطالَتي رَجاءَك.

---

(١) [الوافر] القائل: القطامي التغلبي، وهو عُمير بن شُييم بن عمرو بن عبّاد، من بني جُشَم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي الملقب بالقطامي، شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم، وجعله ابن سلّام في الطبقة الثانية من الإسلاميين. اللغة: أكفرًا: تأتي هنا بمعنى (أجفاءً). الرتاعا: جمع راتع يعني الإبل التي ترتع. المعنى: وجهها الشاعر لزفر بن الحارث الكلابي الذي قد أسره، ثم أطلقه وأعطاه مائة ناقة فيقول له: أأكفر بعدما أطلقت سراحي ولم تقض عليَّ، وقد أعطيتني ما أعطيت من إبل، وقد نصب (مائة) بـ (أعطيت).

(٢) [الطويل] القائل: مجهول. اللغة: سجية: طبع. أشعبا: (أشعب) طماع يضرب به المثل في الطمع. المعنى: يقول الشاعر: إن كان البخل من طباعك التي نشأت وتربيت عليها؛ فإني في إطالتي رجاءك كأشعب.

وَمنه قول الآخَر:

أظُلَيمَ إنَّ مُصابَكُم رَجُلًا أهدَى السَّلامَ تَحيَّةً ظُلْمُ[(١)]

يُريد: إصابَتَكُمْ. والشَّواهِد في هذا المعنى تَكْثُر، وفيما ذَكَرْنا كِفاية، لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِه.

فإذ كان الأمْرُ على ما وصَفْنا من إخراج العرب مَصادِرَ الأفعالِ على غَيْر بِناء أفعالها كَثيرًا، وكان تَصْديرها إيَّاها على مَخارِج الأسماء موجودًا فاشيًا - فَبَيِّنٌ بذلك صَوابُ ما قُلْنا من التَّأويل في قول القائِل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ أنَّ معناه في ذلك عند ابْتِدائِه في فِعْل أو قول: أبْدَأ بِتَسْمِيةِ اللَّه قَبْل فِعْلي، أو قَبْل قولي. وكذلك معنى قول القائِل عند ابْتِدائِه بِتِلاوةِ القُرآن: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إنَّما معناه: أقْرَأ مُبْتَدِئًا بِتَسْمِيةِ اللَّه، أو أبْتَدِئ قِراءَتي بِتَسْمِيةِ الله. فَجُعِلَ الاسم مَكان التَّسْمية، كما جُعِلَ الكَلام مَكان التَّكْليم، والعَطاء مَكان الإعْطاء.

وَبِمِثْلِ الذي قُلْنا من التَّأويل في ذلك رُوِيَ الخَبَرُ عن عبد الله بن عَبَّاس.

١٣٩- **حَدَّثنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق عن الضَّحَّاك، عن عبد الله بن عَبَّاس، قال: أوَّلَ ما نَزَلَ به جِبْريل على مُحَمَّد ﷺ، قال: يا مُحَمَّد، قُلْ: أستَعيذُ بالسَّميعِ العَليم من الشَّيْطان الرَّجيم. ثُمَّ قال: قُلْ: بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم. قال ابن عَبَّاس: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾، يقول له جِبْريل: يا مُحَمَّد، اقْرَأ بِذِكْرِ الله رَبِّك، وقُم واقْعُدْ بِذِكْرِ اللَّه[(٢)].

وَهذا التَّأويل من ابن عَبَّاس يُنْبِئ عن صِحَّة ما قُلْنا، من أنَّه مُرادٌ بِقولِ القائِل مُفْتَتِحًا قِراءَتَه بـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: أقْرَأ بِتَسْمِيةِ الله وذِكْره، وأفْتَتِحُ القِراءة بِتَسْمِيةِ اللَّه بِأسمائِه الحُسْنَى، وصِفاته العُلَى - ويوضح فَسادَ قول مَنْ زَعَمَ أنَّ معنى ذلك من قائِله: باللَّه الرَّحْمَن الرَّحيم أولُ كُلّ شَيْء. مع أنَّ العِباد إنَّما أُمِروا أنْ يَبْتَدِئوا عند فَواتِح أُمورهم بِتَسْمِيةِ الله لا بالخَبَرِ عن عَظَمَته وصِفاته، كالذي أُمِروا به من التَّسْمية على الذَّبائِح والصَّيْد، وعند المَطْعَم والمَشْرَب، وسائِر أفعالهم، فكذلك الذي أُمِروا به من تَسْمِيَته عند افتِتاح تِلاوة تَنْزيل الله وصُدور رَسائِلهم وكُتُبهِمْ.

وَلا خِلاف بين الجَميع من عُلَماء الأُمَّة أنَّ قائِلًا لو قال عند تَذْكِيَته بعضَ بَهائِم الأنْعام: (باللَّهِ)، ولم يَقُلْ: (بسم الله). أنَّه مُخالِف بِتَرْكِه قِيلَ: (بسم الله) ما سُنَّ له عند التَّذْكية من

---

(١) [الكامل] القائل: الحارث المخزومي، وهو: الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قريش. شاعر غزل، من أهل مكة نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة وكان يذهب مذهبه، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء، وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها، وله معها أخبار كثيرة، ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكة، فظهرت دعوة عبد الله بن الزبير، فاستتر الحارث خوفًا، ثم رحل إلى دمشق وافدًا على عبد الملك بن مروان فلم ير عنده ما يحب، فعاد إلى مكة وتوفي بها. اللغة: ظليم: هي أم عمران، زوجة عبد الله بن مطيع، وكان الحارث ينسب بها، فلما مات زوجها تزوجها.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

القول، فقد عُلِمَ بِذلك أنّه لم يُرِدْ بِقولِه: (بسم الله): (باللَّهِ) كما قال الزَّاعِم أنَّ اسم الله في قول اللَّه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ هو اللَّه؛ لأنَّ ذلك لو كان كما زَعَمَ، لَوَجَبَ أنْ يكون القائِل عند تَذْكِيَته ذَبيحَته: (باللَّهِ). قائِلاً ما سُنَّ له من القول على الذَّبيحة.

وفي إجماع الجَميع على أنَّ قائِل ذلك تارِكٌ ما سُنَّ له من القول على ذَبيحَتِهِ إذا لم يَقُلْ: (بِاسْم اللَّه) - دَليل واضِح على فَساد ما ادَّعَى من التَّأويل في قول القائِل: (بسم الله). أنَّه مُراد به باللَّه، وأنّ اسم الله هو اللَّه.

وَلَيْسَ هذا الموضِع من مَواضِع الإكْثار في الإبانة عن الاسم، أهوَ المُسَمَّى أم غَيْره أم هو صِفة لهُ؟ فَنُطيل الكِتاب بذكرِهِ، وإنَّما هو موضِع من مَواضِع الإبانةِ عن الاسم المُضاف إلى اللَّه جل وعز، أهوَ اسم أم مَصْدَرٌ بِمعنى التَّسْمية؟

فَإنْ قال قائِل: فَما أنتَ قائِل في بَيْت لَبيد بن رَبيعة:

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ السَّلامِ عليكُما وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فقد اعْتَذَرْ[١]

فَقد تأوَّلَه مُقَدَّم في العِلْم بِلُغةِ العرب أنّه مَعْنيٌّ به: ثُمَّ السَّلام عليكُما. وأنّ اسم السَّلام هو السَّلام.

قيلَ له: لو جازَ ذلك وصَحَّ تأويلهُ فيه على ما تأوَّلَ، لَجازَ أنْ يُقال: رَأيْت اسم زَيْد، وأكَلْت اسم الطَّعام، وشَرِبْت اسم الشَّراب.

وَفي إجماع جَميعْ العرب على إحالة ذلك ما يُنْبِئُ عن فَساد تأويل مَنْ تأوَّلَ قول لَبيد:

ثُمّ اسم السَّلام عليكُما[٢]

أنه أرادَ: ثُمَّ السَّلام عليكُما، وادِّعائِه أنَّ إدْخال الاسم في ذلك وإضافَته إلى السَّلام إنَّما جازَ إذ كان اسم المُسَمَّى هو المُسَمَّى بِعَيْنِه.

وَيُسْأَل القائِلونَ قولَ مَنْ حَكَيْنا قوله هذا، فَيُقال لهم: أتَسْتَجيزونَ في العربيَّة أنْ يُقال: أكَلْتُ اسم العَسَل، يَعْني بِذلك أكَلْت العَسَل، كما جازَ عندكُم اسم السَّلام عليك، وأنتم تُريدونَ: السَّلام عليك؟

---

(١) [الطويل] القائل: لَبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ، يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم، وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا، وسكن الكوفة وعاش عمرًا طويلاً، وهو صاحب المعلقة التي مطلعها: [الكامل]

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها بِمَنًى تَأَبَّدَ غَولُها فَرِجامُها

اللغة: الحول: العام الكامل. المعنى: يأمر ابنتيه في تلك القصيدة بألا يفعلا أفعال الجاهلية من حلق الشعر وغيرها من الأفعال التي كان يفعلها أهل الميت عليه، حتى إن البعض يأمر بذلك إذا مات كما قال طرفة بن العبد:

فَإن مُتُّ فَانعيني بِما أنا أَهلُهُ وَشُقّي عَلَيَّ الجَيبَ يا ابنَةَ مَعبَدِ

فهذا ما ينهى الشاعر ابنتيه عن فعله، ويأمرهما أن يذكراه بالخير، ويستمرا في فعل هذا إلى أن ينقضي العام؛ فمن يفعل مثل ما فعلتما فقد بلغ الغاية في العذر.

(٢) [الطويل] تقدم قبله.

فَإِنْ قالوا: نَعَمْ. خَرَجوا من لِسان العرب، وأجازوا في لُغَتها ما تُخطِّئه جَميعُ العرب في لُغتها، **وإنْ قالوا**: لا! سُئِلوا الفَرْقَ بينهما، فَلَنْ يقولوا في أحَدهما قولاً إلاَّ أُلْزِموا في الآخَرِ مِثْله.

فَإِنْ قال لنا قائِل: فَما معنى قول لَبيد هذا عندك؟

قيلَ له: يَحْتَمِل ذلك وجهَيْنِ، كِلاهُما غَيْر الذي قاله مَنْ حَكَيْنا قوله:

أحَدهما: أنَّ (السَّلام) اسم من أسماء اللَّه؛ فَجائِز أنْ يكون لَبيد عَنَى بِقولِه:

ثُـمَّ اسـمُ الـسَّـلام عـلـيـكُـمـا[1]

ثُمَّ: الْزَما اسمَ الله وذِكْره بعد ذلك، ودَعا ذِكْري والبُكاءَ عَلَيَّ. على وجه الإغراء، فَرَفَعَ الاسم إذْ أخَّرَ الحَرْفَ الذي يَأتي بِمعنى الإغراء، وقد تَفْعَلُ العرب ذلك إذا أخَّرَتِ الإغْراء وقَدَّمَتِ المُغْرَى به، وإنْ كانتْ قد تَنْصِب به وهو مُؤَخَّر، ومن ذلك قول الشَّاعِر:

يـا أيُّـهـا الـمـائِـحُ دَلْـوي دونَـكـا
إنِّـي رَأيْـت الـنَّـاسَ يَـحْـمَـدونَـكـا[2]

فَأغْرَى بـ(دونَكَ)، وهيَ مُؤَخَّرة، وإنّما معناه: دونَكَ دَلْوي.

فَكذلك قول لَبيد:

إلى الحَوْل ثُمَّ اسمُ السَّلام عليكُما[3]

يَعْني: ثم عليكُما اسمَ السَّلام، أي: الْزَما ذِكْرَ اللَّه، ودَعا ذِكْري والوَجْدَ بي؛ لأنَّ مَنْ بَكَى حَوْلاً على امْرِئٍ مَيِّت فقد اعْتَذَرَ. فَهذا أحَد وجهَيْه.

والوَجْه الآخَر منهُما: ثُمَّ تَسْميَتي اللهَ عليكُما. كما يقول القائِل لِلشَّيْءِ يَراه فَيُعْجِبه: اسمُ اللهِ عليك. يُعَوِّذُهُ بِذلك من السُّوء، فَكَأنَّه قال: ثُمَّ اسمُ الله عليكُما من السّوء.

وكأن الوَجْه الأوَّل أشبَهُ المعنيَيْنِ بِقولِ لَبيد."

وَيُقال لِمَنْ وجَّهَ بَيْت لَبيد هذا إلى أنَّ معناه: ثُمَّ السَّلام عليكُما: أتَرَى ما قُلْنا من هَذَيْنِ الوَجْهَيْنِ جائِزًا، أو أحَدهما، أو غَيْر ما قُلْت فيهِ؟

فَإِنْ قال: لا! أبانَ مِقْداره من العِلْم بِتَصاريفِ وُجوه كَلام العرب، وأغْنَى خَصْمه عن مُناظَرَته.

وإنْ قال: بَلَى. قِيلَ له: فَما بُرْهانك على صِحَّة ما ادَّعَيْت من التَّأويل أنَّه الصَّواب دون الذي ذَكَرْتُ أنَّه مُحْتَمَله من الوَجْه الذي يَلْزَمنا تَسْليمه لَك؟ ولا سَبيل إلى ذلك.

---

(١) [الطويل] تقدم قبله.

(٢) [الرجز] اللغة: المائح: هو الرجل الذي ينزل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها، فيلقي الدلاء فيملؤها بيده ويميح لأصحابه. وذُكر هذا الرجز الطويل في كتابَيِ الخزانة و أمالي القالي، وقيل في رجل ألقوه في البئر ثم زجروا به.

(٣) [الطويل] تقدم قبله بواحد.

وَأمّا الخَبَر الذي:

١٤٠- **حدّثنا** إسماعيلُ بن الفَضْل، قال: حَدَّثَنا إبراهيمُ بن العَلاء بن الضَّحَّاك، وهو يُلقَّب بِزِبْرِق، قال: حَدَّثَنا إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يَحْيَى عن ابن أبي مُلَيْكة، عَمَّنْ حَدَّثَه، عن ابن مسعود، ومِسْعَر بن كِدام، عن عَطِيَّةَ، عن أبي سَعيد، قال: قال رَسول الله ﷺ: «**إنَّ عِيسَى ابن مَرْيَم أَسْلَمَتْهُ أُمُه إلَى الْكُتَّاب لِيُعَلِّمَهُ، فَقَالَ لَهُ الْمُعَلِّمُ: اكْتُبْ بِاسْم. فَقَالَ لَهُ عِيسَى: وَمَا بِاسْم؟ فَقَالَ لَهُ الْمُعَلِّم: مَا أَدْرِي. فَقَالَ عِيسَى: الْبَاء: بَهَاء اللَّه، وَالسِّين: سَنَاؤُهُ، وَالْمِيم: مَمْلَكَته**»[(١)].

فَأخْشَى أنْ يكون غَلَطًا من المُحَدِّث، وأنْ يكون أرادَ: [ب س م]، على سَبيلِ ما يُعَلَّمُ المُبْتَدِئ من الصِّبْيان في الكُتاب حُروف أبي جاد، فَغَلَط بِذلك فَوَصَلَه فَقال: (بِاسْم). لأنَّه لا معنى لِهذا التَّأويل إذا تُليَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ على ما يَتْلوه القارِئُ في كِتاب اللَّه تعالى؛ لِاستِحالةِ معناه على المَفْهوم به عند جَميع العربِ وأهلِ لِسانها، إذا حُمِلَ تأويلُه على ذلك.

القول في تأويل قول الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿اللَّهِ﴾:

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أمَّا تأويل قول اللَّه تعالى: ﴿اللَّهِ﴾، فإنَّه على معنى ما رُوِيَ لنا عن عبد الله بن عَبَّاس: هو الذي يَألَهُه كُلُّ شَيْء، ويَعْبُده كُلُّ خَلق. وَذلك أنَّ أبا كُرَيْب حَدَّثَنا قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن عبد الله بن عَبَّاس قال: الله ذو الأُلوهيّة والعبوديّة على خَلْقه أجْمَعينَ[(٢)].

فَإنْ قال لنا قائِل: فَهَلْ لِذلك في (فَعَلَ ويَفْعَل) أصْل كان منه بِناء هذا الاسم؟ **قِيلَ:** أمَّا سَماعًا من العرب فلا، ولَكِن استِدْلالاً.

فَإنْ قال: وما دَلَّ على أنَّ الأُلوهيَّة هي العِبادة، وأنّ الإلَه هو المعبود، وأنَّ له أصْلاً في فَعَلَ ويَفْعَل؟ **قِيلَ:** لا تَمانُعَ بين العرب في الحُكْم لِقولِ القائِل يَصِف رَجُلاً بِعِبادةِ ويَطْلُب ما عند الله جَلَّ ذِكْرُه: تألَّهَ فُلانٌ. بالصِّحَّةِ ولا خِلاف. ومن ذلك قول رُؤبة بن العَجَّاج:

لِلَّـه دَرُّ الـغـانـيـاتِ الـمُـدَّهِ
سَبَّحْنَ واستَرْجَعْنَ من تألُّهي[(٣)]

يَعْني: مِنْ تَعَبُّدي وطَلَبي اللهَ بِعَمَلي.

---

(١) [موضوع] إسماعيل بن يحيى كذاب يضع الحديث، والراوي عن ابن مسعود مبهم، وكذلك الراوي عن أبي سعيد ضعيف هو عطية العوفي.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [الرجز] القائل: رؤبة بن العجاج سبق التعريف به. اللغة: المده: جمع ماده ومده فلانًا يمدهه مدهًا. سبحن: قلن: (سبحان الله). استرجعن: قلن: (إنا لله وإنا إليه راجعون). يقلن ذلك حسرة عليه كيف تَنَسَّكَ وَهَجَرَ الدنيا، بعد الذي كان من شبابه وجماله وصبوته!

وَلا شَكَّ أنَّ التّألُّه (التَفعُّل) من: أَلَهَ يَأْلَهُ، وأنّ معنى (أَلَه) إذا نُطِقَ به: عَبَدَ اللَّهَ. وقد جاء منه مَصْدَر يَدُلُّ على أنَّ العرب قد نَطَقَتْ منه بـ(فَعِلَ يَفْعَل) بِغَيْرِ زيادة.

وَذلك ما:

١٤١- **حَدَّثَنا** به سُفْيان بن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن نافِع بن عُمَر، عن عَمْرو بن دينار، عن ابن عَبَّاس، أنَّه قَرَأ: (ويَذَرَكَ وإلاهَتَكَ) قال: عِبادَتك، ويَقولُ: إنَّه كان يُعْبَد ولا يَعْبُد[١].

١٤٢- **وحَدَّثَنا** سُفْيان، قال: حَدَّثَنا ابن عُيَيْنة، عن عَمْرو بن دينار، عن مُحَمَّد بن عَمْرو بن الحسن، عن ابن عَبَّاس: (وَيَذَرَك وإلاهَتَكَ). قال: إنَّما كان فرعونُ يُعْبَد ولا يَعْبُد. وكذلك كان ابن عباس يَقْرَؤُها ومُجاهِد[٢].

١٤٣- **وحَدَّثَنا** القاسِمُ قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن داودَ، قال: حَدَّثني حَجَّاجٌ، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد، قوله: (وَيَذَرَك وإلاهَتك) قال: وعِبادَتك[٣].

وَلا شَكَّ أنَّ الإلاهة - على ما فَسَّرَه ابن عَبَّاس ومُجاهِدٌ - مَصْدَرٌ من قول القائِل: أَلَهَ اللهَ فُلانٌ إلاهةً، كما يُقال: عَبَدَ اللهَ فُلانٌ عِبادةً، وعَبَرَ الرُؤيا عِبارةً. فقد بَيَّنَ قولُ ابن عَبَّاس ومُجاهِد هذا أنَّ أَلَهَ: عَبَدَ، وأنَّ الإلاهة مَصْدَره. فَإِنْ قال: فَإِنْ كان جائِزًا أنْ يُقال لِمَنْ عَبَدَ اللَّه: أَلَهَه - على تأويلِ قول ابن عَبَّاس ومُجاهِد - فكيف الواجِبُ في ذلك أنْ يُقال، إذا أرادَ المُخْبِر الخَبَرَ عن استيجاب الله ذلك على عبده؟ قِيلَ: أَمَّا الرِّواية فلا رِواية به عندنا، ولَكِنَّ الواجِب على قياس ما جاء به الخَبَر عن رَسول الله ﷺ، **الذي**:

١٤٤- **حَدَّثَنا** به إسماعيل بن الفَضْل، قال: حَدَّثَنا إبراهيم بن العَلاء، قال: حَدَّثَنا إسماعيلُ بن عَيَّاش، عن إسماعيل بن يَحْيَى، عن ابن أبي مُلَيْكة، عَمَّنْ حَدَّثَه، عن ابن مسعود، ومِسْعَر بن كِدام، عن عَطِيَّة العَوْفيِّ، عن أبي سَعيد، قال: قال رَسول الله ﷺ: «**إنَّ عِيسَى أَسْلَمَتْهُ أُمُّه إلَى الْكُتَّاب لِيُعَلِّمهُ، فَقَالَ لَهُ الْمُعَلِّم: اكْتُبْ اللَّه. فَقَالَ لَهُ عِيسَى: أَتَدْرِي مَا اللَّه؟ الله إِلَهُ الآلِهَةِ**» - أنْ يُقال: الله جَلَّ ثناؤه إلهُ العبد، والعبد أَلَهَه. وأنْ يكون قول القائِل (اللَّه). من كَلام العرب أصْله (الإلَه)[٤].

---

(١) [صحيح دون قوله: (عبادتك)] سفيان بن وكيع ضعيف لكونه كان يقبل التلقين، وكذلك أُتهم بالكذب. وكل أسانيده عند المصنف ضعيفة؛ وقد جاء بسند صحيح دون اللفظة المشار إليها كما أخرجه سعيد بن منصور في التفسير، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره فقال: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار. كلاهما (سعيد بن منصور، وعمرو بن دينار) عن محمد بن عمرو بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ويذرك وآلهتك، قال: إنما كان فرعون يُعبَد ولا يَعبُد. اهـ.

(٢) [صحيح] تقدم قبله.

(٣) [ضعيف] ابن جريج مدلس، ولم يصرح، والحسين بن داود المصيصي ضعيف مع إمامته وحفظه لكون كان يلقن شيخه الحجاج المصيصي. والعلم عند الله.

(٤) [موضوع] إسماعيل بن يحيى كذاب يضع الحديث، والراوي عن ابن مسعود مبهم، وكذلك الراوي عن أبي سعيد ضعيف هو عطية العوفي.

فإنْ قال: وكيف يجوز أنْ يكون ذلك كذلك مع اختِلاف لَفْظَيْهما؟

قيل: كما جازَ أنْ يكون قوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف: ٣٨] أصْله: لَكِنْ أنا هو الله رَبِّي كما قال الشَّاعِر:

وَتَرْمينَني بالطَّرْفِ أيْ أنتَ مُذْنِب وَتَقْلينَني لَكِنَّا إيَّاكِ لا أقْلي[١]

يُريد: لَكِنْ أنا إيَّاكِ لا أقْلي. فَحَذَفَ الهَمْزة من (أنا)، فالتَقَتْ نون (أنا) ونون (لَكِنْ) وَهيَ ساكِنة، فَأُدْغِمَتْ في نون (أنا)، فَصارَتا نونًا مُشَدَّدة، فَكَذلك اللَّه، أصْله الإلَه، أُسْقِطَتِ الهَمْزة، التي هي فاءُ الاسم، فالتَقَتِ اللَّام التي هي عَيْن الاسم، واللَّام الزَّائِدة التي دَخَلَتْ مع الألِف الزَّائِدة، وهيَ ساكِنة، فَأُدْغِمَتْ في الأُخْرَى التي هي عَيْن الاسمِ، فَصارَتا في اللَّفْظ لامًا واحِدة مُشَدَّدة، كما وصَفْنا من قول اللَّه: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وأمَّا ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، فَهوَ فَعْلان، من رَحِمَ، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فعيل منه، والعرب كَثيرًا ما تَبني الأسماء من (فَعِلَ يَفْعَل) على (فَعْلان)، كَقولِهم من غَضِبَ: غَضْبان: ومن سَكِرَ: سَكْران، ومن عَطِشَ: عَطْشان، فَكَذلك قولهم: رَحْمَنُ، من رَحِمَ؛ لأنَّ (فَعِلَ) منه: رَحِمَ يَرْحَم.

وَقيلَ: (رَحيم) وَإنْ كانتْ عَيْن (فَعِلَ) منه مَكْسورة؛ لأنَّه مَدْحٌ، ومن شَأن العرب أنْ يَحْمِلوا أبنية الأسماء إذا كان فيها مَدْح أو ذَمّ على (فَعيل)، وإنْ كانتْ عَيْن (فعل) منها مَكْسورة أو مَفْتوحة، كما قالوا من عَلِمَ: عالِم وعَليم، ومن قَدَرَ: قادِرٌ وقَدير. ولَيْسَ ذلك منها بِناء على أفعالها؛ لأنَّ البِناء من (فَعِلَ يَفْعَل) (وَفَعَلَ يَفْعِل) فاعِل. فَلو كان الرَّحْمَن والرَّحيم خارِجَيْنِ عن بِناء أفعالهما لَكانتْ صورَتُهما الرَّاحِم.

فَإنْ قال قائِل: فَإذا كان (الرَّحْمَن والرَّحيم) اسمَيْنِ مُشْتَقَّينِ من الرَّحْمة، فَما وجه تَكْرير ذلك، وأحَدُهما مُؤَدٍّ عن معنى الآخَر؟

قيلَ له: لَيْسَ الأمْر في ذلك كما ظَنَنْت، بل لِكُلِّ كَلِمة منهُما معنًى لا تُؤَدِّي الأُخْرَى منهُما عنها.

فَإنْ قال: وما المعنى الذي انفَرَدَتْ به كُلُّ واحِدة منهُما، فَصارَتْ إحداهُما غَيْرَ مُؤَدِّيَةِ المعنى عن الأُخْرَى؟

---

(١) [الطويل] القائل: مجهول، وهذا البيت ورد في جلّ كتب اللغة والنحو لقائل مجهول، الخزانة (١١/ ٢٢٥).
اللغة: الطرف: العين. تقلينني: تبغضينني. المعنى: يقول لها: إن نظرتك إليّ نظرة تقول لي: (إنك مذنب)، وتبغضينني لكن أنا لا أبغضك.
الشاهد النحوي: يستشهد النحاة في هذا البيت على أن (لكن) اسمها محذوف تقديره: ولكنني. وإياك: مفعول مقدم لقوله: لا أقلي، وجملة (لا أقلي) مع مفعوله المقدم خبر لكن.

قِيلَ أَمَّا من جِهة العربيَّة: فلا تَمانُع بين أهلِ المعرفة بِلُغاتِ العرب أنَّ قول القائِل: الرَّحْمَن. عن أبنية الأسماء من (فَعِلَ ويَفْعَل) أشَدُّ عُدولاً من قوله: (الرَّحيم). ولا خِلاف مع ذلك بينهم أنَّ كُلّ اسم كان له أصْل في (فَعِلَ ويَفْعَل)، ثُمَّ كان عن أصْله من فَعِلَ ويَفْعَل أشَدَّ عُدولاً، أنَّ الموصوف به مُفَضَّل على الموصوف بالاسم المَبنيِّ على أصْله من (فَعُلَ ويَفْعُل) إذا كانتِ التَّسْمية به مَدْحًا أو ذَمًّا. فهذا ما في قول القائِل (الرحمن) من زيادة المعنى على قوله: (الرحمن) في اللُّغة.

وَأمَّا من جِهة الأثَر والخبَر، فَفيه بين أهل التَّأويل اختِلاف:

١٤٥- **فَحَدَّثني** السَّريُّ بن يَحْيَى التَّميميُّ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن زُفَرَ، قال: سَمِعْت العَرْزَميَّ يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: الرَّحْمَن بِجَميعِ الخَلْق. ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: بالمُؤمِنينَ(١).

١٤٦- **حَدَّثَنا** إسماعيلُ بن الفَضْل، قال: حَدَّثَنا إبراهيم بن العَلاء، قال: حَدَّثَنا إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يَحْيَى، عن ابن أبي مُلَيْكة، عَمَّنْ حَدَّثَه، عن ابن مسعود، ومِسْعَر بن كِدام، عن عَطيّة العَوْفيِّ، عن أبي سَعيد، قال: قال رَسول الله ﷺ: «**إنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَالَ: الرَّحْمَن: رَحْمَنُ الآخِرَة وَالدُّنْيا، وَالرَّحِيم: رَحِيمُ الآخِرَة**»(٢).

فَهذانِ الخَبَرانِ قد أنْبَأا عن فَرْقٍ ما بين تَسْمية الله جَلَّ ثَناؤه باسمِه الذي هوَ (رحمن)، وتَسْميَته باسمِه الذي هوَ (رحيم).

واختِلاف معنَيَي الكَلِمَتَيْنِ، وإن اختَلَفا في معنى ذلك الفَرْق، فَدَلَّ أحَدهما على أنَّ ذلك في الدُّنيا، ودَلَّ الآخَرُ على أنَّه في الآخِرة.

فَإنْ قال: فَأيُّ هَذَيْنِ التَّأويلَيْنِ أولَى عندك بالصِّحَّةِ؟

قِيلَ: لِجَميعِهِما عندنا في الصِّحَّة مَخْرَج، فلا وجه لِقولِ قائِل: أيّهما أولَى بالصِّحَّةِ؛ وذلك أنَّ المعنى الذي في تَسْمية الله بالرَّحْمَنِ دون الذي في تَسْميَته بالرَّحيم؛ هو أنَّه بالتَّسْميةِ بالرَّحْمَنِ موصوف بِعُمومِ الرَّحْمة جَميعَ خَلْقه، وأنَّه بالتَّسْميةِ بالرَّحيم موصوفٌ بِخُصوصِ الرَّحْمة بعضَ خَلْقه، إمَّا في كُلِّ الأحوال، وإمَّا في بعض الأحوال. فلا شَكَّ - إذ كان ذلك كذلك - أنَّ ذلك الخُصوص الذي في وصْفه بالرَّحيمِ لا يَسْتَحيل عن معناه، في الدُّنيا كان ذلك أو في الآخِرة، أو فيهما جَميعًا.

---

(١) [حسن] محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العرزمي متروك الحديث، ولكنه قوله هو، وعثمان بن زفر بن مزاحم صدوق، والسري بن يحيى التميمي شيخ المصنف، قال ابن أبي حاتم: كان صدوقًا. وليس هو أبو الهيثم إنما هو أبو عبيدة.

(٢) [موضوع] إسماعيل بن يحيى كذاب يضع الحديث، والراوي عن ابن مسعود مبهم، وكذلك الراوي عن أبي سعيد ضعيف هو عطية العوفي.

فَإذ كان صَحيحًا ما قُلْنا من ذلك، وكان الله جَلَّ ثَناؤه قد خَصَّ عِباده المُؤمِنينَ في عاجِل الدُّنيا بِما لَطَفَ لهم من تَوْفيقه إيَّاهم لِطاعَتِه، والإيمان به وبِرُسُلِه، واتِّباع أمْره واجْتِناب مَعاصيه؛ مِمَّا خُذِلَ عنه مَنْ أشرَكَ به وكَفَرَ، وخالَفَ ما أُمِرَ به ورَكِبَ مَعاصيَه، وكان مع ذلك قد جَعَلَ جَلَّ ثَناؤه ما أعَدَّ في آجِل الآخِرة في جِنَّانه من النَّعيم المُقيم والفَوْز المُبين لِمَنْ آمَنَ به وصَدَّقَ رُسُله وعَمِلَ بِطاعَتِه خالِصًا دون مَنْ أشرَكَ وكَفَرَ به - كان بَيِّنًا أنَّ الله قد خَصَّ المُؤمِنينَ من رَحْمَته في الدُّنيا والآخِرة، مع ما قد عَمَّهم به والكُفَّارَ في الدُّنيا، من الإفضال والإحسان إلى جَميعِهم، في البسْط في الرِّزْق، وتَسْخير السَّحاب بالغَيْثِ، وإخراج النَّبات من الأرْض، وصِحَّة الأجْسام والعُقول، وسائِر النِّعَم التي لا تُحْصَى، التي يَشْتَرِك فيها المُؤمِنونَ والكافِرونَ. فَرَبُّنا جَلَّ ثَناؤه رَحْمَنُ جَميع خَلْقه في الدُّنيا والآخِرة، وَرَحيمُ المُؤمِنينَ خاصَّة في الدُّنيا والآخِرة.

فَأمَّا الذي عَمَّ جَميعَهم به في الدُّنيا من رَحْمَته، فَكان رَحْمانًا لهم به، فما ذَكَرْنا مع نَظائِره التي لا سَبيل إلى إحصائِها لأحَدٍ من خَلْقه، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨].

وأمَّا في الآخِرة، فالذي عَمَّ جَميعهم به فيها من رَحْمَته، فَكان لهم رَحْمانًا في تَسْويَته بين جَميعهم جَلَّ ذِكْرُه في عَدْله وقَضائِه، فلا يَظْلِم أحَدًا منهم مِثْقال ذَرَّة، وإنْ تَكُ حَسَنة يُضاعِفها، ويُوَفِّي كُلَّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ، فَذلك معنى عُمومه في الآخِرة جَميعَهم بِرَحْمَتِه الذي كان به رَحْمانًا في الآخِرة، وَأمَّا ما خَصَّ به المُؤمِنينَ في عاجِل الدُّنيا من رَحْمَته الذي كان به رَحيمًا لهم فيها، كما قال جَلَّ ذِكْرُه: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] فَما وصَفْنا من اللُّطْف لهم في دينهم، فَخَصَّهم به دون مَنْ خَذَلَه من أهل الكُفْر به. وأمَّا ما خَصَّهم به في الآخِرة، فَكان به رَحيمًا لهم دونَ الكافِرينَ، فَما وصَفْنا آنِفًا مِمَّا أعَدَّ لهم دون غَيْرهم من النَّعيم والكَرامة التي تَقْصُر عنها الأمانيُّ.

وَأمَّا القول الآخَر في تأويله، فهو ما:

١٤٧- **حَدَّثَنا** به أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن عبد الله بن عَبَّاس، قال: الرَّحْمَن الفَعْلان من الرَّحْمة - وهو من كَلام العرب(١).

قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: الرَّقيقُ الرَّفيقُ بِمَنْ أحَبَّ أنْ يَرْحَمه، والبعيد الشَّديد على مَنْ أحَبَّ أنْ يُعَنِّفَ عليه، وكذلك أسماؤُه كُلُّها.

وَهذا التَّأويل من ابن عَبَّاس يَدُلّ على أنَّ الذي به رَبُّنا رَحْمَنٌ هو الذي به رَحيم، وإنْ كان

(١) [ضعيف] الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس مرسل لم يسمع منه على الصحيح، وقد صحح الشيخ شاكر سماعه منه، والسند إليه ضعيف فيه بشر بن عمارة الخثعمي، ضعيف الحديث، وعثمان بن سعيد الكوفي الزيات لا بأس به، وأبو كريب محمد بن العلاء بن كريب الهمداني ثقة حافظ. والعلم عند الله.

لِقولِه: (الرحمن) من المعنى ما لَيسَ لِقولِهِ: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾؛ لأنه جَعَلَ معنى الرَّحْمَن بِمعنى الرَّقيق على مَنْ رَقَّ عليه، ومعنى الرَّحيم بِمعنى الرَّفيق بِمَنْ رَفَقَ به.

والقول الذي رَوَيْناه في تأويل ذلك عن النَّبيِّ ﷺ وذَكَرْناه عن العَرْزَميِّ؛ أشبَهُ بِتأويلِه من هذا القول الذي رَوَيْناه عن ابن عَبَّاس؛ وإنْ كان هذا القول موافِقًا معناه معنى ذلك، في أنَّ لِلرَّحْمَنِ من المعنى ما لَيْسَ لِلرَّحيمِ، وأنَّ لِلرَّحيمِ تأويلاً غَيْر تأويل الرَّحْمَن.

والقول الثَّالِثُ في تأويل ذلك، ما:

١٤٨ - **حَدَّثَني** به عِمْران بن بَكَّار الكَلاعيُّ، قال: حَدَّثَنا يَحْيَى بن صالِح، قال: حَدَّثَنا أبو الأزْهَرِ نَصْرُ بن عَمْرٍو اللَّخْميُّ من أهل فِلَسْطين، قال: سَمِعْتُ عَطاءَ الخُراسانيَّ، يقول: كان الرَّحْمَنَ، فَلَمَّا اختُزِلَ الرَّحْمَن من اسمه كان الرَّحْمَنَ الرَّحيمَ(١).

والذي أرادَ - إنْ شاءَ الله - عَطاء بِقولِه هذا: أنَّ الرَّحْمَن كان من أسماء الله التي لا يَتَسَمَّى بها أحَد من خَلْقه، فَلَمَّا تَسَمَّى به الكَذَّاب مُسَيْلِمة - وهو اختِزالُه إيَّاه، يَعْني اقْتِطاعَه من أسمائِه لِنَفْسِه - أخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَناؤه أنَّ اسمه الرَّحمن الرَّحيم؛ لِيَفْصِلَ بِذلك لِعِبادِه اسْمَه من اسم مَنْ قد تَسَمَّى بِأسمائِه؛ إذْ كان لا يُسَمَّى أحَد (الرَّحْمَن الرَّحيم) - فَيُجْمَع له هذانِ الاسمانِ - غَيْره جَلَّ ذِكْرُهُ؛ وإنَّما تَسَمَّى بعضُ خَلْقه إمَّا (رَحيمًا)، أو يَتَسَمَّى (رَحْمَنَ)، فأمَّا (رَحْمَن رَحيم)، فَلم يَجْتَمِعا قَطُّ لأحَدٍ سِواه، ولا يُجْمَعانِ لأحَدٍ غَيْره. فَكَأنَّ معنى قول عَطاء هذا: أنَّ الله جَلَّ ثَناؤه إنَّما فَصَلَ بِتَكْريرِ (الرَّحيم) على (الرَّحْمَن) بين اسمه واسم غَيْره من خَلْقه، اختَلَفَ معناهُما أو اتَّفَقا.

والذي قال عَطاء من ذلك غَيْر فاسِد المعنى، بل جائِزٌ أنْ يكون جَلَّ ثَناؤه خَصَّ نَفْسه بالتَّسْمِيةِ بِهِما مَعًا مُجْتَمِعَيْنِ إبانةً لها من خَلْقه؛ لِيُعْرِف عِبادُه بِذِكْرِهِما مَجْموعَيْنِ أنَّه المَقْصودُ بِذِكْرِهِما دون مَنْ سِواه من خَلْقه، مع ما في تأويل كُلِّ واحِد منهُما من المعنى الذي لَيْسَ في الآخَر منهُما.

وَقد زَعَمَ بعض أهل الغَباء أنَّ العرب كانتْ لا تَعْرِف (الرَّحْمَن) ولم يَكُنْ ذلك في لُغَتِها؛ ولِذلك قال المُشْرِكونَ لِلنَّبيِّ ﷺ: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠] إنْكارًا منهم لِهذا الاسم. فكَأنَّه كان مُحالاً عنده أنْ يُنْكِر أهل الشِّرْك ما كانوا بِصِحَّتِه عالِمينَ، أو كَأنَّه لم يَتْلُ من كِتاب الله قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يَعْني مُحَمَّدًا ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] وهم مع ذلك به مُكَذِّبونَ، ولِنُبوَّتِه جاحِدونَ، فَيُعْلَم بِذلك أنَّهم قد كانوا يُدافِعونَ حَقيقة ما قد ثَبَتَ عندهم صِحَّتُه واستَحْكَمَتْ لَدَيْهم معرِفَتُه، وقد أُنْشِدَ لِبعضِ الجاهِليَّةِ الجَهْلاء:

أَلاَ ضَرَبَتْ تِلْكَ الفَتاةُ هَجينَها ... ألا قَضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمينَها(٢)

---

(١) [ضعيف] من أجل أبي الأزهر مجهول، ويحيى بن صالح الوحاظي صدوق، وشيخ المصنف وثقه النسائي وغيره.

(٢) [الطويل] القائل: الشنفرى وهو: عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية وكان من فتاك العرب وعدائيهم، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم، قتلهُ بنو سلامان،

وَقال سَلامة بن جَنْدَل السَّعدي:

عَجِلْتُم علينا عَجْلَتَيْنا عليكُمْ وَما يَشَإِ الرَّحْمَنُ يَعْقِدْ ويُطْلِقِ(١)

وَقد زَعَمَ أيضًا بعضُ مَنْ ضَعُفَتْ معرفته بِتأويلِ أهل التَّأويل، وقَلَّتْ رِوايَته لأقوالِ السَّلَف من أهل التَّفْسير، أنَّ (الرحمن) مَجازه (ذو الرَّحْمة)، و(الرحيم) مَجازه (الرَّاحِم). ثُمَّ قال: قد يُقَدِّرونَ اللَّفْظَيْنِ من لَفْظ والمعنى واحِدٌ، وذلك لاتِّساعِ الكَلام عندهمْ. قال: وقد فَعَلوا مِثْل ذلك، فَقالوا: نَدْمانُ ونَديمٌ. ثُمَّ استَشْهَدَ بِقولِ بُرْج بن مُسْهِر الطَّائيّ:

وَنَـدْمـانٍ يَـزيـدُ الـكَـأسَ طِـيـبًـا سَقَيْتُ وقد تَغَوَّرَتِ النُّجومُ(٢)

واستَشْهَدَ بِأبْياتٍ نَظائِره له في النَّديم والنَّدْمان. فَفَرَّقَ بين معنى (الرَّحْمَن) و(الرَّحيم) في التَّأويل، لِقولِه: الرَّحْمَنُ ذو الرَّحْمة، والرَّحيم: الرَّاحِم، وإنْ كان قد تَرَكَ بَيان تأويل معنَيَيْهِما على صِحَّته، ثُمَّ مَثَّلَ ذلك باللَّفْظَيْنِ يَأتيانِ بِمعنًى واحِدٍ، فَعادَ إلى ما قد جَعَلَه بِمعنَيَيْنِ، فَجَعَلَه مِثال ما هو بِمعنًى واحِدٍ مع اختِلاف الألفاظ.

وَلا شَكَّ أنَّ (ذا الرَّحْمة) هو الذي قد ثَبَتَ أنَّ له الرَّحْمةَ وصَحَّ أنَّها له صِفة، وأنّ (الرَّاحِم) هو الموصوف بِأنّه سَيَرْحَمُ، أو قد رَحِمَ فانقَضَى ذلك منه، أو هو فيه، ولا دَلالة له فيه حينَئِذٍ أنَّ الرَّحْمة له صِفة، كالدَّلالةِ على أنَّها له صِفة إذا وصِفَ بِأنّه ذو الرَّحْمة، فَأيْنَ معنى (الرَّحْمَن الرَّحيم) - على تأويله - من معنى الكَلِمَتَيْنِ تَأتيانِ مُقَدَّرَتَيْنِ من لَفْظ واحِدٍ باختِلافِ الألفاظ واتِّفاق المَعاني؟ ولَكِنَّ القول إذا كان على غَيْرِ أصْلٍ مُعْتَمَدٍ عليه كان واضِحًا عَوارُه.

وَإنْ قال لنا قائِل: ولِمَ قَدَّمَ اسم الله الذي هو اللَّهُ على اسمه الذي هو الرَّحْمَن، واسمهُ الذي هو الرَّحْمَن على اسمه الذي هو الرَّحيم؟

وقيست قفزاته ليلة مقتلهِ فكان الواحدة منها قريبًا من عشرين خطوة، وفي الأمثال (أعدى من الشنفرى). وهو صاحب لامية العرب التي قام بشرحها (الزمخشري). وقد ورد هذا البيت برواية أخرى في ديوانه:

لَقَد لَطَمت كَفُّ الفَتاةِ هَجينَها أَلا بَتَر الرَّحمنُ رَبِّي يَمينَها

وورد بيت آخر يحمل نفس المعنى في ديوانه:

أَلا لَيتَ شِعري وَالتَلَهُّفُ ضَلَّةٌ بِما ضَرَبَت كَفُّ الفَتاةِ هَجينَها

اللغة: هجينها: من (هجن) ورجل وفرس هجين: إذا لم تكن الأم عربية. قضب: سيف قاضب، وقضب ساعده بالسيف، (وكان إذا رأى التَّصليب في ثوب قضبه).

(١) [الطويل] القائل: سلامة بن جندل بن عبد عمرو، أبو مالك، من بني كعب بن سعد التميمي، شاعر جاهلي من الفرسان، من أهل الحجاز، في شعره حكمة وجودة، يعد في طبقة المتلمس، وهو من وصاف الخيل، وجاء في ديوانه لفظ (حِجَّتَينِ) بدلاً من لفظ (عجلتينا).

(٢) [الوافر] القائل: اختلفت نسبة هذا البيت: ففي (ديوان الحماسة) (٣/ ١٢٧٢) نُسب إلى: البرج بن مسهر بن الجلاس أحد بني جديلة، ونُسِب إلى غيره. اللغة: الندمان والنديم: من ينادمك على الشراب، ومثله في البناء سلمان وسليم، وحمدان وحميد، ورحمن ورحيم. يزيد الكأس طيبًا: أي: بحسن عشرته، وأدب مجالسته يزداد شرب المدام وإدارة الكأس معه لذة. والمعنى: رب نديم على ما وصفته سقيته إذا تعرضت النجوم، أي: أبدت عرضها للغيوب.

قِيلَ: لأنَّ من شأن العرب إذا أرادوا الخَبَر عن مُخبَر عنه أنْ يُقَدِّموا اسمه، ثُمَّ يُتْبِعوه صِفاتِه ونُعوتَه، وهذا هو الواجِب في الحُكْم: أنْ يكون الاسم مُقَدَّمًا قَبْل نَعْته وصِفَته؛ ليَعْلَم السَّامِع الْخَبَرَ عَمَّن الخبَر. فَإذ كان ذلك كذلك، وكان لِلَّه جَلَّ ذِكْرُه أسماءٌ قد حَرَّمَ على خَلْقه أنْ يَتَسَمَّوْا بها خَصَّ بها نَفْسَه دونهم، وذلك مِثْلُ (اللَّه)، و(الرحمن) و(الخالق)، وأسماء أباحَ لهم أنْ يُسَمِّي بعضُهم بعضًا بها، وذلك كالرَّحيم، والسَّميع، والبصير، والكَريم، وما أشبَه ذلك من الأسماء - كان الواجِب أنْ تُقَدَّم أسماؤه التي هي له خاصَّة دون جَميع خَلْقه؛ ليَعْرِف السَّامِعُ ذلك مَنْ تَوَجَّهَ إليه الحمدُ والتَّمْجيدُ، ثُمَّ يُتْبَع ذلك بِأسمائِه التي قد تَسَمَّى بها غَيْره، بعد عِلْم المُخاطَب أو السَّامِع مَنْ تَوَجَّهَ إليه ما يَتْلو ذلك من المَعاني.

فَبَدَأ الله جَلَّ ذِكْرُه باسمِه الذي هو اللَّه؛ لأنَّ الألُوهة لَيْسَتْ لِغَيْرِه جَلَّ ثَناؤه من وَجْهٍ من الوُجوه، لا من جِهة التَّسَمِّي به، ولا من جِهة المعنى؛ وذلك أنَّا قد بَيَّنَّا أنَّ معنى (الله) جل ثناؤه معنى المعبود، ولا معبودَ غَيْرُه جَلَّ ثناؤه، وأنَّ التَّسَمِّي به قد حَرَّمَه الله جَلَّ ثَناؤه، وإنْ قَصَدَ المُتَّسِمي به ما قَصَدَ المُتَّسِمي بِسَعيدٍ وهو شَقيّ، وبِحَسَنٍ وهو قَبيح.

أوَلا تَرَى أنَّ الله جَلَّ ثناؤه قال في غَيْر آية من كِتابه: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤] فاستَكْبَرَ ذلك من المُقِرِّ به، وقال تعالى في خُصوصه نَفْسَه باللَّه وبالرَّحْمَنِ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] ثُمَّ ثَنَّى ذلك باسمِه، الذي هو الرَّحْمَن؛ إذْ كان قد مَنَعَ أيْضًا خَلْقَه التَّسَمِّيَ به، وإنْ كان من خَلْقه مَنْ قد يَسْتَحِقُّ تَسْميَتَهُ بِبعضِ مَعانيه؛ وذلك أنَّه قد يجوز وصْف كَثير مِمَّنْ هو دون الله من خَلْقه بِبعضِ صِفات الرَّحْمة، وغَيْرُ جائِز أنْ يَسْتَحِقّ بعضَ الأُلوهة أحَدٌ دونه؛ فَلِذلك جاء الرَّحْمَن ثانِيًا لاِسمِه الذي هوَ (اللَّه).

وَأمَّا اسمه الذي هوَ (الرحيم) فقد ذَكَرْنا أنَّه مِمَّا هو جائِزٌ وصْفُ غَيْره به، والرَّحْمة من صِفاته جَلَّ ذِكْرُه، فَكان - إذْ كان الأمْرُ على ما وصَفْنا - واقِعًا مَواقِعَ نُعوت الأسماء اللَّواتي هُنَّ تَوابِعُها بعد تَقَدُّم الأسماء عليها. فَهذا وجه تَقْديم اسم الله الذي هوَ (اللَّه) على اسمِ الذي هوَ (الرحمن)، واسمِ الذي هوَ (الرحمن) على اسمِ الذي هوَ (الرحيم). وَقد كان الحسن البصْريُّ يقول في (الرَّحْمَن) مِثْل ما قُلْنا، أنَّه من أسماء الله التي مُنِعَ التَّسَمِّي بها العِبادُ.

١٤٩ - **حَدَّثنا** مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا حَمَّاد بن مَسْعَدة، عن عَوْفٍ، عن الحسن، قال: الرَّحْمَن اسم مَمْنوع [(١)].

مع أنَّ في إجماع الأُمَّة مِنْ مَنْعِ التَّسَمِّي به جَميعَ النَّاس ما يُغْني عن الاستِشْهاد على صِحَّةِ ما قُلْنا في ذلك بِقولِ الحسن وغَيْره.

(١) [صحيح] عوف بن أبي جميلة ثقة، حديثه عن الحسن على شرط البخاري وغيره، وبقية رجاله ثقات.

القولُ في تأويلِ فاتحةِ الكِتابِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ومعنى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشُّكر لِلَّهِ خالِصًا دون سائِرِ ما يُعْبَدُ من دونِهِ، ودون كُلِّ ما بَرَأ من خَلْقه، بِما أَنْعَمَ على عِباده من النِّعَم التي لا يُحْصيها العَدَدُ ولا يُحيط بِعَدَدِها غَيْرُه أَحَدٌ، في تَصْحيح الآلات لِطاعَتِه، وتَمْكين جَوارِح أَجْسام المُكَلَّفينَ لأداءِ فَرائِضه، مع ما بَسَطَ لهم في دُنْياهم من الرِّزْق وغَذاهم به من نَعيم العَيْش من غَيْر استِحْقاق منهم لِذلك عليه، ومع ما نَبَّهَهم عليه ودَعاهم إليه من الأسباب المُؤَدِّية إلى دَوام الخُلود في دار المُقام في النَّعيم المُقيم؛ فَلِرَبِّنا الحمد على ذلك كُلِّه أَوَّلاً وآخِرًا.

وَبِما ذَكَرْنا من تأويل قول رَبِّنا جَلَّ ثناؤه وتَقَدَّسَتْ أسماؤُه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جاء الخَبَرُ عن ابن عَبَّاس وغَيْره:

١٥٠- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن العَلاء، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: قال جِبْريل لِمُحَمَّدٍ: قُلْ يا مُحَمَّد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. قال ابن عَبَّاس: الحمدُ: هو الشُّكر لله، والاستِخْذاءُ لِلَّه، والإقْرار بِنِعْمَتِه وهِدايَته وابْتِدائِه، وغَيْر ذلك[١].

١٥١- حَدَّثني سَعيد بن عَمْرو السَّكونيُّ، قال: حَدَّثنا بَقيّة بن الوَليد، قال: حَدَّثني عيسَى بن إبراهيم، عن موسَى بن أبي حَبيب، عن الحَكَم بن عُمَيْر - وكانتْ له صُحْبة - قال: قال النَّبيّ ﷺ: «إِذَا قُلْتَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَدْ شَكَرْتَ اللهَ فَزَادَكَ»[٢].

قال: وقد قِيلَ: إنَّ قول القائِل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثَناءٌ عليه بِأسمائِه وصِفاته الحُسْنَى. وقوله: (الشُّكر لِلَّهِ) ثَناء عليه بِنِعَمِه وأياديه.

وَقد رُوِيَ عن كَعْب الأحبار أنَّه قال: الحمد لِلَّه ثَناء اللَّه. وَلم يُبَيِّن في الرِّواية عنه من أيِّ معنَيَي الثَّناء اللَّذَيْنِ ذَكَرْنا ذلك.

١٥٢- حَدَّثنا يونُس بن عبد الأعْلَى الصَّدَفيُّ، قال: أَنْبَأنا ابن وهْب، قال: حَدَّثَني عُمَر بن مُحَمَّد، عن سُهَيْل بن أبي صالِح، عن أبيه، قال: أَخْبَرَني السَّلوليُّ، عن كَعْب قال: مَنْ قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فَذلك ثَناء على اللَّه[٣].

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر ضعيف.

(٢) [ضعيف] موسى بن أبي حبيب الطائفي، وعيسى بن إبراهيم الهاشمي ضعيفان، وبقية بن الوليد مدلس التسوية.

(٣) [ضعيف] عبد الله بن ضمرة السلولي مجهول الحال.

١٥٣- حَدَّثني عَليُّ بن الحسن الخَرَّاز، قال: حَدَّثَنا مُسْلِم بن عبد الرَّحْمَن الجَرْميُّ، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن مُصْعَب القَرْقَسانيُّ، عن مُبارَك بن فَضالة، عن الحسن، عن الأسوَد بن سَريع، أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «**لَيسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيهِ الْحَمْدُ مِنَ الله تَعَالَى؛ وَلِذلكَ أَثْنَى عَلَى نَفْسه فَقَالَ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾»(١).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ولا تَمانُعَ بين أهل المعرِفة بِلُغاتِ العرب من الحُكْم لِقولِ القائِل: (الحمد لِلَّه شُكْرًا) بالصِّحَّةِ. فقد تَبَيَّنَ - إذ كان ذلك عند جَميعهم صَحيحًا - أنَّ الحمد لِلَّه قد يُنْطَق به في موضِع الشُّكْر، وأنَّ الشُّكْرَ قد يوضَع موضِع الحمد لأنَّ ذلك لو لم يكُنْ كذلك لَما جازَ أنْ يُقال: الحمد لِلَّه شُكْرًا، فَيُخْرَج من قول القائِل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (مصدرَ أشكُرُ)؛ لأنَّ الشُّكْرَ لو لم يكُنْ بِمعنى الحمد، كان خَطَأً أنْ يُصْدُر من الحمدِ غَيْرُ معناه وغَيْرُ لَفْظه.

فَإِنْ قال لنا قائِل: وما وجه إدْخال الألِف واللَّام في الحمد؟ وهَلاَّ قِيلَ: حَمْدًا لِلَّه رَبِّ العالَمينَ؟

قِيلَ: إنَّ لِدُخولِ الألِف واللَّام في (الحمد) معنًى لا يُؤَدّيه قول القائِل (حَمْدًا لله)، بإسقاطِ الألِف واللَّام؛ وذلك أنَّ دُخولَهما في الحمد مُنْبِئ عن أنَّ معناه: جَميعُ المَحامِد والشُّكْر الكامِل لِلَّه، ولو أُسْقِطَتا منه ما دَلَّ إلاَّ على أنَّ حَمْد قائِل ذلك لِلَّه، دون المَحامِد كُلِّها؛ إذْ كان معنى قول القائِل: (حَمْدًا لِلَّهِ) أو (حَمْدٌ لِلَّهِ): أحمَد الله حَمْدًا، ولَيْسَ التَّأويل في قول القائِل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تاليًا سورةَ أُمِّ القُرْآن: أحمَدُ اللَّه. بل التَّأويل في ذلك ما وصَفْنا قَبْلُ من أنَّ جَميع المَحامِد لِلَّه بِأُلوهَتِه وإنعامه على خَلْقه، بِما أنْعَمَ عليهم به من النِّعَم التي لا كِفاء لها في الدِّين والدُّنْيا والعاجِل والآجِل.

وَلِذلك من المعنى، تَتابَعَتْ قِراءةُ القَرَأةِ وعُلَماءِ الأُمَّةِ على رَفْع الحمد من: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دون نَصْبها، الذي يُؤَدّي إلى الدَّلالة على أنَّ معنى تاليه كذلك: أحمَد الله حَمْدًا.

ولو قَرَأ قارِئ ذلك بالنَّصْبِ، لَكان عندي مُحيلاً معناه ومُسْتَحِقًّا العُقوبةَ على قِراءَته إيَّاه كذلك إذا تَعَمَّدَ قِراءَتَهُ كذلك وهو عالِم بِخَطَئِه وفَساد تأويله.

فَإِنْ قال لنا قائِل: وما معنى قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؟ أَحَمِدَ اللهُ نَفْسَه جَلَّ ثَناؤه فَأَثْنَى عليها، ثُمَّ عَلَّمَناه لِنَقولَ ذلك كما قال ووَصَفَ به نَفْسه؟ فَإِنْ كان ذلك كذلك، فَما وجه قوله تعالى ذِكْرُه إذن: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهو عَزَّ ذِكْرُه معبودٌ لا عابِد؟ أم ذلك من قيلِ جِبْريل أو مُحَمَّدٍ رَسول الله ﷺ؟ فقد بَطَلَ أنْ يكون ذلك لِلَّه كَلامًا.

قِيلَ: بل ذلك كُلّه كَلامُ الله جَلَّ ثَناؤهُ، ولَكِنَّهُ جَلَّ ذِكْرُه حَمِدَ نَفْسه وأثْنَى عليها بِما هو له

---

(١) [ضعيف] مبارك يدلس عن الحسن، والحسن لم يسمع من الأسود بن سريع كما ذهب لذلك الإمام أحمد، وقد صححه الشيخ شاكر من أجل إثباته لسماع الحسن من الأسود، وذكر له شواهد أخرى لا أراها من حيث المتن تشهد له فلم أبحث في سندها، والعلم عند الله.

أهلٌ، ثُمَّ عَلَّمَ ذلك عِباده وفَرَضَ عليهم تِلاوَتَه، اختِبارًا منه لهم وابْتِلاء، فَقال لهم: قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وَقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فَقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مِمَّا عَلَّمَهم جَلَّ ذِكْرُه أنْ يقولوه ويَدينوا له بِمعناه، وذلك موصولٌ بِقولِه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكَأنَّه قال: قولوا هذا وهذا.

فَإنْ قال: وأيْنَ قوله: (قولوا) فَيكون تأويلُ ذلك ما ادَّعَيْتَ؟

قِيلَ: قد دَلَّلْنا فيما مَضَى على أنَّ العرب من شَأْنِها إذا عَرَفَتْ مَكان الكَلِمة ولم تَشَكَّكْ أنَّ سامِعها يَعْرِف بِما أظْهَرَتْ من مَنْطِقها ما حَذَفَتْ - حَذْفُ ما كَفَى منه الظَّاهِر من مَنْطِقها، ولا سيَّما إنْ كانتْ تِلْكَ الكَلِمة التي حُذِفَتْ قولاً أو بتأويل قولٍ، كما قال الشَّاعِر:

وَأعْلَمُ أنَّني سأكونُ رَمْسًا ... إذا سارَ النَّواعِجُ لا يَسيرُ

فَقال السَّائِلونَ: لِمَنْ حَفَرْتُمْ؟ ... فَقال المُخْبِرونَ لهم: وزيرُ (١)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يُريد بِذلك: فَقال المُخْبِرونَ لهم: المَيِّت وزير. فَأسقَطَ المَيِّتَ؛ إذْ كان قد أتَى من الكَلام بِما يَدُلُّ على ذلك. وكذلك قول الآخَر:

وَرَأيْتِ زَوْجَكِ في الوَغَى ... مُتَقَلِّدًا سَيْفًا ورُمْحا (٢)

وَقد عَلِمَ أنَّ الرُّمْح لا يُتَقَلَّد، وأنه إنَّما أرادَ: وحامِلاً رُمْحًا. ولَكِنْ لَمَّا كان معلومًا معناه اكْتَفَى بِما قد ظَهَرَ من كَلامه عن إظْهار ما حَذَفَ منه. وقد يقولونَ لِلْمُسافِرِ إذا ودَّعوه: مُصاحَبًا مُعافًى يُعنى بذلك: سِرْ مصاحَبًا مُعَافًى، فيَحْذِفونَ: سِرْ واخرُجْ، إنْ كان معلومًا معناه وإنْ أُسقِطَ ذِكْره.

فَكَذلك ما حُذِفَ من قول الله تعالى ذِكْرُه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لَمَّا عُلِمَ بِقولِه جَلَّ ذِكْره: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ما أرادَ بِقولِه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من معنى أمْره عِباده، أغْنَتْ

---

(١) [الخفيف] القائل: لم ينسبه الفراء في معاني القرآن (١/ ١٥٥)، ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين (٣/ ١٨٤) للوزيري، والبيتان عند الجاحظ. اللغة: رمسًا: الرمس هو القبر المسوى عليه التراب. والنواعج: جمع (ناعجة) وهي الإبل السراع، نعجت في سيرها، أي: سارت في كل وجه من نشاطها. وفي رواية (النوائح): جمع (نائحة) من النواح على الميت أي: الصراخ. المعنى: يقول الشاعر راثيًا نفسه، معلنًا يقينه من المصير الذي ينتظره - شأن كل حيٍّ - من أنه سيصير إلى قاع لَحدٍ، وسيسأل الخلق: لمن تحفرون هذا اللحد؟ فيجيبونهم: نحفره للوزير!.

والشاهد: أجاب المخفوض بمرفوع لأن معنى الكلام: فقال السائلون: مَن الميّت؟ فقال المخبرون: الميّت وزير، فأجاب عن المعنى، أو المحفور له وزير، فحذف لدلالة ظاهر الكلام عليه.

(٢) [مجزوء الكامل مرفل] القائل: نُسب البيت لعبد الله بن الزبعرى السهمي القرشي، وأمه عاتكة الجمحية بنت عبد الله بن عمير، شاعر قريش في الجاهلية، وكان شديدًا على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال حسان فيه أبياتًا، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ومدح النبي ﷺ، فأمر له بحلة. اللغة: الوغى: الجلبة في الحرب. المعنى: يقول الشاعر مادحًا شجاعة الرجل واصفًا إياه لزوجته: لقد رأيت زوجكِ في أرض النزال وفي حمية الحرب متقلدًا سيفه وحاملاً رمحه. الشاهد النحوي: يستشهد النحاة بهذا البيت على عطف (رمحًا) على (سيفًا) وإن كان الرمح لا يتقلد، والتقدير (وحاملاً رمحًا).

دَلالة ما ظُهِرَ عليه من القولِ عن إبداء ما حُذِفَ.

وَقد رَوَيْنا الخَبرَ الذي قَدَّمْنا ذِكْرَهُ مُبْتَدَأً في تَأويل قول اللّه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عن ابن عَبَّاس، وأنّه كان يقول: إنَّ جِبْريل قال لِمُحَمَّدٍ: قُلْ يا مُحَمَّد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. وبَيَّنَّا أنَّ جِبْريل إنَّما عَلَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ ما أُمِرَ بِتَعْليمِه إيَّاه، وهذا الخَبَر يُنْبِئ عن صِحَّة ما قُلْنا في تأويل ذلك.

القول في تأويل قوله: ﴿رَبِّ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قد مَضَى البيان عن تأويل اسم الله الذي هوَ الله في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾، فلا حاجة بِنا إلى تَكْراره في هذا الموضِع.

وَأَمَّا تأويل قوله: ﴿رَبِّ﴾، فَإِنَّ الرَّبَّ في كَلام العرب مُنْصَرِفٌ على مَعانٍ؛ فالسَّيِّد المُطاع فيهم يُدْعَى رَبًّا، ومن ذلك قول لَبيد بن رَبيعة:

وَأهـلَـكْنَ يـومًـا رَبَّ كِـنْـدة وابـنَـهُ ... وَرَبَّ مَـعَـدٍّ بـيـنَ خَـبْـتٍ وعَـرْعَـرِ (١)

يَعْني بِرَبِّ كِنْدة: سَيِّد كِنْدة. ومنه قول نابِغة بَني ذُبْيان:

تَـخُـبُّ إلـى الـنُّـعْـمـانِ حـتَّـى تَـنـالَـهُ ... فِـدًى لَـك مـن رَبٍّ طَـريـفي وتـالِـدي (٢)

والرَّجُل المُصْلِحُ لِلشَّيْءِ يُدْعَى رَبًّا، ومنه قول الفَرَزْدَق بن غالِب:

كـانـوا كَـسـالِـئَـةٍ حَـمْـقـاءَ إذْ حَـقَـنَـتْ ... سِـلاءَهـا في أديـمٍ غَـيْـرِ مَـرْبـوبِ (٣)

يَعْني بِذلك في أديم غَيْرِ مُصْلَح. وَمن ذلك قيل: إنَّ فُلانًا يَرُبُّ صَنيعَتَه عند فُلان، إذا كان يُحاوِل إصْلاحَها وإدامَتَها، ومن ذلك قول عَلْقَمة بن عَبَدة:

---

(١) [الطويل]القائل: لبيد بن ربيعة. اللغة: خبت: موضع بالشام، وقرية بزبيد، وماء لكلب. عرعر: عدة مواضع نجدية وغيرها، وواد بنعمان قرب عرفة. رب كندة: سيد كندة وهو حذيفة بن بدر. الشاهد: الإشارة إلى سيد البيت بكلمة رب كندة: أي: سيد كندة.

(٢) [الطويل]القائل: النابِغَة الذُّبياني، تقدم التعريف به. اللغة: خبب: الخَبَبُ: ضَرْبٌ من العَدْوِ، وقيل: هو مِثْلُ الرَّمَلِ. فدى: أن تدفع شيئًا لتأخذ شيئًا آخر. الطريف: المكتسب. التالد: الموروث. الشاهد: الشاعر أشار إلى سيد المال بقوله: (رب طَرِيفِي وتالِدِي) وهي إشارة منه إلى أن رب المال هو سيده.

(٣) [البسيط]القائل: الفرزدق، أبو فراس، شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، يشبه بزهير بن أبي سلمى وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر، كان شريفًا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه، لُقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه، وتوفي في بادية البصرة وقد قارب المئة. اللغة: السُّلاءُ بالضم، مِثالُ القُرَّاءِ: شَوْكُ النخل، الواحدة سُلاَءَةٌ. قال: تقول: سَلأْتُ النخلَ والعَسيبَ سَلأً، إذا نَزَعْتَ شوكها. والسلاء: السمن. وسَلأَ السِّمْسِمَ سَلأً: عصره فاستخرج دهنه. وأديم غير مربوب: أي: غير مصلح. الشاهد: الإشارة إلي مصلح الشيء بالرب. المعنى: يقيم الشاعر موازنة في الخيبة وسوء التدبير بمن جاءت بسمنها لتحفظه وتمنحه رائحة طيبة فبدلاً من أن تدهنه بالأديم المربوب - وهو دبس كل ثمرة - راحت لتدهنه بأديم غير مربوب؛ فكانوا مثلها تمامًا في فساد جهدهم الذي راح سدى.

فَكُنْتَ امْرَأً أفضَتْ إليك رِبابَتي وَقَبْلَك رَبَّتْني - فَضِعْتُ - رُبوبُ[(١)]

يَعْني بِقولِه: «أفضَتْ إليك»: أيْ: وَصَلَتْ إليك رِبابَتي، فَصِرْت أنتَ الذي تَرُبُّ أمْري فَتُصْلِحه لَمَّا خَرَجْت من رِبابَة غَيْرك من المُلوك الذينَ كانوا قَبْلك عَلَيَّ، فَضَيَّعوا أمْري وتَرَكوا تَفَقُّده. وهم الرُّبوب واحدهم رَبٌّ، والمالِك لِلشَّيْءِ يُدْعَى رَبَّهُ. وَقد يَتَصَرَّف أيْضًا معنى الرَّبِّ في وُجوه غَيْر ذلك، غَيْر أنَّها تَعود إلى بعض هذه الوُجوه الثّلاثة.

فَرَبُّنا جَلَّ ثَناؤه السَّيِّد الذي لا شِبْه له، ولا مِثْل في مِثْل سُؤْدُده، والمُصْلِح أمْرَ خَلْقه بِما أسبَغَ عليهم من نِعَمه، والمالِكُ الذي له الخَلْق والأمْر.

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في تأويل قوله جَلَّ ثَناؤه: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ جاءتِ الرِّواية عن ابن عَبَّاس:

١٥٤ - حَدَّثنا أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: قال جِبْريل لِمُحَمَّدٍ: يا مُحَمَّد قُلْ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾. قال ابن عَبَّاس: يقول: قُلْ: الحمد لِلَّه الذي له الخَلْق كُلُّه؛ السَّمٰوات كُلُّهنَّ ومَنْ فيهِنَّ، والأرَضونَ كُلُّهنَّ ومَنْ فيهِنَّ وما بينهنَّ، مِمَّا يُعْلَم ومِمَّا لا يُعْلَم. يقول: اعْلم يا مُحَمَّد أنَّ رَبّك هذا لا يُشْبِهه شَيْء[(٢)].

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾

قال أبو جَعْفَر: والعالَمونَ جَمْع عالَم، والعالَم جَمْع لا واحِد له من لَفْظه، كالأنام والرَّهْط والجَيْش ونَحْو ذلك من الأسماء التي هي موضوعات على جِماع لا واحِد له من لَفْظه.

والعالَم اسم لأصْنافِ الأُمَم، وكُلّ صِنف منها عالَم، وأهلُ كُلّ قَرْن من كُلّ صِنف منها عالَمُ ذلك القَرْن وذلك الزَّمان، فالإنس عالَم، وكُلّ أهل زَمان منهم عالَمُ ذلك الزَّمان. والجِنّ عالَم، وكذلك سائِر أجْناس الخَلْق، كُلّ جِنس منها عالَم زَمانه؛ ولِذلك جُمِعَ فَقيلَ: (عالَمونَ)، وواحِدُه جَمْع لِكَوْنِ عالَم كُلّ زَمان من ذلك عالَمَ ذلك الزَّمان، ومن ذلك قول العَجَّاج:

فَخِنْدِفُ هامَةُ هذا العالَمِ[(٣)]

---

(١) [الطويل] القائل: علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصرًا لامرئ القيس وله معه مساجلات. المعنى: وصلتْ إليك أمانتي، فصرتَ أنت الذي ترُبُّ أمري فتصلحه، لمّا خرجتُ من مملكة غيرك من الملوك الذين كانوا قبلك عليَّ فضيَّعوا أمري وتركوا تفقُّده. الشاهد: الإشارة إلى مالك الشي بالرب وهو واحد ربوب.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر ضعيف.

(٣) [الرجز] القائل: العجاج وهو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء، راجز مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أدرك الإسلام وأسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك فَفُلج وأُقعد، وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد، وكان بعيدًا عن الهجاء، وهو والد رؤبة الراجز المشهور. اللغة: خندف: امرأة إلياس بن مضر، واسمها ليلى، نسب ولد إلياس إليها، وهي أمهم. الهامة: الرأس، والجمع هامٌ، وهامة القوم: رئيسهم. الشاهد: الإشارة إلى أن معنى العالم هو الرئيس والسيد.

فَجَعَلَهم عالَم زَمانه. وَهذا القول الذي قُلْناه قول ابن عَبَّاس وسَعيد بن جُبَيْر، وهو معنى قول عامَّةِ المُفَسِّرينَ:

١٥٥ - **حَدَّثنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: الحمد لِلَّه الذي له الخَلْق كُلّه؛ السَّمَوات والأرَضون ومَنْ فيهِنَّ وما بينهنَّ، مِمَّا يُعْلَم ومما لا يُعْلَم [١].

١٥٦ - **حَدَّثني** مُحَمَّد بن سِنان القَزَّاز، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، عن شَبيب، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: الجِنّ والإنس [٢].

١٥٧ - **حَدَّثني** عَليّ بن الحسن، قال: حَدَّثَنا مُسْلِم بن عبد الرَّحْمَن، قال: حَدَّثَنا مُحمد بن مُصْعَب، عن قَيْس بن الرَّبيع، عن عَطاء بن السَّائِب، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، في قول الله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قال: رَبُّ الجِنِّ والإنس [٣].

١٥٨ - **حَدَّثنا** أحمَد بن إسحاق بن عيسَى الأهوازيُّ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قال: حَدَّثَنا قَيْس، عن عَطاء بن السَّائِب، عن سَعيد بن جُبَيْر، قولَه: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قال: الجِنُّ والإنس [٤].

١٥٩ - **حَدَّثني** أحمَد بن عبد الرَّحيم البَرْقيُّ، قال: حَدَّثَني ابن أبي مَرْيَم، عن ابن لَهيعَةَ، عن عَطاء بن دِينار، عن سَعيد بن جُبَيْر، قولَه: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قال: ابن آدم والجِنُّ والإنْس، كُلُّ أُمَّة منهم عالَم على حِدَته [٥].

١٦٠ - **حَدَّثنا** مُحَمَّد بن حُمَيْدِ، قال: حَدَّثَنا مِهْران، عن سُفْيان، عن مُجاهِد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قال: الجِنُّ والإنْس [٦].

---

(١) [**ضعيف**] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر ضعيف.

(٢) [**ضعيف**] من أجل شبيب بن بشر الكوفي، وشيخ المصنف.

(٣) [**ضعيف**] عطاء بن السائب اختلط، وقيس ضعيف، وقد حسنه الشيخ شاكر بقوله: إسناده حسن على الأقل؛ لأن عطاء بن السائب تغير حفظه في آخر عمره، وقيس بن الربيع قديم، لعله سمع منه قبل الاختلاط، ولكن لم نتبين ذلك بدليل صريح. اهـ. قلت: إن الذين سمعوا من عطاء قبل الاختلاط معروفون، وليس منهم قيس، ثم إنَّ قيسًا ضعيف، ومحمد بن مصعب القرقساني كذلك لم يسمع من عطاء قبل الاختلاط، وهو أيضًا ضعيف. والعلم عند الله.

(٤) [**ضعيف**] تقدم قبله.

(٥) [**ضعيف**] من أجل ابن لهيعة، وهو ضعيف دائمًا، وقد ذكر ابن حجر هذا الطريق ضمن الطرق الضعيفة عن ابن عباس، حيث قال: ومنهم عطاء بن دينار، وفيه لين. روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تفسيرًا، رواه عنه ابن لهيعة وهو ضعيف. وانظر [الروايات التفسيرية في فتح الباري/ رسالة دكتوراه لعبد المجيد الشيخ عبد الباري/ ١/ ٢٣].

(٦) [**ضعيف**] من أجل مهران بن أبي عمر العطار فهو ضعيف الحديث يعتبر به، وكذلك شيخ المصنف. والثوري نفسه لم يدرك مجاهدًا ولا أعلم أحدًا أشار إلى أنه أخذ تفسير مجاهد من صحيفة القاسم. والعلم عند الله.

١٦١- حدّثنا أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، عن سُفْيان، عن رَجُل، عن مُجاهِد: بِمِثْلِهِ [١].

١٦٢- حدّثنا بِشر بن مُعاذ العَقَديُّ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، عن سَعيد، عن قَتادة: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قال: كُلُّ صِنْفٍ عالَم [٢].

١٦٣- حدّثني أحمَد بن حازِم الغِفاريّ، قال: حَدَّثَنا عُبَيْد الله بن موسَى، عن أبي جَعْفَر، عن رَبيع بن أنَس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قال: الإنْس عالَم، والجِنّ عالَم، وما سِوَى ذلك ثَمانية عَشَر ألف عالَم، أو أرْبَعة عَشَر ألف عالَم - وهو يَشُكّ - من المَلائِكة على الأرْض، ولِلأرْضِ أرْبَع زَوايا، في كُلّ زاوية ثَلاثةُ آلاف عالَم وخَمْسُمِائةِ عالَم، خَلَقَهم لِعِبادَتِهِ [٣].

١٦٤- حدّثنا القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن داود، قال: حَدَّثَنا حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، في قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قال: الجِنُّ والإنْس [٤].

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: قد مَضَى البيان عن تأويل قوله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في تأويل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فأغْنَى ذلك عن إعادَته في هذا الموضِع.

وَلم نَحْتَجْ إلى الإبانة عن وجه تَكْرير ذلك في هذا الموضِع؛ إذْ كُنّا لا نَرَى أنَّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من فاتِحة الكِتاب آيةٌ، فَيكون علينا لِسائِلٍ مسألةٌ بِأنْ يقول: ما وجه تَكْرير ذلك في هذا الموضِع، وقد مَضَى وصْف الله جَلَّ ثناؤه به نَفْسه في قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، مع قُرْب مَكان إحدَى الآيَتَيْنِ من الأُخْرَى ومُجاوَرَتها لِصاحِبَتِها؟ بل ذلك لنا حُجّة على خَطَأ دَعْوَى مَن ادَّعَى أنَّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من فاتِحة الكِتاب آية؛ إذْ لَو كان ذلك كذَلِكَ لَكان ذلك إعادة آية بِمعنًى واحِد ولَفْظ واحِد مَرَّتَيْنِ من غَيْر فاصِل يَفْصِل بينهما، وغَيْرُ موجود في شَيْء من كِتاب الله آيَتانِ مُتَجاوِرَتانِ مُكَرَّرَتانِ بِلَفْظٍ واحِد ومعنًى واحِد، لا فَصْل بينهما من كَلام يُخالِف معناه معناهُما، وإنّما يَأتي بِتَكْرِيرِ آية بِكَمالِها في السُّورة الواحِدة، مع فُصول تَفْصِل بين ذلك، وكَلام يُعْتَرَض به بغير معنى الآيات المُكَرَّرات أو غَيْر ألفاظها، ولا فاصِل بين قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ

---

(١) [ضعيف] فيه هذا الرجل المبهم الراوي عن مجاهد، وقد تقدم في الذي قبله أنّ الثوري عن مجاهد مرسل.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [حسن] من أجل أبي جعفر الرازي مولى بني تميم، وبقية رجاله كلهم ثقات، وسنده متصل.

(٤) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي ضعيف مع إمامته وحفظه لكونه كان يلقن شيخه الحجاج المصيصي، والقاسم بن الحسن بن يزيد الهمداني شيخ المصنف وثقه الخطيب في تاريخه [٦٨٨٨].

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾، وقول اللّه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، من ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ .

فَإنْ قال: فَإِنّ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فاصِل بين ذلك.

قِيلَ: قد أنْكَرَ ذلك جَماعة من أهل التَّأويل، وقالوا: إنَّ ذلك من المُؤَخَّر الذي معناه التَّقْديم، وإنَّما هوَ: الحمد لِلَّه الرَّحْمَن الرَّحيم رَبِّ العالَمينَ مَلِك يوم الدِّين. واستَشْهَدوا على صِحَّة ما ادَّعَوْا من ذلك بِقولِه: (مَلِكِ يومِ الدِّينِ). فَقالوا: إنَّ قوله: (مَلِكِ يومِ الدِّينِ) تَعْليمٌ من الله عبدَه أنْ يَصِفه بالمَلِك في قِراءة مَنْ قَرأ: (مَلِك)، وبالمِلْكِ في قِراءة مَنْ قَرأ: ﴿مَٰلِكِ﴾.

قالوا: فالذي هو أولَى أنْ يكون مُجاوِرَ وَصْفِه بالمُلْكِ أو المِلْك ما كان نَظيرَ ذلك من الوَصْف، وذلك هو قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، الذي هو خَبَرٌ عن مِلْكه جَميعَ أجْناس الخَلْق، وأنْ يكون مُجاوِر وصْفه بالعَظَمةِ والألُوهة ما كان له نَظيرًا في المعنى من الثَّناء عليه، وذلك قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فَزَعَموا أنَّ ذلك لهم دَليلٌ على أنَّ قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بِمعنى التَّقْديم قَبْل ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وإنْ كان في الظَّاهِر مُؤَخَّرًا.

وقالوا: نَظائِرُ ذلك من التَّقْديم الذي هو بِمعنى التَّأخير والمُؤَخَّر الذي هو بِمعنى التَّقْديم - في كَلام العرب أفشَى، وفي مَنْطِقها أكْثَر من أنْ يُحْصَى، من ذلك قول جَرير بن عَطيَّة:

طافَ الخَيالُ وأيْنَ منك لِماما ... فارْجِعْ لِزَوْرِك بالسَّلامِ سَلاما[1]

بِمعنى طافَ الخَيال لِمامًا وأيْنَ هو منك؟

وَكما قال جَلَّ ثَناؤه في كِتابه العزيز: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا﴾ [الكهف: ١: ٢] بمعنى: الحمد لِلَّه الذي أنْزَلَ على عبده الكِتاب قَيِّمًا، ولم يجْعَل له عِوَجًا. وما أشْبَهَ ذلك. فَفي ذلك دَليلٌ شاهِد على صِحَّة قول مَنْ أنْكَرَ أنْ تَكون ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من فاتِحة الكِتاب آية.

القول في تأويل قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: القرَأة مُخْتَلِفونَ في تِلاوة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، فَبعضهم يَتْلوه: (مَلِكِ يوم الدين)، وبعضهم يَتْلوه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وَبعضهم يَتْلوه: (مَالِكَ يوم الدين) بِنَصْبِ الكاف.

---

(١) [الكامل] القائل: جرير بن عطية وهو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم، أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، كان عفيفًا، وهو من أغزل الناس شعرًا. اللغة: طاف الخيال: ألمَّ بك في الليل. لمامًا: اللمام هو اللقاء اليسير. الزور: الزائر. المعنى: أنه لابد من ردِّ السلام عندما يُلقى علينا السلام. الشاهد: جواز التقديم الذي هو بمعنى التأخير، والمؤخر الذي هو بمعنى التقديم، حيث قال الشاعر: طاف الخيال وأين منك لمامًا وهي نفس معنى طاف الخيال لمامًا، وأين هو منك.

وقد استَقْصَيْنا حِكاية الرِّواية عَمَّنْ رُوِيَ عنه في ذلك قِراءةٌ في (كِتاب القِراءات)، وأخْبَرْنا بالذي نَخْتار من القِراءة فيه، والعِلَّةِ الموجِبة صِحّةَ ما اخترْناه من القِراءة فيه، فَكَرِهْنا إعادة ذلك في هذا الموضِع؛ إذْ كان الذي قَصَدْنا له في كِتابنا هذا البيانَ عن وُجوه تأويل آيِ القُرْآن دون وُجوه قِراءتها.

وَلا خِلاف بين جَميع أهل المعرفة بِلُغاتِ العرب أنَّ المَلِكَ من (المُلْك) مُشْتَق، وأنَّ المالِك من (المِلْك) مَأخوذ.

فتأويل قِراءة مَنْ قَرأ ذلك: (مَلِكِ يوم الدين) أنَّ لِلَّه المُلْكَ خالِصًا يوم الدِّين دون جَميع خَلْقه الذينَ كانوا قَبْل ذلك في الدُّنيا مُلوكًا جَبابِرة يُنازِعونَه المُلْك ويُدافِعونَهُ الانفِراد بالكِبْرياءِ والعَظَمة والسُّلْطان والجَبْريّة، فَأيْقَنوا بِلِقاءِ الله يوم الدِّين أنَّهم الصَّغَرة الأذِلّة، وأنّ له من دونهم ودون غَيْرهم المُلْكَ والكِبْرياء والعِزّة والبهاء، كما قال جَلَّ ذِكْرُه وتَقَدَّسَتْ أسماؤه في تَنْزيله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فَأخْبَرَ تعالى أنَّه المُنْفرِد يومَئِذٍ بالمُلْكِ دون مُلوك الدُّنيا الذينَ صاروا يوم الدِّين من مُلْكهم إلى ذِلّةٍ وصَغار، ومن دُنْياهم في المَعاد إلى خَسار.

وأمّا تأويل قِراءة مَن قرأ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ **فما**:

١٦٥- **حدّثَنا** به أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق، عن الضَّحّاك، عن ابن عَبّاس: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يقول: لا يَمْلِك أحَدٌ في ذلك اليوم معه حُكْمًا كَمِلْكِهم في الدُّنيا. ثُمَّ قال: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] وقال: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾(١) [الأنبياء: ٢٨]

قال **أبو جعْفَر**: وأولَى التَّأويلَيْنِ بالآيةِ وأصَحُّ القِراءَتَيْنِ في التِّلاوة عندي التَّأويلُ الأوَّل وهيَ قِراءة مَنْ قَرأ: (مَلِك) بِمعنى المُلْك؛ لأنَّ في الإقْرار له بالانفِرادِ بالمُلْكِ إيجابًا لانفِرادِه بالمِلْكِ وفَضيلةَ زيادةِ المَلِكِ على المَالِك؛ إذْ كان معلومًا أنْ لا مَلِكَ إلاَّ وهو مالِك، وقد يكون المالِك لا مَلِكًا.

وَبعد: فَإنّ الله جَلَّ ذِكْرُه قد أخْبَرَ عِباده في الآية التي قَبْل قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أنَّه مالِكُ جَميع العالَمينَ وسَيِّدُهم، ومُصْلِحُهم والنَّاظِرُ لهم، والرَّحيم بهم في الدُّنْيا والآخِرة؛ بِقولِه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فَإذْ كان جَلَّ ذِكْرُه قد أنْبأهم عن مِلْكه إيّاهم كذلك بِقولِه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فأولَى الصِّفاتِ من صِفاته جَلَّ ذِكْرُه أنْ يتْبَعَ ذلك ما لم يَحْوِه قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مع قُرْب ما بين الآيَتَيْنِ من المواصَلة والمُجاوَرة؛ إذْ كانَتْ

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر ضعيف.

حِكْمَتُه الحِكْمةَ التي لا تُشبِهها حِكْمة، وكان في إعادة وصْفه جَلَّ ذِكْرُه بأنّه ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ إعادةُ ما قد مَضَى من وصْفه به في قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مع تَقارُب الآيَتَيْنِ وتَجاوُر الصِّفَتَيْنِ، وكان في إعادة ذلك تَكْرارُ ألفاظ مُخْتَلِفة بِمَعانٍ مُتَّفِقة، لا تُفيد سامِعَ ما كُرِّرَ منه فائِدةً به إليها حاجة. والذي لم يَحْوِه من صِفاته جَلَّ ذِكْرُه ما قَبْل قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ المعنى الذي في قوله: (مَلِكِ يوم الدين)، وهو وصْفه بأنّه المَلِك.

فَبَيِّنٌ إذن أنَّ أولَى القِراءَتَيْنِ بالصَّوابِ وأحَقَّ التَّأويلَيْنِ بالكِتابِ: قِراءةُ مَنْ قَرَأه: (مَلِك يوم الدِّين)، بِمعنى إخلاص المُلْك له يوم الدِّين، دون قِراءة مَنْ قَرَأ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بِمعنى: أنَّه يَمْلِك الحُكْم بينهم وفَصْلَ القَضاء مُتَفَرِّدًا به دون سائِر خَلْقه.

فإنْ ظَنَّ ظانّ أنَّ قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ نَبأ عن مِلْكِه إيَّاهم في الدُّنيا دون الآخِرة فوجَب وَصْلُ ذلك بالنَّبَأ عن نَفْسه أنَّه مَن مَلَكهم في الآخِرة على نَحْو مِلْكِه إيَّاهم في الدُّنيا بِقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فقد أغْفَلَ وظَنَّ خَطَأً؛ وذلك أنَّه لو جازَ لِظانٍّ أنْ يَظُنَّ أنَّ قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ محصور معناه على الخَبَر عن رُبوبيَّتِهِ عالَم الدُّنيا دون عالَمُ الآخِرة - مع عَدَم الدَّلالة على أنَّ معنى ذلك كذلك في ظاهِر التَّنْزيل، أو في خَبَر عن الرَّسول ﷺ به مَنْقول، أو بِحُجَّةٍ موجودة في المعقول - جازَ لِآخَر أنْ يَظُنَّ أنَّ ذلك محصور على عالَم الزَّمان الذي فيه نَزَلَ قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دون سائِر ما يَحْدُث بعده في الأزْمِنة الحادِثة من العالَمينَ؛ إذْ كان صَحيحًا بِما قَدَّمْنا من البيان أنَّ عالَم كُلّ زَمان غَيْرُ عالَم الزَّمان الذي بعده.

فإنْ غَبِيَ عن عِلْم صِحَّة ذلك بِما قد قَدَّمْنا ذو غَباء، فإنَّ في قول الله جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦] دَلالةً واضِحةً على أنَّ عالَمَ كُلِّ زَمان غَيْرُ عالَم الزَّمان الذي كان قَبْله وعالَم الزَّمان الذي بعده؛ إذْ كان الله جَلَّ ثَنَاؤه قد فَضَّلَ أُمَّة نَبيِّنا مُحَمَّد ﷺ على سائِر الأُمَم الخالية، وأَخْبَرَهم بِذلك في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية، فَمعلومٌ بِذلك أنَّ بَني إسرائيل في عَصْر نَبيِّنا لم يكونوا مع تَكْذيبهم به ﷺ أفضَل العالَمينَ، بل كان أفضَلَ العالَمينَ في ذلك العَصْر وبعده إلى قيام السَّاعة، المُؤمِنونَ به المُتَّبِعونَ مِنهاجَه، دون مَنْ سِواهم من الأُمَم المُكَذِّبة الضَّالة عن مِنهاجه.

وإذ كان بَيِّنًا فَسادُ تأويل مُتأوِّلٍ لو تأوَّلَ قولَه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أنَّه معنيٌّ به: أنَّ الله رَبّ عالَمي زَمَن نَبيِّنا مُحَمَّد ﷺ دون عالَمي سائِر الأزْمِنة غَيْره - كان واضِحًا فَسادُ قول مَنْ زَعَمَ أنَّ تأويله: رَبّ عالَم الدُّنيا دون عالَم الآخِرة، وأنَّ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ استَحَقَّ الوَصْلَ به لِيُعْلَم أنَّه في الآخِرة مِنْ مِلكهم ورُبوبيَّتهم بِمِثْلِ الذي كان عليه في الدُّنيا.

وَيُسْأل زاعِمُ ذلك الفَرْقَ بينه وبين مُتَحَكِّم مِثْلَه في تأويل قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تَحَكَّمَ، فَقال: إنَّما عَنَى بِذلك أنَّه رَبّ عالَمي زَمان مُحَمَّد ﷺ دون عالَمي غَيْره من الأزْمِنةِ الماضية قَبْله والحادِثة بعده، كالذي زَعَمَ قائِلُ هذا القول أنَّه عَنَى به عالَمِي الدُّنيا دون عالَمِي الآخِرة - مِنْ

أصْلٍ أو دَلالة. فَلَنْ يقول في أحَدهما شيْئًا إلاَّ أُلزِمَ في الآخَر مِثْله.

وَأمَّا الزَّاعِم أنَّ تأويل قوله: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أنّه الذي يَمْلِك إقامة يوم الدِّين، فَإنّ الذي ألزَمْنا قائِلَ هذا القول الذي قَبْله له لازم؛ إذْ كانتْ إقامة القيامة إنّما هي إعادة الخَلْق الذينَ قد بادوا لِهَيْئاتِهم التي كانوا عليها قَبْل الهَلاك في الدَّار التي أعَدَّ لهم فيها ما أعَدَّ، وهم العالَمونَ الذينَ قد أخْبَرَ جَلَّ ذِكْرُه عنهم أنّه رَبُّهم في قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾.

وَأمَّا تأويل ذلك في قِراءة مَنْ قَرأ: (مالِكَ يوم الدين) فَإنّه أرادَ: يا مالِكَ يوم الدِّين، فَنَصَبه بِنيّةِ النِّداء والدُّعاء، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَـٰذَاۚ﴾ [يوسف: ٢٩] بِتأويلِ: يا يوسُفُ أعْرِضْ عن هذا. وكَما قال الشَّاعِر من بَني أسَد، وهو شِعْر - فيما يُقال - جاهِليّ:

إنْ كُنْتَ أزْنَنْتَني بِها كَذِبًا جَزْءُ، فلاقَيْتَ مِثْلَها عَجِلا[(١)]

يُريد: يا جَزْءُ. وكَما قال الآخَر:

كَذَبْتُم وبَيْتِ الله لا تَنْكِحونَها بَني شابَ قَرْناها تَصُرُّ وتَحْلُبُ[(٢)]

يُريد: يا بَني شابَ قَرْناها.

وَإنّما أورَطَه في قِراءة ذلك بِنَصْبِ الكاف من (مالِكَ) - على المعنى الذي وصَفْتُ - حيرَتُه في تَوْجيه قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ وِجْهَته مع جَرّ: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾

---

(١) [المنسرح] القائل: حضرمي بن عامر وهو من شعراء الجاهلية، كان حضرمي بن عامر عاشر عشرةٍ من إخوته فماتوا فورثهم. اللغة: أزننته بشيء: اتهمته به. ويقال: أَزَنَّهُ الأمر، مثل أظَنَّهُ، إذا اتَّهَمَهُ. وأبو زَنَّةَ: كُنية القِرد. جزء: يريد يا جزء. والعِجْلُ بالكَسْرِ: وَلَدُ البَقَرةِ، قالَ الرَّاغِبُ: تُصُوِّرَ فيهِ العَجَلَةُ إذا صَارَ ثَوْرًا، قالَ تَعالَى: ﴿عِجۡلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ [الأعراف: ١٤٨] وقالَ أبو خَيْرَةَ: هوَ عِجلٌ حِينَ تَضعُهُ أُمُّهُ إلَى شَهرٍ ثُمَّ بَرغَزٌ نَحوًا مِنْ شَهرَيْنِ ونِصْفٍ ثُمَّ هو الفَرْقَدُ كالعِجَّوْلِ كسِنَّوْرٍ، ج: عَجَاجِيلُ والأُنْثَى عجْلَةٌ وعِجَّوْلَةٌ وجمعُ العِجْلِ عَجُولٌ. المعنى: السبب في قول هذا الشعر أنَّ هذا الشاعر كان له تسعةُ إخْوة فجلسوا على بئر فانخسفت بهم، فورثهم، فحسده ابن عمه جزء بن مالك بن مجمع وكان يُنافِسه فزَعَم أن حَضْرَمِيًا سُرَّ بموتِ إخوته لأنه وَرِثَهم فقال حَضْرَميٌّ هذا البيت. وقال له: من مثلك؟ مات إخوتك فورثتهم، فأصبحت ناعمًا جذلاً. وما كاد، حتى جلس جزء وإخوة له تسعة على بئر فانخسفت بإخوته ونجا هو، فبلغ ذلك حضرميًا فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، كلمة وافقت قدرًا وأبقت حقدًا. يعني قوله لجزء: (فلاقيت مثلها عجلاً).

(٢) [الطويل] القائل: تَأَبَّط شَرًا وهو ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهمي. من مضر، شاعر عدّاء، من فتاك العرب في الجاهلية، كان من أهل تهامة، شعره فحل، قُتل في بلاد هذيل وأُلقي في غار يقال له: رخمان فوجدت جثته فيه بعد مقتله. اللغة: كذبتم: تقديره: كذبكم أملكم. بني شاب قرناها: أراد: يا بني التي شابَ قَرْناها فأضمره. وقَرْنُ الكلإ: أنفه الذي لم يوطأ، وقيل: خيره، وقيل: آخره، وأصاب قَرْنَ الكلإ: إذا أصاب مالاً وافرًا، والقَرْنُ: حَلْبَة من عَرَق يقال: حَلَبنا الفرسَ قَرْنًا أو قَرْنين أي: عَرَّقناه، والقَرْنُ: الدُّفعة من العَرَق، يقال: عَصَرْنا الفرسَ قَرْنًا أو قَرْنين، والجمع قُرون. تصر: قال ابن الأثير: من عادة العرب أن تَصُرَّ ضُرُوعَ الحَلُوبات إذا أرسلوها إلى المَرْعَى سارِحَة ويسمُّون ذلك الرِّباطَ صِرارًا، فإذا راحَتْ عَشِيًّا حُلَّت تلك الأَصِرَّة وحُلِبَتْ فهي مَصْرُورة ومُصَرَّرة. المعنى: يذم الشاعر القوم قائلاً: بني التي يقال لها: (شاب قرناها)، أي: يا بني العجوز الراعية، لا همَّ لها إلا أن تصر، أي: تشد الصرار على الضرع حتى تجتمع الدرة، ثم تحلب. الشاهد: نفس شاهد البيت السابق.

وخَفضه، فَظَنَّ أنَّه لا يَصِحّ معنى ذلك بعد جَرّه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فَنَصَبَ: (مالِكَ يوم الدّين) ليكونَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ له خِطابًا، كأنّه أرادَ: يا مالِكَ يومِ الدّين، إيّاكَ نَعْبُد، وإياك نستعين. ولو كان عَلِمَ تأويل أوّل السّورة وأنّ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أمْر من الله عبدَه بقيلِ ذلك كما ذَكَرْنا قَبْلُ من الخَبَر عن ابن عَبّاس: أنَّ جِبْريل قال لِلنَّبيِّ ﷺ عن اللّه: قُلْ يا مُحَمَّد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ وقُلْ أيْضًا يا مُحَمَّد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وكان عَقَلَ عن العرب أنَّ من شَأنها إذا حَكَتْ أو أمَرَتْ بِحِكايةِ خَبَر يَتْلو القول - أنْ تُخاطِب ثُمَّ تُخبِر عن غائِب، وتُخبِر عن غائِبٍ ثُمَّ تعود إلى الخِطاب؛ لِما في الحِكاية بالقولِ من معنى الغائِب والمُخاطَب، كَقولِهم لِلرَّجُلِ: قد قُلْتُ لأخيك: لو قُمْتَ لَقُمْتُ، وقد قُلْتُ لأخيك: لو قامَ لَقُمْتُ؛ لَسَهُلَ عليه مَخْرَجُ ما استَصْعَبَ عليه وِجْهَتُه من جَرّ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

ومن نَظير ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ مَجْرورًا، ثُمَّ عَوْده إلى الخِطاب بـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ كما ذَكَرْنا قَبْل - البيْتُ السّائِر من شِعْر أبي كَبير الهُذَليّ:

يا لَهْفَ نَفْسيَ كان جِدّةُ خالِدٍ ... وَبَياضُ وجهِكَ لِلتُّرابِ الأعْفَرِ(١)

فَرَجَعَ إلى الخِطاب بِقولِه: (وَبَياض وجهك) بعد ما قد مَضَى الخَبَرُ عن خالِد على معنى الخَبَر عن الغائِب. وَمنه قول لَبيد بن رَبيعة:

باتَتْ تَشَكَّى إلَيَّ النَّفْسُ مُجْهِشَةً ... وَقد حَمَلْتُكِ سَبْعًا بعد سَبْعينا(٢)

فَرَجَعَ إلى مُخاطَبة نَفْسه، وقد تَقَدَّمَ الخَبَر عنها على وجه الخَبَر عن الغائِب. ومنه قول الله - وهو أصْدَقُ قيلٍ وأثْبَتُ حُجّةٍ -: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢]

---

(١) [الكامل] القائل: أبو كبير الهذلي وهو عامر بن الحليس الهذلي أبو كبير بن السهلي الهذلي، شاعر فحل، من شعراء الحماسة، قيل: أدرك الإسلام وأسلم، وله خبر مع النبي ﷺ. ويروى أنه تزوج أم تأبّط شرًا وكان غلامًا صغيرًا وله معه خبر طريف ورد في خزانة الأدب. اللغة: لهِفَ بالكسر يَلْهَفُ لَهَفًا، أي: حَزِنَ وتحسّر. وكذلك التَّلَهُّفُ على الشيء. وقولهم: يا لَهْفَ فلانٍ: كلمة يُتَحَسَّرُ بها على ما فات. الجدة: نقيض البلى. عفر: العَفْرُ والعَفَرُ: ظاهر التراب والجمع أعفارٌ. المعنى: يرثي الشاعر صديقًا له من قومه يُدعى (خالد) فيتحسر على شبابه الذي ضاع، وكذا يتحسر على بياض وجهه الذي اندثر تحت التراب!! الشاهد: أن الشاعر رجع إلى الخطاب بقوله: وبياض وجهك بعد ما قد مضى الخبر عن خالد على معنى الخبر عن الغائب.

(٢) [البسيط] القائل: لبيد بن ربيعة وهو لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ، يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم، وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا، وسكن الكوفة وعاش عمرًا طويلاً، وهو أحد أصحاب المعلقات. اللغة: النفس: وردت في شرح الديوان: الموت. أجهشت النفس: همت بالبكاء، ويقولون: أجهش الرجل: إذا همَّ بالبكاء. المعنى: قال الشاعر هذا البيت بعدما بلغ من العمر سبعة وسبعين عامًا يقول: إن نفسه باتت تشكو إلى الموت باكية بحرارة بعدما حملته هذه الفترة الطويلة، وفي البيت التفات. ذكر أبو الفرج الأصبهاني أن لبيدًا قال هذا البيت لما بلغ سبعًا وسبعين سنة، والشاهد أن الشاعر رجع إلى مخاطبة نفسه، وقد تقدم الخبر عنها على وجه الخبر عن الغائب.

فَخاطَبَ ثُمَّ رَجَعَ إلى الخَبَرِ عن الغائِب، ولم يَقُلْ: (وَجَرَيْنَ بِكُمْ). والشَّواهِد من الشِّعْر وكَلام العرب في ذلك أكْثَر من أنْ تُحْصَى، وفيما ذَكَرْنا كِفاية لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِه.

فَقِراءةُ: (مالِكَ يوم الدّين) محظورة غَيْر جائِزة؛ لإجماعِ جَميع الحُجّة من القَرأة وعُلَماء الأُمّة على رَفْض القِراءة بها.

القول في تأويل قوله جلّ ذكره: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾:

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والدّين في هذا الموضِع بِتأويلِ الحِساب والمُجازاة بالأعْمالِ، كما قال كَعْب بن جُعَيْل:

إذا ما رَمونا رَمَيْناهم ... وَدِنَّاهم مِثْلَ ما يُقْرِضونا(١)

وَكَما قال الآخَر:

واعْلَمْ وأيْقِنْ أنَّ مُلْكَكَ زائِلٌ ... واعْلَم بِأنَّك ما تَدينُ تُدانُ(٢)

يَعْني ما تَجْزي تُجازَى.

وَمن ذلك قول الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩] يَعْني بالجَزاءِ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠] يُحْصُونَ ما تَعْمَلونَ من الأعْمال. وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦] يَعْني غَيْر مَجْزيّينَ بِأعْمالِكُم ولا مُحاسَبينَ.

وَلِلدّينِ مَعانٍ في كَلام العرب غَيْر معنى الحِساب والجَزاء سَنَذْكُرُها في أماكِنها إنْ شاءَ اللّه.

---

(١) [المتقارب] القائل: كعب بن جعيل بن قمير بن عجرة التغلبي، شاعر تغلب في عصره مخضرم عرف في الجاهلية والإسلام، كان لا ينزل بقوم إلا أكرموه وضربوا له قبة، أدركه الأخطل في صباه وهاجاه وكان في زمن معاوية. وشهد معه وقعة (صفين) قال المرزباني: وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام يمدحهم ويرد عنهم. اللغة: يُقال: رَمَى فُلانٌ بأرْواقِه عَلَى الدّابّةِ: إذا رَكِبَها. ورَمَى بأرْواقِه عَنْها: إذا نَزَلَ عنها. دَنا: دنا من الشيء دنُوًّا ودَناوَةً: قَرُبَ. وفي حديث الإيمان: ادْنُهْ، هو أمْرٌ بالدُّنُوِّ والقُرْبِ، والهاء فيه للسكت، وجيءَ بها لبيان الحركة. القرض: اسْتَقْرَضَ منه: طلب منه القَرْضَ فَأقْرَضَهُ، و اقْتَرَضَ منه: أخذ منه القرض، و القَرْضُ أيضًا: ما سلفت من إحسان ومن إساءة وهو على التشبيه. المعنى: يتهاجى الشاعر مع قوم آخرين فيقول: إنهم لو رمونا بشيء رميناهم بنفس الشيء، وقربنا إليهم مثل ما يفعلون معنا. الشاهد: يشير الشاعر هنا إلى أن الدين إنما يكون بالمجازاة وهو من جنس العمل.

(٢) [الكامل] القائل: أبو عبيدة، وقيل ليزيد بن الصعق حيث قال: كان ملك من ملوك الغساسنة يعذر النساء، لا يبلغه عن امرأة جمال إلا أخذها، فأخذ بنت يزيد بن الصعق الكلابي، وكان أبوها غائبًا، فلما قدم أُخبر، فوفد إليه، فصادفه منتديًا، وكان الملك إذا انتدى لا يحجب عنه أحد، فوقف بين يديه وقال هذه الأبيات. اللغة: دَنا: دنا من الشيء دنُوًّا ودَناوَةً: قَرُبَ. وفي حديث الإيمان: ادْنُهْ، هو أمْرٌ بالدُّنُوِّ والقُرْبِ، والهاء فيه للسكت، وجيءَ بها لبيان الحركة. زائل: الزَّوالُ: الذَّهابُ، والاستِحالةُ، وزالَ النهارُ: ارْتَفَعَ، وأزالَ الله تعالى زَوالَهُ: دُعاءٌ بالهَلاكِ، انظر القاموس المحيط باب اللام فصل الزاي. المعنى: يستمد الشاعر تلك النصيحة من الحديث الشريف الوارد عن النبي ﷺ - على ضعفه - فيوجه نصيحته للملك الذي أخذ ابنته في غياب أبيها وقال له: اعلم أن ملك هذا الذي تحتمي فيه زائل، وأنك كما أخذت ابنتي؛ فلربما رزقك الله بمن يضعك في الموقف ذاته فكما تدين تدان.

وَبِما قُلْنا في تأويل قوله: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ جاءتِ الآثار عن السَّلَف من المُفَسِّرينَ، مع تَصْحيح الشَّواهِد تأويلَهم الذي تأوَّلوه في ذلك:

١٦٦- **حدّثنا** أبو كُرَيْب مُحَمَّد بن العَلاء، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن عبد الله بن عَبَّاس: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: يوم حِساب الخَلائِق هو يوم القيامة، يَدينُهم بأعْمالِهم، إنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وإنْ شَرًّا فَشَرًّا، إلاَّ مَنْ عَفا عنه، فالأمْرُ أمْرُه. ثُمَّ قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤](١).

١٦٧- **حدّثني** موسَى بن هارون الهَمْدانيّ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد القَنَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ بن نَصْر الهَمْدانيُّ، عن إسماعيل بن عبد الرَّحْمَن السُّدِّيّ، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: هو يوم الحِساب(٢).

١٦٨- **حدّثنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: يوم يَدين اللهُ العِبادَ بأعْمالِهم(٣).

١٦٩- **حدّثنا** القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن داود، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: يوم يُدان النَّاس بالحِساب(٤).

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وتأويل قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لَك اللَّهُمَّ نَخْشَع، ونَذِلّ، ونَسْتَكين، إقْرارًا لَك يا رَبَّنا بالرُّبوبيَّةِ لا لِغَيْرِك.

١٧٠- **كما حدّثنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن عبد الله بن عَبَّاس، قال: قال جِبْريل لِمُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يا مُحَمَّد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: إيَّاكَ نُوَحِّد ونَخاف ونَرْجو يا رَبَّنا لا غَيْرك(٥).

وَذلك من قول ابن عَبَّاس بِمعنى ما قُلْنا، وإنّما اخترْنا البيان عن تأويله بِأنّه بِمعنى نَخْشَع، ونَذِلّ، ونَسْتَكين، دون البيان عنه بِأنّه بِمعنى نَرْجو ونَخاف، وإنْ كان الرَّجاءُ والخَوْف لا يكونانِ إلاَّ مع ذِلّة؛ لأنَّ العُبوديّة عند جَميع العرب أصْلُها الذِّلَّة، وأنّها تُسَمِّي الطَّريقَ المُذَلَّل الذي قد

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر ضعيف.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر الهمداني ضعفه أحمد والنسائي وغيرهما، وقد حسن الشيخ شاكر هذا الإسناد من أجل توثيق ابن معين لأسباط، وأبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب ضعيف، وقد تابعه أبو مالك ثقة ولكن لا أدري هل ثبت سماعه، أو أمكن لقاؤه بابن عباس أم لا؟!

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير ومن طريقه المصنف، وسنده صحيح، ولكن سند المصنف حسن من أجل شيخه فهو صدوق.

(٤) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي ضعيف مع إمامته وحفظه لكونه كان يلقن شيخه الحجاج المصيصي.

(٥) [ضعيف] الضحاك لم يسمع من ابن عباس، وبشر بن عمارة ضعيف.

وطِئَتْه الأقدامُ وذَلَّلَتْه السَّابِلة: مُعَبَّدًا، ومن ذلك قول طَرَفة بن العبد:

تُباري عِتاقًا ناجيات وأتْبَعَتْ وَظيفًا وظيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ(١)

يَعْني بالمورِ: الطَّريق، وبالمُعَبَّدِ: المُذَلَّل الموطوء. ومن ذلك قِيلَ لِلْبَعيرِ المُذَلَّل بالرُّكوبِ في الحَوائِج: مُعَبَّد، ومنه سُمِّيَ العبد عبدًا لِذِلَّتِه لِمولاه. والشَّواهِدُ على ذلك من أشعار العرب وكَلامها أكْثَر من أنْ تُحصَى، وفيما ذَكَرْناه كِفاية لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِه إنْ شاءَ الله تعالى.

القول في تأويل قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾

قَالَ أبو جَعْفَرٍ: ومعنى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: وإيَّاكَ يا رَبَّنا نَسْتَعين على عِبادَتنا إيَّاكَ وطاعَتنا في أُمورنا كُلِّها لا أحَدًا سِواك؛ إذْ كان مَنْ يَكْفُر بِك يَسْتَعين في أُموره معبودَه الذي يَعْبُده من الأوثان دونك، ونَحْنُ بِك نَسْتَعين في جَميع أُمورنا مُخْلِصينَ لَك العِبادة، كالذي:

١٧١- **حدّثنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَني بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن عبد الله بن عَبَّاس: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: إيَّاكَ نَسْتَعين على طاعَتك وعلى أُمورنا كُلِّها(٢).

فإنْ قال قائِل: وما معنى أمْر الله عِبادَه بِأنْ يَسْألوه المَعونة على طاعَته؟ أوَجائِزٌ - وقد أمَرَهم بِطاعَتِه - أنْ لا يُعينهم عليها؟ أم هَلْ يقول قائِل لِرَبِّه: إيَّاكَ نَسْتَعين على طاعَتك. إلاَّ وهو على قوله ذلك مُعانٌ، وذلك هو الطَّاعة، فَما وجه مسألة العبد رَبَّه ما قد أعْطاه إيَّاهُ؟

قِيلَ: إنَّ تأويل ذلك على غَيْر الوَجْه الذي ذَهَبْتَ إليهِ، وإنّما الدَّاعي رَبّه من المُؤمِنينَ أنْ يُعينه على طاعَته إيَّاه؛ داعٍ أنْ يُعينه فيما بَقيَ من عُمُره على ما كَلَّفَه من طاعَته، دون ما قد تَقَضَّى ومَضَى من أعْماله الصَّالِحة فيما خَلا من عُمُرِه. وجازَتْ مسألةُ العبد رَبَّه ذلك؛ لأنَّ إعْطاء الله عبدَه ذلك مع تَمْكينه جَوارِحَه لأداءِ ما كَلَّفَه من طاعَته وافتَرَضَ عليه من فَرائِضه - فَضْلٌ منه جَلَّ ثَنَاؤه تَفَضَّلَ به عليه، ولُطْفٌ منه لَطَفَ له فيهِ، ولَيْسَ في تَرْكه التَّفَضُّلَ على بعض عَبيده بالتَّوْفيقِ مع اشْتِغال عبده بِمعصيَتِه وانصِرافه عن مَحَبَّته، ولا في بَسْطه فَضْلَه على بعضهم مع إجهاد العبد نَفْسَه في مَحَبَّته ومُسارَعَته إلى طاعَته - فَسادٌ في تَدْبير ولا جَوْر في حُكْم، فَيجوز أنْ يَجْهَل جاهِلٌ موضِعَ حُكْم اللهِ أمْرَه عبدَه بِمسألَتِه عَوْنَه على طاعَته.

وَفي أمْر الله جَلَّ ثَنَاؤه عِبادَه أنْ يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بِمعنى مسألَتهم إيَّاه

---

(١) [الطويل] القائل: طرفة بن العبد. اللغة: التَّأْويبُ: السَّيْرُ جميعَ النهارِ أو تَباري الرِّكَابِ في السَّيرِ كالمُآوَبَة. وريحٌ مُؤَوِّبَةٌ: تَهبُ النهار كُلَّه. عتاقًا: الإبل النجيبة الكريمة. الناجية: الناقة السريعة تنجو بمن ركبها. الوظيف: من رسغي البعير إلى ركبتيه في يديه، وأما في رجليه فمن رسغيه إلى عرقوبيه. مَوْرٍ مُعَبَّدِ: المُعَبَّد: المُذَلَّل. المَوْر: الشيءُ اللَّيِّن، هكذا في سائر النسخ وصوابُه: والمَشْيُ اللَّيِّن. المعنى: يصف الشاعر ناقته ممتدحًا إياها لسرعتها ومباراتها للنوق السريعة الكريمة، وهي في جريها قد أتبعت خُفًّا خُفًّا فوق الطريق المذلل. الشاهد: يشير إلى أن من معاني العبادة الذل وذلك في قوله: مور معبد.

(٢) [ضعيف] الضحاك لم يسمع من ابن عباس، وبشر بن عمارة ضعيف.

المَعونة على العِبادة - أدَلُّ الدَّليل على فَساد قول القائِلينَ بالتَّفْويضِ من أهل القَدَرِ، الذينَ أحَالوا أنْ يَأمُر الله أحَدًا من عَبيده بِأمْرٍ أو يُكَلِّفه فَرْض عَمَل إلاَّ بعد إعْطائِه المَعونة على فِعْله وعلى تَرْكه.

وَلو كان الذي قالوا من ذلك كما قالوا؛ لَبَطَلَتِ الرَّغْبة إلى الله في المَعونة على طاعَته؛ إذْ كان على قولهم - مع وُجود الأمْر والنَّهْي والتَّكْليف - حَقًّا واجبًا على الله لِلْعبدِ إعْطاؤه المَعونَة عليه، سَألَه ذلك عبدُه أو تَرَكَ مسألته ذلك؛ بل تَرْكُ إعْطائِه ذلك عندهم منه جَوْرٌ. ولو كان الأمْر في ذلك على ما قالوا، لَكان القائِل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إنَّما يَسْأل رَبّه أنْ لا يجور.

وَفي إجماع أهل الإسلام جَميعًا على تَصْويب قول القائِل: اللَّهُمَّ إنَّا نَسْتَعينك. وتَخْطِئَتهم قولَ القائِل: اللَّهُمَّ لا تَجُرْ علينا - دَليلٌ واضِح على خَطَأ ما قال الذينَ وصَفْتُ قولهم، إذْ كان تأويل قول القائِل عندهمْ: اللَّهُمَّ إنَّا نَسْتَعينك، : للَّهُمَّ لا تَتْرُكْ مَعونَتَنا التي تَرْكُكَها جَوْرٌ منك.

فَإنْ قال قائِل: وكيف قِيلَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَقُدِّمَ الخَبَر عن العِبادة، وأُخِّرَتْ مسألة المَعونة عليها بعدها؟ وإنَّما تَكون العِبادة بالمَعونةِ، فَمسألة المَعونة كانتْ أحَقّ بالتَّقْديم قَبْل المُعان عليه من العَمَل والعِبادة بها؟

قِيلَ: لَمَّا كانَ مَعلومًا أنَّ العِبادة لا سَبيل لِلْعبدِ إليها إلاَّ بِمَعونةٍ من الله جَلَّ ثَناؤه، وكان مُحالاً أنْ يكون العبد عابِدًا إلاَّ وهو على العِبادة مُعان، وأنْ يكون مُعانًا عليها إلاَّ وهو لها فاعِل - كان سَواءً تَقْديمُ ما قُدِّمَ منهُما على صاحِبه، كما سَواءٌ قولُك لِرجلٍ قَضَى حاجَتك فَأحسَنَ إليك في قَضائِها: قَضَيْتَ حاجَتي فَأحسَنْتَ إلَيَّ، فَقَدَّمْتَ ذِكْر قَضائِه حاجَتك. أو قُلْت: أحسَنْت إلَيَّ فَقَضَيْت حاجَتي. فَقَدَّمْتَ ذِكْر الإحسان على ذِكْر قَضاء الحاجة؛ لأنَّه لا يكون قاضِيًا حاجَتك إلاَّ وهو إليك مُحْسِن، ولا مُحْسِنًا إليك إلاَّ وهو لِحاجَتِك قاضٍ. فَكَذلك سَواءٌ قولُ القائِل: اللَّهُمَّ إنَّا إيَّاكَ نَعْبُد فَأعِنَّا على عِبادَتك، وقوله: اللَّهُمَّ أعِنَّا على عِبادَتك فَإنَّا إيَّاكَ نَعْبُد.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وقد ظَنَّ بعضُ أهل الغَفْلة أنَّ ذلك من المُقَدَّم الذي معناه التَّأخير، كما قال امْرُؤُ القَيْس:

وَلو أنَّ ما أسعَى لأدْنَى مَعيشةٍ كَفاني - ولم أطْلُبْ - قَليلٌ من المالِ[1]

---

(١) [الطويل] القائل: امرُؤ القيس وهو امرؤ القَيس بن حجر بن الحارث الكندي، شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر، قال الشعر وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى حضرموت، موطن أبيه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره، أقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيرًا وحملني دمه كبيرًا، لا صحو اليوم ولا سكر غدًا، اليوم خمر وغدًا أمر. ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرًا كثيرًا، كانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار (آباء امرئ القيس) فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس، فطلبه فابتعد وتفرق عنه أنصاره،

يُريد بذلك: كَفاني قَليلٌ من المال ولم أطلُب كَثيرًا. وذلك من معاني التّقْديم والتّأخير، ومن مُشابَهة بَيْت امْرِئ القَيْس بِمعزلٍ؛ من أجْل أنّه قد يكْفيه القَليلُ من المال ويَطْلُب الكثير، فلَيْسَ وُجودُ ما يكْفيه منه بِموجِبٍ له تَرْكَ طَلَب الكَثير. فيكون نَظير العِبادة التي بِوُجودِها وُجود المَعونة عليها، وبِوُجودِ المَعونة عليها وُجودُها، فيكون ذِكْر أحَدهما دالاً على الآخَر، فيَعْتَدِل في صِحّة الكَلام تَقْديم ما قُدِّمَ منهُما قَبْل صاحِبه أنْ يكون موضوعًا في دَرَجَته ومُرَتَّبًا في مَرْتَبَته.

فَإنْ قال: فَما وجه تَكْراره: ﴿إِيَّاكَ﴾ مع قوله: ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ وقد تَقَدَّمَ ذلك قَبْل ﴿نَعۡبُدُ﴾؟ وهَلاَّ قِيلَ: إيَّاكَ نَعْبُد ونَسْتَعين؛ إذْ كان المُخْبَرُ عنه أنّه المعبود هو المُخْبَر عنه أنّه المُسْتَعان؟

قِيلَ له: إنَّ الكاف التي مع (إيّا) هي الكاف التي كانتْ تتصِل بالفِعْلِ - أعْني بِقولِه: ﴿نَعۡبُدُ﴾ - لو كانتْ مُؤَخَّرة بعد الفِعْل، وهيَ كِناية اسم المُخاطَب المَنصوب بالفِعْلِ، فَكُثِّرَتْ بـ(إيّا) مُتَقَدِّمة؛ إذْ كانت الأسماءُ إذا انفرَدَتْ بِأنْفُسِها لا تَكون في كَلام العرب على حَرْف واحِد، فَلَمَّا كانتِ الكاف من ﴿إِيَّاكَ﴾ هيَ كِنايةَ اسم المُخاطَبِ التي كانتْ تَكون كافًا وحْدها مُتَّصِلة بالفِعْلِ إذا كانتْ بعد الفِعْل، ثُمَّ كان حَظُّها أنْ تُعاد مع كُلِّ فِعْل اتَّصَلَتْ به، فَيُقال: اللَّهُمَّ إنَّا نَعْبُدك ونَسْتَعينك ونَحْمَدُك ونَشْكُرك، وكان ذلك أفصَح في كَلام العرب من أنْ يُقال: اللَّهُمَّ إنَّا نَعْبُدك ونَسْتَعين ونَحْمَدُ؛ كان كذلك إذا قُدِّمَتْ كِنايةُ اسم المُخاطَب قَبْل الفِعْل موصولة بـ(إيّا)، كان الأفصَح إعادَتها مع كُلِّ فِعْل، كما كان الفَصيح من الكَلام إعادَتها مع كُلِّ فِعْل إذا كانتْ بعد الفِعْل مُتَّصِلة به، وإنْ كان تَرْك إعادَتها جائِزًا.

وَقد ظَنَّ بعضُ مَنْ لم يُنْعِم النَّظَر أنَّ إعادة ﴿إِيَّاكَ﴾ مع ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ بعد تَقَدُّمها في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ بِمعنى قول عَديّ بن زَيْد العِباديِّ:

وَجاعِلُ الشَّمْسِ مِصْرًا لا خَفاءَ بِهِ بينَ النَّهارِ وبينَ اللَّيْلِ قد فَصَلا[1]

فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره ومكث عنده مدة ثم قصد الحارث بن أبي شمر الغساني والي بادية الشام لكي يستعين بالروم على الفرس فسيره الحارث إلى قيصر الروم يوستينيانس في القسطنطينية فوعده وماطله ثم ولاه إمارة فلسطين، فرحل إليها، ولما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح، فأقام فيها إلى أن مات. اللغة: أدْنَى: قَريب، وَشِيك. أسعى: أطلب. معيشة: العَيْش: الحَيَاةُ، وقد عَاشَ يَعِيش مَعَاشًا بالفتح ومَعِيشًا بوزن مَبِيت. كُلُّ واحد منهما يَصْلُح أن يكونَ مَصْدرًا واسْمًا كمَعَاب ومَعِيب وَمَمَالٍ ومَمِيل، وأعاشَهُ اللهُ عِيشَةً راضِيَةً. والمَعيشَة جَمْعُها مَعَايِشُ. المعنى: كفاني قليل من المال ولم أطلب كثيرًا، وذلك من معنى التقديم والتأخير، ومن مشابهة بيت امرئ القيس بمعزل من أجل أنه قد يكفيه القليل من المال ويطلب الكثير فليس وجود ما يكفيه منه بموجب له ترك طلب الكثير فيكون نظير العبادة التي بوجودها وجود المعونة عليها وبوجود المعونة عليها وجودها، فيكون ذكر أحدهما دالاً على الآخر فيعتدل في صحة الكلام تقديم ما قدم منهما قبل صاحبه أن يكون موضوعًا في درجته ومرتبًا في مرتبته.

ومن باب الشيء بالشيء يُذكر فقد ذكر الثعالبي هذا البيت في كتابه (فقه اللغة) تحت عنوان (يناسبه في التقديم والتأخير) وعلّق على البيت قائلاً: (وتقديره: كفاني قليل من المال، ولم أطلبه).

(١) [البسيط] القائل: عدي بن زيد العبادي وهو عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي، شاعر من دهاة الجاهليين، كان قرويًا من أهل الحيرة، فصيحًا، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب، وهو أول من كتب

وَكَقولِ أعْشَى هَمْدان:

بيـنَ الأشَـجِّ وبيـنَ قَيْـسٍ بـاذِخٌ   بَـخْ بَـخْ لِـوالِـدِه ولِـلْـمـولـودِ(١)

وَذلك من قائِله جَهْل؛ من أجْل أنَّ حَظَّ ﴿إِيَّاكَ﴾ أنْ تكون مُكَرَّرة مع كُلِّ فِعْلٍ لِما وصَفْنا آنِفًا من العِلَّة، ولَيْسَ ذلك حُكْم (بين) لأنها لا تَكون إذا اقْتَضَتْ اثْنَيْنِ إلاَّ تَكْرِيرًا إذا أُعيدَتْ؛ إذْ كانتْ لا تَنْفَرِد بالواحِدِ، وأنها لو أُفْرِدَتْ بِأحَدِ الاسمَيْنِ في حال اقْتِضائِها اثْنَيْنِ كان الكَلام كالمُسْتَحيلِ؛ وذلك أنَّ قائِلًا لو قال: الشَّمْس قد فَصَلَتْ بين النَّهار، لَكان من الكَلام خُلْفًا؛ لِنُقْصانِ الكَلام عَمَّا به الحاجة إليه من تَمامه الذي يَقْتَضيه (بين).

ولو قال قائِل: اللَّهُمَّ إيَّاكَ نَعْبُد. لَكان ذلك كَلامًا تامًّا؛ فَكان معلومًا بِذلك أنَّ حاجة كُلّ كَلِمة - كانتْ نَظيرة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ - إلى (إيَّاكَ) كَحاجةِ ﴿نَعْبُدُ﴾ إليها، وأنَّ الصَّواب أنْ تكون معها (إيَّاكَ)؛ إذْ كانتْ كُلّ كَلِمة منها جُمْلةَ خَبَر مُبْتَدأ، وبَيَّنَّا حُكْم مُخالَفة ذلك حُكْم (بين) فيما وَفَّقَ بينهما الذي وصَفْنا قوله.

القول في تأويل قوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ومعنى قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ في هذا الموضِع عندنا: وَفِّقْنا لِلثَّباتِ عليه، كما رُوِيَ ذلك عن ابن عَبَّاس:

١٧٢ - **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن عبد الله بن عَبَّاس قال: قال جِبْريل لِمُحَمَّدٍ: قُلْ يا مُحَمَّد:

بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجمانًا بينه وبين العرب، فسكن المدائن، ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجَّهه رسولاً إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هندًا بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة. اللغة: المصر: الحاجز بين الشيئين. المعنى: جعل الشمس حدًا وعلامة بين الليل والنهار. الشاهد: إن (بين) لا تكون - إذا اقتضت اثنين - إلا تكريرًا إذا أعيدت إذ كانت لا تنفرد بالواحد وأنها لو أفردت بأحد الاسمين في حال اقتضائها اثنين كان الكلام كالمستحيل وذلك أن قائلاً لو قال: لم! الشمس قد فصلت بين النهار لكان من الكلام خلفًا لنقصان الكلام عما به الحاجة إليه من تمامه الذي يقتضيه (بين) ولو قال القائل: اللهم إياك نعبد لكان ذلك كلامًا تامًا فكان معلومًا بذلك أن حاجة كل كلمة - كانت نظيرة إياك نعبد - إلى إياك كحاجة نعبد إليها وأن الصواب أن تكون معها.

(١) [الكامل] القائل: أعشى همدان وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني، شاعر اليمانيين، بالكوفة وفارسهم في عصره، ويعد من شعراء الدولة الأموية، كان أحد الفقهاء القراء، وقال الشعر فعرف به وكان من الغزاة أيام الحجاج، غزا الديلم وله شعر كثير في وصف بلادهم ووقائع المسلمين معهم، ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز الأعشى إليه واستولى على سجستان معه وقاتل رجال الحجاج الثقفي، ثم جيء به إلى الحجاج أسيرًا بعد مقتل الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه. اللغة: الأشج هو قيس بن معدي كرب، وأما قيس الثاني فهو قيس بن أبي سعيد بن قيس. بخ بخ: قال القاضي أبو الفرج: قوله: بخ بخ، هذه كلمة تقولها العرب عند الشيء تفضله وتمدحه وتعجب به، وفيها لغتان: التسكين والكسر والتنوين، فمن سكن فعلى الأصل فيما يبنى ولا يعرب، والكسر على الباب في الساكن إذا حرك، والتنوين في قول محققي نحاة البصريين يؤذن بالتنكير.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، يقول: أَلْهِمنا الطَّريقَ الهاديَ[١].

وَإِلهامُه إيَّاه ذلك هو تَوْفيقه له، كالذي قُلْنا في تأويله، ومعناه نَظير معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في أنَّه مسألة العبد رَبَّه التَّوْفيقَ لِلثَّباتِ على العَمَل بطاعَتِه، وإصابةَ الحَقِّ والصَّواب فيما أمَرَه به ونَهاه عنه فيما يَسْتَقْبِل من عُمُره دون ما قد مَضَى من أعْماله وتَقَضَّى فيما سَلَف من عُمُرِه، كما قولُه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مسألةٌ منه رَبَّه المَعونةَ على أداء ما قد كَلَّفَه من طاعَته فيما بَقِيَ من عُمُره. فَكان معنى الكَلام: اللَّهُمَّ إيَّاكَ نَعْبُد وحْدكَ لا شَريك لَك، مُخْلِصينَ لَك العِبادة دون ما سِواكَ من الآلِهة والأوثان، فَأعِنَّا على عِبادَتك، ووُفِّقْنا لِما وفَّقْتَ له مَنْ أنْعَمْت عليه من أنبيائِك وأهل طاعَتك، من السَّبيل والمنهاج.

فَإنْ قال قائِل: وأنَّى وجَدْت الهِداية في كَلام العرب بِمعنى التَّوْفيق؟

قِيلَ له: ذلك في كَلامها أكْثَرُ وأظْهَر من أنْ يُحْصَى عَدَدُ ما جاء عنهم في ذلك من الشَّواهِد، فَمن ذلك قول الشَّاعِر:

لا تَحْرِمَنِّي - هَداكَ الله - مسألَتي ... وَلا أكونَنْ كَمَنْ أودَى به السَّفَرُ[٢]

يَعْني به: وفَّقَك الله لِقَضاءِ حاجَتي. وَمنه قول الآخَر:

وَلا تُعْجِلَنِّي هَداكَ المَليكُ ... فَإنَّ لِكُلِّ مَقامٍ مَقالاً[٣]

فَمعلوم أنَّه إنَّما أرادَ: وفَّقَك الله لإصابةِ الحَقِّ في أمْري.

وَمنه قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨، آل عمران: ٨٦، التوبة: ١٩، ١٠٩، الصف: ٧، الجمعة: ٥] في غَيْر آية من تَنْزيله. وقد عُلِمَ بِذلك أنَّه لم يَعْنِ أنَّه لا يُبَيِّن لِلظَّالِمينَ الواجِبَ عليهم من فَرائِضه. وكيف يجوز أنْ يكون ذلك معناه، وقد عَمَّ بالبيانِ جَميعَ المُكَلَّفينَ من خَلْقه؟ ولَكِنَّه عَنَى جَلَّ ذكره، أنَّه لا يوَفِّقُهم، ولا يَشْرَح لِلْحَقِّ والإيمان صُدورَهمْ.

وَقد زَعَمَ بعضُهم أنَّ تأويل قوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾: زِدْنا هِداية.

---

(١) [ضعيف] الضحاك لم يسمع من ابن عباس، وبشر بن عمارة ضعيف.

(٢) [البسيط] القائل: لم أقف على قائل هذه الأبيات لكن لودفة الأسدي أبيات على نفس الوزن يقولها لمعن بن زائدة. اللغة: حرم: الحِرْمُ بالكسر والحَرامُ: نقيض الحلال وجمعه حُرُمٌ، وقد حَرُمَ عليه الشيء حُرْمًا وحَرامًا وحَرُمَ الشيءُ بالضم حُرْمَةً وحَرَّمَهُ الله عليه. انظر لسان العرب مادة (حرم). هداك الله: وفقك الله. مسألتي: حاجتي وطلبي. أودى به: يقال: أَوْدَى به العُمْرُ، أي: ذهَب به. المعنى: يقول الشاعر مستعطفًا المخاطب ألا يمنعه ما سأل؛ فيكون كمن ضيعه السفر. الشاهد: أن الهداية جاءت هنا بمعنى التوفيق.

(٣) القائل: الحطيئة وهو جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءً عنيفًا، لم يكد يسلم من لسانه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثرَ من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس. اللغة: تعجلني: تحنن عليّ. هداك المليك: وفقك الله. المعنى: يقول الشاعر معتذرًا لعمرو بن هند: لا تبادرني هداك الله؛ فإن لكل شيء ما يناسبه. الشاهد: أشار إلى الهداية هنا أيضًا بمعنى التوفيق حيث قال: هداك: أي: وفقك.

وَلَيْسَ يَخلو هذا القول من أحَد أمْرَيْنِ: إمَّا أنْ يكون قد ظَنَّ قائِلُه أنَّ النَّبيّ ﷺ أُمِرَ بِمسألةِ رَبِّه الزّيادةَ في البيان، أو الزّيادةَ في المَعونة والتّوْفيق. فَإنْ كان ظَنَّ أنَّه أُمِرَ بِمسألته الزّيادة في البيان، فذلك ما لا وجه لهُ؛ لأنّ الله جَلَّ ثَنَاؤه لا يُكَلِّف عبدًا فَرْضًا من فَرائِضه إلاَّ بعد تَبْيينه له وإقامة الحُجّة عليه به، ولو كان معنى ذلك معنى مسألَته البيانَ، لَكان قد أُمِرَ أنْ يَدْعو رَبّه أنْ يُبَيِّن له ما فَرَضَ عليه، وذلك من الدُّعاء خُلْف؛ لأنَّه لا يَفْرِض فَرْضًا إلاَّ مُبَيَّنًا لِمَنْ فَرَضَه عليه، أو يكون أُمِرَ أنْ يَدْعو رَبّه أنْ يَفْرِض عليه الفَرائِض التي لم يَفْرِضها. وفي فَساد وجه مسألة العبد رَبّه ذلك ما يوَضِّح عن أنَّ معنى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ غَيْر معنى بَيِّنْ لنا فَرائِضَك وحُدودَك.

أو يكون ظَنَّ أنَّه أُمِرَ بِمسألةِ رَبّه الزّيادةَ في المَعونة والتّوْفيق، فَإنْ كان ذلك كذلك، فَلَنْ تَخْلو مسألَته تِلْكَ الزّيادةَ من أنْ تَكون مسألة لِلزّيادةِ في المَعونة على ما قد مَضَى من عَمَله، أو على ما يَحْدُث، وفي ارْتِفاع حاجة العبد إلى المَعونة على ما قد تَقَضَّى من عَمَله ما يُعْلَم أنَّ معنى مسألة تِلْكَ الزّيادة إنَّما هو مسألَته الزّيادة لِما يَحْدُث من عَمَله. وإذ كان ذلك كذلك صارَ الأمْر إلى ما وصَفْنا وقُلْنا في ذلك من أنَّه مسألة العبد رَبّه التّوْفيقَ لأداءِ ما كُلِّفَ من فَرائِض ربه فيما يَسْتَقْبِل من عُمُره. وَفي صِحّة ذلك فَسادُ قول أهل القَدَر الزّاعِمينَ أنَّ كُلّ مَأمور بِأمْرٍ أو مُكَلَّف فَرْضًا، فقد أُعْطيَ من المَعونة عليه ما قد ارْتَفَعَتْ معه في ذلك الفَرْض حاجَته إلى رَبّه؛ لأنَّه لو كان الأمْر على ما قالوا في ذلك لَبَطَلَ معنى قول اللهِ جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وفي صِحّة معنى ذلك على ما بَيَّنَّا فَسادُ قولِهِمْ.

وَقد زَعَمَ بعضهم أنَّ معنى قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: أسلِكْنا طَريق الجَنَّة في المَعاد، أيْ: قَدِّمْنا له وامْضِ بِنا إليه، كما قال جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] أي: أدْخِلوهم النَّار. كما تُهْدَى المَرْأة إلى زَوْجها، يُعْنَى بِذلك أنَّها تُدْخَل إليهِ، وكَما تُهْدَى الهَديّة إلى الرَّجُل، وكَما تَهْدي السَّاقَ القَدَمُ؛ نَظير قول طَرَفة بن العبد:

لَعِبَتْ بعدي السُّيول بهِ   وَجَرَى في رَوْنَقٍ رِهَمُهْ
لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعيش بهِ   حَيْثُ تَهْدي ساقَه قَدَمُهْ[1]

(١) [المديد] القائل: طرفة بن العبد وهوطَرَفَة بن العَبد بن سفيان بن سعد، أبو عمرو، البكري الوائلي، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان هجاءً غير فاحش القول، تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد، اتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعُمان يأمره فيه بقتله؛ لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر شابًا. اللغة: سَيْلُ: واحد السُّيولِ. وسالَ الماء وغيره سَيْلاً وسَيَلانًا، وأسالَهُ غيره وسَيَّلَهُ أيضًا. ومَسيلُ الماءِ: موضع سَيْلِهِ، والجمع مَسايِلُ، ويجمع أيضًا على مُسُلٍ وأَمْسِلَةٍ ومُسْلانٍ. رَوْنَق الضحى أي: أوّلها. الرهم: جمع الرهمة وهو المطر الضعيف الدائم الصغير القطر. المعنى: يقول الشاعر: أعشبت الأرض، وجرى ماء السماء في النبت يترقرق، حيث سار الفتى عاش بعقله وتدبيره واجتهاده. الشاهد: يشير إلى أن الهداية هنا بمعنى المسلك، فساق المرء هي التي تسوق قدمه إلى السير في أي طريق شاءت.

أيْ: تَرِد به المَوارِد.

وَفي قول الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ما يُنبِئُ عن خَطأ هذا التَّأويل مع شَهادة الحُجَّة من المُفَسِّرينَ على تَخْطِئَته؛ وذلك أنَّ جَميع المُفَسِّرينَ من الصَّحابة والتَّابِعينَ مُجْمِعونَ على أنَّ معنى (الصراط) في هذا الموضِع غَيْرُ المعنى الذي تأوَّلَه قائِل هذا القول، وأنَّ قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مسألةُ العبدِ رَبَّه المَعونةَ على عِبادَته، فَكَذلك قوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾، إنَّما هو مسألتُه الثَّبات على الهُدَى فيما بَقِيَ من عُمُره.

والعرب تَقول: هَدَيْتُ فُلانًا الطَّريق، وهَدَيْتُه لِلطَّريقِ، وهَدَيْته إلى الطَّريق: إذا أرْشَدْته إليه وسَدَّدْته له. وبِكُلٍّ ذلك قد جاء القُرْآن، قال الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال في موضِع آخر: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١] وقال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وكُلُّ ذلك فاشٍ في مَنْطِقها موجودٌ في كَلامها، من ذلك قول الشَّاعِر:

أستَغْفِرُ الله ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ العِبادِ إليه الوَجْه والعَمَلُ[١]

يُريد: أستَغْفِر الله لِذَنْبٍ، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] ومنه قول نابِغة بَني ذُبْيان:

فَيَصيدُنا العَيْرَ المُدِلَّ بِحُضْرِهِ ... قَبْلَ الوَنَى والأشعَبَ النَّبَّاحا[٢]

يُريد: فَيَصيدُ لَنا. وذلك كَثير في أشعارهم وكَلامهم، وفيما ذَكَرْنا منه كِفاية.

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أجْمعتِ الحُجَّةُ من أهل التَّأويل جَميعًا على أنَّ الصِّراط المُسْتَقيم هو الطَّريق الواضِح الذي لا اعْوِجاج فيه، وكذلك ذلك في لُغة جَميع العرب، فَمن ذلك قول جَرير بن عَطيَّة الخَطَفيّ:

---

(١) [البسيط] القائل: هذا البيت من أبيات خمسين ذكرها سيبويه ولايعرف صاحبها. اللغة: غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا: سَتَرَهُ. وكُلُّ شيءٍ سَتَرْتَه فقد غَفَرْتَه. وتقول العربُ: اصْبغْ ثَوْبَكَ بالسَّوادِ فهو أغْفَرُ لِوَسخه: أي: أَحْمَلُ له وأغْطى له. وغَفَرَ المَتَاعَ: جَعَلَه في الوِعاءِ. لست محصيه: الإحصاء: منتهى العدد واشتقاقه من الحصى، وأصله أنهم كانوا يضعون المعدود على الأرض فإذا نفد قالوا: أحصينا أي: بلغنا الحصى ثم قيل: أحصيت الشيء، إذا عددته. إليه الوجه والعمل: أي: القصد والعمل، أي: وله العمل، أي: العبادة. المعنى: يقول الشاعر مستغفرًا الله من ذنوبه التي جازت الطود، والتي أعياه عدها وينيب إلى رب العباد، ويطهر نيته ويخلص العمل لوجهه الكريم. الشاهد: الأصل: أستغفر الله من ذنب؛ فحذف (من) لأن (أستغفر) يتعدى إلى المفعول الثاني بمن. ومعناه طلب المغفرة، أي: الستر على ذنوبه، وأراد بالذنب جميع ذنوبه؛ فإن النكرة قد تعم في الإثبات، ويدل عليه قوله: (لست محصيه).

(٢) [الكامل] القائل: نابغة بني ذبيان وقد سبق. اللغة: العَيْرُ: الحمار الوحشيّ والأهليُّ أيضًا، والأنثى عَيْرَةٌ، والجمع أعْيارٌ ومَعْيوراءُ وعُيورَةٌ. الحضر: ارتفاع الدابة في العدو. الأشعب: الظبي إذا تفرق قرناه فتباينا بينونة شديدة. نبح: قالوا: نَبَحَ الظَّبْيُ والتَّيْسُ عند السِّفادِ، أي: على جِهَةِ القِلَّة وهو مجاز كما في «الأساس». المعنى: يصف فرسه بشدة العدو، يلحق العير المدل بحضره، والظبي المستحكم السريع، فيصيدها قبل أن يناله تعب. الشاهد: قصد الشاعر فيصيد لنا العير، وهو نفس شاهد البيت السابق.

أميرُ المُؤمِنينَ على صِراطٍ إذا اعْوَجَّ المَوارِدُ مُسْتَقيمِ(١)

يُريد: على طَريق الحَقّ.

وَمنه قول الهُذَليّ أبي ذُؤَيْب:

صَبَحْنا أرْضَهم بالخَيْلِ حتّى تَرَكْناها أدَقَّ من الصِّراطِ(٢)

ومنه قول الرَّاجِز:

فَصُدَّ عن نَهْجِ الصِّراطِ القاصِدِ(٣)

والشَّواهِد على ذلك أكْثَر من أنْ تُحْصَى، وفيما ذَكَرْنا غِنًى عَمَّا تَرَكْنا.

ثُمّ تَسْتَعير العربُ الصِّراط فَتَسْتَعْمِله في كُلّ قول وعَمَل وُصِفَ باستِقامةٍ أو اعْوِجاج، فَتَصِف المُسْتَقيم باستِقامَتِه، والمُعْوَجّ باعْوِجاجِه.

والذي هو أولَى بِتأويلِ هذه الآية عندي، أعْني: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أنْ يكونا معنيًا به: وفِّقْنا لِلثَّباتِ على ما ارْتَضَيْته ووَفَّقْتَ له مَنْ أنْعَمْت عليه من عِبادك، من قول وعَمَل، وذلك

(١) [الوافر] القائل: جرير بن عطية وهو جَرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم. أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، كان عفيفًا، وهو من أغزل الناس شعرًا. اللغة: (ع و ج): الْعَوَجُ بِفَتْحَتَيْنِ فِي الْأَجْسَادِ خِلَافُ الِاعْتِدَالِ وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ بَابِ تَعِبَ، يُقَالُ: عَوِجَ الْعُودُ وَنَحْوُهُ فَهُوَ أَعْوَجُ وَالْأُنْثَى عَوْجَاءُ مِنْ بَابِ أَحْمَرَ، وَالنِّسْبَةُ إلَى الْأَعْوَجِ أَعْوَجِيٌّ عَلَى لَفْظِهِ. والمَوارِدُ: الطُّرُقُ إلى الماء واحدتها مَوْرِدةٌ، انظر «لسان العرب». المعنى: يمتدح الشاعر الخليفةَ هشام بن عبد الملك فيقول: إنه على طريقه الصائب المستقيم، ويبقى مستقيمًا حتى لو اعوجت الطرق أمامه. الشاهد: إجماع الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وكذلك ذلك في لغة جميع العرب.

(٢) [الوافر] القائل: أبو ذؤيب الهذلي وهو خويلد بن خالد بن محرّث أبو ذُؤيب من بني هذيل بن مدركة المضري. شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي السرح إلى إفريقية سنة (٢٦ هـ) غازيًا، فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان، فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها، وقيل: مات بإفريقية، أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد، مطلعها: (أمن المنون وريبها تتوجع). قال البغدادي: هو أشعر هذيل من غير مدافعة. وفد على النبي ﷺ ليلة وفاته، فأدركه وهو مسجّى وشهد دفنه. اللغة: صبحنا: يريد أتيناها صباحًا بخيل جُرْدٍ. ويقال: صَبَحْت فُلانًا، أي: ناولته صَبُوحًا من لبن أو خمر أصْبَحهُ صَبْحًا. دَقَّ الشيء يدِقّ دِقّة، والدِّقُّ: كل شيء دَقَّ وصغُر، وقالَ ابنُ الأعْرابي: دَقَ الشيءَ يَدُقُّه دَقًّا: إذا أظْهَرَهُ. المعنى: يقول الشاعر واصفًا تلك الهجمة الشرسة على العدو بأنهم من عَدْوِ خيلهم قد دكُّوا أرضهم فجعلوها أدق من الصراط، وفيه تصوير بليغ يوحي ببسالة الرجال الذين قاموا بتلك الهجمة.

(٣) [الوافر] القائل: لم أقف على قائل هذا البيت وقد ذكره القرطبي في تفسيره دون ذكر اسم صاحبه. اللغة: الصَّدّ: الإعْراضُ والصُّدُوف، صَدَّ عنه يَصِدُّ ويَصُدُّ صَدًّا وصُدُودًا: أعرض، ورجل صادٌّ من قوم صُدًّا وامرأة صادَّةٌ من نِسوة صَوادَّ وصُدَّادٍ أيضًا. انظر اللسان (ص د د). نهج: النَّهْجُ: الطريق الواضح. وكذلك المَنْهَجُ والمِنْهاجُ. وأَنْهَجَ الطريقُ، أي: استبانَ وصار نَهْجًا واضحًا بَيِّنًا. الصراط القاصد: المقصود والمطلوب. المعنى: يذم الشاعر أحدهم فيقول عنه: إنه يصد عن الطريق الواضح المستقيم. الشاهد: يقصد الشاعر أنه أعرض عن سلوك الطريق القويم، وهو نفس معنى البيت السابق.

هو الصِّراط المُسْتَقيم؛ لأنَّ مَنْ وُفِّقَ لِما وُفِّقَ له مَنْ أنْعَمَ الله عليه من النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهَداء والصالحين، فقد وُفِّقَ لِلإسلام، وتَصْديق الرُّسُل، والتَّمَسُّك بالكِتابِ، والعَمَل بِما أمَرَه الله به، والانزِجار عَمَّا زَجَرَه عنه، واتِّباع مِنْهاج النَّبيِّ ﷺ، ومنهاج أبي بَكْر وعُمَر وعُثْمان وعَليّ رضي الله عنهم أجمعين، وكُلِّ عبدٍ لِلّه صالِح، وكُلُّ ذلك من الصِّراط المُسْتَقيم.

وَقد اختَلَفَ تَراجِمة القُرْآن في المعنيِّ بالصِّراطِ المُسْتَقيم، يَشْمَل مَعاني جَميعهم في ذلك ما أخْبَرْنا من التَّأويل فيه.

وَمِمَّا قالتْه في ذلك، ما رُوِيَ عن عَليّ بن أبي طالِب رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال - وذَكَر القُرْآن - فَقال: «**هُوَ الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم**».

١٧٣ - **حَدَّثَنا** بِذلك موسَى بن عبد الرَّحْمَن المَسْروقيُّ قال: حَدَّثَنا حُسَيْن الجُعْفيّ، عن حَمْزة الزَّيَّات، عن أبي المُخْتار الطَّائيّ، عن ابن أخي الحارِث، عن الحارِث، عن عَليّ، عن النَّبيّ ﷺ(١).

١٧٤ - **وَحُدِّثتُ** عن إسماعيل بن أبي كَريمة، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن سَلَمة، عن أبي سِنان، عن عَمْرو بن مُرَّة، عن أبي البَخْتَريّ، عن الحارِث، عن عَليّ، عن النَّبيّ ﷺ مِثْله(٢).

١٧٥ - **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قال: حَدَّثَنا حَمْزة الزَّيَّات، عن أبي المُخْتار الطَّائيّ، عن ابن أخي الحارِث الأعْوَر، عن الحارِث، عن عَليّ، قال: الصِّراط المُسْتَقيم كِتاب الله تعالى(٣).

١٧٦ - **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق الأهوازيُّ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، وحَدَّثَنا مُحَمَّد بن حُمَيْد الرَّازيّ، قال: حَدَّثَنا مِهْران، عن سُفْيان، عن مَنْصور، عن أبي وائِل، قال: قال عبد الله: الصِّراط المُسْتَقيم كِتاب الله(٤).

١٧٧ - **حَدَّثَنا** محمود بن خِداش الطَّالَقانيّ، قال: حَدَّثَنا حُمَيْد بن عبد الرَّحْمَن الرُّؤاسيُّ، قال: حَدَّثَنا عَليّ والحسن ابنا صالِح جَميعًا، عن عبد الله بن مُحَمَّد بن عَقيل، عن جابِر: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: الإسلام. قال: هو أوسَع مِمَّا بين السَّماء والأرْض(٥).

---

(١) [ضعيف] من أجل الحارث الأعور، فهو ضعيف الحديث، وابن أخيه مجهول، وأبو المختار مثله، وقد توبع ابن أخي الحارث في الذي بعده، ولكن تبقى علة الحارث نفسه. والعلم عند الله.

(٢) [ضعيف] تقدم قبله.

(٣) [ضعيف] تقدم قبله.

(٤) [صحيح] مداره على الثوري، وقد رواه عنه أبو داود الحفري كما عند الحاكم وغيره، ورواه عنه مهران بن أبي عمر العطار الرازي، وهو ضعيف كما عند المصنف والسند إليه كذلك ضعيف من أجل شيخ المصنف، وتابعهما الزبيري، وقد توبع الثوري نفسه من معمر، كما أخرجه المروزي في السنة فقال: حدثنا إسحاق، أنبا وكيع، أنبا مسعر، عن منصور... فذكره.

(٥) [ضعيف] من أجل عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف الحديث.

١٧٨ - حَدَّثنا أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعِيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق عن الضَّحَّاك، عن عبد الله بن عَبَّاس، قال: قال جِبْريل لِمُحَمَّدٍ: قُلْ يا مُحَمَّد: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، يقول: ألهِمْنا الطَّريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عِوَج له(١).

١٧٩ - حَدَّثنا سَهْل بن موسَى الرَّازيّ، قال: حَدَّثَنا يَحْيَى بن عَوْف، عن الفُرات بن السَّائِب، عن مَيْمون بن مِهْران، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: ذلك الإسلام(٢).

١٨٠ - حَدَّثنا محمود بن خِداش، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن رَبيعة الكِلابيّ، عن إسماعيل الأزْرَق، عن أبي عُمَر البزَّار، عن ابن الحَنَفيّة في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو دين الله الذي لا يَقْبَل من العِباد غَيْره(٣).

١٨١ - حَدَّثنا موسَى بن هارون الهَمْدانيّ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن طَلْحة القَنَّادُ، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: هو الإسلام(٤).

١٨٢ - حَدَّثنا القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن داود، قال: حَدَّثَني حَجَّاج عن ابن جُرَيْج قال: قال ابن عَبَّاس في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: الطَّريق(٥).

١٨٣ - حَدَّثَنا عبد الله بن كَثير أبو صُدَيْف الآمُلِيُّ، قال: حَدَّثَنا هاشِم بن القاسِم، قال: حَدَّثَنا حَمْزة بن أبي المُغيرة، عن عاصِم، عن أبي العالية في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو رَسول الله ﷺ وصاحِباه من بعده: أبو بَكْر وعُمَر. قال: فَذَكَرْت ذلك لِلْحَسَنِ، فقال: صَدَقَ أبو العالية ونَصَحَ(٦).

١٨٤ - حَدَّثني يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: حَدَّثَنا ابن وهْب، قال: قال عبد الرَّحْمَن بن زَيْد بن أسلَمَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: الإسلام(٧).

١٨٥ - حَدَّثَنا المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، أنَّ عبد الرَّحْمَن بن جُبَيْر حَدَّثَه عن أبيه، عن نَوَّاس بن سِمْعان الأنْصاريّ، عن رَسول الله ﷺ قال:

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر ضعيف.

(٢) [ضعيف جدًا] الفرات بن السائب متروك الحديث، وشيخا المصنف لم أقف عليهما.

(٣) [ضعيف] إسماعيل بن سلمان بن أبي المغيرة الأزرق التميمي الكوفي ضعيف الحديث، وبقية رجاله موثقون.

(٤) [ضعيف] أسباط بن نصر الهمداني ضعيف.

(٥) [ضعيف] ابن جريج عن ابن عباس مرسل، والإسناد إليه ضعيف؛ فيه الحسين بن داود المصيصي ضعيف مع إمامته وحفظه لكونه كان يلقن شيخه الحجاج المصيصي.

(٦) [ضعيف] شيخ المصنف لم أقف عليه، وبقية رجاله ثقات.

(٧) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو، والسند إليه صحيح.

«ضَرَبَ الله مَثَلاً صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَالصِّرَاطُ: الإِسْلَامُ»(١).

١٨٦- حدَّثنا المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدم العَسْقَلانيّ، قال: حَدَّثَنا اللَّيْث عن مُعاوية بن صالِح، عن عبد الرَّحْمَن بن جُبَيْر بن نُفَيْر، عن أبيه عن النَّوَّاس بن سِمْعان الأنْصاريّ، عن النَّبيّ ﷺ بِمِثْلِهِ(٢).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وإنّما وصَفه الله جل ثناؤه بالاستِقامةِ؛ لأنّه صَواب لا خَطَأ فيه، وقد زَعَمَ بعص أهل الغباء أنّه سَمَّاه الله مُسْتَقيمًا لاستِقامَتِه بأهلِه إلى الجَنَّة، وذلك تأويلٌ لِتأويلِ جميع أهل التَّفسير خِلافٌ، وكَفَى بإجماعِ جَميعهم على خِلافه جميعَهم دَليلاً على خَطَئِه.

القولُ في تأويلِ:
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾

وقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ إبانة عن الصِّراط المُسْتَقيم أيُّ الصِّراط هوَ، إذْ كان كُلّ طَريق من طُرُق الحَقّ صِراطًا مُسْتَقيمًا، فَقيلَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ يا مُحَمَّد: اهْدِنا يا رَبَّنا الصِّراط المُسْتَقيم، صِراط الذينَ أنْعَمْت عليهم، بطاعَتِك وعِبادَتك من مَلائِكَتك، وأنْبيائِك، والصِّدّيقينَ، والشُّهداء، والصَّالِحينَ. وذلك نَظير ما قال رَبّنا جَلَّ ثَنَاؤه في تَنْزيله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٦-٦٩].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فالذي أُمِرَ مُحَمَّد ﷺ وأُمَّتُه أنْ يَسْألوا رَبَّهم من الهِداية لِلطَّريقِ المُسْتَقيم؛ هي الهِداية لِلطَّريقِ الذي وصَفَ الله جَلَّ ثَنَاؤه صِفَته.

وَذلك الطَّريق هو طَريق الذين وصَفَهم الله بِما وصَفَهم به في تَنْزيله، ووَعَدَ مَنْ سَلَكَه فاستَقامَ فيه طائِعًا لِلّه ولِرَسولِه ﷺ أنْ يورِدَه مَوارِدَهم، واللّه لا يُخْلِف الميعاد.

وَبِنَحْوِ ما قُلْنا في ذلك رُوِيَ الخَبَر عن ابن عَبَّاس وغَيْره:

١٨٧- حدَّثنا مُحَمَّد بن العَلاء، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ يقول: طَريق من أنْعَمْت عليهم من المَلائِكة والنَّبيّينَ والصِّدّيقينَ والشُّهَداء والصَّالِحينَ، الذينَ أطاعوك وعَبَدوك(٣).

---

(١) [صحيح] مداره على معاوية بن صالح، والأسانيد إليه صحيحة كما عند أحمد [١٧١٨٢]، والمروزي في السنة [١٨]، وغيرهما، وأما سند المصنف فضعيف من أجل أبي صالح كاتب الليث، يكتب حديثه، والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وقد جاء بنحوه من طريق آخر غير هذا فيه بقية بن الوليد وهو مدلس التسوية ولم يصرح عن شيخيه، وليس فيه موطن الشاهد. والعلم عند الله.

(٢) [ضعيف] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل المثنى شيخ المصنف.

(٣) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر ضعيف.

١٨٨- حدثني أحمد بن حازم الغِفاريُّ، قال: أخبرَنا عُبَيْد الله بن موسَى، عن أبي جَعْفَر عن رَبيع: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: النَّبيّونَ[(١)].

١٨٩- حدثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عَبّاس: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: المُؤْمِنينَ[(٢)].

١٩٠- حدثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: قال وكيع: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: المُسْلِمينَ[(٣)].

١٩١- حدثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال عبد الرَّحْمَن بن زَيْد في قول الله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: النَّبيّ ﷺ ومَنْ معهُ[(٤)].

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: وفي هذه الآية دَليل واضِح على أنَّ طاعة الله جَلَّ ثَناؤه لا يَنالها المُطيعونَ إلاَّ بإنْعام الله بها عليهم وتَوْفيقه إيّاهم لها، أوَلا يَسْمَعونَه يقول: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فَأضافَ ما كان منهم من اهْتِداء وطاعة وعِبادة إلى أنَّه إنْعام منه عليهم.

فإنْ قال قائِل: وأيْنَ تَمام هذا الخَبَر، فقد عَلِمْت أنَّ قول القائِل لآخَر: أنْعَمْتُ عليك. مُقْتَضٍ الخَبَرَ عَمّا أنْعَمَ به عليه، فأيْنَ ذلك الخَبَر في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؟ وما تِلْكَ النِّعْمة التي أنْعَمَها عليهم؟

قيلَ له: قد قَدَّمْنا البيان فيما مَضَى من كِتابنا هذا عن اجْتِزاء العرب في مَنْطِقها ببعض من بعض إذا كان البَعْض الظّاهِرُ دالاً على البَعْض الباطِن وكافيًا منه، فَقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من ذلك؛ لأنَّ أمْر الله جَلَّ ثَناؤه عِباده مسألَتَه المَعونةَ وطَلَبهم منه الهِدايةَ لِلصِّراطِ المُسْتَقيم لَمّا كان مُتَقَدِّمًا قولَه: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الذي هو إبانة عن الصِّراط المُسْتَقيم، وإبدال منه - كان معلومًا أنَّ النِّعْمة التي أنْعَمَ الله بها على مَنْ أمَرنا بِمسألَتِه الهِداية لِطَريقِهم هو المنهاج القَويمُ والصِّراطُ المُسْتَقيم الذي قد قَدَّمْنا البيان عن تأويله آنِفًا، فَكان ظاهِرُ ما ظَهَرَ من ذلك - مع قُرْب تَجاوُر الكَلِمَتَيْنِ - مُغْنيًا عن تَكْراره كما قال نابغة بَني ذُبْيان:

كَأنَّكَ مِن جِمالِ بَني أُقَيْشٍ ... يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْه بِشَنِّ[(٥)]

---

(١) [حسن] من أجل أبي جعفر الرازي مولى بني تميم، وبقية رجاله ثقات، وسنده متصل.
(٢) [ضعيف] ابن جريج عن ابن عباس مرسل، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي كان يلقن شيخه الحجاج.
(٣) [صحيح] فيه الحسين المتقدم قبله وهو في غير شيخه الحجاج صحيح.
(٤) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد، وهو ضعيف، ولكنه قوله، والسند إليه صحيح.
(٥) [الوافر] القائل: نابغة بني ذبيان، وقد تقدم. اللغة: بنو أقيش: هم بنو أقيش بن عبيد. وقيل: فخذ من أشجع. وقيل: حي من اليمن في إبلهم نفار شديد. وقعقع: حرك شيئًا يابسًا فتسمع له صوتًا. والشن: القربة البالية. المعنى: يقول الشاعر واصفًا عيينة بالجبن والخور وشدة الفزع، كأنه جمل شديد النفار، إذا سمع صوت شن يقعقع به. الشاهد: اكتفى بما ظهر من ذكر (الجمال) الدال على المحذوف، والتقدير: كأنك من جمال بني أقيش جمل يقعقع خلف رجليه بشن.

يُريد: كَأنَّكَ من جِمال بَني أُقَيْشٍ جَمَلٌ يُقَعْقَعُ خَلْف رِجْلَيْه بِشَنٍّ. فاكْتَفَى بِما ظَهَرَ من ذِكْر الجِمال الدَّالِّ على المحذوف من إظْهار ما حَذَفَ.

وَكَما قال الفَرَزْدَق بن غالِب:

تَـرَى أرْبـاقَـهـم مُـتَـقَـلِّـديـهـا إذا صَدِئَ الحَديدُ على الكُماةِ[1]

يُريد: مُتَقَلِّديها هم، فَحَذَفَ (هم) إذْ كان الظَّاهِر من قوله: (وَأرْباقهمْ) دالاً عليها.

والشَّواهِد على ذلك من شِعْر العرب وكَلامها أكْثَر من أنْ تُحْصَى، فَكَذلك ذلك في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾:

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والقَرَأة مُجْمِعة على قِراءة ﴿غَيۡرِ﴾ بِجَرِّ الرَّاء منها. والخَفْض يَأتيها من وجهَيْن:

أَحَدهما: أنْ يكون ﴿غَيۡرِ﴾ صِفة لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ونَعْتًا لهم فَتَخْفِضها، إذا كان ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خَفْضًا وهيَ لهم نَعْتٌ وصِفة؛ وإنَّما جازَ أنْ يكون ﴿غَيۡرِ﴾ نَعْتًا لِـ﴿ٱلَّذِينَ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ معرِفة و﴿غَيۡرِ﴾ نَكِرة؛ لأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بِصِلَتِها لَيْسَتْ بالمعرِفةِ المُؤَقَّتة كالأسماءِ التي هي أمارات بين النَّاس، مِثْل زَيْد وعَمْرو، وما أشْبَهَ ذلك، وإنَّما هي كالنَّكِراتِ المَجْهولات، مِثْل الرَّجُل والبعير، وما أشْبَهَ ذلك؛ فَلما كان ﴿ٱلَّذِينَ﴾ كَذلك صِفَتُها، وكانتْ ﴿غَيۡرِ﴾ مُضافةً إلى مَجْهول من الأسماء نَظير ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في أنَّه معرِفة غَيْر مؤقَّتة كما ﴿ٱلَّذِينَ﴾ معرِفة غَيْر مُؤَقَّتة، جازَ من أجْل ذلك أنْ يكون: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ نَعْتًا لِـ﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ كما يُقال: لا أجْلِس إلاَّ إلى العالِم غَيْر الجاهِل، يُراد: لا أجْلِس إلاَّ إلى مَنْ يَعْلَم، لا إلى مَنْ يجْهَل. ولو كان ﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ معرِفة مؤقَّتة كان غَيْر جائِز أنْ يكون ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ لها نَعْتًا، وذلك أنَّه خَطَأ في كَلام العرب إذا وُصِفَت معرِفة مُؤَقَّتة بِنَكِرةٍ - أنْ تُلْزِم نَعْتها النَّكِرة إعْراب المعرِفة المَنْعوت بها، إلاَّ على نيَّة تَكْرير ما أعْربَ المنعوت بها. خَطَأ في كَلامهم أنْ يُقال: مَرَرْت بِعبدِ الله غَيْر العالِم، فَتَخْفِض غير إلاَّ على نيَّة تَكْرير الباء التي أعْرَبَت عبد اللَّه، فَكان معنى ذلك لو قِيلَ كذلك: مَرَرْت بِعبدِ اللَّه، مَرَرْت بِغَيْرِ العالِم. فَهذا أحَدُ وجهَيْ الخَفْض في: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾.

والوَجْه الآخَر من وجهَيْ الخَفْض فيها: أنْ يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بِمعنى المعرِفة المُؤَقَّتة، وإذا وُجِّهَ إلى ذلك، كانتْ ﴿غَيۡرِ﴾ مَخْفوضة بِنيّةِ تَكْرير الصِّراط الذي خُفِضَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ عليها،

---

(١) [الوافر] القائل: الفرزدق بن غالب، تقدم الكلام عليه. اللغة: الأرباق: جمع ربق، والربق جمع ربقة: وهو الحبل تشد به الغنم الصغار لئلا ترضع، اللسان (رب ق). والكماة، جمع كمي: وهو البطل الشديد البأس. المعنى: يقول الشاعر واصفًا بني كليب بأنهم رعاء أخساء بخلاء، لا هَمَّ لهم إلا رعاية الغنم، والأبطال في الحرب يصلون حرها الأيام الطوال حتى يصدأ حديد الدروع على أبدانهم من العرق. الشاهد: يريد: متقلديها هم، فحذف (هم)، إذ كان الظاهرُ من قوله: أرباقَهم، دالاً عليها.

فَكَأنَّك قُلْت : صِراط الذينَ أنعَمْت عليهم صِراط غَيْر المَغضوب عليهم .

وَهذانِ التَّأويلانِ في ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وإنْ اختَلَفا باختِلافِ مُعْربيهما ، فَإنَّهُما يَتَقارَب معناهُما ؛ من أجْل أنَّ مَنْ أنْعَمَ الله عليه فَهَداه لِدينِه الحَقِّ فقد سَلِمَ من غَضَب رَبِّه ونَجا من الضَّلال في دينه .

فَسَواء - إذْ كان سامِع قوله : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ غَيْرَ جائِز أنْ يَرْتاب مع سَماعه ذلك من تاليه في أنَّ الذينَ أنْعَمَ الله عليهم بالهِدايةِ لِلصِّراطِ ؛ غَيْرُ غاضِبٍ رَبُّهم عليهم مع النِّعْمة التي قد عَظُمَتْ مِنَّتُه بها عليهم في دينهم ، ولا أنْ يكونوا ضُلَّالاً وقد هَداهم الْحَقَّ رَبُّهم ؛ إذْ كان مُسْتَحيلاً في فِطَرهم اجْتِماعُ الرِّضا من الله جَلَّ ثَناؤه عن شَخْص والغَضَبِ عليه في حال واحِدة ، واجْتِماعُ الهُدَى والضَّلال له في وقْت واحِد - وُصِفَ القَوْمُ - مع وَصْف الله إيَّاهم بِما وَصَفَهم به من تَوْفيقه إيَّاهم وهِدايَته لهم وإنْعامه عليهم بِما أنْعَمَ الله به عليهم في دينهم بِأنَّهم غَيْر مَغْضوب عليهم ولا هم ضالُّونَ - أم لم يُوصَفوا بِذلك ؛ لأنَّ الصِّفة الظَّاهِرة التي وُصِفوا بها قد أنْبَأتْ عنهم أنَّهم كذلك وإنْ لم يُصَرِّح وَصْفهم به .

هذا إذا وجَّهْنا ﴿ غَيْرِ ﴾ إلى أنَّها مَخْفوضة على نيَّة تَكْرير الصِّراط الخافِض ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ، ولم تَجْعَل ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ من صِفةِ ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ بل إذا جعلناهم غَيْرهمْ ؛ وإنْ كان الفَريقانِ لا شَكَّ مُنْعَمًا عليهِما في أدْيانهما .

فَأمَّا إذا وجَّهْنا : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ إلى أنَّها من نعت ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فلا حاجة بِسامِعِه إلى الاستِدْلال ، إذْ كان الصَّريح من معناه قد أغْنَى عن الدَّليل .

وَقد يجوز نَصْبُ ﴿ غَيْرِ ﴾ في ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وإنْ كُنْتُ لِلْقِراءةِ بها كارِهًا لِشُذوذِها عن قِراءة القرَأة ، وأنَّ ما شَذَّ من القِراءات عَمَّا جاءتْ به الأُمَّةُ نَقْلاً ظاهِرًا مُسْتَفيضًا ، فَرَأيٌ لِلْحَقِّ مُخالِفٌ ، وعن سَبيل الله وسَبيل رَسوله ﷺ وسَبيل المُسْلِمينَ مُتَجانِفٌ ، وإنْ كان له - لو كان جائِزَ القِراءةِ به - في الصَّواب مَخْرَج .

وَتأويل وجه صَوابه إذا نَصَبْت : أنْ يوَجَّه إلى أنْ يكون صِفة لِلْهاءِ والميم اللَّتَيْنِ في ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ العائِدة على ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ لأنَّها وإنْ كانتْ مَخْفوضة بـ (على) ، فَهيَ في مَحَلِّ نَصْب بِقوله : ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ .

فَكَان تأويل الكَلام - إذا نَصَبْت (غَيْر) التي مع ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ - صِراط الذينَ هَدَيْتهم إنْعامًا منك عليهم غَيْرَ مَغْضوب عليهم - أيْ : لا مَغْضوبًا عليهم - ولا ضالِّينَ . فَيكون النَّصْب في ذلك حينَئِذٍ كالنَّصْبِ في (غَيْر) في قولك : مَرَرْت بِعبدِ الله غَيْرَ الكَريم ولا الرَّشيد ، فَتَقْطَع غَيْرَ الكَريم من عبد الله ؛ إذْ كان عبد الله معرِفة مُؤَقَّتة وغَيْر الكَريم نَكِرة مَجْهولة .

وَقد كان بعض نَحْويِّي البصْريِّينَ يَزْعُم أنَّ قِراءة مَنْ نَصَبَ (غَيْر) في ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ على وجه استِثْناء ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ من مَعاني صِفة ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ كَأنَّه كان

يَرَى أنَّ معنى الذينَ قَرَءوا ذلك نَصْبًا: اهْدِنا الصِّراط المُسْتَقيم صِراط الذينَ أنْعَمْت عليهم إلاَّ المَغْضوب عليهم الذينَ لم تُنْعِم عليهم في أدْيانهم ولم تَهْدِهم لِلْحَقِّ، فلا تَجْعَلْنا منهم. كَما قال نابِغة بَني ذُبْيان:

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلالاً أُسائِلُها عَيَّتْ جَوابًا وما بالرَّبْعِ من أحَدِ
إلاَّ أَوارِيَّ لأْيًا ما أُبَيِّنُها والنُّؤْيُ كالحَوْضِ بالمَظْلومةِ الجَلَدِ(١)

والأواري معلوم أنَّها لَيسَتْ من عِداد أحَد في شَيْء، فكَذلك عنده استَثْنَى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ من ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وإنْ لم يكونوا من مَعانيهم في الدِّين في شَيْء.

وَأمَّا نَحْويّو الكوفيّينَ فَأنْكَروا هذا التَّأويل واستَخْطَئوه، وزَعَموا أنَّ ذلك لو كان كما قاله الزَّاعِم ما زَعَمَ من أهل البصْرة لَكان خَطَأً أنْ يُقال: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ لأنَّ (لا) نَفْي وجَحْد، ولا يُعْطَف بِجَحْدٍ إلاَّ على جَحْد.

وقالوا: لم نَجِد في شَيْء من كَلام العرب استِثْناء يُعْطَف عليه بِجَحْدٍ، وإنَّما وجَدْناهم يَعْطِفونَ على الاستِثْناء بالاستِثْناءِ، وبالجَحْدِ على الجَحْد فَيقولونَ في الاستِثْناء: قامَ القَوْم إلاَّ أخاك وإلاَّ أباك، وفي الجَحْد: ما قامَ أخوك، ولا أبوك. وأمَّا قامَ القَوْم إلاَّ أباك ولا أخاك. فَلم نَجِده في كَلام العرب.

قالوا: فَلَمَّا كان ذلك معدومًا في كَلام العرب وكان القُرْآن بِأفصَح لِسان العرب نُزوله، عَلِمْنا - إذْ كان قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ معطوفًا على قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أنَّ ﴿غَيْرِ﴾ بمعنى الجَحْد لا بِمعنى الاستِثْناء، وأنَّ تأويل مَنْ وجَّهَها إلى الاستِثْناء خَطَأ.

فَهذه أوجُه تأويل ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باختِلافِ أوجُه إعْراب ذلك.

وَإنَّما اعْتَرَضْنا بِما اعْتَرَضْنا في ذلك من بَيان وُجوه إعْرابه - وإنْ كان قَصْدُنا في هذا الكِتاب الكَشْفَ عن تأويل آيِ القُرْآن - لِما في اختِلاف وُجوه إعْراب ذلك من اختِلاف وُجوه تأويله، فاضْطَرَّتْنا الحاجة إلى كَشْفِ وُجوه إعْرابه؛ لِتَنْكَشِف لِطالِبِ تأويله وُجوهُ تأويله على قدر اختِلاف المُخْتَلِفة في تأويله وقِراءَته.

والصَّوابُ من القول في تأويله وقِراءَته عندنا القول الأوَّل، وهو قِراءة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

(١) [الطويل] القائل: نابغة بني ذبيان، وقد سبق الكلام عليه. اللغة: الأصيل: يقال: لقيته أصيلالاً وأصيلانًا، إذا لقيته بالعشي؛ وذلك أن الأصيل هو العشي، وجمعه أُصُل (بضمتين) وأصلان (بضم فسكون)، ثم صغروا الجمع فقالوا: أصيلان. الربع: المنزل والدار. الأواري: جمع آري وهو محبس الدابة. ولأيًا: بعد جهد ومشقة وإبطاء. والنؤى: حفرة حول الخباء تعلى جوانبها بالتراب، فتحجز الماء ولا يدخل الخباء. والمظلومة: يعني أرضًا مروا بها في برية فتحوضوا حوضًا سقوا فيه إبلهم، وليس بموضع تحويض لبعدها عن مواطئ السابلة؛ فلذلك سماها مظلومة. والجلد: الأرض الصلبة، يعني أنها لا تنبت شيئًا فلا يرعاها أحد. المعنى: وقف الشاعر على الأطلال في وقت العشي مناديًا متسائلاً، وكأن الجميع عجز عن الرد، وما من أحد يرد عليه ولم يجد بالمكان إلا مربط إبل وموردًا لا ينبت شيئًا ولا يراعاه أحد! الشاهد: معلومٌ أن الأواريَّ ليست من عِداد (أحد) في شيء. فكذلك عنده، استثنى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧] من ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧]، وإن لم يكونوا من معانيهم في الدين في شيء.

عَلَيْهِمْ﴾ بخفضِ الرَّاء من ﴿غَيْرِ﴾ بتأويلِ أنَّها صِفة لِـ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ونَعْت لهم - لِما قد قَدَّمْنا من البيان - إنْ شِئْت، وإنْ شِئْت فَبِتأويلِ تكْرير ﴿صِرَٰطَ﴾ كُلّ ذلك صَواب حَسَن.

فَإنْ قال لنا قائِل: فَمَنْ هؤلاء المَغْضوبُ عليهم الذينَ أَمَرَنا الله جَلَّ ثَناؤه بِمسألَتِه أنْ لا يجْعَلنا منهم؟

قِيلَ: هم الذينَ وصَفَهم الله جَلَّ ثَناؤه في تَنْزيله فقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠] فأعْلَمَنا جَلَّ ذِكْرُه بِمَنِّه ما أحَلَّ بهم من عُقوبَتِه بِمعصيَتِهم إيَّاه، ثُمَّ عَلَّمَنا منة منه علينا وجهَ السَّبيل إلى النَّجاة، من أنْ يَحِلّ بِنا مِثْلُ الذي حَلَّ بهم من المَثُلات، ورَأفة منه بِنا.

فَإنْ قالَ: وما الدَّليل على أنَّهم أُولاءِ الذينَ وصَفَهم الله وذَكَر نَبأهم في تَنْزيله على ما وصَفْت؟ قِيلَ:

١٩٢- **حَدَّثَني** أحمَد بن الوَليد الرَّمْليّ، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن جَعْفَر الرَّقِّيُّ، قال: حَدَّثَنا سُفْيان بن عُيَيْنة، عن إسماعيل بن أبي خالِد، عن الشَّعْبيّ، عن عَديّ بن حاتِم قال: قال رَسول الله ﷺ: «**الْمَغْضُوب عَلَيهِمْ: الْيَهُود**»(١).

١٩٣- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن جَعْفَر، قال: حَدَّثَنا شُعْبة عن سِماك بن حَرْب، قال: سَمِعْت عَبَّاد بن حُبَيْش يُحَدِّث عن عَديّ بن حاتِم قال: قال لي رَسول الله ﷺ: «**إنَّ الْمَغْضُوب عَلَيهِمْ: الْيَهُود**»(٢).

١٩٤- **حَدَّثَني** عَليّ بن الحسن، قال: حَدَّثَنا مُسْلِم بن عبد الرَّحْمَن، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن مُصْعَب، عن حَمَّاد بن سَلَمة، عن سِماك بن حَرْب، عن مُرِّيّ بن قَطَرِيّ، عن عَديّ بن حاتِم قال: سَألت النَّبيّ ﷺ عن قول الله جَلَّ وعَزَّ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «**هُمُ الْيَهُود**»(٣).

١٩٥- **حَدَّثَنا** حُمَيْد بن مسعَدة السَّاميّ، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن المُفَضَّل، قال: حَدَّثَنا الجُرَيْريّ عن عبد الله بن شَقيق: أنَّ رَجُلاً أتَى رَسول الله ﷺ وهو مُحاصِر وادي القُرَى فقال: مَنْ هؤلاء الذينَ تُحاصِر يا رَسول اللَّه؟ قال: «**هَؤُلاَءِ الْمَغْضُوب عَلَيهِمْ: الْيَهُود**»(٤).

---

(١) [صحيح] رواه عن عدي رضي الله عنه عباد بن حبيش، ومري بن قطري، وكلاهما مجهولان لم يرو عنهما غير سماك، وتابعهما عامر بن شراحيل الشعبي وهو عن عدي رضي الله عنه على شرطهما، والأسانيد إليه صحيحة، وحسنة، وله شاهد آخر من طريق عبد الله بن شقيق عن رجل سأل النبي ﷺ، وسنده صحيح كما سيأتي، وقد صحح الشيخ شاكر طريق هذين المجهولين المتقدم ذكرهما من أجل ذكر ابن حبان لهما في ثقاته!! والعلم عند الله.

(٢) [صحيح] تقدم قبله. (٣) [صحيح] تقدم قبله.

(٤) [صحيح] مداره على عبد الله بن شقيق رواه عنه غير واحد كما سيأتي، وهذا الإسناد رجاله كلهم ثقات، وهذا الرجل المبهم الراوي عن النبي ﷺ الظاهر من السياق أنه صحابي، وعبد الله بن شقيق غير معروف بالتدليس والإرسال ولم يُحمل عليه غير النصب، وله شاهد من حديث عدي رضي الله عنه تقدم في الذي قبله. والعلم عند الله.

١٩٦- حَدَّثني يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا ابن عُلَيّة، عن سَعيد الجُرَيْريّ، عن عُرْوة، عن عبد الله بن شَقيق: أنَّ رَجُلاً أَتَى رَسولَ الله ﷺ. . . فَذَكَرَ نَحْوه (١).

١٩٧- حَدَّثَنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أنبأنا عبد الرَّزّاق قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن بُدَيْل العُقَيْليّ، قال: أَخْبَرَني عبد الله بن شَقيق أنَّه أَخْبَرَه مَنْ سَمِعَ النَّبيّ ﷺ وهو بِوادي القُرَى وهو على فَرَسه وسَأَلَه رَجُل من بَني القَيْن، فَقال: يا رَسول الله مَنْ هؤلاء؟ قال: «الْمَغْضُوب عَلَيهِمْ». وَأَشارَ إلى اليَهود (٢).

١٩٨- حَدَّثَنا القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَنا خالِد الواسِطيّ، عن خالِد الحَذَّاء، عن عبد الله بن شَقيق: أنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبيّ ﷺ. . . ، فَذَكَرَ نَحْوه (٣).

١٩٩- حَدَّثَنا أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يَعْني اليَهود الذين غَضِبَ الله عليهم (٤).

٢٠٠- حَدَّثَني موسَى بن هارون الهَمْدانيّ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن طَلْحة، قال: حَدَّثَنا أَسباطُ بن نَصْر، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أَصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليَهود (٥).

٢٠١- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد الرَّازيّ، قال: حَدَّثَنا مِهْران، عن سُفْيان، عن مُجاهِد، قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: هم اليَهود (٦).

٢٠٢- حَدَّثَنا أحمَد بن حازِم الغِفاريّ، قال: حَدَّثَنا عُبيدُ اللَّه، عن أبي جَعْفَر، عن رَبيع:

---

(١) [صحيح]تقدم قبله، ورجال هذا الإسناد كلهم ثقات غير الجريري الذي اختلط، وسماع إسماعيل منه قبل.

(٢) [صحيح]تقدم قبله، وهذا سند حسن من أجل الحسن بن يحيى شيخ المصنف، قال ابن أبي حاتم، وابن حجر، والذهبي: صدوق.

(٣) [صحيح]تقدم قبله، وهذا سند رجاله كلهم ثقات، فالواسطي هذا هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد الطحان أبو الهيثم، ويقال: أبو محمد المزني مولاهم الواسطي، يقال: إنه مولى النعمان بن مقرن المزني ثقة ثابت، والحسين بن داود المصيصي هذا تقدم تضعيفه من أجل تلقينه لشيخه الحجاج وهو صدوق في غير هذا الشيخ، والعلم عند الله.

(٤) [ضعيف]الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر ضعيف، وله شاهد سيأتي من طريق الحسين المصيصي عن الحجاج.

(٥) [ضعيف]أسباط بن نصر، ضعفه أحمد والنسائي وغيرهما، ووثقه ابن معين، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد من قبل، وسيأتي كثيرًا جدًا.

(٦) [ضعيف جدًا]الثوري لم يدرك مجاهدًا، ولا أعلم دليلاً يؤيد سماعه للتفسير من القاسم، ومهران وشيخ المصنف ضعيفان.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: اليَهود[١].

٢٠٣- **حدثنا** القاسِم قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عبَّاس: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: اليَهود[٢].

٢٠٤- **حدثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليَهود[٣].

٢٠٥- **حدثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: حَدَّثَني ابن زَيْد، عن أبيه، قال: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليَهود[٤].

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: واختُلِفَ في صِفة الغَضَب من الله جَلَّ ذِكْره: فقال بعضهم: غَضَبُ اللهِ على مَنْ غَضِبَ عليه من خَلْقه: إحلالُ عُقوبته بِمَنْ غَضِبَ عليه، إمَّا في دُنْياه، وإمَّا في آخِرَته، كما وصَفَ به نَفْسه جَلَّ ذِكْرُه في كِتابه فَقال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥] وكما قال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠]. وقال بعضهم: غَضَبُ الله على مَنْ غَضِبَ عليه من عِباده ذَمٌّ منه لهم ولأفعالِهم، وشَتْم منه لهم بالقولِ. وقال بعضهم: الغَضَب منه معنى مَفْهوم، كالذي يُعْرَف من مَعاني الغَضَب، غَيْر أنَّه - وإنْ كان كذلك من جِهة الإثْبات - فَمُخالِف معناه منه معنى ما يكون من غَضَب الآدَميِّينَ الذي يُزْعِجُهم ويُحَرِّكهم ويَشُقُّ عليهم ويُؤذيهم؛ لأنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤه لا تَحِلُّ ذاتَه الآفاتُ، ولَكِنَّه له صِفة كما العِلْم له صِفة، والقُدْرة له صِفة على ما يُعْقَل من جهة الإثْبات، وإنْ خالَفَتْ مَعاني ذلك مَعانيَ عُلوم العِباد التي هي مَعارِف القُلوب وقواهم التي توجَد مع وُجود الأفعال وتُعْدَم مع عَدَمها.

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا الضَّآلِّينَ ۝٧﴾

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: كان بعض أهل البصرة يَزْعُم أنَّ (لا) مع ﴿الضَّآلِّينَ﴾ أُدْخِلَتْ تَتْميمًا لِلْكَلام، والمعنى إلْغاؤُها، ويَسْتَشْهِد على قيله في ذلك بِبَيْتِ العَجَّاج:

في بِئْرِ لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ[٥]

---

(١) [حسن] من أجل أبي جعفر الرازي مولى بني تميم، وبقية رجاله ثقات، وعبيد الله هو ابن موسى ثقة.

(٢) [ضعيف] من أجل الحسين المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج، وقد تقدم بإسناد غير هذا قبل ثلاثة، لا يقويه.

(٣) [صحيح] سنده متصل، ورجاله كلهم ثقات عدا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ولكنه قوله هو.

(٤) [ضعيف] تقدم رجاله في الذي قبله، وعبد الرحمن بن زيد هنا يرويه عن أبيه لا يرويه عن نفسه.

(٥) [الرجز] القائل: العجاج، تقدم من قبل. اللغة: حور: الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء حارَ إلى الشيء وعنه حَوْرًا ومَحارًا ومَحارَةً وحُؤُورًا: رجع عنه وإليه. الشاهد: أراد في بئر لا حُؤُورٍ فأسكن الواو الأولى وحذفها لسكونها وسكون الثانية بعدها، وأن (لا) بمعنى الإلغاء والصلة.

وَيَتأوَّله بِمعنى: في بِئْر حُور سَرَى، أيْ: في بِئْرِ هَلَكة، وأنَّ (لا) بِمعنى الإلْغاء والصِّلة.
ويَعْتَلُّ أيْضًا لِذلك بِقولِ أبي النَّجْم:

فَمـا أَلـومُ الـبِـيـضَ ألاَّ تَـسْـخَـرا
لَـمَّـا رَأَيْـنَ الـشَّـمَـطَ الـقَـفَـنْـدَرا[1]

وَهوَ يُريد: فَما ألوم البيض أنْ تَسْخَر. وبِقولِ الأحوَص:

وَيَلْحَيْنَني فـي الـلَّـهْـوِ ألاَّ أُحِبَّهُ وَلِلَّـهْـوِ داعٍ دائِبٌ غَـيْـرُ غـافِـلِ[2]

يُريد: ويَلْحَيْنَني في اللَّهْو أنْ أُحِبَّه. وبِقولِه تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] يُريد أنْ تَسْجُد.

وَحُكيَ عن قائِل هذه المَقالة أنَّه كان يَتأوَّلُ: ﴿غَيْرِ﴾ التي مع ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أنَّها بِمعنى (سِوَى). فَكأن معنى الكَلام كان عنده: اهْدِنا الصِّراط المُسْتَقيم، صِراط الذينَ أَنْعَمْت عليهم، الذينَ هم سِوَى المَغْضوب عليهم والضَّالِّينَ.

وَكان بعض نَحْويّي الكوفيِّين يَسْتَنْكِرُ ذلك من قولِه، ويَزْعُم أنَّ ﴿غَيْرِ﴾ التي مع ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ لو كانتْ بِمعنى (سِوَى)، لَكان خَطَأً أنْ يُعْطَفَ عليها بِـ(لا)، إذْ كانتْ (لا) لا يُعْطَفُ بها إلاَّ على جَحْدٍ قد تَقَدَّمَها، كما كان خَطَأً قولُ القائِل: عندي (سِوَى) أخيك، ولا أبيك؛ لأنَّ (سِوَى) لَيْسَتْ من حُروف النَّفْي والجُحود. ويقول: لَمَّا كان ذلك خَطَأً في كَلام العرب، وكان القُرْآن بِأفصَحِ اللُّغات من لُغات العرب، كان معلومًا أنَّ الذي زَعَمَه القائِل أنَّ ﴿غَيْرِ﴾ مع ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بِمعنى: سِوَى المَغْضوب عليهم - خَطَأٌ؛ إذْ كان قد كَرَّ عليه الكَلامَ بـ (لا)، وكان يَزْعُم أنَّ ﴿غَيْرِ﴾ هُنالِكَ إنَّما هي بِمعنى الجَحْد؛ وكان صَحيحًا في كَلام العرب وفاشيًا

---

(١) [الرجز] القائل: الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجـ... ن بني بكر بن وائل، من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشادًا للشعر، نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام. قال أبو عمرو بن العلاء: كان ينزل سواد الكوفة، وهو أبلغ من العجاج في النعت. اللغة: (الشمط) بفتح الميم، أي: الشيب. القفندر: القبيح المنظر. المعنى: يقول الشاعر: إنه لا يلوم البيض إن سخروا منه بعدما رأوا الشيب والمنظر القبيح. الشاهد: أراد: فما ألوم البيض أن تسخر، وأن (لا) بمعنى الإلغاء والصلة أيضًا.

(٢) [الطويل] القائل: الأحوص الأنصاري عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، من بني ضبيعة، لقب بالأحوص لضيق في عينيه، شاعر إسلامي أموي هجّاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب، وكان معاصرًا لجرير والفرزدق، وهو من سكان المدينة، وفد على الوليد بن عبد الملك في الشام فأكرمه ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته فردّه إلى المدينة وأمر بجلده فجلد ونفي إلى دهلك (وهي جزيرة بين اليمن والحبشة) كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز وأطلقه يزيد بن عبد الملك، فقدم دمشق ومات بها. اللغة: لحاه يلحاه لحيًا: عذله ولامه. اللَّهْو: ما لَهَوْت به ولَعِبْتَ به وشَغَلَك من هوى وطَربٍ ونحوهما. داع: مفرد دعاة وهم القوم الذين يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة. دائب: هو المجدّ والمجتهد في عمله. غافل: لا يعنى بشيء. المعنى: يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن أنه يُلام عليه في اللهو وهو يحبه.. مع أن هناك من يدعو بجد إليه.

ظاهِرًا في مَنْطِقها تَوْجيه (غَيْر) إلى معنى النَّفْي ومُسْتَعْمَلاً فيهم: أخوكَ غَيْر مُحْسِن ولا مُجْمِل. يُراد بِذلك: أخوكَ لا مُحْسِن، ولا مُجْمِل. ويَسْتَنْكِر أنْ تأتي (لا) بِمعنى الحَذْفِ في الكَلام مُبْتَدَأ ولَمَّا يَتَقَدَّمها جَحْدٌ، ويقول: لو جازَ مَجيئُها بِمعنى الحَذْفِ مُبْتَدَأ قَبْل دَلالة تَدُلُّ على ذلك من جَحْد سابِق، لَصَحَّ قول قائِل قال: أرَدْت ألاَّ أُكْرِمَ أخاك، بِمعنى: أرَدْت أنْ أُكْرِمَ أخاك. وكان يقول: فَفي شَهادة أهل المعرِفة بِلِسانِ العرب على تَخْطِئة قائِل ذلك دَلالةٌ واضِحة على أنَّ (لا) تأتي مُبْتَدَأة بِمعنى الحَذْف، ولَمَّا يَتَقَدَّمها جَحْد. وكان يَتأوَّل في (لا) التي في بَيْت العَجَّاج الذي ذَكَرْنا أنَّ البصْريّ استَشْهَدَ به بِقولِه - أنَّها جَحْد صَحيح، وأنّ معنى البيْت: سَرَى في بِئْرِ لا تُحيرُ عليه خَيْرًا، ولا يَتَبَيَّن له فيها أثَرُ عَمَل، وهو لا يَشْعُر بِذلك ولا يَدْري به. من قولِهِمْ: طَحَنَتِ الطَّاحِنة فَما أحارَتْ شَيْئًا، أيْ: لم يَتَبَيَّن لها أثَر عَمَل. ويقول في سائِر الأبْيات الأُخَر، أعْني مِثْل بَيْت أبي النَّجْم:

فَـمـا أَلـومُ الـبـيـضَ ألاَّ تَـسْـخَـرا[١]

إنَّما جازَ أنْ تَكون (لا) بِمعنى الحَذْف؛ لأنَّ الجَحْد قد تَقَدَّمَها في أوَّل الكَلام، فَكان الكَلام الآخَر مواصِلاً لِلأوَّلِ، كما قال الشَّاعِر:

ما كان يَرْضَى رَسولُ الله فِعْلَهُمْ والطَّيِّبانِ أبو بَكْرٍ ولا عُمَرُ[٢]

فَجازَ ذلك؛ إذْ كان قد تَقَدَّمَ الجَحْدُ في أوَّل الكَلام.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذا القول الآخر أولَى بالصَّوابِ من الأوَّل؛ إذْ كان غَيْرَ موجودٍ في كَلام العرب ابْتِداءُ الكَلام من غَيْر جَحْدٍ تَقَدَّمَه بـ (لا) التي معناها الحَذْف، ولا جائِزٍ العَطْفُ بها على (سِوَى)، ولا على حَرْف الاستِثْناء، وإنّما لـ (غَيْر) في كَلام العرب مَعانٍ ثَلاثةٌ: أحَدها الاستِثْناء، والآخَر الجَحْد، والثَّالِث سِوَى، فَإذا ثَبَتَ خَطَأ أن (لا) تكون بِمعنى الإلْغاء مُبْتَدَأً وفَسَدَ أنْ يكون عَطْفًا على ﴿غَيْرِ﴾ التي مع ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، لو كانتْ بِمعنى (إلاَّ) التي هي استِثْناء، ولم يَجُزْ أنْ يكون أيْضًا عَطْفًا عليها لو كانتْ بِمعنى (سِوَى)، وكانتْ (لا) موجودة عَطْفًا بالواوِ التي هي عاطِفةٌ لها على ما قَبْلها - صَحَّ وثَبَتَ ألا وجه لِـ ﴿غَيْرِ﴾ التي مع ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يجوز تَوْجيهها إليه على صِحَّةٍ إلاَّ بِمعنى الجَحْد والنَّفْي، وألاَّ وجه لِقولِه: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، إلا العطف على ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

---

(١) [الرجز] القائل: أبو النجم. الشاهد: العرب تضع لا في موضع الإيجاب وهي من حروف الزوائد، كما في قوله: فما أَلُوم البِيضَ ألاّ تَسْخرا. أي: ما ألوم البيض أن تسخر.

(٢) [البسيط] القائل: جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم، أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، كان عفيفًا، وهو من أغزل الناس شعرًا. اللغة: الطيبان: يقصد أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب. (لا) زائدة. المعنى: هنا جرير يهجو الأخطل. . ويذكر أن أفعال بني الأخطل لا يرضى عنها رسول الله ﷺ وكذلك أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب.

فَتأويل الكَلام إذن - إذْ كان صَحيحًا ما قُلْنا بالذي عليه استَشهَدْنا : اهْدِنا الصِّراط المُسْتَقيم صِراط الذينَ أنعَمْت عليهم لا المَغْضوب عليهم ولا الضَّالِّينَ .

فَإنْ قال لنا قائِل: ومَنْ هؤلاء الضَّالُّونَ الذينَ أمَرَنا الله بالاستِعاذةِ باللَّه أنْ يَسْلُك بِنا سَبيلهم ، ونَضِلَّ ضَلالَتَهم؟

قِيلَ: هم الذينَ وصَفَهم الله في تَنْزيله ، فَقال : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

فَإنْ قال: وما بُرْهانك على أنَّهم أُولاءِ؟ **قِيلَ**:

٢٠٦- **حَدَّثَنا** أحمَد بن الوَليد الرَّمْليّ ، قال : حَدَّثَنا عبد الله بن جَعْفَر ، قال : حَدَّثَنا سُفْيان بن عُيَيْنة ، عن إسماعيل بن أبي خالِد ، عن الشَّعْبيّ ، عن عَديّ بن حاتِم ، قال : قال رَسول الله ﷺ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال : **«النَّصارَى»** (١).

٢٠٧- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن المُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنا مُحَمَّد بن جَعْفَر ، قال : حَدَّثَنا شُعْبة عن سِماك ، قال : سَمِعْت عَبَّاد بن حُبَيْش يُحَدِّث عن عَديّ بن حاتِم ، قال : قال لي رَسول الله ﷺ: **«إنَّ الضَّالِّينَ : النَّصارَى»** (٢).

٢٠٨- **حَدَّثَنا** عَليّ بن الحسن ، قال : حَدَّثَنا مُسْلِم بن عبد الرَّحْمَن ، قال : حَدَّثَنا مُحَمَّد بن مُصْعَب ، عن حَمَّاد بن سَلَمة ، عن سِماك بن حَرْب ، عن مُرِّيّ بن قَطَريّ ، عن عَديّ بن حاتِم ، قال : سَألت النَّبيّ ﷺ عن قول الله ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال : **«النَّصارَى هُمُ الضَّالُّونَ»** (٣).

٢٠٩- **حَدَّثَنا** حُمَيْد بن مسعَدةَ السَّاميّ ، قال : حَدَّثَنا بِشْر بن المُفَضَّل ، قال : حَدَّثَنا الجُرَيْريّ ، عن عبد الله بن شَقيق : أنَّ رَجُلاً أتَى رَسول الله ﷺ وهو مُحاصِر وادي القُرَى قال : قُلْت : مَنْ هؤلاء؟ قال : **«هَؤُلاَءِ الضَّالُّونَ : النَّصارَى»** (٤).

٢١٠- **وَحَدَّثَنا** يَعْقوب بن إبراهيم ، قال : حَدَّثَنا ابن عُلَيّة ، عن سَعيد الجُرَيْريّ ، عن عُرْوة - يَعْني ابن عبد الله - عن عبد الله بن شَقيق ، عن رَسول الله ﷺ بِنَحْوِهِ (٥).

٢١١- **حَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى ، قال : حَدَّثَنا عبد الرَّزَّاق ، قال : أخبرَنا مَعْمَر عن بُدَيْل العُقَيْليّ ، قال : أخْبَرَني عبد الله بن شَقيق ، أنَّه أخْبَرَه مَنْ سَمِعَ النَّبيّ ﷺ وهو بِوادي القُرَى وهو

---

(١) [صحيح] تقدم برقم (١٩٢) ، وهذا سند حسن من أجل شيخ المصنف قد روى عنه جمع من الثقات ولم أقف على من جرَّحه .

(٢) [صحيح] تقدم قبله ، وهذا سند ضعيف لأن عبادًا مجهول تفرد بالرواية عنه سماك .

(٣) [صحيح] تقدم قبله ، وهذا سند ضعيف لأن مريًا القطري مثل عباد المتقدم قبله .

(٤) [صحيح] تقدم برقم (١٩٥) وسيأتي بعده ، وهذا سند حسن من أجل شيخ المصنف حميد بن مسعدة .

(٥) [صحيح] تقدم قبله ، وهذا سند صحيح ، فشيخ المصنف حافظ ، وعروة بن عبد الله بن قشير الجعفي وثقه [illegible] .

على فَرَسه وسَأَله رَجُل من بَني القَيْن فَقال: يا رَسول الله مَنْ هؤلاء؟ قال: «**هَؤُلَاءِ الضَّالُّونَ**»، يَعْني: النَّصارَى [١].

٢١٢- **حَدَّثَنا** القاسِم قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَنا خالِد الواسِطيُّ، عن خالِد الحَذَّاء، عن عبد الله بن شَقيق، أنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ، وهو مُحاصِرٌ وادي القُرَى وهو على فَرَس: مَنْ هؤلاء؟ قال: «**الضَّالُّونَ**» يَعْني: النَّصارَى [٢].

٢١٣- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا مِهْران، عن سُفْيان، عن مُجاهِد: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: النَّصارَى [٣].

٢١٤- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حدَّثنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: وغَيْرِ طَريق النَّصارَى الذينَ أضَلَّهم الله بِفِرْيَتِهم عليه. قال: يقول: فَألْهِمْنا دينَك الحَقَّ، وهو لا إلَه إلاَّ الله وحْده لا شَريك له، حتَّى لا تَغْضَب علينا كما غَضِبْت على اليَهود، ولا تُضِلَّنا كما أضْلَلْت النَّصارَى فَتُعَذِّبنا بِما تُعَذِّبهم به. يقول: امْنَعْنا من ذلك بِرِفْقِك ورَحْمَتك وقُدْرَتك [٤].

٢١٥- **وَحَدَّثَنا** القاسِم قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عَبَّاس: الضَّالِّينَ: النَّصارَى [٥].

٢١٦- **حَدَّثَني** موسَى بن هارون الهَمْدانيُّ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ بن نَصْر، عن إسماعيل السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَره عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ولا الضَّالِّينَ: هم النَّصارَى [٦].

٢١٧- **حَدَّثَنا** أحمَد بن حازِم الغِفاريّ، قال: أخبرَنا عُبَيْد الله بن موسَى، عن أبي جَعْفَر، عن رَبيع: ولا الضَّالِّينَ: النَّصارَى [٧].

٢١٨- **حَدَّثَني** يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال عبد الرَّحْمَن بن زَيْد: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: النَّصارَى [٨].

---

(١) [صحيح]تقدم قبله، وهذا سند حسن من أجل الحسن شيخ المصنف.

(٢) [صحيح]تقدم قبله، وهذا الإسناد تقدم الحديث عن رجاله من قبل، والحسين ضعيف في الحجاج فقط.

(٣) [ضعيف جدًا]الثوري لم يدرك مجاهدًا، ولا أعلم دليلاً يؤيد سماعه للتفسير من القاسم، ومهران وشيخ المصنف ضعيفان.

(٤) [ضعيف]الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر ضعيف.

(٥) [ضعيف]ابن جريج عن ابن عباس مرسل، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٦) [ضعيف]أسباط بن نصر ضعفه أحمد والنسائي وغيرهما، ووثقه ابن معين.

(٧) [حسن]من أجل أبي جعفر الرازي مولى بني تميم.

(٨) [صحيح]رجاله كلهم ثقات عدا عبد الرحمن بن زيد ولكنه قوله هو، وقد كان ثقة في نفسه.

٢١٩- **حدثني** يونُس قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن زَيْد، عن أبيه، قال: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: النَّصارَى(١).

قالَ أبُو جعْفرٍ: فكُلُّ جائرٍ عن قَصْد السَّبيل وسالِك غَيْرَ المَنْهَج القَويم فضالٌّ عند العرب لإضْلالِه وجه الطَّريق، فَلِذلك سَمَّى الله جَلَّ ذِكْرُه النَّصارَى ضُلَّالاً لِخَطَئِهم في الحَق مَنْهَجَ السَّبيل، وأخْذِهم من الدِّين في غَيْر الطَّريق المُسْتَقيم.

فإنْ قال قائِل: أوَلَيْسَ ذلك أيْضًا من صِفة اليَهود؟

قِيلَ: بَلَى.

فإنْ قال: فكيف خَصَّ النَّصارَى بهذه الصِّفة، وخَصَّ اليَهود بِما وصَفَهم به من أنَّهم مَغضوب عليهم؟

قِيلَ: إنَّ كِلا الفَريقَيْنِ ضُلَّالٌ مَغضوب عليهم، غَيْر أنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤه وسَمَ كُلَّ فَريق منهم من صِفَته لِعِبادِه بِما يَعْرِفونَه به إذا ذَكَرَه لهم، أو أخْبَرَهم عنه، ولم يُسَم واحِدًا من الفَريقَيْنِ إلاَّ بِما هو له صِفة على حَقيقَته، وإنْ كان له من صِفات الذَّمِّ زيادات عليه.

وَقد ظَنَّ بعض أهل الغَباء من القَدَريَّة أنَّ في وصْف الله جَلَّ ثَنَاؤه النَّصارَى بالضَّلالِ بِقولِه: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وإضافَته الضَّلال إليهم دون إضافة إضْلالهم إلى نَفْسه، وتَرْكه وصْفهم بِأنَّهم المُضَلَّلونَ كالذي وصَفَ به اليَهود أنَّهم المَغْضوب عليهم - دَلالةً على صِحَّة ما قاله إخوانه من جَهَلة القَدَريّة جَهْلاً منه بِسَعةِ كَلام العرب وتَصاريف وُجوهه، ولو كان الأمْر على ما ظَنَّه الغَبيّ الذي وصَفْنا شَأنه لَوَجَبَ أنْ يكون شَأن كُلّ موصوف بِصِفةٍ أو مُضاف إليه فِعْلٌ لا يجوز أنْ يكون فيه سَبَبٌ لِغَيْرِه، وأنْ يكون كُلُّ ما كان فيه من ذلك لِغَيْرِه سَبَبٌ فالحَقُّ فيه أنْ يكون مُضافًا إلى مُسَبِّبِه، ولو وجَبَ ذلك لَوَجَبَ أنْ يكون خَطَأ قولُ القائِل: تَحَرَّكَتِ الشَّجرةُ، إذا حَرَّكَتْها الرّياح، واضْطَرَبَتِ الأرض، إذا حَرَّكَتْها الزَّلْزَلة، وما أشبَهَ ذلك من الكَلام الذي يَطول بإحصائِه الكِتابُ.

وَفي قول الله جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾[يونس: ٢٢] وإضافَتِهِ الجَرْيَ إلى الفُلْك، وإنْ كان جَرْيها بإجراءِ غَيْرها إيَّاها - ما يَدُلّ على خَطَأ التَّأويل الذي تأوَّلَه مَنْ وصَفْنا قوله في قولِه: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وادِّعائِه أنَّ في نِسْبة الله جَلَّ ثَنَاؤه الضَّلالة إلى مَنْ نَسَبَها إليه من النَّصارَى تَصْحيحًا لِما ادَّعَى المُنْكِرونَ أنَّ لِلَّه في أفعال خَلْقه سَبَبَ من أجْله وُجِدَتْ أفعالُهم، مع إبانة الله جلَّ ثناؤه نَصًّا في آي كَثيرة من تَنْزيله أنَّه المُضِلُّ الهادي؛ فَمن ذلك قوله جَلَّ وعزَّ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[الجاثية: ٢٣] فَأنْبأ جَلَّ ثناؤه أنَّه المُضِلُّ الهادي دون غَيْره.

وَلَكِنَّ القُرْآن نَزَلَ بِلِسانِ العرب، على ما قد قَدَّمْنا البيان عنه في أوَّل الكِتاب، ومن شَأن العرب إضافة الفِعْل إلى مَنْ وُجِدَ منه، وإنْ كان مُسَبِّبُه غَيْرَ الذي وُجِدَ منه أحيانًا، وأحيانًا إلى

(١) [ضعيف] من أجل عبد الرحمن المتقدم في الذي قبله.

مُسَبِّبه، وإنْ كان الذي وُجِدَ منه الفِعْل غَيْرَه. فكيف بالفِعْلِ الذي يكْتَسِبه العبد كَسْبًا ويوجِده الله جَلَّ ثَنَاؤه عَيْنًا ونَشأةً؟ بل ذلك أحرَى أنْ يُضاف إلى مُكْتَسِبه كَسْبًا له بالقوّةِ منه عليه والاختيارِ منه له، وإلى الله جَلَّ ثَنَاؤه بإيجادِ عَيْنه وإنْشائِها تَدْبيرًا.

مسألةٌ: يَسألُ عنها أهلُ الإلحادِ الطاعنون في القرآن

إنْ سَألَنا منهم سائِل فَقال: إنَّك قد قَدَّمْت في أوَّل كِتابك هذا في وصْف البيان بأنَّ أعْلاه دَرَجةً وأشرَفَه مَرْتَبة، أبْلَغُه في الإبانةِ عن حاجة المُبينِ به عن نَفْسه وأبينُه عن مُراد قائِله وأقْرَبه من فَهْم سامِعه، وقُلْتَ مع ذلك: إنَّ أولَى البيان بأنْ يكون كذلك كَلام الله جَلَّ ثَنَاؤه بِفَضْلِه على سائِر الكَلام بارْتِفاعِ دَرَجَته على أعْلَى دَرَجات البيان، فَما الوَجْه - إذْ كان الأمْرُ على ما وصَفْت - في إطالة الكَلام بِمِثْلِ سورة أُمّ القُرْآن بِسَبْعِ آيات؟ وقد حَوَتْ مَعاني جَميعِها منها آيَتانِ، وذلك قوله: (مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ) إذ كان لا شَكَّ أنَّ مَنْ عَرَفَ: (مَٰلِكِ يوم الدينِ) فقد عَرَفَه بِأسمائِه الحُسْنَى وصِفاته المُثْلَى. وأنَّ مَنْ كان لِلَّه مُطيعًا، فلا شَكَّ أنَّه لِسَبيلِ مَنْ أنعَمَ الله عليه في دينه مُتَّبعٌ، وعن سَبيل مَنْ غَضِبَ عليه وضَلَّ مُنْعَدِل، فَما في زيادة الآيات الخَمْس الباقية من الحِكْمة التي لم تَحْوِها الآيَتانِ اللَّتانِ ذَكَرْنا؟

قيلَ له: إنَّ الله تعالى ذِكْرُه جَمع لِنَبيِّنا مُحَمَّد ﷺ ولأُمَّتِه بِما أنْزَلَ إليه من كِتابه مَعاني لم يجْمَعهُنَّ بِكِتابٍ أنْزَلَه إلى نَبيٍّ قَبْله ولا لأُمّةٍ من الأُمَم قَبْلهمْ، وذلك أنَّ كُلَّ كِتاب أنْزَلَه جَلَّ ذِكْرُه على نَبيٍّ من أنْبيائِه قَبْله، فَإنّما أنزله بِبعضِ المَعاني التي يَحْوي جَميعَها كِتابُه الذي أنْزَلَه إلى نَبيِّنا مُحَمَّد ﷺ، كالتَّوْراةِ التي هي مَواعِظ وتَفْصيل، والزَّبور الذي هو تَحْميد وتَمْجيد، والإنْجيل الذي هو مَواعِظ وتَذْكير؛ لا مُعْجِزة في واحِد منها تَشْهَد لِمَنْ أُنْزِلَ إليه بالتَّصْديقِ. والكِتابُ الذي أُنْزِلَ على نَبيّنا مُحَمَّد ﷺ يَحْوي مَعاني ذلك كُلِّه، ويَزيد عليه كَثيرًا من المَعاني التي سائِرُ الكُتُب غَيْره منها خال، وقد قَدَّمْنا ذِكْرها فيما مَضَى من هذا الكِتاب.

وَمن أشرَف تِلْكَ المَعاني التي فَضَلَ بها كِتابُنا سائِرَ الكُتُب قَبْله: نَظْمه العَجيب، ورَصْفه الغَريب، وتَأليفه البديع، الذي عَجَزَتْ عن نَظْم مِثْل أصْغَر سورة منه الخُطَباء، وكَلَّتْ عن وصْف شَكْل بعضه البُلَغاء، وتَحَيَّرَتْ في تأليفِه الشُعَراء، وتَبَلَّدَتْ - قُصورًا عن أنْ تأتي بِمِثْلِه - لَدَيْه أفهام الفُهَماء، فَلم يجِدوا له إلاَّ التَّسْليم، والإقْرار بِأنّه من عند الواحِد القَهّار، مع ما يَحْوي مع ذلك من المَعاني التي هي تَرْغيبٌ، وتَرْهيبٌ، وأمْرٌ، وزَجْرٌ، وقَصَصٌ، وجَدَلٌ، ومَثَلٌ، وما أشبَه ذلك من المَعاني التي لم تَجْتَمِع في كِتابٍ أُنْزِلَ إلى الأرْضِ من السَّماء. فَمَهْما يكُنْ فيه من إطالة على نَحْو ما في أُمّ القُرْآن، فَلِما وصَفْتُ قَبْلُ من أنَّ الله جَلَّ ذِكْرُه أرادَ أنْ يجْمَع بِرَصْفِه العَجيب، ونَظْمه الغَريب، المُنْعَدِلِ عن أوزان الأشعار، وسَجْع الكُهّان، وخُطَب الخُطَباء، ورَسائِل البُلَغاء، العاجِز عن وصْف مِثْله جَميع الأنام، وعن نَظْم نَظيره كُلّ العِباد - الدَّلالَةَ على نُبوّة نَبيّنا مُحَمَّد ﷺ.

وَبِما فيه من تَحْميدٍ وتَمْجيدٍ وثَناءٍ عليه، تَنْبيهَ الْعِبادِ على عَظَمَته وسُلْطانه وقُدْرَته وعِظَم مَمْلَكَته، لِيَذْكُروه بِآلائِه ويَحْمَدوه على نَعْمائِه، فَيَسْتَحِقّوا به منه المَزيدَ ويَسْتَوْجِبوا عليه الثّوابَ الجَزيل.

وَبِما فيه من نَعْت مَنْ أنْعَمَ عليه بِمعرِفَتِه، وتَفَضَّلَ عليه بِتَوْفيقِه لِطاعَتِه، تَعْريفَ عِبادِه أنَّ كُلَّ ما بهم من نِعْمة في دينهم ودُنْياهم فَمنه؛ لِيَصْرِفوا رَغْبَتهم إليه، ويَبْتَغوا حاجاتهم من عنده دون ما سِواه من الآلِهة والأنْداد.

وَبِما فيه من ذِكْره ما أحَلَّ بِمَنْ عَصاهُ من مَثُلاتِه، وأنْزَلَ بِمَنْ خالَفَ أمْرَه من عُقوباتِه؛ تَرْهيبَ عِبادِه عن رُكوب مَعاصيه، والتَّعَرُّضِ لِما لا قِبَلَ لهم به من سَخَطِه، فَيَسْلُك بهم في النَّكال والنَّقِمات سَبيلَ مَنْ رَكِبَ ذلك من الهُلّاك.

فَذلك وجهُ إطالَةِ البيان في سورة أُمّ القُرْآن، وفيما كان نَظيرًا لها من سائِر سوَر الفُرْقان، وذلك هو الحِكْمة البالِغة والحُجَّةُ الكامِلة.

٢٢٠- **حدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا المُحارِبيّ، عن مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثني العَلاء بن عبد الرَّحْمَن بن يَعْقوب، عن أبي السَّائِب مولَى زُهْرة، عن أبي هُرَيْرة، قال: قال رَسول الله ﷺ: «**إذا قالَ الْعَبْد**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، **قالَ اللّه: حَمِدَني عَبْدِي، وإذا قالَ**: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، **قالَ: أثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وإذا قالَ**: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، **قالَ: مَجَّدَني عَبْدِي، فَهَذا لِي، وَإذا قالَ**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ - إلَى أنْ يَخْتِم السُّورَة - **قالَ: فَذاكَ لَهُ**»(١).

٢٢١- **حدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عَبْدةُ، عن ابن إسحاق، عن العَلاء بن عبد الرَّحْمَن، عن أبي السَّائِب، عن أبي هُرَيْرة، قال: إذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ثم ذكر نَحْوه، ولم يَرْفَعهُ(٢).

٢٢٢- **حدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا أبو أُسامة، قال: حَدَّثَنا الوَليد بن كَثير، قال: حَدَّثني العَلاء بن عبد الرَّحْمَن مولَى الحُرَقَةِ، عن أبي السَّائِب، عن أبي هُرَيْرة عن رَسول الله ﷺ مِثْله(٣).

٢٢٣- **حدَّثني** صالِح بن مِسْمار المَرْوَزيّ، قال: حَدَّثَنا زَيْد بن الحُباب، قال: حَدَّثَنا عَنْبَسة بن سَعيد، عن مُطَرِّف بن طَريف، عن سَعْد بن إسحاق بن كَعْب بن عُجْرة، عن جابِر بن عبد الله، قال: قال رَسول الله ﷺ: «**قالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: قَسَمْتُ الصَّلاة بَيْنِي وبَيْن عَبْدِي**

---

(١) [صحيح] أخرجه مسلم [٣٩٥] وغيره.

(٢) [منكر] تفرد ابن إسحاق بوقفه، ومع هذا فهو مدلس ولم يصرح، ولما صرَّح كما في الذي قبله رفعه، ولم يوقفه، والعلم عند الله وحده.

(٣) [صحيح] تقدم قبله بواحد، وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات.

نِصْفَيْنِ، وَلَهُ مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللَّه: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي. قَالَ: هَذَا لِي وَلَهُ مَا بَقِيَ»[(١)].

آخِر تَفْسير سورة فاتحة الكتاب

(١) [ضعيف]هذا سند حسن من أجل كل مَن تحت مطرف، إلا أنَّ هذا الحديث غير معروف من حديث جابر، وسعد بن إسحاق من صغار التابعين لم يدرك جابرًا على الأرجح، بين وفاتيهما سبعون عامًا. والعلم عند الله.

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها البقرة

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿الٓمٓ ۝١﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اختَلَفَتْ تَراجِمة القُرْآن في تأويل قول الله تعالىٰ ذِكْره: ﴿الٓمٓ﴾ فقال بعضهم: هي اسم من أسماء القُرْآن.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٢٤- **حَدّثنا** الحسنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ قال: اسم من أسماء القُرْآن(١).

٢٢٥- **حَدّثني** المُثَنَّى بن إبراهيم الآمُليّ، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة موسَى بن مسعود قال: حَدَّثَنا شِبْل عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد قال: ﴿الٓمٓ﴾ اسم من أسماء القُرْآن(٢).

٢٢٦- **حَدّثنا** القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن داود، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج قال: ﴿الٓمٓ﴾ اسم من أسماء القُرْآن(٣).

وقال بعضهم: هي فَواتِح يَفْتَح الله بها القُرْآن.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٢٧- **حَدّثني** هارونُ بن إدْريس الأصَمُّ الكوفيُّ، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد المُحارِبيّ، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد، قال: ﴿الٓمٓ﴾ فَواتِح يَفْتَح الله بها القُرْآن(٤).

٢٢٨- **حَدّثنا** أحمَد بن حازِم الغِفاريُّ، قال: حَدَّثَنا أبو نُعَيْم، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، عن مُجاهِد، قال: ﴿الٓمٓ﴾ فَواتِح(٥).

٢٢٩- **حَدّثني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، عن يَحْيَى بن آدَم، عن سُفْيان، عن ابن أبي نَجيح عن مُجاهِد، قال: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿صٓ﴾ فَواتِح افتَتَح الله بها(٦).

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف.

(٢) [ضعيف] مداره على أبي حذيفة موسى بن مسعود، ضعيف يكتب حديثه على الصحيح، وقد وثقه الشيخ شاكر، وقبل حديثه.

(٣) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس، وهو عن مجاهد مرسل، وقد زعم ابن حبان أنه سمع تفسير مجاهد من القاسم، وأنكر ذلك ابن معين بتضعيف هذا الطريق عن مجاهد، والسند إليه هنا ضعيف من أجل شيخ المصنف مجهول الحال، وله إسناد آخر عن مجاهد سيأتي بعده بواحد ولكنه ضعيف كذلك. والعلم عند الله.

(٥) [ضعيف] الثوري عن مجاهد مرسل.

(٦) [ضعيف] عبد الله بن أبي نجيح هو عبد الله بن يسار ثقة من رجال الصحيحين، لم يسمع التفسير من مجاهد،

٢٣٠- حَدَّثَنا القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد مِثْل حَديث هارونَ بن إدْريس [١].

وَقال بعضهم: هي اسم لِلسُّورةِ.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٣١- حَدَّثَني يونُس بن عبد الأعلَى، قال: أنبَأنا عبد الله بن وهب، قال: سَألت عبد الرَّحْمَن بن زَيْد بن أَسْلَم، عن قول الله: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ و﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ﴾ و﴿الٓمٓر تِلْكَ﴾ فَقال: قال أبي: إنَّما هي أَسماء السُّوَر [٢].

وَقال بعضهم: هو اسم الله الأعْظَم.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٣٢- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن مَهْديّ، قال: حَدَّثَنا شُعْبة، قال: سَألت السُّدِّيَّ عن ﴿حمٓ﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓ﴾ فَقال: قال ابن عَبَّاس: هو اسم الله الأعْظَم [٣].

٢٣٣- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: حَدَّثَني أبو النُّعْمان، قال: حَدَّثَنا شُعْبة عن إسماعيل السُّدّيّ، عن مُرَّة الهَمْدانيّ، قال: قال عبد الله. فَذَكَر نَحْوه [٤].

٢٣٤- حَدَّثَني المُثَنَّى قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، عن عُبَيْد الله بن موسَى، عن إسماعيل، عن الشَّعْبيِّ قال: فَواتِح السُّوَر من أَسماء الله [٥].

وَقال بعضهم: هو قَسَمٌ أَقْسَمَ الله به وهو من أسمائِه.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٣٥- حَدَّثَني يَحْيَى بن عُثْمان بن صالِح السَّهْميّ، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس، قال: هو قَسَمٌ أَقْسَمَه الله وهو من أَسماء الله [٦].

وإنما أخذه من القاسم بن أبي بزة، وبه تتصل الرواية طالما عرفنا الواسطة الثقة، هذا إن صحَّ السند لابن أبي نجيح، وهذا سند ضعيف فيه شيخ المصنف مجهول الحال.

(١) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس، وهو عن مجاهد مرسل، والسند إليه ضعيف؛ فيه الحسين المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [صحيح] رجاله كلهم ثقات سوى عبد الرحمن بن زيد، ولكنه قوله هو.

(٣) [ضعيف] قال ابن الملقن، وكذلك ابن حجر: وفي سماع السدي من ابن عباس نظر.

(٤) [حسن] من أجل السدي الكبير، ومرة الهمداني عن ابن مسعود على شرطهما، وأبو النعمان محمد بن الفضل السدوسي الحافظ تغير قبل موته فلم يحدث.

(٥) [ضعيف] من أجل جهالة حال شيخ المصنف.

(٦) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح يكتب حديثه.

٢٣٦- وَحدَّثني يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا ابن عُلَيّة، قال: حَدَّثَنا خالِد الحَذَّاء عن عِكْرِمة قال: ﴿الٓمٓ﴾ قَسَم[١].

وَقال بعضهم: هو حُروف مُقَطَّعة من أسماء وأفعال، كُلّ حَرْف من ذلك لِمعنًى غَيْر معنى الحَرْف الآخَر.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٣٧- حدَّثنا أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا وكيع، وحَدَّثَنا سُفْيان بِنُ وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن شَريك، عن عَطاء بن السَّائِب، عن أبي الضُّحَى، عن ابن عَبَّاس: ﴿الٓمٓ﴾ قال: أنا الله أعْلَم[٢].

٢٣٨- وَحُدِّثت عن أبي عُبَيْدٍ قال: حَدَّثَنا أبو اليَقِظانِ، عن عَطاء بن السَّائِب، عن سَعيد بن جُبَيْر، قال: قوله: ﴿الٓمٓ﴾ قال: أنا الله أعْلَم[٣].

٢٣٩- حَدَّثني موسَى بن هارونَ الهَمْدانيّ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد القَنَّادُ، قال: حَدَّثَنا أسِباط بن نَصْر، عن إسماعيل السُّدّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿الٓمٓ﴾ قال: أمَّا: ﴿الٓمٓ﴾ فهو حروف اشْتُقَّ من حُروف هِجاء أسْماء الله[٤].

٢٤٠- حَدَّثنا مُحَمَّد بن مَعْمَر، قال: حَدَّثَنا عَيَّاشُ بن زيادٍ الباهِليّ، قال: حَدَّثَنا شُعْبة، عن أبي بِشْر، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾ قال: اسم مُقَطَّع[٥].

وَقال بعضهم: هي حُروف هِجاء موضوع.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٤١- حُدِّثتُ عن مَنصور بن أبي نُوَيْرة، قال: حَدَّثَنا أبو سَعيد المُؤَدِّب، عن خُصيف، عن مُجاهِد، قال: فَواتِح السُّوَر كُلّها ﴿قٓ﴾ و﴿صٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ و﴿الٓرٓ﴾ وغَيْر ذلك هِجاء موضوع[٦].

وَقال بعضهم: هي حُروف يَشْتَمِل كُلّ حَرْف منها على مَعانٍ شَتَّى مُخْتَلِفة.

---

(١) [صحيح] رجاله ثقات وسنده متصل.

(٢) [ضعيف] عطاء بن السائب اختلط، وشريك هو شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي ضعيف، وسفيان بن وكيع كذلك إلا أنه توبع من أبي كريب، ومداره على شريك.

(٣) [ضعيف] علقه المصنف كما ترى، ومع هذا فعطاء بن السائب اختلط، وأبو اليقظان عمار بن محمد الثوري ليس ممن سمع منه قبل الاختلاط.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر الهمداني، يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] عباس أو عياش بن زياد الباهلي، لم اقف عليه.

(٦) [ضعيف] علقه المصنف كما ترى، وابن أبي نويرة ضعيف، وكذلك خصيف بن عبد الرحمن الجزري.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٤٢- حدّثني المُثنّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، عن عبد الله بن أبي جَعْفَر الرَّازي قال: حَدَّثَني أبي، عن الرَّبيع بن أنَس في قول الله: ﴿الٓمٓ﴾ قال: هذه الأحرُف من التِّسْعة والعِشرينَ حَرْفًا، دارَتْ فيها الألسُنُ كُلُّها، لَيْسَ منها حَرْف إلاَّ وهو مِفْتاح اسم من أسمائِه، ولَيْسَ منها حَرْف إلاَّ وهو في آلائِه وبَلائِه، ولَيْسَ منها حَرْف إلاَّ وهو في مُدَّة قَوْم وآجالهِمْ، وقال عيسَى ابن مَرْيَم: «وَعَجِيب: يَنْطِقُونَ فِي أَسْمَائِهِ، وَيَعِيشُونَ فِي رِزْقه، فَكَيْف يَكْفُرُونَ به؟» قال: الألِف: مِفْتاح اسمه (اللّه)، واللاَّم: مِفْتاح اسمه (لَطيف)، والميم: مِفْتاح اسمه (مَجيد)؛ الألِف: آلاء اللّه، واللاَّم: لُطْفه، والميم: مَجْده؛ الألِف: سَنة، واللاَّم ثَلاثونَ سَنة، والميم: أرْبَعونَ سَنة[(١)].

٢٤٣- حدّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا حِكام عن أبي جَعْفَر، عن الرَّبيع بِنَحْوِهِ[(٢)].

وَقال بعضهم: هي حُروف من حِساب الجُمَل، كَرِهْنا ذِكْر الذي حُكيَ ذلك عنه، إذْ كان الذي رَواه مِمَّنْ لا يُعْتَمَد على رِوايَته ونَقْله، وقد مَضَتِ الرِّوايَةُ بِنَظيرِ ذلك من القول عن الرَّبيع بن أنَس.

وَقال بعضهم: لِكُلِّ كِتاب سِرّ، وسِرّ القُرْآن فَواتِحه.

وَأمّا أهلُ العربيّةِ فإنّهم اختلَفوا في معنى ذلك:

فَقال بعضهم: هي حُروف من حُروف المُعْجَم استُغْنيَ بِذِكْرِ ما ذُكِرَ منها في أوائِل السُّوَر عن ذِكْر بواقيها التي هي تَتِمّة الثَّمانية والعِشْرينَ حَرْفًا، كما استَغْنَى المُخْبِر عَمَّنْ أخْبَرَ عنه أنّه في حُروف المُعْجَم الثّمانية والعِشْرينَ بِذِكْرِ (أ ب ت ث) عن ذِكْر بواقي حُروفها التي هي تَتِمَّةُ الثّمانية والعِشْرينَ، قال: ولِذلك رَفَعَ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ لأنَّ معنى الكَلام: الألِف واللاَّم والميم من الحُروف المُقَطَّعة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي أنْزَلْتُه إليك مَجموعًا ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

فَإنْ قال قائِل: فَإنّ (أ ب ت ث) قد صارَتْ كالاسمِ في حُروف الهِجاء كما صارَتِ الحمد اسمًا لِفاتِحةِ الكِتاب؟

قيلَ له: لَمّا كان جائِزًا أنْ يقول القائِل: ابني في (ط ظ)، وكان معلومًا بِقيلِه ذلك لو قاله أنّه يُريد الخَبَر عن ابنه أنّه في الحُروف المُقَطَّعة، عُلِمَ بذلك أنَّ (أ ب ت ث) لَيْسَ لها باسمٍ، وإنْ كان ذلك آثَرَ في الذِّكْر من سائِرِها.

قال: وإنّما خولِفَ بين ذِكْر حُروف المُعْجَم في فَواتِح السُّوَر، فَذُكِرَتْ في أوائِلها مُخْتَلِفة، وذِكْرها إذا ذُكِرَتْ بِأوائِلِها التي هيَ (أ ب ت ث) مُؤتَلِفةً لِيَفصِل بين الخَبَر عنها، إذا أُريدَ بِذِكْرِ ما

(١) [ضعيف] لجهالة شيخ المصنف.
(٢) [ضعيف] من اجل شيخ المصنف محمد بن حميد ضعيف.

ذُكِرَ منها مُخْتَلِفًا، الدَّلالَةُ على الكَلام المُتَّصِل، وإذا أُرِيدَ بِذِكْرِ ما ذُكِرَ منها مُؤْتَلِفًا الدَّلالَةُ على الحُروف المُقَطَّعة بِأَعْيانِها.

واستَشْهِد - لإجازة قول القائِل: ابني في (ط ظ)، وما أَشْبَه ذلك من الخَبَر عنه أنَّه في حُروف المُعْجَم، وأنّ ذلك من قيله في البيان يقوم مَقام قوله: ابني في (أ ب ت ث) بِرَجَزِ بعض الرُّجاز من بَني أَسَد:

لَـمَّـا رَأَيْـت أَمْـرهـا فـي حُـطِّـي
وَفَـنَـكَـتْ فِـي كَـذِب ولَـطِّـي
أَخَـذْتُ مـنـهـا بِـقُـرونٍ شُـمْـطِ
فَـلـم يَـزَلْ ضَـرْبـي بـهـا ومَـعْـطي
حتَّـى عَـلا الـرَّأس دَم يُـغَـطِّـي (١)

فَزَعَمَ أنَّه أرادَ بِذلك الخَبَر عن المَرْأة أنَّها في (أبي جاد)، فَأقامَ قوله:

لَـمَّـا رَأَيْـت أَمْـرهـا فـي حُـطِّـي

مُقام خَبَره عنها أنَّها في (أبي جاد)، إذْ كان ذلكَ من قولِه يَدُلّ سامِعه على ما يَدُلّه عليه قوله: لَمَّا رَأَيْت أَمْرها في أبي جاد.

وَقال آخرونَ: بل ابْتُدِئَتْ بِذلك أوائِل السُّوَر لِيَفْتَح لاِستِماعِه أسَماع المُشْرِكينَ، إذْ تَواصَوْا بالإعْراضِ عن القُرْآن، حتَّى إذا استَمَعوا له تُلِيَ عليهم المُؤَلَّفُ منه.

وَقال بعضهم: الحُروف التي هي فَواتِح السُّوَر حُروف يَسْتَفْتِح الله بها كَلامه.

وقال: **فَإنْ قِيلَ**: هَلْ يكون من القُرْآن ما لَيْسَ له معنًى؟ فَإنَّ معنى هذا أنَّه ابتدأ بها لِيُعْلَم أنَّ السّورة التي قَبْلها قد انقَضَتْ، وأنّه قد أخَذَ في أُخْرَى، فَجَعَلَ هذا عَلامةَ انقِطاع ما بينهما، وذلك في كَلام العرب، يُنْشِد الرَّجُل منهم الشِّعْر فَيقول:

بل* وَبلدةٍ ما الإِنْسُ من آهَالِها (٢)

---

(١) [الرجز] القائل: بعض الرُّجّاز من بني أسد. اللغة: فنك في الكذب: مضى فيه ولج ومحك. ولط الحق: جحده ومنعه وخاصم فأحمى الخصومة. القرون، جمع قرن: وهو الضفيرة. وشمط، جمع أشمط: وهو الذي اشتعل رأسه شيبا. صاب يصوب صوبًا: انحدر من علو إلى سفل. والمعط: المد والجذب، وعنى بذلك إصعاده بها وهو يجذب ضفائرها، وذلك في انحداره بها وصعوده. المعنى: إنه لما وصل الأمر إلى هذه المرحلة من الكذب مما أدى إلى إحماء الخصومة جَذَبْتُهَا من ضفائرها وصعدتُ بها إلى أعلى حتى غطّى الدم رأسها.

(٢) [الرجز] القائل: أبو النجم العجلي الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، من بني بكر بن وائل. من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشادًا للشعر. نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام. اللغة: الإنس: بالكسر: البشر. آهالها: أهلها. المعنى: عجز البيت هو: (ولا ضعيفُ القومِ من رجالها) يقول الشاعر: إن هذه البلدة ليس البشر من أهلها ولا ضعفاء القوم من أهلها أيضًا.

ويقول:

لا بل* ما هاجَ أحزانًا وشَجْوًا قد شَجا[١]

وَ(بل) لَيسَتْ من البيْت ولا تَعُدُّ في وزْنه، ولَكِنْ يَقْطَع بها كَلامًا ويَسْتأنِف الآخَر.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: ولِكُلِّ قول من الأقوال التي قالها الذينَ وصَفْنا قولهم في ذلك وجه معروف.

فَأمَّا الذينَ قالوا: ﴿الٓمٓ﴾ اسم من أسْماء القُرْآن، فَلِقولِهم ذلك وجهانِ:

أحَدهما: أنْ يكونوا أرادوا أنَّ: ﴿الٓمٓ﴾ اسم لِلقُرْآنِ كما الفُرْقانِ اسم له، وإذا كان معنى قائِلِ ذلك كذلك، كان تأويل قوله: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ على معنى القَسَم؛ كأنّه قال: والقُرْآن، هذا الكِتاب لا ريبَ فيه.

والآخَر منهُما: أنْ يكونوا أرادوا أنّه اسم من أسْماء السُّورة التي تُعْرَف به، كما تُعْرَف سائِر الأشياء بِأسمائِها التي هي لها أماراتٌ تُعْرَف بها، فَيَفْهَم السَّامِع من القائِل يقول: قَرَأت اليوم ﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿نٓ﴾ أيْ السُّورة التي قَرَأها من سوَر القُرْآن، كما يَفْهَم عنه إذا قال: لَقيت اليوم عَمْرًا وزَيْدًا، وهُما بِزَيْدٍ وعَمْرٍو عارِفانِ - من الذي لَقيَ من النَّاس.

وَإنْ أشْكَلَ معنى ذلك على امْرِئٍ فَقال: وكيفَ يجوز أنْ يكون ذلك كذلك ونَظائِر ﴿الٓمٓ﴾ ﴿الٓرٓ﴾ في القُرْآن جَماعةٌ من السُّوَر؟ وإنّما تَكون الأسماء أمارات، إذا كانتْ مُمَيَّزة بين الأشخاص، فَأمَّا إذا كانتْ غَيْر مُمَيَّزة فَلَيْسَتْ أمارات.

قِيلَ: إنَّ الأسماء وإنْ كانتْ قد صارَتْ لاشْتَراك كَثير من النَّاس في الواحِد منها، غَيْرَ مُمَيَّزة إلاَّ بِمَعانٍ أُخَرَ معها من ضَمِّ نِسْبة المُسَمَّى بها إليها أو نَعْته أو وصْفِهِ بِما يُفَرِّق بينه وبين غَيْره من أشكالها، فَإنّها وُضِعَتْ ابْتِداءً لِلتَّمْييزِ لا شَكَّ ثُمَّ احْتيجَ عند الاشْتِراك إلى المَعاني المُفَرِّقة بين المُسَمَّى بها.

فَكَذلك ذلك في أسْماء السُّوَر، جُعِلَ كُلّ اسم - في قول قائِل هذه المَقالة - أمارةَ لِلْمُسَمَّى به من السُّوَر فَلَمَّا شارَكَ المُسَمَّى به فيه غَيْرَه من سوَر القُرْآن احْتاجَ المُخْبِرُ عن سورة منها أنْ يَضُمَّ إلى اسمها المُسَمَّى به من ذلك إلى ما يُفَرِّق به السَّامِع بين الخَبَر عنها وعن غَيْرها من نَعْت وصِفة أو غَيْرِ ذلك، فَيقول المُخْبِر عن نَفْسه أنّه تَلا سورة البقَرة إذا سَمَّاها باسمِها الذي هو ﴿الٓمٓ﴾ قَرَأت ﴿الٓمٓ﴾ البقَرة، وفي آلِ عِمْران: قَرَأت ﴿الٓمٓ﴾ آل عِمْرانِ، أو ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ و﴿الٓمٓ ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

---

(١) [الرجز] القائل: العجاج عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء. راجز مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أدرك الإسلام وأسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ففلج وأقعد، وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد، وكان بعيدًا عن الهجاء. وهو والد رؤبة الراجز المشهور. اللغة: هاج: هاجَتِ الأرضُ تَهيجُ هِياجًا، وهاجَ الشيءُ يَهيج هَيْجًا وهِياجًا وهَيَجانًا، واهْتاجَ، وتَهَيَّجَ: ثار لمشقة أو ضرر. الشَّجْوُ: الهَمُّ والحُزْنُ. المعنى: يقول الشاعر: إنه لم تتحرك أحزانه وهمومه وشجونه أبدًا.

كما لو أرادَ الخَبَر عن رَجُلَيْنِ اسم كُلّ واحِد منهُما عَمْرو، غَيْر أنَّ أحَدهما تَميميّ والآخَر أزْديّ، لَلَزِمَه أنْ يقول لِمَنْ أرادَ إخباره عنهُما: لَقيت عَمْرًا التّميميّ وعَمْرًا الأزْديّ، إذا كان لا يُفَرّقُ بينهما وبين غَيْرهما مِمَّنْ يُشارِكهُما في أسمائِهِما إلاَّ نِسْبَتُهُما كذلك، فَكَذلك ذلك في قول مَنْ تأوّلَ في الحُروف المُقَطَّعة أنّها أسماءٌ لِلسّوَرِ.

أمّا الذينَ قالوا: ذلك فَواتِح يَفْتَتِح الله عَزَّ وجَلَّ بها كَلامه: فَإنّهم وجَّهوا ذلك إلى نَحْو المعنى الذي حَكَيْنا عَمَّنْ حُكينا عنه من أهل العربيَّة أنَّه قال: ذلك أدِلّة على انقِضاء سورة وابْتِداء في أُخْرَى وعَلامة لانقِطاع ما بينهما، كما جُعِلَتْ (بل) في ابْتِداء قَصيدة دَلالة على ابْتِداء فيها وانقِضاء أُخْرَى قَبْلها كما ذَكَرْنا عن العرب إذا أرادوا الابْتِداء في إنْشاد قَصيدة، قالوا:

بل* ما هاجَ أحزانًا وشَجْوًا قد شَجا [١]

و(بل) لَيْسَتْ من البيْت ولا داخِلة في وزْنه، ولَكِنْ لِيَدُلّ به على قَطْع كَلام وابْتِداء آخَر.

وَأمّا الذينَ قالوا: ذلك حُروف مُقَطَّعة بعضها من أسْماء الله عَزَّ وجَلَّ، وبعضها من صِفاته، ولِكُلِّ حَرْف من ذلك معنًى غَيْر معنى الحَرْف الآخَر.

فإنّهم نَحَوْا بِتأويلِهم ذلك نَحْو قول الشّاعِر:

قُلْنا لها قِفي لنا قالتْ قاف
لا تَحْسَبي أنّا نَسينا الإيجاف [٢]

يَعْني بِقولِه: قالتْ قاف: قالتْ: وقَفْت، فَدَلّتْ بِإظْهارِ القاف من وَقَفْت على مُرادها من تَمام الكَلِمة التي هيَ (وَقَفْت)، فَصَرَفوا قوله: ﴿الٓمٓ﴾ وما أشْبَه ذلك إلى نَحْو هذا المعنى، فَقال بعضهم: الألِف ألِف (أنا)، واللاّم لامَ (اللّه)، والميم ميم (أعْلَم)، وكُلّ حَرْف منهن دالّ على كَلِمة تامّة. قالوا: فَجُمْلة هذه الحُروف المُقَطَّعة إذا ظَهَرَ مع كُلّ حَرْف منهُنَّ تَمام حُروف الكَلِمة: (أنا) الله أعْلَم. قالوا: وكذلك سائِر جَميع ما في أوائِل سوَر القُرْآن من ذلك، فَعلى هذا المعنى وبِهذا التّأويل. قالوا: ومُسْتَفيضٌ ظاهِرٌ في كَلام العرب أنْ يَنْقُصَ المُتَكَلِّم منهم من الكَلِمة الأحرُف إذا كان فيما بَقيَ دَلالة على ما حُذِفَ منها، ويَزيد فيها ما لَيْسَ منها إذا لم تَكُنْ

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) [الرجز] القائل: الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبو وهب الأموي القرشي. والٍ، من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة (٢٥هـ) فانصرف إليها وأقام هناك إلى سنة ٢٩هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية فسكنها واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرص معاوية على الأخذ بثأره، ومات بالرقة. اللغة: قالت قاف: أي قد وقفت. تحسبي: تظني. الإيجاف: حيث الدابة على سرعة السير، وهو الوجيف. المعنى: أن الشاعر قال للمرأة قفي لنا، فقالت له: وقفت، ثم يوجه كلامه إليها فيقول لها: لا تظني أننا قد نسينا الدابة على سرعة السير.

الزِّيادة مُلَبِّسة معناها على سامِعِها كَحَذْفِهم في النَّقْص في التَّرْخيم من (حارِث) الثَّاء فَيقولونَ: يا حارِ، ومن (مالِك) الكاف فَيقولونَ: يا مالِ، وما أشْبَه ذلك، وكَقولِ راجِزهِمْ:

ما لِلظَّليم عالَ كيف لا يا
يَنْقَدُّ عنه جِلْده إذا يا (١)

كَأنّه أرادَ أنْ يقول: إذا يَفْعَل كذا وكذا، فاكْتَفَى بالياءِ من يَفْعَل، وكَما قال آخَر منهم:

بالخَيْرِ خَيْرات وإنْ شَرًّا فا

يُريد: فَشَرًّا.

وَلا أُريدَ الشَّرّ إلاَّ أنْ تا (٢)

يُريد: إلاَّ أنْ تَشاء، فاكْتَفَى بالتَّاءِ والفاء في الكَلِمَتَيْنِ جَميعًا من سائِر حُروفهما، وما أشْبَه ذلك من الشَّواهِد التي يَطول الكِتاب باستيعابه. **وكَما**:

٢٤٤- **حَدَّثني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا ابن عُلَيّة، عن أيّوب وابن عَوْن، عن مُحَمَّد، قال: لَمَّا ماتَ يَزيد بن مُعاوية، قال لي عَبيدةُ: إنّي لا أُراها إلاَّ كائِنة فِتْنة فافزَعْ من ضَيْعَتك والحَقّ بِأهلِك. قُلْت: فَما تأمُرني؟ قال: أحَبّ إلَيَّ لَكَ أنْ تا - قال أيّوب وابن عَوْن بيَدِه تَحت خَدّه الأيْمَن يَصِف الاضطِجاع - حتَّى تَرَى أمْرًا تَعرِفهُ (٣).

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: يَعْني بـ (تا) تَضْطَجِع، فاجْتَزَأ بالتَّاءِ من تَضْطَجِع، وكَما قال الآخَر في الزِّيادة في الكَلام على النَّحْو الذي وصَفْت:

أقول إذْ خَرَّتْ على الكَلْكالِ   يا ناقَتي ما جُلْتِ من مَجالِ (٤)

يُريد الكَلْكَل، وكَما قال الآخَر:

إنَّ شَكْلي وإن شَكْلَك شَتَّى   فالزَمي الخُصّ، واخفِضي تَبْيَضِضّي (٥)

(١) [الرجز] القائل: أحد الرجّاز المشهورين في عصره. اللغة: عال: دعاء عليه، من قولهم (عال عوله) أي ثكلته أمه، فاختصر. و (يا) في البيت الأول كأنه أراد أن يقول (ينقد عنه. . .) فوقف، ثم عاد يقول: (ينقد)، و (يا) في الآخر: أي إذا يعدو هذا العدو. كأنه أراد أن يقول: إذا يَفعل كذا وكذا، فاكتفى بالياء من (يفعل). المعنى: إن الشاعر هنا يدعو على الظالم ويهينه أيضًا.

(٢) [الرجز] القائل: يقال هو: نعيم بن أوس. المعنى: هنا الشاعر يخاطب امرأته وكأنه يريد أن يقول: وإن شرًا فشر، ولا أريد الشر إلا أن تريد.

(٣) [صحيح] عبيدة هو السلماني، ومحمد هو ابن سيرين، وابن عون هو عبد الله، وابن علية هو إسماعيل، وأيوب هو السختياني.

(٤) [الرجز] القائل: أحد الرجّاز المشهورين في عصره. اللغة: خَرَّتْ: سقطت ووقعت. والكلكل: الصدر من البعير وغيره. وهو المعروف. . وإنما جاء (الكلكال) في الشعر ضرورة في قول هذا الراجز. جُلُّ الشيء: معظمه. المعنى: يتوجه الشاعر في حديثه هنا إلى ناقته عندما تسقط على صدرها.

(٥) [المديد] القائل: شاعر غير معروف اسمه. اللغة: والخص: البيت من قصب. وقوله: (اخفضى) من الخفض: وهو الدعة ولين العيش. المعنى: يخاطب الشاعر زوجته فيقول لها: نحن مختلفان، فالزمى بيتك وعيشي في دعة وخفض، يزدك لين العيش بياضًا ونعمة. أما أنا فالرحلة دأبى، تشقيني وتلوحني.

فَزادَ ضادًا ولَيْسَتْ في الكَلِمة.

قالوا: فَكَذلك ما نَقَصَ من تَمام حُروف كُلّ كَلِمة من هذه الكَلِمات التي ذَكَرْنا أنَّها تَتِمّة حُروف ﴿الٓمٓ﴾ ونَظائِرها، نَظير ما نَقَصَ من الكَلام الذي حَكَيْناه عن العرب في أشعارها وكَلامها.

وَأمَّا الذينَ قالوا: كُلّ حَرْف من ﴿الٓمٓ﴾ ونَظائِرها دالّ على مَعانٍ شَتَّى - نَحْو الذي ذَكَرْنا عن الرَّبيع بن أنَس - فإنّهم وجَّهوا ذلك إلى مِثْل الذي وجهه إليه مَنْ قال هو بتأويلِ: (أنا الله أعْلَم) في أنَّ كُلّ حَرْف منه بعض حُروف كَلِمة تامّة استُغْنيَ بِدَلالَتِه على تَمامه عن ذِكْر تَمامه - وإنْ كانوا له مُخالِفينَ في كُلّ حَرْف من ذلك، أهوَ من الكَلِمة التي ادَّعَى أنَّه منها قائِلو القول الأوَّل أم من غَيْرِها؟ فَقالوا: بلِ الألِف من ﴿الٓمٓ﴾ من كَلِمات شَتَّى هي دالة على مَعاني جَميع ذلك وعلى تَمامه، قالوا: وإنّما أُفْرِدَ كُلّ حَرْف من ذلك وقَصَّرَ به عن تَمام حُروف الكَلِمة أنَّ جَميع حُروف الكَلِمة لو أُظْهِرَتْ لم تَدُلّ الكَلِمة - التي بعض هذه الحُروف المُقَطَّعة بعض لها - إلاَّ على معنًى واحِد لا على معنَيَيْنِ وأكْثَر منهُما.

قالوا: وإذا كان لا دَلالَة في ذلك لو أَظْهَرَ جَميعَها إلاَّ على معناها الذي هو معنًى واحِد، وكان الله جَلَّ ثَنَاؤه قد أرادَ الدَّلالة بِكُلِّ حَرْف منها على مَعانٍ كَثيرة لِشَيْءٍ واحِد - لم يَجُزْ إلاَّ أنَّ يُفْرِد الحَرْف الدَّال على تِلْكَ المَعاني، ليَعْلَم المُخاطَبونَ به أنَّه جلَّ ثناؤه لم يَقْصِد قَصْد معنًى واحِد ودَلالة على شَيْء واحِد بِما خاطَبَهم به، وأنَّه إنَّما قَصَدَ الدَّلالة به على أشياء كَثيرة.

قالوا: فالألِف من ﴿الٓمٓ﴾ مُقْتَضية مَعاني كَثيرة، منها: تَمام اسم الرَّبّ الذي هو اللَّه، وتَمام اسم نَعْماء الله التي هي آلاء اللَّه، والدَّلالة على أجَلِ قَوْم أنَّه سَنة، إذ كانتِ الألِف في حِساب الجُمَّل واحِدًا. واللاَّم مُقْتَضية تَمام اسم الله الذي هو لَطيف، وتَمام اسم فَضْله الذي هو لُطْف، والدَّلالة على أجَلِ قَوْم أنَّه ثَلاثونَ سَنة، والميم مُقْتَضية تَمام اسم الله الذي هو مَجيد، وتَمام اسم عَظَمَته التي هي مَجْد، والدَّلالة على أجَلِ قَوْم أنَّه أرْبَعونَ سَنة.

فَكان معنى الكَلام في تأويل قائِل القول الأوَّل: أنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤه افتَتَحَ كَلامه بِوَصْفِ نَفْسه بِأنّه العالِم الذي لا يَخفَى عليه شَيْء، وجَعَلَ ذلك لِعِبادِه مَنْهَجًا يَسْلُكونَه في مُفْتَتَح خُطَبِهم ورَسائِلهم ومُهِمّ أُمورهم، وابْتِلاء منه لهم به لِيَسْتَوْجِبوا به عَظيم الثّواب في دار الجَزاء، كما افتَتَحَ بِـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وما أشْبَه ذلك من السُّوَر التي جَعَلَ مَفاتِحها الحمد لِنَفْسِه. وكَما جَعَلَ مَفاتِح بعضها تَعْظيم نَفْسه وإجلالها بالتَّسْبيح كما قال جَلَّ ثَنَاؤه ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] وما أشْبَه ذلك من سائِر سوَر القُرْآن التي جَعَلَ مَفاتِح بعضها تَحْميد نَفْسه، ومَفاتِح بعضها تَمْجيدها، ومَفاتِح بعضها تَعْظيمَها وتَنْزيهَها، فَكذلك جَعَلَ مَفاتِح السُّوَر الأُخَر التي أوائِلها بعض حُروف المُعْجَم مَدائِح نَفْسه أحيانًا بالعِلْمِ، وأحيانًا بالعَدْلِ والإنْصاف، وأحيانًا بالإفضالِ والإحسان بِإيجازٍ واخْتِصار،

ثُمَّ اقْتِصاصَ الأُمور بعد ذلك.

وَعلى هذا التَّأويل يجِب أنْ تكون الألِف واللَّام والميم في أماكِن الرَّفْع مَرْفوعًا بعضها ببعضٍ دون قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ويكون ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ خَبَر مُبْتَدَأ مُنْقَطِعًا عن معنى ﴿الٓمٓ﴾، وكذلك ﴿ذَٰلِكَ﴾ في تأويل قول قائِل هذا القول الثَّاني مَرْفوع بعضه ببِعضٍ، وإنْ كان مُخالِفًا معناه معنى قول قائِل القول الأوَّل.

وَأمَّا الذينَ قالوا: هُنَّ حُروف من حُروف حِساب الجُمَّلِ دون ما خالَفَ ذلك من المَعاني: فَإنّهم قالوا: لا نَعْرِف لِلْحُروفِ المُقَطَّعة معنًى يُفْهَم سِوَى حِساب الجُمَّل وسِوَى تَهَجّي قول القائِل: ﴿الٓمٓ﴾ وقالوا: وغَيْر جائِز أنْ يُخاطِب الله جَلَّ ثَنَاؤه عِباده إلاَّ بِما يَفْهَمونَه ويَعْقِلونَ عنه. فَلَمَّا كان ذلك كذلك - وكان قوله: ﴿الٓمٓ﴾ لا يُعْقَل لها وجه تَوَجَّهَ إليه إلاَّ أَحَد الوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنا، فَبَطَلَ أحَد وجهيه، وهو أنْ يكون مُرادًا به تَهَجّي: ﴿الٓمٓ﴾ - صَحَّ وثَبَتَ أنَّه مُراد به الوَجْه الثَّاني وهو حِساب الجُمَّل؛ لأنَّ قول القائِل: ﴿الٓمٓ﴾ لا يجوز أنْ يَلِيه من الكَلام ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ لاِسِتِحالةِ معنى الكَلام وخُروجه عن المعقول إذا أُولى ﴿الٓمٓ﴾ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾.

واحتَجّوا لِقولِهم ذلك، أيضًا بِما:

٢٤٥- **حَدَّثَنا** به مُحَمَّد بن حُمَيْدِ الرَّازيُّ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني الكَلْبيُّ، عن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، عن جابِر بن عبد الله بن رِئاب، قال: مَرَّ أبو ياسِر بن أخْطَب بِرَسولِ الله ﷺ وهو يَتْلو فاتِحة سورة البقَرة: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فَأتَى أخاه حُيَيَّ بن أخْطَب في رِجال من يَهود فَقال: تَعْلَمونَ واللَّه لَقد سَمِعْت مُحَمَّدًا يَتْلو فيما أنْزَلَ الله عليه: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ فَقالوا: أنت سَمِعْته؟ قال: نَعَم. فَمَشَى حُيَيّ بن أخْطَب في أولَئِكَ النَّفَر من يَهود إلى رَسول الله ﷺ، فَقالوا: يا مُحَمَّد ألم يُذْكَر لنا أنَّك تَتْلو فيما أُنزِلَ عليك: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؟ فَقال رَسول الله ﷺ: «بَلَى» قالوا: أجاءك بها جِبْريل من عند اللَّه؟ قال: «نَعَمْ».

قالوا: لَقد بَعَثَ الله قَبْلَك أنبياء ما نَعْلَمه بَيَّنَ لِنَبيٍّ منهم ما مُدَّة مُلْكه وما أُكُلُ أُمَّتِه غَيْرك! فَقال حُيَيّ بن أخْطَب: وأقْبَلَ على مَنْ كان معه، فَقال لهم: الألِف واحِدة، واللَّام ثَلاثونَ، والميم أرْبَعونَ، فَهذه إحدَى وسَبْعونَ سَنة، أفَتَدْخُلونَ في دين نَبيّ إنَّما مُدّة مُلْكه وأُكُلُ أُمَّته إحدَى وسَبْعونَ سَنة؟

قال: ثُمَّ أقْبَل على رَسول الله ﷺ، فَقال: يا مُحَمَّد هَلْ مع هذا غَيْره؟ قال: «نَعَمْ» قال: ماذا؟ قال: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قال: هذه أثْقَل وأطوَل: الألِف واحِدة، واللَّام ثَلاثونَ، والميم أرْبَعونَ، والصَّاد تِسْعونَ، فَهذه إحدَى وسِتّونَ ومِائَةُ سَنةٍ؛ هَلْ مع هذا يا مُحَمَّد غَيْره؟ قال: «نَعَمْ» قال: ماذا؟ قال: ﴿الٓرۚ﴾ قال: هذه أثْقَل وأطوَل الألِف واحِدة، واللَّام ثَلاثون، والرَّاء مِائَتانِ، فَهذه إحدَى وثَلاثونَ ومِائَتا سَنة. فَهَلْ مع هذا غَيْره يا مُحَمَّد؟ قال: «نَعَمْ» ﴿الٓمٓرۚ﴾، قال: فَهذه أثْقَل

وأطوَل: الألِف واحِدة واللَّام ثَلاثونَ، والميم أرْبَعونَ، والرَّاء مِائَتانِ، فَهذه إحدَى وسَبْعونَ ومِائَتا سَنة. ثُمَّ قال: لَقد لُبِّسَ علينا أمْرك يا مُحَمَّد، حتَّى ما نَدْري أقَليلاً أُعْطيت أم كَثيرًا. ثُمَّ قاموا عنه.

فَقال أبو ياسِر لأخيه حُيَيّ بن أخْطَب ولِمَنْ معه من الأحبار: ما يُدْريكُم لَعَلَّه قد جُمع هذا كُلّه لِمُحَمَّدٍ: إحدَى وسَبْعونَ، وإحدَى وسِتّونَ ومِائةٌ، وإحدَى وثَلاثونَ ومِائَتانِ، وإحدَى وسَبْعونَ ومِائَتانِ، فَذلك سَبْعمِائةٍ وأرْبَعٌ وثَلاثونَ، فَقالوا: لَقد تَشابَهَ علينا أمْره. فيَزْعمونَ أنَّ هؤلاء الآيات نَزَلَتْ فيهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧](١).

قالوا: قد صَرَّحَ هذا الخَبَر بِصِحَّةِ ما قُلْنا في ذلك من التَّأويل وفَساد ما قاله مُخالِفونا فيه.

والصَّوابُ عندي من القولِ في تأويل مَفاتِح السُّوَر التي هي حُروفُ المُعْجَم: أنَّ الله جَلَّ ثَناؤه جَعَلَها حُروفًا مُقَطَّعةً، ولم يَصِل بعضَها بِبعضٍ فَيجعَلَها كَسائِرِ الكَلام المُتَّصِل الحُروف؛ لأنَّه عَزَّ ذِكْرُه أرادَ بِلطفِه الدَّلالة بِكُلِّ حَرْفٍ منه على مَعانٍ كَثيرة لا على معنًى واحِدٍ، كما قال الرَّبيع بن أنَس، وإنْ كان الرَّبيعُ قد اقْتَصَرَ به على مَعانٍ ثَلاثةٍ دون ما زادَ عليها.

والصَّواب في تأويل ذلك عندي أنَّ كُلَّ حَرْفٍ منه يَحْوي ما قاله الرَّبيعُ وما قاله سائِرُ المُفَسِّرينَ غَيْره فيه، سِوَى ما ذَكَرْتُ من القول عَمَّنْ ذَكَرْتُ عنه مِن أهلِ العربيَّةِ أنَّه كان يوَجِّه تأويلَ ذلك إلى أنَّه حُروفُ هِجاءٍ استُغْنِيَ بِذِكْرِ ما ذُكِرَ منه في مَفاتِح السُّوَر عن ذِكْر تَتِمَّةِ الثَّمانيةِ والعِشْرينَ الحَرْفِ من حُروف المُعْجَم بِتأويلِ: أنَّ هذه الحُروفَ ذلك الكِتاب، مَجْموعةً، لا رَيْبَ فيه. فإنَّه قولٌ خَطَأٌ فاسِدٌ، لِخُروجِه عن أقْوالِ جَميع الصَّحابة والتَّابِعينَ فمَنْ بعدَهم مِن الخالِفينَ من أهلِ التَّفسيرِ والتَّأويل، فَكَفَى دَلالةً على خَطَئِه شَهادةُ الحُجَّةِ عليه بالخَطَإِ مع إبطال قائِل ذلك قوله الذي حَكَيْناه عنه - إذْ صارَ إلى البيان عن رَفْع ذلك الكِتاب - بِقولِه مَرَّةً إنَّه مَرْفوع كُلّ واحِد منهُما بِصاحِبِه ومَرّة أُخرَى أنَّه مَرفوع بالرَّاجِع من ذِكْره في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ومَرَّة بِقولِه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وذلك تَرْك منه لِقولِه إنَّ ﴿الٓمٓ﴾ مُرافِعةٌ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ وخُروج من القول الذي ادَّعاه في تأويل ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ وأنَّ تأويل ذلك: هذه الحُروف ذلك الكِتاب.

فإن قال لنا قائِل: وكيف يجوز أنْ يكون حَرْفٌ واحِدٌ شامِلاً الدَّلالةَ على مَعانٍ كَثيرة مُخْتَلِفة؟

قِيلَ: كما جازَ أنْ تَكون كَلِمة واحِدةٌ تَشْتَمِل على مَعانٍ كَثيرةٍ مُخْتَلِفة نحو قولِهم لِلْجَماعةِ من النَّاس: أُمّة، ولِلْحينِ من الزَّمان: أُمّة، ولِلرَّجُلِ المُتَعَبِّد المُطيع لِلَّه: أُمّة، ولِلدِّينِ والمِلَّة: أُمّة. وكَقولِهم لِلْجَزاءِ والقِصاص: دين، ولِلسُّلْطانِ والطَّاعة: دين، ولِلتَّذَلُّلِ: دين، ولِلْحِسابِ: دين؛ في أشباه لِذلك كَثيرةٍ يَطول الكِتاب بِإحصائِها مِمَّا يكون من الكَلام بِلَفْظٍ واحِد، وهو

(١) [ضعيف جدًا] أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب، والكلبي، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد بعضهم اضعف من بعض.

مُشتَمِل على مَعانٍ كَثيرة، فكذلك قول الله جَلّ ثَنَاؤه: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓرٰ﴾، و﴿الٓمٓصٓ﴾ وَما أشَبَه ذلك من حُروف المُعْجَم التي هي فَواتِح أوائِل السُّوَر، كُلُّ حَرْف منها دالٌّ على مَعانٍ شَتَّى، شامِلٌ جَميعُها من أسَماء الله عَزَّ وجَلَّ وصِفاته ما قاله المُفَسِّرونَ من الأقْوال التي ذَكَرْناها عنهم؛ وهُنَّ مع ذلك فَواتِح السُّوَر كما قاله مَنْ قال ذلك. ولَيْسَ كَوْن ذلك من حُروف أسَماء الله جَلَّ ثَنَاؤه وصِفاتِه بِمانِعِها أنْ تَكون لِلسّوَرِ فَواتِحَ؛ لأنّ الله جَلّ ثَنَاؤه قد افتَتَحَ كَثيرًا من سوَر القُرْآن بالحمدِ لِنَفْسِه والثَّناء عليها، وكَثيرًا منها بِتَمْجيدِها وتَعْظيمها، فَغَيْرُ مُسْتَحيل أنْ يَبْتَدِئ بعض ذلك بالقَسَم بها.

فالتي ابْتُدِئَ أوائِلها بِحُروفِ المُعْجَم أحَدُ مَعاني أوائِلها أنَّهُنَّ فَواتِح ما افتَتَحَ بهِنَّ من سوَر القُرْآن، وهُنَّ مِمَّا أقْسَمَ بهِنَّ؛ لأنَّ أحَد مَعانيهنَّ أنَّهُنَّ من حُروف أسَماء الله تعالى ذِكْرُه وصِفاته على ما قَدَّمْنا البيان عنها، ولا شَكَّ في صِحَّةِ معنى القَسَم باللّه وأسمائِه وصِفاته، وهُنَّ من حُروف حِساب الجُمَّل، وهُنَّ لِلسّوَرِ التي افتُتِحَتْ بهِنَّ شِعارٌ وأسَماء، فَذلك يَحْوي مَعاني جَميع ما وصَفْنا مِمَّا بَيَّنَّا من وُجوهِهِ؛ لأنَّ الله جَلّ ثَنَاؤه لو أرادَ بِذلك أو بِشَيْءٍ منه الدَّلالة على معنًى واحِد مِمَّا يَحْتَمِله ذلك دون سائِر المَعاني غَيْره، لأَبانَ ذلك لهم رَسولِ الله ﷺ إبانَةً غَيْر مُشْكِلة، إذْ كان جَلّ ثَنَاؤه إنَّما أنْزَلَ كِتابه على رَسوله ﷺ لِيُبَيِّنَ لهم ما اختَلَفوا فيه.

وفي تَرْكه ﷺ إبانَةَ ذلك أنَّه مُراد به من وُجوه تأويلِه البعْض دون البعْض - أوضَحُ الدَّليل على أنَّه مُراد به جَميع وُجوهه التي هو لها مُحْتَمِل، إذْ لم يكُنْ مُسْتَحيلاً في العَقْل وجه منها أنْ يكون من تأويله ومعناه كما كان غَيْرَ مُسْتَحيل اجْتِماع المَعاني الكَثيرة لِلْكَلِمةِ الواحِدةِ باللَّفْظِ الواحِد في كَلام واحِد.

وَمن أبَى ما قُلْناه في ذلك سُئِلَ الفَرْق بين ذلك وبين سائِر الحُروف التي تأتي بِلَفْظٍ واحِدٍ مع اشْتِمالها على المَعاني الكَثيرةِ المُخْتَلِفة كالأُمّةِ والدّين وما أشْبَه ذلك من الأسماء والأفعال، فَلَنْ يقول في أحدِ ذلك قولاً إلاَّ أُلْزِمَ في الآخَر مِثْله.

وَكَذلك يُسْأل كُلُّ مَنْ تأوَّلَ شَيْئًا من ذلك على وجه دون الأوجُه الأُخَر التي وصَفْنا عن البُرْهان على دَعْواه من الوَجْه الذي يجبُ التّسْليم له ثُمَّ يُعارَض بِقولِ مُخالِفهِ في ذلك، ويُسْأل الفَرْق بينه وبينه: من أصْل، أو مِمَّا يَدُلّ عليه أصْل، فَلَنْ يقول في أحَدهما قولاً إلاَّ أُلْزِمَ في الآخَر مِثْله.

وَأمَّا الذي زَعَمَ من النَّحْويِّينَ أنَّ ذلك نَظير (بل) في قول المُنْشِد شِعْرًا:

بل* ما هاجَ أحزانًا وشَجْوًا قد شَجا[1]

وَأنَّه لا معنى له، وإنّما هو زيادة في الكَلام معناه الطَّرْح؛ فَإنّه أخْطأَ من وُجوه شَتَّى:

---

(١) تقدم قريبًا قبل خمس صفحات.

أحَدها: أنَّه وصَفَ الله تعالى ذِكْره بِأنّه خاطَبَ العرب بِغَيْرِ ما هو من لُغَتها وغَيْر ما هو في لُغة أحَد من الآدَميّينَ، إذْ كانتِ العرب وإنْ كانتْ قد كانتْ تَفْتَتِح أوائِل إنْشادها ما أنْشَدَتْ من الشِّعْر بـ(بل)، فإنّه معلوم منها أنّها لم تكُنْ تَبْتَدِئ شَيْئًا من كَلامها بـ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓرٰ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ بمعنى ابْتِدائِها ذلك بـ(بل)، وإذْ كان ذلك لَيْسَ من ابْتِدائِها، وكان الله جَلّ ثَنَاؤه إنَّما خاطَبَهم بما خاطَبَهم به من القُرْآن بِما يَعْرِفونَ من لُغاتهم ويَسْتَعْمِلونَ بينهم من مَنْطِقهم في جَميع آيِه - فلا شَكَّ أنَّ سَبيل ما وصَفْنا من حُروف المُعْجَم التي افتُتِحَتْ بها أوائِل السُّوَر التي هُنَّ لها فَواتِح، سَبيلُ سائِر القُرْآن في أنَّه لم يَعْدِل بها عن لُغاتهم التي كانوا بها عارِفينَ ولَها بينهم في مَنْطِقهم مُسْتَعْمَلينَ؛ لأنَّ ذلك لو كان معدولاً به عن سَبيل لُغاتهم ومَنْطِقِهم كان خارِجًا عن معنى الإبانة التي وصَفَ الله جَلَّ ثناؤه بها القُرْآن، فَقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥] وأنَّى يكون مُبينًا ما لا يَعْقِله ولا يَفْقَهه أحَد من العالَمينَ في قول قائِل هذه المَقالة، ولا يُعْرَف في مَنْطِق أحَدٍ من المَخْلوقينَ في قولِهِ؟ وفي إخبار الله جَلَّ ثَنَاؤه عنه أنَّه عَرَبيٌّ مُبين، ما يُكْذِب قائلَ هذه المَقالة، ويُنْبِئ عنه أنَّ العرب كانوا به عالِمينَ وهو لها مُسْتَبين، فَذلك أحَد أوْجه خَطَئِه.

والوَجْه الثّاني من خَطَئِه في ذلك: إضافَتُه إلى الله جَلَّ ثَنَاؤه أنَّه خاطَبَ عِباده بما لا فائِدة لهم فيه ولا معنًى له من الكَلام الذي سَواءٌ الخِطابُ به وتَرْكُ الخِطاب به؛ وذلك إضافة العَبَث الذي هو مَنْفيٌّ في قول جَميع الموَحِّدينَ عن اللّه، إلى الله تعالى ذِكْره.

والوَجْه الثّالِث من خَطَئِه: أنَّ (بل) في كَلام العرب مَفْهومٌ تأويلُها ومعناها، وأنّها تُدْخِلها في كَلامها رُجوعًا عن كَلام لها قد تَقَضَّى كَقولِهم: ما جاءني أخوك بل أبوك؛ وما رَأيْت عَمْرًا بل عبد اللّه، وما أشْبَه ذلك من الكَلام، كما قال أعْشَى بَني ثَعْلَبة:

وَلَأشْرَبَنَّ ثَمانيًا وثَمانيًا وَثَلاث عَشْرة واثْنَتَيْنِ وأرْبَعا

وَمَضَى في كَلِمَته حتَّى بَلَغَ قوله:

بالجُلَّسان وطَيِّبٍ أرْدانُه بِالوَنِّ يَضْرِب لي يَكُرُّ الإصْبَعا(١)

(١) [الكامل]القائل: الأعشى ميمون بن قيس بن جندل تقدم من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير. من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على الملوك من العرب، والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كلّ مسلك، وليس أحدٌ ممن عرف قبله أكثر شعرًا منه. وكان يُغنّي بشعره فسمّي (صناجة العرب). عاش عمرًا طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة الرياض وفيها داره وبها قبره. اللغة: الجلسان: قبة أو بيت ينثر فيه الورد والريحان للشرب. وقوله: (وطيب أردانه) يعني قينة تغنيهم وتعزف لهم، طيبة الريح، تضمخت وتزينت. والأردان جمع ردن (بضم فسكون): وهو مقدم كم القميص. والون: صنج يضرب بالأصابع. وقوله: (يكر) أي يرد إصبعه مرة بعد مرة في ضربه بالصنج، وأراد به سرعة حركة أصابعها بالصنج. المعنى: يقول الشاعر: إنه يشرب كثيرًا. . وكذلك يشرب من البيت الذي ينثر فيه الورد الريحان للشرب بينما المغنية طيبة الرائحة تغزف وتعزف لهم لكي يفرحوا ويشربوا.

ثُمّ قال:

بـل عَـدِّ هـذا فـي قَـريـض غَـيْـرِه   واذْكُرْ فَتًى سَمْح الخَليقة أرْوَعًا(١)

فكأنّه قال: دَعْ هذا وخُذْ في قَريض غَيْره، فـ(بل) إنّما يَأتي في كَلام العرب على هذا النَّحْو من الكَلام، فأمّا إفتتاحًا لِكَلامِها مُبْتَدَأ بِمعنى التَّطْويل والحَذْف من غَيْر أنْ يَدُلّ على معنًى، فَذلك ما لا نَعْلَم أحَدًا ادَّعاه من أهل المُعْرِفة بِلِسانِ العرب ومَنْطِقِها، سِوَى الذي ذَكَرْت قوله، فَيكون ذلك أصْلاً يُشَبَّه به حُروف المُعْجَم التي هي فَواتِح سوَر القُرْآن التي افتُتِحَتْ بها لو كان له مُشْبِهَةً، فكيف وهيَ من الشَّبَهِ به بَعيدة؟

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾

قال عامَّةُ المُفَسِّرينَ: تأويل قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: هذا الكِتاب.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٤٦- **حَدّثَني** هارونُ بن إدريس الأصَمُّ، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد المُحارِبيُّ، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قال: هو هذا الكِتاب(٢).

٢٤٧- **حَدَّثني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا ابن عُلَيَّة، قال: أخبرَنا خالِد الحَذَّاءُ، عن عِكْرِمة، قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: هذا الكِتاب(٣).

٢٤٨- **حَدّثَنا** أحمَد بن إسحاق الأهوازيُّ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبيريُّ قال: حَدَّثَنا الحَكَم بن ظُهَيْر، عن السُّدِّيّ في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قال: هذا الكِتاب(٤).

٢٤٩- **حَدّثَنا** القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن داود، قال: حَدَّثَني حَجَّاج عن ابن جُرَيْج قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: هذا الكِتاب، قال: وقال ابن عَبَّاس: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: هذا الكِتاب(٥).

فَإنْ قال قائِل: وكيفَ يجوز أنْ يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ بِمعنى (هذا؟) و(هذا) لا شَكَّ إشارةٌ إلى حاضِر مُعايَن، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى غائِب غَيْر حاضِرٍ ولا مُعايَن؟

قِيلَ: جازَ ذلك لأنَّ كُلّ ما تَقَضَّى وقَرُبَ تَقَضِّيه من الإخْبار فهو وإنْ صارَ بِمعنَى غَيْر الحاضِر، فَكالحاضِرِ عند المُخاطَب؛ وذلك كالرَّجُلِ يُحَدِّث الرَّجُل الحَديث، فَيقول السَّامِع: إنَّ ذلك واللَّه لكما قُلْت. و: هذا واللَّه كما قُلْت. و: هو واللَّه كما ذَكَرْت. فَيُخْبِر عنه مَرَّة

(١) [الرجز] القائل: الأعشى تقدم. اللغة: عد: اترك. القَرْضُ: قَرْضُ الشعر، ومنه سمي القَرِيضُ. سمح الخليقة: كريم بطبيعته. الدهقان: هو التاجر . . . والمقصود شاعر اليمن. المعنى: يتحدث الشاعر هنا ويقول: اترك هذا الشعر واذكر ذلك الفتى الرائع الكريم بطبيعته.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس، لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [صحيح] رجاله ثقات تقدموا، وسنده متصل. (٤) [ضعيف جدًا] الحكم بن ظهير الفزاري متهم بالوضع.

(٥) [ضعيف] ابن جريج عن ابن عباس مرسل، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

بِمعنى الغائِب إذْ كان قد تَقَضَّى ومَضَى، ومَرّة بِمعنى الحاضِر؛ لِقُرْبِ جَوابه من كَلام مُخْبِره كَأنّه غَيْر مُنْقَضٍ، فَكَذلك ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ لأنه جَلَّ ذِكْره لَمَّا قَدِمَ قَبْل ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ التي ذَكَرْنا تَصرُّفَها في وُجوهها من المَعاني على ما وصَفْنا، قال لِنَبيِّه ﷺ: يا مُحَمَّد هذا الذي ذَكَرْته وبَيَّنْته لَك، الكِتاب. ولِذلك حَسَن وضْعَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في مَكان (هذا)؛ لأنّه أُشير به إلى الخَبَر عَمَّا تَضَمَّنَه قوله: ﴿الٓمٓ﴾ من المَعاني بعد تَقَضِّي الخَبَر عنه بـ﴿الٓمٓ﴾، فَصارَ لِقُرْبِ الخَبَر عنه من تَقَضّيه كالحاضِرِ المُشار إليه، فَأخْبَرَ عنه بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ لانقِضائِه ومَصيرِ الخَبَر عنه كالخَبَرِ عن الغائِب، وتَرْجَمَه المُفَسِّرونَ أنَّه بِمعنى (هذا) لِقُرْبِ الخَبَر عنه من انقِضائِه، فَكان كالمُشاهَدِ المُشار إليه بهذا نَحْو الذي وصَفْنا من الكَلام الجاري بين النّاسِ في مُحاوَراتهم، وكَما قال جَلَّ ذِكْره: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٨ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ﴾ [ص: ٤٨: ٤٩] فَهذا ما في ﴿ذَٰلِكَ﴾ إذا عَنَى بها (هذا).

وَقد يَحْتَمِل قوله جَلَّ ذِكْره: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أنْ يكون معنيًا به السُّوَر التي نَزَلَتْ قَبْل سورة البقَرة بِمَكّة والمَدينة، فَكَأنّه قال جَلَّ ثَناؤه لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ: يا مُحَمَّد اعْلَم أنَّ ما تَضَمَّنَته سوَر الكِتاب التي قد أنْزَلْتها إليك هو الكِتاب الذي لا رَيْبَ فيه، ثُمَّ تَرْجَمَه المُفَسِّرونَ بِأنّ معنى ﴿ذَٰلِكَ﴾: هذا الكِتاب، إذْ كانتْ تِلْكَ السُّوَر التي نَزَلَتْ قَبْل سورة البقَرة من حَمَلة جَميع كِتابنا هذا الذي أنْزَلَه الله عَزَّ وجَلَّ على نَبيّنا مُحَمَّد ﷺ، وَكان التَّأويل الأوَّل أولَى بِما قال المُفَسِّرونَ؛ لأنَّ ذلك أظْهَر مَعاني قولهم الذي قالوه في ﴿ذَٰلِكَ﴾.

وَقد وجَّه معنى ﴿ذَٰلِكَ﴾ بعضهم إلى نَظير معنى بَيْت خُفاف بن نُدْبة السُّلَميّ:

فَإنْ تَكُ خَيْلي قد أُصيب صَميمها ... فَعَمْدًا على عَيْن تَيَمَّمْت مالِكَا
أقول له والرُّمْح يَأطِر مَتْنه ... تَأمَّلْ خُفافًا إنَّني أنا ذلِكا (١)

كَأنَّه أرادَ: تأمَّلْني أنا ذلك. فَزَعَمَ أنَّ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ بِمعنى (هذا) نَظير ما أظْهَرَ خُفاف من اسمه على وجه الخَبَر عن الغائِب وهو مُخْبِرٌ عن نَفْسه، فَكَذلك أظْهَرَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ بِمعنى الخَبَرِ عن

---

(١) [الطويل]القائل: خفاف بن ندبة بن عمير بن الحارث بن عمرو (الشريد) بن قيس بن عيلان السلمي. اشتهر بالنسبة إلى أمه ندبة بنت شيطان، وكانت سوداء سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب، فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافًا، وهو من فرسان العرب المعدودين، يُكنى أبا خُراشَة، أدرك الإسلام فأسلم وشهد فتح مكة وغزوة حنين والطائف، ومدح أبو بكر، وكان أحد أغربة العرب، وهو ابن عم الخنساء الشاعرة.
اللغة: الخيل هنا: هم فرسان الغارة، وكان معاوية وخفاف غزوَا بني مرة وفزارة. والصميم: الخالص المحض من كل شيء. وأراد معاوية ومقتله يومئذ. ويقال: (فعلت هذا الأمر عمد عين، وعمدًا على عين)، إذا تعمدته مواجهة بجد ويقين. وتيمم: قصد وأمَّ. مالك: هو مالك بن حِمار الشمخي الفزاري. (أقول له): يعني لمالك بن حِمار. وأطر الشيء يأطره أطرًا: هو أن تقبض على أحد طرفي الشيء ثم تعوجه وتعطفه وتثنيه. المعنى: يتحدث الشاعر هنا عن معاوية ومقتله فيقول: إذا كان فرسان الغارة قد قتلوا معاوية ويتعمدون البحث عن مالك بن حمار. . وهو هنا يريد الحديث عن أن حر الطعنة جعله يتثنى من ألمها، ثم ينحني ليهوى صريعًا إذ أصاب الرمح مقتله.

الغائِب، والمعنى فيه الإشارةُ إلى الحاضِر المُشاهَد.

والقول الأوَّلُ أولَى بتأويلِ الكِتاب لِما ذَكَرْنا من العِلَل.

وَقد قال بعضهم: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يَعْني به التَّوْراة والإنجيل. وإذا وُجِّه تأويلُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى هذا الوَجْهِ فلا مَئونةَ فيه على مُتأوِّله كذلك؛ لأنَّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ يكون حينَئِذٍ إخبارًا عن غائِب على صِحَّةٍ.

القول في تأويل قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

وَتأويل قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: (لا شَكَّ فيهِ)، كما:

٢٥٠- **حَدَّثَني** هارونُ بن إدريس الأصَمُّ، قال: حَدَّثَنا عبدُ الرَّحْمَن المُحارِبيُّ عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، قال: لا شَكَّ فيهِ(١).

٢٥١- **حَدَّثَني** سَلَّامُ بن سالِم الخُزاعِيُّ، قال: حَدَّثَنا خَلَف بن ياسين الكوفيُّ، عن عبد العَزيز بن أبي رَوَّادٍ عن عَطاءٍ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال: لا شَكَّ فيهِ(٢).

٢٥٢- **حَدَّثَني** أحمَدُ بن إسحاق الأهوازِيُّ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبيريُّ، قال: حَدَّثَنا الحَكَم بن ظُهَيْر، عن السُّدِّيِّ، قال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شَكَّ فيهِ(٣).

٢٥٣- **حَدَّثَني** موسَى بن هارونَ الهَمْدانيُّ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذِكْره عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيِّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شَكَّ فيهِ(٤).

٢٥٤- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شَكَّ فيهِ(٥).

٢٥٥- **حَدَّثَنا** القاسِمِ بن الحسين قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج عن ابن جُرَيْجٍ، قال: قال ابن عَبَّاس: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول: لا شَكَّ فيهِ(٦).

٢٥٦- **حَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر عن قَتادةَ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول: لا شَكَّ فيهِ(٧).

---

(١) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد.

(٢) [ضعيف] من أجل شيخي المصنف مجهولان. (٣) [ضعيف جدًا] الحكم بن ظهير متهم بالوضع.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف جدًا] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان، وله سند آخر ضعيف في الذي بعده.

(٦) [ضعيف] ابن جريج عن ابن عباس مرسل، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٧) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

٢٥٧- **وحُدِّثتُ** عن عَمَّارِ بنِ الحسن، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه عن الرَّبيع بن أنَس قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول: لا شَكَّ فيه [(١)].

وَهوَ مَصْدَر من قول القائل: رابَني الشَّيْء يَريبني رَيْبًا. ومن ذلك قول ساعِدة بن جُؤَيَّة الهُذَليّ:

فَقالوا تَرَكْنا الحَيَّ قد حَصِروا بهِ فلا رَيْبَ أنْ قد كان ثَمَّ لَحيمُ [(٢)]

وَيُرْوَى: (حَصَروا)، و(حَصِروا)، والفَتْح أكْثَر، والكَسْر جائِز. يَعْني بِقولِه: (حَصِروا بهِ) أطافوا به، ويَعْني بِقولِه: (لا ريب): لا شَكَّ، وبِقولِه: (أنْ قد كان ثَمَّ لَحيم) يَعْني قَتيلاً، يُقال: قد لُحِمَ، إذا قُتِلَ. والهاء التي في ﴿فِيهِ﴾ عائِدةٌ على الكِتاب، كَأنَّه قال: لا شَكَّ في ذلك الكِتاب أنَّه من عند الله هُدًى لِلْمُتَّقينَ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿هُدًى﴾

٢٥٨- **حَدَّثني** أحمَد بن حازِم الغِفاريّ، قال: حَدَّثَنا أبو نُعَيْم، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، عن بَيان، عن الشَّعْبيّ: ﴿هُدًى﴾ قال: هُدًى من الضَّلالة [(٣)].

٢٥٩- **حَدَّثَني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ بن نَصْر، عن إسماعيل السُّدِّيّ، في خَبَرٍ ذِكْره، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يقول: نور لِلْمُتَّقينَ [(٤)].

والهُدَى في هذا الموضِع مَصْدَر من قولك: هَدَيْت فُلانًا الطَّريق - إذا أرْشَدْته إليه، ودَلَّلْته عليه، وبَيَّنْته له - أهْديه هُدًى وهِدايةً.

فَإنْ قال لنا قائِلٌ: أو ما كِتاب الله نورًا إلاَّ لِلْمُتَّقينَ ولا رَشادًا إلاَّ لِلْمُؤْمِنينَ؟

قِيلَ: ذلك كما وصَفَه رَبُّنا عَزَّ وجَلَّ، ولو كان نورًا لِغَيْرِ المُتَّقينَ، ورَشادًا لِغَيْرِ المُؤْمِنينَ لم يَخْصُصِ اللهُ عَزَّ وجَلَّ المُتَّقينَ بِأنَّه لهم هُدًى، بل كان يَعُمُّ به جَميع المُنْذَرينَ، ولَكِنَّه هُدًى لِلْمُتَّقينَ، وشِفاءٌ لِما في صُدور المُؤْمِنينَ، ووَقْرٌ في آذانِ المُكَذِّبينَ، وعَمًى لأبْصارِ الجاحِدينَ. وحُجَّة لِلَّه بالِغة على الكافِرينَ؛ فالمُؤْمِن به مُهْتَدٍ، والكافِر به محجوج.

---

(١) [ضعيف]فهو من معلقات المصنف.

(٢) [الطويل] القائل: ساعِدَة بن جُؤَيَّة بن كعب بن كاهل من سعد هذيل. شاعر، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، أسلم وليست له صحبة. اللغة: حصروا به: أطافوا به. لا ريب: لا شك فيه. أن قد كان ثَمَّ لَحِيم: يعني قتيلا، يقال: قد لُحِم، إذا قُتل. المعنى: يقول الشاعر: إن قولهم تركنا الحي، ولكنهم أطافوا بهم ولا شك أنهم الآن أصبحوا مقتولين.

(٣) [صحيح]مداره على بيان بن بشر الأحمسي، وهو عن الشعبي على شرطهما، والأسانيد إليه صحيحة كما عند المصنف، وغيره.

(٤) [ضعيف]من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

وَقوله: ﴿هُدًى﴾ يَحتَمِل أوجُهًا من المَعاني:

أحَدُها: أنْ يكون نَصْبًا لِمعنى القَطْع من ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ لأنَّه نَكِرة و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ معرفة، فَيكون التَّأويل حينَئِذٍ: الٓمٓ ذلك الكِتاب هاديًا لِلْمُتَّقينَ. و﴿ذَٰلِكَ﴾ مَرْفوع بـ﴿الٓمٓ﴾، و﴿الٓمٓ﴾ بِه، و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ نَعت لـ﴿ذَٰلِكَ﴾.

وَقد يَحتَمِل أنْ يكون نَصْبًا على القَطْع مِنْ راجِعِ ذِكْرِ ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي في ﴿فِيهِ﴾، فَيكون معنى ذلك حينَئِذٍ: الٓمٓ الذي لا رَيْب فيه هاديًا.

وَقد يَحتَمِل أنْ يكون أيْضًا نَصْبًا على هَذَيْنِ الوَجهَيْنِ، أعْني على وجه القَطْع من الهاء التي في ﴿فِيهِ﴾، ومن ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ على أنَّ ﴿الٓمٓ﴾ كَلام تامٌّ، كما قال ابن عبَّاس: إنَّ معناه: أنا الله أعْلَم. ثُمَّ يكون ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ خَبَرًا مُسْتأنَفًا، فَيُرْفَع حينَئِذٍ الكِتاب بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ و﴿ذَٰلِكَ﴾ بِـ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾، ويكون ﴿هُدًى﴾ قَطْعًا من ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾، وعلى أنْ يُرْفَع ﴿ذَٰلِكَ﴾ بالهاءِ العائِدةِ عليه التي في ﴿فِيهِ﴾، و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ نَعت له، والهُدَى قَطْع من الهاء التي في ﴿فِيهِ﴾. وإنْ جُعِلَ الهُدَى في موضِعِ رَفْعٍ لم يَجُزْ أنْ يكون ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ إلاَّ خَبَرًا مُسْتأنَفًا و﴿الٓمٓ﴾ كَلامًا تامًّا مُكْتَفيًا بِنَفْسِه إلاَّ من وَجه واحِد، وهو أنْ يُرْفَع حينَئِذٍ ﴿هُدًى﴾ بِمعنى المَدْح كما قال الله جَلَّ ثناؤه: (الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُحْسِنِينَ) [لقمان: ١-٣] في قِراءة مَنْ قَرأ: (رَحْمةٌ) بالرَّفْع على المَدْح لِلآياتِ.

والرَّفع في ﴿هُدًى﴾ حينَئِذٍ يجوز من ثَلاثة أوْجه:

أحَدُها: ما ذَكَرْنا من أنَّه مَدْحٌ مُسْتأنَف.

والآخَر: على أنْ يجْعَل مُرافِع ﴿ذَٰلِكَ﴾، و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ نَعت لـ﴿ذَٰلِكَ﴾.

والثَّالِث: أنْ يجْعَل تابِعًا لِموضِعِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، ويكون ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ مَرْفوعًا بالعائِدِ في ﴿فِيهِ﴾، فَيكون كما قال تعالى ذِكْرُه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢، ١٥٥].

وَقد زَعَمَ بعض المُتَقَدِّمينَ في العِلْم بالعربيَّةِ من الكوفيِّينَ أنَّ ﴿الٓمٓ﴾ مُرافِع ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ بِمعنى: هذه الحُروف من حُروف المُعْجَم، ذلك الكِتاب الذي وعدْتُك أنْ أوحيه إليك. ثُمَّ نَقَضَ ذلك من قوله فَأسرَعَ نَقْضه، وهَدَمَ ما بَنَى فَأسرَعَ هَدْمه، فَزَعَمَ أنَّ الرَّفْع في ﴿هُدًى﴾ من وجهَيْنِ والنَّصْب من وجهَيْنِ، وأنَّ أحَد وجهَي الرَّفْع أنْ يكون ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ نَعْتًا لـ﴿ذَٰلِكَ﴾، والهُدَى في موضِعِ رَفْعِ خَبَرٌ لـ﴿ذَٰلِكَ﴾ كَأنَّك قُلْت: ذلك هُدًى لا شَكَّ فيه. قال: وإنْ جَعَلْت ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خَبَرَهُ رَفَعْتَ أيْضًا ﴿هُدًى﴾ بِجَعْلِه تابِعًا لِموضِعِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ كَما قال الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كَأنَّه قال: وهذا كِتابٌ هُدًى من صِفَته كذا وكذا. قال: وأمَّا أحَد وجهَي النَّصْب، فَأنْ تَجْعَل ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ خَبَرًا لـ﴿ذَٰلِكَ﴾ وَتَنْصِب ﴿هُدًى﴾ على القَطْع؛ لأنَّ ﴿هُدًى﴾ نَكِرة اتَّصَلَتْ بِمُعْرِفةٍ وقد تَمَّ خَبَرُها فَنَصَبَتْها؛ لأنَّ النَّكِرَةَ لا تَكون دَليلاً على معرِفةٍ، وإنْ شِئْت نَصَبْت ﴿هُدًى﴾ على القَطْعِ من الهاء التي في ﴿فِيهِ﴾ كَأنَّك قُلْت: لا شَكَّ فيه هاديًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَتَرَكَ الأَصْلَ الذي أصَّلَه في ﴿الٓمٓ﴾ وَأَنَّها مَرْفوعة بـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ وَنَبَذَه وراءَ ظَهْرِه، واللَّازِم كان له على الأَصْلِ الذي أَصَّلَه ألَّا يُجيز الرَّفْع في ﴿هُدًى﴾ بحالٍ إلَّا من وجه واحدٍ، وذلك من قِبَلِ الاستِئْناف إذْ كان مَدْحًا، فَأَمَّا على وجه الخَبَر لِـ﴿ذَٰلِكَ﴾، أو على وجه الإِتْباع لِموضِعِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فَكان اللَّازِم له على قوله أنْ يكون خَطَأً؛ وذلك أنَّ ﴿الٓمٓ﴾ إذا رَفَعَت ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ فلا شَكَّ أنَّ ﴿هُدًى﴾ غَيْرُ جائزٍ حينَئِذٍ أنْ يكون خَبَرًا لـ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى المُرافِع له، أو تابِعًا لِموضِعِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ لأنَّ موضِعَهُ حينَئِذٍ نَصْبٌ؛ لِتَمامِ الخَبَرِ قَبْلَه وانقِطاعه - بِمُخالَفَتِه إيَّاه - عنه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

٢٦٠- حَدَّثَنا سُفيان بن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي عن سُفْيان، عن رَجُل، عن الحسن قوله: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال: اتَّقَوْا ما حُرِّمَ عليهم وأَدَّوْا ما افتُرِضَ عليهم [(١)].

٢٦١- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذينَ يَحْذَرونَ من الله عَزَّ وجَلَّ عُقوبَته في تَرْك ما يَعْرِفونَ من الهُدَى، ويَرْجونَ رَحْمَته بالتَّصْديقِ بما جاء منه [(٢)].

٢٦٢- حَدَّثَني موسَى بن هارونَ قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِحٍ، عن ابنِ عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيِّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: هم المُؤمِنونَ [(٣)].

٢٦٣- حَدَّثَنا أبو كُرَيْبٍ قال: حَدَّثَنا أبو بَكْر بن عَيَّاش، قال: سَأَلَني الأَعْمَش عن المُتَّقِينَ، قال: فَأَجَبْته، فقال لي: سَلْ عنها الكَلْبيّ. فَسَأَلته فقال: الذينَ يجتَنِبونَ كَبائِر الإِثْم. قال: فَرَجَعْت إلى الأَعْمَش، فقال: نُرَى أنَّه كذلك. ولم يُنْكِرهُ [(٤)].

٢٦٤- حَدَّثَني المُثَنَّى بن إبراهيم الطَّبَريُّ، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج عن عبد الرَّحْمَن بن عبد اللَّه، قال: حَدَّثَنا عُمَرُ أبو حَفْص، عن سَعيد بنِ أبي عَروبة، عن قَتادةَ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: مَن هم؟ نَعَتَهُم ووَصَفَهُم فَأَثْبَتَ صِفَتهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [(٥)].

---

(١) [ضعيف] فيه الرجل المبهم عن الحسن، وسفيان بن وكيع ضعيف.

(٢) [ضعيف جدًّا] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح هنا ولكنه صرح كما عند ابن أبي حاتم في التفسير، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان، ومداره على سلمة.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [صحيح] سنده متصل، ورجاله كلهم ثقات إلا الكلبي ولكنه لم يرو فيه أحد.

(٥) [ضعيف] شيخ المصنف تقدم كونه مجهول الحال، وعمر أبي حفص لا أدري من يكون، وعبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي ثقة، وسعيد بن أبي عروبة اختلط.

٢٦٥- حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشر بن عُمَّارةَ، عن أبي رَوْق عن الضَّحَّاك عن ابن عَبَّاس: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ قال: للمُؤمِنينَ الذينَ يَتَّقونَ الشِّرْك ويَعْمَلونَ بِطاعَتي [١].

وَأولَى التَّأويلات بِقولِ الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ تأويلُ من وصَف القَوْم بأنَّهم الذينَ اتَّقوا الله تَبارَكَ وتعالى في رُكوب ما نَهاهم عن رُكوبه، فَتَجَنَّبوا مَعاصيه واتَّقوْه فيما أمَرَهم به من فَرائِضه فَأطاعوه بِأدائِها، وذلك أنَّ الله جَلَّ ثناؤه أبْهَمَ وصَفَهم بالتَّقْوَى فَلم يَخصُر تَقْواهم إيَّاه على بعض ما هو جلَّ ثناؤه أهلٌ له منهم دون بعض، فَلَيْسَ لأحَدٍ من النَّاس أنْ يَخصُر معنى ذلك على وصْفهم بِشَيْءٍ من تَقْوَى الله عَزَّ وجَلَّ دون شَيْء إلاَّ بِحُجَّةٍ يجِب التَّسْليم لها؛ لأنَّ ذلك من صِفة القَوْم لو كان محصورًا على خاصٍّ من مَعاني التَّقْوَى دون العامِّ منها لم يَدَع الله جَلَّ ثَناؤه بَيان ذلك لِعِبادِه، إمَّا في كِتابه، وإمَّا على لِسان رَسوله ﷺ؛ إذْ لم يكُنْ في العَقْل دَليل على استِحالة وصْفهم بِعُمومِ التَّقْوَى.

فَقد تَبَيَّنَ إذن بِذلكَ فَساد قول مَنْ زَعَمَ أنَّ تأويل ذلك إنَّما هوَ: الذينَ اتَّقوا الشِّرْك وبَرِءوا من النِّفاق؛ لأنَّه قد يكون كذلك وهو فاسِق غَيْر مُسْتَحَقّ أنْ يكون من المُتَّقينَ، إلاَّ أنْ يكون عند قائِل هذا القول معنى النِّفاق رُكوب الفَواحِش التي حَرَّمَها الله جَلَّ ثَناؤه وتَضْييع فَرائِضه التي فَرَضَها عليه، فَإنَّ جَماعة من أهل العِلْم قد كانتْ تُسَمِّي من كان كذلك مُنافِقًا، فَيكون - وإنْ كان مُخالِفًا في تَسْميَته مَنْ كان كذلك بهذا الاسم - مُصيبًا تأويل قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾

٢٦٦- حدثنا مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ الرَّازيُّ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضل، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ قال: يُصَدِّقونَ [٢].

٢٦٧- حدثني يَحيَى بن عُثمان بن صالِح السَّهْميُّ، قال: حَدَّثَنا أبو صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقونَ [٣].

٢٦٨- حدثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يَخْشَوْنَ [٤].

٢٦٩- حدثنا مُحَمَّد بن عبد الأعْلَى الصَّنْعانيُّ، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن ثَوْر عن مَعْمَر، قال:

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٤) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

قال الزُّهْريّ: الإيمان: العَمَل[١].

٢٧٠- **وحُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر عن أبيه عن العَلاء بن المُسَيِّب بن رافِع، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوَص عن عبد اللّه، قال: الإيمان: التّصْديق[٢].

وَمعنى الإيمان عند العرب: التّصْديق، فَيُدعى المُصَدِّق بالشَّيْءِ قولاً مُؤمِنًا به، ويُدْعى المُصَدِّق قوله بِفِعْلِه مُؤمِنًا، ومن ذلك قول الله جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] يَعْني: وما أنتَ بِمُصَدِّقٍ لنا في قولنا. وقد تَدْخُل الخَشْية لِلّه في معنى الإيمان الذي هو تَصْديق القول بالعَمَلِ.

والإيمان كَلِمة جامِعة لِلإِقْرارِ باللّه وكُتُبه ورُسُله، وتَصْديق الإقْرار بالفِعْلِ، فإذ كان ذلك كذلك، فالذي هو أولَى بِتأويلِ الآية وأشبَهَ بِصِفةِ القَوْم أنْ يكونوا موصوفينَ بالتّصْديقِ بالغَيْبِ، قولاً، واعْتِقادًا، وعَمَلاً؛ إذْ كان جَلَّ ثَنَاؤه لم يَخْصُرهم من معنى الإيمان على معنًى دون معنًى، بل أجْمَلَ وصْفَهم به من غَيْر خُصوص شَيْء من مَعانيه أخْرَجَه من صِفَتهم بِخَبَرٍ ولا عَقْلٍ.

القول في تأويل قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾

٢٧١- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ الرَّازيُّ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: بِما جاء منه، يَعْني من الله جَلَّ ثَنَاؤهُ[٣].

٢٧٢- **حَدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِحٍ، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيِّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: أمَّا (الغَيْب): فَما غابَ عن العِباد من أمْر الجَنَّة وأمْر النَّار، وما ذَكَرَ الله تَبارَكَ وتعالى في القُرْآن، لم يكُنْ تَصْديقهم بِذلك - يَعْني المُؤمِنينَ من العرب - من قِبَل أصْلِ كِتاب أو عِلْم كان عندهم[٤].

٢٧٣- **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قال: حَدَّثَنا سُفْيان عن عاصِم، عن زِرٍّ، قال: الغَيْب: القُرْآن[٥].

٢٧٤- **حَدَّثَنا** بِشْر بن مُعاذ العَقَديُّ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، عن سَعيد بن أبي عَروبة،

---

(١) [صحيح] للزهري، رجاله كلهم ثقات وسنده متصل.

(٢) [ضعيف] فهو من تعليقات المصنف كما ترى، ولو أسنده لكان حسنًا.

(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [حسن] من أجل عاصم بن بهدلة، وبقية رجاله تقدموا.

عن قَتادةَ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: آمَنوا بالجنَّةِ والنَّار والبعْث بعد الموت وبيومِ القيامة، وكُلّ هذا غَيْب[(١)].

٢٧٥- **حُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾: آمَنوا باللّه ومَلائِكته ورُسُله واليوم الآخِر وجَنَّته وناره ولِقائِه، وآمَنوا بالحَياةِ بعد الموت، فَهذا غَيْبٌ كله[(٢)].

وَأصْل الغَيْب: كُلّ ما غابَ عنك من شَيْء، وهو من قولك: غابَ فُلان يَغيب غَيْبًا.

وَقد اختَلَفَ أهل التَّأويل في أعْيانِ القَوْم الذينَ أنزَلَ الله جَلَّ ثَنَاؤه هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ من أوَّل هذه السّورة فيهم، وفي نَعْتهم وصِفَتهم التي وَصَفَهم بها من إيمانهم بالغَيْبِ، وسائِر المَعاني التي حَوَتْها الآيَتانِ من صِفاتهم غَيْره:

فَقال بعضهم: هم مُؤْمِنو العرب خاصّة، دون غَيْرهم من مُؤْمِني أهل الكِتابين.

واستَدَلّوا علي صِحَة قولهم ذلك وحَقيقة تأويلهم بالآيةِ التي تَتْلو هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ، وهو قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ قالوا: فَلم يكُنْ لِلْعَرَبِ كِتاب قَبْل الكِتاب الذي أنزَلَه الله عَزَّ وجَلَّ على مُحَمَّد ﷺ تَدين بِتَصْديقِه والإقْرار والعَمَل به، وإنّما كان الكِتاب لأهلِ الكِتابير نَيْرها.

قالوا: فَلَمَّا قَصَّ الله جَلَّ ثناؤه نَبأ الذينَ يُؤْمِنونَ بما أُنزل إلى مُحَمَّد وما أُنزل من قَبْله بعد اقْتِصاصه نَبأ المُؤْمِنينَ بالغَيْبِ - عَلِمْنا أنَّ كُلّ صِنْف منهم غَيْر الصِّنْف الآخَر، وأنّ المُؤْمِنينَ بالغَيْبِ نَوْع غَيْر النَّوْع المُصَدِّق بالكِتابينِ اللَّذَيْنِ أحَدهما مُنَزَّل على مُحَمَّد ﷺ، والآخَر منهُما على مَنْ قَبْله من رُسُل الله عزَّ وجلَّ.

قالوا: وإذ كان ذلك كذلك صَحَّ ما قُلْنا من أنَّ تأويل قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ إنَّما هو: الذينَ يُؤْمِنونَ بما غابَ عنهم من الجنَّة والنَّار والثَّواب والعِقاب والبعْث، والتَّصْديق باللّه ومَلائِكته وكُتُبه ورُسُله وجَميع ما كانتِ العرب لا تَدين به في جاهِلِيَّتها، مِما أوْجَبَ الله جَلَّ ثَناؤه على عِباده الدِّيْنونة به دون غَيْرهِمْ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٧٦- **حَدّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثنا أسباطُ عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عنِ ابن عَبَّاس؛ وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: أمَّا ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فَهم المُؤمِنونَ من العرب، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: أمَّا الغَيْب: فَما غابَ عن العِباد من أمْر

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف فهو صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.
(٢) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف.

الجَنَّة والنَّار، وما ذَكَرَ الله في القُرْآن. لم يكُنْ تَصْديقهم بذلك من قِبَل أصْلِ كِتاب أو عِلْم كان عندهم. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ هؤلاء المُؤمِنونَ من أهل الكِتاب[1].

وَقال بعضهم: بل نَزَلَتْ هذه الآيات الأرْبَع في مُؤمِني أهل الكِتاب خاصّة؛ لإيمانِهم بالقُرْآنِ عند إخبار الله جَلَّ ثَنَاؤه إيَّاهم فيه عن الغُيوب التي كانوا يُخْفونَها بينهم ويُسِرّونَها، فَعَلِموا عند إظْهار الله جَلَّ ثَنَاؤه نَبيّه ﷺ على ذلك منهم في تَنْزيله أنّه من عند الله جَلَّ وعَزَّ، فَآمَنوا بالنَّبيِّ ﷺ وصَدَّقوا بالقُرْآنِ وما فيه من الإخبار عن الغُيوب التي لا عِلْم لهم بها لِما استَقَرَّ عندهم بالحُجّةِ التي احْتَجَّ الله تَبارَكَ وتعالى بها عليهم في كِتابه، من الإخبار فيه عَمَّا كانوا يكْتُمونَه من ضَمائِرهِمْ - أنَّ جَميع ذلك من عند الله.

وَقال بعضهم: بل الآيات الأرْبَع من أوَّل هذه السّورة أُنْزِلَتْ على مُحَمَّد ﷺ بِوَصْفِ جَميع المُؤمِنينَ الذينَ ذلك صِفَتهم من العرب، والعَجَم، وأهل الكِتابينِ سِواهم، وإنّما هذه صِفة صِنف من النَّاس، والمُؤمِن بِما أَنْزَلَ الله على مُحَمَّد ﷺ وما أُنْزِلَ من قَبْله هو المُؤمِن بالغَيْبِ.

قالوا: وإنّما وصَفَهم الله بالإيمانِ بِما أُنْزِلَ إلى مُحَمَّد وبِما أُنْزِلَ إلى مَنْ قَبْله بعد تَقَضّي وصْفه إيَّاهم بالإيمانِ بالغَيْبِ؛ لأنَّ وصْفه إيَّاهم بِما وصَفَهم به من الإيمان بالغَيْبِ كان معنيًّا به أنَّهم يُؤمِنونَ بالجَنَّةِ والنَّار والبعْث، وسائِر الأُمور التي كَلَّفَهم الله جَلَّ ثَنَاؤه بالإيمانِ بها مِمَّا لم يَرَوْه ولم يَأتِ بعد مِمَّا هو آتٍ، دون الإخبار عنهم أنَّهم يُؤمِنونَ بِما جاء به مُحَمَّد ﷺ ومَنْ قَبْله من الرُّسُل ومن الكُتُب.

قالوا: فَلَمَّا كان معنى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: غَيْرَ موجود في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ كانتِ الحاجة من العِباد إلى معرِفتهم صِفَتَهُم بذلك ليَعْرِفوهُم، نَظيرَ حاجَتهم إلى معرِفَتهم بالصِّفةِ التي وُصِفوا بها من إيمانهم بالغَيْبِ ليَعْلَموا ما يُرْضي الله من أفعالِ عِباده، ويُحِبّه من صِفاتهم، فَيكونوا به إنْ وفَّقَهم له رَبّهمْ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٧٧- **حَدَّثني** مُحَمَّد بن عَمْرو بن العَبَّاس الباهِليّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم الضَّحَّاك بن مَخْلَدٍ، قال: حَدَّثَنا عيسَى بن مَيْمون المَكّيّ، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: أرْبَع آيات من سورة البقَرة في نَعْت المُؤمِنينَ، وآيَتانِ في نَعْت الكافِرينَ، وثَلاث عَشرة في المُنافِقينَ[2].

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

٢٧٨- **حَدَّثنا** سُفيان بن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي عن سُفيان، عن رَجُل، عن مُجاهِد بِمِثْلِهِ (١).

٢٧٩- **وحَدَّثني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا موسَى بن مسعود، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله (٢).

٢٨٠- **وحُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه عن الرَّبيع بن أنَس، قال: أربَع آيات من فاتِحة هذه السّورة - يَعْني سورة البقَرة - في الذينَ آمَنوا، وآيَتانِ في قادة الأحزاب (٣).

وَأولَى القولَيْنِ عندي بالصَّوابِ، وأشبَهُهما بِتأويلِ الكِتاب: القول الأوَّل، وهو: أنَّ الذينَ وصَفَهم الله تعالى ذِكْره بالإيمانِ بالغَيْبِ، وما وصَفَهم به جَلَّ ثَناؤه في الآيَتَيْنِ الأوَّلَتَيْنِ؛ غَيْرُ الذينَ وصَفَهم بالإيمانِ بالذي أُنْزِلَ على مُحَمَّد والذي أُنْزِلَ على مَنْ قَبْله من الرُّسُل؛ لِما ذَكَرْت من العِلَل قَبْلُ لِمَنْ قال ذلك.

وَمِمَّا يَدُلّ أيضًا مع ذلك على صِحَّة هذا القول: أنَّه جَنَّسَ - بعد وصْف المُؤمِنينَ بالصِّفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وصَفَ، وبعد تَصْنيفه كُلَّ صِنْف منهُما على ما صَنَّفَ الكُفَّار - جِنْسَيْنِ، فَجَعَلَ أحَدهما مَطْبوعًا على قَلْبه مَخْتومًا عليه مَأيوسًا من إيمانه، والآخَر مُنافِقًا يُرائي بِإظْهارِ الإيمان في الظَّاهِر، ويَسْتَسِرُّ النِّفاق في الباطِن، فَصَيَّرَ الكُفَّار جِنْسَيْنِ كما صَيَّرَ المُؤمِنينَ في أوَّل السّورة جِنْسَيْنِ، ثُمَّ عَرَّفَ عِبادَه نَعْت كُلِّ صِنْف منهم وصِفَتهم، وما أعَدَّ لِكُلِّ فَريقٍ منهم من ثَوابٍ أو عِقاب، وذَمَّ أهل الذَّمِّ منهم، وشَكَرَ سَعْي أهل الطَّاعة منهم.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾

وإقامَتها: أداؤُها بِحُدودِها وفُروضها والواجِب فيها على من فُرِضَتْ عليه، كما يُقال: أقامَ القَوْم سوقهم، إذا لم يُعَطِّلوها من البيْع والشِّراء فيها، وكَما قال الشَّاعِر:

أقَمْنا لأهلِ العِراقَيْنِ سوق الضِّـ ـضِراب فَخاموا ووَلَّوْا جَميعا (٤)

وَكَما:

٢٨١- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن

---

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا إسناد ضعيف من أجل الرجل المبهم عن مجاهد، وسفيان بن وكيع ضعيف.
(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل موسى بن مسعود ضعيف يكتب حديثه، والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال.
(٣) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف.
(٤) [المتقارب] القائل: شاعر غير معروف اسمه. اللغة: العراقين: الكوفة والبصرة. وخام في الحرب عن قرنه بخيم خيمًا: جبن ونكص وانكسر. ولوا جميعا: هربوا جميعا. المعنى: يتحدث الشاعر عن إقامة سوق الضراب لأهل العراق.. وأهنم عندما أقيم لهم هذا السوق انكسر الجبناء وخافوا فهربوا جميعًا.

مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: الذينَ يُقيمونَ الصَّلاة بِفَرْضِها(١).

٢٨٢- حَدَّثَنا أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال: إقامة الصَّلاة: تَمام الرُّكوع والسُّجود والتِّلاوة والخُشوع والإقْبال عليها فيها(٢).

٢٨٣- حَدَّثَني يَحْيَى بن أبي طالِب، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا جوَيْبِر عن الضَّحَّاك في قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يَعْني الصَّلاة المَفْروضة(٣).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾

وَأمَّا الصَّلاةُ في كَلام العرب فإنَّها الدُّعاء كما قال الأعْشَى:

لَها حارِسٌ لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَها ... وإنْ ذُبِحَتْ صَلَّى عليها وزَمْزَما(٤)

يَعْني بِذلك: دَعا لها. وكَقولِ الآخَرِ أيْضًا:

وَقابَلَها الرِّيحَ في دَنِّها ... وَصَلَّى على دَنِّها وارْتَسَمْ(٥)

وَأرَى أنَّ الصَّلاة المَفْروضة سُمِّيَتْ صَلاة؛ لأنَّ المُصَلِّي مُتَعَرِّض لاِسْتِنْجاحِ طِلْبَته من ثَواب الله بِعَمَلِه مع ما يَسْأل رَبَّه فيها من حاجاته تَعرُّضَ الدَّاعي بِدُعائِه رَبّه اسْتِنْجاح حاجاته وسُؤلِهِ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

اختَلَفَ المُفَسِّرونَ في تأويل ذلك، فَقال بعضهم بِما:

٢٨٤- حَدَّثَنا به ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [ضعيف جدًا] جويبر بن سعيد الأزدي متروك.

(٤) [الطويل] القائل: الأعشى، تقدم. اللغة: يَبرح: يترك. الدهر: الزمن. وزمزم العلج من الفرس: إذا تكلف الكلام عند الأكل وهو مطبق فمه بصوت خفي لا يكاد يفهم. وفعلهم ذلك هو الزمزمة. (ذبحت) أي بزلت وأزيل ختمها. وعندئذ يدعو مخافة أن تكون فاسدة، فيخسر. المعنى: يتحدث الشاعر هنا عن القوافل التجارية فيقول: إن لها حارس موجود دائمًا وباستمرار طيلة الزمن في مكانها ولا يتركه هذا المكان أبدًا... حتى إن بزلت وأزيل ختمها فإنه سوف يحافظ عليها.

(٥) [المتقارب] القائل: الأعشى. اللغة: وقابلها الريح: أي جعلها قبالة مهب الريح. وارتسم الرجل: كبَّر ودعا وتعوذ. المعنى: مازال الشاعر يتحدث عن القوافل التجارية وعن طريقة حمايته لها فيقول: إن الحارس عند بزلها وإزالة ختمها يجعلها قبالة مهب الريح.. وعندما يراها صاحبها يُكبِّر ويدعو الله مخافة أن يجدها قد فسدت، فتبور تجارته.

مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال: يُؤْتُونَ الزَّكاة احْتِسابًا لها [١].

٢٨٥- **حَدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن صالِح، عن مُعاوية بن صالح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال: زَكاةَ أموالهِمْ [٢].

٢٨٦- **حَدَّثني** يَحْيَى بن أبي طالِب، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: أخبرَنا جوَيْبِر عن الضَّحَّاك: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال: كانتِ النَّفَقات قُرْبانًا يَتَقَرَّبونَ بها إلى الله على قدر مَيْسورهم وجُهْدهم، حتَّى نَزَلَتْ فَرائِض الصَّدَقات سَبْع آيات في سورة بَراءة، مِمَّا يُذْكَر فيهِنَّ الصَّدَقات، هُنَّ المُثْبِتات النَّاسِخات [٣].

وَقال بعضهم بما:

٢٨٧- **حَدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: هي نَفَقة الرَّجُل على أهله، وهذا قَبْل أنْ تَنْزِل الزَّكاة [٤].

وَأولَى التَّأويلات بالآيةِ وأحَقُّها بِصِفةِ القَوْم أنْ يكونوا كانوا لِجَميعِ اللَّازِم لهم في أموالهم مُؤَدِّينَ، زَكاة كان ذلك أو نَفَقةَ مَنْ لَزِمَتْه نَفَقَته من أهل وعيال وغَيْرهم، مِمَّنْ تَجِب عليهم نَفَقته بالقَرابةِ والمِلْك وغَيْر ذلك؛ لأنَّ الله جَلَّ ثَناؤه عَمَّ وصْفهم؛ إذْ وصَفَهم بالإنْفاقِ مِمَّا رَزَقَهم، فَمَدَحهم بِذلك من صِفَتهم، فَكان معلومًا أنَّهم إذْ لم يَخْصُصْ مَدْحهم ووَصَفَهم بِنَوْع من النَّفَقات المحمود عليها صاحِبها دون نَوْع بِخَبَرٍ ولا غَيْره - أنَّهم موصوفونَ بِجَميعِ مَعاني النَّفَقات المحمود عليها صاحِبها من طيب ما رَزَقَهم رَبُّهم من أموالهم وأمْلاكِهم، وذلكَ الحَلال منه الذي لم يَشُبْه حَرام.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾

قد مَضَى البيان عن المَنعوتينَ بهذا النَّعْت، وأيُّ أجْناس النَّاس هم، غَيْر أنَّا نَذْكُر ما رويَ في ذلك عَمَّنْ رويَ عنه في تأويله قول:

٢٨٨- **فحَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) [ضعيف]محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٢) [ضعيف]أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه، والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال.
(٣) [ضعيف جدًا]جويبر بن سعيد الأزدي متروك الحديث.
(٤) [ضعيف]من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: يُصَدِّقونك بما جِئت به من الله جَلَّ وعَزَّ، وبما جاء به من قَبْلك من المُرْسَلينَ، لا يُفَرِّقونَ بينهم ولا يجْحَدونَ ما جاءوهم به من رَبّهم (١).

٢٨٩- حدثنا موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثنا أسباطُ عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: هؤلاء المُؤمِنونَ من أهل الكِتاب (٢).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝﴾

قَالَ أبُو جَعْفَر: أمَّا الآخِرة فَإنّها صِفة لِلدَّار، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وإنّما وُصِفَتْ بذلك لِمَصيرِها آخِرةً لِأُولَى كان قَبْلها، كما تَقول لِلرَّجُل: أنْعَمْت عليك مَرَّة بعد أُخْرَى فَلم تَشكُر لي الأولَى ولا الآخِرة. وإنّما صارَتِ الآخِرة آخِرة لِلأُولَى؛ لِتقَدُّم الأولَى أمامها، فَكَذلك الدَّار الآخِرة سُمّيَتْ آخِرة لِتَقَدُّم الدَّار الأولَى أمامها، فَصارَتِ التَّاليةُ لها آخِرةً، وقد يجوز أنْ تَكون وُصِفَتْ بأنها آخِرةٌ لِتأخُّرِها عن الخَلْق، كما سُمّيَتِ الدُّنيا دُنْيا لِدُنوِّها من الخَلْق.

وَأمَّا الذي وصَفَ الله جَلَّ ثَنَاؤه به المُؤمِنينَ بِما أنْزَلَ إلى نَبيّه مُحَمَّد ﷺ، وما أنْزَلَ إلى مَنْ قَبْله من المُرْسَلينَ - من إيقانهم به من أمْر الآخِرة - فهو إيقانهم بِما كان المُشْرِكونَ به جاحِدينَ، من البعْث والنَّشْر والثَّواب والعِقاب والحِساب والميزان، وغَيْر ذلك مِمّا أعَدَّ الله لِخَلْقِه يوم القيامة، كما:

٢٩٠- حدثنا به مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثنا سَلَمة عن مُحَمَّد بن إسحاق عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أيْ: بالبعْثِ والقيامة والجَنَّة والنَّار والحِساب والميزان، أيْ: لا هؤلاء الذينَ يَزْعُمونَ أنّهم آمَنوا بما كان قَبْلك ويكفُرونَ بِما جاءك من رَبّك (٣).

وَهذا التَّأويل من ابن عَبَّاس قد صَرَّحَ عن أنَّ السّورة من أوَّلها - وإنْ كانتِ الآيات التي في أوَّلها من نَعْت المُؤمِنينَ - تَعْريضٌ من الله عَزَّ وجَلَّ بِذَمّ الكُفَّار أهل الكِتاب الذينَ زَعَموا أنّهم بِما جاءتْ به رسل الله عَزَّ وجَلَّ الذينَ كانوا قَبْل مُحَمَّد ﷺ - مُصَدِّقونَ وهم بِمُحَمَّدٍ ﷺ مُكَذِّبونَ، ولِمَا جاء به من التّنْزيل جاحِدونَ، ويَدَّعونَ مع جُحودهم ذلك أنّهم مُهْتَدونَ، وأنّه لَنْ

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

يَدْخلَ الجنَّة إلاَّ مَنْ كان هودًا أو نَصارى فأكْذَبَ الله جَلَّ ثَناؤه ذلك من قِيْلهم بقولِه: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وأخبَرَ جَلَّ ثَناؤه عِباده أنَّ هذا الكِتاب هُدًى لأهلِ الإيمان بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وبِما جاء به، المُصَدِّقينَ بما أُنزِلَ إليه وإلى مَنْ قَبْله من رُسُله من البيِّنات والهُدَى خاصّة، دون من كذَّبَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبما جاء به، وادَّعى أنَّه مُصَدِّقٌ بِمَن قَبْل مُحَمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام من الرُّسُل وبما جاء به من الكُتُب، ثُمَّ أكَّدَ جَلَّ ثَناؤه أمْر المُؤمِنينَ من العرب ومن أهل الكِتاب المُصَدِّقينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبما أُنزِلَ إليه وإلى مَنْ قَبْله من الرُّسُل بِقولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فأخبَرَ أنَّهم هم أهل الهُدَى والفلاح خاصّة دون غَيْرهم، وأنَّ غَيْرهم هم أهل الضَّلال والخَسار.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾

اختلَفَ أهل التَّأويل فيمَنْ عَنَى الله جَلَّ ثَنَاؤه بقولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾:

فَقال بعضهم: عَنَى بِذلك أهلَ الصِّفَتَيْنِ المتقدمتين، أعْني المُؤمِنينَ بالغَيْبِ من العرب والمُؤمِنينَ بِما أُنزِلَ إلى مُحَمَّد ﷺ وإلى مَنْ قَبْله من الرُّسُل، وإيَّاهم جَميعًا وصَفَ بِأنَّهم على هُدًى منه وأنَّهم هم المُفْلِحونَ.

ذِكْر مَنْ قال ذلك من أهل التَّأويل:

٢٩١- **حَدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَره عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيِّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: أمَّا الذينَ يُؤمِنونَ بالغَيْب، فَهم المُؤمِنونَ من العرب، والذينَ يُؤمِنونَ بِما أُنزِلَ إليك: المُؤمِنونَ من أهل الكِتاب، ثُمَّ جمع الفَريقَيْنِ فَقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وَقال بعضهم: بل عَنَى بِذلك المُتَّقينَ الذينَ يُؤمِنونَ بالغَيْبِ، وهم الذينَ يُؤمِنونَ بِما أُنزِلَ إلى مُحَمَّد ﷺ، وبِما أُنزِلَ إلى مَنْ قَبْله من الرُّسُل.

وَقال آخَرونَ: بل عَنَى بِذلك الذينَ يُؤمِنونَ بِما أُنزِلَ إلى مُحَمَّد ﷺ، وبِما أُنزِلَ إلى مَنْ قَبْله، وهم مُؤمِنو أهل الكِتاب الذينَ صَدَّقوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبما جاء به، وكانوا مُؤمِنينَ من قَبْلُ بِسائِرِ الأنْبياء والكُتُب.

وَعلى هذا التَّأويل الآخَر، يَحْتَمِل أنْ يكون: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ في مَحَلّ خَفْض، ومَحَلّ رَفْع: فَأمَّا الرَّفْع فيه فَإنَّه يَأتيها من وجهَيْنِ:

أحَدهما: من قِبل العَطْف على ما في ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ من ذِكْر ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

والثَّاني: أنْ يكون خَبَرًا مُبْتَدأ، ويكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ مرافِعَها.

وَأمَّا الخَفْض فَعلى العَطف على ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

وإذا كانتْ معطوفة على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اتَّجَهَ لها وجهانِ من المعنى:

أَحَدهما: أنْ تَكون هيَ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ الأولَى من صِفة المُتَّقينَ، وذلك على تأويل مَنْ رَأى أنَّ الآيات الأرْبَع بعد ﴿الٓمٓ﴾ نَزَلَتْ في صِنْف واحِد من أصْناف المُؤمِنينَ.

والوَجْه الثَّاني: أنْ تَكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الثَّانية معطوفة في الإعْراب على ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ بمعنى الخَفْض، وهم في المعنى صِنف غَيْر الصِّنْف الأوَّل، وذلك على مَذْهَب من رَأى أنَّ الذينَ نَزَلَتْ فيهم الآيَتانِ الأولَتانِ من المُؤمِنينَ بعد قوله: ﴿الٓمٓ﴾ غَيْر الذينَ نَزَلَتْ فيهم الآيَتانِ الآخِرَتانِ اللَّتانِ تَليانِ الأوَّلَتَيْنِ. وَقد يَحْتَمِل أنْ تكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الثَّانية مَرْفوعة في هذا الوَجْه بِمعنى الائْتِنَاف، إذْ كانتْ مُبْتَدَأ بها بعد تَمام آية وانقِضاء قِصَّة.

وقد يجوز الرَّفْع فيها أيْضًا بنِيَّةِ الائْتِنَاف إذْ كانتْ في مُبْتَدَأ آية وإنْ كانتْ من صِفة المُتَّقينَ.

فالرَّفْع إذن يَصِحّ فيها من أرْبَعة أوْجُه، والخَفْض من وجهَيْن.

وَأولَى التَّأويلات عندي بِقولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ ما ذَكَرْت من قول ابن مسعود وابن عبَّاس، وأنْ تَكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الفَريقَيْنِ، أعْني المُتَّقينَ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، وتَكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مَرْفوعة بالعائِدِ من ذِكْرهم في قوله: ﴿عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ وأنْ تَكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الثَّانية معطوفة على ما قَبْل من الكَلام على ما قد بَيَّنَّاه.

وَإنّما رَأينا أنَّ ذلك أولَى التَّأويلات بالآيةِ؛ لأنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤه نَعَت الفَريقَيْنِ بِنَعْتِهِم المحمود ثُمَّ أثْنَى عليهم؛ فَلم يكُنْ عَزَّ وجَلَّ ليَخُصّ أحَد الفَريقَيْنِ بالثَّناءِ مع تَساويهِما فيما استَحَقَّا به الثَّناء من الصِّفات، كما غَيْر جائِز في عَدْله أنْ يَتَساوَيا فيما يَسْتَحِقَّانِ به الجَزاء من الأعْمال فَيَخُصّ أحَدهما بالجَزاءِ دون الآخَر ويُحْرِم الآخَر جَزاء عَمَله، فَكَذلك سَبيل الثَّناء بالأعْمالِ؛ لأنَّ الثَّناء أحَد أقْسام الجَزاء.

وَأمَّا معنى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ فَإنّ معنى ذلك أنَّهم على نور من رَبّهم وبُرْهان واستِقامة وسَداد بِتَسْديدِ الله إيَّاهم وتَوْفيقه لهم، كما:

٢٩٢- حدّثني ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ أيْ: على نور من رَبّهم، واستِقامة على ما جاءهم [1].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾

وَتأويل قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أيْ: أولَئِكَ هم المُنْجِحونَ المُدْرِكونَ ما طَلَبوا

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

عند الله تعالى ذِكْره بأعمالِهم وإيمانهم بالله وكُتُبه ورُسُله، من الفَوْز بالثّوابِ، والخُلود في الجِنان، والنَّجاة مِمَّا أعَدَّ الله تَبارَكَ وتعالى لأعدائِه من العِقاب، **كما:**

٢٩٣- حدَّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: حَدَّثَنا ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أيْ: الذينَ أدْرَكوا ما طَلَبوا ونَجَوْا من شَرّ ما منه هَرَبوا [(١)].

وَمن الدَّلالة على أنَّ أحَد مَعاني الفلاح إدْراك الطَّلِبَةِ والظَّفَرِ بالحاجةِ قولُ لَبيَدِ بن رَبيعة:

اعْـقِـلـي إنْ كُـنْـتِ لَـمَّـا تَـعْـقِـلـي ... وَلَـقَـد أفـلَـحَ مَـنْ كـان عَـقَـلْ [(٢)]

يَعْني ظَفِرَ بِحاجَتِه وأصابَ خَيْرًا. ومنه قول الرَّاجِز:

عَـدِمْـتُ أُمًّـا ولَـدَتْ رَيـاحـا
جـاءَتْ بـه مُـفَـرْكَـحًـا فِـرْكـاحـا
تَـحْـسِـبُ أنْ قـد ولَـدَتْ نَـجـاحـا
أشْـهَـدُ لا يَـزيـدُهـا فـلاحـا [(٣)]

يَعْني خَيْرًا وقُرْبًا من حاجَتِها.

والفلاح: مَصْدَر من قولك: أفلَحَ فُلان يُفْلِح إفلاحًا، وفلاحًا، وفَلَحًا، والفلاح أيْضًا البقاء، ومنه قول لَبيَدٍ:

نَـحُـلُّ بـلادًا كُـلّـهـا حُـلَّ قَـبْـلـنـا ... وَنَرْجو الفلاح بعد عادٍ وحِمْيَرِ [(٤)]

يُريد البقاء.

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [الرمل] القائل: لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري. أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ. يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا. وسكن الكوفة وعاش عمرًا طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات. اللغة: أفلح: ظفر بحاجته وأصاب خيرًا. المعنى: إن الشاعر هنا يخاطب صاحبته فيقول لها: اجعلي عقلك يعمل وتفكري في جميع الأمور بالعقل.. فقد فلح ونجح من كان يملك العقل.

(٣) [الرجز] القائل: أحد الرجّاز المشهورين في عصره. اللغة: والفركحة: تباعد ما بين الأليتين. والفركاح والمفركح منه، يعني به الذم وأنه لا يطيق حمل ما يحمّل في حرب أو مأثرة تبقى. فلاحا: خيرًا وقربًا من حاجتها. المعنى: إن الشاعر هنا يتوجه بالذم إلى خصمه ويهجوه هجاءً شديدًا فيدعو على الأم التي ولدت (رياحا) حيث جاءت به وهو ضعيف لا يستطيع حمل ما يُحمَّل في الحرب مثلاً... وهذه الأم تظن أنها قد ولدت خير ولد... ولكنه يخبرها أن هذا الولد لا يزيدها خيرًا وقربًا من حاجتها.

(٤) [الطويل] القائل: لَبيد بن ربيعة العامري تقدم. اللغة: نَحُلُّ: ننزل.
الفلاح: البقاء. المعنى: إن الشاعر هنا يرثي من هلك من قومه. وأنهم ينزلزن في بلاد نزل فيها أقوام أخرون، وهو يتمنى البقاء بعدما هلك قوم عاد وحمير.

ومنه أيْضًا قول عَبيد:

أفلِحْ بِما شِئْتَ فقد يُدْرَكُ بالضَّعْـ ـفِ وَقَـد يُـخْـدَعُ الأريـبُ(١)

يُريد: عِشْ وابْقَ بِما شِئْت. وكذلك قول نابغة بَني ذُبْيان:

وَكُـلّ فَـتًـى سَـتَـشْـعَـبُـه شَـعـوبٌ وإنْ أثْـرَى وإنْ لاقَـى فـلاحـا(٢)

أيْ: نَجاحًا بِحاجَتِه وبَقاء.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾

اختَلَفَ أهل التَّأويل فيمَنْ عُني بهذه الآية، وفيمَنْ نَزَلَتْ:

فَكان ابن عَبَّاس يقول، كما:

٢٩٤- **حَدَّثَنا** به مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، عن مُحَمَّد بن إسحاق عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أيْ: بِما أُنْزِلَ إليك من رَبّك، وإنْ قالوا: إنَّا قد آمَنَّا بِما قد جاءنا من قَبْلك(٣).

فكان ابن عَبَّاس يَرَى أنَّ هذه الآية نَزَلَتْ في اليَهود الذينَ كانوا بِنَواحي المَدينة على عَهْد رَسول الله ﷺ تَوْبيخًا لهم في جُحودهم نُبوّة مُحَمَّد ﷺ، وتَكْذيبهم به، مع عِلْمهم به ومعرِفَتهم بأنّه رَسول الله إليهم وإلى النَّاس كافّة. وقد:

٢٩٥- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: أنَّ صَدْر سورة البَقَرة

---

(١) [البسيط] القائل: عَبيد بن الأبرَص بن عوف بن جشم الأسدي، أبو زياد، من مضر. شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، وهو أحد أصحاب المجمهرات المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. عاصر امرؤ القيس وله معه مناظرات ومناقضات، وعمّر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه. اللغة: أفلح: عش وابق بما شئت. يُدْرَكُ: يتوصل إليه ويعرف. الأريبُ: أي ذُو دَهْي وبَصَرٍ. المعنى: يقول الشاعر: عش وابق بما شئت فإن ذو الدهاء والبصيرة قد ينخدع ولا يستطيع التوصل إلى شيء ولكن قد توصل إليه بالضعف.

(٢) [الوافر] القائل: النابِغَة الذُبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. كان حظيًا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنًا. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمرًا طويلاً. اللغة: وشعوب: اسم للمنية والموت، غير مصروف، لأنها تشعب الناس، أي تصدعهم وتفرقهم. وشعبته شعوب: أي حطمته من الألافه فذهبت به وهلك. فلاحا: نجاحًا بحاجته وبَقاءً. المعنى: يتحدث الشاعر هنا عن أن أي فتى سوف يلاقي منيته وسوف يموت مهما كان ناجحًا وأفلح في أن يبقى على قيد الحياة مدة من الزمن.. ولكنه في النهاية سوف يلاقي منيته.. وهذه حكمة عظيمة.

(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

إلى المِائة منها نَزَلَ في رِجال سَمَّاهم بِأعْيانِهم وأنسابهم من أحبار يَهود، ومن المُنافِقِينَ من الأوس والخَزْرَج. كَرِهْنا تَطْويل الكِتاب بِذِكْرِ أسمائِهم [١].

وَقد رويَ عن ابن عَبَّاس في تأويل ذلك قول آخر، وهو ما:

٢٩٦- **حَدَّثَني** به المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن صالِح، قال: حدَّثني معاوية بن صالح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: كان رَسول الله ﷺ يَحْرِص على أنْ يُؤمِن جَميع النَّاس، ويُتابِعوه على الهُدَى؛ فَأخْبَرَه الله جَلَّ ثَناؤه أنَّه لا يُؤمِن إلاَّ مَنْ سَبَقَ له من الله السَّعادة في الذِّكْر الأوَّل، ولا يَضِلّ إلاَّ مَنْ سَبَقَ له من الله الشَّقاء في الذِّكْر الأوَّل [٢].

وَقال آخَرون بما:

٢٩٧- **حُدِّثْت** به عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس، قال: آيَتانِ في قادة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال: وهم الذينَ ذَكَرَهم الله في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۝٢٨ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨: ٢٩]، قال: فَهم الذينَ قُتِلوا يوم بَدْر [٣].

وَأولَى هذه التَّأويلات بالآيةِ تأويلُ ابن عَبَّاس الذي ذَكَرَه مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عِكْرِمة أو عن سَعيد بن جُبَيْر عنهُ؛ وإنْ كان لِكُلِّ قول مِمَّا قاله الذينَ ذَكَرْنا قولهم في ذلك مَذْهَب.

فَأمَّا مَذْهَب من تأوَّلَ في ذلك ما قاله الرَّبيع بن أنَس، فهو أنَّ الله تعالى ذِكْرُه لَمَّا أخْبَرَ عن قَوْم من أهل الكُفْر بِأنَّهم لا يُؤمِنونَ، وأنَّ الإنْذار غَيْر نافِعهم، ثُمَّ كان من الكُفَّار مَنْ قد نَفَعَه الله بِإنْذارِ النَّبيّ ﷺ إيَّاه؛ لإيمانِه باللَّه وبالنَّبيّ ﷺ وما جاء به من عند الله بعد نُزول هذه السّورة؛ لم يَجُزْ أنْ تَكون الآية نَزَلَتْ إلاَّ في خَاصّ من الكُفَّار، وإذْ كان ذلك كذلك، وكانتْ قادة الأحزاب لا شَكَّ أنَّهم مِمَّنْ لم يَنْفَعه الله عَزَّ وجَلَّ بِإنْذارِ النَّبيّ ﷺ إيَّاه، حتَّى قَتَلَهم الله تَبارَكَ وتعالى بِأيْدي المُؤمِنينَ يوم بَدْر، عُلِمَ أنَّهم مِمَّنْ عَنَى الله جَلَّ ثَناؤه بهذه الآية.

وَأمَّا عِلَّتُنا في اختيارنا ما اختَرْنا من التَّأويل في ذلك، فَهيَ أنَّ قول الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عَقيب خَبَر الله جَلَّ ثَناؤه عن مُؤمِني أهل الكِتاب، وعَقيب نَعْتهم وصِفَتهم، وثَنائِه عليهم بِإيمانِهم به وبِكُتُبِه ورُسُله، فَأولَى الأُمور بِحِكْمةِ الله أنْ يُتْلَي ذلك الخَبَر عن كُفَّارهم ونُعوتهم وذَمّ أسبابهم وأحوالهم، وإظْهار شَتْمهم

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٢) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه، والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال.
(٣) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف.

والبراءة منهم؛ لأنَّ مُؤمِنيهم ومُشرِكيهم وإنْ اختلَفَتْ أحوالهم باختِلافِ أديانهم، فإنَّ الجِنْس يجْمَع جَميعهم بِأنّهم بَنو إسرائيل.

وَإنّما احْتَجَّ الله جَلَّ ثَناؤه بِأوّلِ هذه السّورة لِنَبيِّه ﷺ على مُشْرِكي اليَهود من أحبار بَني إسرائيلَ الذينَ كانوا مع عِلْمهم بِنُبوَّتِه مُنْكِرينَ نُبوَّته بِإظْهارِ نَبيّه ﷺ على ما كانتْ تُسِرّه الأحبار منهم وتَكْتُمه، فيَجْهَله عُظْمُ اليَهود وتَعْلَمه الأحبار منهم؛ لِيَعْلَموا أنَّ الذي أطلَعَه على عِلْم ذلك هو الذي أنْزَلَ الكِتاب على موسَى عليه السلام، إذْ كان ذلك من الأمور التي لم يكُنْ مُحَمَّد ﷺ ولا قَوْمُه ولا عَشيرَته يَعْلَمونَه ولا يَعْرِفونَه من قَبْل نُزول الفُرْقان على مُحَمَّد ﷺ، فيُمْكِنَهم ادِّعاء اللَّبْس في أمْره عليه الصَّلاة والسَّلام أنّه نَبيّ، وأنَّ ما جاء به فَمن عند اللّه. وأنّى يُمْكِنهم ادّعاء اللَّبْس في صِدْق أُمّيّ نَشَأ بين أُمّيّينَ لا يكْتُب، ولا يَقْرَأ، ولا يَحْسُب، فيُقال: قَرَأ الكُتُب فعَلِمَ أو حَسَبَ فَنَجَّمَ؟ انبعَثَ على أخبار قَرَأةٍ كَتَبَةٍ - قد دَرَسوا الكُتُب ورَأسوا الأُمَم - يُخْبِرهم عن مستور عُيوبهم، ومَصون عُلومهم، ومَكْتوم أخْبارهم، وخَفِيَّات أُمورهم التي جَهِلَها مَنْ هو دونهم من أحبارهِمْ؟! إنَّ أمْر مَنْ كان كذلك لَغَيْرُ مُشْكِل، وإنَّ صِدْقه والحمد لِلّه لَبَيِّن.

وَمِمَّا يُنْبِئ عن صِحّة ما قُلْنا - من أنَّ الذينَ عَنَى الله تعالى ذِكْره بِقولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هم أحبار اليَهود الذينَ قُتِلوا على الكُفْر وماتوا عليه - اقْتِصاصُ الله تعالى ذِكْره نَبأهم وتَذْكيره إيّاهم ما أخَذَ عليهم من العُهود والمَواثيقِ في أمْر مُحَمَّد ﷺ بعد اقْتِصاصه تعالى ذِكْره ما اقْتَصَّ من أمْر المُنافِقينَ واعْتِراضه بين ذلك بِما اعْتَرَضَ به من الخَبَر عن إبليس وآدَم في قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] الآيات، واحْتِجاجُه لِنَبيِّه عليهم بِما احْتَجَّ به عليهم فيها عند جُحودهم نُبوَّته، فإذا كان الخَبَر أوّلاً عن مُؤمِني أهل الكِتاب وآخِرًا عن مُشْرِكيهم، فأولَى أنْ يكون وسَطًا عنهم، إذْ كان الكَلام بعضُه لِبعضٍ تَبَع، إلاّ أنْ تأتيَ دَلالةٌ واضِحةٌ بِعُدولِ بعض ذلك عَمَّا ابْتُدِئَ به من مَعانيه، فيكون معروفًا حينَئِذٍ انصِرافُه عنه، وَأمَّا معنى الكُفْر في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فإنّه الجُحود، وذلك أنَّ الأحبار من يَهود المَدينة جَحَدوا نُبوّة مُحَمَّد ﷺ وسَتَروه عن النَّاس وكَتَموا أمْره، وهم يَعْرِفونَه كما يَعْرِفونَ أبناءَهم، وَأصْل الكُفْر عند العرب تَغْطيةُ الشَّيْء، ولِذلك سَمَّوْا اللَّيْل كافِرًا لِتَغْطيةِ ظُلْمَته ما لَبِسَتْه، كما قال الشّاعِر:

فَتَـذَكَّـرا ثَـقَـلًا رَثـيـدًا بـعـد مـا ... ألقَتْ ذُكاءُ يَمينها في كافِرِ (١)

(١) [الكامل] القائل: ثعلبة المازني، ثعلبة بن صُعير بن خزاعي المازني التميمي المري. شاعر جاهلي، من شعراء المفضليات، له قصيدة فيها من الطوال، أورد شارحها التبريزي نسبه إلى عدنان، وأشار القالي إلى ابتكاره بعض اللغة: في شعره ومنها بيت أخذ لبيد معناه. اللغة: الضمير في قوله (فتذكرا) للنعامة والظليم. والثقل: بيض النعام المصون، والعرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون: ثقل. ورثد المتاع وغيره فهو مرثود ورثيد: وضع بعضه فوق بعض ونضده. وعنى بيض النعام، والنعام تنضده وتسويه بعضه إلى بعض. وذكاء: هي الشمس. المعنى: يتوجه الشاعر في حديثه هنا إلى النعامة والظليم فيقول لهما: يجب عليكما أن تهتموا بالبيض وتحافظوا عليه وتصونوه وتقوموا بتسويته بعضه إلى بعض بعدما نشرت الشمس أشعتها على الأرض.

وكما قال لَبيد بن رَبيعة:

في لَيْلة كَفرَ النُّجوم غَمامُها(١)

يَعْني: غطَّاها. فَكَذلك الأحبار من اليَهود غطَّوْا أمْر مُحَمَّد ﷺ وكَتَموه النَّاس مع عِلْمِهم بنُبوَّتِه ووُجودهم صِفَتَه في كُتُبهِمْ، فَقال الله جَلَّ ثَنَاؤه فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة: ١٥٩] وهم الذينَ أنْزَلَ الله عزَّ وجَلَّ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾

وَتأويل ﴿سَوَآءٌ﴾: مُعْتَدِل، مَأخوذٌ من التَّساوي، كَقولِك: مُتَساوٍ هذانِ الأمْرانِ عندي، وهُما عندي سَواء؛ أيْ هُما مُتَعادِلانِ عندي، وَمنه قول الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[الأنفال: ٥٨] يَعْني بذلك: أعْلِمْهم وآذِنْهم بالحَرْبِ حتَّى يَسْتَويَ عِلْمك وعِلْمهم بِما عليه كُلُّ فَريق منهم لِلفَريقِ الآخَر.

فَكَذلك قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾: مُعْتَدِل عندهم أيُّ الأمْرَيْنِ كان منك إليهم الإنْذار أم تَرْك الإنْذار؛ لأنَّهم لا يُؤْمِنونَ، وقد خَتَمْتُ على قُلوبهم وسَمْعهِمْ. ومن ذلك قول عبد الله بن قيس الرُّقَيَّات:

تَقَدَّت بي الشَّهْباءُ نَحو ابن جَعْفَر ... سَواءٌ عليها لَيْلها ونَهارُها(٢)

يَعْني: بِذلك: مُعْتَدِل عندها في السَّيْر اللَّيْل والنَّهار؛ لأنَّه لا فُتور فيه.

ومنه قول الآخَر:

وَلَيْلٍ يقول المَرْء من ظُلُماته ... سَواءٌ صَحيحات العُيون وُعورها(٣)

---

(١) [الكامل] وصدر البيت هو: (يَعلو طَريقَةَ مَتنِها مُتَواتِرٌ). القائل: لَبيد بن ربيعة العامِري، تقدم. اللغة: غمامها: غطاءها. المعنى: يتحدث الشاعر هنا عن البقرة الوحشية، قد ولجت كناسها في أصل شجرة، والرمل يتساقط على ظهرها.

(٢) [الطويل] القائل: عُبَيد الله الرُّقَيّات، عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي، ابن قيس الرقيات. شاعر قريش في العصر الأموي. كان مقيمًا في المدينة. خرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان، ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير (مصعب وعبد الله) فأقام سنة وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فسأل عبد الملك في أمره، فأمّنه، فأقام إلى أن توفي. أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر. ولقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية. اللغة: أغذ السير وأغذ فيه: أسرع. وتقدى به بعيره: أسرع على سنن الطريق. والشهباء: فرسه، للونها الأشهب، وهو أن يشق سوادها أو كمتتها شعرات بيض حتى تكاد تغلب السواد أو الكمتة. المعنى: هنا الشاعر يمدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فيقول: إن فرسه السريع يسرع به نحو ابن جعفر سواء كان في الليل أو في النهار فلا فرق بين الاثنين عند فرسه.

(٣) [الطويل] القائل: مضرس بن ربعي الفقعسي، مضرس بن ربعي بن لقيط الأسدي. شاعر حسن التشبيه والرصف، أورد له البغدادي أبياتًا جيدة في وصف ليلة ويوم، ومقطوعة فيها حكمة. وقال: (هو شاعر جاهلي) واختار أبو تمام (في الحماسة) قطعتين من شعره. وروى له المزرباني عدة مقطوعات وقال: (له خبر مع الفرزدق) فإن صح هذا فلا يكون جاهليًا. اللغة: سواء: معتدل. المعنى: يقول الشاعر: في مثل هذا الليل الشديد الظلام فإن الإنسان لا يستطيع أن يرى شيئا سواء كان سليم العين أم لا.

لأنَّ الصَّحيح لا يُبْصِر فيه إلاَّ بَصَرًا ضَعيفًا من ظُلْمَته.

وأمَّا قوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فإنَّه ظَهَرَ به الكَلام ظُهور الاستِفْهام وهو خَبَر؛ لأنَّه وقَعَ موقِع (أيِّ)، كما تَقول: ما نُبالي أقُمْت أم قَعَدْت، وأنت مُخْبِر لا مُسْتَفْهِم لِوُقوع ذلك موقِع (أيِّ)، وذلك أنَّ معناه إذا قُلْت ذلك: ما نُبالي أيُّ هَذَيْنِ كان منك، فَكَذلك ذلك في قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ لَمَّا كان معنى الكَلام: سَواء عليهم أيُّ هَذَيْنِ كان منك إليهم، حَسُن في موضِعه مع ﴿سَوَآءٌ﴾: أفَعَلْت أم لم تَفْعَل.

وَقد كان بعض نَحْوِيِّي أهلِ البصْرةِ يَزْعُم أنَّ حَرْف الاستِفْهام إنَّما دَخَلَ مع ﴿سَوَآءٌ﴾ وَلَيْسَ باستِفْهام؛ لأنَّ المُسْتَفْهِم إذا استَفْهَمَ غَيْره فَقال: أزَيْد عندك أم عَمْرو؟ مُسْتَثْبِت صاحِبه أيّهما عنده، فَلَيْسَ أحدهما أحَقّ بالاستِفْهامِ من الآخَر، فَلَمَّا كان قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ بِمعنى التَّسْوية، أشْبَه ذلك الاستِفْهام إذْ أشْبَهه في التَّسْوية، وقد بَيَّنَّا الصَّواب في ذلك.

فتأويل الكَلام إذن: مُعْتَدِل يا مُحَمَّد على هؤلاء الذينَ جَحَدوا نُبوَّتك من أحبار يَهود المَدينة بعد عِلْمهم بها، وكتَموا بَيان أمْرك لِلنَّاسِ بِأنَّك رَسولي إلى خَلْقي، وقد أخَذْت عليهم العَهْد والميثاق ألا يكْتُموا ذلك وأنْ يُبَيِّنوه لِلنَّاسِ ويُخْبِروهم أنَّهم يجِدونَ صِفَتك في كُتُبِهِمْ؛ أأنْذَرْتهم أم لم تُنْذِرهم فإنّهم لا يُؤْمِنونَ ولا يَرْجِعونَ إلى الحَقّ ولا يُصَدِّقونَ بِك وبِما جِئْتهم بِهِ؛ كما:

٢٩٨- **حدَّثنا** مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثنا سَلَمة بن الفَضْل، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أيْ: أنَّهم قد كَفَروا بِما عندهم من ذِكْر وجَحَدوا ما أُخِذَ عليهم من الميثاق لَك؛ فقد كَفَروا بِما جاءك وبِما عندهم مِمَّا جاءهم به غَيْرك، فكيف يَسْمَعونَ منك إنْذارًا وتَحْذيرًا وقد كَفَروا بِما عندهم من عِلْمك؟[1]

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: وأصْل الخَتْم: الطَّبْع، والخاتَم: هو الطَّابِع، يُقال منه: خَتَمْت الكِتاب، إذا طَبَعْته.

فإنْ قال لنا قائِل: وكيفَ يُخْتَم على القُلوب، وإنّما الخَتْم طَبْع على الأوعية والظروف والغُلُفِ؟

قيل: فإن قلوبَ العبادِ أوعيةٌ لما أودِعت مِن العلوم، وظروفٌ لِما جُعِلَ فيها من المَعارِف بالأُمورِ، فَمعنى الخَتْم عليها وعلى الأسماع التي بها تُدْرَكُ المسموعات، ومن قِبَلِها يوصَل إلى

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

مَعْرِفة حَقائِق الأنباء عن المُغَيَّبات - نَظيرُ معنى الخَتْم على سائِر الأوعية والظُّروف.

فإنْ قال: فَهَلْ لِذلك من صِفة تَصِفُها لنا فَنَفْهَمَها؟ أهيَ مِثْل الخَتْم الذي يُعْرَف لَمَّا ظَهَرَ لِلأبْصارِ، أم هي بِخِلافِ ذلك؟

قِيلَ: قد اختَلَفَ أهل التَّأويل في صِفة ذلك، وسَنُخْبِرُ بِصِفَتِه بعد ذِكْرنا قولهمْ.

٢٩٩- **فحَدَّثَني** عيسَى بن عُثْمان بن عيسَى الرَّمْليُّ، قال: حَدَّثَنا يَحْيَى بن عيسَى، عن الأعْمَش، قال: أرانا مُجاهِد بيَدِه فَقال: كانوا يُرَوْنَ أنَّ القَلْب في مِثْل هذا - يَعْني الكَفّ - فَإذا أذْنَبَ العبد ذَنْبًا ضُمَّ منه - وقال بِإِصْبَعِه الخِنْصَر هَكَذا - فَإذا أذْنَبَ ضُمَّ - وقال بِإِصْبَع أُخْرَى - فَإذا أذْنَبَ ضُمَّ - وقال بِإِصْبَع أُخْرَى هَكَذا - حتَّى ضَمَّ أصابِعَه كُلَّها. قال: ثُمَّ يُطْبَع عليه بِطابَعٍ. قال مُجاهِد: وكانوا يُرَوْنَ أنَّ ذلك الرَّيْن (١).

٣٠٠- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا وكيع عن الأعْمَش، عن مُجاهِد، قال: القَلْب مِثْل الكَفّ، فَإذا أذْنَبَ ذَنْبًا قَبَضَ إصْبَعًا حتَّى يَقْبِض أصابِعَه كُلَّها. وكان أصْحابنا يُرَوْنَ أنَّه الرَّان (٢).

٣٠١- **حَدَّثَنا** القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن داود، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: حَدَّثَنا ابن جُرَيْج، قال: قال مُجاهِد: نُبِّئْت أنَّ الذُّنوب على القَلْب تَحُفُّ به من نَواحيه حتَّى تَلْتَقي عليه، فالْتِقاؤُها عليه الطَّبْعُ، والطَّبْع: الخَتْم. قال ابن جُرَيْج: الخَتْمُ، على القَلْب والسَّمْع (٣).

٣٠٢- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: حَدَّثَني عبد الله بن كَثيرٍ أنَّه سَمِعَ مُجاهَدًا يقول: الرَّان أيْسَر من الطَّبْع، والطَّبْع أيْسَر من الأقْفال، والأقْفال أشَدُّ ذلك كُلّه (٤).

وقال بعضهم: إنَّما معنى قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ إخبار من الله جَلَّ ثَناؤه عن تَكَبُّرهم وإعْراضهم عن الاستِماع لِما دُعوا إليه من الحَقّ، كما يُقال: إنَّ فُلانًا لأصَمّ عن هذا الكَلام، إذا امْتَنَعَ من سَماعه ورَفَعَ نَفْسه عن تَفَهُّمه تَكَبُّرًا.

والحَقّ في ذلك عندي ما صَحَّ بِنَظيره الخَبَر عن رَسول الله ﷺ وهو ما:

٣٠٣- **حَدَّثَنا** به مُحَمَّد بن بشار، قال: حَدَّثَنا صَفْوان بن عيسَى، قال: حَدَّثَنا ابن عَجْلان عن القَعْقاع، عن أبي صالِح، عن أبي هُرَيْرة قال: قال رَسول الله ﷺ: «**إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا**

---

(١) [ضعيف] يحيى بن عيسى الرملي ضعيف، وقد تابعه وكيع كما في الذي بعده.

(٢) [ضعيف] الأعمش مدلس ولابد من تصريحه بالسماع من مجاهد خاصة، وقد صرَّح في الذي قبله، ولكنَّ السند إليه ضعيف، وهنا السند إليه صحيح ولكنه لم يصرح.

(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس، ولم يسمع من مجاهد لا التفسير ولا غيره، وقد صرَّح بالوسطة في الذي بعده ولكنَّ السند إليه ضعيف، وكذلك هنا من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [ضعيف] تقدم قبله.

كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صُقِلَ قلبه، فإن زاد زادت حتى تُغْلِق قلبه؛ فذلك الرَّان الذي قال الله جل ثناؤه: ﴿كَلَّا بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»(١).

فَأَخْبَرَ ﷺ أنَّ الذُّنوب إذا تَتابَعَتْ على القُلوب أغْلَقَتْها، وإذا أغْلَقَتْها أتاها حينَئِذٍ الخَتْم من قِبَل الله عَزَّ وجَلَّ والطَّبْع، فلا يكون لِلإيمانِ إليها مسلَك، ولا لِلْكُفرِ منها مَخْلَصٌ، فَذلك هو الطَّبْع والخَتْم الذي ذَكَرَه الله تَبارَكَ وتعالى في قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ﴾ نَظير الطَّبْع والخَتْم على ما تُدْركه الأبْصار من الأوعية والظُّروف التي لا يوصَل إلى ما فيها إلاَّ بِفَضِّ ذلك عنها ثُمَّ حَلِّها، فَكَذلك لا يَصِل الإيمان إلى قُلوب من وصْف الله أنَّه خَتَمَ على قُلوبهم، إلاَّ بعد فَضّه خاتَمه وحَلِّه رِباطه عنها.

وَيُقال لِقائِلي القول الثَّاني الزَّاعِمينَ أنَّ معنى قوله جَلَّ ثَناؤه: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ﴾ هو وصَفُهم بالاستِكْبارِ والإعْراض عن الذي دُعوا إليه من الإقْرار بالحَقِّ تَكَبُّرًا: أَخْبِرونا عن استِكْبار الذينَ وصَفَهم الله جَلَّ ثَنَاؤه بهذه الصِّفة وإعْراضهم عن الإقْرار بِما دُعوا إليه من الإيمان وسائِر المَعاني اللَّواحِق به، أَفِعْلٌ منهم، أم فِعْل من الله جلَّ ثناؤه بهم؟

فَإنْ زَعَموا أنَّ ذلك فِعْلٌ منهم - وذلك قولهم - قِيلَ لهم: فَإنَّ الله جلَّ وعزَّ قد أخْبَرَ أنَّه هو الذي خَتَمَ على قُلوبهم وسَمْعهم، وكيفَ يجوز أنْ يكون إعْراض الكافِر عن الإيمان وتَكَبُّره عن الإقْرار به، وهو فِعْله عندكُم خَتْمًا من الله على قَلْبه وسَمْعه، وخَتْمُه على قَلْبه وسَمْعه فِعْلُ الله جَلَّ ذكره دون فِعْل الكافِر؟

فَإنْ زَعَموا أنَّ ذلك جازَ أنْ يكون كذلك؛ لأنَّ تَكَبُّره وإعْراضه كانا عن خَتْم الله على قَلْبه وسَمْعه، فَلَمَّا كان الخَتْم سَبَبًا لِذلك جازَ أنْ يُسَمى مُسَبِّبه بهِ - تَرَكوا قولهم، وأوجَبوا أنَّ الخَتْم من الله تعالى ذكره على قُلوب الكُفَّار وأسماعهم معنًى غَيْرُ كُفْر الكافِر وغَيْرُ تَكَبُّره وإعْراضه عن قَبول الإيمان والإقْرار به، وذلك دُخول فيما أنْكَروه.

وَهذه الآية من أوضَح الدَّليل على فَساد قول المُنْكِرينَ تَكْليف ما لا يُطاق إلاَّ بِمَعونةِ اللَّه جلَّ ذكره؛ لأنّ الله جَلَّ وعزَّ أخْبَرَ أنَّه خَتَمَ على قُلوب صِنْف من كُفَّار عِباده وأسماعهم، ثُمَّ لم يُسْقِط التَّكْليف عنهم ولم يَضَع عن أحَد منهم فَرائِضه ولم يُعْذِرهُ في شَيْء مِمَّا كان منه من خِلاف طاعَته بِسَبَبِ ما فَعَلَ به من الخَتْم والطَّبْع على قَلْبه وسَمْعه، بل أخْبَرَ أنَّ لِجَميعِهم منه عَذابًا عَظيمًا على

---

(١) [حسن] مداره على ابن عجلان أخرجه أحمد [٢/ ٢٩٧ (٧٩٣٩)] قال: حدَّثنا صفوان بن عيسى. وابن ماجة [٤٢٤٤] قال: حدَّثنا هشام بن عمار، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل، والوليد بن مسلم. والتِّرمِذي [٣٣٣٤] قال: حدَّثنا قُتَيبة، حدَّثنا الليث. والنَّسائي في الكبرى [١٠١٧٩ و١١٥٩٤] قال: أخبرنا قُتَيبة بن سعيد، حدَّثنا الليث. وابن حِبَّان [٩٣٠ و٢٧٨٧] قال: أخبرنا إسماعيل بن داود بن وَرْدان، بِمِصْر، قال: حدَّثنا عِيسَى بن حَمَّاد، قال: حدَّثنا اللَّيْث. أربعتهم (صفوان بن عيسى، وحاتم بن إسماعيل، والوليد بن مسلم، والليث بن سعد) عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، فذكره.

تَرْكهم طاعَته فيما أمَرَهم به ونَهاهم عنه من حُدوده وفَرائِضه مع حَتْمه القَضاءَ عليهم مع ذلك بِأنّهم لا يُؤمِنونَ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾

وَقوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾ خَبَرٌ مُبْتَدأٌ بعد تَمام الخَبَر عَمَّا خَتَمَ الله عليه من جَوارِح الكُفَّار الذينَ مَضَتْ قِصَصُهم، وذلك أنَّ ﴿غِشَـٰوَةٌ﴾ مَرْفوعة بِقولِه: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ فَذلك دَليل على أنّه خَبَر مُبْتَدأ، وأنّ قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قد تَناهَى عند قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ وذلك هو القِراءةُ الصَّحيحةُ عندنا لِمعنَيَيْنِ:

أَحَدهما: اتِّفاق الحُجّة من القَرَأةِ والعُلَماء على الشَّهادة بِتَصْحيحِها، وانفِرادُ المُخالِف لهم في ذلك وشُذوذه عَمَّا هم على تَخطِئَته مُجْمِعونَ؛ وكَفَى بِإجماعِ الحُجّة على تَخْطِئة قِراءَةٍ شاهِدًا على خَطَئِها.

والثّاني: أنَّ الخَتْم غَيْر موصوفةٍ به العُيون في شَيْء من كِتاب اللّه، ولا في خَبَر عن رَسول الله ﷺ، ولا موجودٌ في لُغة أحَدٍ من العرب، وقد قال الله جلَّ ثناؤه في سورة أُخْرَى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ ثُمَّ قال: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣] فَلم يَدْخُل البصَر في معنى الخَتْم، وذلك هو المعروف في كَلام العرب، فَلم يَجُزْ لنا ولا لأحَدٍ من النّاس القِراءةُ بِنَصْبِ الغِشاوة لِما وصَفْتُ من العِلَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْت، وإنْ كان لِنَصْبِها مَخْرَجٌ معروفٌ في العربيّةِ.

وَبِما قُلْنا في ذلك من القول والتَّأويل، رويَ الخَبَر عن ابن عَبّاس.

٣٠٤- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي الحُسَيْن بن الحسن، عن أبيه، عن جَدِّه، عن ابن عَبّاس: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾: والغِشاوة على أبْصارهِمْ[1].

فَإنْ قال قائِل: وما وجه مَخْرَج النَّصْب فيها؟

قيلَ له: أنْ تَنصِبَها بِإضْمارِ (جَعَلَ) كَأنّه قال: وجَعَلَ على أبْصارهم غِشاوة؛ ثُمَّ أسْقَطَ (جَعَلَ)؛ إذْ كان في أوَّل الكَلام ما يَدُلّ عليه.

وقد يَحْتَمِل نَصْبها على إتْباعها موضِع السَّمْع إذْ كان موضِعه نَصْبًا، وإنْ لم يَكُنْ حَسَنًا إعادة العامِل فيه على ﴿غِشَـٰوَةٌ﴾ وَلَكِنْ على إتْباع الكَلام بعضِه بعضًا، كما قال تعالى ذِكْره: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ ثُمَّ قال: (وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٍ عِينٍ) [الواقعة: ١٧-٢٢] فَخَفَضَ اللَّحْم والحور العين على العَطْف به على الفاكِهة إتْباعًا لِآخِرِ الكَلام أوَّله، ومعلوم أنَّ اللَّحْم لا يُطاف به ولا بالحورِ العين، ولَكِنْ ذلك كما قال الشّاعِر يَصِف فَرَسه:

---

(١) [ضعيف جدًا] فيه عائلة العوفي كلهم ضعفاء.

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وماءً بارِدًا ... حتّى شَتَّتْ هَمَّالةً عَيْناها[(١)]

وَمعلوم أنَّ الماء يُشْرَب ولا يُعْلَف، ولَكِنَّه نَصَبَ ذلك على ما وصَفْتُ قَبْل، وكَما قال الآخر:

وَرَأَيْتُ زَوْجَكِ في الوَغَى ... مُتَقَلِّدًا سَيْفًا ورُمْحَا[(٢)]

وَكان ابن جُرَيْج يقول في انتِهاء الخَبَر عن الخَتْم إلى قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ﴾ وابتِداء الخَبَر بعده - بِمِثْلِ الذي قُلْنا فيه، ويَتأوَّل فيه من كِتاب اللَّه: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ﴾ [الشورى: ٢٤].

٣٠٥- حَدَّثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: حَدَّثَنا ابن جُرَيْج قال: الخَتْم على القَلْب والسَّمْع، والغِشاوة على البصَر، قال الله تعالى ذِكْره: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ﴾ وقال: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣][(٣)].

والغِشاوة في كَلام العرب: الغِطاء، ومنه قول الحارِث بن خالِد بن العاص:

تَبِعْتُكَ إذْ عَيْنِيّ عليها غِشاوة ... فَلَمَّا انجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسيَ ألومها[(٤)]

وَمنه يُقال: تَغَشاني الهَمُّ: إذا تَجَلَّله ورَكِبَه، ومنه قول نابغة بَني ذُبْيان:

هَلَّا سَأَلْتِ بَني ذُبْيان ما حَسَبي ... إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأشْمَطَ البرَما[(٥)]

يَعْني بِذلك: تَجَلَّله وخالَطَه.

وَإنَّما أخْبَرَ الله تعالى ذِكْره نَبيّه ﷺ عن الذينَ كَفَروا به من أحبار اليَهود، أنَّه قد خَتَمَ على قُلوبهم وطَبَعَ عليها فلا يَعْقِلونَ لِلَّه موعِظةً وعَظَهم بها فيما آتاهم من عِلْم ما عندهم من كُتُبه، وفيما حَدَّدَ في كِتابه الذي أوحاهُ وأنْزَلَه إلى نَبيّه مُحَمَّد ﷺ، وعلى سَمْعهم فلا يَسْمَعونَ من

---

(١) [الرجز] القائل: شاعر غير معروف اسمه. اللغة: شتت: من شتا بالمكان: أقام فيه زمن الشتاء، وهو زمن الجدب. وهمالة: تهمل دمعها أي تسكبه وتصبه من شدة البرد. المعنى: يتحدث الشاعر هنا ويصف فرسه فيقول: أنه كان يقوم بتأكيلها العلف ويسقيها الماء البارد أيضًا أن دموعها التي كانت تنزل من شدة البرد لم تعد تنزل.

(٢) تقدم تخريجه من قبل في تفسير سورة الفاتحة.

(٣) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [الطويل] القائل: الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قريش. شاعر غزل، من أهل مكة نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة وكان يذهب مذهبه، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء. وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها، وله معها أخبار كثيرة. ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكة، ظهرت دعوة عبد الله بن الزبير، فاستتر الحارث خوفًا، ثم رحل إلى دمشق وافدًا على عبد الملك بن مروان فلم ير عنده ما يحب، فعاد إلى مكة وتوفي بها. اللغة: غشاوة: طاء. انجلت: مضت هذه الغشاوة. المعنى: يقول الشاعر: إنه قد صحب هذا الرجل زمنًا حيث كان على عينه ما يشبه الغطاء وعندما انتهت ومضت هذه الغشاوة بدأ في لوم نفسه بشدة على تلك الفترة التي قضاها مع هذا الرجل.

(٥) [البسيط] القائل: النابغَة الذُبياني، تقدم. اللغة: تغشى: تجلّله وخالطه. الأشمط: الذي شاب رأسه من الكبر. البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. المعنى: يخاطب الشاعر هنا محبوبته فيقول لها: يمكنك أن تسألي قومي بني ذبيان عن حالي إذا ما جاء المشيب.

مُحَمَّد نبيّ الله ﷺ تَحذيرًا ولا تَذْكيرًا ولا حُجَّةً أقامَها عليهم بِنُبوَّتِه، فَيَتَذَكَّروا ويَحْذَروا عِقاب الله في تَكْذيبهم إيَّاه، مع عِلْمهم بِصَدْقِه وصِحَّةَ أمْره؛ وأعْلَمَه مع ذلك أنَّ على أبْصارهم غِشاوة عن أنْ يُبْصِروا سَبيل الهُدَى فَيَعْلَموا قَبيح ما هم عليه من الضَّلالةِ والرَّدَى وبِنَحْوِ ما قُلْنا في ذلك رويَ الخَبَر عن جَماعة من أهل التَّأويل.

٣٠٦- **حدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ﴾ أي: عن الهُدَى أنَّ يُصيبوه أبَدًا بِغَيْرِ ما كذَّبوك به من الحَقّ الذي جاءك من رَبِّك، حتَّى يُؤْمِنوا به، وإنْ آمَنوا بِكُلِّ ما كان قَبْلك[١].

٣٠٧- **حَدَّثَني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذِكْره عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيِّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب رَسول الله ﷺ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ﴾ يقول: فلا يَعْقِلونَ، ولا يَسْمَعونَ. ويقول: وجَعَلَ على أبْصارهم غِشاوة. يقول: على أعْيُنهم فلا يُبْصِرونَ[٢].

وَأمَّا آخرونَ فإنَّهم كانوا يَتأوَّلونَ أنَّ الذينَ أخْبَرَ الله عنهم من الكُفَّار أنَّه فَعَلَ ذلك بهم هم قادةُ الأحزاب الذينَ قُتِلوا يوم بَدْر.

٣٠٨- **حَدَّثَني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس: هاتانِ الآيَتانِ إلى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هم: ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] وهم الذينَ قُتِلوا يوم بَدْر فَلم يَدْخُل من القادة أحَد في الإسلام إلاَّ رَجُلانِ: أبو سُفْيان بن حَرْب، والحَكَم بن أبي العاصِ[٣].

٣٠٩- **حُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس، عن الحسن، قال: أمَّا القادة فَلَيْسَ فيهم نَجيب، ولا ناج، ولا مُهْتَدٍ[٤].

وَقد دَلَّلْنا فيما مَضَى على أولَى هَذَيْنِ التَّأويلَيْنِ بالصَّواب فَكَرِهْنا إعادَته.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾

وَتأويل ذلك عندي كما قاله ابن عَبَّاس وتأوَّلَهُ:

٣١٠- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة عن ابن إسحاق عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ولَهم بِما هم عليه من

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٤) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف.

خِلافك عَذاب عَظيم. قال: فَهذا في الأحبار من يَهود فيما كذَّبوك به من الحَقّ الذي جاءك من رَبّك بعد معرِفَتهمْ (١).

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه:
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أمّا قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ فَإنّ في ﴿النَّاسِ﴾ وجهَيْن:

أحَدهما: أنْ يكون جَمْعًا لا واحِد له من لَفْظه، وإنّما واحِدهُم إنْسان وواحِدَتُهم إنْسانة.

والوَجْه الآخَر: أنْ يكون أصْله (أُناس) أُسْقِطَتِ الهَمْزة منها لِكَثْرةِ الكَلام بها، ثُمَّ دَخلَتْها الألِف واللاّم المُعَرِّفَتانِ، فَأُدْغِمَتِ اللاّمَ التي دَخَلَتْ مع الألِف فيها لِلتَّعْريفِ في النّون، كما قِيلَ في: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] على ما قد بَيَّنّا في اسم الله الذي هو اللَّه.

وَقد زَعَمَ بعضهم أنَّ (النَّاس) لُغةٌ غَيْر (أُناس)، وأنّه سَمِعَ العرب تُصَغِّره نوَيْس من النَّاس، وأنّ الأصْل لو كان أُناس لَقيلَ في التّصْغير: أُنَيْس، فَرُدَّ إلى أصْله.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وأجْمع جَميع أهل التّأويل على أنَّ هذه الآية نَزَلَتْ في قَوْم من أهل النِّفاق، وأنّ هذه الصِّفة صِفَتُهم.

ذِكْرَ بعض مَنْ قال ذلك من أهل التّأويل بِأسمائِهم:

٣١١- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ يَعْني: المُنافِقينَ من الأوس والخَزْرَج، ومَنْ كان على أمْرِهمْ (٢).

وَقد سُمّيَ في حَديث ابن عَبَّاس هذا أسَماؤُهم، غَيْر أنّي تَرَكْت تَسْميَتهم كَراهة إطالة الكِتاب بِذِكْرِهم.

٣١٢- **حَدَّثَنا** الحسنُ بن يَحْيَى، قال: أنبَأنا عبد الرَّزّاق قال: أنبَأنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ حتَّى بَلَغَ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ قال: هذه في المُنافِقينَ (٣).

٣١٣- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن عَمْرو الباهِليّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى بن مَيْمون، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: هذه الآية إلى ثَلاث عَشْرة في

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] تقدَّم إسناده قبله.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

نَعت المُنافِقينَ[١] .

٣١٤- حدثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله[٢] .

٣١٥- حدثنا سُفيان، قال: حَدَّثَنا أبي، عن سُفيان، عن رَجُل، عن مُجاهِد مِثْله[٣] .

٣١٦- حدثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ عن السُّدِّيِّ في خَبَرٍ ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾: هم المُنافِقونَ[٤] .

٣١٧- حدثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، عن ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ إلى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ قال: هؤلاء أهل النِّفاق[٥] .

٣١٨- حدثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ قال: هذا المُنافِق يُخالِفُ قولُه فِعْلَهُ وسِرُّه عَلانيَته ومَدْخَلُه مَخْرَجَه ومَشْهَدُه مَغيبَه[٦] .

وَتأويل ذلك أنَّ الله تبارك وتعالى لَمَّا جَمع لِرَسولِه مُحَمَّد ﷺ أمْرَه في دار هِجْرَته واستَقَرَّ بها قَراره وأظْهَرَ الله بها كَلِمَته، وفَشا في دور أهلها الإسلام، وقَهَرَ بها المُسْلِمونَ من فيها من أهل الشِّرْك من عَبَدة الأوثان، وذَلَّ بها مَنْ فيها من أهل الكِتاب - أظْهَرَ أحبار يَهودِها لِرَسولِ الله ﷺ الضَّغائِن وأبْدَوْا له العَداوة والشَّنَآن حَسَدًا وبَغْيًا إلاَّ نَفَرًا منهم، هَداهم الله لِلْإسلام فأسلَموا، كما قال الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] وطابَقهم سِرًّا على مُعاداة النَّبيِّ ﷺ وأصْحابه وبَغْيِهم الغَوائِل - قَوْم من أراهِط الأنْصار الذين آوَوْا رَسول الله ﷺ ونَصَروه كانوا قد عَسَوْا في شِرْكهم وجاهِليَّتِهم قد سُمّوا لنا بِأسمائِهم، كَرِهْنا تَطْويل الكِتاب بِذِكْرِ أسمائِهم وأنْسابِهِمْ. وظاهَروهم على ذلك في خَفاء غَيْر جِهار حِذارَ القَتْل على أنْفُسهم والسِّباء من

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعف من أجل أبي حذيفة موسى بن مسعود ضعيف يكتب حديثه، وشيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [حسن] تقدم قبله، هذا سند ضعيف من اجل سفيان بن وكيع، والرجل المبهم الراوي عن الثوري.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٦) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

رَسول الله ﷺ وأصْحابه، ورُكونًا إلى اليَهود؛ لِما هم عليه من الشِّرْك وسوء البصيرة بالإسلام. فَكانوا إذا لَقوا رَسول الله ﷺ وأهل الإيمان به من أصْحابه، قالوا لهم حِذارًا على أنْفُسهم: إنَّا مُؤمِنونَ باللَّه وبِرَسولِه وبالبعْثِ. وأعْطَوْهم بِألسِنَتِهم كَلِمة الحَقِّ ليَدْرَءوا عن أنفسهم حُكْم الله فيمَنْ اعْتَقَدَ ما هم عليه مُقيمونَ من الشِّرْك لو أظْهَروا بِألسِنَتِهم ما هم مُعْتَقِدوه من شِرْكهم، وإذا لَقوا إخوانهم من اليَهود وأهل الشِّرْك والتَّكْذيب بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبما جاء به فَخَلَوا بهم، قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ فإيَّاهم عَنَى جَلَّ ذِكْره بِقولِه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ يَعْني بِقولِه تعالى خَبَرًا عنهم ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾: صَدَّقْنا باللَّه.

وَقد دَلَّلْنا على أنَّ معنى الإيمان التَّصْديق فيما مَضَى من كِتابنا هذا قبل.

وَقوله: ﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ يَعْني: بالبعْثِ يوم القيامة، وإنّما سُمّيَ يوم القيامة اليوم الآخِر؛ لأنَّه آخِر يوم، لا يوم بعده سِواه.

فَإنْ قال قائِل: وكيفَ لا يكون بعده يوم، ولا انقِطاع لِلْآخِرةِ، ولا فِناء، ولا زَوال؟

قِيلَ: إنَّ اليوم عند العرب إنَّما يسمى يومًا بِلَيْلَتِهِ التي قَبْله، فإذا لم يَتَقَدَّم النَّهار لَيْل لم يُسَمَّ يومًا، فيوم القيامة يوم لا لَيْل بعده، سِوَى اللَّيْلة التي قامَتْ في صَبيحَتها القيامة، فَذلك اليوم هو آخِر الأيَّام، ولِذلك سَمَّاه الله جَلَّ ثَنَاؤه: (اليوم الآخِر)، ونَعَتَه بالعُقْمِ، ووَصَفَه بِأنّه يوم عَقيم؛ لأنَّه لا لَيْل بعده.

وَأمَّا تأويل قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ ونَفيه عنهم جَلَّ ذِكْره اسم الإيمان، وقد أخْبَرَ عنهم أنَّهم قد قالوا بِألسِنَتِهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ فَإنَّ ذلك من الله جَلَّ ذكره تَكْذيب لهم فيما أخْبَروا عن اعْتِقادهم من الإيمان بقلوبهم والإقْرار بالبعْثِ، وإعْلام منه نَبيّه ﷺ أنَّ الذي يُبْدونَه له بِأفواهِهم خِلاف ما في ضَمائِر قُلوبهم، وضِدّ ما في عَزائِم نُفُوسِهم.

وَفي هذه الآيَة دَلالة واضِحة على بِطولِ ما زَعَمَتْه الجَهْمِيّة أنَّ الإيمان هو التّصْديق بالقولِ دون سائِر المَعاني غَيْره.

وقد أخْبَرَ الله جَلَّ ذكره عن الذينَ ذَكَرهم في كِتابه من أهل النِّفاق أنَّهم قالوا بِألسِنَتِهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ ثُمَّ نَفَى عنهم أنْ يكونوا مُؤمِنينَ، إذْ كان اعْتِقادهم غَيْر مُصَدِّق قِيلَهم ذلك.

وَقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ يَعْني بِمُصَدِّقينَ فيما يَزْعُمونَ أنَّهم به مُصَدِّقونَ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وخِداع المُنافِق رَبّه والمُؤمِنينَ إظْهارُه بِلِسانِه من القول والتّصْديق خِلاف الذي في قَلْبه من الشَّكّ والتَّكْذيب ليَدْرَأ عن نَفْسه بما أظْهَر بِلِسانِه حُكْم الله اللاَّزِم مَنْ كان بِمِثْلِ حاله من التَّكْذيب لو لم يُظْهِر بِلِسانِه ما أظْهَرَ من التَّصْديق والإقْرار - من القَتْل والسِّباء، فَذلك خِداعه رَبَّه وأهل الإيمان باللَّه.

فَإِنْ قال قائِل: وكيفَ يكون المُنافِق لِلَّه ولِلْمُؤْمِنينَ مُخادِعًا وهو لا يُظْهِر بِلِسانِه خِلاف ما هو له مُعْتَقِد إلاَّ تَقيّة؟

قِيلَ: لا تَمتَنِع العرب أنْ تُسَمّي من أعطَى بِلِسانِه غَيْر الذي هو في ضَميره تَقيّة - لِيَنجوَ مِمَّا هو له خائِف، فَنَجا بِذلك مِمَّا خافَه - مُخادِعًا لِمَنْ تَخلَّصَ منه بالذي أظْهَر له من التّقيّة، فَكَذلك المُنافِق سُمّيَ مُخادِعًا لِلَّه جل وعز ولِلْمُؤْمِنينَ بِإظْهارِه ما أظْهَر بِلِسانِه تَقيّة مِمَّا تَخَلَّصَ به من القَتْل والسِّباء في العاجِل، وهو لِغَيْرِ ما أظْهَر مُسْتَبْطِن، وذلك من فِعْله وإنْ كان خِداعًا لِلْمُؤمِنينَ في عاجِل الدُّنْيا فهو لِنَفْسِه بِذلك من فِعْله خادِع؛ لأنّه يُظْهِر لها بِفِعْلِه ذلك بها أنّه يُعْطيها أُمْنيَّتها ويُسْقيها كَأس سُرورِها، وهو مورِّدها به حياض عَطْبها، ومُجَرِّعُها به كَأس عَذابها، ومُذيقُها من غَضَب الله وأليم عِقابه ما لا قِبَل لها به، فَذلك خَديعَته نَفْسه ظَنًّا منه - مع إساءَته إليها في أمْر مَعادها - أنّه إليها مُحْسِن، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ إعلامًا منه عِبادَه المُؤْمِنينَ أنَّ المُنافِقينَ بِإساءَتِهِم إلى أنْفُسهم وإسخاطهم عليهم رَبَّهم بِكُفْرِهم وشَكِّهم وتَكْذيبهم غَيْر شاعِرينَ ولا دارينَ، ولَكِنَّهم على عَمْياء من أمْرهم مُقيمونَ. وبِنَحْوِ ما قُلْنا في تأويل ذلك كان ابن زَيْد يقول.

٣١٩- حَدَّثَني يونُسُ، قال، أخبرَنا ابن وهْبٍ قال: سَألت عبد الرَّحْمَن بن زَيْدٍ، عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلى آخِر الآية، قال: هؤلاء المُنافِقونَ يُخادِعونَ الله ورَسوله والذينَ آمَنوا، أنَّهم مُؤْمِنونَ بِما أظْهَروا[1].

وَهذه الآية من أوضَح الدَّليل على تَكْذيب الله قولَ الزَّاعِمينَ: أنَّ الله لا يُعَذِّب من عِباده إلاَّ مَنْ كَفَرَ به عِنادًا، بعد عِلْمه بِوَحْدانيَّته، وبعد تَقَرُّر صِحَّة ما عانَدَ رَبّه عليه من تَوْحيده والإقْرار بِكُتُبِه ورُسُله عنده؛ لأنّ الله جَلَّ ثَناؤه قد أخْبَرَ عن الذينَ وصَفَهم بِما وصَفَهم به من النِّفاق وخِداعهم إيَّاه والمُؤمِنينَ، أنَّهم لا يَشْعُرونَ أنّهم مُبْطِلونَ فيما هم عليه من الباطِل مُقيمونَ، وأنّهم بِخِداعِهِم الذي يَحْسَبونَ أنّهم به يُخادِعونَ رَبّهم وأهل الإيمان به - مَخْدوعونَ. ثُمَّ أخْبَرَ تعالى ذِكْره أنَّ لهم عَذابًا أليمًا بِتَكْذيبِهِم بِما كانوا يُكَذِّبونَ من نُبوّة نَبيِّه ﷺ واعْتِقاد الكُفْر به، وبِما كانوا يَكْذِبونَ في زَعْمهم أنّهم مُؤْمِنونَ، وهم على الكُفْر مُصِرُّونَ.

فَإنْ قال لنا قائِل: قد عَلِمْت أنَّ المُفاعَلة لا تَكون إلاَّ من فاعِلينَ، كَقولِك: ضارَبْت أخاك، وجالَسْت أباك؛ إذا كان كُلّ واحِد منهما مَجالِس صاحِبه ومُضارِبه، فَأمَّا إذا كان الفِعْل من أحَدهما فَإنّما يُقال: ضَرَبْتُ أخاك أو جَلَسْت إلى أبيك، فَمَنْ خادَعَ المُنافِق فَجازَ أنْ يُقال فيه: يخادِع الله والمُؤمِنينَ؟

قِيلَ: قد قال بعض المَنسوبينَ إلى العِلْم بِلُغاتِ العرب: إنَّ ذلك حَرْف جاء بهذه الصّورة،

---

(١) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

أعْني (يُخادِع) بِصورةِ (يُفاعِل) وَهوَ بِمعنى (يَفْعَل) في حُروف أمْثالها شاذَّة من مَنطِق العرب، نَظير قولهمْ: قاتَلَك اللَّه، بِمعنى: قَتَلك اللَّه.

وَلَيسَ القول في ذلك عندي كالذي قال، بل ذلك من التَّفاعُل الذي لا يكون إلاَّ من اثْنَيْنِ كَسائِرِ ما يُعْرَف من معنى (يُفاعَل ومُفاعَل) في كُلّ كَلام العرب، وذلك أنَّ المُنافِق يُخادِع الله جَلَّ ثَناؤه بِكَذِبِه بِلِسانِه - على ما قد تَقَدَّمَ وصْفه - واللَّه تَبارَكَ اسمه خادِعه بِخِذْلانِه عن حُسْن البصيرة بما فيه نَجاة نَفْسه في آجَلّ مَعاده، كالذي أخْبَرَ في قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] وبالمعنى الذي أخْبَرَ أنَّه فاعِل به في الآخِرة بِقولِه: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] الآية، فَذلك نَظير سائِر ما يَأتي من مَعاني الكَلام بِيفاعل ومُفاعِل.

وَقد كان بعض أهل النَّحو من أهل البصْرة يقول: لا تَكون المُفاعَلة إلاَّ من شَيْئَيْنِ، ولَكِنَّه إنَّما قِيلَ: يُخادِعونَ الله عند أنفُسهم بِظَنِّهم ألا يُعاقَبوا، فقد عَلِموا خِلاف ذلك في أنفُسهم بِحُجَّةِ الله جلَّ وعزَّ الواقِعة على خَلْقه بِمُعْرِفَتِه ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ قال: وقد قال بعضهم: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ يقول: يَخْدَعونَ أنفُسهم بالتَّخْليةِ بها، وقد تَكون المُفاعَلة من واحِد في أشياء كَثيرة.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾

إنْ قال لنا قائِل: أوَ لَيسَ المُنافِقونَ قد خَدَعوا المُؤمِنينَ بما أظْهَروا بِألسِنَتِهم من قِيْلِ الحَقّ - عن أنفُسهم وأموالهم وذَراريّهم حتَّى سَلِمَتْ لهم دُنْياهم وإنْ كانوا قد كانوا مَخْدوعينَ في أمْر آخِرَتهمْ؟

قِيلَ: خَطَأً أنْ يُقال إنَّهم خَدَعوا المُؤمِنينَ؛ لأنَّا إذا قُلْنا ذلك أوْجَبنا لهم حَقيقة خَدْعة جازَتْ لهم على المُؤمِنينَ، كما أنَّا لو قُلْنا: قَتَلَ فُلان فُلانًا، أوْجَبنا له حَقيقة قَتْل كان منه لِفُلانٍ، ولَكِنَّا نَقول: خادَعَ المُنافِقونَ رَبّهم والمُؤمِنينَ، ولم يَخْدَعوهم بل خَدَعوا أنفُسهم - كما قال الله جَلَّ ثَناؤه - دون غَيْرِها. نَظيرَ ما تَقول في رَجُل قاتَلَ آخَر فَقَتَلَ نَفْسه ولم يَقْتُل صاحِبه: قاتَلَ فُلان فُلانًا ولم يَقْتُل إلاَّ نَفْسه، فَتوجِب له مُقاتِلة صاحِبه، وتَنْفي عنه قَتْله صاحِبه، وتوجِب له قَتْل نَفْسه، فَكَذلك تَقول: خادَعَ المُنافِق رَبّه والمُؤمِنينَ، فلم يَخْدَع إلاَّ نَفْسه، فَتُثْبِت منه خِداعَهُ رَبّه والمُؤمِنينَ، وتَنْفي عنه أنْ يكون خَدَعَ غَيْرَ نَفْسه؛ لأنَّ الخادِع هو الذي قد صَحَّتْ له الخَديعة ووَقَعَ منه فِعْلُها. فالمُنافِقونَ لم يَخْدَعوا غَيْر أنفُسهم؛ لأنَّ ما كان لهم من أهل ومال فَلم يَكُنْ المُسْلِمونَ مَلَكوه عليهم في حال خِداعهم إيَّاهم عنه بِنِفاقِهم ولا قَبْلها فَيَسْتَنْقِذوه بِخِداعِهم منهم، وإنَّما دافَعوا عنه بِكَذِبِهم وإظْهارهم بِألسِنَتِهم غَيْر الذي في ضَمائِرهم، ويَحكُم الله لهم في أموالهِم وأنفُسهم وذَراريّهم في ظاهِر أُمورهم بِحُكْمِ ما انتَسَبوا إليه من المِلّة، واللَّه بِما يُخْفونَ من أُمورهم عالِم. وإنَّما الخادِع مَنْ خَتَلَ غَيْره عن شَيْئِه، والمَخْدوع غَيْرُ عالِم بِموضِع

خَديعة خادِعه، فَأمَّا والمُخادَع عارِف بِخِداع صاحِبه إيَّاه، وغَيْر لاحِقه من خِداعه إيَّاه مَكْروه، بل إنَّما يَتَجافَى لِلظَّانِّ به أنَّه له مُخادِع استِدْراجًا ليَبْلُغ غاية يَتَكامَل له عليه الحُجّة لِلْعُقوبةِ التي هو به موقِع عند بُلوغه إيَّاها. والمُسْتَدْرَج غَيْر عالِم بِحالِ نَفْسه عند مُسْتَدْرِجه، ولا عارِف باطِّلاعِه على ضَميره، وأنَّ إمْهال مُسْتَدْرِجه إيَّاه وتَرْكَه مُعاجلة عقوبته على جُرْمه ليَبْلُغ المُخاتِل المُخادِع من استِحْقاقه عُقوبة مُسْتَدْرِجه بِكَثْرةِ - إساءَته وطول عِصْيانه إيَّاه وكَثْرة صَفْح المُسْتَدْرِج وطول عَفْوه عنه - أقْصَى غاية، فإنَّما هو خادِعٌ نَفْسه لا شَكَّ دون مَنْ حَدَّثَتْه نَفْسه أنَّه له مُخادِع؛ ولِذلك نَفَى الله جَلَّ ثَناؤه عن المُنافِق أنْ يكون خَدَعَ غَيْر نَفْسه؛ إذْ كانَتِ الصِّفة التي وصَفْنا صِفَته.

وَإذْ كان الأمْر على ما وصَفْنا من خِداع المُنافِق رَبّه وأهل الإيمان به، وأنَّه غَيْر صائِر بِخِداعِه ذلك إلى خَديعة صَحيحة إلاَّ لِنَفْسِه دون غَيْرها لِما يوَرِّطها بِفِعْلِه من الهَلاك والعَطَب، فالواجِب إذن أنْ يكون الصَّحيح من القِراءة: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ دون: (وَما يُخادِعونَ)؛ لأنَّ لَفْظ المُخادِعِ غَيْر موجِب تَثْبيت خَديعة على صِحّة، ولَفْظ خادِع موجِب تَثْبيت خَديعة على صِحّة. ولا شَكَّ أنَّ المُنافِق قد أوْجَبَ تثبيتَ خَديعة الله لِنَفْسِه بِما رَكِبَ من خِداعه رَبّه ورَسوله والمُؤمِنينَ بِنِفاقِه، فَلِذلك وجَبَتِ الصِّحّة لِقِراءةِ مَنْ قَرأ: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾.

وَمن الدَّلالة أيْضًا على أنَّ قِراءة مَنْ قَرأ: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾ أولَى بالصِّحّةِ من قِراءة مَنْ قَرأ: (وَما يُخادِعونَ) أنَّ الله جَلَّ ثَناؤه قد أخْبَرَ عنهم أنَّهم يُخادِعونَ الله والمُؤمِنينَ في أوَّل الآية، فَمُحال أنْ يَنْفي عنهم ما قد أثْبَتَ أنَّهم قد فَعَلوه؛ لأنَّ ذلك تَضادّ في المعنى، وذلك غَيْر جائِز من الله جَلَّ ثناؤه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾

يَعْني جَلَّ ثَنَاؤه بِقولِه: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: وما يَدْرُونَ. يُقال: ما شَعَرَ فُلانٌ بهذا الأمْرِ، وهو لا يَشْعُرُ به - إذا لم يَدْرِ به - ولم يَعْلَم - شِعْرًا وشُعورًا، وقال الشَّاعِرُ:

عَقُّوا بِسَهْمٍ فلم يَشْعُرْ به أحَدٌ ثُمَّ اسْتَفاءُوا وقالوا حَبَّذا الوَضَحُ (١)

يَعْني بِقولِه: (لَمْ يَشْعُر بِهِ أحدٌ): لم يَدْرِ به أحَدٌ ولم يَعْلَم.

---

(١) [البسيط] القائل: المُتَنَخِّل مالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش الهذلي من مضر أبو أثيلة. شاعر من نوابغ هذيل، أثبت له صاحب الأغاني صوتًا من قصيدة قالها في رثاء ابنه أثيلة. وقال الآمدي: شاعر محسن، قال الأصمعي: هو صاحب أجود قصيدة خائية قالتها العرب، وأورد بيتين منها. له ديوان مطبوع في ديوان الهذليين.

اللغة: عقى بالسهم: رمى به في السماء لا يريد به شيئًا، وأصله في الثأر والدية، وذلك أنهم كانوا يجتمعون إلى أولياء المقتول بدية مكملة، يسألونهم قبول الدية. فإن كانوا أقوياء أبوا ذلك، وإلا أخذوا سهمًا ورموا به في السماء، فإن عاد مضرجًا بدم، فقد زعموا أن ربهم نهاهم عن أخذ الدية. وإن رجع كما صعد، فقد زعموا أن ربهم أمرهم بالعفو وأخذ الدية. وكل ذلك أبطل الإسلام. لم يَشعر به: لم يدر به أحد ولم يعلم. وفاء واستفاء: رجع. والوضح: اللبن.

المعنى: إن الشاعر هنا يهجوهم بالذلة والدناءة، فأهدروا دم قتيلهم، ورموا بالسهم الذي يزعمونه يأمرهم وينهاهم، ورجعوا عن طلب الترة إلى قبول الدية، وآثروا إبل الدية وألبانها على دم قاتل صاحبهم، وقالوا في أنفسهم: اللبن أحب إلينا من القود وأنفع.

فَأخْبَرَ الله جلَّ ثناؤُه عن المُنافِقينَ أنَّهم لا يَشعُرونَ بأنَّ اللهَ خادِعُهم، بإمْلائِه لهم واستِدْراجِه إيَّاهم، الذي هو من اللهِ جَلَّ ثَناؤه إبلاغٌ إليهم في الحُجَّةِ والمَعْذِرةِ، ومنهم لأنفُسِهم خَديعةٌ، ولَها في الآجِل مَضَرَّةٌ. **كالذي:**

٣٢٠- **حدَّثني** يونُسُ بن عبد الأعلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْبٍ، قال: سَألت ابن زَيْدٍ عن قولِه: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾. قال: ما يَشعُرونَ أنَّهم ضَرُّوا أنفُسَهم بما أسَرُّوا من الكُفر والنِّفاق. وقَرَأ قول اللَّه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾. قال: هم المُنافِقونَ. حتَّى بَلَغَ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [المجادلة: ١٨] وقد كان الإيمانُ يَنفَعُهم عندَكُم[(١)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وأصْلُ المَرَضِ: السُّقمُ، ثُمَّ يُقال ذلك في الأجْسادِ والأديان. فَأخْبَرَ الله جَلَّ ثَناؤه أنَّ في قُلوب المُنافِقينَ مَرَضًا، وإنّما عَنَى جلَّ ثناؤُه بِخَبَرِه عن مَرَضِ قُلوبهم الخَبَر عن مَرَض ما في قُلوبِهم من الاعْتِقاد. ولَكِنْ لَمَّا كان معلومًا بالخَبَرِ عن مَرَض القَلْبِ أنّه مَعْنِيٌّ به مَرَضُ ما هم مُعْتَقِدوه من الاعْتِقاد، استَغْنَى بالخَبَرِ عن القَلْب بِذلك، والكِنايةِ به عن تَصْريح الخَبَر عن ضَمائِرِهم واعْتِقاداتِهم؛ كما قال عُمَر بن لَجَأ:

وَسَبَّحَتِ المَدينَةُ لا تَلُمْها رَأَتْ قَمَرًا بِسوقِهِمُ نَهارًا[(٢)]

يُريد: وسَبَّحَ أهلُ المَدينة. فاستَغْنَى بِمَعْرِفةِ السَّامِعينَ خَبَرَه بالخَبَرِ عن المَدينة، عن الخَبَر عن أهلِها. ومِثْلُه قولُ عنتَرةَ العَبسيِّ:

هَلَّا سَألتِ الخَيْلَ يا ابنةَ مالِكٍ إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِما لم تَعْلَمي[(٣)]

يُريد: هَلَّا سَألتِ أصْحابَ الخَيْلِ؟ ومنه قولُهمْ: يا خَيْلَ اللهِ ازْكَبي. يُرادُ: يا أصْحابَ خَيْلِ اللهِ ارْكَبوا. والشَّواهِدُ على ذلك أكثَرُ مِن أنْ يُحْصِيَها الكِتاب، وفيما ذَكَرْنا كِفايةٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِه. فَكَذلك معنى قول الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إنَّما يَعْني: في اعْتِقاد قُلوبِهم الذي

(١) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٢) [الوافر] القائل: عمر بن لجأ (وقيل لحأ) بن حدير بن مصاد التيمي، من بني تيم بن عبد مناة. من شعراء العصر الأموي اشتهر بما كان بينه وبين (جرير) من مفاخرات ومعارضات. اللغة: وسبحت المدينة: وسبح أهل المدينة. تلمها: تلومها. المعنى: يقول الشاعر: إن أهل المدينة سبحوا فلا يمكنك أن تلومهم لأنهم قد رأوا قمرًا في سوقهم أثناء النهار... وهذا تصوير جميل من الشاعر وكأن القمر يمكنه أن يظهر أثناء النهار.

(٣) [الكامل] القائل: عَنتَرَة بن شَدّاد عمرو بن معاوية بن قراد العبسي. أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسًا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة. كان مغرمًا بابنة عمه عبلة فقلَّ أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلاً، وقتله الأسد الرهيص أو جبار بن عمرو الطائي. اللغة: هلا سألت الخيل: هلا سألتِ أصحاب الخيل؟. يابنة مالك: يقصد محبوبته وابنة عمه عبلة. تعلمي: تعرفي. المعنى: يتوجه الشاعر في حديثه هنا إلى محبوبته وابنة عمه عبلة فيقول لها: إذا كنت لا تعلمي مدى حبي لك فيمكنك أن تسألي أصحاب الخيل.

يَعْتَقِدُونَه في الدِّين، والتَّصْديق بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وبما جاء به من عند الله مَرَضٌ وسُقْمٌ. فاجْتَزَأَ بِدَلالةِ الخَبَرِ عن قُلوبِهم على معناه، عن تَصْريح الخَبَر عن اعْتِقادِهم.

والمَرَضُ الذي ذَكَرَ الله جَلَّ ثَناؤه أنَّه في اعْتِقاد قُلوبِهم الذي وصَفْناه، هو شَكُّهم في أمْرِ مُحَمَّد، وما جاء به من عند اللهِ، وتَحَيُّرُهم فيه، فلا هم به مُوقِنونَ إيقان إيمان، ولا هم له مُنْكِرونَ إنْكارَ إشْراكٍ؛ ولَكِنَّهم كما وصَفَهم الله جَلَّ ذكرُه مُذَبْذَبونَ بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما يُقالُ: فُلانٌ يُمَرِّضُ في هذا الأمر. أي: يُضَعِّفُ العَزْمَ، ولا يُصَحِّحُ الرُّوِيَّةَ فيه.

وَبِمِثْلِ الذي قُلْنا في تأويل ذلك تَظاهَرَ القولُ في تَفْسيره من المُفَسِّرينَ.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

٣٢١- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شَكٌّ[١].

٣٢٢- **وَحُدِّثت** عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: المَرَضُ: النِّفاقُ[٢].

٣٢٣- **حَدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّادٍ، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يقول: في قُلوبهم شَكٌّ[٣].

٣٢٤- **حَدَّثَني** يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال عبد الرَّحْمَن بن زَيْد في قولِه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال: هذا مَرَضٌ في الدِّينِ، ولَيْسَ مَرَضًا في الأجْسادِ. قال: وهم المُنافِقونَ[٤].

٣٢٥- **حَدَّثني** المُثَنَّى بن إبراهيمَ، قال: حَدَّثَنا سُوَيْدُ بن نَصْر، قال: أخبرَنا ابن المُبارَك قِراءةً، عن سَعيدٍ، عن قَتادةَ في قولِه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال: في قُلوبهم رِيبةٌ وشَكٌّ في أمْر الله جَلَّ ثَناؤهُ[٥].

٣٢٦- **وَحُدِّثت** عن عَمَّارِ بن الحسن، قال حَدَّثَنا ابنُ أبي جَعْفَرِ، عن أبيه، عن الرَّبيع بن

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث. ومع هذا فالمصنف علقه ولم يسنده.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه، وسياتي بسند آخر ضعيف بعد خمسة.

(٤) [صحيح] سنده صحيح ورجاله ثقات غير عبد الرحمن بن زيد، ولكنه قوله.

(٥) [ضعيف] من أجل جهالة حال شيخ المصنف المثنى بن إبراهيم الآملي، ولولاه لكان صحيحًا، فإن عبد الله بن المبارك سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

أَنَس: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال: هؤلاء أهل النِّفاق، فالمَرَضُ الذي في قُلوبِهم الشَّكُّ في أمرِ اللهِ[(١)].

٣٢٧- حَدَّثَني يونُس، قال: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال عبدُ الرَّحمَن بن زَيْدٍ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ حتَّى بَلَغَ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال: المَرَضُ: الشَّكُّ الذي دَخَلَهم في الإسلام[(٢)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾

قد دَلَّلْنا آنِفًا على أنَّ تأويلَ المَرَضِ الذي وصَفَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤه أنَّه في قُلوب المُنافِقينَ: هو الشَّكّ في اعتِقادات قُلوبهم وأديانِهم، وما هم عليه في أمْرِ مُحَمَّد رَسول الله ﷺ وأمْرِ نُبوَّتِه وما جاء به، مُقيمونَ.

فالمَرَضُ الذي أخبَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤه عنهم أنَّه زادَهم على مَرَضِهم، هو نَظيرُ ما كان في قُلوبِهم من الشَّكِّ والحَيرةِ قَبْلَ الزِّيادةِ، فَزادَهم اللهُ بِما أحدَثَ من حُدودِه وفَرائِضِه التي لم يكُنْ فَرَضَها قَبْلَ الزِّيادةِ التي زادَها المُنافِقينَ - من الشَّكِّ والحَيْرةِ، إذْ شَكُّوا وارْتابوا في الذي أحدَثَ لهم من ذلك - إلى المَرَضِ والشَّكِّ الذي كان في قُلوبِهم في السَّالِفِ، من حُدودِه وفَرائِضِه التي كان فَرَضها قَبْلَ ذلك. كما زادَ المُؤمِنينَ به إلى إيمانِهم الذي كانوا عليه قَبْلَ ذلك، بالذي أحدَثَ لهم من الفَرائِض والحُدودِ، إذْ آمَنوا به، إلى إيمانِهم بالسَّالِفِ من حُدودِه وفَرائِضِه - إيمانًا، كالذي قال جَلَّ ثَناؤه في تَنزيله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥] فالزيادةُ التي زِيدَها المُنافِقونَ من الرَّجاسةِ إلى رَجاسَتِهم هو ما وصَفْنا، والتي زِيدَها المُؤمِنونَ إلى إيمانِهم هو ما بَيَّنا، وذلك هو التَّأويلُ المُجْمَعُ عليه.

ذِكر بعض مَنْ قال ذلك من أهل التأويل:

٣٢٨- حَدَّثَنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ قال: شَكًّا[(٣)].

٣٢٩- حَدَّثَني موسَى بن هارونَ، قال: أخبرَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ، عن ابن

---

(١) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف.

(٢) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح هنا، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان. وله إسناد آخر ضعيف تقدم قبل خمسة، وهو الآتي بعده.

مسعود، وعن ناس من أصحاب النبيّ ﷺ: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ يقول: فزادهم اللهُ شكًّا (١).

٣٣٠- حدَّثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حدَّثنا سوَيْدُ بن نَصر، قال: أخبرَنا ابن المُبارَك قِراءةً، عن سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ يقول: فزادَهم الله ريبة وشكًّا في أمر الله (٢).

٣٣١- حدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قول الله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ قال: زادهم رِجْسًا، وقرأ قولَ الله جلَّ ثناؤه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥] قال: شرًّا إلى شرِّهم، وضَلالةً إلى ضَلالَتِهم (٣).

٣٣٢- وحُدِّثت عن عَمَّار بن الحسن، قال: حدَّثنا ابنُ أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: زادَهم اللهُ شكًّا (٤).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والأليمُ: المُوجِعُ. ومعناه: ولَهم عَذاب مُؤلِم. فَصُرِفَ (مُؤلِم) إلى (أليم)، كما يُقال: ضَرْبٌ وجيعٌ. بِمعنى مُوجِعٌ. واللَّهُ بَديعُ السَّماواتِ والأرْضِ. بِمعنى: مُبْدِعٌ. ومنه قولُ عَمْرو بن مَعْدِيكَرِبَ الزُّبَيْدِيِّ:

أَمِنْ رَيْحانَةَ الداعِي السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُني وأصحابي هُجُوعُ (٥)

بِمعنى: المُسْمِعُ. ومنه قولُ ذِي الرُّمَّةِ:

وَنَرْفَعُ مِن صُدُورِ شَمَرْدَلاتٍ ... يَصُدُّ وُجوهَها وَهَجٌ أَلِيمُ (٦)

وَيُرْوَى (يَصُكُّ).

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] من أجل جهالة حال شيخ المصنف المثنى بن إبراهيم الآملي، ولولاه لكان صحيحًا، فإن عبد الله بن المبارك سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [صحيح] رجاله كلهم ثقات وسنده متصل.

(٤) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف.

(٥) [الوافر] القائل: عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي. فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة. وفد على المدينة سنة ٩هـ، في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي ﷺ ارتد عمرو في اليمن. ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. وكان عصيّ النفس، أبيّها، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور. توفي على مقربة من الريّ. وقيل: قتل عطشًا يوم القادسية. اللغة: ريحانة: هي بنت معديكرب، أخت عمرو بن معديكرب، وهي أم دريد بن الصمة، وكان أبوه الصمة، سباها وتزوجها. السميع: بمعنى المُسْمِع. الأرق: عدم النوم بالليل وقلته. الهجوع: هو النوم بالليل وقلته. المعنى: يتعجب الشاعر هنا ويقول: أبسبب دعاء ريحانة الذي أسمعه لا يمكنني أن أنام وكذلك أصحابي لا ينامون.

(٦) [الوافر] القائل: ذو الرُّمَّة غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر. من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. كان شديد القصر دميمًا، يضرب لونه

وَإنما الأليمُ صِفةٌ لِلعَذابِ، كَأنّه قال: ولَهم عَذابٌ مُؤلِمٌ. وهو مَأخوذٌ من الألَم، والألَمُ: الوَجَعُ. كما:

٣٣٣- حَدّثني المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا عبدُ الله بنُ أبي جَعْفَرٍ، عن أبيه، عن الرَّبيع، قال: الأليمُ: المُوجِعُ[1].

٣٣٤- حَدّثنا يَعْقوب، قال: حَدَّثَنا هُشَيم، قال: أخبرَنا جوَيْبِر، عن الضَّحّاك، قال: العذابُ الأليمُ؛ الموجِعُ[2].

٣٣٥- وحُدّثت عن المِنْجاب بن الحارِث، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحّاك في قوله: ﴿أَلِيمٌ﴾ قال: هو العَذاب الموجِعُ، وكُلُّ شَيْءٍ في القُرْآن من الأليمِ فهو المُوجِعُ[3].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكۡذِبُونَ ۝١٠﴾

اختلَفَتِ القَرأَةُ في قِراءة ذلك: فقَرَأه بعضهم: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكۡذِبُونَ﴾ مُخَفَّفة الذَّال، مَفْتوحة الياء، وهيَ قِراءة عُظم قرأةُ أهلِ الكوفةِ. وقَرَأه آخَرونَ: (يُكَذِّبُون). بِضَمِّ الياء وتَشْديد الذّال، وهيَ قِراءةُ عُظم قَرَأةِ أهلِ المَدينةِ والحِجازِ والبصْرةِ.

وَكَأنَّ الذينَ قَرَءوا ذلك بِتَشْديدِ الذّال وضَمِّ الياءِ رَأَوْا أنَّ اللهَ جَلَّ ثَناؤه إنَّما أوْجَبَ لِلْمُنافِقينَ العَذابَ الأليم بِتَكْذيبِهم نَبيّهم مُحَمَّدًا ﷺ وبِما جاء به، وأنّ الكَذِب لولا التّكْذيب لا يُوجِبُ لأحَدٍ اليَسيرَ من العَذابِ، فكيف بالأليم منهُ؟

وَلَيسَ الأمْرُ في ذلك عندي كالذي قالوا؛ وذلك أنَّ الله جَلَّ ثناؤه أنبأَ عن المُنافِقينَ في أوَّل النَّبأ عنهم في هذه السّورة بِأنّهم يكْذِبونَ بِدَعْواهم الإيمان، وإظْهارِهم ذلك بِألسِنَتِهم، خِداعًا لِلّه عَزَّ وجَلَّ ولِرَسولِه ولِلْمُؤمِنينَ، فَقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ

إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وكان مقيمًا بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيرًا، امتاز بإجادة التشبيه. قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته (ما بال عينيك منها الماء ينسكب) لكان أشعر الناس. عشق (ميّة) المنقرية واشتهر بها. توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية. اللغة: (ونرفع من صدور . .): أي نستحثها في السير، والإبل إذا أسرعت رفعت من صدورها. وشمردلات جمع شمردلة: وهي الناقة الحسنة الجميلة الخلق الفتية السريعة. (يصد وجوهها): أي يستقبل وجوهها ويضربها وهج أليم، فتصد وجوهها أي تلويها كالمعرضة عن لذعته. ورواية ديوانه: (يصك)، وصكة صكة: ضربة ضربة شديدة. والوهج: حرارة الشمس، أو حرارة النار من بعيد. المعنى: يتحدث الشاعر هنا عن الناقة وأنهم يستحثونها على السير بسرعة فترفع من صدورها وهذه الناقة جميلة سريعة ولكنها بمجرد أن ينزل على وجهها أشعة الشمس المحرقة فإنها تعرض بوجهها عن تلك الأشعة.

(١) [ضعيف] من أجل جهالة حال شيخ المصنف المثنى بن إبراهيم الآملي.

(٢) [ضعيف جدًا] جويبر بن سعيد الأزدي متروك.

(٣) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بذلك من قِيْلهم مع استِسْرارهم الشَّكَّ والرِّيبةَ، ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾ بصَنيعِهم ذلك ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ دونَ رَسول الله ﷺ والمُؤمِنينَ، ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ بموضِع خَديعَتِهم أنْفُسَهم واستِدْراج الله إيَّاهم بإمْلائِه لهم، في قُلوبهم شَكٌّ، النِفاقِ وريبتُه، واللهُ زائِدُهم شكًّا وريبةً بِما كانوا يَكْذِبونَ الله ورَسولَه والمُؤمِنينَ بقولِهم بألسِنَتِهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وهم في قِيْلِهم ذلك كَذَبةٌ؛ لاستِسْرارِهم الشَّكَّ والمَرَضَ في اعْتِقاداتِ قُلوبهم في أمْر الله وأمْرِ رَسوله ﷺ، فَأَوْلَى في حِكْمة الله جَلَّ جَلالُه أنْ يكون الوَعيدُ منه لهم على ما افتتَحَ به الخَبَرَ عنهم من قَبيح أفعالِهم وذَميم أخْلاقِهم، دون ما لم يَجْرِ له ذِكْرٌ من أفعالِهم؛ إذْ كان سائِرُ آياتِ تَنْزيلِه بذلك نَزَلَ، وهو أنْ يَفتَتِح ذِكْر مُحاسِن أفعال قَوْم، ثُمَّ يَخْتِمَ ذلك بالوَعدِ على ما افتتَحَ به ذِكْره من أفعالِهم، ويَفْتَتِح ذِكْر مَساوِي أفعالِ آخَرينَ، ثُمَّ يَخْتِمَ ذلك بالوَعيدِ على ما ابْتَدأ به ذِكْرَه من أفعالهِمْ.

فَكَذلك الصَّحيحُ من القول في الآيات التي افتتَحَ فيها ذِكْرَ بعض مَساوي أفعالِ المُنافِقينَ أنْ يَخْتِمَ ذلك بالوَعيدِ على ما افتتَحَ به ذِكْرَه من قَبائِح أفعالهم. فَهذا هذا، مع دَلالةِ الآية الأُخْرَى على صِحَّةِ ما قُلْنا وشَهادَتِها بأنَّ الواجِب من القِراءة ما اختَرْنا، وأنَّ الصَّواب من التَّأويل ما تأوَّلْنا، من أنَّ وعيد اللهِ المُنافِقينَ في هذه الآية العَذابَ الأليمَ على الكَذِب الجامِع معنى الشَّكِّ والتَّكْذيب، وذلك قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓا أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُوا يَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١: ٢] والآية الأُخْرَى في (المُجادَلة): ﴿ٱتَّخَذُوٓا أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: ١٦] فَأَخْبَرَ اللهُ جَلَّ ثَناؤه أنَّ المُنافِقينَ - بقِيْلِهم ما قالوا لِرَسولِ الله ﷺ، مع اعْتِقادِهم فيه ما هم مُعْتَقِدونَ - كاذِبونَ، ثُمَّ أخْبَرَ تعالى ذِكْرُه أنَّ العَذاب المُهين لهم على ذلك من كَذِبِهِمْ. ولو كان الصَّحيحُ من القِراءة على ما قَرَأه القارِئونَ في سورة البقَرة: (وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُون) لَكانتِ القِراءة في السُّورة الأُخْرَى: (واللَّهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنافِقينَ لَمُكَذِّبونَ). ليكونَ الوَعيدُ لهم من العذاب المهينِ الذي هو عَقِيبَ ذلك وعيدًا على التَّكْذيبِ، لا على الكَذِب.

وَفي إجماع المُسْلِمينَ على أنَّ الصَّواب من القِراءة في قولِه: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ بمعنى الكَذِب، وأنَّ إيعاد اللهِ فيه المُنافِقينَ العَذابَ الأليمَ على ذلك من كَذِبِهم - أوضَحُ الدَّلالةِ على أنَّ الصَّحيح من القِراءة في سورة البقَرة: ﴿بِمَا كَانُوا يَكۡذِبُونَ﴾ بمعنى الكَذِبِ، وأنَّ الوَعيدَ مِن اللهِ تعالى ذِكْرُه لِلْمُنافِقينَ فيها على الكَذِبِ حَقٌّ، لا على التَّكْذيبِ الذي لم يَجْرِ له ذِكْرٌ - نَظيرَ الذي في سورة (المُنافِقينَ) سَواءً.

وَقد زَعَمَ بعضُ نَحْويِّي البصْرة أنَّ (ما) من قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿بِمَا كَانُوا يَكۡذِبُونَ﴾ اسمٌ لِلْمَصْدَرِ، كما أنَّ (أنْ) والفِعْلَ اسمانِ لِلْمَصْدَرِ في قولك: أُحِبُّ أن تأتِيَني. وأنَّ المعنى إنما

هو: بِكَذِبِهم وتكْذيبِهم.

قال: وأدْخَلَ (كان) ليُخْبِرَ أنّه كان فيما مَضَى، كما تقولُ: ما أَحْسَنَ ما كان عبدُ اللّهِ. فأنت تعجَبُ من عبدِ اللهِ لا من كَوْنِه، وإنّما وقَعَ التَعَجُّبُ في اللَّفْظِ على كَوْنِه.

وَكان بعضُ نَحْويِّي الكوفةِ يُنْكِرُ ذلك من قولِه ويَسْتَخْطِئُه ويقولُ: إنَّما أُلْغِيَتْ (كان) في التَعَجُّبِ لأنَّ الفِعْلَ قد تَقَدَّمَها، فكأنَّه قال: حَسَنًا كان زَيْدٌ، وَحَسَنٌ كان زَيْدٌ. يُبْطِل (كان)، ويُعْمِلُ مع الأسماء والصِّفات التي بِألفاظِ الأسماء إذا جاءتْ قَبْل (كان) وَوَقَعَتْ (كان) بينها وبين الأسماء.

وأمّا العِلَّةُ في إبطالِها إذا أُبْطِلَتْ في هذه الحالِ، فتَشْبيهُ الصِّفاتِ والأسماء بِفَعَلَ ويَفْعَلُ التي لا يَظْهَرُ عَمَلُ (كان) فيهما، ألا تَرَى أنّك تَقولُ: (يقوم كان زَيْدٌ)، فلا يَظْهَرُ عَمَلُ (كان) في (يقوم)؟ وكذلك (قامَ كان زَيْدٌ)، فَلِذلك أُبْطِلَ عَمَلُها مع (فاعِل) تَمْثيلاً بفعَل ويَفْعَلُ، وأُعْمِلَتْ مع فاعِلٍ أحيانًا؛ لأنَّه اسمٌ، كما تُعْملُ في الأسماء، فأمّا إذا تَقَدَّمَتْ (كان) الأسماءَ والأفعال وكان الاسمُ والفِعْلُ بعدَها، فَخَطَأٌ عندَه أنْ تَكونَ (كان) مُبْطَلَةً. فَلِذلك أحالَ قولَ البصْريِّ الذي حَكَيْناه، وتأوَّلَ قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ أنَّه بِمعنى: الذي يُكْذِبونَه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

اختَلَفَ أهل التّأويل في تأويل هذه الآية:

فَرُوِيَ عن سَلْمانَ الفارِسيِّ أنّه كان يقولُ: لم يجِئْ هؤلاء بعدُ.

٣٣٦- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عَثّامُ بن عَليّ، قال: حَدَّثَنا الأعْمَشُ، قال: سَمِعْت المِنْهالَ بن عَمْرو يُحَدِّثُ عن عَبّاد بن عبدِ اللّه، عن سَلْمانَ، قال: ما جاء هؤلاء بعدُ، الذينَ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١).

٣٣٧- **حَدَّثَني** أحمَد بن عُثْمان بن حَكيم، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن شَريك، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني الأعْمَش، عن زَيْد بن وهْب وغَيْرِه، عن سَلْمانَ أنّه قال في هذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ قال: ما جاء هؤلاء بعدُ (٢).

وَقال آخرونَ بِما:

٣٣٨- **حَدَّثَني** به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾. أما ﴿لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنَّ الفَسادَ هو الكُفْرُ والعَمَلُ بالمعصيةِ (٣).

(١) [ضعيف] عباد بن عبد الله الأسدي متروك، وقد تابعه زيد بن وهب في الذي بعده، ولكنها متابعة لا تصح فالسند إليه فيه شريك وابنه.

(٢) [ضعيف] شريك وابنه ضعيفان. وانظر قبله. (٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

٣٣٩- **وحُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا ابنُ أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يقولُ: لا تَعْصُوا في الأرضِ، ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ قال: فَكان فَسادُهم على أنفُسِهم ذلك معصية اللهِ؛ لأن مَنْ عَصَى اللهَ في الأرْض أو أمَرَ بِمعصيَتِه فقد أفسَدَ في الأرْض؛ لأن إصْلاحَ الأرْضِ والسَّماءِ بالطَّاعةِ [١].

وأولَى التَّأويلَيْنِ بالآيةِ تأويلُ مَنْ قال: إنَّ قولَ اللهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ نَزَلَتْ في المُنافِقينَ الذينَ كانوا على عَهْدِ رَسول الله ﷺ، وإنْ كان معنيًّا بها كُلُّ مَنْ كان بِمِثْلِ صِفَتِهم من المُنافِقينَ بعدَهم إلى يوم القيامة.

وقد يَحْتَمِل قول سَلْمان عند تِلاوة هذه الآية: (ما جاء هؤلاء بعد) أنْ يكون قاله بعد فَناءِ الذينَ كانوا بهذه الصِّفةِ على عَهْد رَسول الله ﷺ، خَبَرًا منه عَمَّنْ هو جاء منهم بعدَهم ولمَّا يجئْ بعدُ، لا أنه عَنَى أنَّه لم يَمْضِ مِمَّنْ ذلك صِفَتُه أحَدٌ.

وَإنَّما قُلْنا أولَى التَّأويلَيْنِ بالآيةِ ما ذَكَرْنا؛ لإجماعِ الحُجَّةِ من أهل التَّأويل على أنَّ ذلك صِفةُ مَنْ كان بين ظَهْرانَيْ أصْحاب رَسول الله ﷺ، على عَهْد رَسول الله ﷺ، من المُنافِقينَ، وأنَّ هذه الآيات فيهم نَزَلَتْ، والتَّأويلُ المُجْمَعُ عليه أولَى بِتأويلِ القُرْآن من قولٍ لا دَلالةَ على صِحَّتِه من أصْلٍ ولا نَظيرٍ.

والإفساد في الأرْض: العَمَلُ فيها بِما نَهَى اللهُ جَلَّ وعزَّ عنه، وتَضْييعُ ما أمَرَ اللهُ بِحِفْظِه، فَذلك جُمْلةُ الإفسادِ، كما قال جَلَّ ثَناؤه في كِتابِه مُخْبِرًا عن قِيلِ مَلائِكَتِه: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] يَعْنونَ بِذلك: أتَجْعَلُ في الأرْض من يَعْصِيك ويُخالِفُ أمْرَك؟ فَكَذلك صِفةُ أهل النِّفاقِ؛ مُفْسِدونَ في الأرْض بِمعصيَتِهم فيها رَبَّهم، ورُكوبِهم فيها ما نَهاهم عن رُكوبِه، وتَضْييعِهم فَرائِضَه وشَكِّهم في دين الله الذي لا يَقْبَلُ من أحَدٍ عَمَلاً إلا بالتَّصْديقِ به، والإيقانِ بِحَقيَتِه، وكَذِبِهم المُؤْمِنينَ بِدَعْواهم غَيْرَ ما هم عليه مُقيمونَ من الشَّكِّ والرَّيْبِ، ومُظاهرتِهم أهلَ التَّكْذيب باللَّهِ وكُتُبه ورُسُلِه على أولياء اللهِ إذا وجَدوا إلى ذلك سَبيلاً.

فَذلك إفسادُ المُنافِقينَ في أرْض اللَّهِ، وهم يَحْسَبونَ أنَّهم بِفِعْلِهم ذلك مُصْلِحونَ فيها، فَلم يُسْقِط اللهُ جَلَّ ثَناؤه عنهم عُقوبَتَه، ولا خَفَّفَ عنهم ألِيمَ ما أعَدَّ من عِقابِه لأهلِ معصيَتِه، بِحُسْبانِهم أنَّهم فيما أتَوْا من مَعاصي اللهِ مُصْلِحونَ، بل أوْجَبَ لهم الدَّرْكَ الأسفَلَ من نارِه، والألِيمَ من عَذابِه والعارَ العاجِلَ بِسبِّ اللهِ إيَّاهم وشَتْمِه لهم، فَقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾. وذلك من حُكْم اللهِ فيهم أدَلُّ الدَّليلِ على تَكْذيبه جلَّ ثناؤه قولَ القائِلينَ: إنَّ عُقوبات اللهِ لا يَسْتَحِقُّها إلاَّ المُعانِدُ رَبَّه فيما لَزِمَه من حُقوقِه وفُروضِه، بعد عِلْمِه وثُبوتِ الحُجَّةِ عليه بِمعرِفَتِه بِلُزومِ ذلك إيَّاه.

---

(١) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١﴾

وَتأويل ذلك كالذي قاله ابن عَبَّاس، الذي:

٣٤٠- **حدَّثنا** به مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثنا سَلَمة بن الفَضْل، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس قولَه: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ أي: قالوا: إنَّما نُريدُ الإصْلاحَ بينَ الفَريقَيْنِ من المُؤمِنينَ وأهلِ الكِتاب(١).

وَخالَفَه في ذلك غَيْرُه.

٣٤١- **فَحَدَّثنا** القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثنا الحُسَيْن بن داود، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال: إذا رَكِبوا معصية اللَّهِ، فَقِيلَ لهم: لا تَفْعَلوا كذا وكذا. قالوا: إنَّما نَحْنُ على الهُدَى(٢).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وأيُّ الأمْرَيْنِ كان منهم في ذلك، أعْني في دَعْواهم أنَّهم مُصْلِحونَ، فَهم لا شَكَّ أنَّهم كانوا يَحْسَبونَ أنَّهم فيما أتَوْا من ذلك مُصْلِحونَ - فَسَواءٌ بينَ اليَهودِ والمُسْلِمينَ كانتْ دَعْواهم الإصْلاحَ، أو في أديانِهم، وفيما رَكِبوا من معصية اللَّهِ، وكذِبهم المُؤمِنينَ فيما أظْهَروا لهم من القولِ وهم لِغَيْرِ ما أظْهَروا مُسْتَبْطِنونَ؛ لأنَّهم كانوا في جَميع ذلك من أمْرِهم عندَ أنْفُسِهم مُحْسِنينَ، وهم عند اللهِ مُسيئونَ، ولأمْرِ اللهِ مُخالِفونَ؛ لأنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤه قد كان فَرَضَ عليهم عَداوة اليَهودِ وحَرْبَهم مع المُسْلِمينَ، وألْزَمَهم التَّصْديقَ بِرَسولِ الله ﷺ، وبِما جاء به من عندِ اللهِ، كالذي ألْزَمَ من ذلك المُؤمِنينَ، فَكان لِقاؤُهم اليَهودَ على وجه الوِلايةِ منهم لهم، وشَكُّهم في نُبوَّةِ رَسول الله ﷺ وفيما جاء به أنَّه من عند الله - أعْظَمَ الفَساد، وإنْ كان ذلك كان عندَهم إصْلاحًا وهُدًى في أديانِهم، أو فيما بينَ المُؤمِنينَ واليَهودِ، فَقال جَلَّ ثَناؤه فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ دون الذينَ يَنْهَوْنَهم من المُؤمِنينَ عن الإفساد في الأرْض ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾

وَهذا القول من الله جَلَّ ثَناؤه تَكْذيب لِلْمُنافِقينَ في دَعْواهم إذ أُمِروا بِطاعةِ الله فيما أمَرَهم الله به، ونُهوا عن معصية الله فيما نَهاهم الله عنه، قالوا: إنَّما نَحْنُ مُصْلِحونَ لا مُفْسِدونَ، ونَحْنُ على رُشْد وهُدًى فيما أنْكَرْتُموه علينا دونكُم لا ضالُّونَ. فَكَذبهم الله جَلَّ وعَزَّ في ذلك من قِيلِهم، فَقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ المُخالِفونَ أمْر الله جَلَّ وعَزَّ، المُتَعَدّونَ

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح هنا، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان، ومداره على سلمة.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

حُدوده، الرَّاكِبونَ معصيَته، التَّارِكونَ فُروضه وهم لا يَشْعُرونَ ولا يَدْرونَ أنَّهم كذلك، لا الذينَ يَأمُرونَهم بالقِسْطِ من المُؤمِنينَ ويَنْهَوْنَهم عن مَعاصي الله جَلَّ وعَزَّ في أرْضه من المُسْلِمينَ.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وتأويل قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ يَعْني: وإذا قِيلَ لِهؤلاء الذينَ وصَفَهم الله ونَعَتَهم بِأنَّهم يقولونَ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾: صَدِّقوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبِما جاء به من عند الله كما صَدَّقَ به النَّاس. ويَعْني بـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ المُؤمِنينَ الذينَ آمَنوا بِمُحَمَّدٍ ونُبوَّته وما جاء به من عند اللَّه، **كَما:**

٣٤٢- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ يقول: وإذا قِيلَ لهم: صَدِّقوا كما صَدَّقَ أصْحاب مُحَمَّد ﷺ، قولوا: إنَّه نَبيٌّ ورَسول، وأنَّ ما أُنْزِلَ عليه حَقٌّ، وصَدِّقوا بالآخِرةِ، وأنَّكُم مَبْعوثونَ من بعد الموت[1].

وَإنَّما أُدخِلَتِ الألِف واللَّام في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ وَهم بعض النَّاس لا جَميعُهمْ؛ لأنَّهم كانوا معروفينَ عند الذينَ خوطِبوا بذلك في هذه الآية بِأعْيانِهم. وإنَّما معناه: آمِنوا كما آمَنَ النَّاس الذينَ تَعْرِفونَهم من أهل اليَقين والتَّصْديق باللَّه وبِمُحَمَّدٍ ﷺ، وبما جاء به من عند الله وباليوم الآخِر، فَلِذلك أُدْخِلَتِ الألِف واللَّام فيه كما أُدْخِلَتا في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] لأنَّه أُشيرَ بِدُخولهما إلى ناس معروفينَ عند مَنْ خوطِبَ بِذلك.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والسُّفَهاء: جَمْع سَفيه، كما العُلَماءُ جَمْع عَليم، والحُكَماء جَمْع حَكيم. والسَّفيه: الجاهِل الضَّعيف الرَّأي، القَليل المعرفة بِمَواضِع المَنافِع والمَضارِّ؛ ولِذلك سَمَّى الله جَلَّ وعَزَّ النِّساء والصِّبْيان سُفَهاء، فَقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥] فَقال عامّة أهل التَّأويل: هم النِّساء والصِّبْيان؛ لِضَعْفِ آرائِهم، وقِلَّة معرِفَتهم بِمَواضِع المَصالِح والمَضارّ التي تُصْرَف إليها الأموال.

وَإنما عَنَى المُنافِقونَ بِقِيلِهم: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ - إذْ دُعوا إلى التَّصْديق بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وبِما جاء به من عند اللَّه، والإقرار بالبعْثِ، فَقيل لهم: (آمِنوا) -: كما آمَنَ أصْحاب مُحَمَّد وأتْباعه من المُؤمِنينَ المُصَدِّقينَ به من أهل الإيمان واليَقين والتَّصْديق باللَّه وبما افتَرَضَ عليهم على لِسان رَسوله مُحَمَّد ﷺ وفي كِتابه وباليومِ الآخِر، فَقالوا إجابة لِقائِلِ ذلك لهم: أنُؤمِنُ كما آمَنَ أهل الجَهْل ونُصَدِّق بِمُحَمَّدٍ كما صَدَّقَ به هؤلاء الذينَ لا عُقول لهم ولا أفْهام! **كالذي:**

٣٤٣- **حَدَّثَني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: يَعْنونَ أصْحاب النَّبيّ ﷺ(١).

٣٤٤- حَدَّثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه عن الرَّبيع بن أنَس: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: يَعْنونَ أصْحاب مُحَمَّد ﷺ(٢).

٣٤٥- حَدَّثني يونُس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن زَيْد بن أسْلَمَ في قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ قال: هذا قول المُنافِقينَ، يُريدونَ أصْحاب النَّبيّ ﷺ(٣).

٣٤٦- حَدَّثنا أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: يقولونَ: أنَقولُ كما يَقول السُّفَهاء؟ يَعْنونَ أصْحاب مُحَمَّد ﷺ؛ لِخِلافِهم لِدينِهم(٤).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَر: وهذا خَبَر من الله تعالى عن المُنافِقينَ الذينَ تَقَدَّمَ نَعْته لهم ووَصْفُه إيَّاهم بِما وصَفَهم به من الشَّكّ والتَّكْذيب - أنَّهم هم الجُهَّال في أديانهم، الضُّعَفاء الآراء في اعْتِقاداتِهم واختياراتهم التي اختاروها لأنْفُسِهم من الشَّكّ والتكذيب والرَّيْب في أمْر الله وأمْر رَسوله وأمْر نُبوَّته، وفيما جاء به من عند الله، وأمْر البعث؛ لإساءَتِهم إلى أنْفُسهم بِما أتَوْا من ذلك، وهم يَحْسَبونَ أنَّهم إليها يُحْسِنونَ.

وذلك هو عَيْن السَّفَه؛ لأنَّ السَّفيه إنَّما يُفسِد من حَيْثُ يَرَى أنَّه يُصْلِح ويُضَيِّع من حَيْثُ يَرَى أنَّه يَحْفَظ، فَكَذلك المُنافِق يَعْصي رَبَّه من حَيْثُ يَرَى أنَّه يُطيعه، ويكْفُر به من حَيْثُ يَرَى أنَّه يُؤمِن به، ويُسيءُ إلى نَفْسه من حَيْثُ يَحْسَب أنَّه يُحْسِن إليها، كما وصَفَهم به رَبُّنا جَلَّ ذِكْره فَقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ وقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ دون المُؤمِنينَ المُصَدِّقينَ باللّه وبِكِتابِه وبِرَسولِه وثَوابه وعِقابه، ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾، وكذلك كان ابن عَبَّاس يَتأوَّل هذه الآيَةَ.

٣٤٧- حَدَّثنا أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يقول: الجُهَّال،

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٣) [صحيح] رجاله كلهم ثقات وسنده متصل.

(٤) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولَكِنْ لا يَعْقِلونَ[١].

وَأمَّا وجه دُخول الألِف واللّام في ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ فَشَبيهٌ بوَجْه دُخولهما في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ وقد بَيَّنَّا العِلَّة في دُخولهما هُنالِكَ، والعِلَّة في دُخولهما في ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ نَظيرَتها في دُخولهما في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ هُنالِكَ سَواء.

والدَّلالَةُ التي تَدُلّ عليه هذه الآية من خَطَأ قول مَنْ زَعَمَ أنَّ العُقوبة من الله لا يَسْتَحِقّها إلاّ المُعانِدُ رَبَّه بعد عِلْمه بِصِحَّةِ ما عانَدَه فيه - نَظيرةُ دَلالَةِ الآيات الأُخَرِ التي قد تَقَدَّمَ ذِكْرنا تأويلها في قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ونَظائِر ذلك.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:
﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذه الآيَةُ نَظيرةُ الآية الأُخْرَى التي أخْبَرَ الله جَلَّ ثَناؤه فيها عن المُنافِقينَ بِخِداعِهم اللهَ ورَسوله والمُؤمِنينَ، فَقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ ثُمَّ أكْذَبَهم تعالى ذِكْره بِقولِه: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ وأنَّهم بِقِيْلِهم ذلك يُخادِعونَ الله والذينَ آمَنوا. وكذلك أخْبَرَ عنهم في هذه الآيَةِ أنَّهم يقولونَ لِلْمُؤمِنينَ المُصَدِّقينَ باللَّه وكِتابه ورَسوله بِألسِنَتِهم: آمَنَّا وصَدَّقْنا بِمُحَمَّدٍ وبِما جاء به من عند اللَّه؛ خِداعًا عن دِمائِهم وأموالهم وذَراريِّهم، ودَرْءًا لهم عنها، وأنَّهم إذا خَلوا إلى مَرَدَتهم وأهل العُتوِّ والشَّرِّ والخُبْث منهم ومن سائِر أهل الشِّرْك الذينَ هم على مِثْل ما هم عليه من الكُفْر باللَّه وبِكِتابِه ورَسوله، وهم شَياطينُهم - وقد دَلَّلْنا فيما مَضَى من كِتابنا على أنَّ شَياطين كُلِّ شَيْء مَرَدَتُه - قالوا لهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: إنَّا معكُم على دينكُم، وظُهَراؤُكُم على مَنْ خالَفَكُم فيه، وأولياؤُكُم دون أصْحاب مُحَمَّد ﷺ، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ باللَّه وبِكِتابِه ورَسوله وأصْحابه. **كالذي:**

٣٤٨- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن العَلاء، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحّاك، عن ابن عَبّاس في قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ قال: كان رِجال من اليَهود إذا لَقُوا أصْحاب النَّبيّ ﷺ أو بعضَهم، قالوا: إنّا على دينكُم. وإذا خَلوا إلى أصْحابهم وهم شَياطينهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[٢].

٣٤٩- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبّاس: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ قال: إذا خَلوا إلى شَياطينهم من يَهود، الذينَ يَأمُرونَهم بالتَّكْذيبِ، وخِلاف ما جاء به الرَّسول ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: إنَّا على مِثْل ما أنتم

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

عليه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[(١)] .

٣٥٠- حَدَّثني موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيِّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النبي ﷺ: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾: أما شَياطينهم فهم رُءوسهم في الكُفر[(٢)] .

٣٥١- حَدَّثَنا بِشر بن مُعاذ العَقَديُّ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ أيْ: رُؤَسائِهم وقادَتهم في الشَّرّ، قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[(٣)] .

٣٥٢- حَدَّثَنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أَخْبَرنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ قال: المُشْرِكونَ[(٤)] .

٣٥٣- حَدَّثني مُحَمَّد بن عَمْرو الباهِليُّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى بن مَيْمون، قال: حَدَّثَنا ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول الله جَلَّ وعَزَّ: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ قال: إذا خَلا المُنافِقونَ إلى أصْحابهم من الكُفَّار[(٥)] .

٣٥٤- حَدَّثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثنا شِبْل، عن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ قال: أصْحابهم من المُنافِقينَ والمُشْرِكينَ[(٦)] .

٣٥٥- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، عن عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ قال: إخوانُهم من المُشْرِكينَ، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[(٧)] .

٣٥٦- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج في قوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ قال: إذا أصابَ المُؤمِنينَ رَخاءٌ، قالوا: نَحْنُ معكُم إنَّما

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح هنا، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان، ومداره على سلمة.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٦) [حسن لغيره] هذا سند ضعيف من أجل المثنى، وموسى بن مسعود أبي حذيفة، وله شاهد بإسناد حسن في الذي قبله.

(٧) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

نَحْنُ إخوانكُم. وإذا خَلَوا إلى شَياطينهم استَهْزَءوا بالمُؤمِنينَ[١].

٣٥٧- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال مُجاهِد: شَياطينُهم: أَصْحابهم من المُنافِقينَ والمُشْرِكينَ[٢].

فَإِنْ قال لنا قائِل: أرَأَيْت قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ فكيف قيلَ: ﴿خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ ولَم يَقُلْ: (خَلوا بِشَياطينِهم؟) فقد عَلِمْتَ أنَّ الجاري بين النَّاس في كَلامهمْ: (خَلوت بِفُلانٍ) أَكْثَر وأفشَى من (خَلوتُ إلى فُلان)، ومن قولك: إنَّ القُرْآن أفصَح البيان؟

قِيلَ: قد اختَلَفَ في ذلك أهل العِلْم بِلُغةِ العرب:

فكان بعض نَحويِّي البصْرة يقول: يُقال: خَلوت إلى فُلان، إذا أُريدَ به: خَلوت إليه في حاجة خاصَّة؛ لا يَحْتَمِل - إذا قِيلَ كذلك - إلاَّ الخَلاء إليه في قَضاء الحاجة. فَأَمَّا إذا قِيلَ: خَلوت به احْتَمَلَ معنَيَيْنِ:

أحَدهما: الخَلاء به في الحاجة.

والآخَر: في السُّخْرية به، فَعلى هذا القول: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ لا شَكَّ أفصَح منه لو قِيلَ: (وَإذا خَلوا بِشَياطينِهم) لِما في قول القائِل: (وإذا خَلوا بِشَياطينِهم) من التِباس المعنى على سامِعيه الذي هو مُنْتَفٍ عن قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾. فَهذا أحَد الأقْوال.

والقول الآخَر: أنْ تُوَجِّه معنى قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾: وإذا خَلوا مع شَياطينهم، إذْ كانتْ حُروف الصِّفات يُعاقِب بعضها بعضًا، كما قال الله مُخْبِرًا عن عيسَى ابن مَرْيَم أنَّه قال لِلْحَواريِّينَ: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] يُريد: مع اللَّه، وكَما توضَع (على) في موضِع (من) و(في) و(عن) و(الباء)، كما قال الشَّاعِر:

إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنو قُشَيْر لَعَمْر الله أعْجَبَني رِضاها[٣]

بِمعنى: (عَنِّي).

وَأَمَّا بعض نَحويِّي الكوفة فَإنَّه كان يَتأوَّل أنَّ ذلك بِمعنى: ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا﴾ وإذا صَرَفوا خَلاءَهم إلى شَياطينِهم. فَيَزْعُم أنَّ الجالِب لـ﴿إِلَىٰ﴾ المعنى الذي دَلَّ عليه الكَلام: من انصِراف المُنافِقينَ عن لِقاء المُؤمِنينَ إلى شَياطينهم خالينَ بِهم، لا قولُه: ﴿خَلَوْا﴾. وعلى

---

(١) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [الوافر] القائل: القحيف بن خمير بن سليم العقيلي. شاعر عده الجمحي في الطبقة العاشرة من الإسلاميين وكان معاصرًا لذي الرمة، له تشبب بمحبوبته (خرقاء) وعاش إلى ما بعد يوم (الفلج) الذي قتل فيه يزيد ابن الطثرية (سنة ١٢٦ هـ) ورثاه. وشعره مجموع في (ديوان صغير). اللغة: علي: بمعنى عني. لعمر الله: أسلوب قسم. المعنى: إن الشاعر هنا يمدح حكيم بن المسيب القشيري ويقسم فيقول: إذا رضيت عني بنو قشير سرني رضاها.

هذا التَّأويل لا يَصْلُح في موضِع ﴿إِلَىٰ﴾ غَيْرُها لِتَغيُّرِ الكَلام بِدُخولِ غَيْرِها من الحُروف مَكانها.

وَهذا القول عندي أولَى بالصَّوابِ، لأنَّ لِكُلِّ حَرْف من حُروف المَعاني وجهًا هو به أولَى من غَيْره، فلا يَصْلُح تَحْويل ذلك عنه إلى غَيْره إلاَّ بِحُجَّةٍ يجب التَّسْليم لها. ولـ(إلى) في كُلِّ موضِع دَخَلَتْ من الكَلام حُكْم وغَيْر جائِز سَلْبُها مَعانيها في أماكِنها.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾

أَجْمع أهل التَّأويل جَميعًا لا خِلاف بينهم، على أنَّ معنى قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾: إنَّما نَحْنُ ساخِرونَ. فَمعنى الكَلام إذن: وإذا انصَرَفَ المُنافِقونَ خالينَ إلى مَرَدَتِهم من المُنافِقينَ والمُشْرِكينَ قالوا: إنَّا معكُم على ما أنتم عليه من التَّكْذيب بِمُحَمَّد ﷺ، وبِما جاء به ومُعاداته ومُعاداة أتْباعه، إنَّما نَحْنُ ساخِرونَ بِأصحابِ مُحَمَّد ﷺ في قِيْلنا لهم إذا لَقيناهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾، **كما**:

٣٥٨- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن العَلاء، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارةَ، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾: ساخِرونَ بِأصْحابِ مُحَمَّد ﷺ[(١)].

٣٥٩- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: إنَّما نَحْنُ نَسْتَهْزِئ بالقَوْم ونَلْعَب بهم[(٢)].

٣٦٠- **حَدَّثَنا** بِشْر بن مُعاذ العَقَديُّ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، عن سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾: إنَّما نَسْتَهْزِئ بهؤلاء القَوْم ونَسْخَر بهم[(٣)].

٣٦١- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، عن عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: نَسْتَهْزِئ بِأصْحابِ مُحَمَّد ﷺ[(٤)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اختُلِفَ في صِفة استِهْزاء الله تعالى ذِكْرُه الذي ذَكَر أنَّه فاعِله بالمُنافِقينَ الذينَ وصَفَ صِفَتَهمْ:

فَقال بعضهم: استِهْزاؤُه بهم كالذي أخبرَنا تَبارَكَ اسمه أنَّه فاعِل بهم يوم القيامة في قوله

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

تـعـالـى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الحديد: ١٣، ١٤]الآية. وكالذي أخبرَنا أنه فَعَلَ بالكُفَّارِ بقولِه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

فَهذا وما أشبَهه من استِهْزاء الله تعالى ذكرُه وسُخْريَّته ومَكْره وخَديعَتِه لِلْمُنافِقينَ وأهل الشِّرْك به، عند قائِلي هذا القول ومُتأوِّلي هذا التَّأويل.

وَقال آخَرونَ: بل استِهْزاؤُه بهم: تَوْبيخه إيَّاهم، ولومه لهم على ما رَكِبوا من مَعاصيه والكُفْر به، كما يُقال: إنَّ فُلانًا لَيُهزَأ منه اليوم ويُسْخَر منهُ. يُراد به تَوْبيخ النَّاس إيَّاه ولومُهُم له. أو إهْلاكه إيَّاهم وتَدْميره بهم، كما قال عَبيد بن الأَبْرَص:

سائِل بِنا حُجْر ابن أم قَطام إذْ ظَلَّتْ به السُّمْرُ النَّواهِلُ تَلْعَبُ (١)

فَزَعَموا أنَّ السُّمْر - وهيَ القَنا - لا لَعِب منها، ولَكِنَّها لَما قَتَلَتْهم وشَرَّدَتْهم جَعَلَ ذلك من فِعْلها لَعِبًا بِمَنْ فَعَلَتْ ذلك به.

قالوا: فَكَذلك استِهْزاء الله جَلَّ ثَناؤه بِمن استَهْزأ به من أهل النِّفاقِ والكُفْرِ به، إمَّا إهْلاكه إيَّاهم وتَدْميره بهم، وإمَّا إمْلاؤُه لهم ليَأْخُذهم في حال أمْنهم عند أنْفُسهم بَغْتة، أو تَوْبيخه لهم ولأئِمَتِه إيَّاهم. قالوا: وكذلك معنى المَكْر منه والخَديعة والسُّخْرية.

وَقال آخَرونَ: قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ على الجَواب، كَقولِ الرَّجُل لِمَنْ كان يَخْدَعه إذا ظَفِرَ به: (أنا الذي خَدَعْتُك). ولم تَكُنْ منه خَديعة ولَكِنْ قال ذلك إذْ صارَ الأمْر إليه. قالوا: وكذلك قوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]و﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على الجَواب، واللَّهُ لا يكون منه المَكْرُ ولا الهُزْء. والمعنى عندهم: أنَّ المَكْر والهُزْء حاقٌ بهم.

وَقال آخَرونَ: قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]و﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ﴾ [التوبة: ٦٧]وما أشبَه ذلك - إخبارٌ من اللهِ جل ثناؤه أنَّه مُجازيهم جَزاء الاستِهْزاء، ومُعاقِبهم عُقوبةَ الخِداع، فَأخْرَجَ خَبَره عن جَزائِه إيَّاهم وعِقابه لهم مُخْرَجَ خَبَرِهِ عن فِعْلهم الذي عليه

---

(١) [الكامل]القائل: عَبيد بن الأبرَص بن عوف بن جشم الأسدي، أبو زياد، من مضر. شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، وهو أحد أصحاب المجمهرات المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. عاصر امرؤ القيس وله معه مناظرات ومناقضات، وعمّر طويلًا حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه. اللغة: حجر: أبو امرئ القيس، وكانت قتلته بنو أسد رهط عبيد بن الأبرص. وأم قطام: هي أم حجر ملك كندة. والنواهل جمع ناهل وناهلة: والناهل: العطشان، توصف به الرماح، كأنها تعطش إلى الدم، فإذا شرعت في الدم رويت. المعنى: يفتخر الشاعر هنا بأن بنو أسد قوم عبيد بن الأبرص هم الذين قتلوا حجر أبو امرئ القيس فيقول: يمكنكم أن تسألوا حجرًا ملك كندة كيف ظلت رماحنا تلعب به طيلة الليل.

استَحقّوا العِقاب في اللَّفظ وإنْ اختَلَفَ المعنَيانِ، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] ومعلوم أنَّ الأُولَى من صاحِبها سَيِّئة إذْ كانتْ منه لِلَّه تَبارَكَ وتعالى معصية، وأنَّ الأُخْرَى عَدْل لأنَّها من الله جَزاء لِلْعاصي على المعصية، فَهُما - وَإنْ اتَّفَقَ لَفظاهُما - مُخْتَلِفتا المعنى، وكذلك قوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] فالعُدْوان الأوَّل ظُلْم، والثَّاني جَزاء لا ظُلْم، بل هو عَدْل؛ لأنَّه عُقوبة لِلظَّالِم على ظُلْمه وإنْ وافَقَ لَفْظه لَفْظ الأوَّل.

وإلى مثل هذا المعنى وجَّهوا كُلَّ ما في القُرْآن من نَظائِر ذلك مِمَّا هو خَبَرٌ عن مَكْر الله جَلَّ وعَزَّ بِقَوْم، وما أشْبَه ذلك.

وَقال آخَرونَ: إنَّ معنى ذلك أنَّ الله جَلَّ وعَزَّ أخْبَرَ عن المُنافِقينَ أنَّهم إذا خَلوا إلى مَرَدَتهم قالوا: إنَّا معكُم على دينكُم في تَكْذيب مُحَمَّد ﷺ وما جاء به، وإنَّما نَحْنُ - بِما نُظْهِر لهم من قولنا لهم: صَدَّقْنا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وما جاء به - مُسْتَهْزِئونَ. يَعْنونَ: أنَّا نُظْهِر لهم ما هو عندنا باطِل لا حَقٌّ ولا هُدًى. قالوا: وذلك هو معنًى من مَعاني الاستِهْزاء، فَأخْبَرَ الله أنَّه يَسْتَهْزِئ بهم فَيُظْهر لهم من أحكامه في الدُّنْيا خِلاف الذي لهم عنده في الآخِرة، كما أظْهَروا لِلنَّبيِّ ﷺ والمُؤْمِنينَ في الدِّين ما هم على خِلافه في سَرائِرهم.

والصَّواب في ذلك من القول والتَّأويل عندنا: أنَّ معنى الاستِهْزاء في كَلام العرب: إظْهار المُسْتَهْزِئ لِلْمُسْتَهْزَإِ به من القول والفِعْل ما يُرْضيه ويوافِقُه ظاهِرًا، وهو بِذلك من قِيْله وفِعْله به مورِّطُه مَساءَتَهُ باطِنًا، وكذلك معنى الخِداع والسُّخْرية والمَكْر.

وَإذْ كان ذلك كذلك، وكان الله جَلَّ ثَناؤه قد جَعَلَ لأهلِ النِّفاق في الدُّنْيا من الأحكام - بِما أظْهَروا بِألسِنَتِهم من الإقْرار باللَّه وبِرَسولِه، وبِما جاء به من عند الله المُدْخِلهم في عِداد مَنْ يَشْمَله اسم الإسلام وإنْ كانوا لِغَيْرِ ذلك مُسْتَبْطِنينَ - أحكَامَ المُسْلِمينَ المُصَدِّقينَ إقْرارهم بِألسِنَتِهم بِذلك بِضَمائِر قُلوبهم وصَحائِح عَزائِمهم وحَميد أفعالهم المُحَقِّقة لهم صِحَّة إيمانهم، مع عِلْم الله جَلَّ وعزَّ بِكَذِبِهم، واطِّلاعه على خُبْث اعْتِقادهم وشَكِّهم فيما ادَّعَوْا بِألسِنَتِهم أنَّهم به مُصَدِّقونَ حتَّى ظَنّوا في الآخِرة - إذْ حُشِروا في عِداد مَنْ كانوا في عِدادهم في الدُّنْيا - أنَّهم وارِدونَ مورِدهم وداخِلونَ مَدْخَلهم، واللَّه جَلَّ جَلاله مع إظْهاره ما قد أظْهَرَ لهم من الأحكام المُلْحِقَتِهم في عاجِل الدُّنْيا وآجِل الآخِرة إلى حال تَمْييزه بينهم وبين أوليائِه وتَفْريقه بينهم وبينهم - مُعِدٌّ لهم من أليم عِقابه ونَكال عَذابه ما أعَدَّ منه لأعْدَى أعْدائِه وشَرِّ عِباده، حتَّى مَيَّزَ بينهم وبين أوليائِه فَألحَقَهم من طَبَقات جَحيمِه بالدَّرْكِ الأسفَل من النار - كان معلومًا أنَّه جَلَّ ثَناؤه بِذلك من فِعْله بهم، وإنْ كان جَزاءً لهم على أفعالهم، وعَدْلاً ما فَعَلَ من ذلك بهم لاِسْتِحْقاقِهم إيَّاه منه بِعِصْيانِهم له كان بهم بِما أظْهَرَ لهم من الأُمور التي أظْهَرَها لهم من إلْحاقه أحكامَهم في الدُّنْيا بِأحكامِ أوليائِه وهم له أعْداءٌ، وحَشْرِهِ إيَّاهم في الآخِرة مع المُؤْمِنينَ وهم به من المُكَذِّبينَ إلى أنْ مَيَّزَ بينهم وبينهم - مُسْتَهْزِئًا بهم وساخِرًا ولَهم خادِعًا وبِهم ماكِرًا؛ إذْ كان معنى الاستِهْزاء

والسُّخْرية والمَكْر والخَديعة ما وصَفْنا قَبْلُ، دون أنْ يكون ذلك معناه في حال فيها المُسْتَهْزِئ بِصاحِبِه له ظالِم أو عليه فيها عادِل، بل ذلك معناه في كُلِّ أحواله إذا وُجِدَتِ الصِّفات التي قَدَّمْنا ذِكْرها في معنى الاستِهْزاء وما أشْبَهَهُ من نَظائِره.

وَبِنَحْوِ ما قُلْنا فيه رويَ الخَبَر عن ابن عَبَّاس.

٣٦٢- **حدثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ قال: يَسْخَر بهم لِلنِّقْمةِ منهم[1].

وَأمَّا الذينَ زَعَموا أنَّ قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ إنَّما هو على وجه الجَواب، وأنَّه لم يكُنْ من الله استِهْزاء ولا مَكْر ولا خَديعة - فَنافونَ عن الله جَلَّ ثناؤه ما قد أثْبَتَه الله جَلَّ ثناؤه لِنَفْسِه وأوجَبَه لها. وسَواء قال قائِل: لم يكُنْ من الله جَلَّ ذِكْره استِهْزاء ولا مَكْر ولا سُخْرية بِمن أخْبَرَ أنَّه يَسْتَهْزِئ ويَسْخَر ويَمْكُر به. أو قال: لم يَخْسِف الله بِمَنْ أخْبَرَ أنَّه خَسَفَ به من الأُمَم، ولم يُغْرِق مَنْ أخْبَرَ أنَّه غرَّقَهُ منهم.

وَيُقال لِقائِلِ ذلك: إنَّ الله جَلَّ ثَناؤه أخبرَنا أنَّه مَكَرَ بِقَوْم مَضَوْا قَبْلنا لم نَرَهم، وأخْبَرَ عن آخَرينَ أنَّه خَسَفَ بهم، وعن آخَرينَ أنَّه غرَّقَهُم، فَصَدَّقْنا الله تعالى ذِكْره فيما أخبرَنا به من ذلك، ولم نُفَرِّق بين شَيْء منه، فما بُرْهانُك على تَفْريقك ما فَرَّقْت بينه بِزَعْمِك أنَّه قد غرَّق وخَسَفَ بِمن قد أخْبَرَ أنَّه غرَّقه وخَسَفَ به، ولم يَمْكُر بمن أخْبَرَ أنَّه قد مَكَرَ بِهِ؟ ثُمَّ يُعْكَس القول عليه في ذلك فَلَنْ يقول في أحَدهما شَيْئًا إلاَّ أُلْزِمَ في الآخَر مِثْله.

فَإنْ لَجأَ إلى أنْ يقول: إنَّ الاستِهْزاء عَبَث ولَعِب، وذلك عن الله عَزَّ وجَلَّ مَنْفيّ.

قيلَ له: إنْ كان الأمْر عندك على ما وصَفْت من معنى الاستِهْزاء، أفَلَسْت تَقول: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وسَخِرَ الله منهم ومَكَرَ الله بهم، وإنْ لم يكُنْ من الله عندك هُزْء ولا سُخْرية؟

فَإنْ قال: (لا). كَذَّبَ بالقُرْآنِ وخَرَجَ من مِلَّة الإسلام. وإنْ قال: (بَلَى). قِيلَ له: أفَتَقول من الوَجْه الذي قُلْت: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾؛ و﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾: يَلْعَب الله بهم ويَعْبَث. ولا لَعِب من الله ولا عَبَث؟ فَإنْ قال: (نَعَمْ). وصَفَ الله بِما قد أجْمع المُسْلِمونَ على نَفيه عنه وعلى تَخْطِئة واصِفه به، وأضافَ إليه ما قد قامَتِ الحُجّة من العُقول على ضَلال مُضيفه إليه. وإنْ قال: لا أقول: يَلْعَب الله بهم ولا يَعْبَث. وقد أقول: يَسْتَهْزِئ بهم ويَسْخَر منهم. قِيلَ: فقد فَرَّقْت بين معنى اللَّعِب، والعَبَث، والهُزْء، والسُّخْرية، والمَكْر، والخَديعة. ومن الوَجْه الذي جازَ قِيلُ هذا ولم يَجُزْ قِيلُ هذا افتَرَقَ معنَياهما، فَعُلِمَ أنَّ لِكُلِّ واحِد منهُما معنًى غَيْر معنى الآخَر.

وَلِلْكَلام في هذا النَّوْع موضِع غَيْر هذا، كَرِهْنا إطالة الكِتاب باستِقْصائِه، وفيما ذَكَرْنا كِفاية لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِه.

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

القول في تأويل قوله جَلَّ ثناؤه: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾:

فَقال بعضهم بِما:

٣٦٣- **حَدَّثَني** به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَرٍ ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: يُمْلي لهم[1].

وَقال آخَرون بِما:

٣٦٤- **حَدَّثني** به المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا سوَيْدُ بن نَصْر، عن ابن المُبارَك، عن ابن جُرَيْج، قِراءة عن مُجاهِد: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ قال: يَزيدهم[2].

وَكان بعض نَحْويّي البصْرة يَتأوَّل ذلك أنَّه بِمعنى: يَمُدّ لهم. ويَزْعُم أنَّ ذلك نَظير قول العرب: الغُلام يَلْعَب الكِعاب، يُراد به يَلْعَب بالكِعابِ. قال: وذلك أنَّهم قد يقولونَ: قد مَدَدْتُ له وأمْدَدْت له، في غَيْر هذا المعنى، وهو قول اللَّه جل وعز: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ [الطور: ٢٢] وهذا من: أمَدَدْناهم. قال: ويُقال: قد مَدَّ البحْر فهو مادّ، وأمَدَّ الجُرْح فهو مُمِدّ.

وَحُكيَ عن يونُس الجَرْميّ أنَّه كان يقول: ما كان من الشَّرّ فَهوَ (مَدَدْت)، وما كان من الخَيْر فَهوَ (أمْدَدْت). ثُمَّ قال: وهو كما فَسَّرْت لَك، إذا أرَدْت أنَّك تَرَكْته فهو مَدَدْت له، وإذا أرَدْت أنَّك أعْطَيْته قُلْت: أمْدَدْت.

وَأمَّا بعض نَحْويّي الكوفة فَإنَّه كان يقول: كُلّ زيادة حَدَثَتْ في الشَّيْء من نَفْسه فَهوَ (مَدَدْت) بِغَيْرِ ألِف، كما تَقول: مَدَّ النَّهَر، ومَدَّه نَهَر آخَر غَيْره، إذا اتَّصَلَ به فَصارَ منه، وكُلّ زِيادة حَدَثَتْ في الشَّيْء من غَيْره فهو بِألِفٍ، كَقولِك: (أمَدَّ الجُرْح)؛ لأنَّ المِدّة من غَيْر الجُرْح، وأمْدَدْت الجَيْش بِمَدَدٍ.

وَأولَى هذه الأقْوال بالصَّوابِ في قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ أنْ يكون بِمعنى يَزيدهم، على وجه الإمْلاء والتَّرْك لهم في عُتوّهم وتَمَرُّدهم، كما وَصَفَ رَبّنا جل ثناؤه أنَّه فَعَلَ بِنُظَرائِهم في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]. فكذلك قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يَعْني: يَذَرهم ويَتْرُكهم فيه ويُمْلي لهم ليَزْدادوا إثْمًا إلى إثْمهِمْ.

وَلا وجه لِقولِ مَنْ قال: ذلك بِمعنى (يَمُدّ لهم) لأنَّه لا تَدافُع بين العرب وأهل المعرِفة بِلُغَتِها

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف من أجل جهالة حال شيخ المصنف المثنى بن إبراهيم الآملي.

أنَّ يَسْتَجيزوا قول القائِل: مَدَّ النَّهر نَهر آخر، بِمعنى: اتَّصَلَ به فَصارَ زائِدًا ماءُ المُتَّصَل به بِماءِ المُتَّصِل، من غَيْر تأوُّل منهم، ذلك أنَّ معناه مَدَّ النَّهرَ نَهرَ آخَر، فَكَذلك ذلك في قوله جل وعز: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فِى طُغْيَنِهِمْ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والطُّغْيان الفُعْلانِ، من قولك: طَغَى فُلان يَطْغَى طُغْيانًا، إذا تَجاوَزَ في الأمْر حَدّه فَبَغَى. ومنه قول الله جل ثناؤه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] أي: يَتَجاوَز حَدّه. ومنه قول أُمَيّة بن أبي الصَّلْت:

وَدَعا الله دَعْوة لات هَنَّا بعد طُغْيانه فَظَلَّ مُشيرا[(١)]

وَإنّما عَنَى الله جَلَّ ثَنَاؤه بِقولِه: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَنِهِمْ﴾ أي: يُمْلي لهم، ويَذَرهم يَبْغونَ في ضَلالَتِهم وكُفْرهم حَيارَى يَتَرَدَّدونَ. كما:

٣٦٥- حُدِّثت عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿فِى طُغْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال: في كُفْرهم يَتَرَدَّدونَ[(٢)].

٣٦٦- وَحَدَّثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿فِى طُغْيَنِهِمْ﴾: في كُفْرهم[(٣)].

٣٦٧- حَدَّثَنا بِشر، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، عن سَعيد، عن قَتادة: ﴿فِى طُغْيَنِهِمْ﴾: في ضَلالَتهم[(٤)].

٣٦٨- حُدِّثت عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن

---

(١) [الخفيف] القائل: أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي. شاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام. أخباره كثيرة وشعره من الطبقة الأولى، إلا أن علماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب.

وهو أول من جعل في مطالع الكتب باسمك اللهم، فكتبتها قريش. اللغة: الضمير في قوله: (ودعا الله) إلى فرعون حين أدركه الغرق. والهاء في قوله (طغيانه) إلى فرعون، أو إلى الماء لما طغا وأطبق عليه. وقوله: (لات هنا): كلمة تدور في كلامهم يريدون بها: (ليس هذا حين ذلك). والتاء في قولهم (لات) صلة وصلت بها (لا)، أصلها (لا هنا) أي ليس هنا ما أردت، أي مضى حين ذلك. و (هنا) مفتوحة الهاء مشددة النون، مثل (هنا) مضمومة الهاء مخففة النون. وقوله: (مشيرًا)، أي مشيرًا بيده في دعاء ربه أن ينجيه من الغرق. المعنى: يتحدث الشاعر هنا عن فرعون حين أدركه الغرق فيقول: إنه دعا الله دعوة ولكنها لا تفيده في ذلك الوقت بعد طغيانه وجبروته وظلمه فأهلكه الله وظل مشيرًا بيده في دعاء ربه أن ينجيه من الغرق.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

الرَّبيع: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: في ضَلالَتهم[١].

٣٦٩ - حدثنا يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ قال: طُغْيانهم، كُفْرهم وضَلالَتهم[٢].

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾

قال أبو جعفر: والعَمَه نَفْسه: الضَّلال. يُقال منه: عَمِهَ فُلان يَعْمَه عَمَهانًا وعُموهًا: إذا ضَلَّ. ومنه قول رُؤبة بن العَجَّاج يَصِف مَضَلّة من المهامه:

وَمَخْفَقٍ من لُهْلُهٍ ولُهْلُهِ
من مَهْمَهٍ يجْتَبنَه في مَهْمَهِ
أعْمَى الهُدَى بالجاهِلينَ العُمَّهِ[٣]

والعُمَّهُ: جَمْع عامِهٍ، وهم الذينَ يَضِلّونَ فيه فَيَتَحَيَّرونَ.

فمعنى قوله جَلَّ ثَناؤه إذن: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ في ضَلالتهم وكُفْرهم الذي قد غَمَرهم دَنَسه وعَلاهم رِجْسه، يَتَرَدَّدونَ حَيارَى ضُلَّالًا، لا يجِدونَ إلى المَخْرَج منه سَبيلًا؛ لأنَّ الله قد طَبَعَ على قُلوبهم وخَتَمَ عليها، وَأعْمَى أبْصارهم عن الهُدَى وأغْشاها، فلا يُبْصِرونَ رُشْدًا، ولا يَهْتَدونَ سَبيلًا.

وَبِنَحْوِ ما قُلْنا في (العَمَه) جاء تأويل المُتأوِّلينَ.

٣٧٠ - حدثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يَتمادَوْنَ في كُفْرهِمْ[٤].

٣٧١ - حدثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن صالِح، عن مُعاوية بن صالِح

---

(١) فهو من معلقات المصنف.

(٢) سنده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) القائل: رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي أبو الجحّاف أَو أَبو محمد. راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته ف اللغة، مات في البادية، وقد أسنّ. وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة. اللغة: المخفق: الأرض الواسعة المستوية التي يخفق فيها السراب، أي يضطرب. ولهله: أرض واسعة يضطرب فيها السراب، والجمع لهاله. والمهمه: الفلاة المقفرة ليس بها ماء ولا أنيس. وجاب المفازة واجتابها: قطعها سيرًا. وقوله: (في مهمه): أي يقطعنه ويدخلن في مهمه آخر موغلين في الصحراء. و (العُمَّه) جمع عامِهٍ، وهم الذين يضلّون فيه فيتحيرون. المعنى: يقول الشاعر: إنهم عندما يدخلون في الأرض الواسعة التي يضطرب فيها السراب وفي الأرض الصحراء التي ليس بها ماء ولا أنيس وذلك سيرًا على الأقدام فإنهم يتحيرون وذلك مثل الجاهلين.

(٤) من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: ﴿ يَعْمَهُونَ﴾ قال: يَتَمادَوْنَ [١].

٣٧٢- حُدّثت عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشْر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿ يَعْمَهُونَ﴾ قال: يَتَرَدَّدون [٢].

٣٧٣- حَدّثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: قال ابن عَبَّاس: ﴿ يَعْمَهُونَ﴾: المُتَلَدِّد [٣].

٣٧٤- حَدّثنا مُحَمَّد بن عَمرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى بن مَيْمون، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿ فِي طُغْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال: يَتَرَدَّدونَ [٤].

٣٧٥- حَدّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله [٥].

٣٧٦- حَدّثنا سُفيان بن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن سُفيان، عن رَجُل، عن مُجاهِد مِثْله [٦].

٣٧٧- حَدّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا سوَيْدُ بن نَصْر، عن ابن المُبارَك، عن ابن جُرَيْجٍ قِراءة، عن مُجاهِد مِثْله [٧].

٣٧٨- حُدّثت عن عَمَّار، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿ يَعْمَهُونَ﴾ قال: يَتَرَدَّدونَ [٨].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: إنْ قال لنا قائِل: وكيفَ اشْتَرَى هؤلاء القَوْم الضَّلالة بالهُدَى، وإنَّما كانوا مُنافِقينَ لم يَتَقَدَّم نِفاقَهم إيمان فَيُقال فيهم: باعوا هُداهم الذي كانوا عليه بِضَلالَتِهم التي استَبْدَلوها منهُ؟ وقد عَلِمْتَ أنَّ معنى الشِّراء المَفْهوم اغتياض شَيْء بِبَذْلِ شَيْء مَكانه عِوَضًا منه،

---

(١) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه، والسند إليه هنا ضعيف فيه شيخ المصنف المجهول الحال، ولكن تابعه أبو حاتم كما في تفسير ابنه.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٥) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل المثنى مجهول الحال، وأبي حذيفة يكتب حديثه.

(٦) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من اجل الرجل المبهم عن سفيان الثوري، وسفيان بن وكيع يكتب حديثه.

(٧) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف من أجل جهالة حال شيخ المصنف.

(٨) [ضعيف] علقه المصنف، ولم يسنده.

والمُنافِقونَ الذينَ وصَفَهم الله بهذه الصِّفة لم يكونوا قَطّ على هُدًى فَيَتْرُكوه ويَعْتاضوا منه كُفرًا ونِفاقًا؟

قِيلَ: قد اختَلَفَ أهل التَّأويل في معنى ذلك، فَنَذْكُر ما قالوا فيه، ثُمَّ نُبَيِّن الصَّحيح من التَّأويل في ذلك إنْ شاءَ اللَّه.

٣٧٩- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أيْ: الكُفر بالإيمانِ(١).

٣٨٠- **حَدَّثني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ يقول: أخَذوا الضَّلالة وتَرَكوا الهُدَى(٢).

٣٨١- **حَدَّثَنا** بِشْر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾: استَحَبُّوا الضَّلالة على الهُدَى(٣).

٣٨٢- **حَدَّثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى بن مَيْمون، عن ابن أبي نَجيح عن مُجاهِد في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾: آمَنوا ثُمَّ كَفَروا(٤).

٣٨٣- **حَدَّثَنا** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله(٥).

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: فَكَأنَّ الذينَ قالوا في تأويل ذلك: (أخَذوا الضَّلالة وتَرَكوا الهُدَى)، وجَّهوا معنى الشِّراء إلى أنّه أخْذُ المُشْتَري المُشتَرَى مَكان الثَّمَن المُشْتَرَى به، فَقالوا: كذلك المُنافِق والكافِر قد أخَذا مَكان الإيمان الكُفْر، فَكان ذلك منهُما شِراء لِلْكُفْرِ والضَّلالة اللَّذَيْنِ أخَذاهُما بِتَرْكِهِما ما تَرَكا من الهُدَى، وكان الهُدَى الذي تَرَكاه هو الثَّمَن الذي جَعَلاهُ عِوَضًا من الضَّلالة التي أخَذاها.

وَأمَّا الذينَ تأوَّلوا أنَّ معنى قوله: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾: (استَحَبّوا)، فَإنّهم لَمَّا وجَدوا الله جَلَّ ثَناؤه قد

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح هنا، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان، ومداره على سلمة.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٥) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل المثنى وإسحاق مجهولان الحال.

وصَفَ الكُفَّار في موضِع آخر فنَسَبَهم إلى استِحْبابهم الكُفر على الهُدَى، فقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] صَرَفوا قوله: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ إلى ذلك وقالوا: قد تَدْخُل الباء مَكان (على)، و(على) مَكان الباء، كما يُقال: مَرَرْت بِفُلانٍ ومَرَرْت على فُلان، بِمعنى واحِد، وكَقولِ الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥] يريد: على قِنْطار. فكان تأويل الآية على معنى هؤلاء: أولَئِكَ الذينَ اختاروا الضَّلالة على الهُدَى. وأُراهُم وجَّهوا معنى قول الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿ٱشْتَرَوُا۟﴾ إلى معنى: (اختاروا)؛ لأنَّ العرب تَقول: اشْتَرَيْت كذا على كذا، و(اشْتَرَيْته) يَعْنونَ اخْتَرْته عليه. ومن الاشْتِراء قول أعْشى بَني ثَعْلَبة:

فَقد أُخْرِجُ الكاعِبَ المُشْتَرا ةَ من خِدْرها وأُشيعُ القِمارا[١]

يَعْني بالمُشْتَراةِ: المُخْتارة. وَقال ذو الرُّمَّة في الاشْتِراء بِمعنى الاختيار:

يَذُبُّ القَصايا عن شَراة كَأنَّها جَماهيرُ تَحْتَ المُدْجِناتِ الهَواضِبِ[٢]

يَعْني بالشَّراة: المُخْتارة.

وَقال آخَر في مِثْل ذلك:

إنَّ الشَّراةَ رُوْقَةُ الأمْوال
وَحَزْرَةُ القَلْبِ خِيارُ المال[٣]

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وهذا وإنْ كان وجهًا من التَّأويل فَلَسْتُ له بِمُخْتارٍ لأنّ الله جَلَّ ثَناؤه قال: ﴿فَمَا

(١) [المتقارب] القائل: الأعشى ميمون بن قيس بن جندل، تقدم. اللغة: الكاعب: التي كعب ثديها، أي نهد، يعني أنها غريرة منعمة محجوبة. المستراة: المختارة. وخدر الجارية: سترها الذي يمد لها لتلزمه بعد البلوغ، وأشاع المال بين القوم: فرقه فيهم. وأراد بالقمار: لعب الميسر، وعنى نصيب الفائز في الميسر من لحم الجزور، يفرقه في الناس من كرمه. المعنى: يتحدث الشاعر هنا عن الفتاة المقبلة على الزواج وقد بدأت ملامح الأنوثة تظهر فيها.

(٢) [الطويل] القائل: ذو الرُّمَّة غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر. من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. كان شديد القصر دميمًا، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وكان مقيمًا بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيرًا، امتاز بإجادة التشبيه. قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته (ما بال عينيك منها الماء ينسكب) لكان أشعر الناس. عشق (ميّة) المنقرية واشتهر بها. توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية. اللغة: الضمير في قوله (يذب) لفحل الإبل. ويذب: يدفع ويطرد. والقصايا: جمع قصية: وهي من الإبل رذالتها، ضعفت فتخلفت. شراة: المختارة. وجماهير، جمع جمهور: وهو رملة مشرفة على ما حولها، تراكم رملها وتعقد. والمدجنات، من قولهم: (سحابة داجنة ومدجنة)، وهي: المطبقة الكثيفة المطر. والهواضب: التي دام مطرها وعظم قطرها. المعنى: يتحدث الشاعر هنا عن الإبل فيقول: إن ذكر الإبل يدفع ويطرد الإبل الأخرى وهو هنا... شبه الإبل في جلالة خلقها وضخامتها بجماهير الرمل المتلبدة في رأي العين من بعيد.

(٣) [الرجز] القائل: شاعر غير معروف اسمه. اللغة: الشراة: المختارة. روقة الناس: خيارهم وأبهاهم منظرًا. ويقال: هذا الشيء حزرة نفسي وقلبي: أي خير ما عندي، وما يتعلق به القلب لنفاسته. المعنى: يقول الشاعر: إن أفضل شيء عندي هو المال، وخير ما عندي وما يتعلق به قلبي أيضًا هو المال.

رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾ فَدَلَّ بذلك على أنَّ معنى قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ معنى الشِّراء الذي يَتعارَفه النَّاس، من استِبْدال شَيْء مَكان شَيْء، وأخْذ عِوَض على عِوَض.

وَأمّا الذينَ قالوا: إنَّ القَوْم كانوا مُؤمِنينَ فكَفَروا. فإنّه لا مُؤنة عليهم لو كان الأمْر على ما وصَفوا به القَوْم؛ لأنَّ الأمْر إذا كان كذلك فقد تَركوا الإيمان، واستَبْدَلوا به الكُفر عِوَضًا من الهُدَى. وذلك هو المعنى المَفهوم من مَعاني الشِّراء والبَيْع.

ولَكِنْ دَلائِل أوَّل الآيات في نُعوتهم إلى آخِرها دالة على أنَّ القَوْم لم يكونوا قَطّ استَضاءوا بنورِ الإيمان ولا دَخَلوا في مِلَّة الإسلام، أوَ ما تَسمَع الله جَلَّ ثَناؤه من لَدُن ابْتَدَأ في نَعْتهم إلى أنْ أتَى على صِفَتهم إنَّما وصَفَهم بإظْهارِ الكَذِب بألسِنَتِهم بدَعْواهم التَّصْديق بنَبيِّنا مُحَمَّد ﷺ وبما جاء به، خِداعًا لِلّه ولِرَسولِه ولِلْمُؤمِنينَ عند أنْفُسهم واستِهْزاءً في أنفُسهم بالمُؤمِنينَ، وهم لِغَيْرِ ما كانوا يُظْهِرونَ مُسْتَبْطِنونَ، يقولِ الله جَلَّ جَلاله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ ثُمَّ اقْتَصَّ قَصَصهم إلى قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ فأيْنَ الدَّلالة على أنَّهم كانوا مُؤمِنينَ فَكَفَروا؟

فَإنْ كان قائِل هذه المَقالة ظَنَّ أنَّ قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ هو الدَّليل على أنَّ القَوْم قد كانوا على الإيمان فانتَقَلوا عنه إلى الكُفْر؛ فَلِذلك قِيلَ لهم: ﴿ٱشْتَرَوُاْ﴾؛ فَإنَّ ذلك تأويل غَيْر مُسَلَّم له؛ إذْ كان الاشتِراء عند مُخالِفيه قد يكون أخْذ شَيْء بِتَرْكِ آخَر غَيْره، وقد يكون بمعنى الاختيار وبِغَيْرِ ذلك من المَعاني، والكَلِمة إذا احْتَمَلَتْ وُجوهًا لم يَكُنْ لأحَدٍ صَرْفُ معناها إلى بعض وُجوهها دون بعض إلاَّ بِحَجّةٍ يجِبُ التَّسْليم لها.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والذي هو أولَى عندي بِتأويلِ الآية: ما رَوَيْنا عن ابن عَبَّاس وابن مسعود من تأويلهما قوله: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: أخَذوا الضَّلالة وتَركوا الهُدَى. وذلك أنَّ كُلّ كافِر باللَّه فَإنّه مُسْتَبْدِل بالإيمانِ كُفْرًا باكْتِسابِه الكُفر الذي وُجِدَ منه بَدَلاً من الإيمان الذي أُمِرَ به، أوَ ما تَسْمَع الله جَلَّ ثَناؤه يقول فيمَنْ اكْتَسَبَ كُفْرًا به مَكان الإيمان به وبِرَسولِه: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨] وذلك هو معنى الشِّراء؛ لأنَّ كُلّ مُشْتَرٍ شَيْئًا فإنّما يَسْتَبْدِل مَكان الذي يُؤخَذ منه من البدَل آخَر بَديلاً منه، فَكَذلك المُنافِق والكافِر استَبْدَلا بالهُدَى الضَّلال والنِّفاق، فَأضَلَّهُما الله وسَلَبَهُما نور الهُدَى فَتَرَك جَميعَهم في ظُلُمات لا يُبْصِرونَ.

القول في تأويل قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وتأويل ذلك أنَّ المُنافِقينَ بِشِرائِهم الضَّلالة بالهُدَى، خَسِروا ولم يَرْبَحوا؛ لأنَّ الرَّابِح من التُّجَّار المُسْتَبْدِلُ من سِلْعَته المَمْلوكةِ عليه بَدَلاً هو أنْفَس من سِلْعَته أو أفْضَل من ثَمَنها الذي ابْتاعَها به، فَأمَّا المُسْتَبْدِل من سِلْعَته بَدَلاً دونها ودون الثَّمَن الذي ابْتاعها به فهو الخاسِر في تِجارَته لا شَكَّ، فَكَذلك الكافِر والمُنافِق لأنَّهما اختارا الحَيْرَةَ والعَمَى على الرَّشاد والهُدَى والخَوْفَ والرُّعْبَ على الخَفْض والأمِن، فاستَبْدَلا في العاجِل بالرَّشادِ الحَيْرَةَ، وبالهُدَى

الضَّلالة، وبالخَفْضِ الخَوْفَ، وبالأَمْنِ الرُّغب؛ مع ما قد أَعَدَّ لهُما في الآجِل من أليم العِقاب وشَديد العَذاب، فَخابا وخَسِرا، ذلك هو الخَسْران المُبين.

وبِنَحْوِ ما قُلْنا في ذلك كان قَتادةُ يقول.

٣٨٤- حَدَّثنا بِشر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾: قد واللَّه رَأَيْتُموهم، خَرَجوا من الهُدَى إلى الضَّلالة، ومن الجَماعة إلى الفُرْقة، ومن الأَمْن إلى الخَوْف، ومن السُّنَّة إلى البِدْعة[١].

قالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَإِنْ قال قائِل: وَما وجه قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ وهَل التِّجارة مِمَّا تَرْبَح أو تُوكس فَيُقال: رَبِحَتْ أو وُضِعَتْ؟

قِيلَ: إنَّ وجه ذلك على غَيْر ما ظَنَنْت؛ وإنَّما معنى ذلك: فَما رَبِحوا في تِجارَتهم، لا فيما اشْتَرَوْا ولا فيما شَرَوْا. ولكِنَّ الله جَلَّ ثَناؤه خاطَبَ بِكِتابِه عَرَبًا فَسَلَكَ في خِطابه إيَّاهم وبَيانه لهم مسلَك بعضهم بعضًا وبَيانهم المُسْتَعْمَل بينهمْ، فَلَمَّا كان فَصيحًا لَدَيْهم قولُ القائِل لِآخَر: خابَ سَعْيُك ونامَ لَيْلك، وخَسِرَ بَيْعُك، ونَحْو ذلك من الكَلام الذي لا يَخْفَى على سامِعه ما يُريد قائِله؛ خاطَبَهم بالذي هو في مَنْطِقهم من الكَلام فَقال: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ إذْ كان معقولاً عندهم أنَّ الرِّبْح إنَّما هو في التِّجارة كما النَّوْم في اللَّيْل، فاكْتَفَى بِفَهْم المُخاطَبينَ بِمعنى ذلك عن أنْ يُقال: فَما رَبِحوا في تِجارَتهم، وإنْ كان ذلك معناه، كما قال الشَّاعِر:

وَشَرُّ المَنايا مَيِّتٌ وسْطَ أهلِهِ كَهُلْكِ الفَتاة أسلَمَ الحَيَّ حاضِرُهْ[٢]

يَعْني بِذلك: وشَرّ المَنايا مَنِيةُ مَيِّت وسْط أهله؛ فاكْتَفَى بِفَهْمِ سامِع قِيْله مُرادَهُ من ذلك عن إظْهار ما تَرَكَ إظْهاره وكَما قال رُؤْبة بن العَجَّاج:

حارِثُ قد فَرَّجْتَ عَنّي هَمّي
فَنامَ لَيْلي وتَجَلَّى غَمّي[٣]

---

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [الطويل] القائل: الحُطيئة جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو ملكية. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءًا عنيفًا، لم يكد يسلم من لسانه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس. اللغة: المنايا: مفردها منية وهي الموت. شر المنايا ميت: وشر المنايا منيَّة ميت وَسط أهله. أيقظ الحي: يعني أيقظ الحي حاضر الموت، فقامت البواكي ترن وتندب، وكأن رواية من روى (أسلم الحي)، تعني أسلمهم للبكاء. المعنى: يقول الشاعر: إن شر المنايا أن يموت المرء وسط أهله حيث تعرف الفتيات فيخرجن ويستسلمن للبكاء.

(٣) [الرجز] القائل: رؤبة بن العجاج رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي أبو الجحّاف أو أبو محمد. راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته ف اللغة، مات في البادية، وقد أسنّ. وفي الوفيات: لما مات

فَوَصَفَ بالنَّوْمِ اللَّيْل، ومعناه أنَّه هو الذي نامَ.

وكَما قال جَرير بن الخَطَفي:

وَأَعْوَرَ مِن نَبْهانَ أَمَّا نَهارُه فَأَعْمَى وأَمَّا لَيْلُه فَبَصيرُ(١)

فَأضافَ العَمَى والإبصار إلى اللَّيْل والنَّهار، ومُراده وَصْف النبهاني بِذلك.

القول في تأويل قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: ما كانوا رُشَداء في اختيارهم الضَّلالة على الهُدَى، واستِبْدالهم الكُفر بالإيمانِ، واشْتِرائِهم النِّفاق بالتَّصْديقِ والإقْرار.

القول في تأويل قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: إنْ قال لنا قائِل: وكيفَ قِيلَ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وقد عَلِمْتَ أنَّ الهاء والميم من قوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ كِناية جِماع من الرِّجال أو الرِّجال والنِّساء، و﴿الَّذِي﴾ دَلالة على واحِد من الذُّكور، فكيف جَعَلَ الخَبَر عن واحِد مَثَلًا لِجَماعةٍ؟ وهَلَّا قِيلَ: مَثَلهم كَمَثَلِ الذينَ استَوْقَدوا نارًا؟ وإنْ جازَ عندك أنْ تُمَثِّل الجَماعة بالواحِدِ فَتُجيز لِقائِلٍ رَأى جَماعةً من الرِّجال فَأَعْجَبَتْه صوَرُهم وتَمام خَلْقهم وأجْسامهم أنْ يقول: كَأنَّ هؤلاء، أو كَأنَّ أجْسام هؤلاء نَخْلة؟

قِيلَ: أمَّا في الموضِع الذي مَثَّل رَبّنا جَلَّ ثَناؤه جَماعة من المُنافِقينَ بالواحِدِ الذي جَعَلَه لأفعالِهم مَثَلًا فَجائِز حَسَن، وفي نَظائِره، كما قال جَلَّ ثَناؤه في نَظير ذلك: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] يَعْني كَدَوْرِ أعيُن الذي يُغْشَى عليهم من الموت، وكَقولِه: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] بِمعنى: إلاَّ كَبَعْثِ نَفْس واحِدة.

وَأمَّا في تَمْثيل أجْسام الجَماعة من الرِّجال في الطول وتَمام الخَلْق بالواحِدةِ من النَّخيل، فَغَيْر جائِز ولا في نَظائِره لِفرْقٍ بينهما.

فَأمَّا تَمْثيل الجَماعة من المُنافِقينَ بالمُسْتَوْقِدِ الواحِد، فَإنَّما جازَ لأنَّ المُراد من الخَبَر عن مَثَلِ المُنافِقينَ الخَبَرُ عن مَثَل استِضاءَتهم بِما أظْهَروا بِألسِنَتِهم من الإقْرار وهم لِغَيْرِه مُسْتَبْطِنونَ من

رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة. اللغة: فرّجتَ: كشفت. المعنى: إن الشاعر هنا يمدح الحارث بن سليم، من آل عمرو بن سعد بن زيد مناة فيقول: يا حارث لقد كشفت عني همومي فاستطعت أن أنام ليلي ولم يعد لي هم أو غم.

(١) [الطويل] القائل: جَرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم. أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفردق والأخطل. كان عفيفًا، وهو من أغزل الناس شعرًا. المعنى: إن جريرًا هنا يهجو الأعور النبهاني، وكان هجا جريرًا، فأكله جرير. والمعنى: أي هو أعور النهار عن الخيرات، بصير الليل بالسوءات، يسرق ويزني.

اعْتِقاداتهم الرَّديَّة، وخَلْطهم نِفاقهم الباطِن بالإقْرار بالإيمانِ الظَّاهِر.

والاستِضاءَةُ - وإنْ اختَلَفَتْ أشخاص أهلها - معنًى واحِد لا مَعانٍ مُخْتَلِفة، فالمَثَل لها في معنى المَثَل لِلشَّخْصِ الواحِد من الأشياء المُخْتَلِفة الأشخاص.

وَتأويل ذلك: مَثَلُ استِضاءة المُنافِقينَ بِما أظْهَروه من الإقْرار باللَّه عز وجل وبِمُحَمَّدٍ ﷺ، وبِما جاء به قولاً وهم به مُكَذِّبونَ اعْتِقادًا، كَمَثَلِ استِضاءة الموقِد نارًا. ثُمَّ أُسْقِطَ ذِكْر الاستِضاءة وأُضيفَ المَثَل إليهم، كما قال نابغة بَني جَعْدة:

وَكَيفَ تُواصِلُ مَنْ أصْبَحَتْ خِلالَتُه كَأبي مَرْحَبِ[1]

يُريد: كَخِلالةِ أبي مَرْحَب، فأسقَطَ (خِلالة)؛ إذْ كان فيما أظْهَرَ من الكَلام دَلالة لِسامِعيه على ما حَذَفَ منه.

فَكذلك القول في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ لَمَّا كان معلومًا عند سامِعيه بِما ظَهَرَ من الكَلام أنَّ المَثَل إنَّما ضُرِب لاستِضاءةِ القَوْم بالإقْرارِ دون أعْيانِ أجْسامهم، حَسُنَ حَذْف ذِكْر الاستِضاءة وإضافةُ المَثَل إلى أهله، والمَقْصود بالمَثَلِ ما ذَكَرْنا، فَلِما وصَفْنا جازَ وحَسُنَ قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وتَشْبيه مَثَل الجَماعة في اللَّفْظ بالواحِدِ؛ إذْ كان المُراد بالمَثَلِ الواحِد في المعنى. وأمَّا إذا أُريدَ تَشْبيه الجَماعة من أعْيانِ بَني آدَم أو أعْيانِ ذَوي الصّوَر والأجْسام بِشَيْءٍ، فالصَّواب من الكَلام تَشْبيه الجَماعة بالجَماعةِ والواحِد بالواحِدِ؛ لأنَّ عَيْن كُلّ واحِد منهم غَيْر أعْيانِ الآخَرينَ، ولِذلك من المعنى افتَرَقَ القول في تَشْبيه الأفعال والأسماء، فَجازَ تَشْبيه أفعال الجَماعة من النَّاس وغَيْرهم - إذا كانتْ بِمعنًى واحِد - بِفِعْلِ الواحِد، ثُمَّ حَذْفُ أسْماء الأفعال، وإضافة المَثَل والتَّشْبيه إلى الذينَ لهم الفِعْل، فَيُقال: ما أفعالكُم إلاَّ كَفِعْلِ الكَلْب، ثُمَّ يُحْذَف فَيُقال: ما أفعالكُم إلاَّ كالكَلْبِ أو كالكِلابِ، وأنت تَعْني: إلاَّ كَفِعْلِ الكَلْب، وإلاَّ كَفِعْلِ الكِلاب. ولم يَجُزْ أنْ تَقول: ما هم إلاَّ نَخْلة، وأنت تُريد تَشْبيه أجْسامهم بالنَّخْلِ في الطّول والتّمام.

وَأمَّا قوله: ﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ فَإنّه في تأويل: أوقَدَ، كما قال الشَّاعِر:

وَداعٍ دَعا يا مَنْ يُجيب إلى النَّدَى فَلَم يَسْتَجِبْه عند ذاكَ مُجيبُ[2]

---

(١) [المتقارب] القائل: النَّابِغَةِ الجَعدِيّ قيس بن عبد الله، بن عُدَس بن ربيعة، الجعدي العامري، أبو ليلى. شاعر مفلق، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثمَّ نبغ فقاله، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام. ووفد على النبي ﷺ، فأسلم، وأدرك صفّين فشهدها مع علي كرم الله وجهه، ثم سكن الكوفة فَسَيّره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها وقد كُفَّ بصره وجاوز المائة.
اللغة: الخلة والخلالة: الصداقة المختصة التي ليس في علاقتها خلل. وأبو مرحب: كنية الظل. المعنى: يتعجب الشاعر ويقول: كيف يمكنك أن تصاحب إنسانًا يمكن أن تزول صداقته كما يزول الظل أي لا تبقى به مودة.

(٢) [الطويل] القائل: كعب بن سعد الغنوي، من بني غني من قيس بن عيلان. شاعر مخضرم مجيد من أهل الطبقة الثانية وشعره يحتج به عند أهل اللغة وكان له أخ يدعى أبا المغوار قتل في حرب ذي قار، رثاه فصارت من المراثي

يُريد: فَلم يُجِبْه.

فَكان معنى الكَلام إذن: مَثَلُ استِضاءة هؤلاء المُنافِقينَ - في إظْهارهم لِرَسولِ الله ﷺ ولِلْمُؤمِنينَ بِألسِنَتِهم من قولهِمْ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ وصَدَّقْنا بِمُحَمَّدٍ، وبِما جاء به، وهم لِلْكُفْرِ مُسْتَنْبِطونَ - فيما الله فاعِل بهم، مَثَلُ استِضاءة موقِدٍ نارًا بِنارِه حتَّى أضاءَتْ له النَّار ما حَوْله، يَعْني ما حَوْل المُسْتَوْقِد.

وَقد زَعَمَ بعض أهل العربيَّة من أهل البصْرة أنَّ ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ بِمعنى (الذينَ) كَما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] وكَما قال الشَّاعِر:

فَإنَّ الذي حانَتْ بِفَلْجٍ دِماؤُهم ... هم القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يا أُمَّ خالِدِ[(١)]

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والقول الأوَّل هو القول؛ لِما وصَفْنا من العِلَّة، وقد أغْفَلَ قائِل ذلك فَرْقَ ما بين الذي في الآيَتَيْنِ وفي البيْت؛ لأنَّ ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قد جاءتِ الدَّلالة على أنَّ معناها الجَمْع، وهو قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ وكذلك الذي في البيْت، وهو قوله: دِماؤُهم. ولَيْسَتْ هذه الدَّلالة في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾. فَذلك فَرْقُ ما بين ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وسائِر شَواهِده التي استَشْهِدَ بها على أنَّ معنى ﴿ٱلَّذِى﴾ في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ بِمعنى الجِماع، وغَيْر جائِز لأحَدٍ نَقْلُ الكَلِمة التي الأغْلَبُ في استِعْمال العرب على معنًى إلى غَيْره إلاَّ بِحُجَّةٍ يجِب التَّسْليم لها.

ثُمَ اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل ذلك: فَرويَ عن ابن عَبَّاس فيه أقوال:

أحَدها ما:

٣٨٥- **حَدَّثَنا** به مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عِكْرِمة أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: ضَرَبَ الله لِلْمُنافِقينَ مَثَلاً فَقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا

المعدودة عند العرب واشتهر بها وقد قال عنه الأصمعي بين أصحاب المراثي: ليس في الدنيا مثله. وكان يكثر من اقتباس الأمثال في شعره، فعرف بكعب الأمثال. وكان منزله في موضع يسمى رملة إنسان في شرقي الرجام (وهو جبل نزل بسفحه جيش أبي بكر في زحفه من المدينة إلى عُمان لحرب أهل الردة). اللغة: الندى: الكرم. المعنى: يقول الشاعر: وهناك من يدعو وينادي ويبحث عن الشخص الكريم ولكن لا يجيبه مجيب أبدًا.

(١) [الطويل] القائل: الأشهب الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد المدان النهشلي الدارمي التميمي. شاعر نجدي، ولد في الجاهلية، وأسلم، ولم يجتمع بالنبي ﷺ، وعاش إلى العصر الأموي، هجا غالبًا (أبا الفرزدق) فهجاه الفرزدق، وضعف الأشهب عن مجاراته، وذكره المرزباني في من وفد على الوليد بن عبد الملك. نسبته إلى أمه (رميلة) وكانت أمَة اشتراها أبوه في الجاهلية. اللغة: يقولون إن النون حذفت من (الذين)، فصارت (الذي) لطول الكلام وللتخفيف، وهي بمعنى الجمع لا المفرد. فلج: واد بين البصرة وحمى ضرية. المعنى: يقول الشاعر: إن الذينْ جاءت لحظة موتهم بوادي فلج هم كل القوم يا أم خالد.

﴿يُبْصِرُونَ﴾ أي: يُبْصِرونَ الحَقّ ويقولونَ به، حتَّى إذا خَرَجوا به من ظُلْمة الكُفْر أطفَئوه بِكُفْرِهم به ونِفاقهم فيه، فتَرَكَهم في ظُلُمات الكُفْر، فَهم لا يُبْصِرونَ هُدًى ولا يَسْتَقيمونَ على حَقّ(١).

والآخر ما:

٣٨٦- **حَدَّثَنا** به المُثَنَّى به إبراهيم، قال: حَدَّثَنا أبو صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ إلى آخر الآية: هذا مَثَل ضَرَبَه الله لِلْمُنافِقينَ أنَّهم كانوا يَعْتَزّونَ بالإسلام فيُناكِحهم المُسْلِمونَ ويوارِثونهم ويُقاسِمونَهم الفَيْء، فَلَمَّا ماتوا سَلَبهم الله ذلك العِزّ، كما سَلَب صاحِبَ النَّار ضَوْءه ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ يقول: في عَذاب(٢).

والثَّالث ما:

٣٨٧- **حَدَّثني** به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾: زَعَمَ أنَّ أُناسًا دَخَلوا في الإسلام مَقْدَمَ النَّبيّ ﷺ المَدينة، ثُمَّ إنَّهم نافَقوا، فكان مَثَلهم كَمَثَلِ رَجُل كان في ظُلْمة فَأوقَدَ نارًا فَأضاءَتْ له ما حَوْله من قَذًى أو أذًى، فَأبْصَرَه حتَّى عَرَفَ ما يَتَّقي، فبينا هو كذلك إذْ طُفِئَتْ ناره فَأقْبَلَ لا يَدْري ما يَتَّقي من أذًى، فَكَذلك المُنافِق كان في ظُلْمة الشِّرْك فَأسلَمَ فَعَرَفَ الحَلال من الحَرام، والخَيْر من الشَّرّ، فبينا هو كذلك إذْ كَفَرَ، فَصارَ لا يَعْرِف الحَلال من الحَرام، ولا الخَيْر من الشَّرّ، وأمَّا النّور فالإيمان بِما جاء به مُحَمَّد ﷺ، وكانتِ الظُّلْمة نِفاقَهمْ(٣).

والآخر ما:

٣٨٨- **حَدَّثني** به مُحَمَّد بن سَعدٍ، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، عن أبيه، عن جَدّه، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ إلى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ضَرَبَه الله مَثَلًا لِلْمُنافِقِ، وقوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ قال: أمَّا النّور فهو إيمانهم الذي يَتَكَلَّمونَ به، وأمَّا الظُّلْمة فَهيَ ضَلالَتُهم وكُفْرهم الذي يَتَكَلَّمونَ به وهم قَوْم كانوا على هُدًى ثُمَّ نُزِعَ منهم فَعَتَوْا بعد ذلك(٤).

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح هنا، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان، ومداره على سلمة.

(٢) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه، وشيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه أبو حاتم الرازي في تفسير ابنه.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [ضعيف جدًا] من أجل عائلة العوفي.

وَقال آخرونَ بِما:

٣٨٩- **حَدَّثني** به بِشر، قال: حَدَّثنا يَزيد، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾: وإنّ المُنافِق تَكلَّمَ بلا إلَه إلاَّ الله فأضاءَتْ له في الدُّنيا فناكَح بها المُسْلِمينَ وعادَّ بها المُسْلِمينَ ووارَث بِها المُسْلِمينَ وحَقَن بها دَمه وماله، فلَمَّا كان عند الموت سُلِبها المُنافِق لأنّه لم يكُنْ لها أصْل في قَلْبه ولا حَقيقة في عَمَلِه[١].

٣٩٠- **حَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾: وهي لا إلَه إلاَّ الله، أضاءَتْ لهم فأكَلوا بها وشَرِبوا وأَمِنوا في الدُّنيا ونَكَحوا النِّساء وحَقَنوا دِماءَهم حَتى إذا ماتوا ذَهَبَ الله بِنورِهم وتَرَكَهم في ظُلُمات لا يُبْصِرونَ[٢].

٣٩١- **حَدَّثَنا** القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني أبو تُمَيْلة، عن عُبَيْد بن سُليمانٍ عن الضَّحَّاك بن مُزاحِم قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ قال: أمَّا النّور فهو إيمانهم الذي يَتَكلَّمونَ بِهِ، وأمَّا الظُّلُمات فَهيَ ضَلالَتهم وكُفْرُهُم[٣].

وَقال آخرونَ بِما:

٣٩٢- **حَدَّثني** به مُحَمَّد بن عَمْرو الباهِليّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى بن مَيْمون، قال: حَدَّثَنا ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللّه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ قال: أمَّا إضاءة النَّار: فإقْبالهم إلى المُؤمِنينَ والهُدَى، وذَهاب نورهم: إقْبالهم إلى الكافِرينَ والضَّلالة[٤].

٣٩٣- **حَدَّثَني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، عن شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾: أمَّا إضاءة النَّار: فإقْبالهم إلى المُؤمِنينَ والهُدَى، وذَهابُ نورهِمْ: إقْبالهم إلى الكافِرينَ والضَّلالة[٥].

---

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣) [حسن] عبيد بن سليمان الباهلي لا بأس به، وأبو تميلة يحيى بن واضح الأنصاري الحافظ صدوق، والحسين بن داود المصيصي صدوق في غير الحجاج والقاسم بن الحسن بن يزيد الهمداني شيخ المصنف وثقه الخطيب في تاريخه [٦٨٨٨].

(٤) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٥) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

٣٩٤- حَدَّثني القاسِم، قال: حَدَّثَني الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد مثله(١).

٣٩٥- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، عن عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس، قال: ضَرَبَ مَثَلَ أهل النِّفاق فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ قال: إنَّما ضَوْء النَّار ونورُها ما أوقَدْتَها، فإذا خَمَدَتْ ذَهَبَ نورها، كذلك المُنافِق كُلَّما تَكَلَّمَ بِكَلِمةِ الإخلاص أضاءَ له، فإذا شَكَّ وقَعَ في الظُّلْمة(٢).

٣٩٦- حَدَّثني يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: حَدَّثني عبد الرَّحْمَن بن زَيْد في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ إلى آخِر الآية، قال: هذه صِفة المُنافِقينَ، كانوا قد آمَنوا حتَّى أضاءَ الإيمانُ في قُلوبهم كما أضاءَتِ النَّار لِهؤلاء الذينَ استَوْقَدوا ثُمَّ كَفَروا، فَذَهَبَ الله بنورِهم، فانتَزَعَه كما ذَهَبَ بِضَوْءِ هذه النَّار فَتَرَكَهم في ظُلُمات لا يُبْصِرونَ(٣).

وَأولَى التَّأويلات بالآيةِ ما قاله قَتادةَ والضَّحَّاك، وما رَواه عَليّ بن أبي طَلْحة عن ابن عَبَّاس؛ وذلك أنَّ الله جَلَّ ثَناؤه إنَّما ضَرَبَ هذا المَثَل لِلْمُنافِقينَ الذينَ وَصَفَ صِفَتهم وقَصَّ قَصَصهم من لَدُن ابْتَدَأ بِذِكْرِهم بِقولِه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ لا للمُعالِنينَ بالكُفْرِ المُجاهَرينَ بالشِّرْكِ. ولو كان المَثَل لِمَنْ آمَنَ إيمانًا صَحيحًا ثُمَّ أعْلَنَ بالكُفْرِ إعْلانًا صَحيحًا - على ما ظَنَّ المُتأوِّل قول الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ أنَّ ضَوْء النَّار مَثَلٌ لإيمانِهم الذي كان منهم عنده على صِحّة، وأنَّ ذَهاب نورهم مَثَل لارْتِدادِهم وإعْلانهم الكُفْر على صِحّة - لم يكُنْ هُناكَ من القَوْم خِداع ولا استِهْزاء عند أنْفُسهم ولا نِفاق، وأنَّى يكون خِداعٌ ونِفاقٌ مِمَّنْ لم يُبْدِ لك قولاً ولا فِعْلاً إلاَّ ما أوْجَبَ لَكَ العِلْمَ بِحالِه التي هو لَك عليها، وبِعَزيمةِ نَفْسه التي هو مُقيم عليها؟ إنَّ هذا بِغَيْرِ شَكّ من النِّفاق بَعيدٌ ومن الخِداع بَريء، وَإنْ كان القَوْمُ لم تَكُنْ لهم إلاَّ حالَتانِ: حال إيمان ظاهِر وحالُ كُفْر ظاهِر، فقد سَقَطَ عن القَوْم اسم النِّفاق؛ لأنَّهم في حال إيمانهم الصَّحيح كانوا مُؤمِنينَ، وفي حال كُفْرهم الصَّحيح كانوا كافِرينَ، ولا حالة هُنالكَ ثالِثة كانوا بها مُنافِقينَ، وفي وَصْف الله جَلَّ ثَناؤه إيَّاهم بِصِفةِ النِّفاق ما يُنْبِئ عن أنَّ القول غَيْر القول الذي زَعَمَه مَنْ زَعَمَ أنَّ القَوْم كانوا مُؤمِنينَ ثُمَّ ارْتَدّوا إلى الكُفْر فَأقاموا عليه، إلاَّ أنْ يكون قائِل ذلك أرادَ أنَّهم انتَقَلوا من إيمانهم الذي كانوا عليه إلى الكُفْر الذي هو نِفاق، وذلك قولٌ إنْ قاله لم تُدْرَك صِحّته إلاَّ بِخَبَرِ مُسْتَفيض أو بِبعضِ المَعاني الموجِبَةِ صِحّتَهُ. فَأمَّا في ظاهِر الكِتاب، فلا دَلالة على صِحّته

---

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٣) [صحيح] سنده صحيح ورجاله ثقات غير عبد الرحمن بن زيد، ولكنه قوله.

لاِحْتِماله من التَّأويل ما هو أولَى به منه.

فَإذ كان الأمْر على ما وصَفْنا في ذلك، فَأولَى تأويلات الآية بالآيةِ: مَثَل استِضاءة المُنافِقينَ - بما أظْهَروا بِألسِنَتِهم لِرَسولِ الله ﷺ من الإقْرار به، وقولهم له ولِلْمُؤْمِنينَ: آمَنَّا باللَّه وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخِر. حتَّى حُكِمَ لهم بِذلك في عاجِل الدُّنْيا بِحُكْم المُسْلِمينَ في حَقْن الدِّماء والأموال والأمْن على الذُّرِّيّة من السِّباء، وفي المُناكَحة والموارَثة - كَمِثْلِ استِضاءة الموقِد النَّار بالنَّارِ، حتَّى ارْتَفَقَ بِضيائِها وأبْصَرَ به ما حَوْله مُسْتَضيئًا بنورِه من الظُّلْمة، حتى خَمَدَتِ النَّارُ وانطَفَأتْ، فَذَهَبَ نوره، وعادَ المُسْتَضيء به في ظُلْمة وحيْرَة.

وَذلك أنَّ المُنافِق لم يَزَلْ مُسْتَضيئًا بِضَوْءِ القول الذي دافَعَ عنه في حَياته القَتْل والسِّباءَ مع استِبْطانه ما كان مُسْتَوْجِبًا به القَتْل وسَلْب المال لو أظْهَره بِلِسانِه، تُخَيِّلُ إليه بِذلك نَفْسُه أنَّه باللَّه ورَسوله والمُؤمِنينَ مُسْتَهزِئ مُخادِع، حتَّى سَوَّلَتْ له نَفْسه، إذْ ورَدَ على رَبِّه في الآخِرة، أنَّه ناج منه بِمِثْلِ الذي نَجا به في الدُّنْيا من الكَذِب والنِّفاق. أوَ ما تَسْمَع الله جَلَّ ثَناؤه يقول إذْ نَعَتَهم ثُمَّ أخْبَرَ خَبرَهُم عند وُرودهم عليه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨] ظَنًّا من القَوْم أنَّ نَجاءَهُم من عَذاب الله في الآخِرة في مِثْل الذي كان به نَجاؤُهم من القَتْل والسِّباء وسَلَب المال في الدُّنْيا من الكَذِب والإفك، وأنّ خِداعهم نافِعُهُم هُنالِكَ نَفَعَه إيَّاهم في الدُّنْيا، حتَّى عايَنوا من أمْر الله ما أيْقَنوا به أنَّهم كانوا من ظُنونهم في غُرور وضَلال، واستِهْزاء بِأنفُسِهم وخِداع، إذْ أطفَأ الله نورهم يوم القيامة فاستَنْظَروا المُؤْمِنينَ لِيَقْتَبِسوا من نورهم، فَقيلَ لهم: ارْجِعوا وراءَكُم فالتَمِسوا نورًا واصْلَوا سَعيرًا. فَذلك حين ذَهَبَ الله بِنورِهم وتَرَكَهم في ظُلُمات لا يُبْصِرونَ، كما انطَفَأتْ نار المُسْتَوْقِد النَّار بعد إضاءَتها له، فَبَقيَ في ظُلْمَةٍ حَيران تائِهًا؛ يقول الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝١٤ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٣-١٥].

فَإنْ قال لنا قائِل: إنَّك ذَكَرْت أنَّ معنى قول الله تعالى ذِكْره: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾: خَمَدَتْ وانطَفَأتْ، ولَيْسَ ذلك بِمَوْجودٍ في القُرْآن، فَما دَلالَتك على أنَّ ذلك معناهُ؟ قِيلَ: قد قُلْنا: إنَّ من شَأن العرب الإيجاز والاختِصار إذا كان فيما نَطَقَتْ به الدَّلالة الكافية على ما حَذَفَتْ وتَرَكَتْ، كما قال أبو ذؤيب الهُذَليّ:

عَصَيْتُ إليها القَلْب إنِّي لأمْرِها ... سَميعٌ فما أدري أرُشْدٌ طِلابُها[1]

(١) [الطويل] القائل: أبو ذُؤَيب الهذلي خويلد بن خالد بن محرِّث أبو ذُؤيب من بني هذيل بن مدركة المضري. شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان

يَعْني بِذلك: فَما أَدْري أَرُشْد طِلابها أم غَيّ. فَحَذَفَ ذِكْر (أم غَيّ)، إذْ كان فيما نَطَقَ به الدَّلالة عليها، وكَما قال ذو الرُّمّة في نَعْت حَمِير:

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْل أو حين نَصَّبَتْ   لَه من خَذا آذانها وهْو جانِحُ(١)

يَعْني: أو حين أَقْبَل اللَّيْل. في نَظائِر لِذلك كَثيرة كَرِهْنا إطالة الكِتاب بِذِكْرِها. فَكَذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ لَمَّا كان فيه وفيما بعده من قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ دَلالة على المَتْروك كافية من ذِكْره اخْتَصَرَ الكَلام طَلَب الإيجاز. وكذلك حَذْفُ ما حَذَفَ واختِصار ما اختَصَرَ من الخَبَر عن مَثَل المُنافِقينَ بعده، نَظير ما اخْتَصَرَ من الخَبَر عن مَثَل المُسْتَوْقِد النَّار؛ لأنَّ معنى الكَلام: فَكَذلك المُنافِقونَ ذَهَبَ الله بِنورِهم وتَرَكَهم في ظُلُمات لا يُبْصِرونَ - بعد الضِّياء الذي كانوا فيه في الدُّنْيا بِما كانوا يُظْهِرونَ بِألْسِنَتِهم من الإقْرار بالإسلام وهم لِغَيْرِه مُسْتَبْطِنونَ - كما ذَهَبَ ضَوْء نار هذا المُسْتَوْقِد بانطِفاءِ ناره وخُمودها فَبَقيَ في ظُلْمة لا يُبْصِر، والهاء والميم في قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ عائِدةٌ على الهاء والميم في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وإذْ كان تأويل قول الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ هو ما وصَفْنا من أنَّ ذلك خَبَر مِن الله جَلَّ ثَناؤه عَمَّا هو فاعِل بالمُنافِقينَ في الآخِرة، عند هَتْك أَسْتارهم، وإظْهاره فَضائِحَ أسرارهم، وسَلْبِه ضياءَ أنْوارِهم من تَرْكهم في ظُلَم أهوال يوم القيامة يَتَرَدَّدونَ، وفي حَنادِسها لا يُبْصِرونَ؛ فَبَيِّنٌ أنَّ قوله جَلَّ ثَناؤه: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ من المُؤَخَّر الذي معناه التَّقْديم، وأنّ معنى الكَلام: أولَئِكَ الذينَ اشْتَرَوا الضَّلالة

فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي السرح إلى إفريقية سنة (٢٦ هـ) غازيًا. فشهد فتح آفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان، فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها. وقيل مات بإفريقية. أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد. وفد على النبي ﷺ ليلة وفاته، فأدركه وهو مسجّى وشهد دفنه. المعنى: يخاطب الشاعر نفسه فيقول: إنه دائمًا يستجيب لقلبه الذي يجعله ينفذ ما تطلبه منه محبوبته فيتساءل ويقول: فما أدري أرشدٌ طِلابُها أم غَيٌّ.

(١) [الطويل] القائل: ذو الرُّمَّة غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر. من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. كان شديد القصر دميمًا، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وكان مقيمًا بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيرًا، امتاز بإجادة التشبيه. عشق (ميّة) المنقرية واشتهر بها. توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية. اللغة: لبسن الليل: يعني الحمر. ونصبت: رفعت وأقامت آذانها. وخذيت الأذن خذًا: استرخت من أصلها مقبلة على الخدين، وذلك يصيب الحمر في الصيف من حر الشمس والظمأ. ونصبت خذا آذانها، استعدادًا للعدو إلى الماء. وجنح الليل فهو جانح: أقبل، وهو من جنح الطائر: إذا كسر من جناحيه ثم أقبل كالواقع اللاجئ إلى موضع. المعنى: يقول الشاعر: حين غشيهن الليل وهن مترقبات مغيب الشمس استرخت من أصلها مقبلة على الخدين استعدادًا للعدو إلى الماء كل هذا والليل مقبل. وهو وصف جيد لإقبال الظلام من جانب الأفق.

بالهُدَى فَما رَبِحَتْ تِجارَتهم وما كانوا مُهْتَدينَ، صُمّ بُكم عُمْي فَهم لا يَرْجِعونَ، مَثَلهم كَمَثَلِ الذي استَوْقَدَ نارًا فَلَمَّا أضاءَتْ ما حَوْله ذَهَبَ الله بِنورِهم وتَرَكَهم في ظُلُمات لا يُبْصِرونَ، أو كَمَثَلِ صَيِّب من السَّماء. وَإذْ كان ذلك معنى الكَلام، فمعلوم أنَّ قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يأتيه الرَّفع من وجهَيْنِ، والنَّصب من وجهَيْنِ:

فَأمَّا أحَد وجهَي الرَّفع، فعلى الاستِئْناف لِما فيه من الذَّمّ، وقد تَفعَل العرب ذلك في المَدْح والذَّمّ، فَتَنْصِبُ وتَرْفَع وإنْ كانَ خَبَرًا عن معرِفة، كما قال الشَّاعِر:

لا يَبْعَدَنْ قَومي الذينَ هُمُ سَمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النَّازِلينَ بِكُلِّ مُعْتَرَك والطَّيِّبينَ مَعاقِدَ الأُزْرِ(١)

فَيُرْوَى: (النَّازِلونَ) و(النَّازِلينَ)؛ وكذلك (الطَّيِّبونَ) و(الطَّيِّبينَ)، على ما وَصَفْتُ من المَدْح.

والوَجْه الآخَر: على نيّة التَّكرير من ﴿أُولَٰئِكَ﴾، فَيكون المعنى حينَئِذٍ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أولَئِكَ ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

وَأمَّا أحَد وجهَي النَّصب: فَأنْ يكون قَطْعًا مِمَّا في ﴿مُهْتَدِينَ﴾؛ من ذِكْر ﴿أُولَٰئِكَ﴾؛ لأنَّ الذي فيه من ذِكْرهم معرِفة، والصُّمّ نَكِرة.

والآخَر: أنْ يكون قَطْعًا من ﴿الَّذِينَ﴾؛ لأنَّ ﴿الَّذِينَ﴾ معرِفة والصُّم نَكِرة.

وَقد يجوز النَّصب فيه أيْضًا على وجه الذَّمّ فَيكون ذلك وجهًا من النَّصب ثالِثًا.

فَأمَّا على تأويل ما رَوَيْنا عن ابن عَبَّاس من غَيْر وجه رِواية عَليّ بن أبي طَلْحة عنه، فَإنّه لا يجوز فيه الرَّفع إلاَّ من وجه واحِد وهو الاستِئْناف، وأمَّا النَّصب فقد يجوز فيه من وجهَيْنِ: أحَدهما الذَّمّ، والآخَر القَطْع من الهاء والميم اللَّتَيْنِ في ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾، أو من ذِكْرهم في ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾. وقد بَيَّنَّا القول الذي هو أولَى بالصَّوابِ في تأويل ذلك.

والقِراءة التي هي القِراءة الرَّفْعُ دون النَّصْب؛ لأنَّه لَيْسَ لأحَدِ خِلافُ رُسوم مَصاحِفِ المُسْلِمينَ، وإذا قُرِئَ نَصْبًا كانتْ قِراءةً مُخالِفة رَسْمَ مَصاحِفِهِمْ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذا خَبَر من الله جَلَّ ثَنَاؤه عن المُنافِقينَ، أنَّهم باشْتِرائِهم الضَّلالة بالهُدَى،

(١) [السريع] القائل: الخِرنِق بِنتِ بَدر بن هفان بن مالك من بني ضبيعة، البكرية العدنانية. شاعرة من الشهيرات في الجاهلية، وهي أخت طرفة ابن العبد لأمه. وفي المؤرخين من يسميها الخرنق بنت هفان بن مالك بإسقاط بدر، تزوجها بشر بن عمرو بن مَرْثَد سيد بني أسد وقتلهُ بنو أسد يوم قلاب (من أيام الجاهلية)، فكان أكثر شعرها في رثائه ورثاء من قتل معه من قومها ورثاء أخيها طرفة. اللغة: لا يبعدن قومي: أي لا يهلكن قومي، تدعو لهم. والعداة جمع عاد، وهو العدو. والجزر جمع جزور: وهي الناقة التي تنحر. وآفة الجزر: علة هلاكها، لا يبقون على أموالهم من الكرم. المعترك: موضع القتال حيث يعتركون، يطحن بعضهم بعضًا. وإذا ضاق المعترك نزل الفرسان، وتطاعنوا واقتربوا حتى يعتنق بعضهم بعضًا إذا حمس القتال. والأزر جمع إزار: وهو ما ستر النصف الأسفل، والرداء: ما ستر الأعلى. ومعاقد الأزر: حيث يعقد لئلا تسقط. المعنى: هنا الشاعرة تدعو لقومها وتفتخر بهم فتقول: هم الذين يقتلون الأعداء ولا يبقون على أموالهم من الكرم وينزلون بكل موضع للقتال وهو شديدو الشجاعة يرتدون ما يستر النصف الأسفل فقط ويعقدونه لئلا يسقط.

لم يكونوا لِلْهُدَى والحَقّ مُهْتَدينَ، بل هم صُمّ عنهما فلا يَسْمَعونَهُما لِغَلَبةِ خِذْلان الله عليهم، بُكْم عن القيل بهما، فلا يَنْطِقونَ بهما - والبُكْم: الخُرْس، وهو جِماع أبْكَم - عُمْي عن أنْ يُبْصِروهُما فَيَعْقِلوهُما؛ لأنّ الله قد طَبَعَ على قُلوبهم بِنِفاقِهم فلا يَهْتَدونَ. وَبِمِثْلِ ما قُلْنا في ذلك قالت عُلَماء أهل التّأويل.

ذكر من قال ذلك:

٣٩٧- حَدّثَنا محمد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾: عن الخَيْر[(١)].

٣٩٨- حَدّثني المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ يقول: لا يَسْمَعونَ الهُدَى، ولا يُبْصِرونَه ولا يَعْقِلونَهُ[(٢)].

٣٩٩- حَدّثني موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿بُكْمٌ﴾: هم الخُرْس[(٣)].

٤٠٠- حَدّثَنا بِشر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾: صُمّ عن الحَقّ فلا يَسْمَعونَه، عُمْي عن الحَقّ فلا يُبْصِرونَه، بُكْم عن الحَقّ فلا يَنْطِقونَ بِهِ[(٤)].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إخبار من الله جَلّ ثَنَاؤه عن هؤلاء المُنافِقينَ الذينَ نَعَتَهم الله باشْتِرائِهم الضَّلالة بالهُدَى، وصَمَمِهم عن سَماع الخَيْر والحَقّ، وبَكَمهم عن القِيْل بهما، وعَماهم عن إبصارهما - أنّهم لا يَرْجِعونَ إلى الإقْلاع عن ضَلالَتِهم، ولا يَتوبونَ إلى الإنابة من نِفاقهم، فَآيَس المُؤمِنينَ من أنْ يُبْصِر هؤلاء رُشْدًا، ويقولوا حَقًّا، أو يَسْمَعوا داعِيًا إلى الهُدَى، أو أنْ يَذَّكَّروا فَيَتوبوا من ضَلالَتِهم، كما آيَسَ من تَوْبة قادة كُفّار أهل الكِتاب والمُشْرِكينَ وأحبارهم الذينَ وصَفَهم بأنّه قد خَتَمَ على قُلوبهم وعلى سَمْعهم وغَشّى على أبْصارهمْ.

وَبِمِثْلِ الذي قُلْنا في تأويل ذلك قال أهل التّأويل.

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه، والمثنى مجهول الحال ولكن تابعه أبو حاتم الرازي في تفسير ابنه.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

ذكرُ من قال ذلك:

٤٠١- **حدَّثنا** بِشر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أيْ: لا يَتوبونَ ولا يَذَّكرونَ[١].

٤٠٢- **حدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: إلى الإسلام[٢].

وَقد رويَ عن ابن عَبَّاس قول يُخالِف معناه معنى هذا الخَبَر وهو ما:

٤٠٣- **حدَّثنا** به ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أيْ: فلا يَرْجِعونَ إلى الهُدَى ولا إلى خَيْر، ولا يُصيبونَ نَجاة، ما كانوا على ما هم عليهِ[٣].

وَهذا تأويلٌ ظاهِر التِّلاوة بِخِلافِه، وذلك أنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤه أخْبَرَ عن القَوْم أنَّهم لا يَرْجِعونَ عن اشْتِرائِهم الضَّلالة بالهُدَى إلى ابْتِغاء الهُدَى وإبصار الحَقّ من غَيْر حَصْرٍ منه جَلَّ ذِكْره ذلك من حالهم على وقْت دون وقْت وحال دون حال. وهذا الخَبَر الذي ذَكَرْناه عن ابن عَبَّاس يُنْبِئ عن أنَّ ذلك من صِفَتهم محصورٌ على وقْت وهو ما كانوا على أمْرهم مُقيمينَ، وأنَّ لهم السَّبيل إلى الرُّجوع عنه، وذلك من التَّأويل دَعْوَى باطِلةٌ لا دَلالة عليها من ظاهِر ولا من خَبَر تَقوم بِمِثْلِه الحُجّة فَيُسَلَّم لها.

القول في تأويل قوله تعالى ذكرُه: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ والصَّيِّب: الفيعِل، مِن قولِكَ: صابَ المَطَرُ يَصوب صَوْبًا: إذا انحَدَرَ ونَزَلَ، كما قال الشاعر:

فلَسْتَ لإنْسيٍّ ولَكِنْ لِمَلأَكٍ تَنَزَّلَ من جَوِّ السَّماءِ يَصوب[٤]

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح هنا، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان، ومداره على سلمة.

(٤) [الطويل] القائل: أبو وجزة السعدي يزيد بن أبي عبيد السُّلمي السعدي. نشأ في بني سعد، فغلب عليه نسبهم، وهو شاعر مشهور من التابعين وهو محدث مقرئ. وسكن المدينة، فانقطع إلى آل الزبير ومات بها. له شعر في قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب في أشعار العرب. اللغة: الإنس: البشر. ملأك: الواحد من الملائكة. المعنى: يقول الشاعر: إنهم ليسوا من البشر وإنما هم ملائكة تنزل من جو السماء.

وَكما قال عَلْقَمة بن عَبَدة:

كَأنهم صابَتْ عليهم سَحابةٌ ... صَواعِقُها لِطَيْرِهِنَّ دَبيبُ
فلا تَعْدِلي بيني وبين مُغَمَّر ... سُقيتِ رَوايا المُزْنِ حين تَصوبُ[١]

يَعْني: حين تَنْحَدِر. وَهوَ في الأصْل: صَيْوِب، ولَكِنْ الواو لَمَّا سَبَقَتْها ياء ساكِنة صُيِّرَتا جَميعًا ياء مُشَدَّدة، كما قِيلَ: سَيِّدٌ، مِنْ سادَ يَسود، وجَيِّدٌ مِنْ جادَ يجود. وكذلك تَفْعَل العرب بالواوِ إذا كانتْ مُتَحَرِّكة وقَبْلها ياء ساكِنة تُصيرهُما جَميعًا ياء مُشَدَّدة.

وَبِما قُلْنا من القول في ذلك قال أهل التَّأويل.

ذكرُ من قال ذلك:

٤٠٤- **حدَّثني** مُحَمَّد بن إسماعيل الأحمَسيُّ، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن عُبَيْد، قال: حَدَّثَنا هارونُ بن عنتَرة، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: القَطْر[٢].

٤٠٥- **حدَّثني** عَبَّاس بن مُحَمَّد، قال: حَدَّثَنا حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: قال لي عَطاء: الصَّيِّب: المَطَر[٣].

٤٠٦- **حدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ، عن ابن عَبَّاس، قال: الصَّيِّب: المَطَر[٤].

---

(١) [الطويل] القائل: علَقَمَةِ بن عَبدة بن ناشرة بن قيس، من بني تميم. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصرًا لامرئ القيس وله معه مساجلات. وأسر الحارث بن أبي شمر الغساني أخًا له اسمه شأس، فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات فأطلقه. شرح ديوانه الأعلم الشنتمري، قال في خزانة الأدب: كان له ولد اسمه عليّ يعد من المخضرمين أدرك النبي ﷺ، ولم يره. اللغة: كأنهم: يعني جيش المنذر. وصاب المطر: انحدر وانصب. والضمير في قوله: (لطيرهن) للصواعق، أي لطير الصواعق، وأراد الطير التي أفزعتها الصواعق، ولبدها المطر. المعنى: إن الشاعر كان قد وصف الجيش المنهزم في البيت الذي قبله، بين ساقط قد صرع، وبين قتيل قد هلك. فشبههم بطير أصابها المطر الغزير وأخذتها الصواعق، ففزعت، ولم تستطع أن تنهض فتطير، فهي تدب تطلب النجاة. اللغة: المغمر والغمر: الجاهل الذي لم يجرب الأمور، كأن الجهل غمره وطغا عليه. والروايا جمع راوية: وهي الدابة التي تحمل مزاد الماء. والمزن: السحاب الأبيض، شبهه بالروايا حاملات الماء. تصوب: تنحدر. المعنى: يقول الشاعر: لا تعدلي بيني وبين الجاهل الذي لم يجرب الأمور.. ثم يدعو لها بالخصب والنعمة في الشطر الثاني.

(٢) [صحيح] عنترة بن عبد الرحمن الشيباني ثقة من كبار التابعين زعم البعض أنَّ له صحبة، وهارون بن عنترة كذلك ثقة، ومثله محمد بن عبيد بن أبي أمية الكوفي، وكذلك محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي أبو جعفر الكوفي السراج.

(٣) [صحيح] على شرطهما إلا شيخ المصنف عباس بن محمد بن حاتم بن واقد الدوري أبو الفضل البغدادي مولى بني هاشم خوارزمي الأصل ثقة حافظ.

(٤) [حسن] أخرجه ابن ابي الدنيا في المطر والرعد والبرق فقال: حدثنا يوسف، نا محمد بن عبيد، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الصيب: المطر. اهـ وهذا سند حسن من أجل يوسف بن موسى بن راشد الرازي صدوق، وبقية رجاله تقدم الحديث عنهم قريبًا، ومن هذا الطريق أخرجه أبو الشيخ في العظمة، وأسانيده عند المصنف هنا كلها ضعيفة كما سيأتي الحديث عنها، أما هذا ففيه أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه، والمثنى بن إبراهيم الآملي شيخ المصنف مجهول الحال.

٤٠٧- **حدّثني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النّبيّ ﷺ: الصَّيِّب: المَطَر [(١)].

٤٠٨- **حدّثني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثني أبي عن أبيه، عن ابن عَبَّاس مِثْله [(٢)].

٤٠٩- **حدّثَنا** بِشر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ يقول: المَطَر [(٣)].

٤١٠- **حدّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرنا مَعْمَر، عن قَتادةَ مِثْله [(٤)].

٤١١- **حدّثني** مُحَمَّد بن عَمْرو الباهِليّ، وعَمْرو بن عَلَيّ، قالا: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى بن مَيْمون، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: الصَّيِّب: المَطَر [(٥)].

٤١٢- **حدّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: الصَّيِّب: المَطَر [(٦)].

٤١٣- **حدّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس: الصَّيِّب: المَطَر [(٧)].

٤١٤- **حُدِّثت** عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس قال: الصَّيِّب: المَطَر [(٨)].

٤١٥- **حدّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال عبد الرَّحْمَن بن زَيْد: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: أو كَغَيْثٍ من السَّماء [(٩)].

---

(١) [حسن لابن عباس فقط] كما تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [حسن] كما تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، فيه عائلة العوفي كلهم ضعفاء.

(٣) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٦) [حسن] كما تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من اجل المثنى مجهول الحال.

(٧) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٨) [حسن] تقدم الكلام عليه في رقم (٤٠٦)، وهذا سند ضعيف، الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٩) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

٤١٦- حدّثنا سَوَّار بن عبد الله العنبَريُّ، قال: قال سُفْيان: الصَّيِّب: الذي فيه المَطَر[١].

٤١٧- حدّثنا عَمْرو بن عَليّ، قال: حَدَّثَنا أبو مُعاوية، قال: حَدَّثَنا ابن جُرَيْج، عن عَطاء في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: المَطَر[٢].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وتأويل ذلك: مَثَل استِضاءة المُنافِقينَ بِضَوْءِ إقْرارهم بالإسلام مع استِسْرارِهِمُ الكُفْرَ، مَثَلُ استضاءة موقِد نَارٍ بِضَوْءِ ناره على ما وصَفَ جَلَّ ثَنَاؤه من صِفَته، أو كَمَثَلِ مَطَر مُظْلِم وذْقُه تَحَدَّرَ من السَّماء تَحمِله مُزْنةٌ ظَلْماء في لَيْلة مُظْلِمة، وذلك هو الظُّلُمات التي أَخْبَرَ الله جَلَّ ثَنَاؤه أنَّها فيه.

فَإِنْ قال لنا قائِل: أخبرْنا عن هَذَيْنِ المَثَلَيْنِ، أهُما مَثَلانِ لِلْمُنافِقينَ أو أحَدهما؟ فَإِنْ يكونا مَثَلَيْنِ لِلْمُنافِقينَ فكيف قِيلَ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ و﴿أَوْ﴾ تأتي بِمعنى الشَّكّ في الكَلام، ولم يَقُلْ: وكَصَيِّبٍ، بالواوِ التي تُلْحِق المَثَل الثَّاني بالمَثَلِ الأوَّل؟ أو يكون مَثَل القَوْم أَحَدهما، فَما وجه ذِكْر الآخَر بـ﴿أَوْ﴾، وقد عَلِمْتَ أنَّ ﴿أَوْ﴾ إذا كانتْ في الكَلام فإنَّما تَدْخُل فيه على وجه الشَّكّ من المُخْبِر فيما أَخْبَرَ عنه، كَقولِ القائِل: لَقِيَني أخوك أو أبوك، وإنَّما لَقِيَه أحَدهما، ولَكِنَّه جَهِلَ عَيْن الذي لَقِيَه منهُما، مع عِلْمه أنَّ أحَدهما قد لَقِيَهُ، وغَيْر جائِز في الله جَلَّ ثَنَاؤه أنْ يُضاف إليه الشَّكّ في شَيْء أو عُزوبُ عِلْم شَيْء عنه فيما أَخْبَرَ أو تَرَكَ الخَبَر عنه.

قِيلَ له: إنَّ الأمْر في ذلك بِخِلافِ الذي ذَهَبْتَ إليه، و(أو) وَإنْ كانتْ في بعض الكَلام تأتي بِمعنى الشَّكّ، فَإنَّها قد تأتي دالة على مِثْل ما تَدُلّ عليه الواو إمَّا بِسابِقٍ من الكَلام قَبْلها، وإمَّا بِما

---

(١) [صحيح] سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة التميمى العنبرى القاضي ثقة غلط من تكلم فيه، وقد ثبت السماع منه لسفيان: قال الدارقطني في السنن: حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا سوار بن عبد الله العنبري، وعبد الجبار بن العلاء، ومحمد بن عمرو بن سليمان، وزياد بن أيوب، والحسن بن محمد الزعفراني واللفظ لسوار، قالوا: ثنا سفيان بن عيينة، ثنا الزهري، عن محمود بن الربيع، أنه سمع عبادة بن الصامت، يقول: قال النبي ﷺ: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب. قال زياد في حديثه: لا تجزئ صلاة لا يقرأ الرجل فيها بفاتحة الكتاب، هذا إسناد صحيح. اهـ وأصرح منه ما أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم العمل فقال: أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ الْحَرْبِيُّ، قَالَ: أنا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاعِظُ، قَالَ: نا أَبُو حَبِيبٍ الْعَبَّاسُ بْنُ أَحْمَدَ الْبِرْتِيُّ، ثنا سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: لَوْ قِيلَ لِي: لِمَ طَلَبْتَ الْحَدِيثَ مَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ. اهـ وسنده صحيح. وكذلك ما أخرجه ابن شاهين في تاريخ اسماء الثقات، قال: نا أبو حبيب العباس بن أحمد بن محمد عيسى البري سنة ثمان وثلاثمائة قال نا سوار بن عبد الله قال سمعت بن عيينة يقول لو قيل لي لم طلبت الحديث ما دريت ما أقول نا البغوي ثنا عبد الله بن نعيم القواريري قال نا حماد بن زيد قال قال سفيان بن عيينة يا أبا إسماعيل ذهب بهاء العلم نا إبراهيم بن إبراهيم بن أبان الرواس قال نا سوار بن عبد الله قال قال سفيان بن عيينة ليس شئ في الارض أثقل حملا من العلم نا نصر بن القاسم قال نا إسحاق بن أبي إسرائيل قال سمعت سفيان يقول إذا كان يأتم بمن قبله فهو إمام لمن بعده. اهـ وسنده حسن. والعلم عند الله.

(٢) [صحيح] عمرو بن علي الباهلي أحد الأعلم، ابن جريج عن عطاء كله متصل سواء صرَّح ابن جريج أو لم يصرح، وهذا خاص بعطاء، وابن أبي مليكة. والعلم عند الله.

يَأتي بعدها، كَقولِ تَوْبة بن الحُمَيِّر:

وَقد زَعَمَتْ لَيْلَى بِأنّي فاجِر لِنَفْسي تُقاها أو عليها فُجُورُها(١)

وَمعلوم أنَّ ذلك من تَوْبةَ على غَيْر وجه الشَّكّ فيما قال، ولَكِنْ لَمَّا كانتْ ﴿أَوْ﴾ في هذا الموضِع دالة على مِثْل الذي كانتْ تَدُلّ عليه الواو لو كانتْ مَكانها، وضَعَها موضِعها. وكذلك قول جَرير:

نال الخِلافةَ أو كانتْ له قَدَرًا كَما أَتَى رَبَّه موسَى على قَدَرِ(٢)

وَكَما قال الآخَر:

فَلو كان البُكاءُ يَرُدّ شَيْئًا بَكَيْت على بُجَيْرٍ أو عِفاقِ
على المَرْأيْنِ إذْ مَضَيا جَميعًا لِشَأنِهِما بِحُزْنٍ واشْتِياقِ(٣)

فَقد دَلَّ بِقولِه: على المَرْأيْنِ. أنَّ بُكاءَه الذي أرادَ أنْ يَبْكيه لم يُرِدْ أنْ يَقْصِد به أحَدهما دون الآخَر، بل أرادَ أنْ يَبْكيهِما جَميعًا. فَكَذلك ذلك في قول الله جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ لما كان معلومًا أنَّ ﴿أَوْ﴾ دالة في ذلك على مِثْل الذي كانتْ تَدُلّ عليه الواو، لو كانتْ مَكانها كان سَواء نَطَقَ فيه بـ ﴿أَوْ﴾ أو بالواوِ. وكذلك وجه حَذْف المَثَل من قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ لَمَّا كان قوله:

---

(١) [الطويل] القائل: توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة العقيلي العامري أبو حرب. شاعر من عشاق العرب المشهورين، كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها، فرده أبوها وزوجها غيره، فانطلق يقول الشعر مشببا بها. واشتهر أمره، وسار شعره، وكثرت أخباره، قتله بنو عوف بن عقيل. وفي كتاب (التعازي) للمبرد: كان سبب قتل توبة أنهم كانوا يطلبونه، فأحسوه وقد قدم من سفر، ومعه عبيد الله بن توبة وقابض، مولاه، وبينه وبين الحي ليلة، فأتوه طروقًا فهرب صاحباه وأسلماه فقتل. لعل هذه الرواية أصح من أنه قتل في غزوة أغار بها. اللغة: زعمت: قالت كذبًا. فاجر: وهو المُنْبَعِث في المعاصي والمحارم. المعنى: يتحدث الشاعر عن أن محبوبته ليلى الأخيلية قالت كذبًا أنه منبعث في المعاصي والمحارم... يرد عليها قائلاً: إن كنت تقيا أو فاجرًا فذلك لنفسي فقط.

(٢) [البسيط] القائل: جَرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم. أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفردق والأخطل، كان عفيفًا، وهو من أغزل الناس شعرًا. المعنى: هذا البيت يقوله جرير يمدح به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز.. وأنه حصل على الخلافة عن طريق القدر مثلما أتى موسى ربه قدرًا.

(٣) [الوافر] القائل: مُتَمِّم بن نُوَيرَة بن حمزة بن شداد اليربوي التميمي أبو نهشل. شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والإسلام، وكان قصيرًا أعور، أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك ومنه قوله:

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قبل لن يتصدعا

وندمانا جذيمة: مالك وعقيل. سكن متمم المدينة في أيام عمر وتزوج بها امرأة لم ترض أخلاقه لشدة حزنه على أخيه. اللغة: بجير: هو بجير بن عبد الله بن الحارث اليربوعي، وهو بجير بن أبي مليل. عفاق: هو عفاق بن أبي مليل. وقوله: (مضيا لشأنهما) أي، هلكا ولقيا ما يلقى كل حي. المعنى: هذا الشعر يقوله متمم بن نويرة في رثاء بجير بن عبد الله بن الحارث اليربوعي، وهو بجير بن أبي مليل، وأخوه عفاق بن أبي مليل. قتل أولهما يوم قشاوة، قتله لقيم بن أوس، وقتل عفاق يوم العظالى، قتله الدعاء، وقيل قتله الفريس بن مسلمة. فقد دلّ بقوله: (على المرأين إذ مَضَيا جميعًا) أنّ بكاءه الذي أراد أن يبكيه لم يُرد أن يقصدَ به أحدَهما دونَ الآخر، بل أراد أن يبكيهما جميعًا.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ دالاً على أنَّ معناه: كَمَثَلِ صَيِّب، حَذَفَ المَثَل واكْتَفَى بِدَلالةِ ما مَضَى من الكَلام في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ على أنَّ معناه: أو كَمَثَلِ صَيِّبٍ - من إعادة ذِكْر المَثَل طَلَب الإيجاز والاختِصار.

القول في تأويل قوله الله جلَّ ثناؤه: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: فَأمّا الظُّلُمات فَجَمْع، واحدها ظُلْمة.

وَأمّا الرَّعْد فَإنّ أهل العِلْم اختَلَفوا فيهِ:

فَقال بعضهم: هو مَلَك يَزْجُر السَّحاب.

ذِكر مَن قال ذلك:

٤١٨- **حَدّثَنا** مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن جَعْفَر، قال: حَدَّثنا شُعْبة، عن الحَكَم، عن مُجاهِد، قال: الرَّعْد: مَلَك يَزْجُر السَّحاب بِصَوْتِهِ (١).

٤١٩- **وَحَدّثَنا** مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا ابن أبي عَديّ، عن شُعْبة، عن الحَكَم، عن مُجاهِد مِثْله (٢).

٤٢٠- **حَدّثَني** يَحْيَى بن طَلْحة اليَرْبوعيّ، قال: حَدَّثَنا فُضَيْل بن عياض، عن لَيْث، عن مُجاهِد مِثْله (٣).

٤٢١- **وَحَدّثَني** يَعْقوب، قال: حَدَّثَنا هُشَيْم، قال: حَدَّثنا إسماعيل بن سالِم، عن أبي صالِح، قالا: الرَّعْد: مَلَك من المَلائِكة يُسَبِّح (٤).

٤٢٢- **وَحَدّثَني** نَصْر بن عبد الرَّحْمَن الأوديّ، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن يَعْلَى، عن أبي الخَطَّاب البصْريّ، عن شَهْر بن حَوْشَب، قال: الرَّعْد: مَلَك موَكَّل بالسَّحابِ، يَسوقه كما يَسوق الحادي الإبِل، يُسَبِّح، كُلَّما خالَفَتْ سَحابةٌ سَحابة صاحَ بها، فَإذا اشْتَدَّ غَضَبه طارَتِ النَّار من فيه، فَهيَ الصَّواعِق التي رَأيْتُم (٥).

(١) [صحيح] الحكم بن عتيبة أخذ تفسير مجاهد من القاسم. ومحمد بن المثني بن عبيد العنزي المعروف بـ(الزمن) ثقة حافظ. (٢) [صحيح] تقدم قبله.

(٣) [صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، فإن الليث بن أبي سليم ضعيف اختلط، وقد تقدم الحديث عنه في أول الكتاب، واليربوعي لين الحديث، ليس بشيء.

(٤) [صحيح] إسماعيل بن سالم ثقة سمع أبا صالح ذكوان، وكذلك باذام. وهشيم مدلس وقد صرَّح، ويعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح بن منصور بن مزاحم العبدي القيسي مولى عبد القيس أبو يوسف الدورقي أخو أحمد بن إبراهيم ثقة حافظ.

(٥) [ضعيف] محمد بن يعلى السلمي ضعيف الحديث وقد توبع بمتابعات ضعيفة، وأبو الخطاب البصري هو حرب بن شداد اليشكري، صالح.

٤٢٣- **وحُدِّثت** عن المِنْجاب بن الحارِث، قال: حَدَّثَنا بِشر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: الرَّعْد: مَلَك من المَلائِكة اسمه الرَّعْد، وهو الذي تَسْمَعونَ صَوْته[١].

٤٢٤- **حَدَّثنا** أحمَد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد، قال: حَدَّثَنا عبد المَلِك بن حُسَيْن، عن السُّدِّيِّ، عن أبي مالِك، عن ابن عَبَّاس، قال: الرَّعْد: مَلَك يَزْجُر السَّحاب بالتَّسْبيح والتَّكْبير[٢].

٤٢٥- **حَدَّثنا** الحسن بن مُحَمَّد، قال: حَدَّثَنا عَليّ بن عاصِم، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد، عن ابن عَبَّاس، قال: الرَّعْد: اسم مَلَك، وصَوْته هذا تَسْبيحه، فَإذا اشْتَدَّ زَجْره السَّحابَ اضْطَرَبَ السَّحابُ واحَتك فَتَخْرُج الصَّواعِق من بينه[٣].

٤٢٦- **حَدَّثنا** الحسن، قال: حَدَّثَنا عَفَّانُ، قال: حَدَّثَنا أبو عَوانة، عن موسَى البزَّاز، عن شَهْر بن حَوْشَب عن ابن عَبَّاس، قال: الرَّعْد: مَلَك يَسوق السَّحاب بالتَّسْبيح، كما يَسوق الحادي الإبِل بِحُدائِهِ[٤].

٤٢٧- **حَدَّثنا** الحسن بن مُحَمَّد، قال: حَدَّثَنا يَحيَى بن عَبَّاد وشبابة قالا: حَدَّثنا شُعْبة، عن الحَكَم، عن مُجاهِد، قال: الرَّعْد: مَلَك يَزْجُر السَّحاب[٥].

٤٢٨- **حَدَّثنا** أحمَد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد، قال: حَدَّثَنا عَتَّاب بن زياد، عن عِكْرِمة، قال: الرَّعْد: مَلَك في السَّحاب يجْمَع السَّحاب كما يجْمَع الرَّاعي الإبِل[٦].

٤٢٩- **حَدَّثنا** بِشر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ، قال: الرَّعْد: خَلْق من خَلْق الله سامِع مُطيع لِلَّه[٧].

٤٣٠- **حَدَّثنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا حُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن عِكْرِمة، قال: الرَّعْد مَلَك يُؤمَر بِإزْجاءِ السَّحاب وَيُؤَلِّف بينه، فَذلك الصَّوْت تَسْبيحه[٨].

(١) [ضعيف] جاء عن ابن عباس بأسانيد كلها ضعيفة، وكذلك جاء مرفوعًا. وهذا فيه الضحاك وهو عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.
(٢) [ضعيف] عبد الملك بن الحسين النخعي ضعيف الحديث.
(٣) [ضعيف] علي بن عاصم بن صهيب التميمي ضعيف متروك الحديث. و ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع من مجاهد.
(٤) [ضعيف] من أجل شهر بن حوشب، وبقية رجاله ثقات.
(٥) [صحيح] الحكم بن عتيبة أخذ تفسير مجاهد من القاسم، والسند إليه صحيح.
(٦) [ضعيف] عتاب بن زياد الخراساني أبو عمرو صدوق من أوساط الآخذين عن تبع الأتباع توفي سنة ٢١٢ هـ، وعكرمة مولى ابن عباس من الوسطى من التابعين توفي سنة ١٠٤ هـ، يعني بين وفاتهما أكثر من ١٠٠ عام، فكيف لهما اللقاء فضلاً عن السماع؟!

س أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع من عكرمة، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

٤٣١- **حدثنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجّاج، عن ابن جَريج، عن مُجاهِد، قال: الرَّعْد: مَلَك[(١)].

٤٣٢- **حدثنا** المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا الحَجّاج بن المنهال، قال: حَدَّثَنا حَمّاد بن سَلَمة، عن المُغيرة بن سالِم، عن أبيه أو غَيْره، أنَّ عَليّ بن أبي طالِب قال: الرَّعْد: مَلَك[(٢)].

٤٣٣- **حدثنا** المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا الحَجّاج، قال: حَدَّثَنا حَمّاد، قال: أخبرَنا موسَى بن سالِم أبو جَهْضَم مولَى ابن عَبّاس قال: كَتَبَ ابن عَبّاس إلى أبي الجلد يَسْأله عن الرَّعْد؟ فَقال: الرَّعْد: مَلَك[(٣)].

٤٣٤- **حدثنا** المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا مُسْلِم بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا عُمَر بن الوَليد الشَّنيّ، عن عِكْرِمة، قال: الرَّعْد: مَلَك يَسوق السَّحاب كما يَسوق الرّاعي الإبِل[(٤)].

٤٣٥- **حدثني** سَعْدُ بنُ عبد الله بن عبد الحَكَم، قال: حَدَّثَنا حَفْصُ بنُ عُمَرَ، قال: حَدَّثَنا الحَكَمُ بنُ أبانٍ، عَن عِكْرِمة، قال: كان ابنُ عَبّاس إذا سَمِع الرَّعْد، قال: سُبْحانَ الذي سَبَّحَتْ له. قال: وكان يقولُ: الرَّعْدُ مَلَك يَنْعِق بالغَيْثِ كما يَنْعِقُ الرّاعي بِغَنَمِه[(٥)].

وَقال آخرونَ: الرَّعْد: ريح تَخْتَنِق تَحت السَّحاب، فَتَصّاعَدُ فَيكون منه ذلك الصَّوْت.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٤٣٦- **حدثنا** أحمَدُ بنُ إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: حَدَّثَنا بشيرٌ أبو إسماعيل، عن أبي كَثير، قال: كُنْت عند أبي الجَلْدِ، إذْ جاءه رَسول ابن عَبّاس بِكِتابٍ إليه، فَكَتَبَ إليه: كَتَبْت إليَّ تَسْألني عن الرَّعْد، فالرَّعْد: الرّيح[(٦)].

٤٣٧- **حدثني** إبراهيم بن عبد الله قال: حَدَّثَنا عِمْران بن مَيْسَرة، قال: حَدَّثَنا ابن إدْريس عن الحسن بن الفُرات، عن أبيه، قال: كَتَبَ ابن عَبّاس إلى أبي الجلد يَسْأله عن الرَّعْد، فَقال: الرَّعْد: ريح[(٧)].

---

(١) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، ولم يثبت أنه أخذه من القاسم، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [ضعيف] سالم بن أبي الجعد الغطفاني عن علي رضي الله عنه مرسل.

(٣) [ضعيف] أبو جهضم مولى ابن عباس، عن ابن عباس مرسل، والحجاج بن أرطأة ضعيف، والمثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال.

(٤) [ضعيف] قال الذهبي في تاريخ الإسلام [٩/ ٢٢٢]: عمر بن الوليد الشني، أبو سلمة العبدي البصري. عن عكرمة وشهاب بن عباد البصري. وعنه وكيع وأبو نعيم. قال الفلاس لم يحدثنا عنه يحيى القطان. وقال أحمد بن حنبل: ثقة. وكذا قال أبو حاتم وغيره. قلت: عامة حديثه عن عكرمة مقاطيع. اهـ، ومسلم بن إبراهيم الفراهيدي ثقة ثابت من رجال الصحيحين، والمثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال.

(٥) [ضعيف] حفص بن عمر بن ميمون العدني ضعيف الحديث، وشيخ المصنف صدوق كما قال أبو حاتم وابنه.

(٦) [ضعيف] أبو كثير وأبو الجلد لا أدري من يكونان، وبشير بن سلمان النهدي أبو إسماعيل ثقة.

(٧) [ضعيف] الفرات القزاز عن ابن عباس مرسل، وأبو الجلد لا أدري من يكون.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: فَإنْ كان الرَّعْد ما ذَكَرَه ابن عَبَّاس ومُجاهِد، فمعنى الآية: أو كَصَيِّبٍ من السَّماء فيه ظُلُمات وصَوْت رَعْد؛ لأنَّ الرَّعْد إنْ كان مَلَكًا يَسوق السَّحاب، فَغَيْر كائِن في الصَّيِّب؛ لأنَّ الصَّيِّب إنَّما هو ما تَحَدَّرَ من صَوْب السَّحاب؛ والرَّعْد: إنَّما هو في جَوّ السَّماء يَسوق السَّحاب. على أنَّه لو كان فيه ثمَّ يَمُرّ لم يكُنْ له صَوْت مسموع، لم يكُنْ هُنالِكَ رُعْب يُرْعَب به أحَد؛ لأنَّه قد قِيلَ: إنَّ مع كُلّ قَطْرة من قَطْر المَطَر مَلَكًا، فلا يَعْدو المَلَك الذي اسمه الرَّعْد لو كان مع الصَّيِّب، إذا لم يكُنْ مسموعًا صَوْته - أنْ يكون كَبعضِ تِلْكَ المَلائِكة التي تَنْزِل مع القَطْر إلى الأرْض في ألا رُعْب على أحَد بِكَوْنِه فيه. فقد عُلِمَ - إذْ كان الأمْر كما وصَفْنا من قول ابن عَبَّاس - أنَّ معنى الآية: أو كَمَثَلِ غَيْث تَحَدَّرَ من السَّماء فيه ظُلُمات وصَوْت رَعْد؛ إنْ كان الرَّعْد هو ما قاله ابن عَبَّاس، وإنّه استَغْنَى بِدَلالةِ ذِكْر الرَّعْد باسمِه على المُراد في الكَلام من ذِكْر صَوْته. وإنْ كان الرَّعْد ما قاله أبو الجلد فلا شَيْء في قوله: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ﴾ مَتْروك؛ لأنَّ معنى الكَلام حينَئِذٍ: فيه ظُلُمات ورَعْد الذي هو ما وصَفْنا صِفَته.

وَأمَّا البزق، فَإنَّ أهل العِلْم اختَلَفوا فيه، فَقال بعضهم بما:

٤٣٨- **حَدَّثَنا** مَطَر بن مُحَمَّد الضَّبِّيّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم وحَدَّثَنا مُحَمَّد بن بَشَّار قال: حَدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن مَهْديّ، وحَدَّثَنا أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: حَدَّثَني أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قالوا جَميعًا: حَدَّثَنا سُفْيان الثَّوْريّ، عن سَلَمة بن كُهَيْل، عن سَعيد بن أشْوَع، عن رَبيعة بن الأبْيَض، عن عَليّ قال: البرْق: مَخاريق المَلائِكة(١).

٤٣٩- **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ قال: حَدَّثَنا عبد المَلِك بن حُسَيْن، عن السُّدِّيّ، عن أبي مالِك، عن ابن عَبَّاس: البرْق مَخاريق بِأيْدي المَلائِكة يَزْجُرونَ بها السَّحاب(٢).

٤٤٠- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا الحَجَّاج، قال: حَدَّثَنا حَمَّاد، عن المغيرة بن سالِم، عن أبيه أو غَيْره أنَّ عَليّ بن أبي طالِب قال: الرَّعْد: المَلَك، والبرْق: ضَرْبُه السَّحاب بِمِخْراقٍ من حَديد(٣).

وَقال آخَرونَ: هو سَوْط من نور يَزُجّ به المَلَك السَّحاب.

ذِكرُ مَن قال ذلك:

٤٤١- **حُدِّثت** عن المِنجاب بن الحارِث، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس بِذلك(٤).

وَقال آخَرونَ: هو ماء.

(١) [ضعيف] ربيعة بن الأبيض مجهول.
(٢) [ضعيف جدًا] عبد الملك بن الحسين بن مالك النخعي متروك الحديث.
(٣) [ضعيف] سالم بن أبي الجعد الغطفاني عن علي - رضي الله عنه- مرسل، والسند إليه ضعيف.
(٤) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

ذِكر مَن قال ذلك

٤٤٢- حَدَّثَنا أحمَد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد، قال: حَدَّثَنا بشيرٌ أبو إسماعيل، عن أبي كَثير، قال: كُنْت عند أبي الجلد إذْ جاءه رَسول ابن عَبَّاس بِكِتابٍ إليه، فَكَتَبَ إليه: كتبت إليَّ تَسْألني عن البرْق، فالبرْق: الماء [١].

٤٤٣- حَدَّثنا إبراهيم بن عبد الله، قال: حَدَّثَنا عِمْران بن مَيْسَرة، قال: حَدَّثَنا ابن إدْريس، عن الحسن بن الفُرات، عن أبيه، قال: كَتَبَ ابن عَبَّاس إلى أبي الجلد يَسْأله عن البرْق، فَقال: البرْق ماء [٢].

٤٤٤- حَدَّثَنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا جَرير، عن عَطاء، عن رَجُل من أهل البصْرة من قُرَّائِهم، قال: كَتَبَ ابن عَبَّاس إلى أبي الجلد - رَجُل من أهل هَجَرَ - يَسْأله عن البرْق، فَكَتَبَ إليه: كَتَبْت إليه تَسْألني عن البرْق: وإنّه من الماء [٣].

وَقال آخَرونَ: هو مَصْعُ مَلَك.

٤٤٥- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن مَهْديّ، قال: حَدَّثَنا سُفيان عن عُثْمان بن الأسوَد، عن مُجاهِد، قال: البرْق: مَصْعُ مَلَك [٤].

٤٤٦- حَدَّثني المُثَنَّى قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا هِشام، عن مُحَمَّد بن مُسْلِم الطَّائِفيّ، قال: بَلَغَني أنَّ البرْق مَلَك له أرْبَعة أوجُه: وجه إنْسان، ووَجْه ثَوْر، ووَجْه نَسْر، ووَجْه أسَد، فَإذا مَصَعَ بِأجْنِحَته فَذلك البرْق [٥].

٤٤٧- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن وهْب بن سُلَيْمان، عن شُعَيْب الجُبَّائيّ، قال: في كِتاب الله المَلائِكة حَمَلة العَرْش، لِكُلِّ مَلَك منهم وجه إنْسان، وثَوْر، وأسَد، ونَسْر، فَإذا حَرَّكوا أجْنِحَتهم فهو البرْق، وقال أُمَيّة بن أبي الصَّلْت [٦]:

رَجُل وثَوْر تَحْت رِجْل يَمينه ... والنَّسْر لِلأُخْرَى ولَيْث مُرْصَدُ [٧]

(١) [ضعيف] تقدم برقم (٤٣٦). (٢) [ضعيف] تقدم برقم (٤٣٧).

(٣) [ضعيف جدًا] فيه أبو الجلد المتقدم في الذي قبله، والرجُل المبهم شيخ عطاء بن السائب وعطاء اختلط، وسماع جرير منه بعد، وشيخ المصنف تقدم تضعيفه أكثر من مرة.

(٤) [صحيح] رجاله كلهم ثقات، وسنده متصل. (٥) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٦) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس ولم يصرح، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٧) [الطويل] القائل: أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي. شاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف. أخباره كثيرة وشعره من الطبقة الأولى، إلا أن علماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. وهو أول من جعل في مطالع الكتب باسمك اللهم، فكتبتها قريش. اللغة: الضمير في قوله: (رجله)، يعنى به إسرافيل، وذكره في شعره قبل. زحل: كأنه يعني البروج. المعنى: يتحدث الشاعر هنا عن إسرافيل فيقول: أن هناك بروجًا تحت القدم اليمنى له وعند الرجل الأخرى نجد نسرًا وأسدًا.

٤٤٨- **حدّثنا** الحُسَيْن بن مُحَمَّد، قال: حَدَّثَنا عَليّ بن عاصِم، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مُجاهِد، عن ابن عَبَّاس، قال: البرْق: مَلَك(١).

٤٤٩- **حدّثنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ قال: الصَّواعِق مَلَك يَضْرِب السَّحاب بالمطارق فيُصيب به مَنْ يُشاء(٢).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وقد يَحْتَمِل أنْ يكون ما قاله عَليّ بن أبي طالِب وابن عَبَّاس ومُجاهِد بِمعنًى واحِد؛ وذلك أنْ تكون المخاريق التي ذَكَرَ عَليّ رَضيَ الله عنه أنَّها هي البرق، هي السّياط التي هي من نور التي يُزْجي بها المَلَك السَّحاب، كما قال ابن عَبَّاس. ويكون إزْجاء المَلَك السَّحاب: مَصَعَه إيَّاه بها، وذلك أن المِصاع عند العرب أصله المُجالَدة بالسُّيوفِ، ثم تَسْتَعْمِله في كل شيء جُولِدَ به في حَرْب وغَيْر حَرْب، كما قال أعْشَى بَني تَغْلَبة وهو يَصِف جواري يَلْعَبنَ بحُلِيِّهنَّ وتَجالِدْنَ به:

إذا هُــنَّ نــازَلْـنَ أقْــرانــهــنَّ ... وَكان المِصاعِ بِما في الجُونْ(٣)

يُقال منه: ماصَعَه مِصاعًا. وكَأنَّ مُجاهِدًا إنَّما قال: مَصْع مَلَك، إذْ كان السَّحاب لا يُماصِع المَلَك، وإنَّما الرَّعْد هو المُماصِع له، فَجَعَلَه مَصْدَرًا من مَصَعَه يَمْصَعه مَصْعًا.

وَقد ذَكَرْنا في معنى الصَّاعِقة ما قاله شَهْر بن حَوْشَب فيما مَضَى.

وَأمَّا تأويل الآية، فإن أهل التَّأويل مُخْتَلِفون فيه؛ فرويَ عن ابن عَبَّاس في ذلك أقْوال؛ أحَدها ما:

٤٥٠- **حدّثنا** به مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفضل، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ أيْ: هم من ظُلُمات ما هم فيه من الكُفْر والحَذَر من القَتْل على الذي هم عليه من الخِلاف، والتَّخَوُّفِ منكم - على مِثْل ما وَصَفَ من الذي هو في ظُلْمة الصَّيِّب، فَجَعَل أصابِعه في أُذُنيه من الصَّواعِق حَذَر الموت ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ أيْ: لِشِدَّةِ ضَوْء الحَقّ، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ أيْ: يَعْرِفونَ الحَقّ ويَتَكَلَّمونَ به، فَهم من قولهم به على

(١) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، وعلي بن عاصم بن صهيب ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [المتقارب] القائل: الأعشى ميمون بن قيس بن جندل، تقدم. اللغة: الأقران جمع قرن: وهو الذي يقارنك في القوة والشجاعة، وأراد به الرجال. وينازلن: أراد ما يكون منهن من المداعبة والممارسة إرادة الغلبة على عقول الرجال وعزائمهم. والجون، جمع جونة: وهي سلة صغيرة مستديرة مغشاة بالأدم يكون فيها الطيب. ويقال أيضًا: (جؤنة وجؤن) بالهمز. المعنى: لقد ذكر الأعشى المعركة القديمة الدائرة بين الرجال والنساء، يتخذن الزينة والطيب سلاحًا، فيتصدين للرجال ابتغاء الظفر والغلبة، والفتنة التي تصرع الألباب والعزائم، فيقع الرجال أسرى في أيديهن.

استِقامة، فَإذا ارْتَكسوا منه إلى الكُفر قاموا مُتَحَيِّرينَ(١) .

والآخر ما:

٤٥١- **حدّثني** به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حماد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ إلى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: أمّا الصَّيِّب فالمَطَر، كان رَجُلانِ من المُنافِقينَ من أهل المَدينة هَرَبا من رَسول الله ﷺ إلى المُشْرِكينَ، فَأصابَهُما هذا المَطَر الذي ذَكَرَ الله، فيه رَعْد شَديد وصَواعِق وبَرْق، فَجَعَلا كُلَّما أصابَهُما الصَّواعِق جَعَلا أصابِعهما في آذانِهِما من الفَرَق أنْ تَدْخُل الصَّواعِق في مَسامِعهما فَتَقْتُلهُما، وإذْ لَمع البرْق مَشَيا في ضَوْئِه، وإذا لم يَلْمَع لم يُبْصِرا قاما مكانهما لا يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصْبَحْنا فَنَأتيَ مُحَمَّدًا فَنَضَعَ أيْدينا في يده. فَأصْبَحا فأتياه، فَأسلَما ووَضَعا أيْديهما في يَده وحَسُنَ إسلامُهُما. فَضَرَبَ الله شَأْن هَذَيْنِ المُنافِقَيْنِ الخارِجَينِ مَثَلاً لِلْمُنافِقينَ الذينَ بالمَدينةِ. وكان المُنافِقونَ إذا حَضَروا مَجْلِس النَّبيّ ﷺ جَعَلوا أصابِعهم في آذانهم فَرَقًا من كَلام النَّبيّ ﷺ أنْ يَنْزِل فيهم شَيْء أو يُذْكَروا بِشَيْءٍ فَيُقْتَلوا، كما كان ذانِكَ المُنافِقانِ الخارِجانِ يجْعَلانِ أصابِعَهُما في آذانهما، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾. فَإذا كَثُرَتْ أموالهم ووُلِدَ لهم الغِلْمان وأصابوا غَنيمة أو فَتْحًا مَشَوْا فيه، وقالوا: إنَّ دين مُحَمَّد ﷺ دين صِدْق. فاستَقاموا عليه، كما كان ذانِكَ المُنافِقانِ يَمْشيانِ إذا أضاءَ لهم البرْق مَشَوْا فيه، ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾. فَكانوا إذا هَلَكَتْ أموالهم، ووُلِدَ لهم الجَواري، وأصابَهم البلاء قالوا: هذا من أجْل دين مُحَمَّد. فارْتَدّوا كُفّارًا كما قامَ ذانِكَ المُنافِقانِ حينَ أظْلَمَ البرْق عليهما(٢) .

والثّالث ما:

٤٥٢- **حدّثني** به مُحَمَّد بن سَعْد؛ قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: كَمَطَرٍ ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ إلى آخِر الآية: هو مِثْل المُنافِق في ضَوْء ما تَكَلَّمَ بِما معه من كِتاب الله، وعَمَل مُراءاةً لِلنّاسِ، فَإذا خَلا وحْده عَمَل بِغَيْرِه، فهو في ظُلْمة ما أقامَ على ذلك، وأمّا الظُّلُمات فالضَّلالة، وأمّا البرْق فالإيمان، وهم أهل الكِتاب، ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾، فهو رَجُل يَأخُذ بِطَرَفِ الحَقّ لا يَسْتَطيع أنْ يُجاوِزهُ(٣) .

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح هنا، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان، ومداره على سلمة.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف جدًا] فيه عائلة العوفي كلهم ضعفاء.

والرّابع ما:

٤٥٣- حَدّثني به المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: وهو المَطَر، ضَرَبَ مَثَلهُ في القُرْآن يقول: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٞ﴾، يقول: ابتِلاء، ﴿وَرَعۡدٞ﴾ يقول: تَخْويف، ﴿وَبَرۡقٞ﴾. ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ﴾ يقول: يكاد مُحكَم القُرْآن أن يَدُلّ على عَوْرات المُنافِقينَ، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ يقول: كُلَّما أصابَ المُنافِقونَ من الإسلام عِزًّا اطْمَأنُوا، وإنْ أصاب الإسلام نَكْبة، قاموا ليرْجِعوا إلى الكُفْر، يقول: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ كَقولِه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ [الحج: ١١] إلى آخِر الآية[(١)].

قالَ أبو جَعْفَر: ثُمَّ اختَلَفَ سائِر أهل التَّأويل بعدُ ذلك في نَظير ما رويَ عن ابن عَبَّاس من الاختِلاف.

٤٥٤- فحَدّثني مُحَمَّد بن عَمْرو الباهِليّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، عن عيسَى بن مَيْمون، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: إضاءةُ البرْق وإظْلامهُ على نَحو ذلك المَثَل[(٢)].

٤٥٥- وحَدّثني المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثله[(٣)].

- حَدّثنا عَمْرو بن عَليّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح عن مُجاهِد مِثله[(٤)].

٤٥٧- وحَدّثنا بِشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، عن سَعيد، عن قَتادةَ في قول الله: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾: فالمُنافِق إذا رَأى في الإسلام رَخاء أو طُمَأنينةً أوَسَلْوة من عَيْش، قال: أنا معكُم وأنا منكُمْ؛ وإذا أصابَتْه شِدَّةٌ حقحق والله عندها فانقُطعَ به فَلم يَصْبِر على بَلائِها، ولم يَحْتَسِب أجْرها ولم يَرْجُ عاقِبَتها[(٥)].

٤٥٨- حَدّثنا الحسن بن يَحيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ يقول: أجْبَنُ قَوْم لا يَسْمَعونَ شَيْئًا إلاَّ ظَنُّوا أنَّهم هالِكونَ فيه حَذَرًا من الموت، ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. ثُمَّ ضَرَبَ لهم مَثَلاً آخَر، فقال: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ

---

(١) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه.

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٤) [حسن] تقدم قبله.

(٥) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ يقول: هذا المُنافِق، إذا كَثُرَ ماله وكَثُرَتْ ماشيَته وأصابَتْه عافية قال: لم يُصِبني مُذْ دَخَلْت في ديني هذا إلا خَيْر، ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ يقول: إذا ذَهَبَتْ أموالهم وهَلَكَتْ مَواشيهم وأصابَهم البلاء قاموا مُتَحَيِّرِينَ (١).

٤٥٩- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، عن عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبِيع بن أنَس: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ قال: مَثَلهم كَمَثَلِ قَوْم ساروا في لَيْلة مُظْلِمة ولَها مَطَر ورَعْد وبَرْق على جادَّة، فَلَمَّا أبرَقَتْ أبصَروا الجادّة فَمَضَوْا فيها، فإذا ذَهَبَ البرْق تَحَيَّروا. وكذلك المُنافِق كُلَّما تَكَلَّمَ بِكَلِمةِ الإخلاص أضاءَ له، فإذا شَكَّ تَحَيَّرَ ووَقَعَ في الظُّلْمة، فَكَذلك قوله: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ ثُمَّ قال: في أسماعهم وأبصارهم التي عاشوا بها في النَّاس: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ (٢).

٤٦٠- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَنا أبو تُمَيلة، عن عُبَيْد بن سُلَيْمان الباهِليّ، عن الضَّحَّاك بن مُزاحِم: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ قال: أمَّا الظُّلُمات فالضَّلالة، والبرْق: الإيمان (٣).

٤٦١- حَدَّثَني يونُس بن عبد الأعلى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: حَدَّثَني عبد الرَّحْمَن بن زَيْد في قوله: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ فقَرأ حتَّى بَلَغ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال: هذا أيْضًا مَثَلٌ ضَرَبَه الله لِلْمُنافِقينَ، كانوا قد استَناروا بالإسلام كما استَنارَ هذا بِنورِ هذا البرْق (٤).

٤٦٢- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: لَيْسَ في الأرْض شَيْء يسمعه المُنافِق إلا ظَنَّ أنَّه يُراد به، وأنّه الموت كَراهيةً له، والمُنافِق أكْرَه خَلْق الله لِلْموتِ، كما إذا كانوا بالبراري في المَطَر فَرُّوا من الصَّواعِق (٥).

٤٦٣- حَدَّثَنا عَمْرو بن عَليّ، قال: حَدَّثَنا أبو مُعاوية، قال: حَدَّثَنا ابن جُرَيْج، عن عَطاء في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ قال: مَثَلٌ ضُرِبَ لِلْكافر (٦).

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وهذه الأخبارُ التي ذَكَرْنا عَمَّنْ رَوَيْناها عنه - فإنّها وإنْ اختَلَفَتْ فيها ألفاظ قائليها مُتَقارِبات المَعاني؛ لأنّها جَميعًا تُنْبِئ عن أنَّ الله ضَرَبَ الصَّيِّب لِظاهِرِ إيمان المُنافِق مَثَلاً، ومَثَّلَ ما فيه من ظُلُمات بِضَلالَتِه، وما فيه من ضياء بَرْق بِنورِ إيمانه، واتِّقاءَهُ من الصَّواعِق

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٣) [حسن] عبيد بن سليمان الباهلي لا بأس به، وأبو تميلة يحيى بن واضح الأنصاري الحافظ صدوق، والحسين بن داود المصيصي صدوق في غير الحجاج والقاسم بن الحسن بن يزيد الهمداني شيخ المصنف وثقه الخطيب في تاريخه [٦٨٨٨].

(٤) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٥) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٦) [حسن] من أجل الكلام الذي في أبي معاوية الضرير.

بتَصْيير أصابِعه في أُذُنَيْه بِضَعْفِ جَنانه ونَخب فُؤاده من حُلول عُقوبة الله بِساحَتِه، ومَشْيُهُ في ضَوْءِ البرْق باستِقامَتِه على نور إيمانه، وقيامه في الظَّلام بِحيرَتِه في ضَلالَته وارْتِكاسه في عَمَهه.

فَتأويل الآية إذن - إذا كان الأمْر على ما وصَفْنا -: أو مَثَلُ ما استَضاءَ به المُنافِقونَ من قِيْلهم لِرَسولِ الله ﷺ ولِلْمُؤْمِنينَ بِألسِنَتِهم: آمَنَّا بالله وباليوم الآخِر وبِمُحَمَّدٍ وبما جاء به، حتَّى صارَ لهم بِذلك في الدُّنيا أحكامُ المُؤمِنينَ، وهم - مع إظْهارهم بِألسِنَتِهم ما يُظْهِرونَ - بالله وبِرَسولِه، وما جاء به من عند الله وباليومِ الآخِرِ مُكَذِّبونَ، ولِخِلافِ ما يُظْهِرونَ بالألسُنِ في قُلوبهم مُعْتَقِدونَ، على عَمًى منهم وجَهالَةٍ بِما هم عليه من الضَّلالة، لا يَدْرونَ في أيِّ الأمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ قد شُرِعَا لهم الهِداية: في الكُفْر الذي كانوا عليه قَبْل إرْسال الله مُحَمَّدًا ﷺ ما أرْسَلَه به إليهم، أم في الذي أتاهم به مُحَمَّد ﷺ من عند رَبِّهِمْ؟ فَهم من وعيد الله إيَّاهم على لِسان مُحَمَّد ﷺ وَجِلونَ، وهم مع وجَلِهم من ذلك في حَقيقَته شاكُّونَ، في قُلوبِهم مَرَض فَزادَهم الله مَرَضًا - كَمَثَلِ غَيْث سَرَى لَيْلًا في مُزْنة ظَلْماء ولَيْلة مُظْلِمة يَحْدوها رَعْدٌ ويَسْتَطير في حافَّاتها بَرْقٌ شَديد لَمَعانه كَثير خَطَرانه، يكاد سَناهُ يَذْهَب بالأبْصارِ، ويَخْتَطِفها من شِدَّةِ ضيائِه ونور شُعاعه وتهبط منها تاراتٍ: صَواعِقُ تكاد تَدَعُ النُّفوس من شِدَّةِ أهوالها زَواهِق.

فالصَّيِّب مَثَلٌ لِظاهِرِ ما أظْهَرَ المُنافِقونَ بِألسِنَتِهم من الإقْرار والتَّصْديق، والظُّلُماتُ التي هي فيه لِظُلُماتِ ما هم مُسْتَبْطِنوه من الشَّكِّ والتَّكْذيب ومَرَض القُلوب، وأمَّا الرَّعْد والصَّواعِق فَلِما هم عليه من الوَجَلِ من وعيد الله إيَّاهم على لِسان رَسوله ﷺ في آي كِتابه، إمَّا في العاجِل وإمَّا في الآجِل، أن يَحُلَّ بهم، مع شَكِّهم في ذلك، هَلْ هو كائِن أم غَيْر كائِن؟ وهَلْ له حَقيقة أم ذلك كذِب وباطِل؟ مَثَلٌ. فَهم من وجَلِهم أنْ يكون ذلك حَقًّا يَتَّقونَه بالإقْرارِ بِما جاء به مُحَمَّد ﷺ بِألسِنَتِهم مَخافةً على أنْفسهم من الهَلاك ونُزول النَّقِمات، وذلك تأويلُ قوله جَلَّ ثَناؤه: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ يَعْني بِذلك: يَتَّقونَ وعيد الله الذي أنْزَلَه في كِتابه على لِسان رَسوله ﷺ بما يُبْدونَه بِألسِنَتِهم من ظاهِر الإقْرار، كما يَتَّقي الخائِفُ أصْواتِ الصَّواعِقِ بِتَغْطِيةِ أُذُنيه وتَصْيير أصابِعه فيها حَذَرًا على نَفْسه منها.

وَقد ذَكَرْنا الخَبَر الذي روِيَ عن ابن مسعود وابن عَبَّاس أنَّهما كانا يقولانِ: إنَّ المُنافِقينَ كانوا إذا حَضَروا مَجْلِس رَسول الله ﷺ أدْخَلوا أصابِعهم في آذانهم فَرَقًا من كَلام رَسول الله ﷺ أنْ يَنْزِل فيهم شَيْء، أو يُذْكَروا بِشَيْءٍ فَيُقْتَلوا. فَإنْ كان ذلك صَريحًا - ولَسْت أعْلَمه صَحيحًا؛ إذْ كُنْت بإسنادِه مُرْتابًا - فَإنَّ القول الذي روِيَ عنهُما هو القول. وإنْ يكُنْ غَيْر صَحيح، فَأولَى بِتأويلِ الآية ما قُلْنا؛ لأنَّ الله إنَّما قَصَّ علينا من خَبَرهم في أوَّل مُبْتَدَأ قَصَصهم أنَّهم يُخادِعونَ الله ورَسوله والمُؤمِنينَ بِقولِهم آمَنَّا بالله وباليومِ الآخِر. مع شَكِّ قُلوبهم ومَرَض أفئِدَتهم في حَقيقة ما زَعَموا أنَّهم به مُؤمِنونَ مِمَّا جاءهم به رَسول الله ﷺ من عند رَبِّهم، وبِذلك وصَفَهم في جَميع آي القُرْآن التي ذَكَرَ فيها صِفَتهم، فَكَذلك ذلك في هذه الآية.

وَإنّما جَعَلَ الله إدْخالهم أصابِعهم في آذانهم مَثَلاً لاتِّقائِهم رَسول الله ﷺ والمُؤمِنينَ بما ذَكَرْنا أنَّهم يَتَّقونَهم به كما يَتَّقي سامِعُ صَوْت الصَّاعِقة بِإدْخالِ أصابِعه في أُذُنَيْه. وذلكَ من المَثَل نَظير تَمْثيل الله ما أَنْزَلَ فيهم من الوَعيد في آي كِتابه بأصْواتِ الصَّواعِق، وكذلك قوله: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾ جَعَلَه جَلَّ ثَنَاؤه مَثَلاً لِخَوْفِهم وإشْفاقهم من حُلول عاجِل العِقاب المُهْلِكِهم الذي تُوُعِّدَه بساحَتِهم، كما يَجْعَل سامِع أصْوات الصَّواعِق أصابِعه في أُذُنَيْه حَذَر العَطْب والموت على نَفْسه أن تَزْهَقَ من شِدَّتها.

وإنّما نَصَبَ قوله: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾ على نَحْو ما تَنْصِب به التَّكْرِمة في قولك: زُرْتُك تَكْرِمةً لَك، تُريد بِذلك: زُرْتُك من أجْل تَكْرِمَتِك، وكَما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ﴾ [الأنبياء: ٩٠] على التَّفْسير لِلْفِعْلِ.

وَقد رويَ عن قَتادةَ أنَّه كان يَتأوَّل قوله: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾: حَذَرًا من الموت.

٤٦٤- **حَدَّثَنا** بذلك الحسن بن يَحْيَى، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّزَّاق، قال: حدَّثنا مَعْمَر عنهُ[1].

وَذلك مَذْهَب من التَّأويل ضَعيف؛ لأنَّ القَوْم لم يجْعَلوا أصابِعهم في آذانهم حَذَرًا من الموت، فَيكون معناه ما قال إنَّه يُراد به: حَذَرًا من الموت، وإنّما جَعَلوها من حِذارِ الموت في آذانهم. وكان قَتادةَ وابن جُرَيْج يَتأوَّلانِ قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾ أنَّ ذلك من الله جَلَّ ثَناؤه صِفةٌ لِلْمُنافِقينَ بالهَلَع، وضَعْف القُلوب، وكَراهية الموت، ويَتأوَّلانِ في ذلك قوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْۚ﴾ [المنافقون: ٤]. وَلَيْسَ الأمْر في ذلك عندي كالذي قالا، وذلك أنَّه قد كان فيهم من لا تُنْكَر شَجاعَته ولا تُدْفَع بَسالَته، كَقُزْمانَ الذي لم يَقُم مَقامه أحَد من المُؤمِنينَ يومَ أُحُدٍ ودونه. وإنّما كانتْ كَراهَتهم شُهود المَشاهِد مع رَسول الله ﷺ وتَرْكهم مُعاوَنَته على أعْدائِهِ؛ لأنَّهم لم يكونوا في أديانهم مُسْتَبْصِرينَ ولا بِرَسولِ الله ﷺ مُصَدِّقينَ، فَكانوا لِلْحُضورِ معه مَشاهِده كارِهينَ، إلاَّ بالتَّخْذيلِ عنه. ولَكِنْ ذلك وصْف من اللـه جَلَّ ثَنائه لهم بالإشْفاقِ من حُلول عُقوبة الله بهم على نِفاقهم، إمَّا عاجِلاً، وإمَّا آجِلاً.

ثُمّ أخْبَرَ جَلَّ ثَناؤه أنَّ المُنافِقينَ الذينَ نَعَتَهم الله النَّعْت الذي ذَكَرَ، وضَرَبَ لهم الأمْثال التي وصَفَ وإنْ اتَّقَوْا عِقابه وأشْفَقوا من عَذابه إشْفاق الجاعِل في أُذُنَيْه أصابِعه حِذارَ حُلول الوَعيد الذي تَوَعَّدَهم به في أي كِتابه - غَيْرُ مُنْجيهم ذلك من نُزوله بِعَقْوَتِهم وحُلوله بِساحَتِهم، إمَّا عاجِلاً في الدُّنْيا، وإمَّا آجِلاً في الآخِرة، لِلَّذي في قُلوبهم من مَرَضها والشَّكّ في اعْتِقادها، فَقال: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني: جامِعُهم فَمُحِلٌّ بهم عُقوبَته.

وَكان مُجاهِد يَتأوَّل ذلك كما:

٤٦٥- **حَدَّثني** مُحَمَّد بن عَمْرو الباهِليّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: أخبرنا عيسَى بن

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

مَيْمون، عن عبد الله بن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللّه: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: جامِعهم في جَهَنَّم(١).

٤٦٦- حَدَّثني القاسِم، قال: حَدَّثنا حُسَيْن، قال: حَدَّثنا حَجَّاج عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد في قوله: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: جامِعُهم(٢).

وَأمَّا ابن عَبَّاس فَرويَ عنه في ذلك ما:

٤٦٧- حَدَّثني به ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يقول: الله مُنْزِلٌ ذلك بهم من النِّقْمة(٣).

ثُمّ عادَ جَلَّ ذِكْره إلى نَعْت إقْرار المُنافِقينَ بِألسِنَتِهم، والخَبَر عنه وعنهم وعن نِفاقهم، وإتْمام المَثَل الذي ابْتَدَأ ضَرْبه لهم ولِشَكِّهم ومَرَض قُلوبهم، فَقال: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ يَعْني بالبرْقِ: الإقْرار الذي أظهروه بِألسِنَتِهم باللّه وبِرَسولِه وما جاء به من عند رَبِّهم، فَجَعَلَ البرْق له مَثَلاً على ما قَدَّمْنا صِفَته. ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يَعْني: يَذْهَب بها ويَسْتَلِبها ويَلْتَمِعها من شِدّة ضيائِه ونور شُعاعه. كَما:

٤٦٨- حُدِّثت عن المِنْجاب بن الحارِث، قال: حَدَّثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، في قوله: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ قال: يَلْتَمِع أبْصارهم ولَمَّا يَفْعَل(٤).

والخَطْف: السَّلَب، ومنه الخَبَر الذي رويَ عن النَّبيّ (أنّه نَهَى عن الخَطْفة) يَعْني بها النُّهْبة؛ ومنه قِيلَ لِلْخُطَّافِ الذي يُخْرَج به الدَّلْوُ من البِئْر: خُطَّاف لاِخْتِطافِه واستِلابه ما عَلِقَ به. ومنه قول نابغة بَني ذُبْيان:

خَطاطيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ مَتينةٍ تَمُدُّ بها أيْدٍ إليكَ نَوازِعُ(٥)

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٤) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٥) [الطويل] القائل: النابغَة الذُبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. كان حظيًا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنًا. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمرًا طويلاً. اللغة: خطاطيف: جمع خطاف. وحجن: جمع

فَجَعَلَ ضَوْء البرْق وشِدّة شُعاع نوره لِضَوْءِ إقْرارهم بألسِنَتِهم وبرَسوله ﷺ وبما جاء به من عند الله واليوم الآخِر وشُعاع نوره - مَثَلاً.

ثُمّ قال: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ يَعْني أنَّ البرْق كُلَّما أضاءَ لهم - وجَعَلَ البرْق لإيمانِهم مَثَلاً - وإنّما أرادَ بذلك أنّهم كُلَّما أضاءَ لهم الإيمان وإضاءَته لهم أنْ يَرَوْا فيه ما يُعْجِبهم في عاجِل دُنْياهم من النُّصْرة على الأعْداء، وإصابة الغَنائِم في المَغازي، وكَثْرة الفُتوح، وتَتابُعِها، والثَّراء في الأموال، والسَّلامة في الأبْدانِ والأهل والأولاد - فَذلك إضاءَته لهم؛ لأنّهم إنّما يُظْهِرونَ بألسِنَتِهم ما يُظْهِرونَه من الإقْرار ابْتِغاء ذلك، ومُدافَعة عن أنْفُسهم وأموالهم وأهليهم وذَراريّهم، فهم كما وصَفَهم جَلَّ ثَنَاؤه بِقولِه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: ١١].

وَيَعْني بِقولِه: ﴿مَّشَوْاْ فِيهِ﴾: مَشَوْا في ضَوْء البرْق. وإنّما ذلك مَثَل لإقْرارِهم على ما وصَفْنا. فَمعناه: كُلَّما رَأوا في الإيمان ما يُعْجِبهم في عاجِل دُنْياهم - على ما وصَفْنا - ثَبَتوا عليه وأقاموا فيه، كما يَمْشي السَّائِر في ظُلْمة اللَّيْل وظُلْمة الصَّيِّب الذي وصَفَه جَلَّ ذكرُه، إذا بَرَقَتْ فيها بارِقة فأبْصَرَ طَريقه بها.

﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ﴾ يَعْني: ذَهَبَ ضَوْء البرْق عنهم، ويَعْني بِقولِه: ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على السَّائِرينَ في الصَّيِّب الذي وصَفَ جَلَّ ذِكره، وذلك لِلْمُنافِقينَ مَثَل. ومعنى إظْلام ذلك: أنَّ المُنافِقينَ كُلَّما لم يَرَوْا في الإسلام ما يُعْجِبهم في دُنْياهم - عند ابْتِلاء الله مُؤمِني عِباده بالضَّرَّاءِ وتَمْحيصه إيّاهم بالشَّدائِدِ والبلاء من إخفاقهم في مَغْزاهم أو إدالة عَدوّهم منهم، أو إدْبار من دُنْياهم عنهم - أقاموا على نِفاقهم وثَبَتوا على ضَلالَتهم كما قامَ السَّائِرون في الصَّيِّب الذي وصَفَ جَلَّ ذِكْره إذا أظْلَمَ وخَبَتَ ضَوْء البرْق، فَحارَ في طَريقه فلم يَعْرِف مَنْهَجه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَر: وإنّما خَصَّ الله جَلَّ ذِكْره السَّمْع والأبْصارَ بأنّه لو شاءَ أذْهَبَها من المُنافِقينَ دون سائِر أعْضاء أجْسامِهم - لِلَّذي جَرَى من ذِكْرها في الآيَتَيْنِ، أعْني قولَه: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ وقوله: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ فَجرَى ذِكْرُها في الآيَتَيْنِ على وجه المَثَلِ. ثُمَّ عَقَّبَ جَلَّ ثَنَاؤه ذِكْر ذلك بأنّه لو شاءَ أذْهَبَه من المُنافِقينَ، عُقوبة لهم على نِفاقهم وكُفْرهم، وعيدًا من الله لهم، كما تَوَعَّدَهم في الآية التي قَبْلها بِقولِه: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ

أحجن، وهو المعوج الذي في رأسه عقافة. وقوله: (إليك) متعلق بقوله: (نوازع). ونوازع: جمع نازع ونازعة، من قولهم نزع الدلو من البئر ينزعها: جذبها وأخرجها. المعنى: هذا البيت متصل بالذي قبله وهو: فَإِنَّكَ كَاللَّيلِ الَّذي هُوَ مُدرِكي وَإن خِلتُ أَنَّ المُنتَأى عَنكَ واسِعُ وبيان لقوله: (فإنك كالليل الذي هو مدركي)، أراد تهويل الليل وما يرى فيه، تتبعه حيث ذهب خطاطيف حجن لا مهرب له منها. وقال: (تمد بها) ولم يقل: تمدها، لأنه لم يرد مد الحبال ذوات الخطاطيف، وإنما أراد اليد التي تمتد بها وفيها الخطاطيف، لأن اليد هي الذي تتبع الشيء حيث ذهب. أي أن هذه الأيدي تجذب ما تشاء إليك، وترده عليك.

﴿بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ واصِفًا بذلك جَلَّ ذِكره نفسَه أنه المُقتَدِرُ عليهم وعلى جَمعِهم، لإحلالِ سُخْطِه بهم، وإنزال نِقْمَتِه عليهم، ومُحَذِّرَهم بذلك سَطْوَته، ومُخَوِّفَهم عُقوبَته؛ ليَتَّقُوا بَأسه، ويُسارِعوا إليه بالتَّوْبةِ. كما:

٤٦٩- حَدَّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، مولى زيد بن ثابت عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾: لِمَا تَرَكوا من الحَقِّ بعد معرفتِه[1].

٤٧٠- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس، قال: ثُمَّ قال - يَعْني: قال اللهُ - في أسماعِهم - يَعْني: أسماعَ المُنافِقينَ - وأبْصارِهم التي عاشوا بها في النَّاس: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾[2].

وإنما معنى قوله: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾: لأَذْهَبَ سَمْعَهم وأبصارَهم، ولَكِنَّ العربَ إذا أدخلوا الباءَ في مِثْلِ ذلك قالوا: ذَهَبْتُ بِبَصَرِه، وإذا حَذَفوا الباء قالوا: أذهبتُ بَصَرَه. كما قال جَلَّ ذكرُه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]. ولو أُدْخِلَتِ الباءُ في الغَداء لَقِيلَ: آتِنا بِغَدائِنا.

فإنْ قال لنا قائِلٌ: وكيفَ قِيلَ: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ فَوَحَّدَ، وقال: ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ فَجَمع؟ وقد عَلِمْتَ أنَّ الخَبَر في السَّمْع خَبَرٌ عن سَمْعِ جَماعةٍ، كما الخَبَرُ في الأَبْصارِ خَبَرٌ عن أبْصار جَماعةٍ؟

قِيلَ: قد اختَلَفَ أهل العربيةِ في ذلك، فقال بعض نَحْوِيِّي الكوفة: وَحَّدَ السَّمْعَ لأنه عَنَى به المَصْدَرَ وقَصَدَ به الخَرْقَ، وجَمع الأبْصارَ لأنَّه عَنَى بها الأعْيُنَ.

وكان بعضُ نَحْوِيِّي البصرة يَزْعُمُ أنَّ السَّمْعَ وإنْ كان في لَفْظِ واحِد، فإنّه بمعنى جماعٍ، ويَحْتَجُّ في ذلك بِقولِ اللَّه جلَّ وعزَّ: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣]. يُرادُ: لا تَرْتَدُّ إليهم أطرافُهم. وبقولِه: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]. يُرادُ به: أدْبارُهم.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وإنّما جازَ ذلك عندي لأنَّ في الكَلام ما يَدُلُّ على أنه مُرادٌ به الجَمْعُ، فَكان فيه دَلالتُه على المُراد منه وأداءِ معنى الواحِدِ من السَّمْعِ عن معنى جَماعةٍ، مُغْنيًا عن جِماعِه، ولو فُعِلَ بالبصَرِ نَظيرُ الذي فُعِلَ بالسَّمْعِ، أو فُعِلَ بالسَّمْعِ نَظيرُ الذي فُعِلَ بالأبْصارِ - من الجَمْعِ والتَّوْحيدِ - كان فَصيحًا صَحيحًا؛ لِما ذَكَرْنا من العِلَّةِ، كما قال الشَّاعِر:

كُلُوا في بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا فَإنَّ زَمانَنا زَمَنٌ خَمِيصُ[3]

فَوَحَّدَ البطْن، والمُرادُ منه البُطونُ؛ لِما وصَفْنا من العِلّة.

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٣) [الوافر] القائل: شاعر غير معروف اسمه. اللغة: بطن: المقصود البطون. تعفوا: تكونوا بصحة جيدة. الخميص: هو الجوعان. المعنى: يقول الشاعر: كلوا واملأوا بعض بطونكم فقط لكي تكونوا بصحة جيدة... لأن زماننا هو زمن الجوعى.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾

قَالَ أبو جعْفَر: وإنّما وصَفَ الله نَفْسه جَلَّ ذِكْره بالقُدْرةِ على كُلِّ شَيْءٍ في هذا الموضِع؛ لأنَّه حَذَّرَ المُنافِقِينَ بَأسه وسَطْوَتَه وأخْبَرَهم أنَّه بهم مُحيطٌ، وعلى إذْهابِ أسَماعِهم وأبْصارِهم قَديرٌ، ثُمَّ قال جل ذكره: فاتَّقوني أيها المُنافِقونَ واحْذَروا خِداعي وخِداعَ رَسولي وأهل الإيمان بي؛ لا أُحِلُّ بِكُم نِقَمي، فَإنّي على ذلك وعلى غَيْرِه من الأشياءِ قَادرٌ. ومعنى ﴿قَدِيرٌ﴾: معنى قادرٍ، كما معنى عَليم: عالِمٌ. على ما وصَفْتُ فيما تَقَدَّمَ من نَظائِره من زيادةِ معنى (فَعيل) على (فاعِل) في المَدْح والذَّمِّ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾

فَأمَرَ جَلَّ ثَنَاؤه الفَريقَيْنِ اللَّذَيْنِ أخْبَرَ الله عن أحَدهما أنَّه سَواءٌ عليهم أُنْذِروا أم لم يُنْذَروا أنَّهم لا يُؤْمِنونَ؛ لِطَبْعِه على قُلوبهم، وعلى سَمْعِهم، وعن الآخَر أنَّه يُخادِع اللهَ والذينَ آمَنوا بما يُبْدي بِلِسانِه من قِيْله: آمَنَّا بالله وباليوم الآخِرِ. مع استِبْطانِه خِلافَ ذلك ومَرَضِ قَلْبِه وشَكِّه في حَقيقة ما يُبْدي من ذلك، وغَيْرهم من سائِر خَلْقه المُكَلَّفينَ - بالاستِكانةِ والخُضوعِ له بالطَّاعةِ، وإفراد الرُّبوبيَّةِ له، والعِبادةِ دونَ الأوثانِ والأصْنام والآلِهة؛ لأنَّه جَلَّ ذِكْره هو خالِقُهم وخالِقُ مَنْ قَبْلهم من آبائِهم وأجْدادهم، وخالِقُ أوثانِهم وأصْنامِهم وآلِهَتِهم.

فَقال لهم جَلَّ ذِكْره: فالذي خَلَقَكُم وخَلَقَ آباءَكُم وأجْدادَكُم وسائِرَ الخَلْقِ غَيْرَكُم، وهو يَقْدِرُ على ضَرِّكُم ونَفْعِكُم أولَى بالطَّاعةِ مِمَّنْ لا يَقْدِرُ لكم على نَفْعٍ ولا ضَرٍّ.

وَكان ابن عَبَّاس فيما رويَ لنا عنه يقولُ في ذلك نَظير ما قُلْنا فيه، غَيْر أنَّه ذُكِرَ عنه أنَّه كان يقول في معنى: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: وحِّدوا رَبَّكُمْ. وَقد دَلَّلْنا فيما مَضَى من كِتابنا هذا على أنَّ معنى العِبادةِ الخُضوعُ لِلَّه بالطَّاعةِ والتَّذَلُّلُ له بالاستِكانةِ.

والذي أرادَ ابن عَبَّاس - إنْ شاءَ الله - بِقولِه في تأويل قوله: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: وحِّدوه. أي: أفرِدوا الطَّاعةَ والعِبادةَ لِرَبِّكُم دون سائِرِ خَلْقِه.

٤٧١- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولى زيد، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: قال اللَّه جلَّ ذكرُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: لِلْفَريقَيْنِ جَميعًا من الكُفَّار والمُنافِقينَ، أي: وحِّدوا رَبَّكُم الذي خَلَقَكُم والذينَ من قَبْلكُم[(١)].

٤٧٢- وَحَدَّثَني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حدَّثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيِّ، عن

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبيّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾. يقول: خَلَقَكُم وخَلَقَ الذينَ من قَبْلكُمْ[١].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذه الآيةُ من أدَلِّ الدَّليلِ على فَسادِ قول مَنْ زَعَمَ أنَّ تَكليفَ ما لا يُطاقُ إلاَّ بِمَعونةِ الله غَيْرُ جائِزٍ، إلاَّ بعدَ إعْطاء اللهِ المُكَلَّفَ المَعونةَ على ما كَلَّفَه، وذلك أنَّ الله جلَّ وعزَّ أمَرَ مَنْ وصَفْنا بِعِبادَتِه والتَّوْبَةِ مِن كُفْرِه، بعدَ إخبارِه عنهم أنَّهم لا يُؤمِنونَ، وأنَّهم عن ضَلالَتِهم لا يَرْجِعونَ.

القول في تأويل قوله تعالى عزَّ وجلَّ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

وَتأويل ذلك: لَعَلَّكُم تَتَّقونَ بِعِبادَتِكُم رَبَّكُم الذي خَلَقَكُم، وطاعَتِكُم إيَّاه فيما أَمَرَكُم به ونَهاكُم عنه، وإفرادِكُم له بالعِبادة - لِتَتَّقوا سَخَطَه وغَضَبَه أنْ يَحُلَّ عليكُم، وتَكونوا من المُتَّقينَ الذينَ رَضيَ عنهم رَبُّهمْ.

وَكان مُجاهِد يقول في تأويل قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾: تُطيعونَ.

٤٧٣- **حَدَّثَنا** ابن وكيع، قال: حَدَّثَني أبي عن سُفيان، عن ابن أبي نَجيح عن مُجاهِد في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. قال: لَعَلَّكُم تُطيعونَ[٢].

والذي أظنُّ أنَّ مُجاهِدًا أرادَ بِقولِه هذا: لَعَلَّكُم أنْ تَتَّقوا رَبَّكُم بِطاعَتِكُم إيَّاه، وإقْلاعكُم عن ضَلالَتِكُمْ.

فَإنْ قال لنا قائِلٌ: فكيف قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؟ أوَلم يكُنْ عالِمًا بِما يَصيرُ إليه أمرُهم إذا هم عَبَدوه وأطاعوه، حتى قال لهم: لَعَلَّكُم إذا فَعَلْتُم ذلك أنْ تَتَّقوا. فَأخْرَجَ الخَبَرَ عن عاقِبةِ عِبادَتِهم إيَّاه مُخْرَجَ الشَّكِّ؟

قيلَ: ذلك على غَيْرِ المعنى الذي تَوَهَّمتَ، وإنَّما معنى ذلك: اعْبُدوا رَبَّكُم الذي خَلَقَكُم والذينَ من قَبْلكُم، لِتَتَّقوه بِطاعَتِه وتَوْحيده وإفراده بالرُّبوبيَّةِ والعِبادة، كما قال الشَّاعِر:

وَقُلْتُمْ لنَا كُفُّوا الحُرُوبَ لَعَلَّنا ... نَكُفُّ ووَثَّقْتُمْ لنا كُلَّ مَوْثِقِ
فَلَمَّا كَفَفْنا الحَرْبَ كانتْ عُهُودُكُم ... كَلَمْحِ سَرَابٍ في المَلاَ مُتَألِّقِ[٣]

يُريد بِذلك: قُلْتُم لنا كُفُّوا لِنَكُفَّ. وذلك أنَّ (لَعَلَّ) في هذا المَوضِعِ لو كان شَكًّا لم يكونوا وثَّقوا لهم كُلَّ مَوْثِقٍ.

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [صحيح] هذا سند ضعيف من أجل سفيان بن وكيع، ولكن قد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح فقال: حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي، ثنا أبو داود الحفري، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: لعلكم تتقون لعلكم تطيعونه. اهـ

(٣) [الطويل] القائل: شاعر غير معروف اسمه. اللغة: كفوا: أوقفوا. الفلا جمع فلاة: وهي الأرض المستوية ليس فيها شيء والصحراء الواسعة. المعنى: يقول الشاعر: قلتم لنا أوقفوا الحروب لعلنا نتوقف وقمتم بإعداد العهود والمواثيق.. ولكن عندما أوقفنا الحرب كانت عهودكم ومواثيقكم مثل السراب الذي يظهر في الصحراء متألقًا.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾

وقولُه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ مَرْدودٌ على ﴿ٱلَّذِى﴾ الأوَّلِ في قولِه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ وهُما جَميعًا من نَعْتِ ﴿رَبَّكُمُ﴾. فكأنَّه قال: اعْبُدوا ربَّكُم الخالِقَكُم، والخالِقَ الذينَ من قَبْلِكُم، الجاعِلَ لكم الأرْضَ فِراشًا، يَعْني بذلك أنَّه جَعَلَ لكم الأرْضَ مِهادًا تُوطَأُ، وقَرارًا يُستقرُّ عليها. يُذَكِّرُ رَبُّنا جَلَّ ذِكْره بذلك مِن قيلِه، عبادَه نِعَمَه عندَهم وآلاءَه لَدَيْهم؛ لِيَذْكُروا أياديَه عندَهم، فيُنيبوا إلى طاعَتِه، تَعَطُّفًا منه بذلك عليهم، ورَأفةً منه بهم، ورَحْمةً لهم، من غَيْر ما حاجةٍ منه إلى عِبادَتِهم، ولكِنْ ليُتِمَّ نِعْمَتَه عليهم ولَعَلَّهم يَهْتَدونَ. كما:

٤٧٤- **حَدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال، حَدَّثَنا عَمْرٌو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَرٍ ذَكَرَه، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾: فَهيَ فِراشٌ يُمْشى عليها، وهيَ المهادُ والقَرارُ[(١)].

٤٧٥- **وحَدَّثنا** بِشْرٌ، قال: حَدَّثَنا يَزيدُ، قال: حدَّثنا سَعيدٌ، عن قَتادةَ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ قال: مِهادًا لكم[(٢)].

٤٧٦- **وحَدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، عن عبدُ الله بنُ أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ أي: مِهادًا[(٣)].

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾

قَالَ أبُو جَعْفَر: وإنّما سُمِّيَتِ السَّماءُ سَماءً لِعُلُوِّها على الأرض، وعلى سُكّانِها مِن خَلْقه، وكُلُّ شَيْء كان فَوْق شَيْء آخَر، فهو لِما تَحْته سَماءٌ. ولِذلك قِيلَ لِسَقْفِ البَيْت: سَماؤُه؛ لأنّه فَوْقه مُرْتَفِعٌ عليه، وكذلك قِيلَ: سَما فُلانٌ لِفُلانٍ: إذا أشرَفَ له وقَصَدَ نَحْوه عاليًا عليه، كما قال الفَرَزْدَق:

سَمَوْنا لِنَجْرانَ اليَمانِي وأهْلِهِ ... وَنَجْرَانُ أرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقاوِلُهْ[(٤)]

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٤) [الطويل] القائل: الفَرَزْدَق همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس. شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة.

يشبه بزهير بن أبي سلمى وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين. وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان شريفًا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه. لقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه. وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة. اللغة: نجران: أرض في مخاليف اليمن من ناحية مكة. وذكر نجران، على لفظه وأصل معناه، والنجران في كلام العرب:

وَكما قال نابغةُ بَني ذُبيان:

سَمَتْ لي نَظْرَةٌ فَرَأيْتُ مِنْها تُحَيْتَ الخِدْرِ واضِعَةَ القِرَامِ [(١)]

يُريد بِذلك: أشرَفَتْ لي نَظْرةٌ وبَدَتْ. فَكَذلك السَّماءُ سُمِّيَتِ للأرْضِ سَماءً لِعُلُوِّها وإشْرافها عليها. كَما:

٤٧٧ - حَدَّثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيِّ، عن ابن مسعود وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: ابتنى السَّماءَ على الأرْض كَهَيْئَةِ القُبَّةِ، وهيَ سَقْفٌ على الأرْض [(٢)].

٤٧٨ - حَدَّثنا بِشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال حدَّثنا سَعيدٌ، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ قال: جَعَلَ السَّماءَ سَقْفًا لَك [(٣)].

وَإنّما ذَكَرَ السَّماء والأرْضَ جَلَّ ثَناؤه فيما عَدَّدَ عليهم من نِعَمِه التي أنْعَمَها عليهم، لأنَّ منهُما أقْواتَهم وأرْزاقَهم ومَعايِشَهم، وبِهِما قِوامُ دُنْياهم، فَأعْلَمَهم أنَّ الذي خَلَقَهُما وخلَقَ جميع ما فيهما وما هم فيه مِن النِّعَم، هو المستحِقُّ عليهم الطاعةَ، والمُسْتَوْجِبُ منهم الشُّكْرَ والعِبادَةَ، دونَ الأصْنام والأوثانِ التي لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾

يَعْني بِذلك أنَّه جلَّ ثناؤه أنْزَلَ من السَّماء مَطَرًا، فَأخْرَجَ بِذلك المَطَرِ مِمَّا أنبَتوه في الأرْض من زروعِهم وغروسِهم ثَمَراتٍ رِزْقًا لهم؛ غِذاءً وأقْواتًا. فَنَبَّهَهم بِذلك جلَّ ثناؤه على قُدْرَتِه وسُلْطانِه، وذَكَّرَهم به آلاءَه لَدَيْهم، وأنّه هو الذي خَلَقَهم، وهو الذي يَرْزُقُهم ويكْفُلُهم، دونَ مَنْ

الخشبة التي يدور عليها رتاج الباب. وديث البعير: ذلله بعض الذل حتى تذهب صعوبته. والمقاول: جمع مقول. والمقول والقيل: الملك من ملوك حمير. المعنى: يقول الشاعر: هي أرض عز عزيز، لم يلق ملوكها ضيما يذلهم ويحني هاماتهم.

(١) [الوافر]القائل: النابِغَة الذُّبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. تقدم. اللغة: صفحت: أي تصفحت الوجوه بنظرة، أو رميت بنظرة متصفحًا. والقرام: ستر رقيق فيه رقم ونقوش. والخدر: خشبات تنصب فوق قتب البعير مستورة بثوب، وهو الهودج. ووضع الشيء: ألقاه. وتحيت: تصغير: (تحت)، وصغر (تحت). المعنى: أراد أن ستر الخدر بعد وضع القرام لا يبدى منها إلا قليلا، وهذا البيت متعلق بما قبله وما بعده. وقبله:

فَلَوْ كَانَتْ غَداةَ الْبَيْنِ مَنَّتْ وَقَدْ رَفَعُوا الْخُدُورَ عَلَى الْخِيَامِ

صَفَحْتُ بنظرةٍ ....

تَرَائِبَ يستضيءُ الحليُ فيها كَجمْرِ النارِ بُذِّرَ فِي الظَّلامِ

(٢) [ضعيف]من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [حسن]من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

جَعَلوه له نِدًّا وعِدْلاً من الأوثان والآلِهةِ، ثُمَّ زَجَرَهم عن أنْ يجْعَلوا له نِدًّا مع عِلْمِهم بِأنَّ ذلك كما أخْبَرَهم، وأنّه لا نِدَّ له ولا عِدْلَ، ولا لهم نافِعٌ ولا ضارٌّ ولا خالِقٌ ولا رازِقٌ سِواه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والأنْدادُ جَمْعُ نِدٍّ، والنِّدُّ: العِدْلُ والمِثْلُ، كما قال حَسَّان بن ثابت:

أتَهْجُوه ولَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ ... فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ[1]

يَعْني بِقولِه: (وَلَسْت له بِنِدٍّ): لَسْت له بِمِثْلٍ ولا عِدْلٍ. وكُلُّ شَيْءٍ كان نَظيرًا لشَّيْءٍ وله شَبيهًا فهو له نِدٌّ. كما:

٤٧٩- حَدَّثَنا بِشْرٌ، قال: حَدَّثَنا يَزيدُ بن زُرَيْعٍ، قال: حدَّثَنا سَعيدٌ، عن قَتادةَ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: عِدْلاً[2].

٤٨٠- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَني أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أيْ عِدْلاً[3].

٤٨١- حَدَّثَني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَرٍ ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّةَ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: أكْفاءً من الرِّجال تُطيعونَهم في معصية اللَّه[4].

٤٨٢- حَدَّثَني يونُس بن عبد الأعْلَى قال: أخبرَنا ابن وهْب قال: قال ابن زَيْد في قول اللَّه: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: الأنْدادُ: الآلِهةُ التي جَعَلوها معه وجَعَلوا لها مِثْلَ ما جَعَلوا له[5].

٤٨٣- وَحُدِّثْت عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشْرُ بن عُمارةِ، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: أشْباهًا[6].

٤٨٤- حَدَّثَني مُحَمَّد بن سِنان القزازُ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم عن شَبِيْب عن عِكْرِمة: ﴿فَلَا

(١) [الوافر] القائل: حَسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد. شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. لم يشهد مع النبي ﷺ مشهدًا لعلة أصابته. توفي في المدينة. اللغة: ولستَ له بند: لست له بمثلٍ ولا عِدلٍ. المعنى: في هذه القصيدة نجد أن حسانًا يهاجي بها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، قبل إسلامه، وكان هجا رسول الله ﷺ. فيقول له: أتهجوه وأنت لست له بمثل ولا عدل ولا كفء.

(٢) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [ضعيف] أبو حذيفة موسى بن مسعود يكتب حديثه، والمثنى مجهول الحال.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [صحيح] رجاله كلهم ثقات وسنده متصل.

(٦) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

﴿تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أن تَقولوا: لولا كَلْبُنا لَدَخَلَ علينا اللِّصُّ الدَّارَ، ولولا كَلْبُنا في الدَّارِ. ونَحْو هذا[(١)].

فَنَهاهم اللهُ جلَّ ذكرُه أنْ يُشرِكوا به شيئًا، وأنْ يَعْبُدوا غَيْرَه، أو يَتَّخِذوا له نِدًّا أو عِدْلاً في الطاعة، فقال: كما لا شَريكَ لي في خَلْقِكُم، وفي رِزْقي الذي أرزُقُكُم، ومِلْكي إيَّاكُم، ونِعْمَتي التي أنْعَمْتُها عليكُم، فكذلك فَأفْرِدوا لي الطاعةَ، وأخْلِصوا لي العِبادةَ، ولا تَجْعَلوا لي شَريكًا ونِدًّا من خَلْقي، فإنكُم تَعْلَمونَ أنَّ كُلَّ نِعْمةٍ عليكُم فمِنِّي.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اختَلَفَ أهل التَّأويل في الذينَ عُنُوا بهذه الآية، فقال بعضهم: عُنِي بها جَميعُ المُشرِكينَ، من مُشرِكي العربِ وأهلِ الكِتاب.

وَقال بعضهم: عُنِي بِذلك أهلُ الكِتابينِ: التَّوْراةِ، والإنجيلِ.

ذِكر مَن قال: عُنِي بها جَميع عَبَدةِ الأوثانِ من العربِ وكُفَّارِ أهل الكِتابينِ:

٤٨٥- **حَدَّثنا** مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: نَزَلَ ذلك في الفَريقَيْنِ جَميعًا من الكُفَّارِ والمُنافِقينَ، وإنّما عَنَى بِقولِه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: لا تُشرِكوا باللَّه غَيْرَه من الأنداد التي لا تَنْفَعُ ولا تَضرُّ، وأنتم تَعْلَمونَ أنَّه لا رَبَّ لكم يَرزُقُكُم غَيْرُه، وقد عَلِمْتُم أنَّ الذي يَدْعوكُم إليه الرَّسولُ من تَوْحيده هو الحَقُّ لا شَكَّ فيهِ[(٢)].

٤٨٦- **حَدَّثنا** بِشر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تَعلَمونَ أنَّ الله خَلَقَكُم وخَلَقَ السَّمَوات والأرض، ثُمَّ تَجْعَلونَ له أندادًا[(٣)].

ذِكر مَن قال: عُنِي بذلك أهل الكِتابينِ:

٤٨٧- **حَدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا وكيع، عن سُفيان، عن رَجُل، عن مُجاهِد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّه إلَهٌ واحِدٌ في التَّوْراةِ والإنجيلِ[(٤)].

٤٨٨- **وَحَدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا قَبيصة، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، عن مُجاهِد مِثله[(٥)].

٤٨٩- **وَحَدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن

---

(١) [ضعيف] شبيب بن بشر الكوفي ضعيف الحديث، ومحمد بن سنان كذلك.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [ضعيف] فيه هذا الرجل المبهم الراوي عنه الثوري.

(٥) [ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال.

مُجاهِد: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. يقولُ: وأنتم تَعْلَمونَ أنَّه لا نِدَّ له في التَّوْراةِ والإنجيل[١].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وأحسَبُ أنَّ الذي دَعا مُجاهِدًا إلى هذا التَّأويل، وإضافة ذلك إلى أنَّه خِطابٌ لأهلِ التَّوْراةِ والإنجيل دون غَيْرِهم، الظَّنُّ منه بالعربِ أنَّها لم تَكُنْ تَعْلَمُ أنَّ اللهَ خالِقُها ورازِقُها بِجُحودِها وحْدانيَّةَ رَبِّها، وإشراكِها معه في العِبادةِ غَيْرَه. وإنَّ ذلك لَقولٌ، ولَكِنَّ اللهَ جلَّ ذكرُه قد أخْبَرَ في كِتابه عنها أنَّها كانتْ تُقِرُّ بوَحْدانيته، غَيْرَ أنَّها كانتْ تُشْرِكُ في عِبادَتِه ما كانتْ تُشْرِكُ فيها، فقال تعالى ذكرُه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وقال تعالى ذكرُه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فالذي هو أولَى بتأويلِ قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ - إذْ كان ما كان عند العرب من العِلْمِ بوَحْدانيَّةِ اللَّه جلَّ وعزَّ، وأنَّه مُبْدِع الخَلْق وخالِقهم ورازِقهم، نَظيرَ الذي كان من ذلك عند أهل الكِتابينِ. ولم يكُنْ في الآية دَلالةٌ على أنَّ الله عَنَى بقولِه: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أحَد الحِزْبين، بل مَخْرَج الخِطاب بِذلك عامٌّ لِلنَّاسِ كافَّةً لهم؛ لأنَّه تَحَدَّى النَّاس كُلَّهم بِقولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ - أنْ يكون تأويلُه ما قاله ابن عَبَّاس وقَتادةُ، من أنَّه معْنِيٌّ بِذلك كُلُّ مُكَلَّف عالِم بِوَحْدانيَّةِ اللَّه، وأنَّه لا شَرِيكَ له في خَلْقه يُشْرِك معه في عِبادَته، كائِنًا مَنْ كان من النَّاس، عَرَبيًّا كان أو أعْجَميًّا، كاتِبًا أو أُمِّيًّا، وإنْ كان الخِطابُ لِكُفَّارِ أهل الكِتاب الذينَ كانوا حَوالَيْ دار هِجْرةِ رَسول الله ﷺ، وأهل النِّفاقِ منهم ومِمَّنْ بين ظَهْرانَيْهم مِمَّنْ كان مُشْرِكًا فانتَقَلَ إلى النِّفاق بِمَقْدَمِ رَسول الله ﷺ عليهم.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:
﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذا من الله جلَّ ثناؤُه احْتِجاج لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ على مُشْرِكي قَوْمه من العرب ومُنافِقيهم وكُفَّارِ أهل الكِتاب وضُلَّالِهم الذينَ افتَتَحَ بِقَصَصِهم قوله جَلَّ ثَناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ وإيَّاهم يُخاطِب بهذه الآيات، وضُرَباءَهم يَعْني بها، قال الله جَلَّ ثَناؤه لهم: و﴿وَإِن كُنتُمْ﴾ أيُّها المُشْرِكونَ من العرب والكُفَّار من أهل الكِتابينِ، إن كنتم في شَكٍّ، وهو الرَّيْب ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ مُحَمَّد ﷺ من النور والبُرْهان وآيات الفُرْقان أنَّه من عندي، وأنِّي الذي أنْزَلْته إليه، فَلم تُؤمِنوا به ولم تُصَدِّقوه فيما يقول، فَأْتوا بِحُجَّةٍ تَدْفَع حُجَّته؛ لأنَّكم تَعْلَمونَ أنَّ حُجَّةَ كُلِّ ذي نُبوَّة على صِدْقه في دَعْواه النُّبوَّة أنْ يَأتيَ بِبُرْهانٍ يَعْجِز عن أنْ يَأتي بِمِثْلِه جَميعُ الخَلْق، ومن حُجَّة مُحَمَّد ﷺ على صِدْقه وبُرْهانه على حقيقةِ نُبوَّته، وأنَّ ما جاء به من عندي، عَجزُ جَميعكُم وجَميع من تَسْتَعينونَ به من أعْوانكُم وأنْصاركُم عن أنْ تأتوا بِسورةٍ من مِثْله. وإذا عَجَزْتُم عن ذلك، وأنتم أهلُ البراعة في الفَصاحة والبلاغة والذرابة، فقد

(١) [ضعيف] المثنى مجهول الحال، وأبي حذيفة موسى بن مسعود يكتب حديثه.

عَلِمْتُم أنَّ غَيْرَكُم عَمَّا عَجَزْتُم عنه من ذلك أعْجَزُ. كما كان بُرْهان مَنْ سَلَفَ من رُسُلي وأنبيائي على صِدْقه وحُجَّته على نُبوَّته من الآيات ما يَعْجِز عن الإتْيان بِمِثْلِه جَميعُ خَلْقي. فَتَقَرَّر حينَئِذٍ عندكُم أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لم يَتَقَوَّله ولم يَخْتَلِقه؛ لأنَّ ذلك لو كان منه اختِلافًا وتَقَوُّلاً لم تَعْجِزوا وجَميعُ خَلْقي عن الإتْيان بِمِثْلِه؛ لأنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لم يَعْدُ أنْ يكون بَشَرًا مِثْلكُم، وفي مِثْل حالكُم في الجِسْم وبَسْطةِ الخَلْق وذَرابة اللِّسان، فَيُمْكِن أنْ يُظَنَّ به اقْتِدار على ما عَجَزْتُم عنه، أو يُتَوَهَّم منكُم عَجز عَمَّا اقْتَدَرَ عليه.

ثُمَّ اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾:

٤٩٠- **فَحَدَّثَنا** بِشْرٌ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حدَّثنا سَعيدٌ، عن قَتادةَ: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ يَعْني بذلك من مِثْل هذا القُرْآن حَقًّا وصِدْقًا لا باطِل فيه ولا كَذِب(١).

٤٩١- **حَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ يقول: بِسورةٍ من مِثْل هذا القُرْآن(٢).

٤٩٢- **حَدَّثني** مُحَمَّد بن عَمْرو الباهِليُّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حدَّثنا عيسَى بن مَيْمون، عن عبد الله بن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: مِثْلِ القُرْآن(٣).

٤٩٣- **حَدَّثَنا** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله(٤).

٤٩٤- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مُجاهِد: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ قال: ﴿مِّثْلِهِۦ﴾، مِثْلِ القُرْآن(٥).

فَمعنى قول مُجاهِد وقَتادةُ الذي ذَكَرْناه عنهُما، أنَّ الله جَلَّ ذِكْره قال لِمَنْ حاجَّهُ لِنَبيِّه ﷺ من الكُفَّار: فَأتوا بِسورةٍ من مِثْل هذا القُرْآن، من كَلامكُم أيَّتها العرب، كما أتَى به مُحَمَّدٌ بِلُغاتِكم ومَعاني مَنْطِقكُمْ.

وَقد قال قَوْم آخَرونَ: إنَّ معنى قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: من مِثْل مُحَمَّد من البَشَر، لأنَّ مُحَمَّدًا بِشر مِثْلكُمْ.

والتَّأويل الأوَّلُ الذي قاله مُجاهِد وقَتادةُ هو التَّأويل الصَّحيح؛ لأنَّ الله جَلَّ ثَناؤه قال في سورة أُخرَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨] ومعلوم أنَّ السّورة لَيْسَتْ لِمُحَمَّدٍ

---

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٥) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

بِنَظِيرٍ ولا شَبيه، فَيجوز أنْ يُقال: فَأتوا بِسورةٍ مِثْلِ مُحَمَّد.

فَإنْ قال لنا قائِل: إنَّك ذَكَرْت أنَّ الله عَنَى بِقولِه: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: من مِثْلِ هذا القُرْآن، فَهَلْ لِلقُرْآنِ من مِثْلٍ فَيُقال: ائتوا بِسورةٍ من مِثْله؟

قِيلَ: إنَّه لم يَعْنِ به: ائْتوا بِسورةٍ من مِثْله في التَّأليف والمَعاني التي بايَنَ بها سائِر الكَلام غَيْره، وإنَّما عَنَى: ائْتوا بِسورةٍ من مِثْله في البيان؛ لأنَّ القُرْآن أنْزَلَه الله بِلِسانٍ عَرَبيٍّ، وكَلامُ العرب - لا شَكَّ - له مِثْلٌ في معنى العربيَّة؛ فَأمَّا في المعنى الذي بايَنَ به القُرْآن سائِر كَلام المَخْلوقينَ، فلا مِثْل له من ذلك الوَجْه ولا نَظيرَ ولا شَبيه.

وَإنَّما احْتَجَّ الله جَلَّ ثَنَاؤه عليهم لِنَبيِّه مُحمَّدٍ ﷺ بما احْتَجَّ به له عليهم من القُرْآن، إذْ ظَهَرَ عجز القَوْم عن أنْ يَأتوا بِسورةٍ من مِثْله في البيان، إذْ كان القُرْآن بَيانًا مِثْلَ بَيانهم، وكَلامًا نَزَلَ بِلِسانِهم، فَقال لهم جَلَّ ثَنَاؤه: وإنْ كُنتُم في رَيْب من أنَّ ما أنْزَلْتُ على عبدي من القُرْآن من عندي، فَأتوا بِسورةٍ من كَلامِكُم الذي هو مِثْله في العربيَّة، إذْ كُنْتُم عَرَبًا، وهو بَيان نَظير بَيانِكُم، وكَلام شَبيه كَلامكُمْ. فَلم يُكَلِّفهم جَلَّ ثَنَاؤه أنْ يَأتوا بِسورةٍ من غَيْر اللِّسانِ الذي هو نَظيرُ اللِّسان الذي نَزَلَ به القُرْآن، فَيَقْدِروا أنْ يقولوا: كَلَّفْتنا ما لو أحسَنَّاه أتَيْنا به، وإنَّا لا نَقْدِر على الإتْيان به؛ لأنَّا لَسْنا من أهل اللِّسان الذي كَلَّفْتنا الإتْيانَ به، فَلَيْسَ لَك علينا بهذا حُجَة؛ لأنَّا وإنْ عَجَزْنا عن أنْ نَأتي بِمِثْلِه من غَيْر ألسُنِنا - لأنَّا لَسْنا من أهلِه - فَفي النَّاس خَلْقٌ كَثير من غَيْر أهل لِساننا يَقْدِر على أنْ يَأتي بِمِثْلِه من اللِّسان الذي كَلَّفْتنا الإتْيانَ به، ولَكِنَّه جَلَّ ثَنَاؤه قال لهم: ائْتوا بِسورةٍ من مِثْله؛ لأنَّ مِثْلهُ من الألسُن ألسَنُكُم، وأنتم - إنْ كان مُحَمَّد اختَلَقَه وافتَراه - إذا اجْتَمعتُم وتَظاهَرْتُم على الإتْيانِ بِمِثْلِ سورة منه من لِسانكُم وبَيانكُم أقْدَرُ على اختِلاقه ورَصْفِه وتأليفه من مُحَمَّد ﷺ، وإنْ لم تَكونوا أقْدَرَ عليه منه فَلَنْ تَعْجِزوا وأنتم جَميعٌ عَمَّا قَدَرَ عليه مُحَمَّد من ذلك وهو وحيد، إنْ كُنْتُم صادِقينَ في دَعْواكُم وزَعْمكُم أنَّ مُحَمَّدًا افتَراه واختَلَقَه وأنَّه من عند غَيْري.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ:

﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٢٣﴾

واختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل قوله: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ **فقال ابن عبَّاس بما:**

٤٩٥ - **حَدَّثَنا** به مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ يَعْني: أعْوانكُم على ما أنتم عليه، ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[1].

٤٩٦ - **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حدَّثنا عيسَى، عن ابن أبي

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾: ناسٌ يَشْهَدونَ لكم [١].

٤٩٧- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل عن ابن أبي نَجيح عن مُجاهِد مِثْله [٢].

٤٩٨- حَدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا وكيع عن سُفْيان، عن رَجُل، عن مُجاهِد، قال: قَوْم يَشْهَدونَ لكمْ [٣].

٤٩٩- حَدَّثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَنا حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مُجاهِد: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ قال: ناسٌ يَشْهَدونَ.

قال ابن جُرَيْج: ﴿شُهَدَآءَكُم﴾ عليها إذا أتَيْتُم بها أنَّها مِثْله؛ مِثْلُ القُرْآن. وذلك قول الله لمن شَكَّ من الكُفَّار فيما جاء به مُحَمَّد ﷺ [٤].

وَقوله: ﴿وَٱدْعُواْ﴾ يَعْني استَنْصَروا واستَعينوا كما قال الشَّاعِر:

فَلَمَّا التَقَتْ فُرْسانُنا ورِجالُهمْ دَعَوْا يالَكَعْبٍ واعْتَزَيْنا لِعامِرِ [٥]

يَعْني بقولِه: دَعَوْا يالَكَعْبٍ: استَنْصَروا كَعْبًا واستَغاثوا بهم. وَأمَّا الشُّهَداء فَإنّها جَمْع شَهيد، كالشُّرَكاءِ جَمْع شَريك، والخُطَباء جَمْع خَطيب. والشَّهيد يُسَمَّى به الشَّاهِد على الشَّيْءِ لِغَيْرِه بِما يُحَقِّق دَعْواه، وقد يُسَمَّى به المُشاهِدُ لِلشَّيْءِ، كما يُقال: فُلان جَليس فُلان، يَعْني به مُجالِسَه، ونَديمه يَعْني به مُنادِمه، وكذلك يُقال: شَهيدهُ يَعْني به مُشاهَده.

فَإذا كانتِ الشُّهَداء مُحْتَمَلة أنْ تَكون جَمْع الشَّهيد الذي هو مُنْصَرِف لِلْمعنَيَيْنِ اللَّذَيْنِ وصَفْت، فَأولَى وجهَيْه بِتأويلِ الآية ما قاله ابن عَبَّاس، وهو أنْ يكون معناه: واستَنْصَروا على أنْ تأتوا بِسورةٍ من مِثْله أعْوانكُم وشُهَداءَكُم الذينَ يُشاهِدونَكُم ويُعاوِنونَكُم على تَكْذيبكُم الله ورَسوله ويُظاهِرونَكُم على كُفْركُم ونِفاقكُم إنْ كُنْتُم مُحِقّينَ في جُحودكُم أنَّ ما جاءكُم به مُحَمَّد ﷺ اختِلاق وافتِراء؛ لِتَمْتَحِنوا أنْفُسكُم وغَيْركُمْ: هَلْ تَقْدِرونَ على أنْ تأتوا بِسورةٍ من مِثْله

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٣) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٤) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، ولكن قول ابن جريج هنا ضعيف لضعف سنده.

(٥) [الطويل] القائل: الراعي النُّميري عُبَيد بن حُصين بن معاوية بن جندل، النميري، أبو جندل. من فحول الشعراء المحدثين، كان من جلّة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وكان بنو نمير أهل بيتٍ وسؤدد. وقيل: كان راعَي إبلٍ من أهل بادية البصرة. عاصر جريرًا والفرزدق وكان يفضّل الفرزدق فهجاه جرير هجاءًا مُرًّا وهو من أصحاب الملحمات. وسماه بعض الرواة حصين بن معاوية. اللغة: اعتزى: انتسب، ودعا في الحرب بمثل قوله: يا لفلان، أو يا للمهاجرين، أو يا للأنصار، والاسم العزاء والعزوة، وهي دعوى المستغيث. دعوْا يالكعب: استنصرُوا كعبًا واستغاثوا بهم. المعنى: يقول الشاعر: في الحرب لما التقت فرساننا برجال الأعداء استنصروا لبني كعب واستغاثوا بهم وانتسبوا إليهم... ولكننا انتسبنا لبني عامر واستنصرنا بهم.

فَيَقْدِر مُحَمَّدٌ على أنْ يَأتِيَ بِجَميعِه من قِبَل نَفْسه اختِلاقًا؟

وَأمَّا ما قاله مُجاهِد وابن جُرَيْج في تأويل ذلك فلا وجه لهُ؛ لأنَّ القَوْم كانوا على عَهْد رَسول الله ﷺ أصنافًا ثلاثة: أهل إيمان صَحيح، وأهل كُفْر صَحيح، وأهلَ نِفاق بين ذلك. فَأهل الإيمانِ كانوا باللَّه وبِرَسولِه مُؤمِنينَ، فَكان من المُحال أنْ يَدَّعي الكُفَّارُ أنَّ لهم شُهَداء - على حَقيقة ما كانوا يَأتونَ به، لو أتَوْا باختِلاقٍ من الرِّسالة، ثُمَّ ادَّعَوْا أنَّه لِلْقُرْآنِ نَظير - من المُؤمِنينَ. فَأمَّا أهلُ النِّفاق والكُفْر فلا شَكَّ أنَّهم لو دُعُوا إلى تَحْقيق الباطِل وإبطال الحَقِّ لَسارَعوا إليه مع كُفرهم وضَلالتِهم، فَمَنْ أيِّ الفِرَقِ كانتْ تكون شُهَداؤهُم لو ادَّعَوْا أنَّهم قد أتَوْا بِسورةٍ من مِثْل القُرْآن؟

وَلَكِنْ ذلك كما قال اللهُ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] فَأخْبَرَ جَلَّ ثَناؤه في هذه الآية أنَّ مِثْل القُرْآن لا يَأتي به الجِنُّ والإنْس ولو تَظاهَروا وتَعاوَنوا على الإتْيان بِهِ؛ وتَحَدَّاهم بِمعنى التَّوْبيخ لهم في سورة البقرة، فَقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يَعْني بِذلك: إنْ كُنْتُم في شَكٍّ في صِدْق مُحَمَّد فيما جاءكُم به من عندي أنَّه من عندي، فَأتوا بِسورةٍ من مِثْله، ولْيَسْتَنْصِر بعضكُم بعضًا على ذلك إنْ كُنْتُم صادِقينَ في زَعْمكُمْ؛ حتَّى تَعْلَموا أنَّكم إذ عَجَزْتُم عن ذلك أنَّه لا يَقْدِر على أنْ يَأتي به مُحَمَّد ﷺ ولا من البَشَر أحَد، ويَصِحّ عندكُم أنَّه تَنْزيلي ووَحْيي إلى عبدي.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾

يَعْني بِقولِه جلَّ ثناؤه: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾: إن لم تأتوا بِسورةٍ من مِثْله، وقد تَظاهَرْتُم أنتم وشُرَكاؤُكم عليه وأعوانكُم فَتَبَيَّنَ لكم بامْتِحانِكُم واختِبارِكُم عَجْزُكُم وعَجْز جَميع خَلْقي عنه، وعَلِمْتُم أنَّه من عندي، ثُمَّ أقَمْتُم على التَّكْذيب به.

وَقوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ أي: ولَنْ تأتوا بِسورةٍ من مِثْله أبَدًا. **كما:**

٥٠٠- **حَدَّثَنا** بِشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾: أي لا تَقْدِرونَ على ذلك ولا تُطيقونَهُ(١).

٥٠١- **وحَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر عن ابن عَبَّاس: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾: قد تبيَّنَ لكم الحَقّ(٢).

---

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾

يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤه بِقولِه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾: فاتَّقوا أنْ تَصْلَوا النَّار بِتَكْذيبِكُم رَسولي بِما جاءَكُم به من عندي أنَّه من وحْيي وتَنْزيلي، بعد تَبيُّنِكُم أنَّه كِتابي ومن عندي، وقيام الحُجَّة عليكُم بِأنَّه كَلامي ووَحْيي، بِعَجْزِكُم وعَجْز جَميعِ خَلْقي عن أنْ يَأتوا بِمِثْلِه.

ثُمَّ وصَفَ جَلَّ ثَنَاؤه النَّار التي حَذَّرَهم صِلِيَّها، فَأخْبَرَهم أنَّ النَّاس وقودها، وأنَّ الحِجارة وقودها، فَقال: ﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ يَعْني بِقولِه: ﴿وَقُودُهَا﴾: حَطَبُها، والعربُ تَجْعَلُه مَصْدَرًا، وهو اسم - إذا فُتِحَتِ الواو - بِمَنْزِلةِ الحَطَب، فَإذا ضَمَمْتَ الواو من الوُقود كان مَصْدَرًا من قول القائِل: وقَدَتِ النَّارُ فهي تَقِدُ وُقودًا وَقِدَةً ووَقَدانًا ووَقْدًا، يُراد بِذلك أنَّها التَهَبَتْ.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: فَإنْ قال قائِل: وكيفَ خُصَّتِ الحِجارةُ فَقُرِنَتْ بالنَّاسِ حتَّى جُعِلَتْ لِنارِ جَهَنَّم حَطَبًا؟

قِيلَ: إنَّها حِجارة الكِبْريت، وهيَ أشَدُّ الحِجارة فيما بَلَغَنا حَرًّا إذا أُحْمِيَتْ. **كَما:**

٥٠٢- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا أبو مُعاوية، عن مِسْعَر، عن عبد المَلِك بن مَيْسَرة الزَّرَّاد، عن عبد الرَّحْمَن بن سابِطٍ، عن عَمْرو بن مَيْمون، عن عبد الله في قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال: هي حِجارة من كِبْريت خَلَقَها الله يوم خَلَقَ السَّموات والأرْض في السَّماء الدُّنيا يُعِدُّها لِلْكافِرينَ[١].

٥٠٣- **وَحَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرنا عبد الرَّزَّاق، قال: حدَّثنا ابن عُيَيْنَةَ، عن مِسْعَر، عن عبد المَلِك الزَّرَّاد، عن عَمْرو بن مَيْمون، عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال: حِجارةُ الكِبْريت جَعَلَها الله كما شاءَ[٢].

٥٠٤- **حَدَّثَني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾: أمَّا الحِجارة فَهيَ حِجارة في النَّار من كِبْريت أسوَد يُعَذَّبونَ به مع النَّار[٣].

٥٠٥- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج في قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال: حِجارة من كِبْريت أسوَدَ في النَّار. قال: وقال لي عَمْرو بن دينار: حِجارة أصْلَبُ من هذه وأعْظَم[٤].

(١) [صحيح] مداره على مسعر، والأسانيد إليه صحيحة وحسنة كما عند الحاكم وغيره، ولكن باللفظ الذي سيأتي بعده، وهذا سند ضعيف من أجل أبي معاوية الضرير مدلس، ولك يصرح.

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

٥٠٦- حدثنا سفيان بن وكيع، قال: حدثنا أبي عن مِسعر، عن عبد الملك بن مَيْسَرة، عن عبد الرَّحمن بن سابط، عن عَمرو بن مَيْمون، عن عبد الله بن مسعود، قال: حِجارة من الكِبْريت. قال: خلقها الله عنده كيف شاءَ وكما شاءَ(١).

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤﴾

قد دَلَّلْنا فيما مَضَى من كِتابنا هذا على أنَّ الكافِر في كَلام العرب هو السَّاتِر شَيْئًا بِغِطاءٍ، وأنّ الله جَلَّ ثَناؤه إنَّما سَمَّى الكافِرَ كافِرًا لِجُحودِه آلاءَهُ عنده، وتَغْطيته نَعْماءَه قِبَله.

فمعنى قوله إذن: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: أُعِدَّتِ النَّار لِلْجاحِدينَ أنَّ الله رَبّهم المُتَوَحِّد بِخَلْقِهم وخَلْقِ الذينَ من قَبْلهم، الذي جَعَلَ لهم الأَرْض فِراشًا، والسَّماء بِناء، وأنْزَلَ من السَّماء ماء، فَأَخْرَجَ به من الثَّمَرات رِزْقًا لهم، المُشْرِكينَ معه في عِبادَته الأنْدادَ والآلِهة، وهو المُتَفَرِّد لهم بالإنْشاءِ والمُتَوَحِّد بالأقْواتِ والأَرْزاق. كما:

٥٠٧- حدثنا ابن حُمَيْد، قال: حدثنا سَلَمة، عن مُحمَّد بن إسحاق، عن مُحمَّد بن أبي مُحمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد، عن ابن عَبَّاس: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي لِمَنْ كان على مِثْل ما أنتم عليه من الكُفْر(٢).

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾

قال أبو جعفر: أمَّا قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾ فإنَّه يَعْني: أَخْبِرْهم. والبِشارة أصْلها الخَبَر بما يَسُرّ به المُخبَر، إذا كان سابِقًا به كُلَّ مُخبِر سِواه.

وَهذا أمْر من الله نَبيّه مُحَمَّدًا ﷺ بِإبلاغ بِشارَته خَلْقَه الذينَ آمَنوا به وبِمُحَمَّدٍ ﷺ وبما جاء به من عند رَبّه، وصَدَّقوا إيمانهم ذلك وإقْرارَهم بِأعْمالِهم الصَّالِحة، فَقال له: يا مُحَمَّد بَشِّرْ مَنْ صَدَّقَك أنَّك رَسولي وأنّ ما جِئْت به من الهُدَى والنور فَمن عندي، وحَقَّقَ تَصْديقه ذلك قولاً بِأداءِ الصَّالِح من الأعْمال التي افْتَرَضْتها عليه وأوجَبْتها في كِتابي على لِسانك عليه - أنَّ له جَنَّاتٍ تَجْري من تَحتها الأنهار خاصَّة، دون مَنْ كَذَّبَ بِك وأنْكَرَ ما جِئْت به من الهُدَى من عندي وعانَدَك، ودون مَنْ أظْهَرَ تَصْديقك وأقَرَّ بِأنّ ما جِئْتهُ به فَمن عندي قولاً، وجَحَدَه اعْتِقادًا ولم يُحَقِّقه عَمَلاً، فَإنَّ لأولَئِكَ النَّار التي وقودها النَّاس والحِجارة مُعَدّة عندي.

والجَنَّاتُ جِماع جَنّة، والجَنَّة: البُسْتان.

وَإنّما عَنَى جَلَّ ذِكْره بِذِكْرِ الجَنَّة ما في الجَنَّة من أشجارها وثِمارها وغُروسِها دون أرْضِها، فَلِذلك قال: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ لأنَّه معلوم أنَّه إنَّما أرادَ جَلَّ ثَناؤه الخَبَر عن ماء أنهارها

(١) [صحيح] تقدم برقم (٥٠٣)، وهذا سند ضعيف من أجل سفيان بن وكيع.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

أنَّه جارٍ تَحت أشجارها وغُروسِها وثِمارها، لا أنَّه جارٍ تَحت أرْضها؛ لأنَّ الماء إذا كان جاريًا تَحت الأرْض، فلا حَظَّ فيها لِعُيونِ مَنْ فَوْقها إلاَّ بِكَشْفِ السَّاتِرِ بينه وبينها. على أنَّ الذي توصَف به أنهار الجَنَّة أنَّها جارية في غَيْر أخاديد. كَما:

٥٠٨- حَدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا الأشجَعيُّ، عن سُفْيان، عن عَمْرو بن مُرَّة، عن أبي عُبَيْدة، عن مسروق، قال: نَخْل الجَنَّة نَضيد من أصْلها إلى فَرْعها، وثَمَرُها أمْثال القِلال، كُلَّما نُزِعَتْ ثَمَرة عادَتْ مَكانها أُخْرَى، وماؤُها يجْري في غَيْر أُخْدود[1].

٥٠٩- حَدَّثنا مُجاهِد بن موسى، قال: ثَنا يَزيد، قال: حدَّثَنا مِسْعَر بن كِدامٍ، عن عَمْرو بن مُرّة، عن أبي عُبَيْدة بِنَحْوِهِ[2].

٥١٠- حَدَّثنا مُحَمَّد بن بَشَّار قال: حَدَّثَنا ابن مَهْديّ، قال: حَدَّثنا سُفْيان، قال: سَمِعْت عَمْرو بن مُرَّة يُحَدِّث عن أبي عُبَيْدة. فَذَكَرَ مِثْله. قال: فَقُلْت لأبي عُبَيْدة: مَنْ حَدَّثك؟ فَغَضِبَ وقال: مسروق[3].

فَإذا كان الأمْر كذلك في أنَّ أنَهارها جارية في غَيْر أخاديد، فلا شَكَّ أنَّ الذي أُريدَ بالجَنَّاتِ أشجارُ الجَنَّات وغُروسُها وثِمارُها دون أرْضها، إذْ كانتْ أنَهارها تَجْري فَوْق أرْضها وتَحْت غروسها وأشجارها، على ما ذَكَرَه مسروق. وذلك أولَى بِصِفةِ الجَنَّة من أنْ تَكون أنهارُها جارية تَحْت أرْضها.

وَإنَّما رَغَّبَ الله بهذه الآية عِباده في الإيمان وحَضَّهُم على عِبادَته، بِما أخْبَرَهم أنّه أعَدَّه لأهلِ طاعَته والإيمان به عنده، كما حَذَّرَهم في الآية التي قَبْلها بِما أخْبَرَ من إعْداده ما أعَدَّ لأهلِ الكُفْر به والجاعِلينَ معه الآلِهة والأنْداد من عِقابه عن إشْراكِ غَيْره معه، والتَّعَرُّض لِعُقوبَتِه بِرُكوبِ معصيَته وتَرْك طاعَته.

القول في تأويل قوله تعالى:
﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾

يَعْني بِقوله جلَّ ذكرُه: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا﴾: من الجَنَّات. والهاء راجِعةٌ على الجَنَّات، وإنَّما المعنى أشجارها، فَكَأنَّه قال: كُلَّما رُزِقوا من أشجارِ البساتين التي أعَدَّها الله لِلَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحات في جَنَّاته من ثَمَرةٍ من ثِمارها رِزْقًا، قالوا: هذا الذي رُزِقْنا من قَبْل.

ثُمّ اختلَفَ أهل التَّأويل في تأويل قوله: ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ فَقال بعضهم: تأويل ذلك هذا الذي رُزِقْنا من قَبْل في الدُّنيا.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٥١١- حَدَّثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ عن

---

(١) [صحيح] رجاله كلهم ثقات، وسنده متصل. (٢) [صحيح] رجاله ثقات وسنده متصل.
(٣) [صحيح] رجاله ثقات وسنده متصل.

السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾. قال: إنَّهم أُتوا بالثَّمَر في الجَنَّة، فَلَمَّا نَظَروا إليها قالوا: هذا الذي رُزِقْنا من قَبْل في الدُّنيا(١).

٥١٢- وحَدَّثنا بِشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، حدَّثنا سَعيد، عن قَتادةَ، ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾: في الدُّنيا(٢).

٥١٣- وحَدَّثَنا مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حدثنا عيسَى بن مَيْمون عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ يقولونَ: ما أَشْبَهه بهِ!!(٣)

٥١٤- وحَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَنا حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مُجاهِد مِثْله(٤).

٥١٥- وحَدَّثَني يونُسُ، قال: حدَّثنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد، قالوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾: في الدُّنيا، قال: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: يَعْرِفونَهُ(٥).

وَقال آخَرونَ: تأويل ذلك: هذا الذي رُزِقْنا من قبلُ من ثِمار الجَنَّة من قَبْل هذا؛ لِشِدَّةِ مُشابَهة بعض ذلك في اللَّوْن والطَّعْم بعضًا.

ومن عِلَّة قائِلِ هذا القول أنَّ ثِمار الجَنَّة كُلَّما نُزِعَ منها شَيْءٌ عادَ مَكانه آخَر مِثْله. كَما:

٥١٦- حَدَّثنا ابن بَشَّار، قال: حَدَّثَني ابن مَهْديٍّ، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، قال: سَمِعْت عَمْرو بن مُرَّة يُحَدِّث عن أبي عُبَيْدة، قال: نَخْل الجَنَّة نَضيد من أصْلها إلى فَرْعها، وثَمَرُها أمثَالُ القِلال، كُلَّما نُزِعَتْ منها ثَمَرة عادَتْ مَكانها أُخْرَى(٦).

قالوا: فَإنَّما اشْتَبَهَتْ عند أهل الجَنَّة؛ لأنَّ التي عادَتْ نَظيرةُ التي نُزِعَتْ فَأُكِلَتْ في كُلِّ مَعانيها. قالوا: ولِذلك قال الله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ لاشْتِباه جَميعه في كُلِّ مَعانيه.

وَقال بعضهم: بل قالوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ لِمُشابَهَتِه الذي قَبْله في اللَّوْن وإنْ خالَفَه في الطَّعْم.

ذِكر مَن قال ذلك:

٥١٧- حَدَّثَنا القاسِم بن الحُسَيْن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن داود، قال: حَدَّثَنا شَيْخ من

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٥) [صحيح] رجاله كلهم ثقات، وسنده متصل.

(٦) [صحيح] رجاله كلهم ثقات وسنده متصل.

المَصِّيصة عن الأوزاعيِّ عن يَحْيَى بن أبي كَثِير، قال: يُؤتَى أحَدُهم بالصَّحْفةِ فيَأكُل منها، ثُمَّ يُؤتَى بِأُخْرَى فَيقول: هذا الذي أُتينا به من قَبْل. فَيقول المَلَك: كُلْ، فاللَّوْن واحِد والطَّعْم مُخْتَلِف(١).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذا التَّأويل مَذْهَبٌ مِن تأويل الآية. غَيْر أنَّه يَدْفَع صِحَّته ظاهِر التِّلاوة والذي يَدُلّ على صِحَّته ظاهِرُ الآية، ويُحَقِّق صِحَّته قولُ القائِلينَ إنَّ معنى ذلك: هذا الذي رُزِقْنا من قَبْل في الدُّنيا. وذلك أنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤه قال: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ فأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤه أنَّ من قِيَل أهل الجَنَّة كُلَّما رُزِقوا من ثَمَر الجَنَّة رِزْقًا أنْ يقولوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾.

ولم يَخْصُص بِأنّ ذلك من قِيلهم في بعض ذلك دون بعض. فإذْ كان قد أخْبَرَ جَلَّ ذِكْره عنهم أنَّ ذلك من قِيلهم في كُلِّ ما رُزِقوا من ثَمَرِها، فلا شَكَّ أنَّ ذلك من قِيلهم في أوَّلِ رِزْق رُزِقوه من ثِمارها وأُتَوْا به بعد دُخولهم الجَنَّة واستِقْرارهم فيها، الذي لم يَتَقَدَّمه عندهم من ثِمارها ثَمَرة.

فَإذْ كان لا شَكَّ أنَّ ذلك من قِيلهم في أوَّلِه، كما هو من قِيلهم في أوسَطِه وما يَتْلوه، فمعلومٌ أنه مُحالٌ أنْ يكون من قِيلِهم لأوَّلِ رِزْقٍ رُزِقوه من ثِمار الجَنَّة: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ هذا من ثِمار الجَنَّةِ. وكيفَ يجوزُ أنْ يقولوا لأوَّلِ رِزْقٍ رُزِقوه من ثِمارِها ولَمَّا يَتَقَدَّمه عندَهم غَيْرُه منها: هذا الذي رُزِقْناه من قَبْل؟ إلاَّ أنْ يَنْسِبَهم ذو عَتَةٍ وضَلالٍ إلى قِيلِ الكَذِب الذي قد طَهَّرَهم اللهُ منه، أو يَدْفَعَ دافِعٌ أنْ يكون ذلك من قيلِهم لأوَّلِ رِزْقٍ رُزِقوه منها من ثِمارها، فَيَدْفَعَ صِحَّةَ ما أوْجَبَ اللهُ صِحَّتَه بِقولِه: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ من غَيْر نَصْب دَلالةٍ على أنَّه معنيٌّ به حالٌ من أحوالِهم دونَ حالٍ. فقد تَبَيَّنَ بِما بَيَّنَّا أنَّ معنى الآية: كُلَّما رُزِقَ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ من ثَمَرَةٍ من ثِمارِ الجَنَّةِ في الجَنَّةِ رِزْقًا، قالوا: هذا الذي رُزِقْنا من قَبْلِ هذا في الدُّنيا.

فَإنْ سَأَلَنا سائِلٌ فَقال: وكيفَ قال القَوْمُ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾. والذي رُزِقوه من قَبْلُ قد عُدِم بِأكْلِهم إيَّاهُ؟ وكيفَ يجوزُ أنْ يقولَ أهل الجَنَّةِ قولاً لا حَقيقةَ لهُ؟

قِيلَ: إنَّ الأمْر على غَيْر ما ذَهَبْتَ إليه في ذلك، وإنَّما معناه: هذا من النَّوْع الذي رُزِقْناه من قَبْل هذا من الثِّمار والرِّزْق، كالرَّجُلِ يقول لِآخَر: قد أعَدَّ لَك فُلانٌ من الطَّعام كذا وكذا من ألوانِ الطَّبيخ والشِّواءِ والحَلْوَى. فيقولُ المَقولُ له ذلكَ: هذا طَعامي في مَنْزِلي. يَعْني بِذلك أنَّ النَّوْعَ الذي ذَكَرَ له صاحِبُه أنَّه أعَدَّه له من الطَّعامِ هو طَعامُه، لا أن أعْيانَ ما أخْبَرَه صاحِبُه أنَّه قد أعَدَّه له

(١) [ضعيف] فيه هذا الشيخ من المصيصة لا أدري من يكون، وله إسناد آخر ضعيف لا يقوى عند أبي نعيم في صفة الجنة قال: حدثنا أبو بكر بن سالم، ثنا أحمد بن علي الأبار، ثنا داود يعني ابن رشيد، ثنا عامر بن يساف، عن يحيى بن أبي كثير، قال: عشب الجنة الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة، فيأكلونها، ثم يأتونهم بمثلها، فيقولون، هذا الذي جئتمونا به آنفا، فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف، وهو قول الله عز وجل كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل حدثنا محمد بن عمر، ثنا يوسف القاضي، ثنا محمد بن أبي بكر، ثنا عامر بن يساف، عن يحيى مثله. اهـ.

هو طَعامُه، بل ذلك مِمّا لا يجوزُ لِسامِعِ سَمِعَه يقرِلُ ذلك أنْ يُتَوَهَّم أنّه أرادَه أو قَصَدَهُ؛ لأنَّ ذلك خِلافُ مَخْرَجِ كَلام المُتَكَلِّم؛ وإنّما يُوَجَّهُ كَلامُ كُلِّ مُتَكَلِّم إلى المعروفِ في النَّاس من مَخارِجه دون المَجْهولِ من مَعانيه، فَكَذلكَ ذلك في قوله: ﴿قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ إذْ كان ما كانوا رُزِقوه من قَبْلُ قد فَنِيَ وعُدِمِ؛ فَمعلوم أنَّهم عَنَوْا بِذلك: هذا من النَّوْع الذي رُزِقْنا من قَبْلُ، ومن جِنسه في التَّسميات والألوان. على ما قد بَيَّنا من القولِ في ذلك في كِتابِنا هذا.

القول في تأويل جلَّ وعزَّ: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾

والهاء في قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ عائِدةٌ على الرِّزْق، فَتأويلُه: وأُتُوا بالذي رُزِقوا من ثِمارها مُتَشابِهًا.

وَقد اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل المُتَشابِه في ذلك، فَقال بعضُهم: تشابهُه أنَّ كُلَّه خِيارٌ لا رَذْلَ فيه.

ذِكر مَن قال ذلك:

٥١٨- **حَدَّثَنا** خَلَّاد بن أسلَمَ، قال: أخبرَنا النَّضر بن شُمَيْلٍ، قال: أخبرَنا أبو عامِرٍ، عن الحسن في قوله: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ قال: خيارًا كُلُّها لا رَذْلَ فيها[(١)].

٥١٩- **حَدَّثَني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا ابن عُلَيَّة، عن أبي رَجاءٍ: قَرَأ الحسنُ آياتٍ من (البقَرة)، فَأتَى على هذه الآية: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ قال: ألم تَرَوْا إلى ثِمار الدُّنْيا كيف تُرْذَلونَ بعضه؟ وإنّ ذلك لَيْسَ فيه رَذْلٌ[(٢)].

٥٢٠- **حَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَرٌ، قال: قال الحسنُ: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾. قال: يُشْبِهُ بعضه بعضًا لَيْسَ فيه مَرْذولٌ[(٣)].

٥٢١- **حَدَّثَنا** بِشْرٌ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، عن سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: أي خِيارٌ لا رَذْلَ فيه، وإنَّ ثِمارَ الدُّنْيا يُنْتَقَى منها ويُرْذَلُ منها، وثِمارُ الجَنَّةِ خِيارٌ كُلُّه لا يُرْذَلُ منه شَيءٌ[(٤)].

٥٢٢- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: ثَمَرُ الدُّنْيا منه ما يُرْذَلُ ومنه نَقاوةٌ، وثَمَرُ الجَنَّةِ نَقاوةٌ كُلُّه، يُشْبِهُ بعضُه بعضًا في الطِّيبِ، لَيْسَ فيه مَرْذول[(٥)].

وَقال بعضهم: تَشابُهَه في اللَّوْن وهو مُخْتَلِفُ الطَّعْم.

---

(١) [صحيح لغيره] من أجل اختلاف العلماء في حال صالح رستم المزني أبي عامر، وله شاهد في الذي بعده.
(٢) [صحيح] محمد بن سيف الأزدي الحداني أبو رجاء البصري ثقة، وتقدم الحديث عن باقي رجاله.
(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٤) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.
(٥) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٥٢٣- **حدّثني** موسى، قال: حَدَّثنا عَمْرو بن حماد، قال: حَدَّثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّةَ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: في اللَّوْنِ والمَرْآةِ، ولَيْسَ يُشْبِهُ الطَّعْمَ[(١)].

٥٢٤- **حدّثني** مُحمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: مِثْل الخِيارِ[(٢)].

٥٢٥- **حدّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثنا شِبْلٌ، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: لونُه، مُخْتَلِفًا طَعْمُه، مِثْل الخِيارِ من القِثَّاءِ[(٣)].

٥٢٦- **حُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: يُشْبِهُ بعضُه بعضًا ويَخْتَلِفُ الطَّعْمُ[(٤)].

٥٢٧- **وحدّثنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبَرنا عبدُ الرَّزَّاق، قال: أخبَرنا الثَّوْرِيُّ، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ قال: مُشْتَبِهًا في اللَّوْن ومُخْتَلِفًا في الطَّعْم[(٥)].

٥٢٨- **حدّثنا** القاسِم، قال: حَدَّثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاجٌ، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مُجاهِد: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾: مِثْلَ الخِيارِ[(٦)].

وقال بعضهم: تَشابهُه في اللَّوْنِ والطَّعْم.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٥٢٩- **حدّثنا** سفيان بن وكيع، قال: حَدَّثنا أبي، عن سُفْيان، عن رَجُل، عن مُجاهِد قوله: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ قال: اللَّوْنُ والطَّعْم[(٧)].

٥٣٠- **وحدّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثنا إسحاق، قال: حَدَّثنا عبدُ الرَّزَّاق، عن الثَّوْرِيِّ، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد ويَحْيَى بن سَعيد: ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾. قالا: في اللَّوْنِ والطَّعْم[(٨)].

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣) [حسن] تقدم في الذي قبله بدون هذا الوصف الذي يزيده إيضاحًا، ولكنَّ سنده هنا ضعيف.

(٤) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف.

(٥) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٦) [صحيح] تقدم برقم (٥٢٥)، وسنده هنا ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٧) [صحيح] فيه هذا الرجل المبهم الراوي عن مجاهد تابعن ابن ابي نجيح في الذي بعده، وسفيان بن وكيع ضعيف، وانظر ما بعده.

(٨) [صحيح] تقدم قبله بسند ضعيف، وهذا أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف ضعيف من أجل المثنى مجهول الحال.

وَقال بعضهم: تشابهُه تشابهُ ثَمَرِ الجَنَّةِ وثَمَرِ الدُّنيا في اللَّوْن، وإنْ اختَلَفت طُعومُهما.

ذِكر مَن قال ذلك:

٥٣١- **حدثنا** الحسن بن يَحيَى، قال: أخبَرنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ قال: يُشْبِهُ ثَمَرَ الدُّنْيا، غَيْرَ أنَّ ثَمَر الجَنَّةِ أطيَبُ(١).

٥٣٢- **حدثنا** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاقُ، قال: قال حَفْص بن عُمَر، قال: حَدَّثنا الحَكَم بن أبانٍ، عن عِكْرِمة في قولِه: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾. قال: يُشْبِهُ ثَمَرَ الدُّنيا، غَيْر أنَّ ثَمَرَ الجَنَّةِ أطيَبُ(٢).

وَقال بعضُهم: لا يُشْبِهُ شَيءٌ مِمَّا في الجَنَّةِ ما في الدُّنيا إلاَّ الأسماءُ.

ذِكر مَن قال ذلك:

٥٣٣- **حدثني** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا الأشجَعيُّ، وحَدَّثَنا مُحَمَّد بن بشَّارٍ، قال: حَدَّثَنا مُؤَمَّل، قالا جَميعًا: حَدَّثَنا سُفيان، عن الأعْمَش، عن أبي ظَبْيانٍ، عن ابن عَبَّاس - قال أبو كُرَيْبٍ في حَديثه عن الأشجَعيِّ -: لا يُشْبِهُ شَيءٌ مِمَّا في الجَنَّةِ ما في الدُّنيا إلاَّ الأسماءُ، وقال ابن بشَّارٍ في حَديثه عن مُؤَمَّلٍ، قال: لَيْسَ في الدُّنيا مِمَّا في الجَنَّةِ إلاَّ الأسماء(٣).

٥٣٤- **حدثنا** عَبَّاس بن مُحَمَّد، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن عُبَيْدٍ، عن الأعْمَش، عن أبي ظَبْيان، عن ابن عَبَّاس، قال: لَيْسَ في الدُّنيا من الجَنَّةِ شَيءٌ إلاَّ الأسماء(٤).

٥٣٥- **وحدثني** يونُس بن عبد الأعلَى، قال: أخبَرَنا ابن وهْب، قال: قال عبد الرَّحْمَن بن زَيْد في قوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾. قال: يَعْرِفونَ أسماءَه كما كانوا في الدُّنيا، التُّفَّاح بالتُّفَّاح، والرُّمَّان بالرُّمَّانِ، قالوا في الجَنَّة: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ في الدُّنيا ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ يَعرِفونَه، ولَيْسَ هو مِثْلَه في الطَّعْم(٥).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وأولَى هذه التَّأويلاتِ بِتأويلِ الآية تأويلُ مَنْ قال: وأوتوا به متشابها في اللَّوْن والمَنظَر، والطَّعْمُ مُخْتَلِفٌ. يَعْني بِذلك اشْتِباهَ ثَمَرِ الجَنَّةِ وثَمَرِ الدُّنيا في المَنظَر واللَّوْن، مُخْتَلِفًا في الطَّعْم والذَّوْق؛ لِما قَدَّمْنا من العِلَّةِ في تأويل قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾. وأنَّ معناه: كُلَّما رُزِقوا من الجِنان من ثَمَرةٍ مِن ثِمارِها رِزْقًا قالوا: هذا الذي رُزِقْنا من قَبْل هذا في الدُّنيا. فَأَخْبَرَ الله جَلَّ ثَناؤه عنهم أنَّهم قالوا ذلك من أجْلِ أنَّهم أُتُوا

---

(١) [حسن] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢) [ضعيف] المثنى مجهول الحال، وحفص بن عمر ضعيف.

(٣) [صحيح] رجاله كلهم ثقات، والأعمش مدلس، ولكنه مكثر عن أبي ظبيان حصين بن جندب، والأعمش عن حصين عن ابن عباس على شرط البخاري.

(٤) [صحيح] تقدم قبله، و محمد بن عبيد بن أبي أمية، عباس بن محمد بن حاتم بن واقد الدوري ثقتان.

(٥) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

بِما أُتُوا به من ذلك في الجَنَّة مُتَشابِهًا، يَعْني بِذلك تَشابُهَ ما أُتُوا به منه في الجَنَّةِ والذي كانوا رُزِقوه في الدُّنيا، في اللَّوْن والمَرْآةِ والمَنْظَرِ، وإنْ اختَلَفا في الطَّعْم والذَّوْق فَتَبايَنا، فَلم يكُنْ لِشَيْءٍ مِمَّا في الجَنَّة من ذلك في الدُّنيا نَظيرٌ.

وَقد دَلَّلْنا على فَساد قولِ مَنْ زَعَمَ أنَّ معنى قوله: ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾. إنَّما هو من قولِ أهل الجَنَّة في تَشْبيهِهم بعض ثَمَرِ الجَنَّةِ بِبعضٍ، وتِلْكَ الدَّلالةُ على فَساد ذلك القولِ هي الدَّلالةُ على فَساد قولِ مَنْ خالَفَ قولَنا في تأويلِ قولِه: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾. لأنَّ الله جَلَّ ثَناؤه إنَّما أخْبَرَ عن المعنى الذي مِن أجْلِه قال القَوْمُ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾. بِقولِه: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾.

وَيُسألُ مَنْ أنكَرَ ذلك فَزَعَم أنَّه غَيْرُ جائِزٍ أنْ يكون شَيْءٌ مِمَّا في الجَنَّةِ نَظيرًا الشَّيْءِ مِمَّا في الدُّنيا بِوَجْهٍ من الوُجوه، فَيُقالُ له: أيجوزُ أنْ يكون أسماءُ ما في الجَنَّة من ثِمارِها وأطعِمَتِها وأشرِبَتِها نَظائِرَ أسماءِ ما في الدُّنيا منها؟ فَإنْ أنكَرَ ذلك خالَفَ نَصَّ كِتاب اللَّه؛ لأنَّ الله إنَّما عَرَّفَ عِباده في الدُّنيا ما هو عتيدٌ في الجَنَّة بالأسماءِ التي يُسَمَّى بها ما في الدُّنيا من ذلك.

وَإنْ قال: ذلك جائِزٌ، بل هو كذلك.

قِيلَ: فَما أنكَرْت أنْ يكون ألوانُ ما فيها من ذلك نَظيرَ ألوانِ ما في الدُّنيا منه، بِمعنى البياض والحُمْرة والصُّفْرةِ وسائِرِ صُنوفِ الألوان، وإنْ تَبايَنَتْ فَتَفاضَلَتْ بِفَضْلِ حُسْنِ المَرْآةِ والمَنْظَر، فَكان لِما في الجَنَّةِ من ذلك من البهاء والجَمال وحُسْنِ المَرْآةِ والمُنْظِر، خِلافُ الذي لِما في الدُّنيا معه، كما كان جائِزًا ذلك في الأسماءِ مع اختِلاف المُسَمَّياتِ بالفَضْلِ في أجْسامِها؟ ثُمَّ يُعْكَسُ عليه القولُ في ذلك، فَلَنْ يقولَ في أحَدِهما شَيْئًا إلاَّ أُلْزِمَ في الآخِرِ مِثْلَه.

وَكان أبو موسى الأشعريّ يقول في ذلك بِما:

٥٣٦- **حَدَّثني** به محمد بن بَشَّار، قال: حَدَّثنا ابن أبي عَديّ وعبدُ الوَهَّاب، ومُحَمَّد بن جَعْفَر، عن عَوْف، عن قَسامة، عن الأشعَريّ، قال: إنَّ الله لَما أخرَجَ آدَم من الجَنَّة زَوَّدَه من ثِمار الجَنَّة، وعَلَّمَه صَنْعةَ كُلِّ شَيءٍ، فَثِمارُكُم هذه من ثِمار الجَنَّة، غَيْر أنَّ هذه تَغَيَّرُ وتِلْكَ لا تَتَغَيَّرُ (١).

وَقد زَعَمَ بعض أهل العربيَّة أنَّ معنى قوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾. أنَّه مُتَشابِهٌ في الفَضْل، أي كُلُّ واحِد منه له من الفَضْل في نَحْوه مِثْلُ الذي لِلآخَرِ في نَحْوه.

وَلَيْسَ هذا قولاً نستجيز التَّشاغُلَ بالدَّلالةِ على فَساده لِخُروجِه عن قول جَميع عُلَماءِ أهل التَّأويل. وحَسبُ قولٍ بِخُروجِه عن قول جميعِ أهل العِلْم دَلالةً على خَطئِه.

---

(١) [صحيح]عوف بن أبي جميلة العبدى من رجال الصحيحين، والأشعري هو أبو موسى رضي الله عنه. وبقية رجاله تقدموا.

القول في تأويل قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والهاءُ والميمُ اللَّتانِ في ﴿وَلَهُمْ﴾ عائِدَتانِ على ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾. والهاءُ والألِفُ اللَّتانِ في ﴿فِيهَآ﴾ عائِدَتانِ على الجَنَّات.

وتأويلُ ذلك: وبَشِّرِ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحات أنَّ لهم جَنَّاتٍ فيها أزْواجٌ مُطَهَّرةٌ.

والأزْواجُ جَمْعُ زَوْجٍ، وهيَ امْرَأةُ الرَّجُل. يُقال: فُلانةُ زَوْجُ فُلانٍ وزَوْجَتُه.

وَأمَّا قولُه: ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾. فَإنَّ تأويلَه أنَّهُنَّ طُهِّرْنَ من كُلِّ أذًى وقَذًى وريبةٍ، مِمَّا يكون في نِساء أهلِ الدُّنيا من الحَيْض والنِّفاس والغائِط والبَوْلِ والمُخاطِ والبُصاق والمَنِيِّ، وما أشْبَه ذلك من الأذَى والأدْناسِ والرِّيَبِ والمَكارِه. كما:

٥٣٧- حَدَّثَنا به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: أمَّا ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ فَإنَّهُنَّ لا يَحِضْنَ ولا يُحْدِثْنَ ولا يَتَنَخَّمْنَ[١].

٥٣٨- وَحَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن صالِح، عن مُعاوية بن صالِح، عن عَلِيّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾. يقول: مُطَهَّرةٌ من القَذَرِ والأذَى[٢].

٥٣٩- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا يَحْيَى القَطَّان، عن سُفْيان، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾. قال: لا يَبُلْنَ ولا يَتَغَوَّطْنَ ولا يَمْذِينَ[٣].

٥٤٠- حَدَّثَنا أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد نَحْوه، إلاَّ أنَّه زادَ فيه: ولا يُمْنينَ ولا يَحِضْنَ[٤].

٥٤١- حَدَّثَني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول الله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾. قال: مُطَهَّرةٌ من الحَيْض والغائِط والبوْل والنُّخام والبُصاقِ والمَنيِّ والوَلَد[٥].

٥٤٢- حَدَّثَنا المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا سوَيْدُ بن نَصْر، قال: حَدَّثَنا ابن المُبارَك، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد مِثْله[٦].

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه.

(٣) [صحيح] رجاله ثقات، تقدموا وسنده متصل.

(٤) [صحيح] تقدم قبله، وهذا سند حسن من أجل الأهوازي.

(٥) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٦) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال.

٥٤٣- وَحَدَّثَنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبدُ الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا الثَّوْريّ، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِدٍ نحوَ حديثِ أحمدَ بن إسحاقَ عن الزبيريِّ، غير أنه زاد فيه: ولا يَلِدْنَ، ولا يَبْزُقْنَ(١).

٥٤٤- حَدَّثَنا المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد نَحْو حَديث مُحَمَّد بن عَمْرو، عن أبي عاصِم(٢).

٥٤٥- حَدَّثَنا بِشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، عن سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: أي واللّه، من الإثم والأذى(٣).

٥٤٦- وَحَدَّثَنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾. قال: طَهَّرَهُنَّ اللهُ من كُلّ بَوْل وغائِط وقَذَرٍ، ومن كُلِّ مَأْثَم(٤).

٥٤٧- حُدِّثت عن عَمَّار بن الحسنِ، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن قَتادةَ، قال: مُطَهَّرةٌ من الحَيْض والحَبَل، والأذى(٥).

٥٤٨- حُدِّثت عن عَمَّار، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر عن أبيه، عن لَيْث، عن مُجاهِد، قال: المُطَهَّرةُ من الحَيْض والحَبَل(٦).

٥٤٩- حَدَّثَني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، عن عبد الرَّحْمَن بن زَيْد: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾. قال: المُطَهَّرةُ التي لا تَحيضُ. قال: وأزواجُ الدُّنيا لَيْسَتْ بِمُطَهَّرةٍ، ألا تَراهُنَّ يَدْمِينَ ويَتْرُكْنَ الصَّلاة والصّيام؟ قال ابن زَيْد: وكذلك خُلِقَتْ حَوَّاءُ حتَّى عَصَتْ، فَلَمَّا عَصَتْ قال اللّه: إنّي خَلَقْتُكِ مُطَهَّرةً، وسَأُدْميك كما دَمَّيْتِ هذه الشَّجَرةَ(٧).

٥٥٠- وَحُدِّثت عن عَمَّار، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع، عن الحسن في قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ يقولُ: مُطَهَّرةٌ مِن الحَيْض(٨).

٥٥١- حَدَّثَنا عَمْرو بن عَليّ، قال: حَدَّثَنا خالِد بن يَزيد، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر الرَّازيُّ، عن الرَّبيع بن أنَس، عن الحسن في قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾. قال: من الحَيْض(٩).

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢) [حسن] تقدم برقم (٥٤١)، وهذا سند ضعيف.

(٣) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥) [ضعيف] كل رجاله من أهل الصدق حديثهم حسن، ولكنَّ المصنف علقه.

(٦) [ضعيف] الليث بن أبي سليم ضعيف، ومع هذا فهو من تعليقات المصنف.

(٧) [صحيح] سنده صحيح ورجاله ثقات غير عبد الرحمن بن زيد، ولكنه قوله.

(٨) [حسن] كل رجاله من أهل الصدق حديثهم حسن، ولكنَّ المصنف علقه، ولكنه أسنده بعده.

(٩) [حسن] تقدم قبله تعليقًا، وهذا سند حسن من أجل خالد بن يزيد الأزدي العتكي لا بأس به، وأبو جعفر الرازي صدوق.

٥٥٢- وحَدَّثنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو مُعاوية، قال: حَدَّثَنا ابن جُرَيْج، عن عَطاء في قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾. قال: من الوَلَد والحَيْض والغائِط والبوْل. وذَكَرَ أشياءَ من هذا النَّحو[١].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾

يَعْني بذلك: والذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحات في الجَنَّات خالِدونَ، فالهاء والميم من قوله: ﴿وَهُمْ﴾ عائِدةٌ على ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. والهاءُ والألِفُ في ﴿فِيهَآ﴾ على الجَنَّات. وخُلودُهم فيها: دَوامُ بَقائِهم فيها على ما أعْطاهم الله فيها من الحَبْرَةِ والنَّعيم المُقيم.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اختَلَفَ أهل التَّأويل في المعنى الذي أنْزَلَ الله جَلَّ ثَناؤه فيه هذه الآية وفي تأويلها؛ فَقال بعضهم بِما:

٥٥٣- حَدَّثَني به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَرٍ ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّةَ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: لَما ضَرَبَ الله هَذَيْنِ المَثَلَيْنِ لِلْمُنافِقينَ - يَعْني قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾. وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيات الثّلاث - قال المُنافِقونَ: الله أعلى وأجَلُّ من أنْ يَضْرِب هذه الأمْثال. فَأنْزَلَ الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٢].

وَقال آخَرونَ بِما:

٥٥٤- حَدَّثَني به أحمَد بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا قُراد عن أبي جَعْفَر الرَّازيُّ، عن الرَّبيع بن أنَس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ قال: هذا مَثَل ضَرَبَه الله لِلدُّنيا؛ إنَّ البعوضةَ تَحْيا ما جاعَتْ، فَإذا سَمِنَتْ ماتَتْ، وكذلك مَثَل هؤلاء القَوْم الذينَ ضَرَبَ الله لهم هذا المَثَل في القُرْآن، إذا امْتَلَئوا من الدُّنيا رِيًّا، أخَذَهم الله عند ذلك. قال: ثُمَّ تَلا: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ الآية [الأنعام: ٤٤][٣].

٥٥٥- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس بِنَحْوِه، إلاَّ أنَّه قال: فَإذا خَلَتْ آجالُهم، وانقَطَعَتْ مُدَّتهم، صاروا كالبعوضةِ تَحْيا ما جاعَتْ وتَموت إذا رَوِيَتْ؛ فَكَذلك هؤلاء الذينَ ضَرَبَ الله لهم هذا المَثَل، إذا امْتَلَئوا من الدُّنيا ريًّا أخَذَهم الله فَأهلَكَهم، فَذلك قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤][٤].

---

(١) [حسن] من أجل أبي معاوية الضرير. (٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [حسن] من أجل الرازي، وقراد هو عبد الرحمن بن غزوان الضبي ثقة.

(٤) [حسن بدون الزيادة] تقدم قبله بدون الزيادة وهذا سند ضعيف؛ المثنى مجهول الحال.

وقال آخرون بما:

٥٥٦- **حدثنا** به بِشرٌ، قال: حدَّثنا يَزيد بن زريع، عن سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ أيْ: إنَّ الله لا يَسْتَحْيِي من الحَقّ أنْ يَذْكُرَ منه شَيئًا ما، قَلَّ منه أو كَثُرَ، إنَّ اللهَ جل ذِكْرُه لما ذكر في كِتابه الذُّباب والعنكَبوت، قال أهل الضَّلالة: ما أرادَ الله من ذِكْرِ هذا؟ فأنْزَلَ اللَّه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾(١).

٥٥٧- **وحدثنا** الحسن بن يَحْيَى قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ، قال: لَمَّا ذَكَرَ الله العنكَبوت والذُّباب، قال المُشْرِكونَ: ما بال العنكَبوت والذُّباب يُذْكَرانِ؟ فأنْزَلَ اللَّه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾(٢).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وقد ذَهَبَ كُلُّ قائِلٍ مِمَّنْ ذَكَرْنا قوله في هذه الآية وفي المعنى الذي أُنْزِلَتْ فيه مَذْهَبًا، غَيْر أنَّ أولَى ذلك بالصَّوابِ وأشبَهَه بالحَقّ ما ذَكَرْنا من قول ابن مسعودٍ وابن عَبَّاسٍ، وذلك أنَّ الله أخْبَرَ عِباده أنَّه لا يَسْتَحْيِي أنْ يَضْرِب مَثَلاً ما بَعوضة فَما فَوْقها، عَقيبَ أمْثالٍ قد تَقَدَّمَتْ في هذه السورة ضَرْبها لِلْمُنافِقينَ دون الأمْثال التي ضَرَبَها في سائِر السُّوَر غَيْرِها - فَلأَنْ يكون هذا القول، أعْني قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا﴾. جَوابًا لِنَكيرِ الكُفَّار والمُنافِقينَ ما ضَرَبَ لهم من الأمْثال في هذه السورة، أحَقّ وأولَى من أنْ يكون ذلك جَوابًا لِنَكيرِهم ما ضَرَبَ الله لهم من الأمْثال في غَيْرِها من السُّوَر.

فَإنْ ظَنَّ ظانٌ أنه وَجَبَ أنْ يكون ذلك جَوابًا لِنَكيرِهم ما ضَرَبَ من الأمْثال في سائِر السُّوَر؛ لأنَّ الأمْثال التي ضَرَبَها الله لهم ولِآلِهَتِهم في سائِر السُّوَر أمْثالٌ في موافَقة المعنى لما أخْبَرَ الله عنه أنَّه لا يَسْتَحْيي أنْ يَضْرِبه مَثَلاً؛ إذْ كان بعضها تَمْثيلاً لِآلِهَتِهم بالعنكَبوتِ، وبعضها تَشْبيهًا لها في الضَّعْف والمَهانة بالذُّبابِ، ولَيْسَ ذِكْرُ شَيْءٍ من ذلك بِموجودٍ في هذه السورة فَيجوزَ أنْ يُقال: إنَّ الله لا يَسْتَحْيي أنْ يَضْرِبَه مَثَلاً. فَإنَّ ذلك بِخِلافِ ما ظَنَّ، وذلك أنَّ قول الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ إنَّما هو خَبَرٌ منه جَلَّ ذِكْره أنَّه لا يَسْتَحْيي أنْ يَضْرِب في الحَقّ من الأمْثال صَغيرِها وكَبيرِها ابْتِلاءً بِذلك عِبادَه، واختِبارًا منه لهم، لِيَميزَ به أهلَ الإيمان والتَّصْديق به من أهل الضَّلال والكُفْر به، إضْلالاً منه به لِقَوْمٍ وهِدايةً منه به لِآخَرينَ. **كما:**

٥٥٨- **حدثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ﴾: يَعْني الأمْثال صَغيرها وكَبيرها، يُؤمِن بها المُؤْمِنونَ،

---

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

ويَعْلَمونَ أنَّها الحَقّ من رَبِّهم، ويَهْديهم اللهُ بها، ويُضِلُّ بها الفاسِقون. يقول: يَعْرِفُه المُؤمِنونَ فيُؤمِنونَ به، ويَعْرِفه الفاسِقونَ فيَكْفُرونَ بهِ [(١)].

٥٥٩- حَدَّثني المُثَنَّى، قال حَدَّثَنا أبو حُذَيفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِدٍ بمِثْلِهِ [(٢)].

٥٦٠- وحَدَّثني القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مُجاهِدٍ نحوَه [(٣)].

لا أنَّه جَلَّ ذِكْره قَصَدَ الخَبَرَ عن عَيْن البعوضة أنَّه لا يَسْتَحْيي من ضَرْب المَثَل بها، ولَكِنَّ البعوضة لَمَّا كانتْ أضْعَفَ الخَلْق - كما:

٥٦١- حَدَّثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَنا أبو سُفْيان، عن مَعْمَر، عن قَتادةَ، قال: البعوضة أضْعَف ما خَلَقَ اللّه [(٤)].

٥٦٢- وحَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ بنَحْوِهِ [(٥)].

خَصَّها الله بالذِّكْرِ في القِلّة، فأخْبَرَ أنَّه لا يَسْتَحْيي أنْ يَضْرِب أقَلَّ الأمْثال في الحَقّ وأحقَرَها وأعْلاها إلى غَيْر نِهاية في الارْتِفاع، جَوابًا منه جَلَّ ذِكْره لِمَنْ أنْكَرَ من مُنافِقي خَلْقه ما ضَرَبَ لهم من المَثَل بموقِدِ النَّار، والصَّيِّب من السَّماء على ما نَعَتَهُما به من نَعْتِهما.

فإنْ قال لنا قائِل: وأيْنَ ذِكْرُ نَكيرِ المُنافِقينَ الأمْثالَ التي وصفْتَ الذي هذا الخَبَر جَوابه، فنَعْلَم أنَّ القول في ذلك ما قُلْتَ؟

قيل: الدَّلالة على ذلك بَيِّنةٌ في قوله جل ذكرُه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾. وإنَّ القَوْم الذينَ ضَرَبَ لهم الأمْثال في الآيَتَيْنِ المُتَقَدِّمَتَيْنِ - اللَّتَيْنِ مَثَّل ما عليه المُنافِقونَ مُقيمونَ فيهما بموقِدِ النَّار وبالصَّيِّبِ من السَّماء على ما وُصِفَ من ذلك قَبْل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ - قد أنْكَروا المَثَل، وقالوا: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾. فأوضَحَ خَطَأ قِيلهم ذلك، وقَبَّحَ لهم ما نَطَقوا به

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٣) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٤) [حسن] محمد بن حميد اليشكري أبو سفيان المعمري البصري صدوق، والحسين المصيصي صدوق إلا في الحجاج.

(٥) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج فهو ضعيف فيه فقط.

وأخْبَرَهم بِحُكْمِهم في قِيْلهم ما قالوا منه، وأنه ضَلالٌ وفُسوقٌ، وأنّ الصَّواب والهُدَى ما قاله المُؤمِنونَ دون ما قالوه.

وَأمَّا تأويل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ فَإنّ بعض المَنْسوبينَ إلى المعرِفة بِلُغةِ العرب كان يَتأوّل معنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾: إنَّ الله لا يَخْشَى أنْ يَضْرِب مَثَلاً. ويَسْتَشْهِدُ على ذلك من قوله بِقولِ الله جل وعز: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. ويَزْعُمُ أنَّ معنى ذلك: وتَسْتَحْيي النَّاسَ واللَّهُ أحَقُّ أنْ تَسْتَحيِيَه. فَيقول: الاستِحْياء بِمعنى الخَشْية، والخَشْية بِمعنى الاستِحْياء.

وَأمَّا معنى قوله: ﴿أَن يَضْرِبَ﴾. فهو: أنْ يُبَيِّنَ ويَصِفَ. كما قال جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]. بِمعنى: وصَفَ لكم. وكَما قال الكُمَيْتُ:

وَذلِكَ ضَرْبُ أخْماسٍ أُرِيدَتْ ... لأسْداسٍ عَسَى ألا تَكُونا[١]

بِمعنى وصْف أخْماس. والمَثَل: الشَّبَه، يُقال: هذا مِثْل هذا ومَثَلُه، كما يُقال: شِبْهه وشَبَهُه، ومنه قول كَعْب بن زُهَيْر:

كانتْ مَواعيد عُرْقوب لها مَثَلاً ... وَما مَواعيدها إلاّ الأباطيل[٢]

يَعْني شَبَهًا.

فَمعنى قوله إذن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾: إنَّ الله لا يَخْشَى أنْ يَصِف شَبَهًا لِما شبَّهَ به.

وَأمَّا ﴿مَّا﴾ التي مع (مَثَل) فَإنّها بِمعنى الذي؛ لأنَّ معنى الكَلام: إنَّ الله لا يَسْتَحْيي أنْ يَضْرِب الذي هو بَعوضةً في الصِّغَر والقِلّة فَما فَوْقها مَثَلاً.

فَإنْ قال لنا قائِل: فَإنْ كان القول في ذلك ما قُلْت، فَما وجه نَصْبِ (البعوضة)، وقد عَلِمْت أنَّ تأويل الكَلام على ما تأوَّلْتَ: إن اللهَ لا يستحيِي أن يضربَ مثلاً الذي هو بَعوضةٌ؛ فالبعوضة

---

(١) [الوافر] القائل: الكميت بن زيد الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي أبو المستهل. شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي، وكان عالمًا بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها. ثقة في علمه، منحازًا إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، متعصبًا للمضرية على القحطانية، وهو من أصحاب الملحمات. أشهر قصائده (الهاشميات) وهي عدة قصائد في مدح الهاشميين، ترجمت إلى الألمانية. اجتمعت فيه خصال لم تجتمع لشاعر: كان خطيب بني أسد، وفقيه الشيعة، وكان فارسًا شجاعًا، سخيًا، راميًا لم يكن في قومه أرمى منه. اللغة: قوله: (ضرب: بمعنى وصف)، أنه من ضرب البعير أو الدابة ليصرف وجهها إلى الوجه الذي يريد، يسوقها إليه لتسلكه. فقولهم: ضرب له مثلا، أي ساقه إليه، وهو يشعر بمعنى الإبانة بالمثل المسوق. المعنى: إن هذا القول (ضرب أخماس لأسداس) مثلا مضروبًا للذي يراوغ ويظهر أمرًا وهو يريد غيره.

(٢) [البسيط] القائل: كَعبِ بنِ زُهَير بن أبي سلمى، المازني، أبو المضرَّب، تقدم. اللغة: عرقوب -فيما يزعمون-: هو عرقوب ابن نصر، رجل من العمالقة، نزل المدينة قبل أن تنزلها يهود بعد عيسى ابن مريم عليه السلام. وكان يحتال في إخلاف المواعيد بالمماطلة، كما هو معروف في قصته. مثلا: شبهًا. المعنى: يقول الشاعر: لقد كانت مواعيد عرقوب لها شبيها ومثلا ولم تكن هذه المواعيد سوى الأباطيل والأكاذيب.

على قولك في مَحَلِّ الرَّفع، فَأنَّى أتاها النَّصْبُ؟

قِيلَ: أتاها النَّصب من وجهَيْنِ، أحَدهما: مِن أن ﴿مَا﴾ لَما كانتْ في مَحَلِّ نَصْبٍ بِقولِه: ﴿يَضْرِبَ﴾ وكانتِ البعوضة لها صِلةً، عُرِّبَتْ بِتَعْرِيبِها فَأُلْزِمَتْ إعْرابها، كما قال حَسَّان بن ثابِتٍ:

وَكَفَى بِنا فَضْلاً على مَنْ غَيْرِنا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إيَّانا(١)

فَعُرِّبَ (غَيْر) بِإعْرابِ (مَنْ)، والعرب تَفْعَلُ ذلك خاصّةً في (مَنْ) و(ما)؛ تُعَرِّبُ صِلاتهما بِإعْرابِهما؛ لأنَّهُما يكونانِ معرفةً أحيانًا ونَكِرةً أحيانًا.

وَأمَّا الوَجْه الآخَر: فَأنْ يكون معنى الكَلام: إنَّ الله لا يَسْتَحْيِي أنْ يَضْرِب مَثَلاً ما بين بَعوضة إلى ما فَوْقها. ثُمَّ حَذَفَ ذِكْرَ (بين) و(إلى)؛ إذْ كان في نَصْب (البعوضة) ودُخول الفاء في ﴿مَا﴾ الثَّانية دَلالة عليهما، كما قالتِ العرب: مُطِرْنا ما زُبالةَ فالثَّعْلَبِيَّةَ. و: لَه عِشْرونَ ما ناقةً فَجَمَلاً. و: هيَ أحْسَنَ النَّاس ما قَرْنًا فَقَدَمًا. يَعْنونَ بذلك: ما بين قَرْنها إلى قَدَمِها. وكذلك يقولونَ في كُلِّ ما حَسُنَ فيه من الكَلام دُخول (ما) بين كذا إلى كذا، يَنْصِبونَ الأوَّل والثَّاني، لِيَدُلَّ النَّصْبُ في الأسماء على المحذوف من الكَلام. فَكَذلك ذلك في قوله: ﴿مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

وَقد زَعَمَ بعض أهل العربيَّة أنَّ ﴿مَّا﴾ التي مع (المَثَل) صِلة في الكَلام بِمعنى التَّطَوُّل، وأنَّ معنى الكَلام: إنَّ الله لا يَسْتَحْيِي أنْ يَضْرِبَ بَعوضة مَثَلاً فَما فَوْقها. فَعلى هذا التَّأويل يجِب أنْ تَكون (البَعوضة) مَنْصوبةً بـ ﴿يَضْرِبَ﴾، وأنْ تَكون ﴿مَّا﴾ الثَّانية التي في ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ معطوفة على البعوضة لا على ﴿مَّا﴾.

وَأمَّا تأويل قوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾. فهو: ما هو أعْظَم منها عندي؛ لِما ذَكَرْنا قَبْل من قول قَتادةَ وابن جُرَيْجٍ أنَّ البعوضة أضْعَفُ خَلْقِ اللَّه، فَإن كانتْ أضْعَف خَلْق الله فَهيَ نِهاية في القِلَّة والضَّعْف، وإذْ كانتْ كذلك فلا شَكَّ أنَّ ما فَوْق أضْعَف الأشياء لا يكون إلاَّ أقْوَى منه، فقد يجِب أنْ يكون المعنى على ما قالاه: فَما فَوْقها في العِظَم والكِبَر، إذْ كانتِ البعوضة نِهاية في الضَّعْف والقِلَّة.

وَقيلَ في تأويل قوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾: في الصِّغَر والقِلَّة. كما يُقال في الرَّجُل يَذْكُره الذَّاكِر فَيَصِفُه بالُّلؤمِ والشُّحِّ، فَيقول السَّامِع: نَعَم، وفَوْق ذلكَ. يَعْني به فَوْق الذي وصفتَ في الشُّحِّ والُّلؤم.

وَهذا قول خِلاف تأويل أهل العِلْم الذينَ تُرْتَضَى معرِفَتهم بِتأويلِ القُرْآن، فقد تَبَيَّنَ إذن بِما

---

(١) [الكامل] القائل: حَسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد. شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. لم يشهد مع النبي ﷺ مشهدًا لعلة أصابته. توفي في المدينة. اللغة: فضلاً: فخرًا ونسبًا. المعنى: يفتخر حسان بحب النبي ﷺ فيقول: يكفينا فخرًا وفضلاً على غيرنا حب سيدنا المصطفى محمد ﷺ لنا.

وصَفْنا أنَّ معنى الكَلام: إنَّ الله لا يَسْتَحْيي أنْ يَصِف شَبَهًا لَمَّا شَبَّهَ به الذي هو ما بين بَعوضة إلى ما فَوْق (البعوضة). فَأمَّا تأويل الكَلام لو رُفِعَتِ (البعوضة)، فَغَيْر جائِز في ﴿مَّا﴾ إلاَّ ما قُلْنا من أنْ تكون اسمًا لا صِلةً، بِمعنى التَّطوُّل.

القول في تأويل قول الله جل ثناؤه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ذِكْره: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: فَأمَّا الذينَ صَدَّقوا الله ورَسوله.

وَقوله: ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. يَعْني: فَيَعْرِفونَ أنَّ المَثَل الذي ضَرَبَه الله لَما ضَرَبَه له مثلاً مَثَلٌ. **كَما:**

٥٦٣- **حَدَّثَني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أي: هذا المَثَل الحَقّ من رَبّهم، وأنّه كَلام الله ومن عند الله[(١)]. **وَكَما:**

٥٦٤- **حَدَّثَنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حدثنا سَعيد، عن قَتادةَ، قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أيْ: يَعْلَمونَ أنَّه كَلام الرَّحْمَن، وأنَّه الحَقّ من اللَّه، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾[(٢)].

وَقولُه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾. يَعْني: الذينَ جَحَدوا آيات الله، وأنْكَروا ما عَرَفوا، وسَتَروا ما عَلِموا أنَّه الحَقّ. وذلك صِفةُ المُنافِقينَ، وإيَّاهم عَنَى الله جَلَّ ثناؤه ومَنْ كان من نُظَرائِهم وشُرَكائِهم من المُشْرِكينَ من أهل الكِتاب وغَيْرهم، بهذه الآية: ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾.

كَما قد ذَكَرنا قَبل من الخَبَر الذي رَوَيناه عن مُجاهِد الذي:

٥٦٥- **حَدَّثَنا** به مُحَمَّد بنُ عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ الآية. قال: يُؤمِن بها المُؤمِنونَ، ويَعْلَمونَ أنَّها الحَقّ من رَبّهم، ويَهْديهم الله بها، ويُضِلّ بها الفاسِقونَ. يقول: يَعْرِفه المُؤمِنونَ فَيُؤمِنونَ به، ويَعْرِفه الفاسِقونَ فَيَكْفُرونَ به[(٣)].

وَتأويل قوله: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾: ما الذي أرادَ الله بهذا المَثَل مَثَلاً؟ فـ (ذا) الذي مع (ما) في معنى (الذي)، وَأرادَ صِلَته، و(هذا) إشارةٌ إلى (المَثَل).

---

(١) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٢) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾

يَعْني قولِه جَلَّ ذكرُه: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾: يُضِلّ الله به كَثيرًا من خَلْقه. والهاء في ﴿بِهِۦ﴾ من ذِكْر (المَثَل). وهذا خَبَرٌ من الله جَلَّ ثَناؤه مُبْتَدأً، ومعنى الكَلام: قال الله: يُضِلُّ بالمَثَلِ الذي يَضْربُه كَثيرًا من أهل النِّفاق والكُفر. **كَما:**

٥٦٦- **حَدَّثني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَرٍ ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّةَ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾: يَعْني المُنافِقينَ، ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾: يَعْني المُؤمِنينَ، فَيَزيد هؤلاء ضَلالاً إلى ضَلالهم لِتَكْذيبِهم بما قد عَلِموه حَقًّا يَقينًا من المَثَل الذي ضَرَبَه الله لِما ضَرَبَه له، وأنَّه لِما ضَرَبَه له موافِق، فَذلك إضْلال الله إيَّاهم به، ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ﴾ - يَعْني بالمَثَلِ - كَثيرًا من أهل الإيمان والتَّصْديق، فَيَزيدهم هُدًى إلى هُداهم، وإيمانًا إلى إيمانهم، لِتَصْديقِهم بما قد عَلِموه حَقًّا يَقينًا أنَّه موافِق ما ضَرَبَه الله له مَثَلاً، وإقْرارهم به، وذلك هِدايةُ الله لهم به [1].

وَقد زَعَمَ بعضهم أنَّ ذلك خَبَرٌ عن قول المُنافِقينَ، كَأنَّهم قالوا: ما أرادَ الله بِمَثَلٍ لا يَعْرفه كُلّ أحَد، يُضِلّ به هذا ويَهْدي به هذا؟ ثُمَّ استُؤنِفَ الكَلام والخَبَر عن الله، فَقال اللّه: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وفي ما في سورة (المُدَّثِّر) من قول اللّه: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١] - ما يُنْبِئُ عن أنَّه في سورة (البقَرة) كذلك مُبْتَدأً، أعْني قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾.

القول في تأويل قوله جل وعز: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

وَتأويل ذلك ما:

٥٦٧- **حَدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَرٍ ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: هم المُنافِقونَ [2].

٥٦٨- **حَدَّثنا** بِشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حدثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: فَسَقوا فَأضَلَّهم الله على فِسْقهمْ [3].

٥٦٩- **حَدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

الرَّبيع بن أنس: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: هم أهل النِّفاق[(١)].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وأصْل الفِسْق في كَلام العرب: الخُروج عن الشَّيْء، يُقال منه: فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ، إذا خَرَجَتْ من قِشْرها؛ ومن ذلك سُمِّيَتِ الفَأرة فوَيْسِقةً؛ لِخُروجِها عن جُحْرها، فَكَذلك المُنافِق والكافِر، سُمِّيا فاسِقَيْنِ لِخُروجِهِما عن طاعة رَبِّهما، ولِذلك قال جَلَّ ذِكْره في صِفة إبليسَ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]. يَعْني به: خَرَجَ عن طاعَته واتِّباع أمْره. كَما:

٥٧٠- حَدَّثَنا ابن حُمَيْدٍ قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، عن داود بن الحَصين، عن عِكْرِمة مولَى ابن عَبَّاس، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] أي: بما تعدَّوا من أمْري[(٢)].

فَمعنى قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: وما يُضِلّ الله بالمَثَلِ الذي يَضْرِبه لأهلِ النِّفاق والضَّلال إلاَّ الخارِجينَ عن طاعَته والتَّارِكينَ اتِّباع أمْره، من أهل الكُفْر به من أهل الكِتاب، وأهل الضَّلال من أهل النِّفاق.

القول في تأويل قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذا وصْف من الله جَلَّ ذِكْره الفاسِقينَ الذينَ أخْبَرَ أنَّه لا يُضِلُّ بالمَثَلِ الذي ضَرَبَه لأهلِ النِّفاق غَيْرهم، فَقال: وما يُضلُّ الله بالمَثَلِ الذي يَضْربه، على ما وَصَفَ قَبْل في الآيات المُتَقَدِّمة - إلاَّ الفاسِقينَ الذينَ يَنْقُضونَ عَهْد الله من بعد ميثاقه.

ثُمّ اختَلَفَ أهل المعرِفة في معنى العَهْد الذي وصَفَ الله هؤلاء الفاسِقينَ بِنَقْضِه؛ فَقال بعضهم: هو وصيّة الله إلى خَلْقه، وأمْره إيَّاهم بما أمَرَهم به من طاعَته، ونَهْيُه إيَّاهم عَمَّا نَهاهم عنه من معصيَته في كُتُبه وعلى لِسان رَسوله ﷺ، ونَقْضهم ذلك تَرْكهم العَمَل به.

وَقال آخَرونَ: إنَّما نَزَلَتْ هذه الآيات في كُفَّارِ أهل الكِتاب والمُنافِقينَ منهم، وإيَّاهم عَنَى الله جَلَّ ذِكْره بِقَوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾. وبِقَوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾. فَكُلُّ ما في هذه الآيات فَعَذْلٌ لهم وتَوْبيخ إلى انقِضاء قَصَصهمْ. قالوا: فَعَهْد الله الذي نَقَضوه بعد ميثاقه هو ما أخَذَه الله عليهم في التَّوْراة؛ من العَمَل بما فيها، واتِّباع مُحَمَّد ﷺ إذا بُعِثَ، والتَّصْديق به وبِما جاء به من عند رَبِّهمْ. ونَقْضهم ذلك هو جُحودهم به بعد معرِفَتهم بِحَقيقَتِه، وإنْكارهم ذلك، وكِتْمانهم عِلْم ذلك عن النَّاسِ، بعد إعْطائِهم الله من أنْفُسهم الميثاق لَيُبَيِّنُنَّه لِلنَّاسِ ولا يكْتُمونَه، فَأخْبَرَ جَلَّ ذكره أنَّهم نَبَذوه وراء ظُهورهم واشْتَرَوْا به ثَمَنًا قَليلاً.

وَقال بعضهم: إنَّ الله عَنَى بهذه الآية جَميع أهل الشِّرْك والكُفْر والنِّفاق، وعَهْده إلى

---

(١) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٢) [ضعيف] داود بن الحصين أحاديثه عن عكرمة مناكير، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

جَميعهم في تَوْحيده ما وضَعَ لهم من الأدِلّة الدَّالة على رُبوبيَّته، وعَهْدُه إليهم في أمْره ونَهْيه ما احْتَجَّ به لِرُسُلِه من المُعْجِزات التي لا يَقْدِر أحَد من النَّاس غَيْرهم أنْ يَأتيَ بِمِثْلِها، الشَّاهِدة لهم على صِدْقهِمْ. قالوا: ونَقْضهم ذلك تَرْكهم الإقْرار بِما قد تَبَيَّنَتْ لهم صِحَّته بالأدِلّةِ، وتَكْذيبهم الرُّسُل والكُتُب، مع عِلْمهم أنَّ ما أتَوْا به حَقٌّ.

وَقال آخَرونَ: العَهْد الذي ذَكَرَه الله هو العَهْد الذي أخَذَه عليهم حين أخْرَجَهم من صُلْب آدَم، الذي وصَفَه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآيَتَيْنِ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]. ونَقْضهم ذلك تَرْكهم الوَفاء به.

قالَ أبُو جَعْفَرٍ:وأولَى الأقْوال عندي بالصَّوابِ في ذلك قولُ مَنْ قال: إنَّ هذه الآيات نَزَلَتْ في كُفَّار أحبار اليَهود الذينَ كانوا بين ظَهْرانَيْ مُهاجَرِ رَسول الله ﷺ وما قَرُبَ منها من بَقايا بَني إسرائيل، ومَنْ كان على شِرْكه من أهل النِّفاق الذينَ قد بَيَّنَّا قَصَصهم فيما مَضَى من كِتابنا هذا.

وَقد دَلَّلْنا على أنَّ قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾. وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾. فيهم أُنْزِلَتْ، وفي مَنْ كان على مِثْل الذي هم عليه من الشِّرْك باللّه، غَيْر أنَّ هذه الآيات عندي وإنْ كانتْ فيهم نَزَلَتْ، فَإنّه مَعْنيٌّ بها كُلُّ مَنْ كان على مِثْل ما كانوا عليه من الضَّلالة، ومعنيٌّ بِما وافَقَ منها صِفة المُنافِقينَ خاصّةً جَميع المُنافِقينَ، وبِما وافَقَ منها صِفة كُفَّار أحبار اليَهود جَميع مَنْ كان لهم نَظيرًا في كُفْرهِمْ، وذلك أنَّ الله جَلَّ ذكره يَعُمُّ أحيانًا جَميعهم بالصِّفَةِ لِتَقْديمِه ذِكْر جَميعهم في أوَّل الآيات التي ذَكَرَتْ قَصَصهم، ويَخُصُّ بالصِّفَةِ أحيانًا بعضهم لِتَفْصيلِه في أوَّل الآيات بين فَريقَيْهم، أعْني فَريق المُنافِقينَ من عَبَدة الأوثان وأهل الشِّرْك باللّه، وفَريقَ كُفَّار أحبار اليَهود. فالذينَ يَنْقُضونَ عَهْد اللّه هم التَّارِكونَ ما عَهِدَ الله إليهم من الإقْرار بِمُحَمَّدٍ ﷺوبِما جاء به وتَبْيين نُبوَّتِه لِلنَّاسِ، والكاتِمونَ بَيان ذلك بعد عِلْمهم به وبِما قد أخَذَ الله عليهم في ذلك، كما قال الله جَلَّ ثناؤه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ونَبْذُهم ذلك وراء ظُهورهِمْ هو نَقْضُهم العَهْدَ الذي عُهِد إليهم في التَّوْراة، الذي وصَفْناه، وتَرْكهم العَمَل به.

وَإنّما قُلْت: إنّه عَنَى بهذه الآية مَنْ قُلْت إنّه عَنَى بها؛ لأنَّ الآيات من مبتدِإ الآيات الخَمْس والسِّتّ من سورة (البقَرة) فيهم نَزَلَتْ إلى تَمام قَصَصهم، وفي الآية التي بعد الخَبَر عن خَلْق آدَم، وبَيانه في قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]. وخِطابه جَلَّ ذِكْره إيَّاهم بالوَفاءِ بذلك خاصّة دون سائِر البشَر، ما يَدُلّ على أنَّ قولَه: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾. مَقْصود به كُفّارُهم ومُنافِقوهم، ومَنْ كان من أشياعهم من مُشركي عَبَدة الأوثان على ضَلالتهِمْ، غَيْر أنَّ الخِطابَ وإنْ كان لِمَنْ وصَفْت من الفَريقَيْنِ، فَداخِلٌ في أحكامهم وفي ما أوْجَبَ الله لهم من الوَعيد والذَّمّ والتَّوْبيخ، كُلُّ مَنْ كان على

سَبيلهم ومناهجهم من جَميع الخَلْق وأصْناف الأُمَم المُخاطَبينَ بالأمْرِ والنَّهْي .

فَمعنى الآية إذن : وما يُضِلُّ به إلاَّ التَّارِكينَ طاعة اللَّه ، الخارِجينَ عن اتِّباع أمْره ونَهْيه ، النَّاكِثينَ عُهود الله التي عَهِدَها إليهم في الكُتُب التي أنْزَلَها إلى رُسُله وعلى ألْسُن أنْبيائِه ، باتِّباع أمْرِ رَسوله مُحَمَّد ﷺ وما جاء به ، وطاعة الله فيما افتَرَضَ عليهم في التَّوْراة من تَبْيين أمْره لِلنَّاسِ ، وإخبارهم إيَّاهم أنَّهم يجِدونَه مَكْتوبًا عندهم أنَّه رَسول من عند الله مُفْتَرضةٌ طاعَتُه . وتَرْك كِتْمانِ ذلك لهم . ونَكْثهم ذلك ونَقْضهم إيَّاه هو مُخالَفَتهم الله في عَهْده إليهم فيما وصَفْت أنَّه عَهِدَ إليهم ، بعد إعْطائِهم رَبَّهم الميثاق بالوَفاءِ بِذلك ، كما وصَفَهم به ربُّنا جَلَّ ذِكْره بِقولِه : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف : ١٦٩].

وأمّا قولُه : ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ﴾ . فإنّه يَعْني : من بعد تَوَثُّقِ اللهِ منه بِأخْذِ عُهوده بالوَفاءِ له بِما عَهِدَ إليه في ذلك ، غَيْر أنَّ التَّوَثُّق مَصْدَر من قولك : تَوَثَّقت من فُلان تَوَثُّقًا . والميثاقُ اسمٌ منه ، والهاء في (الميثاق) عائِدة على اسم (اللَّه) جلَّ ذكره .

وَقد يَدْخُل في حُكْم هذه الآية كُلُّ مَنْ كان بالصِّفَةِ التي وصَفَ الله بها هؤلاء الفاسِقينَ من المُنافِقينَ والكُفَّار في نَقْضِ العَهْد ، وقَطْع الرَّحِم ، والإفساد في الأرْض . **كما:**

٥٧١- **حدَّثنا** بِشر بن مُعاذ ، قال : حَدَّثَنا يَزيد ، قال : حدثنا سَعيد ، عن قَتادةَ قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ﴾ : فَإيَّاكُم ونَقْضَ هذا الميثاق ، فإنّ الله قد كَرِهَ نَقْضه وأوعَدَ فيه ، وقَدَّمَ فيه في آيٍ من القُرْآن ، حُجَّةً وموعِظةً ونَصيحةً ، وإنَّا لا نَعْلَمُ اللهَ أوعَدَ في ذَنْبٍ ما أوعَدَ في نَقْض الميثاق ، فَمَنْ أعْطَى عَهْد الله وميثاقه من ثَمَرة قَلْبه فليف به لِلَّهِ (١).

٥٧٢- **وحدَّثني** المُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنا إسحاق ، قال : حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر ، عن أبيه ، عن الرَّبيع في قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ : فَهيَ سِتُّ خِلالٍ في أهل النِّفاق ، إذا كانتْ لهم الظَّهْرَةُ أظْهَروا هذه الخِلال السِّتَّ جَميعًا ؛ إذا حَدَّثوا كذَبوا ، وإذا وعَدوا أخْلَفوا ، وإذا ائْتُمِنوا خانوا ، ونَقَضوا عَهْد الله من بعد ميثاقه ، وقَطَعوا ما أمَرَ الله به أنْ يوصَلَ ، وأفسَدوا في الأرْض ، وإذا كانتْ عليهم الظَّهْرةُ أظْهَروا الخِلال الثّلاث ؛ إذا حَدَّثوا كذَبوا ، وإذا وعَدوا أخْلَفوا ، وإذا ائْتُمِنوا خانوا (٢).

---

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق ، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط .

(٢) [ضعيف] المثنى مجهول الحال .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والذي رَغَّبَ الله في وصْله وذَمَّ على قَطْعه في هذه الآية، الرَّحِم، وقد بَيَّنَ ذلك في كِتابه فَقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] وإنّما عَنى بالرَّحِمِ أهلَ الرَّجُل الذينَ جَمعتْهم وإيَّاه رَحِم والِدة واحِدة. وقَطعُ ذلك ظُلْمُها في تَرْك أداء ما ألزَمَ الله من حُقوقها، وأوجَبَ من بِرّها. ووَصْلُها أداءُ الواجِب لها إليها، من حُقوق الله التي أوْجَبَ لها، والتَّعطُّف عليها بِما يَحِقُّ التَّعَطُّف به عليها.

و﴿أَن﴾ التي مع ﴿يُوصَلَ﴾ في مَحَلِّ خَفْض، بِمعنى رَدّها على موضِع الهاء التي في ﴿بِهِۦٓ﴾. فَكان معنى الكَلام: ويَقطَعونَ الذي أمَرَ الله به بِأنْ يُوصَل. والهاء التي في ﴿بِهِۦٓ﴾ هيَ كِنايةُ ذِكْر ﴿مَآ﴾.

وبِما قُلْنا في تأويل قوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾. وأنه الرَّحِم، كان قَتادةُ يقولُ:

٥٧٣- حَدَّثَنا بِشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، عن سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: فَقَطَعَ واللَّهِ ما أمَرَ الله به أنْ يوصَل بِقَطيعةِ الرَّحِم والقَرابة(١).

وَقد تأوَّلَ بعضهم ذلك أنَّ الله ذَمَّهم بِقَطْعِهم رَسوله والمُؤمِنينَ به وأرحامهم. واستَشْهَدَ على ذلك بِعُمومِ ظاهِر الآية، وألاَّ دَلالة على أنَّه معنيٌّ بها بعض ما أمَرَ الله بوصْله دون بعض.

وهذا مَذْهَب من تأويل الآية غَيْر بِعيدٍ من الصَّواب، ولَكِنَّ الله جَلَّ ثَناؤه قد ذَكَرَ المُنافِقينَ في غَيْر آية من كِتابه، فَوَصَفَهم بِقَطْعِ الأرحام، فَهذه نَظيرةُ تِلْكَ، غَيْر أنَّها وإنْ كانتْ كذلك، فَهيَ دالة على ذَمّ الله كُلَّ قاطِع قَطَعَ ما أمَرَ الله أن يوصلَ، رَحِمًا كانتْ أو غَيْرها.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وفَسادُهم في الأرض هو ما تَقَدَّمَ وصَفْناهُ قَبْل من معصيَتِهم رَبَّهم وكُفْرهم به، وتَكْذيبهم رَسولَه، وجَحْدهم نُبوَّتَه، وإنْكارهم ما أتاهم به من عند الله أنّه حَقٌّ من عنده.

القول في تأويل قوله عز وجل: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٢٧﴾

والخاسِرونَ جَمْع خاسِر، والخاسِرونَ؛ النَّاقِصونَ أنْفُسهم حُظوظها بِمعصيَتِهم الله – من رَحْمَته، كما يَخسَر الرَّجُل في تِجارَته بِأنْ يوضَعَ من رَأس ماله في بَيْعه. فَكَذلك الكافِر والمُنافِق خَسِرَ بِحِرْمانِ الله إيَّاه رَحْمَته التي خَلَقَها لِعِبادِه في القيامة أحوَج ما كان إلى رَحْمَته. يُقال منه:

---

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

خَسِرَ الرَّجُل يَخْسَرُ خُسْرًا وخُسْرانًا وخَسارًا، كما قال جَرير بن عَطيّة:

إنّ سَلِيطًا في الخَسارِ إنَّهْ
أولادُ قَوْمٍ خُلِقُوا أقِنَّهْ(١)

يَعْني بِقولِه: في الخَسار. أيْ: فيما يوكِسُهم حُظوظَهم من الشَّرَف والكَرَم.

وَقد قِيلَ: إنَّ معنى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: أولئِكَ هم الهالِكونَ. وقد يجوز أنْ يكون قائِل ذلك أرادَ ما قُلْنا من هَلاك الذي وصَفَ الله صِفَته بالصِّفَةِ التي وصَفَه بها في هذه الآية، بِحِرْمانِ الله إيَّاه ما حَرَمَه من رَحْمَته بِمعصيَتِه إيَّاه وكُفْره به. فحمَل تأويلَ الكَلام على معناه دون البيان عن تأويل عَيْن الكَلِمة بِعَيْنِها، فَإنّ أهل التَّأويل رُبَّما فَعَلوا ذلك لِعِلَلٍ كثيرة تَدْعوهم إليه.

وَقال بعضهم في ذلك بما:

٥٧٤- **حُدِّثت** به عن المِنْجاب بن الحارث، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: كُلُّ شَيْءٍ نَسَبَه الله إلى غَيْر أهل الإسلام من اسم مِثْل خاسِر فإنّما يَعْني به الكُفر، وما نَسَبَه إلى أهل الإسلام فإنّما يَعْني به الذَّنْب(٢).

القول في تأويل قوله عز وجل: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨﴾

قال أبو جعفر: اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل ذلك، فَقال بعضهم بِما:

٥٧٥- **حَدَّثَني** به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناسٍ من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ يقول: لم تَكونوا شَيْء فَخَلَقَكُم، ثُمَّ يُميتكُم، ثُمَّ يُحْييكُم يوم القيامة(٣).

٥٧٦- **وَحَدَّثَنا** مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن مَهْديّ، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوَص، عن عبد الله في قوله: ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا

(١) [الرجز] القائل: جَرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم. أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، كان عفيفًا، وهو من أغزل الناس شعرًا. اللغة: سليط: بطن من بني يربوع قوم جرير، واسم سليط: كعب بن الحارث بن يربوع. في الخسار: أي فيما يوكسهم حظوظهم من الشرف والكرم. وأقنة جمع قن (بكسر القاف)، والقن: العبد الذي ملك هو وأبواه. والأنثى، قن أيضًا بغير هاء. المعنى: إن جريرًا هنا يهجو غسان بن ذهيل بعد أن هجاه فيقول له إنه فيما يوكسهم حظوظهم من الشرف والكرم أنهم أولاد قم مُلكوا هم وآباؤهم.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

﴿ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [غافر: ١١]. قال: هي كالتي في (البقرة): ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾(١).

٥٧٧- وحَدَّثني أبو حُصَيْن عبد الله بن أحمَد بن يونُس، قال: حَدَّثَنا عَبْثَرٌ، قال: حَدَّثَنا حُصَيْن، عن أبي مالِك في هذه الآية: ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ قال: خلَقْتنا ولم نكُنْ شيئًا، ثُمَّ أمَتَّنا، ثُمَّ أحيَيْتنا(٢).

٥٧٨- وحَدَّثني يَعْقوب بن إبراهيم قال: حَدَّثَنا هُشَيْم، عن حُصَيْن، عن أبي مالِك في قوله: ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ قال: كانوا أمواتًا فأحياهم اللَّه، ثُمَّ أماتَهم، ثُمَّ أحياهم(٣).

٥٧٩- وحَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن داود، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد في قوله: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾. قال: لم تكونوا شيئًا حتى خَلَقَكُم، ثُمَّ يُميتكُم الموتةَ الحَقَّ، ثُمَّ يُحْييكُمْ. وقوله: ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ مِثْلُها(٤).

٥٨٠- وحَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني الحَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخبرني عَطاء الخُراسانيُّ، عن ابن عَبَّاس، قال: هو قولُه: ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾(٥).

٥٨١- وحُدِّثت عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع، قال: حَدَّثَني أبو العالية في قول اللَّه: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾. يقول: حين لم يكونوا شيئًا، ثُمَّ أحياهم حين خَلَقَهم، ثُمَّ أماتَهم، ثُمَّ أحياهم يوم القيامة، ثُمَّ رَجَعوا إليه بعد الحَياة(٦).

٥٨٢- وحُدِّثت عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾. قال: كُنْتُم تُرابًا قَبْل أنْ يَخْلُقكُم، فَهذه مِيتةٌ، ثُمَّ أحياكُم فَخَلَقَكُم، فَهذه حياةٌ، ثُمَّ يُميتكُم فَتَرْجِعونَ إلى القُبور، فَهذه مِيتةٌ أُخرَى، ثُمَّ

---

(١) [صحيح] رجاله كلهم ثقات، وأبو إسحاق السبيعي مدلس ولم يصرح، ولكننا لا نحتاج لتصريحه في ما رواه عن أبي الأحوص من حديث ابن مسعود فقد امتلأت ضلوعه منها.

(٢) [صحيح] حصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي ابن عم منصور بن المعتمر ثقة، وعبثر بن القاسم الزبيدي أبو زبيد الكوفي كذلك، عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن يونس بن قيس اليربوعي أبو حصين الكوفي مثلهما. غزوان أبو مالك الغفاري الكوفي ثقة.

(٣) [صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، فيه هشيم بن بشير مدلس ولم يصرح.

(٤) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٥) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٦) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف.

يَبْعَثكم يوم القيامة، فهذه حياة؛ فَهُما مَيْتَتانِ وحَياتانِ، فهو قولُه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾(١).

وَقال آخَرونَ بِما:

٥٨٣- حَدَّثَنا به أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا وكيع، عن سُفيان، عن السُّدِّيِّ، عن أبي صالِح: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ قال: يُحْيِيكُم في القَبْر، ثُمَّ يُميتكُمْ(٢).

وَقال آخَرون بِما:

٥٨٤- حَدَّثَنا به بِشْر بن مُعاذٍ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، عن سَعيد، عن قَتادة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ الآية. قال: كانوا أمواتًا في أصْلُبةِ آبائِهم، فأحياهم الله وخلَقَهم، ثُمَّ أماتَهم الموتَةَ التي لا بُدَّ منها، ثُمَّ أحياهُم لِلْبَعْثِ يومَ القيامةِ، فَهُما حَياتانِ وموتَتانِ(٣).

وَقال بعضهم بِما:

٥٨٥- حَدَّثَني به يونُس بن عبد الأعلى، قال: أخبَرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قولِ اللهِ: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] قال: خَلَقَهم اللهُ من ظَهْر آدَمَ حين أخَذَ عليهم الميثاق. وقَرَأ: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِم) حتَّى بَلَغَ: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢- ١٧٣]. قال: فَكَسَّبَهم العَقْل وأخَذَ عليهم الميثاقَ. قال: وانتَزَعَ ضِلَعًا من أضْلاع آدَم القُصَيْرَى، فَخَلَقَ منه حَوَّاء، ذَكَرَه عن النَّبيِّ ﷺ. قال: وذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]. قال: بَثَّ منهُما بعد ذلك في الأرْحام خَلْقًا كَثيرًا، وقَرَأ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦]. قال: خَلْقًا بعد ذلك. قال: فَلَمَّا أخَذَ عليهم الميثاق أماتَهم، ثُمَّ خَلَقَهم في الأرْحام، ثُمَّ أماتَهم ثُمَّ أحياهم يوم القيامة، فذلك قول اللّه: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [غافر: ١١] وقَرَأ قول اللّه تعالى ذكره: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤- الأحزاب: ٧]. قال: يومئِذٍ. قال: وقَرَأ قول اللّه: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧](٤)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ولِكُلِّ قول من هذه الأقْوال التي حَكَيْناها عَمَّنْ رَوَيْناها عنه وجهٌ ومَذْهَبٌ من

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [حسن] من أجل إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد القرشي الكوفي الأعور مولى زينب بنت قيس بن مخرمة وقيل: مولى بني هاشم أصله حجازي وهو السدي الكبير.

(٣) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [صحيح] رجاله كلهم ثقات وسنده متصل.

التَّأويل. فأمَّا وجه تأويل مَنْ تأوَّلَ قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾. أي: لم تكونوا شيئًا، فإنه ذَهَبَ إلى نَحو قول العربِ لِلشَّيْءِ الدَّارِس والأمر الخامِلِ الذِّكْر: هذا شَيْءٌ مَيِّتٌ، وهذا أمْرٌ مَيِّتٌ. يُرادُ بِوَصْفِه بالموتِ خُمولُ ذِكْرِه ودُروسُ أثَره من النَّاس. وكذلك يُقال في ضِدِّ ذلك وخِلافِه: هذا أمْرٌ حَيٌّ، وذِكْرٌ حَيٌّ. يُرادُ بِوَصْفِه بِذلك أنَّه نابِهٌ مُتعالِمٌ في النَّاس، كما قال أبو نُخَيْلة السَّعْديُّ:

فَأحْيَيْتَ لي ذِكْرِي وما كُنْتُ خامِلًا وَلَكِنَّ بعضَ الذِّكْرِ أنْبَهُ من بعضِ[1]

يُريد بِقولِه: (فَأحيَيْت لي ذِكْرى). أي: رَفَعْته وشَهَرْتَه في النَّاس حتَّى نَبُهَ فصارَ مَذْكورًا حَيًّا بعد أنْ كان خامِلًا مَيِّتًا.

فَذلك تأويلُ قولِ مَنْ تأوَّلَ في قولِه: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾: لم تَكونوا شَيْئًا. أي: كُنْتُم خُمولًا لا ذِكْرَ لكم، وذلك كان موتَكُم، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ فَجَعَلَكم بَشَرًا أحياءَ تُذْكَرونَ وتُعْرَفونَ، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بِقَبْضِ أرْواحِكُم وإعادَتِكُم كالذي كُنْتُم قَبْلَ أنْ يُحْيِيَكُم من دُروس ذِكْرِكُم، وتَعفِّي آثارِكُم، وخُمولِ أُمورِكُمْ؛ ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بِإعادةِ أجْسامِكُم إلى هَيْئاتِها ونَفْخِ الرُّوحِ فيها، وتَصْييرِكُم بَشَرًا كالذي كُنْتُم قَبْلَ الإماتةِ تَتَعارَفون في بَعْثِكُم وعند حَشْرِكُمْ.

وَأمَّا وجهُ تأويلِ مَنْ تأوَّلَ ذلك أنَّه الإماتةُ التي هي خُروجُ الرُّوحِ من الجَسَد، فإنه يَنْبَغي أنْ يكون ذَهَبَ بِقولِه: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾. إلى أنَّه خِطابٌ لأهلِ القُبور بعد إحيائِهم في قُبورِهم. وذلك معنًى بَعيدٌ؛ لأنَّ التَّوْبيخَ هُنالِكَ إنَّما هو تَوْبيخٌ على ما سَلَفَ وفَرَط من إجرامِهم لا استِعْتابٌ واستِرْجاعٌ. وقوله جَلَّ ذِكْره: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾. تَوْبيخُ مُسْتَعْتِبِ عَبْدَه، وتأنيبُ مُسْتَرْجِعِ خَلْقَه من المَعاصي إلى الطَّاعةِ، ومن الضَّلالَةِ إلى الإنابةِ، ولا إنابةَ في القُبور بعدَ المَماتِ، ولا تَوْبةَ فيها بعدَ الوَفاة.

وَأمَّا وجهُ تأويل قول قَتادةَ ذلك: أنَّهم كانوا أمواتًا في أصْلاب آبائِهم. فإنَّه عَنَى بِذلك أنَّهم كانوا نُطَفًا لا أرْواحَ فيها، فَكانتْ بِمعنى سائِر الأشياء المَوات التي لا أرْواح فيها. وإحياؤُه إيَّاها جلَّ ذِكْرُه؛ نَفْخُه الأرْواح فيها وإماتَته إيَّاهم بعد ذلك قَبْضه أرْواحَهم، وإحياؤُه إيَّاهم بعد ذلك؛ نَفْخ الأرْواح في أجْسامِهم يوم يُنْفَخ في الصُّوَر ويُبْعَث الخَلْق لِلْموعودِ.

---

(١) [الطويل]القائل: أبو نخيلة (كنيته أبو الجنيد) بن حزن بن زائدة بن لقيط بن هدم، من بني حِمّان (بكسر الحاء وتشديد الميم) من سعد بن زيد مناة بن تميم، الحماني السعدي التميمي. شاعر راجز، كان عاقًا لأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام فاتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحدًا بعد واحد، فأغنوه. ولما نكب بنو أمية وقامت دولة بني العباس انقطع إليهم ولقّب نفسه بشاعر بني هاشم، ومدحهم وهجا بني أمية، واستمر إلى أن قال في (المنصور) أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، فسخط عليه عيسى؛ فهرب يريد خراسان، فأدركه مولى لعيسى فذبحه وسلخ وجهه. اللغة: فأحييتَ لي ذكري: أي: رفعته وشهرته في الناس. المعنى: إن الشاعر هنا يمدح مسلمة بن عبد الملك فيقول له: لقد رفعتني مكانة وشهرة في الناس حتى نبه فصار مذكورًا حيًّا، بعد أن كان خاملا ميتًا.

وَأمَّا ابن زَيْد فقد أبانَ عن نَفْسه ما قَصَدَ بتأويلِه ذلك، وأنّ الإماتة الأولَى عنده إعادة الله جَلَّ ثَناؤه عِباده في أصْلاب آبائِهم بعدما أخَذَهم من صُلْب آدم، وأنّ الإحياء الآخَر: هو نَفْخُ الأرْواح فيهم في بُطون أُمَّهاتهم، وأنّ الإماتةَ الثَّانية هي قَبْض أرْواحهم لِلْعَوْدِ إلى التُّراب والمَصير في البرْزَخ إلى اليوم البعْث، وأنّ الإحياء الثَّالِث: هو نَفْخ الأرْواح فيهم لِبَعْثِ السَّاعة ونَشْرِ القيامة. وهذا تأويلٌ إذا تَدَبَّرَه المُتَدَبِّر وجَدَه خِلافًا لِظاهِرِ قول الله الذي زَعَمَ مُفَسِّره أنَّ الذي وصَفْنا من قوله تَفْسيره. وذلك أنَّ الله جَلَّ ذكرُه أخْبَرَ في كِتابه عن الذينَ أخْبَرَ عنهم من خَلْقه أنَّهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] وزَعَمَ ابن زَيْد أن تفسيره أنَّ الله أحياهم ثَلاث إحياءات، وأماتَهم ثَلاث إماتات.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والأمْر عندنا وإنْ كان فيما وصَفَ من استِخْراج الله جَلَّ ثناؤُه من صُلْب آدَم ذُرِّيَّته، وأخْذِهِ ميثاقه عليهم كما وصَفَ، فَلَيْسَ ذلك من تأويل هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ - أعْني قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ الآية. وقوله: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]- في شَيْء؛ لأنَّ أحَدًا لم يَدَّعِ أنَّ الله أماتَ مَنْ ذَرَأ يومئِذٍ غَيْر الإماتة التي صارَ بها في البرْزَخ إلى البعْث، فَيكون جائِزًا أنْ يوَجَّه تأويلُ الآية إلى ما وجَّهَه إليه ابن زَيْد.

وَقال بعضهم: الموتة الأولَى: مُفارَقة نُطْفة الرَّجُل جَسَده إلى رَحِم المَرْأة، فَهيَ مَيْتةٌ من لَدُنْ فِراقها جَسَده إلى نَفْخ الرّوح فيها، ثُمَّ يُحْييها الله بِنَفْخِ الرّوح فيها فَيجْعَلُها بَشَرًا سَوِيًّا بعد تاراتٍ تأتي عليها، ثُمَّ يُميتهُ المِيْتة الثَّانية بِقَبْضِ الرُّوح منه، فهو في البرْزَخ مَيِّت إلى يوم يُنْفَخ في الصّور فَيُرَدّ في جَسَده روحَه، فَيَعود حَيًّا سَوِيًّا لِبَعْثِ القيامة؛ فَذلك موتَتانِ وحَياتانِ.

وَإنّما دَعا هؤلاء إلى هذا القول لأنَّهم قالوا: موتُ ذي الرّوح مُفارَقةُ الرّوح إيَّاه. فَزَعَموا أنَّ كُلّ شَيْء من ابن آدَم حَيٌّ ما لَم يُفارِق جَسَده الحَيَّ ذا الرّوح، فَكُلُّ ما فارَقَ جَسَده الحَيّ ذا الرّوح فارَقَتْه الحَياة فَصارَ مَيْتًا، كالعُضْوِ من أعْضائِه؛ مِثْل اليَد من يَدَيْه، والرِّجْل من رِجْلَيْه لو قُطِعَتْ فأُبينَتْ، والمَقْطوع ذلك منه حَيّ، كان الذي بانَ من جَسَده مَيْتًا لا روح فيه بِفِراقِه سائِر جَسَده الذي فيه الرُّوح. قالوا: فَكَذلك نُطْفَتهُ حَيّة بِحَياتِه ما لَم تُفارِق جَسَدهُ ذا الرّوح، فَإذا فارَقَتْه مُبايِنة له صارَتْ مَيْتة، نَظير ما وصَفْنا من حُكْم اليَد والرِّجْل وسائِر أعْضائِه، وهذا قولٌ ووَجْهٌ من التَّأويل لو كان من أقوالِ أهلِ القُدْوة الذينَ يُرْتَضَى لِلْقُرْآنِ تأويلُهم.

وَأولَى ما ذَكَرْنا من الأقْوال التي بَيَّنَّا بِتأويلِ قول الله جَلَّ ثناؤه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ الآية، القول الذي ذَكَرْناه عن ابن مسعود، وعن ابن عَبَّاس، من أنَّ معنى قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾: أموات الذِّكْرِ خُمولاً في أصْلاب آبائِكم نُطَفًا لا تُعْرَفونَ ولا تُذْكَرونَ، فأحياكُم بِإنْشائِكُم بَشَرًا سَوِيًّا، حتَّى ذُكِرْتُم وعُرِفْتُم وحَييتُم، ثُمَّ يُميتكُم بِقَبْضِ أرْواحكُم وإعادَتكُم رُفاتًا لا تُعْرَفونَ ولا تُذْكَرونَ في البرْزَخ إلى يوم تُبْعَثونَ، ثُمَّ يُحْييكُم بعد ذلك بِنَفْخِ الأرْواح فيكُم لِبَعْثِ السَّاعة وصَيْحة القيامة، ثُمَّ إلى الله تُرْجَعونَ بعد ذلك، كما قال:

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لأنّ الله جَلَّ ثَناؤه يُحْييهم في قُبورهم قَبْل حَشْرهم، ثُمَّ يَحْشُرهُم لِموقِفِ الحِساب، كما قال جَلَّ ذِكْره: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

والعِلّة التي من أجْلها اختَرْنا هذا التّأويل، ما قد قَدَّمْنا ذِكْره لِلْقائِلين به وفَسادُ ما خالَفَه بِما قد أوضَحْناه قَبْل.

وَهذه الآية تَوْبيخ من الله جَلَّ ثَناؤه لِلْقائِلَيْن: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ الذينَ أخْبَرَ الله عنهم أنّهم مع قَيلِهم ذلك بِأفواهِهم غَيْر مُؤمِنينَ به، وأنّهم إنّما يقولونَ ذلك خِداعًا لِلَّه ولِلْمُؤمِنينَ. فَعَذَلَهم الله بِقولِه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ﴾ ووَبَّخهم واحْتَجَّ عليهم في نَكيرهم ما أنْكَروا من ذلك، وجُحودِهم ما جَحَدوا بِقُلوبِهم المَريضة فَقال: كيف تَكْفُرونَ باللَّه فَتَجْحَدونَ قُدْرَته على إحيائِكم بعد إماتَتِكم لبعث القيامة، ومجازاة المُسيءِ منكم بالإساءةِ، والمحسن بالإحسان، وقد كنتم نطفًا أمواتً في أصلابِ آبائِكم، فأنشأتُكم خلقًا سويًا، وجعلتُكم بشرًا أحياءً، ثم أمتُّكم بعد إنشائِكم، فقد علِمتم أن من فعَلَ ذلك بقدرتهِ، غيرُ معجزِهِ - بالقدرة التي فعَل ذلك بكم -إحياؤكم بعد إماتتِكم، وإعادَتُكم بعد إفنائِكم، وحَشْرُكم إليه لِمُجازاتِكم بِأعْمالِكُمْ.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ عَدَّدَ رَبُّنا عليهم وعلى أوليائِهم من أحبار اليَهود الذينَ جَمع بين قَصَصِهم وقَصَص المُنافِقينَ في كَثير من آيِ هذه السّورة التي افتَتَحَ الخَبَر عنهم فيها بِقولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ - نِعَمه التي سَلَفَتْ منه إليهم وإلى آبائِهم التي عَظُمَتْ منهم مَواقِعها، ثُمَّ سَلْبُه كَثيرًا منهم كَثيرًا منها بِما رَكِبوا من الآثام واجْتَرَموا من الأجرام وخالَفوا من الطّاعة إلى المعصية، يُحَذِّرهم بِذلك تَعْجيل العُقوبة لهم كالتي عَجَّلَها لِلأسلافِ والأفراط قَبْلَهم، ويُخَوِّفهم حُلول مَثُلاته بِساحَتِهم كالذي أحَلَّ بِأوائِلِهم، ومُعَرِّفَهم ما لهم من النَّجاة في سُرْعة الأوبة إليه، وتَعْجيل التَّوْبة؛ من الخَلاص لهم يوم القيامة من العِقاب. فَبَدَأ بعد تَعْديده عليهم ما عَدَّدَ من نِعَمه التي هم فيها مُقيمونَ بِذِكْرِ أبينا وأبيهم آدم أبي البَشَر، صَلَوات الله عليه، وما سَلَفَ منه من كَرامَته إليه وآلائِه لَدَيْه، وما أحَلَّ به وبِعَدوِّه إبليس من عاجِل عُقوبَته بِمعصيَتِهِما التي كانتْ منهُما، ومُخالَفَتهما أمْره الذي أمَرَهُما به، وما كان من تَغَمُّده آدم بِرَحْمَتِه إذْ تابَ وأنابَ إليه، وما كان من إحلاله بِإبليسَ من لَعْنَته في العاجِل، وإعْداده له ما أعَدَّ له من العَذاب المُقيم في الآجِل؛ إذ استَكْبَرَ وأبَى التَّوْبة إليه والإنابة، مُنَبِّهًا لهم على حُكْمِه في المُنيبينَ إليه بالتَّوْبةِ، وقَضائِه في المُسْتَكْبِرينَ عن الإنابة، إعْذارًا من الله بِذلك إليهم وإنْذارًا لهم، لِيَتَدَبَّروا آياته ولِيَتَذَكَّر منهم أولو الألباب. وخاصًا أهل الكِتاب بِما ذَكَر من قَصَص آدم وسائِر القَصَص التي ذَكَرَها معها وبعدها مِمَّا عَلِمَه أهل الكِتاب وجَهِلَتْه الأمّة الأمّيّة من

مُشْرِكي عَبَدة الأوثان - بالاحْتِجاجِ عليهم - دون غَيْرهم من سائِر أصْناف الأُمَم الذينَ لا عِلْم عندهم بِذلك - لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ؛ لِيَعْلَموا بإخبارِه إيَّاهم بِذلك، أنَّه لِلَّه رَسول مَبْعوث، وأنَّ ما جاءهم به فَمن عنده، إذْ كان ما اقْتَصَّ عليهم من هذه القَصَص من مَكْنون عُلومهم، ومَصون ما في كُتُبهم، وخَفيِّ أُمورهم التي لم يكُنْ يَدَّعي معرِفةَ عِلْمها غَيْرهم وغَيْر مَنْ أخَذَ عنهم وقَرَأ كُتُبَهمْ. وكان معلومًا من مُحَمَّد ﷺ أنَّه لم يكُنْ قَطّ كاتِبًا ولا لأسفارِهم تاليًا، ولا لأحَدٍ منهم مُصاحِبًا ولا مُجالِسًا، فَيُمْكِنَهم أنْ يَدَّعوا أنَّه أخَذَ ذلك من كُتُبهم أو عن بعضهم، فَقال جَلَّ ذِكْره في تَعْديده عليهم ما هم فيه مُقيمونَ من نِعَمه مع كُفْرهم به، وتَرْكِهم شُكْرَه عليها مِمَّا يجب له عليهم من طاعَته: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فَأخْبَرَهم جَلَّ ذِكْره أنَّه خَلَقَ لهم ما في الأرْض جَميعًا؛ لأنَّ الأرْض وجَميع ما فيها لِبَني آدَم مَنافِع، أمَّا في الدِّين فَدَليل على وحْدانيَّة رَبِّهم، وأمَّا في الدُّنيا فَمَعاش وبَلاغ لهم إلى طاعَته وأداء فَرائِضه؛ فَلِذلك قال جَلَّ ثناؤه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ وقوله: ﴿هُوَ﴾ مَكْنيٌّ من اسم الله جَلَّ ذِكْره، عائِد على اسمه في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾. ومعنى خَلْقه ما خَلَقَ جَلَّ ثَنَاؤه؛ إنْشاؤُه عَيْنه، وإخراجُه من حال العَدَم إلى الوُجود. و﴿مَّا﴾ بِمعنى (الذي)، فَمعنى الكَلام إذن: كيفَ تَكْفُرونَ باللَّه وقد كُنْتُم نُطَفًا في أصْلاب آبائِكُم، فَجَعَلكم بَشَرًا أحياء، ثُمَّ يُميتكُم، ثُمَّ هو مُحْييكُم بعد ذلك، وباعِثكُم يوم الحَشْر لِلثَّوابِ والعِقاب، وهو المُنْعِم عليكُم بِما خَلَقَ لكم في الأرْض من مَعايِشكُم وأدِلَّتِكُم على وحْدانيَّة رَبِّكُمْ. و﴿كَيْفَ﴾ بِمعنى التَّعَجُّب والتَّوْبيخ لا بِمعنى الاستِفْهام، كَأنَّه قال: ويْحكُم كيفَ تَكْفُرونَ باللَّه! كما قال: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦] وحَلَّ قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ مَحَلَّ الحال، وفيه إضْمار (قد)، ولَكِنَّها حُذِفَتْ لِما في الكَلام من الدَّليل عليها. وذلك أنَّ (فَعَلَ) إذا حَلَّتْ مَحَلَّ الحال كان معلومًا أنَّها مُقْتَضية (قد)، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] يعني: قد حَصِرَتْ صُدورهم وكَما تَقول لِلرَّجُلِ: أصْبَحتْ كَثُرَتْ ماشيَتُك، تُريد: قد كَثُرَتْ ماشيَتُك.

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ كان قَتادةَ يقول:

٥٨٦- **حَدَّثَنا** بِشر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: نَعَم واللَّه، سَخَّرَ لكم ما في الأرْض [1].

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾

اختلَفَ أهلُ التأويلِ في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ فَقال بعضهم: معنى: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: أقْبَلَ عليها، كما تَقول: كان فُلان مُقْبِلًا على فُلان، ثُمَّ استوَى عليَّ يُشاتِمني،

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

واستوى إليَّ يُشاتِمني. بِمعنى: أقبَلَ عَلَيَّ وإليَّ يُشاتِمُني. واستَشهدَ على أنَّ الاستِواء بِمعنى الإقبال بِقولِ الشَّاعِر:

أقول وقد قَطَعْنَ بِنا شَرَوْرَى سَوامِدَ واستَوَيْنَ من الضَّجوع[1]

فَزَعَمَ أنَّه عَنَى به أنَّهُنَّ خَرَجْنَ من الضَّجوع، وكان ذلك عنده بِمعنى (أقبلنَ).

وَهذا من التَّأويل في هذا البيْت خَطَأ، وإنَّما معنى قوله: (واستَوَيْنَ من الضَّجوع) -عندي-: استَوَيْنَ على الطَّريق من الضَّجوع خارِجات، بِمعنى استَقَمْنَ عليه.

وَقال بعضهم: لم يكُنْ ذلك من الله جَلَّ ذِكْره بِتَحوُّلٍ، ولَكِنَّه يعني فِعْلَه، كما تَقول: كان الخَليفة في أهل العِراق يواليهم ثُمَّ تَحوَّلَ إلى أهل الشَّام، إنَّما يُريد تَحوُّل فِعْله.

وَقال بعضهم: قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ يَعْني: استَوَتْ به كما قال الشَّاعِر:

أقول له لَما استَوَى في تُرابه على أيِّ دِينٍ قَتَّلَ النَّاس مُصْعَبُ[2]

وَقال بعضهم: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: عَمَدَ لها. وقال: كُلُّ تارِك عَمَلاً كان فيه إلى آخرَ فهو مُسْتَوٍ لِما عَمَدَ له ومُسْتَوٍ إليه.

وَقال بعضهم: الاستِواءُ: هو العُلوُّ، والعُلوُّ: هو الارْتِفاع.

وَمِمَّنْ قال ذلك الرَّبيع بن أنَس.

٥٨٧- **حُدِّثت** بِذلك عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر عن أبيه عن الرَّبيع بن أنَس: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ يقول: ارْتَفَعَ إلى السَّماء[3].

ثُمَّ اختَلَفَ مُتأوِّلو الاستِواء بِمعنى العُلوّ والارْتِفاع في الذي استَوَى إلى السَّماء؛ فَقال بعضهم: الذي استَوَى إلى السَّماء وعَلا عليها: هو خالِقها ومُنْشِئُها.

وَقال بعضهم: بل العالي إليها الدُّخان الذي جَعَلَهُ الله لِلأرْضِ سَماء.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والاستِواءُ في كَلام العرب مُنْصَرِف على وُجوه: منها انتِهاء شَبابِ الرَّجُل وقوَّته، فَيُقال إذا صارَ كذلك: قد استَوَى الرَّجُل.

---

(١) [الوافر] القائل: تميم بن أبيّ بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة أبو كعب. شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم فكان يبكي أهل الجاهلية!! عاش نيفًا ومئة سنة وعدَّ في المخضرمين وكان يهاجي النجاشي الشاعر. له (ديوان شعر) ورد فيه ذكر وقعة صفين سنة ٣٧هـ. اللغة: شروري: جبل بين بني أسد وبني عامر، في طريق مكة إلى الكوفة. والضجوع -بفتح الضاد المعجمة-: موضع أيضًا بين بلاد هذيل وبني سليم. وقوله: (سوامد) جمع سامد. سمدت الإبل في سيرها: جدت وسارت سيرًا دائمًا، ولم تعرف الإعياء. وسوامد: دوائب لا يلحقهن كلال. والنون في (قطعن) للإبل. المعنى: يقول الشاعر: بعد أن قطع الجبل سيرًا دائمًا ولم يعرف الإعياء استوين على الطريق من الضجوع خارجات، بمعنى استقمن عليه.

(٢) [الطويل] القائل: شاعر غير معروف اسمه. اللغة: مصعب: هو مصعب بن الزبير. المعنى: يتساءل الشاعر فيقول عندما توفي مصعب ودفن في التراب. . . على أي دين قتله الناس. . .؟.

(٣) [ضعيف] فهو من تعليقات المصنف.

وَمنها: استِقامة ما كان فيه أوَدٌ من الأُمور والأسباب، يُقال منه: استَوَى لِفُلانٍ أمْرُه: إذا استَقامَ له بعد أوَدٍ، ومنه قول الطِّرِمَّاح بن حَكيم:

طَالَ عَلى رَسْمِ مُهَدَّدٍ أبَدُهْ وَعَفا واستَوَى به بَلَدُهْ(١)

يَعْني: استَقامَ به.

وَمنها: الإقْبال على الشَّيْء بالفِعْلِ، كما يُقال: استَوَى فُلان على فُلان بِما يكْرَهه ويَسُوءُه بعد الإحسان إليه.

وَمنها: الاستيلاء والاحتواء كَقولِهم: استَوَى فُلان على المَمْلَكة، بِمعنى احْتَوَى عليها وحازَها.

وَمنها: العُلوُّ والارْتِفاع، كَقولِ القائِل: استَوَى فُلان على سَريره، يَعْني به عُلوّه عليه.

قَالَ أبُو جَعْفرٍ: وأولَى المعاني بِقولِ الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: عَلا عليهِنَّ وارْتَفعَ فَدَبَّرَهُنَّ بِقُدْرَتِه وخَلَقَهُنَّ سَبْع سَماوات.

والعَجَبُ مِمَّنْ أنْكرَ المعنى المَفْهوم من كَلام العرب في تأويل قول اللّه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الذي هو بِمعنى العُلوّ والارْتِفاع هَرَبًا عند نَفْسه من أنْ يَلْزَمه بزَعْمِه - إذا تأوَّلَه بِمعناه المفْهوم كذلك - أنْ يكون إنَّما عَلا وارْتَفَعَ بعد أنْ كان تَحْتها، إلى أنْ تأوَّلَه بالمَجْهولِ من تأويله المُسْتَنْكَر، ثُمَّ لم يَنْجُ مِمَّا هَرَبَ منه.

فَيُقال له: أزَعَمْت أنَّ تأويل قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾: أقْبَلَ، أفَكان مُدْبِرًا عن السَّماء فَأقْبَلَ إليها؟! فَإنْ زَعَمَ أنَّ ذلك لَيْسَ بِإقْبالِ فِعْلٍ ولَكِنَّه إقْبال تَدْبير، قِيلَ له: فَكَذلك فَقُلْ: عَلا عليها عُلوّ مُلْك وسُلْطان لا عُلوّ انتِقال وزَوال. ثُمَّ لَنْ يقول في شَيْء من ذلك قولاً إلاَّ أُلْزِمَ في الآخَر مِثْله، ولولا أنَّا كَرِهْنا إطالة الكِتاب بِما لَيْسَ من جِنْسه لأنْبَأنا عن فَساد قول كُلّ قائِل قال في ذلك قولاً لِقولِ أهل الحَقّ فيه مُخالِفًا، وفيما بَيَّنَّا منه ما يُشْرِف بِذي الفَهْم على ما فيه له الكِفاية إن شاءَ الله.

وَإنْ قال لنا قائِل: أخْبِرْنا عن استِواء الله جَلَّ وعزَّ إلى السَّماء، كان قَبْل خَلْق السَّماء أم بعده؟

قِيلَ: بعده، وقَبْل أنْ يُسَوّيهنَّ سَبْع سَموات، كما قال جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١] والاستِواء كان بعد أنْ خَلَقَها دُخانًا، وقَبْل أنْ يُسَوّيها سَبْع سَماوات.

---

(١) [المنسرح] القائل: الطِّرمَّاح بن حكيم بن الحكم، من طيء. شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة فكان معلمًا فيها. واعتقد مذهب (الشراة) من الأزارقة (الخوارج). واتصل بخالد بن عبد الله القسري فكان يكرمه ويستجيد شعره. وكان هجاءً، معاصرًا للكميت صديقًا له، لا يكادان يفترقان. قال الجاحظ: (كان قحطانيًا عصبيًا). اللغة: الرسم: آثار الديار اللاصقة بالأرض. ومهدد: اسم امرأة. والأبد: الدهر الطويل، والهاء في (أبده) راجع إلى الرسم. وعفا: درس وذهب أثره. والبلد: الأثر. المعنى: يقول الشاعر: إنه مر على أرض محبوبته ولكنه وجدها انمحى رسمها حتى استوت بلا أثر.

وَقال بعضهم: إنَّما قال ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ولا سَماء، كَقولِ الرَّجُل لِآخَر: اعْمَلْ هذا الثَّوْب. وَإنّما معه غَزْل.

وَأمّا قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾:

فَإنّه يَعْني: هَيَّأهُنَّ وخَلَقَهُنَّ ودَبَّرَهُنَّ وقَوَّمَهُنَّ، والتَّسْوية في كَلام العرب: التَّقْويم والإصْلاح والتَّوْطِئة، كما يُقال: سَوَّى فُلان لِفُلانٍ هذا الأمْر: إذا قَوَّمَه وأصْلَحَه ووَطَّأه له. فَكَذلك تَسْوية الله جَلَّ وعزَّ سَمَواته: تَقْويمه إيّاهُنَّ على مَشيئَته، وتَدْبيره لهُنَّ على إرادَته، وتَفْتيقهنَّ بعد ارْتِتاقهنَّ. كَما:

٥٨٨- حُدِّثت عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ﴾ يقول: سَوَّى خَلْقَهُنَّ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

وَقال جَلَّ ذِكْره: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ فَأخْرَجَ مكنيَّهُن مُخْرَج مكني الجَميع، وقد قال قَبْل: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فَأخْرَجَها على تَقْدير الواحِد، وإنّما أخْرَجَ مكنيَّهُن مُخْرَج مكني الجَميع؛ لأنَّ السَّماء جَمْع واحِدها: سَماوة، فَتَقْدير واحِدَتها وجَميعِها إذن تَقْدير بَقَرة وبَقَر ونَخْلة ونَخْل وما أشْبَه ذلك؛ ولِذلك أُنِّثَت السماءُ مَرّة، فَقِيلَ: هذه سَماء، وذُكِّرَت أُخْرَى فَقِيلَ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨] كما يُفْعَل ذلك بالجَميع الذي لا فَرْق بينه وبين واحِدِهِ غَيْر دُخول الهاء وخُروجها، فيُقال: هذا بَقَر وهذه بَقَر، وهذا نَخْل وهذه نَخْل، وما أشْبَه ذلك.

وَكان بعض أهل العربيَّة يَزْعُم أنَّ السَّماء واحِدة، غَيْر أنَّها تَدُلّ على السَّمَوات، فَقِيلَ: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ يُراد بِذلك التي ذُكِرَت، وما دَلَّت عليه من سائِر السَّمَوات التي لم تُذْكَر معها. قال: وإنّما تُذَكَّر إذا ذُكِّرَت وهيَ مُؤَنَّثة، فيُقال: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ كما يُذَكَّر المُؤَنَّث، وكَما قال الشّاعِر:

فَلا مُزْنَةٌ ودَقَتْ وَدْقَها ... وَلا أرْضَ أبْقَلَ إبْقالُها(٢)

وَكَما قال أعْشَى بَني ثَعْلَبة:

فَإمَّا تَرَيْ لِمَّتي بُدِّلَتْ ... فَإنَّ الحَوادِث أزْرَى بِها(٣)

---

(١) [ضعيف] فهو من تعليقات المصنف.

(٢) [المتقارب] القائل: عامر بن جوين الطائي. شاعر جاهلي وخطيب فارس من شعراء الجاهلية المرموقين وخطبائها وفرسانها وله مع المنذر بن النعمان الأكبر جد النعمان بن المنذر محاورة. وقد كان امرؤ القيس قد نزل به فأجاره وكان عامر يومئذ أحد الخلفاء الفتاك وقد تبرأ قومه من جرائره. وقد عمر طويلاً، وله قصيده نادرة تقع في ٣٢ بيتًا. اللغة: المزن السحاب والمفرد مزنة. الودق: المطر. بقلت الأرض: أنبتت. المعنى: يقول الشاعر: إنه ليس هناك سحابة أمطرت مثل هذا المطر من قبل... وكذلك ليس هناك أرض أنبتت مثل هذا الإنبات من قبل.

(٣) [المتقارب] القائل: الأعشى ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير. تقدم. اللغة: لمة الرجل: أصحابه. بدلت: تغيرت. ألوى به: ذهب به وأهلكه. وأودى به: أهلكه، أيضًا. وأما (أزرى بها): أي حقرها وأنزل بها الهوان، من الزرارية وهي التحقير. المعنى: يقول الشاعر: إن رأيتي أصحابي قد تغيروا فإن ذلك بسبب الحوادث وما أصابهم من الهوان.

وَقال بعضهم: السَّماء وإنْ كانتْ سَماء فَوْق سَماء، وأرْضًا فَوْق أرْض، فَهيَ في التَّأويل واحِدة إنْ شِئت، ثُمَّ تَكون تِلْكَ الواحِدة جِماعًا، كما يُقال: ثَوْب أخْلاق وأسمال، وبُرْمة أعْشار لِلْمُتَكَسِّرةِ، وبُرْمةٌ أكْسار وأجْبار، وأخْلاق: أيْ أنَّ نَواحيَهُ أخْلاق.

فَإنْ قال لنا قائِل: فَإنّك قد قُلْت: إنَّ الله استَوَى إلى السَّماء وهيَ دُخان قَبْل أنْ يُسَوّيها سَبْع سَمَوات، ثُمَّ سَوَّاها سَبْعًا بعد استِوائِه إليها، فكيف زَعَمْت أنَّها جِماع؟

قِيلَ: إنَّهُنَّ كُنَّ سَبْعًا غَيْر مُسْتَويات، فَلِذلك قال تعالى ذِكْره: فَسَوَّاهُنَّ سَبْعًا. كما:

٥٨٩- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، قال: قال مُحَمَّد بن إسحاق: كان أوَّل ما خَلَقَ الله تعالى ذكرُه: النّورُ والظُّلْمةُ، ثُمَّ مَيَّزَ بينهما فَجَعَلَ الظُّلْمة لَيْلاً أسوَد مُظْلِمًا، وجَعَلَ النور نَهارًا مُضيئًا مُبْصِرًا، ثُمَّ سَمَكَ السَّموات السَّبْع من دُخان، يُقال - والله أعْلَم -: من دُخان الماء حتَّى استَقْلَلْنَ ولم يُحْبَكْنَ، وقد أغْطَشَ في السَّماء الدُّنيا لَيْلها وأخْرَجَ ضُحاها، فَجَرَى فيها اللَّيْل والنَّهار، ولَيْسَ فيها شَمْس ولا قَمَر ولا نُجوم، ثُمَّ دَحا الأرْض، فأرْساها بالجِبالِ، وقَدَّرَ فيها الأقْوات، وبَثَّ فيها ما أرادَ من الخَلْق، فَفَرَغَ من الأرْض وما قَدَّرَ فيها من أقْواتها في أرْبَعة أيَّام. ثُمَّ استَوَى إلى السَّماء وهيَ دُخان كما قال فحبكهن، وجَعَلَ في السَّماء الدُّنْيا شَمْسها وقَمَرها ونُجومها، وأوحَى في كُلّ سَماء أمْرها، فَأكْمَلَ خَلْقهنَّ في يومَيْنِ. فَفَرَغَ من خَلْق السَّموات والأرْض في سِتّة أيَّام، ثُمَّ استَوَى في اليوم السَّابع فَوْق سَمَواته، ثُمَّ قال لِلسَّمواتِ والأرْض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ لِما أرَدْت بِكُما، فاطْمَئِنّا عليه طَوْعًا أو كَرْهًا، ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١](١).

فَقَد أخْبَرَ ابن إسحاق أنَّ الله تعالى ذكره استَوَى إلى السَّماء بعد خَلْقه الأرْض وما فيها وهُنَّ سَبْع من دُخان، فَسَوَّاهُنَّ كما وصَفَ. وَإنّما استَشْهَدْنا لِقولِنا الذي قُلْنا في ذلك بِقولِ ابن إسحاق لأنَّه أوضَح بَيانًا عن خَبَر السَّموات أنَّهُنَّ كُنَّ سَبْعًا من دُخان قَبْل استِواء رَبّنا إليها لِتَسْويَتِها - من غَيْره، وأحسَن شَرْحًا لِما أرَدْنا الاستِدْلال به من أنَّ معنى السَّماء التي قال تعالى ذكره فيها: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ بِمعنى الجَمْع على ما وصَفْنا، وأنّه إنَّما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ إذْ كانتِ السَّماء بِمعنى الجَمْع على ما بَيَّنَّا.

فَإنْ قال لنا قائِل: فَما صِفة تَسْوية الله السَّموات التي ذَكَرها في قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ إذْ كُنَّ قد كُنَّ خُلِقْنَ سَبْعًا قَبْل تَسْويَته إيَّاهُنَّ؟ وما وجه ذِكْر خَلْقهنَّ بعد ذِكْر خَلْق الأرْض، ألأنها خُلِقَتْ قَبْله، أم لِمعنًى غَيْر ذلك؟

قِيلَ: قد ذَكَرْنا ذلك في الخَبَر الذي رَوَيْناه عن ابن إسحاقِ، ونَزيد ذلك تَوْكيدًا بِما نَضُمُّ إليه من أخْبار بعض السَّلَف المُتَقَدّمينَ وأقْوالهم.

---

(١) [ضعيف] مداره على سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري مولاهم أبو عبد الله الأزرق الرازي قاضي الري ضعيف، والأسانيد إليه كلها ضعيفة، فسند المصنف هنا فيه محمد بن حميد الرازي ضعيف.

٥٩٠- **فحدثني** موسى بن هارونَ، قال: حَدَّثنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثنا أسباطُ عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَره عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النَّبيِّ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾: قال: إنَّ الله تعالى ذكره كان عَرْشه على الماء، ولم يَخْلُق شيئًا غَيْر ما خَلَقَ قَبْل الماء، فلَمَّا أرادَ أنْ يَخْلُق الخَلْقَ أخرَجَ من الماء دُخانًا، فارْتَفَعَ فَوْق الماء فَسما عليه، فَسَماه سَماء، ثُمَّ أيْبَسَ الماء فَجَعَلَه أرْضًا واحِدة، ثُمَّ فَتَقَها فَجعَلَ سَبْع أرَضينَ في يومَيْنِ في الأحَد والإثْنَيْنِ، فَخَلَقَ الأرْض على حوت، والحوت هو النّون الذي ذَكَرَه الله في القُرْآن: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾[القلم: ١] والحوت في الماء والماء على ظَهْر صَفاة، والصَّفاة على ظَهْر مَلَك، والمَلَك على صَخْرة، والصَّخْرة في الرّيح - وهيَ الصَّخْرة التي ذَكَرَ لُقْمان - لَيْسَتْ في السَّماء ولا في الأرْض، فَتَحَرَّكَ الحوت فاضْطَرَبَ، فَتَزَلْزَلَتِ الأرْض، فَأرْسَى عليها الجِبال فَقَرَّتْ، فالجِبال تَفْخَر على الأرْض، وَذلك قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[النحل: ١٥] وخَلَقَ الجِبال فيها وأقْوات أهلها وشَجَرها وما يَنْبَغي لها في يومَيْنِ في الثُّلاثاء والأرْبعاء، وذلك حين يقول: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾[فصلت: ٩-١٠] يقول: أنْبَتَ شَجَرها ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ يقول: أقْواتها لأهلِها ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ يقول: مَنْ سَأل فهكذا الأمر ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[فصلت: ١١] وكان ذلك الدُّخان من تَنَفُّس الماء حين تَنَفَّسَ، فَجَعَلَها سَماء واحِدة، ثُمَّ فَتَقَها فَجَعَلَها سَبْع سَموات في يومَيْنِ في الخَميس والجُمُعة، وإنَّما سُمّيَ يوم الجُمُعة لأنه جُمع فيه خَلْق السَّموات والأرض ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾[فصلت: ١٢] قال: خَلَقَ في كُلّ سَماء خَلْقها من المَلائِكة والخَلْق الذي فيها، من البِحار وجِبال البَرَد وما لا يُعْلَم. ثُمَّ زَيَّنَ السَّماء الدُّنْيا بالكواكِب، فَجَعَلَها زينة وحِفظًا تُحفَظ من الشَّياطين. فَلَمَّا فَرَغَ من خَلْق ما أحَبَّ استَوَى على العَرْش، فَذلك حين يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[الأعراف: ٥٤- يونس: ٣- هود: ٧] يقول: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾[الأنبياء: ٣٠](١).

٥٩١- **حدثنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: خَلَقَ الأرْض قَبْل السَّماء، فَلَمَّا خَلَقَ الأرْض ثارَ منها دُخان، فَذلك حين يقول: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ قال: بعضهنَّ فَوْق بعض، وسَبْع أرَضين بعضهنَّ تحت بعض(٢).

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

٥٩٢- حدَّثَنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبَرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ﴾ قال: بعضهنَّ فَوْق بعض، بين كُلّ سَماءَيْنِ مَسيرة خَمْسِمِائةِ عام (١).

٥٩٣- حَدَّثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا أبو صالِح، قال: حَدَّثني مُعاوية بن صالِح، عن عَليٍّ، عن ابن عَبَّاس في قوله حَيْثُ ذَكَرَ خَلْق الأرْض قَبْل السَّماء، ثُمَّ ذَكَرَ السَّماء قَبْل الأرْض - وذلك أنَّ الله خَلَقَ الأرْض بِأقْواتِها من غَيْر أنْ يَدْحوها قَبْل السَّماء، ثُمَّ استَوَى إلى السَّماء فَسَوَّاهُنَّ سَبْع سَمَوات، ثُمَّ دَحا الأرْض بعد ذلك، فَذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] (٢).

٥٩٤- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن صالِح، قال: حَدَّثَني أبو معشَر، عن سَعيد بن أبي سَعيد، عن عبد الله بن سَلام أنّه قال: إنَّ الله بَدَأ الخَلْق يوم الأحَد، فَخَلَقَ الأرَضينَ في الأحَد والإثْنَيْنِ، وخَلَقَ الأقْوات والرَّواسي في الثُّلاثاء والأرْبِعاء، وخَلَقَ السَّمَوات في الخَميس والجُمُعة، وفَرَغَ في آخِر ساعةٍ مِنْ يوم الجُمُعة، فَخَلَقَ فيها آدَم على عَجَل؛ فَتِلْكَ السَّاعة التي تَقوم فيها السَّاعة (٣).

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢) [حسن] هذا سند ضعيف من اجل أبي صالح كاتب الليث، والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكنه جاء بسند آخر حسن عند الخطيب في الفقيه والمتفقه مطولاً فقال: أنا أبو بكر البرقاني، قال: قرأت على أبي العباس محمد بن أحمد بن حمدان، حدثكم محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي، نا أبو يعقوب يوسف بن عدي، نا عبيد الله بن عمرو الرقي، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال سعيد: جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس، إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، فقد وقع ذلك في صدري؟فقال ابن عباس: أتكذيب؟فقال الرجل: ما هو بتكذيب ولكن اختلاف، قال: فهلم ما وقع في نفسك؟فقال الرجل: أسمع الله تعالى يقول: . . . وفي قوله: أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها، فذكر في هذه الآية خلق السماء قبل الأرض، وقال في الآية الأخرى: أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين، فذكر في هذه الآية خلق الأرض قبل السماء. . . فقال ابن عباس: هات ما في نفسك من هذا. فقال السائل: إذا أنبأتني بهذا فحسبي. قال ابن عباس: . . . وأما قوله: أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها، فإنه خلق الأرض في يومين قبل خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم نزل إلى الأرض فدحاها، ودحيها: أن أخرج منها الماء والمرعى وشق فيها الأنهار، وجعل فيها السبل، وخلق الجبال والرمال والأكوام وما فيها، في يومين آخرين فذلك قوله تعالى: والأرض بعد ذلك دحاها. اهـ

(٣) [صحيح] هذا سند ضعيف، نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني مولى بني هاشم وهو والد محمد بن أبي معشر المدني ضعيف، والمثنى مجهول الحال، ولكنّ مداره على سعيد بن أبي سعيد يرويه عن أبيه والأسانيد إليه صحيحة كما عند البيهقي في الأسماء قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن أبي المعروف الفقيه، أنا أبو عمرو بن نجيد، أنا أبو مسلم، ثنا أبو عاصم، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبيه، عن عبد الله بن سلام، قال: خلق الله الأرض في يومين، وقدر فيها أقواتها في يومين ثم استوى فخلق السماوات في يومين، خلق الأرض في يوم الأحد ويوم الإثنين

فَمعنى الكَلام إذن: هو الذي أنْعَمَ عليكُم، فَخَلَقَ لكم ما في الأرْض جَميعًا وسَخَّرَه لكم تَفَضُّلاً منه بِذلك عليكُم، ليكونَ لكم بَلاغًا في دُنْياكُم، ومَتاعًا إلى موافاة آجالكُم، ودَليلاً لكم على وخدانيّة رَبّكُمْ. ثُمّ عَلا إلى السَّمَوات السَّبْع وهُنَّ دُخان، فَسَوَّاهُنَّ وحبكهن، وأجْرَى في بعضهنَّ شَمْسه وقَمَره ونُجومه، وقَدَّرَ في كُلّ واحِدة منهُنَّ ما قَدَّر من خَلْقه.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾

يَعْني تعالى ذكرُه بِقولِه: ﴿وَهُوَ﴾ نَفْسَه، وبِقولِه: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: أنَّ الذي خَلَقَكُم وخَلَقَ لكم ما في الأرْض جَمِيعًا، وسَوَّى السَّمَوات السَّبْع بِما فيهِنَّ، فَأحكَمَهُنَّ من دُخان الماء وأتْقَنَ صُنعهنَّ، لا يَخْفَى عليه أيّها المُنافِقونَ والمُلْحِدونَ والكافِرونَ به من أهل الكِتاب - ما تُبْدونَ وما تَكْتُمونَ في أنفسكُم، وإنْ أبْدَى مُنافِقوكُم بِألسِنَتِهم قولَهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ وهم على التَكْذيب به مُنْطَوونَ. وَكَذَّبَتْ أحبارُكُم بِما أتاهم به رَسولي من الهُدَى والنّور وهم بِصِحَّتِه عارِفونَ، وجَحَدوا وكَتَموا ما قد أخَذْتُ عليهم تبيانَهُ لِخَلْقي من أمْر مُحَمَّد ﷺ ونُبوَّته - المَواثيق، وهم به عالِمونَ؛ بل أنا عالِم بِذلك من أمْرِكُم وغَيْره من أمورِكُم، وأمورِ غَيْرِكُم، أي: بِكُلّ شَيْء عَليم.

وَقولُه: ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمعنى عالِم. ورويَ عن ابن عَبَّاس أنَّه كان يقول: هو الذي قد كَمُلَ في عِلْمه.

٥٩٥- حَدَّثَني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن صالِح، قال: حَدَّثَنا مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قال: العالِم الذي قد كَمُلَ في عِلْمه[(١)].

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾

زَعَمَ بعض المَنسوبينَ إلى العِلْم بِلُغاتِ العرب من أهل البصْرة أنَّ تأويل قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: وقال رَبّك، وأنّ ﴿إِذْ﴾ من الحُروف الزَّوائِد، وأنّ معناها الحَذْف.

واعْتَلَّ لِقولِه الذي وَصَفْنا عنه في ذلك بِبَيْتِ الأسوَد بن يَعْفُر:

فَإذا وذلك لا مَهاهَ لِذِكْرِه ... والدَّهْرُ يُعْقِبُ صالحا بِفَسادِ[(٢)]

وقدر فيها أقواتها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، وخلق السماوات في يوم الخميس ويوم الجمعة، وآخر ساعة في يوم الجمعة خلق الله آدم في عجل، وهي التي تقوم فيها الساعة، وما خلق الله من دابة إلا وهي تفزع من يوم الجمعة إلا الإنسان والشيطان. اهـ

(١) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه.

(٢) [الكامل] القائل: الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل. شاعر جاهلي، من سادات تميم، من أهل العراق، كان فصيحًا جوادًا، نادم النعمان بن المنذر، ولما أسن كفّ بصره ويقال له: أعشى بني نهشل. اللغة: قوله: (لامهاه): يقال: ليس لعيشنا مهه (بفتحتين) ومهاه: أي ليس له حسن أو نضارة. وقد زعموا أن الواو في قوله: (فإذا وذلك..) زائدة مقحمة، كأنه قال: فإذا ذلك... المعنى: يقول الشاعر: ليس في عيشنا حسن أو نضارة وذلك لأن الزمان يأتي بعد كل شيء صالح بفساد.

ثم قال: ومعناها: وذلك لا مَهاهَ لِذِكْرِه. وبِبَيْتِ عبد مَناف بن رِبْع الهُذَليّ:

حتّى إذا أسْلَكوهم في قُتائِدةٍ   شَلًّا كما تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدا[١]

وقال: معناه: حتَّى أسْلَكوهم.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والأمْر في ذلك بِخِلافِ ما قال؛ وذلك أنَّ (إذْ) حَرْف يَأتي بِمعنى الجَزاء، ويَدُلّ على مَجْهول من الوَقْت، وغَيْر جائِز إبطال حَرْف كان دَليلاً على معنًى في الكَلام. إذْ سَواء قِيلُ قائِل: هو بِمعنى البُطول، وهو في الكَلام دَليل على معنى مَفْهوم. وقيلُ آخَر في جَميع الكَلام الذي نَطَقَ به دَليلاً على ما أُريدَ به: وهو بِمعنى البُطول.

وَلَيْسَ لِما ادَّعى الذي وصَفْنا قوله - في بَيْت الأسوَد بن يَعْفُر، أنَّ (إذا) بِمعنى البُطول - وجهٌ مَفْهوم؛ بل ذلك لو حُذِفَ من الكَلام لَبَطَلَ المعنى الذي أرادَه الأسوَد من قوله:

فَإذا وذلك لا مَهاهَ لِذِكْرِهِ[٢]

وَذلك أنَّه أرادَ بِقولِه: فَإذا الذي نَحْنُ فيه، وما قد مَضَى من عَيْشنا.

وَأشارَ بِقولِه: (وذلك) إلى ما تَقَدَّمَ وصْفه من عَيْشه الذي كان فيه. لا مَهاهَ لِذِكْرِه، يَعْني: لا طَعْم له ولا فَضْل، لإعْقابِ الدَّهْر صالِح ذلك بِفَسادٍ. وكذلك معنى قول عبد مَناف بن رِبع:

حتّى إذا أسَلكوهم في قُتائِدةٍ   شَلًّا ....[٣]

لو أُسْقِطَ منه (إذا) بَطَل معنى الكَلام؛ لأنَّ معناه: حتَّى إذا أسَلكوهم في قُتائِدة سَلَكوا شَلًّا. فَدَلَّ قوله: (أسلَكوهم شَلًّا) على معنى المحذوف، فاستُغْنيَ عن ذِكْره بِدَلالةِ (إذا) عليه، فَحُذِفَ - كما قد ذَكَرْنا فيما مَضَى من كِتابنا - على ما تَفْعَل العرب في نَظائِر ذلك، وكَما قال النَّمِرُ بن تَوْلَب:

فَإنّ المَنيّة مَنْ يَخْشَها   فَسَوْف تُصادِفه أيْنَما[٤]

---

(١) [البسيط] القائل: عبد مناف بن ربع الحربي الهذلي. شاعر جاهلي، نسبته إلى جرير (كقريش) وهو بطن من هذيل. أورد البغدادي قصيدة له ذكر فيها يوم (أنف) من أيام الجاهلية، بين هذيل وبني ظفر من سُليم. اللغة: سلك الرجل الطريق، وسلكه غيره فيه، وأسلكه الطريق: أدخله فيه أو اضطره إليه. وقتائدة: جبل بين المنصرف والروحاء، أي في الطريق بين مكة والمدينة. وشل السائق الابل: طردها أمامه طردًا. ومر فلان يشلّ العدو بالسيف: يطردهم طردًا يفرون أمامه. والجمالة: أصحاب الجمال. وشرد البعير فهو شارد وشرود: نفر وذهب في الأرض، وجمع شارد شرد (بفتحتين) مثل خادم وخدم. وجمع شرود شرد (بضمتين). المعنى: يذكر أن عبد مناف قومًا أغاروا على عدو لهم، فأزعجوهم عن منازلهم، واضطروهم إلى (قتائدة) يطردونهم بالسيوف والرماح والنبال، كما تطرد الإبل الشوارد. وجراب (إذا) تقديره: شلوهم شلا، فعل محذوف دل عليه المصدر.

(٢) [الكامل] تقدم قبله بواحد.

(٣) [البسيط] تقدم قبله بواحد.

(٤) [المتقارب] القائل: النمر بن تولب بن زهير بن أقيش، ينتهي نسبه إلى عوف بن وائل بن قيس بن عبد مناة. شاعر جاهلي أدرك الإسلام وهو كبير فأسلم وعُد من الصحابة وروى حديثًا عن الرسول وكان له ولد يدعى ربيعة، وأخ يدعى الحرث بن تولب (سيد مُعظّم في قومه)، ونشأ بين قومه في بلاد نجد ثم نزلوا ما بين اليمامة وهجر. توفي

وَهوَ يُريد: أيْنَما ذَهَبَ. وكَما تَقول العرب: أتَيْتُك من قَبْلُ ومن بعد؛ تُريد: من قَبْل ذلك ومن بعد ذلك. فَكَذلكَ ذلك في (إذا) كما يقول القائِل: إذا أكْرَمَك أخوك فَأكْرِمْه وإذا لا فلا؛ يُريد: وإذا لم يُكْرِمك فلا تُكْرِمه. ومن ذلك قول الآخَر:

فَـإذا وذلـك لا يَـضُـرّك ضُـرّه   في يوم أسألُ نائِلًا أو أنْكَد[1]

نَظيرَ ما ذَكَرْنا من المعنى في بَيْت الأسوَد بن يَعْفُر. وكذلك معنى قول الله تعالى ذكرُه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ لو أبْطِلَتْ (إذْ) وحُذِفَتْ من الكَلام، لاستَحالَ عن معناه الذي هو به وفيه (إذْ).

فإنْ قال قائِل: فَما معنى ذلك؟ وما الجالِب لـ (إذْ)، إذا لم يكُنْ في الكَلام قَبْله ما يُعْطَفُ به عليهِ؟

قيلَ له: قد ذَكَرْنا فيما مَضَى أنَّ الله تعالى ذكره خاطَبَ الذينَ خاطَبَهم بِقولِه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ بهذه الآيات والتي بعدها موَبِّخهم ومُقَبِّحًا إليهم سوء فِعالهم ومُقامهم على ضَلالهم مع النِّعَم التي أنْعَمَها عليهم وعلى أسلافهم، ومُذَكِّرَهم - بتَعْديدِ نِعَمه عليهم وعلى أسلافهم - بَأسه أنْ يَسْلُكوا سَبيل مَنْ هَلَكَ من أسلافهم في معصيته، فَيَسْلُك بهم سَبيلهم في عُقوبَته؛ ومُعَرِّفهم ما كان منه من تَعَطُّفه على التَّائِب منهم استِعْتابًا منه لهم. فَكان مِمَّا عَدَّدَ من نِعَمه عليهم، أنَّه خَلَقَ لهم ما في الأرْض جَميعًا، وسَخَّرَ لهم ما في السَّماوات من شَمْسها وقَمَرها ونُجومها وغَيْر ذلك من مَنافِعها التي جَعَلَها لهم ولِسائِرِ بَني آدَم معهم مَنافِع، فَكان في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ معنى: اذْكُروا نِعْمَتيَ عليكُم، إذْ خَلَقْتُكم ولم تَكونوا شَيْئًا، وخَلَقْت لكم ما في الأرْض جَميعًا، وسَوَّيْت لكم ما في السَّماء. ثُمَّ عَطَف بِقولِه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ على المعنى المُقْتَضَى بِقولِه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ إذْ كان مُقْتَضِيًا ما وصَفْت من قوله: اذْكُروا نِعْمَتيَ إذْ فَعَلْت بِكُم وفَعَلْت، واذْكُروا فِعْلي بِأبيكُم آدَم، إذْ قُلْت لِلْمَلائِكةِ إنِّي جاعِل في الأرْض خَليفة.

فإنْ قال قائِل: فَهَلْ لِذلك من نَظير في كَلام العرب نَعْلَم به صِحّة ما قُلْت؟

قِيلَ: نَعَم، أكْثَر من أنْ يُحْصَى، من ذلك قول الشَّاعِر:

في آخر خلافة أبو بكر الصديق. وما عرف له في المدح إلا قصيدة واحدة مدح فيها الرسول وكذلك كان هجاؤه نادرًا وكان شعره صادقًا وألفاظه سهلة جميلة. اللغة: المنية: الموت. أينما: المقصود أينما ذهب. المعنى: يوجه الشاعر حكمة عظيمة ألا وهي أن من يهاب ويخاف الموت سوف يقابله ويلاقيه أينما ذهب.

(١) [الكامل] القائل: شاعر غير معروف اسمه. اللغة: الضر: سوء الحال من فقر أو شدة أو بلاء أو حزن. والنائل: ما تناله وتصيبه من معروف إنسان. ونكده ما سأله: قلل له العطاء، أو لم يعطه البتة. المعنى: يقول الشاعر: مهما يحدث فإنه لن يضرك ما يحدث لمن أمامك من سوء الحال سواء كان بسبب الفقر أو أي شيء آخر وذلك في يوم يسأل فيه ويطلب العطاء سواء حصل عليه أو لم يحصل عليه.

أجِدَّك لَنْ تَرَى بِثُعَيْلِباتٍ وَلا بَيْدانَ ناجِيَةً ذَمولا
وَلا مُتَدارَكٍ والشَّمْسُ طِفْلٌ بِبعضِ نَواشِغ الوادي حُمولا[١]

فَقال: ولا مُتَدارَك، ولم يَتَقَدَّمه فِعْلٌ بِلَفْظه يُعْطَف به عليه، ولا حَرْف مُعْرَبٌ إعْرابَه فَيُرَدّ (مُتَدارَك) عليه في إعْرابه، ولَكِنَّه لَمَّا تَقَدَّمَه فِعْل مَجْحود بـ (لَنْ) يَدُلّ على المعنى المَطْلوب في الكَلام من المحذوف، استُغْنيَ بِدَلالةِ ما ظَهَرَ منه عن إظْهار ما حُذِفَ، وعامَل الكَلام في المعنى والإعْراب مُعامَلَته أنْ لو كان ما هو محذوف منه ظاهِرًا؛ لأنَّ قوله:

أجِدَّك لَنْ تَرَى بِثُعَيْلِباتٍ[٢]

معناه: أجِدَّك لَسْت بَراءٍ. فَرَدَّ (مُتَدارَكًا) على موضِع (تَرَى) كَأنَّ (لَسْت) والباء موجودَتانِ في الكَلام، فَكَذلك قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ لَمَّا سَلَف قَبْله تَذْكيرُ الله جلَّ وعزَّ المُخاطَبينَ به ما سَلَف قِبَلهم وقِبَل آبائِهم من أياديه وآلائِه، وكان قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ مع ما بعده من النِّعَم التي عَدَّدَها عليهم ونَبَّهَهم على مَواقِعها - رَدَّ (إذْ) على موضِع: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ لأنَّ معنى ذلك: اذْكُروا هذه من نِعَمي، وهذه التي قُلْت فيها لِلْمَلائِكةِ. فَلَمَّا كانتِ الأولَى مُقْتَضية (إذْ) عَطَفَ بـ (إذْ) على موضِعها في الأولَى كما وصَفْنا من فعل الشَّاعِر في (وَلا مُتَدارَك).

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾

والمَلائِكة جَمْع مَلأَك، غَيْر أنَّ أحدَهُم بِغَيْرِ الهَمْز أكْثَر وأشْهَر في كَلام العرب منه بالهَمْزِ، وذلك أنَّهم يقولونَ في واحِدهم: مَلَك من المَلائِكة، فَيَحْذِفونَ الهَمْز منه، ويُحَرِّكونَ اللَّام التي كانتْ مُسَكَّنة لو هُمِز الاسم، وإنَّما يُحَرِّكونَها بالفَتْحِ، لأنَّهم يَنْقُلونَ حَرَكة الهَمْزة التي فيه بِسُقوطِها إلى الحَرْف السَّاكِن قَبْلها، فإذا جَمَعوا واحِدهم رَدُّوه في الجَمْع إلى الأصْل وهَمَزوا، فَقالوا: مَلائِكة. وقد تَفْعَل العرب نَحْو ذلك كَثيرًا في كَلامها، فَتَتْرُك الهَمْز في الكَلِمة التي هي

---

(١) [الوافر] القائل: المُرّار بن سعيد بن خالد بن نضلة الفقعسي الأسدي. شاعر كان جده خالد بن نضلة قائد بني أسد يوم الكلاب وعاش في العصر الأموي، كان قصيرًا مفرط القصر، ولكنه كان شجاعا كريما ولكنه كان من الشعراء اللصوص وقد سجن مرتين كان من سكان البادية، وكان كثير الشعر، ولكن فقد أكثره وموضوعات شعره تتناول الوصف والرثاء والفخر والغزل والهجاء. اللغة: ثعيلبات وبيدان موضعان. والناجية: الناقة السريعة، من النجاء: وهو سرعة السير. والذمول: الناقة التي تسير سيرًا سريعًا لينًا ذملت ذميلا وذملانًا. تدارك القوم (متعديًا): بمعنى أدركهم، أو حاول اللحاق بهم. والشمس طفل: يعني هنا: عند شروقها -لا عند غروبها- أخذت من الطفل الصغير. ونواشغ الوادي جمع ناشغة: وهي مجرى الماء إلى الوادي. الحمول: هي الهوادج التي فيها النساء تحملها الإبل. وسميت الإبل وما عليها حمولا، لأنهم يحملون عليها الهوادج للرحلة. المعنى: يقول الشاعر: إنك لن ترى في ثعيلبات وبيدان ناقة تسير سيرًا سريعًا ولينًا والشمس أيضًا تحاول اللحاق بهم عند شروقها ولكنها لن تدركهم لأنهم قد بكروا بالرحيل.

(٢) [الوافر] تقدم قبله.

مَهْموزةٌ فَيجْري كَلامهم بِتَرْكِ هَمْزها في حال، وبِهَمْزِها في أُخرَى، كَقولِهم: رَأيْت فُلانًا، فَجَرَى كَلامهم بهَمْزِ رَأيْت، ثُمَّ قالوا: نَرَى وتَرَى ويَرَى، فَجَرَى كَلامهم في (يَفْعَل) ونَظائِرها بِتَرْكِ الهَمْز، حتَّى صارَ الهَمْز معها شاذًّا مع كَوْن الهَمْز فيها أصْلاً. فَكَذلك ذلك في مَلَك ومَلائِكة، جَرَى كَلامهم بِتَرْكِ الهَمْز من واحِدهم، وبالهَمْزِ في جَميعهمْ. ورُبَّما جاء الواحِد منهم مَهْموزًا كما قال الشَّاعِر:

فَلَسْتَ لِجِنِّيٍّ ولَكِنْ مَلأَكٌ ... تَحَدَّرَ من جَوّ السَّماء يَصُوبُ (١)

وَقد يُقال في واحِدهم: مَألُكٌ. فَيكون ذلك مِثْل قولهمْ: جَبَذَ وجَذَبَ، وشَأمَل وشَمْأل، وما أشْبَه ذلك من الحُروف المَقْلوبة. غَيْر أنَّ الذي يجِب إذا سُمِّيَ واحِدهم مَألُك، أنْ يُجْمَع إذا جُمع على ذلك: مآلِك، ولَسْت أحفَظ جَمْعهم كذلك سَماعًا، ولَكِنَّهم قد يجْمَعونَ مَلائِكُ ومَلائِكة، كما يُجْمَع أشعَث: أشاعِث وأشاعِثة، ومِسْمَع: مَسامِع ومَسامِعة. قال أُمَيّة بن أبي الصَّلْت في جَمْعهم كذلك:

وَفيها من عِباد الله قَوْم ... مَلائِك ذُلِّلوا وهُمُ صِعاب (٢)

وَأصْل المَلأك: الرِّسالة، كما قال عَديّ بن زَيْد العِبادِي:

أبْلِغْ النُّعْمان عَنِّي مَلأكًا ... أنَّه قد طالَ حَبْسي وانتِظاري (٣)

---

(١) [**الطويل**]القائل: أبو وجزة يزيد بن أبي عبيد السُّلمي السعدي. نشأ في بني سعد، فغلب عليه نسبهم، وهو شاعر مشهور من التابعين وهو محدث مقرئ. وسكن المدينة، فانقطع إلى آل الزبير ومات بها. له شعر في قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب في أشعار العرب. اللغة: الإنس: البشر. ملأك: الواحد من الملائكة. المعنى: يقول الشاعر: إنهم ليسوا من البشر وإنما هم ملائكة تنزل من جو السماء.

(٢) [**الوافر**]القائل: أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي. شاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلعًا على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبدًا وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام. وعاد إلى الطائف فسأل عن خبر محمد ﷺ، وقدم مكة وسمع منه آيات من القرآن وسألته قريش رأيه فقال: أشهد أنه على الحق. قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. ثم خرج إلى الشام وهاجر رسول الله ﷺ، إلى المدينة وحدثت وقعة بدر وعاد أمية يريد الإسلام فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خالٍ له فامتنع وأقام في الطائف إلى أن مات. أخباره كثيرة وشعره من الطبقة الأولى، إلا أن علماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. وهو أول من جعل في مطالع الكتب باسمك اللهم، فكتبتها قريش. اللغة: ملائك: الملائكة. (ذللوا) من الذل (بكسر الذال) وذلله: راضه حتى يذل ويلين ويطيع. المعنى: يقول الشاعر: إن فيهما من عباد الله قوم مثل الملائكة الطائعين بعد أن كانوا غليظين.

(٣) [**الرمل**]القائل: عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد العبادي التميمي. شاعر من دهاة الجاهليين، كان قرويًا من أهل الحيرة، فصيحًا، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجمانًا بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولاً إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هندًا بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة. اللغة: النعمان: هو النعمان بن المنذر. المعنى: هذه القصيدة هي

وَقد يُنْشَد: مَألُكًا، على اللُّغة الأُخْرَى، فَمَنْ قال: ملأكا، فهو مَفْعَل من لأكَ إليه يَلأكُ: إذا أرْسَلَ إليه رِسالة ملأكة.

ومَنْ قال: مَألَكًا، فهو (مَفْعَل) من ألَكْت إليه آلِكه: إذا أرْسَلْت إليه مَألُكة وألوكًا، كما قال لَبيد بن رَبيعة:

وَغُــلام أرْسَــلَــتْــه أُمُّــه ... بِألـوكٍ فَـبَـذَلْـنـا مـا سَـألَ (١)

فَهذا من ألَكْت ومنه قول نابغة بَني ذُبْيان:

ألِكْـنـي يـا عُـيَـيْـنَ إلـيـك قـولاً ... سَـأُهْـديـه إلـيـك إلـيـك عَـنّـي (٢)

وَقال عبد بَني الحَسْحاس:

ألِكْني إليها عَمْرَكَ اللهَ يا فَتَى ... بِآيةِ ما جاءتْ إلينا تَهاديا (٣)

يَعْني بِذلك: أبْلِغها رِسالَتي. فَسُمّيَتِ المَلائِكة مَلائِكة بالرِّسالةِ، لأنَّها رُسُل الله بينه وبين أنْبيائِه ومَنْ أُرْسِلَتْ إليه من عِباده.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾

اختَلَفَ أهْل التَّأويل في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾، فَقال بعضهم: إنِّي فاعِل.

إحدى قصائد عدي، التي كان يكتبها إلى النعمان، لما حبسه في محبس لا يدخل عليه فيه أحد. يقول الشاعر: أيها المَلك أبلغ النعمان أنه قد طال حبسي وانتظاري.

(١) [الرمل]القائل: لَبيد بن ربيعة مالك أبو عقيل العامري. أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ. يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا. وسكن الكوفة وعاش عمرًا طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات. اللغة: قوله: (وغلام) مجرور بواو (رب). ألوك: رسالة. بذلنا: أعطينا. المعنى: يقول الشاعر: وقد أرسلت الأم غلامها تلتمس من معروف لبيد، فأعطاها ما سألت.

(٢) [الوافر]القائل: النابغَة الذُبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. تقدم. اللغة: ألكنى إليها: أبلغها رسالة مني، والرسالة: الألوك والمألكة. قوله: (إليك إليك) أي خذها. وقوله: (عني) أي مني. وقوله: (عيين) يعني عيينة بن حصن الفزاري، وكان أعان بني عبس على بني أسد حلفاء بني ذبيان (رهط النابغة). المعنى: يتوجه الشاعر في حديثه هنا إلى عيينة بن حصن الأنصاري فيقول له: أبلغك رسالة مني يا عيينة وهي أني سوف أهديك قولا تلقاه مني واقبله.

(٣) [الطويل] القائل: سحيم عبد حبشي اشتراه بنو الحسحاس وهم بطن من بني أسد. شاعر مجيد عرف بغزله الصريح وتشبيبه بنات أسياده. شاعر مخضرم أدرك الإسلام وأسلم وقد تمثل النبي ﷺبشيء من شعره، ويروى أنه تمثل قوله: (كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيا). وقد مات قتلاً في زمن عمر بن الخطاب. ويقال أن سبب مقتله هو قوله:

فَلَقَد تَحَدَّرَ مِن جَبينِ فَتاتِكُم ... عَرَقٌ عَلى ظَهرِ الفِراشِ وَطيبُ

وقد رويت في ذلك أخبار ظاهرها الوضع!! وفيها ما يمس منزلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

اللغة: ألكني إليها: أبلغها رسالة مني، والرسالة: الألوك والمألكة. بآية: بعلامة. وتهادى في مشيه: تمايل دلالا أو ضعفًا. المعنى: يقول الشاعر: أيها الفتى أبلغها مني رسالة بأنها ما جاءت إلينا قط تتمايل دلالا أو ضعفًا.

ذِكر مَن قال ذلك:

٥٩٦- **حدّثنا** القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن جَرير بن حازِم، ومُبارَك عن الحسن، وأبي بَكْر - يَعْني: الهُذَليّ - عن الحسن وقَتادةُ، قالوا: قال الله تعالىٰ ذكرُه لِلْمَلائِكةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قال لهم: إنِّي فاعِل[١].

وَقال آخَرونَ: إنِّي خالِق.

ذِكر مَن قال ذلك:

٥٩٧- **حُدِّثت** عن المِنْجاب بن الحارِث قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة عن أبي رَوْق، قال: كُلّ شَيْء في القُرْآن (جَعَل) فهو (خَلَق)[٢].

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: والصَّواب في تأويل قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إني مُسْتَخْلَفٌ فيها خَليفة ومُصيرٌ فيها خُلَفاء. وذلك شَبيهٌ بِتأويلِ قول الحسن وقَتادةُ.

وَقيلَ: إنَّ الأرْض التي ذَكَرها الله جلَّ ثناؤه في هذه الآية هي مَكّة.

ذِكر مَن قال ذلك:

٥٩٨- **حدّثنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا جَرير، عن عَطاء، عن ابن سابِطٍ أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: **«دُحِيَتْ الأرْض مِنْ مَكَّة وَكانَتْ الْمَلائِكَة تَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَهِيَ أَوَّل مَنْ طَافَ بِهِ، وَهِيَ الأَرْضِ الَّتِي قَالَ اللَّه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وَكَانَ النَّبِيّ إذَا هَلَكَ قَوْمه وَنَجا هُوَ وَالصَّالِحُونَ أَتَاها هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فَعَبَدُوا الله بِهَا حَتَّى يَمُوتُوا، فَإِنَّ قَبْر نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيبٍ بَيْن زَمْزَم وَالرُّكْن وَالْمَقَام»**[٣].

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿خَلِيفَةً﴾

والخَليفة الفَعيلة، من قولك: خَلَف فُلان فُلانًا في هذا الأمْر إذا قامَ مَقامه فيه بعده، كما قال تعالى ذكرُه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[يونس: ١٤] يَعْني بِذلك: أنَّه أبْدَلكم في الأرْض منهم فَجَعَلكم خُلَفاء بعدهم، ومن ذلك قِيلَ لِلسُّلْطانِ الأعْظَم: خَليفة. لأنَّه خَلَف الذي كان قَبْله، فَقامَ بالأمْرِ مَقامه، فَكان منه خَلَفًا، يُقال منه: خَلَف الخَليفة يَخْلُف خِلافة وخِلِّيفَى.

---

(١) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج، ومبارك بن فضاله ضعيف يدلس ويسوي.

(٢) [ضعيف] بشر بن عمارة الخثعمي المكتب الكوفي، ضعيف.

(٣) [ضعيف] عبد الرحمن بن سابط و قيل ابن عبد الله بن سابط (وهو الصحيح) و قيل ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن سابط القرشى الجمحى المكى ثقة، أرسل عن النبي صلى الله عليه و سلم وعن أبي بكر وعمر ومعاذ وجماعة من الصحابة كثيرا قاله في التهذيب.

وكان ابن إسحاق يقول بما:

٥٩٩- **حدثنا** به ابن حُمَيْدٍ، قال: حدثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ - يقول: ساكِنًا وعامِرًا يَسْكُنها ويَعْمُرُها خَلَفًا - لَيْسَ منكم [١].

وَلَيْسَ الذي قال ابن إسحاق في معنى الخليفة بتأويلِها، وإنْ كان الله تعالى ذكرُه إنَّما أَخْبَرَ مَلائِكَته أنَّه جاعِل في الأرْض خَليفة يَسْكُنها، ولَكِنْ معناها ما وصَفْت قَبْل.

فَإِنْ قال لنا قائِل: فَما الذي كان في الأرْض قَبْل بَني آدَم لها عامِرًا فكان بَنو آدَم بَدَلاً وفيها منه خَلَفًا؟

قِيلَ: قد اختَلَفَ أهل التَّأويل في ذلك.

٦٠٠- **فَحدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: أوَّل مَنْ سَكَنَ الأرْض الجِنّ، فَأفسَدوا فيها، وسَفَكوا الدِّماء، وقَتَلَ بعضهم بعضًا. قال: فَبَعَثَ الله إليهم إبليس في جُنْد من المَلائِكة، فَقَتَلَهم إبليس ومَنْ معه، حتَّى ألحَقوهم بِجَزائِر البُحور وأطراف الجِبال؛ ثُمَّ خَلَقَ آدَم فأسكَنَه إيَّاها، فَلِذلك قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [٢].

فَعلى هذا القول ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ من الجِنّ يَخْلُفونَهم فيها فَيَسْكُنونَها ويُعَمِّرونَها.

٦٠١- **حَدّثني** المُثَنَّى قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الآية، قال: إنَّ الله خَلَقَ المَلائِكة يوم الأرْبِعاء، وخَلَقَ الجِنّ يوم الخَميس، وخَلَقَ آدَم يوم الجُمُعة، قال: فَكَفَرَ قَوْم من الجِنّ، فَكانَتِ المَلائِكة تَهْبِط إليهم في الأرْض فَتُقاتِلهم، فَكانَتِ الدِّماء وكان الفَساد في الأرْض [٣].

وَقال آخَرونَ: في تأويل قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أيْ: خُلَفاء يَخْلُف بعضهم بعضًا، وهم ولَد آدَم الذينَ يَخْلُفونَ أباهم آدَم، ويَخْلُف كُلّ قَرْن منهم القَرْن الذي سَلَف قَبْله. وهذا قول حُكيَ عن الحسن البَصْريّ.

وَنَظير له ما:

٦٠٢- **حَدّثني** به مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: حَدَّثَنا سُفيان عن عَطاء بن السَّائِب، عن ابن سابِطٍ في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ قال: يَعْنونَ به بَني آدَم [٤].

---

(١) [ضعيف] سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري مولاهم أبو عبد الله الأزرق الرازي قاضي الري، ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٤) [صحيح] رجاله ثقات وسنده متصل.

٦٠٣- **حدثني** يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد قال الله لِلْمَلائِكَةِ: إنِّي أُريد أنْ أخْلُق في الأرْض خَلْقًا، وأجْعَل فيها خَليفة. ولَيْسَ لِلّه يومئِذٍ خَلْق إلاَّ المَلائِكة، والأرْض لَيْسَ فيها خَلْق (١).

وَهذا القول يَحْتَمِل ما حُكيَ عن الحسن، ويَحْتَمِل أنْ يكون أرادَ ابن زَيْد أنَّ الله تعالى ذكرُه أخْبَرَ المَلائِكة أنَّه جاعِل في الأرْض خَليفة له، يَحْكُم فيها بين خَلْقه بِحُكْمِه، نَظيرَ ما:

٦٠٤- **حدثني** به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس وعن مُرّة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: أنَّ الله جَلَّ ثَناؤه قال لِلْمَلائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا: رَبّنا وما يكون ذلك الخَليفة؟ قال: يكون له ذُرّيّة يُفْسِدونَ في الأرْض ويَتَحاسَدونَ ويَقْتُل بعضهم بعضًا (٢).

فَكان تأويل الآية على هذه الرّواية التي ذَكَرْناها عن ابن مسعود وابن عَبَّاس: إنّي جاعِل في الأرْض خَليفة مِنّي يَخْلُفني في الحُكْم بين خَلْقي، وذلك الخَليفة هو آدم ومَنْ قامَ مَقامه في طاعة الله والحُكْم بالعَدْلِ بين خَلْقه. وأمَّا الإفساد وسَفْك الدِّماء بِغَيْرِ حَقّها فَمن غَيْر خُلَفائِه، ومن غَيْر آدَم ومَنْ قامَ مَقامه في عِباد اللّه؛ لأنَّهُما أخْبَرا أنَّ الله جتعالى ذكره قال لِمَلائِكَتِه إذْ سَألوه: ما ذاكَ الخَليفة: إنَّه خَليفة تكون له ذُرّيّة يُفْسِدونَ في الأرْض ويَتَحاسَدونَ ويَقْتُل بعضهم بعضًا. فَأضافَ الإفساد وسَفْك الدِّماء بِغَيْرِ حَقّها إلى ذُرّيّة خَليفَته دونه وأخْرَجَ منه خَليفَته.

وَهذا التّأويل وإنْ كان مُخالِفًا في معنى الخَليفة ما حُكيَ عن الحسن من وجه، فَموافِق له من وجه. فَأمَّا موافَقَته إيَّاه فَصَرْف مُتأوّليه إضافة الإفساد في الأرْض وسَفْك الدِّماء فيها إلى غَيْر الخَليفة. وأمَّا مُخالَفَته إيَّاه فَإضافَتُهم الخِلافة إلى آدَم بِمعنى استِخْلاف الله إيَّاه فيها، وإضافة الحسن الخِلافة إلى ولَده بِمعنى خِلافة بعضهم بعضًا، وقيام قَرْن منهم مَقام قَرْن قَبْلهم، وإضافة الإفساد في الأرْض وسَفْك الدِّماء إلى الخَليفة.

والذي دَعا المُتأوّلينَ قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ التَّأويل الذي ذُكِرَ عن الحسن - إلى ما قالوا في ذلك، أنَّهم قالوا: إنَّ المَلائِكة إنَّما قالتْ لِرَبِّها - إذْ قال لهم رَبّهمْ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ -: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ إخبارًا منها بِذلك عن الخَليفة

---

(١) [صحيح]عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري أبو محمد المصري الفقيه مولى يزيد بن زمانة مولى يزيد بن أنيس أبي عبد الرحمن الفهري، أحد الأعلام، يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص بن حيان الصدفي أبو موسى المصري وأمه فليحة بنت أبان بن زياد بن نافع التجيبي مولى بني الأواب من تجيب أحد الأئمة ثقة فقيه محدث مقرئ من العقلاء النبلاء.

(٢) [ضعيف]أسباط بن نصر الهمداني أبو يوسف ويقال: أبو نصر الكوفي، قال أبو حاتم سمعت أبا نعيم يضعف أسباط بن نصر، وقال: أحاديثه عامته سقط مقلوب الأسانيد. قال حرب بن إسماعيل: قلت لأحمد: كيف حديثه؟قال: ما أدرى، و كأنه ضعفه. قال النسائي: ليس بالقوى.

الذي أخْبَرَ الله جلَّ ذكرُه أنَّه جاعِله في الأرْض لا عن غَيْره؛ لأنَّ المُحاوَرة بين المَلائِكة وبين رَبِّها عنه جَرَتْ.

قالوا: فَإذ كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكرُه قد بَرَّأ آدَم من الإفساد في الأرْض وسَفْك الدِّماء وطَهَّرَه من ذلك، عُلِمَ أنَّ الذي عَنَى به غَيْره من ذُرِّيَّته، فَثَبَتَ أنَّ الخَليفة الذي يُفْسِد في الأرْض ويَسْفِك الدِّماء هو غَيْر آدَم، وأنَّهم ولَده الذينَ فَعَلوا ذلك، وأنَّ معنى الخِلافة التي ذَكَرها الله إنَّما هي خِلافة قَرْن منهم قَرْنًا غَيْرهم لِما وصَفْنا. وأغْفَلَ قائِلو هذه المَقالة ومُتأوِّلو الآية هذا التَّأويل سَبيل التَّأويل، وذلك أنَّ المَلائِكة - إذْ قال لها رَبُّها: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾- لم تُضِفِ الإفساد وسَفْكَ الدِّماء في جَوابها رَبَّها إلى خَليفته في أرْضه، بل قالتْ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، رغَيْر مُنْكَر أنْ يكون رَبُّها أعْلَمَها أنَّه يكون لِخَليفَتِه ذلك ذُرِّيَّة يكون منهم الإفساد وسَفْك الدِّماء، فَقالتْ: يا رَبَّنا أتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِد فيها ويَسْفِك الدِّماء؟ كما قال ابن مسعود وابن عَبَّاس، ومَنْ حَكَيْنا ذلك عنه من أهل التَّأويل.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه خبرًا عن ملائكته: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: إنْ قال قائِل: وكيفَ قالتِ المَلائِكة لِرَبِّها إذْ أخْبَرَها أنَّه جاعِل في الأرْض خليفة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ولم يَكُنْ آدم بعدُ مَخلوقًا ولا ذُرِّيَّته، فَيَعْلَموا ما يَفْعَلونَ عِيانًا؟ أعَلِمَتِ الغَيْب فقالتْ ذلك، أم قالتْ ما قالتْ من ذلك ظَنًّا؟ فَذلك شَهادة منها بالظَّنّ وقولٌ بِما لا تَعْلَم، وذلك لَيْسَ من صِفَتها، أم ما وجه قِيلِها ذلك لِرَبِّها؟

قِيلَ: قد قالتِ العُلَماء من أهل التَّأويل في ذلك أقْوالاً؛ ونَحْنُ ذاكِرو أقْوالِهم في ذلك، ثُمَّ مُخْبِرونَ بِأصَحِّها بُرْهانًا وأوضَحِها حُجَّةً.

فَروِيَ عن ابن عَبّاس في ذلك ما:

٦٠٥- **حَدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: كان إبليس من حَيّ من أحياء المَلائِكة، يُقال لهم: (الجِنّ). خُلِقوا من نار السَّموم من بين المَلائِكة. قال: وكان اسمه الحارِث. قال: وكان خازنًا من خُزَّانِ الجَنَّة. قال: وخُلِقَتِ المَلائِكة كُلُّهم من نور غَيْر هذا الحَيّ. قال: وخُلِقَتِ الجِنُّ الذينَ ذُكِروا في القُرْآن من مارِج من نار - وهو لِسان النَّار الذي يكون في طَرَفها إذْ أُلْهِبَتْ - قال: وخُلِقَ الإنْسان من طين، فَأوَّلُ مَنْ سَكَنَ الأرْض الجِنُّ، فَأفسَدوا فيها وسَفَكوا الدِّماء، وقَتَلَ بعضهم بعضًا. قال: فَبَعَثَ الله جلَّ وعزَّ إليهم إبليسَ في جُنْد من المَلائِكة - وهم هذا الحَيّ الذينَ يُقال لهم (الجِنّ) - فَقَتَلَهم إبليس ومَنْ معه حتَّى ألْحَقهم بِجَزائِر البُحور وأطراف الجِبال. فَلَمَّا فَعَلَ إبليس ذلك، اغْتَرَّ في نَفْسه، وقال: قد صَنَعْت شَيْئًا لم يَصْنَعه أحَد. قال: فاطَّلَعَ الله على ذلك من قَلْبه، ولم تَطَّلِع عليه المَلائِكةُ الذينَ كانوا معهُ؛ فَقال الله جلَّ ثناؤه

لِلْمَلائِكةِ الذينَ معه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقالتِ المَلائِكة مُجيبينَ له: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ كما أفسَدَتِ الجِنُّ وسَفَكَتِ الدِّماء؟ وإنّما بعثْتنا عليهم لِذلك. فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: إنِّي قد اطَّلَعْت من قَلْب إبليسَ على ما لم تَطَّلِعوا عليه من كِبْره واغتِراره، قال: ثُمَّ أمَرَ بِتُرْبةِ آدم فَرُفِعَتْ، فَخلَقَ الله آدم من طين لازِب - واللَّازِب: اللَّزِج الطَّيِّبُ - من حَمَأ مسنون مُنْتِن. قال: وإنّما كان حَمَأً مسنونًا بعد التُّراب. قال: فَخَلَقَ منه آدم عليه السلام بيَدِه. قال فَمَكَثَ أربَعينَ لَيْلة جَسَدًا مُلْقًى، فكان إبليس يَأتيه فيَضْربه بِرِجْلِه فَيُصَلْصِل - أي: فَيُصَوِّت - قال: فهو قول الله تعالى ذكره: ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] يقول: كالشَّيْءِ المَنْفوخ الذي لَيْسَ بِمُصْمَتٍ. قال: ثُمَّ يَدْخُل في فيه ويَخْرج من دُبُره، ويَدْخُل من دُبُره ويَخْرُج من فيه، ثُمَّ يقول: لَسْتَ شَيْئًا لِلصَّلْصَلةِ، ولِشَيْءٍ ما خُلِقْت! لَئِنْ سُلِّطت عليك لأُهلِكَنَّكَ، ولَئِنْ سُلِّطْت عَلَيَّ لأَعْصِيَنَّكَ.

قال: فَلَمَّا نَفَخَ الله فيه من روحه، أتَتِ النَّفْخة من قِبَل رَأسه، فَجَعَلَ لا يجْري شَيْء منها في جَسَده إلاَّ صارَ لَحْمًا ودَمًا. فَلَمَّا انتَهتِ النَّفْخة إلى سُرَّته نَظَرَ إلى جَسَده، فَأعْجَبَه ما رَأى من حُسْنه، فَذَهَبَ لِيَنْهَض فلم يَقْدِر، فهو قول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] قال: ضَجِرًا لا صَبْر له على سَرَّاء ولا ضَرَّاء. قال: فَلَمَّا تَمَّتِ النَّفْخةُ في جَسَده عَطَسَ فَقال: الحمد لِلَّه رَبِّ العالَمينَ. بِإلْهام الله له. فَقال الله له: يَرْحَمك الله يا آدَم. قال: ثُمَّ قال الله لِلْمَلائِكةِ الذينَ كانوا مع إبليس خاصّة دون المَلائِكة الذينَ في السَّماوات: اسجُدوا لِآدَم. فَسَجَدوا كُلُّهم أجْمَعونَ إلاَّ إبليس أبَى واستَكْبَرَ، لَمَّا كان حَدَّثَ به نَفْسَهُ من كِبْره واغْتِراره، فَقال: لا أسجُد له وأنا خَيْر منه وأكْبَر سِنًّا وأقْوَى خَلْقًا، ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. يقول: إنَّ النَّار أقْوَى من الطِّين. قال: فَلَمَّا أبَى إبليس أنْ يَسْجُد أبْلَسَه اللَّه، آيَسَه من الخَيْر كُلِّه، وجَعَلَه شَيْطانًا رَجيمًا عُقوبة لِمعصيَتِه.

ثُمّ عَلَّمَ آدمَ الأسماء كُلَّها، وهيَ هذه الأسماءُ التي يَتَعارَفُ بها النَّاسُ، إنْسانٌ ودابةٌ وأرْضٌ وسَهْلٌ وبَحْرٌ وجَبَلٌ وحِمارٌ، وأشباهُ ذلك مِن الأُمَم وغَيْرِها، ثُمَّ عَرَضَ هذه الأسماءَ على أولَئِكَ المَلائِكة - يَعْني المَلائِكة الذينَ كانوا مع إبليسَ الذينَ خُلِقوا من نارِ السَّموم - وقال لهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾. يقول: أخْبِروني بِأسماءِ هؤلاء، ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: إنْ كُنْتُم تَعْلَمونَ لِمَ أجْعَلُ في الأرْض خَليفة. قال: فَلَمَّا عَلِمَتِ المَلائِكةُ مُؤاخَذةَ اللهِ عليهم فيما تَكَلَّموا به من عِلْم الغَيْبِ الذي لا يَعْلَمُه غَيْرُه، الذي لَيْسَ لهم به عِلْمٌ، قالوا: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ - تَنْزيهًا لِلَّهِ من أنْ يكون أحَدٌ يَعْلَم الغَيْب غَيْرُه - تُبنا إليك، ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ - تَبَرِّيًا منهم من عِلْم الغَيْب - ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ كما عَلَّمْت آدم. فَقال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾. يقول: أخْبِرْهم بِأسمائِهم، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ أيها المَلائِكة خاصَّة: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ولا يَعْلَمه غَيْري، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾. يقول: ما تُظْهِرونَ، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. يقول: أعْلَمُ السِّرَّ كما أعْلَمُ

العَلانيةَ، يَعْني ما كَتَمَ إبليسُ في نَفْسه من الكِبْرِ والاغْتِرار(١).

وَهذه الرِّوايةُ عن ابن عَبَّاسٍ تُنْبِئُ عن أنَّ قول الله تعالى ذكرُه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. خِطابٌ مِنَ اللهِ عزَّ وجَلَّ لِخاصٍّ من المَلائِكة دونَ الجَميع، وأن الذينَ قِيلَ لهم ذلك من المَلائِكة كانوا قَبيلةَ إبليس خاصَّةً، الذينَ قاتَلوا معه جِنَّ الأرْضِ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ، وأن اللهَ إنَّما خَصَّهم بِقيْلِ ذلك امْتِحانًا منه لهم وابْتِلاءً؛ ليُعَرِّفَهم قُصورَ عِلْمِهم وفَضْلَ كَثيرٍ مِمَّنْ هو أضْعَفُ خَلْقًا منهم من خَلْقه عليهم، وأنّ كَرامَته لا تُنالُ بِقُوَى الأبْدانِ وشِدَّةِ الأجْسامِ، كما ظَنَّه إبليسُ عَدوُّ اللهِ، ومُصَرِّحٌ بِأنّ قِيلَهم لِرَبِّهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾. كانتْ هَفْوةً منهم ورَجْمًا بالغَيْبِ، وأنَّ اللهَ أطلَعَهم على مَكْروهِ ما نَطَقوا به من ذلك، ووَقَفَهم عليه حتَّى تابوا وأنابوا إليه مِمَّا قالوا ونَطَقوا من رَجْمِ الغَيْبِ بالظُّنونِ، وتَبَرَّءُوا إليه أنْ يَعْلَمَ الغَيْبَ غَيْرُه، وأظْهَرَ لهم مِن إبليسَ ما كان مُنْطَوِيًا عليه من الكِبْرِ الذي قد كان عنهم مُسْتَخْفِيًا.

وَقد رويَ عن ابن عَبّاس خِلاف هذه الرّواية، وهو ما:

٦٠٦- **حَدَّثَني** به موسى بن هارونَ قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حماد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّديِّ في خَبَرٍ ذَكَرَه عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرَّةَ، عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ: لما فرَغ اللهُ من خلق ما أحَبَّ، استوى على العرش فجعَل إبليسَ على مُلْكِ سَماءِ الدُّنيا، وكان من قَبيلةٍ من المَلائِكة يُقال لهم الجِنُّ. وإنَّما سُمُّوا الجِنَّ لأنهم خُزَّانُ الجَنَّةِ، وكان إبليسُ مع مُلْكه خازِنًا، فَوَقَعَ في صَدْره كِبْرٌ، وقال: ما أعْطاني اللهُ هذا إلاَّ لِمَزيدٍ لي - هَكَذا قال موسَى بن هارونَ(٢). وقد:

٦٠٧- **حَدَّثَني** به غَيْرُه فقال: لِمَزِيَّةٍ لي - على المَلائِكة. فَلَمَّا وقَعَ ذلك الكِبْرُ في نَفْسه، اطَّلَعَ اللهُ على ذلك منه، فَقال اللهُ لِلْمَلائِكةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. قالوا: رَبَّنا وما يكون ذلك الخَليفةُ؟ قال: يكون له ذُريةٌ يُفْسِدونَ في الأرْض ويَتَحاسَدونَ ويَقْتُل بعضُهم بعضًا. قالوا: رَبَّنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. يَعْني من شَأن إبليس. فَبَعَثَ جِبْريل عليه السلامُ إلى الأرْض ليَأتيَه بِطينٍ منها، فَقالتِ الأرْضُ: إنّي أعوذُ باللّه منك أنْ تَنْقُصَ مِنّي أو تَشينَني. فَرَجَعَ ولم يَأخُذ وقال: رَبِّ إنَّها

---

(١) [ضعيف] الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم ويقال: أبو محمد الخراساني أخو محمد بن مزاحم ومسلم بن مزاحم، عن ابن عباس مرسل، قال ابن عدي: رواياته عن ابن عباس، وأبي هريرة، وجميع من روى عنه، ففي ذلك كله نظر. اهـ قال أبو أسامة، عن المعلى، عن شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة: قلت للضحاك: سمعت من ابن عباس؟قال: لا. قلت: فهذا الذي تحدثه عن من أخذته؟قال: عن ذا، وعن ذا. اهـ قال أبو داود الطيالسي، عن شعبة: حدثني عبد الملك بن ميسرة، قال: الضحاك لم يلق ابن عباس، إنما لقى سعيد بن جبير بالري، فأخذ عنه التفسير. اهـ قال أبو قتيبة سلم بن قتيبة، عن شعبة: قلت لمشاش: الضحاك سمع من ابن عباس؟قال: ما رآه قط. اهـ وبشر بن عمارة الخثعمي المكتب الكوفي، ضعيف.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

عاذَتْ بِك فأعَذْتُها. فَبَعَثَ اللهُ ميكائيل، فعاذَتْ منه فأعاذَها، فَرَجَعَ فقال كما قال جِبْرِيلُ، فَبَعَثَ مَلَكَ الموت، فعاذَتْ منه، فقال: وأنا أعوذ باللّه أنْ أرْجِعَ ولم أُنفِذْ أمْرَه. فأخَذَ من وجه الأرْض وخَلَطَ، فلم يَأخُذ من مَكانٍ واحِد، وأخَذَ من تُرْبةٍ حَمْراء وبَيْضاء وسَوْداء، فَلِذلك خَرَجَ بَنو آدَم مُخْتَلِفينَ، فَصَعِدَ به فَبَلَّ التُّراب حتّى عادَ طينًا لازِبًا - واللّازِبُ: هو الذي يَلْتَزِقُ بعضُه ببعضٍ - ثُمَّ تُرِكَ حتّى أنْتَنَ وتَغَيَّرَ، وذلك حين يقولُ: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]. قال: مُنْتِن. ثُمَّ قال لِلْمَلائِكةِ: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٢]. فَخلَقَه اللهُ بيَدَيْه، لِكَيْلا يَتَكَبَّر إبليسُ عنه ليقولَ له: تَتَكَبَّرُ عَمَّا عمِلْتُ بيَدَيَّ ولم أتَكَبَّر أنا عنه؟ فَخَلَقَه بَشَرًا، فكان جَسَدًا من طين أرْبَعينَ سَنَةً من مِقْدار يوم الجُمُعة. فَمَرَّتْ به المَلائِكةُ فَفَزِعوا منه لَمَّا رَأوه، وكان أشَدَّهم منه فَزَعًا إبليسُ، فكان يَمُرُّ فَيَضْرِبُه، فَيُصَوِّتُ الجَسَدُ كما يُصَوِّتُ الفَخّارُ، وتَكون له صَلْصَلةٌ، فَذلك حين يقول: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]. ويقولُ: لأمْرٍ ما خُلِقْت. ودَخَلَ من فيه فَخَرَجَ من دُبُره، فقال لِلْمَلائِكةِ: لا تَرْهَبوا من هذا، فإنّ رَبَّكم صَمَدٌ وهذا أجْوَفُ، لَئِنْ سُلِّطْتُ عليه لأهلِكَنَّهُ. فَلَمَّا بَلَغَ الحين الذي يُريد الله جَلَّ ثَناؤه أنْ يَنْفُخ فيه الرّوح، قال لِلْمَلائِكةِ: إذا نَفَخْتُ فيه من رُوحي فاسجُدوا لهُ. فَلَمَّا نَفَخَ فيه الرّوحَ فَدَخَلَ الرّوح في رَأسه عَطَسَ، فقالتْ له المَلائِكة: قُلْ: الحمد لِلّهِ. فقال: الحمد لِلّه. فقال له اللّه: رَحِمَك رَبّك. فَلَمَّا دَخَلَ الرّوح في عَيْنَيْه، نَظَرَ إلى ثِمار الجَنَّة، فَلَمَّا دَخَلَ في جَوْفه اشْتَهَى الطَّعام، فَوَثَبَ قَبْل أنْ تَبْلُغ الرّوح رِجْلَيْه عَجْلانَ إلى ثِمار الجَنَّةِ، فَذلك حين يقول: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٠-٣١] أي: استَكْبَرَ وكان من الكافِرينَ. قال الله له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ إذْ أمَرْتُك ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]؟ ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [ص: ٧٦] لم أكُنْ لأسجُد لِبَشَرٍ خَلَقْته من طين. قال الله له: اخرج منها فما يكون لك - يَعْني: ما يَنْبَغي لَك - ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣] والصَّغار هو الذُّلّ. قال: وعَلَّمَ آدَم الأسماء كُلّها، ثُمَّ عَرَضَ الخَلْق على المَلائِكة فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنّ بَني آدم يُفْسِدونَ في الأرْض ويَسْفِكونَ الدِّماء. فقالوا له: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾. قال اللّه: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ قال: قولُهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فهذا الذي أبْدَوْا، وأعْلَم ما كُنتُم تكتُمونَ، يَعْني: ما أسَرَّ إبليس في نَفْسه من الكِبْر[1].

فَهذا الخَبَر أوَّلُه مَخالِف معناه معنى الرِّواية التي رويَتْ عن ابن عَبّاس من رِواية الضَّحّاك التي قد قَدَّمنا ذِكْرها قَبْل، وموافِق معنى آخِره معناها؛ وذلك أنَّه ذُكِرَ في أوّلِه أنّ المَلائِكة سَألَتْ رَبَّها: ما ذاكَ الخَليفة؟ حين قال لها: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فأجابَها أنَّه تَكون له ذُرّيّة

(١) [ضعيف] تقدم قبله.

يُفسِدونَ في الأرْضِ ويَتحاسَدونَ ويَقْتُل بعضهم بعضًا. فَقالتِ المَلائِكة حينَئِذٍ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾؟! فَكان قول المَلائِكة ما قالتْ لِرَبِّها من ذلك بعد إعْلام اللهِ إيَّاها أنَّ ذلك كائِن من ذُرِّيّة الخَليفةِ الذي يجْعَله في الأرْض، فَذلك معنى خِلاف أوَّلِه معنى خَبَر الضَّحَّاك الذي ذَكَرْناه.

وَأمَّا موافَقَته إيَّاه في آخِره، فهو قولهم في تأويل قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ بَني آدَم يُفْسِدونَ في الأرْض ويَسْفِكونَ الدِّماء، وأنَّ المَلائِكة قالتْ - إذْ قال لها رَبّها ذلك - تَبَرِّيًا من عِلْم الغَيْب: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وَهذا إذا تَدَبَّرَه ذو الفَهْم، عَلِمَ أنَّ أوَّله يُفْسِد آخِره، وأنَّ آخِره يُبطل معنى أوَّلِه؛ وذلك أنَّ الله تعالى ذكرُه إنْ كان أخْبَرَ المَلائِكة أنَّ ذُرِّيّة الخَليفة الذي يجْعَله في الأرْض تُفْسِد فيها وتَسْفِك الدِّماء، فَقالتِ المَلائِكة لِرَبِّها: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فلا وجه لِتَوْبيخِها على أنْ أَخْبَرَتْ عَمَّنْ أخْبَرَها الله عنه أنَّه يُفْسِد في الأرْض ويَسْفِك الدِّماء بِمِثْلِ الذي أخْبَرَها عنهم رَبّها، فَيجوز أنْ يُقال لها فيما طَوَى عنها من العُلوم إنْ كُنْتُم صادِقينَ فيما عَلِمْتُم بِخَبَرِ الله إيَّاكُم أنَّه كائِن من الأُمور، فَأَخْبَرْتُم به، فَأَخْبِرونا بالذي قد طَوَى الله عنكُم عِلْمه، كما قد أخْبَرْتُمونا بالذي قد أطْلَعَكُم اللهُ على علمهِ - بل ذلك خُلْف من التَّأويل، ودَعْوَى على الله ما لا يجوز أنْ يكون له صِفة.

وأخْشَى أنْ يكون بعض نَقَلة هذا الخَبَر هو الذي غَلَط على مَنْ رَواه عنه من الصَّحابة، وأنْ يكون التَّأويل منهم كان في ذلك: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما ظَنَنْتُم أنَّكُم أدْرَكْتُموه من العِلْم بِخَبَري إيَّاكُم أنَّ بَني آدَم يُفْسِدونَ في الأرْض ويَسْفِكونَ الدِّماء، حتَّى استَجَزْتُم أنْ تَقولوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فيكون التَّوْبيخ حينَئِذٍ واقِعًا على ما ظَنّوا أنَّهم قد أدْرَكوا بِقولِ الله لهم: إنَّه يكون له ذُرِّيّة يُفْسِدونَ في الأرْض ويَسْفِكونَ الدِّماء. لا على إخبارهم بِما أخْبَرَهم الله به أنَّه كائِن، وذلك أنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤه وإنْ كان أخْبَرَهم عَمَّا يكون من بعض ذُرِّيّة خَليفَته في الأرْض، ما يكون منه فيها من الفَساد وسَفْك الدِّماء، فقد كان طَوَى عنهم الخَبَر عَمَّا يكون من كَثير منهم بما يكون من طاعَتهم رَبّهم وإصْلاحِهم في أرْضه وحَقْن الدِّماء ورَفْعهِ مَنْزِلَتهم وكَرامَتهم عليه، فَلم يُخْبِرهم بِذلك، فَقالتِ المَلائِكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ على ظَنٍّ منها - على تأويل هَذَيْنِ الخَبَرَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْتُ، وظاهِرهما - أنَّ جَميع ذُرِّيّة الخَليفة الذي يُجْعَلُ في الأرْض يُفْسِدونَ فيها ويَسْفِكونَ فيها الدِّماء. فَقال الله لهم إذْ عَلَّمَ آدَم الأسماء كُلَّها: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّكم تَعْلَمونَ أنَّ جَميع بَني آدَم يُفْسِدونَ في الأرْض ويَسْفِكونَ الدِّماء، على ما ظَنَنْتُم في أنْفُسكُم. إنْكارًا منه لِقيلِهم ما قالوا من ذلك على الجَميع والعُموم، وهو من صِفة خاصّ ذُرِّيّة الخَليفة منهم. وهذا الذي ذَكَرْنا هو صِفة مِنَّا لِتأويلِ الخَبَر لا القول الذي نَخْتاره في تأويل الآية.

وَمِمَّا يَدُلُّ على ما ذَكَرنا من تَوجيه مخرج خَبَر المَلائِكة عن إفساد ذُرِّيَّة الخَليفة وسَفكها الدِّماء على العُموم، ما:

٦٠٨- **حدَّثنابه** أحمَد بن إسحاق الأهوازيُّ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، عن عَطاء بن السَّائِب، عن عبد الرَّحْمَن بن سابِطٍ، قوله: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قال: يَعْنونَ النَّاس [١].

وَقال آخَرونَ في ذلك بما:

٦٠٩- **حدَّثنابه** بِشْر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حدَّثنا سَعيدٌ، عن قَتادةَ قولَه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فاستَشارَ المَلائِكة في خَلْق آدَم، فَقالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ وقد عَلِمَتِ المَلائِكةُ من عِلْم الله أنَّه لا شَيْء أكْرَهُ إلى الله من سَفْك الدِّماء والفَساد في الأرض، ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. فَكان في عِلْم اللهِ أنَّه سَيكونُ من تلك الخَليفةِ أنبياءُ ورُسُل، وقَوْم صالِحونَ، وساكِنو الجَنَّة. قال: وذُكِرَ لنا أنَّ ابن عَبَّاس كان يقول: إنَّ الله لَما أخَذَ في خَلْق آدَم قالتِ المَلائِكة: ما اللهُ خالِقٌ خَلْقًا أكْرَم عليه مِنَّا، ولا أعْلَم مِنَّا. فابتُلوا بِخَلْقِ آدَم - وكُلّ خَلْقٍ مُبْتَلًى - كما ابْتُلِيَتِ السَّمواتُ والأرْضُ بالطَّاعةِ، فقال اللهُ: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] [٢].

وَهذا الخَبَر عن قَتادةَ يَدُلّ على أنَّ قَتادةَ كان يَرَى أنَّ المَلائِكة قالتْ ما قالتْ من قولها: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ على غَيْرِ يَقين عِلْم تَقَدَّمَ منها بِأنَّ ذلك كائِن؛ ولَكِنْ على الرَّأي منها والظَّنّ، وأنَّ الله جَلَّ ثَناؤه أنْكَرَ ذلك من قِيلِها ورَدَّ عليها ما رَأتْ بِقولِه: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أنَّه يكون من ذُرِّيَّة ذلك الخَليفةِ الأنبياء والرُّسُلُ والمُجْتَهِد في طاعة اللَّه.

وَقد رويَ عن قَتادةَ خِلاف هذا التَّأويل، وهو ما:

٦١٠- **حدَّثنابه** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ قال: كان الله أعْلَمَهم إذا كان في الأرض خَلْقٌ أفسَدوا فيها وسَفَكوا الدِّماء، فَذلك قوله: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [٣].

وَبِمِثْلِ قول قَتادةَ قال جَماعةٌ من أهل التَّأويل، منهم الحسن البِصْريّ.

٦١١- **حدَّثنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن جَرير بن حازِم، ومُبارَك عن الحسن وأبي بَكْر عن الحسن، وقَتادةُ قالا: قال الله لِمَلائِكَتِه: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قال لهم إنِّي فاعِل. فَعَرَضوا بِرَأيِهم، فَعَلَّمَهم عِلْمًا وطَوَى عنهم عِلْمًا عَلِمَه لا يَعْلَمونه،

(١) [صحيح] رجاله كلهم ثقات وسنده متصل.

(٢) [حسن] بشر بن معاذ العقدي أبو سهل البصري الضرير، صدوق.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

فَقالوا بالعِلْم الذي عَلَّمَهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ - وقد كانتِ المَلائِكة عَلِمَتْ من عِلْم الله أنَّه لا ذَنْب أعْظَم عند الله من سَفْك الدِّماء ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. فلَمَّا أخَذَ في خَلْق آدم، هَمَسَتِ المَلائِكة فيما بينها، فقالوا: ليَخْلُق رَبُّنا ما شاءَ أنْ يَخْلُق، فَلَنْ يَخْلُق خَلْقًا إلاَّ كُنَّا أعْلَم منه، وأكْرَم عليه منه. فَلَمَّا خَلَقَه ونَفَخَ فيه من روحه، أمَرَهم أنْ يَسْجُدوا له لِما قالوا، فَفَضَّله عليهم، فَعَلِموا أنَّهم لَيْسوا بِخَيْرٍ منه، فقالوا: إنْ لم نَكُنْ خَيْرًا منه فَنَحْنُ أعْلَم منه، لأنَّا كُنَّا قَبْله، وخُلِقَتِ الأُمَم قَبْله. فَلَمَّا أُعْجِبوا بِعِلْمِهم ابْتُلوا ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ أنِّي لا أخْلُق خَلْقًا إلاَّ كُنْتُم أعْلَم منه، فأخْبِروني بِأسماءِ هؤلاء إنْ كُنْتُم صادِقِينَ، قال: فَفَزِعَ القَوْم إلى التَّوْبة - وإليها يَفْزَع كُلُّ مُؤمِن - فَقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ لِقولِهم: لِيَخْلُق رَبُّنا ما شاء فَلَنْ يَخْلُق خَلْقًا أكْرَم عليه مِنَّا ولا أعْلَم مِنَّا. قال: عَلَّمَه اسم كُلِّ شَيْءٍ؛ هذه الخيل وهذه البِغالُ، والإبِلُ، والجِنُّ، والوَحْش، وجَعَلَ يُسَمِّي كُلَّ شَيْءٍ باسمِه، وعُرِضَتْ عليه أُمَّةً أُمَّةً: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. قال: أمَّا ما أبْدَوْا فَقولُهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾. وأمَّا ما كَتَموا فَقول بعضهم لِبعضٍ: نَحْنُ خَيْر منه وأعْلَم[١].

٦١٢ - حدَّثني المُثَنَّى بن إبراهيم الآمُلي، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس في قوله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الآية. قال: إنَّ الله خَلَقَ المَلائِكة يوم الأرْبِعاء وخَلَقَ الجِنَّ يوم الخَميس، وخَلَقَ آدم يوم الجُمُعة. قال: فَكَفَرَ قَوْم من الجِنِّ، فَكانتِ المَلائِكة تَهْبِط إليهم في الأرْض فَتُقاتِلُهم، فَكانتِ الدِّماء، وكان الفَساد في الأرض، فَمِن ثَمَّ قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآية[٢].

٦١٣ - حُدِّثْت عن عَمَّار بن الحسن، قال: حدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنس، بِمِثْلِه[٣].

٦١٤ - حُدِّثْت عن عَمَّار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن غيرِ الرَّبيع بنِ أنس: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾. قال: وذلك حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. قال: فَلَمَّا عَرَفوا أنَّه جاعِلٌ في الأرْض خَليفة قالوا بينهم: لَنْ يَخْلُق اللهُ خَلْقًا إلاَّ كُنَّا نَحْنُ أعْلَم منه وأكْرَم. فَأرادَ الله جلَّ ذكرُه أنْ يُخْبِرهم أنَّه قد فَضَّلَ عليهم آدم، وعَلَّمَ

(١) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.
(٢) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.
(٣) [ضعيف] من أجل أنَّ المصنف علقه ولم يسنده.

آدم الأسماء كُلّها، فقال لِلْمَلائِكةِ: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فكان الذي أَبْدَوْا حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ وكان الذي كَتَموا بينهم قولهم: لَنْ يَخلُق ربُّنا خَلقًا إلاَّ كُنَّا نَحْنُ أَعْلَم منه وأكْرَم. فعَرَفوا أنَّ الله فَضَّلَ عليهم آدَم في العِلْم والكَرَم[1].

وَقال ابن زَيْد بما:

٦١٥- **حَدَّثني** به يونُس بن عبد الأعْلَى قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: لَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّار ذُعِرَتْ منها المَلائِكة ذُعْرًا شَديدًا، وقالوا: رَبنا لِمَ خَلَقْت هذه النَّار، ولأيِّ شَيْء خلَقْتها؟ قال: لِمَنْ عَصاني من خَلْقي. قال: ولم يكُنْ لِلَّه خَلق يومئِذٍ إلاَّ المَلائِكة، والأرْض لَيْسَ فيها خَلْق، إنَّما خُلِقَ آدَم بعد ذلك. وقَرَأ قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] قال: قال عُمَر بن الخَطَّاب: يا رَسول الله لَيْتَ ذلك الحين. ثُمَّ قال: وقالتِ المَلائِكة: يا رَبّ أوَ يَأتي علينا دَهْر نَعْصيك فيه؟! - لا يَرَوْنَ له خَلْقًا غَيْرهم - قال: لا، إنِّي أُريد أنْ أخْلُق في الأرْض خَلْقًا وأجْعَل فيها خَليفةً يَسْفِكونَ الدِّماء ويُفْسِدونَ في الأرْض. فَقالتِ المَلائِكة: أَتَجْعَلُ في الأرضِ مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وقد اختَرْتنا؟ فاجْعَلْنا نَحْنُ فيها فَنَحْنُ نُسَبِّح بِحَمْدِك ونُقَدِّس لَك ونَعْمَل فيها بِطاعَتِك. وأعْظَمَتِ المَلائِكة أنْ يجْعَل الله في الأرْض مَنْ يَعْصيه. فَقال: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾. فَقال: فُلان، وفُلان. قال: فَلَمَّا رَأوا ما أعْطاه الله من العِلْم عليهم، أقَرّوا لِآدَم بالفَضْلِ عليهم، وأبَى الخَبيثُ إبليس أنْ يُقِرَّ له، قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٢-١٣][2].

وَقال ابن إسحاق بما:

٦١٦- **حَدَّثَنا** به ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل عن مُحَمَّد بن إسحاق، قال: لَمَّا أرادَ الله أنْ يَخلُق آدم بِقُدْرَتِه لِيَبْتَليه ويَبْتَلي به؛ لِعِلْمِه بما في مَلائِكته وجَميع خَلْقه - وكان أوَّل بَلاء ابْتُلِيَتْ به المَلائِكة مِمَّا لها فيه ما تُحِبّ وما تَكْرَه لِلْبَلاءِ والتَّمْحيص لِما فيهم مِمَّا لم يَعْلَموا وأحاطَ به عِلْم الله منهم - جَمع المَلائِكة من سُكَّان السَّموات والأرْض، ثُمَّ قال: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. يقول: ساكِنًا وعامِرًا لِيَسْكُنها ويَعْمُرها خَلْقًا لَيْسَ منكُمْ. ثُمَّ أخْبَرَهم بِعِلْمِه فيهم، فَقال: يُفْسِدونَ في الأرْض ويَسْفِكونَ الدِّماء ويَعْمَلونَ بالمَعاصي. فَقالوا جَميعًا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ لا نَعْصي ولا نَأتي شَيْئًا كَرِهْته. ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: فيكُم ومنكُم - ولم يُبْدِها لهم - من المعصية والفَساد وسَفْك

---

(١) [ضعيف] من أجل أنَّ المصنف علقه ولم يسنده.

(٢) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا وسنده متصل.

الدِّماء وإتْيان ما أَكْرَهُ منهم، مِمَّا يكون في الأرْض، مِمَّا ذَكَرْتُ في بَني آدَم.

قال الله لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٦٩- ٧٢] فَذَكَرَ لِنَبيِّه ﷺ الذي كان من ذِكْره آدم ﷺ حين أرادَ خَلْقه ومُراجَعة المَلائِكة إيَّاه فيما ذَكَرَ لهم منه. فَلَمَّا عَزَمَ الله تعالى ذِكْره على خَلْق آدَم قال لِلْمَلائِكةِ: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨] بيَدَيْه تَكْرِمة له، وتَعْظيمًا لأمْره، وتَشْريفًا لهُ؛ حَفِظَتِ المَلائِكة عَهْده، ووَعَوْا قوله، وأجْمَعوا لطاعَتِهِ، إلاَّ ما كان من عَدوّ الله إبليس، فإنّه صَمَتَ على ما كان في نَفْسه من الحَسَد والبغْي والتَّكبُّر والمعصية.

وَخَلْق الله آدَم عليه السلام من أَدَمَة الأرْض، من طين لازِب من حَمَأ مسنون، بِيَدَيْه تَكْرِمة له وتَعْظيمًا لأمْره وتَشْريفًا له على سائِر خَلْقه.

قال ابن إسحاق: فَيُقال واللَّه أعْلَم: خَلَقَ الله آدم ثُمَّ وضَعَه يَنْظُر إليه أرْبَعينَ عامًا قَبْل أنْ يَنْفُخ فيه الرّوح حتَّى عادَ صَلْصالاً كالفَخَّارِ، ولم تَمَسّه نار. قال: فَيُقال واللَّه أعْلَم: إنَّه لَمَّا انتَهى الرّوح إلى رَأسه عَطَسَ، فَقال: الحمد لِلَّهِ. فَقال له ربّه: يَرْحَمك رَبّك. ووَقَعَ المَلائِكة حين استَوَى سُجودًا له حِفْظًا لِعَهْدِ الله الذي عَهِدَ إليهم، وطاعة لأمْره الذي أمَرَهم به. وقامَ عَدوّ الله إبليس من بينهم، فَلم يَسْجُد مُكابِرًا مُتَعَظِّمًا بَغْيًا وحَسَدًا، فَقال له: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ إلى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٧٥- ٨٥] قال: فَلَمَّا فَرَغَ الله من إبليس ومن مُعاتَبَته وأبَى إلاَّ المعصية، أوقَعَ عليه اللَّعْنة وأخْرَجَه من الجَنَّة. ثُمَّ أقْبَلَ على آدَم، وقد عَلَّمَه الأسماء كُلّها، فقال: ﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ أيْ: إنَّما أجبناك فيما عَلَّمْتنا، فَأمَّا ما لم تُعَلِّمنا فَأنت أعْلَم به. فكان ما سَمَّى آدَم من شَيْء كان اسمه الذي هو عليه إلى يوم القيامة (١).

وَقال ابن جُرَيْج بما:

٦١٧- **حَدّثَنا** به القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: إنَّما تَكَلَّموا بِما أعْلَمَهم أنَّه كائِن من خَلْق آدَم، فَقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (٢).

وَقال بعضهم: إنَّما قالتِ المَلائِكة ما قالَتْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ لأنّ الله تعالى ذكره أذِنَ لها في السُّؤال عن ذلك بعدما أخْبَرَها أنّ ذلك كائِن من بَني آدَم، فَسَألَتْه المَلائِكة فَقالَتْ على التَّعَجُّب منها: وكيفَ يَعْصونَك يا رَبّ وأنت خالِقُهم؟! فَأجابَهم رَبّهمْ:

---

(١) [ضعيف] من أجل سلمة، وابن حميد تقدم الحديث عنهما.

(٢) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ . يَعْني أنَّ ذلك كائِن منهم وإنْ لم تَعْلَموه أنتم ، ومن بعض مَنْ تَرَوْنَه لي طائِعًا ، يُعَرِّفُهم بِذلك قُصورَ عِلْمهم عن عِلْمه .

وَقال بعض أهل العربيَّة : قول المَلائِكة : ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ على غَيْر وجه الإنْكار منهم على رَبِّهم ، وإنّما سَألوه ليَعْلَموا ، وأخْبَروا عن أنْفُسهم أنّهم يُسَبِّحونَ . وقال : قالوا ذلك لأنّهم كَرِهوا أنْ يُعْصَى اللَّهُ ؛ لأنَّ الجِنّ قد كانتْ أُمِرَتْ قَبْل ذلك فَعَصَتْ .

وَقال بعضهم : ذلك من المَلائِكة على وجه الاستِرْشاد عَمَّا لم يَعْلَموا من ذلك ، فَكَأنّهم قالوا : يا رَبِّ خَبِّرْنا . مسألةَ استِخْبارٍ منهم لِلَّه لا على وجه مسألة التَّوْبيخ .

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ : وأولَى هذه التَّأويلات بِقولِ الله تعالى ذكرُه مُخْبِرًا عن مَلائِكته قِيلَها له : ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ تأويل مَنْ قال : إنَّ ذلك منها استِخْبارٌ لِرَبِّها ؛ بمعنى : أعْلِمْنا يا رَبَّنا ، أجاعِل أنتَ في الأرْض مَن هذه صِفَته وتارِكٌ أنْ تَجْعَل خَليفَتَكَ فيها مِنَّا ، ونَحْنُ نُسَبِّح بِحَمْدِك ، ونُقَدِّس لَكَ؟ لا إنْكار منها لِما أعْلَمَها رَبّها أنّه فاعِل ، وإنْ كانتْ قد استَعْظَمَتْ لَمَّا أُخْبِرَتْ بِذلك أنْ يكون لله خلق يعصيه .

وأما دعوى مَنْ زعم أن الله كان أذِنَ لها بالسؤال عن ذلك فسألته على وجه التَعَجُّب ، فَدَعْوَى لا دَلالة عليها في ظاهِر التَّنْزيل ولا خَبَر بها عن الحُجّة يَقْطَع العُذْر ، وغَيْر جائِز أنْ يُقال في تأويل كِتاب الله بِما لا دَلالة عليه من بعض الوُجوه التي تَقوم بها الحُجّة .

وَأمّا وصْف المَلائِكة مَن وصَفَتْ - في استِخْبارها رَبّها عنه - بالفَسادِ في الأرْض وسَفْك الدِّماء ، فَغَيْر مُسْتَحيل فيه ما رُوِيَ عن ابن عَبَّاس وابن مسعود من القول الذي رَواه السُّدِّيّ ووافَقَهُما عليه قَتادةَ من التَّأويل . وهو أنَّ الله تعالى ذكرُه أخْبَرَهم أنّه جاعِل في الأرْض خَليفة تَكون له ذُرِّيّة يَفْعَلونَ كذا وكذا ، فَقالوا : ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ على ما وصَفْتُ من الاستِخْبار .

فَإنْ قال لنا قائِل : وما وجه استِخْبارها والأمْر على ما وصَفْتَ من أنّها قد أُخْبِرَتْ أنَّ ذلك كائِن؟

قِيلَ : وجه استِخْبارها حينَئِذٍ يكون عن حالهم عند وُقوع ذلك ، وهَلْ ذلك منهم؟ ومسألَتُهم رَبّهم أنْ يجْعَلهم الخُلَفاء في الأرْض حتَّى لا يَعْصوه .

وَغَيْر فاسِد أيْضًا ما رَواه الضَّحَّاك عن ابن عَبَّاس وتابَعه عليه الرَّبيع بن أنَس من أنَّ المَلائِكة قالتْ ذلك لِما كان عندها من عِلْم سُكَّان الأرْض قَبْل آدَم من الجِنّ ، فَقالتْ لِرَبِّها : أجاعِل فيها أنتَ مِثْلهم من الخَلْق يَفْعَلونَ مِثْل الذي كانوا يَفْعَلونَ؟ على وجه الاستِعْلام منهم لِرَبِّهم ، لا على وجه الإيجاب أنَّ ذلك كائِن كذلك ، فَيكون ذلك منها إخبارًا عَمَّا لم تَطَّلِع عليه من عِلْم الغَيْب .

وَغَيْر خَطَأ أيْضًا ما قاله ابن زَيْد من أنْ يكون قِيلُ المَلائِكة ما قالتْ كان على وجه التَعَجُّب منها من أنْ يكون لِلَّه خَلْق يَعْصي خالِقه .

وَإنّما تَرَكْنا القول بالذي رَواه الضَّحَّاك عن ابن عَبَّاس ووافَقَه عليه الرَّبيع وبالذي قاله ابن زَيْد في تأويل ذلك؛ لأنَّه لا خَبَر عندنا بالذي قالوه من وجه يَقْطَع مَجيئَه العُذْر ويَلْزَم سامِعه به الحُجّة، والخَبَر عَمَّا قد مَضَى وما قد سَلَف، لا يُدْرَكُ عِلْم صِحَّته إلاَّ بِمَجيئِه مَجيئًا يمتنع منه التّشاغُب والتّواطُؤ، ويَسْتَحيل فيه الكَذِب والخَطَأ والسَّهْو، وليس ذلك بِموجودٍ كذلك فيما حَكاه الضَّحَّاك عن ابن عَبَّاس ووافَقَه عليه الرَّبيع، ولا فيما قاله ابن زَيْد.

فَأولَى التَّأويلات إذْ كان الأمْر كذلك بالآيةِ، ما كان عليه من ظاهِر التّنْزيل دَلالةٌ مِمَّا يَصِحُّ مَخْرَجه في المَفْهوم.

فَإنْ قال قائِل: فَإنْ كان أولَى التَّأويلات بالآيةِ هو ما ذَكَرْت من أنَّ الله تعالى ذكره أخْبَرَ المَلائِكة بِأنّ ذُرّيّة خَليفَته في الأرْض يُفْسِدونَ فيها ويَسْفِكونَ فيها الدِّماء، فَمن أجْل ذلك قالتِ المَلائِكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فَأيْنَ ذِكْر إخبار الله تعالى ذكره إيَّاهم بذلك في كِتابه؟

قيلَ له: اكْتُفِي بِدَلالةِ ما قد ظَهَرَ من الكَلام عليه عنه، كما قال الشَّاعِر:

فـلا تَـدْفِـنـونـي إنَّ دَفْـنـي مُـحَـرَّم   عليكُم ولَكِنْ خامِري أُمَّ عامِرِ[1]

فَحَذَفَ قوله: دَعوني لِلَّتي يُقال لها إذا أريد صَيدُها: خامِري أُمَّ عامِر. إذْ كان فيما ظَهَرَ من كَلامه دَلالة على معنى مُراده. فَكَذلك ذلك في قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ لَمَّا كان فيه دَلالة على ما تَرَكَ ذِكْره بعد قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ من الخَبَر عَمَّا يكون من إفساد ذُرّيّته في الأرْض اكْتَفَى بِدَلالَتِه فحَذَفَ، وَتَرَك ذِكْره كما ذَكَرْنا من قول الشَّاعِر، ونَظائِر ذلك في القُرْآن وأشعار العرب وكَلامها أكْثَر من أنْ يُحْصَى، فلِما ذَكَرْنا من ذلك اختَرْنا ما اختَرْنا من القول في تأويل قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾.

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾

أمَّا قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ فَإنّه يَعْني: إنَّا نُعَظِّمك بالحمدِ لَك والشُّكر، كما قال الله تعالى ذكْره: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر: ٣] وكَما قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥] وكُلّ ذِكْر لِلَّه عند العرب فَتَسْبيح وصَلاة، يقول الرَّجُل منهم: قَضَيْت سُبْحَتي من الذِّكْر والصَّلاة. وقد قِيلَ: إنَّ التَّسْبيح صَلاة المَلائِكة.

---

(١) [الطويل] القائل: الشنفرى عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان. شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية وكان من فتاك العرب وعدائيهم، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتلهُ بنو سلامان، وقيست قفزاته ليلة مقتلهِ فكان الواحدة منها قريبًا من عشرين خطوة، وفي الأمثال (أعدى من الشنفري). وهو صاحب لامية العرب، شرحها الزمخشري في أعجب العجب المطبوع مع شرح آخر منسوب إلى المبرّد ويظن أنه لأحد تلاميذ ثعلب. وللمستشرق الإنكليزي ردهوس المتوفي سنة ١٨٩٢م رسالة بالانكليزية ترجم فيها قصيدة الشنفري وعلق عليها شرحًا وجيزًا. اللغة: (خامري): أي استتري، وأصله من الخمرة (بكسر فسكون) وهو الاستخفاء. يريدون بذلك دنو الضبع مستخفية ملازمة لمكانها حتى تخالط القتيل فتصيب منه. وأم عامر: كنية الضبع. المعنى: يقول الشاعر: لا تدفنوني إن دفني محرم عليكم ولكن اخفوني من الضبع يأكلني.

٦١٨- حدثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا يَعْقوب القُمّيّ، عن جَعْفَر بن أبي المُغيرة، عن سَعيد بن جُبَيْر قال: كان النَّبيّ ﷺ يُصَلّي، فَمَرَّ رَجُل من المُسْلِمينَ على رَجُل من المُنافِقينَ، فَقال له: النَّبيّ ﷺ يُصلّي وأنت جالِس؟! فَقال له: امْضِ إلى عَمَلك إنْ كان لَكَ عَمَل. فَقال: ما أظُنّ إلاّ سَيَمُرُّ عليك مَنْ يُنْكِر عليك. فَمَرَّ عليه عُمَر بن الخَطّاب، فَقال له: يا فُلان، النَّبيّ ﷺ يُصَلّي وأنت جالِس؟! فَقال له مِثْلها، فَقال: هذا من عَمَلي. فَوَثَبَ عليه فَضَرَبَه حتَّى انبهر. ثُمَّ دَخَلَ المسجِد فَصَلَّى مع النَّبيّ ﷺ فَلَمَّا انفتَلَ النَّبيّ ﷺ قامَ إليه عُمَر، فَقال: يا نَبيّ الله مَرَرْت آنِفًا على فُلان وأنت تُصَلّي، فَقُلْت له: النَّبيّ ﷺ يُصَلّي وأنت جالِس؟! فَقال: مُرَّ إلى عَمَلك إنْ كان لَكَ عَمَل. فَقال النَّبيّ ﷺ: **«فَهَلاَّ ضَرَبْت عُنُقَه»** فَقامَ عُمَر مُسْرِعًا، فَقال: **«يا عُمَر، ارجِعْ؛ فَإنَّ غَضَبك عِزٌّ وَرِضَاك حُكْمٌ. إنَّ لِلَّهِ فِي السَّمَاوَات السَّبْع مَلاَئِكَة يُصَلُّونَ لَهُ غِنَى عَنْ صَلاَة فُلاَن»**. فَقال عُمَر: يا نَبيّ الله وما صَلاتهمْ؟ فَلم يَرُدّ عليه شَيْئًا، فَأتاه جِبْريل، فَقال: يا نَبيّ الله سَألَك عُمَر عن صَلاة أهل السَّماء؟ قال: **«نَعَمْ»**، قال: اقْرَأ على عُمَر السَّلام، وأخْبِرْه أنَّ أهل السَّماء الدُّنيا سُجود إلى يوم القيامة يقولونَ: سُبْحان ذي المُلْك والمَلَكوت. وأهل السَّماء الثَّانية رُكوع إلى يوم القيامة يقولونَ: سُبْحان ذي العِزّة والجَبَروت. وأهل السَّماء الثَّالِثة قيام إلى يوم القيامة يقولونَ: سُبْحان الحَيّ الذي لا يَموت[1].

٦١٩- حدّثني يَعْقوب بن إبراهيم، وسَهْل بن موسَى الرَّازيُّ، قالا: حَدَّثَنا ابن عُلَيّة، قال: أخبرَنا الجُريريّ، عن أبي عبد الله الجَسْريّ، عن عبد الله بن الصَّامِت، عن أبي ذَرّ: أنَّ رَسول الله ﷺ عادَهُ - أو أنَّ أبا ذَرّ عادَ النَّبيّ ﷺ - فَقال: يا رَسول الله، بِأبي أنتَ، أيُّ الكَلام أحَبُّ إلى اللَّه جلَّ وعزَّ؟ فَقال: **«مَا اصْطَفَى الله لِمَلاَئِكَتِهِ؛ سُبْحَان رَبِّي وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَان رَبِّي وَبِحَمْدِهِ»**[2].

في أشكال لَمَّا ذَكَرْنا من الأخْبار كَرِهْنا إطالة الكِتاب باستِقْصائِها.

وَأصْل التَّسْبيح لِلَّه عند العرب التَّنْزيه له من إضافة ما لَيْسَ من صِفاته إليه والتَّبْرِئة له من ذلك، كما قال أعْشَى بَني ثَعْلَبة:

أقـول لَـمَّـا جـاءنـي فَـخْـره ... سُبْحان مِن عَلْقَمةَ الفاخِر[3]

يُريد: سُبْحان الله من فَخْر عَلْقَمة. أي: تَنْزيهًا لِلَّه مِمَّا أتَى عَلْقَمة من الافتِخار. على وجه

---

(١) [ضعيف] ابن جبير عن النبي ﷺ، وبقية رجاله كلهم متكلم فيهم.

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم [٢٧٣١] وغيره بلفظ [سبحان الله وبحمده]، والترمذي [٣٥٩٣] وغيره بلفظ المصنف. وسند المصنف رجاله كلهم ثقات عدا سهل بن موسى الرازي مجهول الحال، ولكنه توبع كما ترى.

(٣) [السريع] القائل: الأعشى ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير. تقدم. المعنى: يريد: سُبحان الله من فَخر علقمة، أي تنزيهًا لله مما أتى علقمة من الافتخار، على وجه النكير منه لذلك.

النَّكير منه لِذلك.

وَقد اختَلَفَ أهل التَّأويل في معنى ذلك التَّسْبيح والتَّقْديس في هذا الموضِع؛ فَقال بعضهم: قولهم: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: نُصَلِّي لَك.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٦٢٠- حدّثني موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس وعن مُرّة الهمْدانيُّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: يقولونَ: نُصَلّي لَك[١].

وَقال آخَرونَ: نُسَبِّحُ لك التَّسْبيح المعلوم.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٦٢١- حدّثنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبَرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبَرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ قال: التّسْبيح: التّسْبيح[٢].

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾

والتَّقْديس هو التَّطْهير والتَّعْظيم؛ ومنه قولهم: سُبّوح قُدّوس. يَعْني بِقولِهم سُبّوح: تَنْزيهٌ لِلَّهِ جلَّ وعزَّ؛ وبِقولِهم قُدّوس: طَهارة له وتَعْظيمٌ؛ ولِذلك قِيلَ لِلأرْضِ: أرْض مُقَدَّسة، يَعْني بِذلك المُطَهَّرة. فَمعنى قول المَلائِكة إذن ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نُنَزِّهك ونُبَرِّئك مِمَّا يُضيفه إليك أهل الشِّرْك بِك، ونُصَلّي لَك. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: نَنْسُبك إلى ما هو من صِفاتك من الطَّهارة من الأدْناس، وما أضافَ إليك أهل الكُفْر بِك.

وَقد قِيلَ: إنَّ تَقْديس المَلائِكة لِرَبِّها صَلاتُها له كما:

٦٢٢- حدّثنا به الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبَرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبَرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: التَّقْديس: الصَّلاة[٣].

وَقال بعضهم: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: نُعَظِّمك ونُمَجِّدك.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٦٢٣- حدّثني يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا هاشِم بن القاسِم، قال: حَدَّثَنا أبو سَعيد المُؤَدِّب، قال: حَدَّثَنا إسماعيل، عن أبي صالِح في قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: نُعَظِّمك ونُمَجِّدك[٤].

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٤) [صحيح] أبو صالح هو السمان، و إسماعيل بن أبي خالد واسمه: هرمز ويقال: سعد ويقال: كثير البجلي الأحمسي مولاهم أبو عبد الله الكوفي وكان له من الإخوة: أشعث بن أبي خالد وخالد بن أبي خالد وسعيد بن أبي

٦٢٤- **حدثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثني عيسَى، وحَدَّثَني المُثَنَّى قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، جَميعًا، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: نُعَظِّمك ونُكَبِّرك (١).

٦٢٥- **حدثنا** ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، عن ابن إسحاق: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ لا نَعْصي ولا نَأتي شَيْئًا تَكْرَهُهُ (٢).

٦٢٦- **حُدِّثت** عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشْر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك في قوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: التَّقْديس: التَّطْهير (٣).

وأمَّا قول مَنْ قال: التَّقْديس: الصَّلاة، أو: التَّعْظيم. فَإنَّ معنى قولِه ذلك راجِع إلى نحو المعنى الذي ذَكَرْناه من التَّطْهير؛ من أجْل أنَّ صَلاتها لِرَبِّها تَعْظيم منها له وتَطْهير مِمَّا يَنْسُبه إليه أهل الكُفْر به.

ولو كان مَكان: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: ونُقَدِّسك. كان فَصيحًا من الكَلام؛ وذلك أنَّ العرب تَقول: فُلان يُسَبِّح الله ويُقَدِّسه، ويُسَبِّح لِلَّه ويُقَدِّس له بِمعنًى واحِد؛ وقد جاء بِذلك القُرْآن، قال الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣﴾ [طه: ٣٣] وقال في موضِع آخَر: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١].

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾

اختلَفَ أهل التَّأويل في تأويل ذلك؛ فَقال بعضهم: يَعْني بِقولِه: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِمَّا اطَّلَعَ عليه من إبليس، وإضْماره المعصية لِلَّه وإخفائِه الكِبْر، مِمَّا اطَّلَعَ عليه تعالى ذكرُه منه وخَفِيَ على مَلائِكَته.

ذِكْر من قال ذلك:

٦٢٧- **حدثنا** مُحَمَّد بن العَلاء، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: إنِّي قد اطَّلَعْت من قَلْب إبليس على ما لم تَطَّلِعوا عليه من كِبْره واغْتِراره (٤).

خالد والنعمان بن أبي خالد، ثقة حافظ، و محمد بن مسلم بن أبي الوضاح واسمه: المثنى القضاعي أبو سعيد المؤدب الجزري ثقة، وهاشم بن القاسم أبو النضر الليثي البغدادي خراساني الأصل ويقال: التميمي ولقبه: قيصر وهو والد أبي بكر بن أبي النضر ويقال: جده، الحافظ، ثقة صاحب سنة، تفتخر به بغداد، عقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح بن منصور بن مزاحم العبدي القيسي مولى عبد القيس أبو يوسف الدورقي أخو أحمد بن إبراهيم، ثقة وكان من الحفاظ.

(١) [حسن]من طريق عيسى بن يونس، ضعيف من طريق شبل.

(٢) [ضعيف]سلمة بن الفضل ضعيف، وعليه مداره.

(٣) [ضعيف]الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٤) [ضعيف]الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

٦٢٨- حَدَّثني موسَى بن هارون، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ يَعْني: من شَأن إبليس[(١)].

٦٢٩- حَدَّثَنا أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد، وحَدَّثَنا مُحَمَّد بن بَشّار، قال: حَدَّثَنا مُؤَمّل، قالا جَميعًا: حَدَّثَنا سُفيان، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال: عَلِمَ من إبليسَ المعصية وخَلَقَه لها[(٢)].

٦٣٠- حَدَّثَني موسَى بن عبد الرَّحْمَن المسروقيّ، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن بِشر، قال: حَدَّثَنا سُفْيان عن عَليّ بن بَذيمة، عن مُجاهِد مِثْلَه[(٣)].

٦٣١- حَدَّثَنا أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا ابن يَمانٍ، عن سُفْيان، عن عَليّ بن بَذيمة، عن مُجاهِد مِثْله[(٤)].

٦٣٢- حَدَّثَنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا حَكّام، عن عنبَسة، عن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن، عن القاسِم بن أبي بَزَّة، عن مُجاهِد في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال: عَلِمَ من إبليس المعصية وخَلَقَه لها[(٥)].

٦٣٣- حَدَّثَني جَعْفَر بن مُحَمَّد البُزُوريُّ، قال: حَدَّثَنا حَسَن بن بِشر، عن حَمْزة الزَّيَّات، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال: عَلِمَ من إبليس كِتْمانَهُ الكِبْر ألاَّ يَسْجُد لِآدَم[(٦)].

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [صحيح] مؤمل بن إسماعيل القرشي العدوي أبو عبد الرحمن البصري مولى آل عمر بن الخطاب وقيل مولى بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، قال أبو حاتم: صدوق شديد في السنة، كثير الخطأ، وقيل: دفن كتبه وحدث حفظا فغلط، وتابعه الزبيري ثقة ثبت، وقد جاء باسانيد صحيحة من غير هذه الطرق. والعلم عند الله.

(٣) [صحيح] تقدم قبله، وعلي بن بذيمة ثقة ولكنه لم يسمع التفسير من مجاهد، و محمد بن بشر بن الفرافصة بن المختار بن رديح العبدي أبو عبد الله الكوفي الثبت، قال أبو داود: هو أحفظ من كان بالكوفة، و موسى بن عبد الرحمن بن سعيد بن مسروق بن معدان بن المرزبان الكندي المسروقي أبو عيسى الكوفي، ثقة.

(٤) [صحيح] تقدم قبله، وهذاسند ضعيف فيه يحيى بن يمان العجلي أبو زكريا الكوفي فلج فساء حفظه. قال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن يحيى بن معين: ليس بثبت، لم يكن يبالي أي شيء حدث، كان يتوهم الحديث. قال: وقال وكيع: هذه الأحاديث التي يحدث بها يحيى بن يمان ليست من أحاديث سفيان.

(٥) [صحيح] تقدم قبله، والقاسم هو الذي سمع التفسير من مجاهد وأخذه عنه، ولكن السند إليه هنا ضعيف فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري أبو عبد الرحمن الكوفي الفقيه قاضي الكوفة قال ابو حاتم الرازي: محله الصدق، كان سيئ الحفظ، شغل بالقضاء فساء حفظه، لا يتهم بشيء من الكذب إنما ينكر عليه كثرة الخطأ، يكتب حديثه ولا يحتج به، وابن أبي ليلى والحجاج بن أرطاة ما أقربهما. اهـ.

(٦) [ضعيف] حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات القارئ أبو عمارة الكوفي التيمي مولى بني تيم الله من ربيعة أخو حبيب بن حبيب، وثقه أحمد وابن معين، كان من علماء زمانه بالقراءات، وكان من خيار عباد الله عبادة، وفضلا، وورعا، ونسكا. وحسن بن بشر بن سلم البجلي من أهل الكوفة، قال النسائي ليس بالقوي،

٦٣٤- حدثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى بن مَيْمون، قال: وحَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل جَميعًا، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول الله: ﴿إِنِّىٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال: عَلِمَ من إبليس المعصية[(١)].

٦٣٥- حدثنا أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا وكيع، عن سُفْيان، عن رَجُل، عن مُجاهِد، مِثْله[(٢)].

٦٣٦- حدثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا سوَيْدُ، قال: أخبرَنا ابن المُبارَك، عن سُفْيان، قال: قال مُجاهِد في قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال: عَلِمَ من إبليس المعصية وخَلَقَه لها. وقال مَرَّةً: آدم[(٣)].

٦٣٧- وَحَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا حَجَّاج بن المنهال، قال: حَدَّثَنا المُعْتَمِر بن سُلَيْمان، قال: سَمِعْت عبد الوَهَّاب بن مُجاهِد يُحَدِّث عن أبيه في قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال: عَلِمَ من إبليس المعصية وخَلَقَه لها، وعَلِمَ من آدم الطَّاعة وخَلَقَه لها[(٤)].

٦٣٨- حدثنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبَرَنا مَعْمَر، عن ابن طاوُس، عن أبيه والثَّوْريّ، عن عَليّ بن بَذيمة، عن مُجاهِد في قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قال: عَلِمَ من إبليس المعصية وخَلَقَه لها[(٥)].

٦٣٩- وحدثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق: ﴿إِنِّىٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: فيكُم ومنكُم - ولم يُبْدِها لهم - من المعصية والفَساد وسَفْك الدِّماء[(٦)].

وَقال آخَرونَ: معنى ذلك: إني أعْلَم ما لا تَعْلَمونَ من أنَّه يكون من تلك الخَليفة أهل الطَّاعة والوِلاية لِلَّه جل ذِكْرُه.

ذِكْر مَن قال ذلك:

٦٤٠- حدثنا بِشْر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ قال: ﴿إِنِّىٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: فَكان في عِلْم الله أنَّه سَيكونُ من تلك الخَليفة أنْبياءُ ورُسُل وقَوْم صالِحونَ وساكِنو الجَنَّة[(٧)].

والبزوري لم اقف عليه.

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٣) [ضعيف] الثوري لم يدرك مجاهد، والسند إليه هنا ضعيف. والسند إليه هنا ضعيف.

(٤) [ضعيف] عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي مولى عبد الله بن السائب المخزومي، ضعيف الحديث، والسند إليه هنا ضعيف.

(٥) [ضعيف] علي بن بذيمة ثقة، لم يسمع التفسير من مجاهد ولا أعلم دليلاً على أنه أخذه من القاسم.

(٦) [ضعيف] سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري مولاهم أبو عبد الله الأزرق الرازي قاضي الري يكتب حديثه.

(٧) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

وَهذا الخَبَر من الله تعالى ذكره، يُنْبِئُ عن أنَّ مَلائِكته التي قالتْ: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ استَفْظَعَتْ أنْ يكون لِلَّه جلَّ ثناؤه خَلْق يَعْصيه، وعَجِبَتْ منه إذْ أُخْبِرَتْ أنَّ ذلك كائِن؛ فَلِذلك قال لهم رَبُّهمْ: ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يَعْني بِذلك والله أعْلَم: إنَّكُم لَتَعْجَبونَ من أمْرٍ وتستفظعونه، وأنا أعْلَم أنَّه في بعضكُم، وتَصِفونَ أنْفُسَكُم بِصِفةٍ أعْلَم خِلافها من بعضكُم، وتُعْرِّضونَ بأمْرٍ قد جَعَلْته لِغَيْرِكُمْ. وذلك أنَّ المَلائِكة قالت لربها - لَمَّا أخْبَرَها رَبّها بِما هو كائِن من ذُرّيّة خَليفَته من الفَساد وسَفْك الدِّماء - قالتْ لِرَبِّها: رَبَّنا أجاعِل أنتَ في الأرْض خَليفة من غَيْرنا، يكون من ذُرّيَّته من يَعْصيك أم مِنّا؟ فَإنّا نُعَظِّمك ونُصَلّي لَك ونُطيعك ولا نَعْصيك؟- ولم يكُنْ عندها عِلْم بِما قد انطَوَى كَشْحًا عليه إبليس من استِكْباره على رَبّه - فَقال لهم رَبُّهمْ: إنّي أعْلَم غَيْر الذي تَقولونَ من بعضكُمْ. وذلك هو ما كان مستورًا عنهم من أمْر إبليس وانطِوائِه على ما كان قد انطَوَى عليه من الكِبْر، وعلى قِيلِهم ذلك ووَصْفِهم أنْفُسَهم بالعُمومِ من الوَصْف عوتِبوا.

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾

٦٤١- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا يَعْقوب القُمّيّ، عن جَعْفَر بن أبي المُغيرة، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس قال: بَعَثَ رَبّ العِزّة تعالى ذكره إبليسَ، فَأخَذَ من أديم الأرْض مِن عَذْبها ومِلْحِها، فَخَلَقَ منه آدَم؛ ومِن ثَمَّ سُمّيَ آدَم لأنَّه خُلِقَ من أديم الأرْض [(١)].

٦٤٢- **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن ثابِت، عن أبيه، عن جَدّه، عن عَليّ قال: إنَّ آدَم خُلِقَ من أديم الأرْض فيه الطَّيِّب والصَّالِح والرَّديء، فَكُلّ ذلك أنتَ راءٍ في ولَده، الصَّالِحَ والرَّديءَ [(٢)].

٦٤٣- **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد، قال: حَدَّثَنا مِسْعَر، عن أبي حَصِين، عن سَعيد بن جُبَيْر، قال: خُلِقَ آدَم من أديم الأرْض فَسُمّيَ آدَم [(٣)].

٦٤٤- **حَدَّثَنا** ابن المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو داود، قال: حَدَّثَنا شُعْبة، عن أبي حَصِين، عن سَعيد بن جُبَيْر قال: إنَّما سُمّيَ آدَم لأنَّه خُلِقَ من أديم الأرْض [(٤)].

---

(١) [صحيح]هذا سند ضعيف من أجل شيخ المصنف، ولكنه جاء بأسانيد أخرى صحيحة منها ما أخرجه البيهقي في الأسماء فقال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو عبد الله الصفار، ثنا أحمد بن مهران، ثنا أبو نعيم، ثنا إبراهيم بن نافع، قال: سمعت الحسن بن مسلم، يقول: سمعت سعيد بن جبير، يحدث عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: خلق الله تعالى آدم من أديم الأرض كلها فسمي آدم. اهـ

(٢) [ضعيف]عمرو بن ثابت بن هرمز البكري أبو محمد ويقال: أبو ثابت الكوفي وهو عمرو بن أبي المقدام الحداد مولى بكر بن وائل، ضعيف الحديث، وجد ثابت مجهول.

(٣) [صحيح]هذا سند حسن من أجل شيخ المصنف، وبقية رجاله تقدموا، وعثمان بن عاصم بن حصين ويقال: عثمان بن عاصم بن زيد بن كثير بن زيد بن مرة أبو حصين الأسدي الكوفي ثقة، وهو عن ابن جبير على شرط البخاري. وقد جاء بعده بسند صحيح.

(٤) [صحيح]أخرجه الطيالسي، ومن طريقه المصنف، وسنده صحيح.

٦٤٥- **حدَّثني** موسى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: أنَّ مَلَك الموت لَمَّا بُعِثَ ليَأخُذ من الأرْض تُرْبة آدَم، أخَذَ من وجه الأرْض وخَلَطَ، فَلم يَأخُذ من مَكان واحِد، وأخَذَ من تُرْبة حَمْراء وبَيْضاء وسَوْداء؛ فَلِذلك خَرَجَ بَنو آدَم مُخْتَلِفينَ ولِذلك سُمّيَ آدَم، لأنَّه أُخِذَ من أديم الأرْض[(١)].

وَقد رويَ عن رَسول الله ﷺ خَبَرٌ يُحقِّق ما قال مَنْ حَكَيْنا قوله في معنى آدَم، وذلك ما:

٦٤٦- **حدَّثني** به يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا ابن عُلَيّة، عن عَوْف، وحَدَّثَنا مُحَمَّد بن بَشَّار وعُمَر بن شَبَّة، قالا: حَدَّثَنا يَحْيَى بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا عَوْف، وحَدَّثَنا ابن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا ابن أبي عَديّ ومُحَمَّد بن جَعْفَر وعبد الوَهَّاب الثَّقَفيّ قالوا: حَدَّثَنا عَوْف، وحَدَّثَني مُحَمَّد بن عُمارة الأسَديّ، قال: حَدَّثَنا إسماعيل بن أبانَ، قال: حَدَّثَنا عنبَسة، عن عَوْف الأعْرابيّ، عن قَسامة بن زُهَيْر، عن أبي موسَى الأشْعَريّ، قال: قال رَسول الله ﷺ: «**إنَّ الله خَلَقَ آدَم مِنْ قَبْضَة قَبَضَها مِنْ جَمِيع الأَرْض، فَجَاءَ بَنُو آدَم عَلَى قَدْر الأَرْض، جَاءَ مِنْهُمْ الأَحْمَرُ، وَالأَسْوَدُ، وَالأَبْيَضُ، وَبَيْن ذلكَ وَالسَّهْلُ وَالْحَزن، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّب**»[(٢)].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَعلى التَّأويل الذي تأوَّلَ آدَم مَنْ تأوَّلَه بِمعنى أنَّه خُلِقَ من أديم الأرْض، يجِب أنْ يكون أصْل آدَم فِعْلاً سُمّيَ به أبو البَشَر؛ كما سُمّيَ أحمَد بالفِعْلِ من الإحماد، وأسعَد من الإسعاد، فَلِذلك لم يُجْرَ، ويكون تأويله حينَئِذٍ: آدَمَ المَلَكُ الأرْضَ، يَعْني به بَلَغَ أدَمَتها - وأدَمَتها: وجهها الظَّاهِر لِرَأيِ العَيْن، كما جِلْدةُ كُلّ ذي جِلْدة له. أدَمة، ومِن ذلك سُمّيَ الإدامُ إدامًا؛ لأنَّه صارَ كالجِلْدةِ العُلْيا مِمَّا هي منه - ثُمَّ نُقِلَ من الفِعْلِ فَجُعِلَ اسمًا لِلشَّخْصِ بِعَيْنِه.

القول في تأويل قوله جلّ وعزَّ: ﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اختَلَفَ أهل التَّأويل في الأسماء التي عَلَّمَها آدَمَ ثُمَّ عَرَضَها على المَلائِكة؛ فَقال ابن عَبَّاس بما:

٦٤٧- **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: عَلَّمَ اللهُ آدَمَ الأسماء كُلّها، وهيَ هذه الأسماء التي

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه، وقد تقدم لبعضه برقم (٦٤١).

(٢) [صحيح] أخرجه أحمد [٤/ ٤٠٠]، قال: حدَّثنا يحيى بن سعيد. ومحمد بن جعفر. وفي ٤/ ٤٠٠، قال: حدَّثنا رَوْح. وفي [٤/ ٤٠٦] قال: حدَّثنا يحيى بن سعيد (ح) وحدَّثناه هوذة. وعبد بن حُميد [٥٤٩] قال: حدَّثنا هوذة بن خليفة. وأبو داود [٤٦٩٣] قال: حدَّثنا مسدد، أن يزيد بن زريع ويحيى بن سعيد حدثاهم. والترمذي [٢٩٥٥] قال: حدَّثنا محمد بن بشار، قال: حدَّثنا يحيى بن سعيد، وابن أبي عدي، محمد بن جعفر، وعبد الوهاب. سبعتهم (يحيى، وابن جعفر، وروح، وهوذة، ويزيد، وابن أبي عدي، وعبد الوهاب) قالوا: حدَّثنا عَوف، عن قَسامة بن زهير . . . فذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

يَتَعارَف بها النَّاس: إنْسان ودابّة، وأرْض، وسَهْل، وبَحْر، وجَبَل، وحِمار . . . وأشباه ذلك من الأُمَم وغَيْرها[١].

٦٤٨- حدَّثنا مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، وحَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: ما خَلَقَ اللهُ كُلَّه[٢].

٦٤٩- حدَّثنا ابن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن سُفيان، عن خُصيف، عن مُجاهِد: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: عَلَّمَه اسم كُلّ شَيْء[٣].

٦٥٠- حدَّثنا عَليّ بن الحسن، قال: حَدَّثَنا مُسْلِم الجَرْميّ، عن مُحَمَّد بن مُصْعَب، عن قيس بن الرَّبيع، عن خُصيفٍ، عن مُجاهِدٍ، قال: عَلَّمَه اسم الغُراب والحَمامة، واسم كُلّ شَيْء[٤].

٦٥١- حدَّثنا ابن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن شَريك، عن سالِم الأفطَس، عن سَعيد بن جُبَيْر، قال: عَلَّمَه اسم كُلّ شَيْء، حتَّى البعيرِ والبقَرةِ والشَّاةِ[٥].

٦٥٢- حدَّثنا ابن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن شَريك، عن عاصِم بن كُلَيْب، عن سَعيد بن معبَد، عن ابن عَبَّاس، قال: عَلَّمَه اسم القَصْعةِ والفَسْوةِ والفُسَيَّة[٦].

٦٥٣- حدَّثنا ابن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد، قال: حَدَّثَنا شَريك، عن عاصِم بن كُلَيْب، عن الحسن بن سَعْد، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: حتَّى الفسوة والفُسَيَّة[٧].

٦٥٤- حدَّثنا عَليّ بن الحسن، قال: حَدَّثَنا مُسْلِم، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن مُصْعَب، عن قيس، عن عاصِم بن كُلَيْب، عن سَعيد بن معبَد، عن ابن عَبَّاس في قول اللَّه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: عَلَّمَه اسم كُلّ شَيْء، حتَّى الهَنةِ والهُنَيّةِ، والفَسْوةِ والضَّرْطة[٨].

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ، و سفيان بن وكيع بن الجراح الرؤاسي أبو محمد الكوفي أخو مليح بن وكيع وعبيد بن وكيع، ضعيف.

(٤) [حسن بدون تعيين الغراب والحمامة] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، فيه خصيف المتقدم قبله، وكذلك قيس ومحمد كلهم ضعفاء.

(٥) [ضعيف] من أجل شريك، وسفيان بن وكيع. تقدم الحديث عنهما.

(٦) [ضعيف] سعيد بن معبد مجهول، وسيأتي في رقم (٦٥٥)، وشريك ضعيف، وكذلك سفيان.

(٧) [ضعيف] من أجل شريك النخعي.

(٨) [ضعيف] تقدم برقم (٦٥٢).

٦٥٥- حدثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثنا عَليّ بن مُسْهِر، عن عاصِم بن كُلَيب، قال: قال ابن عَبَّاس: عَلَّمَه القَصْعة من القَصيعة، والفَسْوة من الفَسْية [١].

٦٥٦- حدثنا بِشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ حتَّى بَلَغَ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ فَأَنْبَأَ كُلَّ صِنفٍ من الخَلْق باسمِه وأَلجَأَهُ إلى جِنْسه [٢].

٦٥٧- حدثنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: عَلَّمَه اسم كُلّ شَيْء؛ هذا جَبَل، وهذا بَحْر، وهذا كذا وهذا كذا، لِكُلِّ شَيْء، ثُمَّ عَرَضَ تِلْكَ الأسماء على المَلائِكة فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [٣].

٦٥٨- حدثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن جَرير بن حازِم ومُبارَك، عن الحسن، وأبي بَكْر، عن الحسن وقَتادةُ قالا: عَلَّمَه اسم كُلّ شَيْء؛ هذه الخَيْل، وهذه البِغال، والإِبِل، والجِنّ، والوَحْش، وجَعَلَ يُسَمّي كُلَّ شَيْء باسمِهِ [٤].

٦٥٩- حُدِّثت عن عَمَّار، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن غير الرَّبيع، قال: اسم كُلّ شَيْء [٥].

وَقال آخَرونَ: عَلَّمَ آدم أَسماء المَلائِكة.

ذِكر مَن قال ذلك:

٦٦٠- حُدِّثت عن عَمَّار، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: أَسماء المَلائِكة [٦].

وَقال آخَرونَ: إنَّما عَلَّمَه أَسماء ذُرِّيَّته.

ذِكر مَن قال ذلك:

٦٦١- حَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: أَسماء ذُرِّيَّته كلِّهم أَجْمَعينَ [٧].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وأولَى هذه الأقوال بالصَّوابِ وأشبَهَها بِما دَلَّ على صِحَّته ظاهِر التِّلاوة قولُ مَنْ

---

(١) [ضعيف] عاصم بن كليب لا يروي عن ابن عباس إلا بواسطة أبيه فهو عنه مرسل، وقد تقدم برقم (٦٥٢) مع ذكر الواسطة المجهول.

(٢) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٥) [ضعيف] علقه المصنف، ولم يسنده. (٦) [ضعيف] علقه المصنف، ولم يسنده.

(٧) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا وسنده متصل.

قال في قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾. أنَّها أسماء ذُرِّيَّته وأسماء المَلائِكة، دون أسماء سائِر أجْناس الخَلْق. وذلك أنَّ الله تعالى ذكره قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يَعْني بِذلك أعْيان المُسَمَّينَ بالأسماءِ التي عَلَّمَها آدَم، ولا تَكاد العرب تَكْني بالهاءِ والميم إلاَّ عن أسماء بَني آدَم والمَلائِكة؛ فأمَّا إذا كَنَتْ عن أسماء البهائِم وسائِر الخَلْق، سِوَى مَنْ وصَفْنا، فإنَّها تَكْني عنها بالهاءِ والألِف، أو بالهاءِ والنّون، فَقالتْ: عَرَضَهُنَّ، أو عَرَضها. وكذلك تَفْعَل إذا كَنَتْ عن أصْناف من الخَلْق، كالبهائِم والطَّيْر وسائِر أصْناف الأُمَم، وفيها أسماء بَني آدَم أو المَلائِكة، فَإنّها تَكْني عنها بِما وصَفْنا مِن الهاء والنّون، والهاء والألِف. ورُبَّما كَنَتْ عنها إذا كان كذلك بالهاءِ والميم، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥]فَكَنَى عنها بالهاءِ والميم، وهِيَ أصْناف مُخْتَلِفة فيها الآدَميّ وغَيْره. وذلك وإنْ كان جائِزًا فَإنّ الغالِب المُسْتَفيض في كَلام العرب ما وصَفْنا من إخراجهم كِناية أسماء أجْناس الأُمَم - إذا اختَلَطَتْ - بالهاءِ والألِف، والهاء والنّون. فَلِذلك قُلْت: أولَى بِتأويلِ الآية أنْ تكون الأسماء التي عَلَّمَها آدم أسماء أعْيان بَني آدَم وأسماء المَلائِكة. وإنْ كان ما قال ابن عَبَّاس جائِزًا على مِثال ما جاء في كِتاب الله جلَّ ثناؤه من قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ [النور: ٤٥]الآية. وقد ذُكِرَ أنَّها في حَرْف عبد الله بن مسعود: (ثُمَّ عَرَضَهُنَّ)، وأنّها في حَرْف أُبَيّ: (ثُمَّ عَرَضَها).

وَلَعَلَّ ابن عَبَّاس تأوَّلَ ما تأوَّلَ من قوله: عَلَّمَه اسم كُلِّ شَيْء حتَّى الفَسْوة والفُسَية. على قِراءة أُبَيّ، فَإنّه فيما بَلَغَنا كان يَقْرَأ قِراءة أُبَيّ. وتأويل ابن عَبَّاس - على ما حُكيَ عن أُبيّ من قِراءَته - غَيْرُ مُسْتَنْكَر، بل هو صَحيح مُسْتَفيض في كَلام العرب على نَحْو ما تَقَدَّمَ وصْفي ذلك.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ:قد تَقَدَّمَ ذِكْرنا التَّأويل الذي هو أولَى بالآيَةِ على قِراءَتنا ورَسْم مُصْحَفنا، وأنَّ قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ بالدَّلالةِ على بَني آدَم والمَلائِكة أولَى منه بالدَّلالةِ على أجْناس الخَلْق كُلّها، وإنْ كان غَيْر فاسِد أنْ يكون دالاً على جَميع أصْناف الأُمَم لِلْعِلَلِ التي وصَفْنا.

وَيَعْني بِقولِه: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾: ثُمَّ عَرَضَ أهل الأسماء على المَلائِكة.

وَقد اختَلَفَ المُفَسِّرونَ في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ نَحْو اختِلافهم في قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ وسَأذْكُرُ قول بعض مَنْ انتَهَى إلينا عنه فيه قول.

٦٦٢- **حدَّثَنا**مُحَمَّد بن العَلاء، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة عن أبي رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: ثُمَّ عَرَضَ هذه الأسماء على الملائكةِ. يَعْني أسماء جَميع الأشياء التي عَلَّمَها آدَم من أصْناف الخَلْق [1].

٦٦٣- **حَدَّثَني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه،

---

(١) [ضعيف]الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾: ثُمّ عَرَضَ الخَلْق على المَلائِكة[١].

٦٦٤- حَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: أسْماء ذُرّيَّته كُلّها أخَذَهم من ظَهْره، ثُمّ عَرَضَهم على المَلائِكة[٢].

٦٦٥- حَدَّثَنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر عن قَتادةَ: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ قال: عَلَّمَه اسم كُلّ شيْء، ثُمّ عَرَضَ تِلْكَ الأسماء على المَلائِكة[٣].

٦٦٦- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾: عَرَضَ أصْحاب الأسماء على المَلائِكة[٤].

٦٦٧- حَدَّثَنا عَليّ بن الحسن، قال: حَدَّثَنا مُسْلِم، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن مُصْعَب، عن قيس، عن خُصيف، عن مُجاهِد: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يَعْني: عَرَضَ الأسماء؛ الحَمامة والغُراب[٥].

٦٦٨- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن جَرير بن حازِم، ومُبارَك، عن الحسن، وأبي بَكْر، عن الحسن، وقَتادةُ قالا: عَلَّمَه اسم كُلّ شَيْء؛ هذه الخَيْل، وهذه البِغال، وما أشْبَه ذلك، وجَعَلَ يُسَمّي كُلّ شَيْء باسمِه، وعُرِضَتْ عليه أُمَّةً أُمَّةً[٦].

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وتأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾: أخبِروني، كما:

٦٦٩- حَدَّثَنا أبو كُرَيْبٍ قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ يقول: أخْبِروني بِأسماءِ هؤلاء[٧].

وَمنه قول نابِغة بَني ذُبْيان:

وَأَنْبَـأه الـمُـنَـبِّـئُ أن حَـيًّـا ... حُـلـولاً مـن حَـرامٍ أو جُـذامِ[٨]

يَعْني بِقولِه أنْبَأه: أخْبَرَه وأعْلَمَه.

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا وسنده متصل.
(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٤) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.
(٥) [ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ، وكذلك قيس، ومحمد كلهم ضعفاء.
(٦) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.
(٧) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.
(٨) [الوافر] القائل: النابغَة الذُّبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. تقدم. اللغة:

القول في تأويل قوله: ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾

٦٧٠- حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى؛ وحدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، جميعًا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ قال: بأسماء هذه التي حدَّثت بها آدم[(١)].

٦٧١- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يقول: بأسماء هؤلاء التي حدَّثت بها آدم[(٢)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اختلَف أهل التأويل في تأويل ذلك.

٦٧٢- فحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن كنتم تعلمون لِمَ أجعل في الأرض خليفة[(٣)].

٦٧٣- حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ بني آدم يُفسِدون في الأرض ويَسفِكون الدماء[(٤)].

٦٧٤- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن جرير بن حازم ومبارك، عن الحسن وأبي بكر، عن الحسن وقتادة: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أني لم أخلق خلقًا إلا كنتم أعلم منه، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين[(٥)].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية تأويلُ ابن عباس ومَن قال بقوله. ومعنى ذلك: فقال: أنبئوني بأسماءِ من عرَضته عليكم أيَّتها الملائكة القائلونَ: أتجعلُ في الأرضِ من يُفسدُ

(أنبأه): أخبره وأعلمه. وقوله: (حرام) كأنه يعني بني حرام ابن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد هذيم. أو كأنه يعني بني حرام بن جذام بن عدي بن الحارث ابن مرة بن أدد بن زيد. ودار جذام جبال حسمى، وأرضها بين أيلة وجانب تيه بني إسرائيل الذي يلي أيلة، وبين أرض بني عذرة من ظهر حرة نهيل. المعنى: يقول الشاعر: لقد أخبرة المنبيء أن هناك رجل حي من قوم حرام أو من أرض جذام.

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٣) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

فيها ويَسفِكُ الدماءَ من غَيْرنا، أم مِنَّا، فَنَحْنُ نُسَبِّح بِحَمْدِك ونُقَدِّس لَك؟ إنْ كُنْتُم صادِقِينَ في قِيلِكُم أنّي إنْ جَعَلَتُ خَليفَتي في الأرْض من غَيْرِكُم عَصاني ذُرِّيَّته، وأفسَدوا فيها، وسَفَكوا الدِّماء، وإنْ جَعَلْتُكُم فيها أطَعْتُموني، واتَّبَعْتُم أمْري بالتَّعْظيم لي والتَّقْديس. فإنّكم إذْ كُنْتُم لا تَعْلَمونَ أسماء هؤلاء الذينَ عَرَضْتهم عليكُم من خَلْقي، وهم مَخْلوقونَ موجودونَ تَرَوْنَهم وتُعايِنونَهم، وعَلِمَهُ غَيْرُكُم بِتَعْليمي إيّاه، فَأنتم بِما هو غَيْر موجود من الأمور الكائِنة التي لم توجَد بعد، وبِما هو مُسْتَتِر من الأُمور - التي هي موجودة - عن أعْيُنِكُم أحرَى أنْ تَكونوا غَيْر عالَمِينَ، فلا تَسْألوني ما لَيْسَ لكم به عِلْم، فَإنّي أعْلَم بِما يُصْلِحكُم ويُصْلِح خَلْقي.

وَهذا الفِعْل من الله تعالى ذكره بِمَلائِكَتِه الذينَ قالوا له: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ من جِهة عِتابه تعالى ذِكْره إيّاهم - نَظيرُ قوله لِنَبيِّه نوحَ صَلَّى الله عليه، إذْ قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ - ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]. فَكَذلك المَلائِكة سَألَتْ رَبّها أنْ تكون خُلَفاءَه في الأرْض لِيُسَبِّحوه ويُقَدِّسوه فيها، إذْ كان ذُرِّيّة مَنْ أخْبَرَهم أنّه جاعِله في الأرْض خَليفة، يُفْسِدونَ فيها، ويَسْفِكونَ الدِّماء، فَقال لهم تعالى ذِكْره: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يَعْني بذلك إنّي أعْلَم أنّ بعضكُم فاتِحُ المَعاصي وخاتِمَها - وهو إبليس - مُنْكِرًا بِذلك تعالى ذِكْره قولهم. ثُمَّ عَرَّفَهم موضِع هَفْوَتهم في قِيلِهم ما قالوا من ذلك، بِتَعْريفِهم قُصورَ عِلْمهم عَمَّا هم له شاهِدونَ عِيانًا - فكيف بِما لم يَرَوْه ولم يُخْبَروا عنه؟ - بِعَرْضِه ما عَرَضَ عليهم من خَلْقه الموجودينَ يومئِذٍ، وقيله لهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنّكُم إنْ استَخْلَفْتُكُم في أرْضي سَبَّحْتُموني وقَدَّسْتُموني، وإنْ استَخْلَفْت فيها غَيْرَكُم عَصاني ذُرِّيَّته، وأفسَدوا وسَفَكوا الدِّماء. فَلَمَّا اتَّضَحَ لهم موضِع خَطَأ قِيلِهم، وبَدَتْ لهم هَفْوةُ زَلَّتهم أنابوا إلى الله بالتَّوْبةِ فقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ فَسارَعوا الرَّجْعة من الهَفْوة، وبادِروا الإنابة من الزَّلّة، كما قال نوح عليه السلام حين عوتِبَ في مسألَته، فَقيلَ لـه: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ -: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٦، ٤٧] وكذلك فَعَلَ كُلّ مُسَدَّد لِلْحَقّ موَفَّق له، سَريعة إلى الحَقّ إنابَته، قَريبة إليه أوبَته.

وَقد زَعَمَ بعض نَحْويّي أهل البصرة أنّ قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ لم يكُنْ ذلك لأنّ المَلائِكة ادَّعَوْا شَيْئًا، إنَّما أخْبَرَ عن جَهْلهم بِعِلْم الغَيْب وعِلْمه بِذلك وفَضْله، فَقال: أنْبِئوني إنْ كُنْتُم صادِقِينَ؛ كما يَقول الرَّجُل لِلرَّجُلِ: أنْبِئْني بهذا إنْ كُنْت تَعْلَم، وهو يَعْلَم أنّه لا يَعْلَم؛ يُريد أنّه جاهِل.

وَهذا قولٌ إذا تَدَبَّرَه مُتَدَبِّر عَلِمَ أنّ بعضه مُفْسِد بعضًا؛ وذلك أنّ قائِله زَعَمَ أنّ الله تعالى ذكره قال لِلْمَلائِكةِ - إذْ عَرَضَ عليهم أهل الأسماء -: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وهو يَعْلَم أنّهم لا يَعْلَمونَ ذلك، ولا هم ادَّعَوْا عِلْم شَيْء يوجِب أنْ يوَبَّخوا بهذا القول. وزَعَمَ أنّ قوله: ﴿إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ ﴾ نَظير قول القائلِ: أنبِئني بهذا إنْ كُنت تَعْلَم. وهو يَعْلَم أنَّه لا يَعْلَم؛ يُريد أنَّه جاهِل. ولا شَكَّ أنَّ معنى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إنَّما هو: إنْ كُنتُم صادِقينَ؛ إمَّا في قولكُم، وإمَّا في فِعْلكُمْ؛ لأنَّ الصِّدْق في كَلام العرب إنَّما هو صِدْق في الخَبَر لا في العِلْم؛ وذلك أنَّه غَيْر معقول في لُغة من اللُّغات أنْ يُقال: صَدَقَ الرَّجُل بِمعنى عَلِمَ. فَإذ كان ذلك كذلك فقد وجَبَ أنْ يكون الله تعالى ذكره قال لِلْمَلائِكةِ - على تأويل قول هذا الذي حَكَيْنا قوله في هذه الآية -: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وهو يَعْلَم أنَّهم غَيْر صادِقينَ؛ يُريد بِذلك أنَّهم كاذِبونَ. وذلك هو عَيْن ما أنْكرَه؛ لأنَّه زَعَمَ أنَّ المَلائِكة لم تَدَّعِ شَيْئًا فكيف جازَ أنْ يُقال لها: إنْ كُنْتُم صادِقينَ فَأنْبِئوني بِأسماءِ هؤلاء؟ هذا مع خُروج هذا القول الذي حَكَيْنا عن صاحِبه من أقْوال جَميع المُتَقَدِّمينَ والمتأخرين من أهل التَّأويل والتَّفسير.

وَقد حُكيَ عن بعض أهل التَّفسير أنَّه كان يَتأوَّل قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ بمعنى: إذْ كُنْتُم صادِقينَ.

وَلو كانتْ ﴿إِن﴾ بِمعنى (إذْ) في هذا الموضِع لَوَجَبَ أنْ تَكون قِراءَتها بِفَتْح أَلِفها، لأنَّ (إذْ) إذا تَقَدَّمَها فِعْل مُسْتَقْبَل صارَتْ عِلَّة لِلْفِعْلِ وسَبَبًا له، وذلك كَقولِ القائِل: أقُوم إذْ قُمْت، فمعناه: أقَوْم من أجْل أنَّك قُمْت، والأمْرُ بِمعنى الاستِقْبال. فَمعنى الكَلام لو كانتْ ﴿إِن﴾ بِمعنى (إذْ): أنْبِئوني بِأسماءِ هؤلاء من أجْل أنَّكُم صادِقونَ. فَإذا وُضِعَتْ ﴿إِن﴾ مَكان ذلك، قِيلَ: أنْبِئوني بِأسماءِ هؤلاء أنْ كُنتُم صادِقِينَ مَفْتوحة الألِف، وفي إجماع جَميع قَرأةِ أهل الإسلام على كَسْر الألِف من ﴿إِن﴾ دَليل واضِح على خَطَأ تأويل مَنْ تأوَّلَ ﴿إِن﴾ بمعنى (إذْ) في هذا الموضِع.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٣٢﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذا خَبَر من الله تعالى ذِكْره عن مَلائِكَته بالأوبةِ إليه، وتَسْليم عِلْم ما عَلَمَ مما لم يَعْلَموه له، وتَبَرِّيهم من أنْ يَعْلَموا أو يَعْلَم أحَد شَيْئًا إلا ما عَلَّمَه تعالى ذِكْره.

وَفي هذه الآيات الثَّلاث العِبْرةُ لِمَنْ اعْتَبَرَ، والذِّكْرَى لِمَنْ ادَّكَرَ، والبيان لِمَنْ كان له قَلْب أو ألقَى السَّمْع وهو شَهيد، عَمَّا أودَعَ الله تعالى ذكره آيَ هذا القُرْآن من لَطائِف الحِكَم التي تَعْجِز عن أوصافها الألسُن. وذلك أنَّ الله تعالى ذكره احْتَجَّ فيها لِنَبيِّه ﷺ على مَنْ كان بين ظَهْرانَيْه من يَهود بَني إسرائيل بإطْلاعِه إيَّاه من عُلوم الغَيْب التي لم يَكُنْ تعالى ذكره أطْلَعَ عليها مِن خَلْقه إلاَّ خاصًّا، ولم يكُنْ مُدْرَكًا عِلْمه إلاَّ بالإنْباءِ والإخبار، لِتَتَقَرَّر عندهم صِحَّة نُبوَّته، ويَعْلَموا أنَّ ما أتاهم به فَمِن عنده، ودَلَّ فيها على أنَّ كُلَّ مُخْبِر خَبَرًا عَمَّا قد كان أو عَمَّا هو كائِن مِمَّا لم يَكُنْ ولَمَّا يَأتِه به خَبَر ولم يوضَع له على صِحَّته بُرْهان فَمُتَقَوِّل ما يَسْتَوْجِب به من رَبِّه العُقوبة.

ألا تَرَى أنَّ الله رَدَّ على مَلائِكته قِيلَهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وعَرَّفَهم أنَّ قيل ذلك لم يكُنْ جائِزًا لهم بِما عَرَّفَهم

من قُصور عِلْمهم عند عَرْضه ما عَرَضَ عليهم من أهل الأسماء، فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فلم يكُنْ لهم مَفْزَع إلاّ الإقرار بالعَجْزِ والتّبَرّي إليه أنْ يَعْلَموا إلاّ ما عَلّمَهم بقولِهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ فكان في ذلك أوضَح الدّلالةِ وأبْيَن الحُجّةِ على كذِب مَقالة كُلّ مَنْ ادَّعى شَيْئًا من عُلوم الغَيْب من الحُزاةِ والكَهَنةِ والعافةِ والمُتنَجّمة.

وَذَكّرَ بها الذينَ وصَفْنا أمْرهم من أهل الكِتاب سَوالِف نِعَمه على آبائِهم، وأيَاديَه عند أسلافهم، عند إنابَتهم إليه، وإقْبالهم إلى طاعَته؛ مُسْتَعْطِفَهم بِذلك إلى الرّشاد، ومُسْتَعْتِبهم به إلى النّجاة، وحَذّرَهم - بالإصْرارِ والتّمادي في الغَيّ والضّلال - حُلولَ العِقاب بهم نَظير ما أحَلّ بعدوه إبليس، إذْ تَمادَى في الغَيّ والخَسار.

وأمّا تأويلُ قولِه: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ فهو كما:

٦٧٥- **حَدّثَنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضّحّاك، عن ابن عَبّاس: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنْزيهًا لِلّه من أنْ يكون أحَد يَعْلَم الغَيْب غَيْره، تُبنا إليك، ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾: تَبَرّيًا منهم من عِلْم الغَيْب، إلاّ ما عَلّمْتنا كما عَلّمْت آدم [(١)].

وَ(سُبْحان) مَصْدَر لا تَصَرُّفَ له، ومعناه: تَسْبِيحكَ كأنّهم قالوا: نُسَبّحك تَسْبيحًا، ونُنَزّهك تَنْزيهًا، ونُبَرّئك من أنْ نَعْلَم شَيْئًا غَيْر ما عَلّمْتنا.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وتأويل ذلك: إنّك أنتَ يا رَبّنا العَليم - من غَيْر تَعْليم - بِجَميعِ ما قد كان وما وهو كائِن، والعالِم لِلْغُيوبِ دون جَميعِ خَلْقك. وذلك أنّهم نَفَوْا عن أنْفُسهم بقولِهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ أنْ يكون لهم عِلْم إلاّ ما عَلّمَهم رَبّهم، وأثْبَتوا ما نَفَوْا عن أنْفُسهم من ذلك لِرَبّهم بِقولِهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ يَعْنونَ بِذلك العالِم من غَيْر تَعْليم، إذْ كان مَن سِواك لا يَعْلَم شَيْئًا إلاّ بِتَعْليم غَيْره إيّاه. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: هو ذو الحِكْمة. كَما:

٦٧٦- **حَدّثَني** به المُثَنّى، قال: حَدّثَنا عبد الله، قال: حَدّثَني مُعاوية، عن عَليّ، عن ابن عَبّاس، العَليم: الذي قد كَمُلَ في عِلْمه، والحَكيم: الذي قد كَمُلَ في حِكْمته [(٢)].

وَقد قِيلَ: إنّ معنى الحَكيم: الحاكِم، كما أنّ العَليم بِمعنى العالِم، والخَبير بِمعنى الخابِر.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: إنّ الله تعالى ذكره عَرّفَ مَلائِكته الذينَ سَألوه أنْ يجْعَلهم الخُلَفاء في الأرْض

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.
(٢) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه.

ووَصَفوا أنفُسهم بِطاعَتِه والخُضوع لأمْرِه دون غَيْرهم الذينَ يُفْسِدونَ فيها ويَسْفِكونَ الدِّماء - أنَّهم من الجَهْل بِمَواقِع تَدْبيره ومَحِلِّ قَضائِه، قَبْل إطْلاعه إيَّاهم عليه، على نَحْو جَهْلهم بِأسماءِ الذينَ عَرَضَهم عليهم، إذْ كان ذلك مِمَّا لم يُعَلِّمهم فَيَعْلَموه، وأنَّهم وغَيْرَهم من العِباد لا يَعْلَمونَ من العِلْم إلاَّ ما عَلَّمَهم إيَّاه رَبُّهم، وأنَّه يَخُصّ بِما شاءَ من العِلْم من شاءَ من الخَلْق ويَمْنَعه منهم مَنْ شاءَ كما عَلَّمَ آدَم أسْماء مَن عَرَضَ على المَلائِكة ومَنَعهم عِلْمَها إلاَّ بعد تَعْليمه إيَّاهم.

فأمَّا تأويل قوله: ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم﴾: قال الله: يا آدم أنبئهم. يقول: أخْبِرِ المَلائِكة. والهاء والميم في قوله: ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ عائِدَتانِ على المَلائِكة، وقوله: ﴿بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ يَعْني: بِأسماءِ الذينَ عَرَضَهم على المَلائِكة. والهاء والميم اللَّتانِ في ﴿بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ كِناية عن ذِكْر ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ التي في قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم﴾ يقول: فَلَمَّا أخْبَرَ آدَم المَلائِكة بِأسماءِ الذينَ عَرَضَهم عليهم، فَلم يَعْرِفوا أسْماءَهم، وأيْقَنوا خَطَأ قِيلِهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ وأنَّهم قد هَفَوْا في ذلك وقالوا ما لا يَعْلَمونَ كيفيَّةَ وُقوع قَضاء رَبِّهم في ذلك، لو وقَعَ على ما نَطَقوا به - قال لهم رَبُّهم: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ والغَيْب: هو ما غابَ عن أبْصارهم فلم يُعايِنوه. تَوْبيخًا من الله جَلَّ وعزَّ لهم بِذلك على ما سَلَفَ من قيلهم وفَرَطَ منهم مِن خَطإِ مسألَتِهمْ. كما:

٦٧٧- **حدَّثنا** مُحَمَّد بن العَلاء، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾. يقول: أخْبِرْهم بِأسمائِهم، ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ﴾ أيُّها المَلائِكة خاصَّةً ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ولا يَعْلَمه غَيْري [(١)].

٦٧٨- **حدَّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قِصَّة المَلائِكة وآدَم: فَقال الله لِلْمَلائِكةِ: كما لم تَعْلَموا هذه الأسماء فَلَيْسَ لكم عِلْم أنَّما أرَدْت أنْ أجْعَلَهم لِيُفْسِدوا فيها، هذا عندي قد عَلِمْته؛ فَكَذلك أخْفَيْت عنكُم أنِّي أجْعَل فيها مَنْ يَعْصيني ومَنْ يُطيعني. قال: وسَبَقَ من الله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]. قال: ولم تَعْلَم المَلائِكة ذلك ولم يَدْروه. قال: فَلَمَّا رَأوا ما أعْطَى الله آدَم من العِلْم أقَرّوا لآدَم بالفَضْل [(٢)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾

قَالَ أبُو جَعْفَر: اختلَفَ أهل التَّأويل في تأويل ذلك، فَرُوِيَ عن ابن عَبَّاس في ذلك ما:

٦٧٩- **حدَّثنا** به أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاس: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ يقول: ما تُظْهِرونَ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يقول: أعْلَم السِّرَّ كما أعْلَمُ العَلانية. يَعْني ما كَتَمَ إبليس في نَفْسه من الكِبْر والاغْتِرار (١).

٦٨٠- حدَّثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثنا عَمْرو، قال: حَدَّثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَره، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عبَّاس، وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: قولُهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فهذا الذي أبْدَوا، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يَعْني: ما أسَرَّ إبليسُ في نَفْسه من الكِبْر (٢).

٦٨١- حدَّثنا أحمَد بن إسحاق الأهوازيُّ، قال: حَدَّثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قال: حَدَّثنا عَمْرو بن ثابِت، عن أبيه، عن سَعيد بن جُبَيْر قولَه: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: ما أسَرَّ إبليس في نَفْسه (٣).

٦٨٢- حدَّثنا أحمَد، قال: حَدَّثنا أبو أحمَد، قال: حَدَّثنا سُفيان في قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: ما أسَرَّ إبليس في نَفْسه من الكِبْر ألا يَسْجُد لآدَم (٤).

٦٨٣- حدَّثني المُثَنَّى، قال: حدَّثنا الحَجَّاج الأنماطيُّ، قال: حَدَّثنا مَهْديّ بن مَيْمون، قال: سَمِعْت الحسن بن دينار قال لِلْحَسَنِ - ونَحْنُ جُلوس عنده في مَنْزله -: يا أبا سَعيد أرَأيْت قول الله لِلْمَلائِكةِ ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فما الذي كَتَمَتِ المَلائِكة؟ فقال الحسن: إنَّ الله لَمَّا خَلَقَ آدَم رَأتِ المَلائِكة خَلْقًا عَجبًا، فَكأنّهم دَخلَهم من ذلك شَيْء، فأقْبَلَ بعضهم إلى بعض، وأسَرّوا ذلك بينهم، فَقالوا: ما يُهِمُّكم من هذا المَخْلوق، إنَّ الله لن يَخلُق خَلقًا إلاَّ كُنَّا أكْرَم عليه منهُ (٥).

٦٨٤- حدَّثنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: أسَرّوا بينهم فقالوا: يَخْلُق الله ما يَشاء أنْ يَخْلُق، فَلَنْ يَخْلُق خَلقًا إلاَّ ونَحْنُ أكْرَم عليه منهُ (٦).

٦٨٥- حدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثنا إسحاق، قال: حَدَّثنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه،

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.
(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٣) [ضعيف] عمرو بن ثابت بن هرمز البكري أبو محمد ويقال: أبو ثابت الكوفي وهو عمرو بن أبي المقدام الحداد مولى بكر بن وائل، ضعيف، رمي بالرفض.
(٤) [حسن] من أجل الأهوازي وبقية رجاله ثقات تقدموا.
(٥) [ضعيف جدًا] لحسن بن دينار أبي سعيد التميمي وقيل الحسن بن واصل متروك. وشيخ المصنف مجهول الحال.
(٦) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

عن الرَّبيع بن أنَس: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: فكان الذي أبدَوْا حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ وكان الذي كَتَموا بينهم قولُهمْ: لَنْ يَخْلُق رَبّنا خَلْقًا إلاَّ كُنَّا نَحْنُ أعْلَم منه وأكْرَم. فعَرَفوا أنَّ الله فَضَّلَ عليهم آدَم في العِلْم والكَرَم[١].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وأولَى هذه الأقْوال بِتأويلِ الآية ما قاله ابن عَبَّاس، وهو أنَّ معنى قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: وأعْلَم - مع عِلْمي غَيْبَ السَّموات والأرض - ما تُظْهِرونَ بِألْسِنَتِكُم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: وما كُنْتُم تُخْفونَه في أنفُسكُم، فلا يَخْفَى عَلَيَّ شَيْء؛ سَواءٌ عندي سَرائِرُكُم وعَلانيَتكُمْ. والذي أظْهَروه بِألسِنَتِهم ما أخْبَرَ الله تعالى ذكره عنهم أنَّهم قالوه، وهو قولُه: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ والذي كانوا يكْتُمونَه ما كان عليه مُنْطَوِيًا إبليس من الخِلاف على الله في أمْره، والتَّكَبُّر عن طاعَته؛ لأنَّه لا خِلاف بين جَميع أهل التَّأويل أنَّ تأويل ذلك غَيْرُ خارِجٍ من أحَد الوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ وصَفْت، وهو ما قُلْنا. والآخَر ما ذَكَرْنا من قول الحسن وقَتادةُ، ومَنْ قال: إنَّ معنى ذلك كِتْمان المَلائِكة بينهم: لَنْ يَخْلُق الله خَلْقًا إلاَّ كُنَّا أكْرَم عليه منهُ - فإذ كان لا قول في تأويل ذلك إلاَّ أحَد القولَيْنِ اللَّذَيْنِ وصَفْت ثُمَّ كان أحَدهما غَيْر موجودة على صِحَّته الدَّلالةُ مِن الوَجْه الذي يجِب التَّسْليم له - صَحَّ الوَجْه الآخَر.

والذي حُكِيَ عن الحسن وقَتادةُ ومَنْ قال بِقولِهما في تأويل ذلك غَيْر موجودةٍ الدَّلالةُ على صِحَّتهِ من الكِتاب ولا من خَبَر تجِبُ به حُجّة.

والذي قاله ابن عَبَّاس يَدُلّ على صِحَّته خَبَر الله عن إبليس وعِصْيانه إيَّاه؛ إذْ دَعاه إلى السُّجود لِآدَم عليه السلام، فَأبَى واستَكبَرَ، وإظْهارهُ لِسائِرِ المَلائِكة من معصيَته وكِبْره ما كان له كاتِمًا قَبْل ذلك.

فَإنْ ظَنَّ ظانّ أنَّ الخَبَر عن كِتْمان المَلائِكة ما كانوا يكْتُمون لَمَّا كان خارِجًا مَخْرَج الخَبَر عن الجَميع كان غَيْر جائِز أنْ يكون ما رُوِيَ في تأويل ذلك عن ابن عَبَّاس ومَنْ قال بِقولِه مِن أنَّ ذلك خَبَر عن كِتْمان إبليس الكِبْر والمعصية صَحيحًا - فقد ظَنَّ غَيْر الصَّواب؛ وذلك أنَّ من شَأن العرب إذا أخْبَرَتْ خَبَرًا عن بعض جَماعة بِغَيْرِ تَسْمية شَخْص بِعَيْنِه أنْ تُخَرِّج الخَبَر عنه مُخْرَج الخَبَر عن جَميع، وذلك كَقولِهم: قُتِلَ الجَيْش وهُزِموا، وإنَّما قُتِلَ الواحِد أو البعْض، وهُزِمَ الواحِد أو البعْض، فَتُخرِّج الخَبَر عن المَهْزوم منه والمَقْتول مُخْرَج الخَبَر عن جَميعهم، كما قال تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] ذُكر أنَّ الذي نادَى رَسول الله ﷺ، فَنَزَلَتْ هذه الآية فيه، كان رَجُلاً من جَماعة من بَني تَميم، كانوا قَدِموا على رَسول الله ﷺ. فَأخْرَج الخَبَر عنه مُخْرَج الخَبَر عن الجَماعة، فَكَذلك قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أخْرَجَ الخَبَر مُخْرَج الخَبَر عن الجَميع، والمُراد به الواحِد منهم.

(١) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أمَّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ فمعطوف على قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ كَأنه قال لِلْيهودِ الذينَ كانوا بين ظَهْرانَيْ مُهاجَرِ رَسول الله ﷺ من بَني إسرائيل مُعَدِّدًا عليهم نِعَمه، ومُذَكِّرهم آلاءَهُ على نَحْو الذي وصَفْنا فيما مَضى قَبْل - اذْكُروا فِعْلِي بِكُم إذْ أنْعَمْت عليكُم، فَخَلَقْت لكم ما في الأرْض جَميعًا، وإذْ قُلْت لِلْمَلائِكةِ: إنِّي جاعِل في الأرْض خَليفة، فَكَرَّمْت أباكُم آدَم بِما آتَيْتهُ من عِلْمي وفَضْلي وكَرامَتي، وإذْ أسجَدْتُ له مَلائِكَتي فَسَجَدوا له. ثُمَّ استَثْنَى من جَميعهم إبليسَ، فَدَلَّ باستِثْنائِه إيَّاه منهم على أنَّه منهم، وأنه مِمَّنْ قد أُمِرَ بالسُّجودِ معهم، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١١-١٢] فَأخْبَرَ جَلَّ ثَناؤه أنَّه قد أمَرَ إبليسَ فيمَنْ أمَرَهُ من المَلائِكة بالسُّجودِ لِآدَم. ثُمَّ استَثْناه مِمَّا أَخْبَرَ عنهم أنَّهم فَعَلوه من السُّجود لِآدَم، فَأخْرَجَهُ من الصِّفةِ التي وصَفَهم بها من الطَّاعة لأمْرِه، ونَفَى عنه ما أثْبَتَه لِمَلائِكَتِه من السُّجودِ لِعبدِه آدَم.

ثُمَّ اختَلَفَ أهلُ التَّأويل فيه؛ هَلْ هو من المَلائِكة أم هو من غَيرِهِمْ؟ فَقال بعضهم بِما:

٦٨٦- **حَدَّثَنا** به أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حدَّثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: كان إبليسُ من حَيٍّ من أحياء المَلائِكة، يُقال لهم: الجِنُّ خُلِقوا من نار السَّمومِ من بين المَلائِكة. قال: وكان اسمه الحارِث. قال: وكان خازِنًا من خُزَّانِ الجَنَّة. قال: وخُلِقَتِ المَلائِكة مِن نور غَيْر هذا الحَيِّ. قال: وخُلِقَتِ الجِنُّ الذينَ ذُكِروا في القُرْآن من مارِجٍ من نار، وهو لِسانُ النَّار الذي يكون في طَرَفِها إذا التَهَبَتْ (١).

٦٨٧- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن خَلَّاد بن عَطاء، عن طاوُوس، عن ابن عَبَّاس، قال: كان إبليسُ قَبْل أنْ يَرْكَبَ المعصية من المَلائِكة اسمه عَزازيل، وكان من سُكَّان الأرْض وكان من أشَدِّ المَلائِكة اجْتِهادًا وأكْثَرِهم عِلْمًا، فَذلك دَعاه إلى الكِبْر، وكان من حَيّ يُسَمَّوْنَ جِنًّا (٢).

٦٨٨- **حَدَّثَنا** به ابن حُمَيْدٍ مَرَّة أُخْرَى، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن خَلَّادِ بن عَطاء، عن طاوُوس، أو مُجاهِد أبي الحَجَّاج، عن ابن عَبَّاس وغَيْره بِنَحْوِه، إلاَّ أنَّه قال: كان مَلِكًا من المَلائِكة اسمه عَزازيل، وكان من سُكَّان الأرْض وعُمَّارها، وكان سُكَّان الأرْض فيهم

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف بهذا اللفظ] عطاء بن السائب اختلط، وليس ممن روى عنه قبل الاختلاط خلاد، و خلاد بن عطاء بن أبي رباح مولى قريش متروك، وابن إسحاق مدلس، وسلمة ضعيف، وشيخ المصنف كذلك. ولكن أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح في تفسيره فقال: حدثنا أبي، حدثني سعيد بن سليمان، ثنا عباد يعني ابن العوام، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان إبليس اسمه عزازيل، وكان من أشرف الملائكة من ذوي الأربعة الأجنحة ثم أبلس بعد. اهـ وهذا سند صحيح كل رجاله ثقات.

يُسَمَّوْنَ الجِنّ من بين المَلائِكة(١) .

٦٨٩- حَدَّثَني موسَى بن هارونَ قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: جُعِلَ إبليس على مُلْك سَماء الدُّنْيا، وكان من قَبيلةٍ من المَلائِكة يُقالُ لهم الجِنّ، وإنّما سُمّوا الجِنّ لأنَّهم خُزَّان الجَنَّة، وكان إبليس مع مُلْكه خازِنًا(٢) .

٦٩٠- حَدَّثَنا القاسِم بن الحسن، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عَبَّاس: كان إبليس من أشراف المَلائِكة وأكْرَمِهم قَبيلة وكان خازِنًا على الجِنان، وكان له سُلْطان سَماء الدُّنْيا، وكان له سُلْطان الأرْض. قال: قال ابن عَبَّاس: وقوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]، إنّما سُمِّيَ بالجَنَّانِ أنَّه كان خازِنًا عليها، كما يُقال لِلرَّجُلِ: مَكِّيٌّ، ومَدَنيٌّ، وكوفيٌّ، وبَصْريٌّ. قال ابن جُرَيْج(٣) .

وَقال آخَرونَ: هم سِبْطٌ من المَلائكة قَبيلة، فكان اسم قَبيلَته الجِنّ.

٦٩١- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن صالِح مولَى التَّوْأمة وشريك بن أبي نَمِر - أحَدهما أو كِلاهُما - عن ابن عَبَّاس، قال: إنَّ من المَلائِكة قَبيلة من الجِنّ، وكان إبليس منها، وكان يَسوسُ ما بين السَّماء والأرْض(٤) .

٦٩٢- حُدِّثت عن الحسين بن الفَرَج، قال: سَمِعْت أبا مُعاذ الفَضْلَ بن خالِد، قال: أخبرَنا عُبَيْد بن سُلَيْمان، قال: سَمِعْت الضَّحَّاك بن مُزاحِم، يقول في قوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] قال: كان ابن عَبَّاس يقول: إنَّ إبليس كان من أشْرَف المَلائِكة وأكْرَمِهم قَبيلة. ثُمَّ ذَكَرَ مِثْل حَديثِ ابن جُرَيْج الأوَّل سَواءً(٥) .

٦٩٣- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: حَدَّثَني شَيْبان، قال: حَدَّثَنا سَلَّامُ بن مِسْكين، عن قَتادةَ، عن سَعيد بن المُسَيِّب، قال: كان إبليسُ رَئيس مَلائِكة سَماء الدُّنْيا(٦) .

٦٩٤- حَدَّثَنا بِشْر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة قولَه: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] قَبيلٌ من المَلائِكةِ يُقال لهم:

---

(١) [ضعيف بهذ اللفظ] تقدم قبله.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج، وقد رُوي بأسانيد أخرى كلها ضعيف.

(٤) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج، وابن جريج ثقة مدلس ولم يصرح.

(٥) [ضعيف] الحسن بن الفرج أبو علي الغزي راوي الموطأ عن يحيى بن بكير متروك، ومع ذلك فهو من معلقات المصنف.

(٦) [ضعيف] قتادة بن دعامة السدوسي مدلس، يدخل بينه وبين ابن المسيب عشرة من الرواة، فلابد من التصريح.

الجِنُّ. وكان ابن عَبَّاس يقول: لو لم يكُنْ من المَلائِكةِ لم يُؤمَر بالسُّجودِ، وكان على خِزانة سَماء الدُّنيا. قال: وكان قَتادةَ يقول: جُنَّ عن طاعة رَبِّه (١).

٦٩٥- حَدَّثَنا الحَسَن بن يَحيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] قال: كان من قَبيل من المَلائِكة يُقال لهم: الجِنّ (٢).

٦٩٦- حَدَّثَنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن إسحاق، قال: أمَّا العرب فيقولونَ: ما الجِنّ إلاَّ كُلُّ من اجْتَنَّ فَلم يُرَ. قال: وأمَّا قوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] أيْ: كان من المَلائِكة؛ وذلك أنَّ المَلائِكة اجْتَنُّوا فَلم يُرَوْا، وقد قال الله تعالى ذكره: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨] وذلك لِقولِ قُرَيْش: إنَّ المَلائِكة بَناتُ اللّه، فيقول اللّه: إنْ تَكُنْ المَلائِكة بَناتي فَإبليس منها، وقد جَعَلوا بيني وبين إبليس وذُرِّيَّتِه نَسَبًا. قال: وقد قال الأعْشَى، أعْشَى بَني قَيْس بن ثَعْلَبة البَكْريّ، وهو يَذْكُر سُلَيْمان بن داود وما أعْطاه اللّه:

فَلو كان شَيْءٌ خالِدًا أو مُعَمَّرًا ... لَكان سُلَيْمان البريءَ من الدَّهْر
بَـراهُ إلَـهـي واصْـطَـفـاهُ عـبـاده ... وَمَلَّكَهُ ما بين ثُرْيا إلى مِصْر
وَسَخَّرَ من جِنِّ المَلائِك تِسْعةً ... قِيامًا لَدَيْه يَعْمَلونَ بلا أجْر (٣)

قال: فَأبَتِ العرب في لُغَتها إلاَّ أنَّ الجِنَّ كُلَّ ما اجْتَنَّ. يقول: ما سَمَّى الله الجِنَّ إلاَّ أنَّهم اجْتَنُّوا فَلم يُرَوْا، وما سُمِّيَ بَني آدَم الإنْس إلاَّ أنَّهم ظَهَروا فَلم يَجْتَنُّوا، فَما ظَهَرَ فهو إنْس، وما اجْتَنَّ فَلم يُرَ فهو جِنّ (٤).

وَقال آخرونَ بِما:

٦٩٧- حَدَّثَنا به مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا ابن أبي عَديٍّ، عن عَوْف، عن الحسن، قال: ما كان إبليس من المَلائِكة طَرْفةَ عَيْنٍ قَطّ، وإنَّه لأصْلُ الجِنّ كما أنَّ آدَمَ أصْلُ الإنْس (٥).

٦٩٨- حَدَّثَنا بِشْر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ، قال: كان الحسن يقول في قولِه: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ ألْجَأهُ إلى نَسَبه، فَقال اللّه جَلَّ ثَناؤه:

---

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣) [الطويل] القائل: الأعشى ميمون بن قيس بن جندل تقدم. اللغة: البريء: الخالي. الدهر: هاهنا ليس الأمد الممدود، بل عني مصائب الدهر ونكباته. المعنى: يقول الشاعر: لو أن أي شيء ظل خالدًا ومعمرًا... لكان من الأولى والأجدر أن يظل ويبقى سيدنا سليمان الخالي من مصائب الدهر ونكباته.

(٤) [ضعيف] سلمة، وحميد ضعيفان

(٥) [صحيح] عوف بن ابي جميلة ثقة حديثه عن الحسن على شرط البخاري، وبقية رجاله ثقات.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف: ٥٠] الآية . وهم يَتوالَدونَ كما يَتوالَد بَنو آدَم[(١)] .

٦٩٩- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا يَحْيَى بن واضِح، قال: حَدَّثَنا أبو سَعيد اليَحْمَديُّ، إسماعيل بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا سَوَّار بن الجَعْد اليَحْمَديُّ، عن شَهْر بن حَوْشَب قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ قال: كان إبليس من الجِنِّ الذينَ طَرَدَتْهم المَلائِكةُ، فَأَسَرَه بعض المَلائِكة فَذَهَبَ به إلى السَّماء[(٢)] .

٧٠٠- **قال**: وحَدَّثَنا يونُس بن عبد الأعلى، قال: أخبَرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: إبليس أبو الجِنّ، كما آدَم أبو الإنْس[(٣)] .

٧٠١- **حَدَّثَنا** عَليّ بن الحسنِ، قال: حَدَّثَني أبو نَصْر أحمَد بن مُحَمَّد الخَلَّال، قال: حَدَّثَني سُنَيْدُ بن داود، قال: حَدَّثَنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا عبد الرَّحْمَن بن يَحْيَى، عن موسَى بن نُمَيْر، وعُثْمان بن سَعيد بن كامِل، عن سَعْد بن مسعود، قال: كانتِ المَلائِكةُ تُقاتِلُ الجِنّ، فَسُبيَ إبليس وكان صَغيرًا، فَكان مع المَلائِكة فَتَعَبَّدَ معها. فَلَمَّا أُمِروا بالسُّجودِ لِآدَم سَجَدوا، فَأَبَى إبليسُ؛ فَلِذلك قال اللَّه: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠][(٤)] .

٧٠٢- **حَدَّثنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، قال: حَدَّثَنا المُبارَك بن مُجاهِد أبو الأزْهَر، عن شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر، عن صالِح مولَى التَّوْأمة، عن ابن عَبَّاس، قال: إنَّ من المَلائِكة قَبيلاً يُقال لهم الجِنُّ، فَكان إبليسُ منهم، وكان إبليسُ يَسُوس ما بين السَّماء والأرض، فَعَصَى فَمَسَخَه الله شَيْطانًا رَجيمًا[(٥)] .

٧٠٣- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن سِنان القَزَّازُ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، عن شَريك، عن رَجُل عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: إنَّ الله خَلَقَ خَلْقًا، فَقال: اسجُدوا لِآدَم، فَقالوا: لا نَفْعَل. فَبَعَثَ اللهُ عليهم نارًا تَحرِقهم. ثُمَّ خَلَقَ خَلْقًا آخر، فقال: إنِّي خالِق بَشَرًا من طين، اسجُدوا لِآدَم. قال: فَأَبَوْا، فَبَعَثَ الله عليهم نارًا فَأَحرَقَتْهم. قال: ثُمَّ خَلَقَ هؤلاء، فَقال: اسجُدوا لِآدَم. فَقالوا: نَعَمْ. قال: وكان إبليسُ من أولَئِكَ الذينَ أبَوْا أنْ يَسْجُدوا لِآدَم[(٦)] .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وعِلَّةُ مَنْ قال هذه المَقالة، - أن إبليسَ ليس هو من الملائكةِ- أنَّ الله تعالى ذكره أَخْبَرَ في كِتابه أنَّه خَلَقَ إبليسَ من نار السَّموم ومن مارِجٍ من نار، ولم يُخْبِر عن المَلائِكة أنَّه خَلَقَها من شَيْء من ذلك. وأنَّ اللهَ أَخْبَرَ أنَّه من الجِنّ.

---

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [ضعيف] لما فيه من مجاهيل، وضعفاء.

(٣) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٤) [ضعيف] لجهالة بعض رجالة، وضعف آخرين.

(٥) [ضعيف جدًا] كل رجاله ضعفاء عدا صاحب الأثر.

(٦) [ضعيف] فيه رجل مبهم، وشريك ضعيف.

قالوا: فَغيْر جائِز أنْ يُنسِبَ إلى غَيْر ما نَسبَه الله إليه. قالوا: ولإبليسَ نَسْلٌ وذُرِّيَّةٌ، والمَلائِكة لا تَتَناسَل ولا تَتَوالَد.

قال أبو جعفر: وهذه عِلَل تُنبِئ عن ضَعْف معرِفة أهلها. وذلك أنَّه غَيْر مُسْتَنْكِر أنْ يكون الله تعالى ذكره خَلَقَ أصْنافَ مَلائِكَتهِ من أصْناف من خَلْقه شَتَّى، فَخَلَقَ بعضًا من نور. وبعضًا من نار، وبعضًا مِمَّا شاءَ من غَيْر ذلك. ولَيْسَ في تَرْك الله تعالى ذكره الخَبَر عَمَّا خَلَقَ منه مَلائِكَته وإخبارِهِ عَمَّا خَلَقَ منه إبليسَ، ما يوجِب أنْ يكون إبليس خارِجًا عن معناهم؛ إذْ كان جائِزًا أنْ يكون خَلَقَ صِنْفًا من مَلائِكَتِه من نارٍ كان منهم إبليس، وأنْ يكون أفرَدَ إبليسَ بِأنْ خَلَقَه من نار السَّموم دون سائِر مَلائِكَته. وكذلك غَيْر مَخْرَجِهِ أنْ يكون كان من المَلائِكة بِأنْ كان له نَسْلٌ وذُرِّيَّةٌ لِما رُكِّبَ فيه من الشَّهْوة واللَّذَّة التي نُزِعَتْ من سائِر المَلائِكة لِما أرادَ الله به من المعصية.

وَأمَّا خَبَرُ الله تعالى ذكرُه عنه أنَّه من الجِنّ، فَغَيْرُ مَدْفوعٍ أنْ يُسَمَّى ما اجْتُنَّ من الأشياء عن الأبْصار كُلّها جِنًّا - كما قد ذَكَرْنا قَبْلُ في شِعْر الأعْشَى - فَيكون إبليسُ والمَلائِكةُ منهم لاِجْتِنانِهم عن أبْصار بَني آدَم.

القول في تأويل قوله: ﴿إبليس﴾:

قال أبو جعفر: وإبليس: إفعيل من الإبلاس: وهو الإياس من الخَيْر والنَّدَمُ والحُزْنُ. كَما:

٧٠٤ - حدثنا به أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: إبليسُ أبْلَسَه الله من الخَيْر كُلّه، وجَعَلَه شَيْطانًا رَجيمًا عُقوبة لِمعصيَتِهِ[(١)].

٧٠٥ - حدثنا موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ عن السُّدِّيِّ، قال: كان اسم إبليسَ الحارِثَ، وإنَّما سُمِّيَ إبليسُ حين أُبْلِسَ فقيرًا[(٢)].

قال أبو جعفر: وكَما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] يَعْني: به أنَّهم آيِسونَ من الخَيْر، نادِمونَ حُزْنًا، كما قال العَجَّاج:

يا صاحِ هَلْ تَعْرِف رَسْمًا مُكْرَسا
قالَ: نَعَم، أعْرِفُه وأبْلَسا[(٣)]

(١) [تضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [الرجز] القائل: العجاج عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء. راجز مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أدرك الإسلام وأسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ففلج وأقعد، وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد، وكان بعيدًا عن الهجاء. وهو والد رؤبة الراجز المشهور. اللغة: المكرس: الذي صار فيه الكرس، وهو أبوال الإبل وأبعارها يتلبد بعضها على بعض في الدار. وأبلس الرجل: سكت غما وانكسر وتحير ولم ينطق. المعنى: يقول الشاعر مخاطبًا رجلا أمامه: يا رجل هل تعرف هذا المكان فيجيبه الرجل نعم ولكنه يسكت بعدها ولم ينطق.

وَقال رُؤْبة:

وَحَضَرَت يوم الخَميسِ الأخْماس
وَفي الوُجوه صُفْرةٌ وإبلاس(١)

يَعْني به: اكْتِئابًا وكُسوفًا.

فَإنْ قال لنا قائِل: فَإنْ كان إبليسُ كما قُلْت إفعيلَ من الإبلاس، فَهَلَّا صُرِفَ وأُجْرِيَ؟

قِيلَ: تُرِكَ إجراؤُه استِثْقالاً؛ إذْ كان اسمًا لا نَظير له من أسماء العرب، فَشَبَّهَتْه العربُ - إذْ كان كذلك - بِأسماءِ العَجَم التي لا تُجرَى، وقد قالوا: مَرَرْت بإسحاقَ، فَلم يُجْرُوه، وهو مَنْ أسحَقَه الله إسحاقًا، إذْ كانَ وقَعَ مُبْتَدَأ اسمًا لِغَيْرِ العرب، ثُمَّ تَسَمَّتْ به العرب فَجَرَى مَجْراهُ - وهو من أسَماء العَجَم - في الإعْراب، فَلم يُصْرَف. وكذلك أيوب إنَّما هو فَيْعولٌ من آبَ يَئوبُ نظيرَ قيوم من قامَ يقومُ.

وَتأويل قوله: ﴿أَبَىٰ﴾:

يَعْني بِذلك إبليسَ أنَّه امْتَنَعَ من السُّجود لِآدَم فَلم يَسْجُد له، ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ يَعْني بِذلك أنَّه تَكَبَّرَ وتَعَظَّمَ عن طاعة الله في السُّجودِ لِآدَم.

وَهذا وإنْ كان من الله تعالى ذكره خَبَرًا عن إبليس، فَإنّه تَقْريعٌ لِضُرَبائِه من خَلْق الله الذينَ يَتَكَبَّرونَ عن الخُضوع لأمْرِ الله، والانقيادِ لِطاعَتِه فيما أمَرَهم به وفيما نَهاهم عنه، والتَّسْليم له فيما أوْجَبَ لِبعضِهم على بعض من الحَقِّ. وكان مِمَّنْ تَكَبَّرَ عن الخُضوع لأمْرِ الله والتَّذَلُّل لِطاعَتِه والتَّسْليم لِقَضائِه فيما ألْزَمَهم من حُقوقِ غَيْرِهم - اليَهودُ الذينَ كانوا بين ظَهْرانَيْ مُهاجَرِ رَسول الله ﷺ، وأحبارُهم الذينَ كذَّبوا بِرَسولِ الله ﷺ وهم بصِفَتِه عارِفونَ، وبِأنَّه لِلَّه رَسول عالِمونَ، ثُمَّ استَكْبَروا - مع عِلْمهم بِذلك - عن الإقْرار بِنُبوَّتِه والإذْعانِ لِطاعَتِه، بَغْيًا منهم له وحَسَدًا، فَقَرَّعَهم الله بِخَبَرِه عن إبليس الذي فَعَلَ في استِكْباره عن السُّجود لِآدَم حَسَدًا له وبَغْيًا نَظير فِعْلهم في التَّكَبُّر عن الإذْعان لِمُحَمَّدٍ نَبيِّ الله ﷺ ونُبوَّتِه، إذْ جاءهم بالحَقِّ من عند رَبِّهم حَسَدًا وبَغْيًا.

ثُمّ وُصِفَ إبليس بِمِثْلِ الذي وُصِفَ به الذينَ ضَرَبَه لهم مَثَلًا في الاستِكْبار والحَسَد والاستِنْكافِ عن الخُضوع لِمَنْ أمَرَه الله بالخُضوعِ له، فَقال: ﴿وَكَانَ﴾ - يَعْني: إبليس - ﴿مِنَ

(١) [الرجز] القائل: رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي أبو الجحّاف أو أبو محمد. راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته ف اللغة، مات في البادية، وقد أسنّ. وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة. اللغة: الخميس: الثوب الذي طوله خمس أذرع. إبلاس: اكتئابًا وكسوفًا. المعنى: يقول الشاعر: ويأتي اليوم الذي ترتدي فيه هذا الثوب الذي طوله خمس أذرع ولكنه يرى في الوجوه صفرة واكتئابا أو كسوفا.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من الجاحِدينَ نَعَم الله عليه، وأيادِيَهُ عندَه بِخِلافِه عليه فيما أمَرَه به من السُّجود لِآدَم، كما كَفَرَتِ اليَهود نِعَم رَبِّها التي آتاها وآباءَها قَبْلُ: من إطْعام الله أسلافهم المَنَّ والسَّلْوَى، وإظْلالِ الغَمام عليهم وما لا يُحْصَى من نِعَمه التي كانتْ لهم، خُصوصًا، وما خَصَّ الذينَ أدْرَكوا مُحَمَّدًا ﷺ بإدْراكِهم إيَّاهُ ومُشاهَدَتهم حُجَّة الله عليهم؛ فَجَحَدَتْ نُبوَّتَهُ بعد عِلْمهم به، ومعرِفَتِهم بِنُبوَّتِه حَسَدًا وبَغْيًا. فَنَسَبَه الله جَلَّ ثَنَاؤه إلى الكافِرينَ، فَجَعَلَه من عِدادهم في الدِّين والمِلَّة، وإنْ خالَفَهم في الجِنْس والنِّسْبة، كما جَعَلَ أهل النِّفاق بعضهم من بعض لاجْتِماعِهم على النِّفاق، وإنْ اختَلَفَتْ أنسابُهم وأجْناسهم، فَقال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧] يَعْني بِذلك: أنَّ بعضهم من بعض في النِّفاق والضَّلال، فَكَذلك قوله في إبليس: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ كان منهم في الكُفْر باللَّه ومُخالَفَته أمْره وإنْ كان مُخالِفًا جِنْسه أجْناسَهم ونَسَبه نَسَبهمْ. ومعنى قولِه: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: أنَّه كان حين أبَى السُّجودَ من الكافِرينَ حينَئِذٍ.

وَقد رُويَ عن الرَّبيع بن أنَس، عن أبي العالية أنَّه كان يقول في تأويل قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في هذا الموضِع: وكان من العاصينَ.

٧٠٦- **حَدَّثني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا آدم العَسْقَلانيّ، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يَعْني: من العاصينَ(١).

٧٠٧- **حُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بِمِثْلِهِ(٢).

وَذلك شَبيهٌ بِمعنى قولنا فيه.

وَكان سُجود المَلائِكة لِآدَم تَكْرِمةً لِآدَم وطاعة لِلَّه، لا عِبادة لِآدَم. كَما:

٧٠٨- **حَدَّثَنا** به بِشْر بن مُعاذٍ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادَةَ قولَه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِآدَمَ﴾ فَكانتِ الطَّاعةُ لِلَّه، والسَّجْدةُ لِآدَم، أكْرَمَ الله آدم أنْ أسجَدَ له مَلائِكته(٣).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وفي هذه الآية دَلالةٌ واضِحةٌ على صِحَّة قول مَنْ قال: إنَّ إبليس أُخْرِجَ من الجَنَّة بعد الاستِكْبارِ عن السُّجود لِآدَم، وأُسكِنَها آدمُ قَبْل أنْ يَهْبِط إبليس إلى الأرض؛ ألا

(١) [حسن] وهذا سند ضعيف فيه شيخ المصنف تقدم كثيرا أنه مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد العسقلاني، قال عنه ابو حاتم: صدوق، فقد أخرجه ابن ابي حاتم في التفسير فقال: حدثنا عصام بن رواد العسقلاني، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: وكان من الكافرين يعني من العاصين. اهـ

(٢) [ضعيف] تقدم قبله عن أبي العالية، وهذا سند ضعيف من معلقات المصنف.

(٣) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

تَسْمَعونَ اللهَ يقول: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ فقد تبيَّنَ أنَّ إبليس إنَّما أزلَّهما عن طاعة اللَّه، بعد أنْ لُعِنَ وأظْهَرَ التَّكَبُّر؛ لأنَّ سُجود المَلائِكة لِآدَم كان بعد أنْ نُفِخَ فيه الرُّوح، وحينَئِذٍ كان امْتِناعُ إبليس من السُّجود له، وعند الامْتِناع من ذلك حَلَّتْ عليه اللَّعْنة. كَما:

٧٠٩- حدّثني به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثنا عَمْرو، قال: حَدَّثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَرٍ ذَكَرَه، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: أنَّ عَدوَّ اللهِ إبليس أقْسَمَ بِعِزَّةِ الله لَيُغْوِيَنَّ آدَم وذُرِّيَّته وزَوْجه، إلاَّ عِباده المُخْلَصينَ منهم، بعد أنْ لَعَنَه اللَّه، وبعد أنْ أُخْرِجَ من الجَنَّة، وقَبْل أنْ يَهْبِط إلى الأرْض، وعَلَّمَ اللهُ آدَم الأسماء كُلَّها[1].

٧١٠- وحدّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، قال: لَمَّا فَرَغَ الله من إبليس ومُعاتَبَته، وأبَى إلاَّ المعصية، وأوقَع عليه اللَّعْنة، ثُمَّ أخْرَجَهُ من الجَنَّةِ؛ أقْبَلَ - على آدَم وقد عَلَّمَه الأسماء كُلَّها، فَقال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

ثُمّ اختلفَ أهل التّأويل في الحال التي خُلِقَت لآدم زَوْجته، والوقت الذي جُعلت له سَكَنًا. فقال ابن عبّاس بما:

٧١١- حدّثني به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّةَ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: فَأُخْرِجَ إبليسُ من الجَنَّة حين لُعِنَ، وأسكِنَ آدَمُ الجَنَّة، فكان يَمْشي فيها وحْشًا لَيْسَ له زَوْج يَسْكُن إليها. فَنامَ نَوْمةً فاستَيْقَظَ، وإذا عند رَأْسه امْرَأةٌ قاعِدة خَلَقَها الله من ضِلْعه، فَسَألَها: مَنْ أنتِ؟ فَقالتْ: امْرَأة، قال: ولِمَ خُلِقْتي؟ قالتْ: تَسْكُن إلَيَّ. قالتْ له المَلائِكة - يَنْظُرونَ ما بَلَغَ عِلْمه -: ما اسمها يا آدَم؟ قال: حَوَّاء، قالوا: ولِمَ سُمِّيَتْ حَوَّاء؟ قال: لأنَّها خُلِقَتْ من شَيْء حَيّ. فَقال الله له: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[3].

فَهذا الخَبَر يُنْبِئ عن أنَّ حَوَّاء خُلِقَتْ بعد أنْ سَكَنَ آدَم الجَنَّة فَجُعِلَتْ له سَكَنًا.

وَقال آخَرونَ: بل خُلِقَتْ قَبْل أنْ يُسْكَنَ آدَم الجَنَّة.

٧١٢- [illegible] ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمةُ، عن ابن إسحاق، قال: لَمَّا فَرَغَ الله من مُعاتَبة

---

(١) من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢) سلمة، وابن حميد تقدم أنهما ضعيفان.
(٣) من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

إبليس أقْبَلَ على آدم - وقد عَلَّمَه الأسماء كُلَّها - فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ قال: ثُمَّ ألقَى السِّنَةَ على آدم - فيما بَلَغَنا عن أهل الكِتاب من أهل التَّوْراة وغَيْرهم من أهل العِلْم، عن عبد الله بن عَبَّاس وغَيْره - ثُمَّ أخَذَ ضِلْعًا من أضلاعه من شِقّه الأيْسَر ولأَمَ مَكانه لَحْمًا وآدم نائم لم يَهْبُب من نَوْمِهِ حتَّى خَلَقَ الله من ضِلْعه تِلْكَ زَوْجَتَهُ حَوَّاء، فَسَوَّاها امْرَأة لِيَسْكُن إليها. فَلَمَّا كَشَفَ عنه السِّنة وهَبَّ من نَوْمَته رَآها إلى جَنْبه، فَقال - فيما يَزْعُمونَ والله أعْلَم -: لَحْمي ودَمي وزَوْجَتي. فَسَكَنَ إليها. فَلَمَّا زَوَّجه الله وجَعَلَ له سَكَنًا من نَفْسه، قال له، قِبَلًا: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(١)].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ويُقالُ لامْرَأةِ الرَّجُل زَوْجهُ وزَوْجَته، والزَّوْجةُ بالهاءِ أكْثَر في كَلام العرب منها بِغَيْرِ الهاء، والزَّوْج بِغَيْرِ الهاءِ يُقال: إنَّه لُغةٌ لأزْد شَنوءة. فَأمَّا الزَّوْج الذي لا اختِلاف فيه بين العرب فهو زَوْج المَرْأة.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أمَّا الرَّغَدُ، فَإنّه الواسِع من العَيْش، الهَنيء الذي لا يُعَنّي صاحِبه، يُقال: أرْغَدَ فُلان: إذا أصابَ واسِعًا من العَيْش الهَنيء، كما قال امْرُؤُ القيس بن حُجْرٍ:

بينما المَرْءُ تَراهُ ناعِمًا ... يَأمَن الأحداث في عَيْش رَغَد[(٢)]

٧١٣- وكما حدَّثنا به موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَه، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا﴾: والرَّغَدُ: الهَنيءُ[(٣)].

٧١٤- حدَّثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد قولَه: ﴿رَغَدًا﴾: قال: لا حِساب عليهم[(٤)].

٧١٥- حدَّثنا المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح عن مُجاهِد، مِثْله[(٥)].

٧١٦- حدَّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا حَكَّام، عن عنبَسة، عن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن، عن

---

(١) [ضعيف] سلمة، وابن حميد تقدم أنهما ضعيفان.

(٢) [الرمل] القائل: شاعر غير معروف اسمه. اللغة: عيش رغد: عيش طيب واسع كثير. المعنى: يقول الشاعر: يمكنك أن ترى الإنسان يعيش في نعيم ويأمن الأحداث ويعيش في رغد ونعمة.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٥) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

القاسِم بن أبي بَزَّة، عن مُجاهِد: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي: لا حِساب عليهم[(١)].

٧١٧- حدثني عن المِنْجاب بن الحارث، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ قال: الرَّغَدُ: سَعةُ المَعيشة[(٢)].

فَمعنى الآية: وقُلْنا يا آدَم اسكُنْ أنتَ وزَوْجك الجَنَّة، وكُلا من الجَنَّة رِزْقًا واسِعًا هَنيئًا من العَيْش حَيْثُ شِئْتُما. كَما:

٧١٨- حدثَنا بِشْر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ قولَه: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ثُمَّ أتى البلاءُ الذي كُتِبَ على الخَلْق على آدَم، كما ابْتُليَ الخَلْقُ قَبْلَه أنَّ الله تعالى ذكره أحَلَّ له ما في الجَنَّة أنْ يَأكُل منها رَغَدًا حَيْثُ شاءَ غَيْرَ شَجَرة واحِدة نُهيَ عنها، وقَدَّمَ إليه فيها، فَما زالَ به البلاء حتَّى وقَعَ بالذي نُهيَ عنهُ[(٣)].

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والشَّجَرُ في كَلام العرب: كُلُّ ما قامَ على ساقَ، ومنه قول الله تعالى ذكره: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] يَعْني بالنَّجْمِ: ما نَجَمَ من الأرْضِ من نَبْتٍ، وبالشَّجَرِ: ما استَقَلَّ على ساق.

ثُمَّ اختَلَفَ أهل التَّأويل في عَيْن الشَّجَرة التي نُهيَ عن أكْل ثَمَرها آدَمُ، فَقال بعضهم: هي السُّنْبُلة.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٧١٩- حدثني مُحَمَّد بن إسماعيل الأحمَسيُّ، قال: حَدَّثَنا عبد الحَميد الحِمَّانيّ، عن النَّضر، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس قال: الشَّجَرةُ التي نُهيَ آدَمُ عنها السُّنْبُلة[(٤)].

٧٢٠- حدثني يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا هُشَيْم، وحَدَّثَنا ابن وكيع، قال: حَدَّثَنا عِمْران بن عُيَيْنَة جَميعًا، عن حُصَيْن، عن أبي مالِك في قولِه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ قال: هي السُّنْبُلة[(٥)].

---

(١) [حسن] وهذا سند ضعيف، من اجل محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وشيخ المصنف، كلاهما ضعيف.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [ضعيف] النضر بن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز، ضعيف الحديث، ليس بشيء، روى له أبو أحمد بن عدي عدة أحاديث من رواية أبي يحيى الحماني وغيره عنه ثم قال: وهذه الأحاديث عن أبي يحيى عن النضر كلها غير محفوظة، وللنضر غير ما ذكرت، إلا أن عامة ما له عن عكرمة عن ابن عباس هو الذي ذكرته، ومع ضعفه يكتب حديثه.

(٥) [صحيح] رواه غير واحد عن الثوري، الزبيري، وعمران، وهشيم، وعبد الرحمن بن مهدي، و عمران بن عيينة بن أبي عمران الهلالي أبو الحسن الكوفي أخو سفيان بن عيينة، ضعفه أبو زرعه وغيره، مع هذا فيرويه عنه سفيان بن وكيع وهو ضعيف. وهشيم بن بشير مدلس ولم يصرح، وأما عبد الرحمن بن مهدي فهو الآتي بعده.

٧٢١- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن بَشّار، قال: حَدَّثَنا ابن مَهْديّ وحَدَّثَنا أحمَد بن إسحاق الأهوازيُّ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قالا جَميعًا: حَدَّثَنا سُفيان، عن حُصَيْن، عن أبي مالِك، مِثْله [١].

٧٢٢- حَدَّثَنا أبو كُرَيْب وابن وكيع، قالا: حَدَّثَنا ابن إدْريس، قال: سَمِعْت أبي، عن عَطيّة العَوْفيّ في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ قال: السُّنبُلة [٢].

٧٢٣- حَدَّثَنا بِشر بن مُعاذ قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادةَ قال: الشَّجَرةُ التي نُهِيَ عنها آدَمُ هي السُّنبُلة [٣].

٧٢٤- حَدَّثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا مُسْلِم بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَني رَجُلٌ من بَني تَميم أنَّ ابن عَبَّاس كَتَبَ إلى أبي الجَلْدِ يَسْألهُ عن الشَّجَرة التي أكَلَ منها آدَم، والشَّجَرةِ التي تابَ عندها، فَكَتَبَ إليه أبو الجِلْد: سَألتني عن الشَّجَرةِ التي نُهيَ عنها آدَم، وهيَ: السُّنبُلة، وسَألتني عن الشَّجَرة التي تابَ عندها آدَم، وهيَ: الزَّيْتونة [٤].

٧٢٥- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: حدَّثني ابن إسحاق، عن رَجُلٍ من أهل العِلْم، عن مُجاهِد، عن ابن عَبَّاس، أنَّه كان يقول: الشَّجَرةُ التي نُهيَ عنها آدَم: البُرُّ [٥].

٧٢٦- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَني إسحاق، قال: أخبَرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا ابن عُيَيْنةَ وابن المُبارَك، عن الحسن بن عُمارة، عن المنهال بن عَمْرو، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس قال: كانت الشَّجَرة التي نَهَى الله عنها آدَم وزَوْجَته السُّنبُلة [٦].

٧٢٧- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل اليَمَن، عن وهْب بن مُنَبِّه اليَماني أنَّه كان يقول: هي البُرّ؛ ولَكِن الحَبّةُ منها في الجَنَّة كَكُلَى البقَرِ، ألْيَن من الزُّبْد وأحلَى من العَسَل، وأهل التَّوْراة يقولونَ: هي البُرُّ [٧].

٧٢٨- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، عن يَعْقوب بن

---

(١) [صحيح] تقدم قبله.

(٢) [صحيح] عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي أبو الحسن الكوفي، ضعيف، ولكنه قوله هو، و إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي الزعافري أبو عبد الله الكوفي أخو داود بن يزيد ووالد عبد الله بن إدريس ثقة، وعبد الله بن إدريس بن يزيد أحد الأعلام ثقة ثبت، وسفيان بن وكيع بن الجراح ضعيف، ولكنه توبع من أبي كريب محمد بن العلاء بن كريب الهمداني أبو كريب الكوفي الحافظ.

(٣) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [ضعيف] فيه هذا الرجل من بني تميم، والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٥) [ضعيف] فيه رجل من أهل العلم لا أدري من يكون، وابن إسحاق مدلس ولم يصرح، وسلمة وابن حميد ضعيفان.

(٦) [ضعيف] الحسن بن عمارة بن المضرب البجلي مولاهم أبو محمد الكوفي الفقيه متروك الحديث.

(٧) [ضعيف] فيه بعض أهل اليمن، وابن إسحاق مدلس ولم يصرح، وسلمة وابن حميد ضعيفان.

عُتْبَةَ: أنَّه حدث أنَّها الشَّجرة التي تَحَنَّكُ بها المَلائِكةُ لِلْخَلْدَةِ(١).

٧٢٩- حدَّثنا ابن وكيع، قال: حَدَّثَنا ابن يَمان، عن جابِر بن يَزيد بن رِفاعة، عن مُحارِب بن دِثار قال: هي السُّنْبُلَة(٢).

٧٣٠- حدَّثنا ابن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبو أُسامةَ، عن يَزيد بن إبراهيم، عن الحسن، قال: هي السُّنْبُلَة التي جعَلَها الله رِزقًا لِوَلَدِه في الدُّنيا(٣).

وَقال آخَرونَ: هي الكَرْمة.

ذِكر مَن قَال ذلك:

٧٣١- حدَّثنا ابن وكيع، قال: حَدَّثَنا عبيدُ اللّه، عن إسرائيل، عن السُّدِّيِّ، عَمَّنْ حَدَّثَه، عن ابن عَبَّاس، قال: هي الكَرْمة(٤).

٧٣٢- حدَّثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، في خَبَر ذَكَرَه، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيّ ﷺ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾: هي الكَرْم. وتَزْعُم اليَهود أنَّها الحِنْطة(٥).

٧٣٣- حدَّثنا ابن وكيع، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: الشَّجَرةُ هي الكَرْم(٦).

٧٣٤- حدَّثني يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا هُشَيْم، عن مُغيرة، عن الشَّعْبيِّ، عن جَعْدة بن هُبَيْرة، قال: هو العِنَب في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾(٧).

٧٣٥- حدَّثنا ابن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن خَلَّاد الصَّفَّار، عن بَيان، عن الشَّعْبيّ، عن جَعْدة بن هُبَيْرة: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ قال: الكَرْمُ(٨).

٧٣٦- حدَّثنا ابن حُمَيْدٍ وابن وكيع، قالا: حَدَّثَنا جَرير، عن مُغيرة عن الشَّعْبيِّ، عن جَعْدة بن هُبَيْرة، قال: الشَّجَرة التي نُهي عنها آدَمُ: شَجَرة الخَمْر(٩).

٧٣٧- حدَّثنا أحمَد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قال: حَدَّثَنا عَبَّاد بن العَوَّام، قال: حَدَّثَنا سُفْيان بن حُسَيْن، عن يَعْلَى بن مُسْلِم، عن سَعيد بن جُبَيْرٍ قولَه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا

(١) [ضعيف] ابن إسحاق مدلس ولم يصرح، وسلمة وابن حميد ضعيفان.
(٢) [ضعيف] يحيى بن يمان العجلي أبو زكريا الكوفي، ضعيف، وسفيان بن وكيع بن الجراح كذلك.
(٣) [ضعيف] فيه سفيان المتقدم قبله.
(٤) [ضعيف] فيه سفيان المتقدم قبله، وإبهام من حدث عنه السدي.
(٥) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٦) [ضعيف] ابن وكيع ضعيف، وأسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٧) [ضعيف] سيأتي برقم (٧٤٠) بغير هذا اللفظ، وهذا سند ضعيف هشيم مدلس ولم يصرح.
(٨) [حسن] تقدم قبله، وهذا فيه سفيان بن وكيع، ضعيف الحديث.
(٩) [ضعيف] متابعة ابن حميد لابن وكيع لا أراها تقوي الأثر.

﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ قال: الكَرْمُ [١].

٧٣٨- حَدَّثَنا أحمَد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد، قال: حَدَّثَنا سُفيان، عن السُّدِّيِّ، قال: العِنَب [٢].

٧٣٩- حَدَّثَنا القاسِم قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن أبي معشَر، عن مُحَمَّد بن قَيْس، قال: عِنَبٌ [٣].

٧٤٠- حَدَّثَنا ابنُ المثنى: قال: حدَّثنا الحسينُ، قال: حدَّثنا خالدٌ الواسِطِيُّ، عن بَيانٍ، عن الشعبيِّ، عن جَعْدَةَ بنِ هُبَيْرة: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾. قال: الكَرْمُ [٤].

وقال آخَرونَ: هي التِّينة.

ذِكْر من قال ذلك:

٧٤١- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن بعض أصْحاب مُحَمَّدٍ ﷺ قال: تينةٌ [٥].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والقول في ذلك عندنا أنَّ الله تعالى ذكره أخْبَرَ عِباده أنَّ آدم وزَوْجَهُ قد أكَلا من الشَّجَرةِ التي نَهاهُما عن الأكْل منها، وَأتَيا الخَطيئةَ التي نَهاهُما عن إتْيانها بِأكْلِهِما ما أكَلا منها، بعد أنْ بَيَّنَ اللهُ لهُما عَيْنَ الشَّجَرةِ التي نَهاهُما عن الأكْل منها، وأشارَ لهُما إليها بِقولِه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ ولـم يَضَع الله لِعِبادِه المُخاطَبينَ بالقُرْآنِ دَلالةً على أيِّ أشجار الجَنَّة كان نَهْيه آدَم عليه السلام أنْ يَقْرَبها بِنَصٍّ عليها باسمِها، ولا بِدَلالةٍ عليها. ولو كان لِلَّه جَلَّ ثَنَاؤه في العِلْم بِأيِّ ذلك من أيٍّ رِضًا لم يُخْلِ عِبادهُ مِن نَصْبِ دَلالةٍ لهم عليها يَصِلونَ بها إلى مَعْرِفة عَيْنها، لِيُطيعوه بِعِلْمِهم بها، كما فَعَلَ ذلك في كُلِّ في العِلْم به له رِضًا.

فالصَّوابُ في ذلك أنْ يُقالَ: إنَّ الله تعالَى ذكره نَهَى آدَمَ عليه السلام وزَوْجَته عن أكْل شَجَرةٍ بِعَيْنِها من أشجار الجَنَّة دون سائِر أشجارها، فَخالَفا إلى ما نَهاهُما الله عنه، فَأكَلا منها كما وصَفَهُما الله به. ولا عِلْم عندنا بأيِّ ذلك من أيٍّ.

وقد قِيلَ: كانتْ شَجَرةَ البُرِّ. وقِيلَ: كانتْ شَجَرةَ العِنَب. وقِيلَ: كانتْ شَجَرة التِّين. وجائِزٌ أنْ تَكون واحِدة منها، وذلك عِلْمٌ إذا عُلِم لم يَنْفَع العالِمَ به عِلْمُه، وإنْ جَهِلَه جاهِل لـم يَضُرَّه جَهْلُه به.

---

(١) [حسن] من أجل شيخ المصنف فهو صدوق، وبقية رجاله ثقات تقدموا.

(٢) [حسن] من أجل الأهوازي وبقية رجاله كلهم ثقات.

(٣) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج. وأبو معشر ضعيف.

(٤) [حسن] من أجل الحسين بن داود المصيصي صدوق في غير شيخه الحجاج، وقد تقدم قبل أربعة بسند ضعيف.

(٥) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس ذكر ابن المديني أنه لم يلق أحدا من الصحابة، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: اختَلَفَ أهل العربيَّة في تأويل قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فقال بعض نَحْويِّي الكوفيِّينَ: تأويل ذلك: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ فإنَّكُما إنْ قَرِبْتُماها كُنْتُما من الظَّالِمينَ. فَصارَ الثَّاني في موضِع جَواب الجَزاء، وجَواب الجَزاء يَعْمَل فيه أوَّلُه كَقولِك: إنْ تَقُم أقُم. فَتَجزِم الثَّاني بِجَزْمِ الأوَّل. فَكَذلك قوله: ﴿فَتَكُونَا﴾ لَمَّا وقَعَتِ الفاء في موضِع شَرْط الأوَّل نُصِبَ بها، وصُيِّرَتْ بِمَنْزِلةِ (كَيْ) في نَصْبها الأفعالَ المُسْتَقْبَلَة، لِلُزومِها الاستِقْبال؛ إذْ كان أصْل الجَزاء الاستِقْبال.

وَقال بعض نَحويِّي أهل البصرة: تأويل ذلك: لا يكُنْ منكُما قُرْب هذه الشَّجَرة فَأنْ تكونا من الظَّالِمينَ. غَيْر أنَّه زَعَمَ أنَّ (أنْ) غَيْر جائِز إظْهارها مع ﴿لَا﴾، ولَكِنَّها مُضْمَرةٌ لا بُدَّ منها لِيَصِحَّ الكَلام بِعَطْفِ اسم - وهيَ (أنْ) - على الاسم، كما غَيْر جائِز في قولهم عَسَى أنْ يَفْعَل: عَسَى الفِعْل، ولا في قولك: ما كان لِيَفْعَل: ما كان لأنْ يَفْعَل.

وَهذا القول الثَّاني يُفْسِده إجماع جَميعهم على تَخْطِئة قول القائِل: سَرَّني تَقومُ يا هذا، وهو يُريد: سَرَّني قيامُك. فَكَذلك يجبُ أنْ يكون خَطَأً على هذا المَذْهَب قول القائِل: لا تَقُم، إذا كان المعنى: لا يكُنْ منك قيام. وفي إجماع جَميعهم على صِحَّة قول القائِل: لا تَقُم، وفَساد قول القائِل: سَرَّني تَقوم، بِمعنى: سَرَّني قيامك - الدَّليل الواضِح على فَساد دَعْوَى المُدَّعي أنَّ مع ﴿لَا﴾ التي في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ ضَمير (أنْ)، وصِحَّة القول الآخَر.

وَفي قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وجهانِ من التَّأويل:

أحَدهما: أنْ يكون ﴿فَتَكُونَا﴾ في نِيَّة العَطْف على قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ فَيكون تأويلُه حينَئِذٍ: ولا تَقْرَبا هذه الشَّجَرة، ولا تكونا من الظَّالِمينَ. فَيكون ﴿فَتَكُونَا﴾ حينَئِذٍ في معنى الجَزْم مَجْزومًا بِما جُزِمَ به ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾، كما يقول القائِل: لا تُكَلِّم عَمْرًا ولا تُؤذِه، كَما قال امْرُؤُ القيس:

فَقُلْتُ لـه صَـوِّبْ ولا تَـجْـهَـدَنَّـهُ ... فَيُذرِكَ من أُخرَى القَطاةِ فَتَزْلَقِ[(١)]

فَجزَمَ (يُذرِكَ) بِما جَزَمَ به (لا تَجْهَدَنَّهُ)، كَأنَّه كَرَّرَ النَّهْي.

والثَّاني: أنْ يكون: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بِمعنى جَواب النَّهْي، فَيكون تأويلَه حينَئِذٍ: لا تَقْرَبا

---

(١) [الطويل] القائل: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي. شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر. قال الشعر وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى حضرموت، موطن أبيه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. ولما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح، فأقام فيها إلى أن مات. اللغة: (صوب): أي خذ الفرس بالقصد في السير وأرفق به ولا تجهده بالعدو الشديد فيصرعك. أذراه عن فرسه: ألقاه وصرعه. والقطاة: مقعد الردف من الفرس. وأخرى القطاة: آخر المقعد. المعنى: يتوجه الشاعر بنصيحة هنا فيقول مخاطبًا رجلاً أمامه وينصحه فيقول له: خذ الفرس بالقصد في السير وارفق به ولا تجهده بالعدو الشديد فيصرعك.

هذه الشَّجرة، فإنكما إنْ قَرِبتُماها كُنتُما من الظَّالِمينَ. كما تقول: لا تَشْتُم زيدًا فَيَشْتُمَك مُجازاةً. فيكون ﴿فَتَكُونَا﴾ حينئِذٍ في موضِع نَصْب، إذْ كان حَرْفَ عُطِفَ على غَيْرِ شَكْلِه لمَّا كان في ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ حَرْف عامِلٍ فيه، لا يَصْلُح إعادَته في ﴿فَتَكُونَا﴾ فَنُصِبَ على ما قد بَيَّنْت في أوَّل هذه المسألة.

وَأمَّا تأويل قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنَّه يَعْني به فتَكونا من المُتَعَدِّينَ إلى غَيْر ما أُذِنَ لهم فيه وأُبيحَ لهم. وإنَّما عَنَى بذلك أنَّكما إنْ قَرِبتُما هذه الشَّجرة كُنتُما على منهاج مَنْ تَعَدَّى حُدودي، وعَصَى أمْري، واستَحَلَّ مَحارِمي؛ لأنَّ الظَّالِمينَ بعضهم أولياء بعض، واللَّهُ وليُّ المُتَّقينَ.

وَأصل الظُّلْم في كَلام العرب وضع الشَّيْء في غَيْر موضِعه؛ ومنه قول نابِغة بَني ذُبْيان:

إلاَّ أواريَّ لأَيًا ما أُبَيِّنُها والنُّؤْيُ كالحَوْضِ بالمَظْلومةِ الجَلَدِ[1]

فَجَعَلَ الأرْض مَظْلومة؛ لأنَّ الذي حَفَرَ فيها النُّؤْيَ حَفَرَ في غَيْر موضِع الحَفْر، فَجَعَلَها مَظْلومة لِوَضْع الحُفْرة منها في غَيْر موضِعها. ومن ذلك قول ابن قَميئة في صِفة غَيْث:

ظَلَمَ البِطاحَ به انهِلالُ حَريصةٍ فَصَفا النِّطافُ له بُعَيْد المُقْلَعِ[2]

وَظُلْمه إيَّاه: مَجيئُه في غَيْر أوانه، وانصِبابه في غَيْر مَصَبِّه. ومنه: ظُلْمُ الرَّجُلِ جَزورَهُ، وهو نَحْرُه إيَّاه لِغَيْرِ عِلَّة؛ وذلك عند العرب: وضْعُ النَّحْر في غَيْر موضِعه. وقد يَتَفَرَّع الظُّلْم في مَعانٍ يَطول بإحصائِها الكِتاب، سَنُبَيِّنُها في أماكِنها إذا أتَيْنا عليها إنْ شاءَ الله ذلك، وأصْل ذلك كُلِّه ما وصَفْنا من وضْع الشَّيْء في غَيْر موضِعه.

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: اختَلَفت القَرأةُ في قِراءة ذلك فَقَرَأتْه عامَّتهمْ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ بِتَشْديدِ اللاَّمِ، بِمعنى

---

(١) [البسيط] القائل: النابِغَة الذُبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. تقدم. اللغة: أواري: جمع آري (مشدد الياء): وهو محبس الدابة ومأواها ومربطها، من قولهم: تأرى بالمكان أقام وتحبس. ولأيا: بعد جهد ومشقة وإبطاء. والنؤى: حفرة حول الخباء تعلى جوانبها بالتراب، فتحجز الماء لا يدخل الخباء. والمظلومة: يعني أرضًا مروا بها في برية فتحوضوا حوضًا سقوا فيه إبلهم، وليس بموضع تحويض لبعدها عن مواطئ السابلة. فلذلك سماها مظلومة، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. والجلد: الأرض الصلبة. المعنى: يقول الشاعر: إلا محبس الدابة ومأواها ومربطها بعد جهد ومشقة لا أظهرها وأكشفها. . والحبس مثل الأرض الصلبة التي لا تنبت شيئا فلا يرعاها أحدا فنمر بها ثم نتحوض حوضًا نسقي فيه إبلنا.

(٢) [الكامل] القائل: الحادِرَة قطبة بن أوس بن محصن بن جرول المازني الفزاري الغطفاني. شاعر جاهلي مخضرم مقل، يلقب بالحادرة أي الضخم أو الحويدرة، جمع محمد بن العباس اليزيدي ما بقي من شعره في ديوان. اللغة: البطاح جمع بطحاء وأبطح: وهو بطن الوادي. وأنهل المطر انهلالا: اشتد صوبه ووقعه. والحريصة والحارصة: السحابة التي تحرص مطرتها وجه الأرض، أي تقشره من شدة وقعها. والنطاف جمع نطفة: وهي الماء القليل يبقى في الدلو وغيره. وقوله: (بعيد المقلع): أي بعد أن أقلعت هذه السحابة. المعنى: يقول الشاعر: لقد ظلم بطن الوادي وذلك بسبب تلك السحابة التي تحرص مطرتها وجه الأرض ولم يبقى إلا الماء القليل مثل الذي يبقى في الدلو بعد أن مضت تلك السحابة.

استَزَلَّهما؛ من قولك: زَلَّ الرَّجُل في دينه: إذا هَفا فيه وأخْطَأ فأتَى ما لَيسَ له إتيانُه فيه، وأزَلَّه غَيْره: إذا سَبَّبَ له ما يَزِلُّ من أجله في دينه أو دُنْياه. ولِذلك أضافَ الله تعالى ذِكْره إلى إبليس خُروج آدم وزَوْجَته من الجنَّة فقال: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ يَعْني: إبليس أخرجهما ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ لأنَّه كان الذي سَبَّبَ لهُما الخَطيئةَ التي عاقَبَهُما الله عليها بإخراجِهما من الجَنَّة.

وَقَرَأه آخَرونَ: (فَأزالهُما)، بمعنى إزالة الشَّيْء عن الشَّيْء، وذلك تَنْحيَته عنه.

وَقد رويَ عن ابن عَبَّاس في تأويل قوله ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ ما:

٧٤٢- **حَدَّثَناه** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاجٌ، عن ابن جُرَيْجٍ: قال: قال ابن عَبَّاس: قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قال: أغواهُما [(١)].

وَأولَى القِراءَتَيْنِ بالصَّوابِ قِراءة مَنْ قَرَأه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾، لأنَّ الله تعالى ذكره قد أخْبَرَ في الحَرْف الذي يَتْلوه بِأنَّ إبليسَ أَخرَجَهُما مِمَّا كانا فيه، وذلك هو معنى قوله: فَأزالهُما، فلا وجه - إذْ كان معنى الإزالةِ معنى التَّنْحية والإخراج - أنْ يُقال: (فَأزالهُما الشَّيْطان عنها فَأخْرَجَهُما مِمَّا كانا فيه)، فَيكون كَقولِه: فَأزالهُما الشَّيْطان عنها فَأزالهُما مِمَّا كانا فيه، ولَكِنَّ المعنى المَفْهوم أنْ يُقال: فاستَزَلَّهُما إبليسُ عن طاعة اللَّه - كما قال تعالى ذكره: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وقَرَأتْ به القَرَأةُ - فَأخْرَجَهُما باستِزْلالِه إيَّاهُما عن الجَنَّة.

فَإنْ قال قائِل: وكيفَ كان استِزْلال إبليس آدَم وزَوْجَته عليهما السلام حتَّى أُضيفَ إليه إخراجهما من الجَنَّة؟ قِيلَ: قد قالتِ العُلَماء في ذلك أقْوالاً سَنَذْكُرُ بعضها.

فَحُكيَ عن وهب بن مُنَبِّه في ذلك ما:

٧٤٣- **حَدَّثَنا** به الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا عُمَرُ بن عبد الرَّحْمَن بن مُهرِبٍ، قال: سَمِعْت وهب بن مُنَبِّه يقول: لَمَّا أسكَنَ الله آدَمَ وذُرِّيَّته، أو زَوْجَته - الشَّكُّ من أبي جَعْفَر، وهو في أصْلِ كِتابه: وذُرِّيَّته - ونَهاه عن الشَّجَرة، وكانتِ شجرَةً غصونُها مُتَشعِّبٌ بعضها في بعض، وكان لها ثمرٌ تأكله المَلائِكَةُ لِخُلْدِهم، وهيَ الثَّمَرة التي نَهَى الله آدَم عنها وزَوْجَته. فَلَمَّا أرادَ إبليسُ أنْ يَسْتَزِلَّهُما دَخَلَ في جَوْف الحَيَّة، وكانتْ لِلْحَيَّةِ أرْبَع قَوائِم كَأنَّها بُخْتِيَّة، من أحسَن دابَّة خَلَقَها اللَّه جلَّ ثناؤه. فَلَمَّا دَخَلَتِ الحَيَّة الجَنَّة، خَرَجَ من جَوْفها إبليس، فَأخَذَ من الشَّجَرة التي نَهَى الله عنها آدَم وزَوْجَته، فَجاء بها إلى حَوَّاء، فَقال: انظُري إلى هذه الشَّجَرة، ما أطيَب ريحها، وأطيَب طَعْمها، وأحسَن لونها! فَأخَذَتْ حَوَّاء فَأكَلَتْ منها، ثُمَّ ذَهَبَتْ بها إلى آدَم، فَقالتْ: انظُرْ إلى هذه الشَّجَرة، ما أطيَب ريحها، وأطيَب طَعْمها، وأحسَن لونها! فَأكَلَ منها آدَم، فَبَدَتْ لهُما سَوْآتهما، فَدَخَلَ آدَم في جَوْف الشَّجَرة، فَناداه رَبّه:

---

(١) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس ذكر بن المديني أنه لم يلق أحدا من الصحابة، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

يا آدَم، أيْنَ أنتَ؟ قال: أنا هذا يا رَبِّ، قال: ألا تَخْرُج؟ قال: أستَحْيي منك يا رَبِّ، قال: مَلْعونة الأرْض التي خُلِقْتَ منها لَعْنة تَتَحَوَّل ثَمَرها شَوْكًا. قال: ولم يكُنْ في الجَنَّة ولا في الأرْض شَجَرة كان أفْضَل من الطَّلْح والسِّدْر؛ ثُمَّ قال: يا حَوَّاء أنتِ التي غَرَرْت عبدي، فإنك لا تَحْمِلينَ حَمْلاً إلاَّ حَمَلْته كَرْهًا، فإذا أرَدْت أنْ تَضَعي ما في بَطْنك أشرَفْت على الموت مِرارًا. وقال لِلْحَيَّةِ: أنتِ التي دَخَلَ المَلْعون في جَوْفك حتَّى غَرَّ عبدي، مَلْعونَة أنتِ لَعْنَة تَتَحَوَّل قَوائِمك في بَطْنك، ولا يكُنْ لَك رِزْق إلاَّ التُّراب، أنتِ عَدوَّةُ بَني آدَم وهم أعْداؤُك؛ حَيْثُ لَقيت أحَدًا منهم أخَذْت بِعَقِبِه، وحَيْثُ لَقِيك شَدَخَ رَأسك. قال عُمَر: قِيلَ لِوَهْبٍ: وما كانتِ المَلائِكة تأكُل؟ قال: يَفْعَل الله ما يَشاء(١).

وقد رُويَ عن ابن عَبَّاس نَحْو هذه القِصّة.

٧٤٤- حَدَّثَني موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: لَمَّا قال الله لآدَم: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أرادَ إبليسُ أنْ يَدْخُل عليهما الجَنَّة فَمَنَعَه الخَزَنَة، فأتَى الحَيّة - وهيَ دابّة لها أرْبَع قَوائِم كأنَّها البعير، وهيَ كأحسَن الدَّوابّ - فَكَلَّمَها أنْ تُدْخِله في فُقْمِها حتَّى تَدْخُل به إلى آدَم، فَأدْخَلَته في فُقْمِها - قال أبو جعفرٍ: والفُقْمُ: جانب الشِّدْق - فَمَرَّتِ الحَيّة على الخَزَنة فَدَخَلَتْ ولا يَعْلَمونَ؛ لِما أرادَ الله من الأمْر، فَكَلَّمَه من فُقْمها فلم يُبالِ كَلامَه، فَخرَجَ إليه فَقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: ١٢٠] يقول: هَلْ أدُلّك على شَجَرةٍ إنْ أكَلْت منها كُنْتَ مَلِكًا مِثْل الله عَزَّ وجَلَّ، أو تكونا من الخالِدينَ فلا تَموتانِ أبَدًا. وحَلَفَ لهُما بالله: ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١]. وإنَّما أرادَ بِذلك ليُبْديَ لهُما ما تَوارَى عنهُما من سَوْآتهما بهَتْكِ لِباسهما. وكان قد عَلِمَ أنَّ لهُما سَوْأة لِمَا كان يَقْرَأ من كُتُب المَلائِكة، ولم يكُنْ آدَم يَعْلَم ذلك، وكان لِباسهُما الظُّفرَ. فَأبَى آدَم أنْ يَأكُل منها، فتَقَدَّمَتْ حَوَّاء فأكَلَتْ، ثُمَّ قالتْ: يا آدَم كُلْ! فإنّي قد أكَلْت فَلَم يَضُرَّنِّي. فَلَمَّا أكَلَ آدَم بدت لهما سوأتُهما، وطَفِقا يَخْصِفان عليهما مِن ورق الجنةِ(٢).

٧٤٥- حُدِّثْت عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع قال: حَدَّثَني مُحَدِّث أنَّ الشَّيْطان دَخَلَ الجَنَّة في صورة دابّة ذات قَوائِم، فَكان يُرَى أنَّه البعير، قال:

---

(١) [حسن] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، و عمر بن عبد الرحمن بن مهرب ويعرف بابن الدريه وكان دريه عمه مولى الأخنس بن شريق، قال ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل [٦٥٨]: سمع وهب بن منبه روى عنه إبراهيم بن خالد الصنعاني وعبد الرزاق سمعت أبي يقول ذلك نا عبد الرحمن قال ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين قال عمر بن عبد الرحمن بن مهرب ثقة. اهـ

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

فَلُعِنَ فَسَقَطَتْ قوائِمه، فَصارَ حَيَّة (١).

٧٤٦- **حُدِّثت** عن عَمَّار، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع، قال: وحَدَّثَني أبو العالية أنَّ مِن الإبِل ما كان أوَّلها من الجِنِّ. قال: فَأُبيحَتْ له الجَنَّةُ كُلُّها إلاَّ الشَّجَرة، وقيلَ لهُما: ﴿لَا نَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: فَأَتى الشَّيْطان حَوَّاء فَبَدَأ بها، فقال: أنُهيتُما عن شَيْءٍ؟ قالتْ: نَعَم، عن هذه الشَّجَرة. فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠] قال: فَبَدَأَتْ حَوَّاء فأَكَلَتْ منها، ثُمَّ أَمَرَتْ آدم فأَكَلَ منها. قال: وكانتْ شَجَرةً مَنْ أَكَلَ منها أحدَثَ. قال: ولا يَنْبَغي أنْ يكون في الجَنَّة حَدَثٌ. قال: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ قال: فَأُخْرِجَ آدم من الجَنَّة (٢).

٧٤٧- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: حَدَّثَنا ابن إسحاق، عن بعض أهل العِلْم: أنَّ آدم حين دَخَلَ الجَنَّة ورَأى ما فيها من الكَرامة وما أعْطاه الله منها، قال: لو أنَّ خُلْدًا كان. فاغْتَمَزَ فيها منه الشَّيْطان لَمَّا سَمِعَها منه، فأَتاهُ مِن قِبَل الخُلْد (٣).

٧٤٨- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدِّثْت أنَّ أوَّل ما ابْتَدَأهُما به من كَيْده إيَّاهُما أنَّه ناحَ عليهِما نياحة حزَّنَتْهُما حين سَمِعاها، فقالا له: ما يَبْكيك؟ قال: أبْكي عليكُما؛ تَموتانِ فَتُفارِقانِ ما أنتما فيه من النِّعْمة والكَرامة. فَوَقَعَ ذلك في أنْفُسهما. ثُمَّ أتاهُما فَوَسْوَسَ إليهِما، فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٠-٢١] أي: تَكونان مَلَكَيْنِ أو تَخْلُدان - إنْ لم تَكونا مَلَكَيْنِ - في نِعْمة الجَنَّة فلا تَموتانِ، يقول الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢] (٤).

٧٤٩- **وَحَدَّثني** يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: وسْوَسَ الشَّيْطانُ إلى حَوَّاء في الشَّجَرة حتَّى أتَى بها إليها، ثُمَّ حَسَّنَها في عَيْن آدَم. قال: فَدَعاها آدم لِحاجَتِه. قالتْ: لا، إلاَّ أنْ تأتي هَهُنا. فَلَمَّا أتَى قالتْ: لا، إلاَّ أنْ تأكُل من هذه الشَّجَرة. قال: فأكَلا منها فَبَدَتْ لهُما سَوْآتهما. قال: وذَهَبَ آدم هارِبًا في الجَنَّة، فناداه رَبُّه: يا آدم أمِنِّي تَفِرّ؟ قال: لا يا رَبِّ، ولَكِنْ حَياءً منك. قال: يا آدم أنَّى أُتيتَ؟ قال: من قِبَل حَوَّاء أيْ رَبِّ. فَقال اللَّه: فَإنَّ لها عَلَيَّ أنْ أُدْمِيَها في كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً كما دَمَّتْ هذه الشَّجَرة، وأنْ أجْعَلَها سَفيهة، فقد كُنْت خَلَقْتها حَليمة، وأنْ أجْعَلَها تَحْمِل كَرْهًا وتَضَعُ كَرْهًا، فقد كُنْت جَعَلْتها تَحْمِل يُسْرًا وتَضَعُ يُسْرًا. قال ابن زَيْد: ولو لا البَليَّة التي أصابَتْ حَوَّاءُ لَكان نِساء الدُّنْيا لا يَحِضْنَ، ولَكِنَّ

(١) [ضعيف] فيه إبهام من حُدث الربيع، ثم هو من معلقات المصنف.
(٢) [ضعيف] من معلقات المصنف.
(٣) [ضعيف] فيه ابن إسحاق صدوق مدلس ولم يصرح، وشيخا المصنف ضعيفان.
(٤) [ضعيف] فيه ابن إسحاق صدوق مدلس ولم يصرح، وشيخا المصنف ضعيفان.

حَليماتٍ، وكُنَّ يَحمِلْنَ يُسْرًا ويَضَعْنَ يُسْرًا(١).

٧٥٠- حدَّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن يَزيد بن عبد الله بن قُسيط، عن سَعيد بن المُسَيِّب، قال: سَمِعْته يَحْلِف بالله - ما يَسْتَثْني - ما أكَلَ آدم من الشَّجَرة وهو يَعْقِل، ولَكِنْ حَوَّاء سَقَتْه الخَمْر حتَّى إذا سَكِرَ قادَتْه إليها فأكَلَ(٢).

٧٥١- حدَّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن لَيْث بن أبي سُلَيْم، عن طاوُس اليَماني عن ابن عَبَّاس، قال: إنَّ عَدوَّ الله إبليس عَرَضَ نَفْسه على دَوابِّ الأرْض أنَّها تَحْمِله حتَّى تَدْخُلَ به الجَنَّة حتى يُكَلِّمَ آدَم وزَوْجَته، فكُلُّ الدَّوابِّ أبَى ذلك عليه، حتَّى كَلَّمَ الحَيَّة فَقال لها: أمْنَعُك من ابن آدَم، فأنت في ذِمَّتي إنْ أنتِ أدْخَلْتني الجَنَّة. فَجَعَلَتْه بين نابينِ من أنيابها، ثُمَّ دَخَلَتْ به. فكَلَّمَهُما مِن فيها، وكانتْ كاسية تَمْشي على أرْبَع قَوائِم، فأعْراها الله، وجَعَلَها تَمْشي على بَطْنها. قال: يقول ابن عَبَّاس: اقْتُلوها حَيْثُ وجَدْتُموها، أخفِروا ذِمَّة عَدوّ الله فيها(٣).

٧٥٢- حدَّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: قال ابن إسحاق: وأهل التَّوْراة يَدْرُسونَ: إنَّما كَلَّمَ آدَمَ الحَيَّةُ. ولم يُفَسِّروا كَتَفْسيرِ ابن عَبَّاس(٤).

٧٥٣- حدَّثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن أبي معشَر عن مُحَمَّد بن قَيْس، قال: نَهَى اللهُ آدَم وحَوَّاء أنْ يَأكُلا من شَجَرة واحِدة في الجَنَّة، ويَأكُلا منها رَغَدًا حَيْثُ شاءا. فَجاء الشَّيْطانُ فَدَخَلَ في جَوْف الحَيَّة، فكَلَّمَ حَوَّاء، ووَسْوَسَ إلى آدَم، فَقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٢٠-٢١] قال: فَقَطعتْ حَوَّاء الشَّجَرة، فَدَميَتِ الشَّجَرة وسَقَطَ عنهُما رياشهما الذي كان عليهما ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢] لِمَ أكَلْتَها وقد نَهَيْتُك عنها؟ قال: يا رَبِّ أطعَمَتْني حَوَّاء. قال لِحَوَّاءَ: لِمَ أطعَمْتِه؟ قالتْ: أمَرَتْني الحَيّة. قال لِلْحَيّةِ: لِمَ أمَرْتِها؟ قالتْ: أمَرَني إبليس. قال: مَلْعون مَدْحور! أمَّا أنتِ يا حَوَّاء فكَما أدْمَيْت الشَّجَرة فَتَدْمَين في كُلِّ هِلال. وأمَّا أنتِ يا حَيّة فأقْطَعُ قوائِمك فتَمْشينَ جَرًّا على وجهك، وسَيَشْدَخُ رَأسَك مَنْ لَقِيك بالحَجَرِ؛ اهْبِطوا بعضكُم لِبعضٍ عَدوّ(٥).

وَقد رويَتْ هذه الأخْبار - عَمَّنْ رَوَيْناها عنه من الصَّحابة والتَّابِعينَ وغَيْرهم - في صِفة

(١) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.
(٢) [ضعيف] فيه ابن إسحاق صدوق مدلس ولم يصرح، وشيخا المصنف ضعيفان.
(٣) [ضعيف] فيه ابن إسحاق صدوق مدلس ولم يصرح، وشيخا المصنف ضعيفان، والليث كذلك.
(٤) [ضعيف] شيخا المصنف ضعيفان.
(٥) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج، وأبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني مولى بني هاشم وهو والد محمد بن أبي معشر المدني ضعيف.

استزْلال إبليسَ عَدوّ الله آدم وزَوْجَته حتَّى أخرَجَهما من الجَنَّة .

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وأولَى ذلك بالحَقِّ عندنا، ما كان لِكِتابِ الله موافِقًا، وقد أخْبَرَ الله تعالى ذِكْره عن إبليس أنه وسْوَسَ لِآدَم وزَوْجَتِه لِيُبْدِيَ لهما ما وورِيَ عنهما من سَوْآتِهما، وأنه قال لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠] وأنه قاسمهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ مُدلِّيًا لهما بِغُرورٍ. فَفي إخبار الله تعالى ذكره عن عَدوّ الله أنَّه قاسَمَ آدم وزَوْجَته بقِيلِه لهما: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] الدَّليلُ الواضِحُ على أنَّه قد باشَرَ خِطابهما بنَفْسِه، إمَّا ظاهِرًا لأعْيُنِهما، وإمَّا مُسْتَجِنًّا في غَيْره. وذلك أنَّه غَيْر معقول في كَلام العرب أنْ يُقال: قاسَمَ فُلان فُلانًا في كذا وكذا. إذا سَبَّبَ له سَبَبًا وصَلَ به إليه دون أنْ يَحْلِف له. والحَلِفُ لا يكون بِتَسَبُّبِ السَّبَب، فَكَذلك قولُه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [طه: ١٢٠]، لو كان ذلك كان منه إلى آدَم على نَحْو الذي منه إلى ذُرِّيَّته - من تَزْيين أكْلِ ما نَهَى الله آدَم عن أكْله من الشَّجَرة بِغَيْرِ مُباشَرَةِ خِطابِه إيَّاهُ بِما استَزَلَّه به من القول والحيَل - لَمَّا قال تعالى ذكره: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] كما غَيْر جائِز أنْ يقول اليوم قائِلٌ مِمَّنْ أتَى معصية: قاسَمَني إبليس أنَّه لي ناصِحٌ فيما زَيَّنَ لي من المعصية التي أتَيْتُها. فَكَذلك الذي كان من آدَم وزَوْجَته لو كان على النَّحْو الذي يكون فيما بين إبليس اليوم وذُرِّيَّة آدَم، لَمَا قال تعالى ذكره: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] ولَكِنْ ذلك كان إنْ شاءَ الله على نَحْو ما قال ابن عَبَّاس ومَنْ قال بِقوله.

فَأمَّا سَبَب وُصوله إلى الجَنَّة حتَّى كَلَّمَ آدَم بعد أنْ أخرَجَه الله منها وطَرَدَه عنها، فَلَيْسَ فيما رُوِيَ عن ابن عَبَّاس ووَهْبِ بن مُنَبِّه في ذلك معنى يجوز لِذي فَهمٍ مُدافَعَتُه، إذْ كان ذلك قولاً لا يَدْفَعه عَقْل، ولا خَبَر يَلْزَم تَصْديقه من حَجّة بِخِلافِه، وهو من الأُمور المُمْكِنة. فالقول في ذلك أنَّه قد وصَلَ إلى خِطابِهما على ما أخبرَنا الله تعالى ذكره، ومُمْكِن أنْ يكون وصَلَ إلى ذلك بِنَحْوِ الذي قاله المُتأوِّلونَ؛ بل ذلك - إنْ شاءَ الله - كذلك؛ لِتَتابُعِ أقْوال أهل التَّأويل على تَصْحيح ذلك، وإنْ كان ابن إسحاق قد قال في ذلك ما:

٧٥٤- حدَّثنا به ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمةُ، قال: قال ابنُ إسحاقَ في ذلك: اللَّه أعْلَم، أكما قال ابن عَبَّاس وأهل التَّوْراة، أمْ خَلَصَ إلى آدَم وزَوْجَته بِسُلْطانِه الذي جَعَلَ اللهُ له لِيَبْتَلِيَ به آدَم وذُرِّيَّته؟ وأنَّه يَأتي ابنَ آدَم في نَوْمَته وفي يَقِظَته، وفي كُلِّ حال من أحواله، حتَّى يَخْلُص إلى ما أرادَ منه حتَّى يَدْعوَه إلى المعصية، ويوقِعُ في نَفْسِه الشَّهْوة وهو لا يَراه، وقد قال اللَّه تعالى ذكره: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٠] ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ وقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧] وقد قال الله جلَّ ثناؤه لِنَبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٢] إلى آخِر السُّورة. ثُمَّ ذَكَرَ الأخْبار التي رويَتْ عن

النبيّ ﷺ أنه قال: «إنَّ الشَّيطانَ يَجْرِي مِن ابنِ آدمَ مَجْرَى الدَّم». ثم قال ابن إسحاق: وإنَّما أَمْرُ ابن آدَم فيما بينه وبين عَدوِّ الله، كأمْرِه فيما بينه وبين آدَم، فقال الله: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣] ثُمَّ خَلَصَ إلى آدم وزوْجَته حتَّى كَلَّمَهُما، كما قصَّ الله علينا من خبرهما، فقال: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] فَخَلَصَ إليهما بما خَلَصَ إلى ذُرِّيَّته من حَيْثُ لا يَرَيانِه - فالله أعْلَم أيُّ ذلك كان - فَتابا إلى رَبِّهما[(١)].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ولَيْسَ في يَقين ابن إسحاق - لو كان قد أيْقَنَ في نَفْسه - أنَّ إبليس لم يَخْلُص إلى آدَم وزَوْجَته بالمُخاطَبةِ بِما أخْبَرَ الله عنه أنَّه قال لهُما وخاطَبَهُما به ما يجوز لِذي فَهم الاعْتِراضُ به على ما ورَدَ من القول مُسْتَفيضًا في أهل العِلْم مع دَلالة الكِتابِ على صِحَّة ما استَفاضَ من ذلك بينهم، فكيف بِشَكِّهِ؟ والله نَسْأل التَّوْفيق.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾

وَأمَّا تأويل قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ فَإنَّه يَعْني: فَأخْرَجَ الشَّيْطان آدَم وزَوْجَته ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يَعْني: مِمَّا كان فيه آدَم وزَوْجَته من رَغَد العَيْش في الجَنَّة، وسَعة نَعيمِها الذي كانا فيه. وقد بَيَّنَّا أنَّ الله تعالى ذكره إنَّما أضافَ إخراجَهُما من الجَنَّة إلى الشَّيْطان، وإنْ كان الله هو المُخْرِج لهُما؛ لأنَّ خُروجهما منها كان عن سَبَب من الشَّيْطان، فأُضيف ذلك إليه لِتَسْبيبِه إيَّاه كما يقول القائِل لِرَجُلٍ وصَلَ إليه منه أذًى حتَّى تَحَوَّلَ من أجْله عن موضِع كان يَسْكُنه: ما حَوَّلَني عن موضِعي الذي كُنْت فيه إلاَّ أنتَ. ولم يكُنْ منه له تَحْويل، ولَكِنَّه لَمَّا كان تَحَوُّله عن سَبَب منه جازَ له إضافة تَحْويله إليه.

القَولُ في تأويل قولِه جلَّ ثناؤه: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾

يُقال: هَبَطَ فُلان أرْض كذا ووادي كذا: إذا حَلَّ ذلك، كما قال الشَّاعِر:

ما زِلْتُ أرْمُقُهُمْ حتَّى إذا هَبَطَتْ ... أيْدي الرِّكابِ بهم من راكِسٍ فَلَقا[(٢)]

---

(١) [ضعيف] ابن حميد وسلمة ضعيفان.

(٢) [البسيط] القائل: زُهَير بن أبي سُلمَى ربيعة بن رباح المزني، من مُضَر. حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي: كان لزهير من الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعرًا، وخاله شاعرًا، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. ولد في بلاد مُزَينة بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)، واستمر بنوه فيه بعد الإسلام. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمّى (الحوليات)، أشهر شعره معلقته التي مطلعها: أمن أم أوفى دمنة لم تكلم. ويقال: إن أبياته في آخرها تشبه كلام الأنبياء. اللغة: أرمقهم: يعني أحبابه الراحلين، وينظر إليهم حزينًا كئيبًا. والركاب: الإبل التي يرحل عليها. وراكس: واد في ديار بني سعد بن ثعلبة، من بني أسد. وفلق وفالق: المطمئن من الأرض بين ربوتين أو جبلين أو هضبتين، وقالوا: فالق وفلق، كما قالوا: يابس ويبس (بفتحتين). المعنى: يقول الشاعر: مازلت أنظر إلى أحبابي الراحلين حزينا كئيبا حتى هبطت الإبل التي يرحلون عليها في الوادي.

وَقد أبانَ هذا القول من الله جَلَّ ثَنَاؤه عن صِحَّة ما قُلْنا من أنَّ المُخْرِج آدَم من الجَنَّة هو الله جَلَّ ثَنَاؤه، وأنَّ إضافة الله إلى إبليس ما أضافَ إليه من إخراجهما كان على ما وصَفْنا. ودَلَّ بِذلك أيْضًا على أنَّ هُبوط آدَم وزَوْجَته وعَدوَّهُما إبليس كان في وقْت واحِد. لِجَمع الله إيَّاهم في الخَبَر عن إهْباطهم، بعد الذي كان من خَطيئة آدَم وزَوْجَته، وتَسْبيبِ إبليس ذلك لهُما، على ما وصَفَه رَبّنا تعالى ذِكْره عنهم.

وَقد اختَلَفَ أهل التَّأويل في المعنيِّ بِقولِه: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ مع إجماعهم على أنَّ آدَم وزَوْجَته مِمَّنْ عُنَى به.

٧٥٥- فحدَّثنا سُفيان بن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبو أُسامة، عن أبي عَوانة، عن إسماعيل بن سالِم، عن أبي صالِح: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال: آدَم، وحَوَّاء، والحَيّة[(١)].

٧٥٦- حدَّثنا ابن وكيع وموسَى بن هارونَ، قالا: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال: فَلَعَنَ الحَيّة وقَطَعَ قَوائِمها، وتَرَكَها تَمْشي على بَطْنها، وجَعَلَ رِزْقها من التُّراب، وأهبَطَ إلى الأرْض آدَم وحَوَّاء وإبليس والحَيّة[(٢)].

٧٥٧- وحَدّثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى بن مَيْمون، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال: آدَمُ، وإبليسُ والحَيَّةُ[(٣)].

٧٥٨- حَدّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: آدَمُ، وإبليسُ، والحَيَّةُ، ذُرِيَّةٌ بعضهم أعداءٌ لِبعضٍ[(٤)].

٧٥٩- حَدّثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال: آدَمُ وذُرّيّته، وإبليسُ وذُرّيّته[(٥)].

٧٦٠- حَدّثنا المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم بن أبي إياس، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال: يَعْني: آدَم وإبليس[(٦)].

٧٦١- حَدّثني المُثَنَّى، قال، حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا عُبَيْد الله بن موسَى، عن إسرائيل، عن السُّدِّيِّ، عَمَّنْ حَدَّثَه عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال:

---

(١) [ضعيف] سفيان بن وكيع، ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٥) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٦) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف، مجهول الحال.

بعضهم لبعضٍ عَدو؛ آدَمُ، وحَوَّاءُ، وإبليسُ، والحَيَّةُ (١).

٧٦٢- حَدَّثني يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبَرَنا ابن وهْب، قال: حَدَّثَني عبد الرَّحْمَن بن مَهْديّ، عن إسرائيل، عن إسماعيل السُّدّيّ، قال: حَدَّثَني مَنْ سَمِعَ ابن عَبَّاس يقول: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال: آدَمُ، وحَوَّاءُ، وإبليسُ، والحَيَّةُ (٢).

٧٦٣- حَدَّثَني يونُس قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال: لهُما ولذريَتِهما (٣).

قَالَ أبُو جَعْفرٍ: فَإنْ قال قائِل: وما كانتْ عَداوةُ ما بين آدَمَ وزَوْجَته، وإبليس، والحَيّة؟

قِيلَ: أمَّا عَداوة إبليس آدَم وذُرّيَّته، فَحَسَدُه إيَّاه، واستِكْباره عن طاعة الله في السُّجود له حين قال لِرَبِّه: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢، ص: ٧٦].

وَأمَّا عَداوةُ آدَم وذُرّيَّته إبليس، فَعَداوة المُؤمِنينَ إيَّاه لِكُفْرِه بالله وعِصْيانه رَبَّه في تَكَبُّره عليه ومُخالَفَته أمْره؛ وذلك من آدَم ومُؤمِني ذُرّيَّته إيمانٌ بالله.

وَأمَّا عَداوةُ إبليسَ آدَمَ، فَكُفرٌ بالله.

وَأمَّا عَداوةُ ما بين آدَمَ وذُرّيَّته والحَيَّةِ، فقد ذَكَرْنا ما رويَ في ذلك عن ابن عَبَّاس ووَهْب بن مُنَبِّه، وذلك هي العَداوةُ التي بيننا وبينها، كما رويَ عن رَسول الله ﷺ أنَّه قال: **«مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ، فَمَنْ تَرَكَهُنَّ خَشْيَة ثَأْرِهِنَّ فَلَيسَ مِنَّا»**.

٧٦٤- حَدَّثني مُحمَّد بن عبد الله بن عبد الحَكَم، قال: حَدَّثَنا حَجَّاج بن رِشدين، قال: حَدَّثَنا حَيْوة بن شُرَيْح، عن ابن عَجْلان، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرة، عن رَسول الله ﷺ أنَّه قال: **«مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ، فَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْهُنَّ خِيفَة فَلَيسَ مِنَّا»** (٤).

---

(١) [ضعيف] المثنى مجهول الحال، وفيه إبهام من حدث السدي.

(٢) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٣) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٤) [حسن] مداره على ابن عجلان، وقد اختلف عليه أخرجه الحميدي (١١٥٦). وأحمد [٢/ ٢٤٧ (٧٣٦٠)]. وابن حبَّان [٥٦٤٤] قال: أخبرنا الفضل بن الحباب، قال: حدَّثنا إبراهيم بن بشار. ثلاثتهم (الحميدي، وأحمد بن حنبل، وإبراهيم بن بشار) قال الحميدي، وإبراهيم بن بشار: حدثنا، وقال أحمد: قرئ على سفيان، سمعتُ ابن عجلان، عن بكير بن عبد الله، عن عجلان.. فذكره. وأخرجه أحمد [٢/ ٤٣٢ (٩٥٨٦)] قال: حدَّثنا يحيى. وفي [٢/ ٥٢٠ (١٠٧٥٢)] قال: حدَّثنا صفوان. وأبو داود [٥٢٤٨] قال: حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل، حدَّثنا سفيان. ثلاثتهم (يحيى بن سعيد، وصفوان بن عيسى، وسفيان بن عُيينة) عن ابن عجلان، قال: سمعت أَبِي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ، مَنْ تَرَكَ شَيْئًا خَشْيَةً فَلَيْسَ مِنَّا، يَعْنِي الحَيَّاتِ. ليس فيه: بكير بن عبد الله. وفي العلل للدارقطني [٢١٧٤]: وسُئِل عَن حَدِيثِ عَجلاَن، عَن أَبِي هُرَيرة، قال: قال رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلم: «ما سالَمناهُنّ مُنذُ حارَبناهُنّ» يَعنِي الحَيّاتِ. فَقال: يَروِيهِ ابن عَجلاَن، واختُلِف عَنهُ؛ فَرَواهُ زِياد بن سَعدٍ، ويَحيَى القَطّانُ، وأَبو عاصِم النَّبِيلُ، عَن ابن عَجلاَن، عَن أَبِيهِ، عَن أَبِي هُرَيرة، وخالَفَهُم ابن عُيَينَة، فَرَواهُ عَنِ ابنِ عَجلاَن، عَن بُكَير بن عَبدِ الله، عَن عَجلاَن، عَن أَبِي هُرَيرة. وَلَعَلَّ مُحمد بن عَجلاَن سَمِعَهُ، عَن أَبِيهِ واستَثبَتَهُ مِن بُكَيرِ بنِ الأَشَجِّ. اهـ.

وَأحسَبُ أنَّ الحَرْب التي بيننا كان أصْله ما ذَكَرَه عُلَماؤُنا الذينَ قَدَّمْنا الرِّواية عنهم في إدْخالها إبليس الجَنَّة بعد أنْ أخْرَجَه الله منها، حتَّى استَزَلَّه عن طاعة رَبّه في أكْل ما نُهيَ عن أكْله من الشَّجَرة. وقد:

٧٦٥- **حَدَّثنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا مُعاويه بن هِشام، وحَدَّثني مُحَمَّد بن خَلَف العَسْقَلانيُّ، قال: حَدَّثَنا آدَم جَميعًا، عن شَيْبان، عن جابِر، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: سُئِلَ رَسول الله ﷺ عن قَتْل الحَيَّات، فَقال رَسول الله ﷺ: «**خُلِقَتْ هِيَ وَالإِنْسَانُ كُلُّ وَاحِد مِنهُمَا عَدُوٌّ لِصَاحِبِهِ، إنْ رَآهَا أفْزَعَتْهُ، وَإنْ لَدَغَتْهُ أوْجَعَتْهُ، فاقْتُلها حيث وجدتَها**»[1].

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾

اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل ذلك. فَقال بعضهم بما:

٧٦٦- **حَدَّثني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا آدم العَسْقَلانيّ، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر الرازي، عن الرَّبيع، عن أبي العاليةِ في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: هو قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾[2].

٧٦٧- **وَحُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: هو قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤][3].

وَقال آخَرونَ: معنى ذلك: ولكم في الأرض قَرار في القُبور.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

٧٦٨- **حَدَّثَني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾. قال: القُبور[4].

٧٦٩- **حَدَّثَني** يونُس بن عبد الأعلى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن مَهْديّ، عن إسرائيل، عن إسماعيل السُّدّيّ، قال: حَدَّثَني مَنْ سَمِعَ ابن عَبَّاس قال: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: القُبور[5].

---

(١) [ضعيف جدًا] مداره على جابر بن يزيد الجعفي متروك.

(٢) [ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [ضعيف] علقه المصنف عن عمار بن الحسن.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [حسن] من أجل السدي، وقد رواه هنا عن من سمع ابن عباس، وهذا الراوي المبهم هو عكرمة مولى ابن عباس كما صرح به عند ابن ابي حاتم في تفسيره بسند حسن من أجل شيخ ابن أبي حاتم فقال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبيد الله بن موسى، أنبأ إسرائيل، عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ولكم في الأرض مستقر، قال: مستقر، القبور. اهـ.

٧٧٠- حَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: مُقامُهم فيها[(١)].

والمُسْتَقَرّ في كَلام العرب: هو موضِع الاستِقْرار، فإذا كان ذلك كذلك، فَحَيْثُ كان من في الأرْض موجودًا حالاً، فَذلك المَكان من الأرْض مُسْتَقَرُّه.

إنّما عَنَى الله جَلّ وعزَّ بِذلك: أنَّ لهم في الأرْض مُسْتَقَرًّا ومَنْزِلاً بأماكِنِهم ومُسْتَقَرِّهم من الجَنَّة والسَّماء، وكذلك قوله ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ يَعْني به أنَّ لهم فيها مَتاعًا بِمَتاعِهم في الجَنَّة.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦﴾

اختلَفَ أهل التَّأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: ولكم فيها بَلاغٌ إلى الموت.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٧٧١- حَدَّثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في قوله: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال: يقول: بَلاغٌ إلى الموت[(٢)].

٧٧٢- حَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: حَدَّثَنا عبد الرَّحْمَن بن مَهْديّ عن إسرائيل، عن إسماعيل السُّدّيّ، قال: حَدَّثَني مَنْ سَمِعَ ابن عَبَّاس: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال: الحَياة[(٣)].

٧٧٣- حَدَّثني المثنّى، قال: حدَّثنا إسحاقُ، قال: حدَّثنا عبيدُ الله بنُ موسى، عن إسرائيلَ، عن السديِّ، عمّن حدَّثه، عن ابنِ عباس: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال: الحَياة[(٤)].

وَقال آخَرونَ: يَعْني بِقولِه: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى قيام السَّاعة.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٧٧٤- حَدَّثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح عن مُجاهِد: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال: إلى يوم القيامة، إلى انقِطاع الدُّنْيا. وقال آخَرونَ: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أجَل[(٥)].

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٧٧٥- حُدِّثْت عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن

(١) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٢) [ضعيف] مداره على أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [حسن] من أجل السدي، وقد رواه هنا عن من سمع ابن عباس، وهذا الراوي المبهم هو عكرمة مولى ابن عباس كما صرح به عند ابن ابي حاتم في تفسيره بسند حسن فقال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبيد الله، أنبأ إسرائيل، عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس، ومتاع إلى حين قال: الحياة.

(٤) [حسن] تقدم قبله.

(٥) [ضعيف] المثنى مجهول الحال، وأبي حذيفة يكتب حديثه.

الرَّبيع: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال: إلى أجَل(١).

والمَتاع في كَلام العرب: كُلُّ ما استُمْتِعَ به من شَيْء في مَعاش استُمْتِعَ به أو رِياشٍ أو زينة أو لَذَّةٍ... أو غَيْر ذلك. فإذا كان ذلك كذلك - وكان الله تعالى ذكره قد جَعَلَ حَياة كُلِّ حَيّ مَتاعًا له يَسْتَمْتِعُ بها أيَّام حَياته، وجَعَلَ الأرْض لِلْإنسانِ مَتاعًا أيَّام حَياته بِقَرارِه عليها، واغْتِذائِه بِما أخْرَجَ الله عزَّ وجلَّ منها من الأقْوات والثِّمار، والتِذاذه بِما خَلَقَ فيها من المَلاذ وجَعَلَها من بعد وفاته لِجُثَّتِه كِفاتًا، ولِجِسْمِه مَنْزِلاً وقَرارًا، وكان اسم المَتاع يَشْمَل جَميع ذلك - كان أولَى التَّأويلات بالآيةِ - إذْ لم يكُنْ الله تعالى ذكره وضَعَ دَلالة دالَّة على أنَّه قَصَدَ بِقولِه: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ بعضًا دون بعض، وخاصًا دون عامّ في عَقْلٍ ولا خَبَر - أنْ يكون ذلك في معنى العام، وأنْ يكون الخَبَر أيْضًا كذلك إلى وقْت بُطول استِمْتاع بَني آدَم وبَني إبليس بها، وذلك إلى أنْ تُبَدَّل الأرْضُ غَيْر الأرْضِ.

فَإذْ كان ذلك أولَى التَّأويلات بالآيةِ لِما وصَفْنا، فالواجِبُ إذن أنْ يكون تأويل الآية: ولَكُم في الأرْض مَنازِل ومَساكِن، تَسْتَقِرُّونَ فيها استِقْراركُم - كان - في السَّموات، وفي الجَنَّانِ في مَنازِلكُم منها، واستِمْتاعٌ منكُم بها وبِما أخْرَجْت لكم منها، وبِما جَعَلْت لكم فيها من المَعاش والرِّياش والزِّينِ والمَلاذ، وبِما أعْطَيْتُكُم على ظَهْرها من الحياةِ أيَّام حَياتكم ومن بعد وفاتكم لأرْماسِكُم وأجْداثِكُم، تُدْفَنونَ فيها وتَبْلُغونَ باستِمْتاعِكُم بها إلى أنْ أُبَدِّلكُم بها غَيْرها.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾

أمَّا تأويل قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ فإنَّه: أخَذَ وقَبِلَ، وأصْله: التَّفَعُّل من اللِّقاء، كما يَتَلَقَّى الرَّجُلُ الرَّجُلَ يَسْتَقْبِله عند قُدومه من غَيْبةٍ أو سَفَر، فَكَذلك ذلك في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ كأنَّه استَقْبَلَه فتَلَقَّاه بالقَبولِ، حين أُوحِيَ إليه، أو أُخْبرَ به، فَمعنى ذلك إذن: فَلَقَّى اللهُ آدَمَ كَلِماتِ تَوْبةٍ فَتَلَقَّاها آدَمُ من رَبِّه وأخَذَها عنه تائبًا فَتابَ الله عليه بِقيلِه إيَّاها وقَبولِه إيَّاها من رَبِّه. **كما**:

٧٧٦- **حَدَّثني** يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ الآية، قال: لَقَّاهُما هذه الآية: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣](٢).

وَقد قَرأ بعضهم: (فَتَلَقَّىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّه كَلِمَاتٌ) فَجَعَلَ (الكَلِمات) هي المُتَلَقِّيَة آدَمَ. وذلك وإنْ كان من جِهَةِ العربيَّة جائِزًا - إذْ كان كُلُّ ما تَلَقَّاه الرَّجُل فهو له مُتَلَقٍّ وما لَقِيَه فقد لَقِيَه، فَصارَ لِلْمُتَكَلِّم أنْ يوَجِّه الفِعْل إلى أيِّهما شاءَ، ويُخْرِجُ من الفِعْل أيّهما أحَبَّ - فَغَيْر جائِز عندي في القِراءة إلَّا رَفْعُ (آدَمَ) على أنَّه المُتَلَقِّي (الكَلِمات)؛ لإجماعِ الحُجَّة من القَراَةِ وأهل التَّأويل من عُلَماء السَّلَف والخَلَف على تَوْجيه التَّلَقِّي إلى آدَمَ دون الكَلِمات، وغَيْر جائِز الاعْتِراض عليها

(١) [ضعيف] علقه المصنف عن عمار.

(٢) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

فيما كانت عليه مُجمِعةً بِقولِ مَنْ يجوز عليه السَّهو والخَطأ .

واختلَفَ أهل التَّأويل في أعيانِ الكَلِمات التي تلَقَّاها آدم من رَبّه، فقال بعضهم بما:

٧٧٧- **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا ابن عَطيّة، عن قَيْس، عن ابن أبي لَيْلَى، عن المنهالِ، عن سَعيد، عن ابن عَبَّاس: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قال: أيْ رَبّ، ألم تَخلُقني بيَدِك؟ قال: بَلَى. قال: أيْ رَبّ، ألم تَنفُخ فيَّ من روحك؟ قال: بَلَى. قال: أيْ رَبّ، ألم تُسْكِنّي جَنَّتك؟ قال: بَلَى. قال: أيْ رَبّ، ألم تَسْبِق رَحْمَتُكَ غَضَبَك؟ قال: بَلَى. قال: أرَأيْت إنْ تُبْتُ وأصْلَحْتُ أراجِعي أنتَ إلى الجَنَّة؟ قال: بلى. قال: فهو قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾(١).

٧٧٨- **حدَّثني** عَليّ بنُ الحسنِ، قال: حَدَّثَنا مُسْلِمٌ، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن مُصْعَب، عن قَيْس بن الرَّبيع، عن عاصِم بن كُلَيْب، عن سَعيد بن مَعْبَدٍ، عن ابن عَبَّاس نَحوه(٢).

٧٧٩- **حدَّثني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثَني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: فإنَّ آدَمَ قال لِرَبِّه إذْ عَصاه: رَبِّ، أرَأيْت إنْ تُبْتُ وأصْلَحْتُ؟ فقال له رَبُّه: إنّي راجِعك إلى الجَنَّة(٣).

٧٨٠- **حدَّثنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حدَّثنا سَعيدٌ، عن قَتادةَ قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ ذُكِرَ لنا أنَّه قال: يا رَبِّ أرَأيْت إنْ أنا تُبْتُ وأصْلَحْتُ؟ قال: إذن أُرْجِعَكَ إلى الجَنَّة. قال: وقال الحسنُ: إنَّهما قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣](٤).

٧٨١- **حدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدم العَسْقَلانيّ، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر عن الرَّبيع. عن أبي العالية في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ قال: إنَّ آدم لَمَّا أصابَ الخَطيئة، قال: يا رَبّ أرَأيْت إنْ تُبْتُ وأصْلَحْتُ؟ فقال اللَّه: إذن أُرْجِعَكَ إلى الجَنَّة فَهيَ من الكَلِمات. ومن الكَلِمات أيْضًا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣](٥).

---

(١) [حسن] محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ضعيف يكتب حديثه، ولكن أخرجه الحاكم بسند حسن فقال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا الحسن بن عطية، ثنا الحسن بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال: أي رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى. قال: أي رب، ألم تنفخ في من روحك؟ قال: بلى. قال: أي رب، ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى. قال: أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى. قال: أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: بلى. قال: فهو قوله فتلقى آدم من ربه كلمات هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. اهـ

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف

(٣) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف جدا فيه عائلة العوفي كلهم ضعفاء.

(٤) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٥) [ضعيف] المثنى بن إبراهيم الإيلي مجهول الحال.

٧٨٢- حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ قال: رب ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى. قال: ونفخت فيَّ من روحك؟ قيل له: بلى. قال: وسبقت رحمتك غضبك؟ قيل له: بلى. قال: رب، هل كتبت هذا عليَّ؟ قيل له: نعم. قال: رب، إن تبت وأصلحت هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قيل له: نعم. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢](١).

وقال آخرون بما:

٧٨٣- حدثنا به محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع، قال: حدثني من سمع عبيد بن عمير، يقول: قال آدم عليه السلام: يا رب، خطيئتي التي أخطأتها أشيء كتبته عليَّ قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي؟ قال: بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبته عليَّ فاغفره لي! قال: فهو قول الله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾(٢).

٧٨٤- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير بمثله(٣).

٧٨٥- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا وكيع بن الجراح، قال: حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع، عمن سمع عبيد بن عمير يقول: قال آدم. فذكر نحوه(٤).

٧٨٦- حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن عبد العزيز بن رفيع، عن عبيد بن عمير مثله(٥).

٧٨٧- حدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع، قال: أخبرني من سمع عبيد بن عمير بنحوه(٦).

وقال آخرون بما:

٧٨٨- حدثني به أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن شريك، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا حصين بن عبد الرحمن، عن حميد بن نبهان، عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية أنه قال: قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قال آدم: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم(٧).

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢) [ضعيف] فيه المبهم الذي سمع عبيد بن عمير، وقد تفرد الثوري فرواه بدونه كما في رقم (٧٨٦).
(٣) [ضعيف] تقدم قبله. (٤) [ضعيف] تقدم قبله.
(٥) [ضعيف] تقدم قبله. (٦) [ضعيف] تقدم قبله.
(٧) [ضعيف] لما فيه من ضعفاء ومجاهيل.

٧٨٩- حدثني المُثنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا أبو غَسَّان، قال: حدَّثنا زُهَيْر، وحَدَّثَنا أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: أخبرَنا أبو أحمَد، قال: حَدَّثَنا سُفيان وقَيْس جَميعًا عن خُصيف، عن مُجاهِد في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ قال: قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] حتَّى فَرَغَ منها(١).

٧٩٠- حدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثني شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، كان يقول في قول اللّه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ الكَلِمات: اللَّهُمَّ لا إله إلاَّ أنت سُبْحانك وبِحَمْدِك، رَبّي إنِّي ظَلمت نَفْسي، فاغْفِرْ لي إنَّك خَيْر الغافِرينَ، اللَّهُمَّ لا إله إلاَّ أنت سُبْحانك وبِحَمْدِك، رَبّي إنِّي ظَلمت نَفْسي فارْحَمْني إنَّك خَيْر الرَّاحِمينَ، اللَّهُمَّ لا إله إلاَّ أنت سُبْحانك وبِحَمْدِك، رَبّ إنِّي ظَلمت نَفْسي، فَتُبْ عَلَيَّ إنَّك أنتَ التَّوَّاب الرَّحيم(٢).

٧٩١- حدَّثنا ابن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن النَّضر بن عَرَبيّ، عن مُجاهِد: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ قال: هو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية(٣).

٧٩٢- حدَّثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ قال: أيْ رَبِّ أتَتوبُ عَلَيَّ إنْ تُبْتُ؟ قال: نَعَمْ. فَتابَ آدَم، فَتابَ عليه رَبُّه(٤).

٧٩٣- حدَّثنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ قال: هو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣](٥).

٧٩٤- حدَّثني يونُس بن عبد الأعلى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: هو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣](٦).

وَهذه الأقْوال التي حَكَيْناها عَمَّنْ حَكَيْناها عنه وإنْ كانتْ مُخْتَلِفَة الألفاظ، فَإنَّ مَعانيها مُتَّفِقة في أنَّ الله تعالى ذكره لَقَّى آدَمَ كَلِمات، فَتَلَقَّاهُنَّ آدم من رَبّه فَقَبلهنَّ وعَمَل بهِنَّ وتابَ - بقيله إيَّاهُنَّ وعَمَله بهِنَّ - إلى الله من خَطيئَته، مُعْترِفًا بِذَنْبه، مُتَنَصِّلاً إلى رَبّه من خَطيئَته، نادِمًا على ما سَلَفَ منه من خِلاف أمْره، فَتابَ الله عليه بِقَبولِه الكَلِمات التي تَلَقَّاهُنَّ منه ونَدمَه على سالِف الذَّنْب منه.

---

(١) [ضعيف] خصيف ضعيف سيء الحفظ، وله إسناد آخر ضعيف سيأتي بعده.

(٢) [ضعيف] المثنى مجهول الحال، وأبي حذيفة يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] سفيان بن وكيع ضعيف، والنضر لا أعلم أنه سمع من مجاهد أو أخذ تفسيره من القاسم.

(٤) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف، من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٥) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٦) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

والذي يَدُلّ عليه كِتاب اللهِ جلّ ثناؤه أنّ الكَلِمات التي تَلَقَّاهُنَّ آدَم من رَبّه هُنَّ الكَلِمات التي أخْبَرَ جلَّ ذكره عنه أنَّه قالها مُتَنَصِّلاً بِقيلِها إلى رَبّه مُعْتَرِفًا بِذَنْبِه، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ولَيْسَ ما قاله مَنْ خالَفَ قولَنا هذا - من الأقْوال التي حَكَيْناها - بِمَدْفوعٍ قوله، ولَكِنَّه قول لا شاهِد عليه من حُجّة يجِب التَّسْليم لها، فَيجوزُ لنا إضافَته إلى آدَم، وأنّه مِمَّا تَلَقَّاه من رَبّه عند إنابَته إليه من ذَنْبه.

وَهذا الخَبَر الذي أخْبَرَ الله عن آدَم - من قيله الذي لَقَّاه إيَّاه فَقاله تائِبًا إليه من خَطيئَته - تَعْريف منه جَلَّ ذِكْره جَميع المُخاطَبينَ بِكِتابه كيفيَّة التّوْبة إليه من الذُّنوب، وتَنْبيهٌ لِلْمُخاطَبينَ بِقولِه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] على موضِع التّوْبة مِمَّا هم عليه من الكُفْر بالله، وأنّ خَلاصهم مِمَّا هم عليه مُقيمونَ من الضَّلالةِ نَظيرَ خَلاص أبيهم آدَم من خَطيئَته مع تَذْكيره إيَّاهم به السَّالِف إليهم من النِّعَم التي خَصَّ بها أباهم آدَمَ وغَيْره من آبائِهم.

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾

وَقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يَعْني: على آدَم، والهاء التي في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائِدةٌ على آدَم. وقولُه: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ يَعْني: رِزَقَه التّوْبة من خَطيئَته.

والتَّوْبة معناها: الإنابَةُ إلى الله جلّ ثناؤه، والأوبَةُ إلى طاعَتِه مِمَّا يكْرَه من معصيَته.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾

وَتأويل قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أنَّ الله جَلَّ ثَناؤه هو التَّوّاب على مَنْ تابَ إليه من عِباده المُذْنِبِينَ من ذُنوبه، التَّارِكُ مُجازاتَهُ بِإنابَتِه إلى طاعَته بعد معصيَته بما سَلَفَ من ذَنْبه. وقد ذَكَرْنا أنَّ معنى التَّوْبَة من العبد إلى رَبّه: إنابَته إلى طاعَته، وأوبَتُه إلى ما يُرْضيه بِتَرْكِه ما يَسْخَطُه من الأُمور التي كان عليها مُقيمًا مِمَّا يكْرَهه رَبّه، فَكَذلك تَوْبة الله على عبدِه هو أنْ يَرْزُقه ذلك، ويَتوبَ له من غَضَبِه عليه إلى الرِّضا عنه، ومن العُقوبَة إلى العَفْو والصَّفْح عنه.

وَأمَّا قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ فَإنّه يَعْني أنّه المُتَفَضِّل عليه مع التّوْبة بالرَّحْمةِ، ورَحْمَته إيَّاه إقالة عَثْرَته وصَفْحه عن عُقوبة جُرْمِه. وَقد ذَكَرْنا القول في تأويل قوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ فيما مَضَى فلا حاجة بِنا إلى إعادَته؛ إذْ كان معناه في هذا الموضِع هو معناه في ذلك الموضِع. وَقد:

٧٩٥- **حَدَّثني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا هُشَيْم، قال: حدَّثَنا إسماعيل بن سالِم، عن أبي صالِح في قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ قال: آدَمُ، وحَوَّاءُ، والحَيَّةُ، وإبليسُ(١).

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾

وَتأويل قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾: فَإنْ يَأْتِكُم، و(ما) التي مع (إن) تَوْكيد لِلْكَلام، ولِدُخولِها مع (إن) أُدْخِلَتِ النّون المُشَدَّدة في ﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾ تَفْرِقة بِدُخولِها بين (ما) التي تأتي بِمعنى تَوْكيد

---

(١) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وهشيم مدلس وقد صرّح.

الكَلام - التي تُسَمِّيها أهلُ العربيَّةِ صِلةً وحَشْوًا - وبين (ما) التي تأتي بِمعنى (الذي)، فَتُؤذِن بِدُخولِها في الفِعْل، أنَّ (ما) التي مع (إن) التي بِمعنى الجَزاء تَوْكيدٌ، ولَيْسَتْ (ما) التي بِمعنى (الذي).

وَقد قال بعض نَحْويِّي أهل البصْرةِ: إنَّ (إمَّا): (إنْ) زيدَتْ معها (ما)، وصارَ الفِعْل الذي بعده بالنّونِ الخَفيفة أو الثّقيلة، وقد يكون بغَيْرِ نون. وإنّما حَسُنَتْ فيه النّون لَمَّا دَخَلَتْه (ما)؛ لأنَّ (ما) نَفْي، فَهِيَ مِمَّا لَيْسَ بِواجِب، وهيَ الحَرْف الذي يَنْفي الواجِب، فَحَسُنَتْ فيه النّون، نَحو قولهِمْ: بِعَيْنٍ ما أرَيَنْكَ حين أُدْخِلَتْ فيها (ما) حَسُنَتِ النّون فيما هُنا.

وَقد أنْكَرَ جَماعةٌ من أهل العربيّة دَعْوَى قائِلِي هذه المَقالة أنَّ (ما) التي مع بِعَيْنٍ ما أرَيَنْك بمعنى الجَحْد، وزَعَموا أنَّ ذلك بِمعنى التّوْكيد لِلْكَلام.

وَقال آخَرونَ: بل هو حَشْو في الكَلام، ومعناها الحَذْف، وإنَّما معنى الكَلام: بِعَيْنٍ أراك، وغَيْر جائِز أنْ يُجْعَل مع الاختِلاف فيه أصْلاً يُقاس عليه غَيْره.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

والهُدَى في هذا الموضِع البيان والرَّشاد، كما:

٧٩٦- **حَدَّثني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا آدم العَسْقَلانيّ قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ قال: الهُدَى: الأنبياء والرُّسُل والبيان[١].

فَإنْ كان ما قال أبو العالية في ذلك كما قال، فالخِطاب بِقولِه: ﴿اهْبِطُوا﴾، وإنْ كان لِآدَم وزَوْجَته، فَيجِب أنْ يكون مُرادًا به آدَم وزَوْجَته وذُرِّيَّتهما، فَيكون ذلك حينَئِذٍ نَظير قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] بِمعنى أتَيْنا بما فينا من الخَلْق طائِعينَ. ونَظير قولِه في قِراءة ابن مسعود: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ومن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِهِمْ مَنَاسِكَهُمْ) فَجَمَعَ قَبْل أنْ تَكون ذُرِّيَّةٌ، وهو في قِراءَتنا: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨] وكَما يقول القائِل لِآخَر: كَأنّك قد تَزَوَّجْت ووُلِدَ لَك وكَثُرْتُم وعَزَزْتُمْ. ونَحْو ذلك من الكَلام.

وَإنّما قُلْنا: إنَّ ذلك هو الواجِب على التَّأويل الذي ذَكَرْناهُ عن أبي العالية؛ لأنَّ آدَمَ كان هو النَّبيّ عليه السلام أيَّام حَياته بعد أنْ أُهْبِطَ إلى الأرْض، والرَّسول من الله جَلَّ ثَناؤه إلى وَلَده، فَغَيْر جائِزٍ أنْ يكون معنيًا - وهو الرَّسول - بِقولِه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ خِطابًا له ولِزَوْجَتِه: فَإمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنّي أنْبياءُ ورُسُلٌ إلاّ على ما وَصَفْتُ من التَّأويل.

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: فإما يأتينكم مني هدى قال: الهدى الأنبياء والرسل، والبيان. اهـ.

وَقولُ أبي العاليةِ في ذلك - وإنْ كان وجهًا من التَّأويل تَحْتَمِله الآية - فأقْرَبُ إلى الصَّواب منه عندي وأشبَهُ بِظاهِرِ التِّلاوة أنْ يكون تأويلُها: فإمَّا يأتينَّكم يا معشَر من أُهْبَطِتَ إلى الأرض من سَمائي، وهو آدَم وزَوْجَته وإبليسُ، كما قد ذَكَرْنا قَبْل في تأويل الآية التي قَبْلها - إمَّا يَأتِيَنَّكم مِنّي بَيان من أمْري وطاعَتي ورَشادٌ إلى سَبيلي وديني، فَمَنْ اتَّبَعَه منكُم فلا خَوْف عليهم ولا هم يَحْزَنونَ، وإنْ كان قد سَلَفَ منهم قَبْل ذلك إليَّ معصية وخِلاف لأمْري وطاعَتي. يُعَرِّفُهم بِذلك تعالى ذكره أنَّه التَّائِبُ على مَنْ تابَ إليه من ذُنوبه، والرَّحيم لِمَنْ أنابَ إليه كما وصَفَ نَفْسه بِقولِه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وَذلك أنَّ ظاهِر الخِطاب بِذلك إنَّما هو لِلَّذينَ قال لهم جَلَّ ثَناؤه: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ والذينَ خوطِبوا به هم من سَمَّينا في قول الحُجّة من الصَّحابة والتَّابِعينَ الذينَ قد قَدَّمْنا الرِّواية عنهم. وذلك وإنْ كان خِطابًا من الله تعالى ذِكْره لِمَنْ أُهْبِطَ حينَئِذٍ من السَّماء إلى الأرْض، فهو سُنّة الله في جَميع خَلْقه، وتَعْريفٌ منه بِذلك لِلَّذينَ أخْبَرَ عنهم في أوَّل هذه السّورة بِما أخْبَرَ عنهم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] وفي قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] أنَّ حُكْمه فيهم - إنْ تابوا إليه وأنابوا واتَّبَعوا ما أتاهم من البيان من عند اللَّه، على لِسان رَسوله مُحَمَّد ﷺ - أنَّهم عنده في الآخِرة، مِمَّنْ لا خَوْف عليهم ولا هم يَحْزَنونَ، وأنَّهم إنْ هَلَكوا على كُفْرِهم وضَلالَتِهم قَبْل الإنابة والتَّوْبة، كانوا من أهل النَّار المُخَلَّدينَ فيها.

وَقوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ يَعْني: فَمَنْ تَبِعَ بَياني الذي أُبَيِّنُه على ألْسُن رُسُلي أو مع رُسُلي، **كما**:

٧٩٧- **حَدَّثَني** به المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم العسقلاني، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ يَعْني: بَياني (١).

وَقوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يَعْني: فَهم آمِنونَ في أهوال القيامة من عِقاب الله غَيْرُ خائِفينَ عَذابَه؛ بِما أطاعوا الله في الدُّنْيا واتَّبَعوا أمْره وهُداه وسَبيلَه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يومئِذٍ على ما خَلَّفوا بعد وفاتهم في الدُّنْيا، **كما**:

٧٩٨- **حَدَّثَني** يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: لا خَوْف عليكُم أمامكم، ولَيْسَ شَيْءٌ أعْظَم في صَدْر الذي يَموت مِمَّا بعد الموت، فَأمَّنَهم منه وسَلَّاهم عن الدُّنْيا، فَقال: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢).

وقولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾. يَعْني: والذينَ جَحَدوا آياتي وكَذَّبوا رُسُلي.

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: فمن تبع هداي يعني البيان. اهـ

(٢) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

وآياتُ اللَّه: حُجَجُه وأدِلَّته على وحْدانيّتِه ورُبوبيَّتِه، وما جاءتْ به الرُّسُل من الأعْلام والشَّواهِد على ذلك، وعلى صِدْقها فيما أنبَأَتْ عن رَبِّها. وقد بَيَّنَّا أنَّ معنى الكُفرِ: التَّغْطية على الشَّيْء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ يَعْني: أهلها الذينَ هم أهلها دون غَيْرهم المُخَلَّدونَ فيها أبَدًا إلى غَيْر أمَد ولا نِهاية، كما:

٧٩٩- **حَدَّثَنا** عُقْبة بن سِنان البصْريّ، قال: حَدَّثَنا غَسَّان بن مُضَر، قال: حَدَّثَنا سَعيد بن يَزيد، وحَدَّثَنا سَوَّار بن عبد الله العنبَريّ، قال: حَدَّثَنا بِشر بن المُفَضَّل، قال: حَدَّثَنا أبو مسلَمة، وحَدَّثَني يَعْقوب بن إبراهيم، وأبو بَكْر بن عَوْن، قالا: حَدَّثَنا إسماعيل بن عُلَيّة، عن سَعيد بن يَزيد، عن أبي نَضْرة، عن أبي سَعيد الخُدْريّ، قال: قال رَسول الله ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ، وَلَكِنَّ أَقْوَامًا أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِخَطَايَاهُمْ - أَوْ بِذُنُوبِهِمْ - فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا صَارُوا فَحْمًا أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ**»(١).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: ولَدَ يَعْقوب بن إسحاق بن إبراهيم خَليل الرَّحْمَن؛ وكان يَعْقوب يُدْعَى إسرائيلَ، بِمعنى: عبد الله وصَفْوَته من خَلْقه؛ و(إيل) هو اللَّه تعالى ذكره؛ و(إسرا) هو العبد، كما قِيلَ: جِبْريلُ. بِمعنى عبدُ اللَّهِ. **وكَما:**

٨٠٠- **حَدَّثَنا** به ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا جَرير بن عبد الحميدِ، عن الأعْمَش، عن إسماعيلَ بن رَجاء، عن عُمَيْر مولَى ابن عَبَّاس، عن ابن عَبَّاس: أنَّ إسرائيل كَقولِك: عبدُ اللَّه(٢).

٨٠١- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا جَرير، عن الأعْمَش، عن المنهالِ، عن عبد الله بن الحارِث، قال: (إيل): اللهُ بالعبرانية(٣).

وَإنّما خاطَبَ الله جلَّ وعزَّ بِقولِه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: أحبارَ اليَهودِ من بَني إسرائيلَ الذينَ كانوا بين ظَهْرانَيْ مُهاجَرِ رَسول الله ﷺ، فَنَسَبَهم إلى يَعْقوب، كما نَسَبَ ذُرّيّة آدَمَ إلى آدَم، فَقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] وما أشْبَه ذلك. وَإنّما خَصَّهم بالخِطابِ في هذه الآية والتي بعدها من الآي التي ذَكَّرَهم فيها نِعَمه، وإنْ كان قد تَقَدَّمَ ما أُنْزِلَ فيهم وفي غَيْرهم في أوّل هذه السُّورة ما قد تَقَدَّمَ - أنَّ الذي احْتَجَّ به من الحُجَج في الآياتِ التي فيها أنْباء أسلافِهم وأخْبارُ أوائِلهم، وقَصَصُ الأُمورِ التي هم بِعِلْمِها مَخصوصونَ دون غَيْرهم من سائِر الأُمَم لَيْسَ عند غَيْرهم من العِلْم بِصِحَّتِه، وحَقيقَته مِثْلُ الذي لهم من العِلْم به، إلاَّ لِمَنْ اقْتَبَسَ عِلْم ذلك منهم. فَعَرَّفَهم بِإطْلاعِ مُحَمَّد ﷺ على عِلْمها - مع بعد قَوْمه وعَشيرَته من معرِفَتها،

---

(١) [**صحيح**] أخرجه مسلم [١٨٥] وغيره.

(٢) [**ضعيف**] من اجل شيخ المصنف محمد بن حميد.

(٣) [**ضعيف**] من اجل شيخ المصنف محمد بن حميد.

وقِلّة مُزاوَلة مُحَمَّد ﷺ دِراسةَ الكُتُب التي فيها أنباء ذلك - أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لم يَصِل إلى عِلْم ذلك إلاَّ بوَحْي من الله تعالى ذكره وتَنْزيل منه ذلك إليه؛ لأنَّهم من عِلْم صِحَّة ذلك بِمَحَلٍّ لَيْسَ به من الأُمَم غيْرُهمْ. فَلِذلك تعالى ذكره خَصَّ بِقولِه: ﴿يَبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ خُطَّابهمْ. كَما:

٨٠٢- **حدّثنا** به ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس قولَه: ﴿يَبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ قال: يا أهل الكِتاب لِلأحبارِ من يَهود[(١)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾

وَنِعْمَته التي أنْعَم بها على بَني إسرائيل اصْطِفاؤُه منهم الرُّسُل، وإنْزالُه عليهم الكُتُب، واستِنْقاذُه إيَّاهم مِمَّا كانوا فيه من البلاء والضَّرَّاء من فرعون وقَوْمه، إلى التَّمْكين لهم في الأرض، وتَفْجير عُيون الماء من الحَجَر، وإطْعام المَنِّ والسَّلْوَى. فَأمَرَ جَلَّ ثَنَاؤه أعْقابهم أنْ يكون ما سَلَفَ منه إلى آبائِهم على ذِكْرٍ منهم، وأنْ لا يَنْسَوْا صَنيعه إلى أسلافِهم وآبائِهم، فَيُحِلَّ بهم من النِّقَم ما أحَلَّ بِمن نَسيَ نِعَمه عنده منهم وكَفَرَها وجَحَدَ صَنائِعه عنده. كَما:

٨٠٣- **حدّثنا** ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: آلائي عندكُم وعند آبائِكُم؛ لِما كان نَجَّاهم به من فرعون وقَوْمه[(٢)].

٨٠٤- **حدّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم العسقلاني، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾ قال: نِعْمَته أنْ جَعَلَ منهم الأنبياءَ والرُّسُل، وأنْزَلَ عليهم الكُتُب[(٣)].

٨٠٥- **حدّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾: يَعْني: نِعْمَته التي أنْعَمَ على بَني إسرائيلَ فيما سَمَّى وفيما سِوَى ذلك؛ فَجَّرَ لهم الحَجَر، وأنْزَلَ عليهم المَنَّ والسَّلْوَى، وأنْجاهم من عُبوديَّة آل فرعون[(٤)].

٨٠٦- **حدّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: نعمته أن جعل، منهم الأنبياء والرسل وأنزل عليهم الكتب. اهـ

(٤) [ضعيف] المثنى مجهول الحال، وأبي حذيفة ضعيف يكتب حديثه.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ قال: نِعْمَةٌ عامَّةٌ، ولا نِعْمةَ أفضلُ من نِعمَةِ الإسلام، والنِّعَم بعد تَبَع لها. وقَرَأ قول الله تعالى ذكره ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾ [الحجرات: ١٧] الآية (١).

وتَذْكير الله تعالى ذكره الذي ذكَّرهم بهذه الآية من نِعَمه على لِسان رَسولِه مُحَمَّد ﷺ، نَظير تَذْكير موسَى صَلَوات الله عليه أسلافَهم على عَهْده الذي أخْبَرَ الله عنه أنَّه قاله لهم، وذلك قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: قد تَقَدَّمَ بَيانُنا عن معنى العَهْد فيما مَضَى من كِتابنا هذا، واختِلاف المُخْتَلِفينَ في تأويله والصَّواب عندنا من القول فيه. وهو في هذا الموضِع عَهْد الله ووَصيَّته التي أخَذَ على بَني إسرائيل في التَّوْراة أنْ يُبَيِّنوا لِلنَّاسِ أمْر مُحَمَّد ﷺ أنَّه رَسول الله، وأنَّهم يجِدونَه مَكْتوبًا عندهم أنَّه نَبيُّ اللَّه، وأنْ يُؤْمِنوا به وبِما جاء به من عند اللَّه.

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وعَهْده إيَّاهم: أنَّهم إذا فَعَلوا ذلك أدْخَلَهم الجَنَّة، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] الآية، وكَما قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] الآية. وكَما:

٨٠٧- حَدَّثَنا به ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابت، عن عِكْرِمة، أو سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي أخَذْت في أعْناقكُم لِلنَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ إذا جاءكُمْ. ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: أيْ: أُنْجِز لكم ما وعَدْتُكم عليه بِتَصْديقِه واتِّباعه، بوَضْعِ ما كان عليكُم من الإصْرِ والأغْلالِ التي كانتْ في أعْناقكُم بِذُنوبِكُم التي كانتْ من أحداثكُمْ (٢).

٨٠٨- حَدَّثَنا المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال: عَهْده إلى عِباده؛ دينه الإسلام أنْ يَتَّبِعوه. ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ يَعْني: الجَنَّة (٣).

٨٠٩- حَدَّثَني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن

---

(١) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣) [حسن إلى قوله: (يتبعوه)] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: وأوفوا بعهدي قال: عهده إلى عبادة دينه الإسلام أن يتبعوه. اهـ.

السُّدِّيّ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أمَّا ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ﴾: فما عَهِدْت إليكم في الكِتاب، وأمَّا ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: فالجَنَّة، عَهِدْتُ إليكم أنكم إنْ عَمِلْتُم بِطاعَتي أدْخَلْتُكم الجنَّة[1].

٨١٠- حَدَّثنا القاسِم، قال: حَدَّثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج في قوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال: ذلك الميثاقُ الذي أخَذَ عليهم في (المائِدة) ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] إلى آخِر الآية. فهذا عَهْد الله الذي عَهِدَ إليهم، وهو عَهْدُ اللهِ فينا، فَمَنْ أوفَى بِعَهْدِ اللهِ وفَى الله له بِعَهْدِهِ[2].

٨١١- حُدِّثت عن المِنْجاب، قال: حَدَّثنا بِشْر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ يقول: أوفوا بِما أمَرْتُكم به من طاعَتي ونَهَيْتُكم عنه من معصيَتي في النَّبيّ ﷺ وفي غَيْره ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ يقول: أرْضَ عنكم وأُدْخِلكم الجنَّة[3].

٨١٢- حَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال: أوفوا بِأمْري، أوفِ بالذي وعَدْتُكم، وقَرَأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ حتَّى بَلَغَ: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] قال: هذا عَهْده الذي عَهِدَه لهم[4].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وتأويلُ قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: وإيَّايَ فاخشَوْا، واتَّقُوا أيُّها المُضَيِّعونَ عَهْدي من بَني إسرائيلَ، والمُكَذِّبونَ رَسولي الذي قد أخَذْتُ ميثاقَكُم فيما أنْزَلْتُ من الكُتُبِ على أنْبيائي أنْ تُؤمِنوا به وتَتَّبِعوه - أنْ أُحِلَّ بِكُم مِن عُقوبَتي - إنْ لم تُنِيبُوا وتَتوبُوا إلَيَّ باتِّباعِه والإقْرارِ بِما أنْزَلْتُ إليه - ما أحلَلْتُ بِمَنْ خالَفَ أمْري وكذَّبَ رُسُلي من أسلافكُمْ. كَما:

٨١٣- حَدَّثنا به مُحَمَّد بن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمةُ، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ أي: أنْ أُنْزِلَ بِكُم ما أنْزَلْتُ بِمَنْ كان قَبْلَكُم من آبائِكُم من النَّقِماتِ التي قد عَرَفْتُم مِن المَسْخِ وغَيْرِه[5].

٨١٤- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَني آدَمُ العَسْقَلانيُّ، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾. يَقولُ: فاخشَوْنِ[6].

٨١٥- حَدَّثني موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ:

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.
(٣) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.
(٤) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.
(٥) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٦) [ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي الطبري مجهول الحال.

﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ يقولُ: وإيَّايَ فاخشَوْنِ [١].

القول في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾

يَعْني تعالى ذكرُه بقولِه: ﴿ وَءَامِنُواْ﴾: صَدِّقوا، كما قد قَدَّمْنا البيانَ عنه قَبْلُ. ويَعْني بقولِه: ﴿ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾: ما أنْزَلَ على مُحَمَّد ﷺ من القُرْآن.

ويَعْني بقولِه: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أنَّ القُرْآن مُصَدِّقٌ لِما مع اليَهود من بَني إسرائيلَ من التَّوْراةِ، فأمَرَهم بالتَّصْديقِ بالقُرْآنِ، وأخْبَرَهم أنَّ في تَصْديقِهم بالقُرْآنِ تَصْديقًا منهم لِلتَّوْراةِ؛ لأنَّ الذي في القُرْآنِ مِن الأمْرِ بالإقرارِ بِنُبوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وتَصْديقِه واتِّباعِه نَظيرُ الذي مِن ذلك في التَّوْراةِ والإنْجيلِ، فَفي تَصْديقِهم بما أُنْزِلَ على مُحَمَّد ﷺ تَصْديقٌ منهم لِما معهم من التَّوْراةِ، وفي تَكْذيبِهم به تَكْذيبٌ منهم لِما معهم من التَّوْراةِ.

وَقوله جلَّ ثناؤُه: ﴿ مُصَدِّقًا﴾. قَطْعٌ من الهاءِ المَتْروكةِ في: ﴿ أَنزَلْتُ﴾ من ذِكْر (ما). ومعنى الكَلامِ: وآمِنوا بالذي أنْزَلْتُه مُصَدِّقًا لِما معكُم أيُّها اليَهودُ. والذي معهم هو التَّوْراةُ والإنْجيلُ. كَما:

٨١٦- حَدَّثَنِ مُحَمَّد بن عَمْرٍو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى بن مَيْمون، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه تعالى ذكرُه: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يقول: ﴿ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ القُرْآنُ، ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ التَّوْراةُ والإنْجيلُ [٢].

٨١٧- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْلَه [٣].

٨١٨- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَمُ العَسْقلانيُّ، قال: حدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾. يقول: يا معشَرَ أهلِ الكِتابِ، آمِنوا بما أنْزَلْتُ على مُحَمَّدٍ ﷺ مُصَدِّقًا لِما معكُمْ، يقول: لأنَّهم يجِدونَ مُحَمَّدًا ﷺ مَكْتوبًا عندهم في التَّوْراةِ والإنْجيلِ [٤].

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: إنْ قال لنا قائِلٌ: كيفَ قِيلَ: ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ والخِطاب خبرٌ لِجَميع، وقولُه: ﴿ كَافِرِۭ﴾ واحِدٌ؟ وهَلْ نُجيزُ - إنْ كان ذلك جائِزًا - أنْ يقول قائِلٌ: لا تَكونوا أوَّلَ رَجُلٍ قامَ؟

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٤) [ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي الطبري مجهول الحال.

قيلَ له: إنَّما يَجوزُ تَوْحيدُ ما أُضِيفَ له (أفْعَل)، وهو خَبَرٌ لِجَميعٍ، إذا كان اسمًا مُشْتَقًّا مِن (فَعَلَ) و(يَفعُلُ) لأنَّه يُؤدِّي عن المُرادِ معه المحذوفَ مِن الكَلامِ، وهو (مَن)، ويَقومُ مَقامَه في الأداءِ عن معنى ما كان يُؤَدِّي عنه (مَن) مِن الجَمْعِ والتَّأنيث، وهو في لَفْظٍ واحِدٍ. ألا تَرَى أنَّك تَقولُ: ولا تَكونوا أوَّلَ مَنْ يكْفُرُ به، فـ(مَن) بِمعنى جَمْعٍ، وهو غَيْرُ مُتَصَرِّفٍ تَصَرُّفَ الأسماءِ لِلتَّثْنِيةِ والجَمْعِ والتَّأنيثِ، فإذا أُقِيمَ الاسمُ المُشْتَقُّ من (فَعَلَ ويَفعُلُ) مُقامَه، جَرَى وهو موَحَّدٌ مَجْراه في الأداءِ عَمَّا كان يُؤدِّي عنه (مَن) مِن معنى الجَمْعِ والتَّأنيثِ، كَقولِك: الجَيْشُ مُنْهَزِمٌ، والجُنْدُ مُقبِلٌ. فَتُوَحِّدُ الفِعْلَ لِتَوْحيدِ لَفظِ الجَيْشِ والجُنْدِ، وغَيْرُ جائِزٍ أنْ يُقال: الجَيْشُ رَجُلٌ، والجُنْدُ غُلامٌ. حتَّى تَقولَ: الجُنْدُ غِلْمانٌ، والجَيْشُ رِجالٌ. لأنَّ الواحِدَ من عَدَدِ الأسماءِ التي هي غَيْرُ مُشْتَقَّةٍ من (فَعَلَ ويَفعُلُ) لا يُؤَدِّي عن معنى الجَماعةِ منهم، ومن ذلك قولُ الشَّاعِرِ:

وَإذا هـم طَـعِـمـوا فَـألْأَمُ طـاعِـمٍ وَإذا هُـمُ جـاعـوا فَـشَـرُّ جِـيـاعِ[١]

فَوَحَّدَ مَرَّةً على ما وصَفْتُ من نيَّةِ (مَن)، وإقامةِ الظَّاهِرِ من الاسم الذي هو مُشْتَقٌّ مِن (فَعَلَ ويَفعُلُ) مُقامَهُ، وجَمَعَ أُخْرَى على الإخراجِ على عَدَدِ أسماءِ المُخْبِرِ عنهم، ولو وحَّدَ حَيْثُ جَمع، أو جَمع حَيْثُ وحَّدَ كان صَوابًا جائِزًا.

وَأمَّا تأويلُ ذلك فإنّه يَعْني به: يا معشَرَ أحبارِ أهلِ الكِتابِ، صَدِّقوا بِما أنْزَلْتُ على رَسولي مُحَمَّد ﷺ من القُرْآن المُصَدِّقِ كِتابَكُم، والذي عندَكُم من التَّوْراةِ والإنْجيلِ المعهودِ إليكُم فيهِما أنَّه رَسولي ونَبيِّيَ المَبْعوثُ بالحَقِّ، ولا تكونوا أوَّلَ أُمَّتِكم كذَّبَ به وجَحَدَ أنَّه من عندي، وعندَكُم من العِلْمِ به ما لَيْسَ عند غَيْرِكُمْ. وَكُفرهم به جُحودُهم أنَّه من عندِ اللَّهِ. والهاءُ التي في ﴿بِهِۦ﴾ من ذِكْر (مَا) التي مع قوله: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾. **كَما:**

٨١٩- **حَدَّثَني** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾: بالقُرْآنِ[٢].

وَرُوِيَ عن أبي العاليةِ في ذلك ما:

٨٢٠- **حَدَّثَني** به المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَمُ، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ يقول: ولا تكونوا أوَّل من كفر بِمُحَمَّدٍ ﷺ[٣].

وَقال بعضهم: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾. يَعْني: بِكِتابِكُم. ويَتأوَّلُ أنَّ في تَكْذيبِهم

---

(١) [الكامل] القائل: شاعر جاهلي غير معروف اسمه. اللغة: قوله: (طعموا) أي شبعوا. المعنى: يقول الشاعر: إنهم قوم إذا شبعوا فهم عندئذ ألأم من شبع ولكنهم إذا جاعوا إنهم يجوعون بشدة.

(٢) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: ولا تكونوا أول كافر به يقول: لا تكونوا أول من كفر بمحمد ﷺ. اهـ.

بِمُحَمَّدٍ ﷺ تكذيبًا منهم بكِتابِهم؛ لأنَّ في كِتابِهم الأمْرَ باتِّباع مُحَمَّد ﷺ.

وَهذانِ القولانِ من ظاهِرِ ما تَدُلُّ عليه التِّلاوةُ بَعيدانِ، وذلك أنَّ اللهَ جَلَّ ثَناؤه أمَرَ المُخاطَبينَ بهذه الآيةِ في أوَّلِها بالإيمانِ بما أنْزَلَ على مُحَمَّد ﷺ، فقال تعالى ذِكْره: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾. ومعقولٌ أنَّ الذي أنزَلَه اللهُ في عَصْرِ مُحَمَّد ﷺ هو القُرآنُ لا مُحَمَّدٌ؛ لأنَّ مُحَمَّدًا صَلَواتُ الله عليه رَسولٌ مُرْسَلٌ لا تَنْزِيلٌ مُنْزَلٌ، والمُنْزَلُ هو الكِتاب، ثُمَّ نَهاهم أنْ يكونوا أوَّلَ مَنْ يكْفُرُ بالذي أمَرَهم بالإيمانِ به في أوَّل الآية - مِن أهلِ الكِتابِ، فَذلك هو الظَّاهِرُ المَفهومُ، ولم يَجْرِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ في هذه الآيةِ ذِكْرٌ ظاهِرٌ فَيُعادَ عليه بِذِكْرِه مَكْنِيًّا في قولِه: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾. وإنْ كان غَيْرَ مُحالٍ في الكَلامِ أن يُذْكَرَ مَكْنِيُّ اسمٍ لم يَجْرِ له ذِكْرٌ ظاهِرٌ في الكَلام.

وَكَذلك لا معنى لِقولِ مَنْ زَعَمَ أنَّ العائِدَ مِن الذِّكْرِ في ﴿بِهِۦ﴾ على (ما) التي في قولِه: ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾. لأنَّ ذلك وإنْ كان مُحْتَمِلاً ظاهِرَ الكَلام، فَإنَّه بَعيدٌ مِمَّا يَدُلُّ عليه ظاهِرُ التِّلاوةِ والتَّنْزيلِ؛ لما وصَفْنا قَبْلُ من أنَّ الأمرَ بالإيمانِ به في أوَّلِ الآية هو القُرْآنُ، فَكَذلك الواجِبُ أنْ يكونَ النهيُ عن الكُفرِ به في آخِرِها هو القُرْآنَ، فأمَّا أنْ يكونَ المأمورُ بالإيمانِ به غَيْرَ المَنْهيِّ عن الكُفْرِ به في كَلامٍ واحِدٍ وآيةٍ واحِدةٍ، فَذلك غَيْرُ الأشهَرِ الأظْهَرِ في الكَلامِ، هذا مع بُعدِ معناه في التَّأويل.

٨٢١- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾: وعندَكُم فيه من العِلْم ما لَيْسَ عندَ غَيْرِكُمْ (١).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

اختَلَف أهلُ التَّأويل في تأويلِ ذلك:

٨٢٢- فَحَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَمُ، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. يقول: لا تأخُذوا عليه أجْرًا. قال: هو مَكْتوبٌ عندَهم في الكِتاب الأوَّل: يا ابنَ آدَمَ، علِّمْ مَجَّانًا كما عُلِّمْتَ مَجَّانًا (٢).

وَقال آخَرون بِما:

٨٢٣- حَدَّثني به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد بن الجراح، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا يقول: لا تأخذوا عليه أجرا، قال: وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول: يا ابن آدم، علم مجانا كما علمت مجانا. اهـ.

السُّدِّيِّ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. يقول: لا تأخُذوا طَمَعًا قَليلاً وتَكتُموا اسم اللّهِ، فذلك الطَّمعُ هو الثَّمَنُ(١).

فَتأويل الآية إذن: لا تَبيعوا ما آتَيْتُكم من العِلْم بِكِتابي وآياته بِثَمَنٍ خَسيسٍ وعَرَضٍ من الدُّنيا قَليلٍ. وبَيْعُهم إيَّاه تَركُهم إبانةَ ما في كِتابِهم من أمْرِ مُحَمَّد ﷺ لِلنَّاسِ، وأنه مَكتوبٌ فيه أنَّه النَّبيُّ الأُمِّيُّ الذي يجِدونَه مَكْتوبًا عندَهم في التَّوْراةِ والإنجيلِ، بِثَمَنٍ قَليلٍ، وهو رِضاهم بالرِّياسةِ على أتباعِهم من أهلِ مِلَّتِهم ودينِهم، وأخْذِهم الأجْرَ مِمَّنْ بَيَّنوا له ذلك على ما بَيَّنوا له منه.

وَإنَّما قُلْنا: معنى ذلك: لا تَبيعوا؛ لأنَّ مُشْتَرِيَ الثَّمَنِ القَليلِ بِآياتِ اللهِ بائِعٌ الآياتِ بالثَّمَنِ، فَكُلُّ واحِدٍ من الثَّمَن والمُثَمَّنِ مَبيعٌ لِصاحِبِه، وصاحِبُه به مُشْتَرٍ.

وأما معنى ذلك على ما تأوَّلَه أبو العالية: فَبَيِّنوا لِلنَّاسِ أمْرَ مُحَمَّد ﷺ، ولا تَبْتَغوا عليه منهم أجْرًا. فيَكونُ حينَئِذٍ نَهْيُه عن أخْذ الأجْر على تَبْيينِه هو النَّهْيَ عن شِراءِ الثَّمَن القَليلِ بِآياتِه.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يقول: فاتَّقونِ في بَيْعِكُم آياتي بالخَسيسِ من الثَّمَن، وشِرائِكُم بها القَليلَ من العِوَضِ، وكُفْرِكُم بِما أنْزَلْتُ على رَسولي، وجُحودِكُم نُبوَّةَ نَبِيِّي - أنْ أُحِلَّ بِكُم ما أحْلَلْتُ بِأسْلافِكُم الذينَ سَلَكوا سَبيلَكُم من المَثُلات والنَّقِماتِ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَعْني بِقولِه: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾: لا تَخْلِطوا. واللَّبْسُ هو الخَلْطُ، يُقال منه: لَبَسْتُ عليهم هذا الأمْرَ ألْبِسُه لَبْسًا، إذا خَلَطْتَه عليه. كما:

٨٢٤- حُدِّثْنا عن المِنْجاب، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩] يقول: لَخَلَطْنا عليهم ما يَخْلِطونَ(٢).

وَمنه قول العَجَّاج:

لَمَّا لَبَسْنَ الحَقَّ بالتَّجَنِّي
غَنِينَ واستَبْدَلْنَ زَيْدًا مِنِّي(٣)

يَعْني بِقولِه: لَبَسْنَ: خَلَطْنَ. وأمَّا اللُّبْسُ فإنّه يُقال منه: لَبِسْتُه ألْبَسُه لُبْسًا ومَلْبَسًا. وذلك في الكِسْوةِ يَكْتَسِيها فَيَلْبَسُها.

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [الرجز] القائل: العجاج عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء. راجز مجيد، من الشعراء، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أدرك الإسلام وأسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ففلج وأقعد، وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد، وكان بعيدًا عن الهجاء. وهو والد رؤبة الراجز المشهور. اللغة: لبسن: خلطن. غني عن الشيء واستغنى: اطرحه ورمى به من عينه ولم يلتفت إليه. المعنى: يقول الشاعر: عندما خلطن الحق بالباطل لم يلتفتن إليه أبدا بعد ذلك.

وَمن اللُّبْسِ قولُ الأَخْطَل:

لَقد لَبِسْتُ لِهذا الدَّهْرِ أَعْصُرَهُ حتّى تَجَلَّلَ رَأسي الشَّيْبُ واشْتَعَلا (١)

وَمن اللُّبْسِ قول اللهِ جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩] فَإنْ قال لنا قائِلٌ: وكيفَ كانوا يَلْبِسونَ الحَقَّ بالباطِلِ وهم كُفَّارٌ؟ وأيُّ حَقٍّ كانوا عليه مع كُفْرِهم باللَّهِ؟

قِيلَ: إنَّه كان فيهم مُنافِقونَ منهم يُظْهِرونَ التَّصْديقَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ويَسْتَبْطِنونَ الكُفْر به، وكان عُظْمُهم يقولونَ: مُحَمَّدٌ نَبيٌّ مَبْعوثٌ، إلاَّ أنَّه مَبْعوثٌ إلى غَيْرِنا. فَكان لَبِسُ المُنافِقِ منهم الحَقَّ بالباطِلِ إظْهارَه الحَقَّ بِلِسانِه وإقْرارَه بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبما جاء به جِهارًا، وخَلْطَه ذلك الظَّاهِرَ من الحَقِّ بالباطِلِ الذي يَسْتَبْطِنُه، وكان لَبْسُ المُقِرِّ منهم بِأنّه مَبْعوثٌ إلى غَيْرِهم، الجاحِدِ أنَّه مَبْعوثٌ إليهم، إقْرارَه بِأنَّه مَبْعوثٌ إلى غَيْرِهم - وهو الحَقُّ - وجُحودَه أنَّه مَبْعوثٌ إليهم وهو الباطِلُ، وقد بَعَثَه اللهُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، فَذلك خَلْطُهم الحَقَّ بالباطِلِ ولَبْسُهم إيَّاه به. كَما:

٨٢٥- حدَّثَنا به أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾. قال: لا تَخْلِطوا الصِّدْقَ بالكَذِبِ (٢).

٨٢٦- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾. يقول: لا تَخْلِطوا الحَقَّ بالباطِلِ، وأدُّوا النَّصيحةَ لِعِبادِ اللهِ في أمْرِ مُحَمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام (٣).

٨٢٧- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ، قال مُجاهِد: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: اليَهوديَّةَ والنَّصْرانيَّةَ بالإسلامِ (٤).

---

(١) [البسيط] القائل هو: الأخطَل غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجبًا بأدبه، تياهًا، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حينًا في دمشق وحينًا في الجزيرة. اللغة: أعصر جمع عصر: وهو الدهر والزمان. وعني هنا اختلاف الأيام حلوها ومرها، فجمع. ولبس له أعصره: عاش وقاسى خيره وشره. وتجلل الشيب رأسه: علاه. المعنى: يقول الشاعر: لقد عشت وقاسيت هذا الزمن بخيره وشره بحلوه ومره حتى علا وغطى رأسي الشيب.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: ولا تلبسوا الحق بالباطل يقول: ولا تخلطوا الحق بالباطل، وأدوا النصيحة لعباد الله في أمر محمد ﷺ. اهـ

(٤) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

٨٢٨- حدثني يونُس بن عبد الأعلَى، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾. قال: الحَقُّ التَّوْراةُ التي أنْزَلَ اللهُ تعالى ذكرُه على موسَى، والباطِلُ الذي كَتَبوه بِأَيْديهم(١).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤٢﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وفي قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ وجهانِ من التَّأويل:

أحَدُهما: أنْ يكون اللهُ تعالى ذكرُه نَهاهم عن أنْ يكْتُموا الحَقَّ، كما نَهاهم أنْ يَلْبِسوا الحَقَّ بالباطِلِ. فَيكونُ تأويلُ ذلك حينَئِذٍ: ولا تَلْبِسوا الحَقَّ بالباطِلِ، ولا تَكْتُموا الحَقَّ. ويكونُ قولُه: ﴿وَتَكْتُمُوا۟﴾ عند ذلك مَجْزومًا بِما جُزِمَ به: ﴿تَلْبِسُوا۟﴾ عَطْفًا عليه.

والوَجْهُ الآخَرُ منهُما: أنْ يكونَ النَّهْيُ من اللهِ تعالى ذكرُه لهم عن أنْ يَلْبِسوا الحَقَّ بالباطِلِ، ويكونُ قولُه: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ خَبَرًا منه عنهم بِكِتْمانِهم الحَقَّ الذي يَعْلَمونَه. فَيكونُ قولُه حينئذٍ: ﴿وَتَكْتُمُوا۟﴾ مَنصوبًا لانصِرافِه عن معنى قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾. إذْ كان قولُه: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ نَهْيًا، وقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟﴾ خَبَرًا معطوفًا عليه غَيْرَ جائِزٍ أنْ يُعادَ عليه ما عَمِلَ في قوله: ﴿تَلْبِسُوا۟﴾ من الحَرْفِ الجازِمِ، وذلك هو المعنى الذي يُسَمِّيه النَّحْويونَ صَرْفًا. ونَظيرُ ذلك في المعنى والإعْرابِ قولُ الشَّاعِرِ:

لا تَنْهَ عـن خُلُـقٍ وتَـأتِيَ مِـثْلَـه عـارٌ علـيك إذا فَعَلْـتَ عَـظيمُ(٢)

فَنَصَبَ (تأتيَ) على التَّأويل الذي قُلْنا في قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟﴾؛ لأنَّه لم يَرِد: لا تَنْهَ عن خُلُقٍ ولا تأتِ مِثْلَه. وإنما معناه: لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وأنت تأتي مِثْلَه. فكان الأوَّلُ نَهْيًا والثَّاني خَبَرًا، إذْ عَطْفه على غَيْرِ شَكْلِه.

فأمَّا الوَجْهُ الأوَّلُ من هَذَينِ الوَجْهَينِ اللَّذَينِ ذَكَرْنا أنَّ الآية تَحْتَمِلُهما، فهو على مذهب ابن عباس الذي:

٨٢٩- حدَّثَنا به أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾. يقول: لا تَكْتُموا الحَقَّ وأنتم تَعْلَمونَ(٣).

٨٣٠- حدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي

---

(١) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٢) [الكامل] القائل: هذا من الأبيات التي رويت في عدة قصائد لعدة شعراء وهم: المتوكل الليثي، أبو الأسود الدؤلي، الأعمى الشريف، ميخائيل خير الله ويردي. المعنى: يوجه الشاعر حكمة جليلة ألا وهي: يجب على الإنسان ألا ينهى عن فعل شيء ثم يفعله بنفسه.

(٣) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

مُحَمَّد مولى زيد بن ثابت، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾. أي: ولا تكتُموا الحَقَّ(١).

وَأمَّا الوَجْهُ الثَّاني منهُما: فهو على مَذْهَب أبي العالية ومُجاهِد.

٨٣١- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: كَتَموا نَعْتَ مُحَمَّد ﷺ(٢).

٨٣٢- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، عن عيسَى بن مَيْمون، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد نَحْوَه(٣).

٨٣٣- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، نَحْوَه(٤).

وَأمَّا تأويلُ الحَقِّ الذي كَتَموه وهم يَعْلَمونَه، فهو ما:

٨٣٤- **حَدَّثَنا** به ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾. يقول: لا تَكْتُموا ما عندَكُم من المعرِفة بِرَسولي وما جاء به، وأنتم تَجِدونَه عندكُم فيما تَعْلَمونَ من الكُتُبِ التي بِأيْديكُمْ(٥).

٨٣٥- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾. يقول: إنَّكُم قد عَلِمْتُم أنَّ مُحَمَّدًا رَسول الله ﷺ؛ فَنَهاهم عن ذلك(٦).

٨٣٦- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. قال: يَكْتُمُ أهلُ الكِتابِ مُحَمَّدًا ﷺ وهم يَجِدونَه مَكْتوبًا عندَهم في التَّوْراةِ والإنْجيل(٧).

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٥) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٦) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٧) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

٨٣٧- حدثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْلَه(١).

٨٣٨- حدثني موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ عن السُّدِّيِّ: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. قال: الحَقُّ هو مُحَمَّدٌ ﷺ(٢).

٨٣٩- حدثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: كَتَموا نَعْتَ مُحَمَّد ﷺ وهم يجِدونَه مَكْتوبًا عندَهُم(٣).

٨٤٠- حدثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد: تَكْتُمونَ مُحَمَّدًا وأنتم تَعْلَمونَ، وأنتم تَجِدونَه عندَكُم في التَّوْراة والإنْجيل(٤).

فتأويل الآية إذن: ولا تَخْلِطوا على النَّاس أيها الأحبارُ مِن أهلِ الكِتاب في أمْرِ مُحَمَّد ﷺ وما جاء به من عند رَبِّه، وتَزْعُموا أنَّه مَبْعوثٌ إلى بعض أجْناس الأُمَم دون بعضٍ، أو تُنافِقوا في أمْرِه، وقد عَلِمْتُم أنَّه مَبْعوثٌ إلى جَميعكُم، وجَميع الأُمَم غَيْرِكُم، فتَخْلِطوا بذلك الصِّدْقَ بالكَذِبِ، وتَكْتُموا به ما تَجِدونَه في كِتابِكُم من نَعْته وصِفَته، وأنَّه رَسولي إلى النَّاس كافَّةً، وأنتم تَعْلَمونَ أنَّه رَسولي، وأنَّ ما جاء به إليكُم فَمِن عندي، وتَعْرِفونَ أنَّ من عَهْدي الذي أخَذْتُ عليكُم في كِتابِكُم الإيمانَ به وبِما جاء به والتَّصْديقَ به.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قالَ أبو جعْفرٍ: ذُكِرَ أنَّ أحبارَ اليَهودِ والمُنافِقينَ كانوا يَأمُرونَ النَّاسَ بإقامِ الصَّلاة وإيتاءِ الزَّكاة ولا يَفْعَلونَهُ؛ فأمَرَهم اللهُ تعالى ذكرُه بإقامِ الصَّلاةِ مع المُسْلِمينَ المُصَدِّقينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبِما جاء به، وإيتاءِ زَكاةِ أموالِهم معهم، وأنْ يَخْضَعوا لِلَّهِ تبارك وتعالى ولِرَسولِه كما خَضَعوا. كما:

٨٤١- حُدِّثت عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. قال: فَريضَتانِ واجِبَتانِ، فأدُّوهُما إلى اللَّهِ جلَّ ثناؤُه(٥).

وقد بَيَّنَّا معنى إقامةِ الصَّلاةِ فيما مَضَى من كِتابنا هذا، فكَرِهْنا إعادَته في هذا الموضِع.

---

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قوله: إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى قال: هم أهل الكتاب كتموا محمدا ﷺ ونعته وهم يجدونه مكتوبا عندهم، فكتموه حسدا وبغيا، وكتموا ما أنزل الله عليهم من أمره وصفته. اهـ

(٤) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٥) [حسن] فهو من تعليقات المصنف، لكنه سيأتي عند المصنف بسند حسن عند تفسير سورة المجادلة، والمزمل.

وأمَّا إيتاءُ الزَّكاة: فهو أداءُ الصَّدَقةِ المَفروضةِ، وأصْلُ الزَّكاةِ نَماءُ المالِ وتَثميرُه وزيادَتُه. ومن ذلك قِيلَ: زَكا الزَّرْعُ، إذا كَثُرَ ما أخْرَجَ اللهُ جلَّ وعزَّ منهُ، وزَكَتِ النَّفَقةُ، إذا كَثُرَتْ. وقِيلَ: زَكا الفَرْدُ، إذا صارَ زَوْجًا بزيادةِ الزَّائِد عليه حتَّى صارَ به شَفْعًا، كما قال الشَّاعِر:

كانوا خَسًا أو زَكًا من دونِ أرْبَعةٍ لم يُخْلَقوا وجُدودُ النَّاسِ تَعْتَلِجُ(١)

قال أبو جعفرٍ: خسًا: الوترُ، وزكًا: الشَّفعُ. وَقال الرَّاجزُ:

فـلا خَـسًـا عَـدِيـدُه ولا زَكـا
كَما شِرارُ البَقْلِ أطرافُ السَّفا(٢)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: السَّفا: شَوْكُ البُهْمَى، والبُهمَي: الذي يكونُ مُدَوَّرًا في السُّلَّاء. يَعْني بِقولِه: (وَلا زَكا) لم يُصَيِّرْهم شَفْعًا من وِتْرٍ بِحُدوثِه فيهم.

وَإنَّما قِيلَ لِلزَّكاةِ: زَكاةٌ، وهيَ مالٌ تَخرُجُ من مالٍ؛ لِتَثْميرِ اللهِ جلَّ وعزَّ - بإخراجِها مِمَّا أُخْرِجَتْ منه - ما بَقِيَ عندَ رَبِّ المال من مالِه. وقد يَحْتَمِلُ أنْ تَكونَ سُمِّيَتْ زَكاةً لأنَّها تَطْهيرٌ لِما بَقيَ من مالِ الرَّجُلِ، وتَخْليصٌ له من أنْ تَكونَ فيه مَظْلِمةٌ لأهلِ السُّهْمانِ، كما قال اللهُ جل ثناؤه مُخْبِرًا عن نَبيّه موسى صلوات الله عليه: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤]. يعني: بَريئةً مِن الذُّنوبِ طاهِرةً، وكَما يُقالُ لِلرَّجُلِ: هو عَدْلٌ زَكيٌّ. بِذلك المعنى.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذا الوجهُ أعْجَبُ إلَيَّ في تأويل زَكاة المال من الوَجْه الأوَّل، وإنْ كان الوجهُ الأوَّلُ مقولاً في تأويلِها. وإيتاؤُها: إعْطاؤُها أهلَها.

وَأمَّا الرُّكوعُ، فهو الخُضوعُ لِلَّهِ جلَّ ثناؤه بالطَّاعةِ، يُقال منه: رَكَعَ فُلانٌ لِكَذا وكذا إذا خَضَعَ له. ومنه قول الشَّاعِر:

بيعَتْ بِكَسْرٍ لَئِيمٍ واستَغاث بها مِن الهُزالِ أبوها بعدَ ما رَكَعا(٣)

---

(١) [البسيط] القائل: حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني. تابعي، من أهل البصرة، وقيل أدرك النبي ﷺ، له أخبار في الفتوح، وقصة مع عمر، ومع عليّ، وأخبار مع زياد وغيره، في دولة معاوية وولده، وأمِّر على قتال الخوارج في العراق فهزموه بنهر تيرا (من نواحي الأهواز) فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه فغرقت بهم. اللغة: خسا أو زكا: يقال: العرب تقول للفرد خَسًا وللزوجين اثنين زَكًا، وقيل لهما زَكًا لأن اثنين أَزْكى من واحد. تعتلج: تصطرع ويمارس بعضها بعضا. المعنى: يقول الشاعر: كانوا فردًا واحدًا أو زوجين اثنين ولكنهم لم يصلوا إلى الأربعة.

(٢) [الرجز] القائل: رجل من بني سعد، وهذا الرجز في خبر للأغلب العجلي. الأغلب العجلي الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة، من بنى عجل بن لجيم، من ربيعة. شاعر راجز معمر، أدرك الجاهلية والإسلام وتوجه مع سعد بن أبي وقاص غازيًا فنزل الكوفة، واستشهد في واقعة نهاوند. وهو أول من أطال الرجز. قال الآمدي: هو أرجز الرجاز وأرصنهم كلامًا وأصحهم معاني. وقال البكري في شرح نوادر القالي: الأغلب العجلي آخر من عمر في الجاهلية عمرًا طويلاً. اللغة: خسا أو زكا: يقال: العرب تقول للفرد خَسًا وللزوجين اثنين زَكًا، وقيل لهما زَكًا لأن اثنين أَزْكى من واحد. البقل: هو كل ما ينبت في أوله. السفا: شوط البهمي والسنبل وكل شيء له شوك.

(٣) [البسيط] القائل: عصام بن عبيد الزماني (من بني زمان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل). اللغة:

يَعْني: بعدَ ما خَضَعَ من شِدَّة الحاجةِ والجَهْدِ.

وَهذا أمْرٌ من اللهِ تعالى ذكرُه لِمَنْ ذكَرَ من أحبار بَني إسرائيل ومُنافِقيها - بالإنابةِ والتَّوْبة إليه، وبإقام الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاة، والدُّخولِ مع المُسْلِمينَ في الإسلام، والخُضوعِ له بالطَّاعةِ. ونَهْيٌ منه لهم عن كِتْمانِ ما قد عَلِموه من نُبوَّة مُحَمَّد ﷺ بعد تَظاهُرِ حُجَجِه عليهم، مِما قد وصَفْنا قَبْل فيما مَضَى من كِتابِنا هذا، وبعد الإعْذارِ إليهم والإنْذارِ، وبعد تَذْكيرِهم نِعَمَه إليهم وإلى أسلافِهم؛ تَعَطُّفًا منه بذلك عليهم وإبلاغًا إليهم في المعْذِرَةِ.

القولُ في تأويل قولِه جلَّ ثناؤُه: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: اختَلَفَ أهلُ التَّأويلِ في معنى (البِرّ) الذي كان المُخاطَبونَ بهذه الآية يأمُرونَ النَّاسَ به، ويَنْسَوْنَ أنفُسَهم، بعدَ إجماعِ جَميعِهم على أنَّ كُلَّ طاعةٍ لِلَّهِ فَهيَ تُسْمَى بِرًّا.

فَرُوِيَ عن ابن عَبَّاس ما:

٨٤٢- **حَدَّثنا** به ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. أي: تَنْهَوْنَ النَّاس عن الكُفْر بما عندكُم من النُّبوّة و عَهْد من التَّوْراة، وتَتْرُكونَ أنْفُسَكُمْ وأنتم تَكْفُرونَ بما فيها من عَهْدي إليكُم في تَصْديق رَسولي، وتَنْقُضونَ ميثاقي، وتَجْحَدونَ ما تَعْلَمونَ من كِتابي[(١)].

٨٤٣- **حَدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾. يقول: أتأمُرونَ النَّاس بالدُّخولِ في دين مُحَمَّد ﷺ وغَيْر ذلك مِمَّا أُمِرْتُم به من إقام الصَّلاة وإيتاءِ الزكاةِ، ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[(٢)].

وَقال آخَرونَ بما:

٨٤٤- **حَدَّثني** به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَني عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾. قال: كانوا يأمُرونَ النَّاسَ بِطاعةِ اللهِ وبِتَقْواه وهم يَعْصونَهُ[(٣)].

٨٤٥- **حَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في

الهزال: الضعف. المعنى: وهذه الأبيات من مناقضة كانت بين الزماني ويحيى بن أبي حفصة فيقول الشاعر: إنها بيعت وكان أبوها يستغيث بها من الضعف بعدما ركع.

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾. قال: كان بَنو إسرائيلَ يَأمُرونَ النَّاس بِطاعةِ اللهِ وبِتَقْواه وبالبِرِّ ويُخالِفونَ، فعَيَّرَهم اللَّهُ جلَّ ثناؤه (١).

٨٤٦- وحدَّثنا القاسِم، قال: حدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حدَّثنا الحَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾: أهلُ الكِتابِ والمُنافِقونَ كانوا يَأمُرونَ النَّاس بالصَّوْم والصَّلاة، ويَدَعونَ العَمَل بما يَأمُرونَ به النَّاس، فعَيَّرَهم اللهُ جلَّ ثناؤه بذلك، فَمَنْ أمَرَ بِخَيْرٍ فَلْيَكُنْ أشَدَّ النَّاسِ فيه مُسارَعةً (٢).

وَقالَ آخَرونَ بِما:

٨٤٧- حَدَّثَني به يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: هؤلاء اليَهودُ كان إذا جاء الرَّجُل يَسْألُهم ما لَيْسَ فيه حَقٌّ ولا رِشوةٌ ولا شَيْءٌ، أمَروه بالحَقِّ، فقال اللهُ جلَّ ثناؤه لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣).

٨٤٨- وحَدَّثَني عَلِيُّ بن الحسن، قال: حدَّثَنا مُسْلِم الجَرْمِيّ، قال: حدَّثَنا مَخْلَد بن الحُسَيْن، عن أيوب السَّخْتيانيّ، عن أبي قِلابةَ في قول اللَّه: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾. قال: قال أبو الدَّرْداء: لا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الفِقْهِ حتَّى يَمْقُتَ النَّاس في ذات اللهِ، ثُمَّ يَرْجِعَ إلى نَفْسِه فيَكونَ لها أشَدَّ مَقْتًا (٤).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وجَميعُ الذي قال في تأويل هذه الآية مَنْ ذَكَرْنا قولَه مُتَقارِبُ المعنى؛ لأنَّهم وإنْ اختَلَفوا في صِفة (البِرّ) الذي كان القَوْمُ يَأمُرونَ به غَيْرَهم الذينَ وصَفَهم اللهُ جلَّ ثناؤه بِما وصَفَهم به، فَهم مُتَّفِقونَ في أنَّهم كانوا يَأمُرونَ النَّاسَ بِما لِلَّهِ فيه رِضًا من القول أو العَمَل، ويُخالِفونَ ما أمَروهم به من ذلك إلى غَيْره بأفعالِهم.

فالتَّأويلُ الذي يَدُلُّ على صِحَّته ظاهِرُ التِّلاوةِ إذن: أتأمُرونَ النَّاسَ بِطاعةِ اللهِ وتَتْرُكونَ أنفُسَكُم تَعْصيه؟ فَهَلَّا تأمُرونَها بِما تأمُرونَ به النَّاسَ مِن طاعةِ رَبِّكُمْ جلَّ وعزَّ؟ مُعيِّرَهم بِذلك ومُقَبِّحًا لهم قبيحَ ما أتَوْا به.

وَمعنى نِسْيانِهم أنفُسَهم في هذا الموضِع نَظيرُ النِّسْيانِ الذي قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]. بِمعنى: تَرَكوا طاعةَ اللهِ فَتَرَكَهم اللهُ من ثَوابِه.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَعْني بِقولِه: ﴿تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: تَدْرُسونَ وتَقْرَءونَ. كَما:

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٤) [صحيح] مداره على أبي قلابة، والأسانيد إليه صحيحة كما عند عبد الرزاق، وغيره، ورجال المصنف فيهم كلام.

٨٤٩- حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثمان بن سَعيد، قال: حَدَّثنا بِشر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك عن ابن عَبَّاس: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾. يقول: تَدْرُسونَ الكِتابَ بِذلك[1].

ويَعْني بـ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوْراةَ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: يَعْني بِقولِه: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلا تَفْقَهونَ وتَفْهَمونَ قُبحَ ما تأتُونَ من معصيَتِكُم رَبَّكُم التي تأمُرونَ النَّاس بِخِلافِها وتَنْهَوْنَهم عن رُكوبِها وأنتم راكِبُوها، وأنتم تَعْلَمونَ أنَّ الذي عليكُم من حَقِّ اللهِ وطاعَته في اتِّباعِ مُحَمَّدٍ ﷺ والإيمانِ به وبِما جاء به، مِثْلُ الذي على مَن تأمُرونَه باتِّباعِه. كما:

٨٥٠- حدثنا به مُحَمَّد بن العَلاء، قال: حَدَّثَنا عُثمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشر بن عُمارة، عن أبي رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. يقول: أفلا تَفْقَهون. فَنَهاهم عن هذا الخُلُقِ القَبيح[2].

وَهذا يَدُلُّ على صِحَّة ما قُلْنا من أمْرِ أحبارِ يَهودِ بَني إسرائيلَ غَيْرَهم باتِّباعِ مُحَمَّد ﷺ، وأنَّهم كانوا يَقولونَ: هو مَبْعوثٌ إلى غَيْرِنا. كما ذَكَرْنا قَبْلُ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: يَعْني بِقولِه تعالى ذكرُه: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾: واستَعينوا على الوَفاء بِعَهْدي الذي عاهَدْتُموني في كِتابكُم - من طاعَتي واتِّباع أمْري، وتَرْكِ ما تَهْوَونَه من الرِّياسة وحُبِّ الدُّنْيا إلى ما تَكْرَهونَه من التَّسْليم لأمْري، واتِّباعِ رَسولي مُحَمَّد ﷺ - بالصَّبْرِ عليه والصَّلاة.

وَقد قِيلَ: إنَّ معنى الصَّبْرِ في هذا الموضِع: الصَّوْمُ، والصَّوْمُ بعضُ مَعاني الصَّبْر عندنا، بل تأويل ذلك عندنا أنَّ اللهَ تعالى ذِكْره أمَرَهم بالصَّبْرِ على كُلِّ ما كَرِهَتْه نَفوسُهم من طاعة اللهِ، وتَرْكِ مَعاصيه.

وَأَصْلُ الصَّبْر: مَنْعُ النَّفْس مَحابَّها وكَفُّها عن هَواها؛ ولِذلك قِيلَ لِلصَّابِرِ على المُصيبة: صابِرٌ، لِكَفِّه نَفْسه عن الجَزَع؛ وقيلَ لِشَهْرِ رَمَضانَ: شَهْرُ الصَّبْر، لِصَبْرِ صائِمه عن المَطاعِم والمَشارِب نَهارًا، وصَبْرُه إيَّاهم عن ذلك: حَبْسُه لهم، وكَفُّه إيَّاهم عنه، كما تَصْبِرُ الرَّجُلَ المُسيءَ لِلْقَتْلِ، فَتَحْبِسُه عليه حتَّى تَقْتُلَه. ولِذلك قِيلَ: قَتَلَ فُلانٌ فُلانًا صَبْرًا. يَعْني به: حَبَسه عليه حتَّى قَتَلَه، فالمَقْتولُ مَصْبورٌ، والقاتِلُ صابِرٌ.

وَأَمَّا الصَّلاةُ فقد ذَكَرْنا معناها فيما مَضَى.

فَإِنْ قال قائِلٌ: قد عَلِمْنا معنى الأمْرِ بالاستِعانةِ بالصَّبْرِ على الوَفاء بالعَهْدِ والمُحافَظةِ على

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

الطَّاعةِ، فَما معنى الأمرِ بالاستِعانةِ بالصَّلاةِ على طاعةِ اللَّهِ، وتَرْكِ مَعاصيه، والتَّعَرِّي عن الرِّياسةِ وتَرْكِ الدُّنيا؟

قِيلَ: إنَّ الصَّلاةَ فيها تِلاوةُ كِتاب اللَّه جلَّ ثناؤُه، الدَّاعيةِ آياتهُ إلى رَفْض الدُّنيا، وهَجْر نَعيمِها، المُسَلِّيَةِ النُّفوسَ عن زينَتها وغُرورِها، المُذَكِّرةِ الآخِرةِ وما أعَدَّ اللهُ فيها لأهلِها، فَفي الاعْتِبار بها المَعونةُ لأهلِ طاعة اللهِ جلَّ جلالُه على الجِدِّ فيها، كما رُوِيَ عن نَبيِّنا ﷺ أنَّه كان إذا حَزَبَه أمْرٌ فزِعَ إلى الصَّلاة.

٨٥١- حدَّثني بِذلك إسماعيل بن موسَى الفَزاريّ، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن زِيادٍ الهَمْدانيّ، عن ابن جُريج، عن عِكْرِمة بن عَمَّار، عن مُحَمَّد بن عُبَيْد بن أبي قُدامةَ، عن عبد العَزيز بن اليَمان، عن حُذَيْفة قال: (كان رَسول الله ﷺ، إذا حَزَبَه أمْرٌ فَزِعَ إلى الصَّلاةِ)(١).

٨٥٢- وحدَّثني سُلَيْمان بن عبد الجَبَّار، قال: حَدَّثَنا خَلَف بن الوَليد الأزديّ، قال: حَدَّثَنا يَحْيَى بن زَكَريَّا عن عِكْرِمة بن عَمَّار، عن مُحَمَّد بن عبد الله الدُّؤَليِّ، قال: قال عبد العَزيز أخو حُذَيْفة، قال حُذَيْفةُ: (كان رَسول الله ﷺ إذا حَزَبَه أمْرٌ صَلَّى)(٢).

وَكَذلك رُوِيَ عنه ﷺ أنَّه رَأى أبا هُرَيْرة مُنبَطِحًا على بَطْنه فَقال له: «اشكَنْب دَرْد». قال: نَعَم، قال: «قُمْ فَصَلِّ فَإنَّ فِي الصَّلاَةِ شِفَاءً»(٣).

فَأمَرَ الله جَلَّ ثَناؤه الذينَ وصَفَ أمْرَهم من أحبار بَني إسرائيل أنْ يجْعَلوا مَفْزَعهم - في الوَفاء بِعَهْدِ الله الذي عاهَدوه - إلى الاستِعانة بالصَّبْرِ والصَّلاة كما أمَرَ نَبيَّه مُحَمَّدًا ﷺ بذلك، فَقال له: ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا مُحَمَّد ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠] فَأمَرَه جَلَّ ثَناؤه في نَوائِبه بالفَزَعِ إلى الصَّبْر والصَّلاة. وقد:

٨٥٣- حدَّثنا مُحَمَّد بن العَلاء ويَعْقوب بن إبراهيم قالا: حَدَّثَنا ابن عُلَيَّة، قال: حَدَّثَنا عُيَيْنةُ بن عبد الرَّحْمَن، عن أبيه، أنَّ ابن عَبَّاس نُعيَ إليه أخوه قُثَمُ وهو في سَفَر، فاستَرْجَعَ ثُمَّ تَنَحَّى عن الطَّريق، فَأناخَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أطالَ فيهما الجُلوس، ثُمَّ قامَ يَمْشي إلى راحِلَته وهو يقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(٤).

---

(١) [ضعيف] أخرجه أحمد [٥/ ٣٨٨ (٢٣٦٨٨)] قال: حدَّثنا إسْمَاعِيل بن عُمَر، وخَلَف بن الوَلِيد. وأبو داود [١٣١٩] قال: حدَّثنا مُحَمَّد بن عِيسَى. ثلاثتهم (إسْمَاعِيل، وخَلَف، ومُحَمَّد) عن يَحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن عِكْرِمَة بن عَمَّار، عن مُحَمَّد بن عَبْد اللهِ الدُّؤَلِي، عن عَبْد العَزِيز... فذكره. وعبد العزيز أخو حذيفة ويقال: ابن أخي حذيفة، مجهول، ومحمد بن عبد الله بن أبي قدامة الدؤلي الحنفي ويقال: محمد بن عبيد أبو قدامة، مجهول الحال.

(٢) [ضعيف] تقدم قبله.

(٣) [ضعيف] مداره على الليث بن أبي سليم، وهو ضعيف الحديث.

(٤) [صحيح] رجاله كلهم ثقات، ومداره على عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن الغطفاني الجوشني أبو مالك البصري ابن عم القاسم بن ربيعة بن جوشن وثقه النسائي، و قال أبو حاتم: صدوق، و وثقه ابن معين.

وَأمّا أبو العالية فإنّه كان يقول بما:

٨٥٤- حَدّثني به المُثَنّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا آدم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾. قال: يقول: استَعينوا بالصَّبْرِ والصَّلاة على مَرْضاة اللَّه، واعْلَموا أنَّهما من طاعة اللَّهِ تعالى ذكرُه[١].

وَقال ابن جُرَيْج بما:

٨٥٥- حَدّثَنا به القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾. قال: إنَّهما مَعونَتانِ على رَحْمة اللَّه[٢].

٨٥٦- وَحَدّثَني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ الآية. قال: قال المُشْرِكونَ: واللَّه يا مُحَمَّد إنَّك لَتَدْعونا إلى أمْرٍ كَبير. قال: إلى الصَّلاة والإيمان باللَّهِ[٣].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

قَالَ أبُو جَعْفرٍ: يَعْني جلَّ وعزَّ بِقولِه: ﴿وَإِنَّهَا﴾: وإن الصَّلاة. فالهاءُ والألِفُ في ﴿وَإِنَّهَا﴾ عائِدَتانِ على الصَّلاة.

وَقد قال بعضهم: إنَّ قوله: ﴿وَإِنَّهَا﴾. بِمعنى: إنَّ إجابة مُحَمَّد ﷺ. ولم يَجْرِ لِذلك بِلَفْظِ الإجابة ذِكْرٌ فَتُجْعَلَ الهاءُ والألِفُ كِنايةً عنه، وغَيْرُ جائِز تَرْكُ الظَّاهِرِ المَفْهوم من الكَلام إلى باطِنٍ لا دَلالةَ على صِحَّتِه.

وَيَعْني بِقولِه جلَّ وعزَّ: ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: لَشَديدةٌ ثَقيلةٌ. كَما:

٨٥٧- حَدّثَنا يَحْيَى بن أبي طالِب، قال: أخبرَنا يَزيدُ، قال: أخبرَنا جوَيْبِر، عن الضَّحّاك، في قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾. قال: إنَّها لَثَقيلة[٤].

وَيَعْني بِقولِه: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: إلاَّ على الخاضِعينَ لِطاعَتِه، الخائِفينَ سَطَواتِه، المُصَدِّقينَ بِوَعْدِه ووَعيده. كَما:

٨٥٨- حَدّثَني المُثَنّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبّاس: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: يَعْني المُصَدِّقينَ بِما أنْزَلَ اللَّه[٥].

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، يقول: استعينوا بالصبر والصلاة على مرضاة الله، واعلموا أنها من طاعة الله. اهـ.

(٢) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٤) [ضعيف] جويبر متروك الحديث.

(٥) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه.

٨٥٩- وحَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدم العَسْقَلانيّ، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾. قال: يَعْني: الخائِفينَ[١].

٨٦٠- وحَدَّثَني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مُجاهِد: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾. قال: المُؤمِنينَ حَقًّا[٢].

٨٦١- وحَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْلَه[٣].

٨٦٢- وحَدَّثَني يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: الخُشوع: الخَوْفُ والخَشْيةُ لِلَّهِ عزَّ وجلَّ. وقَرَأ قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الشورى: ٤٥]. قال: قد أذَلَّهم الخَوْفُ الذي نَزَلَ بهم، وخَشَعوا لهُ[٤].

وَأَصْلُ الخُشوع: التَّواضُعُ والتَّذَلُّل والاستِكانةُ، ومنه قول الشَّاعِر:

لَمَّا أتى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَواضَعَتْ سُورُ المَدينةِ والجِبالُ الخُشَّعُ[٥]

يَعْني: والجِبالُ خُشَّعٌ مُتَذَلِّلَةٌ لِعِظَم المُصيبةِ بفَقْدِه.

فَمعنى الآية: واستَعينوا أيها الأحبارُ من أهل الكِتاب بِحَبْسِ أنفُسكُم على طاعة اللَّه جلَّ وعزَّ، وكَفِّها عن مَعاصي اللَّه، وبإقامةِ الصَّلاة المانِعة من الفَحْشاء والمُنْكَر، المُقرِّبةِ من راضا اللَّه، العَظيمةِ إقامَتُها إلا على المُتَواضِعينَ لِلَّهِ المُسْتَكينينَ لِطاعَتِه المُتَذَلِّلينَ من مَخافَته.

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾

قال أبو جَعْفَر: إنْ قال لنا قائِلٌ: وكيفَ أخْبَرَ اللهُ جلَّ وعزَّ عمَّنْ قد وصَفَه بالخُشوعِ له بالطَّاعةِ أنَّه يَظُنُّ أنَّه مُلاقيه، والظَّنُّ: شَكٌّ، والشَّاكُّ في لِقاءِ اللهِ جلَّ ثناؤُه عندَك باللَّهِ كافِرٌ؟

قيلَ: إنَّ العربَ قد تُسَمِّي اليَقينَ ظَنًّا، والشَّكَّ ظَنًّا، نَظيرَ تَسْميَتِهم الظُّلْمةَ سُدْفةً، والضِّياءَ سُدْفةً، والمُغيثَ صارِخًا، والمُسْتَغيثَ صارِخًا، وما أشْبَهَ ذلك من الأسماء التي تُسَمِّي بها الشَّيْء

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال. وقد تابعه عاصم بن رواد عن ابن أبي حاتم في التفسير.

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٤) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٥) [الكامل] القائل: جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم. أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفردق والأخطل، كان عفيفًا، وهو من أغزل الناس شعرًا. اللغة: الجبال الخشع: والجبال خشع متذللة لعظم المصيبة بفقده. المعنى: وهذا البيت يعير به الفرزدق بالغدر ويهجوه، فإن الزبير بن العوام رضي الله عنه حين انصرف يوم الجمل، عرض له رجل من بني مجاشع رهط الفرزدق، فرماه فقتله غيلة. ووصف الجبال بأنها (خشع). يريد عند موته، خشعت وطأطأت من هول المصيبة في حواري رسول الله ﷺ، ومن قبح ما لقي من غدر بني مجاشع.

وضِدَّه. ومِمَّا يَدُلُّ على أنَّه يُسَمَّى به اليَقينُ، قول دُرَيْد بن الصِّمَّة:

فَقُلْتُ لهم ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَراتُهُمُ في الفارِسيِّ المُسَرَّدِ[(١)]

يَعْني بذلك: تَيَقَّنوا ألفَيْ مُدَجَّجٍ تأتيكُمْ.

وَقولُ عَميرةَ بن طارِق:

بِأنْ تَغْتَزوا قَوْمي وأقْعُدَ فيكُمُ وَأجْعَلَ مِني الظَّنَّ غَيْبًا مُرَجَّما[(٢)]

يَعْني: وأجْعَل مِني اليَقينَ غَيْبًا مُرَجَّمًا.

والشَّواهِد من أشعار العربِ وكَلامِها على أنَّ الظَّنَّ في معنى اليَقينِ أكْثَرُ من أنْ تُحصَى، وفيما ذَكَرْنا لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِه كِفاية.

وَمنه قول الله تعالى ذكره: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]. وبِمِثْلِ الذي قُلْنا في ذلك جاء تَفْسيرُ المُفَسِّرينَ.

ذِكْرُ من قال ذلك:

٨٦٣- حَدَّثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾. قال: إنَّ الظَّنَّ هَهُنا يَقينٌ[(٣)].

٨٦٤- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، عن جابِر، عن مُجاهِد، قال: كُلُّ ظَنٍّ في القُرْآن يَقينٌ، ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ [الحاقة: ٢٠] و﴿ظَنُّوٓاْ﴾ [الجن: ٧][(٤)].

---

(١) [الطويل] القائل: دريد بن الصمة (عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ولم يسلم). اللغة: ظنوا: ظنَّ التي في هذا البيت ظن التي تدل على اليقين، ومنها ما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، وكذا ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣]. المدجج: الفارس الذي قد تدجج في شكته، أي دخل في سلاحه، كأنه تغطى به. السراة: جمع (سري) وهم خيار القوم من فرسانهم. الفارسي: يعني الدروع الفارسية. قال عمرو بن امرئ القيس الخزرجي:

إذا مشينا في الفارسي كما يمشي جمال مصاعبٌ قُطُفُ

السرد: المحبوك النسج المتداخل الحلق. وورد البيت في ديوانه:

عَلانِيَةً ظُنّوا بِأَلفَي مُدَجَّجٍ سَراتُهُمُ في الفارِسيِّ المُسَرَّدِ

المعنى: في هذا البيت أنذر الشاعر أخاه بأنهم سوف يلقون عدوا من ذوي البأس قد استكمل أداة قتاله.

(٢) [الطويل] القائل: عميرة بن طارق بن ديسق اليربوعي. اللغة: تغتزوا: من غزا الأمر واغتزاه؛ أي قصده، ومنه الغزو، وهو السير إلى قتال العدو وانتهابه. والمرجم: الذي لا يوقف على حقيقة أمره، لأنه يقذف به على غير يقين، من الرجم، وهو القذف. المعنى: يقول الشاعر لو أنكم تغزون قومي وأنا أقعد بينكم فإني بذلك أجعل اليقين غيبا لا يقف المرء فيه على حقيقة أمره.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد بن الجراح، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم قال: الظن هاهنا يقين. اهـ.

(٤) [ضعيف] جابر الجعفي متروك.

٨٦٥- حدّثني المُثنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو داود الحَفَريُّ، عن سُفيان، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: كُلُّ ظَنٍّ في القُرْآنِ فهو عِلْمٌ (١).

٨٦٦- حدّثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾: أمَّا ﴿يَظُنُّونَ﴾ فيَسْتَيْقِنونَ (٢).

٨٦٧- حدّثني القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾: عَلِموا أنَّهم مُلاقو ربِّهم، قال: هي كَقولِه: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠]. يقول: عَلِمْتُ (٣).

٨٦٨- حدّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾. قال: لأنَّهم لم يُعايِنوا، فَكان ظَنُّهم يَقينًا، ولَيْسَ ظَنًّا في شَكٍّ. وقَرَأ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ (٤).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَر: إنْ قال لنا قائِل: وكيفَ قِيلَ: ﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾. فَأُضيفَ المُلاقونَ إلى الرَّبِّ جلَّ وعزَّ، وقد عَلِمْتَ أنَّ معناه: الذينَ يَظُنُّونَ أنَّهم يَلْقَوْنَ رَبَّهمْ؟ وإذا كان المعنى كذلك، فَمن كَلام العرب تَرْكُ الإضافةِ وإثْباتُ النونِ، وإنما تُسْقِطُ النونَ وتُضيفُ في الأسماء المَبْنيَّةِ من الأفعال إذا كانتْ بِمعنى (فَعَلَ)، فَأمَّا إذا كانتْ بِمعنى (يَفْعَل) و(فاعِل)، فَشَأنُها إثْباتُ النونِ، وتَرْكُ الإضافة.

قِيلَ: لا تَدافُع بين جَميع أهل المعرِفة بِلُغاتِ العرب وألْسُنِها في إجازة إضافة الاسم المَبنيِّ من (فَعَلَ) و(يَفْعَلُ)، وإسقاط النونِ، وهو بمعنى (يَفْعَل)، و(فاعِل) - أعْني بِمعنى الاستِقْبال وحال الفِعْل - ولَمَّا يَنقَضِ، فلا وجه لِمسألةِ السَّائِل عن ذلك لِمَ قيلَ. وَإنما اختَلَفَ أهل العربيَّة في السَّبَب الذي من أجْله أُضيفَ وأُسْقِطَتِ النّون؛ فَقال نَحْويُّو البصْرة: أُسْقِطَتِ النّونُ من: ﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ وما أشْبَهَه من الأفعال التي في لَفْظ الأسماء، وهيَ في معنى (يَفْعَل)، أو في معنى ما لم يَنْقَضِ من الفعل، استِثْقالاً لها، وهيَ مُرادةٌ كما قال جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وكَما قال: ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ [القمر: ٢٧]. ولَمَّا يُرْسِلْها بعدُ، وكَما قال الشَّاعِر:

هَلْ أنتَ باعِثُ دينارٍ لِحاجَتِنا ... أو عبدَ رَبٍّ أخا عَوْنِ بنِ مِخْراقِ (٥)

---

(١) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٥) [البسيط] القائل: تأبط شرا ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهمي، من مضر، شاعر عدّاء، من فتاك العرب في الجاهلية، كان من أهل تهامة، شعره فحل، قتل في بلاد هذيل وألقي في غار يقال له رخمان فوجدت جثته

فَأضافَ (باعِث) إلى (الدِّينار)، ولَمَّا يَبْعَثْ، ونُصِبَ (عبدَ رَبٍّ) عَطْفًا على موضِع (دينار)؛ لأنَّه في معنى نَصْبٍ وإنْ خُفِضَ، وكَما قال الآخَر:

الحـافِظـو عَـوْرةِ العَـشِـيـرةِ لا يَـأْتِـيـهُـمُ مِـن ورائِـهـم نَـطَـفُ (١)

بِنَصْبِ (العَوْرة) وخَفْضِها، فالخَفْضُ على الإضافة، والنَّصْبُ على حَذْف النّون استِثْقالاً، وهيَ مُرادةٌ. وهذا قول نَحْوِيِّي البصْرة.

وَأمَّا نَحْوِيُّو الكوفة فإنّهم قالوا: جائِزٌ في ﴿مُلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ الإضافة، وهيَ في معنى: (يَلْقَوْنَ)، وإسقاطُ النّون منه؛ لأنَّه في لَفْظ الأسماء، فَلَه في الإضافة إلى الأسماء حَظُّ الأسماء، وكذلك حُكْمُ كُلِّ اسم له كان نَظيرًا. قالوا: وإذا أُثْبِتَ في شَيْءٍ من ذلك النّونُ وتُرِكَتِ الإضافةُ، فإنّما تَفعَلُ ذلك به لأنَّ له معنى (يَفْعَل) الذي لم يكُنْ ولم يجِب بعدُ. قالوا: فالإضافةُ فيه لِلَّفْظِ، وتَرْكُ الإضافة لِلْمعنى.

فتأويل الآية إذن: واستَعينوا على الوَفاء بِعَهْدي بالصَّبْرِ عليه والصَّلاة، وإن الصَّلاة لَكَبيرةٌ إلاَّ على الخائِفينَ عِقابي، المُتَواضِعينَ لأمْري، الموقِنينَ بِلِقائي والرُّجوع إلَيَّ بعد مَماتهمْ.

وَإنّما أخْبَرَ الله جَلَّ ثَناؤه أنَّ الصَّلاة كَبيرةٌ إلاَّ على مَنْ هذه صِفَتُه؛ لأنَّ مَنْ كان غَيْرَ موقِنٍ بِمَعادٍ ولا مُصَدِّقٍ بِمَرْجِعٍ ولا ثَوابٍ ولا عِقاب، فالصَّلاةُ عنده عَناءٌ وضَلالٌ؛ لأنَّه لا يَرْجُو بإقامَتِها إدْراكَ نَفْعٍ، ولا دَفْعَ ضُرٍّ، وحُقَّ لِمَنْ كانتْ هذه الصِّفةُ صِفَتَه أنْ تَكونَ الصَّلاةُ عليه كَبيرةً، وإقامَتُها عليه ثَقيلةً، ولَه فادِحةً.

وَإنما خَفَّتْ على المُؤْمِنينَ المُصَدِّقينَ بِلِقاءِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، الرَّاجينَ عليها جَزيلَ ثَوابه، الخائِفينَ بِتَضْييعِها أليمَ عِقابه، لِما يَرْجونَ بإقامَتِها في مَعادِهم من الوُصول إلى ما وعَدَ اللهُ عليها أهلَها، ولِما يَحْذَرونَ بِتَضْييعِها ما أوْعَدَ مُضَيِّعيها. فَأمَرَ اللهُ تعالى ذكرُه أحبارَ بَني إسرائيلَ الذين

فيه بعد مقتله. المعنى: يقول الشاعر هل أرسلت (باعث دينار) لطلبنا أم أرسلت (عبد رب أخا عون بن مخراق)، والبيت شاهد على نصب (عبد رب) على موضع (دينار)، فمعنى البيت: هل أنت باعث دينارا أو عبد رب؟

(١) [المنسرح] القائل: الحارث بن ظالم بن غيظ المري، أبو ليلى، أشهر فتاك العرب في الجاهلية، نشأ يتيمًا قُتل أبوه وهو طفل، وشب وفي نفسه أشياء من قاتل أبيه وآلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة، ووفد على النعمان بن المنذر ملك الحيرة فالتقى بقاتل أبيه جعفر بن خالد (سيد بني عامر) فتنازعا بين يدي النعمان، فلما كان الليل أقبل الحارث على خالد وهو في مبيته فقتله. وعلمت بذلك بنو عامر فجدت في طلب الحارث، فعاد إلى عشيرته من غطفان، فهابوا شرَّ بني عامر فلم يحموه، فانصرف إلى حاجب بن زرارة التميمي فحماه مدة ثم تجهم له، فلحق بعروض اليمامة. وبلغه أن النعمان بعث إلى جارات له فسباهن، فأتى حاضنة ابن النعمان فأخذه منها وقتله. فطلبه النعمان، فلجأ إلى بني شيبان فآووه قليلاً. ورحل فلحق بطيء ثم رحل عنها فجاور بني دارم فحموه فغزاهم الأحوص (أخو خالد بن جعفر العامري) فهزمهم وانطلق الحارث فجعل يطوف في البلاد حتى أتى الشام، فقتل في حوران.

اللغة: العورة: المكان الذي يخاف منه مأتى العدو. والنطف: العيب والريبة. المعنى: يقول الشاعر مادحا القوم بأنهم يحفظون عشيرتهم من الأعداء، ويحرصون على تأمين المداخل التي يمكن أن يدخل منها الأعداء، ولا يخطئون في ذلك أبدا.

خاطَبَهم بهذه الآياتِ أنْ يكونوا من مُقيمِيها الرَّاجينَ ثَوابَها، إذا كانوا أهل يَقينٍ أنهم إلى اللهِ جلَّ وعزَّ راجِعونَ، وإيَّاه في القيامةِ مُلاقُونَ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والهاء والميم اللَّتانِ في قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ من ذِكْر الخاشِعينَ، والهاء في ﴿إِلَيْهِ﴾ من ذِكْر الرَّبِّ جلَّ وعزَّ في قوله: ﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ فتأويل الكَلِمة: وإنَّها لَكَبيرة إلاَّ على الخاشِعينَ المُوقِنينَ أنَّهم إلى رَبِّهم راجِعونَ.

ثُمَّ اختُلِفَ في تأويل (الرُّجوع) الذي في قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾؛ فقال بعضهم بما:

٨٦٩- **حَدَّثني** به المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا آدم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾. قال: يَسْتَيْقِنونَ أنَّهم يَرْجِعونَ إليه يومَ القيامةِ[1].

وَقال آخرونَ: معنى ذلك أنَّهم إليه يَرْجِعونَ بِموتِهم.

وَأولَى التَّأويلَيْنِ بالآيةِ القولُ الذي قاله أبو العالية؛ لأنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه، قال في الآية التي قَبْلها ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤه أنَّ مَرْجِعَهم إليه بعد نَشْرِهم وإحيائِهم من مَماتِهم، وذلك لا شَكَّ يوم القيامة، فَكذلك تأويلُ قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وتأويلُ ذلك في هذه الآية نَظيرُ تأويلِه في التي قَبْلها في قوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾. وقد ذَكَرْتُه هُنالِكَ.

القول في تأويل قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذا أيضًا مِمَّا ذَكَّرَهم جَلَّ جلالُه من آلائِه ونِعَمه عندهم. ويَعْني بِقولِه: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أنِّي فَضَّلْتُ أسلافكُم. فَنَسَبَ نِعَمه على آبائِهم وأسلافِهم إلى أنَّها نِعَمٌ منه عليهم، إذْ كانتْ مَآثِرُ الآباءِ مَآثِرَ لِلأبناءِ، والنِّعَمُ عند الآباء نِعَمًا عند الأبناء؛ لِكَوْنِ الأبناء من الآباء. وأخْرَجَ جَلَّ ذِكْره قوله: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مُخْرَجَ العُموم، وهو يُريد به خُصوصًا؛ لأنَّ المعنى: وأنِّي فَضَّلْتُكم على عالَم مَنْ كُنْتُم بين ظَهْرَيْه وفي زَمانه. كالذي:

٨٧٠- **حَدَّثَنا** به مُحَمَّد بن عبد الأعْلَى الصَّنْعانيُّ، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن ثَوْر، عن مَعْمَر، وحَدَّثَنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبَرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: فَضَّلَهم على عالَم ذلك الزَّمان[2].

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: وأنهم إليه راجعون قال: يستيقنون أنهم يرجعون إليه يوم القيامة. اهـ.

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف.

٨٧١- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبِيع، عن أبي العالية: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال: بِما أُعطوا من المُلْك والرُّسُلِ والكُتُبِ على عالَم مَنْ كان في ذلك الزَّمان، فإنَّ لِكُلِّ زَمان عالَمًا (١).

٨٧٢- حَدَّثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: على مَنْ هم بين ظَهْرانَيْهِ (٢).

٨٧٣- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال مُجاهِد في قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال: على مَنْ هم بين ظَهْرانَيْهِ (٣).

٨٧٤- وحَدَّثَني يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: سَألتُ ابن زَيْد عن قول اللَّه: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال: عالَم ذلك الزَّمان. وقَرَأ قول اللَّهِ تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢]. قال: هذه لِمَنْ أطاعَه واتَّبَعَ أمْره، وقد كان فيهم القِرَدةُ وهم أبْغَض خَلْقه إليه. قال: وقال لِهذه الأُمَّةِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: هذه لِمَنْ أطاعَهُ واتَّبَعَ أمْرَه جلَّ وعزَّ واجْتَنَبَ مَحارِمه (٤).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والدَّليلُ على صِحَّة ما قُلْنا من أنَّ تأويل ذلك على الخُصوص الذي وصَفْنا ما:

٨٧٥- حَدَّثني به يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا ابن عُلَيَّة، وحَدَّثَنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَرٌ جَميعًا، عن بَهْز بن حَكيم، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: سَمِعْت رَسول الله ﷺ يقول: «أَلاَ إِنَّكُمْ وَفَّيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً». قال يَعْقوب في حَديثه: «أَنْتُمْ آخِرُهَا». وقال الحسن: «أنتم خيرها وأكرَمها على اللَّه» (٥).

فَقد أنبَأ هذا الخَبَر عن النَّبيّ ﷺ أنَّ بَني إسرائيلَ لم يكونوا مُفَضَّلينَ على أُمَّة مُحَمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، وأنَّ معنى قوله: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: ٢٦]. وقولُه: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ على ما بَيَّنَّا من تأويلِه. وقد أتَيْنا على بَيان تأويل قولِه: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ بِما فيه الكِفاية في غَيْر هذا الموضِع، فأغْنَى ذلك عن إعادَته.

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: وأني فضلتكم على العالمين قال: بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان، فإن لكل زمان عالما. اهـ

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٥) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾

وَتأويلُ قولِه: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾: واتَّقوا يومًا لا تَجْزي فيه نَفْسٌ عن نَفْسٍ شَيْئًا. وجائِز أيْضًا أنْ يكون تأويله: واتَّقوا يومًا لا تَجْزيه نَفْسٌ عن نَفْسٍ شَيْئًا، كما قال الرَّاجِز:

قـد صَـبَّـحَـتْ صَـبَّـحَـهـا الـسَّـلامُ
بِـكَـبِـدٍ خـالَـطَـهـا سَـنـامُ
فـي سـاعـةٍ يُـحِـبُّـهـا الـطَّـعـامُ(١)

وَهوَ يَعْني: يُحَبُّ فيها الطَّعام. فَحُذِفَتِ الهاء الرَّاجِعة على (اليوم)؛ إذْ فيه اجْتِزاءٌ بما ظَهَرَ من قوله: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ الدَّالِّ على المحذوف منه - عَمَّا حُذِفَ، إذْ كان معلومًا معناه.

وَقد زَعَمَ قَوْمٌ من أهلِ العربيَّة أنَّه لا يجوز أنْ يكون المحذوف في هذا الموضِع إلاَّ الهاء.

وَقال آخَرونَ: لا يجوز أنْ يكون المحذوف إلاَّ (فيهِ).

وَقد دَلَّلنا فيما مَضَى على جَواز حَذْف كُلِّ ما دَلَّ الظَّاهِر مِن الكلام عليه.

وَأمَّا المعنى في قوله: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ فَإنَّه تَحْذير من الله تعالى ذِكْره عِبادَه الذينَ خاطَبَهم بهذه الآية عُقوبَتَه أنْ تَحِلَّ بهم يوم القيامة، وهو اليوم الذي لا تَجْزي فيه نَفْس عن نَفْس شَيْئًا، ولا يجْزي فيه والِدٌ عن ولَده، ولا مولود هو جازٍ عن والِده شَيْئًا. وَأمَّا تأويل قوله: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ فَإنه يَعْني: لا تُغْني. كما:

٨٧٦- **حَدَّثني** به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾: أمَّا ﴿تَجْزِى﴾: فَتُغْني(٢).

وَأصْل الجَزاءِ في كَلام العرب: القَضاء والتَّعْويض، يُقال: جَزَيْته قَرْضه ودَيْنه أجْزيه جَزاء، بِمعنى: قَضَيْتُه دَيْنه. ومن ذلك قِيلَ: جَزَى اللهُ فُلانًا عَنِّي خَيْرًا أو شَرًّا، بِمعنى: أثابَه عَنِّي وقَضاه عَنِّي ما لَزِمَني له بِفِعْلِه الذي سَلَفَ منه إلَيَّ.

وَقد قال قَوْم من أهل العِلْم بِلُغَةِ العرب: يُقال: أجَزَيْتُ عنه كذا. إذا أعنتَه عليه، وجَزَيْتُ عنك فُلانًا: إذا كافَأْته.

وَقال آخَرونَ منهم: بل جَزَيْتُ عنك: قَضَيْتُ عنك، وأجْزَيْت: كَفَيْت.

وَقال آخَرونَ منهم: بل هُما بِمعنًى واحِد، يُقال: جَزَت عنك شاةٌ وأجْزَت، وجَزَى عنك دِرْهَمٌ وأجْزَى، ولا تَجْزي عنك شاةٌ ولا تُجْزي بِمعنًى واحِد، إلاَّ أنَّهم ذَكَروا أنَّ جَزَت عنك ولا تُجْزي عنك من لُغةِ أهل الحِجاز، وأنَّ أجْزَأ وتُجْزِئ من لُغة غَيْرِهِمْ. وزَعَموا أنَّ تَميمًا خاصّة من

---

(١) [الرجز] القائل: لم يعثر على القائل، وورد البيت عند (المبرد) في كتابه: الكامل في اللغة والأدب (٢٢/ ١).
اللغة: صبحت: يُقال: صبحت القوم أي سقاهم الصبوح، وهو ما يشرب صباحا من لبن أو خمر. ساعة يحبها الطعام: يريد (في ساعة يحب فيها الطعام). المعنى: هنا دعاء لها بالخير على حسن ما أطعمته.
(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

بين قَبائِل العرب تَقول: أجزَأتُ عنك شاة، وهيَ تُجزئ عنك.

وَزَعَمَ آخَرونَ أنَّ جَزَى بلا هَمْز: قَضَى، وأجزَأ بالهَمْزِ: كافأ.

فَمعنى الكَلام إذن: واتَّقوا يومًا لا تَقْضي نَفْسٌ عن نَفس شَيْئًا ولا تُغْني عنها غِنًى.

فَإنْ قال قائِل: وما معنى: لا تَقْضي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئًا، ولا تُغْني عنها غِنًى؟

قِيلَ: هو أنَّ أحَدنا اليوم رُبَّما قَضَى عن ولَدِه أو والِدِه أو ذي الصَّداقة والقَرابة دَيْنه؛ وأمَّا في الآخِرة - فَإنَّه فيما أتَتْنا به الأخْبار عنها - يَسُرُّ الرَّجُلَ أنْ يبْرُدَ له على ولَده أو والِده حَقٌّ، وذلك أنَّ قَضاء الحُقوقِ في القيامة من الحسنات والسَّيِّئات. كَما:

٨٧٧- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْبٍ ونَصر بن عبد الرَّحْمَن الأوديُّ، قالا: حَدَّثَنا المُحارِبيُّ، عن أبي خالِد الدَّالانيُّ يَزيد بن عبد الرَّحْمَن، عن زَيْد بن أبي أُنَيْسة، عن سَعيد بن أبي سَعيد المَقْبُريّ، عن أبي هُرَيْرة، قال: قال رَسول الله ﷺ: **«رَحِمَ اللهُ عَبْدًا كَانَتْ عِنْده لِأَخِيهِ مَظْلِمَةٌ فِي عِرْضٍ»** قال أبو كُرَيْبٍ في حَديثه: أَوْ مَالٍ **«جَاءهُ، فَاسْتَحَلَّهُ قَبْل أَنْ يُؤْخَذ مِنْهُ وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَار وَلاَ دِرْهَم، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذُوا مِنْ حَسَنَاته، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَات حَمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتهمْ»**(١).

٨٧٨- **وَحَدَّثَني** أبو عُثْمان المُقَدَّميُّ، قال: حَدَّثَنا الفَرَويُّ، قال: حَدَّثَنا مالِك، عن المَقْبُريّ، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرة، عن النَّبيّ ﷺ بِنَحْوِهِ(٢).

٨٧٩- **حَدَّثَنا** خَلَّاد بن أسلَمَ، قال: حَدَّثَنا أبو هَمَّام الأهوازيُّ، قال: أخبرَنا عبد الله بن سَعيد، عن سَعيد، عن أبي هُرَيْرة، عن النَّبيّ ﷺ بِنَحْوِهِ(٣).

٨٨٠- **حَدَّثَني** موسَى بن سَهْل الرَّمْليُّ، قال: حَدَّثَنا نُعَيْم بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا عبد العَزيز الدَّراوَرْديُّ، عن عَمْرو بن أبي عَمْرو، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: قال رَسول الله ﷺ: **«لاَ يَمُوتَنَ أَحَدكُمْ وَعَلَيْهِ دَيْن، فَإِنَّهُ لَيسَ هُنَاكَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَم، إِنَّمَا تَقْتَسِمُونَ هُنَاكَ الْحَسَنَات وَالسَّيِّئَات»** وأشارَ رَسول الله ﷺ بيَدِه يَمينًا وشِمالاً(٤).

٨٨١- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا سَلْمُ بن قادِم، قال: حَدَّثَنا أبو مُعاوية هاشِم بن عيسَى، قال: أخْبَرَني الحارِث بن مُسْلِم، عن الزُّهْريّ، عن أنَس بن مالِك، عن رَسول الله ﷺ بِنَحْوِ حَديث أبي هُرَيْرة(٥).

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: فَذلك معنى قولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ يَعْني أنَّها لا تَقْضي عنها شَيْئًا لَزِمَها لِغَيْرِها؛ لأنَّ القَضاءَ هُنالِكَ من الحسنات والسَّيِّئات على ما وَصَفْنا. وكيفَ يَقْضي عن غَيْره غُرْمًا لَزِمَه مَنْ كان يَسُرُّ أنْ يَثْبُت له على ولَده أو والِده حَقٌّ، فَيَأخُذه منه، ولا يَتَجافَى له عنهُ؟

---

(١) [صحيح] أخرجه البخاري [٢٤٤٩] وغيره. (٢) [صحيح] تقدم قبله.

(٣) [صحيح] تقدم قبله.

(٤) [ضعيف] عمرو بن أبي عمرو القرشي أو عمرو بن ميسرة يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] الحارث مجهول الحال، وهاشم مجهول.

وَقد زَعَمَ بعض نَحويِّي البصرة أنَّ معنى قوله: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾: لا تَجْزي منها أنْ تكون مَكانها.

وَهذا قولٌ يَشْهَد ظاهِر القُرْآن على فَسادِه، وذلك أنَّه غَيْر معقول في كُلام العرب أنْ يقول القائِل: ما أغْنَيْت عَنِّي شَيْئًا، بِمعنَى: ما أغْنَيْتَ مِنِّي أنْ تَكون مَكاني. بل إذا أرادوا الخَبَر عن شَيْء أنَّه لا يجْزي من شَيْء، قالوا: لا يجْزي هذا من هذا. ولا يَسْتَجيزونَ أنَّ يقولوا: لا يجْزي هذا من هذا شَيْئًا.

فلو كان تأويلُ قولِه: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ ما قاله مَنْ حَكَيْنا قوله لَقال: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾. كما يُقال: لا تَجْزي نَفْس من نَفْس. ولم يَقُلْ ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾. وفي صِحَّة التَّنْزيل بِقولِه: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أوضَحُ الدِّلالَة على صِحَّة ما قُلْنا، وفَساد قول مَنْ ذَكَرْنا قوله في ذلك.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والشَّفاعةُ مَصْدَرٌ من قول الرَّجُل: شَفَعَ لي فُلان إلى فُلان شَفاعة. وهو طَلَبه إليه في قَضاء حاجَته، وإنما قِيلَ لِلشَّفيع شَفيعٌ وشافِع لأنَّه ثَنَّى المُسْتَشْفِع به، فَصارَ له شَفْعًا، وَكان ذو الحاجة قَبْل استِشْفاعه به في حاجَته فَرْدًا، فَصارَ صاحِبه له فيها شافِعًا، وطَلَبه فيه وفي حاجَته شَفاعةً؛ ولِذلك سُمِّيَ الشَّفيع في الدَّار والأرْض شَفيعًا لِمَصيرِ البائِع به شَفْعًا.

فتأويل الآية إذن: واتَّقوا يومًا لا تَقْضي نَفْس عن نَفْس حَقًّا لَزِمَها لِلَّه عزَّ وجلَّ ولا لِغَيْرِه، ولا يَقْبَل اللهُ منها شَفاعة شافِع، فَيَتْرُك لها ما لَزِمَها من حَقٍّ.

وَقِيلَ: إنَّ الله جلَّ ثناؤُه خاطَبَ أهل هذه الآية بِما خاطَبَهم به فيها؛ لأنَّهم كانوا من يَهود بَني إسرائيلَ، وكانوا يقولونَ: نَحْنُ أبناءُ اللهِ وأحِبَّاؤُه وأولادُ أنْبيائِه، وسَيَشْفَعُ لنا عنده آباؤُنا. فَأخْبَرَهم اللهُ تعالى ذكرُه أنَّ نَفْسًا لا تَجْزي عن نَفْس شَيْئًا في القيامة، ولا يُقْبَل منها شَفاعةُ أحَدٍ فيها حتَّى يُسْتَوْفَى لِكُلِّ ذي حَقٍّ منها حَقُّه. كَما:

٨٨٢- **حَدَّثَني** عَبَّاس بن أبي طالِب، قال: حَدَّثَنا حَجَّاج بن نُصير، عن شُعْبة، عن العَوامّ بن مُزاحِم - رَجُل من قَيْس بن ثَعْلَبة - عن أبي عُثْمان النَّهْديّ، عن عُثْمان بن عَفَّانَ: أنَّ رَسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الجَمَّاء لَتَقْتَصُّ مِنَ القَرْنَاء يَوْم القِيامَة**»[(١)].

وكَما قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية، فَآيَسهم اللهُ جَلَّ ذِكْره مِمَّا كانوا أطمَعوا فيه أنفُسَهم من النَّجاة من عَذاب الله - مع تَكْذيبهم بِما عَرَفوا من الحَقِّ، وخِلافهم أمْرَ اللهِ تعالى ذكرُه في اتِّباع مُحَمَّد ﷺ وما جاءهُم به من عنده - بِشَفاعةِ آبائِهم وغَيْرهم من النَّاس

(١) [ضعيف بهذا اللفظ] هذا سند ضعيف لما فيه من جهالة، وضعف، وقد أخرجه مسلم [٢٥٨٢] من حديث أبي هريرة بلفظ [لَتُؤَدُّنَّ الحُقوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ القِيامَةِ حَتَّى يُقادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ].

كُلِّهم، وأخْبَرَهم أنَّه غَيْر نافِعِهم عنده إلاَّ التَّوْبة إليه من كُفْرهم والإنابةُ من ضَلالهم، وجَعَلَ ما سُنَّ فيهم من ذلك إمامًا لِكُلِّ مَنْ كان على مِثْل منهاجِهم لِئَلاَّ يَطْمَع ذوو الإلْحادِ في رَحْمة اللَّه.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذه الآية وإنْ كان مَخْرَجها عامًّا في التِّلاوة، فَإنَّ المُراد بها خاصٌّ في التَّأويل لِتظاهُرِ الأخْبار عن رَسول الله ﷺ أنَّه قال: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**» وأنَّه قال: «**لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ وَقَدْ أُعْطِيَ دَعْوَة، وَإِنِّي خَبَّأْت دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي، وَهِيَ نَائِلَة إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْهُمْ مَنْ لاَ يُشْرِك بِاللَّهِ شَيْئًا**». فقد تَبَيَّنَ بِذلك أنَّ الله جَلَّ ثَنَاؤه قد يَصْفَح لِعِبادِه المُؤمِنينَ بِشَفاعةِ نَبيِّنا مُحَمَّد ﷺ لهم عن كَثيرٍ من عُقوبةِ إجرامهم بينه وبينهم، وأنَّ قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ إنَّما هي لِمَنْ ماتَ على كُفْره غَيْر تائِبٍ إلى الله عَزَّ وجَلَّ. ولَيْسَ هذا من مَواضِع الإطالة في القول في الشَّفاعة والوَعْد والوَعيد، فَنَسْتَقْصي الحِجاج في ذلك، وسَنَأتي على ما فيه الكِفاية في مَواضِعه إنْ شاءَ الله تعالى.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والعَدْل في كَلام العرب بِفَتْح العَيْن: الفِدْية. كَما:

٨٨٣- **حَدَّثني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: أنبأنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾. قال: يَعْني فِداء (١).

٨٨٤- **حَدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ بن نَصْر عن السُّدِّيِّ: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أمَّا ﴿عَدْلٌ﴾: فَيَعْدِلها من العَدْل، يقول: لو جاءَتْ بِمِلْءِ الأرْض ذَهَبًا تَفْتَدي به ما تُقْبَل منها (٢).

٨٨٥- **حَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾. قال: لو جاءَتْ بِكُلِّ شَيْء لم يُقْبَل منها (٣).

٨٨٦- **حَدَّثَنا** القاسِمُ، قال: حَدَّثَنا حُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال مُجاهِد: قال ابن عَبَّاس: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾. قال: بَدَل، والبدَل: الفِدْية (٤).

٨٨٧- **حَدَّثَني** يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ قال: لو أنَّ لها مِلْءَ الأرض ذَهَبًا لم يُقْبَل منها. لم يُؤْخَذْ منها فِداءٌ. قال: ولو جاءَتْ بِكُلِّ شَيْء لم يُقْبَل منها (٥).

---

(١) [**حسن**] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال. وقد تابعه عاصم بن أبي رواد كما عند ابن أبي حاتم في التفسير.

(٢) [**ضعيف**] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [**صحيح**] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤) [**ضعيف**] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع من مجاهد، والسند إليه ضعيف، من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٥) [**صحيح**] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

٨٨٨- حدثنا نجيح بن إبراهيم، قال: أخبرَنا عليّ بن حَكيم، قال: أخبرَنا حُمَيد بن عبد الرَّحْمَن، عن أبيه، عن عَمْرو بن قَيْس المُلائيّ، عن رَجُل من بَني أُمَيّة من أهل الشّام أحْسَن عليه الثّناء، قال: قِيلَ يا رَسول الله ما العَدل؟ قال: «العَدْلُ: الفِدْيةُ» (١).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وإنما قِيلَ لِلْفِدْيةِ من الشّيْءِ والبدَل منه عَدْله، لِمُعادَلَتِه إيّاه وهو من غَيْر جِنسه؛ ومَصيرِه له مَثَلاً من وجه الجَزاء، لا من وجه المُشابَهة في الصُّورة والخِلْقة، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠]. بمعنى: وإنْ تَفْدِ كُلّ فِدْية لا يُؤخَذ منها. يُقال منه: هذا عَدْله وعَديله. وأمّا العِدْل بِكَسْرِ العَيْن، فهو مِثْل الحِمْل المحمول على الظَّهْر، يُقال من ذلك: عندي غُلامٌ عِدْلُ غُلامِك، وشاةٌ عِدْلُ شاتِك. بِكَسْرِ العَيْن، إذا كان غُلامٌ يَعْدِل غُلامًا، وشاةٌ تَعْدِل شاةً، وكذلك ذلك في كُلِّ مِثْلٍ لِلشَّيْءِ من جِنسه. فإذا أُريدَ أنَّ عنده قيمَته من غَيْر جِنسه نُصِبَت العَيْن فَقِيلَ: عندي عِدْل شاتك من الدَّراهِم.

وقد ذُكِرَ عن بعض العرب أنّه يَكْسِر العَيْن من العِدْل الذي هو بِمعنى الفِدْية والمُعادَلةِ ما عادَلَته من جِهة الجَزاء، وذلك لِتَقارُبِ معنى العَدْل والعِدْل عندهم، وَأمّا واحِد الأعْدال فَلم يُسْمَع فيه إلاّ عِدْلٌ بِكَسْرِ العَيْن.

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٨﴾

وَتأويل قوله جلَّ جلالُه: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يَعْني إنَّهم يومئِذٍ لا يَنْصُرهم ناصِر، كما لا يَشْفَع لهم شافِع، ولا يُقْبَل منهم عَدل ولا فِدْية. بَطَلَتْ هُنالِكَ المُحاباة واضْمَحَلَّتِ الرِّشا والشَّفاعات، وارْتَفَعَ مِن القَوْم التَّعاوُنُ والتَّناصُرُ، وصارَ الحُكْم إلى العَدْل الجَبَّار الذي لا يَنْفَع لَدَيْه الشُّفَعاء والنُّصَراء، فَيجْزي بالسَّيِّئةِ مِثْلها وبالحسنةِ أضْعافها. وذلك نَظير قوله جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٤- ٢٦].

وَكان ابن عبّاس يقول في معنى: ﴿لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات: ٢٥] ما:

٨٨٩- حُدِّثت به عن المِنجاب، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبّاس: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: ما لكم لا تُمانِعونَ مِنّا؟ هَيْهاتَ لَيْسَ ذلك لكم اليوم (٢).

وقد قال بعضهم في معنى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: ولَيْسَ لهم من اللهِ يومئِذٍ نَصيرٌ يَنْتَصِرُ لهم من اللهِ إذا عاقَبَهم.

وَقد قِيلَ: ولا هم يُنْصَرونَ بالطَّلَبِ فيهم والشَّفاعةِ والفِدْية.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والقول الأوّل أوْلَى بِتأويلِ الآية لِما وصَفْنا من أنَّ اللهَ جَلَّ ثَناؤه إنَّما أعْلَمَ المُخاطَبينَ بهذه الآية أنَّ يوم القيامة يومٌ لا فِدْية لِمَنْ استَحَقّ من خَلْقه عُقوبَته، ولا شَفاعة فيه،

---

(١) [ضعيف] فيه رجل من بني أمية مبهم، وشيخ المصنف ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

ولا ناصِر له. وذلك أنَّ ذلك قد كان لهم في الدُّنيا، فَأَخْبَرَ أنَّ ذلك يوم القيامة معدوم لا سَبيل لهم إليه.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾

وأمَّا تأويلُ قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ فإنَّه عَطْف على قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾ فَكأنَّه قال: اذْكُروا نِعْمَتيَ التي أنْعَمْتُ عليكُم، واذْكُروا إنْعامنا عليكُم إذْ نَجَّيْناكُم من آل فرعونَ بإنْجائِنا لكم منهم.

وَأمَّا: ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ فإنَّهم أهل دينه وقَوْمهُ وأشياعهُ. وَأصْل ﴿ءَالِ﴾: أهل، أُبْدِلَتِ الهاء هَمْزة، كما قالوا: ماءَ، فَأبْدَلوا الهاء هَمْزة، فإذا صَغَّروه قالوا: مويهٌ. فَرَدُّوا الهاء في التَّصْغير وأخْرَجوه على أصْله. وكذلك إذا صَغَّروا (آلاً)، قالوا: أُهَيْل. وقد حُكيَ سَماعًا من العرب في تَصْغير (آل): أوَيْل. وقد يُقال: فُلان من آل النِّساء، يُراد أنَّه منهُنَّ خُلِق، ويُقال ذلك أيْضًا بِمعنى أنَّه يُريدهُنَّ ويَهْواهُنَّ، كما قال الشَّاعِر:

فَإنَّكَ مِن آلِ النِّساءِ وإنَّما ... يكُنَّ لأدْنَى لا وِصالَ لِغائِبِ[١]

وَأحسَن أماكِن ﴿ءَالِ﴾ أنْ يُنْطَق به مع الأسماء المَشْهورة، مِثْل قولِهِمْ: آل النَّبيِّ مُحَمَّد ﷺ وآل عَليّ، وآل العَبَّاس، وآل عُقَيْل. وغَيْرُ مُسْتَحْسَن استِعْماله مع المَجْهول، وفي أسْماء الأرَضينَ وما أشْبَه ذلك. غَيْرُ حَسَنٍ عند أهل العِلْم بِلِسانِ العرب أنْ يُقال: رَأيْتُ آل الرَّجُل، وزَارني آل المَرْأة. ولا: رَأيْتُ آل البَصْرة، وآل الكوفة. وقد ذُكِرَ عن العربِ سَماعًا أنَّها تَقول: رَأيْتُ آل مَكّة وآل المَدينة. ولَيْسَ ذلك في كَلامهم بالمُسْتَعْمَلِ الفاشي.

وَأمَّا ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فإنَّه يُقال: إنَّه اسم كانتْ مُلوك العَمالِقة بِمِصْرَ تُسْمَى به، كما كانتْ مُلوك الرُّوم يُسَمَّى بعضهم قَيْصَر وبعضُهم هِرَقْل. وكَما كانتْ مُلوكُ فارِسَ تُسَمَّى الأكاسِرة واحِدهم كِسْرَى، ومُلوكُ اليَمَن تُسَمَّى التَّبابِعة واحِدهم تُبَّع.

وَأمَّا فرعون موسَى الذي أخْبَرَ الله تعالى ذكرُه عن بَني إسرائيلَ أنَّه نَجَّاهم منه فإنَّه يُقال: إنَّ اسمه الذي هو اسمه الوَليد بن مُصْعَب، كذلك ذَكَرَ مُحَمَّدُ بن إسحاقَ أنَّه بَلَغَه عن اسمه.

٨٩٠- **حَدَّثَنا** بِذلك مُحَمَّد بن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق[٢].

وقد قيل: إنَّ اسمَه مُصْعَب بن الرَّيَّان.

وَإنَّما جازَ أنْ يُقال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ والخِطاب به لِمَنْ لم يُدْرِك فرعون ولا المُنَجَّينَ منه؛ لأنَّ المُخاطَبينَ بِذلك كانوا أبناء مَنْ نَجاهم من فرعون وقَوْمه، فَأضافَ ما كان من نِعَمه على آبائِهم إليهم، وكذلك ما كان من كُفْران آبائِهم على وجهِ الإضافة، كما يقولُ القائِلُ

---

(١) [الطويل] القائل: غير معروف. المعنى: يقول الشاعر أنت من آل النساء ومشاعرك تشبه مشاعرهن؛ فإنهن إن قرب المرء منهن كسب وصالهن وإن غاب عنهن فَقَدَ منهن الوصل.

(٢) [ضعيف] فهو من بلاغات ابن إسحاق، والسند إليه ضعيف فيه محمد بن حميد.

لآخَرَ: فَعَلْنا بِكُم كذا وكذا، وفعَلْنا بِكُم كذا، وقَتَلْناكُم وسَبيناكُم، والمُخْبِرُ إمَّا أنْ يكون يَعْني قَوْمَه وعَشيرَتَه بذلك، أو أهل بَلَده ووَطَنِه، كان المَقولُ له ذلك أدْرَكَ ما فُعِلَ بهم من ذلك أو لم يُدْرِكْه، كما قال الأخْطَل يُهاجي جَرير بن عَطيّة:

وَلَقد سَما لكم الهُذَيْل فَنالكمْ ... بِإرابَ حَيْثُ يُقَسِّمُ الأنْفالا
في فَيْلَقٍ يَدْعو الأراقِمَ لم تَكُنْ ... فُرْسانُه عُزْلاً ولا أكْفالا[١]

وَلَم يَلْقَ جَرير هُذَيْلاً ولا أدْرَكَه، ولا أدْرَكَ إرابَ ولا شَهِدَه، ولَكِنَّه لَمَّا كان يومًا من أيَّام قَوْم الأخْطَلِ على قَوْم جَرير، أضافَ الخِطاب إليه وإلى قَوْمه، فَكَذلك خِطاب الله عَزَّ وجَلَّ مَنْ خاطَبَه بِقولِه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ لَمَّا كان فِعْلُه ما فَعَلَ من ذلك بقومِ مَنْ خاطَبَه بالآيةِ وآبائِهم، أضافَ فِعْلَهُ ذلك الذي فَعَلَه بِآبائِهم إلى المُخاطَبينَ بالآيةِ وقَوْمِهِمْ.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وفي قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ وجهانِ من التَّأويل:

أَحَدهما: أنْ يكون خَبَرًا مُسْتأنَفًا عن فِعْل فرعون بِبَني إسرائيل، فَيكون معناه حينَئِذٍ: واذْكُروا نِعْمَتيَ عليكُم إذْ نَجَّيْنَاكُم من آلِ فرعون، وكانوا من قَبْلُ ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ سوء العَذاب.

وَإذا كان ذلك تأويله كان موضِع ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ رَفْعًا.

والوَجْه الثَّاني: أنْ يكون ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ حالاً، فَيكون تأويلُه حينَئِذٍ: وإذْ نَجَّيْناكُم من آل فرعون سائِميكُم سوءَ العَذاب. فَيكونُ حالاً من ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

وَأمَّا تأويل قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ فإنَّه: يورِدونَكُم، ويُذيقونَكُم، ويُولُونَكُم، يُقال منه: سامَهُ خُطَّةَ ضَيْم: إذا أولاه ذلك وأذاقَه، كما قال الشَّاعِر:

إنْ سيمَ خَسْفًا وجهه تَرَبَّدا[٢]

---

(١) [الكامل] القائل: الأخطل. غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. تقدم. اللغة: نالكم: أصاب منكم. إراب: موضع ماء. الأنفالا: جمع (نفل) وهي الغنائم. الفيلق: الكتيبة العظيمة. الأراقم: جمع أرقم وهو أخبث الحيات، وأشدها ترقدا وطلبا للناس، وقصد بهم الشاعر: جشم ومالك والحارث وثعلبة ومعاوية وعمرو. أبناء بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، رهط الهذيل. وإنما سموا الأراقم لأن كاهنتهم نظرت إليهم وهم صبيان، وكانوا تحت دثار لهم، فكشفت الدثار، فلما رأتهم قالت: (كأنهم نظروا إلى بعيون الأراقم). العُزْل: جمع أعزل وهو الذي لا سلاح معه. الأكفال: جمع كِفْل وهو الذي لا يثبت على متن فرسه، ولا يحسن الركوب. المعنى: يعير الأخطلُ جريرَ بتلك الحادثة عندما غزا الهذيل بن هبيرة التغلبي بني يربوع فقتل منهم خلقا كثيرا وسبى منهم وكان منهم (الخطفي) جد جرير؛ فأصبح يعير أولاد (الخطفي) بتلك الحادثة.

(٢) [الرجز] القائل: هو عمرو بن سالم بن كلثوم الخزاعي قاله أبو عمر وقال هشام بن الكلبي: عمرو بن سالم بن حضيرة الشاعر. القائل:

يَا رَبِّ إنّي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الأَتْلَدَا

وأما ابن منده وأبو نعيم فلم ينسباه إنما قالا: عمرو بن سالم الخزاعي الكعبي، المناسبة التي قبل فيها القصيدة عندما دخل النبي ﷺ مكة فاتحا؛ وكان عمرو الخزاعي قد هجا النبي ﷺ؛ فأهدر النبي دمه؛ فلما دخل النبي مكة قال عمرو

وَأَمَّا تأويل قولِه: ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ فإنّه يَعْني: ما ساءَهم من العَذاب. وقد قال بعضُهم: أشَدَّ العَذاب. ولو كان ذلك معناه لَقِيلَ: أسوَأ العَذاب.

فإنْ قال لنا قائِل: وما ذلك العَذابُ الذي كانوا يَسومونَهم؟

قِيلَ: هو ما وصَفَه الله تعالى ذكرُه في كِتابه فَقال: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾ وقد قال مُحَمَّد بن إسحاق في ذلك ما:

٨٩١- **حَدَّثنا** به ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: حدَّثَنا ابن إسحاق، قال: كان فرعون يُعَذِّب بَني إسرائيلَ فَيجعَلهم خَدَمًا وخَوَلاً، وصَنَّفَهم في أعْمالِه؛ فَصِنفٌ يَبنونَ، وصِنفٌ يَزْرَعونَ له، فَهم في أعْماله، ومَنْ لم يكُنْ منهم في صَنْعة له من عَمَله فَعليه الجِزْيةُ، فَسامَهم كما قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾[(١)].

وَقال السُّدِّيّ: جَعَلَهم في الأعْمال القَذِرة، وجَعَلَ يُقَتِّل أبناءَهم، ويَسْتَحْيي نِساءَهم.

٨٩٢- **حَدَّثَني** بِذلك موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ عن السُّدِّيّ[(٢)].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾

وَأضافَ الله جَلَّ ثَناؤه ما كان من فِعْل آل فرعون بِبَني إسرائيل - من سَوْمِهم إيَّاهم سوء العَذاب وذَبْحهم أبناءَهم واستِحْيائِهم نِساءَهم - إليهم دون فرعون - وإنْ كان فِعْلهم ما فَعَلوا من ذلك كان بِقوَّةِ فرعون وعن أمْره - لِمُباشَرَتِهم ذلك بِأنْفُسِهم، فَبَيَّنٌ بِذلك أنَّ كُلَّ مُباشِرٍ قَتْلَ نَفْس أو تَعْذيب حَيٍّ بِنَفْسِه وإنْ كان عن أمْرِ غَيْرِه، فَفاعِله المُتَوَلِّي ذلك هو المُسْتَحِقُّ إضافةَ ذلك إليه، وإنْ كان الآمِرُ قاهِرًا الفاعِلَ المَأمورَ بِذلك - سُلْطانًا كان الآمِرُ أو لِصًّا حارِبًا أو مُتَغَلِّبًا فاجِرًا - كما أضافَ جَلَّ ثَناؤه تذْبيحَ أبناءِ بَني إسرائيلَ واستِحْياء نِسائِهم إلى آل فرعون دون فرعون، وإنْ كانوا بِقوَّةِ فرعون وأمْرِه إيَّاهم بِذلك فَعَلوا ما فَعَلوا مع غَلَبَته إيَّاهم وقَهْره لهم، فَكَذلك كُلُّ قاتِل نَفْسًا بِأمْرِ غَيْره ظُلْمًا فهو المَقْتول عندنا قِصاصًا، وإنْ كان قَتْلُه إيَّاها بِإكْراه غَيْره له على قَتْله.

وَأمَّا تَأويلُ ذَبْحهم أبناء بَني إسرائيل، واستِحْيائِهم نِساءَهم، فإنّه كان فيما ذُكِرَ لنا عن ابن عَبَّاس وغَيْره كالذي:

٨٩٣- **حَدَّثَنا** به العَبَّاس بن الوَليد الآمُليُّ وتَميم بن المُنْتَصِر الواسِطيُّ، قالا: حَدَّثَنا يَزيد بن

تلك القصيدة:

يَـا رَبِّ إنِّـي نَـاشِـدٌ مُـحَـمَّـدًا حِـلْـفَ أَبِـيـنَـا وَأَبِـيـهِ الأَتْـلَـدَا

فقال النبي ﷺ: «نُصِرْتَ يَا عَمْرو بْنُ سَالِم». اللغة: الخسف: الظلم والإذلال والهوان. وجهه تربدا: تلون من الغضب وتغير، كأنما تسود منه مواضع. المعْنى: يقول الشاعر: إن ظهر علَيه الظلم والإذلال والهوان تلون وجهه من الغضب وتغير كأنما تسود منه مواضع.

(١) [ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

هارونَ، قال: أخبرَنا الأصْبَغُ بن زَيْد، قال: حَدَّثَنا القاسِم بن أيوب، قال: حَدَّثَنا سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: تَذاكُر فرعون وجُلَساؤه ما كان اللهُ تعالى ذكره وعَدَ إبراهيم خَليله عليه السلام أنْ يجْعَل في ذُرِّيَّته أنْبياءَ ومُلوكًا فائتَمَروا، وأجْمَعوا أمْرهم على أنْ يَبْعَث رِجالاً معهم الشِّفارُ، يَطوفونَ في بَني إسرائيل، فلا يجِدونَ مولودًا ذَكَرًا إلاَّ ذَبَحوه، فَفَعَلوا، فَلَمَّا رَأوا أنَّ الكِبارَ من بَني إسرائيل يَموتونَ بِآجالِهم، وأنَّ الصِّغار يُذْبَحونَ، قال: توشِكونَ أنْ تُفْنُوا بَني إسرائيلَ فَتَصيروا إلى أنْ تُباشِروا من الأعْمال والخِدْمة ما كانوا يكْفونَكُم، فاقْتُلوا عامًا كُلَّ مولودٍ ذَكَر فَتَقِلُّ أبناؤُهم ودَعوا عامًا. فَحَمَلَتْ أمّ موسَى بَهارونَ في العام الذي لا يُذْبَح فيه الغِلْمان، فَوَلَدَتْه عَلانية آمِنَةً، حتَّى إذا كان القابِل حَمَلَتْ بِموسَى [١]. وَقد:

٨٩٤- **حَدَّثَنا** عبد الكَريم بن الهَيْثَم، قال: حَدَّثَنا إبراهيم بن بَشَّار الرَّماديُّ، قال: حَدَّثَنا سُفْيان بن عُيَيْنَةَ، قال: حَدَّثَنا أبو سَعد، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: قالتِ الكَهَنة لِفرعون: إنَّه يولَد في هذه العام مولودٌ يَذْهَب بِمُلْكِك. قال: فَجَعَلَ فرعونُ على كُلِّ ألف امْرَأة مِائةَ رَجُلٍ، وعلى كُلِّ مِائةٍ عَشَرةً، وعلى كُلِّ عَشَرةٍ رَجُلاً؛ فَقال: انظُروا كُلَّ امْرَأة حامِلٍ في المَدينة، فَإذا وضَعَتْ حَمْلها فانظُروا إليه، فَإنْ كان ذَكَرًا فاذْبَحوه، وإنْ كان أُنْثَى فَخَلُّوا عنها. وذلك قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [٢].

٨٩٥- **حَدَّثَني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ قال: إنَّ فرعون مَلَكَهم أرْبَعمِائةِ سَنة، فَقالتِ الكَهَنة: إنَّه سَيولَدُ العامَ بِمِصْرَ غُلامٌ يكون هَلاكك على يَدَيْه. فَبَعَثَ في أهل مِصْرَ نِساءً قَوابِلَ، فَإذا ولَدَتْ امْرَأةٌ غُلامًا أُتِيَ به فرعونُ فَقَتَلَه ويَسْتَحْيي الجَواريَ [٣].

---

(١) [صحيح] رجاله كلهم ثقات عدا الآملي، وقد توبع، وسنده متصل.

(٢) [ضعيف] إبراهيم بن بشار الرمادي أبو إسحاق البصري، قال معاوية بن صالح: سألت يحيى بن معين عنه، فقال: ليس بشيء. لم يكن يكتب عند سفيان، و ما رأيت فى يده قلما قط. و كان يملى على الناس ما لم يقله سفيان. وقال عباس الدورى عن يحيى بن معين: رأيت الرمادى ينظر فى كتاب وابن عيينة يقرأ و لا يغير شيئا، ليس معه ألواح ولا دواة. و قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبى يقول: كأن سفيان الذى يروى عنه إبراهيم بن بشار، ليس هو سفيان بن عيينة. وقال أيضا: سمعت أبى ذكر إبراهيم بن بشار الرمادى فقال: كان يحضر معنا عند سفيان بن عيينة، فكان يملى على الناس ما يسمعون من سفيان، و كان ربما أملى عليهم ما لم يسمعوا. و يقول: كان يغير الألفاظ فيكون زيادة ليس فى الحديث أو كما قال. قال أبى: فقلت له يوما: ألا تتقى الله ويحك! تملى عليهم ما لم يسمعوا؟ و لم يحمده أبى فى ذلك و ذمه ذما شديدا.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب قال: إن فرعون ملكهم أربعمائة سنة فقالت له الكهنة: سيولد العام غلام بمصر هلاكك على يديه، فبعث في أهل مصر نساء قوابل، فإذا ولدت امرأة غلاما أتي به فرعون فقتله. ويستحيي الجواري. اهـ.

٨٩٦- حدّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق بن الحَجَّاج، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس في قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الآية، قال: إنَّ فرعون مَلَكَهم أربَعمِائةِ سَنةٍ، وإنَّه أتاه آتٍ، فقال: إنَّه سَيَنْشَأُ في مِصْر غُلام من بَني إسرائيل فَيَظْهَر عليك ويكون هَلاكُك على يَدَيْه. فَبَعَثَ في أهلِ مِصْرَ نِساءً. فَذَكَرَ نَحْو حَديث آدَم (١).

٨٩٧- حدّثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ بن نَصْر عن السُّدِّيِّ، قال: كان من شَأن فرعون أنَّه رَأى رُؤْيا في مَنامه أنَّ نارًا أقْبَلَتْ من بَيْت المَقْدِس حتَّى اشْتَمَلَتْ على بُيوت مِصْر، فَأحرَقَتِ القِبْط، وتَرَكَتْ بَني إسرائيل، وأَخْرَبَتْ بُيوتَ مِصْر، فَدَعا السَّحَرة والكَهَنةَ والقافة والحازة، فَسَألَهم عن رُؤياه، فَقالوا له: يَخْرَج من هذا البلَد الذي جاء بَنو إسرائيل منه - يَعْنونَ بَيْت المَقْدِس - رَجُلٌ يكون على وجهِهِ هَلاكُ مِصْر. فَأمَرَ بِبَني إسرائيلَ ألاَّ يولَد لهم غُلامٌ إلاَّ ذَبَحوه، ولا تُولَد لهم جاريةٌ إلاَّ تُرِكَتْ. وقال لِلْقِبْطِ: انظُروا مَمْلوكيكُم الذينَ يَعْمَلونَ خارِجًا فَأدْخِلوهم، واجْعَلوا بَني إسرائيل يَلونَ تِلْكَ الأعْمالَ القَذِرَةَ. فَجَعَلَ بَني إسرائيلَ في أعْمال غِلْمانهم، وأدْخَلوا غِلْمانهمْ؛ فَذلك حين يقول الله تَبارَكَ وتعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: تَجَبَّرَ في الأرض، ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾، يَعْني: بَني إسرائيل، حين جَعَلَهم في الأعْمال القَذِرة، ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤] فَجَعَلَ لا يولَد لِبَني إسرائيل مولودٌ إلاَّ ذُبِحَ فلا يَكْبَر الصَّغير. وقَذَفَ الله في مَشْيَخةِ بَني إسرائيل الموت، فَأسرَعَ فيهم. فَدَخَلَ رُءوس القِبْط على فرعون، فَكَلَّموه، فقالوا: إنَّ هؤلاءِ قد وقَعَ فيهم الموتُ، فَيوشَك أنْ يَقَع العَمَل على غِلْماننا بِذَبْحِ أبنائِهم فلا تَبْلُغ الصِّغار وتَفْنَى الكِبار، فَلو أنَّك كُنْت تُبْقي من أولادهمْ. فَأمَرَ أنْ يُذْبَحوا سَنة ويُتْرَكوا سَنة. فَلَمَّا كان في السَّنة التي لا يُذَبَّحونَ فيها وُلِدَ هارونَ، فَتُرِكَ؛ فَلَمَّا كان في السَّنة التي يُذبَّحونَ فيها حَمَلَتْ بِموسَى (٢).

٨٩٨- حدّثنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، قال: ذُكِرَ لي أنَّه لَمَّا تَقارَبَ زَمان موسَى أتَى مُنَجِّمو فرعون وحُزاتُه إليه، فَقالوا: تَعَلَّمْ أنَّا نَجِد في عِلْمنا أنَّ مولودًا من بَني إسرائيل قد أظَلَّك زَمانه الذي يولَد فيه، يَسْلُبك مُلْكك ويَغْلِبك على سُلْطانك، ويُخْرِجك من أرْضك، ويُبَدِّل دينك. فَلَمَّا قالوا له ذلك، أمَرَ بِقَتْلِ كُلِّ مولودٍ يولَد من بَني إسرائيل من الغِلْمان، وأمَرَ بالنِّساءِ يُسْتَحْيَيْنَ. فَجمع القَوابِلَ من نِساء أهلِ مَمْلَكَتِه، فَقال لهُنَّ: لا يَسْقُطُ على أيْديكُنَّ غُلامٌ من بَني إسرائيلَ إلاَّ قَتَلْتُمُوه. فَكُنَّ يَفْعَلْنَ ذلك، وكان يَذْبَحُ من فَوْق ذلك من الغِلْمان، ويَأمُر بالحَبالَى فَيُعَذَّبنَ حتَّى يَطْرَحْنَ ما في بُطونهنَّ (٣).

٨٩٩- حدّثنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي

---

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا السند ضعيف من أجل المثنى مجهول الحال.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

نَجيح، عن مُجاهِد، قال: لَقد ذُكِرَ أنَّه كان ليَأمُر بالقصَبِ فيُشَقُّ حتَّى يُجعَلَ أمْثال الشفارِ، ثُمَّ يُصَفُّ بعضه إلى بعض، ثُمَّ يُؤتَى بالحَبالَى من بَني إسرائيل، فيوقَفْنَ عليه فيَحُزُّ أقْدامهنَّ، حتَّى إنَّ المَرْأة منهُنَّ لَتَمْصَعُ بوَلَدِها فيَقَعُ بين رِجلَيْها، فتَظِلُّ تَطَؤه تَتَّقي به حَدَّ القَصَبِ عن رِجْليها؛ لِما بَلَغَ من جَهْدها. حتَّى أسرَفَ في ذلك وكادَ يُفْنِيهم، فأمَرَ أنْ يُقتَل الغِلْمانُ عامًا ويُستَحيَوْا عامًا. فوُلِدَ هارونُ في السَّنة التي يُستَحيا فيها الغِلْمانُ، ووُلِدَ موسَى في السَّنة التي فيها يُقتُلون (١).

فالذي قاله مَنْ ذَكَرْنا قوله من أهل العِلْم كان ذَبحَ آل فرعونَ أبناء بَني إسرائيل واستِحياؤُهم نِساءَهم، فتأويل قوله إذن - على ما تأوَّلَه الذينَ ذَكَرْنا قولهمْ - ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: يَستَبقونَهُنَّ فلا يَقتُلونَهُنَّ.

وَقد يجِب على تأويل مَنْ قال بالقولِ الذي ذَكَرْنا عن ابن عَبَّاس وأبي العالية والرَّبيع بن أنَس والسُّدّيّ في تأويل قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: أنَّه تَركُهم الإناثَ من القَتْلِ عند وِلادَتهنَّ إيَّاهُنَّ - أنْ يكون جائِزًا أنْ تُسَمَّى الطِّفْلُ من الإناثِ في حال صِباها وبعد وِلادها امْرَأة، والصَّبايا الصِّغار وهُنَّ أطفالٌ: نِساءً؛ لأنَّهم تأوَّلوا قول الله جَلَّ وعَزَّ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: يَستَبقونَ الإناث من الوِلْدانِ عند الوِلادة فلا يَقتُلونَهُنَّ.

وَقد أنكَرَ ذلك من قولهم ابنُ جُرَيْج، فقال بما:

٩٠٠- **حدَّثَنابه** القاسِمُ، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن داود، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ قال: يَسْتَرِقونَ نساءَكُمْ (٢).

فَحادَ ابن جُرَيْج بِقولِه هذا عَمَّا قاله من ذَكَرنا قولَه في قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ إنَّه استِحْياء الصَّبايا الأطفال، إذْ لم يَجدهُنَّ يَلْزَمهُنَّ اسمُ نِساء. ثُمَّ دَخَلَ فيما هو أعظَم مِمَّا أنْكَرَ بتأويلِه ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: ويَسْتَرِقُّونَ. وذلك تأويل غَيْرُ موجود في لُغة عَرَبيَّة ولا أعْجَميَّة، وذلك أنَّ الاستِحْياء إنَّما هو استِفْعالٌ من الحَياة نَظيرُ الاستِبْقاءِ من البقاء والاستِسْقاءِ من السَّقْي، وهو من معنى الاستِرْقاق بمعزِلٍ.

وَقد تأولَ آخَرونَ قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ بِمعنى يُذَبِّحونَ رِجالكُم أبناءَ أبنائِكُمْ. وأنْكَروا أنْ يكون المَذْبوحونَ الأطفال، وقد قَرَنَ بهم النِّساءَ، فقالوا: في إخبار الله جَلَّ ثَناؤه أنَّ المُسْتَحيَيْنَ هم النِّساءُ، الدَّلالَةُ الواضِحةُ على أنَّ الذينَ كانوا يُذَبِّحونَ هم الرِّجالُ دون الصِّبْيان؛ لأنَّ المُذَبَّحينَ لو كانوا هم الأطفال لَوَجَبَ أنْ يكون المُستَحيونَ هم الصَّبايا. قالوا: وفي إخبار الله عَزَّ وجَلَّ أنَّهم النِّساء ما يُبَيِّنُ عن أنَّ المُذَبَّحينَ هم الرِّجال.

وَقد أغفَلَ قائِلو هذه المَقالةِ - مع خُروجهم من تأويل أهل التَّأويل من الصَّحابة والتَّابِعينَ - موضِعَ الصَّوابِ، وذلك أنَّ الله جَلَّ ثَناؤه قد أخْبَرَ عن وحْيه إلى أم موسَى أنَّه أمَرَها أنْ تُرْضِع

(١) [ضعيف]محمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٢) [ضعيف]من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

موسَى، فإذا خافتْ عليه أنْ تُلقيَه في التَّابوت، ثُمَّ تُلقيه في اليَمِّ، فمعلومٌ بذلك أنَّ القَوْم لو كانوا إنَّما كانوا يَقتُلونَ الرِّجالَ ويَترُكونَ النِّساءَ، لم يكُنْ بِأُمِّ موسَى حاجة إلى إلْقاء موسَى في اليَمِّ، أو لو أنَّ موسَى كان رَجلًا لم تَجْعَله أُمُّه في التَّابوت.

وَلَكِنْ ذلك عندنا على ما تأوَّلَه ابن عَبَّاس ومن حُكينا قولَه قَبْلُ من ذَبْح آل فرعونَ الصِّبْيانَ وتَرْكهم من القَتْل الصَّبايا. وإنما قِيلَ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ إذْ كان الصَّبايا داخِلاتٍ مع أُمَّهاتهنَّ - وأُمَّهاتُهنَّ لا شَكَّ نِساء - في الاستِحْياء، لأنَّهم لم يكونوا يَقْتُلونَ صِغار النِّساء ولا كِبارهنَّ، فَقِيلَ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ يَعْني بِذلك: الوالِدات والمولودات، كما يُقال: قد أقْبَلَ الرِّجالُ. وإنْ كان فيهم صِبْيان. فكَذلك قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾. وأمَّا من الذُّكور فإنه لَمَّا لَم يكُنْ يُذْبَح إلاَّ المولودونَ قِيلَ: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ ولم يَقُلْ: يُذَبِّحونَ رِجالَكُمْ.

القول في تأويل قوله تعالى ذكرُه: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

قَالَ أبو جَعْفَر: أمَّا قولُه: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. فإنّه يَعْني: وفي الذي فَعَلْنا بِكُم من إنْجائِنا كم مِمَّا كُنْتُم فيه من عَذاب آل فرعونَ إيَّاكُم - على ما وَصَفْتُ - بَلاءٌ لكم من رَبِّكُم عَظيمٌ.

وَيَعْني بِقولِه: ﴿بَلَآءٌ﴾: نِعْمةٌ، كَما:

٩٠١- **حَدَّثني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا أبو صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قولَه: ﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. قال: نِعْمةٌ[١].

٩٠٢- **وَحَدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ في قوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: أمَّا البلاء فالنِّعْمةُ[٢].

٩٠٣- **وَحَدَّثَنا** سُفْيان بن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن سُفْيان، عن رَجُل، عن مُجاهِد: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. قال: نِعْمةٌ من رَبِّكُم عَظيمةٌ[٣].

٩٠٤- **حَدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْلَ حَديثِ سُفْيان[٤].

٩٠٥- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. قال: نِعْمةٌ عَظيمةٌ[٥].

وَأصْلُ البلاء في كَلام العرب: الاختِبارُ والامْتِحان، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ في الخَيْرِ والشَّرِّ، لأنَّ

---

(١) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه.
(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٣) [ضعيف] فيه مبهم، وسفيان بن وكيع ضعيف.
(٤) [ضعيف] المثنى مجهول الحال، وأبي حذيفة يكتب حديثه.
(٥) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

الامتِحانَ والاختِبارَ قد يكونُ بالخَيْرِ كما يكونُ بالشَّرِّ، كما قال الله جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. يقول: اختَبَرْناهم، وكما قال جَلَّ ثناؤه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]. ثُمَّ تُسَمِّي العربُ الخَيْرَ بَلاءً، والشَّرَّ بَلاءً، غَيْرَ أنَّ الأكثَرَ في الشَّرِّ أنْ يُقال: بَلَوتُه أبلُوه بَلاءً، وفي الخَيْرِ: أبلَيْتُه أبْلِيه إبلاءً وبَلاءً. ومن ذلك قولُ زُهَيْر بن أبي سُلْمَى:

جَزَى اللهُ بالإحسانِ ما فَعَلا بِكُمْ   فأبْلاهُما خَيْرَ البلاءِ الذي يَبْلُو [(١)]

فَجَمع بين اللُّغَتَيْنِ؛ لأنَّه أرادَ: فَأنْعَمَ اللهُ عليهِما خَيْرَ النِّعَم التي يَخْتَبِرُ بها عِبادَه.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾

أمَّا تأويلُ قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾. فإنه عَطْفٌ على: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾، بمعنى: واذْكُروا نِعْمَتيَ التي أنْعَمْتُ عليكُم، واذْكُروا إذْ نَجَّيْناكُم من آل فرعونَ، وإذْ فَرَقْنا بِكُم البحْرَ.

وَمعنى قولِه: ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ﴾: فَصَلْنا بِكُم البحْرَ؛ لأنَّهم كانوا اثْنَيْ عَشَرَ سِبْطًا، فَفَرَقَ البحْرَ اثْنَيْ عَشَرَ طَريقًا، فَسَلَكَ كُلُّ سِبْط منهم طَريقًا منها، فَذلك فَرْقُ اللهِ جلَّ ثناؤه بهم البحْرَ، وفَصْلُه بهم بتَفْريقِهم في طُرُقِه الاثْنَيْ عَشَرَ. كَما:

٩٠٦- **حَدَّثني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرٌو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: لَمَّا أتى موسَى البحْرَ كَنَّاه أبا خالِدٍ، وضَرَبَه فانفَلَقَ فَكان كُلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظيم، فَدَخَلَتْ بَنو إسرائيلَ، وكان في البحْر اثْنا عَشَرَ طَريقًا، في كُلِّ طَريقٍ سِبْطٌ [(٢)].

وَقد قال بعضُ نَحْويِّي البصْرة: معنى قولِه: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: فَرَقْنا بينَ الماءِ وبينَكم، يُريد بِذلك: فَصَلْنا بينَكُم وبينَه وحَجَزْنا حَيْثُ مَرَرْتُم فيه.

وَذلك خِلافُ ما في ظاهِرِ التِّلاوة؛ لأنَّ اللهَ جَلَّ ثَناؤه إنَّما أخْبَرَ أنَّه فَرَقَ البحْرَ بالقَوْمِ، ولم يُخْبِرْ أنَّه فَرَقَ بين القَوْم وبين البحر، فَيكونَ التأويلُ ما قاله قائِلُ هذه المَقالةِ، وفَرْقُه البحْرَ بالقَوْمِ، إنَّما هو تَفْريقُه البحْرَ بهم على ما وصَفْنا من افتِراق سُبُلِه بهم على ما جاءَتْ به الآثارُ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾

---

(١) [الطويل] القائل: زهير بن أبي سلمى (جاهلي). اللغة: البلاء: بَلَوْتُ الرجلَ بَلْوًا وبَلاءً وابْتَلَيْته اخْتَبَرْته وبَلاهُ يَبْلُوه بَلْوًا إذا جَرَّبَه واخْتَبَره، والبَلاءُ يكون في الخير والشر يقال ابْتَلَيته بلاءً حسنًا وبَلاءً سيِّئًا، والله تعالى يُبْلِي العبدَ بَلاءً حسنًا ويُبْلِيه بلاءً سيِّئًا.

وجاء البيت في ديوان زهير بتلك الرواية:

رَأى اللَّهُ بِالإِحسانِ ما فَعَلا بِكُم   فَأَبلاهُما خَيرَ البَلاءِ الَّذي يَبلو

والمعنى: يدعو الشاعر بأن ينعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده، وقد جمع الشاعر هاهنا بين البلاء الذي هو للخير والبلاء الذي هو للشر.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

إنْ قال لنا قائِلٌ: وكيفَ غرَّقَ اللهُ آلَ فرعونَ، ونَجَّى بَني إسرائيل؟

قِيلَ: كما:

٩٠٧- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن كَعْب القُرَظيّ، عن عبد الله بن شَدَّاد بن الهادِ، قال: لَقد ذُكِرَ لي أنَّه خَرَجَ فرعون في طَلَب موسَى على سَبْعينَ ألفًا من دُهْم الخَيْل سِوَى ما في جُنْده من شِيَة الخَيْل؛ وخَرَجَ موسَى، حتَّى إذا قابَلَه البحْرُ فلم يكُنْ له عنه مُنصَرَف، طَلَعَ فرعون في جُنْده من خَلْفهم، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ﴾ موسَى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١- ٦٢] أيْ: لِلنَّجاةِ - وقد وعَدَني ذلك ولا خُلْفَ لِوَعْدِهِ(١).

٩٠٨- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني مُحمَّدُ بن إسحاق، قال: أوحَى اللهُ جلَّ وعزَّ - فيما ذُكِرَ لي - إلى البحْر: إذا ضَرَبَك موسَى بِعَصاه فانفَلِقْ له. قال: فَباتَ البحْرُ يَضْرِبُ بعضه بعضًا فَرَقًا من الله وانتِظارَهُ أمْرَه، فَأوحَى اللهُ إلى موسَى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ﴾ [الشعراء: ٦٣] فَضَرَبَه بها وفيها سُلْطان اللهِ الذي أعطاه، ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣] أي: كالجَبَلِ على نشَزٍ من الأرض. يقول الله لِموسَى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۝﴾ [طه: ٧٧] فَلَمَّا استَقَرَّ له البحْر على طَريق قائِمة يَبَسٍ سَلَكَ فيه موسَى بِبَني إسرائيل، وأتْبَعَه فرعونُ بِجُنودِهِ(٢).

٩٠٩- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن كَعْب القُرَظيّ، عن عبد الله بن شَدَّاد بن الهادِ اللَّيْثيّ، قال: حُدِّثْتُ أنَّه لَمَّا دَخَلَت بَنو إسرائيل البحْر، فَلم يَبْقَ منهم أحَد، أقْبَل فرعونُ وهو على حِصان له من الخَيْل حتَّى وقَفَ على شَفير البحْر، وهو قائِمٌ على حاله، فَهابَ الحِصانُ أنْ يَنْفُذ؛ فَعَرَضَ له جِبْريل عليه السلام على فَرَس أُنثَى وديق، فَقَرَّبَها منه فَشَمَّها الفَحْلُ، فَلَمَّا شَمَّها قَدَّمَها، فَتَقَدَّمَ معه الحِصانُ عليه فرعون، فَلَمَّا رَأى جُنْد فرعونَ فرعونَ قد دَخَلَ، دَخَلوا معهُ وجِبْريل أمامه، وهم يَتْبَعونَ فرعون، وميكائيلُ على فَرَس من خَلْف القَوْم يَسْحذُهم، يقول: الحَقوا بِصاحِبِكُمْ. حتَّى إذا فَصَلَ جِبْريلُ من البحْر لَيْسَ أمامهُ أحَد، ووَقَفَ ميكائيل على ناحيَته الأُخْرَى ولَيْسَ خَلْفه أحَد، طَبَّق عليهم البحْر، ونادَى فرعونُ حين رَأى من سُلْطان اللهِ وقُدْرَته ما رَأى، وعَرَفَ ذُلَّه وخَذَلَتْه نَفْسه -: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠](٣).

٩١٠- **حَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن أبي إسحاق الهَمْدانيّ، عن عَمْرو بن مَيْمون الأوديّ في قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ

(١) [ضعيف] محمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣) [ضعيف] محمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾. قال: لَمَّا خَرَجَ موسَى بِبَني إسرائيل بَلَغَ ذلك فرعونَ، فقال: لا تَتْبَعوهم حتَّى يَصيح الدِّيك. قال: فَواللَّه ما صاحَ لَيْلَتئِذٍ ديك حتَّى أصْبَحوا فَدَعا بِشاةٍ فَذُبِحَتْ، ثُمَّ قال: لا أفرَغ من كَبِدها حتَّى يجتَمِع إلَيَّ سِتُّمائةِ ألف من القِبْط. فَلم يَفْرُغ من كَبِدها حتَّى اجْتَمع إليه سِتُّمائةِ ألفٍ من القِبْط. ثُمَّ سارَ، فَلَمَّا أتى موسَى البحْر، قال له رَجُل من أصْحابه يُقال له يوشَع بن نون: أيْنَ أمْرك رَبُّك يا موسَى؟ قال: أمامك. يُشير إلى البحْر. فَأقْحَم يوشَعُ فَرَسه في البحْر حتَّى بَلَغَ الغَمْر، فَذَهَبَ به، ثُمَّ رَجَعَ، فقال: أيْنَ أمْرك رَبُّك يا موسَى؟ فواللَّه ما كَذَبْتَ ولا كُذِبْتَ. فَفَعَلَ ذلك ثَلاث مَرَّات، ثُمَّ أوحَى اللهُ إلى موسَى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. يقول: مِثْل جَبَل. ثُمَّ سارَ موسَى ومَنْ معه وأتْبَعَهم فرعون في طَريقهم، حتَّى إذا تَتامُّوا فيه أطْبَقه الله عليهم، فَلِذلك قال: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال مَعْمَر: قال قَتادَةَ: كان مع موسَى سِتُّمائةِ ألف، وأتْبَعه فرعون على ألفِ ألفِ ومائتي ألف حِصان [(١)].

٩١١- حَدَّثَنا عبد الكَريم بن الهَيْثَم، قال: حَدَّثَنا إبراهيم بن بَشَّار الرَّماديّ، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، قال: قال أبو سَعدٍ، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: أوحَى اللهُ إلى موسَى أنْ أسرِ بِعِبادِيَ لَيْلاً إنَّكُم مُتَّبَعونَ. قال: فَسَرَى موسَى بِبَني إسرائيلَ لَيْلاً، فَأتْبَعَهم فرعون في ألف ألف حِصان سِوَى الإناث، وكان موسَى في سِتِّمائةِ ألف، فَلَمَّا عايَنَهم فرعون قال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤-٥٦] فَسَرَى موسَى بِبَني إسرائيلَ حتَّى هَجَموا على البحْر، فالتَفَتوا فَإذا هم بِرَهَجِ دَوابِّ فرعون فَقالوا: يا موسَى ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩] هذا البَحْر أمامنا، وهذا فرعون قد رَهِقَنا بِمن معه: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. قال: فَأوحَى اللهُ جَلَّ ثَناؤه إلى موسَى ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ وأوحَى إلى البحْر: أنْ اسمع لِموسَى وأطِعْ إذا ضَرَبَك. قال: فَباتَ البحْر له أفْكَلٌ - يَعْني: له رِعْدة - لا يَدْري من أيِّ جَوانِبه يَضْرِبه. قال: فَقال يوشَع لِموسَى: بِماذا أُمِرْت؟ قال: أُمِرْت أنْ أضْرِب البحْر. قال: فاضْرِبْهُ. قال: فَضَرَبَ موسَى البحْر بِعَصاه، فانفَلَقَ، فَكان فيه اثْنا عَشَر طَريقًا، كُلُّ طَريقٍ كالطَّوْدِ العَظيم، فَكان لِكُلِّ سِبْط منهم طَريقٌ يَأخُذونَ فيه، فَلَمَّا أخَذوا في الطَّريق، قال بعضهم لِبعضٍ: ما لنا لا نَرَى أصْحابنا! قالوا لِموسَى: أيْنَ أصْحابنا لا نَراهم؟ قال: سيروا فَإنَّهم على طَريقٍ مِثْل طَريقكُمْ. قالوا: لا نَرْضَى حتَّى نَراهم [(٢)].

قال سُفْيان، قال عَمَّار الدُّهْنِيُّ: - قال موسَى: اللَّهُمَّ أعِنِّي على أخْلاقهم السَّيِّئة. قال: فَأوحَى الله إليه: أنْ قُلْ بِعَصاك هَكَذا. وأومَأ إبراهيم بيَدِه يُديرها على البحْر - قال موسَى بِعَصاه

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٢) [ضعيف] فيه إبراهيم بن بشار الرمادي، تقدم الحديث عن روايته قبل خمسة عشر.

على الحيطان هَكَذا، فَصارَ فيها كِواءٌ يَنْظُر بعضهم إلى بعض.

قال سُفيان: قال أبو سَعدٍ، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: فَساروا حتَّى خَرَجوا من البحْر، فَلَمَّا جازَ آخر قَوْم موسَى هَجَمَ فرعون على البحْر هو وأصْحابه، وكان على فَرَس أدْهَم ذَنُوبِ حِصان. فَلَمَّا هَجَمَ على البحْر هابَ الحِصان أنْ يَتَقَحَّمَ في البحْر، فَمَثَلَ له جِبْريل عليه السلام على فَرَس أُنْثَى وديق. فَلَمَّا رَآها الحِصان تَقَحَّمَ خَلْفها. وقيلَ لِموسَى: اتْرُكْ البحْر رَهْوًا - قال: طُرُقًا على حاله - قال: ودَخَلَ فرعون وقَوْمه البحْرَ، فَلَمَّا دَخَلَ آخِرُ قَوْم فرعونَ وجازَ آخِر قَوْم موسَى أطْبَقَ البحْرُ على فرعونَ وقَوْمه فَأُغْرِقوا.

٩١٢- وحَدَّثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: أنَّ الله أمَرَ موسَى أنْ يَخْرج بِبَني إسرائيل، فَقال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الدخان: ٢٣] فَخَرَجَ موسَى وهارونَ في قَوْمهما، وأُلْقِيَ على القِبْط الموت، فَماتَ كُلُّ بِكْر رَجُل، فَأَصْبَحوا يَدْفِنونَهم، فَشُغِلوا عن طَلَبهم حتَّى طَلَعَتِ الشَّمْس، فَذلك حين يقول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠]. وكان موسَى على ساقة بَني إسرائيل، وكان هارونَ أمامهم يَقْدُمهم، فَقال المُؤمِن لِموسَى: يا نَبيَّ اللَّه، أيْنَ أُمِرْت؟ قال: البحْر. فَأرادَ أنْ يَقْتَحِم، فَمَنَعَه موسَى، وخَرَجَ موسَى في سِتِّمِائَةِ ألف وعِشْرينَ ألْفَ مُقاتِل - لا يَعُدونَ ابن العِشْرينَ لِصِغَرِه، ولا ابن السِّتِّينَ لِكِبَرِه، وإنما عَدُّوا ما بين ذلك سِوَى الذُّرِّيَّةِ - وتَبِعَهم فرعون على مُقَدِّمَته هامان في ألف ألف وسَبْعمِائةِ ألف حِصان لَيْسَ فيها ماديانة - يَعْني: الأُنْثَى - وذلك حين يقول اللهُ: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء: ٥٣- ٥٤] يَعْني: بَني إسرائيل، فَتَقَدَّمَ هارونَ، فَضَرَبَ البحْر، فَأبَى البحْر أنْ يَنْفَتِح، وقال: مَنْ هذا الجَبَّار الذي يَضْرِبني! حتَّى أتاه موسَى، فَكَنَاه أبا خالِدٍ وضَرَبَه فانفَلَقَ ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. يقول: كالجَبَلِ العَظيم. فَدَخَلَتْ بَنو إسرائيل، وكان في البحْر اثْنا عَشَرَ طَرِيقًا، في كُلِّ طَريق سِبْط - وكانتِ الطُّرُق انفَلَقَتْ بِجُدْرانٍ - فَقال كُلُّ سِبْط: قد قُتِلَ أصْحابنا. فَلَمَّا رَأى ذلك موسَى، دَعا اللَّه، فَجَعَلَها لهم قَناطِر كَهَيْئَةِ الطِّيقان، فَنَظَرَ آخِرهم إلى أوَّلهم، حتَّى خَرَجوا جَميعًا، ثُمَّ دَنا فرعون وأصْحابُه، فَلَمَّا نَظَرَ فرعون إلى البحْر مُنْفَلِقًا، قال: ألا تَرَوْنَ البحْر فَرِقَ مِنِّي؟ قد انفَتَحَ لي حتَّى أُدْرِكَ أعْدائي فَأقْتُلهم. فَذلك قول اللهِ جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤]. يقول: قَرَّبنا ثَمَّ الآخَرينَ - يَعْني آل فرعون - فَلَمَّا قامَ فرعون على أفواه الطُّرُق أبَتْ خَيْله أنْ تَقْتَحِم، فَنَزَلَ جِبْريل عليه السلام على ماديانةٍ، فَشامَّت الحُصُنُ ريح الماديانة، فاقْتَحَمَت في أثَرِها، حتَّى إذا هَمَّ أوَّلهم أنْ يَخْرُج ودَخَلَ آخِرهم، أُمِرَ البحْر أنْ يَأخُذهم، فالتَطَمَ عليهم[1].

٩١٣- وحَدَّثني يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: لَمَّا أخَذَ عليهم فرعون الأرْض إلى البحْر قال لهم فرعون: قولوا لهم يَدْخُلوا البحْر إنْ كانوا صادِقينَ.

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

فَلَمَّا رَآهم أصحاب موسَى، قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢] فَقال موسَى لِلْبَحْرِ: أَلَسْت تَعْلَم أنّي رَسول اللّه؟ قال: بَلَى. قال: وتَعْلَم أنَّ هؤلاء عِباد من عِباد الله أَمَرَني أنْ آتي بهم؟ قال: بَلَى. قال: وتَعْلَمُ أنَّ هذا عَدوّ اللّه؟ قال: بَلَى. قال: فافْرُقْ لي طَريقًا ولِمَنْ مَعي. قال: يا موسَى، إنَّما أنا عبد مَمْلوك لَيْسَ لي أَمْر إلاَّ أنْ يَأْمُرني الله. فَأوحَى اللهُ إلى البحْر: إذا ضَرَبَك موسَى بِعَصاه فانفرِقْ، وأوحَى إلى موسَى أنْ اضرِب البحْر. وقَرَأ قول اللهِ جلَّ وعزَّ: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧] وقَرَأ قوله: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [الدخان: ٢٤]: سَهْلاً لَيْسَ فيه تَعدٍّ، فانفرَقَ اثْنَتَيْ عَشْرة فِرْقة، فَسَلَكَ كُلُّ سِبْطٍ في طَريق. قال: فَقالوا لِفرعون: إنَّهم قد دَخَلوا البحْر. قال: ادْخُلوا عليهم. قال: وجِبْريل في آخِر بَني إسرائيل يقول لهم: لِيَلْحَق آخِرُكُم أَوَّلَكُمْ. وفي أوَّل آل فرعون، يقول لهم: روَيْدًا يَلْحق آخِركُم أوَّلكُمْ. فَجَعَلَ كُلُّ سِبْط في البحْر يقولونَ لِلسِّبْطِ الذينَ دَخَلوا قَبْلهمْ: قد هَلَكوا. فَلَمَّا دَخَلَ ذلك قُلوبَهم، أوحَى الله إلى البحْر، فَجَعَلَ لهم قَناطِر يَنْظُر هؤلاء إلى هؤلاء، حتَّى إذا خَرَجَ آخَر هؤلاء ودَخَلَ آخِر هؤلاء أَمَرَ الله البحْر فَأطبَقَ على هؤلاء (١).

وَيَعْني بِقولِه: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي: تَنْظُرونَ إلى فَرْق الله بكم البحْرَ وإهْلاكه آلَ فرعونَ في الموضِع الذي نَجَّاكُم فيه، وإلى عَظيم سُلْطانه في الذي أراكُم من طاعة البحْر إيَّاه من مَصيرِه رُكامًا فِرَقًا كَهَيْئَةِ الأطواد الشَّامِخة غَيْر زائِل عن حَدِّه، انقيادًا لأمْره وإذْعانًا لِطاعَتِه، وهو سائِلٌ ذائِبٌ قَبْل ذلك، يوقِفهم بِذلك جَلَّ ذِكْره على موضِع حُجَجه عليهم، ويُذَكِّرهم آلاءَه عند أوائِلهم - ويُحَذِّرهم بتَكْذيبهم نَبيّنا مُحَمَّدًا ﷺ - أنْ يَحِلَّ بهم ما حَلَّ بِفرعون وآله في تَكْذيبهم موسَى صلوات الله عليه.

وَقد زَعَمَ بعض أهل العربيَّة أنَّ معنى قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ كَمعنى قول القائِل: (ضُرِبْت وأهلُك يَنْظُرونَ، فَما أَتَوْكَ ولا أغاثوك) يعني: وهم قَريب بِمَرْأى ومسمَع، وكَقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] ولَيْسَ هُناكَ رُؤيةٌ، إنَّما هو عِلْم.

والذي دَعاه إلى هذا التَّأويل أنَّه وجَّهَ قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: إلى غَرَق فرعون، فَقال: قد كانوا في شُغُل من أنْ يَنْظُروا مِمَّا اكْتَنَفَهم من البحْر من أن يَرَوْا فرعون وغَرَقه.

وَلَيْسَ الذي تأَوَّلَه تأويل الكَلام، إنَّما التَّأويل: وأنتم تَنْظُرونَ إلى فَرْق اللهِ عزَّ وجلَّ البحْر لكم - مما قد وصَفْنا آنِفًا - والتِطام أمواج البحْر بِآلِ فرعونَ في الموضِع الذي صَيَّرَ لكم من البحْر طَريقًا يبَسًا، وذلك لا شَكَّ كان نَظَر عِيانٍ لا نَظَر عِلْم، على ما ظَنَّه قائِل هذا القول الذي حَكَيْنا.

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾

اختَلَفَتِ القَرأةُ في قِراءة ذلك، فَقَرَأ بعضهم: ﴿وَٰعَدْنَا﴾ بِمعنى أنَّ الله تعالى واعَدَ موسَى

---

(١) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

مُوافاةَ الطُّورِ لِمُناجاتِه، فَكانتِ المواعَدةُ من الله لِموسَى، ومن موسَى لِرَبِّه. وكان من حُجَّتِهم على اختيارِهم قِراءة ﴿وَٰعَدْنَا﴾ على (وَعَدْنا) أنْ قالوا: كُلُّ اتِّعاد كان بين اثْنَيْنِ لِلالتِقاءِ أو للاجْتِماع، فَكُلُّ واحِد منهما مُواعِدٌ صاحِبَه ذلك، فَلِذلك - زَعَموا - وجَبَ أنْ يُقْضَى لِقِراءةِ مَنْ قَرَأ: ﴿وَٰعَدْنَا﴾ بالاختيارِ على قِراءة مَنْ قَرَأ (وَعَدْنا).

وَقَرَأ بعضهم: (وَعَدْنا) بِمعنى أنَّ اللهَ تعالى ذكرُه الواعِدُ موسَى، والمُنْفَرِد بالوَعْدِ دونه. وكان من حُجَّتِهم في اختيارِهم ذلك، أنْ قالوا: إنَّما تَكون المواعَدة بين البشَر، فَأمَّا الله جَلَّ ثَناؤه فَإنَّه المُنْفَرِد بالوَعْدِ والوَعيد في كُلِّ خَيْر وشَرٍّ. قالوا: وبذلك جاء التَّنْزيلُ في القُرْآن كُلِّه، فَقال اللهُ جَلَّ ثَناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٧]. قالوا: فَكَذلك الواجِب أنْ يكون هو المُنْفَرِد بالوَعْدِ في قولِه: (وَإِذْ وعَدْنا موسَى).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: والصَّوابُ عندنا في ذلك من القول، أنَّهُما قِراءَتانِ قد جاءتْ بِهِما الأُمَّةُ وقَرَأتْ بِهِما القَرَأةُ، ولَيْسَ في القِراءة بِإحداهُما إبطال معنى الأُخْرَى، وإنْ كان في إحداهُما زيادة معنى على الأُخْرَى من جِهة الظَّاهِرِ والتِّلاوة؛ فَأمَّا من جِهة المَفهوم بهِما فَإنَّهُما مُتَّفِقَتانِ، وذلك أنَّ مَنْ أخْبَرَ عن شَخْصٍ أنَّه وعَدَ غَيْرَه اللِّقاء بِموضِعٍ من المَواضِع، فَمعلومٌ أنَّ الموعودَ ذلك واعِدٌ صاحِبَهُ من لِقائِه بِذلك المَكان، مِثْلَ الذي وعَدَه من ذلك صاحِبُه، إذا كان راضيًا مجيبًا صاحبَه إلى ما وعده مثلَ الذي وعَده من ذلك صاحبُه، إذا كان وعْده إيَّاه ذلك عن اتِّفاقٍ منهُما عليه. ومعلوم أنَّ موسَى صَلَوات الله عليه لم يَعِده رَبُّه الطُّور إلاَّ عن رِضا موسَى بِذلك؛ إذْ كان موسَى غَيْر مَشْكوك فيه أنَّه كان بِكُلِّ ما أمَرَه اللهُ به راضيًا، وإلى مَحَبَّته فيه مُسارِعًا. ومعقول أنَّ الله تعالى لم يَعِد موسَى ذلك إلاَّ وموسَى عليه السلام له مُسْتَجيب. وإذْ كان ذلك كذلك، فَمعلوم أنَّ اللهَ تعالى ذِكْره كان قد وعَدَ موسَى الطُّور، ووَعَدَه موسَى اللِّقاء، وكان الله عَزَّ ذِكْرُه لِموسَى واعِدًا مواعِدًا له المُناجاةَ على الطُّور، وكان موسَى واعِدًا لِرَبِّه مواعِدًا له اللِّقاء. فَبِأيِّ القِراءَتَيْنِ من (وَعَدَ) و(واعَدَ) قَرَأ القارِئ، فهو للحَقِّ في ذلك - من جِهة التَّأويل واللُّغة - مُصيبٌ؛ لِما وصَفْنا من العِلَل قَبْل.

وَلا معنى لِقولِ القائِل: إنَّما تَكون المواعَدةُ بين البشَر، وإنَّ اللهَ تبارك وتعالى بالوَعْدِ والوَعيد مُنْفَرِدٌ في كُلِّ خَيْرٍ وشَرٍّ. وذلك أنَّ انفِراد الله بالوَعْدِ والوَعيد في الثَّواب والعِقاب، والخَيْرِ والشَّرِّ، والنَّفْع والضَّرِّ، الذي هو بيَدِه وإليه دون سائِر خَلْقه - لا يُحيل الكَلام الجاري بين النَّاس في استِعْمالهم إيَّاه عن وُجوهه ولا يُغَيِّره عن مَعانيه. والجاري بين النَّاس من الكَلام المَفْهوم ما وصَفْنا من أنَّ كُلَّ اتِّعاد كان بين اثْنَيْنِ فهو وعْد من كُلِّ واحِدٍ منهُما ومواعَدةٌ بينهما، وأنَّ كُلَّ واحِد منهُما واعِدٌ صاحِبه مُواعِده، وأنَّ الوَعْد الذي يكون به الانفِراد من الواعِد دون الموعودِ إنَّما هو ما كان بِمعنى الوَعْد الذي هو خِلاف الوَعيد.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿مُوسَىٰٓ﴾

قال أبو جعفر: وَموسَى - فيما بلَغَنا - كَلِمَتانِ بالقِبْطيّةِ، يَعْني بهما: ماءٌ وشَجَر، فـ(مو): هو الماء، و(سا): هو الشَّجَر. وإنما سُمّيَ بِذلك - فيما بلَغَنا - لأنَّ أُمَّه لَمَّا جَعَلَتْه في التَّابوت - حين خافَتْ عليه من فرعونَ - وألقَتْه في اليَمِّ كما أوحَى الله إليها، وقِيلَ: إنَّ اليَمَّ الذي ألقَتْه فيه هو النِّيل؛ دَفعَتْه أمواج اليَمِّ، حتَّى أدخَلَتْه بين أشجار عند بَيْت فرعون، فَخَرَجَ جِواري آسية امْرَأة فرعونَ يَغْتَسِلْنَ، فَوَجَدْنَ التَّابوت، فَأخَذْنَه، فَسُمّيَ باسم المَكان الذي أُصيبَ فيه. وكان ذلك المَكان فيه ماءٌ وشَجَر، فَقِيلَ: موسَى ماء وشَجَر. كَذلك:

٩١٤- **حَدّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حدَّثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ[١].

قَالَ أبُو جَعْفَر: وهو موسَى بن عِمْران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يَعْقوب إسرائيلِ اللهِ بن إسحاق ذَبيح اللهِ ابن إبراهيم خَليل اللّه، فيما زَعَمَ ابن إسحاق.

٩١٥- **حَدّثني** بِذلك ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفَضْل عنه.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: ومعنى ذلك ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ بِتَمامِها، فالأرْبَعونَ اللّيْلةِ كُلُّها داخِلة في الميعاد.

وَقد زَعَمَ بعض نَحويِّي البصرة أنَّ معناه: وإذْ واعَدْنا موسَى انقِضاء أرْبَعين لَيْلةً، أي: رَأس الأرْبَعينَ. ومَثَّل ذلك بِقولِه: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. وبِقولِهم: اليوم أرْبَعونَ مُنْذُ خَرَجَ فُلان، واليوم يومانِ، أيْ: اليوم تَمام يومَيْنِ وتَمام أرْبَعينَ.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وذلك خِلاف ما جاءتْ به الرِّوايةُ عن أهل التَّأويل وخِلاف ظاهِر التِّلاوة، فَأمَّا ظاهِر التِّلاوة، فَإنّ الله جلَّ وعزَّ قد أخْبَرَ أنَّه واعَدَ موسَى أرْبَعينَ لَيْلة، فَلَيْسَ لأحَدٍ إحالة ظاهِر خَبَره إلى باطِنٍ بِغَيْرِ بُرْهان دالٍّ على صِحَّته.

وَأمَّا أهل التَّأويل فَإنَّهم قالوا في ذلك ما أنا ذاكِره، وهو ما:

٩١٦- **حَدّثني** به المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع بن أنَس، عن أبي العالية قوله: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾. قال: يَعْني ذا القَعْدة وعَشْرًا من ذي الحِجّة. وذلك حين خَلَّف موسَى أصْحابه، واستَخْلَفَ عليهم هارونَ، فَمَكَثَ على الطُّور أرْبَعينَ لَيْلة، وأُنْزِلَ عليه التَّوْراة في الألْواح - وكانتِ الألْواح من بَرَدٍ - فَقَرَّبَه الرَّبُّ نَجيًّا، وكَلَّمَه، وسَمِعَ صَريف القَلَم. وبَلَغَنا أنَّه لم يُحْدِث حَدَثًا في الأرْبَعينَ لَيْلة حتَّى هَبَطَ من الطُّور[٢].

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [حسن بغير هذا اللفظ] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة يعني: (ذا القعدة وعشرا من ذي الحجة، وذلك حين خلف موسى

٩١٧- حُدِّثت عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع، بِنَحْوِهِ[١].

٩١٨- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمةُ، عن ابن إسحاق، قال: وعَدَ الله موسَى - حين أهلَكَ فرعونَ وقَوْمه، ونَجَّاه وقَوْمه - ثَلاثينَ لَيْلة، ثُمَّ أتَمَّها بِعَشْرٍ، فتَمَّ ميقاتُ رَبّه أرْبَعينَ لَيْلة، يَلْقَّاه فيها بِما شاءَ، واستَخْلَفَ موسَى هارونَ على بَني إسرائيل، وقال: إنِّي مُتَعَجِّل إلى رَبّي فاخلُفْني في قَوْمي ولا تَتَّبع سَبيل المُفْسِدينَ. فَخَرَجَ موسَى إلى رَبِّه مُتَعَجِّلاً لِلِقائِه شَوْقًا إليه، وأقامَ هارونَ في بَني إسرائيل ومعه السَّامِرِيُ يَسيرُ بهم على أثَر موسَى لِيُلْحِقهم بِهِ[٢].

٩١٩- حَدَّثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: انطَلَقَ موسَى واستَخْلَفَ هارونَ على بَني إسرائيل، وواعَدَهم ثَلاثينَ لَيْلة وأتَمَّها الله بِعَشْرٍ[٣].

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾

قَالَ أبُو جَعْفرٍ: وتأويل قوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: ثُمَّ اتَّخذْتُم في أيَّام مواعَدتي موسَى العِجْل إلَهًا من بعد أنْ فارَقَكُم موسَى مُتَوَجِّهًا إليَّ للموعِد. والهاءُ في قوله ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ عائِدة على ذِكْر موسَى.

فَأخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤه المُخالِفينَ نَبيّنا مُحمَّدًا ﷺ من يَهود بَني إسرائيل المُكَذِّبينَ به المُخاطَبينَ بهذه الآية، عن فِعْل آبائِهم وأسلافهم وتَكْذيبهم رُسُلهم وخِلافِهم أنْبياءَهم، مع تَتابُع نِعَمِه عليهم وسُبوغ آلائِه لَدَيْهم، مُعَرِّفهم بِذلك أنَّهم - من خِلافهم مُحَمَّدًا ﷺ وتَكْذيبهم به وجُحودهم لِرسالَتِه، مع عِلْمهم بِصِدْقِه - على مِثْل منهاج آبائِه وأسلافهم، ومُحَذِّرهم من نُزول سَطْوَته بهم - بِمُقامِهم على ذلك من تَكْذيبهم - ما نَزَلَ بِأوائِلِهم المُكَذِّبينَ بالرُّسُلِ من المسخ واللَّعْن وأنْواع النَّقِمات.

وَكان سَبَب اتِّخاذهم العِجْل ما:

٩٢٠- حَدَّثني به عبد الكَريم بن الهَيْثَم، قال: حَدَّثَنا إبراهيم بن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا ابن عُيَيْنَةَ، قال: حَدَّثَنا أبو سَعدٍ، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: لَمَّا هَجَمَ فرعون على البَحْر هو وأصْحابه، وكان فرعون على فَرَس أدْهَم ذَنُوبٍ حِصان؛ فَلَمَّا هَجَمَ على البَحْر هابَ الحِصان أنْ يَتَقَحَّم في البَحْر، فَتَمَثَّلَ له جِبْريل على فَرَس أُنْثَى وديق، فَلَمَّا رَآها حِصانُ فرعونَ تَقَحَّمَ خَلْفها.

أصحابه واستخلف عليهم هارون، فمكث على الطور أربعين ليلة، وأنزل عليه التوراة في الألواح، فقربه الرب نجيا وكلمه، وسمع صريف القلم. اهـ.

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا من تعلقيات المصنف.

(٢) [ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

قال: وعَرَفَ السَّامِري جِبْريل؛ لأنَّ أُمَّه حين خافَتْ أنْ يُذْبَح خَلَّفَتْه في غارٍ وأطبَقَتْ عليه، فكان جِبْريلُ يَأتيه فَيَغْذوه بِأصابِعِه، فيجِد في إحدى أصابِعه لَبَنًا، وفي الأُخْرَى عَسَلاً، وفي الأُخْرَى سَمْنًا. فلم يَزَلْ يَغْذوه حتَّى نَشأ، فَلَمَّا عايَنَه في البحْرِ عَرَفَه، فَقَبَضَ قَبْضة من أثَر فَرَسه. قال: أخَذَ من تَحْت الحافِر قَبْضة - قال سُفْيان: وكان ابن مسعود يَقْرَؤُها: (فَقَبَضْت قَبْضة من أثَر فَرَس الرَّسول) - قال أبو سَعدٍ، قال عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: وأُلْقِيَ في رُوعِ السَّامِرِيِّ أنَّك لا تُلْقيها على شَيْءٍ فَتَقول كُنْ كذا وكذا إلاَّ كان. فلم تَزَلْ القَبْضة معه في يَده حتَّى جاوَزَ البحْر. فَلَمَّا جاوَزَ موسَى وبَنو إسرائيل البحْر، وأغْرَقَ اللهُ آل فرعون، قال موسَى لأخيه هارونَ: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] ومَضَى موسَى لِموعِدِ رَبِّه. قال: وكان مع بَني إسرائيل حَلْيٌ من حَلْيِ آل فرعون قد تَعَوَّروه، فَكأنَّهم تأثَّموا منه، فَأخْرَجوه لِتَنْزِل النَّارُ فَتأكُلَه، فَلَمَّا جَمَعوه، قال السَّامِريُّ بالقَبْضةِ التي كانتْ في يَده هَكَذا، فَقَذَفَها فيه - وأومأ أبو إسحاق بيَدِه هَكَذا - وقال: كُنْ عِجْلاً جَسَدًا له خوار. فَصارَ عِجْلاً جَسَدًا له خوار. فكان تَدْخُل الرِّيحُ في دُبُره وتَخْرَج من فيه ويُسْمَع له صَوْت، فَقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨]. فَعَكَفوا على العِجْل يَعْبُدونَه، فَقال هارونَ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِي ۝٩٠ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾ [طه: ٩٠-٩١][1].

٩٢١- حَدَّثَني موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرٌو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: لَمَّا أمَرَ الله موسَى أنْ يَخْرَج بِبَني إسرائيل - يَعْني: من أرْض مِصْر - أمَرَ موسَى بَني إسرائيلَ أنْ يَخْرُجوا وأمَرَهم أنْ يَسْتَعيروا الحَلْيَ من القِبْط. فَلَمَّا نَجَّى اللهُ موسَى ومَنْ معه من بَني إسرائيلَ من البحْر، وغَرَّقَ آل فرعون، أتَى جِبْريل إلى موسَى يَذْهَب به إلى اللَّه، فَأقْبَلَ على فَرَسٍ فَرَآه السَّامِريّ، فَأنْكَرَه، ويقال: إنَّه فَرَس الحَياة. فَقال حين رَآه: إنَّ لِهذا لَشَأنًا. فَأخَذَ من تُرْبَةِ الحافِر حافِرِ الفَرَس. فانطَلَقَ موسَى، واستَخْلَفَ هارونَ على بَني إسرائيل، وواعَدَهم ثَلاثينَ لَيْلة، وأتَمَّها اللهُ بِعَشْرٍ. فَقال لهم هارونَ: يا بَني إسرائيل! إنَّ الغَنيمة لا تَحِلُّ لكم، وإنَّ حَلْيَ القِبْط إنَّما هو غَنيمة، فَأجْمِعوها جَميعًا، واحْفِروا لها حُفْرةً فاذْفِنوها، فَإنْ جاء موسَى فَأحَلَّها أخَذْتُموها، وإلاَّ كان شَيْئًا لم تأكُلوه. فَجَمَعوا ذلك الحَلْيَ في تِلْكَ الحُفْرة، وجاء السَّامِريُّ بِتِلْك القَبْضة، فَقَذَفَها، فَأخْرَجَ الله من الحَلْيَ عِجْلاً جَسَدًا له خوار. وعدَّت بَنو إسرائيل موعِد موسَى، فَعَدّوا اللَّيْلة يومًا واليوم يومًا، فَلَمَّا كان تَمام العِشْرينَ خَرَجَ لهم العِجْل؛ فَلَمَّا رَأوه قال لهم السَّامِريّ: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨]. يقول: تَرَكَ موسَى إلَهه هَهُنا وذَهَبَ يَطْلُبه. فَعَكَفوا عليه يَعْبُدونَه. وكان يَخور ويَمْشي، فَقال لهم هارونَ: يا بَني إسرائيل ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ [طه: ٩٠] يقول: إنَّما ابتُليتُم به. يقول: بالعِجْلِ ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ٩٠]. فَأقامَ هارونَ ومَنْ معه من بَني إسرائيلَ لا يُقاتِلونَهم. وانطَلَقَ موسَى إلى إلَهه يُكَلِّمه، فَلَمَّا كَلَّمَه قال

---

(١) [ضعيف] إبراهيم بن بشار تقدم الحديث على تضعيفه قريبًا.

لـــــه: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ۞ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٣-٨٥] فأخبَره خَبَرهمْ. قال موسَى: يا رَبِّ هذا السَّامِريُّ أمَرَهم أنْ يَتَّخِذوا العِجْل، أرَأيْت الرّوح مَنْ نَفَخَها فيهِ؟ قال الرَّبُّ: أنا. قال: رَبِّ أنتَ إذن أضْلَلْتهمْ (١).

٩٢٢- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة عن ابن إسحاق، قال: كان فيما ذُكِرَ لي أنَّ موسَى قال لِبَني إسرائيل فيما أمَرَه الله عَزَّ وجَلَّ به: استَعيروا منهم - يَعْني: من آل فرعون - الأمْتِعةَ والحَلْيَ والثِّياب، فإنِّي مُنَفِّلكُم أموالهم مع هَلاكِهمْ. فَلَمَّا أذَّنَ فرعون في النَّاس، كان مِمَّا يُحَرِّض به على بَني إسرائيلَ أنْ قال حين ساروا: لم يَرْضَوْا أنْ خَرَجوا بِأنْفُسِهم حتَّى ذَهَبوا بِأموالِكُم معهم (٢).

٩٢٣- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن إسحاق، عن حَكِيم بن جُبَيْر، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: كان السَّامِريُّ رَجُلاً من أهل باجرما، وكان من قَوْم يَعْبُدونَ البقَر، وكان حُبُّ عِبادة البقَر في نَفْسه، وكان قد أظْهَرَ الإسلام في بَني إسرائيل. فَلَمَّا فَصَلَ هارونَ في بَني إسرائيل وفَصَلَ موسَى إلى رَبِّه، قال لهم هارونَ: أنتم قد حَمَلْتُم أوزارًا من زينة القَوْم - آلِ فرعون - وأمْتِعة وحَلْيًا، فَتَطَهَّروا منها، فإنَّها نَجَس. وأوقَدَ لهم نارًا، فَقال: اقْذِفوا ما كان معكُم من ذلك فيها. قالوا: نَعَمْ. فَجَعَلوا يَأتونَ بِما كان فيهم من تِلْكَ الأمْتِعة وذلك الحَلْيِ، فَيُقْذَفونَ به فيها، حتَّى إذا تَكَسَّرَ الحَلْيُ فيها ورَأى السَّامِريُّ أثَر فَرَس جِبْريل فأخَذَ تُرابًا من أثَرِ حافِره، ثُمَّ أقْبَلَ إلى النَّار فَقال لِهارون: يا نَبيّ الله ألْقي ما في يَدي؟ قال: نَعَمْ. ولا يَظُنُّ هارونَ إلاَّ أنَّه كَبعضِ ما جاء به غَيْرُه من ذلك الحَلْيِ والأمْتِعة فَقَذَفَه فيها وقال: كُنْ عِجْلاً جَسَدًا له خوار. فَكان لِلْبَلاءِ والفِتْنة، فَقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] فَعَكَفوا عليه، وأحَبّوه حُبًّا لم يُحِبّوا مِثْلَه شَيْئًا قَطُّ. يقول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨] أيْ: تَرَكَ ما كان عليه من الإسلام - يَعْني: السَّامِريّ - ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ [طه: ٨٩]. قال: وكان اسم السَّامِريُّ موسَى بن ظَفَرَ، وقَعَ في أرْض مِصْر، فَدَخَلَ في بَني إسرائيل، فَلَمَّا رَأى هارونَ ما وقَعوا فيه قال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۞ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩٠-٩١] فأقامَ هارونَ فيمَنْ معه من المُسْلِمينَ مِمَّنْ لم يُفْتَتَن، وأقامَ مَنْ يَعْبُد العِجْل على عِبادة العِجْل. وتُخَوِّف هارونُ إنْ سارَ بِمَنْ معه من المُسْلِمينَ أنْ يقولَ له موسَى: ﴿فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: ٩٤] وكان له هائِبًا مُطيعًا (٣).

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢) [ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٣) [ضعيف] محمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

٩٢٤- حدثني يونُسُ، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: لَما أَنْجَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ بَني إسرائيل من فرعون، وأغْرَقَ فرعونَ ومَنْ معه، قال موسَى لأخيه هارونَ: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. قال: لَمَّا خَرَجَ موسَى وأمَرَ هارونَ ما أمَرَه، وخَرَجَ موسَى مُتَعَجِّلاً مسرورًا إلى اللَّه. قد عَرَفَ موسَى أنَّ المَرْء إذا أَنْجَحَ في حاجةِ سَيِّده كان يَسُرُّه أنْ يَتَعَجَّل إليه. قال: وكان حين خَرَجوا استَعاروا حَلْيًا وثيابًا من آل فرعونَ، فَقال لهم هارونَ: إنَّ هذه الثِّياب والحَلْيَ لا تَحِلُّ لكم، فاجْمَعوا نارًا، فَألقَوْه فيها فَأحرِقوهُ. قال: فَجَمَعوا نارًا. قال: فكان السَّامِريّ قد نَظَرَ إلى أثَر دابّة جِبْريل، وكان جِبْريل على فَرَس أُنْثَى، وكان السَّامِريّ في قَوْم موسَى. قال: فَنَظَرَ إلى أثَره فَقَبَضَ منه قَبْضة، فَيَبِسَتْ عليها يَده؛ فَلَمَّا ألقَى قَوْمُ موسَى الحَلْيَ في النَّار، وألقَى السَّامِريُّ معهم القَبْضة، صَوَّرَ اللهُ جَلَّ وعَزَّ ذلك لهم عِجلاً ذَهَبًا، فَدَخَلَتْه الرِّيح، فَكان له خوار، فَقالوا: ما هذا؟ فَقال: السَّامِريُّ الخَبيث: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨- ٩١]. قال: حتَّى إذا أتَى موسَى الموعِدَ قال اللَّهُ: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ فَقَرأ حتَّى بَلَغَ: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ [طه: ٨٤- ٨٦][(١)].

٩٢٥- حدثنا القاسِمُ، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد في قوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ قال: العِجْل حَسيل البقَرة. قال: حَلْيٌ استَعاروه من آل فرعون، فَقال لهم هارونَ: أخرِجوه فَتَطَهَّروا منه وأحرِقوهُ. وكان السَّامِريُّ قد أخَذَ قَبْضة من أثَر فَرَس جِبْريل، فَطَرَحَه فيه فانسَبَكَ، وكان له كالجَوْفِ تَهْوي فيه الرِّياح[(٢)].

٩٢٦- حدثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا آدم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية، قال: إنَّما سُمِّيَ العِجْلَ، لأنَّهم عَجِلوا فاتَّخَذوه قَبْل أنْ يَأتيهم موسَى[(٣)].

٩٢٧- حدثني مُحَمَّد بن عَمْرو الباهِليّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَني عيسَى، وحَدَّثَني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْلٌ، جميعًا عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، في قوله ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾: حسيلُ البقرةِ. قال: حَلْيٌ استَعاروه من آلِ فرعونَ، فقال لهم هارونُ: أخرِجوه فتطهَّروا منه وأحرِقوه. وكان السامِريُّ أخَذ قبْضةً من أثر فرسِ جبريلَ فطرَحه فيه فانسَبَك، وكان له كالجوفِ تَهْوِى فيه الرياحُ[(٤)].

---

(١) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن داود، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، قال: قال أبو العالية: إنما سمي العجل، لأنهم عجلوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم. اهـ

(٤) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

وتأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝٥١﴾

يَعْني: وأنتم واضِعو العِبادة في غَيْر موضِعها؛ لأنَّ العِبادة لا تَنْبَغي إلاَّ لِلَّه تعالى ذكره وعَبَدْتُم أنتم العِجْل ظُلْمًا منكُم ووَضْعًا لِلْعِبادةِ في غَيْر موضِعها.

وَقد دَلَّلْنا في غَيْر هذا الموضِع مِمَّا مَضَى من كِتابنا أنَّ أصْل كُلِّ ظُلْم وضْعُ الشَّيْء في غَيْر موضِعه، فَأغْنَى ذلك عن إعادَته في هذا الموضِع.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وتأويل قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يقول: تَرَكْنا مُعاجَلَتَكُم بالعُقوبةِ من بعد ذلك، أيْ: من بعد اتِّخاذكُم العِجْل إلَهًا. كَما:

٩٢٨- حَدَّثَني به المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنا آدم العَسْقَلانيُّ، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يَعْني: من بعد ما اتَّخَذْتُم العِجْل (١).

وَأمَّا تأويل قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

فَإنَّه يَعْني به: لِتَشْكُروا.

ومعنى (لَعَلَّ) في هذا الموضِع معنى (كَيْ)، وقد بَيَّنْت فيما مَضَى قَبْلُ أنَّ أحَد مَعاني (لَعَلَّ) معنى (كَيْ) بِما فيه الكِفاية عن إعادَته في هذا الموضِع.

فَمعنى الكَلام إذن: ثُمَّ عَفَوْنا عنكُم من بعد اتِّخاذكُم العِجْل إلَهًا لِتَشْكُروا لي على عَفْوي عنكُم، إذْ كان العَفْو يوجِب الشُّكْر على أهل اللُّبِّ والعَقْل.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَعْني بِقولِه: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: واذْكُروا أيْضًا إذْ آتَيْنا موسَى الكِتاب والفُرْقان. ويَعْني بالكِتابِ: التَّوْراةَ، وبالفُرْقانِ: الفَصْلَ بين الحَقِّ والباطِل. كَما:

٩٢٩- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية، في قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾. قال: فَرَقَ فيه بين الحَقِّ والباطِل (٢).

٩٣٠- حَدَّثَني مُحَمَّد بن عَمْرو الباهِليّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قولِه: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾. قال: الكِتابُ: هو الفُرْقانُ، فُرْقانٌ بين الحَقِّ والباطِل (٣).

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، قوله: عفونا يعني: من بعد ما اتخذوا العجل. اهـ.

(٢) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) قال: فرق فيه بين الحق والباطل. اهـ.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي

٩٣١- حَدَّثني المُثَنَّى قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله [١].

٩٣٢- حَدَّثَني القاسِمُ، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾. قال: الكِتابُ: هو الفُرْقانُ، فَرَقَ بينَ الحَقِّ والباطِل [٢].

٩٣٣- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَنا حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عَبَّاس: الفُرْقانُ: جِماع اسم التَّوْراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ والفُرْقان [٣].

وَقال ابن زَيد في ذلك، بما:

٩٣٤- حَدَّثني به يونُسُ، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: سَألته - يَعْني: ابن زَيْد - عن قول اللهِ جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾. فَقال: أمَّا الفُرْقانُ الذي قال اللهُ جَلَّ وعَزَّ: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ﴾ [الأنفال: ٤١] فَذلك يوم بَدْرٍ، يوم فَرَقَ اللهُ بين الحَقِّ والباطِلِ، والقَضاءُ الذي فَرَقَ به بين الحَقِّ والباطِل. قال: فَكَذلك أعْطَى اللهُ موسَى الفُرْقان، فَرَقَ اللهُ بينهم، وسَلَّمَه اللهُ وأنْجاه، فَرَقَ بينهم بالنَّصْرِ؛ فَكَما جَعَلَ اللهُ ذلك بين مُحَمَّد والمُشْرِكينَ، فَكَذلك جَعَلَه بين موسَى وفرعون [٤].

قَالَ أبُو جَعْفرٍ: وأولَى هَذَيْنِ التَّأويلَيْنِ بِتأويلِ الآية ما رُويَ عن ابن عَبَّاس وأبي العالية ومُجاهِد، من أنَّ الفُرْقان الذي ذَكَرَ اللهُ أنَّه آتاه موسَى في هذا الموضِع هو الكِتابُ الذي فَرَقَ به بين الحَقِّ والباطِل، وهو نَعْتٌ لِلتَّوْراةِ وصِفةٌ لها. فَيكونُ تأويلُ الآية حينَئِذٍ: وإذْ آتَيْنا موسَى التَّوْراةَ التي كَتَبناها له في الألواح، وفَرَقْنا بها بين الحَقِّ والباطِل. فَيكون الكِتابُ نَعْتًا لِلتَّوْراةِ أُقيمَ مُقامَها استِغْناءً به عن ذِكْر التَّوْراة، ثُمَّ عَطَفَ عليه الفُرْقانَ؛ إذْ كان من نَعْتها. وقد بَيَّنَّا معنى الكِتابِ فيما مَضَى من كِتابنا هذا، وأنه بِمعنى المَكْتوب.

وَإنَّما قُلْنا هذا التَّأويل أولَى بالآيةِ - وإنْ كان مُحْتَمَلاً غَيْره من التَّأويل - لأنَّ الذي قَبْله من ذِكْر الكِتاب، وأنَّ معنى الفُرْقانِ الفَصْل - وقد دَلَّلْنا على ذلك فيما مَضَى من كِتابنا هذا - فَإلْحاقه إذْ كان كذلك بِصِفةِ ما ولِيَه أولَى من إلْحاقه بِصِفةِ ما بَعُد منه.

وَأمَّا تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

فَنَظير تأويل قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. ومعناه: لِتَهْتَدوا. فكَأنَّه قال تعالى: واذْكُروا

نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف. (٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس، وهو عن ابن عباس مرسل، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

أيضًا إذْ آتَيْنا موسَى التَّوْراة التي تَفرُق بين الحَقِّ والباطِلِ لِتَهْتَدوا بها وتَتَّبِعوا الحَقَّ الذي فيها لأني جَعَلْتها كذلك هُدًى لِمَنْ اهْتَدَى بها واتَّبَعَ ما فيها.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

وتأويل ذلك: واذكُروا أيْضًا إذْ قال موسَى لِقَوْمِه من بَني إسرائيل: يا قَوْم إنَّكُم ظَلمتُم أنفُسكُمْ. وظُلْمُهم إيَّاها كان فِعْلَهم بها ما لم يكُنْ لهم أنْ يَفْعَلوه بها مِمَّا أوْجَبَ لهم العُقوبة من الله تعالى، وكذلك كُلُّ فاعِلٍ فِعْلاً يَسْتَوْجِبُ به العُقوبةَ من الله تعالى فهو ظالِم لِنَفْسِه بإيجابِه العُقوبة لها من الله تعالى. وكان الفِعْل الذي فَعَلوه فَظَلَموا به أنْفُسهم، هو ما أخْبَرَ الله عنهم من ارْتِدادهم باتِّخاذِهم العِجْل رَبًّا بعد فِراق موسَى إيَّاهم، ثُمَّ أمَرَهم موسَى بالمُراجَعةِ من ذَنْبهم والإنابةِ إلى الله جلَّ وعزَّ من رِدَّتهم بالتَّوْبةِ إليه، والتَّسْليم لِطاعَتِه فيما أمَرَهم به وأخْبَرَهم أنَّ تَوْبَتَهم من الذَّنْب الذي رَكِبوه قَتْلُهم أنْفُسَهمْ - وقد دَلَّلْنا فيما مَضَى على أنَّ معنى التَّوْبة: الأوبةُ مِمَّا يكْرَهه الله إلى ما يَرْضاه من طاعَته - فاستَجابَ القَوْم لِما أمَرَهم به موسَى من التَّوْبة مِمَّا رَكِبوا من ذُنوبهم إلى رَبِّهم، على ما أمَرَهم به. كَما:

٩٣٥- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن جَعْفَر، قال: حَدَّثَنا شُعْبةُ بن الحجَّاج، عن أبي إسحاق، عن أبي عبد الرَّحْمَن، أنَّه قال في هذه الآية: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: عَمَدوا إلى الخَناجِر، فَجَعَلَ يَطْعَن بعضهم بعضًا[(١)].

٩٣٦- **حَدَّثَني** عَبَّاس بن مُحَمَّد، قال: حَدَّثَنا حَجَّاج بن مُحَمَّد، قال ابن جُرَيْج، أخْبَرَني القاسِم بن أبي بَزَّة أنَّه سَمِعَ سَعيد بن جُبَيْر ومُجاهَدًا قالا: قامَ بعضهم إلى بعض بالخَناجِرِ يَقْتُل بعضهم بعضًا، لا يَحِنُّ رَجُلٌ على رَجُلٍ قَريبٍ ولا بعيدٍ، حتَّى ألْوَى موسَى بِثَوْبِه، فَطَرَحوا ما بِأيْديهم، فَتَكَشَّفَ عن سَبْعينَ ألف قَتيل، وإنَّ اللهَ أوحَى إلى موسَى أنَّ حَسْبي فقد اكْتَفَيْت. فَذلك حين ألْوَى بِثَوْبِهِ[(٢)].

٩٣٧- **حَدَّثني** عبد الكَريم بن الهَيْثَم، قال: حَدَّثَنا إبراهيم بن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا ابن عُيَيْنَةَ، قال: قال أبو سَعدٍ، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: قال موسَى لِقَوْمِه: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. قال: أمَرَ موسَى قَوْمه - عن أمْر رَبِّه - أنْ يَقْتُلوا أنفُسهم. قال: فاحْتَبَى الذينَ عَكَفوا على العِجْل فَجَلَسوا، وقامَ الذينَ لم

---

(١) [صحيح] عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي القارئ الإمام تابعي ثقة، وأبو إسحاق السبيعي مدلس ولم يصرح، لكن يرويه عنه شعبة، ومحمد بن جعفر الملقب بغندر غني عن التعريف، و محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار العنزي أبو موسى البصري الحافظ المعروف بـ: الزمن. حافظ ثقة.

(٢) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

يَعْكُفوا على العِجْلِ وأخَذوا الخَناجِر بِأيْديهم وأصابَتْهم ظُلْمة شَديدة، فَجَعَلَ يَقْتُل بعضهم بعضًا. فانجَلَتِ الظُّلْمة عنهم، وقد أجْلوا عن سَبْعينَ ألف قَتيل، كُلُّ مَنْ قُتِلَ منهم كانتْ له تَوْبة، وكُلُّ مَنْ بَقيَ كانتْ له تَوْبة(١).

٩٣٨- حَدّثَني موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: لَمَّا رَجَعَ موسَى إلى قَوْمه ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ إلى قوله: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾[طه: ٨٦- ٨٧] فألْقَى موسَى ﴿ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ﴾ ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[طه: ٩٤]. فتَرَك هارونَ ومال إلى السَّامِرِيِّ، فـ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾[طه: ٩٥- ٩٧]. ثُمَّ أخَذَه فَذَبَحه، ثُمَّ حَرَقَه بالمِبْرَدِ، ثُمَّ ذَرَّاه في اليَمِّ، فَلم يَبْقَ بَحْر يجْري يومئِذٍ إلاَّ وقَعَ فيه شَيْء منه. ثُمَّ قال لهم موسَى: اشْرَبوا منهُ. فشَرِبوا، فَمَنْ كان يُحِبُّه خَرَجَ على شارِبه الذَّهَب، فَذلك حين يقول: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ﴾[البقرة: ٩٣]. فَلَمَّا سُقِطَ في أيْدي بَني إسرائيل حين جاء موسَى، ﴿وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ١٤٩] فَأبَى اللهُ أنْ يَقْبَلَ تَوْبة بَني إسرائيل إلاَّ بالحالِ التي كَرِهوا أنْ يُقاتِلوهم حين عَبَدوا العِجْل، فَقال لهم موسَى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾. قال: فَصَفُّوا صَفَّيْنِ، ثُمَّ اجْتَلَدوا بالسُّيوفِ. فاجْتَلَدَ الذينَ عَبَدوه والذينَ لم يَعْبُدوه بالسُّيوفِ، فَكان مَنْ قُتِلَ من الفَريقَيْنِ شَهيدًا، حتَّى كَثُرَ القَتْلُ حتَّى كادوا أنْ يَهْلِكوا، حتَّى قُتِلَ بينهم سَبْعونَ ألفًا، وحتَّى دَعا موسَى وهارونَ: رَبَّنا هَلَكَتْ بَنو إسرائيل، رَبَّنا البقيَّة البقيَّة. فَأمَرَهم أنْ يَضَعوا السِّلاح، وتابَ عليهم. فَكان مَنْ قُتِلَ شَهيدًا، ومَنْ بَقي كان مُكَفَّرًا عنه. فَذلك قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٢).

٩٣٩- حَدّثَني مُحَمَّد بن عَمْرو الباهليّ، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول الله تعالى: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾. قال: كان موسَى أمَرَ قَوْمه - عن أمْر رَبِّه - أنْ يَقْتُل بعضهم بعضًا بالخَناجِرِ، فَجَعَلَ الرَّجُل يَقْتُل أباه ويَقْتُل ولَده، فَتابَ الله عليهم(٣).

٩٤٠- وحَدّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حذيفةَ، قال: حَدَّثَنا شبلٌ، عن ابنِ أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾. قال: كان أمَرَ موسَى قَوْمه - عن أمْر رَبِّه - أنْ يَقْتُل بعضهم بعضًا،

---

(١) [ضعيف] إبراهيم بن بشار تقدم الحديث على تضعيفه.
(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

ولا يَقْتُلَ الرجلُ أباه ولا أخاه، فبلَغَ ذلك في ساعةٍ من نهارٍ سبعين ألفًا (١).

٩٤١- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ الآية. قال: فصاروا صَفَّيْنِ، فَجَعَلَ يَقْتُل بعضهم بعضًا، فَبَلَغَ القَتْلَى ما شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ قِيلَ لهم: قد تيبَ على القاتِلِ والمَقْتول (٢).

٩٤٢- حَدَّثَنا المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو صالِح، قال: حَدَّثَني اللَّيْث، قال: حَدَّثَني عُقَيْل، عن ابنِ شِهاب، قال: لَمَّا أُمِرَتْ بَنو إسرائيل بِقَتْلِ أَنْفُسِها بَرَزوا ومعهم موسَى، فَاضطرَبوا بالسُّيوفِ، وتَطاعَنوا بالخَناجِرِ، وموسَى رافِعٌ يَدَيْه. حتَّى إذا فَتَرَ أتاه بعضهم قالوا: يا نَبيَّ اللهِ ادْعُ الله لَنا. وأخَذوا بِعَضُدَيْه يَسْنِدونَ يَدَيْه، فَلم يَزَلْ أمْرُهم على ذلك حتَّى إذا قَبِلَ الله تَوْبَتهم قَبَضَ أيْدي بعضهم عن بعض، فَألْقَوُا السِّلاح. وحَزِنَ موسَى وبَنو إسرائيل لِلَّذي كان من القَتْلِ فيهم، فَأوحَى اللهُ إلى موسَى: ما يَحْزُنك؟ أمَّا مَنْ قُتِلَ منكم فَحَيٌّ عندي يُرْزَق، وأمَّا مَنْ بَقيَ فقد قُبِلَت تَوْبَته. فبشَّرَ بِذلك موسَى بَني إسرائيل (٣).

٩٤٣- حَدَّثَنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن الزُّهْريّ وقَتادةُ في قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾. قالا: قاموا صَفَّيْنِ يَقْتُلُ بعضهم بعضًا حتَّى قِيلَ لهم: كُفُّوا. قال قَتادَةَ: كانتْ شَهادةً لِلْمَقْتولِ وتَوْبةً لِلْحَيِّ (٤).

٩٤٤- حَدَّثَنا القاسِمُ، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْنُ، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال لي عَطاء: سَمِعْت عُبَيْد بن عُمَيْر يقول: قامَ بعضهم إلى بعض يَقْتُل بعضهم بعضًا، ما يَتَوَقَّى الرَّجُل أباه ولا أخاه ولا ابنه ولا أحَدًا حتَّى نَزَلَتِ التَّوْبةُ. قال ابن جُرَيْجٍ، وقال ابن عَبَّاس: بَلَغَ قَتْلاهم سَبْعينَ ألفًا، ثُمَّ رَفَعَ اللهُ عنهم القَتْل، وتابَ عليهم (٥).

قال ابن جُرَيْجٍ: قاموا صَفَّيْنِ، فاقْتَتَلوا بينهم، فَجَعَلَ اللهُ القَتْل لِمَنْ قُتِلَ منهم شَهادة، وكانتْ

---

(١) [حسن] المثنى مجهول الحال، وأبي حذيفة يكتب حديثه، ولبعضه شاهد في الذي قبله، وسيأتي بعد ثلاثة.

(٢) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٣) [ضعيف] عقيل بن خالد بن عقيل الأيلي أبو خالد الأموي مولى عثمان بن عفان، ثقة من أثبت الناس في الزهري، والليث بن سعد الإمام، ثبت من نظراء مالك، عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني مولاهم أبو صالح المصري كاتب الليث بن سعد، يكتب حديثه، و المثنى بن إبراهيم الآملي الطبري مجهول الحال.

(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥) [صحيح] هذا إسناد ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج، ولكنه قد توبع كما اخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة فقال: حدثنا إسحاق، والزعفراني، قالا: أنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، قال: قال لي عطاء: فاقتلوا أنفسكم سمعت عبيد بن عمير يقول: قام بعضهم إلى بعض يقتل بعضهم بعضا بالخناجر ما يبالي الرجل قتل أباه أو قتل أخاه أو قتل ابنه ولا أحدا حتى نزلت التوبة زاد إسحاق: قال ابن جريج: فأخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع مجاهدا وسعيد بن جبير قالا: قام بعضهم إلى بعض يقتل بعضهم بعضا بالخناجر لا يحن رجل على قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بيده فطرحوا ما بأيديهم فيكشف عن سبعين ألف قتيل. اهـ.

تَوْبة لِمَنْ بَقِيَ . وكان قَتْلُ بعضهم بعضًا أنَّ الله عَلِمَ أنَّ ناسًا منهم عَلِموا أنَّ العِجْل باطِل فَلم يَمْنَعهم أنْ يُنْكِروا عليهم إلاَّ مَخافة القِتال ، فَلِذلك أُمِرُ أنَّ يَقْتُل بعضهم بعضًا .

٩٤٥- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال : حَدَّثَنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لَمَّا رَجَعَ موسَى إلى قَوْمه ، وأحرَقَ العِجْلَ وذَرّاه في اليَمِّ ؛ خَرَجَ إلى رَبِّه بِمَنْ اختارَ من قَوْمِه ، فَأَخَذَتْهم الصَّاعِقة ، ثُمَّ بُعِثوا ، سَأَلَ موسَى رَبَّه التَّوْبة لِبَني إسرائيلَ مِن عِبادة العِجْل ، فَقال : لا ، إلاَّ أنْ يَقْتُلوا أنْفُسَهمْ . قال : فَبَلَغَني أنَّهم قالوا لِموسَى : نَصْبِر لأمْرِ اللَّه . فَأمَرَ موسَى مَنْ لم يكُنْ عَبَدَ العِجل أنْ يَقْتُل مَنْ عبده ، فَجَلَسوا بالأفنيةِ وأصْلَتَ عليهم القَوْمُ السُّيوف ، فَجَعَلوا يَقْتُلونَهم ، وبَكَى موسَى وبَهَش إليه الصِّبْيان والنِّساءُ يَطْلُبونَ العَفْو عنهم ، فَتابَ عليهم وعَفا عنهم ، وأمَرَ موسَى أنْ يُرْفَع عنهم السَّيْف[1] .

٩٤٦- حَدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابن وهْب ، قال : قال ابن زَيْد : لَمَّا رَجَعَ موسَى إلى قَوْمه ، وكان سَبْعونَ رَجُلاً قد اعْتَزَلوا مع هارونَ العِجْل لم يَعْبُدوه . فَقال لهم موسَى : انطَلِقوا إلى موعِد رَبِّكم . فَقالوا : يا موسَى أمَا من تَوْبة؟ قال : بَلَى ، اقتُلُوا أنفسَكُم ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية . فاختَرَطوا السُّيوفَ والجِرزَةَ والخَناجِرَ والسَّكاكين ، قال : وبُعِثت عليهم ضَبابة . قال : فَجَعَلوا يَتَلامَسونَ بالأيْدي ، ويَقْتُل بعضهم بعضًا . قال : ويَلْقَى الرَّجُل أباه وأخاه فَيَقْتُله ولا يَدْري ، قال : ويَتَنادَوْنَ فيها : رَحِمَ اللهُ عبدًا صَبَرَ حتَّى يَبْلُغ اللهُ رِضاه . وقَرَأ قول الله جَلَّ ثَناؤه : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ [الدخان : ٣٣] قال : فَقَتْلاهم شُهَداء ، وتيبَ على أحيائِهم . وقَرَأ : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2] .

فالذي ذَكَرْنا - عَمَّنْ رَوَيْنا عنه الأخْبار التي رَوَيْناها - كان تَوْبة القَوْم من الذَّنْب الذي أتَوْه فيما بينهم وبين رَبِّهم بِعِبادَتِهم العِجْل ، مع نَدَمهم على ما سَلَفَ منهم من ذلك .

وَأَمَّا معنى قوله : ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ فَإِنّه يَعْني : ارْجِعوا إلى طاعةِ خالِقِكُم وإلى ما يُرْضيه عنكُمْ . كما :

٩٤٧- حدثني المُثَنَّى بن إبراهيم ، قال : ثنا آدَم ، قال : ثنا أبو جَعْفَر ، عن الرَّبيع ، عن أبي العاليةِ : ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ . أي : إلى خالِقِكُمْ[3] .

وَهوَ مِن : بَرَأ اللهُ الخَلْقَ يَبْرَؤُهم بَرْءًا فهو بارِئهُم . والبريَّة : الخَلْقُ ، وهيَ فَعيلة بِمعنى مَفْعولة ، غَيْر أنَّها لا تُهْمَز كما لا يُهْمَز مَلَك ، وهو من (لأكْتُ) ، لَكِنَّه جَرَى بِتَرْكِ الهَمْز ، كما قال

---

(١) [ضعيف] محمد بن إسحاق صدوق مدلس ، ولم يصرح ، وسلمة بن الفضل ، ومحمد بن حميد ضعيفان .
(٢) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف ، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح .
(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال ، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان ، وهو صدوق . قال ابن أبي حاتم : حدثنا عصام بن رواد ، ثنا آدم ، ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : فتوبوا إلى بارئكم أي إلى خالقكم . اهـ

نابِغة بَني ذُبْيان:

إلاَّ سُلَيْمانَ إذْ قالَ الإلهُ لَهُ   قُم في البريَّة فاحْدُدْها عن الفَنَد [(١)]

وَقد قِيلَ: إنَّ البريّة إنَّما لم تُهْمَز؛ لأنَّها فَعيلة من البَرَى، والبرَى: التُّراب. فَكأنَّ تأويله على قول مَنْ تأوَّلَه كذلك أنَّه مَخلوق من التُّراب.

وَقال بعضهم: إنَّما أُخِذَتِ البريّة من قولك: بَرَيْتُ العود. فَلِذلك لم يُهْمَز.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وتَرْكُ الهَمْزِ من بارِئِكُم جائِز، والإبدال منها جائِز، فَإذْ كان ذلك جائِزًا في بارئِكُم فَغيْرُ مُسْتَنْكَر أنْ تكون البريّة من بَرَى اللهُ الخَلْقَ. بِتَرْكِ الهَمْزة.

وَأمَّا قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ فإنه يَعْني بِذلك: تَوْبَتكم بِقَتْلِكُم أنْفُسَكُم وطاعَتُكُم رَبَّكُم خَيْرٌ لكم عند بارِئِكُمْ؛ لأنَّكُم تَنْجُونَ بِذلك من عِقابِهِ في الآخِرة على ذَنْبكُم، وتَسْتَوْجِبونَ به الثَّواب منه.

وَقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ يقول: فتابَ اللهُ عليكم بِما فَعَلْتُم مِمَّا أَمَرَكُم به مَنْ قَتْلِ بعضكُم بعضًا. وهذا من المحذوف الذي استُغْنيَ بالظَّاهِرِ منه عن المَتْروك؛ لأنَّ معنى الكَلام: فَتوبوا إلى بارِئِكُم، فاقْتُلوا أنْفُسَكُم، ذلكُم خَيْر لكم عند بارِئِكُم، فَتُبْتُم فَتابَ اللهُ عليكُمْ. فَتَرَكَ ذِكْر قوله: (فَتُبْتُمْ) إذْ كان في قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ دَلالة بَيِّنة على اقْتِضاء الكَلام: فَتُبْتُمْ.

وَيَعْني بِقولِه: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: رَجَعَ لكم ربُّكُم إلى ما أحبَبْتُم من العَفْو عن ذُنوبكُم، وعَظيم ما رَكِبْتُم، والصَّفح عن جُرْمكُمْ، عليكُم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ يَعْني: الرَّاجِع لِمَنْ أنابَ إليه بِطاعَتِه إلى ما يُحِبُّ من العَفْو عنه. ويَعْني بـ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: العائِد عليه بِرَحْمَتِه المُنْجيَةِ من عُقوبَته.

القول في تأويل قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾

وَتأويل ذلك: واذْكُروا أيْضًا إذْ قُلْتُمْ: يا موسَى لَنْ نُصَدِّقك ولَنْ نُقِرَّ بِما جِئتنا به حتَّى نَرى الله عِيانًا، بِرَفْعِ السَّاتِرِ بيننا وبينه، وكَشْف الغِطاء دوننا ودونه حتَّى نَنْظُر إليه بِأَبْصارِنا. كما تُجْهَرُ الرَّكيّة، وذلك إذا كان ماؤُها قد غَطَّاه الطِّين، فَنُقِّي ما قد غَطَّاه حتَّى ظَهَرَ الماء وصَفا، يُقال منه:

---

(١) [البسيط]القائل: النابغة الذبياني (جاهلي). سليمان: يقصد سليمان النبي - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام -. اللغة: البَرِيَّة: الخلق. فاحددها: فاحبسها، وامنعها؛ يُقال: حَدَدْتُ فلانا عن الشر: منعته وحبسته. الفند: الخطأ في الرأي وفي القول. في تلك القصيدة يعتذر الشاعر إلى النعمان، ويذكر مآثره وورد البيت في ديوانه واختلف البيت في ديوانه عما أورده الطبري في تفسيره -:

فَتِلكَ تُبلِغُني النُعمانَ إِنَّ لَهُ فَضلاً   عَلى الناسِ في الأَدنى وَفي البَعَدِ
وَلا أَرى فاعِلاً في الناسِ يُشبِهُهُ   وَلا أُحاشي مِنَ الأَقوامِ مِن أَحَدِ
إِلّا سُلَيمانُ إِذ قالَ الإِلَهُ لَهُ قُم   في البَرِيَّةِ فَاِحدُدها عَنِ الفَنَدِ

المعنى: يقول النابغة: إن (النعمان بن المنذر) له الفضل على جميع الخلق من أدنى الأرض إلى أقصاها؛ فهو لا يشابه أفعاله وفضله على الناس من أحد إلا نبي الله (سُليمان) الذي قال له الحق تبارك وتعالى قُم إلى الخلق فاحبسهم عن الشر والخطأ.

جَهَرْتُ الرَّكيَّةَ أجهَرُها جَهْرًا وجَهْرة؛ ولِذلك قِيلَ: قد جَاهَرَ فُلانٌ بهذا الأمْر مُجاهَرةً وجِهارًا: إذا أظْهَرَه لِرَأْيِ العَيْن وأعْلَنَه، كما قال الفَرَزْدَق بن غالِب:

مِن اللَّائي يَظَلُّ الألْفُ منهُ مُنِيخًا من مَخافَته جِهارا[1]

٩٤٨- وكما حَدَّثَنا القاسِمُ، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عَبَّاس: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾. قال: عَلانيَةً[2].

٩٤٩- وحُدِّثتُ عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه عن الرَّبيع: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾. قال: عِيانًا[3].

٩٥٠- وحَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: حتَّى يَطْلُع إلينا[4].

٩٥١- حَدَّثَنا بِشْرٌ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: أيْ: عِيانًا[5].

فَذَكَّرهم بِذلك جَلَّ ذِكْره كثرةَ اختِلاف آبائِهم وسوءَ استِقامةِ أسلافهم لأنْبيائِهم، مع كَثْرة مُعايَنَتهم من آيات اللهِ وعِبَره ما تَثْلُج بِأقَلِّها الصُّدور، وتَطْمَئِنُّ بالتَّصْديقِ معها النُّفوس؛ وذلك مع تَتابُع الحُجَج عليهم، وسُبوغ النِّعَم من اللهِ لَدَيْهم. وهم مع ذلك مرَّةً يَسْألونَ نَبيَّهم أنْ يجْعَل لهم إلَهًا غَيْر اللهِ ومَرَّة يَعْبُدونَ العِجْل من دون اللّه، ومَرَّة يقولونَ: لن نُصَدِّقك حتَّى نَرَى الله جَهْرة، وأُخْرَى يقولونَ له إذا دُعوا إلى القِتال: اذهب أنتَ وربُّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. ومَرَّة

---

(١) [الوافر] القائل: الفرزدق (أموي). اللغة: اللائي: الذين. الألف: يقصد (ألف رجل). منيخا: من قولك أنخت الإبل فاستناخت أي بركت ونَخْنَخْتها فتنخنخت من الزجر. جهارا: مَنَ الجَهْرةِ: وهي ما ظَهَرَ، ورآه جَهْرَةً لم يكن بينهما سِترٌ، ورأيته جَهْرَةً وكلمتُه جَهْرَةً. وليتضح المعنى لابد من أن نورد البيت السابق لهذا البيت - والبيت فيه اختلاف عما ورد عند الطبري -:

عَوى فَأثارَ أغلَبَ ضَيغَمِيًّا فَوَيلَ ابنِ المَراغَةِ ما اِستَثارا
مِنَ اللائي يَظَلُّ الألفُ مِنهُ مُنيخًا مِن مَخافَتِهِ نَهارا

اللغة: عوى: عَوَى الكَلْبُ، والذئبُ يَعْوِي عَيًّا وعُواءً، ويقصد بمن عوى جريرا.

ضيغميا: الأسد، و (أغلب ضيغميا) يعني نفسه أي يصف نفسه بالأسد. المعنى: يقول فرزدق هاجيا جريرا: أن جريرا عندما عوى أثاره، وهو كالأسد؛ فويل لجرير ممن حركه وعكر عليه صفوه؛ فهو كالأسد إذا ظهر لألف رجل في النهار جهرة أخافهم من قوته وطلعته، والمعروف عن الأسود أنها تكون أكثر شجاعة ليلا؛ فهو يصف شجاعته بتلك الصورة نهارا؛ فيكون في الليل أشد وأقوى.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يدرك ابن عباس، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج، وله إسناد آخر ضعيف عند ابن ابي حاتم.

(٣) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف.

(٤) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٥) [حسن] من أجل شيخ المصنف بشر بن معاذ العقدي صدوق، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

يُقال لهم: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨] فيقولونَ: حِنْطة في شَعيرة. ويَدْخُلونَ الباب من قِبَل أستاهِهم، مع غَيْر ذلك من أفعالهم التي آذَوْا بها نَبيّهم عليه السَّلام التي يَكْثُر إحصاؤُها.

فَأعْلَم رَبُّنا تَبارَكَ اسمهُ وتعالى ذِكْرُه الذينَ خاطَبَهم بهذه الآيات من يَهود بَني إسرائيلَ الذينَ كانوا بين ظَهْرانَيْ مُهاجَرِ رَسول الله ﷺ أنَّهم لَنْ يَعْدوا أنْ يكونوا - في تَكْذيبهم مُحَمَّدًا ﷺ، وجُحودهم نُبوَّته، وتَرْكهم الإقْرار به وبِما جاء به، مع عِلْمهم به ومعرِفَتهم بحَقيقةِ أمْره - كَأسلافِهم وآبائِهم الذينَ قَصَّ الله عليهم قَصَصهم في ارْتِدادهم عن دينهم مَرّة بعد أُخْرَى، وتَوَثُّبهم على نَبيّهم موسَى صَلَوات الله وسَلامه عليه تارة بعد أُخْرَى، مع عَظيم بَلاء اللهِ عندهم وسُبوغ آلائِه عليهم.

القول في تأويل قوله جلّ وعزَّ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قال أبو جعفر: اختَلَفَ أهل التَّأويل في صِفة الصَّاعِقة التي أخَذَتهم؛ فقال بعضهم بما:

٩٥٢- **حَدَّثنا** به الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ قال: ماتوا(١).

٩٥٣- **وَحُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ قال: سَمِعوا صَوْتًا فَصَعِقوا. يقول: فَماتوا(٢).

وَقال آخَرونَ بِما:

٩٥٤- **حَدَّثَني** موسَى بن هارونَ الهَمْدانيّ، قال: ثنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: والصَّاعِقة: نارٌ(٣).

وَقال آخَرونَ بِما:

٩٥٥- **حَدَّثَنا** به ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، قال: أخَذَتْهم الرَّجْفة وهيَ الصَّاعِقة فَماتوا جَميعًا(٤).

وَأصْلُ الصَّاعِقة: كُلّ أمر هائِلٍ من رَآه أو عايَنَه أو أصابَه حتَّى يَصير من هَوْله وعَظيم شَأنه إلى هَلاك وعطبٍ أو إلى ذَهاب عَقْلٍ وغُمور فَهْم، أو فقد بعض آلات الجِسْم، صَوْتًا كان ذلك، أو نارًا، أو زَلْزَلة، أو رَجْفًا. ومِمَّا يَدُلُّ على أنَّه قد يكون مَصْعوقًا وهو حَيٌّ غَيْر مَيِّت، قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] يَعْني: مَغْشيًّا عليه. ومنه قول جَرير بن عَطيّة:

وَهَلْ كانَ الفَرَزْدَقُ غَيْرَ قِرْدٍ ... أصابَتْه الصَّواعِقُ فاستَدارا(٥)

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٢) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف. (٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٤) [ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٥) [الوافر] القائل: جرير (أموي). اللغة: الصواعق: جمع صاعقة: صَعِقَ الإنسان صَعْقًا وصَعَقًا فهو صَعِقٌ غُشِيَ

فَقد عُلِمَ أنَّ موسَى لم يكُنْ حين غُشِيَ عليه وصَعِقَ، مَيِّتًا؛ لأنَّ اللهَ جلَّ ثناؤه قد أخْبَرَ عنه أنَّه لَمَّا أفاقَ قال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ ولا شَبَّه جَريرٌ الفَرَزْدَقَ وهو حَيٌّ بالقِرْدِ مَيِّتًا، ولَكِنْ معنى ذلك ما وصَفْنا. ويَعْني بِقولِه: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: وأنتم تَنْظُرونَ إلى الصَّاعِقة التي أصابَتْكُم. يقول: أخَذَتْكُم الصَّاعِقة عِيانًا جِهارًا وأنتم تَنْظُرونَ إليها.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

يَعْني بِقولِه: ﴿بَعَثْنَٰكُم﴾: أحيَيْناكُم.

وَأصْل البعْث: إثارة الشَّيْء من مَحَلِّه، ومنه قِيلَ: بَعَثَ فُلان راحِلَته: إذا أثارَها من مَبْرَكِها لِتَسير، كما قال الشَّاعِر:

فَأبْعَثُها وهِيَّ صَنيعُ حَوْلٍ كَرُكْنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبةً وَقاحا[1]

والرَّعْن: مُنْقَطَع أنْف الجَبَل، والذِّعْلِبة: الخَفيفة، والوَقاح، الشَّديدة الحافِر أو الخُفِّ. ومن ذلك قِيلَ: بَعَثْت فُلانًا لِحاجَتي: إذا أقَمْته من مَكانه الذي هو فيه لِلتَّوَجُّه فيها. ومنه قِيلَ ليوم القيامة: يوم البعْث، لأنَّه يوم يُثار النَّاسُ فيه من قُبورهم لِموقِفِ الحِساب.

ويَعْني بِقولِه: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: من بعد موتكُم بالصَّاعِقةِ التي أهلَكَتْكُمْ.

وَقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. يقول: فَعَلْنا بِكُم ذلك لِتَشكُروني على ما أولَيْتُكُم من نِعْمَتي عليكُم بِإحيائي إيَّاكُم اسْتِيناءً مِنِّي لكم لِتُراجِعوا التَّوْبة من عَظيم ذَنْبكُم بعد إحلالي العُقوبة بِكُم بالصَّاعِقةِ التي أحَلَلْتها بِكُم، فَأماتَتْكُم بِعَظيم خَطَاياكُم التي كانت منكُم فيما بينكُم وبين رَبِّكُمْ.

وَهذا القول على تأويل مَنْ تأوَّلَ قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ ثُمَّ أحيَيْناكُمْ.

وَقال آخَرونَ: معنى قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ أيْ: بَعَثْناكُم أنْبياء.

٩٥٦- **حَدَّثني** بِذلك موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ[2].

عليه وذهب عقله من صوت يسمعه. استدار: تحوَّل من هيئة لأخرى. يقول جرير قادحا في الفرزدق قدحا شديدا: إن الفرزدق أساس خلقته أنه كان قردا ثم استدار فأصبح إنسانا؛ فلما أصابه كلامي صعقه فمسخه وحوله لصورته الأولى التي كان عليها! المعنى: وقد أخطأ جرير هاهنا في المعنى الذي أراد أن يقوله؛ لأن ما يُفهم من البيت أن الفرزدق كان في الأصل قرد؛ فأصابه كلام جرير وشعره فتحول لإنسان؛ ولكن ما قصده هو ما تم شرحه سابقا.

(١) [الوافر] القائل: لم أهتدِ لقائله. اللغة: أبعثها: أثارها من مبركها، والهاء في الفعل عائد إلى ناقة الشاعر. صنيع: يقال فرس صنيع إذا أحسن صاحبه القيام عليه حتى أصبح فرسا جيدا. الحول: العام الكامل. و (صنيع حول) أي قد رعت عاما حتى سمنت. والرعن: الأنف العظيم من الجبل تراه متقدما. ذعلبة: ناقة سريعة باقية على السير. وقاح: صلبة صبور، وتقال للذكر والأنثى. المعنى: يقول الشاعر مصورا ناقته بعد أن تعهدها بالرعاية عاما كاملا - وهنا مدح الشاعر نفسه أيضا بحسن تربيته وقيامه بناقته -؛ ثم شبهها في جلالها وقوتها بركن الجبل البارز القوي، ثم يقول على الرغم من قوتها وجلالها فهي سريعة صلبة صبور.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

وَتأويل الكَلام على ما تأوَّلَه السُّدِّيّ: فَأَخَذَتْكُم الصَّاعِقة، ثُمَّ أحيَيْناكُم من بعد موتكُم، وأنتم تَنظُرونَ إلى إحيائِناكُم من بعد موتكُم، ثُمَّ بَعَثْناكُم أنبياء لَعَلَّكُم تَشْكُرونَ.

وَزَعَمَ السُّدِّيّ أنَّ ذلك من المُقَدَّم الذي معناه التَّأخير، والمُؤَخَّرِ الذي معناه التَّقْديم.

٩٥٧- حَدَّثَنا بِذلك موسَى، قال: ثنا عَمْرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ (١).

وهذا تأويلٌ يَدُلُّ ظاهِرُ التِّلاوة على خِلافه مع إجماع أهل التَّأويل على تَخطِئَته. فالواجِب على تأويل السُّدِّيّ الذي حَكَيْناه عنه أنْ يكون معنى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: تَشْكُروني على تَصْييري إيَّاكُم أنبياء.

وَكان سَبَب قيلهم لِموسَى ما أخبَرَ اللهُ عنهم أنَّهم قالوه له من قولِهِمْ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾. ما:

٩٥٨- حَدَّثَنا به ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمةُ، عن مُحَمَّد بن إسحاق، قال: لَمَّا رَجَعَ موسَى إلى قَوْمه، ورَأى ما هم فيه من عِبادة العِجْل، وقال لأخيه ولِلسَّامِرِيِّ ما قال، وحَرَّقَ العِجْل وذَرَّاه في البحرِ؛ اختارَ موسَى منهم سَبْعينَ رَجُلاً؛ الخَيِّرَ فالخَيِّرَ، وقال: انطَلِقوا إلى اللهِ فَتوبوا إليه مِمَّا صَنَعْتُم وسَلوه التَّوْبَةَ على مَنْ تَرَكْتُم وراءَكُم من قَوْمكُم، صوموا وتَطَهَّروا وطَهِّروا ثيابكُمْ. فَخَرَجَ بهم إلى طور سَيْناء لِميقاتٍ وقَّتَه له رَبُّه، وكان لا يَأتيه إلاَّ بإذْنٍ منه وعِلْم. فَقال له السَّبْعونَ - فيما ذُكِرَ لي - حين صَنَعوا ما أمَرَهم به وخَرَجوا لِلِقاءِ ربِّه: قالوا: يا موسَى اطْلُبْ لنا إلى رَبِّك نَسْمَعْ كَلام رَبِّنا. فَقال: أفعَل. فَلَمَّا دَنا موسَى مِنَ الجَبَل وقَعَ عليه عمودُ الغَمام حتَّى تَغَشَّى الجَبَل كُلَّه، ودَنا موسَى فَدَخَلَ فيه، وقال لِلْقَوْم: ادْنوا. وكان موسَى إذا كَلَّمَه وقَعَ على جَبْهَته نورٌ ساطِعٌ لا يَسْتَطيعُ أحَدٌ من بَني آدَم أنْ يَنْظُر إلَيه، فَضُرِبَ دونه بالحِجاب. ودَنا القَوْم حتَّى إذا دَخَلوا في الغَمام وقَعوا سُجودًا، فَسَمِعوه وهو يُكَلِّم موسَى يَأمُره ويَنْهاه: افعَلْ ولا تَفعَل. فَلَمَّا فَرَغَ إليه من أمْره انكَشَفَ عن موسَى الغَمام فَأقْبَلَ إليهم فَقالوا لِموسَى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأخذتهم الرجفة، وهيَ الصَّاعِقة فَماتوا جَميعًا. وقامَ موسَى يُناشِد رَبَّه ويَدْعوه، ويَرْغَبُ إليه ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] قد سَفِهوا، أفَتُهْلِك مَنْ ورائي من بَني إسرائيلَ بِما فَعَل السُّفَهاءُ مِنَّا؟ - أي: إنَّ هذا لهم هَلاك - اختَرْت منهم سَبْعينَ رَجُلاً، الخَيِّرَ فالخَيِّرَ أرْجِعُ إليهم ولَيْسَ مَعي منهم رَجُل واحِد، فَما الذي يُصَدِّقوني به أو يَأمَنوني عليه بعد هذا؟ ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فَلم يَزَلْ موسَى يُناشِد رَبَّه ويسأله ويَطْلُبُ إليه، حتَّى رَدَّ إليهم أرْواحهم، فَطَلَب إليه التَّوْبة لِبَني إسرائيل من عِبادة العِجْل، فَقال: لا، إلاَّ أنْ يَقْتُلوا أنْفُسهمْ (٢).

---

(١) [ضعيف]من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف]سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

٩٥٩- حدثني موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عَمرو بن حَمّاد، قال: ثنا أسباط بن نَصْر، عن السُّدِّيّ: لَمَّا تابَتْ بَنو إسرائيلَ من عِبادة العِجْل، وتابَ اللهُ عليهم بِقَتْلِ بعضهم بعضًا كما أمَرَهم به، أمَرَ الله تعالى موسَى أنْ يَأتيه في ناسٍ من بَنَى إسرائيل يَعْتَذِرونَ إليه من عِبادة العِجْل، ووَعَدَهم موعِدًا، فاختارَ موسَى من قَوْمه سَبْعينَ رَجُلًا على عَيْنه، ثُمَّ ذَهَبَ بهم ليَعْتَذِروا. فَلَمَّا أتَوْا ذلك المَكان قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ فإنّك قد كَلَّمْته فأرِناه. فأخَذَتْهم الصَّاعِقة فَماتوا، فَقامَ موسَى يَبْكي، ويَدْعو الله ويقول: رَبِّ ماذا أقول لِبَني إسرائيل إذا أتَيْتُهم وقد أهْلَكْتَ خيارهم؟ ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ فأوحَى اللهُ إلى موسَى إنَّ هؤلاء السَّبْعينَ مِمَّنْ اتَّخذَ العِجْل. فذلك حين يقول موسَى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥- ١٥٦] وذلك قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾. ثُمَّ إنَّ اللهَ أحياهم، فقاموا وعاشوا رَجُلًا رَجُلًا يَنْظُر بعضهم إلى بعض كيفَ يَحْيونَ، فَقالوا: يا موسَى أنتَ تَدْعو اللهَ فلا تَسْأله شَيْئًا إلاَّ أعْطاك، فادْعُه يجْعَلْنا أنْبياء. فَدَعا الله تعالى فَجَعَلَهم أنْبياء، فَذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ ولَكِنَّه قَدَّمَ حَرْفًا وأخَّرَ حَرْفًا (١).

٩٦٠- حدثني يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: قال لهم موسَى - لَمَّا رَجَعَ من عند رَبِّه بالألواح، قد كُتِبَ فيها التَّوْراة فَوَجَدَهم يَعْبُدونَ العِجْل، فأمَرَهم بِقَتْلِ أنْفُسهم، فَفَعَلوا، فَتابَ اللهُ عليهم -: إنَّ هذه الألواحَ فيها كِتاب الله، فيه أمْرُه الذي أمَرَكُم به، ونَهْيُه الذي نَهاكُم عنه. فَقالوا: ومَنْ يَأخُذ بِقولِك أنتَ؟ لا واللّه حتَّى نَرَى الله جَهْرة، حتَّى يَطْلُع الله علينا فَيقول: هذا كِتابي فَخُذوهُ فَما له لا يُكَلِّمنا كما يُكَلِّمك أنتَ يا موسَى فَيقول: هذا كِتابي فَخُذوهُ؟ وقَرَأ قول الله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: فَجاءَتْ غَضْبة من الله، فَجاءتْهم صاعِقة بعد التَّوْبة، فَصَعَقَتْهم فَماتوا أجْمَعونَ. قال: ثُمَّ أحياهم الله من بعد موتهم. وقَرَأ قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فَقال لهم موسَى: خُذوا كِتاب اللّه. فَقالوا: لا. فَقال: أيُّ شَيْءٍ أصابَكُمْ؟ قالوا: أصابَنا أنَّا مِتْنا ثُمَّ حَيينا. قال: خُذوا كِتاب اللّه. فقالوا: لا. قال: فَبَعَثَ اللهُ مَلائِكةً، فَنَتَقَتِ الجَبَل فَوْقهمْ (٢).

٩٦١- حدثنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ قال: أخَذَتْهم الصَّاعِقة، ثُمَّ بَعَثَهم الله ليُكَمِّلوا بَقيَّة آجالهمْ (٣).

---

(١) [ضعيف]من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [صحيح]لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٣) [صحيح]أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

٩٦٢- حدثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنس في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ﴾. قال: هم السَّبْعونَ الذينَ اختارَهم موسَى فساروا معه. قال: فَسَمِعوا كَلامًا، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾. قال: فَسَمِعوا صَوْتًا فَصَعِقوا. يقول: ماتوا. فَذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ فَبُعِثوا من بعد موتِهِمْ؛ لأنَّ موتَهم ذاكَ كان عُقوبةً لهم، فَبُعِثوا لِبَقيَةِ آجالِهم (١).

فَهذا ما رُويَ في السَّبَب الذي من أجْله قالوا لِموسَى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾.

وَلا خَبَر عندنا بِصِحَّةِ شَيْءٍ مِمَّا قاله من ذِكْرنا قوله في سَبَب قيلهم ذلك لِموسَى تَقوم به حُجّة فَيُسَلَّم له.

وجائِز أنْ يكون ذلك بعض ما قالوه، فَإذ كان لا خَبَر بِذلك تَقوم به حُجَّةٌ، فالصَّواب من القول فيه أنْ يُقال: إنَّ الله تعالى ذكرُه قد أخْبَرَ عن قَوْم موسَى أنَّهم قالوا له: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ كما أخْبَرَ عنهم أنَّهم قالوه.

وإنما أخْبَرَ اللهُ بِذلك عنهم الذينَ خوطِبوا بهذه الآيات تَوْبيخًا لهم على كُفْرهم بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وقد قامَتْ حُجَّته على مَنْ احتجَّ به عليه، ولا حاجة لِمَنْ انتهَتْ إليه إلى معرِفة السَّبَب الدَّاعي كان لهم إلى قِيلِ ذلك وقد قال الذينَ أخبرْنا عنهم الأقْوالَ التي ذَكَرْناها، وجائِزٌ أنْ يكون بعضها حَقًّا كما قال.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾

قالَ أبو جَعْفَرٍ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ عَطْفٌ على قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ فَتأويلُ الآية: ثُمَّ بَعَثْناكُم من بعد موتكُم، وظَلَّلْنا عليكُم الغَمام - وعَدَّد عليهم سائِر ما أنْعَمَ به - عليهم لَعَلَّكُم تَشْكُرونَ.

والغَمام جَمع غَمامة، كما السَّحاب جَمْع سَحابة، والغَمامُ هو ما غَمَّ السَّماءَ فَألْبَسها من سَحاب وقَتام وغَيْر ذلك مِمَّا يَسْتُرها عن أعْيُن النَّاظِرينَ، وكُلُّ مُغَطًّى فَإنَّ العربَ تُسَمّيه مَغْمومًا. وَقد قِيلَ: إنَّ الغَمام التي ظَلَّلَها اللهُ على بَني إسرائيل لم تَكُنْ سَحابًا.

٩٦٣- حدثنا أحمَد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمَد، قال: ثنا سُفْيان، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ قال: لَيْسَ بالسَّحاب (٢).

٩٦٤- حدثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾. قال: لَيْسَ بالسَّحابِ، هو الغَمام الذي يَأتي الله فيه يوم القيامة، لم يكُنْ إلاَّ لهم (٣).

٩٦٥- حدثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي

---

(١) [ضعيف] المثنى مجهول الحال. (٢) [حسن] من أجل الأهوازي، وبقية رجاله ثقات.
(٣) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل المثنى مجهول الحال، وأبي حذيفة يكتب حديثه.

نَجيح، عن مُجاهِدٍ في قول الله جَلَّ وعزَّ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾. قال: هو بِمَنزِلةِ السَّحاب(١).

٩٦٦- حدَّثنا القاسِمُ، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عَبَّاس: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾. قال: غَمام أبْرَد من هذا وأطيَب، وهو الذي يَأتي اللهُ جَلَّ وعزَّ فيه يوم القيامة. في قوله: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وهو الذي جاءتْ فيه المَلائِكة يوم بَدْر. قال ابن عَبَّاس: وكان معهم في التِّيه(٢).

وَإِذْ كان معنى الغَمام ما وصَفْنا مِمَّا غَمَّ السَّماءَ من شَيْءٍ فَغَطَّى وجهها عن النَّاظِر إليها، فَلَيْسَ الذي ظَلَّلَه الله على بَني إسرائيل فَوَصَفَه بِأنَّه كان غَمامًا بِأولَى بِوَصْفِه إيَّاه بِذلك أنْ يكون سَحابًا، منه بِأنْ يكون غَيْر ذلك مِمَّا ألْبَسَ وجه السَّماء من شَيْء. وَقد قِيلَ: إنَّه ما ابْيَضَّ من السَّحاب.

القول في تأويل قوله جَلَّ وعزَّ: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾

اختَلَفَ أهل التَّأويل في صِفة المَنّ فَقال بعضهم بِما:

٩٦٧- **حَدَّثني** به مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾. قال: المَنُّ: صَمْغة(٣).

٩٦٨- **وحَدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله(٤).

٩٦٩- **حَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبَرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبَرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾. يقول: كان المَنُّ يَنْزِل عليهم مِثْل الثَّلْج(٥).

وَقال آخَرونَ: هو شَراب.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

٩٧٠- **حَدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس، قال: المَنُّ: شَرابٌ كان يَنْزِل عليهم مِثْل العَسَل، فَيَمْزُجونَه بالماءِ، ثُمَّ يَشْرَبونَهُ(٦).

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يدرك ابن عباس، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٥) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٦) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن أخرجه ابن ابي حاتم في التفسير بسند حسن فقال: حدثنا أبي،

وَقال آخَرونَ: المَنُّ: عَسَل.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٩٧١- **حَدّثَنا** يونُسُ، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: المَنُّ: عَسَلٌ كان يَنزِلُ لهم من السَّماء[١].

٩٧٢- **حَدّثَنا** أحمَد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد، قال: حَدَّثَنا إسرائيل، عن جابِر، عن عامِر، قال: عَسَلكُم هذا جُزْء من سَبْعينَ جُزْءًا من المَنّ[٢].

وَقال آخَرونَ: المَنُّ: الخُبزُ الرُّقاق.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٩٧٣- **حَدّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا إسماعيل بن عبد الكَريم، قال: حَدَّثَني عبد الصَّمَد، قال: سَمِعْت وهْبًا وسُئِلَ ما المَنُّ؟ قال: خُبْز الرُّقاق، مِثل الذُّرة، أو مِثْلُ النَّقيّ[٣].

وَقال آخَرونَ: المَنُّ: الزنجبيل.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٩٧٤- **حَدّثَني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرٌو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: المَنُّ كان يَسْقُط على الشَّجَر الزنجبيل[٤].

وَقال آخَرونَ: المَنُّ هو الذي يَسْقُط على الشَّجَر الذي يأكُله النَّاس.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٩٧٥- **حَدّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا الحِمَّانيُّ، قال: حَدَّثَنا شَريك، عن مُجالِد، عن عامِر في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾. قال: المَنُّ: الذي يَقَع على الشَّجَر[٥].

٩٧٦- **حَدّثَنا** أحمَدُ، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قال: حَدَّثَنا شَريك، عن مُجالِد، عن

ثنا أحمد بن عبد الرحمن، ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل، يمزجونه بالماء ثم يشربونه. اهـ.

(١) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٢) [ضعيف] جابر بن يزيد الجعفي متروك.

(٣) [حسن] هذا سند ضعيف، المثنى مجهول الحال، ولكن أخرجه ابن ابي حاتم بسند حسن فقال: أخبرنا أبو عبد الله الطهراني، فيما كتب إلي، ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه، وسئل: ما المن؟قال: خبز الرقاق مثل الذرة أو مثل النقى. اهـ

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] مجالد بن سعيد بن عمير بن بسطام ضعيف يكتب حديثه، وشريك القاضي سيء الحفظ، ويحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون بن عبد الرحمن الحماني أبو زكريا الكوفي وجده ميمون ويقال: عبد الرحمن بن ميمون يلقب: بشمين، ضعيف يعتبر به، والمثنى مجهول الحال.

عامِر، قال: المَنُّ: هذا الذي يَقَع على الشَّجَر [١].

٩٧٧- **وحُدِّثتُ** عن المِنْجابِ، قال: حَدَّثَنا بِشر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿ٱلْمَنَّ﴾ قال: المَنُّ: الذي يَسْقُط من السَّماء على الشَّجَر فيأكُله النَّاس [٢].

٩٧٨- **حَدَّثَني** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عَبَّاس: كان المَنُّ يَنْزِل على شَجَرهم فَيَغْدونَ إليه فَيَأكُلونَ منه ما شاءوا [٣].

وَقد قِيلَ: إنَّ المَنَّ: هو الترنجبين.

وَقال بعضهم: المَنُّ: هو الذي يَسْقُط على الثُّمام والعُشَرِ، وهو حُلْو كالعَسَلِ، وإيَّاه عَنَى الأعْشَى مَيْمون بن قَيْس بِقولِه:

لو أُطعَموا المَنَّ والسَّلْوَى مَكانهمُ ... ما أبْصَرَ النَّاسُ طُعمًا فيهمُ نَجِعا [٤]

وَتَظاهَرَتِ الأخْبار عن رَسول الله ﷺ أنَّه قال: «**الْكَمْأَة مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**».

وَقال بعضهم: المَنُّ: شَراب حُلْو كانوا يَطْبُخونَه فَيَشْرَبونَه.

وَأَمَّا أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت الثقفيُّ فَإنَّه جَعَلَه في شِعْره عَسَلاً، فَقال يَصِفُ أمْرهم في التِّيه وما رُزِقوا فيه:

فَرَأى اللهُ أنَّهم بِمَضيَعٍ ... لا بِذي مَزْرَعٍ ولا مَثْمورا

فَسَناها عليهم غاديات ... ومَرَى مُزْنهم خلايا وخورا

---

(١) [ضعيف] تقدم الحديث عن بعض رجاله في الذي قبله.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يدرك ابن عباس، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [البسيط] القائل: الأعشى (جاهلي). اللغة: المن: هو شيء يشبه الصَّمغ طعمه كالعسل. السَّلوى: وهو طير يشبه السُّمانَى. والطعم: ما أكل من الطعام. نجعا: نجع الطعام في الإنسان: أكله وتبينت تنميته، واستمرأه وصلح عليه. المعنى: يقول الشاعر في تلك القصيدة - التي بلغت ثلاثة وسبعين بيتا - مصورا تلك الحادثة التي وقعت بين (ذا التاج هوذة بن علي الحنفي) صاحب اليمامة، و (المكعبر الفارسي) والي كسرى على البحرين، وكان (هوذة) قد استولى على أموال كانت تُرسل إلى كسرى؛ فعندما علم (المكعبر) ما فعله (هوذة) استدركه إلى حصن بالبحرين اسمه (المشقر)؛ فقتل منهم رجالا كثيرا؛ فطلب (هوذة) من (المكعبر) أن يعفو عن مائة من الأسرى؛ ففعل (المكعبر)؛ فراح شاعرنا يصور لنا تلك الواقعة، ويصف بني تميم بكفر نعم

سائِلِ تَميمًا بِهِ أيَّامَ صَفقَتِهِم ... لَمَّا أتَوهُ أسارى كُلُّهُم ضَرَعا

وَسطَ المُشَقَّرِ في عَيطاءَ مُظلِمَةٍ ... لا يَستَطيعونَ فيها ثَمَّ مُمتَنَعا

لَو أُطعِموا المَنَّ وَالسَلوى مَكانَهُمُ ... ما أَبصَرَ الناسُ طُعمًا فيهِمُ نَجَعا

فاستخدم الشاعر في البيت (المن والسلوى) لبيان هذه النعمة التي كفرها بنو تميم، ومعنى البيت أن بني تميم لو أكلوا المنَّ والسلوى، ما رأى الناس عليهم أثر النعمة لكفرهم بالنعم.

عـسـلاً نـاطـفًـا ومـاءً فُـراتًـا وحـلـيـبًـا ذا بـهـجـة مَـرْمُـورا[١]

فَجَعَلَ المَنَّ الذي كان يَنْزِلُ عليهم عَسَلاً ناطِفًا، والنَّاطِف: هو القاطِر.

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿وَٱلسَّلۡوَىٰۖ﴾

والسَّلْوَى: اسم طائِر يُشْبِه السُّمَانَى، واحِده وجِماعه بِلَفْظٍ واحِد، وكذلك السُّمَانَى لَفْظُ جِماعها وواحِدها سَواء. وقد قِيلَ: إنَّ واحِدة السَّلْوَى سَلْواةٌ.

ذِكر مَنْ قال ما قلنا في ذلك:

٩٧٩- **حدثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: أخبَرَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ في خَبَر ذَكَرَه عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرَّة الهَمْدانيِّ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصْحاب النَّبيِّ ﷺ: السَّلْوَى: طَيْرٌ يُشْبِه السُّمَانَى[٢].

٩٨٠- **وَحدثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: كان طَيْرًا أكْبَر من السُّمَانَى[٣].

٩٨١- **وَحدثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتاده، قال: السَّلْوَى: طايرٌ كانتْ تَحْشُرها عليهم الرِّيحُ الجَنوبُ[٤].

٩٨٢- **حدثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد قال: السَّلْوَى: طائِر[٥].

---

(١) [الخفيف] القائل: أمية بن أبي الصلت (مخضرم أدرك الإسلام ولم يسلم). اللغة: مضيع: أي أنهم بموضع ضياع وهلاك. مزرع: مصدر ميمي من الفعل (زرع) والمقصود أنه ليس بذي زرع. معمورا: إذا ذهب خراب الشيء ووحشته كان معمورا. فنساها: من الفعل (نسأ) و يُقال (نسأل الإبل) أي ساقها، وتشبه في تخفيفها (برأ، براها). غاديات: سحابة تنشأ غدوة. مرى: (مرى الناقة) مسح درعها لتدر لبنا. مزنهم: السحابة ذات الماء. خلايا: وهي الناقة التي خليت للحلب لكرمها وغزارة لبنها. خورا: إبل حمر إلى الغبرة، رقيقات الجلود، طوال الأوبار، لها شعر ينفذ وبرها، وهي أطول من سائر الوبر، فإذا كانت فهي غزار كثيرة اللبن. ناطف: نطف ينطف أي يقطر. فرات: أشد الماء عذوبة. مثمورا: يُقال قيل الثَّمِير والثَّمِيرة الذي ظهر زُبْدُه؛ فيكون على هذا المعنى (مثمورا) بمعنى (ثميرا).

الأبيات واردة في ديوانه:

فَـرَأى الـلَـهُ أنَـهُـم بِـمَـضِـيـعٍ لا بِـذِي مَـزرَعٍ وَلا مَـثـمـورا
فَـعَـفـاهـا عَـلَـيـهِـم غـاديـاتٌ وَتَـرى مُـزنَـهُـمُ خَـلايـا وَخـورا
عَـسَـلاً نـاطِـفًـا فُـراتًـا وَحَـلـيـبًـا ذا بَـهـجَـةٍ مَـمـرورا

المعنى: يقول الشاعر في تلك الأبيات أن الله رآهم في موضع هلاك وضياع، وليسوا بموضع زرع معمورا، ثم شبه السحاب الغزير الماء بهذين الضربين من النوق الغزيرة اللبن، يحلب مطرها عليهم حلبا، ثم فصل في البيت التالي أنواع ما نزل عليهم من السماء؛ فيقول أنها تقطر عليهم عسلا، وماءً عذبا، وحليبا يبهج من رآه ظهر زبده.

(٢)، (٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

٩٨٣- حَدّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: السَّلْوَى: طَائِر [١].

٩٨٤- وَحُدّثت عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: السَّلْوَى: هو السُّمَانَى [٢].

٩٨٥- حَدّثَني أحمَد بن إسحاق، قال: أخبرَنا أبو أحمَد، قال: أخبَرَنا شَريك، عن مَجالِد، عن عامِر، قال: السَّلْوَى: السُّمانَى [٣].

٩٨٦- حَدّثني المُثَنَّى، قال: ثنا الحِمَّانيّ، قال: ثنا شَريك، عن مُجالِد، عن عامِر، قال: السَّلْوَى: السُّمَانَى [٤].

٩٨٧- حَدّثَنا المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس: السلوى: كان طيرًا يأتيهم مثل السُّمَانَى [٥].

٩٨٨- وَحَدّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: السَّلْوَى: طَيْر [٦].

٩٨٩- وَحَدّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكَريم، قال: حَدَّثَني عبد الصَّمَد، قال: سَمِعْت وهبًا وسُئِلَ: ما السَّلْوَى؟ فَقال: طَيْرٌ سَمين مِثْل الحَمام [٧].

٩٩٠- حَدّثَنا ابن بَشَّار، قال: ثنا أبو عامِر، قال: ثنا قُرَّةُ، عن الضَّحَّاك، قال: السُّمَانَى هو السَّلْوَى [٨].

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: فَإنْ قال قائِل: وما كان سَبَبُ تَظْليل اللهِ الغَمامَ وإنْزالِه المَنَّ والسَّلْوَى على هؤلاء القَوْم؟

قِيلَ: قد اختَلَفَ أهل العِلْم في ذلك، ونَحْنُ ذاكِرونَ ما حَضَرَنا منه.

٩٩١- فَحَدّثَنا موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: لَمَّا تابَ اللهُ على قَوْم موسَى وأحيا السَّبْعينَ الذينَ اختارَهم موسَى بعد ما أماتَهم، أمَرَهم اللهُ بالسَّيرِ إلى أريحا، وهيَ أرض بَيْت المَقْدِس، فساروا حتَّى إذا كانوا قَريبًا منها بَعَثَ موسَى اثْنَيْ عَشَر نَقيبًا، فكان من

---

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [ضعيف] تقدم الحديث عن رجاله قبل تسعة.

(٤) [ضعيف] تقدم قبله.

(٥) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٦) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٧) [ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٨) [صحيح] قرة بن خالد السدوسي أبو خالد ويقال: أبو محمد البصري، ثبت عالم، و عبد الملك بن عمرو بن القيسي أبو عامر العقدي البصري وقال أبو بكر بن منجويه: عبد الملك بن عمرو بن قيس، حافظ ثقة، و محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان العبدي أبو بكر البصري بندار الحافظ، وثقه غير واحد.

أمْرهم وأمْرِ الجبَّارِينَ، وأمْرِ قَوْم موسَى ما قد قصَّ اللهُ في كِتابه، فَقال قَوْم موسَى لِموسَى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤﴾ [المائدة: ٢٤] فَغَضِبَ موسَى، فَدَعا عليهم فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥] فكانت عَجْلَة من موسَى عَجِلَها، فقال اللهُ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ [المائدة: ٢٦] فلَمَّا ضُرِبَ عليهم التِّيهُ نَدِمَ موسَى، وأتاه قَوْمه الذينَ كانوا معه يُطيعونَه، فقالوا له: ما صَنَعْت بنا يا موسَى؟ فَلَمَّا نَدِمَ أوحَى اللهُ إليه: لا تأسَ على القَوْم الفاسِقينَ - أي: لا تَحْزَن على القَوْم الذينَ سَمَّيْتهم فاسِقينَ - فَلم يَحْزَن. فَقالوا: يا موسَى فكيفَ لنا بِماءٍ هَهُنا؟ أينَ الطَّعام؟ فَأنْزَلَ اللهُ عليهم المَنَّ، فكان يَسْقُط على الشَجَر الزَّنْجبيل، والسَّلْوَى: وهو طَيْرٌ يُشْبِه السُّمانَى، فكان يَأتي أحَدُهم، فيَنْظُر إلى الطَّيْر فإنْ كان سَمينًا ذَبَحه، وإلاَّ أرْسَلَه، فإذا سَمِنَ أتاه. فَقالوا: هذا الطَّعام، فَأيْنَ الشَّراب؟ فَأُمِرَ موسَى فَضَرَبَ بِعَصاه الحَجَر، فانفَجَرَتْ منه اثْنَتا عَشْرة عَيْنًا، فَشَرِبَ كُلّ سِبْطٍ من عَيْن. فَقالوا: هذا الطَّعام والشَّراب، فَأيْنَ الظِّلُّ؟ فَظَلَّلَ عليهم الغَمام. فَقالوا: هذا الظِّلُّ فَأيْنَ اللِّباس؟ فَكانتْ ثيابهم تَطول معهم كما تَطول الصِّبْيان، ولا يَتَخَرَّق لهم ثَوْب، فَذلك قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ﴾ وقوله: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ﴾(١).

٩٩٢- **حدَّثنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، قال: لَما تابَ اللهُ على بَني إسرائيل وأمَرَ موسَى أنْ يَرْفَع عنهُم السَّيْف مِن عِبادة العِجْل، أمَرَ موسَى أنْ يَسير بهم إلى الأرْض المُقَدَّسة، وقال: إنِّي قد كَتَبْتها لكم دارًا وقَرارًا ومَنْزِلاً، فاخرُجْ إليها وجاهِدْ مَنْ فيها من العَدوِّ فَإنّي ناصِركُم عليهم. فَسارَ بهم موسَى إلى الأرْض المُقَدَّسة بِأمْرِ اللهِ حتَّى إذا نَزَلَ التِّيه بين مِصْر والشَّام وهيَ أرْض لَيْسَ فيها خَمْر ولا ظِلّ، دَعا موسَى رَبَّه حين آذاهم الحَرّ، فَظَلَّلَ عليهم بالغَمام، ودَعا لهم بالرِّزْقِ، فَأنْزَلَ عليهم المَنَّ والسَّلْوَى(٢).

٩٩٣- **حدَّثنا** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس. وحُدِّثْتُ عن عَمَّار بن الحسن، ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾. قال: ظَلَّلَ عليهم الغَمام في التِّيه، ما هو في قدرِ خَمْسة فَراسِخ أو سِتَّة، كُلَّما أصْبَحوا ساروا غادينَ، فَأمْسَوْا فإذا هم في مَكانهم الذي ارْتَحَلوا منه، فَكانوا كذلك حتَّى مَرَّتْ أرْبَعونَ سَنة. قال: وهم في ذلك يَنْزِلُ عليهم المَنُّ والسَّلْوَى ولا تَبْلَى ثيابهم، ومعهم حَجَر من حِجارة الطّور يَحْمِلونَه معهم، فَإذا نَزَلوا ضَرَبَه موسَى بِعَصاه، فانفَجَرَتْ منه اثْنَتا عَشْرة عَيْنًا(٣).

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢) [ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٣) [ضعيف] المثنى مجهول الحال، والسند الآخر من معلقات المصنف.

٩٩٤- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكَريم، قال: حَدَّثَني عبد الصَّمَد، قال: سَمِعْتُ وهبا يقول: إنَّ بَني إسرائيل لَمَّا حَرَّمَ الله عليهم أنْ يَدْخُلوا الأرْض المُقَدَّسة أرْبَعينَ سَنة يَتيهونَ في الأرْض شَكَوْا إلى موسَى، فَقالوا: ما نَأكُل؟ فَقال: إنَّ الله سَيَأتيكُم بِما تأكُلونَ. قالوا: من أيْنَ لنا إلاَّ أنْ يُمْطِر علينا خُبْزًا؟! قال: إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ سَيُنْزِلُ عليكُم خُبْزًا مَخْبوزًا. فَكان يُنْزِل عليهم المَنَّ - سُئِلَ وهْب: ما المَنّ؟ قال: خُبْز الرُّقاق مِثْل الذُّرة أو مِثْل النَّقيِّ - قالوا: وما نَأتَدِمُ؟ وهَلْ بُدٌّ لنا من لَحم؟ قال: فَإنَّ الله يَأتيكُم به. فَقالوا: من أيْنَ لنا إلاَّ أنْ تأتينا به الرِّيح؟! قال: فَإنَّ اللهَ يأتيكُم به. فكانتِ الرِّيح تأتيهم بالسَّلْوَى - فَسُئِلَ وهْب: ما السَّلْوَى؟ قال: طَيْرٌ سَمين مِثْل الحَمام، كانتْ يأتيهم فَيَأخُذونَ منه من السَّبْت إلى السَّبْت - قالوا: فَما نَلْبَس؟ قال: لا يَخْلَقُ لأحَدِكُم ثَوْبٌ أرْبَعينَ سَنة. قالوا: فَما نَحْتَذي؟ قال: لا يَنْقَطِع لأحَدِكُم شِسْعٌ أرْبَعينَ سَنة. قالوا: فَإنه يولد فينا أولادٌ فَما نَكْسوهم؟ قال: ثَوْب الصَّغير يَشِبُّ معه. قالوا: فَمن أيْنَ لنا الماء؟ قال: يَأتيكُم به اللَّه. قالوا: فَمن أيْنَ إلاَّ أنْ يَخْرَج لنا من الحَجَر؟ فَأمَرَ اللهُ موسَى، أنْ يَضْرِب بِعَصاه الحَجَر. قالوا: فبِمَ نُبْصِر إذ تَغْشانا الظُّلْمة؟ فَضَرَبَ لهم عَمودًا من نورٍ في وَسَط عَسْكَرهم أضاءَ عَسْكَرهم كُلَّه. قالوا: فَبِمَ نَسْتَظِلُّ فَإنَّ الشَّمْس علينا شَديده؟ قال: يُظِلُّكُم اللهُ بالغَمام[(١)].

٩٩٥- حَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد. فَذَكَر نَحْوَ حَديث موسَى بن هارونَ عن عَمْرو بن حَمَّاد[(٢)].

٩٩٦- حَدَّثَنا القاسِمُ، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابنُ جُرَيْجٍ: قال: ابن عَبَّاس: خُلِقَ لهم في التِّيه ثياب لا تَخْلَق ولا تَدْرَن[(٣)].

قال: وقال ابن جُرَيْج: إنْ أخَذَ الرَّجُل من المَنّ والسَّلْوَى فَوْق طَعام يوم فَسَدَ، إلاَّ أنَّهم كانوا يَأخُذونَ في يوم الجُمُعة طَعام يوم السَّبْت فلا يُصْبح فاسِدًا.

القول في تأويل قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذا مِمَّا استُغْنِيَ بِدَلالةِ ظاهِره عن ذكرِ ما تُرِكَ منه، وذلك أنَّ تأويل الآية: وظَلَّلْنا عليكُم الغَمام، وأنْزَلْنا عليكُم المَنَّ والسَّلْوَى، وقُلْنا لكمْ: كُلوا من طَيِّبات ما رَزَقْناكُمْ. فَتُرِكَ ذِكْر قوله: وقُلْنا لكمْ. لِما بَيَّنَّا من دَلالة الظَّاهِر في الخِطاب عليه.

وَعَنَى جَلَّ ذِكره بقولِه: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾: كُلوا من شَهيات رِزْقنا الذي رَزَقْناكُموه.

وَقد قِيلَ: عَنَى بِقولِه: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ﴾: من حَلاله الذي أبَحْناه لكم، فَجَعَلْناه لكم رِزْقًا.

---

(١) [ضعيف] المثنى مجهول الحال، وقد أخرجه أبو الشيخ في العظمة بسند غير هذا فيه شيخ المصنف لم أعرفه.
(٢) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.
(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من ابن عباس، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

والأوَّل من القولَيْنِ أولَى بالتَّأويلِ؛ لأنَّه وصْفُ ما كان القَوْم فيه من هَنيء العَيْش الذي أعْطاهم، فوَصْفُ ذلك بالطَّيِّبِ الذي هو بِمعنى اللَّذة أحرَى من وصْفه بِأنّه حَلال مُباح.

و﴿مَا﴾ التي مع ﴿رَزَقْنَكُمْ﴾ بِمعنى الذي؛ كأنّه قِيلَ: كُلوا من طَيِّبات الرِّزق الذي رَزَقْناكُموه.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٥٧﴾

وَهذا أيْضًا من الذي استُغْنِيَ بِدَلالةِ ظاهِره على ما تُرِكَ منه؛ وذلك أنَّ معنى الكَلام: كُلوا من طَيِّبات ما رَزَقْناكُم، فخالَفوا ما أمَرْناهم به، وعَصَوْا رَبَّهم ثُمَّ رَسولنا إليهم، وما ظَلَمونا. فاكْتُفِيَ بِما أُظْهِرَ عَمَّا تُرِكَ. وَقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يقول: وما ظَلَمونا بِفِعْلِهم ذلك ومعصيَتهم، ﴿وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وَيَعْني بِقولِه: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: وما وضَعوا فِعْلَهم ذلك وعِصْيانَهم إيَّانا موضِع مَضَرّة علينا ومُنْقَصَة لَنا، ولَكِنَّهم وضَعوه من أنْفُسهم موضِع مَضَرّة عليها ومَنْقَصة لها. كما:

٩٩٧- حُدِّثت عن المِنْجاب، قال: ثنا بِشْر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قال: يَضُرُّونَ[1].

وَقد دَلَّلْنا فيما مَضَى على أنَّ أصْل الظُّلْم وضْعُ الشَّيْء في غَيْر موضِعه بِما فيه الكِفاية، فأغْنَى ذلك عن إعادَته.

وَكَذلك رَبُّنا جَلَّ ثناؤُه لا تَضُرُّه معصية عاصٍ، ولا يَتَحَيَّفُ خَزائِنه ظُلْم ظالِم، ولا تَنْفَعه طاعة مُطيع، ولا يَزيد في مُلْكه عَدْل عادِل؛ بل نَفْسه يَظْلِم الظَّالِم، وحَظَّها يَبْخَس العاصي، وإيَّاها يَنْفَع الطائع، وحَظَّها يُصيب العادِل.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾

والقَرْيةُ التي أمَرَهم اللهُ أنْ يَدْخُلوها، فيَأكُلوا منها رَغَدًا حَيْثُ شاءوا - فيما ذُكِرَ لَنا - بَيْت المَقْدِس.

ذِكْر الرِّواية بذلك:

٩٩٨- حَدَّثنا الحسن بن يَحيَى، قال: أخبَرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبَرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾. قال: بَيْتُ المَقْدِس[2].

٩٩٩- وحَدَّثني موسَى، قال: حَدَّثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: أمَّا القَرْيةُ فبَيْتُ المَقْدِس[3].

١٠٠٠- حُدِّثت عن عَمَّار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿وَإِذْ

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث، ثم هو من معلقات المصنف.

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

﴿قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يعني: بَيْتُ المَقْدِس[(١)].

١٠٠١- **وحدّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: سَألته - يَعْني: ابن زَيْد - عن قوله: ﴿ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا﴾. قال: هي أريحا، وهيَ قَرْيبة من بَيْت المَقْدِس[(٢)].

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾

يَعْني بِذلك: فَكُلوا من هذه القَرْية حَيْثُ شِئْتُم عَيْشًا هَنيًا واسِعًا بِغَيْرِ حِساب.

وَقد بَيّنّا معنى الرَّغَد فيما مَضَى من الكِتاب، وذَكَرْنا أقْوال أهل التّأويل فيه.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾

أمّا الباب الذي أُمِروا أنْ يَدْخلوه، فَإنّه قِيلَ: هو باب الحِطّة من بَيْت المَقْدِس.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٠٠٢- **حَدَّثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾. قال: باب الحِطّة من باب إيلياء من بَيْت المَقْدِس[(٣)].

١٠٠٣- **وحَدّثَني** المُثَنّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْلَه[(٤)].

١٠٠٤- **حَدّثني** موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُدِّيِّ: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾: أمّا البابُ فَبابٌ من أبْواب بَيْت المَقْدِس[(٥)].

١٠٠٥- **حَدّثَني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثَني أبي عن أبيه، عن ابن عَبّاس قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾: فإنّه أحَدُ أبْواب بَيْت المَقْدِس، وهو يُدْعَى بابَ حِطّة[(٦)].

وأمّا قوله: ﴿سُجَّدًا﴾ فَإنْ ابن عَبّاس كان يَتأوّله بِمعنى الرُّكَّع.

١٠٠٦- **حَدّثنا** مُحَمَّد بن بَشّار، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: ثنا سُفْيان عن الأعْمَش، عن المنهال بن عَمْرو، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبّاس في قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ قال: رُكّعًا من بابٍ صَغير[(٧)].

---

(١) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٢) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٥) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٦) [ضعيف] فيه عائلة العوفي كلهم ضعفاء.

(٧) [صحيح] مداره على الثوري، والأسانيد إليه صحيحة كما عند ابن أبي حاتم في تفسيره، وغيره.

١٠٠٧- **حَدَّثَنا** الحسن بن الزِّبْرِقان النَّخَعيُّ، قال: ثنا أبو أُسامة، عن سُفْيان، عن الأعْمَش، عن المنهال، عن سَعيد، عن ابن عَبَّاس. في قوله: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾. قال: أُمِروا أنْ يَدْخُلوا رُكَّعًا(١).

قال أبو جَعْفَرٍ: وأصْل السُّجود: الانحِناءُ لِمَنْ سُجِدَ له مُعَظَّمًا بِذلك، فَكُلُّ مُنْحَنٍ لِشَيْءٍ تَعْظيمًا له وخشوعًا فهو ساجِد، ومنه قول الشَّاعِرِ:

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراته ... تَرَى الأُكْمَ فيه سُجَّدًا لِلْحَوافِرِ(٢)

يَعْني بِقولِه: سُجَّدًا: خاشِعة خاضِعة.

وَمن ذلك قول أعْشَى بَني قَيْس بن ثَعْلَبة:

يُـراوِح مِـن صَلَـوات الـمَـلِـيـ ... ـك طَوْرًا سُجودًا وطَوْرًا جُؤارا(٣)

فَذلك تأوَّل ابن عَبَّاس قوله: ﴿سُجَّدًا﴾: رُكَّعًا؛ لأنَّ الرَّاكِع مُنْحَنٍ، وإنْ كان السَّاجِد أشَدَّ انحِناءً منه.

---

(١) [صحيح] مداره على الثوري كما تقدم قبله، وهذا سند ضعيف فيه الحسن بن الزبرقان الألتيمي النخعي، قال أبو حاتم الرازي: شيخ.

(٢) [الطويل] القائل: زيد الخيل الطائي (مخضرم أدرك الإسلام وأسلم وأسماه النبي ﷺ زيد الخير). اللغة: البلق: جمع أبلق وبلقاء؛ وهي الفرس يرتفع تحجيلها إلى الفخذين. الحجرات: جمع حجرة (بفتح فسكون): الناحية. الأكم: (بضم فسكون، وأصلها بضمتين) جمع إكام، جمع أكمة؛ وهي تل يكون أشد ارتفاعا مما حوله، دون الجبل، غليظ فيه حجارة. سجودا: سَجَدَ يَسْجُدُ سجودًا وضع جبهته بالأرض وقوم سُجَّدٌ وسجود، وقصد هنا الشاعر السجود بمعنى الخشوع. الحوافر: جمع حافر، وهو حافر الفرس. وجاء في ديوانه:

بَني عامِرٍ هَل تَعرِفونَ إذا غَدا ... أَبو مِكنَفٍ قَد شَدَّ عَقدَ الدَوابِرِ

بِجَيشٍ تَضِلُّ البُلقُ في حَجَراتِهِ ... تَرى الأُكمَ مِنهُ سُجَّدًا لِلحَوافِرِ

المعنى: يقول الشاعر مخاطبا بني عامر فيقول لهم: هل تعرفون ما يحدث إذا تحرك (أبو مكنف) بجيش ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف، فغيرها أحرى أن يضل؛ فهنا يصف كثرة الجيش، ويريد أن التلال الكبيرة قد خشعت من وقع الحوافر.

(٣) [المتقارب] القائل: الأعشى (جاهلي). اللغة: يراوح: راوح يراوح مراوحة؛ عمل عملين في عمل، يعمل ذا مرة وذا مرة، والأليق أن تأتي (بين) بعد يراوح. من صلوات: من هنا لبيان الجنس. المليك: لغة: مَلِيكُ الخلق أي ربهم ومالكهم. واسم الله المليك يدل علي ذات الله وعلى صفة الملك المطلق بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بالتضمن، وعلى وصفه بالملك المطلق بالتضمن، ويدل باللزوم على الحياة والقيومية والأحدية والصمدية، والعلم والمشيئة والقدرة والحكم العدل والقوة، والقبض والبسط والعزة، والكبرياء والهيمنة العظمة، وكل ما يلزم من صفات الذات وصفات الفعل لاتصافه وتسميته بالمليك الحق، وقال تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٥]. طورا: تارة. سجودا: سَجَدَ يَسْجُدُ سجودًا وضع جبهته بالأرض وقوم سُجَّدٌ وسجود. جؤارا: جأر إلى ربه يجأر جؤارا؛ إذا رفع الصوت بالدعاء مع تضرع واستغاثة وجزع، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤]. المعنى: يقول الشاعر: أنه يراوح بين الصلوات فتارة يسجد لله وتارة تدعوه ويرفع صوته بالدعاء مستغيثا به سبحانه.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾

وَتأويل قوله: ﴿حِطَّةٌ﴾: فِعْلَةٌ، من قول القائِل: حَطَّ اللهُ عنك خَطاياك فهو يَحُطُّها حِطَّةً. بِمَنْزِلةِ الرِّدَّة والجِدَّةِ والمِدَّة مِن جَدَدْتُ ومَدَدْت.

واختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل: ﴿حِطَّةٌ﴾، فَقال بعضهم بِنَحْوِ الذي قُلْنا في ذلك.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٠٠٨ - **حَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرنا مَعْمَر: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾. قال: قال الحسن وقَتادةُ: أيْ احْطُطْ عَنَّا خَطايانا [(١)].

١٠٠٩ - **حَدَّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابنُ وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾: يَحُطّ الله بها عنكُم ذَنْبكُم وخَطيئتَكُمْ [(٢)].

١٠١٠ - **حَدَّثنا** القاسِمُ، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ، قال ابن عَبَّاس: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾. قال: يَحُطُّ اللهُ عنكُم خَطاياكُمْ [(٣)].

١٠١١ - **حَدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا وكيع، عن سُفْيان، عن الأعْمَش، عن المنهالِ، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾: مَغْفِرة [(٤)].

١٠١٢ - **وحُدِّثت** عن عَمَّار، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾. قال: تُحَطُّ عنكُم خَطاياكُمْ [(٥)].

١٠١٣ - **حَدَّثَنا** القاسِمُ، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: قال لي عَطاء في قوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾. قال: سَمِعْنا أنَّه يَحُطُّ عنهم خَطاياهم [(٦)].

وَقال آخَرونَ: معنى ذلك: قولوا لا إلَه إلاَّ اللَّه. كَأنَّهم وجَّهوا تأويله: قولوا الذي يَحُطُّ عنكُم خَطاياكُم، وهو قول: لا إلَه إلاَّ اللَّه.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٠١٤ - **حَدَّثَني** المُثَنَّى وسَعْد بن عبد الله بن عبد الحَكَم، قالا: حدَّثَنا حَفْص بن عُمَر، حدَّثَنا الحَكَم بن أبان، عن عِكْرِمة: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾. قال: قولوا: لا إلَه إلاَّ اللَّه [(٧)].

وَقال آخَرونَ بِمِثْلِ معنى قول عِكْرِمة، إلاَّ أنَّهم جَعَلوا القولَ الذي أُمِروا بِقيلِه الاستِغْفارَ.

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يدرك ابن عباس، من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [صحيح] رجاله ثقات تقدموا، وسنده متصل. (٥) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٦) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٧) [ضعيف] حفص بن عمر ضعيف، وقد تابعه إبراهيم بن الحكم بن أبان أبو إسحاق العدني عند عبد الرزاق، وابن أبي حاتم في تفسيرهما، وهو ضعيف أيضًا.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٠١٥ - **حدَّثَنا** الحسن بن الزِّبْرِقان، قال: حدَّثنا أبو أُسامة، عن سُفْيان، عن الأعْمَش، عن المنهال، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عبَّاس: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾. قال: أُمِروا أنْ يَسْتَغْفِروا[١].

وَقال آخَرونَ نَحو قول عِكْرِمة، إلاَّ أنَّهم قالوا القول الذي أُمِروا أنْ يقولوه هو أنْ يقولوا: هذا الأمْرُ حَقٌّ كما قِيلَ لكمْ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٠١٦ - **حُدِّثت** عن المِنْجاب، قال: ثنا بِشْر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾. قال: قولوا: هذا الأمْرُ حَقٌّ كما قِيلَ لكمْ[٢].

واختَلَفَ أهل العربيَّة في المعنى الذي من أجْله رُفِعَتِ الحِطَّة، فَقال بعض نَحْويي البصْرة: رُفِعَتِ الحِطَّة بِمعني (قولوا) ليكُنْ منك حِطَّة لِذُنوبِنا، كما تَقول لِلرَّجُلِ: سَمْعُك.

وقال آخَرونَ منهم: هي كَلِمة أمَرَهم الله أنْ يقولوها مَرْفوعة، وفَرَض عليهم قيلها كذلك.

وَقال بعض نَحْويي الكوفة: رُفِعَتِ الحِطَّة بِضَميرِ (هذهِ)، كَأنَّه قال: وقولوا: هذه حِطَّة.

وَقال آخَر منهم: هي مَرْفوعة بِضَميرٍ معناه الخَبَر، كَأنَّه قال: قولوا: ما هو حِطَّة، فَتَكون حِطَّة حينَئِذٍ خَبَرًا لـ(ما).

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والذي هو أقْرَب عندي في ذلك إلى الصَّواب وأشْبَهَ بِظاهِرِ الكِتاب، أنْ يكون رَفْعَ ﴿حِطَّةٌ﴾ بنِيَّةِ خَبَر محذوف قد دَلَّ عليه ظاهِر التِّلاوة، وهو دُخولنا الباب سُجَّدًا حِطَّةٌ. فَكَفَى من تَكْريره بهذا اللَّفظ ما دَلَّ عليه الظَّاهِر من التَّنْزيل، وهو قوله: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤] بمعنى: موعِظَتُنا إيَّاهم معذِرةٌ إلى رَبِّكُمْ. فَكَذلك عندي تأويل قوله: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ يَعْني بِذلك: وإذ قلنا: ادخُلوا هذه القريةَ وادخُلوا البابَ سُجَّدًا، وقولوا: دُخولنا ذلك سُجَّدًا ﴿حِطَّةٌ﴾ لِذُنوبِنا. وهذا القول على نَحْو تأويل الرَّبيع بن أنَس وابن جُرَيْجٍ وابن زَيْد الذي ذَكَرْناه آنِفًا.

وَأمَّا على تأويل قول عِكْرِمة، فَإنَّ الواجِب أنْ تَكون القِراءة بالنَّصْبِ في ﴿حِطَّةٌ﴾؛ لأنَّ القَوْم إنْ كانوا أُمِروا أنْ يقولوا: لا إلَه إلاَّ اللَّه، أو أنْ يقولوا: نَسْتَغْفِر اللَّه، فقد قِيلَ لهم: قولوا هذا القول. فـ(قولوا) حينَئِذٍ واقِع على الحِطَّة؛ لأنَّ الحِطَّة على قول عِكْرِمة هي قول: لا إلَه إلاَّ اللَّه. وإذا كانتْ هي قول: لا إلَه إلاَّ اللَّه، فالقول عليها واقِع؛ كما لو أمَرَ رَجُل رَجُلاً بِقولِ الخَيْر، لقال له: قُلْ خَيْرًا. نَصْبًا، ولم يكُنْ صَوابًا أنْ يقول له (قُلْ خَيْر). إلاَّ على استِكْراه

---

(١) [illegible] من أجل الحسن بن الزبرقان.

(٢) [illegible] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

شَديد. وَفي إجماع القَرَأةِ على رَفْع (الحِطّة) بَيانٌ واضِح على خِلاف الذي قاله عِكْرِمةُ من التَّأويل في قوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾، وَكَذلك الواجِب على التَّأويل الذي رَوَيْناه عن الحسن وقَتادةُ في قوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ أنْ تَكون القِراءة في ﴿حِطَّةٌ﴾ نَصْبًا؛ لأنَّ من شَأن العرب إذا وَضَعوا المَصادِر مَواضِع الأفعال وحَذَفوا الأفعال أنْ يَنْصِبوا المَصادِر، كما قال الشَّاعِر:

أُبيدوا بِأيْدي عُصْبَةٍ وسُيوفُهمْ   على أُمَّهاتِ الهام ضَرْبًا شَآميا[١]

وَكَقولِ القائِلِ لِلرَّجُلِ: سَمْعًا وطاعة، بِمعنى: أسمَع سَمْعًا وأطيع طاعة، وكَما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣، ٧٩] بمعنى نَعوذ بالله.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾

يَعْني بِقولِه جلَّ ثناؤه: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾: نَتَغَمَّد لكم بالرَّحمةِ خَطاياكُم ونَسْتُرها عليكُم، فلا نَفْضَحكُم بالعُقوبةِ عليها.

وَأصْل الغَفْر: التَّغْطية والسَّتْر، فَكُلُّ ساتِرٍ شَيْئًا فهو غافِره. ولذلك قِيلَ لِلْبَيْضةِ من الحَديد التي تُتَّخَذ جُنّة لِلرَّأسِ مِغْفَر، لأنَّها تُغَطِّي الرَّأس وتَجُنّه، ومِنه غِمْدُ السَّيْف، وهو ما تَغَمَّدَه فَواراه؛ ومن ذلك قِيلَ لزئبر الثَّوْب غَفْرة، لِتَغْطيَتِه الثَّوْب، وحُئُوله بين النَّاظِر والنَّظَر إليه. ومنه قول أوس بن حُجْر:

ألا أُعْتِبُ ابن العَمِّ إنْ كان جاهِلاً   وَأغْفِر عنه الجَهْلَ إنْ كان أجْهَلا[٢]

يَعْني بِقولِه: وأغْفِر عنه الجَهْل: أستُر عليه جَهْلَه بِحِلْمي عنه.

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿خَطَٰيَٰكُمْۚ﴾

والخَطايا جَمْع خَطِيّة بِغَيْرِ هَمْز، كما المَطايا جَمْع مَطيّة، والحَشايا جمع حَشيّة، وإنّما تُرِكَ جَمْع الخَطايا بالهَمْزِ، لأنَّ تَرْك الهَمْز في خَطية أكْثَر من الهَمْز، فَجُمع على خَطايا، على أنَّ واحِدَتها غَيْر مَهْموزة. ولو كانتِ الخَطايا مَجْموعة على خَطيئة بالهَمْزِ لَقيلَ: خَطائي على مِثال قَبيلة وقَبائِل، وصَحيفة وصَحائِف. وقد تُجْمَع خَطيئة بالتَّاءِ فَتُهْمَز فَيُقال: خَطيئات. والخَطيئة فَعيلة من خَطِئَ الرَّجُل يَخْطأ خِطْئًا، وذلك إذا عَدَلَ عن سَبيل الحَقّ. ومنه قول الشَّاعِر:

---

(١) [الطويل] القائل: الفرزدق (أموي). اللغة: أبيدوا: أباد الشيء إذا أهلكه. عصبة: الجماعةُ ما بين العَشَرة إلى الأربعين. الهام: أنثى البوم، والهامة الحشرات السامة القاتلة. أناخوا بأيدي طاعَةٍ وَسُيوفُهُم عَلى أُمَّهاتِ الهام ضَربًا شَآمِيا المعنى: يقول الشاعر مادحا يزيد بن عبد الملك أن أعدائه قد هلكوا على أيدي جماعة قوية من الرجال، وسيوفهم تحصدهم حصدا وكأنها الهام؛ فتضربهم ضربا شديدا.

(٢) [الطويل] القائل: أوس بن حجر (جاهلي). الرواية التي في ديوانه:

أَلا أَعتِبُ اِبنَ العَمِّ إِن كانَ ظالِمًا   وَأَغفِرُ عَنهُ الجَهلَ إِن كانَ أَجهَلا

وإذا قارنا بين كلمتي (جاهلا) و(ظالما) نجد أن (ظالما) أفضل من الأخرى وتفي بالمعنى أكثر من الأخرى، و(أجهلا) بمعنى جاهلا. المعنى: يقول الشاعر في هذا البيت أنه لا يعتب عليه إن كان جائرا ظالما، ويستر عليه جهله إن كان جاهلا؛ فيترك ما لا يرضاه كي يبلغ رضاه.

وَإِنَّ مُهَاجِرَيْنِ تَكَنَّفَاهُ عِبادَ اللهِ قَدْ خَطِئا وحابا(١)

يَعْني: أَضَلاَّ الحَقَّ وأَثِما.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

وَتأويل ذلك ما رُوِيَ لنا عن ابن عَبَّاس، وهو ما:

١٠١٧- **حَدَّثنا** به القاسِمُ، قال: حدَّثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن

(١) [الوافر] القائل: أمية بن الأسكر (مخضرم). اللغة: مهاجران: يقصد بهما (طلحة بن عبيد الله) و (الزبير بن العوام). تكنفاه: كنَفَ الرجلَ يكْنُفه وتَكَنَّفَه واكْتَنَفَه جعله في كنَفِه وتكَنَّفوه واكْتَنَفُوه أحاطوا به. لعمر الله: قسم. وفي شرح هذه القصيدة كلام جميل يُستفاد منه؛ فأنقله بتصريف من كتاب (الأغاني): هاجر (كلاب بن أمية بن الأسكر) إلى المدينة في خلافة (عمر بن الخطاب)، فأقام بها مدة، ثم لقي ذات يوم (طلحة بن عبيد الله) و (الزبير بن العوام)، فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر فأغزاه في جيش، وكان أبوه قد كبر وضعف، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال:

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله إن قبل الكتابا
أناديه فيعرض في إباء فلا وأبي كلاب ما أصابا
إذا شجعت حمامة بطن واد إلى بيضاتها دعوا كلابا
أتاه مهاجران تكنفاه ففارق شيخه خطئا وخابا
تركت أباك مرعشة يداه وأمك ما تسيغ لها شرابا
تمسح مهره شفقًا عليه وتجنبه أباعرها الصعابا

قال: تجنبه وتجنبه واحد، من قول الله عز وجل: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. قال:

فإنك قد تركت أباك شيخًا يطارق أينقا شزبا طرابا
فإنك والتماس الأجر بعدي كباغي الماء يتبع السرابا

المعنى: ينشد عمر شعرًا ليرد له كلابا فيبكي (عمر) رحمة له ويرده عليه: فبلغت أبياته عمر، فلم يردد كلابا وطال مقامه فأهتر (أمية) وخلط جزعا عليه، ثم أتاه يومًا وهو في مسجد رسول الله ﷺ وحوله المهاجرون والأنصار، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

أعاذل قد عذلت بغير قدر ولا تدرين عاذل ما ألاقي

إلى أن قال:

إن الفاروق لم يردد كلابًا إلى شيخين هامهما زواق

عمر يسأل كلابا عن مبلغ بره بأبيه فيصفه له: قال: فبكى عمر بكاء شديدًا، وكتب برد كلاب إلى المدينة، فلما قدم دخل إليه، فقال: ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أوثره وأكفيه أمره، وكنت أعتمد إذا أردتُ أن أحلب له لبنًا أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحها وأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه. فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه، فأدخله يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى؛ فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما تراني يا أمير المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهي أن أرى كلابًا فأشمه شمة، وأضمه ضمة قبل أن أموت. فبكى عمر، ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى. ثم أمر كلابًا أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل، ويبعث إليه، بلبنها، ففعل فناوله عمر الإناء، وقال: دونك هذا يا أبا كلاب. فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال: لعمر: والله يا أمير المؤمنين، إني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء، فبكى عمر، وقال: هذا كلاب عندك حاضرًا قد جئناك به، فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله، وجعل عمر يبكي ومن حضره، وقال لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيمًا حتى مات أبوه. اهـ.

جُرَيْج، قال ابن عبَّاس: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: مَنْ كان منكُم مُحسِنًا زِيدَ في إحسانه، ومَنْ كان مُخْطِئًا نَغْفِر له خَطيئته[(١)].

فتأويل الآية: وإذْ قُلْنا: ادْخُلوا هذه القَرْيَة مُباحًا لكم أكل ما فيها من الطَّيِّبات، وموسَّعًا عليكُم بِغَيْرِ حِساب، وادْخُلوا الباب سُجَّدًا، وقولوا: سُجودنا هذا لِلَّه حِطَّة من رَبّنا لِذُنوبِنا يَحُطّ به آثامَنا. نَتَغَمَّد لكم ذُنوب المُذْنِبِ منكُم فَنَسْتُرها عليه، ونَحُطّ أوزارَها عنه، ونَزيدُ المُحْسِنَ منكُم - إلى إحساننا السَّالِف عنده - إحسانًا.

ثُمّ أخْبَرَ الله تعالى ذكره عن عَظيم جَهالَتهم، وسُوء طاعَتهم رَبّهم، وعِصْيانهم لأنْبيائِهم واستِهْزائِهم بِرُسُلِهم، مع عَظيم آلاء اللهِ عندهم، وعَجائِبِ ما أراهم من آياته وَعِبَره، موبِّخًا بِذلك أبناءَهم الذينَ خوطِبوا بهذه الآيات، ومُعَلِّمَهم أنَّهم لنْ يَعْدُوا - في تَكْذيبهم مُحَمَّدًا ﷺ وجُحودهم نُبوَّته مع عَظيم إحسان اللهِ بِمَبْعَثِه فيهم إليهم، وعَجائِب ما أظْهَرَ على يَديه من الحُجَج بين أظْهُرهم - أنْ يكونوا كأسلافِهم الذينَ وصَفَ صِفَتَهمْ. وقَصَّ عليهم أنْباءَهم في هذه الآيات، فقال جَلَّ ثَناؤه: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾

وَتأويلُ قولِه: ﴿فَبَدَّلَ﴾: فَغَيَّرَ. ويَعْني بِقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: الذينَ فَعَلوا ما لم يكُنْ لهم فِعْلُه. ويَعْني بِقولِه: ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾: بَدَّلوا قولاً غَيْر الذي أُمِروا أنْ يقولوه فَقالوا خِلافه، وذلك هو التَّبْديل والتَّغيُّر الذي كان منهم.

وَكان تَبْديلهم - بالقولِ الذي أُمِروا أنْ يقولوه - قولاً غَيْره، ما:

١٠١٨ - **حدَّثني** به مُحَمَّد بن عُبيدِ المُحارِبيُّ، قال: حَدَّثَنا عبد الله بن المُبارَك، عن مَعْمَر، عن هَمَّام، عن أبي هُرَيْرة، عن النَّبيِّ ﷺ في قوله: ﴿حِطَّةٌ﴾ قال: «**بَدَّلوا فقالوا: حبة**»[(٢)].

١٠١٩ - **حدَّثنا** الحسن بن يُحْيي، قال: أخبرَنا عبد الرَّازق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن هَمَّام بن مُنَبِّه أنَّه سَمِعَ أبا هُرَيْرة يقول: قال رَسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تبارك وتعالى لِبَنِي إِسْرَائِيل**: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾، **فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا الْبَاب يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِم، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعَرَة**»[(٣)].

١٠٢٠ - **حدَّثنا** ابنُ حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلْمة وعَليّ بن مُجاهِد، قالا: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن إسحاق، عن صالِح بن كَيْسانَ، عن صالِح مولَى التَّوْأمةِ، عن أبي هُرَيْرة، عن النَّبيِّ ﷺ. قال:

---

(١) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يدرك ابن عباس، والسند إليه ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [صحيح] أخرجه البخاري [٤٤٧٩] وغيره.

(٣) [صحيح] أخرجه البخاري [٣٤٠٣-٤٦٤١]، ومسلم [٣٠١٥] وغيرهما.

وحَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابت، عن سَعيد بن جُبَيْر، أو عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس عن النَّبيّ ﷺ قال: «ادخلوا البابَ الذي أُمِروا أن يدخلوا منه سُجدًا يزحَفون على أستاههم يقولون حِنطةٌ في شَعيرَة»[(١)].

١٠٢١- حَدَّثَنا ابن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا ابن مَهْدي، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، عن السُّدِّيّ، عن أبي سَعدٍ، عن أبي الكَنود، عن عبد اللَّه: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾. قالوا: حِنْطةٌ حَمْراءُ فيها شعيرةٌ، فأنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[(٢)].

١٠٢٢- حَدَّثني موسَى، قال: حدَّثنا عمرٌو، قال: حدَّثنا أسباطُ، عن السدِّيّ: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾. فرفَعوا رُءوسَهم وبدَّلوا. فزعَم السُّدِّيُّ، عن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ، عن ابن مسعود أنَّه قال: إنَّهم قالوا: (هطى سُمقاثا أزبه هَزْبا)، وهو بالعربيَّةِ: حبةُ حِنْطةٍ حَمْراءُ مَثْقوبةٌ فيها شَعرة سَوْداء. فَذلك قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[(٣)].

١٠٢٣- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، عن الأعْمَش، عن المنهال بن عَمْرو، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾. قال: رُكَّعًا من باب صَغير. فَجَعَلوا يَدْخُلونَ من قِبَل أستاههِمْ. ويقولونَ: حِنْطة؛ فَذلك قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[(٤)].

١٠٢٤- حَدَّثَنا الحسن بن الزِّبْرِقان النَّخَعيُّ، قال: حَدَّثَنا أبو أُسامة، عن سُفْيان، عن الأعْمَش، عن المنهال بن عمرو، عن سَعيد، عن ابن عَبَّاس، قال: أُمِروا أنْ يَدْخُلوا رُكَّعًا، ويقولوا ﴿حِطَّةٌ﴾ - قال: أُمِروا أنْ يَسْتَغْفِروا - قال: فَجَعَلوا يَدْخُلونَ من قِبَل أستاههِم من بابِ صَغير ويقولونَ: حِنطة. يَسْتَهْزِئونَ، فَذلك قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[(٥)].

١٠٢٥- حَدَّثَنا الحسن بن يَحْيي، قال: أخبرَنا عبد الرَّازِق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ والحسن: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾. قالا: دَخَلوها على غَيْر الجِهة التي أُمِروا بها، دَخلوها مُتَزَحِّفينَ على أوراكهم، وبَدَّلوا قولاً غَيْر الذي قِيلَ لهم، فَقالوا: حَبَّةٌ في شَعيرة[(٦)].

١٠٢٦- حَدَّثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى بن أبي

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان، وعلي بن مجاهد متروك، ومولى التوأمة ضعيف.

(٢) [حسن] أبو الكنود عبد الله بن عويمر الأزدي من كبار التابعين روى عنه جمع ولا أعلم فيه جرحًا فهو صدوق إن شاء الله، و أبو سعد الأزدي الكوفي قارئ الأزد ويقال: أبو سعيد مثله، والسدي صدوق، وسفيان هو الثوري، وعبد الرحمن بن مهدي علم، محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان العبدي أبو بكر البصري بندار مثله. ومداره على الثوري.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [صحيح] مداره على الثوري والأسانيد إليه صحيحة.

(٥) [صحيح] مداره على الثوري كما في الذي قبله، وهذا سند ضعيف من أجل الزبرقان، تقدم الكلام عليه.

(٦) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

نَجيح، عن مُجاهِد، قال: أمَرَ موسَى قَوْمه أنْ يَدْخُلوا الباب سُجَّدًا ويقولوا: حِطَّة. وطُوْطِئَ لهم البابُ ليَسْجُدوا فَلم يَسْجُدوا، ودَخَلوا على أدْبارهم، وقالوا: حِنطة [١].

١٠٢٧- **حدثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، أمَرَ موسَى قَوْمه أنْ يَدْخُلوا المسجِد ويقولوا: حِطَّة. وطُوْطِئَ لهم البابُ ليخفضوا رُؤسهم، فَلم يَسْجُدوا فدَخَلوا على أجنبِهم إلى الجَبَل -وهو الجَبَل الذي تَجَلَّى له رَبّه جلّ ثناؤه- وقالوا: حِنطة. فَذلك التَبْديل الذي قال الله تعالى ذكره: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [٢].

١٠٢٨- **حدثنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾. قال: فَدَخَلوا على أستاهِهِم مُقْنِعي رُءوسِهم [٣].

١٠٢٩- **حدثنا** ابنُ وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن النَّضر بن عَرَبيّ، عن عِكْرِمة: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾. قال: فَدَخَلوا مُقْنِعي رُءوسِهم، ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾. فَقالوا: حِنطة، حبةٌ حَمْراءُ فيها شَعرَة. قال: فَذلك قوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [٤].

١٠٣٠- **حدثنا** القاسِمُ، قال: حَدَّثَني الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج عن ابن جُرَيْج، قال: قال لي عطاءٌ في قوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾. قال: أما تبديلُهم فسَمِعْنا أنهم قالوا: حنطةٌ. قال ابن جُرَيج: وقال ابن عَبَّاس: لَمَّا دَخَلوا قالوا: حَبَّةٌ في شَعَرَة [٥].

١٠٣١- **حدثني** مُحَمَّد بن سَعيد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حدَّثني عَمّي، قال: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس، قال: لَمَّا دَخَلوا الباب قالوا: حَبَّةٌ في شَعيرةٍ. فَبَدَّلوا قولاً غَيْر الذي قِيلَ لهم [٦].

١٠٣٢- **حُدِّثت** عن عَمَّار، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنَس: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾: فَكان سُجود أحَدهم على خَدّه، ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ يَحُطّ عنكُم خَطيئَاتِكُم. فَقالوا: حِنطة. وقال بعضهم: حَبّة في شَعيرة. ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [٧].

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن بدون الجبل] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٣) [صحيح] رجاله ثقات وسنده متصل.

(٤) [ضعيف] النضر بن عربي الباهلي صدوق، وسفيان بن وكيع ضعيف.

(٥) [ضعيف] من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج. وابن جريج عن ابن عباس مرسل.

(٦) [ضعيف] فيه عائلة العوفي كلهم ضعفاء.

(٧) [حسن] هذا من معلقات المصنف، وقد اسنده ابن أبي حاتم بسند حسن فقال: حدثنا أبي، ثنا أحمد بن

١٠٣٣- **حدّثني** يونس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: يَحُطّ اللهُ بها عنكُم ذَنْبكُم وخَطيئاتكُم. قال: فاستَهْزَءوا به - يَعْني: بموسَى - وقالوا: ما يَشاء موسَى أنْ يَلْعَب بِنا إلاَّ لَعِبَ بِنا، حِطَّةٌ حِطَّةٌ! أيُّ شَيْءٍ حِطَّةٌ؟! وقال بعضهم لِبعضٍ: حِنْطة[١].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾

يَعْني جلَّ ثناؤه بِقولِه: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: على الذينَ فَعَلوا ما لم يكُنْ لهم فِعْلُه من تَبْديلهم القولَ - الذي أمَرَهم الله أنْ يقولوه - قولاً غَيْره، ومعصيَتهم إيَّاه فيما أمَرَهم به ورُكوبِهم ما قد نَهاهم عنه وعن رُكوبه ﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

والرِّجْز في لغةِ أهل الحجاز: العَذاب، وهو غَيْر الرِّجْس، وذلك أنَّ الرِّجْس هو النتْن، ومنه الخَبَر الذي رويَ عن النَّبيّ ﷺ في الطَّاعون أنَّه قال: «**إنَّهُ رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْض الأُمَم الَّذِينَ قَبْلكُمْ**».

١٠٣٤- **حدّثني** يونُسُ، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: أخْبَرَني يونُس، عن ابن شِهاب، قال: أخْبَرَني عامِر بن سَعْد بن أبي وقَّاص، عن أُسامة بن زَيْد، عن رَسول الله ﷺ قال: «**إنَّ هَذَا الْوَجَعَ، أَوْ السُّقْم - رِجزٌ عُذِّبَ به بَعْضُ الأُمَم قَبْلكُمْ**»[٢].

١٠٣٥- **حدّثني** أبو شَيْبة بن أبي بَكْر بن أبي شَيْبة، قال: حَدَّثَنا عمر بن حَفْص، قال: حَدَّثَني أبي، عن الشَّيْبانيّ، عن رياح بن عَبِيدَة، عن عامِر بن سَعْد، قال: شَهِدْت أُسامة بن زَيْد عند سَعْد بن مالِك يقول: قال رَسول الله ﷺ: «**إنَّ الطَّاعُون رِجز أُنْزِلَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلكُمْ - أَوْ عَلَى بَنِي إسْرَائِيل -**»[٣].

وَبِمِثْلِ الذي قُلْنا في ذلك قال أهل التَّأويل.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٠٣٦- **حدّثنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿رِجْزًا﴾. قال: عَذابًا[٤].

١٠٣٧- **حدّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَمُ، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾. قال: الرِّجْزُ: الغَضَب[٥].

عبد الرحمن، ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قوله: سجدا قال: وكان سجود أحدهم على خده. اهـ

(١) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

(٢) [صحيح] متفق عليه.

(٣) [صحيح] تقدم قبله.

(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥) [حسن] المثنى مجهول الحال. وقد تابعه عاصم بن رواد كما عند ابن أبي حاتم في التفسير.

١٠٣٨- **حُدِّثت** عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿رِجۡزًا﴾. قال: كُلُّ شَيْءٍ في كِتاب الله جلَّ ثناؤه من الرِّجْز، يَعْني به العَذاب[١].

١٠٣٩- **حَدَّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قالا: قال ابن زَيْد: لَمَّا قِيلَ لِبَني إسرائيل: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾. ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾، بَعَثَ اللهُ عليهم الطَّاعون، فَلم يُبْقِ منهم أحدًا. وقَرَأ: ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾. قال: وبَقيَ الأبناءُ، فَفيهم الفَضْل والعِبادة التي توصَف في بَني إسرائيل والخَيْر، وهَلَكَ الأباء كُلُّهم؛ أهلَكَهم الطَّاعون[٢].

١٠٤٠- **حَدَّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: الرِّجْز: العَذاب، وكُلُّ شَيْء في القُرْآن رِجزٌ فهو عَذاب[٣].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وقد دَلَّلْنا على أنَّ تأويل الرِّجْز: العَذاب. وعَذابُ الله عزَّ وجَلَّ أصْنافٌ مُخْتَلِفة.

وقد أخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤه أنَّه أنْزَلَ على الذينَ وصَفْنا أمْرهم الرِّجْز من السَّماء، وجائِز أنْ يكون ذلك كان طاعونًا، وجائِز أنْ يكون ذلك كان غَيْره، ولا دَلالة في ظاهِر القُرْآن ولا في أثَر عن الرَّسول صلى الله عليه ثابِتٍ أيَّ أصْناف العذاب كان ذلك.

فالصَّواب من القول فيه أنْ يُقال كما قالَ جَلَّ ثناؤه: أنزل اللهُ عليهم رجزًا من السماءِ بِفِسْقِهم. غَيْر أنَّه يَغْلِب على نَفْسي صِحَّةُ ما قاله ابن زَيْد لِلْخَبَرِ الذي ذَكَرْت عن رَسول الله ﷺ في إخباره عن الطَّاعون أنَّه رِجزٌ، وأنَّه عُذِّبَ به قَوْمٌ قَبْلنا. وإنْ كُنْت لا أقول إنَّ ذلك كذلك يَقينًا؛ لأنَّ الخَبَر عن رَسول الله ﷺ لا بَيان فيه أيَّ أُمَّةٍ عُذِّبَتْ بذلك، وقد يجوز أنْ يكون الذينَ عُذِّبوا به كانوا غَيْر الذينَ وصَفَ الله صِفَتهم في قوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩﴾

ومعنى ذلك: بِفِسْقِهم.

وَقد دَلَّلْنا فيما مَضَى من كِتابنا هذا على أنَّ معنى الفِسْق: الخُروجُ من الشَّيْء.

فَتأويل قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ إذًا: بِما كانوا يَتْرُكونَ طاعة اللهِ، فَيَخْرُجونَ عنها إلى معصيَته وخِلاف أمْره.

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.
(٢) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.
(٣) [صحيح] لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، ولكنه قوله هو والسند إليه صحيح.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾

يَعْني جل ثناؤه بقولِه: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾: وإذْ استَسْقانا موسَى لِقَوْمِه؛ أي: سَألَنا أنْ نَسقيَ قَوْمه ماءً. فَتَرَكَ ذِكْر المسئول ذلك، والمَعْنِيَ الذي سَألَ موسَى؛ إذْ كان فيما ذَكَرَ من الكَلام الظَّاهِر دَلالةٌ على معنى ما تَرَكَ وحذَف.

وكَذلك قوله: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ مِمَّا استُغْنيَ بِدَلالةِ الظَّاهِر على المَتْروك منه.

وَذلك أنَّ معنى الكَلام: فَقُلْنا: اضْرِبْ بِعَصاك الحَجَر، فَضَرَبَه فانفَجَرَتْ.

فَتَرَكَ ذِكْر الخَبَر عن ضَرْب موسَى الحَجَر؛ إذْ كان فيما ذَكَرَ دَلالة على المُراد منه.

وكَذلك قوله: ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾ إنَّما معناه: قد عَلِمَ كُلُّ أُناس منهم مَشْرَبهمْ، فَتَرَكَ ذِكْر (منهم) لِدَلالةِ الكَلام عليه.

وَقد دَلَّلْنا على أنَّ (أناس) جَمْعٌ لا واحِدَ له من لَفْظه - فيما مَضَى - وأنَّ الإنْسان لو جُمِعَ على لَفظه لَقِيلَ: أناسينُ وأناسِيَةٌ.

وَقَوْم موسَى هم بَنو إسرائيل الذينَ قَصَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ قَصَصهم في هذه الآيات، وإنما استَسْقَى لهم رَبَّه جلَّ ثناؤُه الماء في الحال التي تاهوا فيها في التِّيه، كما:

١٠٤١- **حدّثنا** بِشر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾ الآية. قال: كان هذا إذْ هم في البرّيّة اشْتَكَوْا إلى نَبيّهم الظَّمَأ، فَأُمِروا بِحَجَر طُورانيٍّ من الطّور أنْ يَضْرِبه موسَى بِعَصاهُ، فَكانوا يَحْمِلونَه معهم، فَإذا نَزَلوا ضَرَبَه موسَى بِعَصاهُ، فانفَجَرَتْ منه اثْنَتا عَشْرة عَيْنًا، لِكُلِّ سِبْط عَيْنٌ معلومة مُسْتَفيض ماؤُها لهم [(١)].

١٠٤٢- **حدّثني** تَميم بن المُنْتَصِر، قال: أخبَرَنا يَزيد، قال: أخبَرَنا أصْبَغ بن زَيْد، عن القاسِم، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: ذلك في التِّيه ظُلِّلَ عليهم الغَمام، وأُنْزِلَ عليهم المَنُّ والسَّلْوَى، وجُعِلَ لهم ثيابًا لا تَبْلَى ولا تَتَّسِخ، وجُعِلَ بين ظَهْرانَيْهم حَجَر مُرَبَّع، وأُمِرَ موسَى فَضَرَبَ بِعَصاه الحَجَر، فانفَجَرَتْ منه اثْنَتا عَشْرة عَيْنًا في كُلِّ ناحية منه ثَلاث عُيون، لِكُلِّ سِبْط عَيْن، ولا يَرْتَحِلونَ مَنْقَلةً إلاَّ وجَدوا ذلك الحَجَر منهم بالمَكانِ الذي كان به منهم في المَنْزِل الأوَّل [(٢)].

---

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [حسن] من أجل أصبغ بن زيد بن علي الجهني مولاهم أبو عبد الله بن أبي منصور الواسطي الوراق كان يكتب المصاحف، قال أبو بكر بن الأثرم عن أحمد بن حنبل: ليس به بأس، ما أحسن رواية يزيد بن هارون عنه. والقاسم بن أبي أيوب وهو ابن بهرام الأسدي الواسطي الأعرج أصبهاني الأصل، وثقه أبو حاتم الرازي وغيره. وتميم بن المنتصر بن تميم بن الصلت بن تمام بن لاحق بن جبير الهاشمي أبو عبد الله الواسطي، ثقة ضابط.

١٠٤٣- حَدَّثني عبد الكَريم، قال: أخبرَنا إبراهيم بن بَشَّار، قال: حَدَّثنا سُفْيان، عن أبي سَعد، عن عِكْرِمة عن ابن عَبَّاس، قال: ذلك في التِّيه، ضَرَبَ لهم موسَى الحَجَر، فَصارَ فيه اثْنَتا عَشرة عَيْنًا من ماء، لِكُلِّ سِبْط منهم عَيْن يَشرَبونَ منها(١).

١٠٤٤- حَدَّثَني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾: فانفجر لهم الحَجُر بضربة موسى اثنتي عشرة عينًا، لِكُلِّ سِبْط منهم عَيْن، كُلُّ ذلك كان في تيههم حين تاهوا(٢).

١٠٤٥- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد قوله: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾. قال: خافوا الظَّمأ في تِيههم حين تاهوا، فَانفَجَرَ لهم الحَجَر اثْنَتَيْ عَشْرة عَيْنًا ضَرَبَه موسَى.

قال ابن جُرَيْج، قال ابن عَبَّاس: الأسباطُ: بَنو يَعْقوب كانوا اثْنَى عَشَر رَجُلًا، كُلُّ واحِد منهم ولَدَ سِبطًا؛ أُمَّة مِن النَّاس(٣).

١٠٤٦- حَدَّثَني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: استَسْقَى لهم موسَى في التِّيه، فَسُقوا في حَجَر مِثْل رَأس الشَّاة. قال: يُلْقُونَه في جَوانِب الجُوالِق إذا ارْتَحَلوا، ويَقْرَعه موسَى بالعَصا إذا نَزَلَ، فَتَنْفَجِر منه اثْنَتا عَشْرة عَيْنًا، لِكُلِّ سِبْط منهم عَيْن. فَكان بَنو إسرائيل يَشْرَبونَ منهُ، حتَّى إذا كان الرَّحيل استَمْسَكَتِ العُيون، وقيلَ به فَأُلقِي في جانِب الجُوالِق، فإذا نَزَلَ رَمَى به، فَقَرَعَه بالعَصا، فَتَفَجَّرَتْ عَيْن من كُلِّ ناحية مِثْل البحْر(٤).

١٠٤٧- حَدَّثَني موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: كان ذلك في التِّيه(٥).

---

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل إبراهيم بن بشار الرمادي أبو إسحاق البصري، قال معاوية بن صالح: سألت يحيى بن معين عنه، فقال: ليس بشيء. لم يكن يكتب عند سفيان، و ما رأيت فى يده قلما قط. و كان يملي على الناس ما لم يقله سفيان. وقال عباس الدورى عن يحيى بن معين: رأيت الرمادى ينظر فى كتاب وابن عيينة يقرأ و لا يغير شيئا، ليس معه ألواح ولا دواة. و قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبى يقول: كأن سفيان الذى يروى عنه إبراهيم بن بشار، ليس هو سفيان بن عيينة. وقال أيضا: سمعت أبى ذكر إبراهيم بن بشار الرمادى فقال: كان يحضر معنا عند سفيان بن عيينة، فكان يملى على الناس ما يسمعون من سفيان، و كان ربما أملى عليهم ما لم يسمعوا. و يقول: كان يغير الألفاظ فيكون زيادة ليس فى الحديث أو كما قال. قال أبى: فقلت له يوما: ألا تتقى الله ويحك! تملى عليهم ما لم يسمعوا؟ و لم يحمده أبى فى ذلك و ذمه ذما شديدا.

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٥) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

وأمّا قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ فإنما أخبَرَ اللَّه جلَّ ثناؤه بذلك عنهم، فخصَّ بالنَّبأ عنهم بذلك؛ لأنَّ معناهم - في الذي أخرَجَ اللَّه لهم من الحَجَر الذي وصَفَ في هذه الآية صِفتَه من الشُّرْب، كان مُخالِفًا مَعاني سائرِ الخَلْق فيما أخرَجَ اللَّهُ لهم من المياه من الجبال والأرَضينَ التي لا مالِك لها سِوَى اللَّه جَلَّ وعَزَّ.

وَذلك أنَّ اللَّهَ جلَّ ثناؤه كان جَعَلَ لِكُلِّ سِبْطٍ من الأسباطِ الاثْنَيْ عَشَر عَيْنًا من الحَجَر الذي وصَفَ صِفَتَه في هذه الآية يَشرَب منها دون سائِر الأسباط غَيْرِه لا يَدْخُل سِبْطٌ منهم في شِرْب سِبْطِ غَيْرِه.

فكان مع ذلك لِكُلِّ عَيْنٍ من تِلْكَ العُيونِ الاثْنَتَيْ العَشرةَ موضِعٌ من الحَجَر قد عَرَفه السِّبْط الذي منه شِرْبُهُ؛ فَلِذلك خَصَّ جَلَّ ثَنَاؤه هؤلاء بالخَبَرِ عنهم أنَّ كُلَّ أُناسٍ منهم كانوا عالِمينَ بِمَشْرَبِهم دون غَيْرِهم من النَّاس، إذْ كان غَيْرُهم - في الماء الذي لا يَمْلِكه أحَد - شُرَكاء في مَنابِعه ومَسايِله، وكان كُلُّ سِبْط من هؤلاء كان منفردًا بِشِرْبِ مَنْبَع من مَنابع الحَجَر - دون سائِر مَنابِعه - خاصٌ لهم دون سائِر الأسباطِ غَيْرهم فَلِذلك خَصَّ بالخَبَرِ عنهم أنَّ كُلَّ أُناس منهم قد عَلِموا مَشْرَبَهمْ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾

وَهذا أيْضًا مِمَّا استُغْنيَ بِذكَرِ ما هو ظاهِر منه عن ذِكْر ما تُرِكَ ذِكْره.

وَذلك أنَّ تأويلَ الكَلام: فقلنا: اضرِب بعصاك الحجرَ. فَضرَبَه، فانفَجَرَتْ منه اثْنَتا عَشْرة عَيْنًا، قد عَلِمَ كُلُّ أُناس منهم مَشْرَبهمْ، فَقيلَ لهم: كُلوا واشْرَبوا من رِزْق اللَّه. أخْبَرَ اللَّه جَلَّ ثَنَاؤه أنَّه أمَرَهم بِأكْلِ ما رَزَقَهم في التِّيه من المَنّ والسَّلْوَى، وبِشُرْبِ ما فَجَّرَ لهم فيه من الماء من الحَجَر المُتَعاوِر الذي لا قَرار له في أرض، ولا سَبيل إليه لماءٍ، ولكنَّه يَتَدفَّقُ بِعُيونِ الماء ويَزْخَر بِيَنابيع العَذْب الفُرات بِقُدْرةِ ذي الجَلال والإكْرام.

ثُمَّ تَقَدَّمَ جَلَّ ثناؤه إليهم - مع إباحته لهم ما أباحَ، وإنْعامه بِما أنْعَم من العَيْش الهَنيء - بالنَّهْيِ عن السَّعْي في الأرْض فَسادًا، والعَثَى فيها استِكْبارًا، فَقال تعالى ذكره لهم: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

يَعْني جلَّ ثناؤه بِقولِه: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾: لا تَطْغَوْا، ولا تَسْعَوْا في الأرْض مُفْسِدينَ. كَما:

١٠٤٨ - **حَدَّثَني** به المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. يقول: لا تَسْعَوْا في الأرْض فَسادًا [1].

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠] يقول: (لا تسعوا في الأرض فسادا). اهـ.

١٠٤٩- حدّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. قال: لا تَطْغَوا في الأرض مفسدين. لا تَعْثَ: لا تَطْغَ [(١)].

١٠٥٠- حدّثنا بِشرٌ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. أي: لا تَسيروا في الأرْض مُفْسِدينَ [(٢)].

١٠٥١- حُدِّثت عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاس: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: لا تَسْعَوْا في الأرْض [(٣)].

وَأَصْل العَثَا: شِدّة الإفساد، بل هو أشَدُّ الإفساد، يُقال منه: عَثِيَ فُلانٌ في الأرْض - إذا تَجاوَزَ في الإفساد إلى غايَته - يَعْثَى عَثًى مَقْصورٌ، ولِلْجَماعةِ: هم يَعْثَوْنَ. وفيه لُغَتانِ أُخْرَيانِ؛ إحداهُما عَثا يَعْثو عُثوًّا؛ ومَنْ قَرَأ بهذه اللُّغة، فَإنّه يَنْبَغي له أنْ يَضُمَّ الثَّاء من يَعْثو، ولا أعلم قارِئًا يُقْتَدَى بِقِراءَتِه قَرَأ به.

وَمَنْ نَطَقَ بهذه اللُّغة مُخْبِرًا عن نَفْسه قال: عَثَوْت أعْثو، ومَنْ نَطَقَ باللُّغةِ الأولَى، قال: عَثِيْتُ أعْثى، والأُخْرَى منهُما عاثَ يَعيثُ عَيْثًا وعُيوثًا وعَيَثانًا، كُلُّ ذلك بِمعنًى واحِد.

وَمن العَيْث قول رُؤبة بن العَجَّاج:

وَعاثَ فِينا مُسْتَحِلٌّ عائِثُ ... مُصَدِّقٌ أو تاجِرٌ مُقاعِثُ [(٤)]

يَعْني بِقولِه: عاثَ فينا: أفسَدَ فينا.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ رحمه الله: قد دَلَّلْنا فيما مَضَى قَبْل على معنى الصَّبْر، وأنَّه كَفُّ النَّفْسِ وحَبْسُها عن الشَّيْء.

فَإذا كان ذلك كذلك، فَمعنى الآية إذن: واذْكُروا إذ قُلْتُم يا معشَر بَني إسرائيل: لَنْ نُطيق حَبْس أنْفُسنا على طَعام واحِد - وذلك الطَّعام الواحِد هو ما أخْبَرَ اللّه جَلَّ ثَنَاؤه أنّه أطعَمَهُموه في

---

(١) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٤) [الرجز] القائل: رؤبة بن العجاج (أدرك الدولتين الأموية والعباسية قال عنه الخليل لما مات: دفنا الشعر واللغة والفصاحة). اللغة: عاث فينا: أفسد فينا. مستحل: قد استحل أموالهم واستباحها. مصدق: هو العامل الذي يقبض زكاة أموال الناس، وهو وكيل الفقراء في القبض، وله أن يتصرف لهم بما يؤديه إليه اجتهاده، فربما جار إذا لم يكن من أهل الورع. مقاعث: قعث الشيء يقعثه؛ أي استأصله واستوعبه، وقعثه فانقعث: إذا قلعه من أصله فانقلع. المعنى: وقد أفسد فينا واستحل أموالنا العامل الذي يقبض أموال الزكاة فتصرف في أموال الزكاة وأنفقها في غير موضعها، أو تاجر أخذ أموالنا واقتلعها بظلمه وجوره.

تيههم وهو السَّلْوَى في قول بعض أهل التَّأويل، وفي قول وهب بن مُنَبِّه هو الخُبْز النَّقيُّ مع اللَّحْم - فاسأل لنا رَبَّك يُخْرِج لنا مِمَّا تُنْبِت الأرْض من البقْل والقِثَّاء.

وَما سَمَّى اللَّه مع ذلك وذَكَرَ أنَّهم سَألوه موسَى.

وَكان سَبَب مسألَتهم موسَى ذلك فيما بَلَغنا، ما:

١٠٥٢- **حَدَّثَنا** به بِشر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ قال: كان القَوْم في البريّة قد ظُلِّلَ عليهم الغَمام، وأُنْزِلَ عليهم المَنّ والسَّلْوَى، فَمَلّوا ذلك، وذَكَروا عَيْشًا كان لهم بِمِصْرَ، فَسَألوه موسَى، فَقال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (١).

١٠٥٣- **حَدَّثَنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾. قال: مَلّوا طَعامهمْ، وذَكَروا عَيْشهم الذي كانوا فيه قَبْل ذلك، قالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ (٢).

١٠٥٤- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ قال: كان طَعامهم السَّلْوَى، وشَرابهم المَنّ، فَسألوا ما ذُكِرَ، فَقيلَ لهم: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (٣).

قال أبو جَعْفَر الرازيُّ، وقال قَتادةُ: إنَّهم لَمَّا قَدِموا الشَّام فَقَدوا أطعِمَاتهم التي كانوا يَأْكُلونَها، فَقالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ وكانوا قد ظُلِّلَ عليهم الغَمام وأنْزَلَ عليهم المَنَّ والسَّلْوَى، فَمَلّوا ذلك، وذَكَروا عَيْشًا كانوا فيه بِمِصْرَ.

١٠٥٥- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾: المَنُّ والسَّلْوَى، فاستَبْدَلوا به البقْل وما ذُكِرَ معهُ (٤).

١٠٥٦- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد بِمِثْلِه سَواء (٥).

---

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: قوله: لن نصبر على طعام واحد قال: (كان طعامهم السلوى وشرابهم المن، فسألوا ما ذكروا). اهـ.

(٤) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٥) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

١٠٥٧- **حدثنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مُجاهِد بِمِثْلِهِ (١).

١٠٥٨- **حدثني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: أُعْطوا في التِّيه ما أُعْطوا، فَأَجَمُوا ذلك، فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾ (٢).

١٠٥٩- **حدثني** يونُسُ، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: أخبَرَنا ابن زَيْد، قال: كان طَعام بَني إسرائيل في التِّيه واحِدًا، وشَرابهم واحِدًا، كان شَرابهم عَسَلًا يَنْزِل لهم من السَّماء، يُقال له: المَنُّ، وطَعامهم طَيْر يُقال له: السَّلْوَى، يَأكُلونَ الطَّيْر ويَشْرَبونَ العَسَل، لم يكونوا يَعْرِفونَ خُبْزًا ولا غَيْرَه. فَقالوا: يا موسَى إنَّا لَنْ نَصْبِر على طَعام واحِد، ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾. فَقَرَأ حتَّى بَلَغَ: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ (٣).

وَإنما قال جَلَّ ثناؤه: ﴿يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾. ولم يَذْكُر الذي سَألوه أنْ يَدْعو رَبَّه ليُخرِجه لهم من الأرض، فيقول: ادْعُ لنا رَبّك يُخرِج لنا كذا وكذا مِمَّا تُنْبِته الأرْض من بَقْلها وقِثَّائِها؛ لأنَّ (من) تأتي بِمعنى التَّبْعيض لِما بعدها، فاكْتُفِي بها من ذِكْر المُبَعَض، إذْ كان معلومًا بِدُخولِها معنى ما أُريدَ بالكَلامِ الذي هي فيه كَقولِ القائِل: أصَبْتُ اليوم عند فُلان من الطَّعام يُريد أصبتُ شَيْئًا منه.

وَقد قال بعضهم: (من) هَاهُنا بِمعنى الإلْغاء والإسقاط، كَأَنَّ معنى الكَلام عنده: يُخْرِج لنا ما تُنْبِت الأرْض من بَقْلها.

واستَشْهَدَ على ذلك بِقولِ العرب: ما رَأيْتُ من أحَد، بِمعنى: ما رَأيْت أحَدًا، وبِقولِ اللَّه تعالى ذكره: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ﴾ وبِقولِهم: قد كان من حَديث، فَخَلِّ عَنِّي حتَّى أذْهَب، يُريدونَ: قد كان حَديث.

وَقد أنْكَرَ من أهل العربيّة جَماعة أنْ تَكون (من) بِمعنى الإلْغاء في شَيْء من الكَلام، وادَّعوا أنَّ دُخولَها في كُلِّ موضِع دَخَلَتْ فيه مُؤذِن أنَّ المُتَكَلِّم مُريد بعضَ ما أُدْخِلَتْ فيه لا جَميعَه، وأنها لا تَدْخُل في موضِع إلَّا لِمعنى مَفْهوم. فَتأويل الكَلام إذن - على ما وصَفْنا من أمْر من ذِكَرْنا -: فادْعُ لنا رَبّك يُخْرِج لنا بعض ما تُنْبِت الأرْض من بَقْلها وقِثَّائِها.

والبقْل والقِثَّاءُ والعَدَسُ والبصَلُ، هو ما قد عَرَفَه النَّاس بينهم من نَبات الأرْض وحَبِّها.

وَأمَّا الفُومُ، فَإنَّ أهل التَّأويل مُخْتَلِفون فيه؛ فَقال بعضهم: هو الحِنْطة والخُبْز.

---

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

ذكر مَن قال ذلك:

١٠٦٠- **حَدَّثَنا** ابن بَشّار، قال: ثنا أبو أحمَد ومُؤَمَّل، قالا: ثنا سُفْيان، عن ابن جريجٍ، عن عَطاء، قال: الفُومُ: الخُبْز (١).

١٠٦١- **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد، قال: ثنا سُفْيان، عن ابن جُرَيْجٍ، عن عَطاء ومُجاهِد قوله: ﴿وَفُومِهَا﴾ قالا: خُبْزها (٢).

١٠٦٢- **حَدَّثَني** زَكَريَّا بن يَحْيَى بن أبي زائِدة ومُحَمَّد بن عَمْرو، قالا: ثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَفُومِهَا﴾ قال: الخَبْز (٣).

١٠٦٣- **حَدَّثَنا** بِشْرٌ، قال: ثنا يَزيد، عن سَعيد، عن قَتادةَ والحسن: الفُومُ: هو الحبُّ الذي يَخْتَبِز النّاس (٤).

١٠٦٤- **حَدَّثَنا** الحَسَنُ، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ والحسن بِمِثْلِهِ (٥).

١٠٦٥- **حَدَّثَني** يَعْقوب بن إبْراهيم، قال: ثنا هُشَيْم، قال: أخبَرْنا حُصَيْن، عن أبي مالِك في قوله: ﴿وَفُومِهَا﴾. قال: الحِنْطة (٦).

١٠٦٦- **حَدَّثَني** المُثَنّى، قال: ثنا عَمْرو بن عَوْن، قال: ثنا هُشَيْم، عن يونُس، عن الحسن وحُصَيْن، عن أبي مالِك في قوله: ﴿وَفُومِهَا﴾: الحِنْطة (٧).

١٠٦٧- **حَدَّثَني** المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن قَتادةَ قال: الفُومُ: الحَبُّ

---

(١) [صحيح] مؤمل بن إسماعيل القرشي العدوي أبو عبد الرحمن البصري مولى آل عمر بن الخطاب وقيل مولى بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، قال أبو حاتم: صدوق شديد في السنة، كثير الخطأ، وقيل: دفن كتبه وحدث حفظا فغلط، وتابعه الزبيري ثقة ثبت.

(٢) [صحيح] اثر عطاء تقدم قبله، وهذا سند حسن لابن جريج من اجل شيخ المصنف أحمد بن إسحاق بن عيسى الأهوازي أبو إسحاق البزاز صاحب السلعة، صدوق. وابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، لكنه سيأتي بسند حسن بعده.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤) [صحيح] كما سيأتي بعده، وهذا سند حسن من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٥) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٦) [صحيح] حصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي ابن عم منصور بن المعتمر الثقة المأمون من كبار أصحاب الحديث. وهشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي حافظ بغداد، إمام ثقة، مدلس ولكنه صرَّح. و يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح بن منصور بن مزاحم العبدي القيسي مولى عبد القيس أبو يوسف الدورقي ثقة وكان من الحفاظ.

(٧) [صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

الذي يَخْتَبِزُ النَّاس منهُ[١].

١٠٦٨- حدَّثني موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَفُومِهَا﴾: هو الحِنطة[٢].

١٠٦٩- حدَّثني القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال لي عَطاء بن أبي رباح قوله: ﴿وَفُومِهَا﴾. قال: خُبْزُها. قالها مُجاهِد[٣].

١٠٧٠- حدَّثني يَحْيَى بن عُثمان السَّهْميُّ، قال: ثنا عبد اللَّه بن صالِح، قال: حَدَّثني مُعاوية، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿وَفُومِهَا﴾. يقول: الحِنطة والخُبْز[٤].

١٠٧١- حُدِّثت عن المِنْجاب، قال: ثنا بِشْر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿وَفُومِهَا﴾. قال: هو البُرّ بِعَيْنِه؛ الحِنطة[٥].

١٠٧٢- حدَّثنا عَليّ بن الحسن، قال: ثنا مُسْلِم الجَرْميّ، قال: ثنا عيسَى بن يونُس، عن رِشْدينَ بن كُرَيْب، عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس في قول اللَّه: ﴿وَفُومِهَا﴾ قال: الفوم: الحِنطة بِلِسانِ بَني هاشِم[٦].

١٠٧٣- حدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: الفُومُ: الخُبْز[٧].

١٠٧٤- حدَّثني عبد الرَّحْمَن بن عبد اللَّه بن عبد الحَكَم المصريُّ، قال: ثنا عبد العَزيز بن مَنصور اليَحْصَبيُّ، عن نافِع بن أبي نُعَيْم أنَّ عبد اللَّه بن عَبَّاس سُئِلَ عن قول اللَّه: ﴿وَفُومِهَا﴾. قال: الحِنطة، أما سَمِعْتَ قول أُحَيْحة بن الجُلاح، وهو يقول:

قد كُنْتُ أَغْنَى النَّاس شَخْصًا واحِدًا وَرَدَ المَدينةَ عن زِراعةِ فُومِ[٨][٩]

---

(١) [صحيح] تقدم برقم (١٠٦٣)، وهذا سند ضعيف من أجل المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [صحيح] تقدم برقم (١٠٦١)، و هذا سند ضعيف.

(٤) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٦) [ضعيف] رشدين بن كريب بن أبي مسلم القرشي الهاشمي أبو كريب المدني أخو محمد بن كريب مولى عبد الله بن عباس، متفق على ضعفه، قال ابن عدي: أحاديثه مقاربة، ولم أر فيها حديثا منكرا جدا، وهو على ضعفه ممن يكتب حديثه. وكريب بن أبي مسلم القرشي الهاشمي أبو رشدين الحجازي مولى عبد الله بن عباس وهو والد رشدين بن كريب ومحمد بن كريب، قال عثمان بن سعيد الدارمي: قلت ليحيى بن معين: كريب أحب إليك عن ابن عباس أو عكرمة؟ فقال: كلاهما ثقة. وبقية رجاله تقدموا.

(٧) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٨) [ضعيف] نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ المدني صدوق، وهو عن ابن عباس مرسل بين وفاتهما ١٠٠ عام، والسند إليه هنا ضعيف فيه عبد العزيز بن منصور اليحصبي لم أقف عليه، ولكن تابعه عبد الله بن وهب كما عن ابن أبي حاتم.

(٩) [الكامل] القائل: أُحَيْحَةَ بن الجلاح. رُوِي لأبي محجن الثقفي:

(قد كنت أحسبني كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة فوم)

وَقال آخرونَ: هو الثُّوم.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٠٧٥- **حَدَّثَني** أحمَد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمَد، قال: ثنا شَريك، عن لَيْث، عن مُجاهِد، قال: هو هذا الثُّوم(١).

١٠٧٦- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، قال: الفُومُ: الثّوم(٢).

وَهي في بعض القِراءات (وثومِها)، وَقد ذُكِرَ أنَّ تَسْمية الحِنْطة والخُبْز جَميعًا فُومًا من اللُّغة القَديمة، حُكيَ سَماعًا من أهل هذه اللُّغة: فَوِّموا لَنا، بِمعنى اختَبِزوا لَنا؛ وذُكِرَ أنَّ ذلك في قِراءة ابن مسعود (وثومِها) بالثَّاءِ.

فَإنْ كان ذلك صَحيحًا فَإنه من الحُروف المُبْدَلة، كَقولِهم: وقَعوا في عاثور شَرٍّ وعافور شَرٍّ، وكَقولِهم لِلأثافيِّ: أثاثيُّ، ولِلْمَغافيرِ: مَغاثير، وما أشْبَه ذلك مِمَّا تُقْلَب فيه الثَّاء فاء والفاء ثاء؛ لِتَقارُبِ مَخْرَج الفاء من مَخْرَج الثَّاء.

والمَغافير شَبيه بالصمغةِ والعَسَلِ، يَنْزِلُ من السَّماء يَقَع على الشَّجَر وغيرِها.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾

يَعْني جلَّ ثناؤه بِقولِه: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ قال لهم موسَى: أتأخُذونَ الذي هو أخَسّ خَطَرًا وقيمة وقدرًا من العَيْش، بَدَلاً بالذي هو خَيْر منه خَطَرًا وقيمة وقدرًا؟ وذلك كان استِبْدالهمْ.

وَأصْلُ الاستِبْدال: هو تَرْك شَيْء لِآخَر غَيْره مَكان المَتْروك.

وَمعنى قوله: ﴿أَدْنَىٰ﴾ أخَسّ وأوضَع وأصْغَر قدرًا وخَطَرًا، وأصْله من قولهم: هذا رَجُل دَنيّ بَيِّن الدَّناءة، وإنه لَيُدَنِّي في الأُمور. بِغَيْرِ هَمْز. إذا كان يَتَتَبَّع خَسائِسَها.

وَقد ذُكِرَ الهَمْز عن بعض العربِ فيه سَماعًا منهم، يقولونَ: ما كُنْت دنيئًا ولَقد دَنَأْتَ.

وَأنْشَدَني بعض أصْحابنا عن غَيْره أنَّه سَمِعَ بعض بَني كِلاب يُنْشُد بيتًا للأعشى:

باسِلَةُ الوَقْعِ سَرابيلُها ... بِيضٌ إلى دانِئِها الظَّاهِرِ(٣)

اللغة: الفومُ: الثومُ: وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (وثومِها). ويقال: هو الحِنْطة. وقال ابن دريد: الفومَةُ: السُّنبلة. وقال بعضهم: الفومُ الحِمَّصُ، لغةٌ شاميّةٌ. وبائعه فاميٌّ، مُغَيَّرٌ عن فوميٍّ. والفومُ: الخُبزُ أيضًا. ويقال فَوِّمُوا لنا؛ أي: اختبزوا. يقول إنني كنت أغنى الناس في المدينة عن زراعة الفوم، فلم يعد لي حاجة في زراعته.

(١) [ضعيف] الليث بن أبي سلم، وشريك النخعي ضعيفان.

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [السريع] القائل: الأعشى. روي: (بيض إلى جانبه الظاهر). يقول قبل هذا البيت:

في مجدل شيد بنيانه ... يزل عنه ظفر الطائر

يجمع خضراء لها سورة ... تعصف بالدارع والحاسر

يهْمِزُ الدَّانِئَ. وأنه سَمِعَهم يقولونَ: إنَّه لَدانِئٌ خَبيث، بالهَمْزِ.

فَإِنْ كان ذلك عنهم صَحيحًا، فالهَمْز فيه لُغة وتَرْكه أُخْرَى.

وَلا شَكَّ أنَّ مَنْ استَبْدَلَ بالمَنِّ والسَّلْوَى البقْل والقِثَّاءَ والعَدَس والبصَلَ والثُّوم، فقد استَبْدِلَ الوَضيع من العَيْش بالرَّفيع منه.

وَقد تأوَّلَ بعضهم قوله: ﴿ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ بِمعنى الذي هو أقْرَب، ووَجّه قوله: ﴿أَدْنَىٰ﴾ إلى أنّه أفعَلُ؛ من الدُّنوِّ الذي هو بِمعنى القُرْب.

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في معنى قوله: ﴿ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ قاله عَدَد من أهل التَّأويل في تأويله.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٠٧٧- **حَدَّثَنا** بِشْر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حدثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾. يقول: أتَسْتَبْدِلونَ الذي هو شَرٌّ بالذي هو خَيْرٌ (١).

١٠٧٨- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حدَّثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَنا حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مُجاهِد قوله: ﴿ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾. قال: أرْدَأُ (٢).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾

وَتأويل ذلك: فَدَعا موسَى فاستَجَبنا لهُ، فَقُلْنا لهم: اهْبِطوا مِصْرًا.

وَهوَ من المحذوف الذي اجْتُزِئَ بِدَلالةِ ظاهِره على ذِكْر ما حُذِفَ وتُرِكَ منه.

وَقد دَلَّلْنا فيما مَضَى على أنَّ معنى الهُبوط إلى المَكان إنَّما هو النُّزول إليه والحُلول به.

فَتأويل الآيَة إذن: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾. قال موسَى لهم: أتَسْتَبْدِلونَ الذي هو أخَسُّ وأرْدَأ من العَيْش بالذي هو خَيْر منه؟ فَدَعا لهم موسَى رَبَّه أنْ يُعْطيهم ما سَألوهُ، فاستَجابَ اللَّه له دُعاءَهُ، فَأعْطاهم ما طَلَبوا، وقال اللَّه تعالى ذكره لهم: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾.

ثُمّ اختَلَفَ القَرَأةُ في قِراءة قوله: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ فَقَرَأه عامّة القَرَأة: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ بِتَنْوينِ (المِصْر) وإجرائِهِ، وقَرَأه بعضهم بِتَرْكِ التَّنْوين وحَذْف الألِف منه.

باسِلَةُ الوَقْعِ سَرابيلُها بيضٌ إلى دانئها الظاهِرِ

اللغة: والسرابيل هنا: الدروع، جمع سربال: وهو كل ما لبس كالدرع وغيره. والضمير في قوله: (سرابيلها) راجع إلى (خضراء) يقال: كتيبة خضراء، وهي التي غلب عليها لبس الحديد وعلاها سواده، والخضرة سواد عندهم. وقال الفراء: يعني الدروع على خاصتها - يعني الكتيبة - إلى الخسيس منها. كأنه أراد: يلبسون الدروع من شريف إلى خسيس. وأما رواية الديوان: فالضمير في (جانبه)، راجع إلى (المجدل) وهي أبين الروايتين معنى وأصحهما.

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

فَأمَّا الذينَ نَوَّنوه وأجْرَوْهُ، فَإنّهم عَنَوْا به مِصْرًا من الأمْصار لا مِصْرًا بِعَيْنِهِ، فَتأويله على قِراءَتهمْ: اهْبِطوا مِصْرًا من الأمْصار، لأنّكُم في البر والبدْو، والذي طَلَبْتُم لا يكون في البوادي والفَيافي، وإنّما يكون في القُرَى والأمْصار، فَإنّ لكم إذا هَبَطْتُموه ما سَألتُم من العَيْش.

وَقد يجوز أنْ يكون بعض مَنْ قَرَأ ذلك بالإجراءِ والتّنْوين، كان تأويل الكَلام عنده: اهْبِطوا مِصْرًا البلدة التي تُعْرَف بهذا الاسم وهيَ (مِصْر) التي خَرَجوا عنها، غَيْر أنه أجْراها ونَوَّنَها اتّباعًا منه خَطّ المُصْحَف؛ لأنَّ في المُصْحَف ألِفًا ثابِتة في مِصْر، فَيكون سَبيل قِراءتِه ذلك بالإجراء والتّنْوين سَبيل قراءة مَنْ قَرَأ: (كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرًا مِن فِضَّةٍ) [الإنسان: ١٥: ١٦] مُنَوَّنة اتّباعًا منه خَطّ المُصْحَف.

وَأمَّا الذي لم يُنَوِّن (مِصْرَ) فَإنّه لا شَكّ أنّه عَنَى (مِصْرَ) التي تُعْرَف بهذا الاسم بِعَيْنِها دون سائِر البلْدانِ غَيْرِها.

وَقد اختَلَفَ أهل التّأويل في تأويل ذلك نَظير اختِلاف القَرَأةِ في قِراءَته.

١٠٧٩ - **فحَدّثَنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، عن سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿اهْبِطُواْ مِصْـرًا﴾. أيْ: مِصْرًا من الأمْصار ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (١).

١٠٨٠ - **حَدّثني** موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا﴾ من الأمْصار، ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ فَلَمّا خَرَجوا من التّيه رُفِعَ المَنُّ والسَّلْوَى وأكَلوا البُقول (٢).

١٠٨١ - **حَدّثنا** القاسِمُ، قال: حدَّثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا﴾. قال: مِصْرًا من الأمْصار، زَعَموا أنّهم لم يَرْجِعوا إلى مِصْر (٣).

١٠٨٢ - **حَدّثني** المُثَنّى، قال: حَدَّثنا آدَم، قال: حدَّثنا أبو جَعْفَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا﴾. قال: يَعْني مِصْرًا من الأمْصار (٤).

١٠٨٣ - **حَدّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا﴾. قال: مِصْرًا من الأمْصار. وَمِصْر لا تُجْرى في الكِتاب، فقالوا: أيُّ مِصْرٍ؟ قال: الأرْض المُقَدَّسة. وَقَرَأ قول اللّه جَلَّ ثَناؤه: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١] (٥).

وَقال آخَرونَ: هي مِصْرَ التي كان فيها فرعون.

---

(١) **[حسن]** من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) **[ضعيف]** من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) **[ضعيف]** ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) **[ضعيف]** المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٥) **[صحيح]** سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٠٨٤- **حدَّثني** المُثَنَّى، قال: حدَّثنا آدَم، قال: حدَّثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا﴾. قال: يَعْني به مِصْر فرعون[(١)].

١٠٨٥- **حُدِّثت** عن عَمَّار، قال: حدَّثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، مِثْله[(٢)].

وَمن حُجَّة مَنْ قال: إنَّ اللَّه تعالى ذكره إنَّما عَنَى بِقولِه: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا﴾ مِصْرًا من الأمْصار دون مِصْر فرعون بِعَيْنِها - أنَّ اللَّه تبارك وتعالى جعل أرْض الشَّام لِبَني إسرائيل مَساكِن بعد أنْ أخْرَجهم من مِصْر، وإنّما ابْتَلاهم بالتّيه بامْتِناعِهم على موسَى صلى الله عليه في حَرْب الجَبابِرة، إذْ قال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾. ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]. فَحَرَّمَ اللَّه عَزَّ وجلَّ على قائلي ذلك - فيما ذُكِرَ لنا - دُخولها حتَّى هَلَكوا في التّيه وابْتَلاهم بالتَّيَهانِ في الأرْض أرْبَعينَ سَنة، ثُمَّ أهْبَطَ ذُرِّيَّتهم الشَّام، فَأسكَنَهم الأرْض المُقَدَّسة، وجَعَلَ هَلاك الجَبابِرة على أيْديهم مع يوشَع بن نون بعد وفاة موسَى عليه السلام.

قالوا: فَرَأيْنا اللَّه جَلَّ ثناؤه قد أخْبَرَ عنهم أنَّه كَتَبَ لهم الأرْض المُقَدَّسة ولم يُخْبِرنا عنهم أنَّه رَدَّهم إلى مِصْر بعد إخراجه إيَّاهم منها، فَيجوز لنا أنْ نَقْرَأ: (اهبِطوا مِصْرَ)، ونَتأوَّله أنَّه رَدَّهم إليها.

قالوا: فإنْ احْتَجَّ مُحْتَجّ بِقولِ اللَّه جَلَّ ثَناؤه: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧- ٥٩]. قِيلَ له: فَإنَّ اللَّه جَلَّ ثَناؤه إنَّما أورَثَهم ذلك فَمَلَّكَهم إيَّاها ولم يَرُدَّهم إليها، وجَعَلَ مَساكِنهم الشَّام.

وَأمَّا الذينَ قالوا: إنَّما عَنَى اللَّه تعالى ذكره بِقولِه: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ مِصْرَ، فَإنَّ من حُجَّتهم التي احْتَجّوا بها الآية التي قال فيها: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧- ٥٩] وقوله: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥- ٢٨]. قالوا: فَأخْبَرَ اللَّه تعالى ذكره أنَّه قد ورَّثهم ذلك وجَعَلَها لهم، فَلم يكونوا ليرثوها ثُمَّ لا ينتفعوا بها.

قالوا: ولا يكونونَ مُنْتَفَعينَ بها إلاَّ بَمصِيرِهم أو بِمَصيرِ بعضهم إليها، وإلاَّ فلا وجه لِلانتِفاعِ بها إنْ لم يَصيروا أو يَصِرْ بعضهم إليها.

قالوا: وأُخْرَى أنَّها في قِراءة أُبَيِّ بن كَعْب وعبد اللَّه بن مسعود: (اهبِطوا مِصْرَ) بِغَيْرِ ألِف،

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال. (يعني به مصر فرعون). اهـ

(٢) [ضعيف] فهو من معلقات المصنف.

قالوا: ففي ذلك الدَّلالة البيِّنة على أنَّها مِصرُ بِعَينِها.

والذي نَقول به في ذلك أنَّه لا دَلالة في كِتاب اللَّه جلَّ ثناؤه على الصَّواب من هَذَيْنِ التَّأويلَيْنِ، ولا خَبَر به عن الرَّسول ﷺ يَقْطَع مَجيئُه العُذْر، وأهل التَّأويل مُتَنازِعونَ تأويله.

فَأولَى الأقْوال في ذلك عندنا بالصَّوابِ أنْ يُقال: إنَّ موسَى سَألَ رَبَّه أنْ يُعْطيَ قَوْمه ما سَألوه من نَبات الأرْض - على ما بَيَّنَه اللَّه جَلَّ ثناؤه في كِتابه - وهم في الأرْض تائِهونَ، فاستَجابَ اللَّه لِموسَى دُعاءَهُ، وأمَرَه أنْ يَهْبِط بِمَنْ معه من قَوْمه قَرارًا من الأرْض التي تُنْبِت ما سَألَ لهم من ذلك، إذْ كان ما سَألوه لا يُنْبِته إلاَّ القُرَى والأمْصار، فإنَّه قد أعْطاهم ذلك إذا صاروا إليهِ، وجائِز أنْ يكون ذلك القَرار مِصْر، وجائِز أنْ يكون الشَّام.

فَأمَّا القِراءة فإنَّها بالألِفِ والتَّنْوين: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ وهيَ القِراءة التي لا يجوز عندي غَيْرها لاِجْتِماع خُطوط مَصاحِف المُسْلِمينَ، واتِّفاق قِراءة القَرَأةِ على ذلك.

وَلم يَقْرَأ بِتَرْكِ التَّنْوين فيه وإسقاط الألِف منه إلاَّ مَنْ لا يجوز الاعْتِراض به على الحُجَّة فيما جاءتْ به من القِراءة مُسْتَفيضًا فيها.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾

يَعْني جلَّ ثناؤه بِقولِه: ﴿وَضُرِبَتۡ﴾ أيْ: فُرِضَتْ.

وَوُضِعَتْ عليهم الذِّلَّة وأُلْزِموها؛ من قول القائِل: ضَرَبَ الإمام الجِزْية على أهل الذِّمَّة.

وَضَرَبَ الرَّجُل على عبده الخَراج؛ يَعْني بِذلك أنه فرضَه ووظَّفه وألْزَمه إيَّاهُ، وهو من قولهِمْ: ضَرَبَ الأمير على الجَيْش البعْث، يُراد به ألْزَمَهُموه.

وَأمَّا (الذِّلَّة)، فَهيَ الفِعْلة من قول القائِل: ذَلَّ فُلان يَذِلُّ ذُلاًّ وذلةً.

كالصِّفوةَ من: صَفَا هذا الأمْر. والقِعْدة من: قَعَدَ. و(الذِّلَّة): هي الصَّغار الذي أمَرَ اللَّه جَلَّ ثَناؤه عِباده المُؤمِنينَ ألا يُعْطوهم أمانًا - على القَرار على ما هم عليه من كُفْرهم به وبِرُسلِه - إلاَّ أنْ يَبْذُلوا الجِزْية عليه لهم، فَقال تبارك اسمه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. كما:

١٠٨٦ - **حدَّثَنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال أخبرَنا مَعْمَرٌ، عن الحسن وقَتادةُ في قوله: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾. قالا: يُعْطونَ الجِزْية عن يَد وهم صاغِرونَ(١).

وَأمَّا (المسكَنة) فَإنَّها مَصْدَر المِسْكين، يُقال: ما فيهم أسكَنُ من فُلان. و: ما كان مِسْكينًا و: لَقَد تَمَسْكَنَ تَمَسكُنًا.

وَمن العرب مَنْ يقول تسكَّن تسكُّنًا.

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

و(المسكَنة) في هذا الموضِع مسكَنة الفاقة والحاجة، وهيَ خُشوعُها وذُلُّها، كَما:

١٠٨٧- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حدَّثنا آدم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾. قال: الفاقَةُ(١).

١٠٨٨- حَدَّثَني موسَى، قال: ثنا عَمْرو. قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيّ، قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾. قال: الفقر(٢).

١٠٨٩- حَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب. قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾. قال: هؤلاء يَهودُ بَني إسرائيل، قُلْت له: هم قِبْطُ مِصْر؟ قال: وما لِقِبْطِ مِصْر وهذا؟ لا واللَّه ما هم هم، ولَكِنَّهم اليَهود، يَهود بَني إسرائيل(٣).

فَأَخْبَرَهم اللَّه عزَّ وجَلَّ أنه أبْدَلَهم بالعِزِّ ذُلاً، وبالنِّعْمةِ بُؤسًا، وبالرِّضا عنهم غَضَبًا، جَزاءً منه لهم على كُفرهم بِآياتِه، وقَتْلِهم أنبياءَه ورُسُلَه؛ اعْتِداءً وظُلْمًا منهم بِغَيْرِ حَقّ، وعِصْيانًا منهم لهُ، وخِلافًا عليه، تعالى ربُّنا وجلَّ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾

يَعْني بِقولِه: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: انصَرَفوا ورَجَعوا، ولا يُقال: باءوا إلاَّ موصولاً؛ إمَّا بِخَيْرٍ وإمَّا بِشَرٍّ، يُقال منه: باءَ فُلان بِذَنْبِه يَبوء به بَوْءًا وبَواء.

وَمنه قول اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩] يَعْني: تَنْصَرِف مُتَحَمِّلهما وتَرْجِع بهما قد صارا عليك دوني.

فمعنى الكَلام إذن: فرَجَعوا مُنْصَرِفينَ مُتَحَمِّلينَ غَضَب اللَّهِ، قد صارَ عليهم من اللَّه غَضَبٌ، ووَجَبَ عليهم منه سَخَط. كَما:

١٠٩٠- حُدِّثْتُ عن عَمَّارٍ، قال: حدَّثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع في قوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾. فَحَدَثَ عليهم غَضَب من اللَّه(٤).

١٠٩١- حَدَّثنا يَحْيَى بن أبي طالِب، قال: أخبرَنا يَزيد، قال: أخبرَنا جوَيْبِر، عن الضَّحَّاك في قوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾. قال: استَحَقّوا الغَضَب من اللَّه(٥).

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: وضربت عليهم الذلة والمسكنة قال: (المسكنة الفاقة). اهـ.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٤) [حسن] هذا سند ضعيف من معلقات المصنف، ولكن أسنده ابن ابي حاتم في التفسير بسند حسن فقال: حدثنا أبي، ثنا أحمد بن عبد الرحمن، ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، وباءوا بغضب من الله (فحدث عليهم من الله غضب). اهـ.

(٥) [ضعيف] جويبر بن سعيد الأزدي متروك.

ووقد بينَّا معنى غَضَب اللَّه جلَّ ثناؤه على عبده فيما مَضَى من كِتابنا هذا، فأغْنَى عن إعادَته في هذا المكان.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿ذَٰلِكَ﴾ ضَرْبَ الذِّلَّة والمسكَنة عليهم، وإحلالَ غَضَبه بهم.

فَدَلَّ بِقولِه: ﴿ذَٰلِكَ﴾ - وهو يَعْني به ما وصَفْنا - على أنَّ قول القائِل: ذلك. يَشمَل المَعانيَ الكَثيرة إذا أُشيرَ به إليها.

وَيَعْني بِقولِه: ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾: من أجْل أنَّهم كانوا يكْفُرونَ، يقول: فعَلْنا الذي فعلنا بهم - من إحلال الذُّلِّ والمسكَنة والسَّخَطِ بهم - من أجْلِ أنَّهم كانوا يكْفُرونَ بِآياتِ اللَّه، ويقْتُلونَ النَّبيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ، كما قال أعْشَى بَني ثَعْلَبَة:

مَـلـيـكـيَّـةٌ جـاوَرَتْ بـالـحِـجـا ... زِ قَـوْمًـا عُـداةً وأرْضًـا شَـطِـيـرا
بِـمـا قـد تَـرَبَّـعُ رَوْضَ الـقَـطـا ... ورَوْضَ التَّناضِبِ حتَّى تَصِيرا[1]

يَعْني بِذلك: جاوَرَتْ هذه المَرْأةُ قَوْمًا عُداة وأرْضًا بَعيدة من أهله، مكان قُرْبها كان منه ومن قَوْمه وبدلاً؛ من تَرَبُّعها رَوْض القَطا ورَوْض التَّناضِب.

فَكَذلك قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ يقول: كان ذلك مِنَّا من أجلِ كُفْرِهم بِآياتِنا، وجَزاءً لهم بِقَتْلِهم أنبياءَنا.

وَقد بَيَّنَّا فيما مَضَى من كِتابنا أنَّ معنى الكُفْر: تَغْطيةُ الشَّيْء وسِتْره، وأنَّ آيات اللَّه: حُجَجه وأعْلامه وأدِلَّته على تَوْحيده وصِدْق رُسُله.

فَمعنى الكَلام إذن: فَعَلْنا بهم ذلك من أجْل أنَّهم كانوا يجْحَدونَ حُجَج اللَّهِ على تَوْحيده، وتَصْديق رُسُلهِ ويَدْفَعونَ حَقيَّتها، ويكْذِبونَ بها.

وَيَعْني بِقولِه: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: ويَقْتُلونَ رُسُل اللَّهِ الذينَ ابْتَعَثَهم لِإنْباءِ ما أرْسَلَهم به عنه لِمَنْ أُرْسِلوا إليه.

وَهم جِماعٌ، واحَدهم نَبيٌّ، بغير همز، وأصْله الهَمْز؛ لأنَّه من أنْبأ عن اللَّه، فهو يُنْبِئ عنه إنْباءً، وإنما الاسم منه مُنْبِئ ولَكِنَّه صُرِفَ وهو (مُفْعِلٌ) إلى (فَعيل)، كما صُرِفَ سَميعٌ إلى فَعيل

---

(١) [المتقارب] القائل: الأعشى. اللغة: مليكية: منسوبة إلى المليك: وهو الملك؛ يعني أنها من بنات الملوك. العداة: جمع عاد، وهو العدو. الشطير: البعيد، والغريب. المعنى: أراد أنها في أرض مجهولة، وذكره الأرض في هذا البيت يعني أنها نزلت ديار قوم نشبت العداوة بيننا وبينهم، في غربة بعيدة فصرت لا أقدر عليها. قوله: (بما) بمعنى بسبب تربعها، وتربع القوم المكان وارتبعوه: أقاموا فيه في زمن الربيع. وروض القطا: من أشهر رياض العرب في أرض الحجاز. وروض التناضب أيضًا بالحجاز عند سرف. وقوله: (حتى تصيرا)، من قولهم: صار الرجل يصير فهو صائر؛ إذا حضر الماء، والقوم الذين يحضرون الماء يقال لهم: الصائرة. والصير (بكسر الصاد) الماء الذي يحضره الناس. يقول: اغتربت في غير قومها، لما دفعها إلى ذلك طلب الربيع والخصب ومساقط الماء في البلاد.

من مُفْعِل، وبَصيرٌ من مُبْصِر، وأشباه ذلك، وأُبْدِلَ مَكان الهَمْزة من النَّبيء الياء، فَقيلَ نَبيٌّ.

هذا ويُجْمَع النَّبيُّ أيْضًا أنبياءَ، وإنما جَمَعوه كذلك لإلْحاقِهم النَّبيَّ بإبدالِ الهَمْزة منه ياء بالنعوت التي تأتي على تَقْدير فَعيل من ذَوات الياء والواو.

وَذلك أنَّهم إذا جمعوا ما كان من النعوتِ على تَقْدير فَعيل من ذَوات الياء والواو، جَمَعوه على أفعِلاء، كَقولِهم وليٌّ وأولياء، ووَصيٌّ وأوصياء، وَدَعيٌّ وأدْعياء. وَلو جَمَعوه على أصْله الذي هو أصْله، وَعلى أنَّ الواحِد نَبيءٌ مَهْموز، لَجَمَعوه على فُعَلاءَ، فَقيلَ: هم النُّبَآءُ. على مِثال النُّبَغاءِ؛ لأنَّ ذلك جَمْعُ ما كان على فَعيل من غَيْر ذَوات الياء والواو من النعوت كَجَمْعِهم الشَّريك شُرَكاء، والعَليم عُلَماء. والحَكيم حُكَماء، وما أشْبَه ذلك.

وَقد حُكيَ سَماعًا من العرب في جَمْع النَّبيِّ: النُّبَآء، وذلك من لُغة الذينَ يَهْمِزونَ النَّبيء، ثُمَّ يجْمَعونَه النُّبَآءَ على ما قد بَيَّنْت، ومن ذلك قول عَبَّاس بن مِرْداس السُّلمي في مَدْح النَّبيِّ ﷺ.

يـا خـاتَـمَ الـنُّـبَـآءِ إنَّـك مُـرْسَـلٌ ... بالحَقِّ خيرُ هُدَى الإلهِ هُداكا[1]

فَقال: يا خاتَم النُّبَآءِ، على أنَّ واحِدهم نَبيء مَهْموز.

وَقد قال بعضهم: النَّبيُّ والنُّبوَّةُ غَيْر مَهْموزين؛ لأنَّهما مَأخوذانِ من النَّبْوَةِ، وهيَ مِثْل النَّجْوة، وهما المَكان المُرْتَفِع.

وَكان يقول أنَّ أصْل النَّبيِّ الطَّريق، ويَسْتَشْهِدُ على ذلك بِبَيْتِ القُطامي:

لَـمَّـا ورَدْنَ نَـبـيًّـا واسـتَـتَـبَّ لـنـا ... مُسْحَنْفِرٌ كَخُطوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلُ[2]

ويقول: إنَّما سُمِّي الطَّريق نَبيًّا؛ لأنَّه ظاهِرٌ مُسْتَبين من النُّبوّة.

وَيقول: لم أسمَع أحَدًا يَهْمِز النَّبيَّ.

قال: وَقد ذَكَرْنا ما في ذلك وبَيَّنَّا ما فيه الكِفاية إنْ شاءَ اللَّه.

---

(١) [الكامل] القائل: العباس بن مرداس. اللغة: يا خاتم النبآء: على أن واحدهم (نبيء) مهموز. وقد قال بعضهم: (النبي) و (النبوة) غير مهموز؛ لأنهما مأخوذان من (النَّبْوَة)، وهي مثل (النَّجْوَة)، وهو المكان المرتفع، وكان يقول: إن أصل (النبي) الطريق. والضمير في قوله: (هداكا) لله سبحانه وتعالى؛ دل عليه ما في قوله: (إنك مرسل بالحق)، فإن الله هو الذي أرسله. المعنى: هذا البيت من أبيات له يمدح فيها رسول الله ﷺ؛ بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، أرسله الله هدى للناس ومرشدا لهم إلى طريق الخير والصلاح؛ لما فيه النجاة لهم من عذاب الآخرة والفوز برضا الله عز وجل، ومن ثم الفوز بالجنة.

(٢) [البسيط] القائل: القطامي. روي: (واستتب بنا). اللغة: الضمير في (وردن) للإبل ذكرها في البيت السابق: (يَتبَعنَ ساميةَ العينينِ تحسَبُها مجنونةً أو ترى ما لا ترى الإبلُ) نبيٌ: كثيب رمل مرتفع في ديار بني تغلب، ذكره القطامي في كثير من شعره. واستتب الأمر والطريق: استوى واستقام وتبين واطراد وامتد. مسحنفر: صفة للطريق؛ أي: واسع ممتد ذاهب بين. والسيح: ضرب من البرود أو العباء مخطط، يُلْبَسُ، أو يُسْتَتَرُ به ويفرش؛ شبه آثار السير عليها بخطوط البُرد. وسحلتِ الريحُ الأرضَ فانسحلت: كشطت ما عليها. ووصف الطريق بذلك، لأنه قد استتب بالسير وصار واضحا. المعنى: يصف الطريق التي وردتها الإبل بأنها قد استويت وتبينت لسالكها؛ فقد اتسعت وامتدت مما جعل آثار السير عليها كالخطوط التي على البرود فزادتها وضوحا لمن أراد أن يسلكها.

وَيعْني بِقولِه: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: أنَّهم كانوا يَقْتُلونَ رُسُل اللَّهِ بِغَيْرِ إذْن اللَّهِ لهم بِقَتْلِهم مُنْكرينَ رِسالَتهم جاحِدينَ نُبوَّتهمْ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٦١﴾

وَقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ رَدٌّ على ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأول.

وَمعنى الكَلام: وضُرِبَتْ عليهم الذِّلَة والمسكَنة، وباءوا بِغَضَبٍ من اللَّه؛ من أجْل كُفْرهم بآياتِ اللَّه، وقَتْلِهم النَّبيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ، ومن أجْل عِصْيانِهم رَبَّهمْ، واعْتِدائِهم حُدودَه؛ فَقال جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ والمعنى: ذلك بِعِصْيانِهم وكونهم مُعْتَدينَ.

والاعْتِداءُ: تَجاوُزُ الحَدِّ الذي حَدَّه اللَّهُ تعالى ذكره لِعِبادِه إلى غَيْرِه، وكُلُّ مُتَجاوِزٍ حَدَّ شَيْءٍ إلى غَيْره فقد تَعَدَّاه إلى ما تجاوز إليه.

وَمعنى الكَلام: فَعَلْتُ بهم ما فَعَلْتُ من ذلك بِما عَصَوْا أمْري، وتَجاوَزوا حَدِّي إلى ما نَهَيْتهم عنه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾

أمَّا الذينَ آمَنوا فَهم المُصَدِّقونَ رَسول اللَّه ﷺ فيما أتاهم به من الحَقِّ من عند اللَّه، وإيمانُهم بِذلك: تَصْديقُهم به على ما قد بَيَّنَّا فيما مَضَى من كِتابنا هذا.

وَأمَّا ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾، فَهم اليَهود، ومعنى هادوا: تابوا، يُقال منه: هادَ القَوْمُ يَهودونَ هِوَادًا وهِيادَةً.

وَقِيلَ: إنَّما سُمِّيَتِ اليَهودُ يَهودا؛ من أجْل قولِهمْ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾.

١٠٩٢ - حَدَّثَنا القاسِم، قال: حدَّثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: إنَّما سُمِّيَت اليَهودُ؛ من أجْل أنَّهم قالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ (١).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ جَمْعٌ، واحِدهم نَصْران، كما واحِد السَّكارَى سَكْران، وواحِد النَّشاوَى نَشْوان.

وَكَذلك جَمْع كُلِّ نَعْتٍ كان واحِده على فَعْلان، فَإنَّ جَمعه على فَعالَى، إلاَّ أنَّ المُسْتَفيض من كَلام العرب في واحِد النَّصارَى نَصْرانيٌّ.

وَقد حُكِيَ عنهم سَماعًا: (نَصْران) بِطَرْحِ الياء، ومنه قول الشَّاعِر:

تَـراهُ إذا دارَ الـعَـشِـيُّ مُـحَـنِّـفًـا ... وَيُضْحي لَدَيْهِ وهو نَصْرانُ شامِسُ (٢)

---

(١) [ضعيف] فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [الطويل] القائل: لم أهتدِ لقائله. روي: (إذا دار العشا). ورواه ابن الأنباري في (الأضداد): (تراه ويضحى وهو نصران شامس). اللغة: مُحَنِّفًا: قد تَحَنَّفَ، أو صار إلى الحنيفية؛ ويعني أنه مستقبل القبلة. وقوله: (لديه)؛ أي: لدى العشى، ويريد قبل أن يستوى العشى أو لدى الضحى، ويكون قد ذكره في بيت قبله. وقوله: (شامس)، يريد

وَسُمِعَ منهم في الأُنْثَى نَصْرانة، قال الشَّاعِر:

نَصْرانةٌ لم تَحَنَّفِ[(١)]

وَقد سُمِعَ في جَمْعهم أنصار بِمعنى النَّصارَى، قال الشَّاعِر:

لَمَّا رَأيْتُ نَبَطًا أنْصارا
شَمَّرْتُ عن رُكْبَتَيَ الإزارا
كُنْت لهم من النَّصارَى جارا[(٢)]

وهذه الأبيات التي ذَكَرْتها تَدُلُّ على أنَّهم سُمّوا نصارَى لِنُصْرةِ بعضهم بعضًا وتَناصُرهم بينهمْ، وقد قِيلَ: إنَّهم سُمّوا نَصارَى؛ من أجْل أنَّهم نَزَلوا أرْضًا يُقال لها (ناصِرة).

١٠٩٣- **حدَّثَنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: النَّصارَى إنَّما سُمُّوا نَصارَى؛ من أجْل أنَّهم نَزَلوا أرْضًا يُقال لها: ناصِرةُ[(٣)].

وَيقول آخَرونَ: لِقولِه: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

وَقد ذُكِرَ عن ابن عَبَّاس من طَريق غَيْر مُرْتَضَى أنَّه كان يقول: إنَّما سُمّيَتِ النَّصارَى نَصارَى؛

مستقبل الشمس، قِبَلَ المَشرِقِ؛ يقول يستقبل الشمس كأنه نصراني. المعنى: يصف الشاعر الحرباء بأنها إذا حان وقت العشي استقبلت القبلة، وإذا حان الضحى استقبلت الشمس جهة المشرق؛ مُشَبِّهًا إياها بالنصراني الذي يستقبل الشمس حين تَعَبُّدِهِ، وهو كقول ذي الرمة في صفة الحرباء أيضًا:

(إذا حول الظل العشي رأيته حنيفا وفي قرن الضحى ينتصر)

(١) [الطويل]

فَكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ

القائل: أبو الأخزر الحمَّاني. اللغة: أَسْجَدَ الرَّجُلُ: طَأْطَأَ رَأْسَهُ وانحنى، وكذلك البعير. وأنشد أعرابيٌّ من بني أسد: (وَقُلْنَ لَهُ أَسْجِدْ لِلَيْلَى فَأَسْجَدا) يعني بعيرها أنه طأطأ رأسه إليها لتركبه. المعنى: يصف الشاعر ناقتين طأطأتا رؤوسهما من الإعياء فشبه رأس الناقة من تطأطئها برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها؛ فَنَصْرانَة تأنيث نَصْران، ولكن لم يُستعمل نَصْران إلا بياء النسب؛ لأنهم قالوا: رجل نَصْراني وامرأة نَصْرانيّة. قال ابن بري: قوله إن النصارى جمع نَصْران ونَصْرانَة إنما يريد بذلك الأصل دون الاستعمال، وإنما المستعمل في الكلام نَصْرانيٌّ ونَصْرانِيّة، بياءي النسب، وإنما جاء (نَصْرانَة) في البيت على جهة الضرورة الشعرية.

(٢) [الرجز] القائل: لم أهتدِ لقائله. اللغة: نبطا: النَّبِيطُ والنَبطُ كالحَبِيشِ والحَبَشِ في التقدير: جِيلٌ يَنْزِلُون السواد. وفي (المحكم): ينزلون سواد العراق، وهم الأَنْباطُ، والنَّسَبُ إليهم نَبَطِيٌّ. وفي (الصحاح): ينزلون بالبَطائح بين العِراقين. ابن الأعرابي: يقال رجل نُباطيّ، بضم النون، ونَباطِيٌّ ولا تقل نَبَطِيٌّ. وفي الصحاح: رجل نَبَطيٌّ ونَباطِيٌّ ونَباطٍ مثل يَمنيّ ويَمَانيّ ويمان، وقد استنبطَ الرجلُ. وفي كلام أَيُّوبَ بن القِرِّيَّةِ: أَهل عُمان عَرَبٌ اسْتَنْبَطُوا، وأَهل البَحْرَيْن نَبِيطٌ اسْتَعْرَبُوا. أنصارا: من الأضداد قول العرب: قومٌ أنصارٌ؛ للَّذين نصروا رسول الله ﷺ وآمنوا بالله ورسوله، (وقوم أنصار للنصارى). ويقال: قوم نصارى للكفَّار الَّذين يجعلون لله ولدًا، ويكفرون به، ويقال: قوم نصارى للَّذين نصروا عيسى عليه السَّلام، وكانوا على منهاج الحقّ، يعترفون بأنَّ عيسى عَبْدٌ من عبيد الله عزَّ وجلَّ، ويشهدون لمحمد ﷺ بالتَّصديق. المعنى: يريد الشاعر أنه لما رأى هؤلاء النصارى أسرع إليهم واستقبلهم فكان ناصرًا لهم وعونًا وجارًا.

(٣) [ضعيف] فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

لأنَّ قَرْيَة عيسَى ابن مَرْيَم كانتْ تُسَمَّى ناصِرة، وكان أصْحابُه يُسَمَّوْنَ النَّاصِرِيِّين، وكان يُقال لِعيسَى: النَّاصِرِيُّ.

١٠٩٤- حُدِّثت بِذلك عن هِشام بن مُحَمَّد، عن أبيهِ، عن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس(١).

١٠٩٥- حَدَّثَنا بِشْرٌ، قال: حدَّثنا يَزيد، قال: عن سَعيد، عن قَتادةَ قال: إنَّما سُمُّوا نَصارَى؛ لأنَّهم كانوا بقَرْيَةٍ يُقال لها: ناصِرةُ. يَنْزِلها عيسَى ابن مَرْيَم، فهو اسمٌ تَسَمَّوْا به ولم يُؤمَروا بهِ(٢).

١٠٩٦- حَدَّثَنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ [المائدة: ٨٢]. قال: تَسَمَّوْا بقَرْيَةٍ يُقال لها: ناصِرةُ. كان عيسَى ابنُ مَرْيَم صلى اللهُ عليه يَنْزِلُها(٣).

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾

و(الصَّابِئونَ) جَمْعُ صابِئٍ، وهو المُسْتَحْدِثُ سِوَى دينِه دينًا، كالمُرْتَدِّ من أهل الإسلام عن دينه. وَكُلُّ خارِجٍ من دينٍ كان عليه إلى آخَر غَيْرِه تُسَمِّيه العربُ صابِئًا، يُقال منه: صَبَأَ فُلانٌ يَصْبَأُ صَبْأً. ويُقال: صَبَأَتِ النُّجومُ. إذا طَلَعَتْ، وصَبَأَ علينا فُلانٌ من موضِع كذا وكذا. يَعْني به: طَلَعَ.

واختَلَفَ أهل التَّأويل فيمَنْ يَلْزَمه هذا الاسم من أهل المِلَل؛ فَقال بعضهم: يَلْزَمُ ذلك كُلَّ خارِجٍ من دينٍ إلى غَيْرِ دينٍ. وَقالوا: الذينَ عَنَى اللَّهُ بهذا الاسمِ قَوْمٌ لا دينَ لهم.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٠٩٧- حَدَّثَنا ابن بَشَّارٍ، قال: حدَّثنا عبد الرَّحْمَنِ، وحَدَّثَنَا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، جَميعًا، عن سُفْيان، عن لَيْث، عن مُجاهِد: (الصابئون) لَيْسوا بيَهودَ ولا نَصارَى، ولا دين لهم(٤).

١٠٩٨- حَدَّثَنا ابن بَشَّارٍ، قال: حدَّثنا عبد الرَّحْمَن، قال: حدَّثنا سُفْيان، عن الحَجَّاج بن أرْطاة، عن القاسِم بن أبي بَزَّةَ، عن مُجاهِد، مِثْله(٥).

---

(١) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه، وقد أسنده ابن سعد في الطبقات.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤) [حسن بغير هذا اللفظ] أخرجه ابن ابي حاتم بسند حسن فقال: حدثنا الحجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، والصابئون بين المجوس واليهود لا دين لهم. اهـ وأما سند المصنف هنا ضعيف فيه الليث بن أبي سليم صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك.

(٥) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف فيه حجاج بن أرطاة بن ثور بن هبيرة بن شراحيل بن كعب بن سلامان بن عامر بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع النخعي أبو أرطاة الكوفي القاضي، يدلس عن الضعفاء

١٠٩٩- **حدثنا** ابن حُمَيْد، قال: حدَّثنا حَكَّام، عن عنبَسة، عن الحَجَّاج، عن مُجاهِد، قال: الصَّابِئونَ بين المَجوس واليَهودِ، لا تُؤكَلُ ذَبائِحُهم، ولا تُنْكَحُ نِساؤُهم [١].

١١٠٠- **حدثنا** ابن حُمَيْد، قال: حدَّثنا حَكَّام، عن عنبَسة، عن حَجَّاج، عن قَتادةَ، عن الحسن مِثْل ذلك [٢].

١١٠١- **حدثنا** مُحَمَّد بن عَمرو، قال: حدَّثنا أبو عاصِم، قال: حدَّثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح: ﴿وَالصَّٰبِـِٔينَ﴾: بين اليَهود والمَجوس، لا دينَ لهم [٣].

١١٠٢- **حدثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله [٤].

١١٠٣- **حدثنا** القاسِم؛ قال: حدَّثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج، قال مُجاهِد: ﴿وَالصَّٰبِـِٔينَ﴾: بين المَجوس واليَهود، لا دين لهم. قال ابن جُرَيْج: قُلْت لِعَطاءٍ: ﴿وَالصَّٰبِـِٔينَ﴾: زَعَموا أنَّها قَبيلةٌ من نَحْو السَّواد، لَيْسوا بِمَجوسٍ ولا يَهودَ ولا نَصارَى. قال: قد سَمِعْنا ذلك، وقد قال المُشْرِكونَ لِلنَّبيِّ ﷺ: قد صَبَأ [٥].

١١٠٤- **حدثني** يونُسُ، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَالصَّٰبِـِٔينَ﴾. قال: الصَّابِئونَ: دينٌ من الأديان، كانوا بالجزيرةِ، جَزيرةِ الموصِل، يقولونَ: (لا إلَه إلاَّ اللَّه). ولَيْسَ لهم عَمَلٌ ولا كِتابٌ ولا نَبيٌّ إلاَّ قول: لا إلَه إلاَّ اللَّه. قال: ولم يُؤْمِنوا بِرَسولِ اللَّهِ، فَمن أجْل ذلك كان المُشْرِكونَ يقولونَ لِلنَّبيِّ ﷺ وأصْحابه: هؤلاء الصَّابِئونَ. يُشْبِهونَهم بهم [٦].

وَقال آخَرونَ: هم قَوْمٌ يَعْبُدونَ المَلائِكة، ويُصَلُّونَ القِبْلة.

ذكر مَن قال ذلك:

١١٠٥- **حدثنا** مُحَمَّد بن عبد الأعْلَى، قال: حدَّثنا المُعْتَمِر، عن أبيهِ، عن الحسن، قال: نُبِّئَ زيادٌ: أنَّ الصَّابِئينَ يُصَلُّونَ القِبْلةَ، ويُصَلُّونَ الخَمْسَ، فَأرادَ أنْ يَضَع عنهم الجِزْية، قال:

يكتب حديثه، ولا يحتج بحديثه. قال أبو طالب، عن أحمد بن حنبل: كان من الحفاظ. قيل: فلم ليس هو عند الناس بذاك؟ قال: لأن في حديثه زيادة على حديث الناس، ليس يكاد له حديث إلا فيه زيادة.

(١) [ضعيف] من أجل الحجاج.

(٢) [ضعيف] من أجل الحجاج بن أرطأة.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي. وأظن أن (مجاهد) سقط منه.

(٤) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٥) [حسن لمجاهد] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٦) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

فَخُبِّرَ بعدُ أنَّهم يَعْبُدونَ المَلائِكة(١).

١١٠٦- حَدَّثَنا بِشر، قال: حدَّثنا يَزيد، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾. قال: الصَّابِئونَ قَوْمٌ يَعْبُدونَ المَلائِكة، ويُصَلُّونَ القِبْلَةَ، ويَقْرَءونَ الزَّبور(٢).

١١٠٧- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حدَّثنا آدَم، حدَّثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية، قال: الصَّابِئونَ فِرْقَةٌ من أهل الكِتابِ يَقْرَءونَ الزَّبور. قال أبو جَعْفَر - يعني: الرَّازيَّ -: وبَلَغَني أيْضًا أنَّ الصَّابِئينَ قَوْمٌ يَعْبُدونَ المَلائِكة، ويَقْرَءونَ الزَّبور، ويُصَلُّونَ القِبْلَة(٣).

وَقال آخَرونَ: بل هم طائِفةٌ من أهلِ الكِتاب.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١١٠٨- حَدَّثَنا سُفْيان بن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن سُفْيان، قال: سألت السُّدِّيَّ، عن الصَّابِئينَ، فَقال: هم طائِفةٌ من أهلِ الكِتاب(٤).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

يَعْني جلَّ ثناؤه بِقولِه: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾: مَنْ صَدَّقَ بالله وأقرَّ بالبعْثِ بعد المَمات يوم القيامة وعَمَل صالِحًا فأطاعَ اللَّه، فَلَهم أجْرهم عند رَبِّهِمْ، يَعْني: بِقولِه: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: فَلَهم ثَواب عَمَلهم الصَّالِح عند رَبِّهِمْ.

فَإنْ قال لنا قائِل: فَأيْنَ تَمام قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾؟ قِيلَ: تَمامه جُمْلة قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾؛ لأنَّ معناه: مَنْ آمَنَ منهم باللَّه واليوم الآخِر. فَتَرَكَ ذِكْر منهم لِدَلالةِ الكَلام عليه استِغْناء بِما ذَكَرَ عَمَّا تَرَكَ ذِكْره.

فَإنْ قال: وما معنى هذا الكَلام؟ قِيلَ: معناه: إنَّ الذينَ آمَنوا والذينَ هادوا والنَّصارَى والصَّابِئينَ، مَنْ يُؤمِن منهم باللَّه واليوم الآخِر فَلَهم أجْرهم عند رَبِّهِمْ.

فَإنْ قال: وكيفَ يُؤمِن المُؤمِن؟ قِيلَ: لَيْسَ المعنى في المُؤمِن المعنى الذي ظَنَنْته من انتِقال من دِين إلى دِين كانتِقالِ اليَهودِ والنَّصارى إلى الإيمان - وإنْ كان قد قِيلَ: إنَّ الذينَ عُنُوا بِذلك

---

(١) [صحيح] زياد بن رياح ويقال: ابن رباح القيسي أبو رياح ويقال: أبو قيس البصري ويقال: المدني، وحديث حسن عنه عند مسلم، و محمد بن عبد الأعلى الصنعاني القيسي أبو عبد الله البصري ثقة، وبقية رجاله تقدموا.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: والصابئين فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور. اهـ.

(٤) [ضعيف] سفيان بن وكيع بن الجراح الرؤاسي أبو محمد الكوفي أخو مليح بن وكيع وعبيد بن وكيع كان صدوقا، إلا أنه ابتلي بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه.

مَنْ كان مِن أهل الكِتاب على إيمانه بِعيسَى صلى الله عليه، وبِما جاء بِهِ، حتَّى أَدْرَكَ مُحَمَّدًا ﷺ فَآمَنَ به وصَدَّقَهُ، فَقيلَ لأولَئِكَ الذينَ كانوا مُؤمِنينَ بِعيسَى وبِما جاء به إذْ أَدْرَكوا مُحَمَّدًا ﷺ: آمِنوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبِما جاء بِهِ - ولَكِنْ معنى إيمان المُؤمِن في هذا الموضِع ثَباته على إيمانه وتَرْكُه تَبْديله.

وَأمَّا إيمان اليَهود والنَّصارَى والصَّابِئينَ، فالتَّصْديق بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وبِما جاء بِهِ، فَمَنْ يُؤمِن منهم بِمُحَمَّدٍ، وبِما جاء به واليوم الآخِر، ويَعْمَل صالِحًا، فَلم يُبَدِّل ولم يُغَيِّر، حتَّى تُوفِّيَ على ذلك كله، فَلَه ثَواب عَمَله وأجْرُه عند رَبِّه، كما وصَفَ جَلَّ ثَناؤه.

فإنْ قال قائِل: وكيفَ قال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، وإنَّما لفظ ﴿مَنْ﴾ لَفْظ واحِد، والفِعْل معه موَحَّد؟ قِيلَ: إن (مَنْ) وإنْ كان الذي يَليه من الفِعْل موَحَّدًا، فَإنَّ له معنى الواحِد والاثْنَيْنِ والجَمْع والتَّذْكير والتَّأنيث؛ لأنَّه في كُلِّ هذه الأحوال على هَيْئة واحِدة وصورة واحِدة لا يَتَغَيَّر، فالعربُ توَحِّد معه الفِعْل وإنْ كان في معنى الجَمْع لِلَفْظِهِ، وتَجْمَع أُخْرَى معه الفِعْلَ لِمعناهُ، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۝٤٢ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٢: ٤٣] فَجمع مَرّة مع ﴿مَنْ﴾ الفِعْل لِمعناهُ، ووَحَّدَ أُخْرَى معه الفِعْل؛ لأنَّه في لَفْظ واحِدٍ، كما قال الشَّاعِر:

أَلِمَّا بِسَلْمَى عنكُما إنْ عَرَضْتُما وَقُولا لها عُوجِي على مَنْ تَخَلَّفوا(١)

فَقال: تَخَلَّفوا، فجمَع وجعَلَ (مَنْ) بِمَنْزِلةِ الذينَ.

وَقال الفَرَزْدَق:

تَعالَ فَإنْ عاهَدْتَني لا تَخُونُني نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ(٢)

---

(١) [الطويل] القائل: امرؤ القيس. روي: (أَلِمَّا بِسَلْمَى لَمَّةً إذْ وَقَفْتُمَا). اللغة: قوله: (عرضتما) من قولهم: عرض الرجل: إذا أتى العروض (بفتح العين)، وهي مكة والمدينة وما حولهما. وعج لسانك عنى ولا تكثر؛ أي: اصرفه. قال ذو الرمة:

أعاذل عوجي من لسانك في عذلي فما كل من يهوي رشادي على شكلي

المعنى: يخاطب الشاعر صاحبيه قائلا لهما: إن عرضتما فأبلغا سلمى أن تنصرف بالحديث عن من تخلف ولم يأت بعد.

(٢) [الطويل] القائل: الفرزدق. روي: (تَعَشَّ فَإن واثَقْتَني لا تَخونَني). والبيت من قصيدةٍ للفرزدق، خاطب فيها ذئبًا أتاه، وهو نازلٌ في بعض أسفاره، وكان قد أوقد نارًا، ثم رمى إليه من زاده. وقال له: تعش، وينبغي أن لا يخون أحدٌ منا صاحبه، حتى نكون مثل الصاحبين. وقال أبو عبيدة في كتاب (الضيفان): ضاف الفرزدق ذئبًا، ومعه مسلوخ، فألقى إليه ربع الشاة، وأراد أصحابه طرده فنهاهم، ثم ألقى إليه الربع الآخر فشبع، فقال الفرزدق هذه القصيدة:

وأطلَسِ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبًا دعوْتُ لنَارِي مَوْهِنًا فأَتاني
فَلَمَّا أَتى قُلْتُ: ادْنُ دونَكَ إنَّني وإيَّاكَ في زَادِي لَمُشْتَرِكانِ!
فبِتُّ أَقُدُّ الزَّادَ بَيْنِي وبَيْنَه على ضوءِ نارٍ مرةً ودُخَانِ
فَقُلْتُ لَهُ - لَمَّا تكَشّر ضاحِكا - وقَائِمُ سَيْفي مِنْ يَدِي بِمكَانِ

فَثَنَّى يَصْطَحِبانِ لِمعنى (مَنْ)، فكذلك قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وحَّدَ ﴿ءَامَنَ﴾ ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ لِلَفْظِ (مَنْ)، وجمع ذِكْرهم في قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ لِمعناهُ؛ لأنَّه في معنى جَمْع.

وأمَّا قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فإنَّه يَعْني به جَلَّ ذِكْره: ولا خَوْف عليهم فيما قَدِموا عليه من أهوال القيامة، ولا هم يَحْزَنونَ على ما خَلَّفوا وراءَهم من الدُّنيا وعَيْشها عند مُعايَنَتهم ما أعَدَّ اللَّه لهم من الثَّواب والنَّعيم المُقيم عنده.

ذِكر مَن قال: عُنِيَ بِقولِه: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ مُؤمنو أهل الكِتاب الذينَ أدْركوا رَسول اللَّه ﷺ:

١١٠٩- **حَدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حدَّثنا عَمْرو بن حماد، قال: حدَّثنا أسباط بن نَصْر، عن السُّدِّيِّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية، قال: نَزَلَتْ هذه الآية في أصْحاب سَلْمان الفارِسيِّ، وكان سَلْمان من جُنْدَيْسابُورَ، وكان من أشرافهم، وكان ابن المَلِك صَديقًا له مواخيًا، لا يَقْضي واحِدٌ منهما أمْرًا دون صاحِبه، وكانا يَرْكَبانِ إلى الصَّيْد جَميعًا.

فَبينَما هُما في الصَّيْد إذْ رُفِعَ لهُما بَيْتٌ من عَباءٍ، فَأتَياه فَإذا هُما فيه بِرَجُلٍ بين يَدَيْه مُصْحَفٌ يَقْرَأ فيه وهو يَبْكي، فَسَألاه: ما هذا؟ فَقال: الذي يُريد أنْ يَعْلَم هذا لا يَقِف موقِفَكُما، فَإنْ كُنْتُما تُريدانِ أنْ تَعْلَما ما فيه فانزِلا حتَّى أُعَلِّمَكُما. فَنَزَلا إليهِ، فَقال لهُما: هذا كِتابٌ جاء من عند اللَّه، أمَرَ فيه بِطاعَتِهِ، ونَهَى فيه عن معصيَتِه: ألا تَزْنيَ، ولا تَسْرِق، ولا تأخُذ أموال النَّاس بالباطِلِ - فَقَصَّ عليهِما ما فيهِ - وهو الإنْجيلُ الذي أنْزَلَ اللَّه على عيسَى. فَوَقَعَ في قُلوبهما وتابَعاه فَأسلَما، وقال لهُما: إنَّ ذَبيحة قَوْمِكُما عليكُما حَرامٌ. فَلم يَزالا معه كذلك يَتَعَلَّمانِ منهُ، حتَّى كان عيدٌ لِلْمَلِكِ، فَجَعَلَ طَعامًا، ثُمَّ جمع النَّاس والأشراف، وأرْسَلَ إلى ابن المَلِك فَدَعاه إلى صَنيعه ليَأكُل مع النَّاس، فَأبَى الفَتَى وقال: إنِّي عنك مَشْغول، فَكُلْ أنتَ وأصْحابُك. فَلَمَّا أكْثَر عليه من الرُّسُل، أخْبَرَهم أنَّه لا يَأكُل مِن طَعامهم، فَبَعَثَ المَلِك إلى ابنه، فَدَعاه وقال: ما أمْرُك هذا؟ قال: إنَّا لا نَأكُل من ذَبائِحكُمْ، إنَّكم كُفَّار، لَيْسَ تَحِلّ ذَبائِحكُمْ. فَقال له المَلِك: مَنْ أمَرَك بهذا؟ فَأخْبَرَه أنَّ الرَّاهِب أمَرَه بِذلك، فَدَعا الرَّاهِب فَقال: ماذا يقول ابني؟ قال: صَدَق ابنك. قال له: لولا أنَّ الدَّم فينا عَظيم لَقَتَلْتُك، ولَكِنْ اخرُجْ من أرْضنا. فَأجَّلَه أجَلًا.

قال سَلْمان: فَقُمْنا نَبْكي عليهِ، فَقال لهُما: إنْ كُنْتُما صادِقينِ، فَإنَّا في بِيعة بالموصِلِ مع سِتِّينَ رَجُلًا نَعْبُد اللَّه فيها، فَأتونا فيها. فَخَرَجَ الرَّاهِب، وبَقيَ سَلْمان وابن المَلِك؛ فَجَعَلَ سلمان يقول لابن المَلِك: انطِلقَ بِنا. وابن المَلِك يقول: نَعَمْ. وجَعَلَ ابن المَلِك يَبيع مَتاعه

تَعَشَّ فَإنْ عاهَدْتَني لا نخونني تكُنْ مِثْلَ مَنْ - يا ذِئْبُ - يصْطَحِبَانِ

اللغة: والأطلس: الأغبر من الذئاب. والواو واو رب. وعسال: صفة مبالغة من العسلان، وهو مشي الذئب باضطراب وسرعة. والموهن، بفتح الميم وكسر الهاء: ساعة تمضي من الليل. وأقد: أقطع طولاً. والتكشر: ظهور الأسنان عند الضحك. وتعش: أمر من تعشى.

يُريد الجَهاز. فَلَمَّا أبطَأ على سَلْمان، خَرَجَ سَلْمان حتَّى أتاهم، فَنَزَلَ على صاحِبه وهو رَبُّ البِيعة، وكان أهل تِلْكَ البِيعة أفضَل مَرتبةً مِن الرُّهْبان، فَكان سَلْمان معه يجْتَهِد في العِبادة، ويُتْعِب نَفْسه، فَقال له الشَّيْخ: إنَّك غُلام حَدَث تَكَلَّفُ من العِبادة ما لا تُطيق، وأنا خائِف أنْ تَفْتُر وتَعْجِز، فارْفُقْ بِنَفْسِك وخَفِّفْ عنها. فَقال له سَلْمان: أرَأيْت الذي تأمُرني به، أهوَ أفْضَلُ أو الذي أصْنَع؟ قال: لا، بل الذي تَصْنَع؟ قال: فَخَلِّ عَنِّي.

قال: ثُمَّ إنَّ صاحِب البِيعة دَعاه فَقال: أتَعْلَمُ أنَّ هذه البِيعة لي، وأنا أحَقُّ النَّاس بها، ولو شِئْت أنْ أُخْرِج هؤلاء منها لَفَعَلْت! ولَكِنِّي رَجُل أضْعُفُ عن عِبادة هؤلاء، وأنا أُريد أنْ أتَحولَ من هذه البِيعة إلى بِيعة أُخْرَى هم أهوَن عِبادة من هؤلاء، فَإنْ شِئْت أنْ تُقيم هَاهُنا فَأقِمْ، وإنْ شِئْت أنْ تَنطَلِق مَعي فانطَلِقْ. فقال له سَلْمان: أيُّ البِيعَتَيْنِ أفْضَل أهلاً؟ قال: هذه. قال سَلْمان: فَأنا أكون في هذه. فَأقامَ سَلْمان بها وأوصَى صاحِبُ البِيعة عالِم البِيعة بِسَلْمان، فَكان سَلْمان يَتَعَبَّد معهم. ثُمّ إنَّ الشَّيْخ العالِم أرادَ أنْ يَأتي بَيْت المَقْدِس، فدعا سَلْمان، فقال: إني أريدُ أن آتيَ بيتَ المقدسِ، فإن شئتَ أنْ تَنطَلِق مَعي فانطَلِقْ، وإنْ شِئْت أنْ تُقيم فَأقِمْ.

قال له سَلْمان: أيُّهما أفْضَل؛ أنْطَلِقُ معك أو أُقيم؟ قال: لا، بل تَنْطَلِق مَعي.

فانطَلَقَ معه فَمَرُّوا بِمُقْعَدٍ على ظَهْر الطَّريق مُلْقًى، فَلَمَّا رَآهُما نادَى: يا سَيِّد الرُّهْبان، ارْحَمْني رَحِمَكَ اللَّه! فَلم يُكَلِّمهُ، ولم يَنْظُرِ إليهِ، وانطَلَقا حتَّى أتَيا بَيْت المَقْدِس، فَقال الشَّيْخ لِسَلْمان: اخرُجْ فاطْلُبْ العِلْم فَإنّه يَحْضُر هذا المسجِدَ عُلَماءُ أهل الأرْض.

فَخَرَجَ سَلْمان يَسْمَع منهم، فَرَجَعَ يومًا حَزينًا، فَقال له الشَّيْخ: ما لَك يا سَلْمان؟ قال: أرَى الخَيْر كُلّه قد ذَهَبَ به مَنْ كان قَبْلنا من الأنْبياء وأتْباعِهم! قال له الشَّيْخ: يا سَلْمان لا تَحْزَن، فَإنَّه قد بَقِيَ نَبيٌّ لَيْسَ من نَبيّ أفضل تَبَعًا منه وهذا زَمانه الذي يَخْرج فيهِ، ولا أراني أُدْرِكهُ، وأمَّا أنتَ فَشابٌّ فلَعَلَّك أنْ تُدْرِكهُ، وهو يَخْرُج في أرْض العرب، فَإنْ أدْرَكْته فَآمِن به واتَّبِعْه. فَقال له سَلْمان: فَأخْبِرْني عن عَلامَته بِشَيْءٍ.

قال: نَعَمْ، هو مَخْتومٌ في ظَهْره بِخاتَم النُّبوّة، وهو يَأكُل الهَديَّة ولا يَأكُل الصَّدَقة.

ثُمَّ رَجَعا حتَّى بَلَغا مَكان المُقْعَد، فَناداهُما فَقال: يا سَيِّد الرُّهْبان، ارْحَمْني رَحِمَكَ اللَّه! فَعَطَفَ إليه حِماره، وأخَذَ بيَدِه فَرَفَعَهُ، وَضَرَبَ به الأرْض ودَعا لهُ، وقال: قُم بإذْنِ اللَّه. فَقامَ صَحيحًا يَشْتَدُّ. فَجَعَلَ سَلْمان يَتَعَجَّب وهو يَنْظُر إليه يَشْتَدّ.

وَسارَ الرَّاهِب فَتَغَيَّبَ عن سَلْمان ولا يَعْلَم سَلْمان.

ثُمّ إنَّ سَلْمان فَزِعَ فَطَلَبَ الرَّاهِب، فَلَقيَه رَجُلينِ من العرب من كَلْب فَسَألَهُما: هَلْ رَأيْتُما الرَّاهِب؟ فَأناخَ أحَدهما راحِلَته، قال: نِعْم راعي الصِّرْمة هذا! فَحَمَلَه فانطَلَقَ به إلى المَدينة.

قال سَلْمان: فَأصابَني من الحُزْن شَيْءٌ لم يُصِبني مِثْله قَطّ.

فاشْتَرَتْه امْرَأة من جُهَيْنة فَكان يَرْعَى عليها هو وغُلامٌ لها يَتَراوَحانِ الغَنَم هذا يومًا وهذا يومًا،

فَكان سَلْمان يجْمَع الدَّراهِم يَنْتَظِر خُروج مُحَمَّد ﷺ.

فَبينا هو يومًا يَرْعَى، إذْ أتاه صاحِبه الذي يَعْقُبهُ، فقال له: أشَعَرْت أنَّه قد قَدِمَ اليوم المَدينة رَجُل يَزْعُم أنَّه نَبيّ؟ فَقال له سَلْمان: أقِم في الغَنَم حتَّى آتيك.

فَهَبَطَ سَلْمان إلى المَدينة، فَنَظَرَ إلى النَّبيّ ﷺ ودار حَوْله.

فَلَمَّا رَآه النَّبيّ ﷺ عَرَفَ ما يُريد، فَأَرْسَلَ ثَوْبه، حتَّى خَرَجَ خاتَمه، فَلَمَّا رَآه أتاه وكَلَّمَهُ، ثُمَّ انطَلَقَ، فاشْتَرَى بِدينارٍ، بِبعضِه شاة فشواها وببعضِه خُبْزًا، ثُمَّ أتاه بِهِ، فَقال: **«ما هذا»**؟ قال سَلْمان: هذه صَدَقة قال: **«لا حاجة لي بها فَأخرِجْها فَلْيأكُلها المُسْلِمونَ»**. ثُمَّ انطَلَقَ فاشْتَرَى بِدينارٍ آخَر خُبْزًا ولَحْمًا، فَأتَى به النَّبيّ ﷺ، فَقال: **«ما هذا»**؟ قال: هذه هَديَّة، قال: **«فاقْعُدْ فكُلْ»**، فَقعَدَ فَأكَلا جَميعًا منها، فَبينا هو يُحَدِّثه إذْ ذَكَرَ أصْحابه، فَأخْبَرَه خَبَرهمْ، فَقال: كانوا يَصومونَ ويُصَلّونَ ويُؤمِنونَ بِك، ويَشْهَدونَ أنَّك سَتُبْعَثُ نَبيًّا. فَلَمَّا فَرَغَ سَلْمان من ثَنائِه عليهم قال له نَبيّ اللَّه: **«يا سَلْمان، هم من أهل النَّار»**.

فاشْتَدَّ ذلك على سَلْمان، وقد كان قال له سَلْمان: لو أدْرَكوك صَدَّقوك واتَّبعوك، فَأنْزَلَ اللَّه هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾.

فَكان إيمان اليَهود أنَّه مَنْ تَمَسّك بالتَّوْراةِ وسُنَّة موسَى كان مؤمنًا حتَّى جاء عيسَى، فَلَمَّا جاء عيسَى كان مَنْ تَمَسَّكَ بالتَّوْراةِ وأخَذَ بِسُنَّةِ موسَى فَلم يَدَعها ويَتَّبع عيسَى كان هالِكًا. وإيمان النَّصارَى أنَّه مَنْ تَمَسَّكَ بالإنْجيلِ منهم وشَرائِع عيسَى كان مُؤمِنًا مَقبولاً منهُ، حتَّى جاء مُحَمَّد ﷺ، فَمَنْ لم يَتَّبع مُحَمَّدًا ﷺ منهم ويَدَع ما كان عليه من سُنَّة عيسَى والإنْجيل كان هالِكًا(١).

١١١٠- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مُجاهِد قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية.

قال سأل سَلْمان الفارِسيّ النَّبيّ ﷺ عن أولَئِكَ النَّصارَى وما رَأى من أعْمالهِمْ، قال: لم يَموتوا على الإسلام. قال: سَلْمان: فَأظْلَمَتْ عَلَيَّ الأرْض. وذَكَرت اجْتِهادهمْ. فَنَزَلَتْ هذه الآية، فَدَعا سَلْمان فَقال: **«نَزَلَتْ هذه الآية في أصْحابك»**. ثُمَّ قال النَّبيّ ﷺ: **«مَنْ ماتَ على دين عيسَى ومن ماتَ على دين الإسلام قَبْل أنْ يَسْمَع بي فهو على خَيْر ومَنْ سَمِعَ بي اليوم ولم يُؤمِن بي فقد هَلَكَ»**(٢).

وَقال ابن عَبَّاس بِما:

١١١١- **حَدَّثَني** به المُثَنَّى، قال: حدَّثنا أبو صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية، عن عَليّ بن أبي

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. فأنزلَ اللّه جلَّ ثناؤه بعد هذا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. [آل عمران: ٨٥][(١)].

١١١٢- **حدَّثنا** ابنُ البرْقيِّ قال: حدَّثنا عمرو بنُ أبي سلمة، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾. قال: هي منسوخةٌ، نسختَها: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾[(٢)].

وَهذا الخَبَر يَدُلُّ على أنَّ ابن عَبَّاس كان يَرَى أنَّ اللّه تعالى ذكرهُ كان قد وعَدَ مَنْ عَمِلَ صالحًا من اليَهود والنَّصارَى والصَّابِئينَ على عَمَله في الآخِرة الجَنَّة، ثُمَّ نَسَخَ ذلك بِقولِه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فتأويل الآية إذن على ما ذَكَرنا عن مُجاهِد والسُّدّيّ: إنَّ الذينَ آمَنوا من هذه الأُمّة، والذينَ هادوا والنَّصارَى والصَّابِئينَ - مَنْ آمَنَ من اليَهود والنَّصارَى والصَّابِئينَ باللّه واليوم الآخِر - ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

والذي قُلْنا من التَّأويل الأوَّل أشبَه بِظاهِرِ التّنْزيل؛ لأنَّ اللّه تعالى ذكره لم يَخْصُص بالأجْرِ على العَمَل الصَّالِح مع الإيمان بعض خَلْقه دون بعض منهم، والخَبَر بقولِه: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ عن جَميع من ذَكَرَ في أوَّل الآية.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾

الميثاق: المِفعال، من الوَثيقة، إمَّا بيَمينٍ، وإمَّا بعَهْدٍ أو غَيْر ذلك من الوَثائِق.

وَيَعْني بقولِه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ الميثاق الذي أخْبَرَ الله تعالى ذكره أنَّه أخَذَ منهم في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣-٨٥] الآيات التي ذَكَرَ معها، وَكان سَبَب أخْذ الميثاق عليهم فيما ذَكَرَ ابن زَيْد ما:

١١١٣- **حَدَّثني** به يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب قال: قال ابن زَيْد: لَمَّا رَجَعَ موسَى من عند رَبّه بالألواح قال لِقَوْمِه بَني إسرائيل: إنَّ هذه الألواح فيها كِتاب اللّه، وأمْره الذي أمَرَكُم بهِ، ونَهْيه الذي نَهاكُم عنهُ. فَقالوا: ومَنْ يَأخُذه بِقولِك أنتَ؟ لا واللّه حتَّى نَرَى اللّه جَهْرة حتَّى يَطَّلِع اللّه إلينا فَيقول: هذا كِتابي فَخُذوه. فَما له لا يُكَلِّمنا كما كَلَّمَكَ أنتَ يا موسَى فَيقول: هذا كِتابي فَخُذوه. قال: فَجاءتْ غَضْبة من اللّه فَجاءتْهم صاعِقة فَصَعَقَتْهم، فَماتوا

---

(١) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه، وشيخ المصنف توبع.

(٢) [ضعيف] عمرو بن أبي سلمة التنيسي أبو حفص الدمشقي مولى بني هاشم يكتب حديثه، ولا يحتج به. وسعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي أبو محمد ويقال: أبو عبد العزيز الدمشقي، سواه أحمد بالأوزاعي. وأحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعية بن أبي زرعة المصري أبو عبد الله بن البرقي مولى بني زهرة أخو: أحمد بن البرقي وقد ينسب إلى جده ثقة.

أجْمَعونَ. قال: ثُمَّ أحياهم اللَّه من بعد موتهِمْ، فَقال لهم موسَى: خُذوا كِتاب اللَّه. فَقالوا: لا. قال: أيُّ شَيْءٍ أصابَكُم؟! قالوا: مُتْنا ثُمَّ حَيينا! قال: خُذوا كِتاب اللَّه. قالوا: لا. فَبَعَثَ اللَّه مَلائِكَةً فنتقت الجَبَل فَوْقهمْ، وقرأ: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٤]. قال: فرُفِع فوقَهم. فَقيلَ لهم: أتَعْرِفونَ هذا؟ قالوا: نَعَمْ، هذا الطُّور. قال: خُذوا الكِتاب وإلاَّ طَرَحْناه عليكُم. قال: فَأخَذوه بالميثاقِ. وقَرأ قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ حتَّى بَلَغَ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٣: ٨٥] قال: ولو كانوا أخَذوه أوَّل مَرّة لأَخَذوه بِغَيْرِ ميثاق[(١)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾

وأمَّا الطّور فَإنّه الجَبَل في كَلام العرب، ومنه قول العَجّاج:

دانى جَناحَيْه من الطّور فَمَرْ
تَقَضِّي البازي إذا البازي كَسَرْ[(٢)]

وَقيلَ: إنَّه اسم جَبَل بِعَيْنِه. وذَكَروا أنَّه الجَبَل الذي ناجَى اللَّه عليه موسَى.

وقِيلَ: إنَّه من الجِبال ما أنْبَتَ دون ما لم يُنْبِت.

ذِكر مَن قال: هو الجَبَل كائنًا ما كان:

١١١٤- **حَدَّثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، عَن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: أمَرَ موسَى قَوْمه أنْ يَدْخُلوا الباب سُجَّدًا ويقولوا: حِطّة. وطُوْطِئَ لهم الباب ليَسْجُدوا، فَلم يَسْجُدوا ودَخَلوا على أدْبارهِمْ، وقالوا: حِنْطة. فَنَتَقَ فَوْقهم الجَبَل - يقول: أخْرَجَ أصْل الجَبَل من الأرْض، فَرَفَعَه فَوْقهم كالظُّلَّةِ - والطّور بالسريانية: الجَبَلُ - تَخْويفًا، فَدَخَلوا سُجَّدًا على خَوْفٍ - أو حرفٍ، شَكَّ أبو عاصِم - أعْيُنُهم إلى الجَبَل، وهو الجَبَل الذي تَجَلَّى له رَبُّه[(٣)].

---

(١) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٢) [الرجز] القائل: العجاج. اللغة: داني؛ أي: ضَمَّ جناحيه، وقر بهما، وضيق ما بينهما تأهبا للانقضاض من ذروة الجبل. ومر: أسرع إسراعا شديدا. وقوله: (تقضي) أصلها (تقضض)، فقلب الضاد الأخيرة ياء، استثقل ثلاث ضادات، كما فعلوا في (ظنن)، و (تظنى) على التحويل. وتقضض الطائر: هوى في طيرانه يريد الوقوع. والبازي: ضرب من الصقور، شديد. وكسر الطائر جناحيه: ضم منهما شيئا - أي قليلا- وهو يريد السقوط. المعنى: يقول العجاج قبل هذا البيت: (إذا الكرام ابتدروا الباع بدر) فضرب الباع مثلا للكرم، وابتدروا وتسابقوا؛ يقول: إذا الكرام ابتدروا وتسابقوا إلى فعل المكارم سبقهم هذا الممدوح وأسرع إليها كانقضاض البازي في طيرانه على الصيد، وذلك أسرع ما يكون من الطيران، يمدح بذلك عمر بن عبيد الله بن معمر القرشي، وقد ولي الولايات العظيمة، وفتح الفتوح الكثيرة، وقاتل الخوارج.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

١١١٥- حدّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: رُفِعَ الجَبَل فَوْقهم كالظُّلَّةِ، كالسَّحابةِ، فَقيلَ لهم: لَتُؤمِنُنَّ أو لَيَقَعَنَّ عليكُمْ!! فَآمَنوا. والجَبَلُ بالسُّريانية: الطُّور(١).

١١١٦- حدّثنا بِشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيدُ، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ قال: الطُّور: الجَبَل، كانوا بِأصْلِه فَرُفِعَ عليهم فَوْق رُءوسهِمْ، فَقال: لَتأخُذُنَّ أمْري أو لأرْمينّكُم بهِ!!(٢).

١١١٧- حدّثنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ قال: الطُّور: الجَبَل، اقْتَلَعه اللَّه فَرَفَعَه فَوْقهمْ، فَقال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ فَأقَرُّوا بِذلك(٣).

١١١٨- حدّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ قال: رَفَعَ فَوْقهم الجَبَل يُخَوِّفهم بهِ(٤).

١١١٩- حدّثنا ابن وكيع، قال: حَدَّثَنا أبي، عن النَّضْر بن عَرَبِّي، عن عِكْرِمة، قال: الطّور: الجَبَل(٥).

١١٢٠- حدّثنا موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: لَمَّا قال اللّه تعالى ذكره لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ فَأبَوْا أنْ يَسْجُدوا وأمَرَ اللّه جلَّ ذكره الجَبَل أنْ يَقَع عليهم، فَنَظَروا إليه وقد غَشيَهم، فَسَقَطوا سُجَّدًا، فسجَدوا على شِقّ، ونَظَروا بالشّقّ الآخَر فَرَحِمهم اللّه، فَكَشَفَه عنهم، فقالوا: ما سجدةٌ أحبُّ إلى اللّهِ من سجدةٍ كَشَفَ بها العذابَ عنكم. فهم يسجُدون لذلك على شقٍّ. فَذلك قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٧١] وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾(٦).

١١٢١- وحَدّثني يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: الجَبَل بالسريانية: الطّور، وهو بالعربيةِ الجبلُ(٧).

وَقال آخَرونَ: الطُّور: اسم لِلْجَبَلِ الذي ناجَى اللّه جلَّ جلالُه عليه موسَى عليه السلام.

---

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٥) [ضعيف] سفيان بن وكيع بن الجراح الرؤاسي أبو محمد الكوفي أخو مليح بن وكيع وعبيد بن وكيع كان صدوقا، إلا أنه ابتلى بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه.

(٦) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٧) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

ذكر مَن قال ذلك:

١١٢٢- **حدّثنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عَبَّاس: الطّور: الجَبَل الذي أُنزِلَتْ عليه - يَعْني على موسَى - التوارة، وكانتْ بَنو إسرائيل أسفَل منه. قال ابن جُرَيْج: قال لي عَطاء: رَفَعَ الجَبَل على بَني إسرائيل، فقال: لَتُؤمِنُنَّ به أو لَيَقعَنَّ عليكُمْ!! فذاك قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [(١)].

وَقال آخَرونَ: الطُّور من الجِبال: ما أَنْبَتَ خاصّة.

ذكر مَن قال ذلك:

١١٢٣- **حُدّثت** عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿ٱلطُّورَ﴾ قال: الطّور من الجِبال: ما أَنْبَتَ، وما لم يُنْبِت فَلَيْسَ بِطورٍ[(٢)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾

اختَلَفَ أهل العربيّة في تأويل ذلك؛ فَقال بعض نَحْويِّي البَصْرة: هو مِمَّا استُغْنِيَ بِدَلالةِ الظَّاهِر المَذْكور عَمَّا تُرِكَ ذِكْره منه، وذلك أنَّ معنى الكَلام: ورَفَعْنا فَوْقكُم الطّور، وقُلْنا لكم: خُذوا ما آتَيْناكُم بِقوّةٍ، وإلاَّ قَذَفْناه عليكُمْ.

وَقال بعض نَحْويِّي الكوفة: أَخْذُ الميثاق قولٌ فلا حاجة بالكَلامِ إلى إضْمار قول فيهِ، فَيكون من كَلامَيْنِ غَيْر أنَّه يَنْبَغي لِكُلِّ ما خالَفَ القول من الكَلام الذي هو بِمعنى القول أنْ تكون معه (أنْ)، كما قال اللَّه تعالى ذكره: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾ [نوح: ١]. قال: ويجوز بِحَذْفِ (أنْ).

قال أبو جعفرٍ: والصَّواب من القول في ذلك عندنا أنَّ كُلَّ كَلام نُطِقَ به، مَفْهوم به معنَى ما أُريدَ منه، فَفيه الكِفايةُ من غَيْره، ويَعْني بِقولِه ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾: ما أَمَرْناكُم به في التَّوْراة. وأصْل الإيتاء: الإعْطاء، وَيَعْني بِقولِه: ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدٍّ وتأدية ما أُمِرْتم به فيه وافتُرِضَ عليكُمْ، كَما:

١١٢٤- **حُدّثنا** عبدُ الكريم. قال: حدثنا إبراهيم بن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا ابن عُيَيْنَةَ، قال: حدَّثنا أبو سعدٍ، عن عكرمةَ، عن ابن عباسٍ: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ قال: بجدٍّ[(٣)].

١١٢٥- **حدَّثني** محمدُ بنُ عمرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي

---

(١) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم ابن عباس، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث، ثم هو من معلقات المصنف، ولكن أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره فقال: حدثنا أبو زرعة، ثنا منجاب بن الحارث، أنبأ بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: الطور قال: الطور ما أنبت من الجبال وما لم ينبت فليس بطور؟ اهـ.

(٣) [ضعيف] إبراهيم بن بشار الرمادي تقدم الحديث على ضعفه.

نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ قال: بِعَمَلٍ بما فيه[(١)].

١١٢٦- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله[(٢)].

١١٢٧- حَدَّثني المُثَنَّى قال: حَدَّثَنا آدم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ أي: بطاعةِ اللهِ[(٣)].

١١٢٨- حَدَّثَنا أحمدُ بنُ حازم الغِفاريُّ، قال: أخبَرنا عُبيدُ اللَّهِ، عن أبي جعفرٍ، عن الربيع: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾. قال: بطاعةٍ[(٤)].

١١٢٩- حَدَّثَنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾. قال: القوَّة: الجِدّ، وإلاَّ قَذَفْته عليكُمْ. قال: فأقَرّوا بِذلك أنَّهم يَأخُذونَ ما أوتوا بِقوّةٍ[(٥)].

١١٣٠- حَدَّثني موسَى، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ يَعْني: بِجِدٍّ واجْتِهاد[(٦)].

١١٣١- حَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: وسَألته عن قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ قال: خُذوا الكِتاب الذي جاء به موسَى بصدقٍ وحقٍّ[(٧)].

١١٣٢- حَدَّثَنا القاسمُ، قال: حدَّثنا الحسينُ، قال: حدَّثني حجاجٌ، قال: قال ابنُ جريج: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾. قال: كتابُكم، لتأخُذُنَّه أو لَيَقَعَنَّ عليكمُ الطورُ!! قالوا: نأخذهُ. وأقروا ثم نَقَضوا الميثاقَ بعد ذلك[(٨)].

فتأويل الآية إذن: خُذوا ما افْتَرَضْنا عليكُم في كِتابنا من الفَرائِض فاقْبَلوه، واعْمَلوا باجْتِهادٍ منكُم في أدائِه من غَيْر تَقْصير ولا تَوانٍ. وذلك هو معنى أخْذهم إيَّاه بِقوّةٍ وبِجِدٍّ.

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:٦٣] أي بطاعة. اهـ

(٤) [حسن] من أجل أبي جعفر الرازي مولى بني تميم، وقد أخرجه ابن أبي حاتم فقال: حدثنا أبي، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:٦٣]، قال: بطاعة. اهـ.

(٥) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٦) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٧) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٨) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٦٣﴾

يَعْني تعالى ذكره: واذكُروا ما فيما آتَيْناكُم من كِتابنا من وعْد ووَعيد وتَرْغيب وتَرْهيب، فاتْلوه واعْتَبِروا به وتَدَبَّروه، كي إذا فَعَلْتُم ذلك تَتَّقوني وتَخافوا عِقابي بِإصْرارِكُم على ضَلالكُم فتُنيبُوا إلى طاعَتي، وتَنْزِعوا عَمَّا أنتم عليه من معصيَتي، كَما:

١١٣٣- **حدَّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن داود بن الحُصَيْن، عن عِكْرِمة عن ابن عَبَّاس: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. قال: تَنْزِعونَ عَمَّا أنتم عليهِ[(١)].

والذي آتاهم اللَّه تعالى ذكره هو التَّوْراة، كَما:

١١٣٤- **حدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حدَّثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ يقول: واذكُروا ما في التَّوْراة واعمَلوا به[(٢)].

١١٣٥- **حُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: حدَّثنا عبد اللَّه بن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع في قوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ يقول: اقراءوا ما في التَّوْراة[(٣)].

١١٣٦- **حَدَّثني** يونُس، قال أخبرَنا ابن وهْب، قال: سَألت ابن زَيْد عن قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ قال: اعْمَلوا بِما فيه بطاعة الله تعالى ذكره وصِدْق. قال: وقال اذْكُروا ما فيه ولا تَنْسَوْه ولا تُغْفِلوهُ[(٤)].

القول في تأويل قوله جلَّ وعزَّ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾

يَعْني تعالى ذكره بِقولِه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾: ثُمَّ أعْرَضْتُمْ.

وَإنّما هو (تفعلتم) من قولِهِمْ: ولأَني فُلان دُبُره. إذا استَدْبَرَ عنه وخَلَّفَه خَلْف ظَهْره، ثُمَّ يُسْتَعْمَل ذلك في كُلِّ تارِكٍ طاعةَ أمْرٍ وهاجِرِ خِلٍّ ومُعْرِض بِوَجْهِهِ، فيُقال: فُلانٌ قد تَوَلَّى عن طاعة فُلان، وتَوَلَّى عن مواصَلَته. ومنه قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٦]. يَعْني بِذلك: خالَفوا ما كانوا وعَدوا اللَّه من قولِهِمْ: ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥] ونَبَذوا ذلك وراء ظُهورهِمْ، ومن شَأن العرب استِعارةُ الكَلِمة ووَضْعُها مَكان نَظيرتها، كما قال أبو ذُؤَيْب الهُذَليّ:

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّار يا أُمّ مالِكٍ ... وَلَكِنْ أحاطَتْ بالرِّقابِ السَّلاسِلُ

---

(١) [ضعيف] داود بن الحصين القرشي الأموي أبو سليمان المدني مولى عمرو بن عثمان بن عفان، ثقة إلا فى عكرمة، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله: واذكروا ما فيه يقول: أقروا ما في التوراة، واعملوا به. اهـ

(٣) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٤) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

وَعادَ الفَتَى كالكَهْلِ لَيْسَ بِقائِلٍ سِوَى العَدلِ شَيْئًا واستَراحَ العَواذِلُ (١)

يَعْني بِقولِه: (أحاطَتْ بالرِّقابِ السَّلاسِل)؛ أنَّ الإسلام صارَ في مَنْعه إيَّانا ما كُنَّا نَأتيه في الجاهِليّة مِمَّا حَرَّمَه اللَّه علينا في الإسلام بِمَنْزِلةِ السَّلاسِل المُحيطة بِرِقابِنا التي تَحول بين مَنْ كانتْ في رَقَبَته مع الغُلّ الذي في يَده وبين ما حاوَلَ أنْ يَتناوَله.

وَنَظائِر ذلك في كَلام العرب أكْثَر من أنْ تُحْصَى، فَكَذلك قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يَعْني بِذلك أنّكم تَرَكْتُم العَمَل بِما أَخَذْنا ميثاقكُم وعُهودكُم على العَمَل به بِجِدٍّ واجْتِهاد بعد إعْطائِكُم رَبَّكُم المَواثيق على العَمَل به والقيام بِما أمَرَكُم به في كِتابكُم فَنَبَذْتُموه وراء ظُهوركُمْ.

وَكَنَّى بِقولِه: ﴿ذَٰلِكَ﴾ عن جَميع ما قَبْله في الآية المُتَقَدِّمة، أعْني قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ الآية.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: فلولا أنَّ اللَّه تَفَضَّلَ عليكم بالتَّوْبةِ بعد نَكْثِكُم الميثاقَ الذي واثَقْتُموهُ - إذْ رَفَعَ فَوْقكُم الطّور - بِأنّكُم تَجْتَهِدونَ في طاعَته، وأداء فَرائِضه، والقِيام بِما أمَرَكُم بِهِ، والانْتِهاء عَمَّا نَهاكُم عنه في الكِتاب الذي آتاكُمْ، فَأنْعَمَ عليكُم بالإسلام ورَحْمَتُه التي رَحِمَكُم بها، فتَجاوَزَ عنكُم خَطيئَتكُم التي رَكِبْتُموها بِمُراجَعَتِكُم طاعة رَبّكُمْ - لَكُنْتُم من الخاسِرينَ.

وَهذا وإنْ كان خِطابًا لِمَنْ كان بين ظَهْرانَيْ مُهاجِر رَسول اللَّه ﷺ من أهل الكِتاب أيّام رَسول اللَّه ﷺ، فإنّما هو خَبَر عن أسلافهمْ، فَأُخْرِجَ مُخْرَجَ الخَبَرِ عنهم، على نَحْو ما قد بَيَّنّا فيما مَضَى من أنَّ القَبيلة من العرب تُخاطِبُ القَبيلة عند الفَخار أو غَيْره بِما مَضَى من فِعْلِ أسلاف المُخاطِبِ بِأسلافِ المُخاطَب، فَتُضيفُ فِعْل أسلافِ المُخاطِب إلى أنْفُسِها، فَتَقول: فعَلْنا وفَعَلْنا. وما فُعِل بأسلافِ المخاطَبِ إلى المخاطِبِ لهم بقولهم: فَعَلْنا بِكُمْ، وفَعَلْنا بِكُمْ.

وَقد ذَكَرْنا بعض الشَّواهِد في ذلك من شِعْرهم فيما مَضَى.

وَقد زَعَمَ بعضهم أنَّ الخِطاب في هذه الآيات إنّما أُخْرِجَ بِإضافةِ الفِعْل إلى المُخاطَبينَ والفِعْل لِغَيْرِهم؛ لأنَّ المُخاطَبينَ بِذلك كانوا يَتَوَلَّوْنَ مَنْ كان فَعَلَ ذلك مِن أوائِل بَني إسرائيل، فَصَيَّرَهم اللَّه منهم من أجْل وِلايَتِهم لهم.

---

(١) [الطويل] القائل: أبو خراش الهذلي. روي: (سوى العدل شيئا....). المعنى: أخذ أصحاب رسول الله ﷺ في يوم حنين أسارى، وكان فيهم زهير بن العجوة أخو بني عمرو بن الحارث، فمر به جميل بن معمر، وهو مربوط في الأسرى، وكانت بينهما إحنة في الجاهلية، فضرب عنقه، فقال أبو خراش هذه الأبيات يرثيه فيها. يقول: نحن من عهد الإسلام في مثل السلاسل، وإلا فكنا نقتل قاتله، فكَنّى عن الإسلام في منعه عن القبائح وأنواع الفحش والظلم بالسلاسل في الأغلال المحيطة بالأيدي والأعناق. فقد فارق الفتى أخلاق فتوته، وصار كالكهل في أناته وتثبته، فإن الدين قد وقذ الفتيان ذوى البأس، وسكنهم من مخافة عقاب ربهم في القتل من غير قتال ومعركة، فاستراحت العواذل؛ لأنهن أصبحن لا يجدن ما يعذلن فيه أزواجهن من التعرض للهلاك.

وَقال بعضهم: إنَّما قِيلَ ذلك كذلك؛ لأنَّ سامِعيه كانوا عالِمينَ - وإنْ كان الخِطابُ خَرَجَ خِطابًا لِلأحياءِ من بَني إسرائيل وأهل الكِتاب - أنَّ المعنى في ذلك إنَّما هو خَبَرٌ عَمَّا قد مضى من أنباءِ أسلافِهِمْ، فاستُغْنِي بِعِلْمِ السَّامِعِينَ بِذلك عن ذِكْر أسلافهم بِأعْيانِهم.

وَمثَّل ذلك بِقولِ الشَّاعِر:

إذا ما انتَسَبنا لم تَلِدني لَئيمةٌ وَلم تَجِدِي من أنْ تُقِرِّي به بُدًّا[١].

فَقال: (إذا انتَسَبنا). و(إذا) تَقْتَضي من الفعل مُسْتَقْبَلًا. ثُمّ قال: (لم تَلِدني لَئيمة)، فَأخْبَرَ عن ماضٍ من الفِعْل. وَذلك أنَّ الوِلادة قد مَضَتْ وتَقَدَّمَتْ. وَإنَّما فَعَل ذلك عند المُحْتَجِّ به؛ لأنَّ السَّامِع قد فَهِمَ معناهُ.

فَجَعَلَ ما ذَكَرْنا من خِطاب اللَّه أهل الكِتاب الذينَ كانوا بين ظَهْرانَيْ مُهاجَرِ رَسول اللَّه ﷺ أيَّام رَسول اللَّه ﷺ، بِإضافةِ أفعال أسلافهم إليهم - نَظير ذلك.

والأوَّل الذي قُلْنا هو المُسْتَفيض في كَلام العرب وخِطابها.

وَكان أبو العالية يقول في قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ - فيما ذُكِرَ لنا - نَحْو القول الذي قُلْناه.

١١٣٧- **حَدَّثني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: حدَّثنا آدَم، قال ثنا أبو جعفرٍ، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ قال: فَضْل اللَّه: الإسلام، ورَحْمَته: القُرْآن[٢].

١١٣٨- **وَحُدِّثت** عن عمار، قال: حدَّثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع بِمِثْلِهِ[٣].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ إيَّاكُم بِإنقاذِهِ إيَّاكُم بالتَّوْبةِ عليكُم من خَطيئَتِكُم وجُرْمِكُمْ، لَكُنْتُم الباخِسينَ أنْفُسكُم حُظوظها دائِمًا، الهالِكينَ بِما اجْتَرَمْتُم من نَقْضِ ميثاقكُم وخِلافكُم أمْرَه وطاعَته.

وَقد تَقَدَّمَ بَيانُنا قَبْل بالشَّواهِدِ عن معنى الخَسار بِما أغْنَى عن إعادَته في هذا الموضِع.

القول في تأويل قوله تعالى:
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾

يَعْني بِقولِه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾: ولَقد عَرَفْتُمْ، كَقولِك: قد عَلِمْتُ أخاك ولم أكُنْ أعْلَمهُ. يَعْني

---

(١) [الطويل] القائل: زائدة بن صعصعة الفقعسي. اللغة: تُقِرِّي: تذعني، وتعلني. بُدًّا: مفرًا. المعنى: يعرض الشاعر بزوجته ويطعن في نسبها؛ فقد كانت أمها سرية، في حين أنه شريف النسب وأمه من الحرائر، وقد صرح بتلك العداوة لزوجته فقال في البيت السابق:

(رمتنى عن قوس العدو وباعدت عبيدة، زاد الله ما بيننا بعدا)

فيقول لها لو انتسبت لأهلي فستجدي أن أمي شريفة كريمة من أصل كريم، ولم تجدي مفرا من أن تعلني تلك الحقيقة.

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال. (٣) [ضعيف] من معلقات المصنف.

عَرَفْته ولم أكُنْ أعرِفهُ. كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] يَعْني: لا تَعْرِفونَهم، اللَّه يَعْرِفهم.

وَقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ أيْ: الذينَ تَجاوَزوا حَدّي ورَكِبوا ما نَهَيْتهم عنه في يوم السَّبْت وعَصَوْا أمْري.

وَقد دَلَّلْت فيما مَضى على أنَّ الاعْتِداء أصْله تَجاوُز الحَدّ في كُلّ شَيْء بِما أغْنَى عن إعادَته في هذا الموضِع.

قال: وهذه الآية وآيات بعدها تَتْلوها، مِمَّا عدَّدَ جَلَّ ثَناؤه فيها على بَني إسرائيل - الذينَ كانوا بين خِلال دور الأنْصار زَمان النَّبيّ ﷺ الذينَ ابْتَدَأ بِذِكْرِهم في أوَّل هذه السّورة مِن نَكْث أسلافهم عَهْد اللَّه وميثاقه - ما كانوا يُبْرِمونَ من العُقود، وحَذَّرَ المُخاطَبينَ بها أنْ يَحِلّ بهم - بِإصْرارِهم على كُفْرهم ومُقامِهم على جُحود نُبوّة مُحَمَّد ﷺ وتَرْكهم اتِّباعه والتَّصْديق بِما جاءهم به من عند رَبّه - مِثْلُ الذي حَلَّ بِأوائِلِهم من المسخ والرَّجْف والصَّعْق، وما لا قِبَل لهم به من غَضَب اللَّه وسَخَطه. كالذي:

١١٣٩- **حَدَّثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ يقول: ولَقد عَرَفْتُم. وهذا تَحْذيرٌ لهم من المعصية، يقول: احْذَروا أنْ يُصيبكُم ما أصابَ أصْحاب السَّبْت إذْ عَصَوْني، ﴿ٱعْتَدَوْاْ﴾ يقول: اجْتَرَءوا في ﴿ٱلسَّبْتِ﴾.

قال: لم يَبْعَث اللَّه نَبيًا إلاَّ أمَرَه بالجُمُعةِ وأخْبَرَه بِفَضْلِها وعِظَمها في السَّمَوات وعند المَلائِكة، وأنّ السَّاعة تَقوم فيها، فَمَنْ اتَّبَعَ الأنْبياء فيما مَضى كما اتَّبَعَتْ أمّة مُحَمَّد ﷺ مُحَمَّدًا قَبِل الجُمُعة وسَمِعَ وأطاعَ وعَرَفَ فَضْلها وثَبَتَ عليها بِما أمَرَه اللَّه تعالى به ونَبيُّه ﷺ، ومَنْ لم يَفْعَل ذلك كان بِمَنْزِلةِ الذينَ ذَكَرَ اللَّه في كِتابه، فَقال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾.

وَذلك أنَّ اليَهود قالتْ لِموسَى حين أمَرَهم بالجُمُعةِ وأخْبَرَهم بِفَضْلِها: يا موسَى كيفَ تأمُرنا بالجُمُعةِ وتُفَضّلها على الأيَّام كُلّها، والسَّبْت أفْضَل الأيَّام كُلّها؛ لأنّ اللَّه خَلَقَ السَّموات والأرْض والأقْوات في سِتّة أيَّام وسَبَتْ له كُلّ شَيْء مُطيعًا يوم السَّبْت، وكان آخِر السّتّة؟ قال: وكذلك قالتِ النَّصارَى لِعيسَى ابن مَرْيَم حين أمَرَهم بالجُمُعةِ، قالوا له: كيفَ تأمُرنا بالجُمُعةِ، وأول الأيَّام أفْضَلها وسَيِّدها، والأوَّل أفْضَل، واللَّه واحِد، والواحِد الأوَّل أفْضَل؟!

فَأوحَى اللَّه إلى عيسَى أنْ دَعْهم والأحَد، ولَكِنْ لِيَفْعَلوا فيه كذا وكذا مِمَّا أمَرَهم به فَلم يَفْعَلوا، فَقَصَّ اللَّه تعالى قَصَصهم في الكِتاب بِمعصيَتِهم.

قال: وكذلك قال اللَّه لِموسَى حين قالتْ له اليَهود ما قالوا في أمْر السَّبْت: أنْ دَعْهم والسَّبْتَ فلا يَصيدوا فيه سَمَكًا ولا غَيْره، ولا يَعْمَلوا شَيْئًا كما قالوا.

قال: فَكان إذا كان السَّبْت ظَهَرَتِ الحيتان على الماء فهو قوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ [الأعراف: ١٦٣] يقول: ظاهِرة على الماء - ذلك لِمعصيَتِهم موسَى - وَإذا كان غَيْر يوم السَّبْت صارَتْ صَيْدًا كَسائِرِ الأيَّام، فهو قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ففعَلَتِ الحيتان ذلك ما شاءَ اللّه؛ فَلَمَّا رَأوها كذلك طَمِعوا في أَخْذها وخافوا العُقوبة، فَتَناوَلَ بعضهم منها فَلم تَمْتَنِع عليهِ، وحَذِرَ العُقوبة التي حَذَّرَهم موسَى من اللّه تعالى.

فَلَمَّا رَأوا أنَّ العُقوبة لا تَحِلّ بهم عادوا وأَخْبَرَ بعضهم بعضًا بِأنَّهم قد أَخَذوا السَّمَك ولم يُصِبْهم شَيْء، فَكَثَّروا في ذلك وظَنّوا أنَّ ما قال لهم موسَى كان باطِلًا، وهو قول اللّه جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يقول لِهؤلاء الذينَ صادوا السَّمَك: فَمَسَخهم اللّه قِرَدة بِمعصيَتِهم. يقول: إذن لم يَحْيوا في الأرْض إلاَّ ثَلاثة أيَّام، ولم تأكُل، ولم تَشْرَب، ولم تَنْسُلْ، وقد خَلَقَ اللّه القِرَدة والخَنازير وسائِر الخَلْق في السِّتَّة الأيَّام التي ذَكَرَ اللّه في كِتابه، فَمَسَخَ هؤلاء القَوْم في صورة القِرَدة، وكذلك يَفْعَل بِمَنْ شاءَ كما يَشاء، ويُحَوِّله كما يَشاء(١).

١١٤٠ - **حدثنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة بن الفَضْل، قال: ثنا مُحَمَّد بن إسحاق، عن داود بن الحُصَيْن، عن عِكْرِمة مولَى ابن عَبَّاس، قال: قال ابن عَبَّاس: إنَّ اللّه إنَّما افتَرَضَ على بَني إسرائيل اليوم الذي افتَرَضَ عليكُم في عيدكُم، يوم الجُمُعة، فَخالَفوا إلى السَّبْت فَعَظَّموه وتَرَكوا ما أُمِروا بهِ، فَلَمَّا أبَوْا إلاَّ لُزوم السَّبْت ابْتَلاهم اللّه فيهِ، فَحَرَّمَ عليهم ما أَحَلَّ لهم في غَيْره.

وَكانوا في قَرْية بين أيْلةَ والطّور يُقال لها (مَدْيَن)، فَحَرَّمَ اللّه عليهم في السَّبْت الحيتان؛ صَيْدَها وأكْلَها، وكانوا إذا كان يوم السَّبْت أَقْبَلَتْ إليهم شُرَّعًا إلى ساحِل بَحْرهِمْ، حتَّى إذا ذَهَبَ السَّبْت ذَهَبنَ، فَلم يَرَوْا حوتًا صَغيرًا ولا كَبيرًا حتَّى إذا كان يوم السَّبْت أَتَيْنَ إليهم شُرَّعًا، حتَّى إذا ذَهَبَ السَّبْت ذَهَبنَ فَكانوا كذلك، حتَّى إذا طالَ عليهم الأمَد وقَرِموا إلى الحيتان، عَمَدَ رَجُل منهم فَأَخَذَ حوتًا سِرًّا يوم السَّبْت فَخَزَمَه بِخَيْطٍ، ثُمَّ أرْسَلَه في الماء، وأوتَدَ له وتِدًا في السَّاحِل، فَأوثَقه ثُمَّ تَرَكَه حتَّى إذا كان الغَد جاء فَأَخَذَهُ - أيْ: إنِّي لم آخُذه في يوم السَّبْت - ثُمَّ انطَلَقَ به فَأكلَه حتَّى إذا كان يوم السَّبْت الآخَر عادَ لِمِثْلِ ذلك وَوَجَدَ النَّاسُ ريح الحيتان فَقال أهل القَرْية: واللّه لَقد وجَدْنا ريح الحيتان!! ثُمَّ عَثَروا على ما صَنَعَ ذلك الرَّجُلُ.

قال: فَفَعَلوا كما فَعَلَ، وأكَلوا سِرًّا زَمانًا طَويلًا، لم يَعْجَل اللّه عليهم بِعُقوبةٍ حتَّى صادوها عَلانية وباعوها بالأسواقِ، وقالتْ طائِفة منهم من أهل البقيّة: ويْحكُم! اتَّقوا اللّه. ونَهَوْهم عَمَّا كانوا يَصْنَعونَ.

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

وَقالتْ طائِفة أُخْرَى لَم تأكُل الحيتان ولم تَنْهَ القَوْم عَمَّا صَنَعوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لِسَخَطِنا أعْمالهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قال ابن عَبَّاس: فَبينَما هم على ذلك أَصْبَحَتْ تلك البقيّة في أَنْدِيَتهم ومَساجِدهِمْ، وفَقَدوا النَّاس فلا يَرَوْنَهم، فَقال بعضهم لِبعضٍ: إنَّ لِلنَّاسِ لَشَأنًا فانظُروا ما هو. فَذَهَبوا يَنْظُرونَ في دورهِمْ، فَوَجَدوها مُغَلَّقة عليهم، قد دَخَلوا لَيْلاً فَغَلَّقوها على أنفُسهم كما يُغَلِقُ النَّاسُ على أنفُسهِمْ، فَأصْبَحوا فيها قِرَدة؛ إنَّهم لَيَعْرِفونَ الرَّجُل بِعَيْنِه وإنّه لَقِرْد، والمَرْأة بِعَيْنِها وإنّها لَقِرْدة، والصَّبيّ بِعَيْنِه وإنّه لَقِرْد.

قال: يقول ابن عَبَّاس: فَلولا ما ذَكَرَ اللَّه أنَّه أنْجَى الذينَ نَهَوْا عن السُّوء لَقُلْنا: أَهَلَكَ الجَميع منهم.

قالوا: وهيَ القَرْية التي قال اللَّه لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ الآية[(١)].

١١٤١- **حَدَّثَنا** بِشر، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾: أُحِلَّتْ لهم الحِيتَان وحُرِّمَتْ عليهم يوم السَّبْت بَلاءً من اللَّه لِيَعْلَم مَنْ يُطيعه مِمَّنْ يَعْصيه.

فَصارَ القَوْم ثَلاثة أصْناف؛ فَأمَّا صِنْف فَأمْسَكَ ونَهَى عن المعصية، وأمَّا صِنْف فَأمْسَكَ عن حُرْمة اللَّه، وَأمَّا صِنْف فانتَهَكَ حُرْمة اللَّه ومَرَد على المعصية، فَلَمَّا أبَوْا إلاَّ الاعْتِداءَ إلى ما نُهوا عنهُ، قال اللَّه لهم: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ فَصاروا قِرَدة لها أذْناب، تَعاوَى بعد ما كانوا رِجالاً ونِساء[(٢)].

١١٤٢- **حَدَّثَنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ قال: نُهوا عن صَيْد الحيتان يوم السَّبْت، فَكانتْ تَشْرَع إليهم يوم السَّبْت، وبُلوا بِذلك فاعْتَدَوْا فاصْطادوها، فَجَعَلَهم اللَّه قِرَدة خاسِئينَ[(٣)].

١١٤٣- **حَدَّثَني** موسَى قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ قال: فَهم أهل أيْلَةَ، وهيَ القَرْيةُ التي كانتْ حاضِرة البحْر.

فَكانتِ الحيتان إذا كان يوم السَّبْت - وقد حَرَّمَ اللَّه على اليَهود أنْ يَعْمَلوا في السَّبْت شَيْئًا -

---

(١) [ضعيف] داود بن الحصين القرشي الأموي أبو سليمان المدني مولى عمرو بن عثمان بن عفان، ثقة إلا في عكرمة، ومحمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

لم يَبْقَ في البحْر حوت إلاَّ خَرَجَ حتَّى يُخْرِجْنَ خَراطيمهنَّ من الماء، فَإذا كان يوم الأحَد لَزِمْنَ سُفْلَ البحْر فَلم يُرَ منهُنَّ شَيْء حتَّى يكون يوم السَّبْت.

فذلك قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ فاشْتَهَى بعضهم السَّمَك، فَجعَلَ الرَّجُلُ يَحْفِر الحَفيرة ويجْعَل لها نَهَرًا إلى البحْر، فَإذا كان يوم السَّبْت فَتح النَّهر، فأقْبَلَ الموج بالحيتانِ يَضْرِبها حتَّى يُلْقيها في الحَفيرة، ويُريد الحوت أنْ يَخْرُج فلا يُطيق من أجل قِلَّة ماء النَّهر، فَيَمْكُث، فَإذا كان يوم الأحَد جاء فَأخَذَه فَجعَلَ الرَّجُلُ يَشْوي السَّمَك، فَيجِد جارهُ ريحه، فَيَسْأله فَيُخْبِره فَيَصْنَع مِثْل ما صَنَعَ جارهُ حتَّى إذا فَشا فيهم أكْل السَّمَك قال لهم عُلَماؤُهم: ويْحكُم إنَّما تَصْطادونَ السَّمَك يوم السَّبْت، وهو لا يَحِلّ لكم!! فقالوا: إنَّما صِدْناه يوم الأحَد حين أخَذْناهُ. فقال الفُقَهاء: لا، ولَكِنَّكُم صِدْتُموه يوم فَتَحْتُم له الماء فَدَخَلَ. فَقالوا: لا. وعَتَوْا أنْ يَنْتَهوا، فَقال بعض الذينَ نَهَوْهم لِبعضٍ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يقول: لِمَ تَعِظونَهم وقد وعَظْتُموهم فَلم يُطيعوكُم؟! فَقال بعضهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

فَلَمَّا أبَوْا قال المُسْلِمونَ: واللَّه لا نُساكِنُكُم في قَرْية واحِدة!! فَقَسَموا القَرْية بِجِدارٍ، فَفَتَحَ المُسْلِمونَ بابًا والمُعْتَدونَ في السَّبْت بابًا، ولَعَنَهم داود، فجعل المُسْلِمونَ يَخْرُجونَ من بابهم والكُفَّار من بابهِمْ؛ فَخَرَجَ المُسْلِمونَ ذات يوم ولم يَفْتَح الكُفَّار بابهِمْ، فَلَمَّا أبْطَئوا عليهم تَسَوَّرَ المُسْلِمونَ عليهم الحائط، فَإذا هم قِرَدة يَثِب بعضهم على بعض، فَفَتَحوا عنهم فَذَهَبوا في الأرْض. فَذلك قول اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦] فَذلك حين يقول: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨] فَهم القِرَدة(١).

١١٤٤- حدَّثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ قال: لم يُمْسَخوا إنَّما هو مَثَل ضَرَبَه اللَّه لهم مِثْل ما ضَرَبَ مَثَلَ الحِمار يَحْمِل أسفارًا(٢).

١١٤٥- حدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ قال: مُسِخَتْ قُلوبهمْ، ولم يُمْسَخوا قِرَدة، وإنَّما هو مَثَلٌ ضَرَبَه اللَّه لهم كَمَثَلِ الحِمار يَحْمِل أسفارًا(٣).

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

وَهذا القول الذي قاله مُجاهِد قول لِظاهِرِ ما دَلَّ عليه كِتاب اللَّه مُخالِف، وذلك أنَّ اللَّه أَخْبَرَ في كِتابه أنَّه جَعَلَ منهم القِرَدة والخَنازير وعبد الطَّاغوت، كما أَخْبَرَ عنهم أنَّهم قالوا لِنَبيِّهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] وأنَّ اللَّه تعالى ذِكْره أصْعَقهم عند مسألَتهم ذلك رَبَّهم وأنَّهم عَبَدوا العِجْل، فَجَعَلَ تَوْبَتهم قَتْل أنفسهِمْ، وأنَّهم أُمِروا بِدُخولِ الأرْض المُقَدَّسة، فَقالوا لِنَبيِّهم: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] فابْتَلاهم بالتّيه.

فَسواءٌ قال قائِل: هم لم يَمْسَخْهم قِرَدة. وقد أَخْبَرَ جَلَّ ذِكْره أنَّه جَعَلَ منهم قِرَدة وخَنازير - وآخَرُ قال: لم يكُنْ شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرَ اللَّه عن بَني إسرائيل أنَّه كان منهم؛ من الخِلاف على أنبيائِهم والعُقوبات والأنْكال التي أحَلَّها اللَّه بهم.

وَمَنْ أنْكَرَ شَيْئًا من ذلك وأقَرَّ بِآخَر منهُ، سُئِلَ البُرْهان على قوله وعورِضَ - فيما أنْكَرَ من ذلك - بِما أقَرَّ بهِ، ثُمَّ يُسْأل الفَرْق من خَبَر مُسْتَفيض أو أثَر صَحيح، هذا مع خِلاف قول مُجاهِد قول جَميع الحُجّة التي لا يجوز عليها الخَطأ والكَذِبُ فيما نَقَلْته مُجمعةً عليهِ، وكَفَى دَليلاً على فَساد قول إجماعها على تَخْطِئَته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ۝٦٥﴾

يَعْني بِقولِه: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾ أيْ: فَقُلْنا لِلَّذينَ اعْتَدَوْا في السَّبْت - يَعْني في يوم السَّبْت - وَأَصْل السَّبْت الهُدوُّ والسُّكون في راحة ودَعة، ولِذلك قِيلَ لِلنَّائِم مسبوت لِهُدوِّه وسُكون جَسَده واستِراحَته، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩] أيْ: راحة لأجْسادِكُمْ.

وَهوَ مَصْدَر من قول القائِل: سَبَتَ فُلان يَسْبُت سَبْتًا.

وَقد قِيلَ: أنَّه سُمّيَ سَبْتًا لأنَّ اللَّه جَلَّ ثَناؤه فَرَغَ يوم الجُمُعة - وهو اليوم الذي قَبْله - من خَلْق جَميع خَلْقه.

وَقوله: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ أيْ: صيروا كذلك.

والخاسِئ: المُبْعَدُ المَطْرود كما يَخْسَأُ الكَلْب، يُقال منه: خَسَأْتُه أخْسَؤُه خَسْئًا وخُسوءًا، وهو يَخْسَأُ خُسوءًا. قال: ويُقال: خَسَأْتُه فَخَسَأَ وانخَسَأَ، ومنه قول الرَّاجِز:

كالكَلْبِ إنْ قُلْت له اخسَأْ انخَسَأ[1]

يَعْني: إنْ طَرَدْته انطَرَدَ ذَليلاً صاغِرًا.

فَكَذلك معنى قوله: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ أيْ: مُبْعَدينَ من الخَيْر أذِلَّاءَ صُغَراء. كَما:

١١٤٦ - حَدَّثَنا ابن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْري، قال، حَدَّثَنا سُفيان، عن ابن أبي

---

(١) [الرجز] القائل: غير معروف. اللغة: خَسَأْتُ الكلب خَسْئًا: طَرَدْته، وخَسَأَ الكلب نفسه، يتعدى ولا يتعدى، وخَسِئَ وانْخَسَأَ أيضًا. الخاسِئ من الكِلاب والخَنازِير والشياطين: البعِيدُ الذي لا يُتْرَكُ أن يَدْنُوَ من الإِنسانِ. والخاسِئ: المَطْرُود. المعنى: يهجو الشاعر شخصا فشبهه بالكلب؛ إن أنت أبعدته وطردته انطرد.

نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. قال: صاغِرينَ [١].

١١٤٧- **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا أبو أحمَد، قال: حَدَّثَنا سُفيان، عن رَجُل، عن مُجاهِد، مِثْله [٢].

١١٤٨- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله [٣].

١١٤٩- **حَدَّثَني** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ: ﴿خَاسِئِينَ﴾ قال: صاغِرينَ [٤].

١١٥٠- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع في قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ أيْ: أذِلَّة صاغِرينَ [٥].

١١٥١- **وَحُدِّثت** عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: خاسِئًا: يَعْني: ذَليلاً [٦].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾

اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل الهاء والألِف في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ وعلام هي عائِدةٌ؟ فَرويَ عن ابن عَبَّاس فيها قولانِ:

أحدهما ما:

١١٥٢- **حَدَّثَنا** به أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: فَجَعَلْنا تِلْكَ العُقوبةَ وهيَ المَسْخةَ نَكالاً [٧].

فالهاء والألِفُ من قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ على قول ابن عَبَّاس هذا كِنايةٌ عن المَسْخةِ، وهيَ (فَعْلَةٌ) من: مَسَخَهم اللَّه مَسْخة.

فَمعنى الكَلام على هذا التَّأويل: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: فَصاروا قِرَدة مَمْسوخينَ ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: فَجَعَلْنا عُقوبَتنا ومسخنا إيَّاهم ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

---

(١) [حسن] من أجل الأهوزي، وبقية رجاله ثقات.

(٢) [حسن] تقدم قبله. وهذا سند ضعيف.

(٣) [حسن] وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٦) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث، ثم هو من معلقات المصنف.

(٧) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

والقول الآخَرُ من قولي ابن عَبَّاسٍ ما:

١١٥٣- **حَدَّثني** به مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثني أبي قال: حَدَّثني عَمّي، قال: حَدَّثني أبي، عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: يَعْني: الحيتان[١].

والهاءُ والألِفُ على هذا القول من ذِكْر الحيتان، ولم يجْرِ لها ذِكْر.

وَلَكِنْ لَمَّا كان في الخَبَر دَلالةٌ كَنَى عن ذِكْرها، والدَّلالةُ على ذلك قولُه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾.

وَقال آخرونَ: فَجَعَلْنا القَرْيَةَ التي اعْتَدَى أهلها في السَّبْت.

فالهاء والألِف في قول هؤلاء كِنايةٌ عن قَرْية القَوْم الذينَ مُسِخوا.

وَقال آخَرونَ: معنى ذلك: فَجَعَلْنا القِرَدة الذينَ مُسِخوا نَكالاً لِما بين يَدَيْها وما خَلْفها. فَجَعَلوا الهاء والألِف كِناية عن القِرَدة.

وَقال آخَرونَ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ يَعْني به: فَجَعَلْنا الأُمَّة التي اعْتَدَتْ في السَّبْت نَكالاً.

القول في تأويل قوله: ﴿نَكَالًا﴾

والنَّكال مَصْدَر من قول القائِل: نَكَلَ فُلان بِفُلانٍ تَنْكيلاً ونَكالاً، وأصْل النَّكال: العُقوبة، كما قال عَديّ بن زَيْد العباديّ:

لا يُسْخِطُ المَلِيكَ ما يَسَعُ الـ عبدَ ولا في نَكاله تَنْكيرُ[٢]

وَبِمِثْلِ الذي قُلْنا في ذلك رُوِيَ الخَبَر عن ابن عَبَّاس:

١١٥٤- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، قال: حَدَّثَنا أبو رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿نَكَالًا﴾ يقول: عُقوبة[٣].

---

(١) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٢) [لم اهتد للبحر] روي: (لا يسخط المليك ما يسع العبد ولا في نكاله تنكير). القائل: عدي بن زيد. اللغة: يسخط: السُخْط والسَخَط: خلاف الرضا. وقد سَخِطَ، أي: غضب، فهو ساخِطٌ. وأَسْخَطَهُ، أي: أغضبه. ويقال: تَسَخَّطَ عطاءه؛ أي: استقلّه ولم يقع منه مَوقِعًا. المعنى: هذا البيت من قصيدة قالها عدي للنعمان حين حبسه، وقد قال قبله:

(وتمهلت قوزةً أحرزت عر ضي من الذم والشهود كثير)

أي تقدمت في نعمة عندك، أحرزت عرضي من أن أذم وأنسب إلى تقصير، والتمهل: السبق، والشهود على ما قلت كثير؛ وذلك أنه كان عمل للنعمان عند كسرى دون إخوته حتى جعل إليه أمر العرب.

(لا بسخط المليك ما يسع العبـ د ولا في نكاله تنكير)

يقول: لا يستطيع العبد أن يحمل سخط مليكه لشدة ذلك عليه، وأنت مليك قادر، فلا يبهظك ما يسع عبيدك من العفو عمن أساء واجترم، فإن عاقبت، فما في عقابك ما يستنكر، فأنت السيد المطاع النافذ أمرك في رعيتك صغيرهم وكبيرهم.

(٣) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

١١٥٥- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَني إسحاق، قال: حَدَّثَني ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ أيْ: عُقوبة(١).

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾

اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل ذلك، فَقال بعضهم بِما:

١١٥٦- حَدَّثَنا به أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ يقول: ليَحْذَر مَن بعدَهم عُقوبَتي، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ يقول: الذينَ كانوا بَقوا معهم(٢).

١١٥٧- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾: لِما خَلا لهم من الذُّنوب، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ أيْ: عِبْرة لِمَنْ بَقيَ من النَّاس(٣).

وَقال آخَرونَ بِما:

١١٥٨- حَدَّثَني ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، عن داود بن الحُصَيْن، عن عِكْرِمة مولَى ابن عَبَّاس، قال: قال ابن عَبَّاس: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أيْ: من القُرَى(٤).

وَقال آخَرونَ بِما:

١١٥٩- حَدَّثَنا به بِشْر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ، قال اللَّه ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: من ذُنوب القَوْم، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ أيْ: لِلْحيتانِ التي أصابوا(٥).

١١٦٠- حَدَّثَنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: من ذُنوبها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: مِن الحِيتان(٦).

١١٦١- حَدَّثَني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَني عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه تعالى: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: ما مَضَى من خَطاياهم إلى أنْ هَلَكوا بهِ(٧).

---

(١) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٤) [ضعيف] داود بن الحصين القرشي الأموي أبو سليمان المدني مولى عمرو بن عثمان بن عفان، ثقة إلا في عكرمة، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٥) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٦) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٧) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

١١٦٢- حدَّثني المُثَنَّى. قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿نَكَٰلًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا﴾ يقول: بين يَدَيْها: ما مَضَى من خَطاياهم، ﴿وَمَا خَلۡفَهَا﴾: خَطاياهم التي هَلَكوا بها [(١)].

١١٦٣- حدَّثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد، مِثْله؛ إلاَّ أنَّه قال: ﴿وَمَا خَلۡفَهَا﴾: خَطيئَتهم التي هَلَكوا بها [(٢)].

وَقال آخَرونَ بِما:

١١٦٤- حدَّثني به موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا﴾ قال: أمَّا ما بين يَدَيْها: فما سَلَفَ من عَمَلِهِمْ، ﴿وَمَا خَلۡفَهَا﴾: فَمَنْ كان بعدهم من الأُمَم أنْ يَعْصوا فَيَصْنَع اللّه بهم مِثْل ذلك [(٣)].

وَقال آخَرونَ بِما:

١١٦٥- حدَّثني به ابن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثَني أبي، عن أبيه عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا﴾: يَعْني: الحيتان جَعَلَها نَكالاً لِما بين يَدَيْها ﴿وَمَا خَلۡفَهَا﴾ من الذُّنوب التي عَمِلوا قَبْل الحيتان، وما عَمِلوا بعد الحيتان، فَذلك قوله: ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا﴾ [(٤)].

وَأولَى هذه التَّأويلات بِتأويلِ الآية ما رَواه الضَّحَّاكُ عن ابن عَبَّاس؛ وذلك لِمَا وصَفْنا من أنَّ الهاء والألِف في قوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلًا﴾ بِأنْ تَكون من ذِكْر العُقوبة والمَسْخة التي مُسِخَها القَوْم أولَى منها بِأنْ تَكون من ذِكْر غَيْرها؛ من أجل أنَّ اللّه جَلَّ ثَناؤه إنَّما يُحَذِّر خَلْقه بَأسه وسَطْوَتَهُ وَبذلك يُخَوِّفهم.

وَفي إبانَته عَزَّ ذِكْره بِقوله: ﴿نَكَٰلًا﴾ أنَّه عَنَى به العُقوبة التي أحَلَّها بالقَوْمِ - ما يُعْلِمُ أنَّه عَنَى بِقولِه: ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا﴾ فَجَعَلْنا عُقوبَتنا التي أحَلَلْناها بهم عُقوبة لِما بين يَدَيْها وما خَلْفها، دون غَيْره من المَعاني.

وَإذا كانتِ الهاء والألِف بِأنْ تَكون من ذِكْر المَسْخة والعُقوبة أولَى منها بِأنْ تَكون من ذِكْر غَيْرها، فَكَذلك العائِد في قوله: ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا﴾ من الهاء والألِف، أنْ يكون من ذِكْر الهاء والألِف اللَّتَيْنِ في قوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا﴾ أولَى من أنْ يكون من غَيْره.

فَتأويل الكَلام - إذا كان الأمر على ما وصَفْنا -: فَقُلْنا لهم كونوا قِرَدة خاسِئينَ. فَجَعَلْنا

---

(١) [حسن] تقدم قبله. وهذا سند ضعيف، المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

عُقوبَتنا لهم عُقوبة لِما بين يَدَيْها من ذُنوبهم السَّالِفة منهم مسْخَنا إيَّاهم وعُقوبَتنا لهم، ولِما خَلْف عُقوبَتنا لهم من أمْثال ذُنوبهم، أنْ يَعْمَل بها عامِل، فَيُمْسَخوا مِثْل ما مُسِخوا، وأنْ يَحِلّ بهم مِثْل الذي حَلَّ بهم. تَحْذيرًا من اللّه تعالى ذِكْره عِباده أنْ يَأتوا من مَعاصيه مِثْل الذي أتَى المَمْسوخونَ فَيُعاقَبوا عُقوبَتهم.

وَأمَّا الذي قال في تأويل ذلك: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: يَعْني: الحيتان عُقوبة لِما بين يَدَيْ الحيتان من ذُنوب القَوْم وما بعدها من ذُنوبهمْ. فَإنّه أبْعَد في الانتِزاع؛ وذلك أنَّ الحيتانَ لم يجْرِ لها ذِكْر فَيُقال: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ فَإنْ ظَنَّ ظانٌّ أنَّ ذلك جائِز وإنْ لم يكُنْ جَرَى لِلْحيتانِ ذِكْر؛ لأنَّ العرب قد تَكْنِي عن الاسم ولم يجْرِ له ذِكْر، فَإنَّ ذلك وإنْ كان كذلك، فَغَيْر جائِز أنْ يُتْرَك المَفْهوم من ظاهِر الكِتاب - والمعقولُ به ظاهِرٌ في الخِطاب والتَّنْزيل - إلى باطِن لا دَلالة عليه من ظاهِر التَّنْزيل ولا خَبَر عن الرَّسول ﷺ مَنْقول ولا فيه من الحُجّة إجماع مُسْتَفيض.

وَأمَّا تأويل مَنْ تأوَّلَ ذلك: لِما بين يَدَيْها من القُرَى وما خَلْفها. فَيُنْظَر إلى تأويل مَنْ تأوَّلَ ذلك: بِما بين يَدَيْ الحيتان وما خَلْفها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً﴾

والموعِظة مَصْدَر من قول القائِل: وعَظْت الرَّجُل أعِظه وعْظًا وموعِظة، إذا ذَكَّرْته.

فَتأويل الآية: فَجَعَلْناها نَكالاً لِما بين يَدَيْها وما خَلْفها، وتَذْكِرة لِلْمُتَّقينَ، لِيَتَّعِظوا بها، ويَعْتَبِروا، ويَتَذَكَّروا بها، **كما:**

١١٦٦ - **حدَّثَنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ يقول: وتَذْكِرة وعِبْرة لِلْمُتَّقينَ (١).

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٦٦﴾

وَأمَّا المُتَّقونَ فَهم الذينَ اتَّقَوْا بِأداءِ فَرائِضه واجْتِناب مَعاصيه **كما:**

١١٦٧ - **حدَّثَنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشْر بن عُمارة، قال: ثنا أبو رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يقول: لِلْمُؤْمِنينَ الذينَ يَتَّقونَ الشِّرْك. ويَعْمَلونَ بِطاعَتي (٢).

فَجَعَلَ تعالى ذِكْره ما أحَلَّ بالذينَ اعْتَدَوْا في السَّبْت من عُقوبَته موعِظة لِلْمُتَّقينَ خاصّة وعِبْرة لِلْمُؤْمِنينَ دون الكافِرينَ به إلى يوم القيامة، **كالذي:**

١١٦٨ - **حدَّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، عن داود بن الحُصَيْن، عن عِكْرِمة مولَى ابن عَبَّاس، عن عبد اللّه بن عَبَّاس في قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

إلى يوم القيامة [١].

١١٦٩- حدثنا بِشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾. أي: بعدهم [٢].

١١٧٠- حدثنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ، مِثله [٣].

١١٧١- حدثنا موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: أمَّا ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: فهم أُمَّة مُحمَّد ﷺ [٤].

١١٧٢- حدثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال: فكانتْ موعِظة لِلْمُتَّقينَ خاصَّة [٥].

١١٧٣- حدثنا القاسِم، قال: ثنا الحسن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ في قوله: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لِمَنْ بعدهم [٦].

القول في تأويل قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

وَهذه الآية مِمَّا وبَّخ اللَّه بها المُخاطَبينَ من بَني إسرائيل في نَقْضِ أوائِلهم الميثاقَ الذي أخذَه اللَّه عليهم بالطَّاعةِ لأنبيائِهِ، فقال لهم: واذْكُروا أيْضًا مِن نَكْثِكُم ميثاقي، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ - وقَوْمه بَنو إسرائيل، إذْ ادَّارَءوا في القَتيل الذي قُتِلَ فيهم إليه -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ والهُزْؤ: اللَّعِب والسُّخْرية، كما قال الرَّاجِز:

قَد هَزِئَتْ مِنِّي أُمّ طَيْسَلَهْ
قالتْ أراه مُعْدِمًا لا شَيْءَ لَهْ [٧]

---

(١) [ضعيف] داود بن الحصين القرشي الأموي أبو سليمان المدني مولى عمرو بن عثمان بن عفان، ثقة إلا في عكرمة، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٦) [ضعيف] فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٧) [الرجز] القائل: صُخَير بن عُمَير التميمي. وروي:
(تَهزَأُ مِنّي أُختُ آلِ طَيسَلَه قالَت أَراهُ مُملِقًا لا شَيءَ لَه)

اللغة: وهَزِئتُ منه وبه - عن الأخفش - هُزْءًا وهُزُؤًا: سَخِرتُ منه. وهَزَأْتُ به - أيضًا - هَزْءًا ومَهْزَأَةً - عن أبي زيد - ومَهْزُءَةً. وطيسلة: فيعلة من الطسل، وهو الماء الجاري على وجه الأرض ولا يكون إلا قليلا، ويقال أيضا لضوء

يَعْني بِقولِه: قد هَزِئَتْ: قد سَخِرَتْ ولَعِبَتْ.

وَلا يَنْبَغي أنْ يكون من أنبياء اللَّه - فيما أَخْبَرَتْ عن اللَّه من أمْر أو نَهْي - هُزؤٌ أو لَعِب، فَظَنّوا بِموسَى أنَّه في أمْره إيَّاهم - عن أمْر اللَّه تعالى ذِكْره بِذَبْحِ البقَرة عند تَدارُئِهم في القَتيل إليه - هازِئ لاعِب، ولم يكُنْ لهم أنْ يَظُنّوا ذلك بِنَبيِّ اللَّه، وهو يُخْبِرهم أنَّ اللَّه هوَ الذي أمَرَهم بِذَبْح البقَرة.

وَحُذِفَتِ الفاء من قوله: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ وهو جَواب، لاِستِغْناءِ ما قَبْله من الكَلام عنهُ، وحُسْن السُّكوت على قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فَجازَ لِذلك إسقاط الفاء من قوله: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ كما جازَ وحَسُنَ إسقاطها من قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾ [الحجر: ٥٧، ٥٨- الذاريات: ٣١، ٣٢] ولم يَقُلْ: فَقالوا: (إنَّا أرْسَلْنا)، ولو قِيلَ: (فَقالوا) كان حَسَنًا أيْضًا جائِزًا، ولو كان ذلك على كَلِمة واحِدة لم تُسْقَط منه الفاء؛ وذلك أنَّك إذا قُلْت: قُمْت وفَعَلْت كذا وكذا. لم تَقُلْ: قُمْت فَعَلْت كذا وكذا؛ لأنَّها عَطْف لا استِفْهامٌ يوقَف عليهِ، فَأَخْبَرَهم موسَى - إذْ قالوا له ما قالوا - أنَّ المُخْبِر عن اللَّه جَلَّ ثَناؤه بالهُزْءِ والسُّخْرية من الجاهِلينَ وبَرَّأ نَفْسه مِمَّا ظَنّوا به من ذلك، فَقال: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يَعْني: من السُّفَهاء الذينَ يَرْوونَ عن اللَّه الكَذِب والباطِل.

وَكان سَبَب قِيلِ موسَى لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ ما:

١١٧٤- **حَدَّثَنا** به مُحَمَّد بن عبد الأعْلَى قال: ثنا المُعْتَمِر بن سُلَيْمان، قال: سَمِعْت أيّوب، عن مُحَمَّد بن سيرينَ، عن عَبيدةَ، قال: كان في بَني إسرائيل رَجُل عَقيم - أو عاقِر - قال: فَقَتَلَه وليّه، ثُمَّ احْتَمَلَهُ، فَألقاه في سِبْط غَيْرِ سِبْطه، قال: فَوَقَعَ بينهم فيه الشَّرّ، حتَّى أخَذوا السِّلاح. قال: فَقال أولو النُّهَى: أتَقْتَتِلونَ وفيكُم رَسول اللَّه؟! قال: فَأَتَوْا نَبيَّ اللَّه، فَقال: اذْبَحوا بَقَرة. فَقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ قال: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ قالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ قال: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال: فَضُرِبَ فَأَخْبَرَهم بِقاتِلِه. قال: ولم تُؤخَذ البقَرة إلاَّ بِوَزْنِها ذَهَبًا. قال: ولو أنَّهم أخَذوا أدْنَى بَقَرةٍ لأجْزَأتْ عنهم، فَلم يورَث قاتِلٌ بعد ذلك (١).

١١٧٥- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: حَدَّثَني أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية

السراب الطسل. ويروى: (مملقا لا شيء له) و (مبلطا)، وكلها بمعنى واحد: فقيرا لا شيء له. المعنى: هذه الأبيات قد نسبها البعض إلى الأصمعي، وهي حوار بين الراجز وامرأة من آل طيسلة (لعلها تكون زوجه) عابت عليه فقره وشيخوخته؛ فرد عليها مصورًا حالها السالف الباقي وحاله السالف الباقي، وهجاها في ذلك هجاءً مرًّا، وفخر بنفسه فخرًا عريضًا.

ومن ذلك قوله:

(أقصدتها فلم أجرها أنمُله ... من حيث يممتُ سواء المقتله)

(١) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا.

في قول اللّه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ قال: كان رَجُل من بَني إسرائيل، وكان غَنيًا ولم يكُنْ له ولَد، وكان له قَريب وكان وارِثَه، فقَتَلَه ليَرِثهُ، ثُمَّ ألقاه على مَجْمَع الطَّريق، وأتَى موسَى، فقال له: إنَّ قَريبي قُتِلَ، وأُتِيَ إلَيَّ أمْر عَظيم، وإنّي لا أجِد أحَدًا يُبيِّن لي مَنْ قَتَلَه غيرُك يا نَبيّ اللّه. قال: فَنادَى موسَى في النّاس: أنْشُد اللّه مَنْ كان عنده من هذا عِلْم إلاّ بَيَّنَه لنا. فلم يكُنْ عندهم عِلْمه، فأقْبَلَ القاتِل على موسَى فقال: أنتَ نَبيُّ اللّه، فاسأل لنا رَبَّك أنْ يُبَيِّن لنا. فَسأَلَ رَبّه فأوحَى اللّه إليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ فَعَجبوا وقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ قال: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ قالوا: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ قال: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ﴾ - يعني: لا هَرِمة - ﴿وَلَا بِكۡرٌ﴾ - يَعْني: ولا صَغيرة - ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ - أيْ: نَصَفٌ بين البِكْر والهَرِمة - قالوا: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ قال: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ - أيْ: صافٍ لونها - ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ - أيْ: تُعْجِب النّاظِرينَ - قالوا: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ قال: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ﴾ - أيْ: لم يُذَلِّلها العَمَلُ - ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ - يَعْني: لَيْسَتْ بِذَلولٍ فتُثير الأرض - ﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ - يقول: ولا تَعْمَل في الحَرْث - ﴿مُسَلَّمَةٞ﴾ - يَعْني: مُسَلَّمة من العُيوب - ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ - يقول: لا بَياض فيها - قالوا: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾. ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

قال: ولو أنَّ القَوْم حين أُمِروا أنْ يَذْبَحوا بَقَرة استَعْرَضوا بَقَرة من البقَر فَذَبَحوها لَكانتْ إيّاها، ولَكِنَّهم شَدَّدوا على أنفسهِمْ، فَشَدَّدَ اللّه عليهم. وَلولا أنَّ القَوْم استَثْنَوْا فَقالوا: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ لَما هُدوا إليها أبَدًا. فَبَلَغَنا أنّهم لم يجِدوا البَقَر التي نُعِتَتْ لهم إلاّ عند عَجوز عندها يَتامَى، وهيَ القيمةُ عليهم، فَلَمّا عَلِمَت أنّهم لا يَزْكُوا لهم غَيْرها أضْعَفَتْ عليهم الثَّمَن، فأتَوْا موسَى، فأخْبَروه أنّهم لم يجِدوا هذا النَّعْتَ إلاّ عند فُلانة، وأنها سَألَتْهم أضْعاف ثَمَنها، فَقال لهم موسَى: إنَّ اللّه قد كان خَفَّفَ عليكُمْ، فَشَدَّدْتُم على أنْفُسكُمْ، فأعْطَوْها رِضاها وحُكْمها. فَفَعَلوا واشتَرَوْها، فَذَبَحوها. فأمَرَهم موسَى أنْ يَأخُذوا عَظْمًا منها فَيَضْرِبوا به القَتيل، ففَعَلوا، فَرَجَعَ إليه رُوحُه، فَسَمَّى لهم قاتِله، ثُمَّ عادَ مَيِّتًا كما كان، فأخَذوا قاتِله - وهو الذي كان أتَى موسَى فَشَكا إليهِ - فَقَتَلَه اللّه على أسوء عَمَله[1].

١١٧٦- **حدّثني** موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيّ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ قال: كان رَجُل من بَني إسرائيل مُكْثِرًا من المال، وكانتْ له ابنة وكان له ابن أخ مُحتاج. فَخَطَبَ إليه ابن أخيه ابنته فَأبَى أنْ يُزَوِّجه إيّاها، فَغَضِبَ الفَتَى وقال: واللّه لأقْتُلَنَّ عَمّي ولآخُذَنَّ ماله ولأنْكِحَنَّ ابنته ولآكُلَنَّ دِيَته!! فأتاه الفَتَى وقد قَدِمَ تُجّار في بعض أسباط بَني إسرائيل، فَقال: يا عَمِّ، انطَلِقْ مَعي فَخُذْ لي من تِجارة هؤلاء القَوْم لَعَلّي أُصيب فيها، فإنّهم إذا رَأوك مَعي أعطَوْني. فَخَرَجَ العَمّ مع الفَتَى لَيْلاً، فَلَمّا بَلَغَ الشَّيْخُ ذلك

(١) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن آدم أخرجه في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (١/ ١٥٤).

السِّبْطَ قَتَله الفَتَى ثُمَّ رَجَعَ إلى أهله.

فَلَمَّا أصبَحَ جاء كَأنّه يَطْلُب عَمّه، كَأنّه لا يَدري أينَ هو فلم يجِدهُ، فانطَلَقَ نَحوه فإذا هو بذلك السِّبْطِ مُجْتَمِعينَ عليهِ، فَأخَذهم وقال: قَتَلْتُم عَمّي فَأدّوا إليَّ ديَته!! وَجَعَلَ يَبْكي ويَحْثو التُّراب على رَأسه وينادي: واعمَّاه! فَرَفَعَهم إلى موسَى، فَقَضَى عليهم بالدِّيَةِ، فَقالوا له: يا رَسول اللّه، ادْعُ لنا حتَّى يَتَبَيَّن له مَنْ صاحِبه فَيُؤخَذ صاحِب الجَريمة، فَواللّه إنَّ ديَته علينا لِهَيِّنَةٍ، ولَكِنَّا نَسْتَحي أنْ نُعَيَّر به. فَذلك حين يقول اللّه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢] فَقال لهم موسَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قالوا: نَسْألُك عن القَتيل وعَمَّنْ قَتَلَه، وتَقول اذْبَحوا بَقَرة، أتَهزأُ بِنا؟! قال موسَى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

قال: قال ابن عَبَّاس: فَلو اعْتَرَضوا بَقَرة فَذَبَحوها لأجْزَأتْ عنهم، ولَكِنَّهم شَدَّدوا وتَعَنَّتوا موسَى، فَشَدَّدَ اللّه عليهم؛ فَقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ قال: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ - والفارِض: الهَرِمة التي لا تَلِد، والبِكْر: التي لم تَلِد إلاَّ ولَدًا واحِدًا، والعَوانُ: النَّصَفُ التي بين ذلك التي قد ولَدَتْ وولَدَ ولَدها ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾.

قالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ قال: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ - قال: تُعْجِب النَّاظِرينَ - قالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ قال: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ - من بَياض ولا سَواد ولا حُمْرة - قالوا: ﴿الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾. فَطَلَبوها فلم يَقْدِروا عليها.

وَكان رَجُل من بَني إسرائيل من أبَرّ النَّاس بِأبيه وأنَّ رَجُلاً مَرَّ به معه لُؤلُؤ يَبيعُهُ، فَكان أبوه نائِمًا تَحت رَأسه المِفْتاح، فَقال له الرَّجُل: تَشْتَري مِنّي هذا اللُّؤلُؤ بِسَبْعينَ ألفًا؟ فَقال له الفَتَى: كما أنتَ حتَّى يَسْتَيْقِظ أبي فَآخُذه بِثَمانينَ ألفًا. فَقال له الآخَر: أيْقِظْ أباك وهو لَك بِسِتّينَ ألفًا. فَجَعَلَ التَّاجِر يَحُطّ له حتَّى بَلَغَ ثَلاثينَ ألفًا، وزادَ الآخَر على أنْ يَنْتَظِر حتَّى يَسْتَيْقِظ أبوه حتَّى بَلَغَ مِائة ألف. فَلَمَّا أكْثَر عليه قال: لا واللّه لا أشتَريه منك بِشَيْءٍ أبَدًا. وأبَى أنْ يوقِظ أباه.

فَعَوَّضَه اللّه من ذلك اللُّؤلُؤ أنْ جَعَلَ له تِلْكَ البقَرة، فَمَرَّتْ به بَنو إسرائيل يَطْلُبونَ البقَرة، فَأبْصَروا البقَرة عنده، فَسَألوه أنْ يَبيعهم إيَّاها بَقَرة بِبَقَرةٍ فَأبَى، فَأعْطَوْه ثِنْتَيْنِ فَأبَى، فَزادوه حتَّى بَلَغوا عَشْرًا فَأبَى، فَقالوا: واللّه لا نَتْرُكك حتَّى نَأخُذَها منك. فانطَلَقوا به إلى موسَى، فَقالوا: يا نَبيّ اللّه، إنَّا وجَدْنا البقَرة عند هذا فَأبَى أنْ يُعْطِيَناها، وقد أعْطَيْناه ثَمَنًا!! فَقال له موسَى: أعْطِهم بَقَرَتك، فَقال: يا رَسول اللّه أنا أحَقّ بِمالي. فَقال: صَدَقْت. وقال لِلْقَوْم: أرْضوا صاحِبكم. فَأعْطَوْه وزْنها ذَهَبًا فَأبَى، فَأضْعَفوا له مِثْل ما أعْطَوْه وزْنها حتَّى أعْطَوْه وزْنها عَشر مَرَّات، فَباعَهم إيَّاها وأخَذَ ثَمَنها. فَقال: اذْبَحوها. فَذَبَحوها، فَقال: اضْرِبوه بِبعضِها، فَضَرَبوه بالبَضْعةِ التي بين الكَتِفَيْنِ فَعاشَ، فَسَألوه: مَنْ قَتَلَك؟ فَقال لهم: ابن أخي، قال: أقْتُلُه، وآخُذُ ماله وأنْكِح

ابنته. فأخذوا الغُلام فقتلوه[١].

١١٧٧- حدّثنا بِشر، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ، وَحَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، عن ابن زَيْد، وحدَّثني عن مُجاهِد. وَحَدَّثني المُثَنّى، قال: ثنا أبو حُذَيفة، قال: ثنا شِبْل، قال: حَدَّثني خالِد بن يَزيد، عن مُجاهِد. وَحَدَّثني المُثَنّى، قال: حَدَّثنا إسحاق، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكَريم، قال: حَدَّثني عبد الصَّمَد بن معقِل أنَّه سَمِعَ وهبًا يَذْكر. وَحَدَّثني القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد، وحَجَّاجٌ، عن أبي معشَر، عن مُحَمَّد بن كَعْب القُرَظيّ ومُحَمَّد بن قَيْس. وَحَدَّثني مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثني أبي، قال: حَدَّثني عَمّي، قال: أخبَرَني أبي، عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس. فَذَكَر جَميعهمْ: أنَّ السَّبَب الذي من أجْله قال لهم موسَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ نَحوُ السَّبَب الذي ذَكَره عَبيدةُ وأبو العاليةِ والسُّدّيّ. غَيْر أنَّ بعضهم ذَكَرَ أنَّ الذي قَتَلَ القَتيل الذي اختُصِمَ في أمْره إلى موسَى كان أخا المَقْتول. وَذَكَرَ بعضهم: أنَّه كان ابن أخيه. وَقال بعضهم: بل كانوا جَماعة ورَثة استَبْطَئوا حَياته. إلاَّ أنَّهم جَميعًا مُجْمِعونَ على أنَّ موسَى إنَّما أمَرَهم بِذَبْح البقَرة من أجْل القَتيل إذْ احْتَكَموا إليه - عن أمْر اللَّه إيَّاهم بِذلك - فَقالوا له: وما ذَبْح البقَرة يُبيِّن لنا خُصومَتنا التي اختَصَمْنا فيها إليك في قَتْل مَنْ قُتِلَ فادُعِيَ على بعضنا أنَّه القاتِل، أتَهزَأُ بنا؟ كما:

١١٧٨- حدّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: قُتِلَ قَتيل من بَني إسرائيل، فَطُرِحَ في سِبْط من الأسباط فَأتى أهل ذلك القَتيل إلى ذلك السِّبْط، فَقالوا: أنتم واللَّه قَتَلْتُم صاحِبنا، قالوا: لا واللَّه فَأتَوْا موسَى. فَقالوا: هذا قَتيلنا بين أظْهُرهم وهم واللَّه قَتَلوه. فَقالوا: لا واللَّه يا نَبيّ اللَّه، طُرِحَ علينا. فَقال لهم موسَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فَقالوا: أتَسْتَهْزِئُ بِنا؟! وقَرَأ قول اللَّهِ جَلَّ ثَناؤه: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ قالوا: نَأتيك فَنَذْكُر قَتيلنا والذي نَحْنُ فيه فَتَسْتَهْزِئ بِنا؟! فَقال موسَى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٢].

١١٧٩- حدّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد، وحَجَّاجٌ عن أبي معشَر، عن مُحَمَّد بن كَعْب القُرَظيّ، ومُحَمَّد بن قَيْس: لَمَّا أتَى أولياءُ القَتيل والذينَ ادَّعَوْا عليهم قَتْل صاحِبهم، موسَى وقَصّوا قِصَّتهم عليهِ، أوحَى اللَّه إليه أنْ يَذْبَحوا بقَرة، فَقال لهم موسَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ قال: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ قالوا: وما البقَرة والقَتيل؟! قال: أقول لكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، وتَقولونَ: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾؟![٣].

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.
(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فقال الذينَ قِيلَ لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ - بعد أنْ عَلِموا واستقَرَّ عندهم أنَّ الذي أمَرَهم به موسَى عليه السلام من ذلك عن أمْر اللّه من ذَبْح بَقَرة جِدٌّ وحَقٌّ -: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾. فسَألوا موسَى أنْ يَسْأل رَبَّه لهم ما كان اللّه قد كَفاهم بِقولِه لهم: ﴿تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ لأنَّه جَلَّ ثَنَاؤه إنَّما أمَرَهم بِذَبحِ بَقَرة من البقر - أيَّ بَقَرة شاءوا ذَبْحَها، من غَيْر أنْ يَحْصُر لهم ذلك على نَوْع منها دون نَوْع أو صِنْف دون صِنْف - فَقالوا بِجَفاءِ أخْلاقِهم وغِلَظ طَبائِعهم وسوء أفَهامهِمْ، وتَكَلُّف ما قد وضَعَ اللّه عنهم مَئُونَته، تَعَنُّتًا منهم لرَسول اللّه ﷺ. كَما:

١١٨٠- حَدَّثني مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثني أبي، قال: حَدَّثني عَمّي، قال: حَدَّثني أبي، عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس، قال: لَمَّا قال لهم موسَى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾. قالوا له يَتَعَنَّتونَه: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ (١).

فلَمَّا تَكلَّفوا جَهْلاً منهم ما تَكَلَّفوا - من البحْث عَمَّا كانوا قد كُفُوهُ من صِفة البقَرة التي أُمِروا بِذَبْحِها تَعَنُّتًا منهم بِنَبيِّهم موسَى صَلَوات اللّه عليه بعد الذي كانوا أظْهَروا له من سوء الظَّنِّ به فيما أخْبَرَهم عن اللّه جَلَّ ثَنَاؤه بِقولِهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ - عاقبَهم عَزَّ وجَلَّ بأنْ خَصَّ بِذَبْحِ ما كان أمَرَهم بِذَبْحِه من البقَر على نَوْع منها دون نَوْع، فقال لهم جَلَّ ثَنَاؤه - إذْ سَألوه فَقالوا: ما هي، ما صِفَتُها وما حِلْيَتُها؟ حَلِّها لنا لِنَعْرِفها. - قال: ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ يَعْني: بِقولِه جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾: لا مُسِنَّةٌ هَرِمةٌ.

يُقال منه: فَرَضَتِ البقَرة تَفْرِض فُروضًا، وفَرُضَتْ، يَعْني بِذلك أسَنَّتْ، ومن ذلك قول الشَّاعِر:

يا رُبَّ ذي ضِغْنٍ عَلَيَّ فارِضِ
لَهُ قُروءٌ كَقُروءِ الحائِضِ (٢)

يَعْني بِقولِه (فارِض): قَديم، يَصِف ضِغْنًا قَديمًا.

الذي كان يلقن شيخه الحجاج. ونجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني مولى بني هاشم وهو والد محمد بن أبي معشر المدني، ضعيف.

(١) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعيفة.

(٢) [الرجز] روي:

يا رب مولي حاسد مباغض
علي ذي ضغن وضب فارض
له قروء كقروء الحائض

اللغة: الضب: الغيظ والحقد تضمره في القلب. الفارض: الضخم، وقيل: القديم. قروء: أي أوقات تهيج فيها عداوته؛ يقال: رجع فلان لقرئه؛ أي: لوقته. قال الهذلي مالك بن الحارث: كرهت العقر عقر بني شليل إذا هبَّتْ لقارئها الرياح

أي: لوقتها. المعنى: كأنَّ الشاعر ذهب إلى أنَّ حِقده يخبو تارةً ثمَّ يستعر، ثم يخبو ثم يستعر.

وَمنه قول الآخَر:

لَــهــا زِجــاجٌ ولَــهــاةٌ فــارِضُ
حَدْلاءُ كالوَطْبِ نَحاهُ الماخِضُ (١)

وَبِمِثْلِ الذي قُلْنا في تأويلِ فارِض قال المُتأوِّلونَ.

ذكر مَن قال ذلك

١١٨١ - **حَدَّثني** عَليّ بن سَعيد الكِنديّ، قال: ثنا عبد السَّلام بن حَرْب، عن خُصيف، عن مُجاهِد ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ قال: لا كَبيرة (٢).

١١٨٢ - **حَدَّثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن عَطيّة، قال: ثنا شَريك، عن خُصيف، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، أو عن عِكْرِمة - شَكَّ شَريك -: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ قال: الكَبيرة (٣).

١١٨٣ - **حَدَّثني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: أَخْبَرَني أبي، قال: حَدَّثني عَمّي، قال: حَدَّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ الفارِض: الهَرِمة (٤).

١١٨٤ - **حُدِّثت** عن المِنْجاب، قال: ثنا بِشْر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ يقول: لَيسَتْ بِكَبيرةٍ هَرِمة (٥).

١١٨٥ - **حَدَّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ، عن عَطاء الخُراسانيّ عن ابن عَبَّاس: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾: الهَرِمة (٦).

١١٨٦ - **حَدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: الفارِض: الكَبيرة (٧).

---

(١) [الرجز] القائل: أبو محمد الفقعسي. الزجاج جمع زج: وهو الحديدة التي تركب في أسفل الرمح يركز به في الأرض. واللهاة: لحمة حمراء في الحنك، معلقة على عكدة اللسان، مشرفة على الحلق. والفارض في هذا البيت: الواسع العظيم الضخم يقال: لحية فارض، وشِقْشِقَة فارض. (وهي لهاة البعير) ودلو فارض. حدلاء: الأحدل هو الذي يمشي في شق، وفي منكبيه ورقبته إقبال على صدره، وانحناء. والوطب: سقاء اللبن، يكون من جلد. ونحاه: صرفه وأماله. والماخض: من مخض اللبن؛ إذا وضع في الممخضة، ليخرج زبده. المعنى: يهجو الشاعر امرأته، ويذكر قبح أنيابها، وسعة لهاتها، من شدة نهمها وكثرة الأكل، ويصف مشيتها وهي مائلة على شق، وتكدس بدنها بعضه على بعض؛ كأنها وطب أماله الماخض يمنة ويسرة يحركه.

(٢) [ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ، وبقية رجاله ثقات تقدموا.

(٣) [ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ، وشريك مثله. و الحسن بن عطية بن نجيح القرشي أبو علي الكوفي البزاز، صدوق.

(٤) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٥) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٦) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٧) [ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

١١٨٧- **حدّثنا** أحمد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: ثنا أبو أحمد الزُّبَيْريّ، قال: ثنا شَريك، عن خُصيف، عن مُجاهِد قوله: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ قال: الكَبيرة[(١)].

١١٨٨- **حدّثنا** المُثنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ يَعْني: لا هَرِمة[(٢)].

١١٨٩- **حُدّثت** عن عَمّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، مِثْله[(٣)].

١١٩٠- **حدّثنا** بِشر، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: الفارِض: الهَرِمة[(٤)].

١١٩١- **حدّثنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق، قال: قال مَعْمَر، قال قَتادةُ: الفارِض: الهَرِمة. يقول: لَيْسَتْ بالهَرِمةِ ولا البِكْر، عَوان بين ذلك[(٥)].

١١٩٢- **حدّثني** موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: الفارِض: الهَرِمة التي لا تَلِد[(٦)].

١١٩٣- **وحدّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: الفارِض: الكَبيرة[(٧)].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾

والبِكْر من إناث البهائِم وبَني آدَم ما لم يَفْتَحِلْهُ الفَحْل، وهيَ مَكْسورةُ الباء، لم يُسْمَع منه (فَعَلَ) ولا (يَفعَل). وَأمّا (البَكْرُ) بِفَتْح الباء فهو الفَتِيُّ من الإبِل.

وَإنّما عَنَى جَلّ ثَنَاؤه بِقوله ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: ولا صَغيرةٌ لم تَلِد، كَما:

١١٩٤- **حدّثني** عَليّ بن سَعيد الكِنْديّ، قال: ثنا عبد السَّلام بن حَرْب، عن خُصَيْف، عن مُجاهِد: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: صَغيرة[(٨)].

١١٩٥- **حدّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: البِكْرُ: الصَّغيرة[(٩)].

---

(١) [ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ، وشريك مثله.

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [ضعيف] تقدم قبله، وهذا من معلقات المصنف.

(٤) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٥) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٦) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٧) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٨) [ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ.

(٩) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

١١٩٦- حدّثنا أبو كُرَيْبٍ قال: ثنا الحسن بن عَطيّة، قال: ثنا شَريك، عن خُصَيْف، عن سَعيد، عن ابن عَبَّاس أو عِكْرِمة - شَكَّ -: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ قال: الصَّغيرة[١].

١١٩٧- حدّثنا القاسِم، قال: ثنا الحسين، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج، عن عَطاء الخُراسانيّ، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: الصَّغيرة[٢].

١١٩٨- حدّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني أبو سُفْيان، عن مَعْمَر، عن قَتادةَ: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: ولا صَغيرة[٣].

١١٩٩- حُدِّثْتُ عن المِنْجاب، قال: ثنا بِشْر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: ولا صَغيرةٌ ضَعيفة[٤].

١٢٠٠- حدّثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع: عن أبي العالية: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: يَعْني: ولا صَغيرة[٥].

١٢٠١- حُدِّثْتُ عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، مِثْله[٦].

١٢٠٢- وحَدَّثَني موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: في (البِكْر): لم تَلِد إلاَّ وَلَدًا واحِدًا[٧].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿عَوَانٌ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: العَوان: النَّصَف التي قد وَلَدَتْ بَطْنًا بعد بَطْن، ولَيْسَتْ بِنَعْتٍ لِلْبِكْرِ، يُقال منه: قد عَوَّنَتْ، إذا صارَتْ كذلك، وإنّما معنى الكَلام قال: إنه يقول: إنَّها بَقَرة لا فارِض ولا بِكْر، عَوان بين ذلك. ولا يجوز أنْ يكون عَوان إلاَّ مُبْتَدَأ؛ لأنَّ قوله: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ كِناية عن الفارِض والبِكْر، فلا يجوز أنْ يكون مُتَقَدِّمًا عليهما؛ ومنه قول الأخْطَل:

وَما بِمَكَّة من شُمْطٍ مُحَفِّلَةٍ ... وَما بيَثْرِبَ من عُونٍ وأبْكارِ[٨].

---

(١) [ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ. وشريك مثله.

(٢) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [حسن] محمد بن حميد اليشكري أبو سفيان المعمري البصري، قال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال ابن معين: هو أحب إلي من عبد الرزاق. والحسين بن داود المصيصي ثقة إلا في شيخه الحجاج. وبقية رجاله تقدموا.

(٤) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٥) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٦) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٧) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٨) [البسيط] القائل: الأخطل. روي: (وما بزمزمَ من شمط مُحَلِّقَة). اللغة: شُمُطٍ: الشَمَطُ؛ بياضُ شَعَر الرأسِ يخالط سوادَه، والرجلُ أَشْمَطُ. وقومٌ شُمْطانٌ. وقد شَمِطَ بالكسر يَشْمَطُ شَمَطًا، والمرأةُ شَمْطاءُ. وشَمَطْتُ الشيءَ أَشْمِطُهُ شَمْطًا: خلطتُه. وكلُّ خليطين خلطتَهما فقد شَمَطْتَهُما، فهما شَمِيطٌ. والحَفِيْلُ: أقصى الأمْرِ وأكْثَرُه؛ وهو جَهْدُ الإنسان فيما يَلِيْه من الأعْمالِ، وكذلك الحِفَالُ. والحَفِيل والاحْتِفال: المبالغة. ورجل ذو حَفْل وحَفْلة: مُبالغ

وَجَمْعها عُونٌ، يُقال: امْرَأة عَوانٌ من نِسْوة عُونٌ. وَمنه قول تَميم بن مُقْبِل:

وَمَأْتَم كالدُّمَى حورٍ مَدامِعُها لم تَيْأسِ العَيْشَ أبْكارًا ولا عُونا(١)

وَبَقَرة عَوان وبقَر عُونٌ. قال: ورُبَّما قالتِ العرب: (بَقَرٌ عُونٌ)، مِثْل (رُسُلٌ)، يَطْلُبونَ بذلك الفَرْق بين جَمع (عَوانٍ) من البقَر، وجَمْع (عانَةٍ) من الحُمُر. وَيُقال: هذه حَرْب عَوان. إذا كانتْ حَرْبًا قد قوتِلَ فيها مَرّة بعد مَرّة، يُمَثِّل ذلك بالمَرْأةِ التي قد ولَدَتْ بَطْنًا بعد بَطْن. وَكَذلك يُقال: حاجةٌ عَوانٌ. إذا كانتْ قد قُضيَتْ مَرَّة بعد مَرَّة.

١٢٠٣- حدّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب أنَّ ابن زَيْد أنْشَدَه:

قُعودٌ لَدَى الأبْوابِ طُلَّابُ حاجةٍ عَوانٍ من الحاجاتِ أو حاجةً بِكْرا(٢).

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: والبيْت لِلْفَرَزْدَقِ.

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في ذلك تأوَّلَه أهل التَّأويل.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٢٠٤- حدّثنا عَليّ بن سَعيد الكِنْديّ، ثنا عبد السَّلام بن حَرْب، عن خُصيف، عن مُجاهِد: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: وسَطٌ، قد وَلَدَت بَطْنًا أو بَطْنَيْنِ(٣).

فيما أخذ فيه من الأمور. المعنى: إنهم حلقوا رؤوسهم، وقد تحللوا من إحرامهم وقضوا حجتهم، وهم في كل ذلك مجتهدون مجدون في العبادة والنسك.

(١) [البسيط] القائل: تميم بن أبي بن مقبل. اللغة: المأتم: الجمع مآتم، وهو اجتماع النساء في حزن أو سرور. قال حُميد بن ثور: (وجئن إليها مأتمًا بعد مأتم) الدمى: جمع دمية: وهي التمثال أو الصورة عليها نقوش حسنة، والعرب تكني عن المرأة بالدمية. والحور: جمع حوراء؛ والحور هو شدة بياض بياض العين، وسواد سوادها. وقوله: لم تبأس؛ أي؛ لم يلحقها بؤس عيش، أو لم تشك بؤس عيش؛ بئس يبأس بؤسا، فهو بائس وبئيس، افتقر واشتد عليه البؤس. المعنى: يصف الشاعر جماعة من النساء بأنهن كالدمي المنقشة، حور الأعين، لم يشتكوا الفقر فهم في رغد من العيش سواء أكانوا أبكارا أم عونا.

(٢) [الطويل] القائل: الفرزدق. اللغة: طلاب حاجةٍ عوان: أي حاجة قد عرفها وصارت عادةً له ورسمًا يتطلبه في كل حين، ومنهم طالب حاجة بكر: أي أول ما يلتمسه منه ويقترحه عنده

لمعرفة معنى البيت لابد أن نأتي بالبيت الذي قبله:

وَعِندَ زِيادٍ لَو يُريدُ عَطاءَهُم رِجالٌ كَثيرٌ قَد يَرى بِهِمُ فَقرا
قُعودٌ لَدى الأَبوابِ طُلّابُ حاجَةٍ عَوانٍ مِنَ الحاجاتِ أَو حاجَةٍ بِكرا

المعنى: قال الفرزدق تلك القصيدة عندما هرب الفرزدق من (زياد) وأتى (سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية)، وهو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فأمنه سعيد، فبلغ الفرزدق أن زيادًا قال: لو أتاني أمنته، وأعطيته؛ فردَّ عليه بتلك القصيدة: أنك لو أردت يا زياد أن تعطي العطايا؛ فإن من حولك رجال عددهم كثير فقراء يحتاجون العطاء؛ يقعدون على الأبواب لطلب الحاجة ومن هؤلاء من أنت تعرف حاجتهم وقد تركتهم وأعرضت عنهم، وعبر عن هذا المعنى في قوله (حاجة عوان) أي حاجة قد صاروا يطلبونها في كل حين، ومنهم من يأتيك لأول مرة بحاجة؛ فلم تركت هؤلاء القوم والتفت إليَّ وقد كنت عندك فلم تفعل؟!

(٣) [ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ.

١٢٠٥- حدثني مُحمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿عَوَانٌ﴾ قال: العَوان: العانِس النَّصَف [(١)].

١٢٠٦- حدثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: العَوان: النَّصَف [(٢)].

١٢٠٧- حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن عَطيّة، قال: ثنا شَريك، عن خُصيف، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس أو عِكْرِمة - شَكَّ شَريك -: ﴿عَوَانٌ﴾ قال: بين ذلك [(٣)].

١٢٠٨- حُدِّثت عن المِنْجاب، قال: ثنا بِشْر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿عَوَانٌ﴾ قال: بين الصَّغيرة والكَبيرة، وهيَ أقْوَى ما يكون من البقَر والدَّوابّ وأحسَن ما يكون [(٤)].

١٢٠٩- حدثنا القاسِم، قال: ثنا الحسن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ، عن عَطاء الخُراسانيّ عن ابن عَبَّاس: ﴿عَوَانٌ﴾ قال: النَّصَف [(٥)].

١٢١٠- حدثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿عَوَانٌ﴾: نَصَفٌ [(٦)].

١٢١١- وحُدِّثت عن عَمَّار، عن ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، مِثْله [(٧)].

١٢١٢- حدثنا بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، عن سَعيد، عن قَتادةَ: العَوان: نَصَفٌ بين ذلك [(٨)].

١٢١٣- حدثنا أحمَد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمَدَ الزُّبَيْريُّ، قال: ثنا شَريك، عن خُصيف، عن مُجاهِد: ﴿عَوَانٌ﴾: التي تُنْتَج شَيْئًا بِشَرْطِ أنْ تَكون التي قد نُتِجَتْ بَكْرةً أو بَكْرَتَيْنِ [(٩)].

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأن ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ. وشريك مثله.

(٤) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٥) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٦) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٧) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٨) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٩) [ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ. وشريك مثله.

١٢١٤- حدثنا موسى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: العَوان: النَّصَف التي بين ذلك، التي قد ولَدَتْ ووَلَد ولَدها[(١)].

١٢١٥- حدثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: العَوان: بين ذلك لَيسَتْ ببِكرٍ ولا كَبيرةٍ[(٢)].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾

يَعْني بِقولِه: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين البِكْر والهَرِمة، كما:

١٢١٦- حدثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أيْ: بين البِكْر والهَرِمة[(٣)].

فإنْ قال قائِل: قد عَلِمْت أنَّ (بين) لا تَصْلُح إلاَّ أنْ تكون مع شَيْئَيْنِ فَصاعِدًا، فكيف قِيلَ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ و﴿ذَٰلِكَ﴾ واحِد في اللَّفظ؟

قِيلَ: إنَّما صَلَحَتْ مع كَوْنها واحِدة؛ لأنَّ (ذلك) بِمعنى اثْنَيْنِ، والعرب تَجْمَع في (ذلك) و(ذاكَ) شَيْئَيْنِ ومعنَيَيْنِ من الأفعال، كما يقول القائِل: أظُنّ أخاك قائِمًا، وكان عَمْرو أباك. ثُمَّ يقول: قد كان ذاكَ، وأظُنّ ذلك.

فَيجْمَع بِ(ذاكَ) و(ذلك) الاسمَ والخَبَر الذي كان لا بُدَّ لـ(أظنّ) و(كان) منهُما.

فمعنى الكَلام: قال: إنَّه يقول إنَّها بَقَرة لا مُسِنَّةٌ هَرِمة، ولا صَغيرةٌ لم تَلِد، ولَكِنَّها بَقَرةٌ نَصَفٌ قد ولَدَتْ بَطْنًا بعد بَطْن بين الهَرَم والشَّباب.

فَجَمَع ﴿ذَٰلِكَ﴾ معنى الهَرَم والشَّباب لِما وصَفْنا، ولو كان مَكان (الفارِض والبِكْر) اسما شَخْصَيْنِ لم يُجْمَع مع (بين) (ذلك)؛ وذلك أنَّ (ذلك) لا يُؤَدّي عن اسم شَخْصَيْنِ، وغَيْر جائِز لِمَنْ قال: كُنْت بين زَيْد وعَمْرو. أنْ يقول: كُنْت بين ذلك. وإنَّما يكون ذلك مع أسَماء الأفعال دون أسَماء الأشخاص.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۝٦٨﴾

يقول الله لهم جَلَّ ثَنَاؤه: افعَلوا ما آمُركُم به تُدْرِكوا حاجاتكُم وطَلَباتكُم عندي، واذْبَحوا البقَرة التي أمَرْتكُم بِذَبْحِها، تَصِلُوا - بانتِهائِكُم إلى طاعَتي بِذَبْحِها - إلى العِلْم بِقاتِلِ قَتيلِكُمْ.

القول في تأويل قوله تعالى:
﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ﴾

وَمعنى ذلك: قال قَوْم موسَى لِموسَى: ادع لنا ربك يبين لنا لون البقَرة التي أمَرْتنا بِذَبْحِها. وَهذا أيْضًا تَعَنُّت آخَر منهم بعد الأوَّل، وتَكَلُّفُ طَلَبِ ما قد كانوا كُفُوه في المَرَّة الثَّانية والمسألة

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.
(٣) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

الآخِرة، وذلك أنَّهم لم يكونوا حُصِروا في المَرّة الثّانية، إذْ قِيلَ لهم بعد مسألَتهم عن حِلْية البقَرة التي كانوا أُمِروا بِذَبْحِها فَأَبَوْا إلاّ تَكَلُّف ما قد كُفُوْه من المسألة عن صِفَتها، فَحُصِروا على نَوْع دون سائِر الأنْواع؛ عُقوبة من اللّه لهم على مسألَتهم التي سَألوها نَبيّهم ﷺ تَعَنُّتًا منهم لهُ، ثُمّ لم يَحْصُرْهم على لون منها دون لون، فَأَبَوْا إلاّ تَكَلُّف ما كانوا عن تَكَلُّفه أغْنياء، فَقالوا - تَعنُّتًا منهم لِنَبيِّهم ﷺ كما ذَكَرَ ابن عَبَّاس -: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ فقيل لهم عُقوبةً لهم: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ فَحُصِروا على لون منها دون لون، ومعنى ذلك: أنَّ البقَرة التي أمَرْتُكم بِذَبْحِها صَفْراءُ فاقِعٌ لونها.

قال: ومعنى قوله: ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ أيُّ شَيْء لونها؟ فَلِذلك كان اللَّوْن مَرْفوعًا؛ لأنَّه مُرافِعُ (ما)، وإنّما لم يُنْصَبْ (ما) بِقولِه ﴿يُبَيِّن لَّنَا﴾؛ لأنَّ أصْل (أيّ) و(ما) جَمْع مُتَفَرِّقِ الاستِفْهام.

يقول القائِل: بَيِّن لنا أسْوداءُ هذه البقَرة أم صَفْراء؟ فَلَمّا لم يكُنْ لِقولِه: بَيِّن لنا. أنْ يقع على الاستفهام متفرِّقًا، لم يكن له أن يقع على (أيّ)؛ لأنَّه جمع ذلك المُتَفَرِّق، وكذلك كُلُّ ما كان من نَظائِره، فالعَمَلُ فيه واحِدٌ في (ما) و(أيّ).

واختَلَفَ أهل التَّأويل في معنى قوله: ﴿صَفۡرَآءُ﴾؛ **فَقال بعضهم**: معنى ذلك سَوْداءُ شَديدة السَّوادِ.

ذكر مَن قال ذلك منهم:

١٢١٧ - **حَدّثَني** أبو مسعود إسماعيل بن مسعود الجَحْدَرِيُّ، قال: ثنا نوح بن قَيْس، عن مُحَمَّد بن سَيْف، عن الحسن: ﴿صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ قال: سَوْداء شَديدة السَّواد[(١)].

١٢١٨ - **حَدّثَني** أبو زائِدة زَكَريًا بن يَحْيَى بن أبي زائِدة، والمُثَنَّى بن إبراهيم قالا: ثنا مُسْلِم بن إبراهيم، قال: ثنا نوح بن قَيْس، عن مُحَمَّد بن سَيْف، عن أبي رَجاء، عن الحسن، مِثْله[(٢)].

وَقال آخَرونَ: معنى ذلك: صَفْراء القَرْنِ والظِّلْفِ.

ذكر مَن قال ذلك:

١٢١٩ - **حَدّثَني** هِشام بن يونُس النَّهْشَليُّ، قال: ثنا حَفْص بن غياث، عن أشعَث، عن الحسن في قوله: ﴿صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ قال: صَفْراء القَرْن والظِّلْف[(٣)].

---

(١) [حسن] محمد بن سيف الأزدي الحداني أبو رجاء البصري، ثقة. و نوح بن قيس بن رباح الأزدي الحداني، صدوق. وإسماعيل بن مسعود الجحدري أبو مسعود البصري أخو الصلت بن مسعود، ثقة.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٣) [ضعيف] أشعث بن سوار الكندي النجار الكوفي الأفرق ويقال له: صاحب التوابيت ويقال: الأثرم ويقال: مولى ثقيف وكان على قضاء الأهواز، ضعيف الحديث.

١٢٢٠ - حَدَّثني يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثَني هُشَيْم، قال: أخبرَنا جوَيْبِر، عن كَثير بن زياد، عن الحسن في قوله: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ قال: كانت وحْشِيَّةً[١].

١٢٢١ - حَدَّثني يَعْقوب، قال: ثنا مَرْوان بن مُعاوية، عن إبراهيم، عن أبي حَفْص، عن مَغْراءَ أو عن رَجُل، عن سَعيد بن جُبَيْر: ﴿بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ قال: صَفْراء القَرْن والظِّلْف[٢].

١٢٢٢ - حَدَّثَني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: هي صَفْراء[٣].

١٢٢٣ - حَدَّثَني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا الضَّحَّاك بن مَخْلَد، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ قال: لو أخَذوا بَقَرة صَفْراءَ لأَجْزَأَتْ عنهم[٤].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وأحسِب أنَّ الذي قال في قوله: ﴿صَفْرَآءُ﴾: يَعْني به سَوْداء. ذَهَبَ إلى قوله في نَعْت الإبِل السود: هذه إبِلٌ صُفْرٌ، وهذه ناقة صَفْراء. يَعْني بها سَوْداء، وإنَّما قِيلَ ذلك في الإبِل لأنَّ سَوادها يَضْرِبُ إلى الصُّفْرة، ومنه قول الشَّاعِر:

تِلْكَ خَيْلِي منه وتِلْكَ رِكابي هُنَّ صُفْرٌ أولادُها كالزَّبِيبِ[٥].

يَعْني بقوله: هُنَّ صُفْر: هُنَّ سود، وذلك إنْ وُصِفَتِ الإبِل به فَلَيْسَ مِمَّا تُوصَفُ به البقَر، مع أنَّ العرب لا تَصِف السَّواد بالفُقوعِ، وإنَّما تَصِف السَّواد - إذا وصَفَتْه بالشِّدَّةِ - بالحُلوكةِ ونَحْوِها، فَتَقول: هو أسوَد حالك وحانِك وحُلكُوك، وأسوَد غِرْبيب ودَجُوجيٌّ، ولا تَقول: هو أسوَد فاقِع. وإنَّما تَقول هو أصْفَر فاقِع.

فَوَصَفَه إيَّاه بالفُقوعِ من الدَّليل البيِّن على خِلاف التَّأويل الذي تأوَّلَ قوله: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ المُتأوِّل بِأنَّ معناه سَوْداء شَديدة السَّواد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾

يَعْني: خالِص لونها. والفُقوع في الصُّفْرة نَظيرُ النُّصوع في البياض، وهو شِدَّته وصَفاؤه، كما:

---

(١) [ضعيف] جويبر بن سعيد الأزدي متروك.

(٢) [ضعيف] فيه هذا الرجل المبهم عن سعيد، وإن كان هو مغراء العبدي أبو المخارق فهو مجهول الحال، وقد أسند ابن أبي حاتم في التفسير من طريقه، وسند إليه ضعيف فيه الليث بن أبي سليم.

(٣) [ضعيف] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٤) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٥) [الخفيف] القائل: الأعشى. اللغة: ركابي: (الركاب) الإبل التي يسار عليها، لا واحد لها من لفظها، واحدتها راحلة. هن صفر: هن سود وذلك إن وصفت الإبل به. الزبيب: ذاوي العنب، وأسوده أجوده، ولكنه ليس خالص السواد. المعنى: مفتخرا بخيله العربية الأصيلة وبإبله: كل ما أملك من خيل، ومن إبل قد ولدت لي خير ما تلد الإبل فأولادها كالزبيب في لونه.

١٢٢٤- حَدَّثنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، قال: قال قَتادةَ: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: هي الصَّافي لونها(١).

١٢٢٥- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾. أيْ: صافٍ لونُها(٢).

١٢٢٦- حُدِّثتُ عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع بِمِثْلِهِ(٣).

١٢٢٧- حَدَّثنا موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: ﴿فَاقِعٌ﴾. قال: نَقِيٌّ لونها(٤).

١٢٢٨- حَدَّثني مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثني أبي، قال: حَدَّثني عَمّي، قال: حَدَّثني أبي، عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ شَديدة الصُّفْرة، تكاد من صُفْرَتها تَبْيَضُّ.

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: أُراه أبْيَض(٥).

١٢٢٩- حَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ قال: شَديدةٌ صُفْرَتها(٦).

يُقال منه: فَقَعَ لونه يَفْقَع، ويَفْقُعُ، فَقْعًا وفُقوعًا فهو فاقِع. كما قال الشَّاعِر:

حَمَلْت عليه الوَرْدَ حتَّى تَرَكْته ... ذَليلًا يَسُفُّ التُّرْبَ واللَّوْن فاقِع(٧)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۝٦٩﴾

يَعْني بِقولِه: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾: تُعْجِب هذه البقرة، في حُسْن خَلْقها ومَنْظَرها وهَيْئَتها، النَّاظِر إليها. كَما:

١٢٣٠- حَدَّثنا بِشر، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ أيْ: تُعْجِب النَّاظِرينَ(٨).

١٢٣١- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكَريم، قال: حَدَّثني

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [ضعيف] تقدم قبله، وهذا من معلقات المصنف.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٦) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٧) [الطويل] القائل: بلعاء بن قيس الكناني (جاهلي). اللغة: الورد: فرسه. فاقع: الفَقَعُ: شِدَّةُ البياض وأبيضُ فُقاعِيٌ خالص منه والفاقِعُ الخالِصُ الصفرةِ الناصِعُها، وقد فَقَعَ يَفْقَعُ ويَفْقُعُ فُقُوعًا إذا خَلَصَت صفرته وفي التنزيل: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [البقرة:٦٩]، وأَصْفَرُ فاقِعٌ وفُقاعِيٌّ شديد الصُّفرة. المعنى: يقول الشاعر مفتخرا بأنه قام على رجل فصرعه بفرسه؛ فلما تركه تركه صريعا ذليلا في التراب يحثو التراب، ولونه أصبح فاقع من شده ما فعله الفرس فيه.

(٨) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

عبد الصَّمَد بن معقِل، أنه سَمِعَ وهبًا: ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ إذا نَظَرَتْ إليها يُخَيَّل إليك أنَّ شُعاع الشَّمْس يَخرُج من جِلْدها [١].

١٢٣٢- حدّثنا موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ قال: تُعجِب النَّاظِرِينَ [٢].

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَعْني بِقولِه: ﴿ قَالُواْ﴾: قال قَوْم موسَى الذينَ أُمِروا بِذَبْحِ البقَرة، لِموسَى. فَتَرَكَ ذِكْر (موسَى)، وذَكَرَ عائِد ذِكْره اكْتِفاء بِما دَلَّ عليه ظاهِر الكَلام.

وَذلك أنَّ معنى الكَلام: قالوا له: ادْعُ لنا ربّك. فَلَم يَذْكُر (له) لَمَّا وصَفْنا.

وَقوله: ﴿ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ خَبرٌ من اللّه عن القَوْم بِجَهْلَةٍ منهم ثالِثة، وذلك أنَّهم لو كانوا إذْ أُمِروا بِذَبْحِ البقَرة ذَبَحوا أيَّتها تَيَسَّرَتْ مِمَّا يَقَع عليه اسم بَقَرة كانتْ عنهم مُجْزِئة، ولم يكُنْ عليهم غَيْرها؛ لأنَّهم لم يكونوا كُلِّفوها بِصِفةٍ دون صِفة، فَلَمَّا سَألوا بَيانها بِأيَّة صِفة هيَ، فَبَيَّنَ لهم أنَّها بِسِنٍّ من الأسنان دون سِنّ سائِر الأسنان، فَقيلَ لهم: هي عَوان بين الفارِض والبِكْر الضَّرَع.

فَكانوا - إذ بُيِّنَتْ لهم سِنُّها - لو ذَبَحوا أدْنَى بَقَرة بالسِّنِّ التي بُيِّنَتْ لهم كانتْ عنهم مُجْزِئة؛ لأنَّهم لم يكونوا كُلِّفوها بِغَيْرِ السِّنّ التي حُدَّت لهم، ولا كانوا حُصِروا على لون منها دون لون.

فَلَمَّا أبَوْا إلاَّ أنْ تكون مُعَرَّفة لهم بِنُعوتِها مُبَيَّنة بِحُدودِها التي تُفَرِّق بينها وبين سائِر بَهائِم الأرْض فَشَدَّدوا على أنفُسهم، شَدَّدَ اللّه عليهم بِكَثْرةِ سُؤالهم نَبيّهم واختِلافهم عليهِ.

ولِذلك قال نَبيّنا ﷺ لأُمّتِه: **«ذَروني ما تَرَكْتُكم، فَإنّما أهْلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُم بِكَثْرةِ سُؤالهم واختِلافهم على أنْبيائِهم، فَإذا أمَرْتُكم بِشَيْءٍ فَأْتوهُ، وإذا نَهَيْتُكم عن شَيْء فانتَهوا عنه ما استَطَعْتُم»** [٣].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ولَكِنَّ القَوْم لَمَّا زادوا نَبيّهم موسَى ﷺ أذًى وتَعَنُّتًا، زادَهم اللّه عُقوبة وتَشْديدًا، كما:

١٢٣٣- حدّثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عَثَّام بن عَليّ، عن الأعْمَش، عن المنهال بن عَمْرو، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: لو أخَذوا أدْنَى بَقَرة اكْتَفَوْا بها، لَكِنَّهم شَدَّدوا فَشَدَّدَ اللّه عليهم [٤].

---

(١) [حسن] من أجل إسماعيل وشيخه، وقد أسنده ابن أبي حاتم فقال: أخبرنا أبو عبد الله الطهراني، فيما كتب إلي، أنبأ إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني. فذكره. أما سند المصنف فضعيف من اجل المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [صحيح] أخرجه البخاري [٧٢٨٨]، ومسلم [١٣٣٧] وغيرهما.

(٤) [حسن] المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي، صدوق. عثام بن علي بن هجير بن بجير بن زرعة كذلك.

١٢٣٤ - حدّثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المُعْتَمِر، قال: سَمِعْت أيّوب، عن مُحَمَّد بن سيرينَ، عن عَبيدةَ قال: لو أنّهم أخَذوا أدنَى بَقَرة لأجْزَأتْ عنهم (١).

١٢٣٥ - حدّثنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن أيّوب، وحَدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن هِشام بن حَسَّان، جَميعًا عن ابن سيرينَ، عن عَبيدة السَّلْمانيّ، قال: سَألوا وشَدَّدوا، فشُدِّدَ عليهم (٢).

١٢٣٦ - حدّثنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا ابن عُيَيْنةَ، عن عَمْرو بن دينار، عن عِكْرِمة، قال: لو أخَذَ بَنو إسرائيل بَقَرة لأجْزَأتْ عنهم، ولولا قولهمْ: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ ما وجَدوها (٣).

١٢٣٧ - حدّثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللّه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾: لو أخَذوا بَقرة ما كانتْ لأجْزَأتْ عنهم، ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ قال: لو أخَذوا بَقرة من هذا الوَصْف لأجْزَأتْ عنهم، ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾ قال: لو أخَذوا بَقرة صَفْراء لأجْزَأتْ عنهم، ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ الآية (٤).

١٢٣٨ - حدّثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد بِنَحْوِهِ، وزادَ فيه: ولكِنَّهم شَدَّدوا فَشُدِّدَ عليهم (٥).

١٢٣٩ - حدّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حدثني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ، قال مُجاهِد: لو أخَذوا بَقَرة ما كانتْ أجْزَأتْ عنهم.

قال ابن جُرَيْجٍ: قال لي عَطاء: لو أخَذوا أدنَى بَقَرة كفَتْهم.

قال ابن جُرَيْجٍ: قال رَسول اللّه ﷺ: **«إنّما أُمِروا بِأدنَى بَقَرة ولَكِنَّهم لَمَّا شَدّدوا على أنفُسهم شَدَّدَ اللّه عليهم، وايْم اللّه لو أنّهم لم يَسْتَثْنوا ما بُيِّنَتْ لهم آخِرِ الأبَد»** (٦).

١٢٤٠ - حدّثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية،

---

(١) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف. والسند الثاني من طريق المثنى عند المصنف ضعيف.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف.

(٤) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٥) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٦) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

قال: لو أنَّ القَوْم حين أُمِروا أنْ يَذْبَحوا بَقَرة استَعْرَضوا بَقَرة من البقَر فَذَبَحوها لَكانتْ إيَّاها، ولَكِنَّهم شَدَّدوا على أنْفُسهم فَشَدَّدَ اللَّه عليهم، ولولا أنَّ القَوْم استَثْنَوْا فَقالوا: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ لَما هُدوا إليها أبَدًا(١).

١٢٤١- حَدَّثَنا بِشر، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ، قال: ذُكِرَ لنا أنَّ نَبيَّ اللَّه ﷺ كان يقول: «**إنما أُمِرَ القَوْم بِأدْنَى بَقَرة، ولَكِنَّهم لَمَّا شَدَّدوا على أنْفُسهم شَدَّدَ عليهم، والذي نَفْس مُحَمَّد بيَدِه لو لم يَسْتَثْنوا لَمَّا بُيِّنَتْ لهم آخِر الأبَد**»(٢).

١٢٤٢- حدَّثني موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيّ في خَبَر ذَكَرَهُ، عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، قال: لو أعرَضوا بَقَرة فَذَبَحوها لأَجْزَأتْ عنهم، ولَكِنَّهم شَدَّدوا وتَعَنَّتوا موسَى، فَشَدَّدَ اللَّه عليهم(٣).

١٢٤٣- حَدَّثَنا أبو كُرَيْب قال: قال أبو بَكْر بن عَيَّاش، قال ابن عَبَّاس: لو أنَّ القَوْم نَظَروا أدْنَى بَقَرة - يَعْني: بَني إسرائيل - لأَجْزَأتْ عنهم، ولَكِنْ شَدَّدوا فَشُدِّدَ عليهم، فاشْتَرَوْها بِمِلْءِ جِلْدها دَنانير(٤).

١٢٤٤- حَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: لو أخَذوا بَقَرة كما أمَرَهم اللَّه كَفاهم ذلك، ولَكِنَّ البلاء في هذه المَسائِل، فقالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ فَشُدِّدَ عليهم، فَقال: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ فقالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ قال: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ قال: وشُدِّدَ عليهم أشَدّ من الأوَّل فقرأ حتَّى بَلَغَ: ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ فَأبَوْا أيْضًا فقالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ فَشُدِّدَ عليهم فقال: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾. قال: فاضْطُرّوا إلى بَقَرة لا يُعْلَم على صِفَتها غَيْرها، وهيَ صَفْراء، لَيْسَ فيها سَواد ولا بَياض(٥).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وهذه الأقوالُ التي ذَكَرْناها عَمَّنْ ذَكَرْناها عنه من الصَّحابة والتَّابِعينَ والخالِفينَ بعدهم، من قولِهم: إنَّ بَني إسرائيل لو كانوا أخَذوا أدْنَى بَقَرة فَذَبَحوها أجْزَأتْ عنهم، ولَكِنَّهم شَدَّدوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عليهم- من أوضَح الدَّلالةِ على أنَّ القَوْمَ كانوا يَرَوْنَ أنَّ حُكْمَ اللَّهِ فيما أمَرَ ونَهَى في كِتابه وعلى لِسان رَسوله ﷺ على العُموم الظَّاهِر دون الخُصوصِ الباطِن، إلاَّ أنْ يَخُصَّ، بعضَ ما عَمَّه ظاهِرُ التَّنْزيل، كِتابٌ من اللَّهِ أو رَسولُ اللَّه، وأنَّ التَّنْزيلَ أو الرَّسولَ إنْ

---

(١) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [ضعيف] ابن عياش عن ابن عباس مرسل.

(٥) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

خَصَّ بعض ما عَمَّه ظاهِرُ التَّنزيل بِحُكْمِ خِلافِ ما دَلَّ عليه الظَّاهِرُ، فالمَخْصوصُ من ذلك خارِجٌ من حُكْم الآية التي عَمَّتْ ذلك الجِنْسَ خاصَّةً، وسائِرُ حُكْم الآية على العُموم، على نَحْو ما قد بَيَّنَّاه في كِتابنا كِتابِنا (كتابِ الرسالةِ) من (لَطيف القول في البَيان عن أُصول الأحكام) - في قولنا في العُموم والخُصوص، وموافَقة قولِهم في ذلك قولَنا، ومَذْهَبِهم مَذْهَبَنا، وتَخْطِئَتِهم قول القائِلين بالخُصوصِ في الأحكام، وشَهادَتِهم على فَساد قول مَنْ قال: حُكْمُ الآية الجائيةِ مَجِيءَ العُموم على العُموم ما لم يُخْتَصَّ منها بعضُ ما عَمَّتْه الآيةُ، فَإِنْ خُصَّ منها بعضٌ، فَحُكْمُ الآية حينَئِذٍ على الخُصوصِ فيما خُصَّ منها، وسائِرُ ذلك على العُموم.

وَذلك أنَّ جَميع مَنْ ذَكَرْنا قولَه آنِفًا - مِمَّنْ عابَ على بَني إسرائيل مسألَتَهم نَبِيَّهم ﷺ عن صِفة البقَرة التي أُمِروا بِذَبْحِها وسِنِّها وحِلْيَتِها - رَأوا أنَّهم كانوا في مسألَتِهم رَسول اللَّه ﷺ موسَى ذلك مُخْطِئينَ، وأنَّهم لو كانوا استعْرَضوا أدْنَى بَقَرةٍ من البقَر - إذْ أُمِروا بِذَبْحِها بِقولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فَذَبَحوها - كانوا لِلْواجِبِ عليهم مِن أمْر اللَّهِ في ذلك مُؤَدِّينَ، ولِلْحَقِّ مُطيعينَ، إذْ لم يكُنْ القَوْمُ حُصِروا على نَوْعٍ من البقَرِ دونَ نَوْعٍ، وسِنٍّ دون سِنٍّ.

ورَأَوا مع ذلك أنَّهم إذ سَألوا موسَى عنْ سِنِّها، فَأَخْبَرَهم عنها وحَصَرَهم منها على سِنٍّ دونَ سِنٍّ، ونَوْعٍ دون نَوْعٍ، وخَصَّ من جَميع أنْواع البقَر نَوْعًا منها، كانوا في مسألَتِهم إيَّاه المسألَةَ الثَّانيةَ بعدَ الذي خَصَّ لهم من أنْواع البقَرِ من الخَطَأ على مِثْل الذي كانوا عليه من الخَطَأ في مسألَتِهم إيَّاه المسألَةَ الأولَى.

وَكَذلك رَأَوا أنَّهم في المسألة الثَّالِثةِ على مِثْلِ الذي كانوا عليه من ذلك في الأولَى والثَّانية، وأنَّ اللَّازِم كان لهم في الحالة الأولَى استِعْمالُ ظاهِرِ الأمْرِ، وذَبْحُ أيِّ بَهيمةٍ شاءوا مِمَّا وقَعَ عليها اسمُ بَقَرةٍ.

وَكَذلك رَأَوا أنَّ اللَّازِمَ كان لهم في الحالة الثَّانيةِ استِعْمالُ ظاهِرِ الأمْرِ، وذَبْحُ أيِّ بَهيمةٍ شاءوا مِمَّا وقَعَ عليها اسم بَقَرةٍ عَوانٍ لا فارِضٍ ولا بِكْرٍ، وَلم يَرَوْا أنَّ حُكْمَهم - إذْ خُصَّ لهم بعضُ البقَرِ دون البعْضِ في الحالة الثَّانيةِ - انتَقَلَ عن اللَّازِمِ كان لهم في الحالة الأولَى من استِعْمال ظاهِرِ الأمْرِ إلى الخُصوص.

فَفي إجماع جَميعهم على ما رَوَيْنا عنهم من ذلك - مع الرِّوايةِ التي رَوَيْناها عن رَسول اللَّه ﷺ بالموافَقةِ لِقولِهم - دَليلٌ واضِحٌ على صِحَّة قولنا في العُموم والخُصوص، وأنَّ أحكامَ اللَّهِ جَلَّ ثَناؤه في آيِ كِتابه - فيما أمَرَ ونَهَى - على العُموم ما لم يَخُصَّ ذلك ما يجِبُ التَّسْليمُ لهُ، وأنَّه إذا خُصَّ منه شَيْءٌ فالمَخْصوصُ منه خارِجٌ حُكْمُه من حُكْم الآية العامَّةِ الظَّاهِرِ، وسائِرُ حُكْم الآيةِ على ظاهِرِها العامِّ، ومُؤَيِّدٌ حَقيقة ما قُلْنا في ذلك، وشاهِدٌ عَدْلٌ على فَساد قول مَنْ خالَفَ قَولنا فيه.

وَقد زَعَمَ بعض مَنْ عَظُمَتْ جَهالَته، واشْتَدَّتْ حيرَتُه، أنَّ القَوْمَ إنَّما سَألوا موسَى ما سَألوا بعد

أمْر اللَّه إيَّاهم بِذَبحِ بَقَرة من البقر؛ لأنَّهم ظَنُّوا أنَّهم أُمِروا بِذَبحِ بَقَرة بِعَيْنِها خُصَّتْ بذلك، كما خُصَّتْ عَصا موسَى في معناها، فَسَألوه أنْ يُحَلِّيَها لهم ليَعْرِفوها.

وَلو كان الجاهِلُ تَدَبَّرَ قوله هذا؛ لَسَهُلَ عليه ما اسْتَصْعَبَ من القول؛ وذلك أنَّه استَعْظَمَ من القَوْم مسألَتَهم نَبيَّهم ما سَألوه تَشَدُّدًا منهم في دينهم، ثُمَّ أضافَ إليهم من الأمْر ما هو أعْظَمُ مِمَّا استَنْكَرَه أنْ يكون كان منهم، فَزَعَمَ أنَّهم كانوا يَرَوْنَ أنَّه جائِزٌ أنْ يَفرِض اللَّهُ عليهم فَرْضًا ويَتَعَبَّدَهم بِعِبادةٍ، ثُمَّ لا يُبَيِّنَ لهم ما يَفْرِضُ عليهم ويَتَعَبَّدُهم به، حتَّى يَسْألوا بيان ذلك لهم، فَأضافَ إلى اللَّه تعالى ذِكْره ما لا يجوزُ إضافَتُه إليهِ، ونَسَبَ القَوْم من الجَهْل إلى ما لا يُنْسَبُ المَجانينُ إليهِ، فَزَعَمَ أنَّهم كانوا يَسْألونَ رَبَّهم أنْ يَفرِضَ عليهم الفَرائِض، فَنَعوذُ باللَّه من الحيرة، ونَسْألُه التَّوْفيقَ والهِداية.

وَأمَّا قوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾. فَإنَّ البقر جِماعُ بَقَرةٍ.

وَقد قَرَأ بعضهم: (إن الباقِرَ). وذلك وإنْ كان في الكَلام جائِزًا لِمَجيئِه في كَلام العَرب وأشعارِها، كما قال مَيمون بن قَيْس:

وَما ذَنْبُه إنْ عافَتِ الماءَ باقِرٌ وَما إنْ تَعافُ الماءَ إلاَّ لِيُضْرَبا[1]

وَكَما قال أُمَيَّة:

وَيَسُوقونَ باقِرَ السَّهْلِ لِلطَّوْ دِ مَهازِيلَ خَشْيَةً أنْ تَبُورَا[2]

فَغَيْرُ جائِزةٍ القِراءةُ به لِمُخالَفَتِه القراءةَ الجائيةَ مَجِيءَ الحُجَّةِ، بِنَقْلِ مَنْ لا يجوزُ عليه - فيما نَقَلوه مُجْمِعينَ عليه - الخَطَأُ والسَّهْوُ والكَذِبُ.

وَأمَّا تأويل: ﴿تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ فَإنه يَعْني به: التَبَسَ علينا.

---

(١) [الطويل] القائل: الأعشى (جاهلي). المعنى: يقول الجاحظ في (الحيوان): (كانوا إذا أورَدُوا البقرَ فلم تشرَبْ، إمَّا لكَدَر الماء، أو لقلَّةِ العطَش، ضربوا الثورَ ليقتَحِم الماء، لأنَّ البقرَ تَتْبَعه كما تتْبع الشَّوْلُ الفحل، وكما تتبع أتُنُ الوحش الحِمار، وكانوا يزعمون أنَّ الجنَّ هي التي تصُدُّ الثِّيرانِ عن الماء حتى تُمسِكَ البقرُ عن الشرب حتى تهلِك)؛ ثم يقول في شرح البيت: (كأنه قال: إذا كان يُضْرَب أبدًا لأنها عافت الماء، فكأنَّما إنما عافَتِ الماءَ ليُضرب).

(٢) [الخفيف] القائل: أمية بن أبي الصلت (مخضرم).

ووردت الرواية في ديوانه:

وَيَسوقونَ باقِرًا يَطرُدُ السَهلَ مَهازيلَ خَشيَةً أَن يَبورًا
عاقِدينَ النيرانَ في شُكُرٍ أَرذَابِ مِنها لِكَي تَهيجَ البُحورا

اللغة: باقر: يقصدة (البقر). الطود: الجبل. مهازيل: جمع (مهزول) هي التي ضعفت ضعفا شديدا وذهب سمنها. تبورا: البَوارُ الهلاك بارَ بَوْرًا وبَوارًا. المعنى: كان العرب في الجاهلية إذا ما عمَّ البلاء واشتد الجدب وأرادوا نزول المطر، اجتمعوا وجمعوا ما يقدرون عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر؛ صعدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النيران، وضجوا بالدعاء والتضرع، فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا يقول الشاعر معبرا عن تلك الفكرة: أنهم يسوقون الأبقار التي تربت في سهولهم إلى الجبال خشية هلاك الأبقار وبوار تلك السهول؛ ثم يشعلون النار في أذنابها فتهيج كالبحور؛ فيكون ذلك سببا في المطر، ولا شك أن تلك من أفكار الجاهلية.

والقرأة مُخْتَلِفة في تِلاوَته، فَبعضهم كانوا يَتْلُونه: ﴿تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾. بِتَخْفيفِ الشِّين ونَصْب الهاء على مِثال (تَفاعَل)، ويُذكِّرُ الفِعْلَ وإنْ كان البقَرُ جِماعًا؛ لأنَّ من شأنِ العرب تَذْكيرَ كُلِّ فِعْلِ جَمْعٍ كانتْ واحدتُه بالهاءِ وجَمْعُه بِطَرْحِ الهاءِ وتأنيثَه، كما قال اللَّهُ تعالى في نَظيره في التَّذْكير: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]. فَذَكَّرَ (المُنْقَعِر)، وهو من صِفة (النَّخْل) لِتَذْكيرِ لَفْظ (النَّخْل). وقال في موضِع آخَر: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]. فَأنَّثَ (الخاوية) وهيَ من صِفة النَّخْلِ - بِمعنى النَّخْلِ؛ لأنَّها وإنْ كانتْ في لَفْظ الواحِدِ المُذكَّرِ- على ما وصَفْنا قَبْلُ - فَهيَ جِماعُ نَخْلةٍ.

وَكان بعضُهم يَتْلُوه: (إنَّ البَقَرَ تشَّابَهُ عَلَينا) بِتَشْديدِ الشِّيْن وضَمِّ الهاء، فَيُؤَنِّثُ الفِعْل بِمعنى تأنيثِ (البقَر)، كما قال: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾. ويُدْخِلُ في أوّل (تَشابَهَ) تاءً تَدُلُّ على تأنيثِها، ثُمَّ تُدْغَمُ التَّاءُ الثَّانيةُ في شَيْنِ (تَشابَهَ) لِتَقارُبِ مَخْرَجِها ومَخْرَج الشِّيْنِ، فَتَصيرُ شِينًا مُشَدَّدةً، وتُرْفَعُ الهاءُ بالاستِقْبالِ والسَّلامةِ من الجَوازِم والنَّواصِب.

وَكان بعضهم يَتْلوه: (إنَّ البَقَرَ يَشَّابَهُ علينا). فَيُخَرِّجُ (يَشَّابَهُ) مُخْرَجَ الخَبَرِ عن الذِّكْرِ؛ لِما ذَكَرْنا من العِلَّةِ في قِراءة مَنْ قَرأ ذلك: ﴿تَشَبَهَ﴾ بالتَّخْفيفِ، ونَصْب الهاءِ، غَيْرَ أنَّه كان يَرْفَعُه بالياءِ التي يُحْدِثُهَا في أوَّل (تَشابَهَ) التي تأتي بِمعنى الاستِقْبال، وتُدْغَمُ التَّاءُ في الشِّيْنِ، كما فَعَلَه القارئُ في (تَشَّابهُ) بالتَّاءِ والتَّشْديد.

والصَّواب في ذلك من القِراءة عندنا: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾. بِتَخْفيفِ شَيْن (تَشابَهَ) ونَصْبِ هائِهِ، بِمعنى (تَفاعَلَ)؛ لإجماعِ الحُجَّةِ من القَرأةِ على تَصْويبِ ذلك ورَفْعِهم ما سِواه من القِراءات، ولا يُعْتَرَضُ على الحُجَّةِ بِقولِ مَنْ يَجُوزُ عليه فيما نَقَلَ السَّهْوُ والغَفْلةُ والخَطَأ.

وَأمَّا قوله: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾. فَإنَّهم عَنَوْا: وإنَّا إنْ شاءَ اللَّهُ لَمُبَيَّنٌ لنا ما التَبَسَ علينا وتَشابَهَ من أمْر البقَرة التي أُمِرْنا بِذَبْحِها. وَمعنى (اهْتِدائِهم) في هذا الموضِع معنى (تَبَيُّنِهم) أيَّ ذلك الذي لَزِمَهم ذَبْحُه مِمَّا سِواه من أجْناسِ البقَر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾

وَتأويل ذلك: قال موسَى: إنَّ اللَّه يقولُ: إنَّ البقَرة التي أمَرْتُكم بِذَبْحِها بقَرةٌ لا ذَلولٌ. وَيَعْني بقولِه: ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ أيْ: لم يُذَلِّلْها العَمَلُ. فَمعنى الآية: أنَّها بَقَرة لم تُذَلِّلها إثارةُ الأرْضِ بأظْلافِها، ولا سُنِيَ عليها الماءُ، فَيُسْقَى عليها الزَّرْعُ، كما يُقال لِلدَّابَّةِ التي قد ذَلَّلَها الرُّكوبُ أو العَمَلُ: دابَّةٌ ذَلولٌ بَيِّنَةُ الذِّلِّ. بِكَسْرِ الذَّال، ويُقال في مِثْله من بَني آدَم: رَجُلٌ ذَليلٌ بَيِّنُ الذُّلِّ والذِّلَّةِ.

١٢٤٥- حَدَّثَنا بِشْر، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾. يقول: صَعْبةٌ لم يُذِلَّها عَمَلٌ، ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ (١).

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

١٢٤٦- **حدثني** موسى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ يقول: بَقَرةٌ لَيسَتْ بِذَلولٍ يُزرَعُ عليها، ولَيسَتْ تَسْقي الحَرْثَ(١).

١٢٤٧- **حدثني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ أي: لم يُذِلُّها العَمَلُ. ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾. يَعْني: لَيسَتْ بِذَلولٍ فَتُثير الأرض. ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾. يقول: ولا تَعْمَلُ في الحَرْثِ(٢).

١٢٤٨- **حُدِّثت** عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾. يقول: لم يُذِلُّها العَمَلُ، ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾. يقول: تَبِينُ الأرضَ بِأظلافِها. ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾. يقول: ولا تَعْمَلُ في الحَرْثِ(٣).

١٢٤٩- **حدثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج، قال: الأعْرَجُ: قال مُجاهِدٌ: قوله: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾. يقول: لَيسَتْ بِذَلولٍ فَتَفْعَلَ ذلك(٤).

١٢٥٠- **حدثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: ثنا أبو سُفْيان، عن مَعْمَر، عن قَتادَةَ: لَيسَتْ بِذَلولٍ تُثيرُ الأرضَ، ولا تَسْقي الحَرْثَ(٥).

وَيَعْني بِقولِه: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: تَقلِبُ الأرضَ لِلْحَرْثِ، يُقال منه: أثَرْتُ الأرضَ أُثيرُها إثارةً، إذا قَلَبْتَها لِلزَّرْعِ. وإنما وصَفَها جَلَّ ثَناؤه بهذه الصِّفة؛ لأنَّها كانتْ - فيما قِيلَ - وحْشيَّةً.

١٢٥١- **حدثني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا جوَيْبِر، عن كَثير بن زياد، عن الحسن قال: كانتْ وحْشيَّةً(٦).

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾

وَمعنى: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: مُفَعَّلَةٌ، من السَّلامة، يُقال منه: سُلِّمَتْ تُسَلَّمُ فَهيَ مُسَلَّمةٌ.

ثُمَّ اختَلَفَ أهلُ التَّأويل في المعنى الذي سُلِّمَتْ منهُ، فَوَصَفَها اللَّهُ بالسَّلامةِ منه.

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٣) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٤) [صحيح] الأعرج هو حميد بن قيس الأعرج ثقة من رجال الصحيحين، وحديثه عن مجاهد على شرطهما، وابن جريج معاصر له ومن نفس طبقته، والسند إليه صحيح كما عند ابن أبي حاتم في التفسير فقال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن الأعرج، عن مجاهد: لا ذلول تثير الأرض، يقول: ليست بذلول بفعل ذلك. اهـ أما سند المصنف فضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج. والعلم عند الله.

(٥) [حسن] الحسين المصيصي صدوق في غير شيخه الحجاج، وأبو سفيان هو محمد بن حميد اليشكري المعمري البصري، ثقة.

(٦) [ضعيف] جويبر بن سعيد الأزدي متروك.

فقال مُجاهِد بما:

١٢٥٢ - **حدَّثنا** به مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾. يقول: مُسَلَّمةٌ من الشِّيَةِ، و﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾: لا بَياض فيها ولا سَواد[١].

١٢٥٣ - **حدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله[٢].

١٢٥٤ - **حدَّثنا** القاسِم قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال، قال مُجاهِد: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾. قال: مُسَلَّمةٌ من الشِّيَةِ، ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾: لا بَياض فيها ولا سَواد[٣].

وقال آخَرونَ: مُسَلَّمةٌ من العُيوبِ.

ذكر مَن قال ذلك:

١٢٥٥ - **حدَّثنا** بِشر، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾. أيْ: مُسَلَّمةٌ من العُيوبِ[٤].

١٢٥٦ - **حدَّثنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾. يقول: لا عَيْب فيها[٥].

١٢٥٧ - **حدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾. يَعْني: مُسَلَّمةٌ من العُيوب[٦].

١٢٥٨ - **حُدِّثْتُ** عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع بِمِثْلِهِ[٧].

١٢٥٩ - **حدَّثنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: قال ابن عَبَّاس: قوله: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: لا عَوارَ فيها[٨].

والذي قاله ابن عَبَّاس وأبو العالية ومَنْ قال بِمِثْلِ قولِهما في تأويل ذلك، أولَى بِتأويلِ الآية

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٣) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٥) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٦) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٧) [ضعيف] تقدم قبله، وهذا من معلقات المصنف.

(٨) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يدرك ابن عباس، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

مِمَّا قاله مُجاهِد؛ لأنَّ سَلامَتَها لو كانتْ من سائِرِ أنْواعِ الألوانِ سِوَى لونِ جِلْدِها، لَكان في قوله: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾. مُكْتَفًى عن قوله: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾. وَفي قوله: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ ما يوَضِّح عن أنَّ معنى قوله: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾. غَيْرُ معنى قوله: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾. وإذْ كان ذلك كذلك، فَمعنى الكَلام أنَّه يقول: إنَّها بَقَرةٌ لم تُذلِّلها إثارةُ الأرْضِ وقَلْبُها لِلْحِراثةِ ولا السُّنُوُّ عليها لِلْمزارِعِ، وهيَ مع ذلك صَحيحةٌ مُسَلَّمةٌ من العُيوب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾

يَعْني بِقولِه: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾: لا لون فيها يُخالِفُ لون جِلْدها. وَأصْلُه من: وَشْي الثَّوْبِ. وهو تَحسينُ عُيوبِه التي تَكون فيه بِضُروبٍ مُخْتَلِفة من ألوان سَدَاه ولُحمتُه، يُقال منه: وشَيْتُ الثَّوْبَ فأنا أشِيه شِيَةً ووَشْيًا. وَمنه قِيلَ لِلسَّاعي بالرَّجُلِ إلى السُّلْطان أو غَيْره: واشٍ، لِكَذِبه عليه عندَه وتَحْسينِه كذِبَه بالأباطيلِ، يُقال منه: وشَيْتُ به إلى السُّلْطان وِشايَةً. وَمنه قول كَعْب بن زُهَيْر:

تَسْعَى الوُشاةُ بِجَنْبَيْها وقولُهمُ إنك يا ابنَ أبي سُلْمَى لَمَقْتولُ[1]

والوُشاةُ جَمْع واشٍ، يَعْني أنَّهم يَتَقَوَّلونَ بالأباطيلِ، ويُخْبِرونَه أنَّه إنْ لَحِقَ بالنَّبيِّ ﷺ قَتَلَه.

وَقد زَعَمَ بعض أهل العربيَّة أنَّ الوَشْيَ العَلامةُ. وذلك لا معنى له، إلاَّ أنْ يكون أرادَ بِذلك تَحْسينَ الثَّوْبِ بالأعْلامِ؛ لأنَّه معلومٌ أنَّ القائل: وشَيْتُ بِفُلانٍ إلى فُلانٍ. غَيْرُ جائِزٍ أنْ يُتَوَهَّم عليه أنَّه أرادَ: جَعَلْتُ له عندَه عَلامةً.

وَإنما قيلَ: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ وهيَ من: وشَيْتُ؛ لأنَّ الواوَ لَمَّا أُسْقِطَتْ من أوَّلِها أُبْدِلَتْ مَكانَها الهاءُ في آخِرِها، كما قيلَ: وَزَنْتُه زِنَةً، ووَسَيْتُه سِيَةً، ووَعَدْتُه عِدَةً، ووَدَيْتُه دِيَةً.

وبِمِثْلِ الذي قُلْنا في معنى قوله: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ قال أهلُ التَّأويل.

١٢٦٠- **حَدَّثنا** بِشْر بن مُعاذ، قال، ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ أيْ: لا بَياضَ فيها[2].

---

(١) [البسيط]القائل: كعب بن زهير (مخضرم). وهذا البيت من قصيدته النفيسة التي قال في مطلعها:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ

اللغة: الوشاة: جمع (واش): وهم الذين يتقولون بالأباطيل والكذب. جنابيها: حول ناقته عندما عزم على الذهاب إلى رسول الله الذي قد كان أهدر دمه بعدما هجاه. المعنى: يتحدث الشاعر مصورا الحالة النفسية التي كان يعني قبل أن يذهب لرسول الله ﷺ وينشده القصيدة فيقول: قبل الذهاب إليك التف الناس حول ناقتي يهولون عليَّ الأمر ويشنعون بما ستحديثه فيَّ إذا ما جئتك، وقالوا لي إنك يا ابن أبي سُلمى ستقتل، ولكن ثقتي بالله وبكرمك جعلتني أمضي في طريقي وأقف بين يديك، وأخرست ألسنتهم بقولي:

فَقُلتُ خَلّوا طَريقي لا أَبا لَكُمُ فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَنُ مَفعولُ

اتركوني أمضي للنبي ﷺ فإن ما قدره الله - سبحانه وتعالى - سيحدث لا محالة؛ فكان الجزاء كما توقع زهير أن خلع النبي ﷺ بردته وآمنه.

(٢) [حسن]من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

١٢٦١- حَدَّثَنا الحَسَنُ، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر عن قَتادةَ، مِثْله [(١)].

١٢٦٢- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا آدم. قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾. يقول: لا بَياض فيها [(٢)].

١٢٦٣- حَدَّثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾. أيْ: لا بَياضَ فيها ولا سَواد [(٣)].

١٢٦٤- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله [(٤)].

١٢٦٥- حَدَّثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن إدْريس، عن أبيهِ، عن عَطيّة: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾. قال: لونها واحِدٌ، لَيْسَ فيها لونٌ سِوَى لونِها [(٥)].

١٢٦٦- حَدَّثَني موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيّ: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾: من بَياضٍ ولا سَوادٍ ولا حُمْرةٍ [(٦)].

١٢٦٧- حَدَّثَني يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾: هي صَفْراءُ لَيْسَ فيها بَياضٌ ولا سَوادٌ [(٧)].

١٢٦٨- حُدِّثت عن عمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ يقول: لا بَياضَ فيها [(٨)].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾

اختلَفَ أهل التَّأويل في تأويل قوله: ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾. فَقال بعضهم: معنى ذلك: الآن بَيَّنْتَ لنا الحَقَّ فَتبَيَّنّاهُ، وعرَفْنا أيَةَ بقَرةٍ عَنيت. ومِمَّنْ قال ذلك قَتادةُ.

١٢٦٩- حَدَّثنا بِشْر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾. أيْ: الآن بَيَّنْتَ لَنا [(٩)].

---

(١) [صحيح]أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢) [ضعيف]المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [حسن]من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤) [حسن]تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٥) [صحيح]لعطية العوفي، وهو ضعيف ولكنه قوله هو.

(٦) [ضعيف]من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٧) [صحيح]سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٨) [ضعيف]من معلقات المصنف.

(٩) [حسن]من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

وَقال بعضهم: ذلك خَبَرٌ من اللَّه جَلَّ ثَنَاؤه عن القَوْم أنَّهم نَسَبوا نبيَّ اللَّه موسَى صَلَوات اللَّه عليه إلى أنَّه لم يكُنْ يَأتِيهم بالحَقِّ في أمْرِ البقَرة قَبْل ذلك.

وَمِمَّنْ رُوِيَ عنه معنى هذا القول عبد الرَّحْمَن بن زَيْد.

١٢٧٠ - **حَدَّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: اضْطُرُّوا إلى بَقَرةٍ لا يَعْلَمونَ على صِفَتها غَيْرِها، وهيَ صَفْراءُ لَيْسَ فيها سَوادٌ ولا بَياضٌ، فَقالوا: هذه بَقَرة فُلان، ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾. وقَبْل ذلك واللَّهِ قد جاءَهم بالحَقِّ[(١)].

وَأولَى التَّأويلَيْنِ عندنا بِقولِه: ﴿قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾. قول قَتادةَ، وهو أنَّ تأويلَه: الآن بَيَّنْتَ لنا الحَقَّ في أمْرِ البقَر، فَعرَفْنا أيُّها الواجِبُ علينا ذَبْحُها منها؛ لأنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤه قد أخْبَرَ عنهم أنَّهم قد أطاعوه، فَذَبَحوها بعد قِيلِهم هذا مع غِلَظ مُؤنةِ ذَبْحِها عليهم وثِقَل أمْرِها، فَقال: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾. وإنْ كانوا قد قالوا - بِقولِهم: الآن بَيَّنْتَ لنا الحَقَّ - هُراءً من القول، وأتَوْا خَطَأً وجَهْلاً من الأمْر، وَذلك أنَّ نَبيّ اللَّه موسَى ﷺ كان مُبَيِّنًا لهم - في كُلِّ مسألة سَألوها إيَّاهُ، ورَدٍّ رادُّوه في أمْرِ البقَرة الحَقَّ، وَإنما يُقال: الآن بَيَّنْت لنا الحَقَّ لِمَنْ لم يكُنْ مُبَيِّنًا قَبْل ذلك، فَأمَّا مَنْ كان كُلُّ قِيلِه - فيما أبانَ عن اللَّهِ تعالى ذِكْرُه - حَقًّا وبيانًا، فَغَيْرُ جائزٍ أنْ يُقال له في بعضِ ما أبانَ عن اللَّهِ في أمْرِه ونَهْيِه، وأدَّى عنه إلى عِبادِه من فَرائِضه التي أوجَبَها عليهم: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾. كَأنَّه لم يكُنْ جاءَهم بالحَقِّ قَبْلَ ذلك.

وَقد كان بعضُ مَنْ سَلَفَ يَزْعُمُ أنَّ القَوْم ارْتَدُّوا عن دينِهم، وكَفَروا بِقولِهم لِموسَى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾. ويَزْعُمُ أنَّهم نَفَوْا أنْ يكونَ موسَى أتاهم بالحَقِّ في أمْرِ البقَرةِ قَبْل ذلك، وأنَّ ذلك من فِعْلِهم وقيلِهم كُفْرٌ. وَلَيْسَ الذي قال من ذلك عندنا كما قال؛ لأنَّهم أذْعَنوا بالطَّاعةِ بِذَبْحِها، وإنْ كان قِيلُهم الذي قالوه لِموسَى جَهْلةً منهم وهَفْوَةً من هَفَواتِهِمْ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ۝٧١﴾

يَعْني بِقولِه: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾: فَذَبَحَ قَوْم موسَى البقَرة التي وصَفَها اللَّه لهم وأمَرَهم بِذَبْحِها.

وَيَعْني بِقولِه: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ أيْ: قارَبوا أنْ يَدَعوا ذَبْحَها، ويَتْرُكوا فَرْض اللَّه عليهم في ذلك.

ثُمَّ اخْتَلَفَ أهل التَّأويل في السَّبَب الذي من أجْله كادوا أنْ يُضَيِّعوا فَرْض اللَّه عليهم في ذَبْح ما أمَرَهم بِذَبْحِه من ذلك:

فَقال بعضهم: ذلك السَّبَبُ كان غَلاءَ ثَمَن البقَرة التي أُمِروا بِذَبْحِها وبُيِّنَتْ لهم صِفَتُها.

ذكر من قال ذلك:

١٢٧١ - **حَدَّثَنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا أبو معشَر المَدَنيّ،

---

(١) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

عن مُحَمَّد بن كَعْب القُرَظيِّ في قوله: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ قال: لِغَلاءِ ثَمَنِها[١].

١٢٧٢- حدّثنا مُحَمَّد بن عبد اللَّه بن عُبَيْد الهِلاليُّ، قال: ثنا عبد العَزيز بن الخَطَّاب، قال: ثنا أبو معشَر، عن مُحَمَّد بن كَعْب القُرَظيّ: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ قال: من كَثْرة قيمَتها[٢].

١٢٧٣- حدّثنا القاسِم، قال: أخبرَنا الحُسَيْن، قال: ثنا حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد، وحَجَّاجٌ، عن أبي معشَر، عن مُحَمَّد بن كَعْب القُرَظيّ، ومُحَمَّد بن قَيْس - في حَديث فيه طول، ذَكَرَ أنَّ حَديث بعضهم دَخَلَ في حَديث بعض - قولَه: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾: لِكَثْرةِ الثَّمَن - أخَذوها بِمِلْءِ مَسْكها ذَهَبًا من مال المَقْتول، فكان سَواء، لم يكُنْ فيه فَضْل فَذَبَحوها[٣].

١٢٧٤- حُدِّثت عن المِنْجاب، قال: ثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ يقول: كادوا لا يَفْعَلونَ، وَلم يكُنْ الذي أرادوا؛ لأنَّهم أرادوا ألا يَذْبَحوها، وكُلُّ شَيْءٍ في القُرْآن (كادَ) و(كادوا) و(لو) فإنَّه لا يكون، وهو مِثْل قوله: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥][٤].

وَقال آخَرونَ: لم يكادوا أنْ يَفْعَلوا ذلك خَوْفَ الفَضيحةِ إنْ أَطْلَعَ اللَّهُ على قاتِل القَتيل الذي اختَصَموا فيه إلى موسَى.

والصَّواب من التَّأويل عندنا أنَّ القَوْم لم يكادوا يَفْعَلونَ ما أمَرَهم اللَّهُ به من ذَبْح البقَرة لِلْخَلَّتَيْنِ كِلْتَيْهِما؛ إحداهُما: غَلاءُ ثَمَنِها مع ما ذُكِرَ ما لنا من صِغَر خَطَرِها وقِلَّة قيمَتها. والأُخْرَى: خَوْفُ عَظيم الفَضيحة على أنْفُسهم بإظْهارِ اللَّهِ نَبيّه موسَى صَلَوات اللَّه عليه وأتْباعَهُ على قاتِله.

فأمَّا غلاء ثمَنها فإنه قد رُوِيَ لنا فيه ضروب من الرِّوايات:

١٢٧٥- فحدّثني موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ، قال: اشْتَرَوْها بِوَزْنِها عَشر مَرَّات ذَهَبًا، فَباعَهم صاحِبُها إيَّاها وأخَذَ ثَمَنها[٥].

١٢٧٦- حدّثنا مُحَمَّد بن عبد الأعْلَى، قال: ثنا المُعْتَمِر بن سُلَيْمان، قال: سَمِعْت أيّوب،

---

(١) [ضعيف] فيه أبو معشر، ضعيف.

(٢) [ضعيف] نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني مولى بني هاشم وهو والد محمد بن أبي معشر المدني، ضعيف.

(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج، نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني مولى بني هاشم وهو والد محمد بن أبي معشر المدني، ضعيف.

(٤) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٥) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

عن مُحَمَّد بن سيرينَ، عن عَبِيدةَ قال: اشْتَرَوْها بِمِلْءِ جِلْدِها دَنانير(١).

١٢٧٧- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: كانتِ البقَرةُ لِرَجُلٍ يَبَرَّ أُمَّه فرَزَقَه اللَّه أنْ جَعَلَ تِلْكَ البقَرةُ لهُ، فَباعَها بِمِلْءِ جِلْدها ذَهَبًا(٢).

١٢٧٨- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، قال: حَدَّثَني خالِد بن يَزيد، عن مُجاهِد، قال: أعْطَوْا صاحِبها مِلْء مَسْكها ذَهَبًا فَباعَها منهم(٣).

١٢٧٩- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا إسماعيل بنُ عبد الكَريم، قال: حَدَّثَني عبد الصَّمَد بن معقِل أنَّه سَمِعَ وهْبًا يقول: اشْتَرَوْها منه على أنْ يَمْلَئوا له جِلْدها دَنانير، ثُمَّ ذَبَحوها فَعَمَدوا إلى جِلْد البقَرة فَمَلَئوه دَنانير، ثم دَفَعوها إليهِ(٤).

١٢٨٠- حَدَّثَني مُحَمَّد بنُ سَعدٍ، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عمِّي، قال: حَدَّثَني أبي، عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس، قال: وجَدوها عند رَجُل يَزْعُم أنَّه لَيْسَ بائِعها بِمالٍ أبَدًا، فَلم يَزالوا به حتَّى جَعَلوا له أنْ يَسْلُخوا له مَسْكها فَيَمْلَئوه له دَنانير، فَرَضيَ به فَأعْطاهم إيَّاها(٥).

١٢٨١- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية، قال: لم يجِدوها إلاَّ عند عَجوز، وإنها سَألَتْهم أضْعاف ثَمَنها، فَقال لهم موسَى: أعْطَوْها رِضاها وحُكْمها. فَفَعَلوا، واشْتَرَوْها فَذَبَحوها(٦).

١٢٨٢- حَدَّثَنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، قال: قال أيّوب، عن ابن سيرينَ، عن عَبِيدةَ، قال: لم يجِدوا هذه البقَرة إلاَّ عند رَجُل واحِد، فَباعَها بِوَزْنِها ذَهَبًا - أو مِلْء مَسْكِها ذَهَبًا - فَذَبَحوها(٧).

١٢٨٣- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن هِشام بن حَسَّان، عن مُحَمَّد بن سيرينَ، عن عَبِيدةَ السَّلْمانيّ، قال: وجَدوا البقَرة عند رَجُل، فَقال: إنِّي لا أبيعها إلاَّ بملء جِلْدها ذَهَبًا! فاشْتَرَوْها بملء جِلْدها ذَهَبًا(٨).

١٢٨٤- حَدَّثَني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: جَعَلوا يَزيدونَ صاحِبَها

---

(١) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣) [ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٤) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٥) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٦) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٧) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٨) [صحيح] تقدم قبله، وهذا فيه المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

حتَّى مَلَئوا له مَسْكها - وهو جِلْدها - ذَهَبًا(١) .

وَأمَّا صِغَر خَطَرها وقِلّة قيمَتها، فإن:

١٢٨٥- **الحسن بن يَحيَى حَدَّثَنا**، قال: ثنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا ابن عُيَيْنةَ، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن سُوقَة، عن عِكْرِمة، قال: ما كان ثَمَنُها إلاَّ ثَلاثة دَنانير(٢) .

وَأمَّا ما قُلنا من خَوفهم الفَضيحة على أنفسهم:

فَإن وهب بن مُنَبِّه كان يقول: إنَّ القَوْم إذْ أُمِروا بِذَبْح البقَرة إنَّما قالوا لِموسَى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ لِعِلْمِهم بِأنهم سَيُفْتَضحونَ إذا ذُبِحَتْ فَحادوا عن ذَبْحها .

١٢٨٦- **حُدِّثت** بِذلك عن إسماعيل بن عبد الكَريم، عن عبد الصَّمَد بن معقِل، عن وهب بن مُنَبِّه(٣) .

وَكان ابن عَبَّاس يقول: إنَّ القَوْم بعد أنْ أحيا اللَّه المَيِّت فَأخْبَرَهم بِقاتِلِهِ، أنْكَرتْ قَتَلَتُه قَتْله، فَقالوا: واللَّه ما قَتَلْناهُ!! بعد أنْ رَأوا الآية والحَقَّ .

١٢٨٧- **حَدَّثني** بِذلك مُحَمَّد بن سعدٍ، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثني أبي عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس(٤) .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾: واذْكُروا يا بَني إسرائيل إذْ قَتَلْتُم نَفْسًا. والنَّفْسُ التي قَتَلوها هي النَّفْسُ التي ذَكَرْنا قِصَّتها في تأويل قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ .

وَقوله: ﴿فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾. يَعْني: فاختَلَفْتُم وتَنازَعتُمْ. وإنما هو (فَتَدارَأْتُم فيها). على مِثال تَفاعَلْتُم من الدَّرْء، والدَّرْء: العِوَجُ، ومنه قول أبي النَّجْم العِجْليّ:

خَشْيَةَ طَغَّام إذا هَمَّ جَسَرْ
يَأكُلُ ذا الدَّرْءِ ويُقْصي مَن حَقَرْ(٥)

---

(١) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله .

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، و محمد بن سوقة الغنوي أبو بكر الكوفي العابد، ثقة مرضي .

(٣) [ضعيف] من معلقات المصنف .

(٤) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء .

(٥) [البسيط] القائل: أبو النجم العجلي. اللغة: والضغام من الضغم: وهو أن يملأ فمه مما أهوى إليه. وجسر جسورا وجسارة مضى ونفذ من شدة إقدامه. المعنى: يقول الشاعر: أنه لا يقع إلا على من يقاوم ويدفع عن نفسه، ويعشر فيه بقوة، أما من حقر وهان فإنه لا يعبأ به لأنه ليس نِدًا له، وهذا دليل على الشجاعة والقوة لأن من يقصد الضعيف فلا يحمد له الانتصار؛ لأن الخصم ضعيف، أمّا من يقصد الجسور القوي ويغلبه فهذا من يوصف بالشجاعة .

يَعْني: ذا العِوَج والعُسْر، ومنه قول رُؤبة بن العَجَّاج:

أدْرَكْتُها قُدَّامَ كُلِّ مِدْرَهِ
بالدَّفْعِ عَنِّي دَرْءَ كُلِّ عُنْجُهِ [١]

وَمنه الخَبَر الذي:

١٢٨٨- **حدّثنا** به أبو كُرَيْب، قال: ثنا مُصْعَب بن المِقْدام، عن إسرائيل، عن إبراهيم بن المُهاجِر، عن مُجاهِد، عن السَّائِب، قال: جاءني عُثْمان وزُهَيْرٌ ابنا أُمَيَّة، فاستأذَنا لي على رَسول اللَّه ﷺ، فَقال رَسول اللَّه ﷺ: «**أنا أعْلَمُ به منكُما، ألم تَكُنْ شَريكي في الجاهِلِيَّة؟**» قُلْت: نَعَم بِأبي أنتَ وأُمِّي، فَنِعْمَ الشَّريك، كُنْت لا تُماري ولا تُداري [٢].

يَعْني بِقولِه: لا تُداري: لا تُخالِف رَفيقك وشَريكك ولا تُنازِعه ولا تُشارُّه.

وإنَّما أصْل ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾ فَتَدارَأْتُم، ولَكِنَّ التَّاء قَريبة من مَخْرَج الدَّال - وذلك أنَّ مَخْرَج التَّاء من طَرَف اللِّسان وأُصول الثَّنِيَّتَيْنِ، ومَخْرَج الدَّال من طَرَف اللِّسان وأطراف الثَّنِيَّتَيْنِ - فَأُدْغِمَتِ التَّاء في الدَّال فَجُعِلَتْ دالاً مُشَدَّدة، كما قال الشَّاعِر:

تُولِي الضَّجيعَ إذا ما استافَها خَصِرًا عَذْبَ المَذاقِ إذا ما اتَّابَعَ القُبَلُ [٣]

يُريد: إذا ما تَتابَعَ القُبَل. فَأَدْغَم إحدَى التَّاءَيْنِ في الأُخْرَى.

فَلَمَّا أُدْغِمَتِ التَّاء في الدَّال فَجُعِلَتْ دالاً مِثْلها سَكَنَتْ، فَجَلَبوا أَلِفًا لِيَصِلوا إلى الكَلام بها، وذلك إذا كان قَبْله شَيْء؛ لأنَّ الإدْغام لا يكون إلاَّ وقَبْله شَيْء، ومنه قول اللَّه جَلَّ ثَناؤه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا﴾ [الأعراف: ٣٨] إنَّما هو تَدارَكوا. ولَكِنَّ التَّاء منها أُدْغِمَتْ في الدَّال فَصارَتْ

(١) [الرجز] القائل: رؤبة بن العجاج. الرواية كما جاءت في ديوانه:

أدْرَكْتُها قُدَّامَ كُلِّ مِدْرَهِ بِالدَّفْعِ عَنِّي دَرْءَ كُلِّ عُنْجُهِي

اللغة: مدره: هو المدافع الذي يقدم عند الخصومة، بلسان أو يد. درء: الدَّرْءُ الدَّفْع دَرَأَهُ يَدْرَؤُهُ دَرْءًا ودَرْأَةً دَفَعَهُ وتَدارَأَ القومُ تَدافَعوا في الخصومة. عنجه: و(عنجهي) في ديوانه ومعناه ذو الكبر والعظمة حتى كاد يبلغ الجهل والحمق ومنه العنجهية. المعنى: يقول الشاعر: أدركت خصومتي أمام كلِّ قويٍّ يستطيع الثبات أمامي والدفاع عن نفسه عند الخصومة؛ فأدركها بأن دفعت عن نفسي كل قوي متكبر متجبر؛ فالبيت يشابه إلى حد كبير البيت الماضي في اختيار الخصم القوي للخصومة والابتعاد عن الهين الضعيف.

(٢) [حسن] أخرجه أحمد [٣/ ٣٢٥/ ١٥٥٨٧]، وأبو داود [٤٨٣٦]، وابن ماجه [٢٢٨٧] من طرق عن (عَبْد الرَّحْمن بن مَهْدِي، ويحيى بن سعيد القطان) كلاهما عن سُفْيان الثَّوْرِي، عن إبراهيم بن مُهاجِر عن مُجاهِد، عن قائد السَّائِب، فذكره. وابن مهاجر يكتب حديثه وقد تابعه عبد الله بن خثيم. وقد تقدم في تخريج البيهقي [١١٤٢٢- ١١٤٢٣].

(٣) [البسيط] القائل: لم أهتد إليه. اللغة: استافها: ساف الشيء يسوفه سوفا واستافه؛ أي دنا منه وشمه، واستعاره للقبلة، وقال الزمخشري: (ساوفتها) ضاجعتها. خصرا: بردا. اتّابعَ القُبَل: يريد إذا ما قبلها القبلة تلو الأخرى. المعنى: يقول الشاعر متحدثا عن امرأة بشكل من الإباحية فيقول: إن ضاجعتها تجد فمها عند تقبيلها القبلة تلو الأخرى عذب المذاق باردا فلا تمل من أن تتابع التقبيل.

دالاً مُشَدَّدة، وجَعِلَتْ فيها أَلِف - إذا وُصِلَتْ بِكَلامٍ - قَبْلها لِيسْلَمَ الإدْغام، وإذا لم يكُنْ قَبْلَ ذلك ما يواصِلهُ، وابْتُدِئَ بِهِ، قِيلَ: تَدارَكوا وتَثاقَلوا، فَأَظْهَروا الإدْغام، وقد قِيلَ: يُقال: ادَّارَكوا وادَّارَءوا.

وَقد قِيلَ إنَّ معنى قوله: ﴿فَٱدَّٰرَءۡتُمۡ فِيهَاۖ﴾: فَتَدافعْتُم فيها. من قول القائِل: دَرَأْتُ هذا الأمْر عَنِّي. ومن قول اللَّه: ﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ [النور: ٨] بمعنى يَدْفَع عنها العَذاب.

وَهذا قول قَريب المعنى من القول الأوَّل؛ لأنَّ القَوْم إنَّما تَدافَعوا قَتْل قَتيل، فانتَفَى كُلُّ فَريق منهم أنْ يكون قاتِله، كما قد بَيَّنَّا قَبْل فيما مَضَى من كِتابنا هذا.

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في معنى قوله: ﴿فَٱدَّٰرَءۡتُمۡ فِيهَاۖ﴾ قال أهل التَّأويل.

١٢٨٩ - **حَدَّثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَني عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿فَٱدَّٰرَءۡتُمۡ فِيهَاۖ﴾. قال: اختَلَفْتُم فيها (١).

١٢٩٠ - **حَدَّثَنا** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله (٢).

١٢٩١ - **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَءۡتُمۡ فِيهَاۖ﴾؛ قال بعضهم: أنتم قَتَلْتُموهُ. وقال الآخَرونَ: أنتم قَتَلْتُموهُ (٣).

١٢٩٢ - **حَدَّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿فَٱدَّٰرَءۡتُمۡ فِيهَاۖ﴾ قال: اختَلَفْتُمْ، وهو التَّنازُع؛ تَنازَعوا فيه، قال: قال هؤلاء: أنتم قَتَلْتُموهُ. وقال هؤلاء: لا (٤).

وَكان تَدارُؤُهم في النَّفْس التي قَتَلوها، كَما:

١٢٩٣ - **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عَمْرٍو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: صاحِب البقَرة رَجُل من بَني إسرائيل، قَتَلَه رَجُل فَألقاه على باب ناس آخَرينَ، فَجاء أولياء المَقْتول فادَّعَوْا دَمه عندهم فانتَفَوْا - أو انتَفَلوا - منهُ. شَكَّ أبو عاصِم (٥).

١٢٩٤ - **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد بِمِثْلِه سَواء، إلاَّ أنَّه قال: فادَّعَوْا دَمه عندهمْ، فانتَفَوْا. ولم يَشُكَّ فيه (٦).

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٥) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٦) [حسن] تقد قبله، وهذا سند ضعيف فيه المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

١٢٩٥- **حدثنا** بِشر، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ، قال: قَتيل كان في بَني إسرائيل فَقَذَفَ كُلُّ سِبْط منهم، حتَّى تَفاقَمَ بينهم الشَّرُّ، حتَّى تَرافَعوا في ذلك إلى نَبيِّ اللَّه ﷺ، فَأوحَى اللَّه إلى موسَى أنْ اذْبَحْ بَقَرة فاضْرِبْه بِبعضِها، فذُكِرَ لنا أنَّ وليّه الذي كان يَطْلُب بِدَمِه هو الذي قَتَلَه من أجْل ميراث كان بينهم(١).

١٢٩٦- **حَدثَني** ابن سعدٍ، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عمِّي، قال: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس في شَأن البقَرة: وذلك أنَّ شَيْخًا من بَني إسرائيل على عَهْد موسَى كان مُكْثِرًا من المال، وكان بَنو أخيه فُقَراء لا مال لهم، وكان الشَّيْخ لا ولَد لهُ، وكان بَنو أخيه ورَثَته، فَقالوا: لَيتَ عَمَّنا قد ماتَ فَورِثْنا ماله. وَإنه لَمَّا تَطاوَلَ عليهم ألا يَموت عَمّهم أتاهم الشَّيْطان، فَقال: هَلْ لكم إلَي أنْ تَقْتُلوا عَمّكُم فَتَرِثوا ماله، وتُغَرِّموا أهل المَدينة التي لَسْتُم بها دِيَته؟ - وذلك أنَّهما كانتا مَدينَتَيْنِ كانوا في إحداهُما، فكان القَتيل إذا قُتِلَ وطُرِحَ بين المَدينَتَيْنِ، قيسَ ما بين القَتيل وما بين المَدينَتَيْنِ، فَأيهما كانتْ أقْرَب إليه غَرِمَتِ الدية - وَأنهم لَمَّا سَوَّلَ لهم الشَّيْطان ذلك وتَطاوَلَ عليهم ألا يَموت عَمهم، عَمَدوا إليه فَقَتَلوهُ، ثُمَّ عَمَدوا فَطَرَحوه على باب المَدينة التي لَيْسوا فيها. فَلَمَّا أصْبَحَ أهل المَدينة جاء بَنو أخي الشَّيْخ، فَقالوا: عَمُّنا قُتِلَ على باب مَدينَتِكُمْ، فَواللَّه لَتَغْرَمُنَّ لنا دية عَمِّنا!! فقال أهل المَدينة: نُقْسِم باللَّه ما قَتَلْنا ولا عَلِمْنا قاتِلاً ولا فَتَحْنا باب مَدينَتنا مُنذُ أُغْلِقَ حتَّى أصْبَحْنا!! وَإنَّهم عَمَدوا إلى موسَى، فَلَمَّا أتَوْا قال بَنو أخي الشَّيْخ: عَمُّنا وجَدْناه مَقْتولاً على باب مَدينَتِهِمْ. وقال أهل المَدينة: نُقْسِم باللَّه ما قَتَلْناه ولا علمنا قاتلاً ولا فَتَحنا باب المَدينة من حين أغْلَقْناه حتَّى أصْبَحْنا. وَأنَّ جِبْريل جاء بِأمْرِ رَبِّنا السَّميع العَليم إلى موسَى، فَقال: قُلْ لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فَتَضربوه بِبعضِها(٢).

١٢٩٧- **حدثنا** القاسِم، قال: ثنا حُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن مُجاهِد، وحَجَّاج عن أبي معشَر، عن مُحَمَّد بن كَعْب القُرَظيّ، ومُحَمَّد بن قَيْس - دَخَلَ حَديث بعضهم في حَديث بعض - قالوا: إنَّ سِبْطًا من بني إسرائيل لَمَّا رَأوا كَثْرة شُرور الناس بَنَوْا مدينة فاعْتَزَلوا شرور الناس، فكانوا إذا أمْسَوْا لم يَتْرُكوا أحدًا منهم خارجًا إلا أدخلوه، وإذا أصْبَحوا قام رئيسهم فَنَظَرَ وتَشَرَّفَ فإذا لم ير شيئا فَتَحَ المَدينة فكانوا مع النَّاس حتَّى يُمْسوا، وكان رَجُل من بَني إسرائيل له مال كَثير، ولم يكُنْ له وارِث غَيْر ابن أخيهِ، فَطالَ عليه حَياته، فَقَتَلَه ليَرِثه، ثُمَّ حَمَلَه فَوَضَعَه على باب المَدينة. ثُمَّ كَمَنَ في مَكان هو وأصْحابه، قال: فَتَشَرَّفَ رَئيس المَدينة على باب المَدينة فَنَظَرَ فلم يَرَ شَيْئًا، فَفَتَحَ الباب، فَلَمَّا رَأى القَتيل رَدَّ الباب فَناداه ابن أخي المَقْتول وأصْحابه: هَيْهاتَ! قَتَلْتُموه ثُمَّ تَرُدُّونَ الباب؟! وكان موسَى لَمَّا رَأى القَتْل كَثيرًا في

---

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

أصْحابه بَني إسرائيل كان إذا رَأى القَتيل بين ظَهْرَيْ القَوْم آخَذَهم، فَكادَ يكون بين أخي المَقْتول وبين أهل المَدينة قِتال؛ حتَّى لَبِسَ الفَريقانِ السِّلاح، ثُمَّ كَفَّ بعضهم عن بعض، فَأتَوْا موسَى فَذَكَروا له شَأنهم فَقالوا: يا رَسول اللَّه، إنَّ هؤلاء قَتَلوا قَتيلاً ثُمَّ رَدّوا الباب. وقال أهل المَدينة: يا رَسول اللَّه، قد عَرَفْت اعْتِزالنا الشُّرور وبَنَيْنا مَدينة - كما رَأيْت - نَعْتَزِل شُرور النَّاس، ما قَتَلْنا ولا عَلِمْنا قاتِلاً!! فَأوحَى اللَّه تعالى ذِكْره إليه أنْ يَذْبَحوا بَقَرة، فَقال لهم موسَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ (١).

١٢٩٨ - حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن هِشام بن حَسَّان، عن مُحَمَّد بن سيرينَ، عن عَبيدة، قال: كان في بَني إسرائيل رَجُل عَقيم ولَه مال كَثير، فَقَتَلَه ابن أخ له فَجَرَّه فَألْقاه على باب ناس آخَرينَ. ثُمَّ أصْبَحوا فادَّعاه عليهم حتَّى تَسَلَّحَ هؤلاء وهؤلاء، فَأرادوا أنْ يَقْتَتِلوا، فَقال ذَوو النُّهَى منهم: أتَقْتَتِلونَ وفيكُم نَبيّ اللَّه؟! فَأمْسَكوا حتَّى أتَوْا موسَى، فَقَصّوا عليه القِصّة، فَأمَرَهم أنْ يَذْبَحوا بَقَرة فَيَضْرِبوه بِبعضِها، فَقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ قال: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (٢).

١٢٩٩ - حَدَّثَني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: قَتيلٌ من بَني إسرائيل طُرِحَ في سِبْط من الأسباط، فَأتَى أهل ذلك السِّبْطِ إلى ذلك السِّبْط، فَقالوا: أنتم واللَّه قَتَلْتُم صاحِبنا. فَقالوا: لا واللَّه. فَأتَوْا إلى موسَى فَقالوا: هذا قَتيلنا بين أظْهُرهمْ، وهم واللَّه قَتَلوهُ. فَقالوا: لا واللَّه يا نَبيّ اللَّه طُرِحَ علينا. فَقال لهم موسَى ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ (٣).

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: فَكانَ اختِلافهم وتَنازُعهم وخِصامهم بينهم في أمْر القَتيل الذي ذَكَرْنا أمْره على ما رَوَيْنا عن عُلَمائِنا من أهل التَّأويل، هو الدَّرْء الذي قال اللَّه جَلَّ ثَناؤه لِذُرِّيَّتِهم وبَقايا أولادهمْ: ﴿فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

القول في تأويل قوله: ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

وَيَعْني بِقوله: ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: واللَّه مُعْلِنٌ ما كُنْتُم تُسِرّونَه من قَتْل القَتيل الذي قَتَلْتُم ثُمَّ ادّارَأتُم فيه.

وَمعنى الإخراج في هذا الموضِع: الإظْهار والإعْلان لِمَنْ خَفِيَ ذلك عنه وإطْلاعهم عليهِ، كما قال اللَّه تعالى ذِكْره: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥] يَعْني

(١) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج، ونجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني مولى بني هاشم وهو والد محمد بن أبي معشر المدني، ضعيف.

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

بِذلك: يُظْهِره ويُطْلِعه من مَخْبَئِه بعد خَفائِه.

والذي كانوا يكْتُمونه فأخْرَجَهُ هو قَتْلُ القاتِل القَتيلَ، كما كَتَمَ ذلك القاتِل ومَنْ عَلِمَه مِمَّنْ شايَعَه على ذلك حتَّى أظْهَرَه اللَّهُ وأخْرَجَهُ، فأعْلَنَ أمْره لِمَنْ لا يَعْلَم أمْره.

وَعَنَى جَلَّ ثَنَاؤه بقولِه: ﴿تَكْتُمُونَ﴾: تُسِرُّونَ وتَغيبونَ، كَما:

١٣٠٠ - **حدّثنا** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: تُغَيِّبونَ (١).

١٣٠١ - **حدّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شبلَ، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: ما كُنْتُم تُغَيِّبونَ (٢).

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾

يَعْني جَلَّ ذِكْره بقولِه: ﴿فَقُلْنَا﴾: لِقَوْمِ موسَى الذينَ ادَّارَءوا في القَتيل - الذي قد تَقَدَّمَ وصْفنا أمْره -: اضْرِبوا القَتيل.

والهاء التي في قوله: ﴿اضْرِبُوهُ﴾ من ذِكْر القَتيل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ أيْ: بِبعضِ البقَرة التي أمَرَهم اللَّه بِذَبْحِها فَذَبَحوها.

ثُمَّ اختَلَفَ العُلَماء في البعْض الذي ضُرِبَ به القَتيل من البقَرة وأيِّ عُضو كان ذلك منها، فَقال بعضهم: ضُرِبَ بِفَخِذِ البقَرة القَتيلُ.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٣٠٢ - **حدّثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: ضُرِبَ بِفَخِذِ البقَرة، فَقامَ حَيًّا، فَقال: قَتَلَني فُلان. ثُمَّ عادَ في مِيتَتِهِ (٣).

١٣٠٣ - **حدّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال، ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: ضُرِبَ بِفَخِذِ البقَرة. ثُمَّ ذَكَرَ مِثْله (٤).

١٣٠٤ - **حدّثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن النَّضْر بن عَرَبيّ، عن عِكْرِمة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ قال: بِفَخِذِها، فَلَمَّا ضُرِبَ بها عاشَ وقال: قَتَلَني فُلان. ثُمَّ عادَ إلى حاله (٥).

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] جابر بن نوح بن جابر ويقال: ابن المختار الحماني أبو بشير الكوفي إمام مسجد بني حمان، ضعيف.

١٣٠٥ - حدثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيفة، قال: ثنا شِبْل، عن خالِد بن يَزيد، عن مُجاهِد، قال: ضُرِبَ بِفَخِذِها الرَّجُل فقامَ حَيًّا، فقال: قَتَلَني فُلان. ثُمَّ عادَ في مِيتَته [(١)].

١٣٠٦ - حدثنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، قال: قال أيّوب عن ابن سيرينَ، عن عَبيدة: ضَرَبوا المَقْتول بِبعضِ لَحمِها. وقال مَعْمَر: قال قَتادة: ضَرَبوه بِلَحْمِ الفَخِذ فَعاشَ، فَقال: قَتَلَني فُلان [(٢)].

١٣٠٧ - حدثنا بِشر، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ، قال: ذُكِرَ لنا أنَّهم ضَرَبوه بِفَخِذِها فَأحياه الله، فَأنبأ بِقاتِلِه الذي قَتَلَه وتَكَلَّمَ، ثُمَّ ماتَ [(٣)].

وَقال آخَرونَ: الذي ضُرِبَ به منها هو البَضْعة التي بين الكَتِفَيْنِ.

ذكر مَن قال ذلك:

١٣٠٨ - حدثني موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيّ: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ﴾: فَضَرَبوه بالبَضْعةِ التي بين الكَتِفَيْنِ فَعاشَ، فَسَألوه: مَنْ قَتَلَك؟ فَقال لهم: ابن أخي [(٤)].

وَقال آخَرونَ: الذي أُمِروا أنْ يَضْرِبوه به منها عَظْمٌ من عِظامها.

ذكر مَن قال ذلك:

١٣٠٩ - حدثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية، قال: أمَرَهم موسَى أنْ يَأخُذوا عَظْمًا منها فَيَضْرِبوا به القَتيل فَفَعَلوا، فَرَجَعَ إليه روحه، فَسَمَّى لهم قاتِله ثُمَّ عادَ مَيِّتًا كما كان. فَأخِذَ قاتِله - وهو الذي أتَى موسَى فَشَكا إليه - فَقَتَلَه الله على أسوَإِ عَمَله [(٥)].

وَقال آخرونَ بما:

١٣١٠ - حدثني به يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ضَرَبوا المَيِّت بِبعضِ آرابِها، فَإذا هو قاعِد، قالوا: مَنْ قَتَلَك؟ قال: ابن أخي.

قال: وكان قَتَلَه وطَرَحَه على ذلك السِّبْط، أرادَ أنْ يَأخُذ دِيَته [(٦)].

---

(١) [**حسن**] تقدم برقم (١٣٠٢)، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٢) [**صحيح**] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣) [**حسن**] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [**ضعيف**] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [**ضعيف**] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٦) [**صحيح**] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

والصَّواب من القول في تأويل قوله عندنا: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ **أنْ يُقال**: أمَرَهم اللَّه جَلَّ ثَنَاؤه أنْ يَضْرِبوا القَتيل بِبعضِ البقَرة ليَحْيا المَضْروب. ولا دَلالة في الآية ولا خَبَر تَقوم به حُجَّة على أيِّ أبْعاضها التي أمَرَ القَوْم أنْ يَضْرِبوا القَتيل به، وجائِز أنْ يكون الذي أُمِروا أنْ يَضْرِبوه به هو الفَخِذ، وجائِز أنْ يكون ذلك الذَّنَب وغُضْروف الكَتِف وغَيْر ذلك من أبْعاضها. ولا يَضُرُّ الجَهْل بِأيِّ ذلك ضَرَبوا القَتيل، ولا يَنْفَع العِلْم به مع الإقْرار بِأنَّ القَوْم قد ضَرَبوا القَتيل بِبعضِ البقَرة بعد ذَبْحها، فَأحياه اللَّه.

فَإنْ قال قائِل: وما كان معنى الأمْر بِضَرْبِ القَتيل بِبعضِها؟

قِيلَ: لِيَحْيا فَيُنْبِئ نَبيّ اللَّه موسَى ﷺ والذينَ ادَّارَءوا فيه مَنْ قاتِله.

فَإنْ قال قائِل: وأيْنَ الخَبَر عن أنَّ اللَّه جَلَّ ثَنَاؤه أمَرَهم بِذلك لِذلك؟

قِيلَ: تُرِكَ ذلك اكْتِفاء بِدَلالةِ ما ذُكِرَ من الكَلام الدَّال عليه، نَحْو الذي ذَكَرْنا من نَظائِر ذلك فيما مَضَى.

وَمعنى الكَلام: فَقُلْنا: اضْرِبوه بِبعضِها ليَحْيا. فَضَرَبوه فَحَيِيَ - كما قال جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] والمعنى: فَضُرِبَ فانفَلَقَ -.

يَدُلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾

وَقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ مُخاطَبة من اللَّه عِباده المُؤْمِنينَ، واحْتِجاج منه على المُشْرِكينَ المُكَذِّبينَ بالبعْثِ، وأمْرُهُم بالاعْتِبارِ بِما كان منه جَلَّ ثَنَاؤه من إحياء قَتيل بَني إسرائيل بعد مَماته في الدُّنْيا، فَقال لهم تعالى ذِكْره: أيّها المُكَذِّبونَ بالبعْثِ بعد المَمات، اعْتَبِروا بإحيائي هذا القَتيلَ بعد مَماته، فَإنِّي كما أحيَيْته في الدُّنْيا فَكَذلك أحيي الموتَى بعد مَماتِهِمْ، فَأبْعَثهم يوم البعْث.

فَإنّما احْتَجَّ جَلَّ ذِكْره بِذلك على مُشْرِكي العرب وهم قَوْم أُمِّيّونَ لا كِتاب لهم؛ لأنَّ الذينَ كانوا يَعْلَمونَ عِلْم ذلك من بَني إسرائيل كانوا بين أظْهُرهم وفيهم نَزَلَتْ هذه الآيات، فَأخْبَرَهم جَلَّ ذِكْره بِذلك لِيَتَعَرَّفوا عِلْم مَنْ قِبَلهِمْ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣﴾

يَعْني جَلَّ ذِكْره: ويُريكُم اللَّه أيّها الكافِرونَ المُكَذِّبونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبِما جاء به من عند اللَّه من آياته - وآياته: أعْلامه وحُجَجه الدَّالة على نُبوَّته - لِتَعْقِلوا وتَفْهَموا أنَّه مُحِقّ صادِق فَتُؤْمِنوا به وتَتَّبِعوه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾

يَعْني بِذلك كُفَّار بَني إسرائيل - وهم فيما ذُكِرَ - بَنو أخي المَقْتول، فَقال لهم: ثُمَّ قَسَتْ قُلوبكُمْ. أيْ: جَفَتْ وغَلُظَتْ وعَسَتْ، كما قال الرَّاجِز:

وَقـد قَـسَـوْتُ وقَـسـا لِـدَّتـي[(١)]

يُقال: قَسا وعَسا وعَتا بِمعنًى واحِد، وذلك إذا جَفا وغَلُظَ وصَلُبَ، يُقال منه: قَسا قَلْبه يَقْسو قَسْوًا وقَسْوة وقَساوة وقَساء.

ويَعْني بِقولِه: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعد أنْ أحيا المَقْتولَ لهم الذي ادَّارَءوا في قَتْله فأخْبَرَهم بقاتِلِه وما السَّبَب الذي من أجْله قَتَلَه. كما قد وصَفْنا قَبْل على ما جاءتِ به الآثار والأخْبار وفَصَلَ اللّه تعالى ذِكْره بخَبَرِه بين المُحِقّ منهم والمُبْطِل. وكانتْ قَساوة قُلوبهم التي وصَفَهم اللّه بها أنَّهم - فيما بَلَغَنا - أنْكَروا أنْ يكونوا هم قَتَلوا القَتيل الذي أحياه اللّه، فأخْبَرَ بَني إسرائيل بأنَّهم كانوا قَتَلَته بعد إخباره إيَّاهم بذلك، وبعد مِيْتَتِهِ الثَّانية. كما:

١٣١١- حَدَّثَني مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمِّي، قال: حَدَّثَني أبي، عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس، قال: لَمَّا ضُرِبَ المَقْتول بِبعضِها - يَعْني بِبعضِ البقَرة - جَلَسَ حَيًّا، فَقيلَ له: مَنْ قَتَلَك؟ فقال: بَنو أخي قَتَلوني. ثُمَّ قُبِضَ، فَقال بَنو أخيه حين قُبِضَ: واللّه ما قَتَلْناه. فَكَذَّبوا بالحَقّ بعد إذْ رَأوهُ، فَقال اللّه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: يَعْني: بَني أخي الشَّيْخ، ﴿فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[(٢)].

١٣١٢- حَدَّثَنا بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، عن سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يقول: من بعد ما أراهم اللّه من إحياء الموتَى، وبعد ما أراهم من أمْر القَتيل ما أراهم، ﴿فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[(٣)].

١٣١٣- حَدَّثَنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخبرنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخبرنا معمرٌ، عن قتادة في قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾: من بعدِ هذه الآيةِ، ﴿فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[(٤)].

١٣١٤- حَدَّثَني المثنَّى، قال: حدثنا آدمُ، قال: حدثنا أبو جعفرٍ، عن الربيع، عن أبى العاليةِ في قولِه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[(٥)].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾

يَعْني بِقولِهِ: ﴿فَهِىَ﴾ قُلوبكُم.

---

(١) [الرجز] القائل: لم أهتدِ لقائله. اللغة: قسوت: قال أبو عبيدة: قَسا القلب يقسو وقد عَتَا وقد عَسَا وقد جَسَا جسوًا بمعنى يبس وصلب. قسا: بمعنى أسن وكبر وولى شبابه، وجف عوده. لداتي: جمع لدة، ولدة الرجل: تربه، ولد معه. المعنى: يقول الشاعر:

لـقـد شـبـت وشـاب أقـرانـي وأصـحـابـي

(٢) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٣) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

يقول: ثُمَّ صَلُبَتْ قُلوبكُم - بعد إذْ رَأيْتُم الحَق فَتَبَيَّنْتُموه وعَرَفْتُموه - عن الخُضوع له والإذْعان لِواجِبِ حَقّ اللَّه عليكُمْ، فَقُلوبكُم كالحِجارةِ صَلابة ويُبْسًا وغِلَظًا وشِدّة، أو أشَدّ صَلابة - يَعْني قُلوبكُم - عن الإذْعان لِواجِبِ حَقّ اللَّه عليهم، والإقْرار له باللّازِمِ من حُقوقه لهم من الحِجارة.

فَإنْ سَألَ سائِل فَقال: وما وجه قوله: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ و (أو) عند أهل العربيَّة إنَّما تأتي في الكَلام لِمعنى الشَّكّ، واللَّه تعالى جَلَّ ذِكْره غَيْر جائِز في خَبَره الشَّكّ؟

قِيلَ: إنَّ ذلك على غَيْر الوَجْه الذي تَوَهَّمْتَه من أنَّه شَكٌّ من اللَّه جَلَّ ذِكْره فيما أخْبَرَ عنهُ، ولَكِنَّه خَبَر منه عن قُلوبهم القاسية أنَّها - عند عِباده الذينَ هم أصْحابها الذينَ كذَّبوا بالحَقّ بعد ما رَأوا العَظيم من آيات اللَّه - كالحِجارةِ قَسْوة أو أشَدّ من الحِجارة عندهم وعند مَنْ عَرَفَ شَأنهمْ.

وقد قال في ذلك جَماعة من أهل العربيَّة أقْوالاً: فَقال بعضهم: إنَّما أرادَ اللَّه جَلَّ ثَناؤه بِقولِه: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ وما أشْبَه ذلك من الأخْبار التي تأتي بـ(أو)، كَقولِه: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[الصافات: ١٤٧] وكَقولِ اللَّه جَلَّ ذِكْره: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سبا: ٢٤] فهو عالِم أيّ ذلك كان.

قالوا: ونَظير ذلك قول القائِل: أكَلْت بُسْرة أو رُطَبة. وهو عالِم أيّ ذلك أكَلَ ولَكِنَّه أبْهَمَ على المُخاطَب، كما قال أبو الأسوَد الدُّيليّ:

أُحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَديدًا وَعَبَّاسًا وحَمْزة والوَصيَّا
فَإنْ يكُ حُبُّهم رَشَدًا أُصِبْهُ وَلَسْت بِمُخْطِئٍ إنْ كان غَيًّا[(١)]

قالوا: ولا شَكَّ أنَّ أبا الأسوَد لم يكُنْ شاكًّا في أنَّ حُبّ مَنْ سَمَّى رَشَد، ولَكِنَّه أبْهَمَ على مَنْ خاطَبَه به. وقد ذُكِرَ عن أبي الأسوَد أنَّه لَمَّا قال هذه الأبْيات قِيلَ له: شَكَكْت؟ فَقال: كَلَّا واللَّه. ثُمَّ انتَزَعَ بِقولِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سبا: ٢٤] فقال: أوَ كان شاكًّا مَنْ أخْبَرَ بهذا في الهادي من الضَّلال؟!

وقال بعضهم: ذلك كَقولِ القائِل: ما أطعَمْتُك إلاَّ حُلْوًا أو حامِضًا. وقد أطعَمَه النَّوْعَيْنِ جَميعًا.

---

(١) [الوافر] القائل: أبو الأسود الدؤلي. وجاء البيت في ديوانه بتلك الصورة:

أُحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَديدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْزَةَ وَالوصِيّا
فَإن يَكُ حُبُّهُم رُشدًا أُصِبهُ وَفيهِم أُسوَةٌ إن كانَ غَيّا

المعنى: يقول الشاعر: أنه يحب النبي ﷺ حبا شديدا وكذا يحب العباس وحمزة عماه ويحب كذلك ابن عمه علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - وهو المقصود بالوصي، ثم يقول لو كان حبهم هذا من الرشد فإني قد أصبته بحبي إياهم، وإن كان خطًا فإني لست على خطأ! واستدل الشاعر عندما قالوا له بعدما قال هذا البيت: شككت؟! كلا والله! ثم انتزع بقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سبا:٢٤]، فقال: أوَ كان شاكا -من أخبر بهذا- في الهادي من الضلال؟!

فَقالوا: فَقائِل ذلك لم يكُنْ شاكًا أنَّه قد أطعَمَ صاحِبه الحُلْو والحامِض كِلَيْهما، ولَكِنَّه أرادَ الخَبَر عَمَّا أطعَمَه إيَّاه أنَّه لم يَخْرُج عن هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ.

قالوا: فَكَذلك قوله: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ إنَّما معناه: فَقُلوبهم لا تَخْرَج من أحَد هَذَيْنِ المَثَلَيْنِ؛ إمَّا أنْ تكون مَثَلاً لِلْحِجارةِ في القَسْوة، وإمَّا أنْ تكون أشَدّ منها قَسْوة.

وَمعنى ذلك على هذا التَّأويل: فَبعضها كالحِجارةِ قَسْوة، وبعضها أشَدّ قَسْوة من الحِجارة.

وَقال بعضهم: (أو) في قوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ بمعنى: وأشَدّ قَسْوة، كما قال تَبارَكَ وتعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] بمعنى: وكَفورًا.

وَكَما قال جَرير بن عَطيّة:

نالَ الخَلافةَ أو كانتْ له قَدَرًا … كَما أتَى رَبَّه موسَى على قَدَر[(١)]

يَعْني نالَ الخِلافة وكانتْ له قَدَرًا. وكَما قال النَّابغة:

قالتْ ألا لَيْتَما هذا الحَمامُ لَنا … إلى حَمامَتنا أو نِصْفُهُ فَقَدِ[(٢)]

يُريد ونِصْفه، **وقال آخَرونَ**: (أو) في هذا الموضِع بِمعنى (بل)، فَكان تأويله عندهم: فَهِيَ كالحِجارةِ بل أشَدّ قَسْوة. كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] بِمعنى: بل يَزيدونَ.

وَقال آخَرونَ: معنى ذلك: فَهِيَ كالحِجارةِ أو أشَدّ قَسْوة عندكُمْ.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: ولِكُلٍّ مِمَّا قِيلَ من هذه الأقوال التي حَكَيْنا وجهٌ ومَخْرَج في كَلام العرب، غَيْر

(١) [البسيط] القائل: جَرير (أموي). اللغة: أو: جاءت في البيت بمعنى (و) أي نال الخلافة وكانت له قدرا. قدرا: أي قدرها له الله سبحانه وتعالى. على قدر: وفق الوقت الذى قدره الله لمجيئه، وحده - سبحانه - لتكليمه، دون أن يتقدم أو يتأخر، لأن كل شيء عند الله محدد ومقدر بوقت لا يتخلف عنه. المعنى: يقول الشاعر في هذا البيت - وتلك القصيدة يمدح فيها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز -: أن الله سبحانه وتعالى قد نصبه خليفة على المسلمين بوقت محدد وهنا يرفع الشاعر من قيمة أمير المؤمنين بإقامة الموازنة بين هذا الوقت الذي قدره الله له وبين الوقت الذي قدره لنبي الله موسى.

(٢) [البسيط] القائل: النابغة الذبياني (جاهلي). وجاء أيضا في شعر منسوبا لزرقاء اليمامة قالت فيه:

قالَت ألا لَيتما هَذا الحمام لنا … إلى حَمامتنا ونصفه فقدِ
يحفّهُ جانبًا نيقٍ وتتبعهُ … مثل الزجاجةِ لم تكحل من الرمدِ
فَحسبوه فَألفوه كَما حسبت … تِسعًا وَتِسعين لم تنقص ولم تزدِ
فَكملت مائةً فيها حَمامتها … وأَسرعت حسبةً في ذلك العددِ

والرواية التي عند الذبياني:

قالَت أَلا لَيتَما هَذا الحَمامُ لَنا … إِلى حَمامَتِنا وَنِصفُهُ فَقَدِ

وأشار في قوله (قالت) إلى زرقاء اليمامة.

وفي تلك القصيدة يعتذر إلى (النعمان) ويقول له:

اِحكُم كَحُكمِ فَتاةِ الحَيِّ إِذ نَظَرَت … إِلى حَمامِ شِراعٍ وارِدِ الثَمَدِ

أنَّ أعْجَب الأقْوال إلَيَّ في ذلك ما قُلْناه أوّلاً، ثُمَّ القول الذي ذَكَرْناه عَمَّنْ وجه ذلك إلى أنَّه بِمعنًى: فَهِيَ أوْجَهُ في القَسْوة من أنْ تكون كالحِجارةِ أو أشَدّ. على تأويل أنَّ منها كالحِجارةِ، ومنها أشَدّ قَسْوة؛ لأنَّ (أو) وإنْ استُعْمِلَتْ في أماكِن من أماكِن الواو حتَّى يَلْتَبِس معناها ومعنى الواو - لِتَقارُبِ معنَيَيْهِما في بعض تِلْكَ الأماكِن - فَإنّ أصْلها أنْ تأتي بِمعنى أحَد الاثْنَيْن، فَتَوْجيهها إلى أصْلها - مَنْ وجَدَ إلى ذلك سَبيلاً - أعْجَب إلَيَّ من إخراجها عن أصْلها ومعناها المعروف لها.

قال: وأمَّا الرَّفع في قوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ فمن وجهَيْن:

أحَدهما: أنْ يكون عَطْفًا على معنى الكاف التي في قوله: ﴿كَٱلْحِجَارَةِ﴾ لأنَّ معناها الرَّفع؛ وذلك أنَّ معناها معنى مِثْل: فَهيَ مِثْل الحِجارة أو أشَدّ قَسْوة من الحِجارة.

والوَجْه الآخَر: أنْ يكون مَرْفوعًا على معنى تَكْرير (هي) عليه فيكون تأويل ذلك: فَهيَ كالحِجارةِ أو هي أشَدّ قَسْوة من الحِجارة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ذِكْره: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: وإنّ من الحِجارة لحجارةً يَتَفَجَّر منها الماء الذي تَكون منه الأنْهار. فاستُغنى بِذِكْرِ الماء عن ذِكْر الأنْهار، وإنّما ذُكِّرَ فقيل: (منه) لِلَفظِ (ما).

والتَفَجُّر: التَّفَعُّل من تفَجَّرَ الماء، وذلك إذا تَنَزَّلَ خارِجًا من مَنْبَعه، وكُلّ سائِل شَخَص خارِجًا من موضِعه ومَكانه فقد انفَجَرَ، ماءً كان ذلك أو دَمًا أو صَديدًا أو غَيْر ذلك، ومنه قول عُمَر بن لَجَأ:

وَلَـمَّـا أنْ قُـرِنْـتُ إلـى جَـريـر ... أبـى ذو بَـطْـنـه إلاَّ انـفِـجـارَا(١)

يَعْني: إلاَّ خُروجًا وسَيَلانًا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه وإنّ من الحِجارة لحجارة تَشَقَّق.

وَتَشَقُّقها: تَصَدُّعها.

وَإنّما هيَ: لَما يَتَشَقَّق، ولَكِنَّ التّاء أُدْغِمَتْ في الشّين فَصارَتْ شينًا مُشَدَّدة.

وَقوله: ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ يقول: فيخرج منه الماء فَيكون عَيْنًا نابِعة وأنْهارًا جارية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: يَعْني بِذلك جَلَّ ثَنَاؤه: وإنّ من الحِجارة لَما يَهْبِط - أيْ: يَتَرَدَّى - من رَأس

(١) [الوافر] القائل: عمرو بن لجأ التيمي (أموي). اللغة: قرنت: بمعنى اقتربت. أبى: رفض. ذو بطنه: كناية عما يشمأز منه. انفجارا: سيلانا وخروجا. المعنى: يهجو الشاعر جريرا فيقول له أني لو اقتربت منك مجرد اقتراب، أفرزت ما في حشاياك وما يكون ذلك إلا الخوف ورعب.

الجَبَل إلى الأرض والسَّفح من خَوْف اللَّه وخَشْيَته.

وَقد دَلَّلْنا على معنى الهُبوط فيما مَضَى بِما أغْنَى عن إعادَته في هذا الموضِع.

وَأُدْخِلَتْ هذه اللاَّمَات اللَّواتي في (ما) تَوْكيدًا لِلْخَبَر.

وَإنّما وصَفَ اللَّه تعالى ذِكْره الحِجارة بِما وصَفَها به - من أنَّ منها المُتفَجِّر منه الأنهار، وأنَّ منها المُتَشَقِّق بالماءِ، وأنَّ منها الهابِط من خَشْية اللَّه، بعد الذي جَعَلَ منها لِقُلوبِ الذينَ أخْبَرَ عن قَسْوة قُلوبهم من بَني إسرائيل مَثَلاً، معذِرة منه جَلَّ ثَنَاؤه لها دون الذينَ أخْبَرَ عن قَسْوة قُلوبهم من بَني إسرائيل؛ إذْ كانوا بالصِّفَةِ التي وصَفَهم اللَّه بها من التَّكْذيب بِرُسُلِه والجُحود لآياتِه بعد الذي أراهم من الآيات والعِبَر وعايَنوا من عَجائِب الأدِلَّة والحِجَج، مع ما أعْطاهم تعالى ذِكْره من صِحّة العُقول ومَنَّ به عليهم من سَلامة النُّفوس التي لم يُعْطِها الحَجَر والمَدَر، ثُمَّ هو مع ذلك منه ما يَتَفَجَّر بالأنهارِ ومنه ما يَتَشَقَّق بالماءِ ومنه ما يَهْبِط من خَشْية اللَّه، فَأخْبَرَ تعالى ذِكْره أنَّ من الحِجارة ما هو ألْيَن من قُلوبهم لِما يُدْعونَ إليه من الحَقّ. كما:

١٣١٥- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق[(١)].

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في تأويل ذلك قال أهل التَّأويل.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٣١٦- حَدَّثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه جَلَّ ثَناؤه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ قال: كُلُّ حَجَر يَتَفَجَّر منه الماء أو يَتَشَقَّق عن ماء، أو يَتَرَدَّى من رَأس جَبَل، فهو من خَشْية اللَّه عَزَّ وجَلَّ، نَزَلَ بِذلك القُرْآن[(٢)].

١٣١٧- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله[(٣)].

١٣١٨- حَدَّثني بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ثُمَّ عَذَرَ الحِجارة ولم يَعْذُر شَقيَّ ابن آدم، فَقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[(٤)].

---

(١) [ضعيف] وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٤) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

١٣١٩- حَدَّثنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخْبَرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ مِثلَه[١].

١٣٢٠- حَدَّثني مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثني أبي، قال: حَدَّثني عَمّي، قال: حَدَّثني أبي، عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس قال: ثُمَّ عَذَرَ اللَّه الحِجارة فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾[٢].

١٣٢١- حَدَّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: ثنا حَجّاج، عن ابن جُرَيْج أنَّه قال: فيها: كُلُّ حَجَر انفجَرَ منه ماء أو تَشَقَّقَ عن ماء أو تَرَدَّى من جَبَل، فَمن خَشية اللَّه، نَزَلَ به القُرآن[٣].

ثُمَّ اختَلَفَ أهلُ النَّحو في معنى هُبوط ما هَبَطَ من الحِجارة من خَشية اللَّه:

فَقال بعضهم: إنَّ هُبوط ما هَبَطَ منها من خَشْية اللَّه: تَفَيُّؤ ظِلاله.

وَقال آخَرونَ: ذلك الجَبَل الذي صارَ دَكًّا إذْ تَجَلَّى له رَبّه.

وَقال بعضهم: ذلك كان منه ويكون بِأنّ اللَّه جَلَّ ذِكْره أعطَى بعض الحِجارة المعرِفة والفَهْم، فَعَقَلَ طاعة اللَّه فَأطاعَهُ؛ كالذي رويَ عن الجِذْع الذي كان يَسْتَنِد إليه رَسول اللَّه ﷺ إذا خَطَبَ فَلَمَّا تَحَوَّلَ عنه حَنَّ. وَكالذي رويَ عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ حَجَرًا كان يُسَلِّم عَلَيَّ في الجاهِليّة إنّي لأعرِفه الآن**».

وَقال آخَرونَ: بل قوله: ﴿يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ كَقولِه: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾[الكهف: ٧٧] ولا إرادة لهُ.

قالوا: وإنّما أُريدَ بِذلك أنَّه من عِظَم أمْر اللَّه يُرَى كَأنّه هابِط خاشِع من ذُلّ خَشْية اللَّه، كما قال زَيْد الخَيْل:

بِجَمْعٍ تَضِلّ البُلْق في حَجَراته ... تَرَى الأُكْم فيها سُجَّدًا لِلْحَوافِرِ[٤]

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٣) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [الطويل] القائل: زيد الخيل الطائي (مخضرم أدرك الإسلام وأسلم وأسماه النبي ﷺ زيد الخير). وجاء في ديوانه:

بَني عامِرٍ هَل تَعرِفونَ إذا غَدا ... أبو مِكنَفٍ قَد شَدَّ عَقدَ الدَوابِرِ

بِجَيشٍ تَضِلُّ البُلقُ في حَجَراتِهِ ... تَرى الأُكمَ مِنهُ سُجَّدًا لِلحَوافِرِ

اللغة: البلق: جمع أبلق وبلقاء؛ وهي الفرس يرتفع تحجيلها إلى الفخذين. الحجرات: جمع حجرة (بفتح فسكون): الناحية. الأكم: (بضم فسكون، وأصلها بضمتين) جمع إكام، جمع أكمة؛ وهي تل يكون أشد ارتفاعا مما حوله، دون الجبل، غليظ فيه حجارة. سجودا: سَجَدَ يَسْجُدُ سجودًا وضع جبهته بالأرض وقوم سُجَّدٌ وسجود، وقصد هنا الشاعر السجود بمعنى الخشوع. الحوافر: جمع حافر، وهو حافر الفرس. المعنى: يقول الشاعر مخاطبا بني عامر فيقول لهم: هل تعرفون ما يحدث إذا تحرك (أبو مكنف) بجيش ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف، فغيرها أحرى أن يضل؛ فهنا يصف كثرة الجيش، ويريد أن التلال الكبيرة قد خشعت من وقع الحوافر.

وَكَما قال سوَيْدُ بن أبي كاهِل يَصِف عَدوًا له يُريد أنَّه ذَليل :

سَاجِدَ الـمَـنْـخَـرِ إذ يَـرْفَـعُـهُ خاشِعَ الطَّرْف أصَمَّ المُسْتَمَعْ[١]

وَكَما قال جَرير بن عَطية :

لَمَّا أتَى خَبَرُ الرَّسول تَضَعْضَعَتْ سُورُ المَدينة والجِبالُ الخُشَّعُ[٢]

وَقال آخرونَ : معنى قوله : ﴿يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أيْ : يوجِب الخَشْية لِغَيْرِه بِدَلالَتِه على صانِعه كما قِيلَ : ناقة تاجِرة : إذا كانتْ من نَجابَتها وفَراهَتها تَدْعو النَّاس إلى الرَّغْبة فيها ، كما قال جَرير بن عَطيّة :

وَأعْـوَرَ مِـن نَـبْـهـان أمَّـا نَـهـارُه فَـأعْـمَـى وأمَّـا لَـيْـلُـه فَـبَـصـيـرُ[٣]

فَجَعَلَ الصِّفة لِلَّيْلِ والنَّهار ، وهو يُريد بِذلك صاحِبه النبهاني الذي يَهْجوهُ ، من أجْل أنَّه فيهِما كان ما وصَفَه به .

وَهذه الأقْوال وإنْ كانتْ غَيْر بَعيدات المعنى مِمَّا تَحْتَمِله الآية من التَّأويل ، فَإنَّ تأويل أهل التَّأويل من عُلَماء سَلَف الأُمّة بِخِلافِها ؛ فَلِذلك لم نَسْتَجِز صَرْف تأويل الآية إلى معنًى منها .

وَقد دَلَّلْنا فيما مَضَى على معنى الخَشْية ، وأنّها الرَّهْبة والمَخافة ، فَكَرِهْنا إعادة ذلك في هذا الموضِع .

---

(١) [الرمل] القائل : سويد بن أبي كاهل اليشكري (مخضرم) . اللغة : ساجد المنخر : أي ذليل الأنف ، والأنف لدى العرب دليل على العزة والإباء . الطرف : العين . المستمع : الأذن .

المعنى : يصف الشاعر عدوا له فيقول عنه أنه ذليل أنه في وضع ذلة وانكسار لا يجرؤ على رفعه ، وعينيه صوب الأرض لا يرفعها فينظر في وجه أحد ، ثم يزيد على تلك الأوصاف أنه لا يسمع لصمم بأذنه ، ولو استجمعت الصفات كلها فكأنها لشخص ميت لا يرى ولا يسمع ؛ فهو حيٌّ في تعداد أموات !

(٢) [الكامل] القائل : جرير (أموي) . اللغة : تضعضعت : الضَّعْضَعةُ الخُضوعُ والتذلُّلُ وقد ضَعْضَعه الأَمر فَتَضَعْضَعَ . الجبال الخشع : أي ضعفت وطأطأت من هول المصيبة .

والبيت ورد في ديوانه هكذا :

لَمّا أتى خَبَرُ الزُبَيرِ تَواضَعَت سورُ المَدينَةَ وَالجِبالُ الخُشَّعُ

المعنى : الشاعر يعير جرير الفرزدق بالغدر ويهجوه ، فإن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - حين انصرف يوم الجمل ، عرض له رجل من بني مجاشع رهط الفرزدق ، فرماه فقتله غيلة .

فيقول أن خبر وفاة الزبير عندما طار إلى المدينة خضعت وذلت أسوارها وجبالها من المصيبة التي حلت على أهلها بفقدهم حواري النبي ﷺ - ، وهنا يشنع ببني مجاشع . وسيان أن يحل النبي أو الزبير ؛ فالمعنى الدائر واحد في البيت ، لكن أن يكون الزبير فهو أجود وأفضل لكونه المقام مقام هجاء وتشنيع ؛ فيكون تشنيع بتلك الفعلة .

(٣) [الطويل] القائل : جَرير (أموي) . وهذا البيت من هجاء كان بين جرير والأعور النبهاني ؛ فهجا الأعور جريرا ، فهجاه جرير وانتصر عليه ، ولم يثبت أمام جرير والفرزدق في هذا العصر إلا الأخطل وإن كان شعر جرير والفرزدق أجود من شعر الأخطل . وفي البيت يهجو جرير الأعور النبهاني متهما إياه بمخالفته للفطرة التي فطر الله الناس عليها بشغلهم بالنهار ولباسهم بالليل ، ولكن صاحبنا فأعمى عن النهار والخيرات التي فيه ، بصير بالليل وسوءاته ، فيكون له عونا فيما يقوم بفعله من سرقة وزنا وما إلى ذلك مما يتطلب الإنسان فيه الستر والخفاء .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٧٤﴾

يَعْني بقولِه: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وما اللَّه بِغافِلٍ - يا معشَر المُكذِّبينَ بآياتِه والجاحِدينَ نُبوّةَ رَسوله مُحمَّد ﷺ، والمتقولين عليه الأباطيل من بَني إسرائيل وأحبار اليَهود - عمَّا تَعْمَلونَ من أعْمالكُم الخَبيثة وأفعالكُم الرَّديئة؛ ولَكِنَّه يُحْصيها عليكُمْ، فَيُجازيكُم بها في الآخِرة أو يُعاقِبكُم بها في الدُّنيا.

وأصْل الغَفْلة عن الشَّيْء: تَرْكه على وجه السَّهْوِ عنه والنِّسْيانِ لهُ، فَأَخْبَرَهم تعالى ذِكْره أنَّه غَيْر غافِل عن أفعالهم الخَبيثة ولا ساهٍ عنها، بل هو لها مُحْصٍ، ولَها حافِظ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾

يَعْني بقولِه جلَّ ثَنَاؤه: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أصْحابَ مُحمَّد، يقول: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيْ: أفتَرْجونَ يا معشَر المُؤمِنينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ والمُصَدِّقينَ ما جاءكُم به من عند اللَّه أنْ يُؤمِن لكم يَهود بَني إسرائيل؟ ويَعْني بقولِه: ﴿أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾: أنْ يُصَدِّقوكُم بِما جاءكُم به نَبيّكُم ﷺ مُحَمَّد من عند رَبّكُمْ. كَما:

١٣٢٢- حُدِّثْتُ عن عَمَّار بن الحسن، عن ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع في قوله ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾: يَعْني: أصْحاب مُحَمَّد ﷺ أنْ يُؤمِنوا لكمْ، يقول: أفتَطْمَعونَ أنْ يُؤمِن لكم اليَهود؟[1]

١٣٢٣- حَدَّثَنا بِشْر، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ الآية، قال: هم اليَهود[2].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أمَّا (الفَريق) فَجَمْعٌ، كالطَّائِفَةِ، لا واحِد له من لَفْظه، وهو (فَعيل) من (التفَرُّق)، سُمِّيَ به الجماع كما سُمِّيَتِ الجَماعة بـ (الحِزْبِ) من (التَّحَزُّب)، وما أشْبَه ذلك، ومنه قول أعْشَى بَني ثَعْلَبة:

أجَدُّوا فَلَمَّا خِفْتُ أنْ يَتَفَرَّقُوا ... فَريقَيْنِ مِنْهُمْ مُصْعِدٌ ومُصَوِّبُ[3]

---

(١) [حسن] هذا سند ضعيف من معلقات المصنف، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بسند حسن فقال: حدثنا أبي، ثنا أحمد بن عبد الرحمن السعدي، ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، في قوله تعالى: أفتطمعون أن يؤمنوا لكم يعني (أصحاب محمد ﷺ، يقول: أفتطمعون أن يؤمنوا لكم اليهود). اهـ.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [الطويل] القائل: الأعشى (مخضرم). اللغة: أجدوا: أجدَّ في الشيء أسرع فيه. مصعد: مبتدئ في صعوده إلى نجد والحجاز. مُصَوِّب: منحدر في رجوعه إلى العراق والشام. المعنى: يقول الشاعر أنهم أسرعوا فخشي الشاعر عليهم أن يتفرقوا لفريقين فريق يتجه لنجد والحجاز، وآخر يتجه جهة العراق والشام.

يَعْني بِقولِه: ﴿مِّنْهُمْ﴾ من بَني إسرائيل.

وَإنّما جَعَلَ اللّه الذينَ كانوا على عَهْد موسَى ومن بعدهم من بَني إسرائيل، من اليَهود الذينَ قال اللّه لأصْحابِ مُحَمَّد ﷺ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾. لأنهم كانوا آباءَهم وأسلافهمْ، فَجَعَلَهم منهم إذْ كانوا عَشائِرهم وفَرَطَهم وأسلافهمْ، كما يَذْكُر الرَّجُلُ اليوم الرَّجُلَ، وقد مَضَى على منهاج الذَّاكِر وطَريقَته، وكان من قَوْمه وعَشيرَته، فيقول: كان مِنَّا فُلان. يَعْني أنّه كان من أهل طَريقَته ومَذْهَبه، أو من قَوْمه وعَشيرَته، فكَذلك قولُه: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

اختَلَفَ أهل التَّأويل في الذينَ عَنَى اللّه بِقولِه: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ فَقال بعضهم بما:

١٣٢٤- **حَدَّثَني** به مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللّه: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: فالذينَ يُحَرِّفونَه والذينَ يكْتُمونَه: هم العُلَماء منهم(١).

١٣٢٥- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد بِنَحْوِهِ(٢).

١٣٢٦- **حَدَّثَني** موسَى، قال: ثنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾. قال: هي التَّوْراةُ حَرَّفوها(٣).

١٣٢٧- **حَدَّثنا** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: التَّوْراة التي أنْزلَها عليهم يُحَرِّفونَها، يجْعَلونَ الحَلال فيها حَرامًا، والحَرام فيها حَلالاً، والحَقّ فيها باطِلاً، والباطِل فيها حَقًّا، إذا جاءهم المُحِقُّ بِرِشْوةٍ أخْرَجوا له كِتاب اللّه، وإذا جاءهم المُبْطِلُ بِرِشْوةٍ أخْرَجوا له ذلك الكِتاب فهو فيه مُحِقٌّ، وإنْ جاء أحَدٌ يَسْألهم شَيْئًا لَيْسَ فيه حَقّ ولا رِشْوة ولا شَيْء أمَروه بالحَقّ، فَقال لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٤).

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [صحيح] كل رجاله من أهل الصدق حديثهم حسن.

وَقال آخَرونَ في ذلك بِما:

١٣٢٨- حُدِّثتُ عن عَمَّار بن الحسن، قال: أخبرَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع في قـــولـــه: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فكانوا يَسْمَعونَ من ذلك كما يَسْمَعُ أهلَ النُّبوّة، ثُمَّ يُحَرِّفونَه من بعد ما عَقَلوه وهم يَعْلَمونَ(١).

١٣٢٩- حدَّثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق في قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾ الآية، قال: لَيْسَ قولُه: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾: يَسْمَعونَ التَّوْراة، كُلُّهم قد سَمِعَها؛ ولَكِنَّهم الذينَ سَألوا موسَى رُؤْية رَبِّهِمْ، فَأَخَذَتْهم الصَّاعِقةُ فيها(٢).

١٣٣٠- حدَّثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، قال: بَلَغَني عن بعض أهل العِلْم أنَّهم قالوا لِموسَى: يا موسَى، قد حِيلَ بيننا وبين رُؤْية اللَّه عَزَّ وجَلَّ، فَأَسمِعْنا كَلامه حين يُكَلِّمك. فَطَلَب ذلك موسَى إلى رَبِّه، فَقال: نَعَمْ، فَمُرْهم فَلْيَتَطَهَّروا، ولْيُطَهِّروا ثيابهم، ويَصوموا. فَفَعَلوا، ثُمَّ خَرَجَ بهم حتَّى أتَى الطّورَ، فَلَمَّا غَشِيَهم الغَمامُ أمَرَهم موسَى عليه السَّلام، فَوَقَعوا سُجودًا، وكَلَّمَه رَبُّه، فَسَمِعوا كَلامه يَأمُرهم ويَنْهاهم، حتَّى عَقَلوا ما سَمِعوا، ثُمَّ انصَرَفَ بهم إلى بَني إسرائيل، فَلَمَّا جاءوهم حَرَّفَ فَريق منهم ما أمَرَهم بهِ، وقالوا حين قال موسَى لِبَني إسرائيل: إنَّ اللَّه قد أمَرَكُم بِكَذا وكذا. قال ذلك الفَريق الذي ذَكَرَهم اللَّه: إنَّما قال كذا وكذا. خِلافًا لِما قال اللَّه عَزَّ وجَلَّ لهم، فَهم الذينَ عَنَى اللَّه لِرَسولِه مُحَمَّدٍ ﷺ(٣).

وَأولَى التَّأويلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْتُ بالآيةِ وأشْبَهُهما بما دَلَّ عليه ظاهِرُ التِّلاوة، ما قاله الرَّبيع بن أنَس، والذي حَكاه ابن إسحاق عن بعض أهل العِلْم، من أنَّ اللَّه تعالى ذِكْره إنَّما عَنَى بِذلك مَنْ سَمِعَ كَلامه من بَني إسرائيل سَماع موسَى إيَّاه منه، ثُمَّ حَرَّفَ ذلك وبَدَّلَ من بعد سَماعه وعِلْمه به وفَهْمه إيَّاه.

وَذلك أنَّ اللَّه جَلَّ ثَناؤه إنَّما أخْبَرَ أنَّ التَّحْريف كان من فَريق منهم كانوا يَسْمَعونَ كَلام اللَّه عَزَّ وجَلَّ، استِعْظامًا من اللَّه لَمَّا كانوا يَأتونَ من البُهْتان بعد تَوْكيد الحُجّة عليهم والبُرْهان، وإيذانًا منه تعالى ذِكْره عِباده المُؤْمِنينَ، وقَطَع أطماعَهم من إيمان بَقايا نَسْلهم بِما أتاهم به مُحَمَّد من الحَقّ والنّور والهُدَى، فَقال لهم: كيفَ تَطْمَعونَ في تَصْديق هؤلاء اليَهود إيَّاكُم، وإنَّما تُخْبِرُونَهم - بالذي تُخْبِرونَهم من الأنباء عن اللَّه عَزَّ وجَلَّ - عن غَيْبٍ لم يُشاهِدوه ولم يعاينوه، وقد كان بعضهم يَسْمَع من اللَّه كَلامَه وأمْرَه ونَهْيَه، ثُمَّ يُبَدِّله ويُحَرِّفه ويَجْحَدُهُ، فَهؤلاء الذينَ بين أظْهُرِكُم من بَقايا نَسْلهم أحرَى أنْ يَجْحَدوا ما أتَيْتُموهم به من الحَقّ وهم لا يَسْمَعونَه من اللَّه،

---

(١) [حسن] هذا سند ضعيف؛ من معلقات المصنف، ولكن أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير بسند حسن فقال: حدثنا أبي، ثنا أحمد بن عبد الرحمن، ثنا عبد الله بن أبي جعفر.. فذكره.
(٢) [ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٣) [ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

وإنّما يَسْمَعونَه منكُم - وأقْرَبُ إلى أنْ يُحَرِّفوا ما في كُتُبهم من صِفة نَبيِّكُم مُحَمَّد ﷺ ونَعْته، ويُبَدِّلوه وهم به عالِمونَ، فيَجْحَدوه ويُكَذِّبوا من أوائِلِهم الذينَ باشَروا كَلام اللَّه من اللَّه جَلَّ ثَناؤه ثُمَّ حَرَّفوه من بعد ما عَقَلوه وعَلِموه مُتَعَمِّدينَ التَّحْريف.

وَلو كان تأويل الآية على ما قاله الذينَ زَعَموا أنَّه عَني بِقولِه: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: يَسْمَعونَ التَّوْراة. لم يكُنْ لِذِكْرِ قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ معنًى مَفْهومٌ؛ لأنَّ ذلك قد سَمِعَه المُحَرِّف منهم وغَيْر المُحَرِّف.

فَخُصوص المُحَرِّف منهم بِأنّه كان يَسْمَع كَلام اللَّه - إنْ كان التَّأويل على ما قاله الذينَ ذَكَرْنا قولَهم دون غَيْرِهم مِمَّنْ كان يَسْمَع ذلك سَماعهم - لا مَعْنَى له.

فَإنْ ظَنَّ ظانٌّ إنّما صَلَحَ أنْ يُقال ذلك لِقولِه: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾. فقد أغْفَلَ وجه الصَّواب في ذلك.

وَذلك أنَّ ذلك لو كان كذلك لَقِيلَ: أفَتَطْمَعونَ أنْ يُؤْمِنوا لكم وقد كان فَريق منهم يُحَرِّفونَ كَلام اللَّه من بعد ما عَقَلوه وهم يَعْلَمونَ. ولَكِنَّه جَلَّ ثَناؤه أخْبَرَ عن خاصٍّ من اليَهود كانوا أُعْطوا، من مُباشَرَتِهم سَماع كَلام اللَّه تعالى، ما لم يُعْطَه أحَد غَيْر الأنْبياء والرُّسُل، ثُمَّ بَدَّلوا وحَرَّفوا ما سَمِعوا من ذلك، فَلِذلك وصَفَهم بِما وصَفَهم به لِلْخُصوصِ الذي كان خَصَّ به هؤلاء الفَريقَ الذي ذَكَرَهم في كِتابه تعالى ذِكْره.

وَيَعْني بِقولِه: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ ثُمَّ يُبَدِّلونَ معناهُ وتأويله ويُغَيِّرونَه.

وَأصْله من انحِراف الشَّيْء عن جِهَته، وهو مَيْله عنها إلى غَيْرِها.

فَكَذلك قوله: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أيْ: يُميلونَه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه إلى غَيْره.

فَأخْبَرَ اللَّه جَلَّ ثَناؤه أنَّهم فَعَلوا ما فَعَلوا من ذلك على عِلْم منهم بِتأويلِ ما حَرَّفوا، وأنّه بِخِلافِ ما حَرَّفوه إليه، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾. يَعْني: من بعد ما عَقَلوا تأويله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. أيْ: يَعْلَمونَ أنَّهم في تَحْريفهم ما حَرَّفوا من ذلك مُبْطِلونَ كاذِبونَ.

وَذلك إخبارٌ من اللَّه جَلَّ ثَناؤه عن إقْدامهم على البُهْتِ، ومُناصَبَتهم العَداوة له ولِرَسوله موسَى ﷺ، وأنَّ بَقاياهم - من مُناصَبَتهم العَداوة لِلَّه ولِرَسولِه مُحَمَّد ﷺ بَغْيًا وحَسَدًا - على مِثْل الذي كان عليه أوائِلُهم من ذلك في عَصْر موسَى عليه الصَّلاة والسَّلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾

أمّا قولُه: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾. فإنّه خَبَر من اللَّه جَلَّ ذِكْره عن الذينَ أيْأس أصْحاب مُحَمَّد ﷺ من إيمانهم - من يَهود بَني إسرائيل الذينَ كان فَريق منهم يَسْمَعونَ كَلام اللَّه ثُمَّ يُحَرِّفونَه من بعد ما عَقَلوه وهم يَعْلَمونَ - وهم الذينَ إذا لَقوا الذينَ آمَنوا باللَّه ورَسوله مُحَمَّد ﷺ قالوا: آمَنّا.

يَعْني بِذلك أنَّهم إذا لَقوا الذينَ صَدَقوا باللَّه وبِمُحَمَّدٍ ﷺ رسولِه، وبِما جاء به من عند اللَّه قالوا: آمَنّا. أيْ: صَدَّقْنا بِمُحَمَّدٍ وبِما صَدَّقْتُم به، وأقْرَرْنا بِذلك.

أَخْبَرَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ عنهم أنَّهم تَخلَّقوا بِأخْلاقِ المُنافِقينَ وسَلَكوا منهاجهمْ. كَما:

١٣٣١- حَدَّثني مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثَني أبي عن أبيهِ، عن جَدّه، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: وذلك أنَّ نَفرًا من اليَهود كانوا إذا لَقوا مُحَمَّدًا ﷺ قالوا: آمَنَّا. وإذا خَلا بعضهم إلى بعض قالوا: أتُحَدِّثونهم بما فَتَحَ اللَّه عليكمْ[1].

١٣٣٢- حَدَّثَنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ يَعْني: المُنافِقينَ من اليَهود كانوا إذا لَقُوا أصْحاب مُحَمَّد ﷺ قالوا: آمَنَّا[2].

وَقد رُوِيَ عن ابن عَبَّاس في تأويل ذلك قولٌ آخَرُ، وهو ما:

١٣٣٣- حَدَّثَنا به ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة بن الفَضْل، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾. أيْ: بِصاحِبِكُم رَسول اللَّه ﷺ، ولَكِنَّه إليكُم خاصَّة[3].

١٣٣٤- حَدَّثَنا موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ الآية، قال: هؤلاء ناس من اليَهود آمَنوا ثُمَّ نافَقوا[4].

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾

يَعْني بِقولِه: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أيْ: إذا خَلا بعض هؤلاء اليَهود الذينَ وصَفَ اللَّه صِفَتَهم - إلى بعض منهم، فَصاروا في خَلاء من النَّاس غَيْرِهِمْ، وذلك هو المَوضِع الذي لَيْسَ فيه غَيْرهمْ، ﴿قَالُوٓا۟﴾ يَعْني قال بعضهم لِبعضٍ: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

ثُمّ اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل قوله: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ **فَقال بعضهم بما:**

١٣٣٥- حَدَّثَنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يَعْني: بِما أمَرَكُم اللَّه بهِ. فَيقول الآخَرونَ: إنَّما نَسْتَهْزِئُ بهم ونَضْحَكُ[5].

وَقال آخرون بما:

١٣٣٦- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن

(١) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

عكرمة، أو عن سعيد بن جُبَيْرٍ، عن ابن عبَّاس: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ أي: بصاحِبِكُم رَسولِ اللَّه، ولكِنَّه إليكُم خاصّةً. وإذا خَلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تُحَدِّثوا العرب بهذا، فإنّكم قد كُنتُم تَستَفْتِحونَ به عليهم. فكان منهم.

فأنزَلَ اللَّه: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ أي: تُقِرُّونَ بأنه نبيٌّ، وقد عَلِمْتُم أنّه قد أُخِذَ له الميثاق عليكم باتِّباعِهِ، وهو يُخبِرهم أنّه النَّبيّ الذي كُنّا نَنتَظِرُ ونَجِدُه في كِتابنا، اجْحَدُوه ولا تُقِرّوا لهم به. **يقول اللَّه:** ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (١).

١٣٣٧- **حدّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: بِما أنزَلَ اللَّهُ عليكُم في كِتابكُم، من نَعْتِ مُحَمَّد ﷺ (٢).

١٣٣٨- **حدّثنا** بِشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، عن سَعيد، عن قَتادة: ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: بما مَنَّ اللَّهُ عليكُم في كِتابكُم من نَعتِ مُحَمَّد ﷺ، فإنّكُم إذا فَعَلتُم ذلك احْتَجّوا به عليكُم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ (٣)

١٣٣٩- **حدّثنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ ليَحْتَجُّوا به عليكُمْ (٤).

١٣٤٠- **حدّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، قال: قال قَتادةَ: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يَعْني: بِما أنْزَلَ اللَّهُ عليكُم من أمْر مُحَمَّد ﷺ ونَعْته (٥).

وَقال آخرونَ في ذلك بِما:

١٣٤١- **حدّثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ قال: قولُ يَهودَ بَني قُرَيْظةَ حين سَبَّهُم النَّبيّ ﷺ بأنّهم إخوة القِرَدةِ والخَنازير، قالوا: مَنْ حَدَّثَك؟ هذا حين أرْسَلَ إليهم عَليًّا فآذَوْا مُحَمَّدًا، فقال: «**يا إخوة القِرَدة والخَنازير**» (٦).

١٣٤٢- **حدّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حَذيفة، قال: ثنا شِبْلٌ، عن ابن أبي نَجيح، عن

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٦) [ضعيف] لإرساله.

مُجاهِد مِثله، إلاَّ أنَّه قال: هذا حينَ أرسَلَ إليهم عَليَّ بن أبي طالِب رَضيَ اللَّه عنه، وَآذَوُا النَّبيَّ ﷺ فَقال: «**اخسَئُوا يا إخوةَ القِرَدةِ والخَنازِير**»(١).

١٣٤٣- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حَدَّثَني الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخبَرَني القاسِم بن أبي بَزَّةَ، عن مُجاهِد في قوله: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: قامَ النَّبيُّ ﷺ يوم قُرَيظَةَ تَحت حُصونِهِمْ، فَقال: «**يا إخوانَ القِرَدة، ويا إخوانَ الخَنازِير، ويا عَبَدَةَ الطَّاغوتِ**» فَقالوا: مَنْ أخبَرَ هذا مُحَمَّدًا؟ ما خَرَجَ هذا إلاَّ منكُم، ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بِما حَكَمَ اللَّه لِلْفَتح ليكونَ لهم حُجَّة عليكُمْ. قال ابن جُرَيْجٍ، عن مُجاهِد: هذا حين أرسَلَ إليهم عَليًا فَآذَوْا مُحَمَّداً ﷺ(٢).

وَقال آخَرونَ بِما:

١٣٤٤- **حَدَّثَنا** موسَى: قال: ثنا عَمْرٌو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ - من العَذاب ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ﴾: هؤلاء ناس من اليَهود آمَنوا ثُمَّ نافَقوا، فَكانوا يُحَدِّثونَ المُؤمِنينَ من العرب بِما عُذِّبوا بِهِ، فَقال بعضهم لِبعضٍ: أتُحَدِّثونَهم بِما فَتَحَ اللَّه عليكُم من العَذاب ليقولوا نَحنُ أحَبُّ إلى اللَّه منكُمْ، وأكْرَمُ على اللَّهِ منكُم؟(٣).

وَقال آخَرونَ بِما:

١٣٤٥- **حَدَّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ﴾. قال: كانوا إذا سُئِلوا عن الشَّيْء قالوا: أما تَعْلَمونَ في التَّوْراة كذا وكذا؟ قالوا: بَلَى. قال: وهم يَهودُ. فَيقول لهم رُؤَساؤُهم الذينَ يَرْجِعونَ إليهم: ما لكم تُخْبِرونَهم بالذي أنزل اللَّه عليكُم فَيُحاجّوكُم به عند رَبكُم، أفلا تَعْقِلونَ؟ قال: قال رَسول اللَّه ﷺ: «**لا يَدْخُلَنَّ علينا قَصَبَةَ المَدينة إلاَّ مُؤمِن**». فَقال رُؤَساؤُهم من أهل الكُفْر والنِّفاق: اذْهَبوا فَقولوا: آمَنَّا، واكْفُروا إذا رَجَعْتُمْ. قال: فَكانوا يَأتونَ المَدينةَ بالبُكَرِ ويَرْجِعونَ إليهم بعد العَصْر، وقَرَأ قول اللَّه: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]. وكانوا يقولونَ إذا دَخَلوا المَدينة: نَحنُ مُسْلِمونَ. لِيَعْلَموا خَبَر رَسول اللَّه ﷺ وأمْرَه؛ وإذا رَجَعوا رَجَعوا إلى الكُفْر. فَلَمَّا أخبَرَ اللَّه نَبيّه ﷺ بهمْ، قَطَعَ ذلك عنهم فَلم يكونوا يَدْخُلونَ. وكان المومِنونَ الذينَ مع رَسول اللَّه ﷺ يَظُنّونَ أنّهم مُؤمِنونَ، فَيقولونَ لهم: ألَيْسَ قد قال اللَّه لكم كذا وكذا؟

---

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

فَيقولونَ: بَلَى. فَإذا رَجَعوا إلى قَوْمهم قالوا: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية(١).

وَأَصْلُ الفَتْحِ في كَلامِ العرب: النَّصْر والقَضاء والحُكْم، يُقال منه: اللَّهُمَّ افتَحْ بيني وبينَ فُلان: أيْ احْكُم بيني وبينه، ومنه قول الشَّاعِر:

ألا أبْلِغْ بَني عُصْمٍ رَسولاً ... بِأنّي عن فُتاحَتِكُم غَنِيُّ(٢)

قال: ويُقال لِلْقاضي: الفَتَّاح، ومنه قول اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]. أيْ: احْكُم بيننا وبينهم.

فَإذا كان معنى الفَتْح ما وصَفْنا، تَبَيَّنَ أنَّ معنى قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ إنَّما هو: أتُحَدِّثونَهم بِما حَكَمَ اللَّه به عليكُم وقَضاه فيكُمْ. ومن حُكْمه جَلَّ ثَناؤه عليهم ما أخَذَ به ميثاقَهم من الإيمان بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبِما جاء به في التَّوْراة، ومن قَضائِه فيهم أنْ جَعَلَ منهم القِرَدة والخَنازير. وغَيْر ذلك من أحكامه وقَضائِه فيهم، وكُلُّ ذلك كان لِرَسولِ اللَّه ﷺ ولِلْمُؤمِنينَ به حُجَّةً على المُكَذِّبينَ به من اليَهود المُقِرِّينَ بِحُكْمِ التَّوْراة وغَيْر ذلك.

فَإنْ كان كذلك، فالذي هو أولَى عندي بِتأويلِ الآية قول مَنْ قال: معنى ذلك: أتُحدِّثونهم بما فتَح اللهُ عليكم مِن بَعْثِ مُحَمَّد ﷺ إلى خَلْقه؛ لأنَّ اللَّه جَلَّ ثَناؤه إنَّما قَصَّ في أوَّل هذه الآية الخَبَر عن قولهم لِرَسولِ اللَّه ﷺ ولأصْحابِه: آمَنَّا بِما جاء به مُحَمَّد ﷺ. فالذي هو أولَى بِآخِرِها أنْ يكون نَظير الخَبَر عَمَّا ابْتُدِئَ به أوَّلُها.

وَإذا كان ذلك كذلك، فالواجِب أنْ يكون تَلاوُمُهم كان فيما بينهم فيما كانوا أظْهَروه لِرَسولِ اللَّه ﷺ ولأصْحابِه من قولهم لهم: آمَنَّا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبِما جاء بِهِ. وكان قِيلُهم ذلك من أجْل أنَّهم كانوا يجِدونَ ذلك في كُتُبهم، وكانوا يُخْبِرونَ أصْحاب رَسول اللَّه ﷺ بِذلك، فَكان تَلاوُمُهم فيما بينهم إذا خَلَوا على ما كانوا يُخْبِرونَهم بِما هو حُجَّة لِلْمُسْلِمينَ عليهم عند رَبّهِمْ.

وَذلك أنَّهم كانوا يُخْبِرونَهم عن وُجود نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ في كُتُبهم ويكْفُرونَ بِهِ، وكان فَتْح اللَّه الذي فَتَحَه لِلْمُسْلِمينَ على اليَهود، وحُكْمُه عليهم لهم في كِتابهم، أنْ يُؤمِنوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ إذا بُعِثَ، فَلَمَّا بُعِثَ كَفَروا به مع عِلْمهم بِنُبوَّتِه.

وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٧٦﴾

خَبَرٌ من اللَّه تعالى ذِكْره عن اليَهود اللاَّئِمينَ إخوانهم على ما أخْبَروا أصْحاب رَسول اللَّه ﷺ

---

(١) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٢) [الوافر] القائل: نسبه (الميمني) في كتاب (سمط اللآلئ) لـ (محمد بن حمران الشويعر الجعفي). فُتاحتكم: حاكمتكم، وبينهم فتاحات أي خصومات، وفلان وُلِّيَ الفتاحة بالكسر وهي ولاية القضاء، وفاتحه: حاكمه وكل شيء انكشف عن شيء فقد انفتح عنه أي من قضائكم وحُكمكم. المعنى: يقول الشاعر مخاطبا صاحبه أن يبلغ (بني عصم) بأنه عن محاكمتهم غني.

بما فَتَحَ اللَّه لهم عليهم، أنَّهم قالوا لهم: أفلا تَفْقَهُونَ أيها القَوْم وتَعْقِلونَ أنَّ إخبارَكُم أصْحاب محمدٍ ﷺ بما في كُتُبِكم أنَّه نَبيّ مَبْعوث، حُجَّةٌ لهم عليكُم عند رَبِّكُم يَحْتَجّونَ بها عليكُم؟! أيْ: فلا تَفْعَلوا ذلك، ولا تَقولوا لهم مِثْل ما قُلْتُمْ، ولا تُخْبِروهم بِمِثْلِ ما أخْبَرْتُموهم به من ذلك. فَقال جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَنَاؤه: أوَلا يَعْلَمُ هؤلاء اللائِمونَ من اليَهود إخوانهم من أهل مِلَّتهمْ - على كَوْنهم إذا لَقُوا الذينَ آمَنوا قالوا: آمَنَّا، وعلى إخبارهم المومِنينَ بِما في كُتُبهم من نَعْت رَسول اللَّه ﷺ، ومَبْعَثه، القائِلونَ لهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ - أنَّ اللَّه عالِم بِما يُسِرّونَ فَيُخْفُونَه عن المُؤمِنينَ في خَلائِهم؛ من كُفْرهم وتَلاوُمِهم بينهم على إظْهارهم ما أظْهَروا لِرَسولِ اللَّه ﷺ ولِلْمُؤْمِنينَ به من الإقْرار بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وعلى قيلهم لهم: آمَنَّا، ونَهْيِ بعضهم بعضًا أنْ يُخْبِروا المُؤمِنينَ بِما فَتَحَ اللَّه لِلْمُؤْمِنينَ عليهم، وقَضَى لهم عليهم في كُتُبهم من حَقيقة نُبوّة مُحَمَّد ﷺ ونَعْته ومَبْعَثِه، وما يُعْلِنونَ فَيُظْهِرونه لِمُحَمَّدٍ ﷺ ولأصْحابِه المُؤمِنينَ به إذا لَقوهم من قيلهم لهم: آمَنَّا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبِما جاء به. نِفاقًا وخِداعًا لِلَّه ولِرَسولِه ولِلْمُؤمِنينَ، كَما:

١٣٤٦- حَدَّثَنا بِشر، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من كُفْرهم وتَكْذيبهم مُحَمَّدًا ﷺ إذا خَلا بعضهم إلى بعض، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ إذا لَقوا أصْحابَ مُحَمَّدٍ ﷺ قالوا: آمَنَّا، لِيُرْضُوْهم بِذلك[(١)].

١٣٤٧- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: يَعْني: ما أسَرُّوا من كُفْرهم بِمُحَمَّدٍ ﷺ وتَكْذيبهم بهِ، وهم يجِدونَه مَكْتوبًا عندهمْ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: يَعْني ما أعْلَنوا حين قالوا لِلْمُؤْمِنينَ: آمَنَّا[(٢)].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾: ومن هؤلاء اليَهود الذينَ قَصَّ اللَّه قَصَصهم في هذه الآيات، وأيْأَسَ أصْحاب رَسول اللَّه ﷺ من إيمانهمْ، فَقال لهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾. وهم إذا لَقوكُم قالوا: آمَنَّا، كَما:

---

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

١٣٤٨- حدّثنا المُثنّى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ يَعْني: من اليَهود (١).

١٣٤٩- وحُدّثت عن عَمّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، مِثْله (٢).

١٣٥٠- حدّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ قال: أُناس من يَهود (٣).

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: يَعْني بـ (الأُمِّيِّينَ) الذينَ لا يكْتُبونَ ولا يَقْرَءونَ، ومنه قول النَّبيّ ﷺ: «إنَّا أُمّةٌ أُمّيّةٌ لا نَكْتُب ولا نَحْسُبُ».

يُقال منه رَجُل أُمّيٌّ. أي: بيِّن الأُمِّيَّة، كَما:

١٣٥١- حدّثَني المُثنّى، قال: حَدَّثَني سوَيْدُ بن نَصْر، قال: أخبرَنا ابن المُبارَك، عن سُفْيان، عن مَنْصور، عن إبراهيم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾. قال: منهم مَنْ لا يُحْسِن أنْ يكْتُبَ (٤).

١٣٥٢- حدّثَني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ قال: أُمّيّونَ لا يَقْرَءونَ الكِتاب من اليَهود (٥).

وَرويَ عن ابن عَبّاس قول خِلافُ هذا القول، وهو ما:

١٣٥٣- حدّثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحّاك، عن ابن عَبّاس: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾. قال: الأُمّيّونَ قَوْم لم يُصَدِّقوا رَسولاً أرْسَلَه اللّه، ولا كِتابًا أنْزَلَه اللّه، فكَتَبوا كِتابًا بأيْديهم، ثُمَّ قالوا لِقَوْم سَفِلَةٍ جُهّالٍ: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾. وقال: قد أخْبَرَ أنّهم يكْتُبونَ بِأيْديهم، ثُمَّ سَمّاهم أُمّيّينَ لِجُحودِهم كُتُبَ اللّهِ ورُسُله (٦).

وَهذا التَّأويل تأويل على خِلاف ما يُعْرَف من كَلام العرب المُسْتَفيض بينهمْ، وذلك أنَّ الأُمّيَّ عند العرب هو الذي لا يكْتُب.

---

(١) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٢) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بسند حسن فقال: حدثنا أسيد بن عاصم، ثنا الحسين بن حفص، ثنا سفيان، عن منصور، قال: سألت إبراهيم عن ذبائح نصارى العرب قال: (لا بأس)، ثم قرأ: ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ثم قال: (أو ليس من أهل الكتاب من لا يحسن الكتاب؟). اهـ.

(٥) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٦) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وأرَى أنَّه قِيلَ لِلأُمّيّ: أُمّيٌّ. نِسْبةً له، بِأنّه لا يكْتُبُ إلى أُمّه؛ لأنَّ الكِتاب كان في الرِّجال دون النِّساء، فَنَسَبَ مَنْ لا يكْتُب ولا يَخُطُّ من الرِّجال إلى أُمِّه في جَهْله بالكِتابةِ دون أبيه، كما ذَكَرْنا عن النَّبيِّ ﷺ من قوله: «**إنَّا أُمّةٌ أُمّيَّةٌ لا نَكْتُبُ ولا نَحْسُبُ**». وكَما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

فَإذا كان معنى الأُمّيّ في كَلام العرب ما وصَفْنا، فالذي هو أولَى بِتأويلِ الآية ما قاله النَّخَعيُّ من أنَّ معنى قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾: ومنهم مَنْ لا يُحْسِن أنْ يكْتُب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾

يَعْني بِقوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: لا يَعْلَمونَ ما في الكِتاب الذي أنْزَلَه اللَّه ولا يَدْرونَ ما أودَعَه اللَّه من حُدوده وأحكامه وفَرائِضه، كَهَيْئَةِ البهائِم، **كالذي**:

١٣٥٤- **حَدّثَني** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله، ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾: إنَّما هم أمْثال البهائِم لا يَعْلَمونَ شَيْئًا(١).

١٣٥٥- **حَدّثَنا** بِشر عن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾. يقول: لا يَدْرونَ ما فيهِ(٢).

١٣٥٦- **حَدّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: لا يَدْرونَ ما فيهِ(٣).

١٣٥٧- **حَدّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾. قال: لا يَدْرونَ ما فيهِ(٤).

١٣٥٨- **حَدّثَنا** يونسُ، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾. لا يَعْلَمونَ شَيْئًا؛ لا يَقْرَءونَ، التَّوْراةُ لَيْسَتْ تُسْتَظْهَر، إنَّما تُقْرَأ هَكَذا، فَإذا لم يكْتُب أحَدُهم لم يَسْتَطِعْ أنْ يَقْرَأ(٥).

١٣٥٩- **حَدّثَنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق،

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٤) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٥) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾. يقول: لا يَعْرِفونَ الكِتاب الذي أَنْزَلَهُ اللَّه [(١)].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وإنّما عَنَى بالكِتابِ: التَّوْراة؛ ولِذلك أُدْخِلَتْ فيه الأَلِف واللَّام؛ لأنّه قُصِدَ به كِتابٌ معروفٌ بِعَيْنِه.

وَمعناه: ومنهم فَريق لا يكْتُبونَ ولا يَدْرونَ ما في الكِتاب الذي عَرَفْتُموه الذي هو عندهم وهم يَنْتَحِلونَه ويَدَّعونَ الإقْرارَ به من أحكام اللَّه وفَرائِضه وما فيه من حُدوده التي بينها فيه.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾؛ فقال بعضهم بما:

١٣٦٠ - **حدّثنا** به أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾. يقول: إلاَّ قولاً يقولونَه بِأفواهِهم كذِبًا [(٢)].

١٣٦١ - **حدّثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: إلاَّ كذِبًا [(٣)].

١٣٦٢ - **حدّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله [(٤)].

وَقال آخرونَ بما:

١٣٦٣ - **حدّثنا** بِشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾. يقول: يَتَمَنَّوْنَ على اللَّه ما لَيْسَ لهم [(٥)].

١٣٦٤ - **حدّثنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾. يقول: يَتَمَنَّوْنَ على اللَّه الباطِل وما لَيْسَ لهم [(٦)].

١٣٦٥ - **حدّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو صالِح، عن معاوية بن صالح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾. يقول: إلاَّ أحاديث [(٧)].

١٣٦٦ - **حدّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، عن

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.
(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر ضعيف.
(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.
(٤) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.
(٥) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.
(٦) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٧) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه، المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

مُجاهِد: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾. قال: أُناس من يَهود لم يكونوا يَعْلَمونَ من الكِتاب شَيْئًا، وكانوا يَتَكَلَّمونَ بالظَّنِّ بِغَيْرِ ما في كِتاب اللّه، ويقولونَ هو من الكِتاب. أمانيُّ يَتَمَنَّوْنَها(١).

١٣٦٧ - **حدّثنا** المُثنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: يَتَمَنَّوْنَ على اللّه ما لَيْسَ لهم(٢).

١٣٦٨ - **حدّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾. قال: تَمَنَّوْا: فَقالوا: نَحْنُ من أهل الكِتاب، ولَيْسوا منهم(٣).

وَأولَى ما رَوَيْنا في تأويل قوله: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: بالحَقِّ وأشبَهَه بالصَّواب، الذي قاله ابن عَبَّاس، الذي رَواه عن الضَّحَّاك، وقولُ مُجاهِد، إنَّ الأُمِّيِّينَ الذينَ وصَفَهم اللّه بِما وصَفَهم به في هذه الآيةِ وأنهم لا يَفْقَهونَ من الكِتاب الذي أنزَلَه اللّه على موسَى شَيْئًا، ولَكِنَّهم يَتَخَرَّصونَ الكَذِب ويَتَقَوَّلونَ الأباطيل كذِبًا وزورًا.

والتَّمَنّي في هذا الموضِع، هو تَخَلُّق الكَذِب وتَخَرُّصه وافتِعاله، يُقال منه: تَمَنَّيْتُ كذا: إذا افتَعَلْته وتَخَرَّصْتُه.

وَمنه الخَبَر الذي رُوِيَ عن عُثْمان بن عَفَّانَ رَضيَ اللّه عنه: «**ما تَغَنَّيْتُ ولا تَمَنَّيْت**».

يَعْني بِقولِه ما تَمَنَّيْت: ما تَخَرَّصْتُ الباطِل ولا اختَلَقْت الكَذِب والإفك.

والذي يَدُلُّ على صِحَّة ما قُلْنا في ذلك وأنّه أولَى بِتأويلِ قوله: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ من غَيْره من الأقوال، قول اللّه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ فَأخْبَرَ عنهم جَلَّ ثَناؤه أنَّهم يَتَمَنَّوْنَ ما يَتَمَنَّوْنَ من الأكاذيب ظَنًّا منهم لا يَقينًا.

وَلو كان معني ذلك أنَّهم يَتْلونَه، لم يكونوا ظانِّينَ، وكذلك لو كان معناه: يتشهُّونه لأنَّ الذي يَتْلوه إذا تَدَبَّرَه عَلِمَهُ، ولا يَسْتَحِقُّ الذي يَتْلو كِتابًا قَرأه وإنْ لم يَتَدَبَّره بِتَرْكِه التَّدْبيرَ أنْ يُقال: هو ظانٌّ لِما يَتْلو. إلاَّ أنْ يكون شاكًّا في نَفْس ما يَتْلوه لا يَدْري أحَقٌّ هو أم باطِل.

وَلم يكُنْ القَوْم الذينَ كانوا يَتْلونَ التَّوْراة على عَصْر نَبيّنا مُحَمَّد ﷺ من اليَهود فيما بَلَغَنا شاكِّينَ في التَّوْراة أنَّها من عند اللّه.

وَكَذلك المتمنى الذي هو في معنى المتشهى، غَيْرُ جائِز أنْ يُقال: هو ظانٌّ تَمَنّيَهُ. لأنَّ التَّمَنّي من المُتَمَنّي إذا تَمَنَّى ما قد وُجِدَت عَيْنه فَغَيْر جائِز أنْ يُقال: هو شاكٌّ فيما هو به عالِم؛ لأنَّ العِلْم

---

(١) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٣) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

والشَّكّ معنَيانِ يَنْفي كُلُّ واحِد منهُما صاحِبه لا يجوز اجْتِماعهما في جُزءٍ واحِدٍ، والمُتَمَنِّي في حال تَمَنِّيه موجودٌ، فغَيْرُ جائِزٍ أنْ يُقال: هو يَظُنُّ تَمَنِّيه.

وإنما قِيلَ: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ والأمانيُّ من غَيْر نَوْع الكِتاب، كما قال رَبّنا جَلَّ ثَناؤه: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]. والظَّنُّ من العِلْم بِمعزِلٍ، وكَما قال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۞ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩: ٢٠] وكَما قال الشَّاعِر:

لَيْسَ بيني وبين قَيْس عِتابٌ ... غَيْرَ طَعْنِ الكُلَى وضَرْبِ الرِّقاب(١)

وَكَما قال نابِغة بَني ذُبْيان:

حَلَفْتُ يَمينًا غَيْرَ ذي مَثْنَوِيَّةٍ ... وَلا عِلْمَ إلاَّ حُسْنَ ظَنٍّ بِصاحِبِ(٢)

في نَظائِر لَمَّا ذَكَرْنا يَطول بِإحصائِها الكِتاب.

وَيَخْرُج بـ(إلاَّ) ما بعدها من معنى ما قَبْلها، ومن صِفَته، وإنْ كان كُلُّ واحِدٍ منهُما من غَيْر شَكْل الآخَر ومن غَيْر نَوْعه، ويُسَمِّي ذلك بعض أهل العربيَّة استِثْناءً مُنْقَطِعًا؛ لانقِطاعِ الكَلام الذي يَأتي بعد إلاَّ عن معنى ما قَبْلها.

وَإنما يكون ذلك كذلك في كُلِّ موضِع حَسُنَ أنْ يوضَع فيه مَكان (إلاَّ) (لَكِنْ)، فَيُعْلَم حينَئِذٍ انقِطاع معنى الثَّاني عن معنى الأوَّل، ألا تَرى أنك إذا قُلْت: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ ثُمَّ أرَدْت وضْعَ (لَكِنْ) مَكان (إلاَّ) وحَذْفَ (إلاَّ)، وجَدْت الكَلام صَحيحًا معناه صِحَّته وفيه (إلاَّ)؟ وذلك إذا قُلْت: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ لَكِنْ أمانيَّ. يَعْني: لَكِنَّهم يَتَمَنَّوْنَ، وكذلك قوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]. لَكِنْ اتِّباع الظَّنّ، بِمعنى: لَكِنَّهم يَتَّبِعونَ الظَّنّ. وكذلك جَميع هذا النَّوْع من الكَلام على ما وَصَفْنا.

وَقد ذُكِرَ عن بعض القَرأة أنَّه قَرأ: (إلا أَمَانِيَ) مُخَفَّفة، ومَنْ خَفَّفَ ذلك وجهه إلى نَحْو جَمْعهم المِفْتاح مَفاتِح، والقُرْقور قَراقِر، وإنَّ ياء الجَمْع لَما حُذِفَتْ خُفِّفَتِ الياء الأصْليّة، أعْني من الأمانيّ، كما جَمَعوا الأُثْفيَّة أثافيَ مُخَفَّفة، كما قال زُهَيْر بن أبي سُلْمَى:

أثافيَ سُفْعًا في مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ ... وَنُؤْيًا كَجِذْمِ الحَوْضِ لم يَتَثَلَّم(٣)

---

(١) [الخفيف] القائل: عمرو بن الأهتم (مخضرم). والشاعر يهجو هنا (قيس عيلان) فيقول: ليس بيني وبينكم عتاب أو أي مجال للكلام؛ فليس بيننا إلا القتال وضرب الأعناق؛ وهنا دليل على شجاعة الشاعر وإقدامه على القتال وجرأته على النزال!

(٢) [الطويل] القائل: النابغة الذبياني (جاهلي). اللغة: مَثْنَوِيَّة: استثناء. المعنى: يقول النابغة الذبياني التي يمدح فيها عمرو بن الحارث الغساني: حلفت يمينا لئن كان من هو - من ولد هؤلاء الملوك من آبائه، الذين عدد قبورهم ومآثرهم - ليغزون من حاربه في عقر داره وليهزمنه، ولم أقل هذا عن علم إلا ما عندي في صاحبي من حسن الظن.

(٣) [الطويل] القائل: زهير بن أبي سلمى. اللغة: الأثافي: مفردها الأثفية، وهي حجارة توضع القدر عليها، ثم إن كان من الحديد سمي منصبًا، والجمع (المناصب)، ولا يسمى أثفية. السفع: السود، والأسفع مثل الأسود، والسفاع مثل السواد. المعرس: أصله المنزل، من التعريس وهو النزول في وقت السحر؛ ثم استعير للمكان الذي تنصب فيه

وَأَمَّا مَنْ ثَقَّلَ: ﴿أَمَانِيَّ﴾ فَشَدَّدَ ياءَها فَإِنَّه نَحْو جَمْعِهم المِفْتاح مَفاتيح، والقُرْقور قَراقير، والزُّنْبور زَنابير، فاجْتَمعتْ ياءُ فعاليل ولامُها وهُما جَميعًا ياءان فَأُدْغِمَتْ إحداهُما في الأُخْرَى فَصارَتا ياء واحِدة مُشَدَّدة.

فَأَمَّا القِراءةُ التي لا يجوز غَيْرُها لِقارِئٍ عندي في ذلك فَتَشْديدُ ياءِ الأمانيّ؛ لِإجماعِ القَرَأَةِ على أنَّها القِراءةُ التي مَضَى على القِراءة بها السَّلَفُ، مُسْتَفيضٌ ذلك بينهم، غَيْرُ مَدْفوعة صِحَّته، وشُذوذِ القارِئ بِتَخْفيفِها عَمَّا عليه الحُجّةُ مُجْمِعةٌ في ذلك وكَفَى شاهِدًا على خَطَأِ قارِئ ذلك بِتَخْفيفِها إجماعُها على تَخْطِئَته.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَإِنْ هُمْ﴾: وما هم. كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١]. يَعْني بِذلك: ما نَحْنُ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ. وَمعنى قولِه: ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: إلا يَشُكُّونَ ولا يَعْلَمونَ حَقيقَته وصِحَّته. والظَّنُّ في هذا الموضِع شَكٌّ.

فَمعنى الآية: ومنهم مَنْ لا يكْتُب ولا يَخُطُّ ولا يَعْلَم كِتاب اللّه ولا يَدْري ما فيه إلاَّ تَخَرُّصًا وتَقَوُّلاً على اللّه الباطِلَ ظَنًّا منه أنَّه مُحِقٌّ في تَخَرُّصه وتَقَوُّله الباطِلَ.

وَإِنّما وصَفَهم اللّه تعالى ذِكْره بِأنهم في تَخَرُّصهم على ظَنٍّ، هل هم فيه مُحِقُّونَ أم مُبْطِلونَ؛ لأنَّهم كانوا قد سَمِعوا من رُؤَسائِهم وأحبارِهم أُمورًا حَسِبوها من كِتاب اللّه، ولم تَكُنْ من كِتاب اللّه، فَوَصَفَهم جَلَّ ثَناؤه بِأنهم يَتْرُكونَ التَّصْديق بالذي يوقِنونَ به أنَّه من عند اللّه مِمَّا جاء به مُحَمَّد ﷺ، ويَتَّبِعونَ ما هم فيه شاكُّونَ، وفي حَقيقَته مُرْتابونَ، مِمَّا أَخْبَرَهم به كُبَراؤُهم ورُؤَساؤُهم وأحبارُهم؛ عِنادًا منهم لِلَّه ولِرَسولِهِ، ومُخالَفة منهم لأمْرِ اللّه واغْتِرارًا منهم بِإمْهالِ اللّه تعالى ذكره إيَّاهم.

وَبِنَحْوِ ما قُلْنا في تأويل قولِه: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ قال فيه المُتأوِّلونَ من السَّلَف:

١٣٦٩- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، عن عيسَى، وحدَّثني المُثَنَّى، قال: حدَّثَنا أبو حذيفةَ، قال: حدَّثَنا شبلٌ، جميعًا عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: إلاَّ يكْذِبونَ(١).

١٣٧٠- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حدثنا الحسين، قال: حَدَّثَنا حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن

القدر. المرجل: القدر عند ثعلب من أي صنف من الجواهر كانت. النؤى: نهير يحفر حول البيت ليجري فيه الماء الذي ينصب من البيت عند المطر ولا يدخل البيت، والجمع (الآناء). الجذم: الأصل، ويروى كحوض الجد، والجد: البئر القريبة من الكلأ وقيل بل هي البئر القديمة.

المعنى: عرفت حجارة سواد تنصب عليها القدر، وعرفت نهيرا كان حول بيت (أم أوفى) بقي غير متثلم كأنه أصل حوض نصب أثافي على البدل من الدار في قوله عرفت الدار؛ يريد أن هذه الأشياء دلته على أنها دار أم أوفى.

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

مُجاهِد، مِثله(١).

١٣٧١- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عِكْرِمة أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أيْ: لا يَعْلَمونَ الكتاب ولا يَدْرونَ ما فيهِ، وهم يجْحَدونَ نبوَّتك بالظَّنِّ(٢).

١٣٧٢- حَدَّثَنا بِشر، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ قال: يَظُنُّونَ الظُّنون بِغَيْرِ الحَقِّ(٣).

١٣٧٣- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية، قال: يَظُنُّونَ الظُّنون بِغَيْرِ الحَقِّ(٤).

١٣٧٤- حُدِّثت عن عمار، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، مِثْله(٥).

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ﴾

اختلَفَ أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾؛ فقال بعضهم بما:

١٣٧٥- حَدَّثَنا به أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشر بن عُمارة، عن أبي رَوْق عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم﴾. يقول: فالعَذابُ عليهم(٦).

وَقال آخَرون بما:

١٣٧٦- حَدَّثَنا به ابن بَشَّار، قال: حَدَّثَنا ابن مَهْديٍّ، قال: حَدَّثَنا سُفْيان، عن زياد بن فَيَّاض، قال: سَمِعْت أبا عياض يقول: الوَيْل: ما يَسيل من صَديدٍ في أصْل جَهَنَّم(٧).

١٣٧٧- حَدَّثَنا مُشَرَّفُ بنُ أبانِ الحَطَّاب، قال: حَدَّثَنا وكيع، عن سُفْيان، عن زياد بن فَيَّاض، عن أبي عياض في قوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾ قال: صِهْريج في أصْل جَهَنَّم يَسيل فيه صَديدهمْ(٨).

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٥) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٦) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٧) [صحيح] عمرو بن الأسود العنسي ويقال: الهمداني أبو عياض، ثقة عابد، قال ضمرة بن حبيب: مر على عمر فقال: من أراد أن ينظر إلى هدى نبيه فلينظر إلى هدى عمرو بن الأسود. و زياد بن فياض الخزاعي أبو الحسن الكوفي ثقة عابد. وسفيان هو الثوري. وبقية رجاله تقدموا.

(٨) [صحيح] تقدم قبله، وبشر بن أبان قد توبع من هناد في الزهد فقال: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن زياد بن

١٣٧٨- حدثنا عليّ بن سَهل الرَّمْليُّ، قال: حَدَّثنا زَيْد بن أبي الزَّرْقاء، قال: حَدَّثنا سُفيان عن زياد بن فَيَّاض، عن أبي عياض، قال: الوَيْلُ وادٍ من صَديد في جَهَنَّم (١).

١٣٧٩- حدثني ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثنا مِهرانُ، عن سفيان، قال: و﴿وَيْلٌ﴾: ما يَسيلُ من صَديد في أصْل جَهَنَّم (٢).

وقال آخرون بما:

١٣٨٠- حدثنا به المُثَنَّى، قال: حَدَّثنا إبراهيم بن عبد السَّلام بن صالِح القُشَيْرِيُّ، قال: حَدَّثنا عَليّ بن جَرير، عن حَمَّاد بن سَلَمة، عن عبد الحَميد بن جَعْفَر، عن كِنانة العَدَوِيِّ، عن عُثمان بن عَفَّانَ، عن رَسول اللَّه ﷺ: قال: «**الوَيْلُ جَبَلٌ في النَّار**» (٣).

١٣٨١- حدثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: أخبرني عَمْرو بن الحارِث، عن دَرَّاج، عن أبي الهَيْثَم، عن أبي سَعيد، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**وَيْلٌ: وادٍ في جَهَنَّم يَهْوي فيه الكافِر أربَعينَ خَريفًا قَبْل أنْ يَبْلُغ قَعْره**» (٤).

قالَ أبُو جَعْفَرٍ: فَمعنى الآيَةِ على ما رويَ عَمَّنْ ذَكَرْت قوله في تأويل ﴿فَوَيْلٌ﴾: فالعَذابُ الذي هو شُرْبُ صَديدِ أهل جَهَنَّم، الذي في أسفَل الجَحيم، لِلْيَهودِ الذينَ يَكْتُبونَ الباطِلَ بِأيْديهم ثُمَّ يقولونَ: هذا من عند اللَّه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

يَعْني بذلك جلَّ ثناؤه: الذينَ حَرَّفوا كِتاب اللَّه من يَهود بَني إسرائيل، وكَتَبوا كِتابًا على ما تأوَّلوهُ من تأويلاتهم، مُخالِفًا لِما أنزله اللَّه عز وجل على نَبيِّه موسَى عليه السلام، ثُمَّ باعوه من قَوْم لا عِلْم لهم بها ولا بِما في التَّوْراة جُهَّال بِما في كُتُب اللَّه، طَلَبَ عَرَضٍ من الدُّنْيا خَسيس، فَقالَ اللَّه تعالى ذكرُه لهم: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾. كما:

١٣٨٢- حدثني موسَى بن هارون، قال: حَدَّثنا عَمْرو بن حماد، قال: حَدَّثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

فياض، عن أبي عياض قال: (ويل: واد في أصل جهنم يسيل فيه صديدهم). اهـ.

(١) [صحيح] تقدم قبله، و زيد بن أبي الزرقاء المحدث، صدوق. و علي بن سهل بن قادم، ثقة.

(٢) [ضعيف] مهران بن أبي عمر العطار أبو عبد الله الرازي، ضعيف وعنده غلط كثير في حديث سفيان، وهو الثوري، وابن حميد شيخ المصنف تقدم الكلام على ضعفه.

(٣) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وكذلك إبراهيم بن عبد السلام بن صالح.

(٤) [ضعيف] دراج بن سمعان يقال: اسمه عبد الرحمن ودراج لقب أبو السمح القرشي السهمي المصري القاص مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، قال السجستاني: أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد. اهـ وفيه علة أخرى وهي تفرد ابن لهيعة برفعه، قال الترمذي: قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلاّ من حديث ابن لَهِيعَة. اهـ.

قال: كان ناس من اليَهود كَتَبوا كِتابًا من عندهم يَبيعونَه من العرب، ويُحَدِّثونَهم أنَّه من عند اللَّه ليَأخُذوا به ثَمَنًا قَليلاً[١].

١٣٨٣- حَدَّثَنا أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عُثْمان بن سَعيد، قال: حَدَّثَنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاسٍ، قال: الأُمِّيّونَ قَوْم لم يُصَدِّقوا رَسولاً أرْسَلَه اللَّه عز وجل، ولا كِتابًا أنزَلَه اللَّه، فَكَتَبوا كِتابًا بأيْديهم، ثُمَّ قالوا لِقَوْم سَفِلَة جُهَّال: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ﴾. قال: ليبتاعوا به. ﴿ثَمَنًا﴾ قال: عَرَضًا من عَرَضِ الدُّنيا[٢].

١٣٨٤- حَدَّثَني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾. قال: هؤلاء الذينَ عَرَفوا أنَّه من عند اللَّه يُحَرِّفونَهُ[٣].

١٣٨٥- حَدَّثَنا المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثله، إلاَّ أنَّه قال: ثُمَّ يُحَرِّفونَهُ[٤].

١٣٨٦- حَدَّثَنا بِشر بن مُعاذ، قال: ثنا يزيد بن زُرَيْعٍ، قال: حدثنا سعيد، عن قَتادةَ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الآية: وهم اليَهود[٥].

١٣٨٧- حَدَّثَنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾. قال: كان ناس من بَني إسرائيل كَتَبوا كِتابًا بأيديهم ليتَأكُلوا النَّاس، فَقالوا: هذا من عند اللَّه. وما هو من عند اللَّه[٦].

١٣٨٨- حَدَّثَنا المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال: عَمَدوا إلى ما أنزَلَ اللَّه تعالى ذكره في كِتابهم من نَعت مُحَمَّد ﷺ، فَحَرَّفوه عن مَواضِعه، يَبْتَغونَ بِذلك عَرَضًا من عَرَض الدُّنيا، فَقال اللَّه: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٧].

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٥) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٦) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٧) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

١٣٨٩- حدَّثني المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: ثنا إبراهيم بن عبد السَّلام، قال: ثنا عَليّ بن جَرير، عن حَمَّاد بن سَلَمة، عن عبد الحَميد بن جَعْفَر، عن كِنانة بن نعيم العَدَويّ، عن عُثْمان بن عَفَّانَ رَضيَ اللَّه عنهُ، عن رَسول اللَّه ﷺ: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾. قال: «الوَيْل: جَبَل في النَّار». وَهوَ الذي أُنْزِلَ في اليَهود؛ لأَنَّهم حَرَّفوا التَّوْراة، زادوا فيها ما يُحِبُّونَ، ومَحَوْا منها ما يكْرَهونَ، ومَحَوْا اسم مُحَمَّد ﷺ من التَّوْراة؛ فَلِذلك غَضِبَ اللَّه جل ثناؤه عليهم فَرَفَعَ بعض التَّوْراة فقال: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (١).

١٣٩٠- وحدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: أَخْبَرَني سَعيد بن أبي أيّوب، عن مُحَمَّد بن عَجْلان، عن زَيْد بن أسلَمَ، عن عَطاء بن يَسار، قال: ﴿وَيْلٌ﴾ وادٍ في جَهَنَّم لو سُيِّرَتْ فيه الجِبال لانماعَتْ من شِدَّة حَرِّه (٢).

فإن قال لنا قائِل: فما وجه قوله: ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾؟ وهَلْ يكتبون بِغَيْرِ اليَد حتَّى احْتاجَ المُخاطَبون بهذه المُخاطَبةِ إلى أنْ يُخْبَروا عن هؤلاء القَوْم الذينَ قَصَّ اللَّه تعالى ذكرُه قِصَّتَهم أنَّهم كانوا يكْتُبونَ الكِتاب بِأيْديهم؟

قِيلَ له: إنَّ الكِتاب من بَني آدَم وإنْ كان منهم باليَدِ، فَإنَّه قد يُضاف الكِتاب إلى غَيْر كاتِبه وغَيْر المُتَوَلِّي رَسْم خَطِّه، فَيُقال: كَتَبَ فُلانٌ إلى فُلان بِكَذا. وإنْ كان المُتَوَلِّي كِتابَته بيَدِه غَيْرَ المُضاف إليه الكِتابُ، إذا كان الكاتِبُ كَتَبَه بِأَمْرِ المُضافُ إليه الكِتاب.

فَأعْلَمَ رَبّنا جَلّ ثَناؤه بِقولِه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ عِباده المُؤمِنينَ أنَّ أحبار اليَهود تَلي كِتابة الكَذِب والفِرْية على اللَّه بِأيْديهم على عِلْم منهم وعَمْدٍ لِلْكَذِبِ على اللَّه، ثُمَّ تَنْحَلُه إلى أنَّه من عند اللَّه وفي كِتاب اللَّه جل وعز تَكَذُّباً على اللَّه وافتِراءً عليه، فَنَفى اللهُ بِقولِه: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أنْ يكون ولِيَ كِتابةَ ذلك بعضُ جُهَّالِهم بِأمْرِ عُلَمائِهم وأحبارهِمْ. وَذلك نَظير قول القائِل: باعَني فُلان عَيْنَهُ كذا، واشْتَرَى فُلانٌ نَفْسُه كذا. يُرادُ بإدْخالِ النَّفْس والعَيْن في ذلك نَفْي اللُّبْس عن سامِعه أنْ يكون المُتَوَلِّي بَيْعَ ذلك أو شِراءَه غَيْرَ الموصوف به بِأمْرِه، ويوجِب حَقيقة الفِعْل لِلْمُخْبَرِ عنهُ؛ فَكَذلك قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾

يَعْني جَلَّ ثَناؤه بِقولِه: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أيْ: فالعَذابُ في الوادي السَّائِل من صَديد أهلِ النَّار في أسفَل جَهَنَّم لهم. يَعْني: لِلَّذينَ كتبوا الكِتاب الذي وصَفْنا أمْره من يَهود بَني

(١) [ضعيف] تقدم برقم (١٣٨٠).
(٢) [حسن] من أجل محمد بن عجلان، وقد تقدم الحديث عن بقية رجاله.

إسرائيل مُحَرَّفًا، ثُمَّ قالوا: هذا من عند اللَّه. ابْتِغاءَ عَرَضٍ من الدُّنْيا قَليلٍ مِمَّنْ يَبْتاعُه منهم.

وَقوله: ﴿مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾. يقول: مَنْ الذي كَتَبَتْ أَيْديهم من ذلك، ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم﴾ أيضًا ﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ يَعْني: مِمَّا يَعْمَلونَ من الخَطايا، ويَجْتَرِحونَ من الآثام، ويكْسِبونَ من الحَرام، بِكِتابِهم الذي يَكْتُبونَه بأَيْديهم، بِخِلافِ ما أَنْزَلَ اللَّه، ثُمَّ يَأْكُلونَ ثَمَنه وقد باعوه مِمَّنْ باعوه منهم على أنَّه من كِتاب اللَّه، كَما:

١٣٩١- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾: يَعْني: من الخَطيئة[١].

١٣٩٢- حَدَّثَنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم﴾ يقول: فالعَذابُ عليهم. قال: يقول: من الذي كَتَبوا بِأَيْديهم من ذلك الكَذِبِ، ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ يقول: مِمَّا يَأْكُلونَ النَّاسَ السَّفِلَةَ وغَيْرِهم[٢].

وأَصْلُ الكَسْبِ: العَمَلُ، فَكُلُّ عامِلٍ عَمَلاً بِمُباشَرَةٍ منه لِما عَمِلَ ومُعاناةٍ باحْتِرافٍ، فهو كاسِبٍ لِما عَمِلَ، كما قال لَبِيد بن رَبيعة:

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَواسِبُ لا يُمَنُّ طَعامُها[٣]

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَقَالُوا﴾: اليَهودُ. يقول: وقالتِ اليَهود: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾؛ يَعْني: لَنْ تُلاقيَ أجْسامَنا النَّارُ، ولَنْ نَدْخُلها إلاَّ أيَّامًا معدودة. وَإنما قِيلَ معدودة وإنْ لم يكُنْ مُبَيَّنًا عَدَدُها في التَّنْزيل؛ لأنَّ اللَّه جَلَّ ثَناؤه أَخْبَرَ عنهم بِذلك وهم عارِفونَ عَدَدَ الأيَّام التي يُوَقِّتونَها لِمُكْثِهم في النَّار فَلِذلك تَرَكَ ذِكْر تَسْمية عَدَد تِلْكَ الأيَّام وسَمَّاها معدودةً لِما وصَفْنا.

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٣) [الكامل] القائل: لبيد بن ربيعة (مخضرم). اللغة: العفر والتعفير: الإلقاء على العفر وهو أديم الأرض. القهد: الأبيض. التنازع: التجاذب. الشلو: العضو، وقيل هو بقية الجس، والجمع الأشلاء. الغبس: جمع أغبس وغبساء، والغبسة: لون كلون الرماد. المن: القطع، والفعل من يمن، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[فصلت: ٨]؛ ومنه سمي الغبار منينا لانقطاع بعض أجزائه عن بعض، والدهر والمنية منونًا لقطعهما أعمار الناس وغيرهم. المعنى: يقول الشاعر: هي تطوف وتبغم لأجل جؤذر ملقى على الأرض أبيض قد تجاذبت أعضاءه ذئاب أو كلاب غبس لا يقطع طعامها، أي لا تفتر في الاصطياد فينقطع طعامها، هذا إذا جعلت غبسا من صفة الذئاب، وإن جعلتها من صفة الكلاب؛ فمعناه: لا يقطع أصحابها طعامها؛ فهي تجد في الطلب لأجل فقدها ولدًا قد ألقي على أديم الأرض وافترسته ذئاب صوائد قد اعتادت الاصطياد، وبقر الوحش بيض ما خلا أوجهها وأكارعها؛ لذلك قال قهد.

ثُمَّ اختلَفَ أهل التَّأويل في مَبْلَغ الأيَّام المعدودةِ التي عَنَتْها اليَهود القائِلونَ ما أخْبَرَ اللَّهُ عنهم من ذلك. فقال بعضهم بما:

١٣٩٣- **حدَّثَنا** به أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قالوا: هي أربعون يومًا لأمرٍ عُذِّبوا فيه، ثم لا يُصيبُنا بعدَها عذاب[1].

١٣٩٤- **حدَّثَنا** بشرُ بنُ معاذٍ، قال: حدَّثنا يزيدُ، قال: حدثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: قال ذلك أعْداء اللَّه اليَهود، قالوا: لَنْ يُدْخِلنا اللَّهُ النَّار إلاَّ تَحِلَّة القَسَم؛ الأيَّامَ التي أصَبنا فيها العِجْل أرْبَعينَ ليلةً، فإذا تَقَضَّتْ عَنَّا تِلْكَ الأيَّامُ، انقطَعَ عَنَّا العَذاب والقَسَم[2].

١٣٩٥- **حدَّثَنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قالوا: أيَّامًا معدودة؛ ما أصَبنا في العِجْل[3].

١٣٩٦- **حدَّثَني** موسَى بن هارون، قال: ثنا عَمْرو بن حماد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قال: قالتِ اليَهود: إنَّ اللَّه يُدْخِلُنا النَّار فَنَمْكُث فيها أرْبَعينَ لَيْلة، حتَّى إذا أكَلَتِ النَّار خَطايانا واستَنْقَينا، نادَى مُنادٍ: أخْرِجوا كُلَّ مَخْتونٍ مِن ولَد إسرائيل. فَلِذلك أُمِرْنا أنْ نَخْتَتِن. قالوا: فلا يَدَعونَ مِنَّا في النَّار أحَدًا إلاَّ أخْرَجوهُ[4].

١٣٩٧- **حدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية، قال: قالتِ اليَهودُ: إنَّ رَبَّنا عَتَبَ علينا في أمْرٍ، فَأقْسَمَ لَيُعَذِّبَنَّا أرْبَعينَ لَيْلة، ثُمَّ يُخْرِجنا. فَأكْذَبَهم اللَّه جلَّ ثناؤه[5].

١٣٩٨- **حدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن قَتادةَ، قال: قالتِ اليَهود: لَنْ نَدْخُل النَّار إلاَّ تَحِلَّة القَسَم؛ عَدَدَ الأيَّام التي عبدنا فيها العِجْل[6].

١٣٩٩- **حدَّثَني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمِّي، قال: حَدَّثَني أبي،

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق.

(٦) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

عن أبيه، عن ابن عبَّاس قولَه: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ الآية. قال ابن عبَّاس: ذُكِرَ أنَّ اليَهود وجَدوا في التَّوْراة مَكْتوبًا: (إنَّ ما بين طَرَفَيْ جَهَنَّم مَسيرةَ أَرْبَعينَ سَنة، إلى أنْ يُنْتَهى إلى شَجَرة الزَّقُّوم نابتة في أصْل الجَحيم) - وكان ابن عبَّاس يقول: إنَّ الجَحيم سَقَر، وفيه شَجَرة الزَّقّوم - فَزَعَمَ أعداء اللَّهِ أنَّه إذا خَلا العَدَد الذي وجَدوا في كِتابهم أيَّامًا معدودة - وإنما يَعْني بِذلك المَسيرَ الذي يَنْتَهي إلى أصْلِ جَهَنم - فَقالوا: إذا خَلا العَدَدُ انقَضَى الأجَلُ فلا عَذاب وتَذْهَب جَهَنَّمُ وتَهلِك. فَذلك قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ يَعْنونَ بِذلك الأجَلَ، فَقال ابن عَبَّاس: لَمَّا اقْتَحَموا من باب جَهَنَّمَ ساروا في العَذاب، حتَّى انتَهَوْا إلى شَجَرة الزَّقّوم آخَر يوم من الأيَّام المعدودة، وهي الأربعون سنةً، فلما أكلوا من شجرة الزَّقُّوم وملأوا منها البَطون آخِرَ يوم من الأيام المعدودةِ، قال لهم خُزَّان سَقَر: زَعَمْتُم أنَّكم لَنْ تَمَسَّكُم النَّارُ إلاَّ أيَّامًا معدودة، فقد خَلا العَدَد وأنتم في الأبَد، فَأخَذَ بهم في الصُّعود في جَهَنَّم يُرْهَقونَ[١].

١٤٠٠- **حدَّثني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثني أبي، عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾: فإنهم اليهودُ قالوا: لن تمسنا النارُ إلاَّ أرْبَعينَ لَيْلة[٢].

١٤٠١- **حدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا حَفْص بن عُمَر، عن الحَكَم بن أبانَ، عن عِكْرِمة، قال: خاصَمَتِ اليَهود رَسول اللَّه ﷺ فَقالوا: لَنْ نَدْخُل النَّار إلاَّ أرْبَعينَ لَيْلة، وسَيَخْلُفُنا فيها قَوْم آخَرونَ - يَعْنونَ مُحَمَّدًا وأصْحابه - فَقال رَسول اللَّه ﷺ بيَدِه على رُءوسِهِمْ: «**بل أنتم فيها خالِدونَ، لا يَخلُفكُم إليها أحَد**» فَأنْزَلَ اللَّه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ الآية[٣].

١٤٠٢- **حدَّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَنا حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخْبَرَني الحَكَم بن أبانٍ، عن عِكْرِمة، قال: اجْتَمعتْ يَهود يومًا تُخاصِم النَّبيّ ﷺ فَقالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾؛ أرْبَعينَ يومًا ثُمَّ يَخْلُفنا أو يَلْحَقنا فيها أُناس. فَأشاروا إلى النَّبيّ ﷺ وأصْحابه، فَقال النبيُّ: «**كذَبْتُمْ، بل أنتم فيها خالِدونَ مُخَلَّدونَ، لا نَلْحَقكُم أو نَخلُفكُم فيها إنْ شاءَ اللَّهُ أبَدًا**»[٤].

١٤٠٣- **حدَّثني** يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: حدَّثَنا عَليّ بن معبَد، عن أبي مُعاوية، عن جوَيْبِر، عن الضَّحَّاك في قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ قال: قالتِ اليَهود: لا نُعَذَّب في النَّار يوم القيامة إلاَّ أرْبَعينَ يومًا مِقْدار ما عبدنا العِجْل[٥].

---

(١) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء. (٢) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.
(٣) [ضعيف] مداره على حفص بن عمر بن ميمون العدني، ضعيف، والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال.
(٤) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.
(٥) [ضعيف] جويبر بن سعيد الأزدي متروك.

١٤٠٤- **حَدَّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: حَدَّثَني أبي أنَّ رَسول اللَّه ﷺ قال لهم: «**أَنْشُدكُم باللَّهِ وبالتَّوْراةِ التي أنزَلَها اللَّهُ على موسَى يوم طور سَيْناء، مَن أهلُ النَّار الذينَ أنزَلَهم اللَّه في التَّوْراة؟**» قالوا: إنَّ رَبهم غَضِبَ عليهم غَضْبة، فَنَمْكُثُ في النَّار أرْبَعينَ لَيْلة، ثُمَّ نَخْرُج فَتَخْلُفونَنا فيها. فَقال النَّبيُّ ﷺ: «**كذَبْتُم واللَّه، لا نَخْلُفكُم فيها أبَدًا**». فَنَزَلَ القُرْآن تَصْديقًا لِقولِ النَّبيِّ ﷺ، وتَكْذيبًا لهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [(١)].

وَقال آخَرونَ في ذلك بما:

١٤٠٥- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا يونُس بن بُكَيْر، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، قال: حَدَّثَني سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: كانتْ يَهود يقولونَ: إنَّما هذه الدُّنيا سَبْعةُ آلاف سَنة، وإنما يُعذَّبُ النَّاس يوم القيامة بِكُلِّ ألف سَنة من أيَّام الدُّنيا يومًا واحِدًا من أيَّام الآخِرة، وإنَّما هي سَبْعة أيَّام. فَأنزَلَ اللَّه في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ الآية[(٢)].

١٤٠٦- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْد قال: ثنا سَلَمة، قال: حدثني مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: قَدِمَ رَسول اللَّه ﷺ المَدينة ويَهود تَقول: إنَّما مُدَّة الدُّنيا سَبْعة آلاف سَنة، وإنَّما يُعَذَّب النَّاس في النَّار بِكُلِّ ألف سَنة من أيَّام الدُّنيا يومًا واحِدًا في النَّار من أيَّام الآخِرة، فَإنَّما هي سَبْعة أيَّام ثُمَّ يَنْقَطِع العَذاب. فَأنْزَلَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ في ذلك من قولهم ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ الآية[(٣)].

١٤٠٧- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابنِ أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قال: كانتْ تَقول: إنَّما الدُّنيا سَبْعة آلاف سَنة، فإنَّما نُعَذَّب مَكان كُلِّ ألفِ سَنة يومًا[(٤)].

١٤٠٨- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله، إلاَّ أنَّه قال: كانتِ اليَهود تَقول: إنَّما الدُّنيا. وسائِر الحَديث مِثْله[(٥)].

١٤٠٩- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج، قال

(١) [ضعيف] زيد بن اسلم عن النبي ﷺ مرسل، وعبد الرحمن ابنه ضعيف.
(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول.
(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل ضعيف.
(٤) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.
(٥) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

مُجاهِد: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: من الدَّهر. وسَمَّوْا عِدَّة سَبْعة آلاف سَنة، من كُلِّ ألف سَنة يومًا. يهود تقوله(١).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٠﴾

ولَمَّا قالتِ اليَهود ما قالتْ من قولها: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ على ما قد بَيَّنَّا من تأويل ذلك، قال اللَّه جل ثناؤه لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ: قُلْ يا مُحَمَّد لِمعشرِ اليَهود: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾: بما تَقُولُون من أن النار لن تمسَّنا إلا أيامًا معدودة، فلن يُخلفَ اللَّهُ عهدَه. ويعني بقوله: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾: أخذتُم بِما تَقولونَ من ذلك من اللَّه ميثاقًا، فاللَّه لا يَنْقُض ميثاقه ولا يُبَدِّل وعْده وعَقْده، أم تَقولونَ على اللَّه الباطِل جَهْلاً وجُرأة عليه؟ كما:

١٤١٠- حَدَّثَني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، عن عيسَى، وحَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، جميعًا عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ أيْ: موثِقًا من اللَّه بِذلك أنَّه كما تَقولونَ(٢).

١٤١١- وحَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن قَتادةَ قال: قالتِ اليَهود: لَنْ نَدْخُل النَّار إلاَّ تَحِلَّة القَسَم عدد الأيَّام التي عبدنا فيها العِجْل. فَقال اللَّه: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ بهذا الذي تَقولونَ، ألكم بهذا حُجَّةٌ وبُرْهان ﴿فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ فَهاتوا حُجَّتَكُم وبُرْهانَكُم ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣).

١٤١٢- حَدَّثَنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: لَمَّا قالتِ اليَهود ما قالتْ، قال اللَّه جَلَّ ثَناؤه لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ﴾ يقول: أدَّخَرْتُم ﴿عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ يقول: أقُلْتُم لا إلَه إلاَّ اللَّه. لم تُشْرِكوا، ولم تَكْفُروا به، فَإنْ كُنتُم قُلْتُموها فارْجوا بها، وإنْ كُنتُم لم تَقولوها فَلِمَ تَقولونَ على اللَّه ما لا تَعْلَمونَ؟! يقول: لو كُنتُم قُلْتُم: لا إلَه إلاَّ اللَّه. ولم تُشْرِكوا به شَيْئًا، ثُمَّ مُتُّم على ذلك لَكان لكم ذُخْرًا عندي، ولم أُخْلِف وغْدي لكم أنِّي أُجازيكُم بها(٤).

١٤١٣- حَدَّثَني موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: لَمَّا قالتِ

---

(١) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٤) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

اليَهود ما قالت، قال اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾، وقال في مَكان آخَر: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤]. ثُمَّ أخْبَرَ الخَبَر فَقال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾(١).

وَهذه الأقْوال التي رَوَيْناها عن ابن عَبَّاس ومُجاهِد وقَتادةُ بِنَحْوِ معنى ما قُلْنا في تأويل قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾؛ لأنَّ مِمَّا أعطى اللَّهُ عِباده من ميثاقه أنَّ مَنْ آمَنَ به وأطاعَ أمْره نَجَّاه من ناره يوم القيامة، وَمن الإيمان به الإقْرارُ بِأن لا إلَه إلاَّ اللَّه، وكذلك من ميثاقه الذي واثَقَهم به أنَّ مَنْ أتاه يوم القيامة بِحُجّةٍ تَكون له نَجاة من النَّار أن يُنَجِّيه منها، فَكُلُّ ذلك وإنْ اختَلَفَتْ ألفاظ قائِليهِ، فَمُتَّفِقُ المَعاني على ما قُلْنا فيهِ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾

وَقوله جل ثناؤه: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ تَكْذيب من اللَّه جلَّ ثناؤه القائِلينَ من اليَهود: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وإخبارٌ منه لهم أنَّه مُعَذِّبٌ مَنْ أشرَكَ وكَفَرَ به وبِرُسُلِه وأحاطَتْ به ذُنوبهُ فَمُخَلِّدُه في النَّار؛ وأنَّ الجَنَّة لا يَسْكُنها إلاَّ أهل الإيمان به وبِرَسولِهِ، وأهل الطَّاعة لهُ، والقائِمونَ بِحُدودِه. كَما:

١٤١٤- **حَدَّثنا** مُحَمَّد بن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة بن الفضل، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ أيْ: مَنْ عَمِلَ مِثْل أعْمالكُم وكَفَرَ بِمِثْلِ ما كَفَرْتُم به حتَّى يُحيط كُفْرُه بِما له من حَسَنة، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٢).

قال: وأمَّا ﴿بَلَىٰ﴾ فإنها إقْرارٌ في كُلِّ كَلام في أوَّله جَحْد، كما (نَعَم) إقْرار في الاستِفْهام الذي لا جَحْد فيهِ، وأصْلها (بل) التي هي رُجوع عن الجَحْد المحض في قولك: ما قامَ عَمْرو بل زَيْد. فزيدت فيها الياء لِيَصْلُح عليها الوُقوف، إذْ كانتْ عَطْفًا ورُجوعًا عن الجَحْد، ولِتَكونَ - أعْني بَلَى - رُجوعًا عن الجَحْد فَقَطْ، وإقْرارًا بالفِعْلِ الذي بعد الجَحْد؛ فَدَلَّتِ الياء منها على معنى الإقْرار والإنْعام، ودَلَّ لَفْظ (بل) على الرُّجوع عن الجَحْد.

وأمَّا السَّيِّئة التي ذَكَرَ اللَّه في هذا المَكان فإنها الشِّرْك باللَّه. كَما:

١٤١٥- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: ثنا يَحْيَى بن سَعيد، عن سُفْيان، قال: حَدَّثَني عاصِم، عن أبي وائِل ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ قال: الشِّرْكُ(٣).

١٤١٦- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، وحَدَّثَني المُثَنَّى، قال:

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣) [حسن] عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي أبو بكر المقرئ، صدوق لا بأس به.

ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، جميعًا عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: شِرْكًا [(١)].

١٤١٧ - حدَّثنا بِشْرٌ، قال: ثنا يَزيدُ، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ قال: أمَّا السَّيِّئةُ فالشِّرْك [(٢)].

١٤١٨ - حدَّثنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ، مِثْله [(٣)].

١٤١٩ - حدَّثني موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ قال: أمَّا السَّيِّئةُ فهِيَ الذُّنوب التي وعَدَ الله عليها النَّار [(٤)].

١٤٢٠ - حدَّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: قُلْت لِعَطاءٍ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ قال: الشِّرْك [(٥)].

قال ابن جُرَيْج: قال مُجاهِد: ﴿سَيِّئَةً﴾: شِرْكًا.

١٤٢١ - حُدِّثْت عن عَمَّارٍ، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع قوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: يَعْني: الشِّرْك [(٦)].

وإنما قُلْنا: إنَّ السَّيِّئة التي ذكرها اللَّه عزَّ وجلَّ أنَّ مَنْ كَسَبَها وأحاطَتْ به ذنوبُه فهو من أهل النَّار - في هذا المَوْضِع - المُخَلَّدينَ فيها، إنَّما عَنَى جلَّ ذكرُه بها بعضَ السَّيِّئات دون بعض، وإنْ كان ظاهِرها في التِّلاوة عامًّا؛ أنَّ اللَّه قَضَى على أهلها بالخُلودِ في النَّار. والخُلود في النَّار لأهلِ الكُفْر باللَّه دون أهل الإيمان به؛ لِتَظاهُرِ الأخْبار عن رَسول اللَّه ﷺ أنَّ أهل الإيمان لا يُخَلَّدونَ فيها، وأنَّ الخُلود في النَّار لأهلِ الكُفْر باللَّه دون أهل الإيمان بهِ. وبعدُ فَإنَّ اللَّه جَلَّ ثَناؤه قد قَرَنَ بِقولِه: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فكان معلومًا بِذلك أنَّ الذينَ لهم الخُلود في النَّار من أهل السَّيِّئات، غَيْرُ الذين لهم الخُلودُ في الجَنَّة من أهل الإيمان.

فَإنْ ظَنَّ ظانٌّ أنَّ الذينَ لهم الخُلودُ في الجَنَّة من الذينَ آمَنوا هم الذينَ عَمِلوا الصَّالِحات دون

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [صحيح] هذا سند حسن من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط. وسيأتي بعده بسند صحيح.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٦) [ضعيف] من معلقات المصنف.

الذينَ عَمِلوا السَّيِّئات، فَإِنَّ في إخبار اللَّه تعالى ذكره بأنه مُكَفِّر - باجْتِنابِنا كَبائِر ما نُنْهَى عنه - سَيِّئاتنا، ومُدْخِلُنا المُدْخَلَ الكَريمَ، ما يُنْبِئُ عن صِحّة ما قُلْنا في تأويل قوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ وأنَّ ذلك على خاصٍّ من السَّيِّئاتِ دون عامِّها.

فَإِنْ قال لنا قائِل: فَإِنَّ اللَّه جَلَّ ثَنَاؤه إنَّما ضَمِنَ لنا تَكْفير سَيِّئاتِنا باجْتِنابِنا كَبائِرَ ما نُنْهَى عنهُ، فَما الدَّلالة على أنَّ الكَبائِرَ غَيْرُ داخِلةٍ في قولِه: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾؟

قِيلَ: لِما صَحَّ من أنَّ الصَّغائِر غَيْرُ داخِلة فيهِ، وأنَّ المَعْنِيَّ بالآيةِ خاصٌّ دون عامٍّ، ثَبَتَ وصَحَّ أنَّ القَضاء والحُكْم بها غَيْرُ جائِزٍ لأحَدٍ على أحَد إلاَّ على مَنْ وقَفَهُ اللَّهُ عليه بِدَلالةٍ من خَبَر قاطِعٍ عُذْرَ مَنْ بَلَغَه.

وَقد ثَبَتَ وصَحَّ أنَّ اللَّه جلَّ ثناؤه قد عَنَى بِذلك أهل الشِّرْك والكُفر بهِ، بِشَهادةِ جَميع الأُمَّة، فَوَجَبَ بِذلك القَضاء على أنَّ أهل الشِّرْك والكُفر مِمَّنْ عَناه اللَّه بالآيةِ.

فَأمَّا أهل الكَبائِر فَإِنَّ الأخْبار القاطِعة عُذْرَ مَنْ بَلَغَته قد تَظاهَرَتْ عندنا بِأنهم غَيْرُ معنيِّينَ بها، وَمَنْ أنْكَرَ ذلك مِمَّنْ دافَعَ حُجّة الأخْبار المُسْتَفيضةِ والأنْباء المُتَظاهِرة فاللَّازِمُ له تَرْك قَطْع الشَّهادة على أهل الكَبائِر بالخُلودِ في النَّار بهذه الآية ونَظائِرِها التي جاءتْ بِعُمومِهِم في الوَعيد؛ إذْ كان تأويل القُرْآن غَيْر مُدْرَك إلاَّ بِبَيانِ مَنْ جَعَلَ اللَّه إليه بَيان القُرْآن، وكانتِ الآية فيها تأتي عامًّا في صِنْفٍ ظاهِرها، وهيَ خاصٌّ في ذلك الصِّنْف باطِنُها.

وَيُسْأل مُدافِعو هذا الخَبَر بِأنَّ أهل الكَبائِر من أهل الاسْتِثْناء سُؤالنا مُنْكِرِ رَجْم الزَّاني المُحْصَن، وزَوال فَرْض الصَّلاة عن الحائِض في حال الحَيْض، فَإِنَّ السُّؤال عليهم نَظيرُ السُّؤال على أُولاءِ سَواءً.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾

يَعْني بِقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: اجْتَمعتْ عليه فَماتَ عليها قَبْل الإنابةِ والتَّوْبة منها، وأصْل الإحاطة بالشَّيْءِ: الإحداق به، بِمَنْزِلةِ الحائِط الذي تُحاط به الدَّار فَتُحْدِق بهِ، ومنه قول اللَّه جَلَّ ثَناؤه: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾[الكهف: ٢٩].

فَتأويل الآية إذن: مَنْ أشْرَكَ باللَّه واقْتَرَفَ ذُنوبًا جَمَّة فَماتَ عليها قَبْل الإنابةِ والتَّوْبة، فَأولَئِكَ أصْحاب النَّار هم فيها مُخَلَّدونَ أبَدًا.

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في تأويل ذلك، قاله المُتأوِّلونَ.

ذكر مَنْ قال ذلك منهم:

١٤٢٢- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا ابن يَمان، عن سُفْيانَ، عن الأعْمَش، عن أبي رَزِينٍ: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: ماتَ بِذَنْبِهِ[1].

---

(١) [ضعيف] يحيى بن يمان العجلي أبو زكريا الكوفي، ضعيف يعتبر به.

١٤٢٣- **حدثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حدَّثنا جابر بن نوح، قال: حدَّثنا الأعْمَش، عن أبي رَزين: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: ماتَ بذنبه[(١)].

١٤٢٤- **حدثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا الأعْمَش، عن أبي رَزين، عن الرَّبيع بن خُثَيْم: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: فمات عليها[(٢)].

١٤٢٥- **حدثنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حدَّثني ابن إسحاق، قال: حدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: يُحيط كُفْرُه بما له من حَسَنة[(٣)].

١٤٢٦- **حدثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: ما وَعَدَ اللَّهُ عليه النَّارَ[(٤)].

١٤٢٧- **حدثني** المُثَنَّى، قال: حدَّثنا أبو حذيفةَ، قال: حدَّثنا شبلٌ، عن ابنِ أبى نجيح عن مجاهِدٍ: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾. قال: ما أَوْجَب اللَّهُ فيه النارَ[(٥)].

١٤٢٨- **حدثنا** بِشْر بن معاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: أمَّا الخَطيئةُ فالكَبيرةُ الموجِبة[(٦)].

١٤٢٩- **حدثنا** الحَسَنُ بن يحيى، قال، أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتاده: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: الخَطيئةُ: الكَبائِر[(٧)].

١٤٣٠- **حدثني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا وكيع ويَحْيَى بن آدَم، عن سَلام بن مِسْكينٍ، قال: سَألَ رَجُل الحسن عن قوله: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ فقال: ما نَدْري ما الخَطيئة يا بُنَيَّ، اتْلُ القُرْآن، فَكُلُّ آية وعَدَ اللَّه عليها النَّار فَهيَ الخَطيئة[(٨)].

١٤٣١- **حدثنا** أحمَد بن إسحاق الأهوازيُّ، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قال: ثنا سُفْيان، عن مَنْصور، عن مُجاهِد في قوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: كُلُّ ذَنْب

---

(١) [ضعيف] جابر بن نوح بن جابر ويقال: ابن المختار الحماني أبو بشير الكوفي إمام مسجد بني حمان، ضعيف.

(٢) [ضعيف] تقدم قبله.

(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان. ومداره على سلمة.

(٤) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٥) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٦) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٧) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٨) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

مُحيطٍ فهو ما أوعَدَ اللَّهُ عليه النَّار(١).

١٤٣٢- حَدَّثنا أحمَد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمَد، قال: ثنا سُفيان، عن الأعْمَش، عن أبي رَزين: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: ماتَ بِخطيئتِهِ(٢).

١٤٣٣- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو نُعَيم، قال: ثنا الأعْمَش، قال: ثنا مسعودٌ أبو رَزين، عن الرَّبيع بن خُثَيْم في قوله: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: هو الذي يَموتُ على خَطيئَته، قَبْل أنْ يَتوب(٣).

١٤٣٤- حَدَّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: قال وكيع: سَمِعْت الأعْمَش يقول في قوله: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: ماتَ بِذُنوبِهِ(٤).

١٤٣٥- حدِّثتُ عن عَمَّار، قال: ثنا عبد اللهِ بن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: الكَبيرةُ الموجِبة(٥).

١٤٣٦- حَدَّثني موسَى، قال: ثنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: فَماتَ ولم يَتُبْ(٦).

١٤٣٧- حَدَّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حجَّاجٌ، عن ابن جُرَيْج قال: قُلْت لِعَطاءٍ: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ قال: الشِّرْك. ثُمَّ تَلا: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠](٧).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذينَ كَسَبوا السَّيِّئات وأحاطَتْ بهم خَطيئاتُهم أصْحابُ النَّارِ.

وَيَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾: أهلُ النَّار. وإنما جَعَلَهم لها أصْحابًا لإيثارِهم - كان في حَياتهم الدُّنيا - من الأعمال ما يورِدهُمُوها، ويُصلِيهم سَعيرها، على الأعْمال التي تورِدهم الجَنَّة، فَجَعَلَهم جَلَّ ذِكْره بإيثارِهم أسبابها على أسباب الجَنَّة لها أصْحابًا، كَصاحِبِ الرَّجُل الذي يصحبُه، مُؤثِرًا صُحْبَته على صُحْبة غَيْره حتَّى يُعْرَف به.

---

(١) [حسن] تقدم برقم (١٤٢٦) وهذا سند حسن من أجل الأهوزي.

(٢) [حسن] من أجل الأهوزي، وبقية رجاله ثقات.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكنَّ آدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره بسند حسن فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، وأحمد بن سنان، قالا: ثنا أبو يحيى الحماني، ثنا الأعمش.. فذكره.

(٤) [حسن] الحسين بن داود المصيصي صدوق في غير شيخه الحجاج.

(٥) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٦) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٧) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

﴿هُمْ فِيهَا﴾ يَعْني: هم في النَّار خالِدونَ. ويَعْني بِقولِه ﴿خَـٰلِدُونَ﴾: مُقيمونَ أبدًا، كما:

١٤٣٨- **حدَّثنا** مُحَمَّد بن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ أي: خالِدونَ أبَدًا(١).

١٤٣٩- **حدَّثني** موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾: لا يَخْرُجونَ منها أبَدًا(٢).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

يَعْني بِقولِه جل ثناؤه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أيْ: صَدَّقوا بِما جاء به مُحَمَّد ﷺ. وَيَعْني بِقولِه: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: أطاعوا اللَّه فَأقاموا حُدوده، وأدَّوْا فَرائِضه، واجْتَنَبوا مَحارِمه. وَيَعْني بِقولِه: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ الذينَ هم كذلك؛ ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ يَعْني: أهلُها الذينَ هم أهلُها، ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ مُقيمونَ أبَدًا.

وَإنما هذه الآيةُ والتي قَبْلها إخبارٌ من اللَّه عِبادَهُ عن بَقاء النَّارِ وبَقاءِ أهلِها فيها، وبقاءِ الجنة وبقاء أهلها فيها، ودَوام ما أعَدَّ الله عز وجل في كُلِّ واحِدةٍ منهُما لأهلِها، تَكْذيبًا من اللَّهِ القائِلينَ من يَهود بَني إسرائيل إنَّ النَّارَ لَنْ تَمَسَّهم إلاَّ أيَّامًا معدودة، وأنهم صائِرونَ بعد ذلك إلى الجَنَّة. فَأخْبَرَهم بِخُلودِ كُفَّارهم في النَّار وخُلود مُؤمِنيهم في الجَنَّة، كما:

١٤٤٠- **حدَّثني** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ أيْ: مَنْ آمَنَ بِما كَفَرْتُم به وعَمِلَ بِما تَرَكْتُم من دينه، فَلَهم الجَنَّةُ خالِدينَ فيها، يُخْبِرهم أنَّ الثَّواب بالخَيْرِ والشَّر مُقيم على أهله أبَدًا، لا انقِطاع له أبَدًا(٣).

١٤٤١- **حدَّثني** يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: مُحَمَّد عليه السلام وأصْحابه، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾(٤).

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٤) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾

قد دَلَّلْنا فيما مَضَى من كِتابنا هذا على أنَّ الميثاق (مِفْعالٌ)، من التَّوثُّق باليَمينِ ونَحْوِها من الأُمور التي تُؤَكِّد القول.

فَمعنى الكَلام إذن: واذْكُروا أيْضًا يا معشَر بَني إسرائيل إذْ أخَذْنا ميثاقكُم لا تَعْبُدونَ إلاَّ اللّه، كَما:

١٤٤٢- **حدّثنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثني ابن إسحاق، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أيْ: ميثاقكُم ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ (١).

والقَرَأَةُ مُخْتَلِفة في قِراءة قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾؛ فَبعضهم يَقْرَؤُها بالتَّاءِ، وبعضهم يَقْرَؤُها بالياءِ، والمعنى في ذلك واحِدٌ.

وَإنَّما جازَتِ القِراءة بالياءِ والتَّاء وأنْ يُقال: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ و(لا يعبدون) وهم غَيْب؛ لأنَّ أخْذ الميثاق بِمعنى الاستِخْلاف، فكَما تَقول: استَخْلفت أخاك لَيقومَنَّ. فَتُخْبِر عنه خَبَرك عن الغائِب لِغَيْبَتِه عنك، وتَقول: استَحْلَفْته لَتقومَنَّ. فَتُخْبِر عنه خَبَرك عن المُخاطَب؛ لأنك قد كُنْت خاطَبْته بذلك، فَيكون ذلك صَحيحًا جائِزًا، فَكَذلك قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ﴾ و(لا يعبدون).

مَنْ قَرَأ ذلك بالتَّاءِ فَمعنى الخِطاب إذْ كان الخِطابُ قد كان بِذلك، ومَنْ قَرَأ بالياءِ فَلأنهم كانوا غيرَ مُخاطَبينَ بِذلك في وقْت الخَبَر عنهم.

وَأمَّا رَفْع لا يَعْبُدونَ فَباليَّاءِ التي في يَعْبُدونَ، ولم تُنْصَب بـ(أن) التي كانتْ تَصْلُح أنْ تَدْخُل مع: (لا يعبدون إلا الله) لأنَّها إذا صَلَحَ دُخولها على فعلٍ فَحُذِفَتْ ولم تَدْخُل، كان وجه الكَلام فيه الرَّفْع كما قال جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] فَرَفَعَ (أعبدُ) - إذْ لم تَدْخُل فيها أنْ - بالألِفِ الدَّالة على معنى الاستِقْبال. وكَما قال الشَّاعِر:

ألا أيُّهذا الزَّاجِري أحْضُرُ الوَغَى ... وَأنْ أشهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أنتَ مُخْلِدي (٢)

فَرَفَعَ (أحْضُر) - وإنْ كان يَصْلُح دُخول (أنْ) فيها، إذْ حُذِفَتْ - بالألِفِ التي تأتي بِمعنى الاستِقْبال.

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [الطويل] القائل: طرفة بن العبد (جاهلي).

أَلا أَيُّهَذا اللائِمي أَحضُرَ الوَغى ... وَأَن أَشهَدَ اللَذّاتِ هَل أَنتَ مُخلِدي

اللغة: الوغى: صوت الأبطال في الحرب، واستخدم كاسم من أسماء الحرب. الخلود: البقاء، والفعل خلد يخلد والإخلاد والتخليد الإبقاء. المعنى: يقول الشاعر: ألا أيها الإنسان الذي يزجرني على حضور الحرب وحضور اللذات هل تخلدني إن كففت عنها؟!

وَإنما صَلَحَ حَذف (أنْ) من قوله: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا يعبدون) لِدَلالةِ ما ظَهَرَ من الكَلام عليها، فاكْتُفِي بِدَلالةِ الظَّاهِر عليها منها.

وَقد كان بعض نَحْوِيِّي أهل البصرة يقول: معنى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ حِكايةٌ، كأنك قُلْت: استَحْلَفْناهم لا تَعْبُدونَ. أيْ: قُلْنا لهم: واللّه لا تَعْبُدونَ. أو قالوا: واللّه لا يَعْبُدونَ.

والذي قال من ذلك قَريب معناه من معنى القول الذي قلناه في ذلك.

وَبِنَحْوِ التأويل الذي قُلْنا في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تأوَّلَه أهل التَّأويل.

ذكر مَن تأول ذلك كذلك:

١٤٤٣- **حدثني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: أخَذَ مَواثيقَهم أنْ يَخلُصوا له وأنْ لا يَعْبُدوا غَيْره(١).

١٤٤٤- **حدثني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: حدَّثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قال: أخَذْنا ميثاقَهم أنْ يَخْلُصوا لِلَّه وألا يَعْبُدوا غيره(٢).

١٤٤٥- **حدثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قال: الميثاق الذي أَخَذَ عليهم في (المائِدة)(٣).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

وَقوله جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ عَطْفٌ على موضِع (أن) المحذوفة في ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾. فَكانَ معنى الكَلام: وإذْ أخَذْنا ميثاق بَني إسرائيل بِأنْ لا تَعْبُدوا إلاّ اللّه وبالوالِدَيْنِ إحسانًا. فَرَفَعَ ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ لَمَّا حُذفت (أن)، ثُمَّ عُطِفَ بالوالِدَيْنِ على موضِعها، كما قال الشَّاعِر:

مُعاوِيَ إنَّنا بَشَرٌ فَأسجِحْ   فَلَسْنا بالجِبالِ ولا الحَديدا(٤)

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [حسن] هذا سند ضعيف الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج. ولكن أخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره بسند حسن فقال: أخبرنا علي بن المبارك، فيما كتب إلي، ثنا زيد بن المبارك، ثنا ابن ثور، عن ابن جريج: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل قال: (الميثاق الذي أخذ عليهم في سورة المائدة). اهـ.

(٤) [الوافر] القائل: عبد الله بن الزبير بن الأشيم الأسدي (أموي). اللغة: معاوي: يوجه الخطاب في تلك القصيدة لأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما -. أسجح: لين وخفف. المعنى: يوجه الشاعر

فَنَصَبَ (الحَديد) على العَطْف به على موضِع الجِبال؛ لأنَّها لو لم تَكُنْ فيها باءٌ خافِضَة كانتْ نَصْبًا، فَعَطَفَ (بالحَديد) على موضع (الجِبال) لا على لَفْظها، فَكَذلك ما وصَنَتُ من قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

وَأَمَّا الإحسان فَمَنْصوبٌ بِفِعْلٍ مُضْمَر يُؤَدّي عن معناه قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إذْ كان مَفْهومًا معناهُ، فَكَأن معنى الكَلامِ لو أُظْهِرَ المحذوف: وإذْ أَخَذْنا ميثاق بَني إسرائيل بِأن لا تَعْبُدوا إلاَّ اللَّه، وبِأنْ تُحْسِنوا إلى الوالِدَيْنِ إحسانًا. فاكْتُفِي بِقولِه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ من أنْ يُقال: وبِأنْ تُحْسِنوا إلى الوالِدَيْنِ إحسانًا؛ إذْ كان مَفْهومًا أنَّ ذلك معناه بما ظَهَرَ من الكَلام.

وَقد زَعَمَ بعض أهل العربيَّة في ذلك أنَّ معناه: وبالوالِدَيْنِ فَأحسِنوا إحسانًا. فَجَعَلَ (الباء) التي في (الوالِدَيْنِ) من صِلة (الإحسان) مُقَدَّمة عليه.

وَقال آخرونَ: بل معنى ذلك: ألا تَعْبُدوا إلاَّ اللَّه، وأَحْسِنوا بالوالِدَيْنِ إحسانًا. فَزَعَموا أنَّ (الباء) التي في (الوالِدَيْنِ) من صِلة المحذوف، أعْني مِن (أحسِنوا).

فَجَعَلوا ذلك من كَلامَيْنِ. وَإنما يُصْرَفُ الكَلامُ إلى ما ادَّعَوْا من ذلك إذا لم يوجَد لاتِّساقِ الكَلام على كَلام واحِد وجه. فَأمَّا ولِلْكَلام وجهٌ مَفْهوم على اتِّساقٍ على كَلام واحِد فلا وجه لِصَرْفِه إلى كَلامَيْنِ. وأُخرَى: أنَّ القول في ذلك لو كان على ما قالوا لَقِيلَ: (ولى الوالِدَيْنِ إحسانًا). لأنَّه إنَّما يُقال: أحسَنَ فُلان إلى والِدَيْهِ. ولا يُقال: أحسَنَ بوالِدَيْهِ. إلاَّ على استِكْراه لِلْكَلام. وَلَكِنِ القولُ فيه ما قُلْنا، وهو: وإذْ أَخَذْنا ميثاق بَني إسرائيل بِكَذا وبالوالِدَيْنِ إحسانًا. على ما بَيَّنَّا قَبْل. فَيكون (الإحسان) حينَئِذٍ مَصْدَرًا من معنى الكَلام لا من لَفْظه كم قد بَيَّنَّا فيما مَضَى من نَظائِره.

فَإنْ قال قائِل: وما ذلك الإحسان الذي أَخَذَ عليهم وبالوالِدَيْنِ الميثاق؟

قِيلَ: نَظير ما فَرَضَ اللَّه على أُمَّتنا لَهُما من فِعْل المعروف بهما والقول الجَميل، وخَفْض جَناح الذُّلِّ رَحْمة بهِما والتَّحَنُّن عليهِما، والرَّأفة بهما والدُّعاء بالخَيْرِ لَهُما، وما أشْبَه ذلك من الأفعال التي نَدَبَ اللَّه جل وعز عِباده أنْ يَفْعَلوا بهما.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾

يَعْني بِقولِه جلَّ ثناؤُه: ﴿وَذِى الْقُرْبَىٰ﴾: وبِذي القُرْبَى أنْ يَصِلوا قَرابَته منهم ورَحِمه.

و(القُرْبَى) مَصْدَر على تَقْدير (فُعْلَى) من قولك: قَرُبَتْ مِني رَحِم فُلان قَرابة وقُرْبَى وقربة وقُرْبًا. بِمعنًى واحِد.

وَأمَّا اليَتامَى فهو جَمْع يَتيم، مِثْل أسير وأُسارَى؛ ويَدْخُل في اليَتامَى الذُّكور منهم والإناث.

خطابه في تلك القصيدة لأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - وقد عُرف معاوية الخير بالحلم والإصغاء؛ فقال له يا معاوية إننا بشر مجبولين على الأمور السهلة الهينة؛ فلين علينا وسهل؛ فإننا لس فينا قوة الجبال لنتحمل، ولا فينا صلابة الحديد.

فمعنى ذلك: وإذْ أخَذْنا ميثاق بَني إسرائيل بأن لا تعبدوا إلاَّ اللَّه وحْده دون ما سِواه من الأنْداد وبالوالِدَيْنِ إحسانًا وبذي القُرْبَى؛ أنْ تَصِلوا رَحِمَه، وتَعْرفوا حقّه، وباليَتامَى؛ أنْ تَتَعطَّفوا عليهم بالرَّحْمةِ والرَّأفة، وبالمَساكينِ؛ أنْ تُؤتُوهم حُقوقهم التي ألزَمَها اللَّه عز وجل أموالكُمْ.

والمِسْكين: هو المُتَخَشِّعُ المُتَذَلِّلُ من الفاقة والحاجة، وهو (مِفْعيل) من المسكَنة، والمسكَنةُ هي ذُلّ الحاجة والفاقة.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾

إنْ قال لنا قائِل: كيفَ قِيلَ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فَأُخْرِجَ الكَلامُ أمْرًا ولمَّا يَتَقَدَّمه أمْر، بل الكَلامُ جارٍ من أوَّل الآية مَجْرَى الخَبَر؟

قِيلَ: إنَّ الكَلام وإنْ كان قد جَرَى في أوَّل الآيةِ مَجْرَى الخَبَر، فإنه مِمَّا يَحْسُن في موضِعه الخِطابُ بالأمْرِ والنَّهْي، فَلو كان مَكان: (لا تَعْبُدونَ إلاَّ اللَّه) (لا تَعْبُدوا إلاَّ اللَّه) على وجه النَّهْي من اللَّه لهم عن عِبادة غَيْرِه - كان حَسَنًا صَوابًا؛ وقد ذُكِرَ أنَّ ذلك كذلك في قِراءة أُبَيِّ بن كَعْب. وَإنما حَسُنَ ذلك وجازَ لو كان مَقروءًا به؛ لأنَّ أخْذ الميثاق قول، فَكأن معنى: الكَلام - لو كان مَقْروءًا كذلك -: وإذْ قُلْنا لِبَني إسرائيل: لا تَعْبُدوا إلاَّ اللَّه. كما قال جَلَّ ثَناؤه في موضِع آخَر: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]. فَتُلقِّى ذلك بالأمر، كما تقول قلنا لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة. فَلَمَّا كان حَسَنًا وضْعُ الأمْرِ والنَّهْي في موضِع: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ عَطَف بقولِه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ على موضِع ﴿تَعْبُدُونَ﴾ - وإنْ كان مُخالِفًا لفظُ كُلِّ واحِد منهما ومعناه معنى صاحبه - لِما وصَفْنا من جَواز وضْع الخِطاب بالأمْرِ والنَّهْي موضِعَ ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾. فَكَأنه قِيلَ: وإذْ أخَذْنا ميثاق بَني إسرائيل لا تَعْبُدوا إلاَّ اللَّه، وقولوا لِلنَّاسِ حُسْنًا. وَهوَ نَظير ما قَدَّمْنا البيان عنه من أنَّ العرب تَبْتَدِئُ الكَلام أحيانًا على وجه الخَبَر عن الغائِب في مواضِع الحِكايات عما أَخْبَرَتْ عنهُ، ثُمَّ تَعود إلى الخَبَر على وجه الخِطاب، وتَبْتَدِئُ أحيانًا على وجه الخِطاب ثُمَّ تَعودُ إلى الإخبار على وجه الخَبَر عن الغائِب لِما في الحِكاية من المعنَيَيْنِ؛ كما قال الشَّاعِر:

أسيئي بِنا أو أحسِني لا مَلومةً ... لَدَيْنا ولا مَقْلِيةً إنْ تَقَلَّتِ(١)

يَعْني: تَقَلَّيْتِ.

وَأمَّا (الحُسْن) فَإنَّ القَرَأَةَ اختَلَفَتْ في قِراءَته؛ فَقَرَأته عامة قَرَأةِ أهلِ الكوفةِ غَيْرَ عاصِم: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا) بِفَتْح الحاء والسين.

وَقَرَأته عامة قَرَأةِ المَدينة: ﴿حُسْنًا﴾ بِضَمِّ الحاء وتَسْكين السين.

---

(١) [الطويل] القائل: كثير عزة. اللغة: مقلية: قَلَيْتُه قِلِيَ وقَلاء ومَقْلِيةً أبغضته وكَرِهْتُه غاية الكَراهة فتركته. تقلت: ويعني بها: تقليت؛ أي: تبغضت. المعنى: يقول الشاعر الصبُّ المتيم بحبيبته (عزة) ظني فيَّ ظنَّ السوء أو أحسني الظنَّ فلا عتب عليكِ؛ فأنتِ مسموح لك كل ما تفعلين لديَّ، ولا أنا مبغض ما تفعلين!

وَقد رُوِيَ عن بعض القرَأة أنّه كان يَقرَأ: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَى) على مِثال (فُعْلَى).

واختَلَفَ أهلُ العربيَّة في فَرْق ما بين معنى قوله: حَسَنًا، وحُسْنًا:

فَقال بعض البصْرِيِّينَ: هو على أحَد وجهَيْنِ؛ إمَّا أنْ يكون يُراد بالحسنِ: الحَسَنُ، لكنها لُغةٌ، كما تقول: (البُخْل والبخَل).

وإمَّا أنْ يكون جُعِلَ (الحُسْنُ) هو (الحَسَنَ) في التشبيه، وذلك أنَّ (الحُسْنَ) مَصْدَر، و(الحَسَنَ) هو الشَّيْء الحَسَنُ، فيكون ذلك حينَئِذٍ كَقولِك: (إنما أنتَ أكْلٌ وشُرْبٌ). كَما قال الشَّاعِر:

وَخَيْلٍ قد دَلَفْتُ لها بِخَيْلٍ تَحيةُ بينهم ضَرْبٌ وجيعُ[1]

فَجَعَلَ التَّحيَّة ضَرْبًا.

وَقال آخر: بل (الحُسْنُ) هو الاسم العامُّ الجامِع جَميع مَعاني الحُسْن، (والحَسَنُ) هو البعْض من مَعاني الحُسْن.

قال: وكذلك قال جَلَّ ثَنَاؤه إذْ أوصَى بالوالِدينَ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. يَعْني بِذلك أنَّه وصَّاهُ فيهِما بِجَميع مَعاني الحُسْن، وأمرَه في سائِر النَّاس بِبعض الذي أمَرَه به في والِدَيْه فَقال: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا) يَعْني بِذلك بعضَ مَعاني الحُسْن.

والذي قاله هذا القائِلُ في معنى (الحُسْنِ) - بِضَمِّ الحاء وسُكون السين - غَيْرُ بِعيدٍ مِنَ الصَّواب، وأنه اسم لِنَوْعِه الذي سُمِّيَ به. وَأمَّا (الحَسَنُ) فهو صِفةٌ ونعتٌ لَمَّا وصَفَ بهِ، وذلك يَقَع بِخاصٍّ.

وَإذا كان الأمر كذلك، فالصَّوابُ من القِراءة في قوله: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: (حَسَنًا) لأنَّ القَوْمَ إنَّما أُمِروا - في هذا العَهْد الذي قِيلَ لهم: وقولوا لِلنَّاسِ حُسْنًا - باستِعْمالِ الحَسَنِ من القول دون سائِر مَعاني الحُسْن، الذي يكون بِغَيْرِ القول، وذلك نَعْتٌ لِخاصٍّ من مَعاني الحُسْن وهو القولُ، فَلِذلك أُخْتيْرَت قِراءته بِفَتْح الحاء والسين، على قِراءَته بِضَمِّ الحاء وسُكون السين.

وَأمَّا الذي قَرَأ ذلك: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَى) فَإنه خالَفَ بِقِراءَتِه إيَّاه كذلك قِراءة أهل

---

(١) [الوافر] القائل: نُسب البيت لعمرو بن معدي كرب (مخضرم). اللغة: الخيل: اسم جمع الفرس، لا واحد له من لفظه، والمراد به الفرسان، كما في قوله ﷺ: (يَا خَيْلَ اللَّهِ اركَبِي). وأراد بالخيل الأول خيل الأعداء، وبالثاني خيله، والضمير في بنهم للخيلين. دلفت: دنوت وزحفت، من دلف الشيخ من باب ضرب، إذا مشى مشيًا لينًا. والباء للتعدية، أي: جعلتها دالفة إليها. فاللام بمعنى إلى. تحية: مضاف، و(بينهم) مضاف إليه مجرور بكسر النون، لأنه ظرف متصرف، ولو فتح كان مبنيًا لإضافته للمبني. ووصف الضرب بالوجيع مجازًا، ويجوز أن يكون وجيع بمعنى موجع، والمعنى رب خيل للأعداء، أقبلت عليهم بخيل أخرى كان التحية بينهم ضربًا وجيعًا، أي: كان مكان التحية هذا النوع من الضرب. وقد أورده سيبويه في باب الاستثناء، وقال: جعلوا الضرب تحية كما جعلوا اتباع الظن علمهم. وأورده ثانيًا في باب أو، وقال: العرب تقول: تحيتك الضرب، وعتابك السيف، وكلامك القتل. المعنى: يقول: إذا تلاقوا في الحرب جعلوا بدلاً من تحية بعضهم لبعض الضرب الوجيع.

الإسلام، وكَفَى شاهِدًا على خَطَأ القِراءة بها كذلك خُروجُها من قِراءةِ أهل الإسلام لو لم يكُنْ على خَطَئِها شاهِدٌ غَيْرُه. فكيف وهيَ مع ذلك خارِجةٌ مِن المعروف مِن كَلام العرب؟ وذلك أنَّ العرب لا تَكادُ أنْ تَتَكَلَّم (بِفُعْلَى) و(أفعَل) إلاَّ بالألِف واللَّام أو بالإضافة، لا تقولُ: جاءني أحسَنُ. حتَّى يقولوا الأحسَنُ. ولا أجْمَلُ. حتَّى يقولوا الأجْمَلُ. وذلك أنَّ (الأفعَل) و(الفُعْلَى) لا يكادانِ يوجَدانِ صِفةً إلاَّ لِمعهودٍ معروف، كما تَقول: بل أخوك الأحسَنُ: بل أُخْتك الحُسْنَى. وغَيْرُ جائِزٍ أنْ يُقال: امْرَأة حُسْنَى، ورَجُلٌ أحسَنُ.

وَأمَّا تأويل القول الحسنِ الذي أمَرَ اللَّه به الذينَ وصَفَ أمْرَهم من بَني إسرائيل في هذه الآية أن يقولوه لِلنَّاسِ، فهو ما:

١٤٤٦- **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أمَرَهم أيْضًا بعد هذا الخُلُق أنْ يقولوا لِلنَّاسِ حُسْنًا؛ أنْ يَأمُروا بلا إلَه إلاَّ اللَّه مَنْ لم يَقُلْها ورَغِبَ عنها، حتَّى يقولوها كما قالوها، فَإنَّ ذلك قُرْبة لهم من اللَّه جَلَّ ثَناؤه. قال: والحَسَنُ أيْضًا: لَيِّنُ القولِ من الأدَب الحسنِ الجَميل، والخُلُقِ الكَريم، وهو مِمَّا ارْتَضاه اللَّهُ وأحَبَّهُ[(١)].

١٤٤٧- **حدَّثنا** المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: يقول: قولوا لِلنَّاسِ معروفًا[(٢)].

١٤٤٨- **حدَّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ في قوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: صِدْقًا في شَأن مُحمَّد ﷺ[(٣)].

١٤٤٩- **حُدِّثت** عن يَزيد بن هارونَ، قال: سَمِعْت سُفْيان الثَّوْرِيّ، يقول في قوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: مُروهم بالمعروفِ، وانهَوْهم عن المُنْكَر[(٤)].

١٤٥٠- **حدَّثني** هارونُ بن إدْريس الأصَمّ، قال: ثنا عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد المُحارِبيّ، قال: ثنا عبد المَلِك بن أبي سُلَيْمان، قال: سَألت عَطاء بن أبي رَباح، عن قول اللَّه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: مَنْ لَقِيت من النَّاس فَقُلْ له حَسَنًا من القول. قال: وسَألت أبا جَعْفَر، فقال مِثْل ذلك[(٥)].

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم. . فذكره.

(٣) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٥) [صحيح] كما سيأتي بعده، ولكنَّ هذا سند ضعيف، وإليك ترجمة رجاله: عبد الملك بن أبي سليمان ثقة من أحفظ أهل الكوفة تكلم البعض فيه من أجل أنه رفع أحاديث عن عطاء، و هذا غير محتمل هنا. وعبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي أبو محمد الكوفي الحافظ، ثقة. هارون بن إدريس الأصم مجهول الحال.

١٤٥١- **حدثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا هُشَيْمٌ، قال: أخبرَنا عبد المَلِك، عن أبي جَعْفَر وعَطاء بن أبي رَباح في قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ(١).

١٤٥٢- **حدثني** يعقوبُ بن إبراهيم، قال: ثنا هُشَيم، قال: أخبرنا عبد الملك، عن عطاءٍ مثلَه(٢).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾

يَعْنِي جل ثناؤه بقولِه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾: أَدُّوها بحدودِها الواجبة عليكُم فيها. كَما:

١٤٥٣- **حدثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، عن بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس، قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾: في هذه الأخلاق، وإقامةُ الصَّلاة تَمام الرُّكوع والسُّجود والتِّلاوة والخُشوع، والإقْبالُ عليها فيها(٣).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾

قد بَيَّنَّا فيما مَضَى قَبْلُ معنى الزَّكاة وما أصْلُها.

وَأمَّا الزَّكاةُ التي كان اللَّه جلَّ ثناؤُهُ أمَرَ بها بَني إسرائيل الذينَ ذَكَرَ أمْرهم في هذه الآية، فَهيَ ما:

١٤٥٤- **حدثنا** به أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان، عن بِشْرٍ، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾. قال: إيتاءُ الزَّكاة ما كان اللَّهُ فَرَضَ عليهم في أموالهم من الزَّكاة، وهيَ سُنَّةٌ كانتْ لهم غَيْر سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كانتْ زَكاة أموالهم قُرْبانًا تَهْبِطُ إليه نار فَتَحْمِلها، فَكان ذلك تَقَبُّلَه، ومَنْ لم تَفْعَلِ النَّار به ذلك كان غَيْر مُتَقَبَّل، وكان الذي قَرَّبَ من مَكْسَب لا يَحِلُّ من ظُلْم أو غَشْم، أو أَخْذٍ بِغَيْرِ ما أمَرَ اللَّه عز وجل به وبَيَّنَه لهُ(٤).

١٤٥٥- **حدثني** المُثَنَّى، قال: ثنا عبد اللَّه بن صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليِّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾: يَعْني بالزَّكاةِ طاعة اللَّه تعالى ذكرُه والإخلاصَ(٥).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

وَهذا خَبَرٌ من اللَّه تعالى عن يَهودِ بَني إسرائيل، أنَّهم نَكَثوا عَهْده، ونَقَضوا مِيثاقَه، بعدَ ما أَخَذَ ميثاقهم على الوَفاء له بِأنْ لا يَعْبُدوا غَيْره، وبِأنْ يُحْسِنوا إلى الآباء والأُمَّهات، ويَصِلوا الأرْحامَ، ويَتَعَطَّفوا على الأيْتام، ويُؤَدُّوا حُقوقَ أهلِ المَسكَنة إليهم، ويَأمُروا عبادَه بِما

---

(١) [صحيح] تقدم قبله بسند ضعيف، وهذا سند صحيح فيه هشيم بن بشير مدلس، وقد صرَّح.

(٢) [صحيح] تقدم قبله.

(٣) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٤) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٥) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه. والمثنى قد توبع.

أمَرَهم اللّه به، ويَحُثُّوهم على طاعَته، ويُقِيموا الصَّلاةَ بِحُدودِها وفرائِضِها، ويُؤتوا زَكَواتِ أموالِهِم. فَخالَفوا أمْره في ذلك كُلِّه، وتَوَلَّوْا عنه مُعْرِضِينَ، إلاَّ مَنْ عَصَمَ اللّهُ منهم، فوَفَى لِلّه بِعَهْدِه وميثاقِه. كَما:

١٤٥٦- **حدثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان، عن بِشْرٍ، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس، قال: لَمَّا فَرَضَ اللّهُ عليهم - يَعْني على هؤلاء الذينَ وصَفَ اللّه أمْرهم في كِتابه من بَني إسرائيل - هذا الذي ذَكَرَ أنّه أخَذَ ميثاقهم بهِ، أعرَضوا عنه استِثْقالاً له وكَراهيةً، وطَلَبوا ما خَفَّ عليهم، إلاَّ قَليلاً منهم، وهم الذينَ استَثْنَى اللّهُ تعالى ذكرُه فقال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾. يقول: أعَرَضْتُم عن طاعَتي ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾. قال: القَليلُ الذينَ اختَرْتُهم لِطاعَتي، وسَيَحِلُّ عِقابي بِمن تَوَلَّى وأعْرَضَ عنها. يقول: تَرَكها استِخْفافًا بها[(١)].

١٤٥٧- **حدثنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾: أيْ: تَرَكْتُم ذلك كُلَّه[(٢)].

وقال بعضهم: عَنَى اللّه جَلَّ ثَناؤه بقولِه: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ اليَهود الذينَ كانوا على عَهْد رَسول اللّه ﷺ، وعَنَى بِسائِرِ الآية أسلافهمْ. كَأنّه ذَهَبَ إلى أنَّ معنى الكَلام: ثم تولَّيتم إلاَّ قليلاً منكم، ثُمَّ تَوَلَّى سَلَفكُم إلاَّ قَليلاً منهم. ولَكِنّه جُعِلَ خِطابًا لِبَقايا نَسْلهم - على ما قد ذَكَرْناه فيما مَضَى قَبْل - ثُمَّ قال: وأنتم معشَر بَقاياهم مُعْرِضونَ أيْضًا عن الميثاق الذي أخَذْته عليكُم بِذلك وتارِكوه تَرْكَ أوائِلكُم.

وقال آخرونَ: بل قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ خِطاب لِمَنْ كان بين ظَهْرانَيْ مُهاجَرِ رَسول اللّه ﷺ من يَهود بَني إسرائيل، وذَمٌّ لهم بِنَقْضِهم الميثاقَ الذي أُخِذَ عليهم في التَّوْراة وتَبْديلِهم أمْرَ اللّه ورُكوبهم مَعاصيَه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾. في المعنى والإعراب نَظير قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾. وأمَّا سَفْك الدَّم، فإنّه صَبُّه وإراقَته.

فإنْ قال قائِل: وما معنى قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾. وقال: أوَ كان القَوْم يَقْتُلونَ أنْفسهمْ، ويُخْرِجونَها من ديارها، فيُنْهَوا عن ذلك؟

• **قيلَ**: لَيْسَ الأمْر في ذلك على ما ظَنَنْتَ، ولكن نُهُوا عن أنْ يَقْتُل بعضهم بعضًا، فَكان في

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

قَتْل الرَّجُلِ منهم الرَّجُلَ منهم قتْلُ نَفسِه، إذْ كانتْ مِلَّتهما واحدة، ودينهما واحدًا، وكأن أهل الدين الواحد في ولاية بعضهم بعضًا بِمَنْزِلةِ رَجُلٍ واحِد، كما قال ﷺ: «**إنّما المُؤمِنونَ في تَراحُمِهم وتَعاطُفِهم بينهم بِمَنْزِلةِ الجَسَد الواحِد، إذا اشْتَكَى منه عضوٌ تَداعَى له سائِر الجَسَد بالحُمَّى والسَّهَر**».

وَقد يجوز أنْ يكون معنى قولِه: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ أي: لا يَقتُل الرَّجُلُ منكُم الرَّجُلَ منكُمْ، فَيُقادُ به قِصاصًا، فيكون بذلك قاتِلًا نَفسَهُ؛ لأنه كان الذي سَبَّبَ لِنَفسِه ما استَحَقَّتْ به القتْلَ، فَأُضيف بِذلك إليه قَتْلُ وليِّ المَقتولِ إيَّاه قِصاصًا بِوَلِيِّهِ، كما يُقال لِلرَّجُلِ يَرْكَب فِعْلًا من الأفعال يَسْتَحِقُّ به العُقوبة فَيُعاقَبُ: أنتَ جَنيْتَ هذا على نَفْسك.

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في تأويل ذلك قال أهل التَّأويل.

ذكر مَن قال ذلك:

١٤٥٨- **حدَّثنا** بِشْرٌ، قال ثنا يَزِيدُ، قال: ثنا سَعيدٍ، عن قَتادةَ قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ أي: لا يَقتُل بعضكُم بعضًا، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ ونَفسُك يا بن آدَمَ أهلُ مِلَّتِك[1].

١٤٥٩- **حدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾. يقول: لا يَقتُل بعضكُم بعضًا، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾. يقول: لا يُخرِجُ بعضكُم بعضًا من الدِّيار[2].

١٤٦٠- **حدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾. يقول: لا يَقتُل بعضكُم بعضًا[3].

١٤٦١- **حُدِّثت** عن عمارٍ، قال: حدَّثنا ابنُ أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن قَتادةَ: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾. يقول: لا يَقتُل بعضكُم بعضًا بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ فَتَسْفِكُ يا بن آدَم دِماء أهل مِلَّتك ودَعْوَتك[4].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾

يَعْني بِقولِه جلَّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أي: أقررتم بالميثاقِ الذي أَخَذْنا عليكُم ألا تَسْفِكُوا دِماءَكُم ولا تُخرِجُوا أنفُسَكُم من دِيارِكُم. كَما:

---

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [حسن] تقدم قبله.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٤) [حسن] تقدم قبله بواحد، وهذا سند ضعيف من معلقات المصنف.

١٤٦٢ - حدثنا المُثَنَّى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾. يقول: أقْرَرْتُم بهذا الميثاق (١).

١٤٦٣ - وحُدِّثت عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع مِثْله (٢).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قال: أبو جعفر: اختَلَفَ أهل التَّأويل فيمَنْ خوطِبَ بِقولِهِ ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾؛ فَقال بعضهم: ذلك خِطابٌ من اللَّه جلَّ وعزَّ لِلْيَهودِ الذينَ كانوا بين ظَهْرانَيْ مُهاجَرِ رَسول اللَّه ﷺ أيَّام هِجْرَته إليه مُؤَنِّبًا لهم على تضييعهم أحكام ما في أيْديهم من التَّوْراة التي كانوا يُقِرُّونَ بِحُكْمِها، فَقال اللَّه تعالى لهم: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾. يَعْني بِذلك: أقَرَ أوائِلُكُم وسَلَفُكُم، ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على إقْرارهُم بِأخْذِ الميثاق عليهم، بِأنْ لا يَسْفِكوا دِماءَهم، ولا يُخْرِجوا أنْفُسهم من ديارهم، وتُصَدِّقون بِأنَّ ذلك حَقٌّ من ميثاقي عليهم.

وَمِمَّنْ حُكِيَ معنى هذا القول عنه ابن عَبَّاس.

١٤٦٤ - حدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: على أنَّ هذا حَقٌّ من ميثاقي عليكُمْ (٣).

وَقال آخرونَ: بل ذلك خَبَر من اللَّه جَلَّ وعزَّ عن أوائِلِهم، ولَكِنَّه تعالى ذِكْره أخْرَجَ الخَبَر بِذلك عنهم مُخْرَجَ المُخاطَبة على النَّحْو الذي وصَفْنا في سائِر الآيات التي هي نَظائِرُها التي قد بَيَّنَّا تأويلها فيما مَضَى.

وَتأوَّلوا قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بمعنى: وأنتم شُهود.

ذكر مَن قال ذلك:

١٤٦٥ - حدثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يقول: وأنتم شُهود (٤).

وأولَى الأقوال في تأويل ذلك بالصَّوابِ عندي أنْ يكون قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ خَبَرًا عن أسلافهم، وداخِلًا فيه المُخاطَبونَ به الذينَ أدْرَكوا رَسول اللَّه ﷺ، كما كان قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا

---

(١) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٢) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٤) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

مِيثَٰقَكُمْ﴾ خبرًا عن أسلافهم وإنْ كان خِطابًا لِلَّذينَ أدْرَكوا رَسول اللَّه ﷺ؛ لأنَّ اللَّه عزَّ ذكرُه أخَذَ ميثاق الذينَ كانوا على عَهْد موسَى عليه السلام من بَني إسرائيل على سَبيل ما قد بَيَّنَه لنا في كِتابه، فألْزَم جَميع مَنْ بعدَهم من ذُرِّيَّتهم من حُكْم التَّوْراة مِثْل الذي أُلْزِمَ منه مَنْ كان على عَهْد موسَى منهم.

ثُمَّ أنَّبَ الذينَ خاطَبَهم بهذه الآيات على نَقْضِهم ونَقْضِ سَلَفهم ذلك الميثاق، وتَكْذيبهم ما وكَّدوا على أنفُسهم له بالوَفاءِ من العُهود بِقولِه: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ وإن كان خارِجًا على وجه الخِطاب لِلَّذينَ كانوا على عَهْد نَبيِّنا ﷺ منهم، فإنَّه معني به كُلُّ مَنْ واثِق بالميثاقِ منهم على عَهْد موسَى ومَنْ بعده، وكُلُّ مَنْ شَهِدَ منهم بِتَصْديقِ ما في التَّوْراة؛ لأنَّ اللَّه جَلَّ ثَناؤه لم يَخْصُص بِقولِه: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ وما أشْبَه ذلك من الآي بعضهم دون بعض؛ والآية مُحْتَمَلة أنْ يكون أُريدَ بها جَميعهمْ. فإذْ كان ذلك كذلك فَلَيْسَ لأحَدٍ أنْ يَدَّعِي أنَّه أُريدَ بها بعض منهم دون بعض، وكَذلك حُكْم الآية التي بعدها، أعْني قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية؛ لأنَّه قد ذُكِرَ أنَّ أوائِلَهم قد كانوا يَفْعَلونَ من ذلك ما كان يَفْعَلُه أواخِرهم الذينَ أدْرَكوا عَصْر نَبيِّنا مُحَمَّد ﷺ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾

ويَتَّجِهُ قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وجهينِ؛ أحَدهما، أنْ يكون أُريدَ به: ثُمَّ أنتم يا هؤلاء. فَتَرَكَ (يا) استِغْناءً بِدَلالةِ الكَلام عليهِ، كما قال جلَّ ثناؤُه: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [يوسف: ٢٩]. وتأويله: يا يوسُف أعْرِضْ عن هذا.

فَيكون معنى الكَلام حينَئِذٍ: ثُمَّ أنتم يا معشَر يَهود بَني إسرائيل، بعد إقْراركُم بالميثاقِ الذي أخَذْته عليكُم ألا تَسْفِكوا دِماءَكُم ولا تُخْرِجونَ أنفُسكُم من دياركُمْ، وبعد شَهادَتِكُم على أنفُسكُم بِأنَّ ذلك حَقّ لي عليكُم لازِم لكم الوَفاء لي به - تَقْتُلُون أنْفُسَكم وتُخْرِجون فَريقًا منكم مِن دِيارِهم، مُتَعاوَنينَ عليهم في إخراجكُم إيَّاهم بالإثْم والعُدْوان.

والتَّعاوُن: هو التَّظاهُر. وإنما قِيلَ لِلتَّعاوُنِ: التَّظاهُر. لِتَقْوِيةِ بعضهم ظَهْر بعض، فهو تَفاعُلٌ من الظَّهْر، وهو مُسانَدة بعضهم ظَهْره إلى ظَهْر بعض.

والوَجْه الآخَر أنْ يكون معناه: ثُمَّ أنتم، القَوْمَ، تَقْتُلونَ أنْفُسكُمْ، فَيَرْجِعُ إلى الخَبَر عن (أنتم)، وقد اعْتُرِضَ بينهم وبين الخَبَر عنهم بـ(هؤلاء)، كما تَقول العرب: أنا ذا أقوم، أنا ذا أجْلِس. ولو قِيلَ: أنا هذا يجلس. كان صَحيحًا جائِزًا، وكذلك: أنتَ ذاكَ تَقوم.

وَقد زَعَمَ بعض البصْريِّينَ أنَّ قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾. في قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ تَنْبيه وتَوْكيد لـ﴿أَنتُمْ﴾. وزَعَمَ أنَّ (أنتم) وإنْ كانتْ كِنايةَ أَسْماءِ جِماع المُخاطَبينَ، فإنما جازَ أنْ يُؤَكِّدوا بـ(هؤلاء) - و(هؤلاء) لا يؤكدُ بها عن مخاطبين - كما قال خُفاف بن نَدْبة:

أقولُ له والرُّمْحُ يَأطِرُ مَتْنَهُ ... تأمَّلْ خُفافًا إنَّني أنا ذلِكا[(١)]

يُريد: أنا هذا.

وكما قال جلَّ ثناؤه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ ثُمَّ اختلَفَ أهل التأويل فيمَنْ عُنِي بهذه الآية نَحو اختلافهم فيمَنْ عُنِي بقولِه: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

ذِكر اختِلاف المُختَلِفينَ في ذلك:

١٤٦٦- **حَدَّثنا** مُحمَّد بن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثني مُحمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثني مُحمَّد بن أبي مُحمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر، أو عِكْرِمة، عن ابن عبَّاس، قال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: أي: أهلَ الشِّرْكِ حتَّى تَسفِكوا دِماءَهم معهم، وتُخرِجوهم من ديارهم معهم، فقال: ابتلاهم اللَّهُ بذلك من فِعْلهم، وقد حَرَّمَ عليهم في التَّوْراة سَفْكَ دِمائِهم، وافتَرَضَ عليهم فيها فِداءَ أسراهم، فكانوا فَريقَيْنِ؛ طائِفةٌ منهم من بَني قَيْنُقاع ولِفُّهم حُلَفاء الخَزْرَج، والنَّضير وقُرَيْظة ولِفُّهم حُلَفاء الأوس، فكانوا إذا كانتْ بين الأوس والخَزْرَج حَرْب خَرَجَتْ بَنو قَيْنُقاع مع الخَزْرَج، وخَرَجَتِ النَّضير وقُرَيْظة مع الأوس، يُظاهِر كُلُّ واحدٍ من الفَريقَيْنِ حُلَفاءَه على إخوانه حتَّى يَتَسافَكوا دِماءَهم بينهم، وبِأيْديهم التَّوْراة يَعْرِفونَ منها ما عليهم وما لهم، والأوسُ والخَزْرَج أهل شِرْك يَعْبُدونَ الأوثان لا يَعْرِفونَ جَنَّة ولا نارًا، ولا بَعْثًا، ولا قيامة، ولا كِتابًا، ولا حَرامًا، ولا حَلالاً؛ فإذا وضَعَتِ الحَرْب أوْزارَها افتَدَوْا أسراهم، تَصْديقًا لِما في التَّوْراة وأخْذًا به بعضهم من بعض: يَفْتَدي بَنو قَيْنُقاع ما كان من أسراهم في أيْدي الأوس، وتَفْتَدي النَّضير وقُرَيْظة ما كان في أيْدي الخَزْرَج منهم، ويُطِلُّونَ ما أصابوا من الدِّماء وقَتَلوا مَنْ قَتَلوا منهم فيما بينهم مُظاهَرةً لأهلِ الشِّرْك عليهم، يقول اللَّه عزَّ وجلَّ حين أنْبَأهم بِذلك: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أيْ: يُفاديه بِحُكْم التَّوْراة، ويَقْتُلُهُ، وفي حُكْم التَّوْراة ألاَّ يَفْعلَ، ويُخْرِجه من داره، ويُظاهِر عليه مَنْ يُشرِكُ باللَّه ويَعْبُد الأوثانِ من دونه ابْتِغاء عَرَض الدُّنْيا. فَفي ذلك من فِعْلهم مع الأوس والخَزْرَج - فيما بَلَغني - نَزَلَتْ هذه القِصَّة[(٢)].

١٤٦٧- **حَدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حَدَّثني عَمْرو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ

---

(١) [الطويل] القائل: خفاف بن ندبة السلمي (مخضرم). المعنى: أقول له: يعني لمالك بن حِمَار. يأطر: أطر الشيء يأطره أطرًا هو أن تقبض على أحد طرفي الشيء ثم تعوجه وتعطفه وتثنيه. متنه: المَتْنُ من كل شيء ما صَلُبَ ظَهْرُه والجمع مُتُون. المعنى: يقول الشاعر أن طعنة الرمح التي أصابت صلب ظهره جعلته يتثنى من ألمها، ثم ينحني ليهوى صريعًا إذ أصاب الرمح مقتله.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان. ومداره على سلمة.

﴿تَشْهَدُونَ﴾. قال: إنَّ اللَّه أخَذَ على بَني إسرائيل في التَّوْراة ألا يَقْتُلَ بعضهم بعضًا، وأيما عبد أو أمة وجَدْتُموه من بَني إسرائيل فاشْتَرُوه بِما قامَ ثَمَنُه فَأعْتِقوه، فكانتْ قُرَيْظة حُلَفاء الأوس، والنَّضير حُلَفاءَ الخَزرَج، فكانوا يَقْتَتِلونَ في حَرْبِ سُمَيْرٍ، فَتُقاتِلُ بَنو قُرَيْظة مع حُلَفائِها النَّضيرَ وحُلَفاءَها، وَكانتِ النَّضيرُ تُقاتِل قُرَيْظة وحُلَفاءَها وَيَغْلِبونَهم، فَيُخْرِبونَ ديارهم ويُخْرِجونَهم منها، فَإذا أُسِرَ الرَّجُل من الفَريقَيْنِ كِلَيْهِما جَمَعوا له حتَّى يَفْدوهُ، فَيُعَيِّرهم العرب بِذلك، ويقولونَ: كيفَ تُقاتِلونَهم وتَفْدونَهم؟ قالوا: إنَّا أُمِرْنا أنْ نَفْديهم وحَرُمَ علينا قِتالهم. قالوا: فَلِمَ تُقاتِلونَهم؟ قالوا: إنَّا نَسْتَحْيي أنْ يُسْتَذَلَّ حُلَفاؤُنا. فَذلك حين عَيَّرَهم الله جَلَّ وعَزَّ فَقال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (١).

١٤٦٨ - حدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: كانتْ قُرَيْظة والنَّضير أخَوَيْنِ، وكانوا بهذه البلدة، وكان الكِتاب بِأيْديهم، وَكانتِ الأوس والخَزرَج أخَوَيْنِ فافتَرَقا، وافتَرَقَتْ قُرَيْظة والنَّضير، فَكانتِ النَّضير مع الخَزرَج، وكانتْ قُرَيْظة مع الأوس. قال: فاقْتَتَلوا، وكان بعضهم يَقْتُل بعضًا، فَقال اللَّه جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ الآية (٢).

وَقال آخَرون بِما:

١٤٦٩ - حدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية قال: كان في بَني إسرائيل إذا استَضْعَفوا قَوْمًا أخرَجوهم من ديارهم، وقد أُخِذَ عليهم الميثاقُ ألا يَسْفِكوا دِماءَهم ولا يُخْرِجوا أنفُسهم من ديارهم (٣).

وَأمَّا العُدْوان فهو الفُعْلانُ من التَّعَدِّي، يُقال منه: عَدا فُلان في كذا يَعْدُو فِيه عَدْوًا وعُدْوانًا، واعْتَدَى فهو يَعْتَدي اعْتِداء. وذلك إذا جاوَزَ حَدّه ظُلْمًا وبَغْيًا.

وَقد اختَلَفَ القَرَأة في قِراءة: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾؛ فَقَرَأها بعضهم: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾، على مِثال (تَفاعَلون) فَحَذفَ التَّاء الزَّائِدة، وهيَ التَّاء الآخِرةُ، وَقَرَأها آخَرونَ: (تَظَّاهَرُون). مشددة بِتأويلِ (تتظاهرون)، غَيْر أنَّهم أدْغَموا التَّاء الثَّانية في الظَّاء لِتَقارُبِ مَخْرَجَيْهِما فَصَيَّروهُما ظاء مُشَدَّدة.

وَهاتانِ القِراءَتانِ وإنْ اختَلَفَتْ ألفاظهما فهُما مُتَّفِقَتا المعنى، فَسَواءٌ بِأيِّ ذلك قَرَأ به القارِئ؛ لأنَّهُما جَميعًا لُغَتانِ معروفَتانِ وقِراءَتانِ مُسْتَفيضَتانِ في أمْصار الإسلام بِمعنًى واحِد، لَيْسَ في إحداهُما معنًى تَسْتَحِق به اختيارها على الأُخْرَى إلاَّ أنْ يَخْتار مُخْتارٌ تَظَّاهَرونَ المُشَدَّدة طَلَبًا منه تَتِمَّة الكَلِمة.

---

(١) [ضعيف]من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [صحيح]سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٣) [صحيح]المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ﴾

يَعْني بقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾. اليَهودَ، يُؤنِّبُهم بذلك، ويُعَرِّفُهم به قَبيح أفعالهم التي كانوا يَفعَلونَها، فَقال لهم: ثُمَّ أنتم، بعد إقراركُم بالميثاقِ الذي أخَذْته عليكم ألاَّ تَسفِكوا دِماءَكُم، ولا تُخرِجوا أنفُسَكُم من دياركُم، تقتلون أنفسكم - يَعني به: يَقتُل بعضكُم بعضًا - وأنتم مع قِتلكُم مَنْ تَقتُلونَ منكُم، إذا وجَدْتُم الأسير منكُم في أيْدي غَيْركُم من أعدائِكُم تفدونَهم ويُخرِجُ بعضكُم بعضًا من داره، وَقَتْلكُم إيَّاهم وإخراجُكُموهم لهم من ديارهم حَرام عليكُم، كما حرام عليكم وتَركهم أسرَى في أيْدي عَدوِّكُمْ. فكيف تَستَجيزونَ قَتلهم ولا تَستَجيزونَ تَرْك فَدائِهم من عَدوِّهم؟ أم كيفَ لا تَستَجيزونَ تَرْك فَدائِهم وتَستَجيزونَ قَتلهم، وهما جَميعًا في اللاَّزِم لكم من الحُكْم فيهم سَواءٌ؛ لأنَّ الذي حُرِّمَتْ عليكُم من قَتلهم وإخراجهم من دورهم نَظير الذي حَرَّمْتُ عليكُم من تَركهم أسرَى في أيْدي عَدوِّهم أتؤمنون ببعض الكتابِ الذي فَرَضت عليكُم فيه فَرائِضي وبَيَّنت لكم فيه حُدودي وأخَذْت عليكم بالعَمَلِ بِما فيه ميثاقي - فَتُصَدِّقونَ بهِ، فَتُفادونَ أسراكُم من أيْدي عَدوِّكُمْ؛ وتَكْفُرونَ بِبعضِه فَتَجْحَدونَه فَتَقتُلونَ مَنْ حَرَّمْتُ عليكُم قَتْله من أهل دينكُم ومن قَوْمكُمْ، وتَخرُجونَهم من ديارهم، وقد عَلِمْتُم أنَّ الكُفر منكُم بِبعضِه نَقْض منكُم عَهْدي وميثاقي؟! كَما:

١٤٧٠ - **حدثنا** بِشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ﴾: فادين، واللَّه إنَّ فِداءَهم لَلإيمانُ، وإنَّ إخراجَهم لَلْكُفرُ، فَكانوا يُخرِجونَهم من ديارهِمْ، وإذا رَأوهم أُسارَى في أيْدي عَدوِّهم افتَكُّوهم[(١)].

١٤٧١ - **حدثنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر أو عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾: قد عَلِمْتُم أنَّ ذلكم عليكُم في دينكُمْ، ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ في كِتابكُم ﴿إِخْرَاجُهُمْۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ﴾: أتُفادونَهم مُؤمِنينَ بِذلك، وتُخرِجونَهم كُفرًا بذلك؟[(٢)].

١٤٧٢ - **حدثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح،

---

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان. ومداره على سلمة.

عن مُجاهِد: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾. يقول: إنْ وجَدْته في يَد غَيْرك فَديتَه وأنت تَقْتُله بيَدِك (١).

١٤٧٣- حدّثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، قال: قالَ أبو جَعْفَرٍ: كان قَتادةَ يقول في قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فكان إخراجهم كُفْرًا وفِداؤُهم إيمانًا (٢).

١٤٧٤- حدّثنا المُثَنَّى، قال: حَدَّثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية. قال: كان في بَني إسرائيل إذا استَضْعَفوا قَوْمًا أخرَجوهم من ديارهم، وقد أُخِذَ عليهم الميثاق ألاَّ يَسْفِكوا دِماءَهم، ولا يُخرِجوا أنْفسهم من ديارهم، وأُخِذَ عليهم الميثاقُ إنْ أُسِرَ بعضهم أنْ يُفادوهم. فأخْرَجوهم من ديارهم، ثُمَّ فادوهم، فآمَنوا بِبعضِ الكِتاب وكَفَروا بِبعضٍ، آمَنوا بالفِداءِ فَفَدَوْا، وكَفَروا بالإخراجِ من الدِّيار فأخْرَجوا (٣).

١٤٧٥- حدّثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، قال: ثنا الرَّبيع بن أنَس، قال: أخْبَرَني أبو العالية: أنَّ عبد اللَّه بن سَلام مَرَّ على رَأس الجالوت بالكوفةِ وهو يُفادي من النِّساء مَنْ لم يَقَع عليه العرب ولا يُفادي مَنْ قدْ وقَعَ عليه العرب، فَقال له عبد اللَّه بن سَلام: أمَّا إنَّه مَكْتوب عندك في كِتابك: أنْ فادوهُنَّ كُلَّهنَّ (٤).

١٤٧٦- حدّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾. قال: كُفْرُهم القَتْلُ والإخراج، وإيمانهم الفِداء. قال ابن جُرَيْج: يقول: إذا كانوا عندكُم تَقْتُلونَهم، وتُخْرِجونَهم من ديارهم، وَأمَّا إذا أُسِرُوا تَفْدونَهم؟ وبَلَغَني أنَّ عُمَر بن الخَطَّاب قال في قِصَّة بَني إسرائيل: إنَّ بَني إسرائيل قد مَضَوْا وإنكُم يا أهل الإسلام تُعْنَونَ بهذا الحَديث (٥).

واختَلَفَ القرَأة في قِراءة قوله: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾؛ فَقَرَأه بعضهم: (أَسْرَى تفدوهم) وبعضهم: ﴿أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾، وبعضهم: (أَسَارَى تفدوهم)، وبعضهم: (أَسْرَى تفادوهم).

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢) [حسن] تقدم قبل ثلاثة، وهذا سند ضعيف المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وإسحاق بن الحجاج الطاحوني المقرئ مثله.

(٣) [حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم . . . فذكره.

(٤) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٥) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

فَمَنْ قَرَأ ذلك: (وإن يأتوكم أسرى). فَإنّه أرادَ جَمْع الأسير، إذْ كان على (فَعيل) على مِثال جَمْع أسَماء ذَوي العاهات التي يَأتي واحِدها على تَقْدير (فَعيل)؛ إذْ كان الأسرُ شَبيهَ المعنى - في الأذَى والمَكْروه الدَّاخِل به على الأسير - بِبعضِ مَعاني العاهات، وأُلْحِقَ جَمْع المُسَمَّى به بِجَمْعِ ما وصَفْنا، فَقيلَ: أسيرٌ وأسرَى. كما قِيلَ: مَريضٌ ومَرْضَى، وكَسيرٌ وكَسْرَى، وجَريحٌ وجَرْحَى.

وأمّا الذينَ قَرءوا: ﴿أُسَرَىٰ﴾، فَإنهم أخرَجوه على مُخْرجِ جَمْع فَعْلان، إذْ كان جَمْع (فَعْلان) الذي له (فَعْلَى) قد يُشارِكُ جَمْع (فَعيل)، كما قالوا سُكارَى وسَكْرَى وكُسالَى وكَسْلَى، فَشَبَّهوا أسيرًا - إذ جَمَعوه مَرّة أُسارَى وأُخْرَى أسرَى - بِذلك.

وَكان بعضهم يَزْعُم أنَّ معنى الأسرَى مُخالِف معنى الأُسارَى، ويَزْعُم أنَّ معنى الأسرَى استِئْسار القَوْم بِغَيْرِ أسر من المُسْتأسِر لهم، وأنَّ معنى الأُسارَى معنى مَصير القَوْم المَأسورينَ في أيْدي الآسِرينَ بِأسرِهم إياهم وأخْذهم قَهْرًا وغَلَبة.

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وذلك ما لا وجه له يُفْهَم في لُغة أحَد من العرب، ولَكِنْ ذلك على ما وَصَفْتُ من جَمْع الأسير مَرّة على (فَعْلَى) لَمَّا بَيَّنْت من العِلَّة، ومَرّة على (فُعالَى) لِما ذَكَرْت من تَشْبيههم جَمْعه بِجَمْعِ سَكْران وكَسْلان وما أشبَه ذلك.

وَأولَى القراءات بالصَّوابِ في ذلك قِراءةُ مَنْ قَرَأ: (وإن يأتوكم أسرى)؛ لأنَّ (فُعالَى) في جَمْع (فَعيل) غَيْر مُسْتَفيض في كَلام العرب. فَإذا كان ذلك غَيْر مُسْتَفيض في كَلامهم، وكان مُسْتَفيضًا فاشيًا فيهم جَمْعُ ما كان من الصِّفات - التي بِمعنى الآلام والزَّمانة - واحِده على تَقْدير (فَعيل) على (فَعْلَى) كالذي وصَفْنا قَبْل، وكان أحَد ذلك الأسيرَ - كان الواجِب أنْ يُلْحَق بِنَظائِرِه وأشكالِه فَيُجْمَع جَمْعها دون غَيْرِها مِمَّنْ خالَفَها.

وَأمّا مَنْ قَرأ: ﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾ فَإنّه أرادَ: إنَّكُم تَفْدونَهم ممن أسرهم، ويُفْدي منكُم الذينَ أسَروهم؛ فَفادوكُم بهم أسراهُم منكم.

وَأمّا مَنْ قَرأ ذلك: (تَفدوهم) فَإنّه أرادَ أنّكم يا معشَر اليَهود إنْ أتاكُم الذينَ أخرَجْتُموهم منكُم من ديارهم أسرَى، فَدَيْتُموهم فاستنقذتموهم.

وَهذه القِراءةُ أعْجَب إليَّ من الأولَى - أعْني: (أسرى تَفدوهم) - لأنَّ الذي على اليَهود في دينهم فِداءُ أسراهم بِكُلِّ حال فَدَى الآسِرونَ أسراهم منهم أم لم يَفْدوهم.

وَأمّا قوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ فَإنَّ في قوله: ﴿وَهُوَ﴾ وجهَيْنِ من التَّأويل.

أحَدهما: أنْ يكون كِنايةً عن الإخراج الذي تَقَدَّمَ ذِكْره، فكَأنَّه قال: وتُخْرِجونَ فَريقًا منكُم من ديارهِمْ، وإخراجُهم مُحَرَّم عليكُمْ. ثُمَّ كَرَّرَ الإخراجَ الذي بعدَ ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ تَكريرًا على (هو)، لمَّا حال بين (الإخراج) و(هو) كَلام.

والتَّأويل الثَّاني: أنْ يكون عِمادًا لَمَّا كانتِ الواو التي مع (وهو) تَقْتَضي اسمًا يَليها دون

الفِعْل، فَلَمَّا قَدَّمَ الفِعْل قَبْل الاسم - الذي تَقْتَضيه الواو أنْ يَليها - أُولِيَتْ (هو)؛ لأنَّه اسمٌ، كما تَقول في الكلام: أتَيْتُك، وهو قائِمٌ أبوك. بِمعنى: وأبوك قائِم؛ إذْ كانتِ الواو تَقْتَضي اسمًا فَعُمِدَت بـ(هو)، إذْ سَبَقَ الفِعْلُ الاسم لِيَصْلُح الكَلام به؛ كما قال الشَّاعِر:

فَأبْلِغْ أبا يَحْيَى إذا ما لَقيتَهُ ... على العيسِ في آباطِها عَرَقٌ يَبْسُ
بِأنَّ السُّلامِيَّ الذي بِضَرِيَّةٍ ... أميرَ الحِمَى قد باعَ حَقِّي بَني عبس
بِثَوْبٍ ودينارٍ وشاةٍ ودِرْهَمٍ ... فَهَلْ هو مَرْفوعٌ بِما هَهُنا رَاسُ[1]

فَأولَيْت (هَلْ) لِطَلَبِها الاسمَ العِمادَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾: فَلَيْسَ لِمَنْ قَتَلَ منكم قتيلاً - فَكَفَرَ بِقَتْلِه إيَّاه ببعْضِ حُكْم اللَّهِ الذي حَكَمَ به عليه في التَّوْراة، وأخْرَجَ منكُم فَرِيقًا من ديارهم مُظاهِرًا عليهم أعداءَهم من أهل الشِّرْك ظُلْمًا وعُدْوانًا، وخِلافًا لِما أمَرَه اللَّهُ به في كِتابه الذي أنْزَلَه إلى موسَى - ﴿جَزَآءٌ﴾ يَعْني بالجَزاءِ: الثَّوابَ وهو العِوَضُ مِمَّا فَعَلَ من ذلك والأجْرُ عليهِ، ﴿إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ والخِزْيُ: الذُّلُّ والصَّغار، يُقال منه: (قد خَزِيَ الرَّجُلُ يَخْزَى خِزْيًا). ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يَعْني: في عاجِل الدُّنْيا قَبْل الآخِرة.

ثُمَّ اختُلِفَ في الخِزْي الذي جزاهُم اللَّه بِما سَلَفَ منهم من معصيتهم إيَّاه:

فَقال بعضهم: ذلك هو حُكْم اللَّهِ الذي أنْزَلَه إلى نَبيّه مُحَمَّد ﷺ مِنْ أخْذِ القاتِل بِمَنْ قَتَلَ والقَوَدِ به قِصاصًا، والانتِقام لِلْمَظْلوم من الظَّالِم.

وَقال آخَرونَ: بل ذلك هو أخْذُ الجِزْيَةِ منهم ما أقاموا على دينهم ذِلَّةً لهم وصَغارًا.

وَقال آخَرونَ: بل ذلك الخِزْي الذي جُوزوا به في الدُّنْيا إخراجُ رَسول اللَّه ﷺ النَّضير عن ديارهم لأوَّلِ الحَشْر، وقَتْلُ مُقاتِلَة قُرَيْظة وسَبْي ذَراريِّهم؛ فَكان ذلك لهم خِزْيًا في الدُّنْيا، ولَهم في الآخِرة عَذاب عَظيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾

يَعْني جلَّ ثناؤه بِقولِه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾: ويوم تَقوم السَّاعة يُرَدُّ مَنْ يَفْعَل

---

(١) [الطويل] القائل: لم أهتدِ لقائله ذكر الفراء الأبيات في معاني القرآن ولم ينسبها. اللغة: العيس: إبل بيض يخالطها شقرة يسيرة، وهي من كرائم الإبل. قد يبس العرق في آباطها من طول الرحلة. السلامي: اسم رجل يعمل في جمع أموال الزكاة. ضرية: في نجد، على طريق البصرة إلى مكة، وهي إلى مكة أقرب. المعنى: يوصي الشاعر صاحبه قبل أن ينطلق في رحلته الطويلة والتي عبر عنها بقوله (على العيس في آباطها عرق يبس) إذا ما وجدت (أبا يحيى) بعد رحلتك الطويلة فأخبره بأن عامل الزكاة الذي بـ(ضرية) أخذ الرشى من بني عبس وهي ثوب ودينار وشاة ودرهم - والأشياء المذكورة ليست على سبيل الإحصاء -؛ فأسلم إليهم حقي؛ فهل أجد من ينصرني ويرجع إليّ حقي فأرفع رأسي من بعدما ذلت؟!

ذلك منكُم بعد الخِزْي الذي يَحِلُّ به في الدُّنيا جَزاءً على معصيته اللَّهَ، إلى أشَدِّ العَذاب الذي أعَدَّ اللَّه لأعْدائِه.

وَقد قال بعضهم: معنى ذلك: ثم يومَ القيامةِ يردونَ إلى أشدِّ من عَذاب الدُّنيا.

وَلا معنى لِقولِ قائِل ذلك؛ لأن اللَّه جَلَّ ثَناؤه إنَّما أخْبَرَ أنَّهم يُرَدّون إلى أشَدِّ مَعاني العَذاب؛ ولِذلك أدْخَلَ فيه الألِف واللّام، لأنَّه عَنَى به جِنس العَذابِ كُلِّه دون نَوْع منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

اختَلَفَت القرَأةُ في قِراءة ذلك، فَقَرَأه بعضهم: (وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ) بالياءِ على وجه الإخبار عنهم، فكأنَّهم نَحَوْ بِقِراءَتِهم معنى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ ويوم القيامة يُرَدُّ من يفعل ذلك منكم إلى أشَدِّ العَذابِ (وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ) يَعْني عَمَّا يَعْمَله الذينَ أخْبَرَ اللَّه عنهم أنَّه لَيْسَ لهم جَزاءٌ على فِعْلهم إلاَّ الخِزْي في الحَياة الدُّنْيا، ومَرْجِعُهم في الآخِرة إلى أشَدِّ العَذاب.

وَقَرَأه آخرونَ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ بالتَّاءِ على وجه المُخاطَبة. قال: فَكَأنَّهم نَحَوْ بِقِراءَتِهم: أفتُؤْمِنون ببعض الكتابِ وتَكْفُرون ببعضٍ وما اللهُ بغافلٍ يا معشَر اليَهودِ عما تَعْملونَ أنتم.

وَأعْجَب القِراءَتَيْنِ في ذلك إليَّ قِراءة مَنْ قَرَأ بالياءِ إتباعًا لِقولِه: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ﴾ ولِقولِه: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ﴾؛ لأنَّ قوله: (وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ) إلى ذلك أقْرَب منه إلى قوله: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ فإتباعُه الأقْرَبَ إليه أولَى من إلْحاقه بالأبْعَدِ منه، والوَجْهُ الآخَرُ غَيْرُ بعيدٍ من الصَّواب.

وَتأويل قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: وما اللَّه بِساهٍ عن أعْمالِهم الخَبيثَةِ، بل هو مُحْصٍ لها وحافِظُها عليهم حتَّى يُجازيَهم بها في الآخِرة ويُخْزيَهم في الدُّنيا فَيُذِلَّهم ويَفْضَحهم بها.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

يَعْني جَلَّ ثَناؤه بقولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذينَ أخْبَرَ عنهم أنَّهم يُؤمِنونَ بِبعضِ الكِتاب فَيُفادونَ أسراهم من اليَهود، ويكْفُرونَ ببعضٍ، فَيَقْتُلونَ مَنْ حَرَّمَ اللَّه عليهم قَتْله من أهل مِلَّتهمْ، ويُخْرِجونَ مِن داره مَنْ حَرَّمَ اللَّه عليهم إخراجهُ من داره، نَقْضًا لِعَهْدِ اللَّه وميثاقِهِ في التَّوْراة إليهم، فَأخْبَرَ جَلَّ ثَناؤه أنَّ هؤلاء هم الذينَ اشْتَرَوْا رياسةَ الحَياة الدُّنْيا على الضُّعَفاء وأهل الجَهْل والغَباءِ من أهل مِلَّتهمْ، وابْتاعوا المَآكِلَ الخَسيسَةَ الرَّديئة فيها بالإيمانِ الذي كان يكون لهم به في الآخِرة - لو كانوا أتَوْا به مَكان الكُفر - الخُلودُ في الجِنان. وَإنما وصَفَهم اللَّه جَلَّ ثَناؤه بأنَّهم اشْتَرَوْا الحَياة الدُّنْيا بالآخِرةِ؛ لأنَّهم رَضوا بالدُّنْيا - بِكُفْرِهم باللَّه فيها - عِوَضًا من نَعيم الآخِرة الذي أعَدَّه اللَّهُ لِلْمُؤمِنينَ، فَجَعَلَ تَرْكَهم حُظوظَهم من نَعيم الآخِرة بِكُفْرِهم باللَّهِ ثَمَنًا لِمَا ابْتاعوه

به من خَسيس الدُّنيا، كَما:

١٤٧٧ - حَدَّثَنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾: استحَبُّوا قَليل الدُّنيا على كَثير الآخِرة[1].

ثُمَّ أخْبَرَ اللَّه جَلَّ ثَناؤه أنَّهم إذْ باعوا حُظوظَهم من نَعيم الآخِرة بِتَرْكِهم طاعَتَه، وإيثارِهم الكُفْرَ به والخَسيسَ مِن الدُّنيا عليهِ، فلا حَظَّ لهم في نَعيم الآخِرة، وأنَّ الذي لهم في الآخِرة العَذابُ، غَيْرُ مُخَفَّفٍ عنهم فيها العقابُ؛ لأنَّ الذي يُخَفَّف عنه فيها من العَذاب هو الذي له حَظٌّ في نَعيمها، ولا حَظَّ لِهؤلاءِ لاشْتِرائِهم - كان في الدُّنيا - دُنْياهم بِآخِرَتِهم.

وأمّا قوله: ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾: فإنَّه أخْبَرَ عنهم أنَّهم لا يَنْصُرهم في الآخِرة أحَدٌ فَيَدْفَع عنهم بِنُصْرَتِه عَذاب اللَّه، لا بِقوَّتِه ولا بِشَفاعَتِه ولا غَيْرهما.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أنْزَلْناه إليه.

وَقد بَيَّنّا أنَّ معنى الإيتاء: الإعْطاءُ فيما مَضى قَبْلُ. والكِتابُ الذي آتاه اللَّه موسَى عليه السَّلامُ هو التَّوْراةُ.

وأمّا قوله: ﴿وَقَفَّيۡنَا﴾ فَإنَّه يَعْني: وأرْدَفْنا وأتْبَعنا بعضهم خَلْف بعض، كما يَقْفو الرَّجُلُ الرَّجُلَ إذا سارَ في أَثَره من ورائِه، وَأصْلُه من القَفا، يُقال منه: قَفَوْت فُلانًا: إذا صِرْت خَلْف قَفاهُ، كما يُقال دَبَرْته: إذا صِرْت في دُبُره.

وَيَعْني بِقولِه: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: من بعد موسَى.

وَيَعْني: ﴿بِٱلرُّسُلِۖ﴾: الأنْبياءَ، وهم جَمْع رَسول، يُقال: هو رَسول وهم رُسُل، كما يُقال: هو رجل صَبور وهم قَوْمٌ صُبُر، وهو رَجُل شَكور وهم قَوْم شُكُرٌ.

وَإنَّما يَعْني جَلَّ ثَناؤه بِقولِه: ﴿وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ﴾ أيْ: أتْبَعْنا بعضهم بعضًا على منهاج واحِد وشَريعةٍ واحِدة؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ بَعَثَه اللَّه نَبيًّا بعد موسَى صلوات الله عليه إلى أزمان عيسَى ابن مَرْيَم، فَإنَّما بَعَثَه يَأمُر بَني إسرائيل بِإقامةِ التَّوْراة والعَمَلِ بِما فيها والدُّعاء إلى ما فيها؛ فَلِذلك قِيلَ: ﴿وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ﴾ يَعْني على منهاجه وشَريعَته، والعَمَل بِما كان يَعْمَل به.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾

يَعْني بِقولِه جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أعطَيْنا عيسَى ابن مَرْيَم.

وَيَعْني بـ (البيِّناتِ) التي آتاه اللَّه إيّاها، ما أظْهَرَ على يَدَيْه من الحُجَج له والدَّلالة على نُبوَّته؛ من إحياء الموتَى وإبراء الأكْمَه والأبرص ونَحْو ذلك من الآيات التي أبانَتْ مَنْزِلَته من اللَّه، ودَلَّتْ على صِدْقه وصِحَّة نُبوَّته، كَما:

---

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

١٤٧٨- حدّثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن إسحاق، قال: ثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أيْ: الآيات التي وضَعَ على يَدَيْه؛ من إحياء الموتَى، وخَلْقه من الطِّين كَهَيْئَةِ الطَّيْر ثُمَّ يَنْفُخ فيه فَيكون طائِرًا بِإذْنِ اللَّه، وإبراء الأسقام، والخَبَر بِكَثيرٍ من الغُيوب مِمَّا يَدَّخِرونَ في بُيوتهمْ، وما رَدَّ عليهم من التَّوْراة مع الإنجيل الذي أحدَثَ اللَّه إليهِ(١).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾

أمَّا معنى قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ فإنه: قَوَّيْناه وأعَنَّاهُ به، كما:

١٤٧٩- حدّثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زُهَيْر عن جوَيْبِر، عن الضَّحَّاك في قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ يقول: نَصَرْناهُ(٢).

يُقال منه: أيَّدَكَ اللَّهُ، أيْ: قَوَاكَ الله، وهو رَجُل ذو أيْدٍ وذو آدٍ، يُراد: ذو قوّة.

وَمنه قول العَجَّاج:

مِـنْ أَنْ تَـبَـدَّلْـتُ بِـآدِيَ آدا(٣)

يعني: تَبدَّلتُ بقوةِ شبابي قوةَ المَشيب. ومنه قول الشاعر:

إنّ الـقِـداحَ إِذَا اجْـتَـمـعنَ فَرَامَـهـا بـالـكَسْرِ ذُو جَلَدٍ وبَطْشٍ أَيِّـدِ(٤)

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] جويبر بن سعيد الأزدي متروك. والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [الرجز] القائل: العجاج (مخضرم). اللغة: تبدلت: أي تحولت من حالة إلى حالة أخرى. آدي: الأَيْدُ والآدُ جميعًا القوة. المعنى: يقول الشاعر في هذا البيت أنه قد تحول حاله من قوة الشباب وعنفوانه إلى المشيب.

(٤) [الكامل] القائل: عبد الله بن عبد الأعلى ابن أبي عمرة الشيباني. اللغة: فرامها: رام الشيءَ يرومُهُ رَوْمًا ومَرامًا طلبه. جلد: صبر. المعنى: استشهد عبد الملك بن مروان بهذا البيت - وأبيات غيره - عندما أرسل إلى خالد وعبد الله، ابني يزيد بن معاوية. فلما جلسا قال: ما تقولان أأقيلكما بيعة الوليد؟ قالا: معاذ الله يا أمير المؤمنين. قال: لو قلتما غير ذلك لقتلتكما على حالي هذه. قوما. فقاما فخرجا. ثم دعا بقداح بعدة ولده فأمر بها فجمعت ثم دفعها إلى الوليد فقال: اكسرها. فلم يقدر على ذلك. ثم دفعت إلى آخر، ثم آخر، حتى استقراهم جميعًا، فأعياهم كسرها، فأمر بها ففرقت، ثم دفع إلى كل واحد منهم قدحًا وأمره بكسره ففعل، فقال: هكذا أنتم بعدي، إن اجتمعتم لم يكسر أحد، وإن تفرقتم كسرتم. وقال: احفظوا عني هذه الأبيات:

انفوا الضَّغائن عنكم وعليكم عند المغيب وفي الحضور الشُّهَّد
بصلاح ذات البين طول بقائكم إن مدّ في عمري وإن لم يمدد
فلمثل ريب الدّهر ألّف بينكم بـتـواصـلٍ وتـراحـم وتـودّد
حتّى تلين قلوبكم وجلودكم لـمـسـوّدٍ منكم وغيرِ مسـوّد
إنّ القداح إذا أجتمعن فرامها بالكسر ذو حنقٍ وكسرٍ أيّد

والمقصود بالبيت الوارد أن الاتحاد في الأمور العظام مطلوب لأن الحركات الفردية والانقسامات لا تجعل أصحابها في موضع قوة؛ بل إنهم لا يستطيعوا القيام بالأمور على الوجه الذي ينبغي، وهذا معنى البيت العام والذي حوله أمير المؤمنين لمثال تطبيقي أن يجتمعوا ولا يتفرقوا فإن تفرقوا ذهبوا وذهبت ريحهم.

يَعْني بالأيْدِ: القَويَّ.

ثُمّ اختَلَفَ أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾.

فَقال بعضهم: الروح الذي أَخْبَرَ اللَّه تعالى ذِكْره أنّه أيَّدَ عيسَى به هو جِبْريل عليه السَّلام.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٤٨٠ - **حدّثنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ قال: هو جِبْريل(١).

١٤٨١ - **حدّثني** موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عَمْرو بن حَمّاد، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ قال: هو جِبْريل(٢).

١٤٨٢ - **حدّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زُهَيْر، عن جوَيْبِر، عن الضَّحّاك في قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ قال: روح القُدُس: جِبْريل(٣).

١٤٨٣ - **وحدّثت** عن عَمّار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ قال: أُيِّدَ عيسَى بِجِبْريلَ وهو روح القُدُس(٤).

١٤٨٤ - **حدّثنا** ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثَنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، قال: حَدَّثَني عبد اللَّه بن عبد الرَّحْمَن بن أبي الحُسَيْن المَكّيّ، عن شَهْر بن حَوْشَبٍ الأشعَرِيِّ: أنَّ نَفَرًا من اليَهود سَألوا رَسول اللَّه ﷺ فقالوا: أَخْبِرْنَا عن الرّوح. قال: «**أَنْشُدُكُم باللَّه وبِأيَّامِه عند بَني إسرائيل، هَلْ تَعْلَمونَ أنّه جِبْريل، وهو الذي يَأتيني؟**» قالوا: نَعَمْ(٥).

وَقال آخرونَ: الرّوح الذي أيَّدَ اللَّه به عيسَى هو الإنْجيل.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٤٨٥ - **حدّثني** يونُس بن عبد الأعلى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ قال: أيَّدَ اللَّه عيسَى بالإنجيلِ روحًا كما جَعَلَ القُرْآن روحًا للَّه، كِلاهُما روح اللَّه، كما قال اللَّه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢](٦).

وَقال آخرونَ: الروح هو الاسم الذي كان عيسَى يُحْيي به الموتَى.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٤٨٦ - **حُدّثت** عن المِنْجاب، قال: ثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحّاك، عن

---

(١) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] جويبر بن سعيد الأزدي متروك. والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٤) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٥) [ضعيف] شهر بن حوشب عن النبي ﷺ مرسل، والسند إليه ضعيف؛ سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٦) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

ابن عبَّاس: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ قال: هو الاسم الذي كان يُحْيي به عيسَى الموتَى[١].

وأولَى التَّأويلات في ذلك بالصَّوابِ قولُ من قال: الرّوح في هذا الموضِع جِبْريل؛ لأنَّ اللَّه جلَّ ثَناؤه أخبَرَنا أنَّه أيَّدَ عيسَى بهِ، كما أخبَرَ في قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠] أنه أيده به، فلو كان الرّوح الذي أيَّدَه اللَّه به هو الإنْجيل لَكان قوله: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ - ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ تَكْريرَ قولٍ لا معنًى له؛ وَذلك أنَّه على تأويل قول من قال: معنى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: إذا أيدتك بالإنجيل. إنَّما هوَ: إذْ أيَّدْتُك بالإنجيلِ، وإذْ عَلَّمتُك الإنجيل. وهو لا يكون به مُؤَيَّدًا إلاَّ وهو مُعَلَّمه.

فَذلك تَكْريرُ كَلامٍ واحِد في آيةٍ واحدةٍ من غَيْر زيادة معنًى في أحَدهما على الآخَر، وذلك خُلْفٌ من الكَلام، واللَّه تعالى ذِكْره يَتعالى عن أنْ يُخاطِب عِباده بِما لا يُفيدهم به فائِدة.

وَإذ كان ذلك كذلك فَبَيِّنٌ فَسادُ قولِ مَنْ زَعَمَ أنَّ الرّوح في هذا الموضِع الإنْجيلُ، وإنْ كان جَميع كُتُب اللَّه جل ثناؤه التي أوحاها إلى رُسُله روحًا منهُ؛ لأنَّها تَحْيا بها القُلوب المَيِّتة، وتَنْتَعِش بها النُّفوس المولِّية، وتَهْتَدي بها الأحلام الضَّالة.

وَإنّما سَمَّى اللَّه جلَّ ثناؤُهُ جِبْريلَ روحًا وأضافَه إلى القُدُس؛ لأنَّه كان بِتَكْوينِ اللَّه له روحًا من عنده عن غَيْر وِلادة والِد ولَده، فَسَمَّاه من أجل ذلك روحًا، وأضافَه إلى القُدُس - والقُدُس: هو الطُّهر - كما سُمِّيَ عيسَى ابن مَرْيَم روحَ اللَّهِ من أجْل تَكْوينه له روحًا من عنده من غَيْر وِلادة والِد ولَده.

وَقد بَيَّنَّا فيما مَضَى من كِتابنا هذا أنَّ معنى التَّقْديس: التَّطْهير، والقُدُس: الطُّهْر من ذلك.

وَقد اختَلَفَ أهل التَّأويل في معناه في هذا الموضِع نَحْو اختِلافهم في الموضِع الذي ذَكَرْناه.

١٤٨٧- **حَدَّثني** موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ، قال: القُدُس: البرَكة[٢].

١٤٨٨- **وحُدِّثت** عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ عن الربيع، قال: القُدُس: هو الرَّبُّ[٣].

١٤٨٩- **وحَدَّثني** يونُس بن عبد الأعلى، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ قال: اللَّهُ القُدُس، وأيَّدَ عيسَى بروحه. قال: واحتَجَّ في هذا بقول كعبٍ: اللَّه القُدُس. وقَرَأ قول اللَّه جَلَّ ثَناؤه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] من معلقات المصنف.

قال: القُدُس والقُدُوس واحِد[(١)].

١٤٩٠- حدثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: أخْبَرَني عَمْرو بن الحارِث، عن سَعيد بن أبي هِلال، عن هلال بن أُسامة، عن عَطاء بن يَسار، قال: قال كعبٌ: اللّه القُدُس[(٢)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ:

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧﴾

يَعني جَلَّ ثَنَاؤه بِقولِه: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ اليَهودَ من بَني إسرائيل.

١٤٩١- حدثني بذلك مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد[(٣)].

قالَ أبُو جَعْفَر: يقول اللّه جَلَّ ثَنَاؤه لهم: يا معشَرَ يَهودِ بَني إسرائيل، لَقد آتَيْنا موسَى التَّوْراة، وتابَعْنا من بعده بالرُّسُلِ إليكُمْ، وآتَيْنا عيسَى ابن مَرْيَم البيِّنات والحُجَج إذْ بَعَثْناه إليكُمْ، وقَوَّيْناه بِروحِ القُدُس، وَأنتم كُلَّما جاءكُم رَسول من رُسُلي بِغَيْرِ الذي تَهْواه نَفوسكُم استَكْبَرْتُم عليه - تَجبُّرًا وبَغْيًا - استِكْبارَ إمامِكُم إبليسَ؛ فَكَذَّبْتُم منهم بعضًا، وقَتَلْتُم بعضًا، أفهذا فِعْلكُم أبَدًا بِرُسُلي.

وَقوله: ﴿أَفَكُلَّمَا﴾ وإنْ كان خَرَجَ مَخْرَجَ التَّقْرير في الخِطاب فهو بِمعنى الخَبَر.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾

اختلَفَتِ القرَأة في قِراءة ذلك؛ فَقَرَأه بعضهم: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ مُخَفَّفة اللاَّمَ ساكِنة، وهيَ قِراءة عامّة قرأةِ الأمْصار في جَميع الأقْطار.

وَقَرَأه بعضهم: (وقالوا قُلوبنا غُلُفٌ) مُثَقَّلةَ اللاَّمُ مَضْمومة.

فَأمَّا الذينَ قَرَءوها بِسُكونِ اللاَّمِ وتَخفيفها، فَإنهم تأوّلوها أنّهم قالوا: قُلوبنا في أكِنَّةٍ وأغطية وغُلْف، فالغُلْف - على قِراءة هؤلاء - جَمْع أغْلَف، وهو الذي في غِلاف وغِطاء؛ كما يُقال لِلرَّجُلِ الذي لم يَخْتَتِن: أغْلَف، وللمَرْأة غَلْفاء، وكَما يُقال لِلسَّيْفِ إذا كان في غِلافه: سَيْف أغْلَف، وقَوْسٌ غَلْفاء، وجَمْعها (غُلْف)، وكذلك جَمْع ما كان من النُّعوت ذَكَرُهُ على (أفعَل)

---

(١) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٢) [حسن] هلال بن على بن أسامة ثقة من رجال الصحيحين. سعيد بن أبى هلال الليثى مولاهم، أبو العلاء المصرى، صدوق من رجال الصحيحين. و عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الأنصاري أبو أمية المصري. وبقية رجاله تقدموا.

(٣) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

وأُنْثاه على (فَعْلاء)، يُجْمَع على (فُعْل) مَضمومةَ الأوَّل ساكِنة الثَّاني، مِثْل أحمَر وحُمْرٍ، وصفراء وصُفْرٍ، فَيكون ذلك جِماعًا لِلتَّأنيثِ والتّذكير، ولا يجوز تَثْقيل عَيْن (فُعْل) منه إلاَّ في ضَرورة شِعْر، كما قال طَرَفة بن العبد:

أيّـها الـفِـتْـيان فـي مَـجْـلِـسـنـا جَـرِّدوا مِـنـهـا وِرادًا وشُـقُـرْ[١]

يُريد: شُقْرًا؛ إلا أن الرَّوِيَّ اضطَرَّه إلى تَحريك ثانيه فَحرَّكه.

وَمنه الخَبَر الذي:

١٤٩٢- حدَّثنا به ابن حُمَيْد، قال: ثنا الحَكَم بن بَشير بن سَلْمان، قال: ثنا عَمْرو بن قَيْس المُلائيّ، عن عَمْرو بن مُرّة الجَمَليّ، عن أبي البَخْتَرِيّ، عن حُذَيْفة قال: القُلوب أرْبَعة. ثُمّ ذَكَرها، فَقال فيما ذَكَرَ: وقَلْب أغْلَف: معصوبٌ عليهِ، فَذلك قَلْب الكافِر[٢].

ذكر مَن تأول ذلك، بمعنى أنها في أغطية:

١٤٩٣- حدَّثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾ أيْ: في أكِنَّة[٣].

١٤٩٤- وحدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو صالح، قال: حدثني مُعاوية بن صالِح، عن عليِّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾ أيْ: في غِطاء[٤].

١٤٩٥- حدَّثني مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثَني أبي، عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾: فَهيَ القُلوبُ المَطْبوعُ عليها[٥].

١٤٩٦- وحدَّثني عَبَّاس بن مُحَمَّد، قال: ثنا حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ، أخْبَرَني عبد الله بن كَثير، عن مُجاهِد في قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾: عليها غِشاوة[٦].

١٤٩٧- وحدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، قال: حدَّثني عبد الله بن

---

(١) [الرمل] القائل: طرفة بن العبد (جاهلي). اللغة: جردوا: قدموا للغارة، وتجرد الفرس: تقدم الحلبة فخرج منها، وتجرد في الأمر: جد فيه. وراد: جمع (وَرْد) وهو من الخيل، بين الكميت والأشقر. شقر: وهو الأحمر حمرة صافية، يحمر منها السبيب والمعرفة والناصية.

المعنى: يقول الشاعر للفتيان الجالسين في مجلسه قوموا إلى الخيول فجهزوها للغارة وانتقوا منها الخيول الوراد والخيول الشقر؛ لأنهما أجود أنواع الخيول، وفي البيت دلالة على خبرة الشاعر بأنواع الخيول ومعرفته بجيدها من رديئها، وكذلك دلالة على إقدام قومه على القتال وعدم خشيتهم من الغارات.

(٢) [ضعيف] سعيد بن فيروز وهو ابن أبي عمران أبو البختري الطائي مولاهم الكوفي عن أبي حذيفة مرسل.

(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٤) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٥) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٦) [صحيح] كل رجاله من أهل الصدق حديثهم حسن.

كَثير، عن مُجاهِد: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾: عليها غِشاوة[١].

١٤٩٨- **وحَدّثنا** أحمَد بن إسحاق الأهوازيُّ، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قال: ثنا شَريك، عن الأعْمَش قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ قال: هي في غُلْف[٢].

١٤٩٩- **وحَدّثنا** بِشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ أي: لا تَفْقَهُ[٣].

١٥٠٠- **وحَدّثَنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ قال: هو كَقوله: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥] [٤].

١٥٠١- **حَدّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرَّزَّاق، عن مَعْمَر، عن قَتادةَ في قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ قال: عليها طَابَع، قال: هو كَقولِه: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥] [٥].

١٥٠٢- **وحَدّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ أي: لا تَفْقَهُ[٦].

١٥٠٣- **وحَدّثَني** موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ قال: يقولونَ: عليها غِلاف، وهو الغِطاء[٧].

١٥٠٤- **وحَدّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ قال: يقول قَلْبي في غِلاف، فلا يَخْلُص إليه ما تَقول. وَقَرأ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [٨].

وأمّا الذينَ قَرَءوها: (غُلُفٌ) بِتَحريكِ اللاَّمَ وضَمِّها، فَإنّهم تأوَّلوها أنّهم قالوا: قُلوبنا غُلُف لِلعِلْم. بِمعنى أنّها أوعية لها.

والغُلُفُ - على قراءة هؤلاء - جَمْع غِلاف، كما يُجْمَع الكِتاب كُتُبًا، والحِجاب حُجُبًا، والشِّهاب شُهُبًا.

---

(١) [صحيح] تقدم قبله، وها سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] شريك ضعيف، وقد تقدم الحديث عنه.

(٣) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف.

(٦) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٧) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٨) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

فَمعنى الكَلام على تأويل مَنْ قَرَأه: ﴿غُلُفٌ﴾ بِتَحْريكِ اللاَّمِ وضَمِّها: وقالتِ اليَهود: قُلوبنا غُلُف لِلْعِلْم، وأوعية له أو لِغَيْرِه.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٥٠٥- **حَدَّثني** عُبَيْد بن أسباط بن مُحَمَّد القرشيُّ، قال: ثنا أبي، عن فُضَيْل بن مَرْزوق، عن عَطيّة: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلُفٌ﴾ قال: أوعية لِلذِّكْرِ[١].

١٥٠٦- **وحَدَّثني** مُحَمَّد بن عُمارة الأسَديّ، قال: ثنا عُبَيْد الله بن موسَى، قال: أخبرَنا فُضَيْل، عن عَطيّة في قوله: ﴿غُلُفٌ﴾ قال: أوعية لِلْعِلْم[٢].

١٥٠٧- **وحَدَّثنا** أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: ثنا أبو أحمَد، قال: ثنا فُضَيْل بن مرزوق، عن عَطيّة، مِثْله[٣].

١٥٠٨- **وحُدِّثت** عن المِنْجاب، قال: ثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلُفٌ﴾. قال: مَمْلوءةٌ عِلْمًا لا يُحْتَاجُ إلى علم مُحَمَّد ولا غَيْره[٤].

والقِراءة التي لا يجوز غَيْرها في قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ هي قِراءة مَنْ قَرَأها ﴿غُلْفٌۢ﴾ بِتَسْكينِ اللاَّمِ بِمعنى أنَّها في أغْشية وأغْطية؛ لاِجْتِماعِ الحُجّة من القرَأةِ وأهل التَّأويل على صِحَّتها، وشُذوذ مَنْ شَذَّ عنهم بِما خالَفَه من قِراءة ذلك بِضَمِّ اللاَّمِ.

وَقد دَلَّلْنا على أنَّ ما جاءتْ به الحُجّة مُتَّفِقةً عليه، حُجّةٌ على مَنْ بَلَغَهُ، وما جاء به المُنْفَرِد فَغَيْر جائِز الاعْتِراضُ به على ما جاءتْ به الجَماعة التي تَقوم بها الحُجّة نَقْلاً، قولاً أو عَمَلاً، في غَيْر هذا الموضِع، فَأغْنَى ذلك عن إعادَته في هذا المَكان.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾

يَعْني جَلَّ ثَنَاؤه بِقولِه: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بل أقْصاهم اللَّه وأبْعَدهم وطَرَدَهم وأخْزاهم وأهلَكَهم بِكُفرِهم وهو جُحودُهم آيات اللَّه وبَيِّناته، وما ابْتَعَثَ به رُسُله، وتَكْذيبُهم أنْبياءَه، فَأخْبَرَ الله تعالى ذِكْره أنَّه أبْعَدَهم منه ومن رَحْمَته بِما كانوا يَفْعَلونَ من ذلك.

وَأصْل اللَّعْن: الطَّرْد والإبعاد والإقْصاء، يُقال منه: لَعَنَ فُلانٌ فُلانًا يَلْعَنه لَعْنًا وهو مَلْعون، ثُمَّ يُصَرَّفُ مفعول منه إلى فعيل فَيُقال هو لَعين؛ ومنه قول الشَّمَّاخ:

---

(١) [حسن] فضيل بن مرزوق الأغر الرقاشي، صدوق. و أسباط بن محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة، صدوق. و عبيد بن أسباط، صدوق.

(٢) [حسن] كما سيأتي بعده، وهذا سند ضعيف، عبيد الله بن موسى بن أبي المختار، ثقة، أحد الأعلام على تشيعه و بدعته. و محمد بن عمارة الأسدي مجهول الحال.

(٣) [حسن] من أجل الأهوازي، وبقية رجاله تقدموا.

(٤) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

ذَعَرْتُ بِهِ القَطا ونَفَيْتُ عنهُ مقامَ الذِّئْبِ كالرَّجُلِ اللَّعينِ(١)

وفي قول اللَّه جلَّ ثناؤه: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ تَكْذيبٌ منه لِلْقائِلينَ من اليَهود: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ لأنَّ قوله: ﴿بَل﴾ دَلالةٌ على جَحْده جَلَّ ذِكْره، وإنكارِه ما ادَّعَوْا من ذلك؛ إذْ كانتْ (بل) لا تَدْخُل في الكَلام إلاَّ نَقْضًا لِمَجْحودٍ.

فَإذ كان ذلك كذلك، فبَيِّنٌ أنَّ معنى الآية: وقالتِ اليَهود: قُلوبنا في أكِنَّة مِمَّا تَدْعونا إليه يا مُحَمَّد. فَقال اللَّه تعالى ذِكْره: ما ذلك كما زَعَموا، ولَكِنْ اللَّه أقْصَى اليَهود وأبْعَدهم من رَحْمَته وطَرَدَهم عنها وأخْزاهم بِجُحودِهم به وبِرُسُلِه فَقَليلاً ما يُؤمِنونَ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾

اختلَفَ أهل التَّأويل في تأويل قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾:

فَقال بعضهم: معناه: فَقَليلٌ منهم من يُؤمِن. أيْ: لا يُؤمِن منهم إلاَّ قَليل.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٥٠٩- **حدَّثنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: ولَعَمْري، لَمَنْ رَجَعَ مِن أهلِ الشِّرْك أكْثَر مِمَّنْ رَجَعَ من أهل الكِتاب، إنَّما آمَنَ من أهل الكِتاب رَهْطٌ يَسير(٢).

١٥١٠- **حدَّثنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادةَ: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾. قال: لا يُؤمِنُ منهم إلاَّ قَليل(٣).

وَقال آخَرونَ: بل معنى ذلك: فلا يُؤمِنونَ إلاَّ بِقَليلٍ مِمَّا في أيْديهِمْ.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٥١١- **حدَّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: ثنا أبو سُفْيان، عن مَعْمَر، عن قَتادةَ:

---

(١) [الوافر] القائل: الشماخ الذبياني (مخضرم). اللغة: ذعرت: الذُّعْرُ بالضم الخَوْفُ والفَزَعُ وهو الاسم ذَعَرَهُ يَذْعَرُهُ ذَعْرًا فانْذعَرَ وهو مُنْذَعِرٌ وأَذْعَرَه كلاهما أفزعنه وصيره إلى الذُّعْر.

القطا: طائر معروف سمي بذلك لثِقَل مَشْيه واحدته قَطاة والجمع قَطَوات وقَطَياتٌ مشيها الاقطِيطاء. نفيت: طردت وأبعدت. اللعين: المطرود وهو الخليع لكثرة جناياته، وكان الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جعل له تمثال من طين ونصب وقيل: ألا إن فلانا غدر فالعنوه.

وَمـاءٍ قَـد وَرَدتُ لِـوَصـلِ أَروى عَـلَـيـهِ الطَـيـرُ كَـالـوَرَقِ اللَـجـيـنِ
ذَعَـرتُ بِـهِ القَـطـا وَنَـفَـيـتُ عَـنـهُ مَـقـامَ الـذِئـبِ كَـالـرَجُـلِ اللَـعـيـنِ

المعنى: يقول الشاعر: ذعرت القطا بذلك الماء، ونفيت عن ذلك الماء مقام الذئب، أي: وردت الماء فوجدت الذئب عليه فنحّيته عنه، أراد مقام الذئب كالرجل اللعين المنفي المقصى.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾. قال: لا يُؤمِن منهم إلاَّ قَليل. قال مَعْمَر: وقال غَيْره: لا يُؤمِنونَ إلاَّ بِقَليلٍ مِمَّا فِيْ أيْديهمْ(١).

وَأولَى التَّأويلات في قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ بالصَّوابِ ما نَحْنُ مُبَيِّنُوه إنْ شاءَ اللَّه؛ وهو أنَّ اللَّه جَلَّ ثَنَاؤه أخْبَرَ أنَّه لَعَنَ الذينَ وصَفَ صِفَتَهم في هذه الآية، ثُمَّ أخْبَرَ عنهم أنَّهم قَليلو الإيمان بِما أنْزَلَ اللَّه إلى نَبيِّه مُحَمَّد ﷺ، ولِذلك نَصَبَ قوله: ﴿فَقَلِيلًا﴾ لأنه نَعْتٌ لِلْمَصْدَرِ المَتْروك ذِكْره، ومعناه: بل لَعَنَهم اللَّه بِكُفْرِهم فإيمانًا قَليلاً ما يُؤمِنونَ. فَقد تَبَيَّنَ إذن - بِما بَيَّنَّا - فَسادُ القولِ الذي رُوِيَ عن قَتادةَ في ذلك؛ لأنَّ معنى ذلك لو كان على ما رُوِيَ عنه من أنَّه يَعْني به: فلا يُؤمِن منهم إلاَّ قَليل، أو فَقَليل منهم مَنْ يُؤمِن. لَكان (القَليل) مَرْفوعًا لا مَنْصوبًا؛ لأنه إذا كان ذلك تأويلَه كان (القَليل) حينَئِذٍ مُرافِعًا (ما) وإنْ نُصِبَ (القَليلُ) - و(ما) في معنى (مَنْ) أو (الذي) - بَقِيَتْ (ما) لا مُرافِع لها، وذلك غَيْر جائِزٍ في لُغة أحَد من العرب.

فَأمَّا أهل العربيَّة فإنَّهم اختَلَفوا في معنى (ما) التي في قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾؛ فَقال بعضهم: هي زائِدة لا معنًى لها، وإنما تأويل الكَلام: فَقَليلاً يُؤمِنونَ. كما قال جَلَّ ثناؤه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وما أشْبَه ذلك.

فَزَعَمَ أنَّ (ما) في ذلك زائِدة، وأن معنى الكَلام: فَبِرَحْمةٍ من اللَّه لِنْت لهم. وأنْشَدَ مُحْتَجًا لِقولِه ذلك بَيْتَ مُهَلْهَل:

لـو بِـأبـانَـيْـنِ جـاء يَـخْـطُـبـهـا ... خُضِّبَ ما أنْفُ خاطِبٍ بِدَمِ(٢)

وَزَعَمَ أنَّه يَعْني: خُضِّبَ أنفُ خاطِبٍ بِدَمٍ. وأنَّ (ما) زائِدة.

وَأنْكَرَ آخَرونَ ما قاله قائِل هذا القولِ في (ما) في هذه الآية، وفي البيْت الذي أنْشَدهُ، وقالوا: إنَّما ذلك من المُتَكَلِّم على ابْتِداء الكَلام بالخَبَرِ عن عُموم جَميع الأشياء؛ إذْ كانتْ (ما) كَلِمةً تَجْمَع كُلَّ الأشياء ثُمَّ تَخُصُّ بعضَ ما عَمَّته (ما) بما يُذْكَرُه بعدها.

وَهذا القول عندنا هو أولَى بالصَّوابِ؛ لأنَّ زيادة (ما) لا يَفيد من الكَلام معنًى في الكَلام غَيْرُ جائِزَةٍ إضافَتُه إلى اللَّه جَلَّ ثَنَاؤه.

وَلَعَلَّ قائِلاً أنْ يقول: هَلْ كان لِلَّذينَ أخْبَرَ اللَّهُ عنهم أنَّهم قَليلاً ما يُؤمِنونَ، من الإيمان قَليل أو كَثير، فَيُقال فيهم: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾؟

---

(١) [حسن] محمد بن حميد اليشكري أبو سفيان المعمري البصري، قال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال ابن معين: هو أحب إلى من عبد الرزاق. والحسين بن داود المصيصي ثقة إلا في شيخه الحجاج. وبقية رجاله تقدموا.

(٢) [المنسرح] القائل: مهلهل بن ربيعة. اللغة: أبادين: مفردها (أبان) وهو الجبل. خضب ما أنف خاطب بدم: فإن الفحل الهجين إذا تعرض للناقة الكريمة قرع أنفه بالعصا وضرب وجهه بها، فهو من ذاك مأخوذ. المعنى: قال مهلهل، وكان نزل في آخر حربهم - حرب البسوس - في جنب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك، وهو مذحج، وجنب حي من أحيائهم وضيع، وخطبت ابنته ومهرت أدما فزوجها.

قِيلَ: إنَّ معنى الإيمان هو التَّصْديق، وقد كانتِ اليَهود التي أخْبَرَ اللَّه عنها هذا الخَبَر تُصَدِّقُ بِوَحْدانيّةِ اللَّه وبالبعْثِ والثَّواب والعِقاب، وتَكْفُر بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبنُبوَّته، وكُلُّ ذلك كان فَرْضًا عليهم الإيمان به لأنَّه في كُتُبهم، ومِمَّا جاءهم به موسَى؛ فَصَدَّقوا بِبعضٍ وذلك هو القَليل من إيمانهم، وكذَّبوا بِبعضٍ وذلك هو الكَثيرُ الذي أخْبَرَ اللَّه عنهم أنَّهم يَكْفُرونَ به.

وَقد قال بعضهم: إنَّهم كانوا غَيْر مُؤمِنينَ بِشَيْءٍ، وإنما قِيلَ: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وهم بالجَميع كافِرونَ، كما تَقول العرب: قَلَّما رَأيْت مِثْل هذا قَطُّ. تريد: ما رأيت مثل هذا قط. ورُوِيَ عنها سَماعًا منها: مَرَرْتُ بِبلدٍ قَلَّما يُنْبِتُ إلاَّ الكُرَّاث والبصَل. يَعْني: ما يَنْبُت شيئًا إلاَّ الكُرَّاث والبصَل. وما أشْبَه ذلك من الكَلام الذي يُنْطَقُ به بِوَصْفِ الشَّيْء بالقِلّةِ، والمعنى فيه نَفْي جَميعه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾

يَعْني جَلَّ ثَنَاؤه بِقولِه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: ولَمَّا جاء اليَهودَ من بَني إسرائيل الذينَ وصَفَ جَلَّ ثَناؤه صِفتَهم، ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يَعْني بـ(الكِتاب): القُرْآنَ الذي أنزَلَه على مُحَمَّد ﷺ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يَعْني مُصَدِّق لِلَّذي معهم مِن الكُتُبِ التي أنْزَلَها اللَّه من قَبْل القُرْآن، كَما:

١٥١٢- حَدَّثَنا بِشْر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيع، عن سَعيد، عن قَتادةَ قولَه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: وهو القُرْآن الذي أنزله على مُحَمَّد ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ أي: للتَّوْراة والإنْجيل(١).

١٥١٣- وحُدِّثْت عن عَمَّار بن الحسن، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع في قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: وهو القُرْآنُ الذي أُنْزِلَ على مُحَمَّد ﷺ مُصَدِّقٌ لِما معهم من التَّوْراة والإنْجيل(٢).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: وكان هؤلاء اليَهودُ - الذينَ لَمَّا جاءهم كِتابٌ من عند اللَّه مُصَدِّق لِما معهم من الكُتُب التي أنْزَلَها اللَّه قَبْل الفُرْقان، كَفَروا به - يَسْتَفْتِحونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ - ومعنى الاستِفْتاحُ: الاستِنْصار - ويَسْتَنْصِرونَ اللَّه به على مُشْرِكي العرب مِن قَبْل مَبْعَثه. وذلك قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قَبْل أنْ يُبْعَث، كَما:

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [حسن] هذا سند ضعيف من معلقات المصنف، ولكن أسنده ابن أبي حاتم بسند حسن فقال: حدثنا أبي، ثنا أحمد بن عبد الرحمن السعدي، ثنا عبد الله بن أبي جعفر.. فذكره.

١٥١٤- **حدثنا** ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثنا سَلَمة، قال: حَدَّثني ابن إسحاق، عن عاصِم بن عُمَر بن قَتادةَ الأنصاريِّ، عن أشياخ منهم قالوا: فينا والله وفيهم - يَعْني: في الأنصار وفي اليَهود الذينَ كانوا جيرانَهم - نَزَلَتْ هذه القِصَّة - يَعْني: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ - قالوا: كُنَّا قد عَلوناهم دَهْرًا في الجاهِليّة، ونَحْنُ أهل شِرْك، وهم أهل كِتاب، فكانوا يقولونَ: إنَّ نَبيًّا يُبعث الآن نَتَّبِعُه قد أظَلَّ زَمانه، نقتلكم معه قَتْل عاد وإرَم، فلَمَّا بَعَثَ اللَّه تعالى ذِكْره رَسوله من قُرَيْش واتَّبَعْناه، كَفَروا به، يقول الله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾[1].

١٥١٥- **وحدثنا** ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثنا سَلَمة، قال: حَدَّثني ابن إسحاق، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى آل زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة مولَى ابن عَبَّاس أو سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: أنَّ يَهودَ كانوا يَسْتَفْتِحونَ على الأوسِ والخَزْرَج بِرَسولِ اللَّه ﷺ قَبْل مَبْعَثِه، فلَمَّا بَعَثَه اللَّه من العرب، كَفَروا بِهِ، وجَحَدوا ما كانوا يقولونَ فيهِ، فقال لهم مُعاذ بن جَبَل وبِشْر بن البراء بن معرور أخو بَني سَلِمة: يا معشَر يَهود، اتَّقوا اللَّه وأسلِموا فقد كُنْتُم تَسْتَفْتِحونَ علينا بِمُحَمَّدٍ ﷺ ونَحْنُ أهل شِرْك، وتُخْبِرونَنا أنَّه مَبْعوث، وتَصِفونَه لنا بِصِفَتِه. فقال سَلَّامُ بن مِشْكَم أخو بَني النَّضير: ما جاءنا بِشَيْءٍ نَعْرِفهُ، وما هو بالذي كُنَّا نَذْكُر لكم. فأنْزَلَ اللَّه في ذلك من قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

١٥١٦- **حدثنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثنا يونُس بن بُكَيْر، قال: حَدَّثنا ابن إسحاق، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى آل زَيْد بن ثابِت، قال: حَدَّثني سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، مِثْله[3].

١٥١٧- **وحدثني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثني أبي، قال: حَدَّثني عَمّي، قال: حَدَّثني أبي عن أبيهِ، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يقول: يَسْتَنْصِرونَ بِخُروج مُحَمَّد ﷺ على مُشْركي العرب. يَعْني بِذلك أهل الكِتاب، فلَمَّا بَعَثَ اللَّه مُحَمَّدًا ﷺ ورأوه من غَيْرهم كَفَروا به وحَسَدوهُ[4].

١٥١٨- **وحدثني** مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: حَدَّثنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن عَليّ الأزْديّ في قول الله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال: اليَهود،

---

(١) [illegible] محمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٢) [illegible] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول.
(٤) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

كانوا يقولونَ: اللَّهُمَّ ابعَثْ لنا هذا النَّبيَّ يَحكُم بيننا وبين النَّاس. ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾: يَسْتَنصِرون به على النَّاس(١).

١٥١٩- وحدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن عَليّ الأزديّ - وهو البارِقيُّ - في قول اللَّه: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾. فَذَكَر مِثْله سواء(٢).

١٥٢٠- وحَدَّثنا بِشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: كانتِ اليَهود تَستَفْتِحُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ على كُفَّار العرب من قَبْل، وقالوا: اللَّهُمَّ ابعَثْ هذا النَّبيَّ الذي نَجِده مكتوبًا في التَّوْراة يُعَذِّبهم ويَقْتُلهم!! فَلَمَّا بَعَثَ اللَّه مُحَمَّدًا ﷺ فَرَأوا أنَّه بُعِثَ مِن غَيْرهم، كَفَروا به؛ حَسَدًا لِلعَرَب، وهم يَعْلَمونَ أنَّه رَسول يجدونه مَكْتوبًا عندهم في التَّوْراة: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٣).

١٥٢١- وحَدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخبرَنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخْبَرنا معمرٌ عن قتادةَ: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال: كانوا يقولون: إنه سيأتي نبيٌّ. فلما جاءهم ما عرَفوا كَفروا بهِ(٤).

١٥٢٢- وحَدَّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا آدم، قال: حَدَّثَنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية، قال: كانتِ اليَهود تَستَنصِرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ على مُشرِكي العرب، يقولونَ: اللَّهُمَّ ابعَثْ هذا النَّبيَّ الذي نَجِده مَكتوبًا عندنا حتَّى يُعَذِّبَ المُشرِكينَ ويَقْتُلهم!! فَلَمَّا بَعَثَ اللَّه مُحَمَّدًا ﷺ ورَأوا أنَّه من غَيْرهم كَفَروا به؛ حَسَدًا لِلعَرَب، وهم يَعْلَمونَ أنَّه رَسول اللَّه؛ فقال اللَّه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٥).

١٥٢٣- وحَدَّثني موسَى بن هارون، قال: حَدَّثَنا عَمْرو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ قال: كانتِ العرب تَمُرُّ باليَهودِ فَيُؤذونَهم، وكانوا يجِدونَ مُحَمَّدًا ﷺ في التَّوْراة، فَيَسْألونَ اللَّه أنْ يَبْعَثه فَيُقاتِلوا معه العربَ؛ فَلَمَّا جاءهم مُحَمَّدٌ كَفروا به حين لم يكُنْ من بَني إسرائيل(٦).

---

(١) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي.

(٢) [حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٣) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٦) [ضعيف] من أجل اسباط بن نصر، يكتب حديثه.

١٥٢٤- وحَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج قال: قُلْت لِعَطاءٍ قوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؟ قال: كانوا يَسْتَفْتِحونَ على كُفَّار العرب بِخُروجِ النَّبيّ ﷺ، ويَرْجونَ أنْ يكون منهم، فَلَمَّا خَرَجَ ورَأوه لَيْسَ منهم، كَفروا، وقد عَرَفوا أنَّه الحَقّ وأنّه نبيى الله ﷺ، قال الله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(١)].

قال ابن جريج: وقال مُجاهِد: يَسْتَفْتِحونَ بِمُحَمَّدٍ، تَقول إنَّه يَخْرَج. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ وكان من غيْرهم، ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾[(٢)].

١٥٢٥- وحَدَّثَنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: وقال ابن عَبَّاس: كانوا يَسْتَفْتِحونَ على كُفَّار العرب[(٣)].

١٥٢٦- وحَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حَدَّثَني الحِمَّانيّ، قال: حَدَّثَنا شَريك، عن أبي الجَحَّافِ، عن مُسْلِم البطين، عن سَعيد بن جُبَيْر قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ قال: هم اليَهود، عَرَفوا مُحَمَّدًا أنَّه نَبيٌّ، وكَفَروا به[(٤)].

١٥٢٧- وحُدِّثْت عن المِنْجاب، قال: حَدَّثَنا بِشْر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: كانوا يَسْتَظْهِرونَ، يقولونَ نَحْنُ نُعين مُحَمَّدًا عليهم. ولَيْسوا كذلك، يَكْذِبون[(٥)].

١٥٢٨- وحَدَّثَني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: سَألت ابن زَيْد عن قوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ قال: كانتْ يَهود يَسْتَفْتِحونَ على كُفَّار العرب يقولونَ: أمَّا واللَّه لو قد جاء النَّبيُّ الذي بِشْر به موسَى وعيسَى، أحمَد، لَكان لنا عليكُمْ. وكانوا يَظُنّونَ أنَّه منهم، وكانوا بالمدينة والعربُ حَوْلَهمْ، وكانوا يَسْتَفْتِحونَ عليهم به ويَسْتَنْصِرونَ به، فلما كان من غيرهم أبَوْا أن يؤمنوا به وحَسَدوه. وقَرَأ قول اللَّه: ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]. قال: قد تَبَيَّنَ لهم أنَّه رَسول الله، فَمن هُنالِكَ نَفَعَ اللَّه الأوس والخَزرَج بِما كانوا يَسْمَعونَ منهم أنَّ نَبيًّا خارج[(٦)].

---

(١) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، فكيف بابن عباس، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [ضعيف] شريك تقدم أنه ضعيف، و يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون بن عبد الرحمن الحماني، ضعيف كذلك يعتبر به.

(٥) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٦) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

فَإِنْ قال لنا قائِل: فَأَيْنَ جَواب قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾؟

قِيلَ: قد اختَلَفَ أهل العربيَّة في جَوابه، فَقال بعضهم: هو مِمَّا تُرِكَ جَوابه استِغْناء بِمُعْرِفةِ المُخاطَبينَ به بِمعناه وبِما قد ذُكِرَ من أمْثاله في سائِر القُرْآن. وَقد تَفْعَل العرب ذلك إذا طالَ الكَلام، فَتأتي بِأشياء لها أجْوِبَةٌ فَتَحْذِفُ أجْوِبَتها لاستِغْناءِ سامِعِيها بِمعرِفَتِهم بِمعناها عن ذِكْر الأجْوِبة، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١]. فَتَرَكَ جَوابَه. والمعنى: (ولو أنَّ قُرْآنًا سِوَى هذا القُرْآن سُيِّرَتْ به الجِبال لَسُيِّرَتْ بهذا القُرْآن). فترك قوله: (لسُيِّرت بهذا القرآن). استِغْناءً بِعِلْم السَّامِعينَ بمعناه.

قالوا: فَكَذلك قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾.

وَقال آخَرونَ: جَواب قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ في (الفاء) التي في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ وجَواب الجَزاءَيْنِ في ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ كَقولِك: لَمَّا قُمْت فَلَمَّا جِئْتنا أحسَنْت. بِمعنى: لَمَّا جِئْتنا إذْ قُمْتَ أحسَنْت.

القول في تأويل قوله: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

قد دَلَّلْنا على معنى اللَّعْنة وعلى معنى الكُفْر فيما مَضَى بِما فيه الكِفاية.

فَمعنى الآية: فَخِزْيُ اللَّه وإبعادُه على الجاحِدينَ ما قد عَرَفوا من الحَقِّ عليهم لِلَّه ولأنْبيائِه، المُنْكَرينَ، ما قد ثَبَتَ عندهم صِحَّته من نُبوَّة مُحَمَّد ﷺ.

وفي إخبار اللَّه عَزَّ وجَلَّ عن اليَهود بِما أخْبَرَ عنهم بِقولِه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾: البيانُ الواضِحُ أنَّهم تَعَمَّدوا الكُفْر بِمُحَمَّدٍ ﷺ بعد قيام الحُجَّة بِنُبوَّتِه عليهم وقَطْعِ اللَّهِ عُذْرَ... بأنَّه رسوله إليهم.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:
﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا﴾

وَمعنى قوله جَلَّ ثَناؤه: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾: ساءَ ما اشْتَرَوْا به أنْفُسهمْ. وَأصْل (بِئْس) (بَئِسَ) من البُؤْس، سُكِّنَتْ هَمْزَتُها ثُمَّ نُقِلَتْ حَرَكَتُها إلى الباء، كما قِيلَ في ظَلِلْتُ: ظِلْتُ، وكَما قِيلَ لِلْكَبِدِ: كِبْد، فَنُقِلَتْ حركة الباء إلى الكاف لَمَّا سُكِّنَتِ الباء. وَقد يَحْتَمِل أنْ تكون (بِئْسَ) - وإنْ كان أصْلها (بَئِسَ) - من لُغة الذينَ يَنْقُلونَ حَرَكة العَيْن من (فَعِلَ) إلى الفاء إذا كانتْ عَيْنُ الفِعْل أحَدَ حُروف الحَلْق السِّتَّة، كما قالوا من (لَعِبَ) (لِعْب)، ومن (سَئِم) (سِئْم)، وذلك فيما يُقال لُغة فاشيَة في تَميم، ثُمَّ جُعِلَتْ دلالةً على الذَّمِّ والتَّوْبيخ ووُصِلَتْ بـ(ما).

ثم اختَلَفَ أهل العربيَّة في معنى (ما) التي مع ﴿بِئْسَمَا﴾، فَقال بعض نَحْويِّي البصْرة: هي وحْدها اسم - و﴿أَن يَكْفُرُوا۟﴾ تَفسيرٌ له، نَحْو: نِعْمَ رَجُلاً زَيْد. و﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ بَدَلٌ من ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

وَقال بعض نَحْوِيّي الكوفة: معنى ذلك: بِئْسَ الشَّيْء اشْتَرَوْا به أنْفُسهم أنْ يكْفُروا. فـ(ما) اسم (بِئْسَ)، و﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ الاسم الثّاني. وَزَعَمَ أنَّ قولَه: ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ إنْ شِئْت جعَلْت (أنْ) في موضِع رَفْع، وإنْ شِئْت في موضِع خَفْض؛ أمَّا الرَّفْع: فَبِئْسَ الشَّيْء هذا أنْ يَفْعلوا. وأمَّا الخَفْض: فَبِئْسَ الشَّيْء اشْتَرَوْا به أنْفُسهم بأن يَكْفُروا بِما أنْزَلَ اللّه بَغْيًا.

قال: وقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠] كَمِثْلِ ذلك.

قال: والعرب تَجْعَل (ما) وحْدها في هذا الباب بِمَنْزِلةِ الاسم التّامِّ، كَقولِه: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١] و(بِئْسَما أنتَ). واستَشْهَدَ لِقولِه ذلك بِرَجَزٍ لبعض الرُّجّاز:

لا تَعْجِلا فِي السَّيْرِ وادْلُواها
لَبِئْسَما بُطْءٌ ولا نَرْعاها(١)

والعرب تَقول: لَبِئْسَما تَزْويجٌ ولا مَهْرٌ. فَيَجْعَلونَ (ما) وحْدها اسمًا بِغَيْرِ صِلة.

قَالَ أبو جعفرٍ: وَقائِل هذه المَقالة لا يُجيز أنْ يكون الذي يَلي (بِئْسَ) معرِفةً مُوَقَّتَةً وخَبَره معرِفة موَقَّتة.

وَقد زَعَمَ أنَّ (بِئْسَما) بِمَنْزِلةِ: بِئْسَ الشَّيْء اشْتَرَوْا به أنْفُسهم فقد صارَتْ (ما) بِصِلَتِها اسمًا موَقَّتًا؛ لأنَّ (اشْتَرَوْا) فِعْل ماضٍ من صِلة (ما) في قول قائِل هذه المَقالة، وإذا وُصِلَتْ بِماضٍ من الفِعْل كانتْ معرِفة موَقَّتة معلومة؛ فَيَصير تأويل الكَلام حينَئِذٍ: (بِئْسَ شِراؤُهم كُفْرهم). وذلك عنده غَيْر جائِز، فقد تَبَيَّنَ فَساد هذا القول.

وَكان آخَرُ منهم: يَزْعُم أنَّ ﴿أَن﴾ في موضِع خَفْض إنَّ شِئْت، ورَفْع إنْ شِئْت، فَأَمَّا الخَفْض فَأنْ تَرُدّه على الهاء التي في ﴿بِهِۦ﴾ على التَّكْرير على كَلامَيْنِ، كَأنك قُلْت: اشْتَرَوْا أنْفُسهم بالكُفْرِ.

وَأمَّا الرَّفْع فَأنْ يكون مُكَرَّرًا على موضِعِ (ما) التي تَلي (بِئْسَ).

قال: ولا يجوز أنْ يكون رَفْعًا على قولك: بِئْسَ الرَّجُل عبد اللّه.

وَقال بعضهم: ﴿بِئْسَمَا﴾ شَيْء واحِد يُعْرَبُ بما بعدَه كما حُكيَ عن العرب: (بِئْسَما تَزْويجٌ ولا مَهْرٌ). فَرافَع (تَزْويجٌ) بـ(بِئْسَما)، كما يُقال: (بِئْسَما زَيْد. ونعِمَّا عَمْرو). فَيكون (بِئْسَما) رَفْعًا بِما عادَ عليها من الهاء، كَأنك قُلْت: شَيْءٌ بِئْسَ الشَّيْءُ اشْتَرَوْا به أنْفُسهمْ. وتَكون (أن) مُتَرْجِمة عن (بِئْسَما).

وَأولَى هذه الأقْوال عندي بالصَّوابِ: قولُ مَنْ جَعَلَ ﴿بِئْسَمَا﴾ مَرْفوعًا بالرَّاجِع من الهاء في قولِه: ﴿ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ﴾ كما رفَعوا ذلك بـ(عبدِ اللّه)، إذْ قالوا: بِئْسَما عبد اللّه. وجَعَلَ ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ مُتَرْجِمة عن (بِئْسَما)، فَيكون معنى الكَلام حينَئِذٍ: بِئْسَ الشَّيْء باعَ اليَهود به أنْفُسَهم

(١) [الرجز] القائل: لم أهتدِ لقائله. اللغة: اذلُوها: دلوت الناقة دلوا أي: سقتها سوقا رفيقا رويدا. نرعاها: رعى الماشية وأرعاها أي: أطلقها في المرعى.

كُفْرُهم بِما أَنْزَلَ اللَّه بَغْيًا وحَسَدًا أَنْ يُنَزِّل اللَّه من فَضْله. وتَكون (أَنْ) التي في قوله: ﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ﴾، في موضِع نَصْب؛ لأنَّه يَعْني به أنْ يكْفُروا بِما أَنْزَلَ اللَّه من أجْل أنْ يُنَزِّل اللَّه من فَضْله على مَنْ يَشاء من عِباده. وموضِعُ (أن) جزاءٌ.

وكان بعض أهل العربيَّة من الكوفيِّينَ يَزْعُم أنَّ ﴿أَن﴾ في موضِع خَفْض بِنيَّةِ الباء.

وإنما اختَرْنا فيها النَّصْبَ لِتَمامِ الخَبَر قَبْلها، ولا خافِض معها يَخْفِضُها، والحَرْف الخافِض لا يُخْفَضُ به مُضْمَرًا.

وأمَّا قوله: ﴿ا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ فإنه يَعْني به: باعوا به أنْفُسهمْ، كَما:

١٥٢٩- حَدَّثَني موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ يقول: باعوا به أنْفُسهم ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾[(١)].

١٥٣٠- وحَدَّثنا القاسِم، قال: ثنا الحسينُ، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال مُجاهِد: ﴿بِئْسَمَا ا ا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾: يَهودُ، شَرَوْا الحَقَّ بالباطِلِ، وكِتْمانَ ما جاء به مُحَمَّد ﷺ بأنْ يُبَيِّنوهُ .

والعرب تَقول: شريتُ الشيء. بِمعنى بِعْته، و﴿اشْتَرَوْا﴾ في هذا الموضِع (افتَعَلوا) من شَرَيْتُ. وأكثرُ كَلام العرب - فيما بَلَغَنا - أنْ يقولوا: شَرَيْت بِمعنى بِعْتُ، و: اشْتَرَيْتُ بِمعنى ابْتَعْت. وَقيلَ: إنَّما سُمِّيَ الشَّاري شاريًا؛ لأنَّه باعَ نَفْسه ودُنْياه بِآخِرَتِه. وَمن ذلك قول يَزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيَريِّ:

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَني ... من قَبْلِ بُرْد كُنْت هامه[(٣)]

وَمنه قول المُسَيَّب بن عَلَس:

يُعْطَى بها ثَمَنًا فَيَمْنَعها ... وَيقول صاحِبها ألا تَشْري[(٤)]

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [مجزوء الكامل] القائل: يزيد بن مفرغ الحميري (أموي). اللغة: شريت: جاءت هنا بمعنى بعت ويقال شريت الشيء أشريه شرًى وشراء، إذا بعته، واستشهد بهذا البيت الزمخشري في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾[النساء: ٧٤] على أنها تأتي بمعنى بعت. بردا: اسم غلام الشاعر كان قد باعه في دين كان عليه. هامة: هي الصدى الذكر من البوم، ويقال: فلان هامة اليوم أوغدٍ، أي يموت في يومه أو في غده؛ ويقال ذلك للشيخ إذا أسن، والمريض إذا طالت علته، والمحتقر لمدة الآجال، وجاءت في البيت بمعنى الهلاك. ويذكر أن ذلك كان عند العرب في الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قتل فلم يدرك به الثأر أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة والذكر: الصدى فيصيح على قبره. اسقوني اسقوني فإن قتل قاتله كف ذلك الطائر. يقول الشاعر: إنني بعت غلامي (بردا) ليتني قبل أن أبيعه هلكت.

(٤) [أحذ] القائل: المسيب بن علس (جاهلي). وجاء البيت برواية أخرى:

يُعطى بِها ثَمَنًا وَيَمنَعُها ... وَيَقولُ صاحِبُهُ ألا تَشري؟

يَعْني به: بِعْت بُرْدًا. ورُبَّما استُعْمِلَ (اشْتَرَيْت) في معنى (بِعْت)، و(شَرَيْت) في معنى (ابْتَعْت)، والكَلام المُسْتَفيضُ هو ما وصَفْت.

وَأمَّا معنى قوله: ﴿بَغْيًا﴾ فإنَّه يَعْني به: تَعَدِّيًا وحَسَدًا، كَما:

١٥٣١- حَدَّثَنا بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زريع، قال: حَدَّثَنا سَعيد عن قَتادةَ: ﴿بَغْيًا﴾ قال: أيْ حَسَدًا، وهم اليَهود [(١)].

١٥٣٢- وحَدَّثَني موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ: ﴿بَغْيًا﴾ قال: بَغَوْا على مُحَمَّد ﷺ وحَسَدوهُ، وقالوا: إنَّما كانتِ الرُّسُلُ من بَني إسرائيل، فَما بالُ هذا من بَني إسماعيل؟! فَحَسَدوه أنْ يُنَزِّل اللَّه من فَضْله على من يَشاء من عِباده [(٢)].

١٥٣٣- وحَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿بَغْيًا﴾ يَعْني: حَسَدًا ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، وهم اليَهود كَفَروا بِما أُنزِلَ على مُحَمَّد ﷺ [(٣)].

١٥٣٤- وحُدِّثت عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، مِثْله [(٤)].

فَمعنى الآية: بِئْسَ الشَّيْءُ باعوا به أنْفُسهم، الكُفْرُ بالذي أَنْزَلَهُ اللَّهُ في كِتابه على موسَى من نُبوَّة مُحَمَّد ﷺ والأمر بِتَصْديقِه واتِّباعه؛ من أجل أنْ أنزَلَ اللَّه من فَضْله - وفَضْلُه حِكْمَته وآياته ونُبوَّته - ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ - يَعْني به: على مُحَمَّد ﷺ بَغْيًا وحَسَدًا لِمُحَمَّدٍ ﷺ، من أجل أنَّه كان من ولَد إسماعيل، ولم يكُنْ من بَني إسرائيل.

فَإنْ قال قائِل: وكيفَ باعَتِ اليَهودُ أنْفُسها بالكُفْرِ فَقِيلَ: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وهَلْ يُشْتَرَى بالكُفْرِ شَيْء؟

قِيلَ: إنَّ معنى الشِّراءِ والبيْع عند العرب: هو إزالةُ مالِك مُلْكهُ إلى غَيْره بِعِوَضٍ يَعْتاضه منهُ، ثُمَّ تَسْتَعْمِلُ العربُ ذلك في كُلِّ مُعْتاض من عَمَله عِوَضًا شَرًّا أو خَيْرًا، فَتَقول: نَعَم ما باعَ به فُلان

اللغة: تشري: كما سبق بمعنى تبيع.

المعنى: يحكي في تلك القصيدة أن غواصا فقيرا قد ظفر بدرة ثمينة مبهجة المنظر؛ فأبى إلا أن يحتفظ بها لنفسه ولا يبيعها، وهو يُعرض عليه فيها من الأثمان ما هو في حاجة إليها ولكنه يُصِرُّ على الاحتفاظ بها، وصاحبه يحرضه على بيعها بقوله: ألا تبيعها؟

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٤) [ضعيف] من معلقات المصنف.

نَفسه، وبِئسَ ما باعَ به فُلان نَفسه. بِمعنى: نِعْمَ الكَسْب أكْسِبها وبِئسَ الكَسْب أكْسِبها. إذا أورَثَها بِسَعْيِه عليها خَيْرًا أو شَرًّا.

فَكذلك معنى قوله جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ لَمَّا أوبَقوا أنفُسهم بِكُفرهم بِمُحَمَّدٍ ﷺ فأهلَكوها، خاطَبَهم اللَّه والعربَ بالذي يَعْرِفونَه في كَلامهم فَقال: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ يَعْني بِذلك: بِئْسَ ما أكسَبوا أنْفسهم بِسَعْيِهم، وبِئْسَ العِوَضُ اعْتاضوا من كُفْرهم باللَّه في تَكْذيبهم مُحَمَّدًا؛ إذْ كانوا قد رَضُوْا عِوَضًا من ثَواب اللَّه وما أعَدَّ لهم - لو كانوا آمَنوا باللَّه وما أنْزَلَ على أنْبيائِه - بالنَّارِ، وما أعَدَّ لهم بِكُفْرِهم بِذلك.

وَهذه الآيةُ - وما أخْبَرَ اللَّه فيها عن حَسَد اليَهود مُحَمَّدًا ﷺ وقَوْمَه من العرب، من أجْل أنَّ اللَّه جَعَلَ النُّبوَّة والحِكْمة فيهم دون اليَهود من بَني إسرائيل، حتَّى دَعاهم ذلك إلى الكُفْر به مع عِلْمهم بِصِدْقِهِ، وأنه لله نبيٌّ مَبْعوث ورَسول مُرْسَل - نَظيرةُ الآيةِ الأُخْرَى في سورَه النِّساء، وذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝٥١ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝٥٢ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤﴾ [النساء: ٥١-٥٤].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾

قد ذَكَرْنا تأويل ذلك وبَيَّنَّا معناه، ولَكِنَّا نَذْكُر الرِّواية بِتَصْحيح ما قُلْنا فيه.

١٥٣٥- **حدثنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، عن عاصِم بن عُمَر بن قَتادةَ الأنصاريّ، عن أشياخ منهم قوله: ﴿بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أيْ: أنَّ اللَّه تعالى جَعَلَه في غَيْرهمْ(١).

١٥٣٦- **حدثنا** بِشر، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ، قال: هم اليَهود، لَمَّا بَعَثَ اللَّه نَبيَّه مُحَمَّدًا ﷺ فَرَأوا أنَّه بُعِثَ من غَيْرهمْ، كَفروا به حَسَدًا لِلْعَرَبِ، وهم يَعْلَمونَ أنَّه رَسول اللَّه ﷺ، يجِدونَه مَكْتوبًا عندهم في التَّوْراة(٢).

١٥٣٧- **وحدثني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية، مِثْله(٣).

١٥٣٨- **وحُدِّثت** عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، مِثْله(٤).

(١) [ضعيف] محمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.
(٣) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.
(٤) [ضعيف] من معلقات المصنف.

١٥٣٩- وحدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: قالوا: إنَّما كانتِ الرُّسُل من بَني إسرائيل، فَما بالُ هذا من بَني إسماعيل؟! [(١)].

١٥٤٠- وحدثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن عَليّ الأزْديّ قال: نَزَلَتْ في اليَهود [(٢)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾

يَعْني بقولِه جل ثناؤه: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾: فَرَجَعَتِ اليَهود من بَني إسرائيل - بعد الذي كانوا عليه من الاستِنْصارِ بمُحَمَّدٍ ﷺ والاستِفْتاحِ بهِ، وبعد الذي كانوا يُخْبِرونَ النَّاس من قَبْل مَبْعَثه أنَّه نَبيٌّ مَبْعوث - مُرْتَدِّينَ على أعْقابهم حين بَعَثَه اللَّه نَبيًّا مُرْسَلاً، وانصرفت بِغَضَبٍ من اللَّه استَحَقّوه منه بِكُفْرِهم بِمُحَمَّدٍ حين بَعثَه، وجُحودِهم بنُبوَّتِه، وإنْكارهم إيَّاه أنْ يكون هو الذي يجِدونَ صِفَتَه في كِتابهم عِنادًا منهم له وبَغْيًا وحَسَدًا له ولِلْعَرَبِ، ﴿عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾ سالِف كان من اللَّه عليهم قَبْل ذلك، سابِقٍ غَضَبه الثَّاني؛ لِكُفْرِهم كان قَبْل ذلك، بِعيسَى ابن مَرْيَم، أو لِعِبادَتِهم العِجْل، أو لِغَيْرِ ذلك من ذُنوبٍ كانتْ لهم سَلَفَتْ استَحَقُّوا بها الغَضَبَ من اللَّه، كَما:

١٥٤١- حدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة بن الفَضْل، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، - فيما يرَى أبو جعفرٍ الطبريُّ - عن سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾: فالغَضَبُ على الغَضَبِ، غَضَبُه عليهم فيما كانوا ضَيَّعوا من التَّوْراة وهيَ معهم، وغَضَبٌ بِكُفْرِهم بهذا النَّبيِّ الذي أحدَثَ اللَّه إليهم [(٣)].

١٥٤٢- وحدثنا ابن بَشَّار، قال: ثنا يَحْيَى بن سَعيد وعبد الرَّحْمَن، قالا: ثنا سُفْيان عن أبي بكرٍ، عن عِكْرِمة: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾. قال: كُفْرٌ بِعيسَى وكُفْرٌ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليهما وسلم [(٤)].

١٥٤٣- وحدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا يَحْيَى بن يَمان، قال: ثنا سُفْيان، عن أبي بكرٍ، عن عِكْرِمة: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾. قال: كُفْرهم بعيسَى ومُحَمَّد ﷺ [(٥)].

١٥٤٤- وحدثنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا الثَّوْريُّ، عن أبي بكرٍ، عن عِكْرِمة مِثْله [(٦)].

١٥٤٥- وحدثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا جَريرٌ، عن مُغيرة، عن الشَّعْبيِّ، قال: النَّاس يوم

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي.
(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٤) [ضعيف] فيه أبو بكر أو بكير لا أدري من يكون.
(٥) [ضعيف] تقدم قبله.
(٦) [ضعيف] تقدم قبله.

القيامة على أرْبَعة مَنازِل: رَجُل كان مُؤمِنًا بِعيسَى فآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَلَه أجْرانِ، ورَجُل كان كافِرًا بِعيسَى فَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليهما وسلم فَلَه أجْر، ورَجُل كان كافِرًا بِعيسَى فَكَفَرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَباءَ بِغَضَبٍ على غَضَب. ورَجُل كان كافِرًا بِعيسَى من مُشْرِكي العرب، فَماتَ بِكُفْرِه قَبْل محمدٍ ﷺ فَباءَ بِغَضَبٍ(١).

١٥٤٦- حدثنا بِشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زريع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: غَضِبَ الله عليهم بِكُفْرِهم بالإنْجيلِ وبِعيسَى صلى الله عليه، وغَضِبَ عليهم بِكُفْرِهم بالقُرْآنِ وبِمُحَمَّدٍ ﷺ(٢).

١٥٤٧- وحدثني المُثَنَّى قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾: اليَهود، غَضَبٌ بِما كان من تَبْديلهم التَّوْراةَ قَبْل خُروجِ النَّبيِّ ﷺ، ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ جُحودُهم النَّبيَّ ﷺ وكُفْرُهم بِما جاء به(٣).

١٥٤٨- وحدثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ يقول: غَضِبَ الله عليهم بِكُفْرِهم بالإنْجيلِ وعيسَى، ثُمَّ غَضِبَ عليهم بِكُفْرِهم بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبالقُرْآنِ(٤).

١٥٤٩- وحدثني موسَى، قال: ثنا عَمْرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: أمَّا الغَضَبُ الأوَّلُ: فهو حين غَضَب الله عليهم في العِجْل، وأمَّا الغَضَبُ الثَّاني: فَغَضِبَ عليهم حين كَفَروا بِمُحَمَّدٍ ﷺ(٥).

١٥٥٠- وحدثني القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن عَطاء وعُبَيْد بن عُمَيْر في قوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾. قال: غَضِب الله عليهم فيما كانوا فيه من قَبْل خُروج النَّبيِّ ﷺ من تَبْديلِهم وكُفْرِهِمْ، ثُمَّ غَضِبَ عليهم في مُحَمَّد ﷺ إذْ خَرَجَ فَكَفَروا به(٦).

وقد بَيَّنَّا معنى الغَضَبِ من الله على مَنْ غَضِبَ من خَلْقِه واختِلافِ المُخْتَلِفينَ في صِفَته فيما مَضَى من كِتابنا هذا بِما أغْنَى عن إعادَته.

---

(١) [صحيح] كما سيأتي عند المصنف في تفسير سورة الحديد، أما هنا فهو سند ضعيف من أجل شيخ المصنف.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وابو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف يكتب حديثه.

(٤) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٥) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٦) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩٠﴾

يَعْني جَلَّ ثَنَاؤه بقولِه: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ولِلْجاحِدينَ نُبوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ من النَّاس كُلِّهم عَذابٌ من اللَّه إمَّا في الآخِرة، وإمَّا في الدُّنيا والآخِرة ﴿مُّهِينٌ﴾ وهو المُذِلُّ صاحِبَه المُخزي، الملبِسُه هَوانًا وذِلَّة.

فَإِنْ قال قائِل: وأيُّ عَذابٍ هو غَيْرُ مُهينٍ صاحِبَه فَيكون لِلْكافِرينَ المُهينُ منه؟

قِيلَ: إنَّ المُهينَ هو الذي قد بَيَّنَّا أنَّه المورِثُ صاحِبَه ذِلَّة وهَوانًا، الذي يَخْلُد فيه صاحِبه فلا يَنْتَقِل من هَوانه إلى عِزٍّ وكَرامة أبَدًا، وهو الذي خَصَّ اللَّه به أهلَ الكُفر به وبِرُسُلِهِ، وأمَّا الذي هو غَيْرُ مُهينٍ لصاحِبه فهو ما كان تَمْحيصًا لِصاحِبِهِ، وذلك كالسَّارِقِ من أهل الإسلام، يَسْرِقُ ما يجِب عليه به القَطْعُ فَتُقْطَع يَده، والزَّاني منهم يَزْني فَيُقامُ عليه الحَدُّ، وما أشبَه ذلك من العَذاب، والنَّكال الذي جَعَلَه اللَّه كَفَّاراتٍ لِلذُّنوبِ التي عَذَّبَ بها أهلَها، وكَأهلِ الكَبائِرِ من أهل الإسلام الذينَ يُعَذَّبونَ في الآخِرة بِمَقاديرِ أجرامهم التي ارْتَكَبوها لِيُمَحَّصُوا من ذُنوبهم ثُمَّ يَدْخُلونَ الجَنَّة.

فَإِنَّ كُلَّ ذلك وإنْ كان عَذابًا فَغَيْر مُهينٍ مَنْ عُذِّبَ بِهِ، إذْ كان تَعْذيب اللَّهِ له به لِيُمَحِّصَهُ به من آثامِهِ، ثُمَّ يورِده معدِنَ العِزِّ والكَرامةِ ويُخَلِّده في نَعيم الجِنان.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: وإذا قِيلَ لِلْيَهودِ من بَني إسرائيل، الَّذينَ كانوا بين ظَهرانَيْ مُهاجَرِ رَسول اللَّه ﷺ: ﴿ءَامِنُوا۟﴾ أي: صَدِّقوا، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يَعْني بقوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القُرآن على مُحَمَّد ﷺ. ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ﴾ أي: نُصَدِّق، ﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يَعْني بالتَّوْراةِ التي أنزَلَها اللَّه على موسَى.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾

يَعْني جَلَّ ثَنَاؤه بِقولِه: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾: ويجْحَدونَ، ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ يَعْني: بِما وراء التَّوْراة.

وتأويلُ (وراء) في هذا الموضِع (سِوَى) كما يُقال لِلرَّجُلِ يَتَكَلَّم بالحَسَنِ: ما وراء هذا الكَلام شَيْءٌ. يُراد به: لَيسَ عند المُتَكَلِّم به شَيْءٌ سِوَى ذلك الكَلام. فَكَذلك معنى قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أيْ: بِما سِوَى التَّوْراةِ وبِما بعده من كُتُب اللَّه التي أنْزَلَها إلى رُسُله. كَما:

١٥٥١- حَدَّثَنا بِشر بن معاذ، قال: ثنا يَزيد بن زريع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ يقول: بِما بعدَه[1].

١٥٥٢- وحَدَّثَنا المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية:

---

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي: بما بعده، يعني بما بعد التوراة [(١)].

١٥٥٣- حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ يقول: بما بعده [(٢)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾

يعني جلَّ ثناؤه بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: وما وراء الكتاب الذي أُنزل عليهم، من الكتب التي أنزلها الله إلى أنبيائه، الحقُّ.

وإنما يعني بذلك تعالى ذكره القرآن الذي أنزله إلى محمد ﷺ، كما:

١٥٥٤- حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾: وهو القرآن، يقول الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [(٣)].

وإنما قال تعالى ذكره: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾. لأن كتب الله يصدق بعضها بعضًا، ففي الإنجيل والقرآن من الأمر باتباع محمد ﷺ والإيمان به وبما جاء به، مثل الذي من ذلك في توراة موسى عليه السلام؛ فلذلك قال جلَّ ثناؤه لليهود - إذ أخبرهم عمَّا وراء كتابهم الذي أنزله على موسى، من الكتب التي أنزلها إلى أنبيائه - أنه الحق مصدقًا للكتاب الذي معهم. يعني أنه له موافق فيما اليهود به مكذبون.

وذلك خبر من الله جلَّ ثناؤه أنهم من التكذيب بالتوراة على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالإنجيل والفرقان؛ عنادًا لله وخلافًا لأمره وبغيًا على رسله صلوات الله عليهم.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩١﴾

يعني بقوله جلَّ ثناؤه: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: قل يا محمد ليهود بني إسرائيل الذين إذا قلت لهم: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قالوا لك: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ -: لم تقتلون - إن كنتم يا معشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله عليكم - أنبياءه وقد حرم الله في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم، بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم. وذلك من الله جلَّ ثناؤه تكذيب لهم في قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ وتعيير لهم، كما:

١٥٥٥- حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: قال الله تعالى ذكره وهو يعيرهم، يعني اليهود: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [(٤)].

---

(١) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

فإنْ قال لنا قائِل: وكيفَ قِيلَ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ فابْتَدأ الخَبَر على لَفْظ المُسْتَقْبَل، ثُمَّ أخْبَرَ أنّه قد مَضَى؟

قِيلَ: إنَّ أهل العربيَّة مُخْتَلِفونَ في تأويل ذلك، فَقال بعض البَصْريِّينَ: معنى ذلك: فَلِمَ قَتَلْتُم أنبياء اللَّه من قَبْل؟ كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] أيْ: ما تَلَتْ. وكَما قال الشَّاعِر:

وَلَقد أَمُرُّ على اللَّئيم يَسُبُّني ... فَمَضَيْتُ عنه وقُلْتُ لا يَعْنيني(١)

يُريد بِقولِه: (ولَقد أَمُرُّ): ولَقَدْ مَرَرْت. واستَدَلَّ على أنَّ ذلك كذلك بِقولِه: (فَمَضَيْت عنه)، ولم يَقُلْ: (فَأمْضي عنه). وزَعَمَ أنَّ (فَعَلَ ويَفْعَل) قد تَشْتَرِك في معنًى واحِد، واستَشْهدَ على ذلك بِقولِ الشَّاعِر:

وَإنِّي لآتيكُم تَشَكُّرَ ما مَضَى ... من الأمْرِ واستيجابَ ما كان في غَدِ(٢)

يَعْني بِذلك: ما يكون في غَد. وبِقولِ الحُطَيْئة:

شَهِد الحُطَيْئةُ يوم يَلْقَى رَبَّه ... أنَّ الوَليدَ أحَقُّ بالعُذْرِ(٣)

يَعْني: يَشْهَدُ. وكَما قال الآخَر:

فَما أُضْحي ولا أمْسَيْتُ إلاَّ ... أراني منكُمُ في كُوَّفانِ(٤)

فَقال: أُضْحي، ثُمَّ قال: ولا أمْسَيْت.

وَقال بعض نَحويِّي الكوفيِّين: إنَّما قِيلَ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ فَخاطَبَهم بالمُسْتَقْبَلِ من الفِعْل ومعناه الماضي، كما يُعَنِّفُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ على ما سَلَفَ منه من فِعْل، فَيقول له: ويْحك لِمَ تَكْذِبُ، ولِمَ تُبْغِضُ نَفْسك إلى النَّاس؟! كما قال الشَّاعِر:

---

(١) [الكامل] القائل: لم أهتدِ لقائله. اللغة: فمضيت عنه: أي تركته. لا يعنيني: أي لا أعبأ به وبكلامه. المعنى: يقول الشاعر: إذا لاقيت أثناء سيري رجلا سليط اللسان معروف بالفحش؛ فيشتمني؛ فإني أتركه لحاله وأسير وأقول أن الأمر لا يعنيني، وهذا البيت دليل على الحلم على السفهاء وترك مشاجرتهم التي لا تثمر، ومنه قول الشافعي:

يُخاطِبُني السَفيهُ بِكُلِّ قُبحٍ ... فَأَكرَهُ أَن أَكونَ لَهُ مُجيبا
يَزيدُ سَفاهَةً فَأَزيدُ حِلمًا ... كَعودٍ زادَهُ الإِحراقُ طيبا

(٢) [الطويل] القائل: الطرماح (أموي). المعنى: يقول الشاعر: إني آتي إليكم لأشكر ما مضى من كرمكم وجودكم، ولأستجيب لما يكون في الغد؛ فوفائي لكم غير قاصر على الماضي فحسب بل إنه في الماضي والحاضر والمستقبل.

(٣) [الكامل] القائل: الحطيئة (مخضرم). قاله الحطيئة في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان من رجالات قريش همة وسخاء، وكان أبو بكر وعمر استعملاه، واستعمله عثمان فلما كان زمانه، فرفع أهل الكوفة عليه أنه شرب الخمر، فعزله عثمان وجلده الحد، وكان لهذا شأن كبير، فقال الحطيئة يعذره ويمدحه، وكان الوليد بن عقبة عند موته يقول: (اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا عليَّ، فلا تلق روحي منك روحا ولا ريحانا، وإن كانوا كذبوا عليَّ فلا ترضهم بأمير ولا ترض أميرا عنهم. انتقم لي منهم، واجعله كفارة لما لا يعلمون من ذنوبي) رحمة الله على الوليد!

(٤) [المديد] القائل: لم أهتدِ لقائله. اللغة: الكوفان (بتشديد الواو): الاختلاط والشدة والعناء. المعنى: يقول الشاعر المؤرق في فراق أحبابه أنه لا يمر عليه نهار ولا ليل إلا ويجد نفسه بدون أحبابه في شدة وعناء.

إذا ما انتَسَبنا لم تَلِدني لَئيمةٌ ... وَلم تَجِدي من أنْ تُقِرِّي بها بُدًّا[(١)]

فالجَزاء لِلْمُسْتَقْبَلِ، والوِلادة كُلُّها قد مَضَتْ؛ وذلك أنَّ المعنى معروف، فَجازَ ذلك.

قال: ومِثْلُه في الكَلام: إذا نَظَرْتَ في سيرة عُمَرَ لم يُسِئْ. المعنى: لم تَجِده أساءَ. فَلَمَّا كان أمْرُ عُمَرَ لا يُشكُّ في مُضِيِّه، لم يَقَعْ في الوَهْم أنّه مُسْتَقْبَلٌ، فَلِذلك صَلَحَتْ: ﴿مِن قَبْلُ﴾ مع قوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾.

قال: ولَيْسَ الذينَ خوطِبوا بالقَتْلِ هم القَتَلَةَ، إنَّما قَتَلَ الأنبياءَ أسلافُهم الذينَ مَضَوْا، فَتَوَلَّوْهم على ذلك ورَضُوا، فَنُسِبَ القَتْلُ إليهم.

والصَّواب فيه من القول عندنا أنَّ اللَّهَ تعالى ذكرُه خاطَبَ الذينَ أدْرَكُوا رَسولَ اللَّه ﷺ من يَهود بَني إسرائيل - بِما خاطَبَهم به في سورة (البقَرة) وغَيْرِها من سائِرِ السُّوَر - بِما سَلَفَ من إحسانِه إلى أسلافِهِمْ، وما سَلَفَ من كُفْران أسلافِهِم نِعَمه، وارْتِكابِهم مَعاصيه، واجْتِرائِهم عليه وعلى أنْبيائِهِ، فأضافَ ذلك إلى المُخاطَبينَ بهِ؛ نَظيرَ قولِ العربِ بعضِها لِبعضٍ: فَعَلْنا بِكُم يوم كذا وكذا، وفَعَلْتُم بنا يوم كذا وكذا - على نَحْو ما قد بَيَّنَّا في غَيْر موضِع من كِتابنا هذا - يَعْنونَ بِذلك أنَّ أسلافَنا فَعَلوا ذلك بِأسلافِكُم، وأن أوائِلَنا فَعَلوا ذلك بِأوائِلِكُمْ،

فَكَذلك ذلك في قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾. وما أشبَهَه. فإذا كان ذلك معناه، وكان قوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ - وإن كان قد خَرَجَ على لَفْظ الخَبَر عن المُخاطَبينَ به - خَبَرًا من اللَّه تعالى ذِكْرُه عن فِعْل السَّالِفينَ منهم - على نَحْو الذي بَيَّنَّا - جازَ أنْ يُقال ﴿مِن قَبْلُ﴾. إذْ كان معناه: قُلْ فَلِمَ يَقْتُلُ أسلافُكُم أنبياء اللَّهِ من قَبْل. وكان معلومًا بِأنَّ قوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ إنَّما هو خَبَرٌ عن فِعْلِ سَلَفِهِمْ.

وَتأويلُ قولِه: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أيْ: من قَبْلِ اليوم.

أمَّا قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩١﴾. فَإنَّه يَعْني: إنْ كُنْتُم مُؤمِنينَ بِما أنْزَلَ اللَّهُ عليكُم كما تزعُمون. وَإنَّما يعنى بِذلك اليَهودَ الذينَ أدرَكوا رَسول اللَّه ﷺ وأسلافَهمْ: إنْ كانوا وكُنْتُم - كما تَزْعُمونَ أيها اليَهود - مُؤمِنينَ. وَإنّما عَيَّرَهم جَلَّ ثَناؤه بِقَتْلِ أوائِلِهم أنبياءَه عند قولهم - حين قِيلَ لهم: ﴿ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قالوا: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ لأنَّهم كانوا لأوائِلِهم الذينَ تَوَلَّوْا قَتْلَ أنبياءِ اللَّهِ مع قِيلِهِمْ: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ مُتَوَلِّينَ، وبِفِعْلِهم راضينَ، فَقال لهم: إنْ كُنْتُم كما تَزْعُمونَ مُؤْمِنينَ بِما أُنزِلَ عليكُمْ، فَلِمَ تَتَوَلَّوْنَ قَتَلَةَ أنْبيائي، وتَرْضَوْنَ أفعالَهم.

---

(١) **[الطويل]** القائل: زائدة بن صعصعة الفقعسي. اللغة: تُقِرِّي: تذعني، وتعلني. بُدًّا: مفرًا.

المعنى: يعرض الشاعر بزوجته ويطعن في نسبها؛ فقد كانت أمها سرية، في حين أنه شريف النسب وأمه من الحرائر، وقد صرح بتلك العداوة لزوجته فقال في البيت السابق:

(رمتنى عن قوس العدو وباعدت ... عبيدة، زاد الله ما بيننا بعدا)

فيقول لها لو انتسبت لأهلي فستجدي أن أمي شريفة كريمة من أصل كريم، ولم تجدي مفرا من أن تعلني تلك الحقيقة.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾

يَعني بقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: جاءَكُم بالبيِّناتِ الدَّالة على صِدْقِه وحَقيقةِ نُبوَّتِه، كالعَصا التي تَحوَّلَتْ ثُعبانًا مُبينًا، ويَدِه التي أخْرَجَها بَيْضاءَ لِلنَّاظِرينَ، وفَلْقِ البحْرِ، ومَصيرِ أرْضِه له طَريقًا يَبَسًا، والجَرادِ والقُمَّلِ والضَّفادِعِ، وسائرِ الآيات التي بَيَّنَتْ صِدْقَه وحَقيقةَ نُبوَّتِه. وإنما سَمَّاها اللَّه جل ثناؤه بَيِّناتٍ، لِتَبَيُّنِها لِلنَّاظِرينَ إليها أنَّها مُعْجِزةٌ لا يَقْدِرُ على أنْ يَأتيَ بها بَشَرٌ إلاَّ بِتَسْخيرِ اللَّهِ ذلك له، وإنما هي جَمْعُ بَيِّنَةٍ مِثْل طَيِّبَةٍ وطَيِّبات.

ومعنى الكَلام: ولَقد جاءَكُم يا معشَر يَهودِ بَني إسرائيلَ موسَى بالآياتِ البيِّنات على أمْره وصِدْقه وحَقيقة نُبوَّته.

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ يقول جَلَّ ثَناؤه لهم: ثُمَّ اتَّخذْتُم العِجْل من بعد موسَى. فالهاءُ التي في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من ذِكْر موسَى. وإنما قال: (من بعد موسَى)؛ لأنَّهم اتَّخذوا العِجْلَ من بعد أنْ فارَقَهم موسَى ماضيًا إلى رَبه لِموعِدِهِ، على ما قد بَيَّنَّا فيما مَضَى من كِتابنا هذا. وقد يجوزُ أنْ تَكون (الهاء) التي في ﴿بَعْدِهِۦ﴾ من ذِكْر المَجيءِ، فَيكونُ تأويلُ الكَلام حينَئِذٍ: ولَقد جاءَكُم موسَى بالبيِّناتِ، ثُمَّ اتَّخَذْتُم العِجْلَ من بعد مَجيءِ موسى بالبيِّناتِ وأنتم ظالِمونَ. كما تَقول: جِئْتني فَكَرِهْتُك. يَعْني: فكَرِهْتُ مَجيئَك.

وأمَّا قوله: ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ فإنَّه يَعني بِذلك أنَّكم فَعَلْتُم ما فَعَلْتُم من عِبادة العِجْل ولَيْس ذلك لكم، وعَبَدْتُم غيْرَ الذي كان يَنْبَغي لكم أنْ تَعْبُدوهُ؛ لأنَّ العِبادة لا تَنْبَغي لِغَيْرِ اللَّه. وهذا تَوْبيخٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤه لِلْيَهودِ، وتَعْييرٌ منه لهم، وإخبارٌ منه لهم أنَّهم إذا كانوا قد فَعَلوا ما فَعَلُوا من اتِّخاذ العِجْل إلهًا وهو لا يَمْلِكُ لهم ضَرًّا ولا نَفْعًا، بعد الذي عَلِموا أنَّ رَبَّهم هو الرَّبُّ الذي يَفْعَلُ من الأعاجيبِ وبَدائِعِ الأفعالِ ما أجْراه على يَدَيْ موسَى صَلَوات اللَّه عليه، من الأُمورِ التي عاينوها التي لا يَقْدِر عليها أحَدٌ من خَلْق اللَّه، ولـم يَقْدِر عليها فرعونُ وجُنْدُه مع بَطْشه وكَثْرة أتْباعه، وقُرْبِ عَهْدِهم بما عايَنُوا من عَجائِب حُكْم اللَّهِ فيهم، فَهم إلى تَكْذيب مُحمَّد ﷺ وجُحودِ ما في كُتُبِهم التي زَعَموا أنَّهم بها مُؤْمِنونَ من صِفَتِه ونَعْتِه، مع بُعْد ما بينَهم وبين عَهْد موسَى من المُدَّةِ - أسرَعُ، وإلى التَّكْذيب بما جاءَهم به موسَى من ذلك أقْرَبُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾

يَعْني بقوله جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾: واذْكُروا إذْ أخَذْنا عُهودَكُم بأنْ خُذوا ما آتَيْناكُم من التَّوْراة التي أنزَلْتُها إليكُم أنْ تَعْمَلوا بِما فيها من أمْري، وتَنْتَهوا عَمَّا نَهَيْتُكُم فيها بِجِدٍّ منكُم في ذلك ونَشاطٍ، فَأعْطَيتُم على العَمَل بِذلك مِيثاقَكُمْ، إذْ رَفَعْنا فَوْقَكُم الجَبَل.

وأمَّا قوله: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ فإنَّ معناه: واسمَعوا ما أمَرْتُكُم بهِ، وتَقَبَّلوه بالطَّاعةِ. كَقولِ الرَّجُلِ

لِلرَّجُلِ يَأْمُرُه بالأمْرِ: سَمِعْتُ وأطَعْتُ. يَعْني بِذلك: سَمِعْتُ قولَك وأطَعْتُ أمْرَك. كَما قال الرَّاجِز:

السَّمْعُ والطَّاعَةُ والتَّسْليمْ
خَيْرٌ وأعْفَى لِبَنِي تَمِيمْ(١)

يَعْني بِقولِه: (السَّمْعُ): قَبولُ ما تسْمَعُ، والطَّاعةُ لِما تُؤْمَرُ. فَكَذلك معنى قولِه: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾: اقْبَلُوا ما سَمِعْتُم، واعْمَلوا به.

قال أبو جعفر: فمعنى الآية إذن: وإذْ أخَذْنا مِيثاقَكُم أنْ خُذوا ما آتَيْناكُم بِقوَّةٍ، واعْمَلوا بِما سَمِعْتُمْ، وأطيعوا اللَّهَ، ورَفَعْنا فَوْقَكُم الطورَ مِن أجْلِ ذلك.

وَأمَّا قوله: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ فَإنَّ الكَلام خَرَجَ مَخْرَج الخَبَرِ عن الغائِبِ بعد أنْ كان الابْتِداءُ بالخِطابِ، وذلك ما وصَفْنا من أنَّ ابْتِداءَ الكَلام إذا كان حِكايةً، فالعربُ تُخاطِبُ فيه ثُمَّ تَعودُ فيه إلى الخَبَرِ عن الغائِبِ، وتُخْبِرُ عن الغائِبِ ثُمَّ تُخاطِبُ، كما قد بَيَّنَّا ذلك فيما مَضَى قَبْلُ. فَكَذلك ذلك في هذه الآية؛ لأنَّ قولَه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ بمعنى: قُلْنا لكم فَأجَبْتُمونا. وأمَّا قولُه: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ فَإنَّه خَبَرٌ من اللَّه عن اليَهود الذينَ أخَذَ ميثاقَهم أنْ يَعْمَلوا بِما في التَّوْراة، وأنْ يُطيعوا اللَّهَ فيما يَسْمَعونَ منها، أنَّهم قالوا حين قِيلَ لهم ذلك: سَمِعْنا قولَك وعَصَيْنا أمْرك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾

اختَلَفَ أهلُ التَّأويلِ في تأويل ذلك؛ فَقال بعضهم: تأويلُه: وأُشْرِبوا في قُلوبِهم حُبَّ العِجْلِ.

ذكر من قال ذلك:

١٥٥٦ - حدَّثنا الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبدُ الرَّزَّاق، قال: أخبَرَنا مَعْمَرٌ، عن قَتادَةَ: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ قال: أُشْرِبوا حُبَّه حتَّى خَلَصَ ذلك إلى قُلوبِهمْ(٢).

١٥٥٧ - حدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال: أُشْرِبوا حُبَّ العِجْلِ بِكُفْرِهم(٣).

١٥٥٨ - حدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر عن أبيهِ، عن الرَّبيع: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ قال: أُشْرِبوا حُبَّ العِجْلِ في قُلوبِهمْ(٤).

وَقال آخَرونَ: معنى ذلك أنَّهم سُقُوا الماءَ الذي ذُرِّيَ فيه سُحالةُ العِجْل.

---

(١) [الرجز] القائل: جبير بن الضحاك. اللغة: بني ميم: أظنه قصد بها بني معاوية. المعنى: كان (عبد الله بن عمرو بن غيلان) وكان واليا على البصرة آنذاك يخطب على المنبر؛ فحصبه (جبير) فأمر (عبد الله) به فقطعت يداه؛ فقال هذا الرجز؛ فلما رُفع الأمر لمعاوية عزل (عبد الله).

(٢) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٤) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

ذكر مَن قال ذلك:

١٥٥٩ - **حدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عَمْرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: لَمَّا رَجَعَ موسَى إلى قَوْمِه أخَذَ العِجْلَ الذي وجَدَهم عاكِفِينَ عليه فذَبَحَهُ، ثُمَّ حَرَّقَه بالمِبْرَدِ، ثُمَّ ذَرَّاه في اليَمِّ، فَلم يَبْقَ بَحْرٌ يومئذٍ يجْري إلاَّ وقَعَ فيه شَيْءٌ منه، ثُمَّ قال لهم موسَى: اشْرَبوا منه، فَشَرِبوا منهُ، فَمَنْ كان يُحِبُّه خَرَجَ على شارِبِه الذَّهَبُ، فَذلك حين يقول اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (١).

١٥٦٠ - **حدَّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: لَمَّا سُحِلَ فَأُلْقيَ في اليَمِّ استقْبَلوا جِرْيَةَ الماءِ، فَشَرِبوا حتَّى مَلئوا بُطونَهمْ، فأورَثَ ذلك مَن فَعَله منهم جُبنًا (٢).

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: وأولَى التَّأويلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْتُ بِقولِ اللَّه جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿... الْعِجْلَ﴾ تأويلُ مَنْ قال: وأشْرِبوا في قُلوبهم حُبَّ العِجْل؛ لأنَّ الماء لا يُقال منه: أُشْرِب فُلانٌ في قَلْبه، وإنما يُقال ذلك في حُبِّ الشَّيْءِ، فيُقال منه: أُشْرِبَ قَلْبُ فُلانٍ حُبَّ كذا. بِمعنى سُقِيَ ذلك حتَّى غَلَبَ عليه وخالَطَ قَلْبه. كما قال زُهَيْر:

فَصَحَوْتُ عنها بَعد حُبٍّ داخِلٍ والحُبُّ يُشْرَبُهُ فُؤادُك داءُ (٣)

ولَكِنَّه تَرَكَ ذِكْر (الحُبِّ) اكْتِفاءً بِفَهْم السَّامِع لِمعنى الكَلام؛ إذْ كان معلومًا أنَّ العِجْل لا يُشْرِبُ القَلْبَ، وأنَّ الذي يُشْرِبُ القَلْبَ منه حُبُّه. كما قال جَلَّ ثَنَاؤه: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣]. ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢].

وكَما قال الشَّاعِر:

حَسِبتَ بُغامَ راحلتي عَناقًا وما هي وَيْبَ غيرِك بالعَناقِ (٤)

يعني بذلك: حسبتَ بُغامَ راحلتي بُغامَ عناقٍ.

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣) [الكامل] القائل: زهير بن أبي سلمى (جاهلي). اللغة: صحوت عنها: أي أفقت من حبها. حب داخل: حب شديد. المعنى: يقول الشاعر: أنه أفاق من حبها بعدما أحبها حبا جما شديدا؛ ثم يردف بحكمة (والحب يشربه فؤادك داء) أي أن الحب يسري في القلب والجسد المرض، واستخدم لفظ يشرب لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها.

(٤) [الوافر] القائل: غير معروف. اللغة: البغام: صوت الظبية أو الناقة، واستعاره هنا للمعز. وقوله: (عناق) في البيت: هي أنثى المعز. وقوله: (ويب)؛ أي: ويل. المعنى: البيت من قصيدة يقولها لذئب تبعه في طريقه وأراد أن يثب على ناقته، فأصدرت صوتا رخيما ظن منه أنها عناق وما هي بذلك.

وكما قال طرفةُ بنُ العبدِ:

أَلا إِنَّنِي سُقِّيتُ أَسوَدَ حالِكًا ... أَلا بَجَلِي مِن الشَّرابِ أَلا بَجَلْ(١)

يَعْني بِذلك: سُقِيتُ سُمًّا أسوَدَ. فاكْتَفَى بِذِكْرِ (أسوَد) من ذِكْر (السُّمِّ) لِمعرِفةِ السَّامعِ معنى ما أرادَ بِقولِه: (سُقِيتُ أسوَد). ويُرْوَى:

أَلا إِنَّنِي سُقِّيتُ أَسوَدَ سالِخًا(٢)

وَقد تَقول العربُ: إذا سَرَّك أنْ تَنْظُر إلى السَّخاءِ فانظُرْ إلى هَرِم أو إلى حاتِم. فَتَجْتَزِئُ بِذِكْرِ الاسم من ذِكْر فِعْلِه إذا كان معروفًا بِشَجاعةٍ أو سَخاءٍ، أو ما أَشْبَهَ ذلك من الصِّفات، ومنه قول الشَّاعِر:

يَقُولونَ جاهِدْ يا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ ... وَإِنَّ جِهادًا طَيِّئٌ وقِتالُها(٣)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩٣﴾

يَعْني بِذلك جَلَّ ثَناؤه: قُلْ يا مُحَمَّدُ لِيَهودِ بَني إسرائيل: بِئْسَ الشَّيْءُ يَأمرُكُم به إيمانُكُم، إنْ كان يَأمُرُكُم بِقَتْلِ أَنْبياءِ اللَّهِ ورُسُله، والتَّكْذيب بِكُتُبِهِ، وجُحودِ ما جاء من عنده.

وَمعنى إيمانهم: تَصْديقُهم الذي زَعَموا أنَّهم به مُصَدِّقونَ من كِتاب اللَّه، إذْ قِيلَ لهم: آمِنوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ، فَقالوا: نُؤمِنُ بِما أُنزِلَ علينا.

وَقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أيْ: إنْ كُنْتُم مُصَدِّقِينَ - كما زَعَمْتُم - بِما أَنْزَلَ اللَّهُ عليكُمْ. وَإنما كذَّبَهم اللَّهُ بِذلك؛ لأنَّ التَّوْراة تَنْهَى عن ذلك كُلِّه، وتأمُر بِخِلافِهِ، فَأَخْبَرَهم أنَّ تَصْديقَهم بالتَّوْراةِ إنْ كان يَأمُرهم بِذلك فَبِئْسَ الأمْرُ تَأْمرُ به. وإنما ذلك نَفْيٌ من اللَّهِ تعالى ذِكْرُه عن التَّوْراة أنْ تَكون تَأمرُ بِشَيْءٍ مِمَّا يكْرَهُه اللَّهُ مِن أفعالِهِمْ، وأنْ يكونَ التَّصْديقُ بها يَدُلُّ على شَيْءٍ مِن مُخالَفَةِ أمْرِ اللَّهِ، وإعْلامٌ منه جَلَّ ثَناؤه أنَّ الذي يَأمُرهم بِذلك أهواؤُهم، والذي يَحْمِلُهم عليه البَغْيُ والعُدْوانُ.

---

(١) [الطويل] القائل: طرفة بن العبد (جاهلي). اللغة: سُقيت: شربت. أسود: قيل قصد به الماء وقيل قصد به الموت. بجل: حسبي. حالكا: الحُلْكة والحَلَك شدة السواد كلون الغراب. المعنى: يقول الشاعر مخاطبا حبيبته: حسبي منكِ ومن الحياة ما شربت منكما من سم أسود شديد السواد، وفي البيت رنة شفافة تستشعرها في تكراره لمقطع (ألا بجلي) كفاني ما لقيتُ منكما فإني صبرت ولكن لكل امرئ طاقة وتلك طاقتي!

(٢) تقدم قبله.

(٣) [الطويل] القائل: جميل بثينة (أموي). المعنى: يدعون جميلا للقتال فيقولون له: جاهد يا جميل بغزوة؛ فأجابهم بقوله: إن الجهاد جهاد طيئ وقتالها؛ فهذا هو القتال الذي يرضيه، والبيت غير مشهور عن جميل بثينة، والمشهور عنه أنه عندما دُعي إلى القتال قال:

يَقولونَ جاهِد يا جَميلُ بِغَزوَةٍ ... وَأَيَّ جِهادٍ غَيرَهُنَّ أُرِيدُ

أي أنه يجاهد في حب النساء والولع بهن! أما البيت الوارد لدى الطبري فورد في (مجالس ثعلب) وفي (لسان العرب).

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾

قَالَ أبُو جَعْفرٍ: وهذه الآيةُ مِمَّا احتَجَّ اللَّهُ بها لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ على اليَهود الذينَ كانوا بين ظَهْرانَيْ مُهاجَرِه، وفَضَحَ بها أحبارَهم وعُلَماءَهم، وذلك أنَّ اللَّه جَلَّ ثَناؤه أمَرَ نَبيَّه ﷺ أنْ يَدْعوهم إلى قَضيَّة عادِلةٍ بينَه وبينَهم، فيما كان بينَه وبينَهم من الخِلاف، كما أمَرَه اللَّه أنْ يَدْعوَ الفَريق الآخَرَ مِن النَّصارَى - إذْ خالَفوه في عيسَى صَلَوات اللَّهِ عليه، وجادَلوا فيه - إلى فاصِلةٍ بينَه وبينَهم من المُباهَلة، وقال لِفَريقِ اليَهود: إنْ كُنتُم مُحِقِّينَ فَتَمَنَّوُا الموتَ، فإنَّ ذلك غيرُ ضارِّكُم إنْ كُنتُم مُحِقِّينَ فيما تَدَّعونَ من الإيمان وقُرْب المَنْزِلة من اللَّه، بل إنْ أُعْطِيتُم أُمْنِيَتَكُم من الموتِ إذا تَمَنَّيْتُم، فإنما تَصيرونَ إلى الرَّاحةِ من تَعَبِ الدُّنيا ونَصَبِها وكَدَرِ عَيْشِها، والفَوْزِ بِجِوارِ اللَّهِ في جِنانِه، إنْ كان الأمْرُ كما تَزْعُمونَ، من أنَّ الدَّارَ الآخِرةَ لكم خالِصةٌ دونَنا، وإنْ لم تُعْطَوْها عَلِمَ النَّاسُ أنكُم المُبْطِلونَ، ونَحْنُ المُحِقُّونَ في دَعْوانا وانكَشَفَ أمْرُنا وأمْرُكُم لهم. فامْتَنَعَتِ اليَهودُ من إجابة النَّبيِّ ﷺ إلى ذلك لِعِلْمِها أنَّها إن تَمَنَّتِ الموتَ هَلَكَتْ، فذَهَبَتْ دُنْياها، وصارَتْ إلى خِزْي الأبَدِ في آخِرَتِها، كما امْتَنَعَ فَريقُ النَّصارَى الذينَ جادَلوا النَّبيَّ ﷺ في عيسَى، إذْ دُعُوا إلى المُباهَلة - من المُباهَلةِ، فَبَلَغَنا أنَّ رَسول اللَّه ﷺ قال: «**لو أنَّ اليَهودَ تَمَنَّوُا الموتَ لَماتوا، ولَرَأَوا مَقاعِدَهم من النَّار، ولو خَرَجَ الذينَ يُباهِلونَ رَسول اللَّه ﷺ لَرَجَعوا لا يَجِدونَ أهلاً ولا مالاً**».

١٥٦١- **حدثنا** بِذلك أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا زَكَرِيَّا بن عَديّ، قال: حَدَّثَنا عُبَيْدُ اللَّه بن عَمْرو، عن عبد الكَريم، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، عن رَسول اللَّه ﷺ[(١)].

١٥٦٢- **حدثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: حَدَّثَنا عَثَّام بن عَلِيّ، عن الأعْمَش، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال: لو تَمَنَّوُا الموت لَشَرِقَ أحَدُهم بريقِهِ[(٢)].

١٥٦٣- **حدثنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبدُ الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن عبد الكَريم الجَزَرِيّ، عن عِكْرِمة في قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال: قال ابن عَبَّاس: لو تَمَنَّى اليَهودُ الموتَ لَماتوا[(٣)].

١٥٦٤- **حدثني** موسَى، قال: أخبرَنا عَمْرٌو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، عن ابن عَبَّاس، مِثْله[(٤)].

---

(١) [صحيح] رجاله كلهم وسنده متصل.

(٢) [حسن] عثام بن علي بن هجير صدوق. والأعمش عن ابن عباس مرسل، ولكن أسنده ابن أبي حاتم بسند حسن فقال: حدثنا أبي، ثنا علي بن محمد الطنافسي، ثنا عثام، قال: سمعت الأعمش، قال: لا أظنه إلا عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: (لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه). اهـ.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف.

(٤) [صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

١٥٦٥- حدّثنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثنا سَلَمة، قال: حَدَّثني ابن إسحاق، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد - قال أبو جَعْفَر: فيما أرى - أنا - عن سَعيدٍ، أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس قال: لو تَمَنَّوه يومَ قال لهم ذلك، ما بَقِيَ على ظَهْر الأرْضِ يَهوديٌّ إلاّ ماتَ (١).

قَالَ أبُو جَعْفَرٍ: فانكَشَفَ - لِمَنْ كان مُشْكِلاً عليه أمْرُ اليَهودِ يومئِذٍ - كَذِبُهم وبُهْتُهم وبَغْيُهم على رَسول اللَّه ﷺ وأصحابه، وظَهَرَتْ حُجَّةُ رَسول اللَّه وحُجَّةُ أصْحابه عليهم، ولم تَزَلْ - والحمدُ لِلَّه - ظاهِرةً عليهم وعلى غَيْرِهم من سائِر أهل المِلَل، وإنما أُمِرَ رَسولُ اللَّه ﷺ أنْ يقول لهم: ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ لأنَّهم - فيما ذُكِرَ لنا - قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، وقالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]. فَقال اللَّهُ لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ: قُلْ لهم إنْ كُنتُم صادِقينَ فيما تَزْعُمونَ فَتَمَنَّوُا الموت. فَأبانَ اللَّه كذِبَهم بامْتِناعِهم مِن تَمنِّي ذلك، وأفلَجَ حُجَّةَ رَسولِ اللَّه ﷺ.

وَقد اختَلَفَ أهل التَّأويل في السَّبَب الذي مِن أجله أمَرَ اللَّهُ نَبيَّه ﷺ أنْ يَدْعو اليَهود إلى أنْ يَتَمَنَّوُا الموتَ، وعلى أيِّ وجهٍ أُمِروا أنْ يَتَمَنَّوه.

فَقال بعضهم: أُمِروا أنْ يَتَمَنَّوه على وجه الدُّعاءِ على الفَريقِ الكاذِبِ منهُما.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٥٦٦- حدّثنا ابن حُمَيْد، قال: حَدَّثنا سَلَمة، قال: حَدَّثني ابن إسحاق، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن سَعيد، أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: قال اللَّه لِنَبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: اذعوا بالموتِ على أيِّ الفريقين أكْذَبُ (٢).

وَقال آخرونَ بِما:

١٥٦٧- حدّثني بِشْر بن مُعاذ، قال: حَدَّثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حَدَّثنا سَعيد، عن قَتادةَ قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾: وذلك أنَّهم قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]. وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]. فَقيلَ لهم: ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (٣).

١٥٦٨- حدّثني المُثَنَّى، قال: حَدَّثنا آدم، قال: حَدَّثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

العالية، قال: قالتِ اليَهودُ: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾. فقال الله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فلم يَفْعَلوا[1].

١٥٦٩- **حدَّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثنا إسحاق، قال: حَدَّثني ابنُ أبي جَعْفر، عن أبيه، عن الرَّبيع قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية: وذلك بِأنهم قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[2].

وأمّا تأويلُ قولِه: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فإنَّه يقول: قُلْ يا مُحَمَّدُ، إنْ كان نَعيمُ الدَّارِ الآخِرةِ ولذَّاتُها لكم يا معشرَ اليَهودِ عند اللَّهِ، فاكْتَفَى بِذَكْرِ (الدَّارِ) من ذِكْرِ نَعيمِها لِمُعْرِفةِ المُخاطَبينَ بالآيةِ معناها.

وَقد بَيَّنَّا معنى الدَّارِ الآخِرةِ فيما مَضى بِما أغْنَى عن إعادَتِه في هذا الموضِع.

وأمّا تأويلُ قولِه: ﴿خَالِصَةً﴾ فإنه يَعْني به: صافيةً. كما يُقال: خَلَصَ لي هذا الأمرُ. بِمعنى: صارَ لي وَحْدي وصَفَا لي، يُقال منه: خَلَصَ لي هذا الشَّيْءُ، فهو يَخْلُصُ خُلوصًا وخالِصةً. والخالِصةُ مَصْدَرٌ، مِثْل العافية، ويُقال لِلرَّجُلِ: هذا خُلْصَاني. يَعْني به: خالِصَتي مِن دونِ أصْحابِي.

وَقد رُوِيَ عن ابن عَبَّاس أنّه كان يَتأوَّل قوله: ﴿خَالِصَةً﴾: خاصَّةً. وذلك تأويلٌ قَريبٌ مِن مَعْنى التَّأويلِ الذي قُلْناه في ذلك.

١٥٧٠- **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ قال: قُلْ يا مُحَمَّد لهم - يَعْني اليَهود -: إنْ كانتْ لكم الدَّارُ الآخِرةُ - يَعْني الخَيْرَ - ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾. يقول: خاصَّةً لكم[3].

وأمّا قولُه: ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ فإنَّ الذي يَدُلُّ عليه ظاهِرُ التَّنْزيلِ أنَّهم قالوا: لنا الدَّارُ الآخِرةُ عند اللَّهِ خالِصةً من دون جَميعِ النَّاس. وَيُبَيِّنُ أنَّ ذلك كان قولَهم - من غَيْرِ استِثْناءٍ منهم مِن ذلك أحَدًا من بَني آدَم - إخبارُ اللَّهِ عنهم أنَّهم قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾. إلاَّ أنَّه قد رُوِيَ عن ابن عَبَّاس قولٌ غَيْرُ ذلك.

ذكر ذلك:

١٥٧١- **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ يقول: من دون مُحَمَّد ﷺ وأصْحابه

---

(١) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

الذينَ استَهزَأتُم بهم، وزعَمتُم أنَّ الحَقَّ في أيْدِيكُمْ، وأنَّ الدَّارَ الآخِرةَ لكم دونَهم [١].

وأمَّا قولُه: ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ﴾ فإنَّ تأويلَه: تَشَهَّوه وأَرِيدوه. وقد رُوِيَ عن ابن عبَّاس أنَّه قال في تأويله: (فَسَلُوا الموتَ). ولا يُعْرَفُ التَّمَنِّي بمعنى المسألةِ في كَلام العرب. ولَكِني أحسِبُ أنَّ ابن عبَّاس وجَّهَ معنى الأُمْنِيَّةِ - إذْ كانتْ مَحَبَّةَ النَّفْسِ وشَهْوَتها - إلى معنى الرَّغْبةِ والمسألةِ، إذْ كانتِ المسألةُ هي رَغْبةَ السَّائِلِ إلى اللَّهِ فيما سَأله.

١٥٧٢- حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك عن ابن عبَّاس: ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ﴾ يقول: فَسَلُوا الموتَ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [٢].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

وَهذا خَبَر من اللَّه جَلَّ ثَنَاؤه عن اليَهود وكَراهَتِهم الموت، وامْتِناعِهم من الإجابة إلى ما دُعُوا إليه مِن تَمَنِّي الموتِ؛ لِعِلْمِهم بِأنهم إنْ فَعَلوا ذلك فالوَعيدُ بهم نازِلٌ، والموتُ بهم حالٌّ، ولِمعرِفَتِهم بِمُحَمَّدٍ ﷺ أنَّه رَسولٌ من اللَّه إليهم مُرْسَلٌ، وهم به مُكَذِّبونَ، وأنه لن يُخْبِرَهم خَبَرًا إلاَّ كان حَقًّا كما أخْبَرَ، فَهم يَحْذَرونَ أنْ يَتَمَنَّوُا الموت، خَوْفًا أنْ يَحِلَّ بهم عِقابُ اللَّهِ بما كَسَبَتْ أيْديهم من الذُّنوب، كالذي:

١٥٧٣- حدَّثني مُحَمَّد بن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد - فيما يَرى أبو جَعْفَر - عن سَعيد بن جُبَيْر، أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ الآية. أيْ: ادْعُوا بالموتِ على أيِّ الفَريقَيْنِ أكْذَبُ، فَأبَوْا ذلك على رَسول اللَّه ﷺ. يقولُ اللَّه لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أيْ: لِعِلْمِهم بما عندَهم من العِلْم بِك والكُفرِ بذلك [٣].

١٥٧٤- حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾. يقول: يا مُحَمَّدُ، ولَنْ يَتَمَنَّوْه أبَدًا؛ لأنَّهم يَعْلَمونَ أنَّهم كاذِبونَ، ولو كانوا صادِقِينَ لَتَمَنَّوْه ورَغِبوا في التَّعْجيل إلى كَرامَتي، فَلَيْسَ يَتَمَنَّوْنَه أبَدًا بِما قَدَّمَتْ أيْديهم [٤].

١٥٧٥- حدَّثني القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: وكانتِ اليَهودُ أشَدَّ الناسِ فِرارًا مِن الموت، ولم يكونوا لِيَتَمَنَّوْه أبَدًا [٥].

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.
(٢) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.
(٣) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٤) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر متروك.
(٥) [ضعيف] ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

وأمّا قولُه: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾. فإنه يَعني به: بما أسلَفَته أيْديهم. وإنما ذلك مَثَلٌ، على نَحْو ما تَتَمثَّلُ به العرب في كَلامها، فَتَقولُ لِلرَّجُلِ يُؤخَذُ بِجَريرةِ جَرَّها، أو جِنايةٍ جَناها فَيُعاقَبُ عليها: نالَك هذا بِما جَنَتْ يَداك، وبِما كَسَبَتْ يَداك، وبما قَدَّمَتْ يَداك. فَتُضيفُ ذلك إلى اليَد، ولَعَلّ الجِناية التي جَناها فاستَحَقَّ عليها العُقوبةَ كانتْ باللِّسانِ أو بالفَرْجِ أو بِغَيْرِ ذلك من أعْضاء جَسَدِه سِوَى اليَد.

وإنما قِيلَ ذلك بإضافَتِه إلى اليَد؛ لأنَّ عُظْمَ جِنايات النَّاس بأيْديهم، فَجَرَى الكَلامُ باستِعْمالِ إضافة الجِنايات التي يجْنيها النَّاسُ إلى أيْديهم، حتَّى أُضِيفَ كُلُّ ما عُوقِبَ عليه الإنْسانُ مِمَّا جَناه بِسائِرِ أعْضاءِ جَسَدِهِ إلى أنَّها عُقوبةٌ على ما جَنَتْه يَداه، فَلِذلك قاله جَلَّ ثَناؤه لِلْعَرَبِ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يَعْني به: ولَنْ يَتَمنَّى اليَهودُ الموتَ بِما قَدَّموا أمامَهم في حَياتِهم مِن كُفْرِهم باللّه، في مُخالَفَتِهم أمْرَه وطاعَتَه في اتِّباع مُحَمَّد ﷺ وما جاءهم بِهِ مِن عند اللّهِ، وهم يجِدونَه مَكْتوبًا عندَهم في التَّوْراة، ويَعْلَمونَ أنَّه نَبيٌّ مَبْعوثٌ. فَأضافَ جَلَّ ثَنَاؤه ما انطَوَتْ عليه قُلوبُهم وأضمَرَتْه نفوسُهم، ونَطَقَتْ به ألسِنَتُهم؛ من حَسَد مُحَمَّد ﷺ، والبغْي عليهِ، وتَكْذيبِه وجُحودِ رِسالَته - إلى أيْديهم، وأنه مِمَّا قَدَّمَتْه أيْديهم، لِعِلْم العربِ بمعنى ذلك في مَنْطِقِها وكَلامِها، إذْ كان جَلَّ ثَناؤه إنَّما أنزَلَ القُرْآن بِلِسانِها، وبِلُغَتِها خاطَبها.

وَرُوِيَ عن ابن عَبَّاس في ذلك ما:

١٥٧٦- **حَدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشْر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يقول: بِما أسلَفَتْ أيديهم(١).

١٥٧٧- **حَدَّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾. قال: إنَّهم عَرَفوا أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَبيٌّ فَكَتَموهُ(٢).

وأمّا قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فإنَّه يَعْني جَلَّ ثَناؤه: واللّه ذو عِلْمٍ بِظَلَمةِ بَني آدَم - يَهودِها ونَصارَاها وسائِر أهلِ مِلَلِها غَيْرِهم - وما يَعْمَلونَ.

وَظُلْمُ اليَهودِ كُفْرُهم باللّهِ في خِلافِهم أمْرَه وطاعَتَه في اتِّباع مُحَمَّد ﷺ بعد أنْ كانوا يَسْتَفْتِحونَ به وبِمَبْعَثِهِ، وجُحودِهم نُبوَّتَه وهم عالِمونَ أنَّه نَبيُّ اللّه ورَسولُه إليهم.

وَقد دَلَّلْنا على معنى الظلم فيما مَضَى بِما أغْنَى عن إعادَتِه في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾

يَعْني جَلَّ ثَناؤه بِقولِه: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ اليَهودَ. يقول: يا مُحَمَّدُ لَتَجِدَنَّ أشَدَّ النَّاس حِرْصًا على الحَياة في الدُّنْيا، وأشَدَّهم كَراهةً لِلْموتِ، اليَهودَ، **كما**:

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.
(٢) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

١٥٧٨- حدّثنا ابن حُمَيْد، قال: حدَّثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد - فيما يرى أبو جَعْفَر - عن سَعيد بن جُبَيْر، أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾. يَعْني اليَهود(١).

١٥٧٩- وحدّثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾. يَعْني: اليَهود(٢).

١٥٨٠- وحدّثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابنُ أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، مِثْله(٣).

١٥٨١- وحدّثني مُحَمَّد بن عَمْرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله(٤).

وَإنّما كَراهَتُهم الموتَ لِعِلْمِهم بِما لهم في الآخِرة من الخِزْي والهَوانِ الطَّويل.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾

يَعْني جَلَّ ثَنَاؤه بِقولِه: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: وأحرَصَ من الذينَ أشرَكُوا على الحَياة. كما يُقال: هو أشجَعُ النَّاسِ ومن عنتَرةَ. بِمعنى: هو أشجَعُ من النَّاس ومن عنتَرة. فَكَذلك قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾. لأنَّ معنى الكَلام: ولَتَجِدَنَّ يا مُحَمَّدُ اليَهودَ من بَني إسرائيل أحرَص من النَّاس على حَياةٍ ومن الذينَ أشرَكوا. فَلَمَّا أُضيفَ ﴿أَحْرَصَ﴾ إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾، وفيه تأويلُ (مِن) أُظهِرَتْ بعد حَرْفِ العَطْفِ رَدًّا على التَّأويلِ الذي ذَكَرْناه.

وَإنما وصَفَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤه اليَهودَ بِأنّهم أحرَصُ النَّاسِ على الحَياةِ، لِعِلْمِهم بِما قد أعَدَّ لهم في الآخِرة على كُفرهم، مما لا يُقِرُّ به أهلُ الشِّرْكِ، فَهم لِلْموتِ أكْرَهُ من أهل الشِّرْكِ الذينَ لا يُؤمِنونَ بالبعْثِ؛ لأنَّهم يُؤمِنونَ بالبعْثِ، ويَعْلَمونَ ما لهم هُنالِكَ من العَذاب، وأنَّ المُشْرِكينَ لا يُصَدِّقونَ ببعْثٍ، ولا عِقابٍ. فاليَهودُ أحرَصُ منهم على الحَياةِ وأكْرَهُ لِلْموتِ.

وَقِيلَ: إنَّ الذينَ أشرَكوا، الذينَ أخْبَرَ اللَّهُ تعالى ذِكْره أنَّ اليَهود أحرَص منهم في هذه الآية على الحَياةِ، هم المَجوسُ. وقيل: هم الذينَ لا يُصَدِّقونَ بالبعْثِ.

ذِكْر مَن قال: هم المَجوس:

١٥٨٢- حدّثني المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية:

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٤) [حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن ابي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ : يَعْني المَجوس[(١)] .

١٥٨٣- وحدّثني المُثَنّى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جَعْفَر ، عن أبيهِ ، عن الرَّبيع ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . قال : المَجوس[(٢)] .

١٥٨٤- وحدّثني يونُس ، قال : أخْبَرَني ابن وهب ، قال : قال ابن زَيْد : ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ . قال : يَهودُ أحرَصُ من هؤلاء على الحَياة[(٣)] .

ذِكر مَن قال: هم الذين يُنْكِرون البعْث:

١٥٨٥- حدّثنا ابن حُمَيْد ، قال : ثنا سَلَمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد - فيما يرى أبو جَعْفَر - عن سَعيد بن جُبَيْر ، أو عِكْرِمة ، عن ابن عَبَّاس : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ : وذلك أنَّ المُشْرِكَ لا يَرْجو بَعْثًا بعد الموتِ ، فهو يُحِبُّ طولَ الحَياةِ ، وأنَّ اليَهوديَّ قد عَرَفَ ما له في الآخِرة من الخِزْي ، لما ما ضَيَّعَ بِما عنده من العِلْم[(٤)] .

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

وهذا خَبَرٌ من اللَّه جَلَّ ثَناؤه عن الذينَ أشرَكوا ، الذينَ أخْبَرَ أنَّ اليَهودَ أحرَصُ منهم على الحَياة ، يقول جَلَّ ثَناؤه : يَوَدُّ أحَدُ هؤلاء الذينَ أشرَكوا - ليأسِه بفناءِ دُنْياه وانقِضاءِ أيَّام حَياتِه ، من أنْ يكون لهُ بعد ذلك نُشورٌ أو مَحْيَا ، أو فَرَحٌ أو سُرورٌ - لو يُعَمَّرُ في الدنيا ألف سَنَةٍ ، حتَّى جَعَلَ بعضُهم تَحيَّةَ بعضٍ : عِشْ ألفَ عام . حِرْصًا منهم على الحَياة ، كَما :

١٥٨٦- حدّثنا مُحَمَّد بن عَليّ بن الحسن بن شَقيق ، قال : سَمِعْت أبي عَليًّا ، يقول : أخبرَنا أبو حَمْزة ، عن الأعْمَش ، عن مُجاهِد ، عن ابن عَبَّاس في قوله : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . قال : هو قولُ الأعاجِم : هَزار سال زِه نَوْروز مِهْرَجان دَر[(٥)] .

١٥٨٧- وحُدّثت عن نُعَيْم النَّحْويّ ، عن عَطاء بن السَّائِب ، عن سَعيد بن جُبَيْر : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . قال : هو قولُ أهل الشِّرْكِ بعضِهم لِبعضٍ إذا عَطَسَ : زِه هَزار سال[(٦)] .

١٥٨٨- حدّثنا إبراهيم بن سَعيد ويَعْقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن ابن

---

(١) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال .

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال .

(٣) [صحيح] سنده متصل ، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله .

(٤) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول ، وسلمة بن الفضل ، ومحمد بن حميد ضعيفان .

(٥) [صحيح] الأعمش عن مجاهد مرسل إلا ما صرّح فيه بالتحديث ، وقد أسنده سعيد بن منصور في التفسير فقال : نا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله عز وجل : يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال : (هو قول الأعاجم إذا عطس أحدهم يقال له : زه هزار سال) يعني ألف سنة . اهـ . وهذا إسناد على شرطهما .

(٦) [ضعيف] عطاء اختلط ، ثم هو من معلقات المصنف .

أبي نَجيح، عن قَتادةَ في قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. قال: حُبِّبَتْ إليهم الخَطيئةُ طولَ العُمْرِ[(١)].

١٥٨٩- حدَّثني يونُس بن عبد الأعلَى، قال: حَدَّثَني ابن معبَد، عن ابن عُلَيَّة، عن ابن أبي نَجيح في قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾. فذَكَرَ مِثْله[(٢)].

١٥٩٠- حدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ حتَّى بلَغَ: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: ويَهودُ أحرَصُ من هؤلاء على الحَياة، وقد ودَّ هؤلاء لو يُعَمَّرُ أحَدُهم ألفَ سَنةٍ[(٣)].

١٥٩١- وحُدِّثت عن أبي مُعاوية، عن الأعْمَش، عن سَعيد بن جبير، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. قال: هو قولُ أحَدِهم إذا عَطَسَ: زِه هَزار سال. يقول: عِشْ ألفَ سَنةٍ[(٤)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾: وما التعْميرُ وطولُ البقاءِ بِمُزَحْزِحِه من عَذاب اللَّه.

وَقوله: ﴿هُوَ﴾. عِمادٌ، لِطَلَبِ (ما) الاسمَ أكْثَرَ من طَلَبِها الفِعْلَ، كما قال الشَّاعِر:

فَهَلْ هو مَرْفوعٌ بما هاهُنَا رَاسُ[(٥)]

و﴿أَن﴾ التي في: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ رُفعٌ بـ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾، و﴿هُوَ﴾ التي مع (ما) من ذكرِه، عِمادٌ لِلْفِعْلِ؛ لاستِقْباحِ العربِ النَّكِرةَ قَبْلَ المعرِفة.

وَقد قال بعضهم: إنَّ ﴿هُوَ﴾ الذي مع ﴿وَمَا﴾ كِنايةٌ مِن ذِكْرِ العُمْر. كأنَّه قال: يَوَدُّ أَحَدُهم لو يُعَمَّرُ ألفَ سَنةٍ، وما ذلك العُمْرُ بِمُزَحْزِحِه من العَذاب. وَجَعَلَ ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ مُتَرْجِمًا عن ﴿هُوَ﴾. يُريد: ما هو بِمُزَحْزِحِه التَّعْميرُ.

وَقال بعضهم: قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ نَظيرُ قولك: ما زَيْدٌ بِمُزَحْزِحِه أنْ يُعَمَّرَ.

---

(١) [ضعيف] لا أعلم اتصالا صحيحا بين ابن أبي نجيح وقتادة.

(٢) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل، وعلي بن معبد بن شداد العبدي أبو الحسن، ثقة.

(٣) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٤) [صحيح] تقدم برقم (١٥٨٧).

(٥) [الطويل] تقدم الكلام عليه، والقائل: لم أهتدِ لقائله، ذكر الفراء الأبيات في معاني القرآن ولم ينسبها. والمعنى: يوصي الشاعر صاحبه قبل أن ينطلق في رحلته الطويلة والتي عبر عنها بقوله (على العيس في آباطها عرق يبس) إذا ما وجدت (أبا يحيى) بعد رحلتك الطويلة فأخبره بأن عامل الزكاة الذي بـ(ضرية) أخذ الرشى من بني عبس وهي ثوب ودينار وشاة ودرهم - والأشياء المذكورة ليست على سبيل الإحصاء -؛ فأسلم إليهم حقي؛ فهل أجد من ينصرني ويرجع إليَّ حقي فأرفع رأسي من بعدماذلت؟!

وَأقرَب هذه الأقوال عندنا إلى الصَّواب ما قلناه، وهو أنْ يكون ﴿هُوَ﴾ عِمادًا، نَظيرُ قولك: ما هو قائِمًا عَمْرٌو.

وَقد قال قَوْم من أهل التأويل: إنَّ ﴿أَن﴾ التي في قوله: ﴿أَن يُعَمَّرَّ﴾ بِمعنى: وإنْ عُمِّرَ. وذلك قولٌ لِمَعاني كَلام العربِ المعروفِ مُخالِفٌ.

ذكر مَن قال ذلك:

١٥٩٢- **حَدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَّ﴾. يقول: وإنْ عُمِّرَ[1].

١٥٩٣- **وحَدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع مِثْله[2].

١٥٩٤- **وحَدَّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿أَن يُعَمَّرَّ﴾: ولو عُمِّرَ[3].

وَأمَّا تأويلُ قوله: ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ فَإنَّه: بِمُبْعِدِه ومُنْجِيه، كما قال الحُطَيْئة:

وَقالُوا تَزَحْزَحْ لا بِنا فَضْلُ حاجةٍ ... إليكَ وما مِنَّا لِوَهْيِكَ راقِعُ[4]

يَعْني بِقولِه: تَزَحْزَحْ: تَباعَدْ. يُقال منه: زَحْزَحَه يُزَحْزِحه زَحْزَحةً وزِحْزاحًا، وهو عنك يُزَحْزَحُ. أيْ: هو مُتَباعِدٌ.

فَتأويل الآية: وما طولُ العُمْر بِمُبْعِدِه من عَذاب اللَّهِ ولا مُنْجِيه منهُ؛ لأنَّه لا بُدَّ لِلْعُمْرِ من الفَناء ومَصيرِه إلى اللَّه، كَما:

١٥٩٥- **حَدَّثنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابنُ إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد - قال أبو جعفرٍ: فيما أرى - عن سَعيد بن جُبَيْر، أو عن عِكْرِمة، عن ابن

---

(١) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٢) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٤) [الطويل] القائل: قيس بن الحدادية (جاهلي). اللغة: البيت نسبه الطبري للحطيئة، ومن قاله هو (قيس بن الحدادية) وورد عند أبي فرج في (الأغاني) منسوبا لقيس ورواه كالتالي:

فَقالَت تُزَحزِح ما بِنا كُبرُ حاجَةٍ ... إِلَيكَ وَلا مِنّا لِفَقرِكَ راقِعُ

اللغة: تزحزح: ابتعد. لوهيك: الوَهْيُ الشقُّ في الشيء. راقع: من مادة (رقع) رقَع الثوبَ والأَديم بالرِّقاع يَرْقَعُه رَقْعًا ورقَّعَه أَلحَمَ خَرْقه وفيه مُتَرَقَّعٌ لمن يُصْلِحه أَي موضعُ تَرْقِيع.

المعنى: بعد أن جاء الشاعر لصاحبته فقالت له ابتعد عني مالي حاجة فيك وإن كان عندك ما عندك من الخيرات، وكذلك لست قادرة على مساعدتك ومساندتك واستعار الشاعر هذا المعنى من خلال قوله: (لوهيك راقع) أي لست قادرة على أن أخيط شقوق ثيابك.

عبَّاس: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾. أي: ما هو بِمُنجِيه من العَذابِ[١].

١٥٩٦- حدَّثني المُثنَّى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾. يقول: وإنْ عُمِّرَ، فما ذلكَ بِمُغْنيه من العَذابِ ولا مُنْجِيه[٢].

١٥٩٧- وحدَّثني المُثنَّى قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، مِثْله[٣].

١٥٩٨- وحدَّثني مُحمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثني أبي، قال: حَدَّثني عَمي، عن أبيه، عن جدِّهِ، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: فهم الذينَ عادوا جِبْريلَ عليه السَّلام[٤].

١٥٩٩- وحدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾: ويَهودُ أحرَصُ على الحَياة من هؤلاء، وقد ودَّ هؤلاءِ لو يُعَمَّرُ أحَدُهم ألفَ سَنةٍ، ولَيْسَ ذلك بِمُزَحْزِحِه من العَذاب لو عُمِّرَ كما عُمِّرَ إبليسُ، لم يَنْفَعه ذلك إذا كان كافِرًا، لم يُزَحْزِحه ذلك من العَذاب[٥].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بِقولِه: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: واللَّهُ ذو إبصارٍ بما يَعْمَلونَ، لا يَخْفَى عليه شَيْءٌ من أعْمالِهِمْ، بل هو بِجَميعِها مُحيطٌ، ولَها حافِظٌ ذاكِرٌ، حتَّى يُذيقَهم بها من العِقاب جَزاءَها.

وَأصْلُ بَصيرٍ مُبْصِرٍ، من قولِك: أبْصَرْتُ فَأنا مُبْصِرٌ. ولكنه صُرِفَ إلى (فَعيل)، كما صُرِفَ مُسْمِعٌ إلى سَميع، وعَذابٌ مُؤلِمٌ إلى أليم، ومُبْدِعُ السَّمواتِ إلى بَديع، وما أشبَه ذلك.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

أجْمَع أهلُ العِلْم بالتَّأويلِ جَميعًا على أنَّ هذه الآية نَزَلَتْ جَوابًا لِلْيَهودِ من بَني إسرائيل، إذْ زَعَموا أنَّ جِبْريل عَدوٌّ لهم، وأنَّ ميكائيلَ وليٌّ لهم.

ثُمّ اختَلَفوا في السَّبَب الذي من أجْله قالوا ذلك؛ فَقال بعضهم: إنَّما كانَ سَبَبُ قِيلِهم ذلك من أجْل مُناظَرةٍ جَرَتْ بينهم وبين رَسول اللَّه ﷺ في أمْر نُبوَّته.

---

(١) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم.. فذكره.

(٣) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال. (٤) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٥) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه ولكنه قوله.

ذكر مَن قال ذلك:

١٦٠٠- **حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا يونُس بن بُكَير، عن عبد الحَميد بن بَهْرام، عن شَهْر بن حَوْشَبٍ، عن ابن عبَّاس أنَّه قال: حَضَرَتْ عِصابةٌ من اليَهودِ رَسول اللَّه ﷺ فقالوا: يا أبا القاسِم، حَدِّثنا عن خِلالٍ نَسْأَلُك عنهُنَّ لا يَعْلَمهُنَّ إلاَّ نبيٌّ، فَقال رَسول اللَّه ﷺ: **«سَلوا عَمَّا شِئتُم، ولَكِن اجْعَلُوا لي ذِمَّةَ اللَّهِ وما أخَذَ يَعْقوبُ على بَنيه، لَئِنْ أنا حَدَّثْتُكم شيئًا فعَرَفتُموه لَتُتابِعُنِّي على الإسلام»**. فقالوا: ذلك لَك. فَقال رَسول اللَّه ﷺ: **«سَلُوني عَمَّا شِئتُم»**. فقالوا: أخبِرْنا عن أربَع خِلال نَسألك عنهُنَّ؛ أخبِرْنا أيُّ الطَّعام حَرَّمَ إسرائيلُ على نَفْسه من قَبْل أنْ تُنَزَّل التَّوْراة، وأخبِرْنا كيف ماءُ المَرْأةِ وماءُ الرَّجُلِ، وكيف يكون الذَّكَرُ منه والأُنثَى، وأخبِرنا بهذا النَّبيِّ الأُمِّيِّ في النَّوْم، ومَنْ وَليُّه من المَلائِكة. فَقال رَسول اللَّه ﷺ: **«عليكم عَهْدُ اللَّهِ لَئِنْ أنا أنبَأْتُكم لَتُتابِعُنِّي»**. فَأعْطَوْه ما شاءَ من عَهْد وميثاقٍ، فَقال: **«نَشَدْتُكم بالذي أنْزَلَ التَّوْراة على موسَى، هَلْ تَعْلَمونَ أنَّ إسرائيل يعقوبَ مَرِضَ مَرَضًا شَديدًا، فَطالَ سَقَمُه منهُ، فَنَذَرَ للهِ نَذْرًا لَئِنْ عافاه اللَّهُ من سَقَمِه، لَيُحَرِّمَنَّ أحَبَّ الطَّعام والشَّرابِ إليه، وكان أحَبَّ الطَّعام إليه لُحْمانُ الإبِل»**. - قالَ أبو جَعْفَرٍ: فيما أرَى أنا: (وأحَبُّ الشَّرابِ إليه ألبانُها؟) - فقالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَقال رَسول اللَّه ﷺ: **«اللَّهُمَّ اشهَدْ عليهم. وأنشُدُكم باللَّه الذي لا إلَه إلاَّ هو، الذي أنْزَلَ التَّوْراة على موسَى، هَلْ تَعْلَمونَ أنَّ ماء الرَّجُلِ أبيَضُ غَليظٌ، وأنَّ ماءَ المَرْأةِ أصْفَرُ رَقيقٌ، فأيُّهما عَلا كان له الوَلَدُ والشَّبهُ بإذْنِ اللَّه، إذا عَلا ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المَرْأةِ كان الوَلَد ذَكَرًا بإذْنِ اللَّه، وإذا عَلا ماء المَرْأة ماء الرَّجُل كان الوَلَد أُنثَى بإذْنِ اللَّه؟»**. قالوا: اللَّهُمَّ نَعم، قال: **«اللَّهُمَّ اشهَدْ»**. قال: **«وأنشُدكم بالذي أنْزَلَ التَّوْراة على موسَى، هَلْ تَعْلَمونَ أنَّ هذا النَّبيَّ الأُمِّيَّ تَنامُ عَيناه ولا يَنامُ قَلْبُه؟»**. قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم، قال: **«اللَّهُمَّ اشهَدْ»**. قالوا: أنت الآن، فحَدِّثنا مَنْ وليُّك من المَلائِكة، فَعندها نُجامِعُك أو نُفارِقُك. قال: **«فإنَّ وليِّي جِبْريلُ، ولم يَبْعَث اللَّهُ نَبيًّا قَطُّ إلاَّ وهو وليُّه»**. قالوا: فَعندها نُفارِقُك؛ لو كان وليُّك سِواه من المَلائِكة تابَعْناك وصَدَّقْناك. قال: **«فما يَمْنَعُكم أنْ تُصَدِّقوه؟»** قالوا: إنَّه عَدوُّنا. فَأنْزَلَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فَعندها باءوا بِغَضَبٍ على غَضَبٍ[1].

١٦٠١- **وحدثنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، قال: حَدَّثَني عبد اللَّه بن عبد الرَّحْمَن بن أبي الحُسَيْن المَكِّيّ، عن شَهْر بن حَوْشَبٍ الأشعَرِيّ، أنَّ نَفَرًا من اليَهودِ جاءوا رَسول اللَّه ﷺ فقالوا له: يا مُحَمَّدُ، أخبِرْنا عن أربَع خصالٍ نَسْألك عنهُنَّ، فإنْ فَعَلْتَ اتَّبَعْناكَ

---

(١) [ضعيف] عبد الحميد بن بهرام، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: هو في شهر بن حوشب، مثل الليث في سعيد المقبري. قلت: ما تقول فيه؟ قال: ليس به بأس، أحاديثه عن شهر صحاح، لا أعلم روى عن شهر بن حوشب أحاديث أحسن منها، ولا أكثر منها، أملى عليه في سواد الكوفة. قلت: يحتج بحديثه؟ قال: لا، ولا بحديث شهر بن حوشب، ولكن يكتب حديثه. اهـ.

وصَدَّقْناكَ وآمَنَّا بِك. فقال لهم رَسول اللَّه ﷺ: «عليكُم بذلك عَهْد اللَّهِ وميثاقُه، لَئِنْ أنا أخْبَرْتُكُم بذلك لَتُصَدِّقُنِّي». قالوا: نَعَمْ. قال: «فاسلُوا عَمَّا بَدا لكم». فقالوا: أخْبِرْنا كيف يُشْبِه الوَلَد أُمَّه وإنّما النُّطْفة من الرَّجُل؟ فقال رَسول اللَّه ﷺ: «أنْشُدكُم باللَّه وبأيَّامِه عند بَني إسرائيل هَلْ تَعْلَمونَ أنَّ نُطفة الرَّجُل بَيضاءُ غَليظةٌ، ونُطْفةُ المَرْأةِ صَفراءُ رَقيقةٌ، فأيَّتُهما عَلَتْ صاحِبَتَها كان لها الشَّبَه؟»، قالوا: اللهم نَعَمْ. قالوا: فَأخْبِرْنا كيف نَوْمُك؟ قال: «أنْشُدكُم باللَّه وبأيَّامِه عند بَني إسرائيل، هَلْ تَعْلَمونَ أنَّ نومَ هذا النَّبيِّ الذي تزعُمون أني لستُ به، تَنامُ عَينُه وقَلْبُه يقظانُ؟» قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قال: «فكذلك نَوْمي؛ تنامُ عيني وقَلْبي يقظانُ». قالوا: فأخْبِرْنا عمَّا حَرَّمَ إسرائيلُ على نَفْسه، فقال: «أنْشُدُكم باللهِ وبأيَّامِه عند بَنى إسرائيل، هَلْ تَعْلَمونَ أنّه كان أحَبَّ الطَّعام والشَّرابِ إليه ألبانُ الإبِلِ ولُحُومُها، وأنّه اشتَكَى شَكْوَى فَعافاه اللَّهُ منها، فَحَرَّمَ أحَبَّ الطَّعامِ والشَّرابِ إليه شُكْرًا لِلَّه، فَحَرَّمَ على نَفْسه لُحُومَ الإبِلِ وألْبانَها؟» قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قالوا: فَأخْبِرْنا عن الرُّوح. قال: «أنْشُدكُم باللَّه وبأيَّامِه عند بَني إسرائيل، هَلْ تَعْلَمونَ أنّه جِبْريلُ، وهو الذي يَأتيني؟» قالوا: نَعَمْ، ولَكِنَّه لنا عَدوٌّ، وهو مَلَكٌ إنَّما يَأتي بالشِّدَّةِ وسَفْكِ الدِّماءِ، فَلولا ذلك اتَّبَعْناك. فَأنزَلَ اللَّهُ فيهم: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

١٦٠٢- حَدَّثَنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: حَدَّثَني القاسِم بن أبي بَزَّة، أنَّ يَهودَ سَألوا النَّبيّ ﷺ مَن صاحِبُه الذي يَنْزِلُ عليه بالوَحْيِ؟ فَقال: «جِبْريل». قالوا: فَإنَّه لنا عَدوٌّ، ولا يَأتي إلاَّ بالحَرْبِ والشِّدَّةِ والقِتال. فَنَزَلَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية. قال ابن جُرَيْج: وقال مُجاهِد: قالتْ يَهودُ: يا مُحَمَّدُ، ما يَنْزِلُ جِبْريلُ إلاَّ بِشِدَّةٍ وحَرْبٍ وقتالٍ، إنّه لنا لعدوٌّ. فَنَزَلَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية(٢).

وَقال آخرونَ: بل كان سَبَبُ قِيلِهم ذلك من أجْلِ مُناظَرةٍ جَرَتْ بين عُمَر بن الخَطَّاب رَضيَ اللَّه عنه وبينهم في أمْرِ النَّبيِّ ﷺ.

ذكر مَن قال ذلك:

١٦٠٣- حَدَّثَني مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: ثنا رِبْعي بن عُلَيَّة، عن داود بن أبي هِنْد، عن الشَّعْبيِّ، قال: نَزَلَ عُمَرُ بن الخطاب الرَّوْحاء، فَرَأى رِجالاً يَبْتَدِرونَ أحجارًا يُصَلُّونَ إليها، فَقال: ما بالُ هؤلاء؟ قالوا: يَزْعُمونَ أنَّ رَسول اللَّه ﷺ صَلَّى هاهُنا. قال: فَكَرِهَ ذاك، وقال: إنَّما رَسول اللَّه ﷺ أدرَكَتْه الصَّلاةُ بِوادٍ، فَصَلَّى، ثُمَّ ارتَحَلَ وتَرَكَه. ثُمَّ أنْشأ يُحَدِّثُهم فَقال: كُنْت أشهَدُ اليَهودَ يوم مِدْراسِهم، فَأعْجَبُ من التَّوْراةِ كيف تُصَدِّقُ الفُرْقانَ، ومِن الفُرْقانِ كيف يُصَدِّقُ

---

(١) [ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

التَّوْراةَ، فَبينَما أنا عندَهم ذاتَ يوم قالوا: يا ابنَ الخَطَّابِ، ما مِن أصْحابِك أحَدٌ أحَبُّ إلينا منك. قُلْتُ: ولِمَ ذلك؟ قالوا: إنَّك تَغْشانا وتأتينا. قال: قُلْتُ: إنِّي آتيكُم فأعْجَبُ من الفُرْقانِ كيف يُصَدِّقُ التَّوْراةَ، ومن التَّوْراةِ كيف تُصَدِّقُ الفُرْقانَ. قال: ومَرَّ رَسول اللَّه ﷺ فقالوا: يا ابن الخَطَّاب، ذاكَ صاحِبُكُم فالحَقْ به، قال: فَقُلْتُ لهم عند ذلك: نَشَدْتكم باللَّهِ الذي لا إلَه إلاَّ هو، وما استَرْعاكُم من حَقِّه واستَوْدَعَكُم مِن كِتابه، أتَعْلَمونَ أنَّه رَسول اللَّه؟ قال: فَسَكَتوا. قال: فَقال عالِمُهم وكَبيرُهمْ: إنَّه قد عَظَّمَ عليكُم فَأجيبوه. قالوا: أنت عالِمُنا وسَيِّدُنا، فَأجِبْه أنت. قال: أمَّا إذ نَشَدْتَنا بما نَشَدْتنا بِهِ، فَإنَّا نَعْلَمُ أنَّه رَسول اللَّهِ. قال: قُلْتُ: ويْحَكُم! فأنَّى هَلَكْتُمْ! قالوا: إنَّا لم نَهْلِك. قال: قُلْت: كيف ذاكَ وأنتم تَعْلَمونَ أنَّه رَسول اللَّهِ، ثُمَّ لا تَتَّبِعونَهُ، ولا تُصَدِّقونَه؟ قالوا: إنَّ لنا عَدوًّا من المَلائِكةِ وسِلْمًا من المَلائِكة، وإنَّه قُرِنَ بنبوَّتِه عَدُوُّنا من المَلائِكة. قال: قُلْت: ومَنْ عَدوُّكُم ومَنْ سِلْمكُم؟ قالوا: عَدوُّنا جِبْريل وسِلْمُنا ميكائيلُ. قال: قُلْت: وفيمَ عادَيْتُم جِبْريل وفيمَ سالمتُم ميكائيل؟ قالوا: إنَّ جِبْريل مَلَكُ الفَظاظةِ والغِلْظةِ والإعْسارِ والتَّشْديدِ والعَذابِ ونَحْو ذلك، وإنَّ ميكائيل مَلَكُ الرَّأفةِ والرَّحْمةِ والتَّخْفيفِ ونَحْو هذا، قال: قُلْت: وما مَنْزِلَتُهما من رَبِّهما؟ قالوا: أحَدهما عن يَمينه والآخَر عن يَساره. قال. قُلْت: فَواللَّه الذي لا إلَه إلاَّ هو، إنَّهما والذي بينهما لَعَدوٌّ لِمَنْ عاداهُما وسِلْمٌ لِمَنْ سالَمَهُما، ما يَنْبَغي لِجِبْريل أنْ يُسالِمَ عَدوَّ ميكائيل، وما يَنْبَغي لِميكائيل أنْ يُسالِم عَدوَّ جِبْريل. قال: ثُمَّ قُمْتُ فاتَّبَعْتُ النَّبيَّ ﷺ، فَلَحِقْتُه وهو خارِجٌ من خَوْخَةٍ لِبَني فُلانٍ، فَقال لي: «**يا ابن الخَطَّاب، ألا أُقرِئُك آياتٍ نَزَلْنَ قبلُ؟**» فَقَرَأ علَيَّ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ حتَّى قَرَأ الآيات. قال: قُلْت: بِأبي أنت وأُمي يا رَسول اللَّه، والذي بَعَثَك بالحَقِّ، لَقد جِئْتُ وأنا أُريدُ أنْ أُخْبِرَك الخَبَر، فَأسمَعُ اللَّطيفَ الخَبيرَ قد سَبَقَني إليك بالخَبَرِ[(١)].

١٦٠٤ - **حَدَّثني** يَعْقوبُ بنُ إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن داود، عن الشَّعْبيِّ. قال: قال عُمَر: كُنْت رَجُلاً أغْشَى اليَهودَ في يوم مِدْراسِهِمْ. ثُمَّ ذَكَر نَحْو حَديث رِبْعي[(٢)].

١٦٠٥ - **وحَدَّثنا** بِشْر بن مُعاذ، قال ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة، قال: ذُكِرَ لنا أنَّ عُمَر بن الخَطَّاب انطَلَقَ ذاتَ يوم إلى اليَهود، فَلَمَّا أبْصَروه رَحَّبوا بِهِ، فَقال لهم عُمَر: أما واللَّهِ ما جِئْت لِحُبِّكُم ولا لِلرَّغْبةِ فيكُمْ، ولكِنْ جِئْتُ لأسمَع منكُم. فَسَألَهم وسَألوهُ، فَقالوا: مَنْ صاحِبُ صاحِبِكُم؟ فَقال لهم: جِبْريلُ. فَقالوا: ذاكَ عَدوُّنا من أهلِ السَّماءِ يُطْلِعُ مُحَمَّدًا على سِرِّنا، وإذا جاء جاء بالحَرْبِ والسَّنَةِ، ولكنَّ صاحِبَ صاحِبنا ميكائيلُ، وكان إذا جاء جاء بالخِصْبِ وبالسِّلْمِ. فَقال لهم عُمَر: أفَتَعْرِفونَ جِبْريل وتُنْكِرونَ مُحَمَّدًا؟! فَفارَقَهم عُمَر عند ذلك

(١) [ضعيف] عامر بن شراحيل الشعبي عن عمر مرسل، والسند إليه صحيح.
(٢) [ضعيف] تقدم الإسناد قبله.

وتَوَجَّهَ نَحو رَسول اللَّه ﷺ ليُحدِّثه حَديثَهمْ، فوَجَدَه قد أُنزِلت عليه هذه الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (١).

١٦٠٦- **وحدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا آدَم، قال: ثنا أبو جَعْفَر عن قَتادة، قال: بَلَغَنا أنَّ عُمَر بن الخَطَّاب أقْبَلَ إلى اليَهودِ يومًا. فذَكَر نَحْوه(٢).

١٦٠٧- **حدَّثنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا مَعْمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ قال: قالتِ اليَهودُ: إنَّ جِبْريل هو عَدوُّنا؛ لأنَّه يَنْزِلُ بالشِّدَّةِ والحَرْبِ والسَّنةِ، وإنَّ ميكائيلَ يَنْزِلُ بالرَّخاءِ والعافيةِ والخِصْبِ، فجِبْريلُ عَدوُّنا، فقال اللَّهُ تعالى ذكره: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ (٣).

١٦٠٨- **وحدَّثني** موسَى، قال: ثنا عَمْرو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾. قال: كان لِعُمَر بن الخَطَّاب أرْضٌ بأعْلَى المَدينة، فكان يَأتيها، وكان مَمَرُّه على طَريق مِدْراسِ اليَهودِ، وكان كُلَّما دَخَلَ عليهم فيسمَعَ منهم، وإنَّه دَخَلَ عليهم ذات يوم، فقالوا: يا عُمَرُ ما في أصْحابِ مُحَمَّدٍ أحَدٌ أحَبَّ إلينا منك، إنَّهم يَمُرُّونَ بنا فيُؤذونَنا، وتَمُرُّ بنا فلا تُؤذِينا، وإنَّا لَنَطْمَعُ فيك. فقال لهم عُمَر: أيُّ يَمينٍ فيكُم أعْظَمُ؟ قالوا: الرَّحْمَنُ الذي أنْزَلَ التَّوْراةَ على موسَى بِطُورِ سَيْناءَ. قال لهم عُمَر: فأنْشُدُكُم بالرَّحْمَنِ الذي أنزَلَ التَّوْراة على موسَى بِطُورِ سَيْناءَ، أتَجِدونَ مُحَمَّدًا ﷺ عندَكُم؟ فأسْكِتوا، فقال: تَكلَّموا، ما شَأنُكم؟ فواللَّهِ ما سَألتُكم وأنا شاكٌّ في شَيْءٍ من ديني. فنَظَرَ بعضُهم إلى بعضٍ، فقامَ رَجُلٌ منهم فقال: أخبِروا الرَّجُلَ، لَتُخْبِرُنَّه أو لأُخْبِرَنَّه. قالوا: نَعَمْ، إنَّا لنَجِدُه مَكْتوبًا عندنا ولكنَّ صاحِبه من المَلائِكة الذي يَأتيه بالوَحْي هو جِبْريلُ، وجِبْريلُ عَدوُّنا، وهو صاحِبُ كُلِّ عَذابٍ أو قِتالٍ أو خَسْفٍ، ولو أنَّه كان وليُّه ميكائيلَ إذن لآمَنَّا به، فإنَّ ميكائيلَ صاحِبُ كُلِّ رَحْمةٍ وكُلِّ غَيْثٍ. قال لهم عُمَر: فأنْشُدُكم بالرَّحْمَنِ الذي أنْزَلَ التَّوْراة على موسَى بِطورِ سَيْناءَ، أيْنَ مَكان جِبْريلَ من اللَّهِ؟ قالوا: جِبْريلُ عن يَمينه، وميكائيلُ عن يَساره. قال عُمَر: فأشْهَدُ أنَّ الذي هو عَدوٌّ لِلَّذي عن يَمينه عَدوٌّ لِلَّذي هو عن يَساره، والذي هو عَدوٌّ لِلَّذي هو عن يَساره، عَدوٌّ لِلَّذي هو عن يَمينه، وأنَّه مَنْ كان عَدوَّهُما فإنَّه عَدوٌّ للَّه. ثُمَّ رَجَعَ عُمَر لِيُخْبِر النَّبيَّ ﷺ، فوَجَدَ جِبْريلَ قد سَبَقَه بالوَحْي، فدَعاه النَّبيُّ ﷺ فقرأه عليهِ، فقال عُمَر: والذي بَعَثَك بالحَقِّ، لَقد جِئتُك وما أُريدُ إلاَّ أنْ أُخْبِرَك(٤).

١٦٠٩- **وحدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق بن الحَجَّاج الرَّازيُّ، قال: ثنا أبو زُهَيرٍ

---

(١) [ضعيف] قتادة عن عمر مرسل، والسند إليه حسن.
(٢) [ضعيف] تقدم قبله، ولكنَّ السند لقتادة هنا ضعيف.
(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

عبدُ الرَّحْمَن بن مَغْراء، عن مُجالِدٍ، عن الشَّعْبيّ، قال: انطَلَقَ عُمَر إلى يَهود، فَقال: إني أنْشُدكُم بالذي أنْزَلَ التَّوْراة على موسَى، هَلْ تَجِدونَ مُحَمَّدًا ﷺ في كِتابكُم؟ فقالوا: نَعَمْ. قال: فما يَمْنَعُكُم أنْ تَتَّبِعوه؟ فقالوا: إنَّ اللّه لم يَبْعَث رَسولاً إلاّ كان له من المَلائِكة كِفْلٌ، وإنَّ جِبْريل هو الذي يَتَكَفَّل بمُحَمَّدٍ، وهو عَدوّنا من المَلائِكة، وميكائيلُ سِلْمنا؛ فَلو كان هو الذي يَأتيه اتَّبَعْناه. قال: فَإنّي أنْشُدكُم بالذي أنْزَلَ التَّوْراة على موسَى، ما مَنْزِلَتُهما من رَبِّ العالَمينَ؟ قالوا: جِبْريل عن يَمينه، وميكائيلَ عن جانِبه الآخَر. فَقال: إنّي أشْهَد ما يقولانِ إلاّ بِإذْنِ اللّه، وما كان ميكائيل ليُعادِي سِلْم جِبْريل، وما كان جِبْريل ليُسالِمَ عَدوَّ ميكائيل. إذْ مَرَّ نَبيُّ اللّه ﷺ، فَقالوا: هذا صاحِبك يا بنَ الخَطّاب. فَقامَ إليه، فَأتاه وقد أُنْزِلَ عليه: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ (١).

١٦١٠- **وحدّثني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا حُصَيْن بن عبد الرَّحْمَن، عن ابن أبي لَيْلَى في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾. قال: قالتِ اليَهود لِلْمُسْلِمينَ: لو أنَّ ميكائيلَ كان الذي يَنْزِلُ عليكُم لَتَبِعْناكُمْ، فَإنّه يَنْزِلُ بالرَّحْمةِ والغَيْث، وإنَّ جِبْريل يَنْزِلُ بالعَذابِ والنِّقْمَةِ، وهو لنا عَدوٌّ. قال: فَنَزَلَتْ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ (٢).

١٦١١- **وحدّثني** يَعْقوب، قال: ثنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا عبد المَلِك، عن عَطاءٍ بِنَحْوٍ من ذلك (٣).

وَأمّا تأويلُ الآية، أعني قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. فهو أنَّ اللّه تعالى ذكره يقول لِنَبيِّه محمد ﷺ: قُلْ يا مُحَمَّد لِمَعاشِر اليَهود من بَني إسرائيل الذينَ زَعَموا أنَّ جِبْريل لهم عَدوٌّ، من أجْل أنّه صاحِب عَذاب وسَطَوات وعُقوبات، لا صاحِبُ وحْيٍ وتَنْزيل ورَحْمة، فَأبَوْا اتِّباعك وجَحَدوا نُبوَّتك، وأنْكَروا ما جِئْتهم به من آياتي وبَيِّنات حُكْمي، من أجْل أنَّ جِبْريل وليُّك، وصاحِب وحْيِي إليك، وزَعَموا أنّه عَدوّ لهم -: مَنْ يكُنْ من النّاس لِجِبْريل عَدوًّا، ومُنْكِرًا أنْ يكون صاحِب وَحْي اللّه إلى أنْبيائِه، وصاحِب رَحْمَته، فَإنّي له وليٌّ وخَليلٌ، ومُقِرٌّ بِأنّه صاحِبُ وحْي الله إلى أنْبيائِه ورُسُله، وأنّه هو الذي يُنَزِّلُ وحْيَ اللّهِ على قَلْبي من عند رَبّي، بِإذْنٍ من رَبّي له بذلك، فيَرْبِطُ به على قَلْبي ويَشْدُدُ به فُؤادِي، كَما:

---

(١) [ضعيف] الشعبي عن عمر مرسل، ومجالد ضعيف، وشيخ المصنف مجهول الحال.

(٢) [صحيح] حصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي ابن عم منصور بن المعتمر الثقة المأمون من كبار أصحاب الحديث. وبقية رجاله تقدموا.

(٣) [حسن] عبد الملك بن أبي سليمان واسمه: ميسرة العرزمي، صدوق، قال الخطيب: أساء شعبة في اختياره حيث حدث عن محمد بن عبيد الله العرزمي وترَكَ التحديث عن عبد الملك بن أبي سليمان؛ لأن محمد بن عبيد الله لم يختلف الأئمة من أهل الأثر في ذهاب حديثه وسقوط روايته، وأما عبد الملك فثناؤهم عليه مستفيض، وحسن ذكرهم له مشهور. اهـ قلت: وقد أنكروا عليه رفعه أحاديث عن عطاء، وهذا ليس منها.

١٦١٢- **حدثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشْر بن عِمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ قال: وذلك أنَّ اليَهود قالتْ حين سَألَتْ مُحَمَّدًا ﷺ عن أشياء كثيرةٍ، فأخْبَرَهم بها على ما هي عندَهم -: إلاَّ جِبْريلَ، فإنّ جِبْريل كان عندَ اليَهود صاحِب عَذاب وسَطْوة، ولم يكُنْ عندهم صاحِب وَحْي - يَعْني: تَنْزيل من اللَّه على رُسُله - ولا صاحِب رَحْمة. فأخْبَرَهم رَسول اللَّه ﷺ فيما سَألوه عنه؛ أنَّ جِبْريلَ صاحِب وحْي اللَّه، وصاحِب نِقَمِه، وصاحِبُ رَحْمَته، فَقالوا: لَيْسَ بِصاحِبِ وحْي ولا رَحْمة، وهو لنا عَدوٌّ. فَأنْزَلَ اللَّه تعالى ذكره إكْذابًا لهم: ﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّد ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾. يقولُ: فَإنَّ جِبْريل ﴿نَزَّلَهُۥ﴾. يقول: نَزَّلَ القُرْآن من عندي ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. يقول: على قلبك يا محمد: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. يقول بأمْرِ اللَّه. يقول: يَشدُدُ به فُؤادَك، ويَرْبِط به على قَلْبك - يَعْني بِوَحْيِنا الذي نَزَلَ به جِبْريل عليك من عند اللَّه - وكذلك يَفْعَلُ بالمُرْسَلينَ والأنْبياء من قَبْلك(١).

١٦١٣- **وحدثنا** بِشْر بن مُعاذ قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. يقول: أَنْزَلَ الكِتاب على قَلْبك بإذْنِ اللَّه(٢).

١٦١٤- **وحُدِّثت** عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يقول: نَزَّلَ الكِتابَ على قَلْبك جِبْريل(٣).

وإنّما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. وهو يَعْني بذلك قَلْب مُحَمَّد ﷺ، وقد أمَرَ مُحَمَّدًا ﷺ في أوَّل الآية أنْ يُخبِر اليَهود بذلك عن نَفْسه، ولم يَقُلْ: فَإنّه نَزَّلَه على قَلْبي. ولو قِيلَ: على قَلْبي. كان صَوابًا من الكلام؛ لأنَّ من شَأن العرب إذا أمَرَتْ رَجُلاً أنْ يَحْكي ما قِيلَ له عن نَفْسه، أنْ تُخرِجَ فِعْل المَأمور مَرّة مُضافًا إلى كِنايته، كهَيْئةِ المُخْبِر عن نَفْسه، إذْ كان هو المُخْبِر عن نَفْسه، ومَرَّةً مُضافًا إلى اسمه، كَهَيْئةِ كِناية اسم المُخاطَب؛ لأنَّه به مُخاطَب؛ فَتقول في نَظير ذلك: قُلْ لِلْقَوْم: إنَّ الخَيْر عندي كَثير. فَتُخْرِجُ كِنايةَ اسم المأمور كهيئةِ اسم المخبرِ عن نفسِه؛ لأنَّه المَأمور أنْ يُخبِر بذلك عن نَفْسه. وقُلْ لِلْقَوْم: إنَّ الخَيْر عندكَ كَثير. فَتُخرِجُ كِناية اسمه أُخرى كَهَيْئةِ كِناية اسم المُخاطَب؛ لأنَّه وإنْ كان مَأمورًا بِقِيلِ ذلك، فهو مُخاطَب مَأمور بِحِكايةِ ما قِيلَ له، وكذلك: لا تَقُلْ لِلْقَوْم: إنِّي قائِم. ولا تَقُلْ لهم إنَّك قائِم، والياءُ من (إني) اسمُ المَأمور بقول ذلك على ما وصَفْنا. ومن ذلك قولُ اللَّه عَزَّ وجَلّ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ و (سَيُغْلَبُونَ) [آل عمران: ١٢] بالياءِ والتَّاء مثل الذى وصفنا سواء.

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [ضعيف] من معلقات المصنف.

وَأمَّا جِبْرِيل، فَإِنّ لِلعَرَبِ فيه لُغات:

فَأمَّا أهلُ الحِجاز فَإنّهم يقولونَ: جِبْريل وميكال. بِغَيْرِ هَمْز، بِكَسْرِ الجيم والرَّاء من جِبْريل، وبالتَّخْفيفِ. وعلى القِراءة بذلك عامّة قَرَأةِ أهلِ المَدينة والبصْرة.

أمَّا تَميمٌ وقَيْسٌ وبعضُ نَجْد فإنهم يقولون: جَبرَئيلُ وميكائيلُ، على مِثال: جَبْرَعيل وميكاعيل. بِفَتْحِ الجيم والرَّاء، وبِهَمْزٍ، وزيادة ياءٍ بعد الهَمْزة.

وَعلى القِراءة بذلك عامّة قَرأةِ أهل الكوفة، كما قال جَرير بنُ عَطيّة:

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وكذَّبوا بِمُحَمَّدٍ ... وَبِجَبْرَئِيلَ وكَذَّبُوا مِيكالاَ[1]

وَقد ذُكِرَ عن الحسن البصْريّ وعبد الله بن كَثير أنَّهُما كانا يَقْرَأانِ: (جَبْريل). بِفَتْحِ الجيم وتَرْك الهَمْز.

وهيَ قِراءةٌ غَيْر جائزة القِراءة بها، لأنَّ (فَعْلِيل) في كَلام العرب غَيْر موجود. وقد أجاز ذلك بعضهم، وزَعَمَ أنّه اسمٌ أعْجَميٌّ، كما يُقال: سَمْوِيلُ، وأنْشَدَ في ذلك:

بِحَيْثُ لو وُزِنَتْ لَخْمٌ بِأجْمَعِها ... ما وازَنَتْ ريشةً من رِيشِ سَمْوِيلا[2]

وَأمَّا بَنو أسَدٍ فإنّها تَقول: جِبرينُ. بالنّونِ.

وَقد حُكيَ عن بعض العرب أنَّها تَزيد في جِبْريل ألِفًا فتقول: جِبْرائيل وميكائيلَ.

وَقد حُكيَ عن يَحْيَى بن يَعْمَر أنّه كان يَقْرَأ (جَبرَئِلٌّ) بِفَتْحِ الجيم، والهَمْز، وتَرْك المَدِّ، وتَشْديد اللاَّم.

فَأمَّا (جَبْر) و(ميك)، فَإنّهما هُما الاسمانِ اللَّذانِ أحَدهما بِمعنى (عَبْدٍ)، والآخَر بِمعنى (عُبَيدٍ). وأمَّا (إيل) فهو الله تعالى ذِكْره، كَما:

١٦١٥- **حَدَّثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا جَابر بن نوح الحِمَّاني، عن الأعْمَش، عن المنهال، عن

---

(١) [الكامل] القائل: جرير (أموي). المعنى: الشاعر هنا يهجو الأخطل وقد كان نصرانيا؛ فيعيره بكفره وجهل قومه و(واو الجماعة) في قوله (عبدوا) عائدة إلى (تغلب) قبيلة الأخطل؛ فيقول له: لقد ضَلَّ قومك بتكذيبهم لمحمد ﷺ وتكذيبهم جبريل وميكائيل - عليهما السلام -، ودانوا بالنصرانية من دون دين الحق.

(٢) [البسيط] القائل: الربيع بن زياد (جاهلي). اللغة: لخم: رهط آل المنذر ملوك الحيرة. سمويلا: طائر من الطيور، وقيل بلدة كثيرة الطير. المعنى: يقول الشاعر مخاطبا (النعمان بن المنذر) بعدما تركه وأرسل إليه تلك الأبيات:

لَئِن رَحَلت جملي إنَّ لي سَعَةً ... ما مِثلُها سَعَةٌ عَرضًا وَلا طولا
بِحَيثُ لَو وُزِنَت لَخمٌ بِأَجمَعِها ... لَم يَعدِلوا ريشَةً مِن ريشِ شَمويلا
تَرعى الرَوائِمُ أحرار البُقولِ بِها ... لا مِثلَ رَعيِكُمُ مِلحًا وَغَسويلا
فَابرُق بِأَرضِكَ يا نُعمانُ مُتَّكِئًا ... مَعَ النَطاسِيِّ يَومًا وَابنِ تَوفيلا

المعنى: ويقول في الشاهد الذي بين أيدينا: لو أنني وزنت قبيلة لخم بأكملها لم يوازوا ريشة من ريش الطائر وذلك دلالة على نقصهم وكأن الشاعر أراد التقليل من شأنهم فأعرب عن ذلك بقوله أنهم برمتهم لا يعدلوا ريش طائر.

سَعيد بن جُبَيْر، قال: قال ابن عَبَّاس: جِبْريل وميكائيلَ كَقولِك: عبد اللَّه[(١)] .

١٦١٦- وحدَّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا يَحْيَى بن واضِح، قال: ثنا الحُسَيْن بن واقِد، عن يَزيد النَّحْويّ، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: جِبْريل: عبد اللَّه، وميكائيلَ: عُبَيْدُ اللَّه، وكُلُّ اسم (إيل) فهو اللَّه[(٢)] .

١٦١٧- وحدَّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا جَرير، عن الأعْمَش، عن إسماعيل بن رَجاء، عن عُمَيْر مولَى ابن عَبَّاس، عن ابن عَبَّاس: أنَّ إسرائيل وميكائيلَ وجِبْريل وإسرافيل، كَقولِك: عبد اللَّه[(٣)] .

١٦١٨- وحدَّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا جَرير، عن الأعْمَش، عن المنهال بن عَمْرو، عن عبد اللَّه بن الحارِث، قال: (إيل) اللَّه بالعبرانية[(٤)] .

١٦١٩- وحدَّثنا الحُسَيْن بن يَزيد الطَّحَّان، قال: ثنا إسحاق بن مَنْصور، قال: ثنا قَيْس، عن عاصِم، عن عِكْرِمة، قال: جِبْريل اسمه عبد اللَّه، وميكائيلَ اسمه عُبَيْد اللَّه، (إيل): اللَّه[(٥)] .

١٦٢٠- وحدَّثني الحُسَيْن بن عَمْرو بن مُحَمَّد العَنْقَزِيُّ، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: ثنا سُفْيان، عن مُحَمَّد بن عَمْرو بن علقمة، عن محمد بن عمرو بن عَطاء، عن عَليِّ بن حُسَيْن، قال: اسم جِبْريل عبد اللَّه، واسم ميكائيل عُبَيْد اللَّه، واسم إسرافيل عبدُ الرَّحْمَن، وكُلُّ مُعَبَّدٍ بـ(إيل) فهو عبد اللَّه[(٦)] .

١٦٢١- حدَّثنا المُثَنَّى، قال: ثنا قَبيصة بن عُقْبة، قال: ثنا سُفْيان، عن مُحَمَّد المَدَنيّ - قال المُثَنَّى، قال قَبيصة: أُراه مُحَمَّد بن إسحاق - عن مُحَمَّد بن عَمْرو بن عَطاء، عن عَليِّ بن حُسَيْن، قال: ما تَعُدُّونَ جِبْريل في أسمائِكُم؟ قال: جِبْريل عبد اللَّه، وميكائيلَ عُبَيْد اللَّه، وكلُّ اسم فيه (إيل) فهو مُعَبَّد لِلَّهِ[(٧)] .

١٦٢٢- وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ، قال: حدَّثنا أبو أحمدَ، قال: حدَّثنا سفيانُ، عن محمدِ بنِ عمرِو بن عطاءٍ، عن عليِّ بنِ حسينٍ، قال: اسمُ جبريلَ عبدُ الله، وميكائيلَ عبيدُ اللهِ، وكلُّ اسمِ فيه (إيلُ) فهو مُعَبَّدٌ للهِ[(٨)] .

---

(١) [صحيح] جابر بن نوح بن جابر ويقال: ابن المختار الحماني أبو بشير الكوفي إمام مسجد بني حمان، ضعيف. ولكن تابعه ابو معاوية الضريرة كما عند ابن ابي حاتم في التفسير، والبيهقي في الشعب.

(٢) [ضعيف] لا أعلم فيه علية إلا شيخ المصنف.

(٣) [صحيح] تقدم قبله بواحد، وهذا سند ضعيف من أجل شيخ المصنف.

(٤) [ضعيف] فيه شيخ المصنف، تقدم ضعفه.

(٥) [ضعيف] الحسين بن يزيد بن يحيى الطحان الأنصاري أبو علي، لين الحديث.

(٦) [حسن] كما سيأتي بعد واحد.

(٧) [ضعيف] ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٨) [حسن] من أجل الأهوازي، وبقية رجاله ثقات.

١٦٢٣- حدّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن عَمْرو بن عَطاء، عن عَليّ بن حُسَيْن، قال: قال لي: هَلْ تَدْري ما اسم جِبْريل من أسمائِكُم؟ قال: قُلْت: لا، قال: عبد اللَّه، فَهَلْ تَدْري ما اسم ميكائيل من أسمائِكُم؟ قالت: لا، قال: عُبَيْد اللَّه. قال: وقد سَمَّى لي إسرافيل باسمِ نَحْو ذلك فَنَسيتُه، إلاَّ أنَّه قد قال لي: أرَأيْت كُلَّ اسم يَرْجِع إلى (إيل)، فهو مُعَبَّد بهِ(١).

١٦٢٤- حدّثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سُفْيان، عن خُصيف، عن عِكْرِمة في قوله: ﴿جِبْرِيلَ﴾. قال: (جَبْر): عبد، (إيل): اللَّهُ، و(ميكا) قال: عبد، (إيل): اللَّه(٢).

فَهذا تأويل مَنْ قَرَأ: (جَبْرائيلَ). بالفَتْحِ والهَمْز، والمَدّ، وهو إنْ شاءَ اللَّه معنى مَنْ قَرَأ بالكَسْرِ، وتَرْك الهَمْز.

وَأمَّا تأويلُ مَنْ قَرَأ ذلك بالهَمْزِ وتَرْكِ المُدِّ وتَشْديد اللاَّم، فَإنّه قَصَدَ بقراءَتِه ذلك كذلك، إلى إضافة (جَبْر) و(ميكا) إلى اسم اللَّه الذي يُسَمَّى بَهْ بِلِسانِ العرب، دون السُّرْيانيِّ والعِبْرانيِّ؛ وذلك أنَّ (الإلّ) بِلِسانِ العرب: اللَّه كما قال الله تعالى ذكره: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠].

فَقال جَماعة من أهل العِلْم: (الإلّ) هو اللَّه. ومنه قول أبي بَكْر الصِّدّيق رَضيَ اللَّه عنه لِوَفْدِ بَني حَنيفة، حَيْن سَألَهم عَمَّا كان مُسَيْلِمة يقولُه، فَأخْبَروهُ - فَقال لهم: ويْحكُم! أيْنَ ذُهِبَ بِكُم؟ فواللَّه، إنَّ هذا الكَلام ما خَرَجَ من إلٍّ ولا برٍّ. يَعْني بقوله: من إلٍّ: من اللَّه. وَقد:

١٦٢٥- حدّثني يَعْقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيّة، عن سُلَيْمان التَّيْميّ، عن أبي مِجْلَز في قوله: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠] قال: قوله: (جِبْريل) (ميكائيلَ) (إسرافيل)، كَأنّه يقول حين يُضيف (جَبْر) و(ميكا) و(إسرا) إلى (إيل) يقول: عبد اللَّه، فقال: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا﴾ [التوبة: ١٠] كَأنّه يقول: لا يَرْقُبونَ اللَّه عَزَّ وجَلّ(٣).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بِقولِه: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: القُرْآنَ. ونصب ﴿مُصَدِّقًا﴾ على القَطْع من (الهاء) التي في قوله: ﴿نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فمعنى الكَلام: فَإنَّ جِبْريل نَزَّلَ القُرْآن على قَلْبك يا مُحَمَّد، مُصَدِّقًا لِما بين يَدَي القُرْآن.

يَعْني بذلك: مُصَدِّقًا لِما سَلَف من كُتُب اللَّه أمامه، ونَزَلَ على رُسُله الذينَ كانوا قَبْل مُحَمَّد ﷺ وتَصْديقه إيَّاها موافَقة مَعانيه مَعانيها في الأمْر باتِّباعِ مُحَمَّد ﷺ، وما جاء به من

---

(١) [ضعيف] محمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ. وسفيان بن وكيع ضعيف.

(٣) [صحيح] على شرطهما.

عند اللَّه، وفي تصديقِه. كما:

١٦٢٦- **حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا عُثمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشر بن عِمارة، عن أبي رَوْق عن الضَّحاك، عن ابن عبَّاس. ﴿مُصَدِّقًا﴾ يقول: مصدِّقًا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾. يقول: لِما قَبْله من الكُتُب التي أنزَلَها اللَّهُ والآياتِ، والرُّسُل الذينَ بَعَثَهم اللَّه بالآياتِ، نَحْو موسَى ونوح وهود وَشُعَيب وصالِح وأشباهِهم من المرسلين[١].

١٦٢٧- **وحدثنا** بِشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من التوراة والإنجيل[٢].

١٦٢٨- **وحُدثت** عن عَمَّار بن الحسن قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن الرَّبيع، مِثله[٣].

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾

يَعْني بِقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَهُدًى﴾: ودَليلٌ وبُرْهانٌ، وَإنَّما سَمَّاه اللَّه جَلَّ ثَناؤه (هُدًى) لاهْتِداءِ المُؤمِن بهِ، واهْتِداؤُه به اتِّخاذُه إيَّاه هاديًا يَتْبَعُه، وقائِدًا يُقْتادُ لأمْرِه ونَهْيه، وحَلاله وحَرامه. والهادي من كُلِّ شَيْءٍ ما تَقَدَّمَ أمامه.

ومن ذلك قِيلَ لأوائِل الخَيْل: هَوادِيها. وهو ما تَقَدَّمَ أمامها، ولذلك قِيلَ لِلْعُنُقِ: الهادي. لِتَقَدُّمِها أمام سائِرِ الجَسَد.

وَأمَّا البُشْرَى، فَإنَّها البِشارة. أخْبَرَ اللَّهُ عِبادَه المُؤمِنينَ أنَّ القُرْآنَ لهم بُشْرَى منهُ؛ لأنَّه أعْلَمهم فيه ما أعَدَّ لهم من الكَرامة عنده في جِنَانِه، وما هم إليه صائِرونَ في مَعادهم من ثَوابه، وَذلك هو البُشْرَى التي بَشَّرَ اللَّهُ بها المُؤمِنينَ في كِتابه؛ لأنَّ البِشارَةَ في كَلام العرب هي إعْلامُ الرَّجُلِ الرَّجُلَ ما لم يكُنْ به عالِمًا مِمَّا يُسَرُّ به من الخَيْر، قَبْل أنْ يَسْمَعه من غَيْره، أو يَعْلَمه من قِبَلِ غَيْره. وَقد رويَ عن قَتادة في ذلك قولٌ قَريبُ المعنى مِمَّا قُلْناه.

١٦٢٩- **حدثنا** بِشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: جعل اللهُ هذا القرآنَ هُدًى وبُشْرَى للمؤمنين؛ لأنَّ المُؤمِنَ إذا سَمِعَ القُرْآن حَفِظَه ووَعاه، وانتَفَعَ به، واطْمَأنَّ إليه، وصَدَّقَ بِموعودِ اللَّه الذي وعَدَ فيهِ، وكان على يَقين من ذلك[٤].

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [ضعيف] من معلقات المصنف.

(٤) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه:

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾

وَهذا خَبَرٌ من اللَّه جَلَّ ثَنَاؤه عنْ عداوتِه مَن عاداه وعادَى جَميع مَلائِكَته ورُسُله، وإعْلامٌ منه أنَّ مَنْ عادَى جِبْريل فقد عاداه وعادَى ميكائيل، وعادَى جَميع مَلائِكَته ورُسُله؛ لأنَّ الذينَ سَمَّاهم اللَّه في هذه الآية هم أولياء اللَّه وأهل طاعَته، ومَنْ عادَى لِلَّه وليًّا فقد عادَى اللَّه وبارَزَه بالمُحارَبةِ، ومَنْ عادَى اللَّه فقد عادَى جَميع أهل طاعَته ووِلايَته؛ لأنَّ العَدوَّ لِلَّه عَدوٌ أوليائِهِ، والعَدوَّ لأوليائه عَدوٌّ له.

فَلذلك قال الله تعالى ذكره لِلْيَهودِ الذينَ قالوا: إنَّ جِبْريل عَدوّنا من المَلائِكة، وميكائيلَ ولِيُّنا منهم: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ من أجل أنَّ عَدوّ جِبْريل عَدوٌّ كُلّ وليٍّ لِلَّه.

فَأَخْبَرَهم جَلَّ ثَنَاؤه أنَّ مَنْ كان عَدوًّا لِجِبْريل، فهو لِكُلِّ مَنْ ذَكره؛ من مَلائِكَته ورُسُله وميكائيل، عَدوٌّ، وكذلك عَدوٌّ بعض رُسُل اللَّه عَدوٌّ لِلَّه ولِكُلِّ وليٍّ لله. وَقد:

١٦٣٠- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا يَحْيَى بن واضِح، قال: ثنا عُبَيْد اللَّه - يَعْني العَتَكيّ - عن رَجُل من قُرَيْش، قال: سَألَ النَّبيّ ﷺ اليَهود فَقال: «**أسألكُم بِكِتابِكُم الذي تَقْرءونَ، هَلْ تَجِدُوني قد بَشَّرَ بي عيسَى أنْ يَأتيكُم رَسول اسمه أحمَد؟**» فَقالوا: اللَّهُمَّ نعم، وجَدْناك في كِتابنا، ولَكِنَّا كَرِهْناك لأنّك تَسْتَحِلّ الأموال وتُهَرِيقُ الدِّماء. فَأنْزَلَ اللَّه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ الآية[(١)].

١٦٣١- **وحُدِّثت** عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيهِ، عن حُصَيْن بن عبد الرَّحْمَن، عن عبد الرَّحْمَن بن أبي لَيْلَى، قال: إنَّ يَهوديًّا لَقيَ عُمَر فَقال له: إنَّ جِبْريل الذي يَذْكُره صاحِبك هو عَدوٌّ لَنا. فَقال له عُمَر: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: فَنَزَلَتْ على لِسان عُمَر[(٢)].

وَهذا الخَبَر يَدُلّ على أنَّ اللَّه تعالى ذكره أنْزَلَ هذه الآية تَوْبيخًا لِلْيَهودِ في كُفْرهم

---

(١) [ضعيف] عبيد الله بن عبد الله أبو المنيب العتكي المروزي السنجي، ضعيف يكتب حديثه ويعتبر به، وهو من الذين عاصروا صغار التابعين، وشيخ مبهم حتى ون كان من الصحابة، فعبيد الله لم يدركهم، وكذلك شيخ المصنف ضعيف.

(٢) [ضعيف] عبد الرحمن بن أبي ليلى أحد كبار التابعين قال بن المديني لم يثبت عندنا من جهة صحيحة أن بن أبي ليلى سمع من عمر وكان شعبة ينكر أنه سمع من عمر رضي الله عنه وقال بن معين لم ير عمر رضي الله عنه وروى شعبة عن الحكم عن أبي ليلى قال ولدت لست بقين من خلافة عمر وقال بن معين لم ير عمر رضي الله عنه فقيل له الحديث الذي يروى كنا مع عمر نتراءى الهلال وقوله سمعت عمر يقول صلاة الجمعة ركعتان الحديث فقال ليس بشيء أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن. وانظر جامع التحصيل [٤٥٢]، و عمار بن الحسن بن بشير، ثقة.

بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وإخبارًا منه لهم أنَّ مَنْ كان لِمُحَمَّدٍ ﷺ عدوًّا فاللَّه له عَدوٌّ، وأنَّ عَدوّ مُحَمَّد ﷺ من النَّاس كُلِّهم لَمن الكافِرينَ باللَّه الجاحِدينَ آياته.

فَإِنْ قال قائِل: أوَلَيْسَ جِبْريل وميكائيل من المَلائِكة؟ قِيلَ: بَلَى، فَإِنْ قال: فَما معنى تَكْرير ذِكْرهما بِأسمائِهما، وقد مَضَى ذِكْرهما في الآية في جُمْلة أسماء المَلائِكة؟ قِيلَ: معنى إفراد ذِكْرهما بِأسمائِهما أنَّ اليَهود لَمَّا قالتْ: جِبْريل عَدوّنا وميكائيل ولِيّنا، وزَعَمَتْ أنَّها تكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ من أجْل أنَّ جِبْريل صاحِب مُحَمَّد ﷺ، أعْلَمهم اللَّه أنَّ مَنْ كان لِجِبْريل عَدوًّا، فَإنَّ اللَّه له عَدوّ، وأنّه من الكافِرينَ. فَنَصَّ عليه باسمِهِ، وعلى ميكائيل باسمِهِ؛ لِئَلَّا يقول منهم قائِل: إنَّما قال اللَّه: مَنْ كان عَدوًّا لِلَّه ومَلائِكَته ورُسُله. ولَسْنا لِلَّه ولا لِمَلائِكَتِه ورُسُله بأعْداء؛ لأنَّ المَلائِكة اسم عامّ يحْتَمِل خاصًّا، وجِبْريل وميكائيل غَيْر داخِلَيْنِ فيه، وكذلك قوله: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ فلَسْت يا مُحَمَّد بداخِلٍ فيهم. فَنَصَّ اللَّهُ تعالى ذكره على أسماء مَنْ زَعَموا أنَّهم أعْداؤه بِأعْيانِهم لِيَقْطَع بذلك تَلْبيسهم على أهل الضَّعْف منهم، ويَحْسِم تَمْويههم أُمورهم على المُنافِقينَ.

وَأمَّا إظْهار اسم اللَّه في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ وتَكْريره فيه - وَقد ابْتَدَأ أوَّلَ الخَبَر بِذِكْرِه فَقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ﴾ - فإرادةُ نفي الشكِّ عن سامع ذلك أن الذى هو عدُوٌّ مَنْ عادى جبريل أو ملائكته أو رسلَه، اللهُ جلَّ ثناؤه، ولئلا يَلْتَبِس - لو ظَهَرَ ذلك بِكِنايَةٍ، فَقِيلَ: فَإنّه عَدوٌّ لِلْكافِرينَ - على سامِعه - مَنِ المَعْنِيُّ بالهاءِ التي في قوله: فَإنّه. آللَّهُ، أم أم جِبْريل، أم ميكائيل؟ إذْ لو جاء ذلك بِكِنايَةٍ على ما وصَفْنا - فَإنّه - لالْتَبس معنى ذلك على مَنْ لم يُوقَّف على المَعْنِيِّ بذلك؛ لاِحْتِمالِ الكَلام ما وصَفْت؟

وقد كان بعض أهل العربيَّة يوَجِّه ذلك إلى نَحْو قول الشَّاعِر:

لَيْتَ الغُراب غَداة يَنْعَب دائِبًا ... كانَ الغُراب مُقَطَّعَ الأوداجِ[1]

وَأنّه إظْهار الاسم الذي حَظّه الكِنايَة عنه.

---

(١) [الكامل] القائل: جرير (أموي). ينعب: نَعَبَ الغرابُ وغيره يَنْعَب ويَنْعِبُ نَعْبًا ونَعِيبًا ونُعابًا وتَنْعابًا ونَعَبانًا صاحَ وصَوَّتَ وهو صَوْتُه، وقيل مَدَّ عُنقَه وحَرَّك رأسَه في صياحه، وذكر بعض أهل المعاني أن نعيب الغراب يتطير منه ونغيقه يتفاءل به. مقطع: صيغة مبالغة من الفعل (قطع) القَطْعُ إبانةُ بعض أجزاء الجِرْمِ من بعضٍ فَصْلاً قَطَعَه يَقْطَعُه قَطْعًا قَطِيعةً وقُطوعًا. الأوداج: مفردها (ودج) وهو عرق الأخدع الذي يقطعه الذابحُ فلا يبقى معه حياة. وهنا قد ضجر الشاعر من صوت الغراب الذي راح يصرخ إلى أن فراق الشاعرِ أحبابه فيقول:

إنَّ الغُرابَ بِما كَرِهتَ لَمولَعٌ ... بِنَوى الأحِبَّةِ دائِمُ التَشحاجِ
لَيتَ الغُرابَ غَداةَ يَنعَبُ بِالنَوى ... كانَ الغُرابُ مُقَطَّعَ الأوداجِ

(التشحاج: وهو صوت الغراب إذا أسنَّ)

المعنى: يقول الشاعر: إن هذا الغراب دائم الفرحة بفراق الأحباب لأنه كلما صرخ فارق الأحبة بعضهم، فيتمنى الشاعر لو أن هذا الغراب عندما يهم بإخراج صوته الذي يفرق الأحبة، يلقى حتفه فتقطع أوداجه ويموت. وهذا البيت من الطيرة التي ذمها الإسلام، وقد ورد عن النبي ﷺ: «الطيرة شرك».

والأمر في ذلك بخِلافِ ما قال؛ وذلك أنَّ الغُراب الثّاني لو كان مَكْنيًّا عنه لَما التَبَسَ على أحَد يَعْقِل كَلام العرب أنَّه كِناية اسم الغُراب الأوَّل؛ إذ كان لا شَيْء قَبْله يَحْتَمِل الكَلام أنْ يوَجَّه إليه غَيْر كِناية اسم الغُراب الأوَّل؛ وأنَّ قَبْل قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾. أسماءً لو جاء اسمُ اللَّه تعالى ذِكْره مَكْنيًّا عنه، لم يُعْلَم مَنِ المَقْصود إليه بِكِنايةِ الاسم إلاَّ بِتَوْقيفٍ من حُجّة، فَلِذلك اختَلَفَ أمْراهما.

القول في تأويل قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾

يَعْني جَلَّ ثَنَاؤه بِقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: أنْزَلْنا إليك يا مُحَمَّد عَلامات واضِحات دالأَت على نُبوَّتك، وتِلْكَ الآيات هي ما حَواه كِتابُ اللَّهِ الذي أنْزَلَه إلى مُحَمَّد ﷺ من خَفايا عُلوم اليَهود، ومَكْنونِ سَرائِر أخْبارهم وأخْبار أوائِلهم من بَني إسرائيل، والنَّبأ عَمَّا تَضَمَّنَته كُتُبهم التي لم يكُنْ يَعْلَمها إلاَّ أحبارهم وعُلَماؤهم، وما حَرَّفَه أوائِلهم وأواخِرهم وبَدَّلوه من أحكامهمْ التي كانتْ في التَّوْراة، فَأطلَعَ اللَّه تعالى ذكره في كِتابه الذي أنْزَلَه على نَبيّه مُحَمَّد ﷺ، فَكان في ذلك من أمْره الآيات البيِّنات لِمَنْ أنْصَفَ نَفْسه، ولم يَدْعُه إلى إهْلاكها الحَسَد والبغْي؛ إذْ كان في فِطْرة كُلِّ ذي فِطْرة صَحيحة تَصْديق مَنْ أتَى بِمِثْلِ الذي أتَى به مُحَمَّد ﷺ من الآيات البيِّنات التي وَصَفْتُ، من غَيْر تَعَلُّمٍ تَعَلَّمَه من بشريٍّ، ولا أَخِذَ شَيْء منه عن آدميّ.

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في ذلك رُوِيَ الخَبَر عن ابن عَبَّاس.

١٦٢٢ - حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، قال: ثنا بِشْر بن عِمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾. يقول: فَأنت تَتْلوه عليهم وتُخْبِرهم به غُدْوةً وعَشيَّةً وبين ذلك، وأنت عندهم أُمِّيٌّ لم تَقْرأ كِتابًا، وأنت تُخْبِرهم بِما في أيْديهم على وجهه، يقول اللَّه: فَفي ذلك لهم عِبْرةٌ وبَيانٌ، وعليهم حُجّةٌ لو كانوا يَعْلَمونَ (١).

١٦٢٣ - وحدثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة مولَى ابن عَبَّاس، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: قال ابن صُوريَا الفِطْيَوْني لِرَسولِ اللَّه ﷺ: يا مُحَمَّد، ما جِئْتَنا بِشَيْءٍ نَعْرِفهُ، وما أنْزَلَ اللَّهُ عليك من آيةٍ بَيِّنةٍ فَنَتَّبِعَك لها، فَأنْزَلَ اللَّهُ في ذلك من قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (٢).

---

(١) [ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٢) [ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

١٦٣٤- حدثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا يونُس بن بُكَيْر، قال: ثنا مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، قال: حَدَّثَني سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس قال: قال ابن صُورِيَا لِرَسولِ اللَّه ﷺ. فذَكَر مِثْله[1].

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٩٩﴾

يَعْني بِقولِه جَلّ ثَنَاؤه: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ﴾: وما يجْحَد بها.

وَقد دَلَّلْنا فيما مَضَى من كِتابنا هذا على أنَّ معنى الكُفرِ: الجُحودُ، بِما أغْنَى عن إعادَته هاهُنا، وَكذلك بَيَّنَّا معنى الفِسْقِ، وأنه الخُروج من الشَّيْء إلى غَيْره.

فتأويل الآية: ولَقد أنْزَلْنا إليك - فيما أوحَيْنا إليك من الكِتاب - عَلاماتٍ واضِحاتٍ، تُبَيِّن لِعُلَماء بَني إسرائيل وأحبارهم الجاحِدينَ نُبوَّتك والمُكَذِّبينَ رِسالَتك، أنَّك لي إليهم رسولٌ مُرْسلٌ، ونَبيٌّ مَبْعوثٌ، وما يجْحَد تَلِك الآيات الدَّالأت على صِدْقك ونُبوَّتك، التي أنْزَلْتها إليك في كِتابي فَيُكَذِّب بها منهم، إلاَّ الخارِجُ منهم من دينه، التَّارِك منهم فَرائِضي عليه في الكِتاب الذي يَدينُ بِتَصْديقِه، فَأمَّا المُتَمَسِّك منهم بِدينِه والمُتَّبِع منهم حُكْم كِتابه، فإنه بالذي أنْزَلْت إليك من آياتي مُصَدِّق. وَهم الذينَ كانوا آمَنوا باللَّه وصَدَّقوا رَسوله مُحَمَّدًا ﷺ من يَهود بَني إسرائيل.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه:
﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٠﴾

اختَلَفَ أهل العربيَّة في حُكْم (الواو) التي في قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ﴾؛ فقال بعض نَحْويّي البصْريّينَ هي واو تُجْعَلُ مع حُروف الاستِفْهام، وهيَ مِثْل الفاء في قوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ [البقرة: ٨٧]. قال: وهُما زائِدَتانِ في هذا الوَجْه، وهيَ مِثْل الفاء التي في قوله: أفاللَّه لَتَصْنَعَنَّ كذا وكذا. وَكقولِك لِلرَّجُلِ: أفلا تَقومُ؟ قال: وإنْ شِئْت جَعَلْت الواو والفاء هَاهُنَا حَرْفَ عَطْف.

وَقال بعض نَحْويّي الكوفيّينَ: هي حَرْف عَطْف أُدْخِل عليها ألف الاستِفْهام.

والصَّواب عندي في ذلك من القول أنَّها واو عَطْف أُدْخِلَتْ عليها أَلِف الاستِفْهام، كَأنَّه قال جَلّ ذكره: وإذ أخذنا ميثاقكم ورفَعْنا فوقَكم الطورَ، خذوا ما آتيناكم بقوةٍ واسمعوا، قال: سمعنا وعصينا. وكُلَّما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم. ثُمَّ أدْخَلَ أَلِف الاستِفْهام على (وكُلَّما)، فَقال: سمعنا وعصينا أوكلما عاهدوا عهدَ نبذه فريق منهم.

وقد بَيَّنَّا فيما مَضَى أنَّه غَيْر جائِز أنْ يكون في كِتاب اللَّه حَرْف لا معنى لهُ، فَأغْنَى ذلك عن إعادة البيان على فَساد قول مَنْ زَعَمَ أنَّ الواو والفاء من قوله: ﴿أَوَكُلَّمَا﴾. و﴿أَفَكُلَّمَا﴾ زائِدَتان

---

(١) [ضعيف] تقدم قبله.

لا معنى لهما.

وأمَّا العَهْدُ، فإنَّه الميثاقُ الذي أعْطَتْه بَنو إسرائيلَ رَبَّهم ليَعْمَلُنَّ بما في التَّوْراة مَرَّةً بعد أُخْرَى، ثُمَّ نَقَضَ بعضُهم ذلك مَرَّةً بعد أُخْرَى. فوَبَّخَهم جَلَّ ذِكْرُه بِما كان منهم مِن ذلك، وعَيَّرَ به أبناءَهم إذْ سَلَكوا منهاجَهم في نقض ما كان جَلَّ ذِكْرُه أخَذَ عليهم بالإيمانِ به مِن أمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِن العَهْد والميثاقِ، فكَفَروا به وجَحَدوا ما في التَّوْراةِ مِن نَعْتِه وصِفَتِه، فقال تعالى ذِكْره: أوَ كُلَّما عاهَدَ العُهودُ مِن بَني إسرائيل رَبَّهم عَهْدًا وأوثَقوه ميثاقًا، نَبَذَه فَريقٌ منهم فتَرَكَه ونَقَضَه! كما:

١٦٣٥- **حدَّثنا** أبو كُرَيْب، قال ثنا يونُس بن بُكَيْر، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، قال: حَدَّثني سَعيد بن جُبَيْر، أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: قال مالِكُ بن الصَّيْف حين بُعِثَ رَسول اللَّه ﷺ، وذَكَر ما أُخِذَ عليهم من الميثاقِ، وما عَهِدَ اللَّهُ إليهم فيه: واللَّهِ ما عَهِدَ اللهُ إلينا في مُحَمَّد ﷺ عهدًا، وما أخَذَ له علينا ميثاقًا. فأنْزَلَ اللَّه جَلَّ ثَناؤه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١].

١٦٣٦- **حدَّثنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة، قال: ثنا مُحَمَّد بن إسحاق، قال، حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، عن عِكْرِمة مولَى ابن عَبَّاس، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس مِثْله [٢].

وأمَّا (النَّبْذُ) فإنَّ أصْلَه في كَلام العربِ الطَّرْحُ، ولِذلك قِيلَ لِلْمَلْقوطِ: المَنْبوذُ. لأنَّه مَطْروحٌ مَرْميٌّ بِهِ، ومنه سُمِّيَ النَّبيذُ نَبيذًا؛ لأنَّه زَبيبٌ أو تَمْرٌ يُطْرَحُ في وِعاءٍ، ثُمَّ يُعالَجُ بما عُلِج بِهِ، وأصْلُه (مَفْعولٌ) صُرِفَ إلى (فَعيلٍ)، أعْني أنَّ النَّبيذَ أصْلُه مَنْبوذٌ، ثُمَّ صُرِفَ إلى (فَعيل)، فَقيلَ نَبيذٌ. كما قِيلَ: كَفٌّ خَضيبٌ، ولِحْيَةٌ دَهينٌ. بمعني مَخْضوبةٍ ومَدْهونةٍ. يُقال منه: نَبَذْتُه أنْبِذُه نَبْذًا.

كما قال أبو الأسْوَد الدُّؤَليّ:

نَـظَـرْتَ إلـى عُـنْـوانِـه فـنَـبَـذْتَـه ... كَنَبْذِكَ نَعْلًا أخْلَقَتْ مِن نِعالِكا [٣]

---

(١) [ضعيف]تقدم الحديث عن إسناده قبله.

(٢) [ضعيف]تقدم قبله.

(٣) [الطويل]القائل: أبو الأسود الدؤلي (أموي). اللغة: نبذته: النَّبْذُ طرحك الشيء من يدك أمامك أو وراءك نَبَذْتُ الشيء أَنْبِذُه نَبْذًا إذا ألقيته من يدك. نعلا: النَّعْل والنَّعْلةُ ما وَقَيْت به القدَم من الأرض. أخلقت: قطعت وأصبحت لا تصلح للاستعمال. المعنى: يقول الشاعر:

وَخَبَّرَني مَن كُنتُ أرسَلتُ إنَّما ... أخذتَ كِتابي مُعرِضًا بِشِمالِكا

نَـظَـرتَ إلـى عِـنـوانِـهِ فَـنَـبَـذتَـهُ ... كَنَبذِكَ نَعلاً أخلَقَت مِن نِعالِكا

كتب الشاعر خطابا إلى صديق له يُدعى (الحصين بن الحر) وكان هذا الرجل واليا على ميسان؛ وكان الشاعر يخاطبه في أمر يهمه؛ فلم يعبأ برسالته وترك الرد عليه؛ فحزن لذلك شاعرنا وقال له: لقد أخبرني من أرسلته بالرسالة أنك

فمعنى قوله جَلّ ذِكْره: ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾: طَرَحه فَريقٌ منهم، فَتَرَكه ورَفَضَه ونَقَضَه، كما:

١٦٣٧- حدَّثنا بِشر بن مُعاذ قال: ثنا يَزيدُ بنُ زريع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ يقول: نَقَضَه فَريقٌ منهم[١].

١٦٣٨- حدَّثنا القاسِمُ، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاجٌ، عن ابن جُرَيْج قوله: ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾. قال: لم يكُنْ في الأرْضِ عَهْدٌ يُعاهِدونَ عليه إلاَّ نَقَضُوهُ، ويُعاهِدونَ اليومَ ويَنْقُضونَ غَدًا. قال: وفي قِراءة عبد اللَّه: (نَقَضَه فَريقٌ منهم)[٢].

والهاء التي في قولِه: ﴿نَّبَذَهُ﴾ مِن ذِكْرِ (العَهْدِ)، فمعناه: أوَكُلَّما عاهَدوا عَهْدًا نَبَذَ ذلك العَهْدَ فَريقٌ منهم!

و(الفَريقُ): الجَماعةُ، لا واحِدَ له من لَفْظِه، بِمَنْزِلةِ الجَيْشِ والرَّهْطِ الذي لا واحِدَ له من لَفْظِه.

والهاءُ والميمُ اللَّتانِ في قوله: ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾. من ذِكْرِ اليَهودِ من بَني إسرائيل.

وَأمَّا قولُه: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. فَإنَّه يَعْني جَلَّ ثَناؤه: بل أكْثَرُ هؤلاءِ الذينَ كُلَّما عاهَدوا اللَّهَ عَهْدًا ووَاثَقُوه موثِقًا، نَقَضَه فَريقٌ منهم لا يُؤمِنونَ.

وَلِذلك وجهانِ من التَّأويل:

أحَدُهما، أنْ يكون الكَلامُ دَلالةً على الزِّيادةِ والتَّكْثيرِ في عَدَد المُكَذِّبينَ النَّاقِضينَ عَهْدَ اللَّهِ على عَدَد الفَريق، فيكونَ الكَلامُ حينئذٍ معناه: أوَكُلَّما عاهَدَتِ اليَهودُ من بَني إسرائيلَ رَبَّها عَهْدًا نَقَضَ فَريقٌ منهم ذلك العَهْد؟ لا، ما يَنْقُضُ ذلك منهم فَريقٌ، ولكن الذي يَنْقُضُ ذلك فَيكْفُرُ باللَّهِ أكْثَرُهم لا القَليلُ منهم.

فَهذا أحَدُ وجهَيْه.

والوَجْه الآخَرُ، أنْ يكون معناه: أوَكُلَّما عاهَدَتِ اليَهودُ رَبَّها عَهْدًا نَبَذَ ذلك العَهْدَ فَريقٌ منهم؟ لا، ما يَنبِذُ ذلك العَهْدَ فَريقٌ منهم فَيَنْقُضُه، على الإيمان منهم بِأنَّ ذلك غَيْرُ جائزٍ لهم، ولَكِنَّ أكْثَرَهم لا يُصَدِّقونَ باللَّهِ ورُسُلِه، ولا بوعدِه ووَعيدِه.

وَقد دَلَّلْنا فيما مَضَى من كِتابنا هذا على معنى الإيمان وأنَّه التَّصْديق.

أخذت كتابي بشمالك معرضا عنه وقد استخدم الشمال وكأنه يعرض بمن يأخذوا كتبهم بشمالهم ومنهم من يرد حاجة الناس؛ فيقول له لو أدرت ظهرك إليَّ اليوم فغدا ربما تحتاج إلى تلك الحسنات، ثم يواصل فيقول له فبمجرد ما نظرت لعنوان رسالتي ووجدتها مني فألقيتها من يدك وألقيتها كما تلقي نعالك المقطعة التي لا تستخدمها، وفي هذا التصوير تتجلي براعة الشاعر في تصوير المشهد بأسلوب ممتاز.

(١) [حسن] من أجل بشر صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي، ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [ضعيف] فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

يَعْني جَلَّ ثَناؤُهُ بقولِه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾: ولما جاء أحبارَ اليهود وعُلَماءَها من بَني إسرائيل ﴿رَسُولٌ﴾ يَعْني بالرَّسولِ مُحَمَّدًا ﷺ، كَما:

١٦٣٩ - حدَّثني موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ قال: لَمَّا جاءهم مُحَمَّد ﷺ [(١)].

وَأَمَّا قوله: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ فإنَّه يَعْني به أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ يُصَدِّق التَّوْراة، والتَّوْراةُ تُصَدِّقُه في أنَّه نبي لله مَبْعوث إلى خَلْقه.

وَأَمَّا تأويل قوله: ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ فإنَّه: لِلَّذي هو مع اليهود، وهو التَّوْراة، فَأَخْبَرَ اللَّه جَلَّ ثَناؤه أنَّ اليهود لَمَّا جاءهم رَسولٌ من اللَّه بتَصْديقِ ما في أيْديهم من التَّوْراة بأنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نبيّ اللَّه، ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾، يَعْني بذلك أنَّهم جَحَدوه ورَفَضوه بعد أنْ كانوا به مُقِرِّينَ؛ حَسَدًا منهم له وبَغْيًا عليه.

وَقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ وهم عُلَماء اليهود الذينَ أعْطاهم اللَّه العِلْم بالتَّوْراةِ وما فيها.

وَيَعْني بقولِه: ﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾: التَّوْراة. وبقوله: نبذوه ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: جعلوه وراء ظُهورهم. وهذا مَثَلٌ يُقال لِكُلِّ رافِضٍ أمْرًا كان منه على بال: قد جَعَلَ فُلانٌ هذا الأمْر منه بظَهْرٍ وجَعَلَه وراء ظَهْره، يَعْني به: أعْرَض عنه وصَدَّ وانصَرَفَ، كَما:

١٦٤٠ - حدَّثني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال: لَمَّا جاءهم مُحَمَّد ﷺ عارَضوه بالتَّوْراةِ فَخاصَموه بها، فاتَّفَقَتِ التَّوْراةُ والقُرْآن، فَنَبَذوا التَّوْراة وأخَذوا بِكِتابِ آصَفَ وسِحْرِ هاروت وماروت؛ فَذلك قول اللَّه: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [(٢)].

وَمعنى قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: كَأنَّ هؤلاء الذينَ نَبَذوا كِتاب اللَّه من عُلَماء اليهود - فَنَقَضوا عَهْد اللَّه بتَرْكِهم العمَلَ بما واثَقوا اللَّه على أنْفُسهم العمَلَ بما فيه - لا يَعْلَمونَ ما في التَّوْراة من الأمْرِ باتِّباع مُحَمَّد ﷺ وتَصْديقه.

وَهذا من اللَّه جَلَّ ثَناؤه إخبار عنهم أنَّهم جَحَدوا الحقَّ على عِلْم منهم به ومعرِفة، وأنَّهم عانَدوا أمْر اللَّه فَخالَفوا على عِلْم منهم بوُجوبِه عليهم، كَما:

١٦٤١ - حدَّثنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ

(١)، (٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يقول: نقضهُ فَريق من الذين أوتوا الكتاب ﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي أنَّ القوْم قد كانوا يَعْلَمونَ. ولَكِنَّهم أفسَدوا عِلْمهم وجَحَدوه وكَتَموه وكفروا به[(١)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾

يَعْني جلَّ ثناؤه بقولِه: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ الفريقَ من أحبار يهودَ وعُلَمائِها الذينَ وصَفَهم اللّه جَلّ ثَناؤه بأنَّهم نَبَذوا كِتابه الذي أنْزَلَه إلى موسَى وراء ظُهورِهِم، تَجاهُلاً منهم وكُفرًا بما هم به عالِمونَ، كَأنَّهم لا يَعْلَمونَ، فَأخْبَرَ عنهم أنَّهم رَفَضوا كِتابه الذي يَعْلَمونَ أنَّه تَنْزيلٌ من عنده على نَبيّه موسى صلواتُ اللهِ عليه، ونَقَضوا عَهْده الذي أخَذَه عليهم في العمَل بما فيه، وآثَروا السِّحر الذي تَلَتْه الشّياطين في مُلْك سُلَيْمان بن داود صلى الله عليه فاتَّبَعوه؛ وذلك هو الخَسارُ والضّلال المُبين.

واختَلَفَ أهلُ التّأويل في الذينَ عُنوا بقولِه: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾؛ فَقال بعضهمْ: عَنَى اللّه بذلك اليهودَ الذينَ كانوا بين ظَهْرانَيْ مُهاجَرِ رَسول اللّه ﷺ؛ لأنَّهم خاصَموا رَسول اللّه ﷺ بالتَّوْراةِ، فَوَجَدوا التَّوْراة لِلْقُرْآنِ موافِقة، تأمُر مِن اتِّباع مُحَمَّد ﷺ وتَصْديقِه بمِثْلِ الذي يَأمُر به القُرْآن، فخاصَموه بالكُتُبِ التي كان النَّاس اكْتَتَبوها من الكهَنة على عَهْد سُلَيْمان.

ذكر مَن قال ذلك:

١٦٤٢ - **حدَّثَني** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾. قال: كانتِ الشّياطينُ تَصْعَد إلى السّماء، فَتَقْعُد منها مَقاعِد لِلسَّمْع، فَيَسْتَمِعونَ من كَلام الملائِكةِ فيما يكون في الأرض من موت أو غَيْث أو أمْر، فَيَأتونَ الكهَنَة فَيُخْبِرونَهم، فَتُحَدِّث الكهَنَةُ النّاس فَيجِدونَه كما قالوا، حتّى إذا أمِنَتْهم الكهَنةُ كذَبوا لهم، فَأدْخَلوا فيه غيرهُ فَزادوا مع كُلِّ كَلِمة سَبْعينَ كَلِمة، فاكْتَتَبَ النّاس ذلك الحديث في الكُتُب وفَشا في بَني إسرائيل أنَّ الجِنَّ تَعْلَم الغيْب، فَبَعَثَ سُلَيْمان في النّاس، فَجَمع تِلْك الكُتُبَ فَجَعَلَها في صُنْدوق، ثُمّ دَفَنَها تَحْت كُرْسيّه، ولم يكُنْ أحَد من الشّياطين يَسْتَطيع أنْ يَدْنو من الكُرْسيّ إلاّ احتَرَقَ، وقال: (لا أسمَع أحَدًا يَذْكُر أنَّ الشّياطين تَعْلَم الغيْب إلاَّ ضَرَبْت عُنُقه). فَلَمّا مات سُلَيْمان، وذَهَبَتِ العُلَماء الذينَ كانوا يَعْرِفونَ أمْر سُلَيْمان، وخَلَفَ بعد ذلك خَلْفٌ، تَمَثَّلَ شَيْطانٌ في صورة إنسان، ثُمّ أتَى نَفَرًا من بَني إسرائيل، فَقال لهم: هَلْ أدُلُّكُم على كَنْز لا تأكُلونَه أبَدًا؟ قالوا: نَعَمْ، قال: فاحفِروا تَحْت الكُرْسيّ. وذَهَبَ معهم فَأراهم المكان.

وَقامَ ناحية، فَقالوا له: فادْنُ، قال: لا ولَكِنّي هاهُنا في أيْديكم، فَإنْ لم تَجِدوه فاقْتُلوني. فَحَفَروا فَوَجَدوا تلك الكُتُب، فَلَمّا أخْرَجوها قال الشّيْطان: إنَّ سُلَيْمان إنَّما كان يَضْبِط الإنْس

---

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

والشّياطين والطّير بهذا السِّحر. ثُمّ طارَ فَذَهَبَ، وفَشا في النّاس أنَّ سُلَيْمان كان ساحِرًا واتَّخَذَتْ بَنو إسرائيل تلك الكُتُب، فَلَمَّا جاءهم مُحَمَّد خاصَموه بها، فَذلك حين يقول الله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[١].

١٦٤٣- وحُدِّثت عن عَمَّار بن الحسن، قال: حدَّثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ﴾ قال: إنَّ اليهود سَألوا مُحَمَّدًا ﷺ زَمانًا عن أمور من التَّوْراة، لا يَسْألونَهُ عن شَيْء من ذلك إلاَّ أنْزَلَ اللَّه عليه ما سَألوه عنه فَيَخصِمُهُم، فَلَمَّا رَأوا ذلك قالوا: هذا أعْلَمُ بما أُنزِلَ إلينا مِنّا. وإنَّهم سَألوه عن السِّحر وخاصَموه به، فَأنْزَلَ اللَّه: ﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

وَإنَّ الشّياطين عَمَدوا إلى كِتاب فَكَتَبوا فيه السِّحر والكهانة وما شاءَ اللَّه من ذلك، فَدَفَنوه تَحت مَجْلِس سُلَيْمان - وكان سُلَيْمان لا يَعْلَم الغيْب - فَلَمَّا فارَقَ سُلَيْمان الدُّنْيا استَخْرَجوا ذلك السِّحر، وخَدَعوا به النّاس وقالوا: هذا عِلْمٌ كان سُلَيْمان يكْتُمه ويَحْسُد النَّاسَ عليه. فَأخْبَرَهم النَّبيّ ﷺ بهذا الحديث، فَرَجَعوا من عنده، وقد خزوا وأدْحَض اللَّه حُجَّتهمْ[٢].

١٦٤٤- وحَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ﴾ قال: لَمَّا جاءهم رَسول اللَّه مُصَدِّقًا لِما معهم ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ﴾ الآية، قال: اتَّبَعوا السِّحر، وهم أهل الكِتاب. فَقَرَأ حتّى بَلَغَ: ﴿وَلَكِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[٣].

وَقال آخَرونَ: بل عَنَى اللَّه بذلك اليهودَ الذينَ كانوا على عَهْد سُلَيْمان.

ذكر مَن قال ذلك:

١٦٤٥- حَدَّثَنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: تَلَتِ الشّياطينُ السِّحر على اليهود على مُلْك سُلَيْمان فاتَّبَعَتْه اليهودُ على مُلْكه؛ يَعْني اتَّبعتِ السِّحر على مُلْك سُلَيْمان[٤].

١٦٤٦- وحَدَّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، قال: عَمَدَتِ الشّياطين حين عَرَفَتْ موت سُلَيْمان بن داود عليه السَّلام، فَكَتَبوا أصْناف السِّحر: مَنْ كان يُحِبُّ أنْ يَبْلُغ كذا وكذا، فَلْيَفْعَلْ كذا وكذا. حتَّى إذا صَنَّفوا أصْناف السِّحر، جَعَلوه في كِتاب، ثُمّ خَتَموا عليه بخَاتَم على نَقْش خاتَم سُلَيْمان، وكَتَبوا في عِنْوانه: (هذا ما كَتَبَ آصَفُ بن بَرْخِيَا الصديق لِلْمَلَكِ سُلَيْمان بن داود من ذَخائِر كُنوز العِلْم).

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[ضعيف] من معلقات المصنف

(٣)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه ولكنه قوله.

(٤)[ضعيف] فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

ثُمّ دَفَنوه تَحت كُرْسيّه، فاستَخْرَجَتْه بعد ذلك بَقايا بَني إسرائيل حين أحدَثوا ما أحدَثوا، فَلَمَّا عَثَروا عليه قالوا: واللّه ما كان سُلَيْمان بن داود إلاّ بهذا. فَأفشَوْا السِّحْر في النَّاس وتَعَلَّموه وعَلَّموه، فَلَيْسَ في أحَد أكْثَرُ منه في يَهود، فَلَمَّا ذَكَرَ رَسول اللّه ﷺ - فيما نَزَلَ عليه من اللّه - سليمان بن داود وعَدَّه فيمَنْ عَدَّه من المُرْسَلينَ، قال مَنْ كان بالمدينةِ من يَهود: ألا تَعْجَبونَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ يَزْعُم أنَّ ابن داود كان نَبيًّا! واللّه ما كان إلاّ ساحِرًا. فَأنْزَلَ اللّه في ذلك من قولهم على مُحَمَّد: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ الآية (١).

١٦٤٧- وحدثني محمدُ بنُ سعدٍ، قال: حدَّثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ قال: كان حين ذَهَبَ مُلْكُ سُلَيْمان ارْتَدَّ فِئامٌ من الجِنّ والإنْس واتَّبَعوا الشَّهَوات. فَلَمَّا رَجَعَ اللّه إلى سُلَيْمان مُلْكه، أقامَ النَّاسُ على الدِّين كما كان.

وَإنَّ سُلَيْمان ظَهَرَ على كُتُبهم فَدَفَنَها تَحت كُرْسيّه، وتوُفّيَ سُلَيْمان حِدْثان ذلك، فَظَهَرَتِ الجِنّ والإنْس على الكُتُب بعد وفاة سُلَيْمان، وقالوا: هذا كِتاب من اللّه نَزَلَ على سُلَيْمان أخْفاه مِنّا. فَأخذوا به فَجَعَلوه دينًا، فأنْزَلَ اللّه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ واتبعوا الشهواتِ التي كانت تتلوا الشياطين، وهيَ المعازِف واللَّعِب وكُلّ شَيْء يَصُدُّ عن ذِكْر اللّه (٢).

والصَّواب من القول في تأويل قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أنَّ ذلك من اللّه جلّ ذكره توبيخٌ لأحبارِ اليهود الذينَ أدْرَكوا رَسول اللّه، فَجَحَدوا نُبوَّته وهم يَعْلَمونَ أنّه لِلّه رَسول مُرْسَل، وتأنيبٌ منه لهم في رَفْضهم تَنْزيلَهُ، وهَجْرهم العمَلَ به وهو في أيْديهم يَعْلَمونَه ويَعْرِفونَ أنّه كِتاب اللّه، واتّباعهم واتّباع أوائِلهم وأسلافهم ما تَلَتْه الشّياطين في عَهْد سُلَيْمان. وقد بَيَّنّا وجه جَواز إضافة أفعال أسلافِهم إليهم فيما مَضَى، فَأغْنَى ذلك عن إعادَته في هذا الموضِع.

وَإنّما اختَرْنا هذا التّأويل لأنَّ المُتَّبِعة ما تَلَتْه الشّياطين في عَهْد سُلَيْمان وبعده إلى أنْ بَعَثَ اللّه نَبيّه بالحقّ من السَّحَرَةِ لم تَزَلْ في اليهود، ولا دَلالة في الآية أنَّ اللّه تعالى أرادَ بقولِه: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ بعضًا منهم دون بعض، إذْ كان جائِزًا فَصيحًا في كَلام العرب إضافةُ ما وصَفْنا من اتّباع أسلاف المُخْبَر عنهم بقولِه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ إلى أخْلافهم بعدهَم.

وَلم يكُنْ بخُصوصِ ذلك عن رَسول اللّه ﷺ أثَر مَنْقول، ولا حُجّة تَدُلّ عليه، فَكان الواجِب من القول في ذلك أنْ يُقال: كُلُّ مُتَّبِع ما تَلَتْه الشّياطين على عَهْد سُلَيْمان من اليهود داخِلٌ في معنى الآية، على النَّحْو الذي قُلْنا.

---

(١) [ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾

ويَعْني جَلَّ ثَناؤه بقولِه: ﴿مَا تَتْلُواْ﴾: الذي تَتْلو. فتأويل الكلام إذًا: واتَّبَعوا الذي تَتْلو الشّياطين.

واختُلِفَ أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿تَتْلُواْ﴾:

فَقال بعضهم: يَعْني بقولِه: ﴿تَتْلُواْ﴾: تُحَدِّث وتَروي وتَتَكَلَّم به وتُخْبِر، نَحْو تِلاوة الرَّجُل القُرْآنَ وهيَ قِراءَته. ووَجْه قائِلو هذا القول تأويلهم ذلك إلى أنَّ الشّياطين هي التي عَلَّمَتِ النَّاس السِّحْر ورَوَتْه لهم.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

١٦٤٨- حدَّثني المُثَنّى بن إبراهيم، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن عمرو بن دينار، عن مُجاهِدٍ في قول اللَّه: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ قال: كانتِ الشّياطين تَسْتَمِع الوحْيَ، فَما سَمِعوا من كَلِمة زادوا فيها مِائَتَيْنِ مِثْلها، فأرسَلَ سُلَيْمانُ إلى ما كَتَبوا من ذلك. فَلَمَّا تُوُفّيَ سُلَيْمان وجَدَتْه الشّياطين فَعَلَّمَتْه النَّاس، وهو السِّحْر [١].

١٦٤٩- حدَّثنا بشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ قال: من الكهانة والسِّحْر. قال: وذُكِر لنا - واللَّه أعْلَم - أنَّ الشّياطين ابْتَدَعَتْ كِتابًا فيه سِحْرٌ وأمْر عَظيم، ثُمّ أفشَوْه في النَّاس وعَلَّموهم إيَّاهُ [٢].

١٦٥٠- وحدَّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: قال لي عَطاء: قوله: ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ قال: نُراه ما تُحَدِّث [٣].

١٦٥١- وحدَّثني سَلْم بن جُنادةَ السُّوائيُّ، قال: ثنا أبو مُعاوية، عن الأَعْمَش، عن المنهال، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: انطَلَقَتِ الشّياطين في الأيَّام التي ابْتُلِيَ فيها سُلَيْمان، فَكَتَبَتْ فيها كُتُبًا فيها سِحْر وكُفْر، ثُمّ دَفَنوها تَحت كُرْسيّ سُلَيْمان، ثُمّ أخْرَجوها فقَرَءوها على النَّاس [٤].

وَقال آخَرونَ: معنى قوله: ﴿مَا تَتْلُواْ﴾: ما تَتَّبع وتَأتَمُّه وتَعْمَل به.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

١٦٥٢- حدَّثنا الحُسينُ بن عمرو بن محمدِ العَنْقزيُّ، قال: حَدَّثَني أبي، عن أسباطَ، عن

---

(١)[ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٢)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣)[ضعيف] فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسلم بن جنادة بن سلم بن خالد بن جابر بن سمرة السوائي العامري أبو السائب الكوفي؛ ثقة، وسنده متصل.

السُّدِّيّ، عن أبي مالِك، عن ابنِ عَبَّاس: ﴿تَتْلُوا﴾ قال: تَتَّبِع [١].

١٦٥٣- **وحدَّثني** نَصْر بن عبد الرَّحْمَن الأَوْدِيُّ، قال: ثنا يَحْيَى بن إبراهيم، عن سُفْيان الثَّوْرِيِّ، عن مَنْصور، عن أبي رَزين مِثْله [٢].

والصَّوابُ من القول في ذلك أنْ يُقال: إنَّ اللَّه تعالى ذكرُه أَخْبَرَ عن الذينَ أَخْبَرَ عنهم أنَّهم اتَّبَعوا ما تَتْلو الشَّياطين على عَهْد سُلَيْمان باتِّباعِهم ما تَلَتْه الشَّياطين.

وَلِقولِ القائِل: (هو يَتْلو كذا) **في كَلام العرب معنَيانِ**:

أَحَدهما: الاتِّباع، كما يُقال: تَلوت فُلانًا إذا مَشَيْت خَلْفه وتَبِعْت أثَره، كما قال جَلّ ثَناؤه: (هنالك تتلو كل نفسٍ ما أسلَفَت) [يونس: ٣٠] يَعْني بذلك تَتَّبع.

والآخَر: القِراءة والدِّراسةُ، كما تَقول: فُلان يَتْلو القُرْآن. بمعنى أنَّه يَقْرَؤُه ويَدْرُسه، كما قال حَسَّان بن ثابِت:

نَبِيٌّ يَرَى ما لا يَرَى النَّاس حَوْلَهُ ... وَيَتْلو كِتابَ اللَّهِ في كُلّ مَشْهَدِ [٣]

وَلم يُخْبِرنا اللَّه تعالى ذكرُه بأيِّ معنيي التِّلاوة كانتْ تِلاوة الشَّياطين الذينَ تَلوا ما تَلوه من السِّحْر على عَهْد سُلَيْمان بخَبَرٍ يَقْطَع العُذْر.

وَقد يجوز أنْ تَكون الشَّياطينُ تَلَتْ ذلك دِراسة ورِواية وعَمَلًا به، فَتَكون كانتْ له مُتَّبِعَةً بالعمَلِ، ودِراسةً بالرِّوايةِ، فاتَّبَعَتِ اليهود منهاجها في ذلك فعَمِلَتْ به ورَوَتْه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾: في مُلْك سُلَيْمان؛ وذلك أنَّ العرب تَضَعُ (في) موضِع (على) و(على) في موضِع (في)، من ذلك قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] يَعْني به: على جُذوع النَّخْل، وكَما يقال: (فَعَلْتُ كذا في عَهْد كذا وعلى عَهْد كذا) بمعنى واحِد. وَبِما قُلْنا من ذلك كان ابن جُرَيْج وابن إسحاق يقولانِ في تأويله.

١٦٥٤- **حدَّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال، حَدَّثَني حَجَّاج، قال: ابن جُرَيْج: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ يقول: في مُلْك سُلَيْمان [٤].

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[ضعيف] يحيى بن إبراهيم السلمي متروك الحديث.

(٣)[**الطويل**] القائل: حسان بن ثابت (مخضرم). يتحدث الصحابي الجليل حسان بن ثابت عن النبي ﷺ فينعته بصفات منها: أنه ذو بصيرة متقدة يرى من الأمور ما لا يستطيع رؤيتها رجل غيره، وتلك من صفاته ﷺ فقد كان ثاقب النظر حليمًا حكيمًا يستطيع وزن الأشياء بميزان قبل الشروع في فعلها، وصدق الله حين قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣]، ثم يقول: إنه ﷺ يتلو كتاب الله في كل المواقف، وقد كان ﷺ قرآنًا يمشي على الأرض؛ فقد قالت أمنا عائشة - رضي الله عنها - حين سئلت عن أخلاقه: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]).

(٤)[ضعيف] فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

١٦٥٥- وحدثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة، قال: قال ابن إسحاق في قوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أيْ: في مُلْك سُلَيْمان (١).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:
﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾

إنْ قال لنا قائِل: وما هذا الكلام من قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ ولا خَبَر مضى قَبْل عن أحَد أنَّه أضافَ الكُفْر إلى سُلَيْمان، بل إنَّما ذَكَرَ اتِّباع مَنْ اتَّبَعَ من اليهود ما تَلَتْه الشّياطين؟ فَما وجه نَفْي الكُفْر عن سُلَيْمان بعَقِبِ الخبَر عن اتِّباع مَنْ اتَّبَع الشّياطين في العمَل بالسِّحْرِ ورِوايَته من اليهود؟

قيلَ: وجهُ ذلك أنَّ الذينَ أضافَ اللَّه جَلَّ ثَناؤه إليهم اتِّباع ما تَلَتْه الشّياطين على عَهْد سُلَيْمان من السِّحْر والكُفْر من اليهود، نَسَبوا ما أضافَه اللَّه تعالى ذِكْره إلى الشّياطين من ذلك إلى سُلَيْمان بن داود، وزَعَموا أنَّ ذلك كان من عملِه ورِوايَته، وأنَّه إنَّما كان يَسْتَعْبِد مَنْ كان يَسْتَعْبِد من الإنس والجِنّ والشّياطين وسائِر خَلْق اللَّه بالسِّحْرِ. فَحَسَّنوا بذلك - من رُكوبهم ما حَرَّمَ اللَّه عليهم من السِّحْر - لِأنْفُسهم عند مَنْ كان جاهِلاً بأمْرِ اللَّه ونَهْيه، وعند مَنْ كان لا عِلْم له بما أنْزَلَ اللَّه في ذلك من التَّوْراة، وتَبَرَّأ - بإضافةِ ذلك إلى سُلَيْمان - من سُلَيْمان، وهو نَبيّ اللَّه صلى الله عليه منهم بَشَر، وأنْكَروا أنْ يكون كان لِلَّه رَسولاً، وقالوا: بل كان ساحِرًا. فَبَرَّأ اللَّه جل ثناؤه سُلَيْمان بن داود من السِّحْر والكُفْر عند مَنْ كان منهم يَنْسُبه إلى السِّحْر والكُفْر لأسبابِ ادَّعَوْها عليه قد ذَكَرْنا بعضها قبل، وسَنَذْكُرُ باقي ما حَضَرَنا ذِكْره منها. وأكْذَبَ الآخَرينَ الذينَ كانوا يَعْمَلونَ بالسِّحْرِ، مُتَزَيِّنينَ عند أهل الجهْل في عَمَلهم ذلك بأنَّ سُلَيْمان كان يَعْمَله. فَنَفَى اللَّه عن سُلَيْمان عليه السّلام أنْ يكون كان ساحِرًا أو كافِرًا، وأعْلَمهم أنَّهم إنَّما اتَّبَعوا في عَمَلهم بالسِّحْر ما تَلَتْه الشّياطين في عَهْد سُلَيْمان، دون ما كان سُلَيْمان يَأمُرهم به من طاعة اللَّه واتِّباع ما أمَرَهم به في كِتابه الذي أنْزَلَه على موسَى صَلى الله عليه.

ذِكْر الدّلالة على صِحّة ما قُلْنا من الأخبار والآثار:

١٦٥٦- حَدَّثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا يَعْقوب القمّيّ، عن جَعْفَر بن أبي المُغيرة، عن سَعيد بن جُبَيْر، قال: كان سُلَيْمان يَتَتَبَّع ما في أيْدي الشّياطين من السِّحْر، فَيَأخُذه فَيَدْفِنه تَحت كُرْسيّه في بَيْت خَزائِنِه. فَلم تَقْدِر الشّياطين أنْ يَصِلوا إليه، فَدَنَتْ إلى الإنس، فَقالوا لهم: أتُريدونَ العِلْم الذي كان سُلَيْمان يُسَخِّر به الشّياطين والرِّياح وغير ذلك؟ قالوا: نَعَمْ.

قالوا: فَإنَّه في بَيْت خَزائِنِه وتَحت كُرْسيّه. فاستَثارَته الإنس فاستَخْرَجوه فَعَمِلوا به، فَقال أهل الحِجا: كان سُلَيْمان يَعْمَل بهذا وهذا سِحْر. فَأنْزَلَ اللَّه على لِسان نَبيّه مُحَمَّد ﷺ بَراءة سُلَيْمان،

---
(١)[ضعيف] سلمة وابن حميد ضعيفان.

فقال: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ الآية، فأبرأ الله سليمان على لسان نبيه ﷺ (١).

١٦٥٧- حدّثني أبو السَّائب السُّوائيُّ، قال: حدَّثناه أبو مُعاوية، عن الأعْمَش، عن المنهال، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: كان الذي أصابَ سُلَيْمانَ بن داود في سَبَب أُناس من أهل امْرأة يُقال لها: جَرادة، وكانتْ من أكْرَم نِسائِه عليه، قال: فَكان هَوَى سُلَيْمان أنْ يكون الحقّ لأهلِ الجرادة فيَقْضي لهم، فعوقِبَ حين لم يكُنْ هَواه فيهم واحِدًا. قال: وكان سُلَيْمانُ إذا أرادَ أنْ يَدْخُل الخلاء أو يَأتي شَيْئًا من نِسائِه أعْطَى الجرادة خاتَمه. فلَمَّا أرادَ اللَّه أنْ يَبْتَلي سُلَيْمانَ بالذي ابْتَلاه به، أعْطَى الجرادة ذات يوم خاتَمهُ، فَجاء الشّيْطان في صورة سُلَيْمانَ فَقال لها: هاتي خاتَمي، فَأخَذه فلَبِسَه، فلَمَّا أُلْبِسَه دانَتْ له الشّياطين والجِنّ والإنْس. قال: فَجاء سُلَيْمان فَقال: هاتي خاتَمي، فَقالتْ: كذَبْت لَسْت سُلَيْمان. قال: فَعَرَفَ سُلَيْمان أنّه بَلاء ابْتُليَ به. قال: فانطَلَقَتِ الشّياطين في تلك الأيّام فَكَتَبَتْ كُتُبًا فيها سِحْر وكُفْر ثُمّ دَفَنوها تَحْت كُرْسيّ سُلَيْمان، ثُمّ أخْرَجوها فقَرَءوها على النّاس وقالوا: إنّما كان سُلَيْمان يَغْلِب النّاس بهذه الكُتُب.

قال: فَبَرِئَ النّاس من سُلَيْمان وأكْفَروه، حتّى بَعَثَ اللَّه مُحَمَّدًا ﷺ؛ فَأنْزَلَ جَلّ ثَناؤه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ يَعْني الذي كَتَبَ الشّياطين من السِّحْر والكُفْر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ فَأنْزَلَ اللَّه عُذْره (٢).

١٦٥٨- وحدّثني مُحَمَّد بن عبد الأعْلَى الصّنْعانيّ، قال: ثنا المُعْتَمِر بن سُلَيْمان، قال: سَمِعْت عِمْرانَ بن حُدَيْر، عن أبي مِجْلَز، قال: أخَذَ سُلَيْمان من كُلّ دابّة عَهْدًا، فإذا أُصيب رَجُل فَسُئِلَ بذلك العهْد خُلّيَ عنه، فزاد النّاس السّجْع والسِّحْر وقالوا: هذا كان يَعْمَل به سُلَيْمان. فَقال اللَّه جَلّ ثَناؤه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (٣).

١٦٥٩- وحدّثنا ابنُ حُمَيْدٍ، قال: ثنا جَرير، عن حُصَيْن بن عبد الرّحْمَن، عن عِمْران وهو عِمْرانُ بن الحارِثِ، قال: بينا نَحْنُ عند ابن عَبّاس إذْ جاءه رَجُل، فَقال له ابن عَبّاس: من أيْنَ جِئْت؟ قال: من العِراق، قال: من أيّه؟ قال: من الكوفة، قال: فَما الخَبَر؟ قال: تَرَكْتُهم يَتَحدَّثونَ أنَّ عَليًا خارِج إليهم. فَفَزِعَ ثم قال: ما تَقول لا أبا لَك! لو شَعَرنا ما نَكَحْنا نِساءَه ولا قَسَمْنا ميراثه، أما إنّي أُحَدّثُكم من ذلك أنّه كانتِ الشّياطين يَسْتَرِقونَ السّمْع من السّماء فيَأتي

(١)[ضعيف] جعفر بن أبي المغيرة وثقه أحمد وغيره، ولم يجرحه أحد إلا ابن منده بقوله: (ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير)!! وقد كان جعفر من أخص أصحاب سعيد، ودخل معه مكة أيام خامس الخلفاء عبد الله بن الزبير، وسبب قول ابن منده هو أنه روى عن ابن جبير عن ابن عباس في تفسير الكرسي ما لا يُتابع عليه، وانظر الميزان [١٥٣٨]، وهذا بمفرده لا يقدح في روايته كلها عن سعيد، ويعقوب صدوق حسن الحديث، وابن حميد هو شيخ المصنف وقد تقدم الحديث في تضعيفه، ولولاه لكان الأثر حسنًا.

(٢)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٣)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

أحدهم بكلِمةِ حَقّ قد سَمِعَها، فإذا جُرِّب منه صِدق كذَبَ معها سَبعينَ كِذْبة، قال: فيُشرِبها قُلوب النّاس؛ فأطلَعَ اللّه عليها سُلَيمان فدَفَنَها تَحت كُرْسيّه. فلمّا توُفّيَ سُلَيمان قامَ شَيْطان بالطّريقِ فقال: ألا أدُلّكم على كَنْزِه المُمَنَّع الذي لا كَنْز له مِثْله؟ تَحت الكُرْسيّ. فأخرَجوه فقالوا: هذا سِحر. فتَناسَخَها الأُمَم - حتّى بَقاياها ما يَتَحدَّثُ به أهل العِراق - فأنزَلَ اللّه عُذر سُلَيمان: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ (١).

١٦٦٠- وحدّثنا بشر بن مُعاذ، قال: حدَّثنا يَزيد بن زُريع، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادة، قال: ذُكِرَ لنا واللّه أعلَم أنَّ الشّياطين ابْتَدَعَتْ كِتابًا فيه سِحْر وأمْر عَظيم، ثُمّ أفشَوْه في النّاس وعَلّموهم إيّاه، فلمّا سَمِعَ بذلك سُلَيمان نَبيّ اللّه تَتَبَّعَ تلك الكُتُب، فأتى بها فدَفَنَها تَحت كُرْسيّه كَراهية أنْ يَتَعَلَّمها النّاس، فلَمّا قَبَضَ اللّه نَبيّه سُلَيمان عَمَدَتِ الشّياطين فاستَخْرَجوها من مَكانها التي كانتْ فيه فعَلّموها النّاس، فأخبَروهم أنَّ هذا عِلم كان يكْتُمه سُلَيمان ويَسْتأثِر به، فعَذَرَ اللّه سُلَيمان وبَرَّأه من ذلك، فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ (٢).

١٦٦١- حدّثنا الحسَنُ بن يَحيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة، قال: كَتَبَتِ الشياطين كُتُبًا فيها سِحر وشِرْك، ثُمّ دَفَنَتْ تلك الكُتُب تَحت كُرْسيّ سُلَيمان. فلَمّا ماتَ استَخْرَجَ النّاس تلك الكُتُب، فقالوا: هذا عِلْم كَتَمْناه سُلَيمان. فقال اللّه: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ (٣).

١٦٦٢- وحدّثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن قال: حدَّثني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ الآية. قال: كانتِ الشّياطين تَسْتَمِع الوحْيَ من السّماء، فما سَمِعوا من كَلِمة زادوا فيها مِثْلها. وإنَّ سُلَيمان أخَذَ ما كَتَبوا من ذلك فدَفَنَه تَحت كُرْسيّه؛ فلَمّا توُفّيَ وجَدَتْه الشّياطين فعَلَّمَتْه النّاس (٤).

١٦٦٣- وحدّثنا القاسِم، قال: حدَّثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجّاج، عن أبي بَكْر، عن شَهْر بن حَوْشَب، قال: لَمّا سُلِبَ سُلَيمانُ مُلْكه كانتِ الشّياطين تَكْتُب السِّحر في غَيْبة سُلَيمان، فكَتَبَتْ: مَنْ أرادَ أنْ يَأتي كذا وكذا فلْيَسْتَقبِل الشّمْس ولْيَقُلْ كذا وكذا، ومَنْ أرادَ أنْ يَفْعَل كذا وكذا فلْيَسْتَدْبِر الشّمْس ولْيَقُلْ كذا وكذا. فكَتَبَتْه وجَعَلَتْ عِنْوانه: (هذا ما كَتَبَ آصَفُ بن بَرْخِيا لِلْمَلِكِ سُلَيمان بن داود من ذَخائر كُنوز العِلْم). ثُمّ دَفَنَتْه تَحت كُرْسيّه. فلَمّا ماتَ سُلَيمان قامَ

(١)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٢)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤)[ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف، فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

إبليس خَطيبًا فقال: يا أيها النَّاس إنَّ سُلَيْمان لم يكُنْ نبيًّا، إنَّما كان ساحِرًا، فالتَمِسوا سِحْره في مَتاعه وبُيوته. ثُمّ دَلَّهم على المكان الذي دُفِنَ فيه، فَقالوا: واللَّه لَقد كان سُلَيْمان ساحِرًا، هذا سِحْره، بهذا تَعَبَّدَنا، وبِهذا قَهَرَنا. فَقال المُؤمِنونَ: بل كان نَبيًّا مُؤمِنًا. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّه النَّبيّ ﷺ جَعَلَ يَذْكُر الأنبياء حتّى ذَكَرَ داود وسُلَيْمان، فَقالتِ اليهود: انظُروا إلى مُحَمَّد يَخْلِط الحقّ بالباطِلِ، يَذْكُر سُلَيْمان مع الأنبياء، وإنَّما كان ساحِرًا يَرْكَب الرِّيح.

فَأَنْزَلَ اللَّه عُذْر سُلَيْمان فقال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الآية(١).

١٦٦٤- **وحدّثنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حدَّثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَنا ابن إسحاق: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾: وذلك أنَّ رَسول اللَّه ﷺ - فيما بَلَغَني - لَمَّا ذَكَرَ سُلَيْمان بن داود في المُرْسَلينَ، قال بعض أحبار اليهود: ألا تَعْجَبونَ من مُحَمَّد يَزْعُم أنَّ ابن داود كان نَبيًّا، واللَّه ما كان إلاَّ ساحِرًا. فَأَنْزَلَ اللَّه في ذلك من قولهمْ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: باتِّباعِهم السِّحْر وعَمَلِهم به ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾(٢).

فَإذ كان الأمر في ذلك ما وصَفْنا وتأويل قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ ما ذَكَرْنا؛ فَبَيِّنٌ أنَّ في الكلام مَتروكًا تُرِكَ ذِكْره اكْتِفاء بما ذُكِرَ منه، وأنَّ معنى الكلام: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ من السِّحر ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ فَتُضيفه إلى سُلَيْمان، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ فَيَعْمَل بالسِّحْرِ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

وقد كان قَتادة يتأوّل قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ على نحو ما ذكرنا.

١٦٦٥- **حَدَّثَنا** بشر بن مُعاذ، قال: حدَّثنا يَزيد بن زُرَيع، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ يقول: ما كان عن مَشورَته، ولا عن رِضًا منه؛ ولكِنّه شَيْء افتَعَلَتْه الشّياطين دونه(٣).

وَقد دَلَّلْنا فيما مَضَى قبل على اختِلاف المُخْتَلِفينَ في معنى (تَتْلو)، وتَوْجيه مَنْ وجَّهَ ذلك إلى أنّه بمعنى (تَلَتْ)، إذْ كان الذي قَبْله خَبَرًا ماضِيًا وهو قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ وتَوْجيه الذينَ وجَّهوا ذلك إلى خِلاف ذلك، وبَيَّنَّا فيه وفي نَظيره الصّواب من القول، فَأغْنَى ذلك عن إعادَته في هذا الموضِع.

وأمَّا معنى قوله: ﴿مَا تَتْلُواْ﴾ فَإنّه بمعنى الذي تَتْلو وهو السِّحْر، كما:

١٦٦٦- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ

---

(١)[ضعيف] ليث بن أبي سليم ضعيف الحديث، والحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢)[ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

سُلَيۡمَٰنَۖ﴾ أيْ: السِّحر [(١)].

ولَعَلَّ قائِلاً أنْ يقول: أوَ ما كان السِّحْر إلاَّ أيَّام سُلَيْمان؟

قيلَ له: بَل قد كان ذلك قَبْل ذلك، وقد أخْبَرَ اللَّه عن سَحَرة فرعون بما أخْبَرَ عنهم، وقد كانوا قَبْل سُلَيْمان، وأخْبَرَ عن قَوْم نوح أنَّهم قالوا لِنوحٍ: إنَّه ساحِر؛ فإن قال: فكيف أخْبَرَ عن اليهود أنَّهم اتَّبَعوا ما تَلَتْه الشّياطين في عَهْد سُلَيْمان دونَ الخبر عنهم أنهم اتّبعوا ما تَلَته الشياطين من ذلك أيام نوح وأيام موسى.

قيلَ: إنما أخبر الله بذلك تعالى ذكره عن اتِّباعهم ما تَلَتْه الشياطينُ على عهد سليمان؛ لأنَّهم أضافوا ذلك إلى سُلَيْمان - على ما قد قَدَّمْنا البيان عنهُ - فَأرادَ اللَّه تعالى ذِكْره تَبْرِئة سُلَيْمان مِمَّا نَحَلوه وأضافوا إليه مِمَّا كانوا وجَدوه إمَّا في خَزائِنه وإمَّا تَحت كُرْسيّه، على ما جاءتْ به الآثار التي قد ذَكَرْناها من ذلك، فَخَصَّ الخبَرَ عَمَّا كانتِ اليهود اتَّبَعَتْه مما تَلَتْه الشّياطين أيّامئذٍ دون غيره لِذلك من السّبَب. وإنْ كانت الشّياطين قد كانتْ تالية السِّحْرِ والكُفْر قَبْل ذلك.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾

قال أبو جعفرٍ: اختَلَفَ أهل التأويل في تأويل (ما) التي في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ فقال بعضهمْ: معناها الجحْد وهيَ بمعنى (لم).

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٦٦٧- **حدَّثَني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال، حَدَّثَني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ فإنَّه يقول: لم يُنزِل اللَّه السِّحر [(٢)].

١٦٦٨- **وحدَّثنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا حكَّام، عن أبي جَعْفَر، عن الرّبيع بن أنَس: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ قال: ما أنْزَلَ اللَّه عليهما السِّحر [(٣)].

فَتأويل الآية على هذا المعنى الذي ذَكَرْناه عن ابن عَبَّاس والرّبيع من تَوْجيههما معنى قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ أي: ولم يَنْزِل على الملَكَيْنِ. واتَّبَعوا الذي تَتْلوا الشّياطين على مُلْك سُلَيْمان من السِّحر، وما كَفَرَ سُلَيْمان ولا أنْزَلَ اللَّه السِّحر على الملَكَيْنِ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناسَ السحرِ ببابِل هاروت وماروت، فَيكون حينَئِذٍ قوله: ﴿بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ من المؤَخَّر الذي معناه التَّقْديم.

فَإنْ قال لنا قائِل: وكيف وجهُ تَقْديم ذلك؟

قيلَ: وجه تَقْديمه أنْ يُقال: واتَّبَعوا ما تَتْلو الشّياطين على مُلْك سُلَيْمان، وما كفر سليمان،

(١)[ضعيف]سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢)[ضعيف]فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٣)[ضعيف]محمد بن حميد ضعيف.

وما أُنْزِلَ على الملَكَيْنِ، ولكِنّ الشّياطين كَفَروا يُعَلِّمونَ النَّاس السِّحر ببابِل هاروت وماروت. فَيكون معنيًا بـ ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ جِبْريل وميكائيل؛ لأنَّ سَحَرة اليهود فيما ذُكِرَ كانتْ تَزْعُم أنَّ اللَّه أنْزَلَ السِّحر على لِسان جِبْريل وميكائيل إلى سُلَيْمان بن داود، فأكْذَبَها اللَّه بذلك وأخْبَرَ نَبيّه مُحَمَّدًا ﷺ أنَّ جِبْريل وميكائيل لم يَنْزِلا بسِحْرٍ قَطُّ، وبَرَّأ سُلَيْمان مِمَّا نَحَلوه من السِّحْر، وَأخْبَرَهم أنَّ السِّحر من عَمَل الشّياطين، وأنَّها تُعَلِّم النَّاس ذلك ببابِل، وأنَّ الذينَ يُعَلِّمونَهم ذلك رَجُلانِ اسم أَحَدهما هاروت واسم الآخَر ماروت؛ فَيكون هاروت وماروت على هذا التَّأويل تَرْجَمة على النَّاس ورَدًّا عليهم.

وَقال آخَرونَ: تأويل (ما) التي في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ (الذي).

ذكر مَن قال ذلك:

١٦٦٩- **حَدَّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: قال معمَرٌ، قال قَتادة والزُّهْريّ عن عُبيدِ اللَّهِ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ كانا مَلَكَيْنِ من الملائِكة فَأُهْبِطا ليَحْكُما بين النَّاس، وذلك أنَّ الملائِكة سَخِروا من حُكام بَني آدَم، قال: فَحاكَمَتْ إليهما امْرَأة فَحافا لها، ثُمّ ذَهَبا يَصْعَدانِ، فَحيلَ بينهما وبين ذلك وخُيِّرا بين عَذاب الدُّنْيا وعَذاب الآخِرة، فاختارا عَذاب الدُّنْيا، قال معمَر: وقال قَتادة: فَكانا يُعَلِّمانِ النَّاس السِّحْر، فَأُخِذَ عليهما أنْ لا يُعَلِّما أحَدًا حتّى يقولا: إنَّما نَحْنُ فِتْنة فلا تَكْفُر (١).

١٦٧٠- **وحَدَّثَني** موسَى، قال: ثنا عمرو بن حمَّاد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: أمَّا قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ فهذا سِحْر آخَر خاصَموه به أيْضًا. يقول: خاصَموه بما أُنْزِلَ على الملَكَيْنِ وأنَّ كَلام الملائِكة فيما بينهم إذا عَلِمَتْه الإنْس فصُنِعَ وعَمِلَ به كان سِحْرًا (٢).

١٦٧١- **وحَدَّثَنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ فالسِّحر سِحْرانِ: سِحْر تُعَلِّمه الشّياطين، وسِحْر يُعَلِّمه هاروت وماروت (٣).

١٦٧٢- **وحَدَّثَني** المُثَنّى قال: ثنا عبد اللَّه بن صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ قال: التَّفْريق بين المرْء وزَوْجه (٤).

---

(١)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث؛ يكتب حديثه.

١٦٧٣- **وحدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ قال: الشياطين والملكانِ يُعَلِّمونَ النَّاس السِّحر[1].

فَمعنى الآية على تأويل هذا القول الذي ذَكَرْناه عَمَّنْ ذَكَرْنا عنه: واتَّبَعَتِ اليهود الذي تَلَتِ الشّياطين في مُلْك سُلَيْمان والذي أُنزِلَ على الملَكَيْنِ ببابِل هاروت وماروت.

وقال قائلو هذه المقالة: إن الله أنزَل السحر على هاروتَ وماروتَ ببابل. وَهُما مَلَكانِ من مَلائِكة اللَّه، سَنَذْكرُ ما رويَ من الأخبار في شَأنهما بعدُ إنْ شاءَ اللَّه تعالى.

وَقالوا: إنْ قال لنا قائِل: وهَلْ يجوز أنْ يُنْزِل اللَّه السِّحر، أم هَلْ يجوز لِمَلائِكَتِه أنْ تُعَلِّمه النَّاس؟

قُلْنا له: إنَّ اللَّه تبارك وتعالى قد أنْزَلَ الخيْر والشّرّ كُلّه، وبين جَميع ذلك لِعِبادِه، فأوحاه إلى رُسُله وأمَرَهم بتَعْليم خَلْقه وتَعْريفهم ما يَحِلّ لهم مِمَّا يَحْرُم عليهم؛ وذلك كالزِّنا والسّرَقِ وسائِر المعاصي التي عَرَّفَهُموها ونَهاهم عن رُكوبها، فالسِّحر أحَد تلك المعاني التي أخْبَرَهم بها ونَهاهم عن العمَل بها.

وقالوا: لَيْسَ في العِلْم بالسِّحْرِ إثْم، كما لا إثْم في العِلْم بصَنْعةِ الخمْر ونَحْت الأصْنام والطّنابير والملاعِب، وإنَّما الإثْم في عَمَله وتَسْويَته.

قالوا: وكذلك لا إثْم في العِلْم بالسِّحْرِ، وإنَّما الإثْم في العمَل به وأنْ يَضُرّ به مَنْ لا يَحِلّ ضَرُّه به.

قالوا: فَلَيْسَ في إنْزال اللَّه إيَّاه على الملَكَيْنِ ولا في تَعْليم الملَكَيْنِ مَنْ عَلَّماه من النَّاس إثْم إذ كان تَعْليمهما مَنْ عَلَّما ذلك بإذْنِ اللَّه لهُما بتَعْليمِه بعد أنْ يُخْبِراه أنَّهُما فِتْنة ويَنْهياه عن السِّحْر والعمَلِ به والكُفْر؛ وإنَّما الإثْم على مَنْ يَتَعَلَّمه منهُما ويَعْمَل به، إذْ كان اللَّه تعالى ذِكْره قد نَهى عن تَعَلُّمه والعمَل به.

قالوا: ولو كان اللَّه أباحَ لِبَني آدَم أنْ يَتَعَلَّموا ذلك، لم يكُنْ مَن تَعَلَّمه حَرِجًا، كما لم يكونا حَرِجَيْنِ لِعِلْمِهِما به، إذْ كان عِلْمهما بذلك عن تَنْزيل اللَّه إليهما.

وَقال آخرونَ: معنى (ما) معنى (الذي)، وهيَ عَطْف على (ما) الأولَى، غير أنَّ الأُولَى في معنى السِّحْر ومعنى الآخِرة في معنى التّفْريق بين المرْء وزَوْجه.

فَتأويل الآية على هذا القول: واتَّبَعوا السِّحْر الذي تَتْلو الشّياطين في مُلْك سُلَيْمان، والتّفْريق بين المرْء وزَوْجه الذي أُنْزِلَ على الملَكَيْنِ ببابِل هاروت وماروت.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٦٧٤- **حَدَّثَني** المُثَنّى بن إبراهيم، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح،

(١)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه ولكنه قوله.

عن مُجاهِد: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾: وهُما يُعَلِّمان ما يُفرِّقونَ به بين المرْء وزَوْجه، وذلك قول اللَّه - وقالوا: كفر سليمان -: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ فكان يقول: أمَّا السِّحر فإنَّما تُعلِّمه الشياطين، وأمَّا الذي يُعلِّمه الملَكانِ فالتفْريق بين المرْء وزَوْجه، كما قال اللَّه تعالى[(١)].

وَقال آخَرونَ: جائِز أنْ تكون (ما) بمعنى (الذي)، وجائِز أنْ تكون بمعنى (لم).

ذكر مَن قال ذلك:

١٦٧٥- **حدّثني** يونُس بن عبد الأعلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب قال: حَدَّثَني اللَّيْث بن سَعْد، عن يَحْيَى بن سَعيد، عن القاسِم بن مُحمَّد، وسَألَه رَجُل عن قول اللَّه: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ فَقال الرّجُل: يُعَلِّمانِ النَّاس ما أُنزِلَ عليهِما، أم يُعَلِّمانِ النَّاس ما لم يَنْزِل عليهِما؟ قال القاسِم: ما أُبالي أيَّتهما كانتْ[(٢)].

١٦٧٦- **وحدّثني** يونُسُ، قال: حدَّثني أنسُ بن عياض، عن بعض أصْحابه، أنَّ القاسِم بن مُحمَّد سُئِلَ عن قول اللَّه: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ فَقيلَ له: أُنزِلَ أو لم يُنْزَل؟ فَقال: لا أُبالي أيَّ ذلك كان، إلاَّ أنّي آمَنْت به[(٣)].

والصّواب من القول في ذلك عندنا قول مَنْ وجَّهَ (ما) التي في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ إلى معنى (الذي) دون معنى (ما) التي هي بمعنى الجحْد.

وَإنَّما اختَرْت ذلك من أجْل أنَّ (ما) إنْ وُجِّهَتْ إلى معنى الجحْد، فَنَفى عن الملَكَيْنِ أنْ يكونا مُنْزِلاً إليهِما.

لم يَخْلُ الاسمانِ اللَّذانِ بعدهما - أعْني هاروت وماروت - من أنْ يكونا بَدَلاً منهُما وتَرْجَمة عنهُما، أو بَدَلاً من النَّاس في قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ وتَرْجَمة عنهُم.

فَإنْ جُعِلا بَدَلاً من الملَكَيْنِ وتَرْجَمة عنهُما بَطَلَ معنى قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ لأنَّهما إذا لم يكونا عالِمَيْنِ بما يُفَرَّق به بين المرْء وزَوْجه، فَما الذي يُتَعَلَّم منهُما مما يُفَرَّق بين المرْء وزَوْجه؟ وبعد، فَإنَّ (ما) التي في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ إنْ كانتْ بمعنى الجحْد عَطْفًا على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ فَإنَّ اللَّه جَلّ ثَناؤه نَفَى بقولِه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ عن سُلَيْمان أنْ يكون السِّحْر من عَمَله، أو من عِلْمه أو تَعْليمه.

فَإنْ كان الذي نَفَى عن الملَكَيْنِ من ذلك نَظير الذي نَفَى عن سُلَيْمان منه - وهاروت وماروت

---

(١)[ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي؛ ضعيف، يكتب حديثه.

(٢)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٣)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند فيه مبهم.

هُما الملَكانِ - فَمَنْ المُتَعَلِّم منه إذًا ما يُفَرِّق به بين المرْء وزَوْجه؟ وعَمَّنْ الخبَر الذي أَخْبَرَ عنه بقولِه: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؟ إنَّ خَطَأَ هذا القول لَواضِح بيِّن.

وَإنْ كان قوله: ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ تَرْجمة عن النَّاس الذينَ في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فقد وجَبَ أنْ تكون الشّياطين هي التي تُعَلِّم هاروت وماروت السِّحْر، وأن تكون السّحَرة إنَّما تَعَلَّمَتِ السِّحْر من هاروت وماروت عن تَعْليم الشّياطين إيَّاهُما.

فَإنْ يكُنْ ذلك كذلك، فَلَنْ يَخْلو هاروت وماروت عند قائِل هذه المقالة من أَحَد أَمْرَيْنِ: إمَّا أنْ يكونا مَلَكَيْنِ، فَإنْ كانا عندهم مَلَكَيْنِ فقد أوجَبوا لهُما من الكُفْر باللّه والمعصية له - بِنِسْبَتِهم إيَّاهُما إلى أنَّهما يَتَعَلَّمانِ من الشّياطين السِّحْر والكفر ويُعَلِّمانِه النَّاس، وإصْرارهما على ذلك ومُقامهما عليه - أَعْظَم مِمَّا ذُكِرَ عنهُما أنَّهما أَتَياه من المعصية التي استَحَقَّا عليها العِقاب، وفي خَبَر اللّه تعالى ذكره عنهُما أنَّهما لا يُعَلِّمانِ أحَدًا ما يَتَعَلَّم منهُما حتّى يقولا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ما يُغْني عن الإكْثار في الدَّلالة على خَطَأ هذا القول.

أو أنْ يكونا كانا رَجُلَيْنِ من بَني آدَم؛ فَإنْ يكُنْ ذلك كذلك فقد كان يجِب أنْ يكون بهَلاكِهما قد ارْتَفَعَ السِّحْر والعِلْم به والعمَل من بَني آدَم؛ لأنَّه إذا كان عِلْم ذلك من قِبَلهما يُؤخَذ ومنهُما يُتَعَلَّم، فالواجِب أنْ يكون بهَلاكِهِما وعَدَم وُجودهما عَدَمُ السّبيل إلى الوُصول إلى المعنى الذي كان لا يوصَل إليه إلاَّ بهِما؛ وفي وُجود السِّحْر في كُلّ زَمان ووَقْت أَبْيَن الدَّلالة على فَساد هذا القول.

أو يَزْعُم قائِلو ذلك أنَّهما رَجُلانِ من بَني آدَم، لم يُعْدَما من الأرض مُنْذُ خُلِقَتْ الأرض، ولا يُعْدَمانِ ما وُجِدَ السِّحْر في النَّاس.

فَيَدَّعي ما لا يَخْفَى بطولِه.

فَإذ فَسدَتْ هذه الوُجوه التي دَلَّلْنا على فَسادها، فَبيِّن أنَّ معنى: ﴿مَآ﴾ التي في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ بمعنى (الذي)، وأنَّ هاروت وماروت مُتَرْجَم بهِما عن المـلَكَيْنِ؛ ولِذلك فُتِحَتْ أواخِر أسمائِهِما؛ لأنَّهما في موضِع خَفْض بالرَّدّ على الملَكَيْنِ، ولَكِنَّهُما لَمَّا كانا لا يُجْرَيانِ فُتِحَتْ أواخِر أسمائِهِما.

فَإنْ التَبَسَ على ذي غَباء ما قُلْنا، فَقال: وكيف يجوز لِمَلائِكَةِ اللّه أنْ تُعَلِّم النَّاس التَّفْريق بين المرْء وزَوْجه؟ أم كيف يجوز أنْ يُضاف إلى اللّه إنْزال ذلك على الملائِكة؟ قيلَ له: إنَّ اللّه جَلَّ ثَناؤه عَرَّفَ عِباده جَميع ما أمَرَهم به وجَميع ما نَهاهم عنه، ثُمّ أمَرَهم ونَهاهم بعد العِلْم منهم بما يُؤمَرونَ به ويُنْهَوْنَ عنه.

وَلو كان الأمْر على غير ذلك، لَما كان لِلأمْرِ والنّهْي معنًى مَفْهوم؛ فالسِّحْر مِمَّا قد نَهَى عِباده من بَني آدَم عنه، فَغير مُنْكَر أنْ يكون جَلّ ثَناؤه عَلَّمَه الملَكَيْنِ اللَّذَيْنِ سَمَّاهُما في تَنْزيله وجَعَلَهُما فِتْنة لِعِبادِه من بَني آدَم كما أَخْبَرَ عنهُما أنَّهما يقولانِ لِمَنْ يَتَعَلَّم ذلك منهُما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا

تَكْفُرْ﴾ ليَختَبِر بهِما عِباده الذينَ نَهاهم عن التّفريق بين المرْء وزَوْجه وعن السِّحْر، فيُمَحِّص المُؤمِن بتَرْكِه التَعَلُّم منهُما، ويُخْزي الكافِر بتَعَلُّمِه السِّحْر والكُفْر منهُما، ويكون الملَكانِ في تَعْليمهما مَنْ عَلَّما ذلك لِلَّه مُطيعينَ، إذْ كانا عن إذْن اللَّه لهُما بتَعْليم ذلك مَنْ عَلَّماه يُعَلِّمان.

وَقد عُبِدَ من دون اللَّه جَماعة من أولياء اللَّه، فَلم يكُنْ ذلكَ لهم ضائِرًا إذْ لم يكُنْ ذلك بأمْرِهم إيَّاهم به، بل عُبِدَ بعضهم والمعبود عنه ناهٍ، فَكذلك الملَكانِ غير ضائِرهما سِحْرُ مَنْ سَحَرَ مِمَّنْ تَعَلَّمَ ذلك منهُما بعد نَهْيهما إيَّاه عنه وعِظَتهما له بقولِهِما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ إذْ كانا قد أدَّيا ما أُمِرَ به بقيْلِهِما ذلك، كَما:

١٦٧٧- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: ثنا يَحْيَى بن سَعيد، عن عَوْف، عن الحسن في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ قال قوله: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾: أُخِذَ عليهِما ذلك[(١)].

ذِكْر بعض الأخبار التي جاءت في شأن الملَكَينِ وأمرهما، ومَن قال إنّ هاروت وماروت هُما الملَكانِ اللذانِ ذَكَرَ اللَّه في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾:

١٦٧٨- حَدَّثَنا مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: حدَّثنا مُعاذ بن هِشام، قال: حَدَّثَني أبي، عن قَتادة، قال: حدَّثنا أبو شُعْبة العدَويّ في جِنازة يونُس بن جُبَيْر أبي غَلَّاب، عن ابن عَبَّاس قال: إنَّ اللَّه تبارك وتعالى أفرَج السَّماء لِمَلائِكَتِه يَنْظُرونَ إلى أعْمال بَني آدَم، فَلَمَّا أبْصَروهم يَعْمَلونَ بالخطايا، قالوا: يا رَبِّ هؤلاء بَنو آدَم الذي خَلَقْتَ بيَدِك، وأسجَدْت له مَلائِكَتك، وعَلَّمْته أسماء كُلّ شَيْء، يَعْمَلونَ بالخطايا. قال: أما إنّكم لو كُنْتُم مَكانهم لَعَمِلْتُم مِثْل أعْمالهِمْ. قالوا: سُبْحانك ما كان يَنْبَغي لَنا. قال: فَأُمِروا أنْ يَخْتاروا مَلَكَينِ ليَهْبِطا إلى الأرض. قال: فاختاروا هاروت وماروت، فَأُهْبِطا إلى الأرض، وأُحِلّ لهُما ما فيها من شَيْء غير أنْ لا يُشْرِكا باللَّه شَيْئًا ولا يَسْرِقا، ولا يَزْنيا، ولا يَشْرَبا الخمْر، ولا يَقْتُلا النّفس التي حَرَّمَ اللَّه إلاَّ بالحقّ، قال: فَما أشْهَرَا حتّى عَرَّضَ لهُما بامْرَأة قد قُسِمَ لها نِصْف الحُسْن يُقال لها: (بِيذُخت)، فَلَمَّا أبْصَراها كسَرا بها إرْبًا، فَقالتْ: لا إلاَّ أنْ تُشْرِكا باللَّه وتَشْرَبا الخمْر وتَقْتُلا النّفْس وتَسْجُدا لِهذا الصّنَم. فَقالا: ما كُنَّا لِنُشْرِك باللَّه شَيْئًا. فَقال أحَدهما لِلآخَرِ: ارْجِعْ إليها. فَقالتْ: لا إلا أنْ تَشْرَبا الخمْر. فَشَرِبا حتّى ثَمِلا، ودَخَلَ عليهِما سائِل فَقَتَلاه، فَلَمَّا وقَعا فيما وقَعا فيه من الشّرّ، أفرَجَ اللَّه السّماء لِمَلائِكَتِه، فَقالوا: سُبْحانك كُنْت أنت أعْلَم، قال: فَأوحَى اللَّه إلى سُلَيْمان بن داود أنْ يُخَيِّرهُما بين عَذاب الدُّنْيا وعَذاب الآخِرة، فاختارا عَذاب الدُّنْيا، فَكُبِّلا من أكْعُبِهِما إلى أعْناقهما بمِثْلِ أعْناق البُخْت وجُعِلا ببابِل[(٢)].

١٦٧٩- حَدَّثَني المُثَنّى بن إبراهيم، قال: حدَّثنا الحجَّاج بن المنهال، قال: حدَّثنا حمادٌ،

(١)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.
(٢)[ضعيف] أبو شعبة العدوي لا أدري من يكون.

عن عَليّ بن زَيْد، عن أبي عُثْمان النَهْديّ، عن ابن مسعود وابن عَبَّاس أنَّهُما قالا: لَمَّا كَثُرَ بَنو آدَم وعَصَوْا، دَعَتِ الملائِكة عليهم والأرض والسّماء والجِبال: رَبّنا ألا تُهْلِكهم؟ فَأوحَى اللّه إلى الملائِكة: إنّي لو أنْزَلْت الشّهْوة والشّيْطان من قُلوبكُم ولو نَزَلْتُم لَفَعَلْتُم أيْضًا. قال: فَحَدَّثوا أنفُسهم أنْ لو ابْتُلوا اعْتَصَموا. فَأوحَى اللّه إليهم أنْ اختاروا مَلَكَيْنِ من أفضَلكم. فاختاروا هاروت وماروت، فَأُهْبِطا إلى الأرض وأُنْزِلَتِ الزُّهْرة إليهما في صورة امْرَأة من أهل فارِس، كان أهل فارِس يُسَمّونَها (بِيذُخْتْ). قال: فَوَقَعا بالخطيئةِ، فكانتِ الملائِكة يَسْتَغْفِرونَ لِلّذينَ آمَنوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. فَلَمَّا وقَعا بالخطيئةِ استَغْفَروا لِمَنْ في الأرض: ﴿أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥] فَخُيِّرا بين عَذاب الدُّنْيا وعَذاب الآخِرة فاختارا عَذاب الدُّنْيا(١).

١٦٨٠- **حدَّثني** المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا الحجّاج، قال: حدّثنا حَمَّاد، عن خالِد الحذَّاء، عن عُميرِ بن سَعيدٍ، قال سَمِعْت عَليًا يقول: كانتِ الزُّهَرة امْرَأة جَميلة من أهل فارِس، وإنَّها خاصَمَتْ إلى الملَكَيْنِ هاروت وماروت فَراوَداها عن نَفْسها، فَأبَتْ عليهما إلاَّ أنْ يُعَلِّماها الكلام الذي إذا تُكُلِّمَ به يُعْرَج به إلى السّماء. فَعَلَّماها فَتَكَلَّمَتْ فَعَرَجَتْ إلى السّماء فَمُسِخَتْ كَوْكَبًا(٢).

١٦٨١- **وحَدَّثنا** مُحَمَّد بن بَشّار ومُحَمَّد بن المُثَنّى، قالا: ثنا مُؤَمَّل بن إسماعيل، وحَدَّثَنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، جَميعًا، عن الثَوْريّ، عن موسى بن عُقْبة، عن سالِم، عن ابن عُمَر، عن كَعْب، قال: ذَكَرَتِ الملائِكة أعْمال بَني آدَم وما يَأتونَ من الذُّنوب، فَقيلَ لهم: اختاروا منكُم اثْنَيْنِ - وقال الحسن بن يَحْيَى في حَديثه: اختاروا مَلَكَيْنِ - فاختاروا هاروت وماروت، فقيلَ لهُما: إنّي أُرْسِل إلى بَني آدَم رُسُلاً، ولَيْسَ بيني وبينكُما رَسول، انزِلا لا تُشرِكا بي شَيْئًا، ولا تَزْنيا، ولا تَشْرَبا الخمْر. قال كَعْب: فَواللّه ما أمْسَيا من يومهما الذي أُهْبِطا فيه إلى الأرض، حتّى استَكْمَلا جَميع ما نُهيا عنه.

وَقال الحسن بن يَحْيَى في حَديثه: فَما استَكْمَلا يومهما الذي أُنْزِلا فيه حتّى عَمِلا ما حَرَّمَ اللّه عليهما(٣).

١٦٨٢- **وحَدَّثني** المُثَنّى، قال: ثنا مُعَلّى بن أسَد، قال: ثنا عبد العزيز بن المُخْتار، عن موسَى بن عُقْبة، قال: حَدَّثَني سالِم أنّه سَمِعَ عبد اللّه يُحَدِّث عن كَعْب الأحبار، أنّه حَدَّثَ أنَّ الملائِكة أنْكَروا أعْمال بَني آدَم وما يَأتونَ في الأرض من المعاصي، فَقال اللّه لهم: إنَّكُم لو كُنْتُم

---

(١)[ضعيف] علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان؛ ضعيف الحديث.

(٢)[ضعيف] عمير بن سعيد، و قيل: ابن سعد، النخعي الصهباني، أبو يحيى الكوفي؛ ثقة عن علي على شرطهما، ولكن لا أعلم أنَّ خالدًا الحذاء سمع منه أو روى عنه، والمثنى مجهول الحال.

(٣)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف.

مَكانهم أَتَيْتُم ما يَأتونَ من الذُّنوب فاختاروا منكُم مَلَكَيْنِ. فاختاروا هاروت وماروت اختيارًا، فَقال اللَّه لهُما: إنِّي أُرْسِل رُسُلي إلى النَّاس، ولَيْسَ بيني وبينكُما رَسول، انزِلا إلى الأرض، ولا تُشرِكا بي شَيْئًا، ولا تَزْنيا. فَقال كَعْب: والذي نَفْس كَعْب بيَدِه ما استَكْمَلا يومهما الذي نَزَلا فيه حتّى أتَيا كُلَّ ما حَرَّمَ اللَّه عليهِما (١).

١٦٨٣- **وحَدَّثني** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: إنَّه كان من أمْر هاروت وماروت أنَّهُما طَعَنا على أهل الأرض في أحكامهم، فَقيلَ لهُما: إنِّي أعْطَيْت بني آدَم عَشْرًا من الشَّهَوات فَبِها يَعْصونَني. قال هاروت وماروت: رَبَّنا لو أعْطَيْتنا تلك الشَّهَوات ثُمَّ نَزَلْنا لَحَكَمْنا بالعدْلِ. فَقال لهُما: انزِلا فقد أعْطَيْتُكُما تلك الشَّهَوات العشر فاحكُما بين النَّاس. فَنَزَلا ببابِل دُنباوَنْدَ، فَكانا يَحْكُمانِ، حتّى إذا أمْسَيا عَرَجا، فَإذا أصْبَحا هَبَطا، فَلم يَزالا بذلك حتّى أتَتْهُما امْرَأة تُخاصِم زَوْجها، فَأعْجَبَهُما حُسْنها. واسمها بالعربيّةِ (الزّهْرة)، واسمها بالنَّبَطيّةِ (بيذخت)، واسمها بالفارِسيّةِ (أناهيذ) - فَقال أحَدهما لِصاحِبه: إنَّها لَتُعْجِبني. قال الآخَر: قد أرَدْتُ أنْ أذْكُر لَك ذلك فاستَحْيَيْت منك. فَقال الآخَر: هَلْ لَك أنْ أذْكُرها لِنَفْسِها؟ قال: نَعَمْ، ولَكِنْ كيف لنا بعَذابِ اللَّه؟ قال الآخَر: إنَّا نَرْجو رَحْمة اللَّه. فَلَمَّا جاءتْ تُخاصِم زَوْجها ذَكَرا لها نَفْسها، فَقالتْ: لا، حتّى تَقْضيا لي على زَوْجي. فَقَضَيا لها على زَوْجها، ثُمّ واعَدَتْهُما خَرِبة من الخربَ يَأتيانِها فيها، فَأتَيَاها لِذلك، فَلَمَّا أرادَ الذي يواقِعها، قالتْ: ما أنا بالذي أفعَل حتّى تُخبِراني بأيِّ كَلامٍ نَصْعَدانِ إلى السّماء، وبِأيِّ كَلام تَنْزِلانِ منها. فَأخْبَراها فَتَكَلَّمَتْ فَصَعِدَتْ. فَأنْساها اللَّه ما تَنْزِل به فَبَقيَتْ مَكانها، وجَعَلَها اللَّه كَوْكَبًا - فَكان عبد اللَّه بن عُمَر كُلَّما رَآها لَعَنَها وقال: هذه التي فَتَنَتْ هاروت وماروت - فَلَمَّا كان اللَّيْل أرادا أنْ يَصْعَدا فَلم يُطيقا فَعَرَفا الهلَكةَ، فَخُيِّرا عَذاب الدُّنيا من عذاب الآخِرة، فاختارا عَذاب الدُّنيا، فَعُلِّقا ببابِل وجَعَلا يُكَلِّمانِ النَّاس كَلامهما وهو السِّحْر (٢).

١٦٨٤- **وحَدَّثني** المُثَنّى بن إبراهيم، قال: ثنا إسحاق، قال، ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع، قال: لَمَّا وقَعَ النَّاس من بعد آدَم فيما وقَعوا فيه من المعاصي والكُفْر باللَّه، قالتِ الملائِكة في السّماء: أيْ رَبِّ، هذا العالَم إنَّما خَلَقْتهم لِعِبادَتِك وطاعَتك، وقد رَكِبوا الكُفْر وقَتْلَ النَّفْس الحرام وأكْلَ المال الحرام والسَّرِقة والزِّنا وشُرْب الخمْر. فجعلوا يَدْعونَ عليهم ولا يَعْذِرونَهم، فَقيلَ لهم: إنَّهم في غَيْب. فَلم يَعْذِروهم، فَقيلَ لهم: اختاروا منكُم مَلَكَيْنِ آمُرهُما بأمْري، وأنْهاهُما عن معصيَتي. فاختاروا هاروت وماروت، فَأُهْبِطا إلى الأرض، وجُعِل لهما شَهَوات بَني آدَم، وأُمِرا أنْ يَعْبُدا اللَّه وألاَّ يُشْرِكا به شَيْئًا، ونُهيا عن قَتْل النَّفْس الحرام، وأكْل

(١)[صحيح]تقدم قبله، عبد العزيز بن المختار الأنصاري أبو إسحاق؛ ليس به بأس. و معلى بن أسد العمي أبو الهيثم البصري أخو بهز بن أسد؛ ثقة ثبت، قال أبو حاتم: لم يخطئ إلا في حديث واحد. والمثنى مجهول الحال.
(٢)[ضعيف]من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

المال الحرام، والسَّرِقة والزِّنا وشُرْب الخمْر. فَلَبِثا في الأرض على ذلك زَمانًا يَحْكُمانِ بين النَّاس بالحقِّ - وذلك في زَمان إدْريس - وفي ذلك الزّمان امْرَأة حُسْنها في سائِر النِّساء كَحُسْنِ الزُّهْرة في سائِر الكوْكَب. وأنَّها أتَتْ عليهما فَخَضَعا لها بالقولِ، وأراداها على نَفْسها، وإنَّها أبَتْ إلاَّ أنْ يكونا على أمْرها ودينها، وأنَّهما سَألاها عن دينها الذي هي عليه، فَأخْرَجَتْ لهُما صَنَمًا فقالتْ: هذا أعْبُد. فَقالا: لا حاجة لنا في عِبادة هذا. فَذَهَبا فَصَبَرا ما شاءَ اللَّه، ثُمّ أتَيا عليها فَخَضَعا لها بالقولِ وأراداها على نَفْسها، فَقالتْ: لا، إلاَّ أنْ تَكونا على ما أنا عليه.

فَقالا: لا حاجة لنا في عِبادة هذا. فَلَمَّا رَأتْ أنَّهما قد أبَيا أنْ يَعْبُدا الصَّنَم، قالتْ لهُما: اختارا إحدَى الخِلال الثّلاث؛ إمَّا أنْ تَعْبُدا الصَّنَم، أو تَقْتُلا النَّفْس، أو تَشْرَبا هذه الخمْر. فَقالا: كُلُّ هذا لا يَنْبَغي، وأهوَن الثّلاثة شُرْب الخمْر. فَسَقَتْهُما الخمْر، حتّى إذا أخَذَتِ الخمْر فيهِما وقَعا بها، فَمَرَّ بهِما إنْسان وهُما في ذلك، فَخَشيا أنْ يُفْشي عليهِما فَقَتَلاه، فَلَمَّا أنْ ذَهَبَ عنهُما السُّكْر عَرَفا ما قد وقَعا فيه من الخطيئة وأرادا أنْ يَصْعَدا إلى السَّماء فَلم يَسْتَطيعا، فَحيلَ بينهما وبين ذلك، وكُشِفَ الغِطاء فيما بينهما وبين أهل السَّماء. فَنَظَرَتِ الملائِكة إلى ما قد وقَعا فيه من الذّنْب، فَعَجِبوا كُلَّ العجَب، وعَرَفوا أنه مَنْ كان في غَيْب فهو أقَلّ خَشْية، فَجَعَلوا بعد ذلك يَسْتَغْفِرونَ لِمَنْ في الأرض. وإنَّهما لَمَّا وقَعا فيما وقَعا فيه من الخطيئة، قيلَ لهُما: اختارا عَذاب الدُّنْيا أو عَذاب الآخِرة. فَقالا: أمَّا عَذاب الدُّنْيا فَإنَّه يَنْقَطِع ويذهب وأمَّا عَذاب الآخِرة فلا انقِطاع له. فاختارا عَذاب الدُّنْيا، فَجُعِلا ببابِل، فَهُما يُعَذَّبانِ[(١)].

١٦٨٥- **وحَدّثَنا** القاسِم، قال: حدَّثنا الحُسَيْن، قال: حدَّثنا فَرَج بن فَضالةَ، عن مُعاوية بن صالِح، عن نافِع، قال: سافَرْت مع ابن عُمَر، فَلَمَّا كان من آخِر اللَّيْل قال: يا نافِع انظُرْ طَلَعَتِ الحمْراء؟ قلت: لا. مَرَّتَيْنِ أو ثَلاثًا. ثُمّ قُلْت: قد طَلَعَتْ. قال: لا مَرْحَبًا بها ولا أهلاً. قُلْت: سُبْحان اللَّه نَجْم مُسَخَّر سامِع مُطيع! قال: ما قُلْت لَك إلاَّ ما سَمِعْتُ من رَسول اللَّه ﷺ - أو قال: قال لي رَسول اللَّه ﷺ -: «**إنَّ الملائِكة قالتْ: يا رَبِّ كيف صَبْرك على بَني آدَم في الخطايا والذُّنوب؟ قال: إنِّي ابْتَلَيْتهم وعافَيْتُكم. قالوا: لو كُنَّا مَكانهم ما عَصَيْناك. قال: فاختاروا مَلَكَيْنِ منكُم، قال: فَلم يَألوا أنْ يَختاروا، فاختاروا هاروت وماروت**»[(٢)].

١٦٨٦- **وحَدّثني** المُثَنّى، قال: حدَّثنا أبو حُذَيْفة، قال: حدَّثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: أمَّا شَأن هاروت وماروت، فَإنَّ الملائِكة عَجِبَت من ظُلْم بَني آدَم وقد جاءَتْهم الرُّسُل والكُتُب والبيِّنات، فَقال لهم رَبّهمْ: اختاروا منكم مَلَكَيْنِ أُنْزِلُهما يَحْكُمانِ في الأرض بين بَني آدَم، فاختاروا - فلم يألوا - هاروت وماروت. فَقال لهُما حين أنْزَلَهُما: أعَجِبْتُما من بَني آدَم

(١)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[ضعيف] فرج بن فضالة بن النعمان بن نعيم؛ ضعيف الحديث. و معاوية بن صالح بن حدير الحضرمي ثقة من كبار أتباع التابعين، لا أعلم له سماعًا عن نافع.

ومن ظُلمهم ومعصيَتهمْ، وإنَّما تأتيهم الرُّسُل والكُتُب من وراءَ وراءَ! وأنتما لَيْسَ بيني وبينكُما رَسول، فافعَلا كذا وكذا، ودَعا كذا وكذا. فأمَرَهُما بأمْرٍ ونَهاهُما.

ثُمّ نَزَلا على ذلك لَيْسَ أحَد أطوع لله منهُما، فَحَكَما فَعَدَلا، فَكانا يَحْكُمانِ النّهار بين بَني آدَم، فإذا أمْسَيا عَرَجا وكانا مع الملائِكة، ويَنْزِلانِ حين يُصْبِحانِ فَيَحْكُمانِ فَيَعْدِلانِ.

حتّى أُنزِلَتْ عليهِما الزُّهَرة في أحسَن صورة امْرَأة تُخاصِم، فَقَضَيا عليها. فَلَمَّا قامَتْ وجَدَ كُلّ واحِد منهُما في نَفسه، فقال أحَدهما لِصاحِبه: وجَدْت مِثْل ما وجَدْت؟ قال: نَعَمْ. فَبَعَثا إليها أنْ ائتينا نَقْضِ لَك. فَلَمّا رَجَعَتْ قالا لها - وقَضَيا لها -: ائتينا، فَأَتَتْهُما، فَتَكَشَفا لها عن عَوْرَتهما، وإنَّما كانتْ شَهْوَتهما في أنفُسهما ولم يكونا كَبَني آدَم في شَهْوة النِّساء ولَذَّتها. فَلَمَّا بَلَغا ذلك واستَحَلاَّه وافتُتِنا، طارَتِ الزّهَرة فَرَجَعَتْ حَيْثُ كانتْ، فَلَمَّا أمْسَيا عَرَجا فَزُجِرا فلم يُؤذَن لهُما ولم تَحمِلهُما أجْنِحَتهما؛ فاستَغاثا برَجُلٍ من بَني آدَم، فَأَتَياه فَقالا: ادْعُ لنا رَبّك، فَقال: كيف يَشْفَع أهل الأرض لأهلِ السّماء؟ قالا: سَمِعْنا رَبّك يَذْكُرك بخَيْرٍ في السّماء. فَوَعَدَهُما يومًا وعدًا يَدْعو لهُما. فَدَعا لهُما فاستُجيبَ له، فَخُيِّرا بين عَذاب الدُّنيا وعَذاب الآخِرة. فَنَظَرَ أحَدهما إلى صاحِبه فَقال: ألا تعْلَمُ أنَّ أفواج عَذاب اللّه في الآخِرة كذا وكذا في الخُلْد ومع الدُّنْيا سَبْع مَرَّات مِثْلها. فَأُمِرا أنْ يَنْزِلا ببابِل، فَثَمَّ عَذابُهما. وزُعِمَ أنَّهما مُعَلَّقانِ في الحديد مَطْوِيَّانِ يَضطَفِقانِ بأجْنِحَتِهِما [١].

قال أبو جَعْفَرٍ: وحُكيَ عن بعض القَرَأةِ أنَّه كان يَقْرَأ ذلك: (وَما أُنزِلَ عَلَى الملِكين) يَعْني به رَجُلَيْنِ من بَني آدَم.

وَقد دَلَّلْنا على خَطَأ القِراءة بذلك من جِهة الاستِدْلال؛ فَأمّا من جِهة النَّقْل فَإجماع الحُجّة على خَطَأ القِراءة بها من الصّحابة والتّابعينَ وقَرَأة الأمْصار، وكَفَى بذلك شاهِدًا على خَطَئِها.

وَأمّا قوله: ﴿بِبَابِلَ﴾ فَإنَّه اسم قَرْية أو موضِع من مَواضِع الأرض.

وَقد اختَلَفَ أهل التّأويل فيها، فَقال بعضهم: إنَّها ببابِل دُنْباوَنْدَ.

١٦٨٧ - حَدَّثني بذلك موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ.

وَقال بعضهمْ: بل ذلك ببابِل العِراق.

ذكر مَن قال ذلك

١٦٨٨ - حَدّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن ابن أبي الزّناد، عن هِشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائِشة في قِصّة ذَكَرَتْها عن امْرَأة قَدِمَتِ المدينة، فَذَكَرَتْ أنَّها صارَتْ بالعِراق ببابِل، فَأَتَتْ بها هاروت وماروت فَتَعَلَّمَتْ منهُما السِّحْر [٢].

---

(١)[ضعيف]المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٢)[ضعيف]عبد الرحمن بن أبي الزناد، ضعيف، يكتب حديثه، وفيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

واختُلِفَ في معنى السِّحر، فَقال بعضهمْ: هو خُدَع ومَخاريق ومَعانٍ يَفْعَلهُ السَّاحِر، حتّى يُخَيَّل إلى المسحور الشَّيْء أنّه بخِلافِ ما هو به نَظير الذي يَرَى السّراب من بَعيد، فيُخَيَّل إليه أنّه ماء، ويَرَى الشّيْء من بَعيد فيه فيَتَبَيَّنُه بخِلافِ ما هو به على حَقيقَته. وكَراكِبِ السَّفينة السَّائِرة سَيْرًا حَثيثًا يُخَيَّل إليه أنَّ ما عايَنَ من الأشجار والجِبال سائِرٌ معه، قالوا: فَكذلك المسحور ذلك صِفَته، يَحْسَب بعد الذي وصَلَ إليه من سِحْر السَّاحِر أنَّ الذي يَراه أو يَفْعَله بخِلافِ الذي هو به على حَقيقَته. كالذي:

١٦٨٩- **حَدَّثني** أحمَد بن الوليد، وسُفْيان بن وكيع قالا: ثنا يَحْيَى بن سَعيد، عن هِشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائِشة: أنَّ النبيّ ﷺ لَمَّا سُحِرَ كان يُخَيَّل إليه أنّه يَفْعَل الشّيْء ولم يَفْعَلهُ [(١)].

١٦٩٠- **وحَدّثنا** ابن وكيع، قال: ثنا ابن نُمَيْر، عن هِشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائِشة، قالتْ: سَحَرَ رَسولَ اللّه ﷺ يَهوديٌّ من يَهود بَني زُرَيْق يُقال له: لَبيد بن الأعْصَم، حتّى كان رَسول اللّه ﷺ يُخَيَّل إليه أنّه يَفْعَل الشّيْء وما يَفْعَلهُ [(٢)].

١٦٩١- **حَدّثنا** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: أخْبَرَني يونُس، عن ابن شِهاب، قال: كان عُرْوة بن الزُّبير وسَعيد بن المُسَيِّب يُحَدِّثانِ: أنَّ يَهود بَني زُرَيْق عَقَدوا عُقَدَ سِحْرٍ لِرَسولِ اللّه ﷺ، فَجَعَلوها في بئْر حَزْمٍ حتّى كان رَسول اللّه ﷺ يُنْكِر بَصَره ودَلَّه اللّه على ما صَنَعوا. فَأرسَلَ رَسول اللّه ﷺ إلى بئْر حَزْمٍ التي فيها العُقَد فانتَزَعَها، فَكان رَسول اللّه ﷺ يقول: «**سَحَرَتْني يَهود بَني زُرَيْق**» [(٣)].

وَأنْكَرَ قائِلو هذه المقالة أنْ يكون السَّاحِر يَقْدِر بسِحْرِه على قَلْب شَيْء عن حَقيقَته، أو استِسْخار شَيْء من خَلْق اللّه إلاّ نَظير الذي يَقْدِر عليه من ذلك سائِر بَني آدَم، أو إنْشاء شَيْء من الأجْسام سِوَى المخاريق والخُدَع المُتَخَيَّلة لأبْصارِ النَّاظِرينَ بخِلافِ حَقائِقها التي وصَفْنا.

وَقالوا: لو كان في وُسْع السّحَرة إنْشاء الأجْسام وقَلْب حَقائِق الأعْيان عَمَّا هي به من الهيْئات، لم يكُنْ بين الباطِل والحقّ فَصْل، ولَجازَ أنْ تَكون جَميع المُحسَّات مِمَّا سَحَرَتْه السّحَرة فَقَلَبَتْ أعْيانها. قالوا: وفي وَصْف اللّه جَلّ وعَزّ سِحْر سَحَرة فرعون بقولِه: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

وَفي خَبَر عائِشة عن رَسول اللّه ﷺ إنّه كان إذ سُحِرَ يُخَيَّل إليه أنّه يَفْعَل الشّيْء وهو لا يَفْعَله - أوضَح الدَّلالة على بُطول دَعْوَى المُدَّعينَ - أنَّ السَّاحِر يُنْشِئ أعْيانَ الأشياء بسِحْرِه، ويَسْتَسْخِر

(١)[صحيح] أخرجه البخاري [٣٢٦٨]، ومسلم [٢١٨٩] وغيرهما.

(٢)[صحيح] تقدم قبله.

(٣)[ضعيف] عروة، وابن المسيب عن النبي ﷺ مرسل. تنبيه: في طبعة التركي نقلوا تنبيه ابن حجر على من أنكر هذا الحديث، وهذا خطأ منهم، فتعليق ابن حجر على الحديث قبله وليس هذا. والعلم عند الله.

ما يَتَعذَّر استِسْخارهُ على غيره من بَني آدَم، كالمواتِ والجماد والحيَوان - وصِحّة ما قُلْنا.

وَقال آخَرونَ: قد يَقْدِر السَّاحِر بسِحْرِه أنْ يُحَوِّل الإنْسان حِمارًا، وأنْ يَسْحَر الحيوان والجماد ويُنْشِئ أعْيانًا وأجْسامًا.

واعتَلّوا في ذلك بما:

١٦٩٢ - **حدَّثنا** به الرَّبيع بن سُلَيْمان، قال: ثنا ابن وهب، قال: أخبرَني ابن أبي الزِّناد، قال: حَدَّثَني هِشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائِشة زَوْج النَّبيّ ﷺ أنَّها قالتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ امْرَأة من أهل دُومة الجندَل، جاءتْ تَبْتَغي رَسول اللَّه ﷺ بعد موته حَداثة ذلك، تَسْأله عن شَيْء دَخَلَتْ فيه من أمْر السِّحْر ولم تَعْمَل به. قالتْ عائِشة لِعُرْوة: يا بن أُخْتي، فَرَأيْتها تَبْكي حين لم تَجِد رَسول اللَّه ﷺ فَيَشْفيها، كانتْ تَبْكي حتّى إنّي لأَرحَمها، وتَقول: إنّي لأخاف أنْ أكون قد هَلَكْت، كان لي زَوْج فَغابَ عَنّي، فَدَخَلَتْ عَلَيَّ عَجوز فَشَكَوْت ذلك إليها، فَقالتْ: إنْ فَعَلْت ما آمُرك به فَأجْعَله يَأتيك. فَلَمّا كان اللَّيْل جاءتْني بكَلْبين أسوَدَيْن، فَرَكِبَتْ أحَدَهما ورَكِبْتُ الآخَر، فَلم يكُنْ كَشَيْءٍ حتّى وقَفْنا ببابِل، فإذا برَجُلَيْنِ مُعَلَّقَيْنِ بأرجُلِهِما، فَقالا: ما جاء بك؟ فَقُلْت: أتَعْلَمُ السِّحْر. فَقالا: إنمّا نَحْنُ فِتْنة فلا تَكْفُري وارجِعي. فَأبَيْت وقُلْت: لا. فَقالا: اذْهَبي إلى ذلك التَّنّور فبولي فيه. فَذَهَبْت فَفَزِعْت فَلم أفعَل، فَرَجَعْت إليهِما، فَقالا: أفَعَلْت؟ فقُلْت: نَعَمْ. قالا: فَهَلْ رَأيْت شَيْئًا؟ قُلْت: لم أرَ شَيْئًا. فَقالا: لم تَفْعَلي، ارجِعي إلى بلادك ولا تَكْفُري. فَأربيْتُ وأبَيْتُ، فَقالا: اذْهَبي إلى ذلك التَّنّور فَبولي فيه. فَذَهَبْت، فاقْشَعْرَرْت وخِفْت، ثُمّ رَجَعْت إليهِما فَقُلْت: قد فَعَلْت. فَقالا: فَما رَأيْت؟ فَقُلْت: لم أرَ شَيْئًا. فَقالا: كَذَبْت لم تَفْعَلي، ارجِعي إلى بلادك ولا تَكْفُري، فَإنَّك على رَأس أمْرك. فَأربيْتُ وأبَيْتز فَقالا: اذْهَبي إلى ذلك التَّنّور فَبولي فيه. فَذَهَبْت إليه فَبُلْت فيه، فَرَأيْت فارسًا مُتَقَنِّعًا بحَديدٍ خَرَجَ مِنه حتّى ذَهَبَ في السَّماء وغابَ عَنّي حتّى ما أراه، فَجِئْتهما فَقُلْت: قد فَعَلْت. فَقالا: فما رَأيْت؟ فَقُلْت: رأيتُ فارِسًا مُتَقَنِّعًا خَرَجَ مِنه فَذَهَبَ في السَّماء حتّى ما أراه. فَقالا: صَدَقْت، ذلك إيمانك خَرَجَ منك اذهَبي. فَقُلْت لِلْمَرْأةِ: واللّهِ ما أعْلَم شَيْئًا وما قالا لي شَيْئًا. فَقالتْ: بَلَى، لَنْ تُريدي شَيْئًا إلاَّ كان، خُذي هذا القَمْح فابْذُريز فَبَذَرْتُ، فَقُلْت: أطلِعي. فَأطلَعَتْ، وقُلْت: أحقِلي. فَأحقَلَتْ، ثُمّ قُلْت: أفرِكي. فَأفرَكَتْ، ثُمّ قُلْت: أيْبِسي. فَأيْبَسَتْ، ثُمّ قُلْت: أطحِني. فَأطحَنَتْ، ثُمّ قُلْت: أخبِزي. فَأخْبَزَتْ، فَلَمّا رَأيْت أنّي لا أُريد شَيْئًا إلاَّ كان سُقِطَ في يَدي ونَدِمْت، واللّه يا أُمّ المُؤمِنينَ ما فَعَلْت شَيْئًا قَطُّ ولا أفعَله أبَدًا (١).

فقال أهل هذه المقالة بما وصَفْنا واعتَلّوا بما ذَكَرْنا، وقالوا: لولا أنَّ السَّاحِر يَقْدِر على فِعْل ما ادَّعَى أنَّه يَقْدِر على فِعْله ما قَدَرَ أنْ يُفَرِّق بين المرْء وزَوْجه.

---

(١)[ضعيف] ابن أبي الزناد يكتب حديثه.

قالوا: وقد أخْبَرَ اللَّه تعالى ذِكْره عنهم أنَّهم يَتَعَلَّمونَ من الملَكَيْنِ ما يُفَرِّقونَ به بين المرْء وزَوْجه، وذلك لو كان على غير الحقيقة وكان على وجه التَّخْييل والحُسْبان، لم يكُنْ تَفْريقًا على صِحّة، وقد أخْبَرَ اللَّه تعالى ذِكْره عنهم أنَّهم يُفَرِّقونَ على صِحّةٍ.

وَقال آخرونَ: بل السِّحْر أخْذٌ بالعيْنِ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾

وَتأويل ذلك: وما يُعَلِّمُ الملَكانِ من أحدٍ من النَّاس الذي أُنْزِلَ عليهما من التَّفْريق بين المرْء وزَوْجه حتّى يقولا له: إنَّما نَحْنُ بَلاء وفِتْنة لِبَني آدم فلا تَكْفُرْ بربِّك، كما:

١٦٩٣ - حدَّثني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: إذا أتاهُما - يَعْني: هاروت وماروت - إنسان يُريد السِّحْر وعَظاه وقالا له: لا تَكْفُر إنَّما نَحنُ فِتْنة. فإذا أبَى قالا له: ائتِ هذا الرّماد فَبُلْ عليه. فإذا بالَ عليه خَرَجَ منه نور يَسْطَع حتّى يَدْخُل السَّماء، وذلك الإيمان، وأقبلَ شَيْء أسوَد كَهَيْئةِ الدُّخان حتّى يَدْخُل في مَسامِعه وكُلِّ شَيْءٍ منه، فَذَلك غَضَبُ اللَّه، فإذا أخْبَرَهُما بذلك عَلَّماه السِّحْر، فَذلك قول اللَّه: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ الآية (١).

١٦٩٤ - حدَّثنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادة والحسن: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ قالا: أُخِذَ عليهما ألا يُعَلِّما أحَدًا حتّى يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (٢).

١٦٩٥ - حدَّثنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، قال: قال قَتادة: كانا يُعَلِّمانِ النَّاس السِّحْر، فأُخِذَ عليهما ألا يُعَلِّما أحَدًا حتّى يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (٣).

١٦٩٦ - حدَّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: ثنا أبو سُفْيان، عن معمَر، قال: قال غير قَتادة: أُخِذَ عليهما ألا يُعَلِّما أحَدًا حتّى يَتَقَدَّما إليه فيقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (٤).

١٦٩٧ - حدَّثنا ابن بَشَّار، قال: ثنا يَحْيَى بن سَعيد، عن عَوْف، عن الحسن، قال: أُخِذَ عليهما أنْ يقولا ذلك (٥).

---

(١) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢) [حسن] من أجل بشر، صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤) [حسن] محمد بن حميد اليشكري أبو سفيان المعمري البصري، قال أبو حاتم: صالح الحديث. وقال ابن معين: هو أحب إليَّ من عبد الرزاق. والحسين بن داود المصيصي ثقة إلا في شيخه الحجاج. وبقية رجاله تقدموا.

(٥) [صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

١٦٩٨- حدَّثنا القاسم، قال: ثنا الحُسَين، قال: حدَّثني حجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أُخِذَ الميثاق عليهما ألا يُعَلِّما أحدًا حتّى يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾: لا يجتَرِئُ على السِّحر إلاّ كافِر (١).

وأمّا الفِتْنة في هذا الموضِع، فإنَّ معناها الاختِبار والابتِلاء، من ذلك قول الشّاعِر.

وَقد فُتِنَ النَّاس في دينهم وَخَلَّى ابن عفَّان شرًّا طويلا (٢)

ومنه يقال: فَتَنْتُ الذَّهَب في النّار - إذا امْتَحَنْتَها لِتَعرِف جَوْدَتها من رَداءَتها - أفتِنها فِتْنة وفُتونًا. كما:

١٦٩٩- حدَّثنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي: بَلاء (٣).

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾

وقوله جَلّ ثَناؤه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ خَبَر مُبْتَدأ عن المُتَعَلِّمينَ من الملَكَيْنِ ما أُنزِلَ عليهما، ولَيْسَ بجَوابٍ لِقولِه: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ بل هو خَبَر مُسْتأنَف؛ فلِذلك رُفِعَ، فَقيلَ: فَيَتَعَلَّمونَ. فمعنى الكلام إذًا: وما يُعَلِّمانِ من أحَد حتّى يقولا إنّما نَحْنُ فِتْنة. فَيأبَوْنَ قَبول ذلك منهُما فَيَتَعَلَّمونَ منهُما ما يُفَرِّقونَ به بين المرْء وزَوْجه.

وقد قيلَ: إنَّ قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ خَبَر عن اليهود معطوف على قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ - ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ وجَعَلوا ذلك من المُؤَخَّر الذي معناه التَّقْديم.

والذي قُلْنا أشبَه بتأويلِ الآية؛ لأنَّ إلْحاق ذلك بالذي يَليه من الكلام ما كان لِلتّأويلِ وجه صَحيح أولَى من إلْحاقه بما قد حيلَ بينه وبينه من مُعْتَرَض الكلام.

والهاء والميم والألِف من قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ من ذِكْر الملَكَيْنِ.

ومعنى ذلك: فَيَتَعَلَّم النّاس من الملَكَيْنِ الذي يُفَرِّقونَ به بين المرْء وزَوْجه.

و(ما) التي مع (يُفَرِّقونَ) بمعنى (الذي).

وَقيلَ: إن معنى ذلك: السِّحر الذي يُفَرِّقونَ به. وقيلَ: هو معنى غير السِّحر. وَقد ذَكَرْنا

---

(١)[ضعيف] فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢)[السريع] القائل: إهاب بن همام بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي. المعنى: يرثي الشاعر أمير المؤمنين الصحابي الجليل (عثمان بن عفان) الذي حدثت فتنة بين المسلمين بعد موته، وخلفت شرورًا طويلة ومنها الفتنة التي حدثت بين صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين والتي نتج عنها موقعتا الجمل وصفين؛ فيعرب الشاعر عن ذلك بأن الناس قد فتنوا في دينهم بخروج فرق كالخوارج وغيرها التي ولدت من رحم هذا الموقف، والشر الذي خلفه موته - رضي الله عنه - تلك الفتنة التي حدثت بين الصحابة.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

اختلافهم في ذلك فيما مَضَى قَبْل.

وَأمَّا المرْء فَإنَّه بمعنى رَجُل من أسماء بَني آدَم، والأُنْثَى منه المرْأة؛ يوَحَّد ويُثَنّى، ولا يُجْمَع ثَلاثَته على صورَته، يُقال منه: هذا امْرُؤٌ صالِح، وهذانِ امْرَآنِ صالِحانِ، ولا يُقال: هؤلاء امْرُؤو صِدْق، ولَكِنْ يُقال: هؤلاء رِجال صِدْق، وقَوْمُ صِدْق.

وَكذلك المرْأة توَحَّد وتُثَنّى ولا تُجْمَع على صورَتها، يُقال: هذه امْرَأةٌ وهاتانِ امْرَأتانِ، ولا يُقال: هؤلاء امْرَآتٌ، ولَكِنْ هؤلاء نِسْوة.

وَأمَّا الزَوْج، فَإنَّ أهل الحِجاز يقولونَ لامْرَأةِ الرّجُل: هي زَوْجُه، بِمَنْزِلةِ الزَوْج الذَكَر؛ ومن ذلك قول اللّه تعالى ذِكْره: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]وتَميمٌ وكَثيرٌ من قَيْسٍ وأهلُ نَجْدٍ يقولونَ: هي زَوْجَتُه، قال الشَّاعِر:

فَإنَّ الذي يَمْشي يُحَرِّشُ زَوْجَتي كَماشٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبيلُها (١)

فَإنْ قال قائِل: وكيف يُفَرّق السَّاحِر بين المرْء وزَوْجه؟

قيلَ: قد دَلَّلْنا فيما مَضَى على أنَّ معنى السِّحْر تَخْييلِ الشَيْء إلى المرْء بخِلافِ ما هو به في عَيْنه وحَقيقَته بما فيه الكِفاية لِمَنْ وُفّقَ لِفَهْمِه، فَإذ كان ذلك صَحيحًا بالذي عليه استَشْهَدْنا، فَتَفْريقه بين المرْء وزَوْجه تَخْييله بسِحْرِه إلى كُلِّ واحِد منهُما شَخْصَ الآخَر على خِلاف ما هو به في حَقيقَته من حُسْن وجَمال حتّى يُقَبِّحه عنده فَيَنْصَرِف بوَجْهِه ويَعْرِض عنه حتّى يُحْدِث الزَوْج لامْرَأتِه فِراقًا، فَيكون السَّاحِر مُفَرِّقًا بينهما بإحداثِه السَّبَب الذي كان عنه فُرْقة ما بينهما، وقد دَلَّلْنا في غير موضِع من كِتابنا هذا على أنَّ العرب تُضيف الشَيْء إلى مُسَبِّبه من أجْل تَسْبيبه وإنْ لم يكُنْ باشَرَ فِعْل ما حَدَثَ عن السَّبَب، بما أغْنَى عن إعادَته في هذا الموضِع؛ فَكذلك تَفْريق السَّاحِر بسِحْره بين الزَّوْجين. وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في ذلك قاله عَدَد من أهل التَّأويل.

ذكر مَن قال ذلك:

١٧٠٠ - **حدثنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾: وتَفْريقهُما أنْ يُؤَخَّذ كُلُّ واحِدٍ منهُما عن صاحِبه، ويُبَغَّض كُلّ واحِد منهُما إلى صاحِبه (٢).

---

(١)[الطويل]القائل: الفرزدق (أموي). اللغة: يحرش: يحرض ويغري بيني وبينها. يستبيلها، أي: يطلب أن تبول في يده. وورد البيت في ديوانه:

فَإنَّ امرًا يَسعى يُخَبِّبُ زَوجَتي كَساعٍ إلى أُسدِ الشَّرى يَستَبيلُها

(يخبب، أي: يفسدها عليّ). يقول الفرزدق: مَن حاول الإفساد بيني وبين زوجتي وحاول أن يمشي بيننا بالنميمة والوقيعة فإنه جاهل؛ لأنه لن يصل لما يريد، وصور جهله بمن يذهب إلى الأسود طالبًا بولها، وقد ضربت العرب المثل في الجهل بمن يطلب أبوال الأسد.

(٢)[حسن]من أجل بشر، صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

وَأمَّا الذينَ نَفَوْا أنْ يكون الملَكانِ يُعَلِّمانِ النَّاس التَّفريق بين المرْء وزَوْجه، فإنَّهم وجَّهوا تأويل قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ إلى (فَيَتَعلَّمونَ) مَكان ما عَلَّماهم ما يُفرِّقونَ به بين المرْء وزَوْجه، كَقولِ القائِل: لَيْتَ لنا من كذا، كذا وكذا.

كَما قال الشَّاعِر:

جَمعتَ من الخيْراتِ وطْبًا وعُلْبةً ... وَصَرًّا لأخْلافِ الـمُزَمَّـمةِ البُزْل
وَمن كُلِّ أخْلاق الكِرام نَميمةً ... وَسَعْيًا على الجارِ المُجاوِر بالمحْلِ(١)

يُريد بقولِه: جَمعت مَكان خَيْرات الدُّنيا هذه الأخْلاقَ الرّديئةَ والأفعالَ الدَّنيئةَ.

وَمنه قول الآخَر:

صَلَدَتْ صَفاتُكَ أنْ تَلينَ حُيودُها ... وَوَرِثْتَ من سَلَفِ الكِرامِ عُقوقا(٢)

يَعْني: ورِثْت مَكان سَلَفِ الكِرام عُقوقًا من ولَدِك.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

يَعْني بقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: وما المُتَعَلِّمونَ من الملَكَيْنِ هاروت وماروت ما يُفرِّقونَ به بين المرْء وزَوْجه، بضارِّينَ - بالذي تَعَلَّموه منهُما من

---

(١)[الطويل] القائل: لم أهتدِ لقائلهما. اللغة: وطبًا: الوطب: سقاء اللبن خاصة. علبة: جلدة تؤخذ من جنب البعير، فتسوى مستديرة، ثم تملأ رملًا سهلًا، ثم تضم أطرافها بخلال حتى تجف وتيبس، ثم يقطع رأسها وقد قامت قائمة لجفافها تشبه قصعة مدورة، فكأنها نحتت نحتًا، ويعلقها الراعي ويشرب بها، وله فيها رفق وخفة لأنها لا تنكسر إذا حركها البعير أو طاحت إلى الأرض. صرًّا: الصر: شد ضرع النوق الحلوبات إذا أرسلوها للمرعى سارحة، ويسمون ذلك الرباط صرارًا. الأخلاف: جمع خِلْف، وهو ضرع الناقة أو البعير إذا استكمل الثامنة وطعن في التاسعة، وبزل نابه، أي: انشق عن اللحم، وهو أقصى سنه وتمام قوته. مزنمة: الناقة المزنمة التي عليها سمة التزنيم، وهو أن يقطع طرف أذنها ويترك لها زنمة مشرفة، وإنما يفعل ذلك بالكرام من الإبل. بزل: بَزَلَ البعيرُ يَبْزُل بُزُولًا: فَطَر نابُه، أي: انْشَقَّ فهو بازل ذكرًا كان أو أنثى، وذلك في السنة التاسعة. الجار: الذي قرب منزله من منزلك، ووصفه بقوله: (المجاور) للدلالة على شدة قربه، وهو الجار الجنب، فهو أشد حرمة لنزوله في جواره ومنعته، وركونه إلى أمان عهده. النجل: تمزيق عرضه بالغيبة والمعابة والسب بظهر الغيب. المعنى: يهجو الشاعر رجلًا آخر فيقول له: إنما أنت راعٍ خسيس، ترعى على السادة الكرام كرام إبلهم، ولا تجمع من خيرات ما يتمتع به سادتك إلا وطبًا وعلبة وعلاجًا لأبلهم التي ترعاها عليهم، كما أنك تمشي بين الخلق بالنميمة ونقل الأخبار ومحاولة إفساد ما بين الناس، حتى جارك الذي هو أقرب الناس بمودتك فإنه لا يسلم من معابتك فيه وسبك إياه بالغيب، فأنت رجل مغتاب نمام لا جار لك ولا ذمة.

(٢)[الكامل] القائل: لم أهتدِ لقائله. اللغة: صلدت: صلبت وقست. صفاتك: من (الصفاة) الحجر الصلد الأملس الضخم الذي لا ينبت شيئًا. حيودها: الحيود جمع (حيد)، وهو التنوء في الجبل أو القرن أو غيرهما. سلف: سلف الإنسان: من تقدمه من آبائه وذوي قرابته ممن هم فوقه في السن والفضل. المعنى: يهجو الشاعر رجلًا فيقول له: أنت غليظ جافٍ لا يصلحك شيء، ولا خير فيك، كالصفاة الملساء ذات النتوء، لا يصلحها شيء ولا تأتي بخير؛ فإنك ورثت من والديك مكان مآثر الأسلاف الكرام عقوقًا، فأنت تعقهم، كما عقوا هم آباءهم؛ فأنتم خلف يلعن سلفًا لئيمًا عاقًّا، يلعن أسلافه؛ فأنتم معروفون بالعقوق، وهو شر أخلاق الناس.

المعنى الذي يُفرِّقونَ به بين المرءِ وزَوْجه - من أحَدٍ من النَّاس، إلاَّ مَنْ قد قَضى اللَّه عليه أنَّ ذلك يَضُرّه؛ فَأمَّا مَنْ دَفَعَ اللَّهُ عنه ضُرَّه وحَفِظَه من مَكْروه السِّحْر والنَّفْثِ والرُّقَى، فإنَّ ذلك غير ضارّه ولا نائله أذاه.

وَلِلإِذْنِ في كَلام العرب أوجُه: منها الأمْر على غير وجه الإلْزام، وغيرُ جائِزٍ أنْ يكون منه قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ لأنَّ اللَّه جلّ ثَناؤه قد حَرَّمَ التَّفْريق بين الرجل وحَليلَته بغيرِ سِحْر - فكيف به على وجه السِّحْر - على لِسان الأُمَّة؟

وَمنها: التَّخْلية بين المأذون له والمُخَلَّى بينه وبينه.

وَمنها: العِلْم بالشَّيْءِ، يُقال منه: قد أذِنْتُ بهذا الأمْر، إذا عَلِمْت به، آذَن به إذْنًا؛ ومنه قول الحُطَيْئة:

ألا يا هِنْدُ إنْ جَدَّدْتِ وصْلاً وَإلاَّ فَأْذِنيني بانْصِرامِ [(١)]

يَعْني: فَأعْلِميني.

وَمنه قوله جلّ ثَناؤه: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩] وهذا هو معنى الآية، كأنَّه قال جَلّ ثَناؤه: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ﴾ بالذي تَعَلَّموا من الملَكيْنِ من أحَد إلاَّ بعِلْمِ اللَّه. يَعْني بالذي سَبَقَ له في عِلْم اللَّه أنَّه يَضُرّه. كَما:

١٧٠١ - **حَدَّثَني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: ثنا سوَيْد بن نَصْر، قال: أخبرَنا ابن المُبارَك، عن سُفْيان في قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ قال: بقَضاءِ اللَّه [(٢)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ أي: النَّاسُ الذينَ يَتَعَلَّمونَ من الملَكَيْنِ، ما أُنْزِلَ إليهما من المعنى الذي يُفرِّقونَ به بين المرءِ وزَوْجه، يَتَعَلَّمونَ منهُما السِّحْر الذي يَضُرّهم في دينهم ولا يَنْفَعهم في مُعادهم؛ فَأمَّا في العاجِل في الدُّنيا، فإنَّهم قد كانوا يكْسِبونَ به ويُصيبونَ به مَعاشًا.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:
﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾

يَعْني بقولِه جَلّ ثَناؤه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾ الفريقَ الذينَ أخبرَ عنهم أنهم لَمَّا جاءهم رَسولٌ من عند اللَّه مُصَدِّقٌ لِما معهم، نَبَذوا كِتاب اللَّه وراء ظُهورهم

---

(١)[الرجز] القائل: نسبه الطبري للحطيئة، ولكني لم أجده منسوبًا للحطيئة، ولم أهتدِ لقائله. اللغة: فأذنيني، أي: فاسمحي لي. بانصرام: بانقطاع، والصَّرْمُ: القَطْعُ البائنُ وزعم بعضهم أنه القطع أيَّ نَوْع كان، صَرَمَه يَصْرِمُه صَرْمًا وصُرْمًا فانْصَرَم. المعنى: يقول الشاعر طالبًا من حبيبته: يا (هند) إما أن تصليني وأصلك وتجددي اللقاء بيني وبينك، وإلا فاتركيني لحالي واسمحي لي أن أنقطع عنكِ؛ وكأن الشاعر هنا في حرب نفسية بين أمرين: أحدهما حلو (وهو الوصال والحب) والآخر مر (وهو الفراق والقطيعة)؛ فهو يترك لها الأمر، ويتمنى أن لو كان الاختيار الأول!

(٢)[ضعيف] المثنى مجهول الحال.

كَأنَّهم لا يَعْلَمونَ، واتَّبَعوا ما تتلو الشياطينُ على ملكِ سليمانَ. فَقال جَلّ ثَناؤه: لَقد عَلِمَ النَّابِذونَ من يَهود بَني إسرائيل كِتابي وراء ظُهورهم تَجاهُلاً منهم، التَّارِكونَ العمَل بما فيه، من اتّباعك يا مُحَمَّدُ واتِّباع ما جِئت به، بعد إنْزالي إليك كِتابي مُصَدِّقًا لِما معهم، وبعد إرْسالك إليهم بالإقْرارِ بما معهم وما في أيْديهم، المُؤْثِرونَ عليهِ اتِّباع السِّحْر الذي تَلَتْه الشّياطين على عَهْد سُلَيْمان، والذي أُنْزِلَ على الملَكَيْنِ ببابِل هاروت وماروت - لِمَنْ اشْتَرَى السِّحْر بكِتابي الذي أنْزَلْته على رَسولي فَآثَرَهُ عليه ما له في الآخِرة من خَلاق، كَما:

١٧٠٢- حَدَّثَنا بشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ أي: لمن استحبَّه، ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾ يقول: قد عَلِمَ ذلك أهل الكِتاب في عَهْد اللّه إليهم أنَّ السَّاحِر لا خَلاق له عند اللّه يوم القيامة [(١)].

١٧٠٣- وحَدَّثني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾ يَعْني اليهود، يقول: قد عَلِمْت اليهودُ أنَّ مَنْ تَعَلَّمه واختارَهُ ما له في الآخِرة مِن خَلاق [(٢)].

١٧٠٤- وحَدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾: لَمَنْ اشْتَرَى ما يُفَرِّق به بين المرْء وزَوْجه [(٣)].

١٧٠٥- وحَدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾ قال: قد عَلِمَتْ يَهود أنَّ في كِتاب اللّه في التَّوْراة أنَّ مَنْ اشْتَرَى السِّحْرَ وتَرَكَ دين اللّه ما له في الآخِرة مِن خَلاق، ومَن لم يكن له خلاق فالنَّارُ مَثْواه ومَأْواهُ [(٤)].

وأمَّا قوله: ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ فإنَّ (مَنْ) في موضِع رَفْع، ولَيْسَ قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾ بعامِلٍ فيها؛ لأنَّ قوله: ﴿عَلِمُواْ﴾ بمعنى اليمين؛ فَلِذلك كانتْ (مَن) في موضِع رَفْع، لأنَّ الكلام بمعنى: واللّه لَمَنْ اشْتَرَى السِّحْرَ ما له في الآخِرة مِن خَلاق. وَيكون قوله: ﴿عَلِمُواْ﴾ بمعنى اليمين أُجيبَ بلام اليمين، فَقيلَ: ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ كما يُقال: أُقْسِم لَمَنْ قامَ خَيْرٌ مِمَّنْ قَعَدَ، وكَما يُقال: قد عَلِمْت لَعمرٌو خَيْرٌ من أبيك.

وَأمَّا (مَنْ) فهو حَرْف جَزاء.

وَإنَّما قيلَ (اشْتَراه) ولم يَقُلْ (يَشْتَرِه)، لِدُخولِ لام القسَم على (مَنْ)، ومن شَأن العرب إذا

---

(١) [حسن] من أجل بشر، صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣) [ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٤) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

أحدَثَتْ على حَرْفِ الجزاء لامَ القسَم ألا يَنْطِقوا في الفِعْل معه إلاَّ بـ(فَعَلَ) دون (يَفْعَل) إلاَّ قليلاً كَراهة أنْ يُحْدِثوا على الجزاء حادِثًا؛ وهو مَجْزوم، كما قال اللَّه جَلّ ثَناؤه: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ [الحشر: ١٢] وقد يجوز إظْهار فِعْله بعده على (يَفْعَل) مَجْزومًا، كما قال الشَّاعِر:

لَئِنْ تَكُ قد ضاقَتْ عليكُمْ بُيوتكمْ ... لَيَعْلَمِ رَبّي أنَّ بَيْتيَ واسِعُ [(١)]

واختلَفَ أهل التّأويل في تأويل قوله: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ فقال بعضهم: الخلاق في هذا الموضِع: النصيب.

ذكر مَن قال ذلك:

١٧٠٦ - **حَدَّثني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ يقول: من نَصيب [(٢)].

١٧٠٧ - **وحَدَّثَني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ قال: من نَصيب [(٣)].

١٧٠٨ - **وحَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: ثنا وكيع، قال: قال سُفْيان: سَمِعْنا في قوله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ أنَّه: ما له في الآخِرة من نَصيب [(٤)].

وَقال آخرون: الخلاق هاهُنا: الجِهَةُ.

ذكر مَن قال ذلك:

١٧٠٩ - **حَدَّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ قال: لَيْسَ له في الآخِرة جِهةٌ [(٥)].

وَقال آخَرونَ: الخلاق: الدِّين.

---

(١)[الطويل] القائل: الكميت. المعنى: يقول الشاعر مفتخرًا بنفسه وهو في موضع تعديد آلائه وجميل صفاته:

وإنّي على معروفِ أخلاقي التي ... أُزايِلُ مِن ألقابِها وأُجامِعُ
لذو تُدرإٍ لا يغمزُ القومُ عظمهُ ... بضعفٍ ولا يرجونَ ما هوَ مانِعُ
وما قصَّرتْ بي همَّتي دونَ رغبةٍ ... ولا دنَّستني مذْ نشأتُ المطامِعُ
وإنّي إذا ضاقتْ عليكم بيوتكمْ ... ليعلمَ قومي أنَّ بيتيَ واسِعُ
فيلجأُ جانيهمْ إلينا وتنتهي ... إلينا النُّهى مِن أمرهمْ والدَّسائِعُ

(الدسائع: العطايا) يقول في البيت: إن بيته واسع وإن ضاقت على الناس بيوتهم، وهذا دليل على الكرم؛ فما أراد بسعة داره السعة فحسب بل أراد أن ينعت نفسه بالكرم والقيام بحق الضيف إن قصده، وكذلك فخر بداره وبسعتها وبأنها مفتوحة أمام كل القوم يقصدها الناس ويلجأ إليها القوم فيجدون ضالتهم، وحل مشاكلهم، ويجدون عندي العطايا.

(٢)[ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٣)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٥)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٧١٠ - **حدّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، قال: قال الحسن: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ قال: لَيسَ له دين(١).

وَقال آخَرونَ: الخلاق هاهُنا: القِوامُ.

ذكر مَنْ قال ذلك:

١٧١١ - **حَدّثَنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَين، قال، حَدَّثَني حَجّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: قال ابن عَبّاس: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ قال: قِوام(٢).

وَأولَى هذه الأقوال بالصّوابِ قولُ مَنْ قال: معنى الخلاق في هذا الموضِع: النّصيب؛ وذلك أنَّ ذلك معناه في كَلام العرب.

وَمنه قول النّبيّ ﷺ: «**لَيُؤَيّدَن اللّه هذا الدّين بأقوامٍ لا خَلاق لهم**» يَعْني لا نَصيب لهم ولا حَظّ في الإسلام والدّين.

وَمنه قول أُمَيّة بن أبي الصّلْت:

يَدْعونَ بالويْلِ فيها لا خَلاق لهم ... إلاَّ سَرابيلُ من قِطْرٍ وأغْلالُ(٣)

يَعْني بذلك: لا نَصيب لهم ولا حَظّ إلاَّ السّرابيلُ والأغْلال.

فَكَذلك قوله: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾: ما له في الدّار الآخِرة حَظّ من الجنّة من أجْل أنّه لم يكُنْ له إيمانٌ ولا دينٌ ولا عَمَلٌ صالِحٌ يُجازَى به الجنّة ويُثاب عليه، فَيكون له حَظّ ونَصيبٌ من الجنّة.

وَإنّما قال جَلّ ثَناؤه: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ فَوَصَفَه بأنّه لا نَصيب له في الآخِرة، وهو يَعْني به لا نَصيب له من جَزاءٍ وثَوابٍ وجَنّة دون نَصيبِه من النّار.

إذْ كان قد دَلَّ بذَمّه جَلّ ثَناؤه أفَعالَهم التي نَفَى من أجْلها أنْ يكون لهم في الآخِرة نَصيب،

(١)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢)[ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يدرك ابن عباس والسند إليه ضعيف، فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣)[البسيط] القائل: أمية بن أبي الصلت (أموي). اللغة: الويل: وَيْلٌ: كلمة مثل وَيْح إلاَّ أنها كلمة عَذاب، يقال: وَيْلَهُ ووَيْلَكَ ووَيْلي، وفي النُّدْبةِ: وَيْلاهُ. خلاق: الخَلاقُ: الحَظُّ والنَّصِيب من الخير والصلاح. سرابيل: السِّرْبالُ: القَميص والدِّرْع، وقيل: كُلُّ ما لُبِسَ فهو سِرْبالٌ، وقد تَسَرْبَلَ به وسَرْبَلَه إِياه، وسَرْبَلْتُه فَتَسَرْبَل، أَي: أَلبسته السِّرْبالَ. قطر: الرصاص المذاب. أغلال: مفردها (غُلٌّ) وهو جامِعة توضع في العُنق أو اليد. المعنى: يقول الشاعر: إن أهل جهنم معذبون فيها لا حظ لهم فيها ولا نصيب لهم إلا قمصان الرصاص المذاب ليكوي جلودهم، وتوضع الأغلال في أيديهم ورقابهم؛ فيسحبون منها كالبهائم، وهنا نجد تأثير بعض آيات القرآن على هذا المعنى وعلى سبيل المثال: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم:٥٠]، ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر:٧١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان:٤].

على مُراده من الخيْر، وأنَّه إنَّما يَعْني بذلك أنَّه لا نَصيب لهم فيها من الخيْرات، فأما من الشُّرور فإنَّ لهم منها فيها أنْصِباءَ وأنْصِباءَ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

قد دَلَّلنا فيما مَضَى قَبْل على أنَّ معنى ﴿شَرَوْا﴾: باعوا؛ فَمعنى الكلام إذًا: ولَبِئْسَ ما باعَ به نَفْسه مَن تَعَلَّم السِّحر لو كان يَعْلَمُ سوء عاقِبَته. كَما:

١٧١٢- **حَدَّثَنا** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ يقول: بئْسَ ما باعوا به أنْفُسهم(١).

فَإِنْ قالَ لنا قائِل: وكيف قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ وقد قال قَبْل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ فكيف يكونونَ عالِمينَ بأنَّ مَنْ تَعَلَّمَ السِّحر فلا خَلاق له، وهم يجْهَلونَ أنَّهم بئْسَ ما شَرَوْا بالسِّحْرِ أنْفُسهم؟

قيلَ: معنى ذلك على غير الوجْه الذي تَوَهَّمْتَه من أنَّهم موصوفونَ بجهْلِ ما هم موصوفونَ بالعِلْم به، ولَكِنَّ ذلك من المُؤَخَّر الذي معناه التَّقْديم، وإنَّما معنى الكلام: وما هم بضارين به من أحَد إلاَّ بإذْنِ اللَّه، ويَتَعَلَّمونَ ما يَضُرّهم ولا يَنْفَعهم، ولَبِئْسَ ما شَرَوْا به أنْفُسهم لو كانوا يَعْلَمونَ، ولَقد عَلِموا لَمَنْ اشْتَراه ما له في الآخِرة من خَلاق.

فَقوله: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ذَمّ من اللَّه تعالى ذِكْره فِعْل المُتَعَلِّمينَ من الملَكَيْنِ التَّفْريق بين المرْء وزَوْجه، وخَبَر منه جَلَّ ثَناؤه عنهم أنَّهم بئْسَ ما باعوا أنْفُسهم برِضاهم بالسِّحْرِ عِوَضًا من دينهم الذي به نَجاة أنْفُسهم من الهلَكة، جَهْلاً منهم بسوءِ عاقِبة فِعْلهم وخَسارة صَفْقة بَيْعهمْ، إذْ كان قد يَتَعَلَّم ذلك منهُما مَنْ لا يَعْرِف اللَّه ولا يَعْرِف حَلاله وحَرامه وأمْره ونَهْيه.

ثُمّ عادَ إلى الفريق الذي أخْبَرَ عنهم أنَّهم نَبَذوا كِتابه وراء ظُهورهم كأنَّهم لا يَعْلَمونَ: واتَّبَعوا ما تَتْلو الشياطين على مُلْك سُلَيْمان، وما أُنْزِلَ على الملَكَيْنِ.

فَأخْبَرَ عنهم أنَّهم قد عَلِموا أنَّ مَنْ اشْتَرَى السِّحر ما له في الآخِرة من خَلاق، ووَصَفَهم بأنَّهم يَرْكَبونَ مَعاصي اللَّهِ على عِلْم منهم بها، ويكْفُرونَ باللَّه ورُسُله، ويُؤْثِرونَ اتِّباع الشَّياطينِ، والعمَلَ بما أحدَثَتْه من السِّحْر، على العمَل بكِتابِهِ ووَحْيه وتَنْزيله، عِنادًا منهم له وبَغْيًا على رُسُله، وتَعَدِّيًا منهم حدودَهُ، على معرِفة منهم بما لِمَنْ فَعَلَ ذلك عند اللَّه من العِقاب والعذاب، فَذلك تأويلُ ذلك.

وَقد زَعَمَ بعض الزَّاعِمينَ أنَّ قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ مغنِيٌّ به الشَّياطين، وأنَّ قوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ مغنِيٌّ به النَّاس.

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

وَذلك قول لقولِ جَميعِ أهل التّأويل مُخالِفٌ؛ وذلك أنّهم مُجمِعونَ على أنَّ قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ معنِيٌّ به اليهودَ دون الشّياطين.

ثُمّ هو مع ذلك خِلاف ما دَلَّ عليه التّنزيل؛ لأنَّ الآيات قَبْل قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ وبعد قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ جاءت من اللّه بذَمِّ اليهود، وتَوْبيخهم على ضَلالهم، وذَهَبِهم عن وحي اللّه وآيات كِتابه، مع عِلْمهم بخَطَأ فِعْلهم.

فقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ أحَد تلك الأخْبار عنهم.

وَقال بعضهمْ: إنَّ الذينَ وصَفَ اللّه بقولِه: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فَنَفى عنهم العِلْم، هم الذينَ وصَفَهم اللّه بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ وإنَّما نَفَى عنهم جَلّ ثَناؤه العِلْم بقولِه: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ بعد وصْفه إيَّاهم بأنَّهم قد عَلِموا بقولِه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ من أجْل أنَّهم لم يَعْمَلوا بما عَلِموا، وإنَّما العالِم: العامِل بعِلْمِه، فأما إذا خالَفَ عَمَلُه عِلْمَه فهو في مَعاني الجُهَّال.

قالوا: وقد يُقال لِلْفاعِلِ الفِعْلَ بخِلافِ ما يَنْبَغي أنْ يَفْعَل وإنْ كان بفِعْلِه عالِمًا: لو عَلِمْت لأقْصَرْتَ. كما قال كَعْب بن زُهَيْر المُزَنيُّ، وهو يَصِف ذِئْبًا وغُرابًا تَبِعاه لِيَنالا من طَعامه وزاده:

إذا حَضَراني قُلْتُ لو تَعْلَمانِهِ ... ألم تَعْلَما أنّي من الزَّاد مُرْمِلُ[1]

فَأخْبَرَ أنَّه قال لهُما: لو تَعْلَمانِه، فَنَفَى عنهُما العِلْم.

ثُمّ استَخْبَرَهُما فَقال: ألم تَعْلَما.

قالوا: فَكَذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ و﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وَهذا تأويلٌ وإنْ كان له مَخْرَجٌ ووَجْهٌ فَإنَّه خِلافُ الظَّاهِرِ المفْهوم بنَفْسِ الخِطاب. أعْني بقولِه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وإنَّما هو استِخْراج. وتأويل القُرْآن على المفْهوم الظَّاهِر بالخِطاب دون الخفيّ الباطِن منه - حتّى تأتي دَلالةٌ من الوجْه الذي يجِب التّسْليمُ له بمعنًى خِلافِ دَليله الظَّاهِرِ المُتَعارَفِ في أهل اللّسان الذينَ بلِسانِهم نَزَلَ القُرْآن - أولَى.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾: لو أنَّ الذينَ يَتَعَلَّمونَ من الملَكَيْنِ ما يُفَرِّقونَ به بين المرْء وزَوْجه ﴿آمَنُوا﴾، فَصَدَّقوا اللّه ورَسولهُ وما جاءهم به من عند رَبّهِمْ، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ رَبّهم فَخافوه وخافوا عِقابه، فَأطاعوه بأداءِ فَرائِضه وتَجَنُّب مَعاصيه - لَكان جَزاءُ اللّه إيَّاهم وثَوابُه لهم على إيمانهم به وتَقْواهم إيَّاهُ، خَيْرًا لهم من السِّحْر وما اكْتَسَبوا به ﴿لَوْ كَانُوا

---

(١)[الطويل] القائل: كعب بن زهير (مخضرم). اللغة: الزاد: الطعام. مرمل: يقال: مرمل: لمن نفدزاده. المعنى: يتحدث الشاعر عن ذئب وغراب تبعاه لياكلا من طعامه؛ فقال يحدثهما: ألم يأتكم خبر بأني لا طعام عندي؛ فقد انتهى طعامي، ولا أجد ما آكله؛ فهل أجد ما أطعمكما؟!

يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ ثَواب اللَّه إيَّاهم على ذلك خَيْرٌ لهم من السِّحر ومِمَّا اكْتَسَبوا به.

وَإنَّما نَفَى بقولِه: ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ العِلْم عنهم أنْ يكونوا عالِمينَ بمَبْلَغِ ثَواب اللَّه وقدْر جَزائِه على طاعَته.

والمثوبة في كَلام العرب مَصْدَر من قول القائِل: أثَبْتُك إثابة وثَوابًا ومَثوبةً، وأصْلُ ذلك من ثابَ إليك الشَّيْءُ بمعنى رَجَعَ، ثُمّ يُقال: أثَبْتُه إليك: أي: أرْجَعْتُه إليك ورَدَدْته.

فكأن معنى إثابة الرّجُلِ الرّجُلَ على الهديّة وغيرها: إرْجاعُه إليه منها بَدَلاً، ورَدُّه عليه منها عِوَضًا. ثُمّ جُعِل كُلُّ مُعَوِّضٍ غيرَه من عَمَله أو هَديَّتِه أو يَد له سَلَفَتْ منه إليه مُثيبًا له.

وَمنه ثَواب اللَّه عَزَّ وجَلّ عِبادَه على أعْمالهم، بمعنى إعْطائِه إيَّاهم العِوَضَ والجزاء عليه، حتّى يَرْجِع إليهم بَدَلٌ من عَمَلهم الذي عملوه له. وَقد زَعَمَ بعض نَحْويِّي أهل البصْرة أنّ قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ﴾ مِمَّا اكْتُفيَ بدَلالةِ الكلام على معناه عن ذِكْر جَوابه، وأنَّ معناه: ولو أنَّهم آمَنوا واتَّقَوْا لأُثيبوا. ولَكِنّه استَغْنَى بدَلالةِ الخبَرِ على المثوبة عن قوله: لأُثيبوا.

وَكان بعض نَحْويِّي الكُوفة يُنْكِر ذلك، ويَرَى أنَّ جَواب قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾ - ﴿لَمَثُوبَةٞ﴾ وأنَّ (لو) إنَّما أُجيبَتْ بالمثوبةِ، وإنْ كانتْ أجْوِبَتُها بالماضي من الفِعْل لِتَقارُبِ معناها من معنى (لَئِنْ) في أنَّهما جَزاءانِ، وأنَّهُما جوابانِ لِلإيمانِ، فَأُدْخِلَ جَوابُ كُلِّ واحِدةٍ منهُما على صاحِبَتِها، فَأُجيبَتْ (لو) بجَوابِ (لَئِنْ)، و(لَئِنْ) بجَوابِ (لو) لِذلك، وإنْ اختَلَفَتْ أجْوِبَتُهما وكانتْ (لو) من حُكْمها وحَظّها أنْ تُجاب بالماضي من الفِعْل، وكانتْ (لَئِنْ) من حُكْمها وحَظّها أنْ تُجاب بالمُسْتَقْبَلِ من الفِعْل لِما وصَفْنا من تَقارُبهما، فكان يَتأوَّل معنى قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾: ولَئِنْ آمَنوا واتَّقَوْا لَمَثوبة من عند اللَّه خَيْر.

وَبِما قُلْنا في تأويل قوله: ﴿لَمَثُوبَةٞ﴾ قال أهل التّأويل.

ذكر من قال ذلك:

١٧١٣- حَدَّثَنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يقول: ثَوابٌ من عند اللَّه [(١)].

١٧١٤- وحَدَّثَني موسى، قال: حدَّثنا عمرٌو، قال: حدَّثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أمَّا المثوبةُ، فهو الثّوابُ [(٢)].

١٧١٥- وحَدَّثَني المُثَنّى، قال: حدَّثنا إسحاق، قال: حدَّثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ﴾ يقول: لَثَوابٌ من عند اللَّه [(٣)].

(١)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

القول في تأويل قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾

اختَلَفَ أهل التّأويل في تأويل قوله: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾؛ فقال بعضهم: تأويله لا تَقولوا خِلافًا.

ذكر مَن قال ذلك:

١٧١٦- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: ثنا مُؤَمَّل، قال: ثنا سُفيان، عن ابن جُرَيْجٍ، عن عَطاء في قوله: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ قال: لا تَقولوا خِلافًا (١).

١٧١٧- **وحَدَّثَني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾: لا تَقولوا خِلافًا (٢).

١٧١٨- **وحَدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله (٣).

١٧١٩- **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق الأهوازيُّ، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قال: ثنا سُفيان، عن رَجُل عن مُجاهِد، مِثْله (٤).

١٧٢٠- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو نُعيم، قال: ثنا سُفيان، عن مُجاهِدٍ، مِثْله (٥).

وَقال آخَرونَ: تأويله: أرْعِنا سَمْعك: أيْ: اسمع مِنَّا ونَسْمَع منك.

ذكر مَن قال ذلك:

١٧٢١- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق، عن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿رَٰعِنَا﴾ أي: أرْعِنا سَمْعك (٦).

١٧٢٢- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ لا تَقولوا: اسمع مِنَّا ونَسْمَع منك (٧).

---

(١)[ضعيف] رجاله كلهم ثقات تقدموا، عدا مؤمل، تقدم تضعيفه.

(٢)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٤)[حسن] تقدم، وهذا سند ضعيف، فيه رجل مبهم، وفيه محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم الأسدي أبو أحمد الزبيري الكوفي مولى بني أسد، قال أبو داود: كان حبالاً يبيع الحبال، ثقة ثبت، إلا أنه قد يخطئ في حديث الثوري.

(٥)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف فيه المثنى مجهول الحال.

(٦)[ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت؛ مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٧)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

١٧٢٣ - وحُدِّثت عن الحُسَيْن بن الفرَج، قال: سَمِعْت أبا مُعاذ يقول: أخبرَنا عُبَيْد بن سُلَيْمان، قال: سَمِعْت الضَّحَّاك يقول في قوله: ﴿رَٰعِنَا﴾ قال: كان الرَّجُل من المُشرِكينَ يقول: أرْعِني سَمْعَك[١].

ثُمَّ اختَلَفَ أهل التَّأويل في السَّبَب الذي من أجْله نَهَى اللَّه المُؤمِنينَ أنْ يقولوا: راعِنا؛ فقال بعضهم: هي كَلِمة كانتِ اليهود تَقولها على وجه الاستِهْزاء والسَّبِّ، فَنَهَى اللَّه تعالى ذِكْره المُؤمِنينَ أنْ يقولوا ذلك لِلنَّبيِّ ﷺ.

ذكر مَن قال ذلك:

١٧٢٤ - حَدَّثَنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ قولٌ كانتْ تَقوله اليهود استِهْزاء، فَزَجَرَ اللَّه المُؤمِنينَ أنْ يقولوا كَقولِهِم[٢].

١٧٢٥ - حَدَّثَنا أحمَد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، عن فُضَيْل بن مَرْزوق، عن عَطيَّة: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ قال: كان أُناسٌ من اليهود يقولون: أرْعِنا سَمْعك. حتَّى قالها أُناس من المُسْلِمينَ، فَكَرِهَ اللَّه لهم ما قالتِ اليهودُ، فَقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ كما قالتِ اليهود والنَّصارَى[٣].

١٧٢٦ - حَدَّثَنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ قال: كانوا يقولونَ: راعِنا سَمْعك. فَكان اليهود يَأتونَ فَيقولونَ مِثل ذلك مُسْتَهْزِئينَ، فَقال اللَّه: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾[٤].

١٧٢٧ - وحُدِّثت عن المِنْجاب، قال: ثنا بِشْر بن عِمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ قال: كانوا يقولونَ لِلنَّبيِّ ﷺ: راعِنا سَمْعَك. وإنَّما راعِنا كَقولِك: عاطِنا[٥].

١٧٢٨ - وحَدَّثَني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْدٍ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ قال: ﴿رَٰعِنَا﴾ القول الذي قاله القوْم قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]. قال: قال: هذا الرَّاعِنُ - والرَّاعِنُ: الخطَّاء، قال: فَقال لِلْمُؤمِنينَ: لا تَقولوا خَطَّاء كما قال القوْم وقولوا: انظُرْنا واسمَعوا، قال: كانوا يَنْظُرونَ إلى النَّبيِّ ﷺ ويُكَلِّمونَه ويَسْمَع منهم، ويَسْألونَه ويُجيبهم[٦].

---

(١)[ضعيف] الحسين بن الفرج الخياط متروك.

(٢)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣)[حسن] كل رجاله من أهل الصدق حديثهم حسن، وعطية ضعيف، ولكنه قوله.

(٤)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥)[ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٦)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

وَقال آخَرونَ: بل هي كَلِمةٌ كانتِ الأنصار في الجاهِليّة تَقولها، فَنَهاهم اللَّه في الإسلام أنْ يقولوها لِنَبيِّه ﷺ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٧٢٩- **حَدَّثني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدَّثني هُشَيْم، قال: أخبرَنا عبد الملكِ، عن عَطاء في قوله: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ قال: كانتْ لُغةٌ في الأنْصار في الجاهِليّة، فَنَزَلَتْ هذه الآية: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ ولَكِنْ ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ إلى آخِر الآية [(١)].

١٧٣٠- **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمَد، قال: ثنا هُشَيْم، عن عبد المَلِك، عن عَطاءٍ: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ قال: كانتْ لُغة في الأنْصار [(٢)].

١٧٣١- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا جَريرٌ، عن عبد المَلِك، عن عَطاء، مِثْله [(٣)].

١٧٣٢- **وحَدَّثني** المُثنّى، قال: حدَّثَنا إسحاق، عن ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ قال: إنَّ مُشْرِكي العربُ كانوا إذا حَدَّثَ بعضهم بعضًا يقول أحَدهم لِصاحِبِه: أرْعِني سَمْعك؛ فَنُهوا عن ذلك [(٤)].

١٧٣٣- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ: راعِنا قول السَّاخِر، فَنَهاهم أنْ يَسْخَروا من قول مُحَمَّد ﷺ.

وَقال بعضهم: بل كان ذلك كَلامَ يَهوديٍّ من اليهود بعَيْنِه يُقال له: رِفاعةُ بن زَيْد، كان يُكَلِّم النّبيّ ﷺ به على وجه السَّبِّ له، وكان المُسْلِمونَ أخَذوا ذلك عنه، فَنَهَى اللَّه المُؤمِنينَ عن قِيلِه لِلنّبيّ ﷺ [(٥)].

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٧٣٤- **حَدَّثَني** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾: كان رَجُلٌ من اليهود من قَبيلة من اليهود يُقال لهم بَنو قَيْنُقاع كان يُدْعَى رِفاعةَ بن زَيْد بن السَّائِب - قال أبو جَعْفَرٍ: هذا خَطَأٌ إنَّما هو ابن التَّابوت لَيْسَ ابن السَّائِب - كان يَأتي النّبيّ ﷺ، فَإذا لَقيَه فَكَلَّمَه فقال: أرْعِني سَمْعك واسمع غير مُسْمَع. فَكان المُسْلِمونَ يَحْسَبونَ أنَّ الأنبياء كانتْ تُفَخَّم بهذا، فَكان ناس منهم يقولونَ: اسمع غير

---

(١)[حسن]عبد الملك بن أبي سليمان واسمه: ميسرة العرزمي؛ صدوق، قال الخطيب: أساء شعبة في اختياره حيث حدث عن محمد بن عبيد الله العرزمي وترَكَ التحديث عن عبد الملك بن أبي سليمان؛ لأن محمد بن عبيد الله لم يختلف الأئمة من أهل الأثر في ذهاب حديثه وسقوط روايته، وأما عبد الملك فثناؤهم عليه مستفيض، وحسن ذكرهم له مشهور. اهـ. قلت: وقد أنكروا عليه رفعه أحاديث عن عطاء، وهذا ليس منها.

(٢)[حسن]تقدم قبله، وهذا سند كذلك حسن.

(٣)[حسن]تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل شيخ المصنف.

(٤)[ضعيف]المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٥)[ضعيف]فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

مُسْمَع. كقولك: اسمع غير صاغِر. هيَ التي في (النّساء): ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ [النساء: ٤٦] يقول: إنّما يُريد بقولِه: (طعنًا في الدين). ثُمّ تَقَدَّمَ إلى المُؤمِنينَ فقال: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ (١).

والصّواب من القول في نَهْي اللَّه جَلّ ثناؤه المُؤمِنينَ أنْ يقولوا لِنَبيِّه: راعِنا، أنْ يُقال: إنَّها كَلِمةٌ كَرِهَها اللَّه لهم أنْ يقولوها لِنَبيِّه ﷺ، نَظير الذي ذُكِرَ عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «لا تقولوا لِلْعِنَبِ الكرْمَ ولَكِنْ قولوا الحَبَلَةَ»، و«لا تقولوا عبدي ولَكِنْ قولوا فَتايَ» وما أشبَه ذلك من الكلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَكونانِ مُسْتَعْمَلَتَيْنِ بمعنًى واحِدٍ في كَلام العرب، فَتأتي الكراهةُ أو النّهي باستِعْمالِ إحداهُما واختيار الأُخْرَى عليها في المُخاطَبات.

فَإنْ قال قائِل: فَإنّا قد عَلِمْنا معنى نَهْي النّبيّ ﷺ في العِنَب أنْ يُقال له: كَرْم، وفي العبد أنْ يُقال له: عبد، فَما المعنى في قوله: ﴿رَٰعِنَا﴾ حينَئِذٍ الذي من أجْلِه كان النّهْي من اللَّه جَلّ ثَناؤه المُؤمِنينَ عن أنْ يقولوه، حتّى أمَرَهم أنْ يُؤثِروا قولهم: ﴿ٱنظُرْنَا﴾ عليه؟

قيلَ: الذي فيه من ذلك، نَظير الذي في قول القائِل الكرْمُ لِلْعِنَبِ، والعبدُ لِلْمَمْلوكِ، وذلك أنَّ قول القائِل عبد، صفةُ جَميع عِباد اللَّه، فَكَرِهَ النّبيّ ﷺ أنْ يُضاف بعض عِباد اللَّه - بمعنى المعْبود - إلى غير اللَّه، وأمَرَ أنْ يُضاف ذلك إلى غيره بغيرِ المعنى الذي يُضاف إلى اللَّه عَزَّ وجَلَّ، فَيُقال: فَتى اللَّه. وَكذلك وجه نَهْيه في العِنَب أنْ يُقال لها: كَرْمٌ لأن الكرْمَ مصدرٌ من كَرُم كرَمًا؛ وإنْ كانتْ راؤُها مُسَكَّنة، فَإنَّ العرب قد تُسَكِّن بعضَ الحرَكات إذا تَتابَعَتْ على نَوْع واحِدٍ، فَكَرِهَ أنْ يَتَّصِف بذلك العِنَب. فَكَذلك نَهى اللَّه عَزَّ وجَلَّ المُؤمِنينَ أنْ يقولوا: (راعِنا)، لِما كان قول القائِل: (راعِنا) مُحْتَمِلاً أنْ يكون بمعنى احفَظْنا ونَحْفَظك وارْقُبنا ونَرْقُبك، من قول العرب بعضهم لِبعضٍ: رَعاك اللَّه بمعنى حَفِظَك اللَّه وكَلأَك. وَمُحْتَمِلاً أنْ يكون بمعنى: أرْعِنا سَمْعك، من قولهم: أرعَيْت به سَمْعي إرْعاءً. أو راعَيْته سَمْعي رِعاء أو مُراعاة، بمعنى: فَرَّغْته لِسَماع كَلامه. كَما قال الأعْشَى مَيْمون بن قَيْس:

يُرْعي إلى قول سادات الرِّجال إذا ... أبْدَوْا له الحزْم أو ما شاءَه ابْتَدَعا (٢)

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[البسيط] القائل: الأعشى (جاهلي). اللغة: يرعى: يصغي بسمعه إليه، مفرغه لذلك. سادات: أشراف. أبدوا: أظهروا. الحَزْمُ: ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثّقة. المعنى: هذا البيت من قصيدة في مدح هوذة بن علي الحنفي ويقول فيها أيضًا:

مَن يَرَ هَوذَةَ أو يَحلُل بِساحَتِهِ ... يَكُن لِهَوذَةَ فيما نابَهُ تَبَعا
تَلقى لَهُ سادَةَ الأَقوام تابِعَةً ... كُلٌّ سَيَرضى بِأَن يُرعى لَهُ تَبعا
يا هَوذُ يا خَيرَ مَن يَمشي عَلى قَدَم ... بحرَ المَواهِبِ لِلوُرّادِ وَالشَّرَعا

ويريد: أنه يستمع ويصغي في اهتمام بالغ إلى أشراف القوم حتى ينتهوا من كلامهم، إذا أظهروا له الشدة في كلامهم أو لم يظهروا.

يَعْني بقولِه يُرْعي: يُصْغي سَمْعَه إليه مُفَرِّغه لِذلك.

وَكَأَنَّ اللَّه جَلّ ثَناؤه قد أَمَرَ المُؤمِنينَ بتَوْقيرِ نَبيّه ﷺ وتَعْظيمه، حتّى نَهاهم جَلّ ذِكْره فيما نَهاهم عنه عن رَفْع أَصْواتهم فَوْق صَوْته، وأنْ يجْهَروا له بالقولِ كَجَهْرِ بعضهم لِبعض، وخَوَّفهم على ذلك حُبوط أعْمالِهم، تَقَدَّمَ إليهم بالزَّجْرِ لهم عن أنْ يقولوا له من القول ما فيه جَفاء، وأَمَرَهم أنْ يَتَخَيَّروا لِخِطابِه من الألفاظ أحسَنها، ومن المعاني أرَقَّها، فَكان من ذلك قولهم: ﴿رَٰعِنَا﴾ لِما فيه احتِمال معنى: ارْعَنا نَرْعك، إذْ كانتِ المُفاعَلةُ لا تَكون إلاَّ من اثْنَيْنِ، كما يقول القائِل: عاطِنا وحادِثنا وجالِسنا، بمعنى افعَلْ بنا نَفْعَل بك، ومعنى أرْعِنا سَمْعك حتّى نَفْهَمك وتَفْهَم عَنّا.

فَنَهَى اللَّه تعالى ذِكْره أصْحابَ مُحَمَّدٍ أنْ يقولوا ذلك كذلك وأمرهم أنْ يُفْرِدوا مسألَته بانتِظارِهم وإمْهالهم ليَعْقِلوا عنه بتَبْجيلٍ منهم له وتَعْظيم، وألاَّ يَسْألوه ما سَألوه من ذلك على وجه الجفاءِ والتَّجَهُّم منهم له، ولا بالفَظاظةِ والغِلْظة، تَشْبيهًا منهم باليهودِ في خِطابهم نَبيَّ اللَّه ﷺ بقولِهم له: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا﴾ [النساء: ٤٦].

يَدُلّ على صِحّة ما قُلْنا في ذلك قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] فَدَلَّ بذلك أنَّ الذي عاتَبَهم عليه مِمَّا يَسُرُّ اليهود والمُشْرِكينَ.

فَأمَّا التَّأويل الذي حُكيَ عن مُجاهِد في قوله: ﴿رَٰعِنَا﴾ أنّه بمعنى: خِلافًا، فَما لا يُعْقَل في كَلام العرب؛ لأنَّ (راعَيْتُ) في كَلام العرب إنَّما هو على أحَد وجهَيْنِ: أحَدهما بمعنى فاعَلْت من (الرِّعْيَة)، وهيَ الرِّقْبةُ والكَلاءة.

والآخَر بمعنى إفراغ السَّمْع، بمعنى أرعَيْته سَمْعي.

وَأمَّا (راعَيْت) بمعنى (خالَفْت)، فلا وجه له مَفْهوم في كَلام العرب، إلاَّ أنْ يكون قَرأ ذلك بالتَّنْوينِ، ثُمّ وجَّههُ إلى معنى الرُّعونة والجهْل والخطَأ، على النَّحْو الذي قال في ذلك عبد الرّحْمَن بن زَيْد، فَيكون لِذلك - وإنْ كان مُخالِفًا قِراءة القَرأةِ - معنى مَفْهومٌ حينَئِذٍ.

وَأمَّا القول الآخَر الذي حُكيَ عن عَطيّة ومَنْ حُكي ذلك عنه، أنَّ قوله: ﴿رَٰعِنَا﴾ كانتْ كَلِمةً لِلْيَهودِ بمعنى السَّبّ والسُّخْريّة، فاستَعْمَلَها المُؤمِنونَ أخْذًا منهم ذلك عنهم؛ فَإنَّ ذلك غير جائِز في صِفة المُؤمِنينَ أنْ يَأخُذوا من كَلام أهل الشِّرْك كَلامًا لا يَعْرِفونَ معناه ثُمّ يَسْتَعْمِلونَه بينهم وفي خِطاب نَبيّهم ﷺ، ولَكِنّه جائِزٌ أنْ يكون ذلك كما رُويَ عن قَتادة أنَّها كانتْ كَلِمة صَحيحة مَفْهومةً من كَلام العرب وافَقَتْ كَلِمة من كَلام اليهودِ بغيرِ اللِّسان العربيِّ هي عند اليهود سَبّ، وهيَ عند العرب: أرْعِني سَمْعك وفَرِّغه لي لِتَفْهَم عَنّي.

فَعَلَّمَ اللَّه جَلّ ثَناؤه معنى اليهود في قِيلِهم ذلك لِلنّبيِّ ﷺ، وأنَّ معناها منهم خِلافُ معناها في كَلام العرب، فَنَهَى اللَّه عَزَّ وجَلَّ المُؤمِنينَ عن قِيلِها لِلنّبيِّ ﷺ لِئَلاَّ يجْتَرِئَ مَنْ كان معناه في ذلك

غيرَ معنى المُؤمِنينَ فيه أنْ يُخاطِب رَسول اللَّه ﷺ به .

وَهذا تأويل لم يَأتِ الخبَر بأنَّه كذلك من الوجْه الذي تَقوم به الحُجّة .

وَإذْ كان ذلك كذلك فالذي هو أولَى بتأويلِ الآيةِ ما وصَفْنا ، إذْ كان ذلك هو الظَّاهِر المفهوم بالآيةِ دون غيره .

وَقد حُكيَ عن الحسن البصْريِّ أنَّه كان يَقْرَؤُه : (لا تَقولوا راعِنًا) بالتَّنْوينِ ، بمعنى : لا تَقولوا قولاً راعِنًا ، من الرُّعونة وهيَ الحُمْق والجهْل .

وَهذه قِراءةٌ لِقَرأةِ المُسْلِمينَ مُخالِفة ، فَغير جائِز لأحَدِ القِراءةُ بها لِشُذوذِها وخُروجها من قِراءة المُتَقدِّمينَ والمتأخرين وخِلافها ما جاءتْ به الحُجّة من المُسْلِمينَ .

وَمَن نون (راعِنًا) نونه بقولِه : ﴿لَا تَقُولُواْ﴾ لأنَّه حينَئِذٍ عامِل فيه .

وَمَنْ لم يُنَوِّنه فَإنَّه تَرَكَ تَنْوينَه لأنَّه أمْرٌ محكيٌّ ؛ لأنَّ القوْم كَأنَّهم كانوا يقولونَ لِلنَّبيِّ ﷺ : ﴿رَٰعِنَا﴾ بمعنى مسألَته ؛ إمَّا أنْ يُرْعيَهم سَمْعه ، وإمَّا أنْ يَرْعاهم ويَرْقُبَهم - على ما قد بَيَّنْت فيما مَضَى - فَقيلَ لهم : لا تَقولوا في مسألَتكم إيَّاه راعِنا .

فَتَكون الدَّلالة على معنى الأمْر في (راعِنا) حينَئِذٍ سُقوط الياء التي كانتْ تكون في (راعيته) .

وَيَدُلّ عليها - أعْني على الياء السَّاقِطة - كَسْرةُ العيْن من (راعِنا) .

وَقد ذُكِرَ أنَّ قِراءة ابن مسعود : (لا تقولوا راعونا) بمعنى حِكاية أمْرٍ صالِحة لِجَماعةٍ بمُراعاتِهم .

فَإنْ كان ذلك من قِراءَته صَحيحًا وُجِهَ أنْ يكون القوْم كَأنَّهم نُهوا عن استِعْمال ذلك بينهم في خِطاب بعضهم بعضًا كان خِطابهم لِلنَّبيِّ ﷺ أو لِغيرِه ، ولا نَعْلَم ذلك صَحيحًا من الوجْه الذي تَصِحُّ منه الأخْبار .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَقُولُواْ انظُرْنَا﴾

يَعْني بقولِه جَلّ ثَناؤه : ﴿وَقُولُواْ انظُرْنَا﴾ : وقولوا يا أيّها المُؤمِنونَ لِنَبيِّكُم ﷺ : انتَظِرْنا وارْقُبنا نَفْهَم ونَتَبيَّن ما تَقول لنا وتُعَلِّمُنا ، كَما :

١٧٣٥ - **حدّثني** مُحَمَّد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصِم ، قال : ثنا عيسَى ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مُجاهِد : ﴿وَقُولُواْ انظُرْنَا﴾ : فَقِّهنا ، بَيِّنْ لنا يا مُحَمَّد [(١)] .

١٧٣٦ - **حدّثني** المُثَنّى ، قال : ثنا أبو حُذَيْفة ، قال : ثنا شِبْل ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مُجاهِد : ﴿وَقُولُواْ انظُرْنَا﴾ : أفْهِمْنا ، بَيِّنْ لنا يا مُحَمَّد [(٢)] .

---

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون ، ومحمد بن عمرو الباهلي ، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد ، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد ، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد ، والعلم عند الله .

(٢)[حسن] تقدم قبله ، وهذا سند ضعيف ؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال ، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف ، يكتب حديثه .

١٧٣٧- حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله [(١)].

يُقال منه: نَظَرْت الرَّجُل أنظُره نَظِرةً بمعنى انتظرْته ورَقَبْته.

وَمنه قول الحُطَيْئة:

وَقد نَظَرْتُكُمُ أعْشاءَ صادِرةٍ لِلْخِمْسِ طالَ بها حَوْزي وتَنْساسي [(٢)]

وَمنه قول الله عزَّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] يَعْني: به انتَظِرونا.

وقد قُرِئ: (أنظِرونا نقتبس من نوركم) يعني به: انْتَظِرونا. وقد قُرِئَ: (أنْظِرونا). وقد قُرِئَ: (أنْظِرنا) بقَطْع الألِف في الموضِعَيْنِ جميعًا، فَمَنْ قَرأ ذلك كذلك أرادَ أخِّرْنا، كما قال جَلّ ثَناؤه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩] أيْ: أخِّرْني.

وَلا وجه لِقِراءةِ ذلك كذلك في هذا الموضِع؛ لأنَّ أصْحاب رَسول الله ﷺ إنَّما أُمِروا بالدُّنوِّ من رَسول الله ﷺ والاستِماع منه وإلْطاف الخِطاب له وخَفْض الجناح، لا بالتَّأخُّرِ عنه ولا بمسألَتِه تأخيرهم عنه.

فالصَّواب - إذ كان ذلك كذلك من القِراءة قِراءةُ مَنْ وصَلَ الألِف من قوله: ﴿انْظُرْنَا﴾ ولم يَقْطَعها بمعنى انتَظِرْنا.

وَقد قيلَ: إنَّ معنى (أنظِرنا) بقَطْع الألِف بمعنى (أمْهِلْنا)، حُكيَ عن بعض العرب سَماعًا: أنظِرْني أُكلِّمك. وذَكرَ سامِع ذلك من بعضهم أنَّه استَثْبَتَه في معناه، فَأخْبَرَه أنَّه أرادَ أمْهِلْني.

فَإنْ لم يكُنْ ذلك صَحيحًا عنهم فـ(انْظُرْنا) و(أنْظِرْنا) بقَطْع الألِف وَوَصْلها مُتَقارِبتا المعنى.

غير أنَّ الأمْر وإنْ كان كذلك، فَإنَّ القِراءة التي لا أستَجيزُ غيرها قِراءة مَنْ قَرَأه: ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ بوَصْلِ الألِف بمعنى انتَظِرْنا، لإجماعِ الحُجّة على تَصْويبها ورَفْضهم غيرَها من القِراءات في ذلك.

---

(١)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢)[البسيط] القائل: الحُطَيْئة. وورد البيت في ديوانه:

وَقَد نَظَرْتُكُمُ إعشاءَ صادِرَةٍ لِلخَمسِ طالَ بِها حَبسي وَتَنساسي

اللغة: نظرتكم: بمعنى انتظرتكم. الأعشاء: جمع عشى (بكسر فسكون): وهو ما تتعشاه الإبل. الصادرة: الإبل التي تصدر عن الماء. الخمس: من أظماء الإبل، وهو أن تظل في المرعى بعد يوم ورودها ثلاثة أيام، ثم ترد في الرابع. الحوز: السوق اللين، حاز الإبل: ساقها سوقًا رويدًا. والتنساس والنس، مصدر قولك: نس الإبل بينها: ساقها سوقًا شديدًا لورود الماء. المعنى: يقول الشاعر: انتظرت خيركم انتظار الإبل الخوامس لعشائها، وذلك أن الإبل إذا صدرت تعشت طويلًا، وفي بطونها ماء كثير، فهي تحتاج إلى بقل كثير، وهو هنا يصف طول انتظاره حين لا صبر له على طول الانتظار.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾

يَعْني بقولِه جَلَّ ثناؤه: ﴿وَٱسْمَعُواْۗ﴾: اسمَعوا ما يُقال لكم ويُتْلَى عليكُم من كِتاب رَبِّكُم وعوه وافهَموه، كَما:

١٧٣٨- حَدَّثني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَٱسْمَعُواْۗ﴾: اسمَعوا ما يُقال لكم[(١)].

فَمعنى الآيةِ إذًا: يا أيها الذينَ آمَنوا لا تَقولوا لِنَبيِّكُم راعِنا سَمْعك وفَرِّغه لنا نَفْهمك وتَفْهَم عَنَّا ما نَقول، ولَكِنْ قولوا انتَظِرْنا وتَرَقَّبنا حتَّى نَفْهَم عنك ما تُعَلِّمُنا وتُبَيِّنه لَنا. واسمَعوا منه ما يقول لكم فَعوه واحفَظوه وافهَموه.

ثُمَّ أخْبَرَهم جَلَّ ثَناؤه أنَّ لِمَنْ جَحَدَ منهم ومن غيرهم آياتهِ وخالَفَ أمْره ونَهْيَهُ وكذَّبَ برَسوله - العذابَ الموجِعِ في الآخِرة، فَقال: ولِلْكافِرينَ بي وبِرَسولي عَذاب أليم، يَعْني بقولِه الأليم: الموجِع.

وَقد ذَكَرْنا الدَّلالة على ذلك فيما مَضَى قَبْل وما فيه من الآثار.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ﴾

يَعْني بقولِه: ﴿مَّا يَوَدُّ﴾: ما يُحِبّ، أي لَيْسَ يُحِبّ كَثير من أهل الكِتاب، يُقال منه: ودَّ فُلان كذا يَوَدُّ وُدًّا ووَدًّا ووِدًّاومَوَدَّة.

وَأمَّا (المُشْرِكينَ) فَإنَّهم في موضِع خَفْض بالعطْفِ على (أهل الكِتاب).

وَمعنى الكلام: ما يَوَدُّ الذينَ كَفَروا منْ أهل الكِتاب ولا من المُشْرِكينَ أنْ يُنَزَّل عليكُم من خَيْرٍ من رَبّكم. وَأمَّا ﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن يُنَزَّلَ﴾ فَنُصِبَ بقولِه: ﴿يَوَدُّ﴾.

وَقد دَلَّلْنا على وجه دُخول (مِن) في قوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ وما أشبَه ذلك من الكلام الذي يكون في أوَّله جَحْدٌ فيما مَضَى، فَأغْنَى ذلك عن إعادَته في هذا الموضِع.

فَتأويل الكلام: ما يُحِبُّ الكافِرونَ من أهل الكِتاب ولا من المُشْرِكينَ باللَّه من عَبَدة الأوثان أنْ يُنَزِّل اللَّهُ عليكُم شيئًا من الخيْر الذي هو عنده، والخيرُ الذي كان الله يُنَزِّلَهُ عليهم.

فَتَمَنَّى المُشْرِكونَ وكَفَرةُ أهل الكِتاب ألا يُنَزِّلَهُ اللَّه عليهم - الفُرْقانُ وما أوحاه إلى نَبيِّهِ مُحَمَّد ﷺ من حُكْمه وآياته، وإنَّما أحَبَّتِ اليهود وأتْباعُهم من المُشْرِكينَ ذلك حَسَدًا وبَغْيًا منهم على المُؤمِنينَ. وَفي هذه الآية دَلالة بَيِّنة على أنَّ اللَّه تَبارَكَ وتعالى نَهَى المُؤمِنينَ عن الرُّكون إلى أعْدائِهم من أهل الكِتاب والمُشْرِكينَ، والاستِماع من قولهم وقَبول شَيْء مِمَّا يَأتونَهم به، على وجهِ النَّصيحة لهم منهم؛ بإطْلاعِه جَلَّ ثَناؤه إيَّاهم على ما يَسْتَبْطِنه لهم أهل الكِتاب والمُشْركونَ من الضِّغْنِ والحسَد وإنْ أظهَروا بألسِنَتِهم خِلاف ما هم مُسْتَبْطِنوه لهم.

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه:
﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٠٥﴾

يَعني بقولِه جلّ ثناؤه: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾: واللَّه يَخْتَصّ مَنْ يَشاء لنبوَّتِه ورسالاته فَيُرْسِله إلى مَنْ يَشاء من خَلْقه، ويَتَفَضَّل بالإيمانِ به على مَنْ أحبَّ فَيَهْديه له.

واختِصاصهُ إيَّاهم بها إفرادُهم بها دون غيرهم من خَلْقه.

وَإنّما جَعَلَ اللَّه رِسالَته إلى مَنْ أرسَلَ إليه من خَلْقه وهِدايَتَهُ مَنْ هَدَى من عِباده رَحْمة منه له لِيُصَيِّره بها إلى رِضاه ومَحَبَّته، وفَوْزه بها بالجنّةِ واستِحْقاقه بها ثَناءَه؛ وكُلُّ ذلك رَحْمة من اللَّه له.

وأمَّا قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: فإنَّه خَبَر من اللَّه جَلّ ثَناؤه عن أنَّ كُلّ خَيْر ناله عِبادِه في دينهم ودُنْياهم فإنَّه من عنده ابْتِداءً وتَفَضُّلاً منه عليهم من غير استِحْقاق منهم ذلك عليه.

وَفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تَعْريض من اللَّه تعالى ذِكْره بأهلِ الكِتاب أنَّ الذي آتى نَبيَّهُ مُحَمَّد ﷺ والمُؤمِنينَ به من الهِداية تَفَضُّلٌ منه، وأنَّ نِعَمه لا تُدْرَك بالأمانيِّ ولَكِنَّها مَواهِب منه يَخْتَصّ بها مَنْ يَشاء من خَلْقه.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: ما ننقُلْ من حُكم آيةٍ إلى غيره، نُغَيِّره ونُبَدِّلُه.

وَذلك أنْ يُحَوِّل الحلال حَرامًا والحرام حَلالاً، والمُباح محظورًا والمحظور مُباحًا؛ ولا يكون ذلك إلاّ في الأمْر والنَّهْي والحظْر والإطْلاق والمنع والإباحة، فَأمَّا الأخْبارُ فلا يكون منها ناسِخٌ ولا مَنْسوخ.

وَأصلُ النَّسْخ من (نَسْخ أصل الكِتاب) وهو نَقْله من نُسْخةٍ إلى أُخْرَى غيرها، فَكَذلك معنى نَسْخ الحُكْم إلى غيره إنَّما هو تَحْويله ونَقْل عِبادِه عنه إلى غيره.

فَإذ كان ذلك معنى نَسْخ الآية فَسَواءٌ - إذا نُسِخَ حُكْمها فَغُيِّرَ وبُدِّلَ فَرْضها ونُقِلَ العِبادُ عن اللاَّزِم كان لهم بها - أُقِرَّ خَطُّها فَتُرِكَ، أو مُحيَ أثَرها، فَعُفيَ ونُسيَ، إذْ هي حينَئِذٍ في كِلْتا حالَتَيْها مَنْسوخةٌ. والحُكْم الحادِث المُبَدَّل به الحُكْم الأوَّلُ والمنقول إليه فَرْض العِباد هو النَّاسِخ، يُقال منه: نَسَخَ اللَّه حكمَ آية كذا وكذا يَنْسَخه نَسْخًا، والنُّسْخةُ الاسم.

وَبِمِثْلِ الذي قُلْنا في ذلك كان الحسن البصْريّ يقول.

١٧٣٩- **حَدَّثَنا** سَوَّار بن عبد اللَّه، قال: ثنا خالِدٌ، قال: ثنا عَوْف، عن الحسن أنَّه قال في قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ قال: أُقْرِئَ قُرْآنًا ثُمّ نُسّيه فلم يكُنْ شَيْئًا، ومن القُرْآن ما قد نُسِخَ وأنتم تَقْرَءونه [١].

---

(١)[صحيح] خالد بن الحارث بن عبيد بن سليمان بن عبيد بن سفيان بن مسعود بن سكين؛ إمام ثقة. و سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة التميمي العنبري؛ ثقة.

اختلَفَ أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ فقال بعضهم بما:

١٧٤٠- **حدثني** به موسى بن هارونَ، قال: ثنا عمرُو بن حمَّاد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: أمَّا نَسخها فقَبْضها.

وَقال آخرونَ بما:

١٧٤١- **حدثني** به المُثَنى، قال: حدَّثنا عبد الله بن صالِح، قال: حَدَّثني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: ما نُبَدِّل من آية [(١)].

وَقال آخرونَ بما:

١٧٤٢- **حدثني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن أصْحاب عبد الله بن مسعود أنَّهم قالوا: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: نُثْبِت خَطَّها ونُبَدِّل حُكْمها [(٢)].

١٧٤٣- **وحدثني** المُثَنى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: نُثْبِت خَطَّها، ونُبَدِّل حُكْمها، حُدِّثت به عن أصْحاب ابن مسعود [(٣)].

١٧٤٤- **حدثني** المُثَنى، قال: حدَّثنا إسحاق، قال: حَدَّثني بَكْر بن شَرْوِدٍ، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، عن أصْحاب ابن مسعود: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: نُثْبِت خَطَّها [(٤)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾

اختَلَفَ أهل القِراءة في قراءةِ ذلك، فَقَرَأها قَرأة أهل المدينة والكوفة: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ ولِقِراءةِ مَنْ قَرَأها كذلك وجهانِ من التَّأويل، أحَدهما: أنْ يكون تأويله: ما نَنْسَخ يا مُحَمَّد من آية فَنُغَيِّر حُكْمها أو نُنْسِكها - وَقد ذُكِرَ أنَّها في مُصْحَف عبد الله: (ما نُنْسِك من آية أو ننسخها - نجئ بمثلها)، فَذلك تأويل النِّسْيان. وَبِهذا التَّأويل قال جَماعة من أهل التَّأويل.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٧٤٥- **حدثنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾: كان يَنسَخ الآية بالآيةِ بعدها، ويَقرَأ نَبيّ الله ﷺ الآية أو أكْثَر من ذلك ثُمّ يُنَسَّى وتُرْفَع [(٥)].

---

(١)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه، والمثنى توبع.

(٢)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي.

(٣)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق.

(٤)[ضعيف] بكر لم أقف عليه، و المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٥)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

١٧٤٦- حدّثنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: كان اللّه تعالى ذِكْره يُنْسي نَبيّه ﷺ ما شاءَ ويَنْسَخ ما شاءَ (١).

١٧٤٧- حدّثني المُثَنّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: كان عُبَيْد بن عُمَيْر يقول: ﴿نُنسِهَا﴾: نَرْفَعها من عندكم (٢).

١٧٤٨- حدّثنا سَوّار بن عبد اللّه، قال: ثنا خالِد بن الحارِث، قال: ثنا عَوْف، عن الحسن أنّه قال في قوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: إنَّ نَبيّكم ﷺ أُقْرِئَ قُرآنًا، ثُمّ نُسّيهِ (٣).

وَكذلك كان سَعْد بن أبي وقّاص يَتأوّل الآية إلاّ أنّه كان يَقرَؤُها: (أو تَنْسَها) بمعنى الخِطاب لِرَسولِ اللّه ﷺ، كَأنّه عَنَى أو تَنْسَها أنت يا مُحَمَّد.

ذِكر الأخبار عن ذلك:

١٧٤٩- حدّثني يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حدَّثنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا يَعْلَى بن عَطاء، عن القاسِم بن ربيعة، قال: سَمِعْت سَعْد بن أبي وقّاص يقول: (ما ننسخ من آية أو تَنْسَها) قال: قُلْت له: فَإنّ سَعيد بن المُسَيِّب يَقرَؤُها: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: فَقال سَعْد: إنَّ القُرآن لم يَنْزِل على المُسَيِّب ولا على آل المُسَيِّب، قال اللّه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الاعلى: ٦] ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] (٤).

١٧٥٠- حدّثنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا هُشَيْم، قال: ثنا يَعْلَى بن عَطاء، قال: حدَّثنا القاسِم بن رَبيعة بن قانِف الثَّقَفيُّ، قال: سَمِعْت سعد بن أبي وقّاص يَذْكُر نَحْوه (٥).

١٧٥١- حدّثنا مُحَمَّد بن المُثَنّى، قال: حدَّثنا ابنُ مهديٍّ، وحدَّثني المُثَنّى، قال: حدثنا آدَم العسْقَلانيّ قالا جَميعًا: حدثنا شُعْبة، عن يَعْلَى بن عَطاء، قال: سَمِعْت القاسِم بن رَبيعة الثَّقَفيّ يقول: قُلْت لِسَعْدِ بن أبي وقّاص: إنّي سَمِعْت ابن المُسَيِّب يَقْرَأ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ فَقال سَعْد: إنَّ اللّه لم يُنْزِل القُرْآن على المُسَيِّب ولا على ابنه، إنّما هيَ: (ما نَنْسَخْ مِن آيةٍ أو تَنْسَها) يا مُحَمَّد. ثُمّ قَرَأ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الاعلى: ٦] ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] (٦).

١٧٥٢- حدّثني المُثَنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع في

(١)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٢)[ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه. وله أسانيد أخرى ضعيفة لا تقويه.
(٣)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.
(٤)[صحيح] يعلى بن عطاء العامري القرشي، ثقة، وبقية رجاله تقدموا.
(٥)[صحيح] تقدم قبله. (٦)[صحيح] تقدم قبله.

قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ يقول: ﴿نُنسِهَا﴾: نَرْفعها؛ وكان اللّه تعالى ذكره أنْزَلَ أمورًا من القُرْآن ثُمّ رَفَعَها [١].

والوجْه الآخر منهُما: أنْ يكون بمعنى التّرْك، من قول اللّه جَلّ ثَناؤه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] يَعْني به تَرَكوا اللّه فَتَرَكَهم.

فَيكون تأويل الآية حينَئِذٍ على هذا التّأويل: ما نَنْسَخ من آية فَنُغَيِّر حُكْمها. أو نَتْرُكه ولا نُغَيِّر حُكْمها ولا نُبَدِّل فَرْضها، نَأْتِ بخَيْرٍ من التي نَسَخْناها أو مِثْلها.

وَعلى هذا التّأويل تأوَّلَ ذلك جَماعة من أهل التّأويل.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٧٥٣ - **حَدّثَني** المُثَنّى، قال: حدَّثنا عبد اللّه بن صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبّاس في قوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ يقول: أو نَتْرُكها لا نُبَدِّلها [٢].

١٧٥٤ - **حَدّثَني** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ قوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: نَتْرُكها لا نَنْسَخها [٣].

١٧٥٥ - **حَدّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: حدَّثنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا جوَيْبِر، عن الضّحّاك في قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: النّاسِخ والمنْسوخ [٤].

قال: وكان عبد الرَّحْمَن بن زَيْد يقول في ذلك بما:

١٧٥٦ - **حَدّثَني** به يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: نَمْحُها.

وَقَرأ ذلك آخَرونَ: (أو نَنسأها) بفَتْحِ النّون وهَمْزة بعد السّين بمعنى نُؤَخِّرها، من قولك: نَسَأت هذا الأمْر أنْسَؤُه نَسأ ونَساءً إذا أخّرْته، وهو من قولهم: بعْته بنَساءٍ، يَعْني بتأخيرٍ.

وَمن ذلك قول طَرَفة بن العبد:

لَعُمْرك إنَّ الموت ما أنْسأ الفتَى لَكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياه باليدِ [٥]

يَعْني بقولِه أنْسأ: أخَرَ.

(١)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٣)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤)[ضعيف] جويبر بن سعيد الأزدي متروك.

(٥)[الطويل] القائل: طَرَفَة بن العَبد. وورد البيت في ديوانه:

لَعَمرُكَ إنَّ المَوتَ ما أخطأَ الفَتى لَكَالطِّوَلِ المُرخى وَثِنياهُ بِاليَدِ

اللغة: لعمرك: أسلوب قسم. أنسأ: أخَر. الطول المرخى: حبل طويل يُطول للدابة لترعى وهي مشدودة فيه. ثنياه: طرفاه. المعنى: يقول الشاعر: أُقسم بحياتك أن الموت في مدة مجاورة الفتى، بمنزلة حبل طُوّل للدابة ترعى فيه وطرفاه بيد صاحبه، يريد أنه لا يتخلص منه كما أن الدابة لا تفلت مادام صاحبها آخذًا بطرفي طولها، لما جعل الموت بمنزلة صاحب الدابة التي أرخى طِولها، فمتى شاء الموت قاد الفتى لهلاكه ومن كان في حبل الموت انقاد لقوده!

وَمِمَّنْ قَرَأَ ذلك كذلك جَماعة من الصّحابة والتَّابِعينَ، وقَرَأه جَماعة من قَرَأة المَكيينَ والبصْريِّينَ، وتأوَّلَه كذلك جِماعة من أهل التّأويل.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٧٥٧- **حَدّثَنا** أبو كُرَيْب، ويَعْقوب بن إبراهيم، قالا: حدَّثنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا عبد الملِك، عن عَطاء في قوله: (ما ننسخ من آية أو ننسأها) قال: نُؤَخِّرها [(١)].

١٧٥٨- **حَدّثنا** مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، قال: سَمِعْت ابن أبي نَجيح، يقول في قول اللَّه: (أو ننسأها) قال: نُرْجِئها [(٢)].

١٧٥٩- **حَدّثني** المُثَنّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: (أو ننسأها): نُرْجِئها ونُؤَخِّرها [(٣)].

١٧٦٠- **حَدّثنا** أحمَد بن إسحاق الأهوازيُّ، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريُّ، قال: ثنا فُضَيْل، عن عَطيّة: (أو ننسأها) قال: نُؤَخِّرها فلا نَنْسَخها [(٤)].

١٧٦١- **حدّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخْبَرَني عبد اللَّه بن كَثير، عن عُبَيْد الأزْديِّ، عن عُبَيْد بن عُمَيْر (أو ننسأها) إرْجاؤُها وتأخيرُها [(٥)].

هَكَذا حَدَّثَنا القاسِم عن عبد اللَّه بن كَثير، عن عُبَيْد الأزْديِّ، وَإنَّما هو: عن عَليّ الأزديّ [(٦)].

١٧٦٢- **حَدّثني** أحمَد بن يوسُف، قال: حدَّثنا القاسِم بن سَلَّام، قال: حَدَّثَنا حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، عن عبد اللَّه بن كَثير، عن عَليّ الأزديّ، عن عُبَيْد بن عُمَيْر أنّه قَرَأها: (أو ننسأها) [(٧)].

قال: فَتأويل مَنْ قَرَأ ذلك كذلك: ما نُبَدِّل من آية أنْزَلْناها إليك يا مُحَمَّد، فَنُبْطِل حُكْمها ونُثْبِت خَطَّها، أو نُؤَخِّرها فَنُرْجِئها ونُقِرَّها فلا نُغَيِّرها ولا نُبْطِل حُكْمها، نَأْتِ بِخَيْرٍ منها أو مِثْلها.

وَقد قَرَأ بعضهم ذلك: (ما ننسخ من آية أو تُنْسَها) وتأويل هذه القِراءة نَظير تأويل قِراءة مَنْ قَرَأ: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ إلاَّ أنَّ معنى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: أو نُنْسِكَها يا محمدُ نحن. مِن أنْساه اللَّه يُنْسيه، ومعنَ من قرأ (أو تُنْسَها): أو تَنْسَها أنت يا مُحَمَّد.

وَقد قَرَأ بعضهم: (ما نُنْسِخ من آيةٍ) بضَمِّ النّون وكَسْر السّين، بمعنى: ما نُنْسِخْك يا مُحَمَّد

---

(١)[صحيح]رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٢)[حسن]من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣)[حسن]تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٤)[حسن]كل رجاله من أهل الصدق، حديثهم حسن، وعطية ضعيف ولكنه قوله.

(٥)[صحيح]فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج. وقد توبع كما في الذي بعده.

(٦)[صحيح]تقدم قبله. (٧)[صحيح]تقدم قبله.

نَحنُ من آية . مِن : أنسَخْتُك فأنا أُنسِخُكَ . قال : وَذلك خَطأ من القِراءة عندنا لِخُروجِه عَمّا جاءتْ به الحُجّة من القرأة بالنّقْلِ المُسْتَفيض . وَكذلك قِراءةُ مَنْ قَرأ (تَنْسَها) أو (تُنْسَها) لِشُذوذِها وخُروجها عن القِراءة التي جاءتْ بها الحُجّة من قَرَأةِ الأمّة .

وَأولَى القِراءات في قوله : ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ بالصّوابِ مَنْ قَرأ : ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾، بمعنى نَتْرُكها ؛ لأنَّ اللّه جَلّ ثَناؤه أخْبَرَ نَبيّه ﷺ أنّه مَهما بَدّلَ حُكمًا أو غَيّرَه أو لم يُبَدِّله ولم يُغَيِّره، فهو آتيه بخَيْرٍ منه أو بمِثْلِه . فالذي هو أولَى بالآيةِ إذْ كان ذلك معناها ، أنْ يكون إذْ قَدّمَ الخبَر عَمّا هو صانِعٌ إذا هو غَيّرَ وبَدّلَ حُكم آية - أنْ يُعْقِب ذلك بالخبَرِ عَمّا هو صانِع ، إذا هو لم يُبَدِّل ذلك ولم يُغيِّر .

والخبَر الذي يجِب أنْ يكون عَقيب قوله : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ قوله : أو نَتْرُكْ نَسْخها ، إذْ كان ذلك المعروف الجاري في كَلام النّاس . مع أنَّ ذلك إذا قُرِئَ كذلك بالمعنى الذي وصَفْتُ ، فهو يَشْتَمِل على معنى الإنْساء الذي هو بمعنى التّرْك ، ومعنى النّسْء الذي هو بمعنى التّرك ، ومعنى النّسْء الذي هو بمعنى التّأخير ، إذْ كان كُلّ مَتروك فَمُؤَخّر في حال ما هو مَتْروك .

وَقد أنْكَرَ قَوْم قِراءة مَنْ قَرأ : (أو تَنْسَها) إذا عَنى به النّسْيان ، وقالوا : غيرُ جائِز أنْ يكون رَسول اللّه ﷺ نَسيَ من القُرْآن شَيْئًا مِمّا نُسِخَ إلاّ أنْ يكون نَسيَ منه شَيْئًا ثُمّ ذَكَرَه .

قالوا : وبعد ، فإنّه لو نَسيَ منه شَيْئًا لم يكُنْ الذي قَرَءوه وحَفِظوه من أصْحابه بجائِزٍ على جَميعهم أنْ يَنْسَوْه . قالوا : وفي قول اللّه جَلّ ثَناؤه : ﴿وَلَبِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء : ٨٦] ما يُنْبِئ عن أنَّ اللّه تعالى ذِكْره لم يُنْسِ نَبيّه شَيْئًا آتاه من العِلْم .

قال أبو جَعْفَرٍ : وهذا قول يَشْهَد على بُطوله وفَساده الأخْبار المُتَظاهِرة عن رَسول اللّه ﷺ وأصْحابه بنَحْوِ الذي :

١٧٦٣ - **حدّثنا** بشر بن مُعاذ ، قال : حَدّثَنا يَزيد بن زُرَيْع ، قال : حَدّثَنا سَعيد ، عن قَتادة ، قال : حَدّثَنا أنَس بن مالِك : إنَّ أولَئِكَ السّبْعينَ من الأنْصارِ الذينَ قُتِلوا ببِئْرِ مَعونة قَرأْنا بهم وفيهم كِتابًا : (بَلِّغوا عَنّا قَوْمنا أنّا لَقينا رَبّنا فَرَضيَ عَنّا وأرضانا) . ثُمّ إنَّ ذلك رُفِعَ [(١)].

فالذي ذُكِر عن أبي موسَى الأشعَريّ أنّهم كانوا يَقْرَءونَ : (لو أنَّ لابنِ آدم واديَيْنِ من مال لابْتَغَى لهُما ثالِثًا ، ولا يَمْلأ جَوْف ابن آدم إلاّ التُّراب ، ويَتوب اللّه على مَنْ تابَ) ثُمّ رُفِعَ ؛ وما أشبَه ذلك من الأخْبار التي يَطول بإحصائِها الكِتاب .

وَغير مُسْتَحيل في فِطْرة ذي عَقْل صَحيح ولا بحُجّةِ خَبَر أنْ يُنْسي اللّه نَبيّه ﷺ بعض ما قد كان أنْزَله إليه . فإذا كان ذلك غير مُسْتَحيل من أحَد هَذَيْنِ الوجْهَيْنِ ، فَغير جائِز لِقائِلٍ أنْ يقول ذلك غير جائِز .

وَأمّا قوله : ﴿وَلَبِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ فإنّه جَلّ ثَناؤه لم يخبره أنّه لا يَذْهَب بشَيْءٍ

---

(١) [حسن] من أجل بشر ، صالح الحديث صدوق كما قال أبو حاتم الرازي . ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط .

منه، وإنَّما أخبره أنَّه لو يشاءُ لَذَهَبَ بجَميعِه، فَلم يَذْهَب به والحمد لِلَّه؛ بل إنَّما ذَهَبَ منه بما لا حاجة بهم إليه منه، وذلك أنَّ ما نَسَخَ منه فلا حاجة بالعِبادِ إليه، وقد قال اللَّه تعالى ذِكْره: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦ - ٧] فأخْبَرَ أنَّه يُنْسي نَبيَّه منه ما شاءَ. فالذي ذَهَبَ منه الذي استَثْناه اللَّه. فَأمَّا نَحْنُ فَإنَّما اختَرْنا ما اختَرْنا من التَّأويل طَلَبَ اتِّساق الكلام على نِظام في المعنى، لا إنْكار أنْ يكون اللَّه تعالى ذِكْره قد كان أنْسَى نَبيَّه بعض ما نَسَخَ من وحْيه إليه وتَنْزيله.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾

اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾، فَقال بعضهم بِما:

١٧٦٤- **حَدَّثَني** به المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا عبد اللَّه بن صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ يقول: خَيْر لكم في المنْفَعة وأرفَق بكم [(١)].

وَقال آخَرون بما:

١٧٦٥- **حَدَّثَني** به الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ يقول: آيةٍ فيها تَخْفيف، فيها رخصة، فيها أمْر، فيها نَهْي [(٢)].

وَقال آخَرونَ: نَأْتِ بخَيْرٍ من التي نَسَخْناها، أو بخَيْرٍ من التي تَرَكْناها فَلم نَنْسَخها.

ذِكْر مَن قال ذلك:

١٧٦٦- **حَدَّثَني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عمرو، قال: حَدَّثَنا أسباط، عن السُّدِّيّ: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ يقول: نَأْتِ بخَيْرٍ من التي نَسَخْناها ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ أو مِثْل التي تَرَكْناها [(٣)].

فالهاء والألِف اللَّتانِ في قوله: ﴿مِّنْهَآ﴾ عائِدَتانِ - على هذه المقالة - على الآية في قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ والهاء والألِف اللَّتانِ في قوله: ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ عائِدَتانِ على الهاء والألِف اللَّتَيْنِ في قوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾.

وقال آخَرون بما:

١٧٦٧- **حَدَّثَني** به المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: كان عُبَيْد بن عُمَيْر يقول: ﴿نُنسِهَا﴾: نَرْفَعها من عندكم، فَنَأْتِ بمِثْلِها أو خَيْر منها [(٤)].

---

(١)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٢)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤)[ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه. وله اسانيد أخرى ضعيفة سيأتي الكلام عليها، وقد أخرجه ابن أبي حاتم من طريق صحيح عن ابن أبي نجيح عن عبيد بن عمير دون مجاهد، وهو عنه مرسل. والله أعلم.

١٧٦٨- **حدثني** المُثنّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: نَرْفَعها، نَأْتِ بخَيْرٍ منها أو بمِثْلِها [١].

١٧٦٩- **وحدثني** المُثنّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا بَكْر بن شَرْوَدٍ، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، عن أصْحاب ابن مسعود، مِثْله [٢].

والصّواب من القول في معنى ذلك عندنا: ما نُبَدِّل من حُكْم آية فَنُغَيِّره أو نَتْرُك تَبْديله فَنُقِرّه بحالِه، نَأْتِ بخَيْرٍ لكم من حُكْم الآية التي نَسَخْنا فغَيَّرْنا حُكْمها، إمَّا في العاجِل لِخفَّتِه عليكم، من أجْل أنَّه وضْع فَرْض كان عليكُم فَأُسْقِطَ ثِقْله عنكم، وذلك كالذي كان على المُؤْمِنينَ من فَرْض قيام اللَّيْل، ثُمّ نُسِخَ ذلك فَوُضِعَ عنهم، فكان خَيْرًا لهم في عاجِلهم لِسُقوطِ عِبْء ذلك وثِقَل حِمْله عنهم؛ وإمَّا في الآجِل لِعِظَم ثَوابه من أجْل مَشَقّة حِمْله وثِقَل عِبْئِه على الأبْدان، كالذي كان عليهم من صيام أيّام معدودات في السّنة، فَنُسِخَ وفُرِضَ عليهم مَكانه صَوْم شَهْر كامِل في كُلّ حَوْل، فكان فَرْض صَوْم شَهْر كامِل كُلّ سَنة أثْقَل على الأبْدان من صيام أيّام معدودات.

غير أنَّ ذلك وإنْ كان كذلك، فالثّواب عليه أجْزَل والأجر عليه أكْثَر، لِفَضْلِ مَشَقَّته على مُكَلَّفيه من صَوْم أيَّام معدودات، بذلك وإنْ كان على الأبْدان أشَقّ فهو خَيْر من الأوَّل في الآجِل لِفَضْلِ ثَوابه وعِظَم أجْره الذي لم يكُنْ مِثْله لِصَوْم الأيَّام المعدودات.

فذلك معنى قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ لأنَّه إمَّا بخَيْرٍ منها في العاجِل لِخفَّتِه على مَنْ كُلِّفَه، أو في الآجِل لِعِظَم ثَوابه وكَثْرة أجْره. أو يكون مِثْلها في المشَقّة على البدَن واستِواء الأجْر والثّواب عليه، نَظير نَسْخ اللّه تعالى ذِكْره فَرْض الصّلاة شَطْر بَيْت المقْدِس إلى فَرْضها شَطْر المسجِد الحرام. فالتّوَجُّه شَطْر بَيْت المقْدِس، وإنْ خالَفَ التّوَجُّه شَطْر المسجِد الحرام، فَكُلْفة مؤنة التّوَجُّه شَطْر أيّهما تَوَجَّهَ شَطْره المُتَوَجِّه -واحِدةٌ؛ لأنَّ الذي على المُتَوَجِّه شَطْر البيْت المُقَدَّس من مُؤنة تَوَجُّهه شَطْره، نَظيرُ الذي على بَدَنه من مُؤنة تَوَجُّهه شَطْر الكعْبة سَواء. فَذلك هو معنى المِثْل الذي قال جَلّ ثَناؤه: ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾.

وَإنَّما عَنَى جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾: ما نَنْسَخ من حُكْم آية أو نُنْسِه. غير أنَّ المُخاطَبينَ بالآيةِ لَمَّا كان مَفْهومًا عندهم معناها اكْتَفى بدَلالةِ ذِكْر الآية من ذِكْر حُكْمها. وَذلك نَظير سائِر ما ذَكَرْنا من نَظائِره فيما مَضَى من كِتابنا هذا، كَقولِه: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ بمعنى حُبّ العِجْل. ونَحْو ذلك.

فتأويل الآية إذًا: ما نُغَيِّر من حُكْم آية فَنُبَدِّله أو نَتْرُكه فلا نُبَدِّله، نَأْتِ بخَيْرٍ لكم منه - أيّها المُؤْمِنونَ - حُكْمًا منها، أو مِثْل حُكْمها في الخِفّة والثّقَل والأجْر والثّواب.

فإنْ قال قائِل: فَإنَّا قد عَلِمْنا أنَّ العِجْل لا يُشْرَب القُلوب وأنَّه لا يَلْتَبِس على مَنْ سَمِعَ قوله:

---

(١)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ أنَّ معناه: وأُشرِبوا في قُلوبهم حُبَّ العِجْل، فَما الذي يَدُلّ على أنَّ قوله: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ﴾ لِذلك نَظير؟ قيلَ: الذي دَلَّ على أنَّ ذلك كذلك قوله: ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ وغير جائز أنْ يكون من القُرْآن شَيْء خَيْرًا من شَيْء؛ لأنَّ جَميعه كَلام اللَّه، ولا يجوز في صِفات اللَّه تعالى ذِكْره أنْ يُقال بعضها أفضَل من بعض أو بعضها خَير من بعض.

القول في تأويل قوله: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾: ألم تَعْلَم يا مُحَمَّد أنّي قادِر على تَعْويضك مِمَّا نَسَخْت من أحكامي وغَيَّرْته من فَرائِضي التي كُنْت افترَضْتها عليك ما أشاء مِمَّا هو خَيْر لَك ولِعِبادي المُؤمِنينَ معك وأنْفَعُ لَك ولَهم، إمَّا عاجِلاً في الدُّنْيا وإمَّا آجِلاً في الآخِرة. أو بأنْ أُبَدِّل لَك ولَهم مَكانه مِثْله في النَّفْع لهم عاجِلاً في الدُّنْيا وآجِلاً في الآخِرة وشَبيهه في الخِفَّة عليك وعليهم؟ فإنِّي - فاعْلم يا مُحَمَّد - على ذلك وعلى كُلّ شَيْء قَدير.

وَمعنى قوله: ﴿قَدِيرٌ﴾ في هذا الموضِع: قَويٌّ، يُقال منه: قد قَدَرْتُ على كذا وكذا - إذا قَويتَ عليه - أَقْدِرُ عليه وأَقْدُرُ عليه قُدْرة وقِدْرانًا ومَقْدِرة. وَبَنو مُرّة من غَطَفانَ تَقول خاصة: (قَدِرْت عليه) بكَسْرِ الدَّال.

فَأمَّا من التَّقْدير من قول القائِل: (قَدَرْت الشَّيْء) فإنَّه يُقال منه: (قَدَرْته أَقْدُرُه قَدْرًا وقَدَرًا).

القول في تأويل قوله:

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾

قال أبو جَعْفَر: إنْ قال لنا قائِل: أوَ لم يكُنْ رَسول اللَّه ﷺ يَعْلَم أنَّ اللَّه على كُلّ شَيْء قَدير وأنَّ اللهَ له مُلْك السَّموات والأرض حتَّى قيلَ له ذلك؟

قيلَ: بَلَى، فقد كان بعضهم يقول: إنَّما ذلك من اللَّه جَلّ ثَناؤه خَبَر عن أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قد عَلِمَ ذلك؛ ولَكِنّه أَخرَجَ الكلام مُخرَجَ التَّقْرير كما تَفْعَل مِثْله العرب في خِطاب بعضها بعضًا، فَيقول أحَدهما لِصاحِبِه: ألم أُكْرِمك؟ ألم أُفْضِل عليك؟ بمعنى إخباره أنَّه قد أكْرَمه وأَفضَلَ عليه، يُريد أَلَيْسَ قد أكْرَمْتُك؟ أَلَيْسَ قد أَفضَلْت عليك؟ بمعنى قد عَلِمْت ذلك.

قال: وهذا قولٌ لا وجهَ له عندنا؛ وذلك أنَّ قولَه جَلّ ثَناؤه ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾. إنما معناه: أما عَلِمْتَ. وَهوَ حَرْفُ جَحْدٍ أُدْخِل عليه حَرْفُ استِفْهام، وحُروف الاستِفْهام إنَّما تَدْخُلُ في الكلام؛ إمَّا بمعنى الاستِثْبات، وإمَّا بمعنى النَّفْي. فَأمَّا بمَعنى الإثباتِ، فَذلك غَيرُ معروفٍ في كَلام العربِ، ولا سيَّما إذا أُدْخِلَتْ على حُروف الجحْد؛ ولَكِنَّ ذلك عندي، وإنْ كان ظَهَرَ ظُهورَ الخِطابِ لِلنَّبيِّ ﷺ، فَإنَّما هو معنيٌّ به أصْحابُه الذينَ قال لهم اللَّهُ جَلَّ ثَناؤه: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ﴾. والذي يَدُلُّ على أنَّ ذلك كذلك قولُه جَلَّ ثَناؤه: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾. فَعادَ بالخِطابِ في آخِرِ الآية إلى جَميعِهم، وقد ابْتَدَأَ أوَّلَها بخِطابِ

النَّبيِّ ﷺ بقولِه: ﴿لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. لأنَّ المُراد بذلك الذينَ وصَفْتُ أمْرَهم مِن أصْحابِه، وذلك مِن كَلامِ العرب مُسْتَفيضٌ بينهم فَصيحٌ، أنْ يُخْرِجَ المُتَكَلِّمُ منهم كَلامَه على وجه الخِطاب منه لِبعضِ النَّاسِ، وهو قاصِدٌ به غيرَه، وعلى وجه الخِطاب لِواحِدٍ، وهو يَقْصِدُ به جَماعةً غيرَه، أو جَماعةٍ والمُخاطَبُ به أحَدُهم؛ وعلى وجه الخِطاب لِلْجَماعةِ والمقْصودُ به أحَدُهم، من ذلك قولُ اللَّهِ جَلَّ ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ثُمّ قال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ١ - ٢] فَرَجَعَ إلى خِطاب الجماعة، وقد ابْتَدأَ الكلامَ بخِطابِ النَّبيِّ ﷺ.

ونَظير ذلك قولُ الكُمَيْتِ بن زَيْد في مَدْح رَسول اللَّه ﷺ:

إلى السِّراجِ المُنيرِ أحمَدَ لا ... يَعْدِلُني رَغْبَةٌ ولا رَهَبُ
عنه إلى غَيرِه ولو رَفَعَ النَّـ ... ـاسُ إلَيَّ العُيُونَ وارْتَقَبُوا
وَقِيلَ أفرَطْتَ بل قَصَدْتُ ولو ... عَنَّفَني القائِلُونَ أوْ ثَلَبُوا
لَجَّ بتَفْضيلِكَ اللِّسانُ ولو ... أُكْثِرَ فيك الضِّجَاجُ واللَّجَبُ
أنت المُصَفَّى المَحْضُ المُهَذَّبُ في النِّـ ... ـسْبَةِ إنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ[1]

فَأَخْرَجَ كَلامه على وجه الخِطاب لِلنَّبيِّ ﷺ، وهو قاصِدٌ بذلك أهل بَيْته. فَكَنى عن وصْفِهم ومَدْحِهم بذِكْرِ النَّبيِّ ﷺ، وعن بني أُمَيَّةَ بالقائِلينَ المُعَنِّفينَ؛ لأنه معلومٌ أنَّه لا أحَدَ يُوصَفُ مِن

---

(١)[المنسرح] القائل: الكميت بن زيد (أموي). اللغة: السِّراج: المصباح الزاهر الذي يُسْرَجُ بالليل. أفرطت، أي: جاوزت الحد. قصدت: من القصد، وهو العدل بين الإفراط والتقصير. ثلبوا: من الثلب، وهو العيب والذم. فيك، أي: بسببك ومن أجلك. الضجاج: المشاغبة مع الصياح والضجيج. اللجب: ارتفاع الأصوات واختلاطها طلبًا للغلبة. المهذب: هذب الشيء، أي: خلّصه وطهّره من كل ما يعيبه. نص قومك، يُقال: (نص الشيء) أي: رفعه وأظهره وأبانه، يعني: أبان فضلهم على غيرهم. والمقالة الفصل في تلك الأبيات قالها الجاحظ في كتابه النفيس (الحيوان): (خطأ الكميت في المديح، ومِن المديح الخطأ الذي لم أرَ قطُّ أعجب منه قولُ الكميتِ بن زيدٍ وهو يمدح النبي ﷺ، فلو كان مديحه لبني أُمَيَّةَ لجاز أن يعيبَهم بذلك بعض بني هاشم، أوْ لو مَدَحَ به بعض بني هاشم لجاز أن يعترض عليه بعضُ بني أميّة، أوْ لو مدح أبا بلال الخارجيّ لجاز أن تعيبه العامّة، أو لو مدح عَمرو بن عُبَيْدٍ لجازَ أن يعيبه المخالف، أوْ لو مدح المهلَّب لجاز أن يعيبه أصحابُ الأحنفِ. فأما مديح النبي ﷺ، فمن هذا الذي يسوءهُ ذلك؛ حيثُ قال:

فاعتتبَ الشوقُ مِنْ فؤاديَ ولا شعـ ... ـر إلى مَنْ إليه مُعْتَتَبُ
إلى السراجِ المنيرِ أحمدَ لا ... يَعْدِلُني رَغْبَةٌ ولا رَهَبُ

ولو كان لم يقلْ فيه عليه السَّلام إلا مِثْلَ قوله:

وَبُورِكَ قَبْرٌ أنْتَ فيه وَبُورِكَتْ ... به وله أهلٌ بذلك يَثْرِبُ
لقد غَيَّبُوا بِرًّا وحَزْمًا وَنائلًا ... عَشِيَّةَ وَارَاكَ الصَّفيحُ المنصَّبُ

فلو كان لم يمدحْه عليه السلام إلا بهذه الأشعار التي لا تصلح في عامة العرب لما كان ذلك بالمحمود، فكيفَ مع الذي حَكينا قبل هذا؟»، اهـ.

المسلمين بتَعْنيفِ مادِحِ النَّبيِّ ﷺ وتَفْضيلِه، ولا بإكْثارِ الضِّجاجِ واللَّجَبِ في إطْنابِ القِيلِ بفَضْلِه. وَكَما قال جَميلُ بن مَعمَرٍ:

ألا إنَّ جِيرَانِي العَشِيَّةَ رَائِحُ دَعَتْهُمْ دَواعٍ مِن هَوًى ومَنادِحُ (١)

فَقال: (ألا إنَّ جيراني العَشيَّةَ). فابْتَدَأَ الخبرَ عن جَماعةِ جيرانه، ثُمَّ قال: (رائِحُ)؛ لأنَّ قَصْدَه في ابْتِدائِه ما ابْتَدَأَ من كَلامه الخَبَرُ عن واحِدٍ منهم دونَ جَماعَتِهم.

وَكَما قال جَميلٌ أيْضًا في كَلِمَته الأُخْرَى:

خَليليَّ فيما عِشْتُما هَلْ رَأيْتُما قَتيلًا بَكَى من حُبِّ قاتِلِه قَبْلي (٢)

وَهوَ يُريد قاتَلْتَه؛ لأنَّه إنَّما يَصِفُ امْرَأةً، فَكَنَى بوصفِ الرَّجُل عنها وهو يَعْنيها. فَكَذلك قولُه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٦ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وإنْ كان ظاهِرُ الكلام على وجه الخِطاب لِلنبيِّ ﷺ، فإنه مَقْصودٌ به قَصْدُ أصْحابِه؛ وذلك بَيِّنٌ بدَلالةِ قولِه: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٠٧ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ الآياتِ الثَّلاث بعدَها على أنَّ ذلك كذلك.

أمَّا قوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ولم يَقُلْ: مِلكُ السَّمواتِ. فإنَّه عَنَى بذلك مُلْكَ السُّلْطانِ والممْلَكةِ دونَ المِلْكِ، والعربُ إذا أرادَتِ الخبَر عن الممْلَكةِ التي هي مَمْلَكةُ سُلْطانٍ، قالتْ: مَلَكَ اللَّهُ الخلْقَ مُلْكًا. وإذا أرادَتِ الخبَرَ عن المِلْكِ قالتْ: مَلَكَ فُلانٌ هذا الشَّيْءَ، فهو يَمْلِكُه مِلْكًا ومَلَكةً ومَلْكًا.

فَتأويل الآية إذًا: ألم تَعلَمْ يا مُحَمَّدُ أن لي مُلْكَ السَّمواتِ والأرضِ وسُلْطانَهما دونَ غيرِي، أحْكُمُ فيهما وفيما فيهِما ما أشاءُ، وآمُرُ فيهِما وفيما فيهما بما أشاءُ، وأنْهَى عَمَّا أشاءُ، وأنْسَخُ وأُبَدِّلُ وأُغَيِّرُ مِن أحكامي التي أحْكُمُ بها في عِبادي ما أشاءُ إذا أشاءُ، وأُقِرُّ منها ما أشاءُ.

وهذا الخبرُ وإنْ كان مِن اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ خِطابًا لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ على وجه الخبَرِ عن عَظَمَتِه، فإنَّه منه جَلَّ ثَناؤه تَكْذيبٌ لِليَهودِ الذينَ أنْكَروا نَسْخَ أحكام التَّوْراة، وجَحَدوا نُبوَّةَ عيسَى، ومُحَمَّدٍ صلى الله عليهما، لِمَجيئِهما بما جاء به مِن عند اللَّهِ بتَغْييرِ ما غَيَّرَ اللَّهُ مِن أحكام التَّوْراة، فَأخْبَرَهم اللَّهُ أنَّ له مُلْكَ السَّمواتِ والأرضِ وسُلْطانَهما، وأنَّ الخلْقَ أهلُ مَمْلَكتِه وطاعَتِه، عليهم السَّمْعُ له والطَّاعةُ لأمْرِه ونَهْيِه، وأن له أمْرَهم بما شاءَ، ونَهْيَهم عَمَّا شاءَ، وإقْرارَ ما شاءَ، ونَسْخَ ما شاءَ، وإنْساءَ ما شاءَ من أحكامه وأمْرِه ونَهْيِه، ثُمَّ قال لِنَبيِّه ﷺ ولِلْمُؤمِنينَ

(١)[الطويل]القائل: جَميل بُثَيْنَة. اللغة: العشية: تقال لصلاتي المغرب والعشاء. المنادِح: البلاد الواسعة البعيدة. المعنى: يقول الشاعر: إن جيراني رحلوا وتركوني في العشية؛ وقد دعاهم لهذا الرحيل الحب والهوى والبلاد الواسعة الرحيبة؛ فتركوني وذهبوا.

(٢)[الطويل] القائل: جميل بثينة (أموي). اللغة: قاتله، أي: قاتلته، ويقصد المحبوبة. المعنى: يناشد الشاعر صاحبيه متسائلًا متعجبًا من حاله: هل رأيتم قبل رؤيتي رجلًا أحب مَن قتله؟! فأنا هو قد قتلتني حبيبتي بالعشق واللوعة، وإني أحبها وباقٍ على حبي لها.

معه: انقادُوا لأمْرِي، وانتَهوا إلى طاعَتي فيما أنسَخُ وفيما أترُكُ، فلا أنسَخُ من أحكامي ولا حُدودي وفَرائِضي، ولا يَهيدَنَّكُم خِلافُ مُخالِفٍ لكم في أمْري ونَهْيي، وناسِخي ومَنسوخي، فَإِنَّه لا قَيِّمَ بأمْرِكُم سِوايَ، ولا ناصِر لكم غيري، وأنا المُنْفَرِدُ بوَلايَتِكُم والدِّفاعِ عنكم، والمُتَوَحِّدُ بنُصْرَتِكُم بعزَّتي وسُلْطاني وقوَّتي على مَنْ ناوَأكُم وحادَّكُم، ونَصَبَ حَرْب العَداوةِ بينه وبينكم، حتى أُعْلِيَ حُجَّتَكم، وأجْعَلَها عليهم لكم.

و(الوليُّ) فَعِيلٌ، من قول القائِل: ولَيْتُ أمرَ فُلانٍ. إذا صِرْتَ قَيِّمًا به، فَأنا أَلِيه، وهو وَلِيُّه وقَيِّمُه. ومِن ذلك قِيلَ: فُلانٌ وليُّ عَهْدِ المُسْلِمينَ. يَعْني به القَيِّمَ بما عُهِدَ إليه مِن أمْرِ المُسْلِمينَ.

وَأمَّا (النصيرُ) فَإِنَّه فعيلٌ، مِن قولك: نَصَرْتُك أنصُرُك، فَأنا ناصِرُك ونَصيرُك. وهو المُؤَيِّدُ والمُقَوِّي.

وَأمَّا معنى قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فَإِنَّه: سِوَى اللَّهِ وبعدَ اللَّهِ.

وَمنه قولُ أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ:

يا نَفْسُ ما لَكِ دُونَ اللَّهِ مِن وَاقِي ... ومَا عَلى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِن باقي(١)

يُريد: ما لَكِ سِوَى اللَّهِ وبعدَ اللَّهِ مَنْ يَقِيكِ المكارِهَ.

فَمعنى الكلام إذًا: ولَيْسَ لكم أيُّها المُؤمِنونَ بعدَ اللَّهِ مِن قَيِّمٍ بأمْرِكُم، ولا نَصيرٍ يُؤَيِّدُكُم ويُقَوِّيكُم فَيُعينكُم على أعْدائِكم.

القول في تأويل قولِه جلَّ ثناؤُه: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾

اختَلَفَ أهل التَّأويل في السَّبَب الذي من أجله أُنزِلَتْ هذه الآية.

فقال بعضهم بما:

١٧٧٠- **حدَّثنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا يونُس بن بُكَيْر، وحَدَّثَنا ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة بن الفضْل، قالا: حدَّثنا ابن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، قال: حَدَّثَني سَعيد بن جُبَيْر، أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس قال: قال رافِعُ بن حُرَيْمِلة ووَهْب بن زَيْد لِرَسولِ اللَّه ﷺ: ائتِنا بكِتابٍ تُنْزِله علينا من السَّماء نَقْرَؤُه، وفَجِّرْ لنا أنهارًا نَتَّبِعك ونُصَدِّقك. فَأنْزَلَ اللَّه في ذلك من قولِهِمْ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ الآية(٢).

---

(١)[البسيط] القائل: أمية بن أبي الصلت (مخضرم). اللغة: واقي: حافظ ودافع. حدثان الدهر. صروفه ونوائبه، نعوذ بالله منها. المعنى: يقول الشاعر مخاطبًا نفسه: يا نفسي ما لكِ سوى الله - سبحانه وتعالى - فهو وحده القادر على أن يدفع عنك السوء ويكشف الضر؛ فهو خير الحافظين. ثم يتكلم عن تقلبات الدهر، وكأنه يحذر نفسه من العلو فيقول: لا تغتري يا نفسي ولا يغرنك الأمل؛ فإن الدهر لا يبقى على حال؛ فإن المصائب تأتي تباعًا، ولا يجزع إلا من أُشرِبَ الدنيا في قلبه، وهنا نجد الشاعر متأثرًا بالقرآن الكريم في غير موضع؛ فعلى سبيل المثال عندما حذر الكافرين من عذاب النار قائلًا: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[الرعد: ٣٤].

(٢)[ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت، مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

وَقال آخرونَ بما:

١٧٧١ - حدّثنا بشر بن مُعاذ، قال ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قولَه: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾: وكان موسَى سُئِل فَقيلَ له: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

١٧٧٢ - حدّثني موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أنْ يُريَهم اللَّه جَهرة، فسألَتِ العرب محمدًا ﷺ أنْ يَأتيَهم باللَّه فيَرَوْنَه جَهرةً[١].

وَقال آخرونَ بما:

١٧٧٣ - حدّثني به مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أنْ يُريَهم اللَّهَ جَهرة، فَسَألَتْ قُرَيْش مُحَمَّدًا ﷺ أنْ يجعَل لهم الصّفا ذَهَبًا، قال: «**نَعَم، وهو لكم كالمائِدةِ لبَني إسرائيل**». فَأبَوْا ورَجَعوا[٢].

١٧٧٤ - حدّثنا القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد قال: سَألَتْ قُرَيْش مُحَمَّدًا ﷺ أنْ يجعَل لهم الصّفا ذَهَبًا، فَقال: «**نَعَم، وهو لكم كالمائِدةِ لِبَني إسرائيل إنْ كفَرْتُم**» فَأبَوْا ورَجَعوا، فَأنزَلَ اللَّه ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أنْ يُريَهم اللَّه جهرة[٣].

١٧٧٥ - حدّثني المُثَنى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْلَه[٤].

وَقال آخرونَ بما:

١٧٧٦ - حدّثني به المُثَنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع، عن أبي العالية، قال: قال رَجُل: يا رَسول اللَّه لو كانتْ كَفَّاراتُنا كَفَّارات بَني إسرائيل؟ فَقال النّبيّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لا نَبْغيها، اللَّهُمَّ لا نَبْغِيها، ما أعطاكُم اللَّه خير مِمَّا أعْطَى بَني إسرائيل؛ كانتْ بَنو إسرائيل إذا أصاب أحَدهم الخطيئة وجَدَها مَكْتوبةً على بابه وكَفَّارَتَها، فَإنْ كَفَّرَها كانتْ له خِزيًا في الدُّنيا، وإنْ لم يُكَفِّرها كانتْ له خِزيًا في الآخِرة، وَقد أعطاكُم اللَّه خَيرًا مِمَّا أعْطَى بَني إسرائيل**»، قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

(٤)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

قال: وقال: «**الصَّلَوات الخمْس والجُمُعة إلى الجُمُعة كفَّارات لِما بينهنّ**». وقال: «**مَنْ هَمَّ بحَسَنةٍ فلم يَعْمَلْها كُتِبَتْ له حَسَنة، وإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ له عَشْرَةَ أمْثالِها، ولا يَهْلِكُ على اللَّه إلاَّ هالِك**». فأنْزَلَ اللَّه: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ (١).

واختَلَفَ أهل العربيّة في معنى ﴿أَمْ﴾ التي في قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾.

فقال بعض البصْريّينَ: هي بمعنى الاستِفْهام، وتأويل الكلام: أتُريدونَ أنْ تَسْألوا رَسولكُم؟

وقال آخَرُ منهم: هي بمعنى استِفْهام مُسْتَقْبَل مُنْقَطِع من الكلام، كَأنَّك تَميلُ بها إلى أوَّله كَقولِ العرب: إنَّها لَإبِلٌ - يا قَوْمُ - أم شاءٌ، ولَقد كان كذا وكذا أم حَدْسُ نفسي

قال: ولَيْسَ قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ على الشَّكِّ؛ ولَكِنّه قاله لِيُقَبِّح له صَنيعَهمْ. واستَشْهَدَ لِقولِه ذلك ببَيْتِ الأخْطَل:

كَذَبَتْك عَيْنُك أم رَأيْتَ بواسِطٍ غَلَس الظَّلام من الرَّباب خَيَالاً (٢)

وَقال بعض نَحْويّي الكوفيّينَ: إنْ شِئْت جَعَلْتَ قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ استِفْهامًا مُبتدأ على كَلام قد سَبَقَه، كما قال جَلّ ثَناؤه: ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ١-٣] فجاءَتْ (أمْ) ولَيْسَ قَبْلها استِفْهام. فَكان ذلك عنده دَليلاً على أنَّه استِفْهام مُبْتَدأ على كَلام قد سَبَقَه.

وَقال قائِل هذه المقالة: (أم) في المعنى تَكون رَدًّا على الاستِفْهام على جِهَتَيْنِ، إحداهُما: أنْ تُفَرِّق معنى (أيّ)، والأُخْرَى أنْ يُسْتَفْهَم بها، ويكون على جِهة النَّسَق، والذي يَنْوي به الابْتِداء؛ إلاَّ أنَّه ابْتِداء مُتَّصِل بكَلامٍ، فَلو ابْتَدأت كَلامًا لَيْسَ قَبْله كَلام ثُمّ استَفْهَمْت، لم يكُنْ إلاَّ بالألِفِ أو بـ(هَلْ).

قال: وإنْ شِئْت قُلْت في قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ قَبْله استِفْهام، فَرَدَّ عليه، وهو في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والصَّواب من القول في ذلك عندي - على ما جاءتْ به الآثار التي ذَكَرْناها عن أهل التَّأويل - أنَّه استِفْهام مُبْتَدَأ بمعنى: أتُريدونَ أيّها القوْم أنْ تَسْألوا رَسولكُم؟

وإنَّما جازَ أنْ يَسْتَفْهِم القوْم بـ(أم) - وإنْ كانتْ (أم) أحَدُ شُروطها أنْ تَكون نَسَقًا في الاستِفْهام - لِتُقَدِّم ما تَقَدَّمَها من الكلام؛ لأنَّها تَكون استِفْهامًا مُبْتَدَأ إذا تَقَدَّمَها سابِق من الكلام، ولم يُسْمَع من العرب استِفْهام بها ولمَّا يَتَقَدَّمها كَلام.

---

(١)[ضعيف] أبو العالية عن النبي ﷺ مرسل، والسند إليه ضعيف؛ المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[الكامل] القائل: الأخطل. اللغة: واسط: قرية غربيّ الفرات مقابل الرُّقة، من أعمال الجزيرة، وهي من منازل بني تغلب، وهي غير واسط التي بناها الحجاج بين البصرة والكوفة. الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بتباشير الصباح، فهي سواد مختلط ببياض وحمرة. الرباب: مفردها: (الرَّبابة) بالفتح، وهي السَّحابةُ التي قد رَكِبَ بعضُها بَعْضًا. المعنى: يهجو الأخطل جريرًا فيقول له: أنت خَرِفت فأصبحت الأمور تلتبس عليك، وتخلط الأمور بعضها ببعض؛ فإن عينيك أوهمتك عندما رأيت بواسط بعدما أظلمت الأجواء وتراكب السحاب بعضه فوق بعض - خيالا.

وَنَظيره قوله جلّ ثناؤه: ﴿الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ [السجدة: ١-٣].

وَقد تكون (أم) بمعنى (بل) إذا سَبَقَها استِفهام لا يَصْلُح فيه (أيّ)، فَيقولونَ: هَلْ لَك قِبَلنا حَقّ، أم أنت رَجُل معروف بالظُّلم؟ يراد به: بل أنت رجلٌ معروف بالظُّلم. كما قال الشَّاعِر:

فَواللَّه ما أدْرِي أسَلْمَى تَغَوَّلَتْ ... أم النَّوْم أم كُلٌّ إلَيَّ حَبيب(١)

يَعْني: بل كُلٌّ إلَيَّ حَبيب.

وَقد كان بعضهم يقول - مُنْكِرًا قول مَنْ زَعَمَ أنَّ (أم) في قوله: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ﴾ استِفهام مُسْتَقْبَل مُنْقَطِع من الكلام يَميل بها إلى أوَّله -: إنَّ الأوَّل خَبَر والثَّاني استِفهام، والاستِفهام لا يكون في الخبَر، والخبَر لا يكون في الاستِفهام؛ ولَكِنْ أدْرَكَه الشَّكّ - بزَعْمِه - بعد مُضيّ الخبَر، فاستَفْهَمَ.

فَإذْ كان بمعنى (أم) ما وصَفْنا، فَتأويل الكلام: أتُريدونَ أيّها القوْم أنْ تَسْألوا رَسولكُم من الأشياء نَظير ما سَألَ قَوْم موسَى من قَبْلكم، فَتَكْفُروا إنْ مُنِعْتُموه في مسألَتكُم ما لا يجوز في حِكْمة اللَّه إعطاؤُكُموه، أو أنْ تَهْلِكوا، إنْ كان مِمَّا يجوز في حِكْمَته إعطاؤُكُموه فَأعْطاكُموه ثُمّ كَفَرْتُم من بعد ذلك، كما هَلَكَ مَنْ كان قَبْلكُم من الأُمَم التي سَألَتْ أنْبياءَها ما لم يكُنْ لها مسألَتُها إيَّاهم، فَلَمَّا أُعْطيَتْ كَفَرَتْ، فعوجِلَتْ بالعُقوباتِ لِكُفرِها بعد إعطاء اللَّه إيَّاها سُؤلها.

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ﴾ ومَنْ يَسْتَبْدِل ﴿ٱلۡكُفۡرَ﴾؛ ويَعْني بالكُفرِ: الجُحود باللَّه وبِآياته ﴿بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، يَعْني: بالتَّصْديقِ باللَّه وبِآياته والإقْرار به.

وَقد قيلَ: عَنى بالكُفرِ في هذا الموضِع الشِّدّة، وبالإيمانِ الرّخاء. وَلا أعْرِف الشِّدّة في مَعاني الكُفْر، ولا الرّخاء في معنى الإيمان، إلاّ أنْ يكون قائِل ذلك أرادَ - بتأويلِه الكُفْر بمعنى الشِّدّة في هذا الموضِع وبِتأويلِه الإيمان في معنى الرّخاء - ما أعَدَّ اللَّه لِلْكُفَّارِ في الآخِرة من الشّدائِد، وما أعَدَّ اللَّه لأهلِ الإيمان فيها من النِّعَم، فَيكون ذلك وجهًا وإنْ كان بَعيدًا من المفْهوم بظاهِرِ الخِطاب.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٧٧٧- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الربيع،

(١) [الطويل] لم أهتدِ لقائله. اللغة: تغولت، أي: تصورت في صورة امرأة أحسها وأراها. من تغوُّلِ الغول؛ وهي أن تتلوَّن وتتخيل في صُورٍ شتى. أم كل إليّ حبيب: يعني: بل كلٌّ إليّ حبيب. المعنى: يتحدث الشاعر عن حبيبته (سلمى)، فيقول: كيف تظهر إليّ بهذا المنظر المبهج وهي بعيدة عني؟ فعلى الرغم من بعدها فأحيانا أراها بين يدي جميلة تهفو النفس إليها وكأنني أحلمُ، ولو كانت حقيقة أمامي أو في الحُلْم، فكلٌّ محبب لي طالما ظفِرت برؤية وجهها المشرق.

عن أبي العالية: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ يقول: يَتَبدَّل الشِّدّة بالرّخاءِ [١].

١٧٧٨ - حدثنا القاسِم، قال: حدَّثنا الحسين، قال: حَدَّثني حَجّاج، عن أبي جَعْفَر، عن الرّبيع، عن أبي العالية بمِثْلِه [٢].

وَفي قوله: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ دَليل واضِح على صحة ما قُلْنا من أنَّ هذه الآيات من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ خِطاب من اللّه المُؤمِنينَ به من أصْحاب رَسول اللّه ﷺ وعِتاب منه لهم على أمْر سَلَفَ منهم مِمّا سُرَّ به اليهود وكَرِهَه رَسول اللّه ﷺ لهم، فَكَرِهَه اللّه لهم. فَعاتَبَهم على ذلك، وأعْلَمهم أنَّ اليهود أهل غِشّ لهم وحَسَد وبَغْي، وأنَّهم يَتَمَنّوْنَ لهم المكارِه ويَبْغونَهم الغوائِل، ونَهاهم أنْ يَنْتَصِحوهم، وأخْبَرَهم أنَّ مَنْ ارْتَدَّ منهم عن دينه فاستَبْدَلَ بإيمانِه باللهِ وبرسولِه كُفْرًا فقد أخْطأ قَصْد السّبيل.

القول في تأويل قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨﴾

أمّا قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ فإنَّه يَعْني به ذَهَبَ وجارَ.

وَأصْل الضّلال عن الشّيْء: الذّهاب عنه والجورُ. ثُمّ يُسْتَعْمَل في الشّيْء الهالِك والشّيْء الذي لا يُؤبَه له، كَقولِهم لِلرَّجُلِ الخامِل الذي لا ذِكْر له ولا نَباهة: ضُلُّ بن ضُلٍّ، وقُلُّ بن قُلٍّ، وكَقولِ الأخْطَل في الشّيْء الهالِك:

كُنْتَ القذَى في موجِ أكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأتيُّ به فَضَلَّ ضَلالاً [٣]

يَعْني: هَلَكَ فَذَهَبَ.

والذي عَنَى اللّه تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ فقد ذَهَبَ عن سَواء السّبيل وجار عنه.

وَأمّا تأويل قوله: ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ فَإنَّه يَعْني بالسّواءِ: القصْد والمنْهَج، وأصْل السّواء: الوسَط؛ ذُكِرَ عن عيسَى بن عُمَر النّحْويّ أنَّه قال: ما زِلْت أكْتُب حتّى انقَطَعَ سَوائي، يَعْني وسَطي.

وَقال حَسّان بن ثابِت:

---

(١)[حسن]المثنى شيخ المصنف، مجهول الحال، ومع هذا فقد أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن، فقال: حدثنا أبي، ثنا أحمد بن عبد الرحمن، ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية: ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل يقول: (من يتبدل الشدة بالرخاء فقد ضل سواء السبيل)، اهـ.

(٢)[حسن]تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣)[الكامل] القائل: الأخطَل. اللغة: القذى: ما يكون فوق الماء من تبن وورق وأعواد. أكدر: يعني بحرًا متلاطمًا، فكدِر بعد صفاء. مزبد: بحر هائج مائج يقذف بالزبد. والأتيّ: السيل الذي يأتي من مكان بعيد. المعنى: يهجو الأخطل جريرًا في هذا البيت فيصفه بأنه كالوسخ الذي يطفو على سطح المياه، وحتى المياه التي يطفو على سطحها ليست نافعة طيبة، وإنما متقلبة هائجة، مَن ركبها قذفت به بعيدًا وأضلته عن المكان الذي يريده.

يا ويح أنصار النبيّ ونسله بعد المُغيَّبِ في سَواءِ المُلْحَد(١)

يَعْني: بالسّواءِ الوسَط. والعرب تَقول: هو في سَواء الليل، يَعْني: في مُسْتَوَى الليل. وَسَواء الأرض مُسْتَواها عندهمْ.

وأمّا السّبيل فإنّها الطّريق المسبول، صُرِفَ من مسبول إلى سَبيل.

فتأويل الكلام إذًا: ومَنْ يَسْتَبْدِل بالإيمانِ باللّه وبِرَسولِه الكُفر فَيَرْتَدّ عن دينه، فقد جار عن مَنْهَج الطّريق ووَسَطه الواضِح المَسْبُول.

وَهذا القول ظاهِره الخبَر عن زَوال المُسْتَبْدِل بالإيمانِ الكُفرَ عن الطّريق، والمَعْنِيّ به الخبَر عنه أنّه تَرَكَ دين اللّه الذي ارْتَضاه لِعِبادِه وجَعَلَه لهم طَريقًا يَسْلُكونَه إلى رِضاه، وسَبيلاً يَرْكَبونَها إلى مَحبَّته والفوْز بجِنانِه. فَجَعَلَ جَلّ ثَناؤه الطّريق - الذي إذا رَكِبَ مَحَجَّته السَّائِر فيه ولَزِمَ وسَطه المُجْتاز فيه، نَجا وبَلَغَ حاجَته وأدْرَكَ طِلْبَته - لِدينِه الذي دَعا إليه عِباده مَثَلاً لإدْراكِهم - بلُزومِه واتّباعه - إدْراكهم طَلِباتهم في آخِرَتهِمْ، كالذي يُدْرِك اللاّزِم مَحَجّة السّبيل - بلُزومِه إيّاها - طَلِبَته من النّجاة منها، والوُصول إلى الموضِع الذي أمّه وقَصَدَه. وَجَعَلَ مِثْل الجائِر عن دينه والحائِد عن اتّباع ما دَعا إليه من عِبادِه في خَيْبَته ما رَجا أنْ يُدْرِكه بعَمَلِه في آخِرَته ويَنال به في مَعاده وذَهابه عَمّا أمّلَ من ثَواب عَمَله وبُعْده به من رَبّه، مَثَل الجائر عن مَنْهَج الطّريق وقَصْد السّبيل، الذي لا يَزْداد وُغولاً في الوجْه الذي سَلَكَه إلاّ ازْدادَ من موضِع حاجَته بُعْدًا، وعن المكان الذي أمّه وأرادَه نَأيًا.

وَهذه السّبيل التي أخْبَرَ اللّه عنها أنّ مَنْ يَتَبَدَّل الكُفر بالإيمانِ فقد ضَلَّ سَواءَها، هو الصِّراط المُسْتَقيم الذي أُمِرْنا بمسألَتِه الهِدايةَ له بقولِه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

القول في تأويل قوله:
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾

قال أبو جَعْفرٍ: وقد صَرَّحَ هذا القول من قول اللّه جَلّ ثَناؤه، بأنَّ خِطابه بجَميع هذه الآيات من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ وإنْ صَرَفَ في نَفْسه الكلام إلى خِطاب النّبيّ ﷺ، إنّما هو خِطاب منه لِلْمُؤمِنينَ من أصْحابه، وعِتاب منه لهم، ونَهْي عن انتِصاح اليهود ونُظَرائِهم من أهل الشّرْك وقَبول آرائِهم في شَيْء من أُمور دينهمْ، ودَليل على أنّهم كانوا

(١)[الكامل] القائل: حسان بن ثابت (مخضرم). جاء البيت في ديوانه:

يا وَيحَ أنصارِ النَبِيِّ وَرَهطِهِ بَعدَ المُغَيَّبِ في سَواءِ المُلحَدِ

اللغة: ويح، ويحك: كلمة تقال رحمةً. رهطه: المهاجرين رضي الله عنهم. والرهط: هم من الثلاثة إلى العشرة. المغيب: مصدر غيبه في الأرض: واراه. سواء: الوسط. الملحد: بضم الميم وفتح الحاء بينهما لام ساكنة: هو اللحد، والقبر. المعنى: يرثي حسان - رضي الله عنه - النبي ﷺ متألمًا على حال آل رسول الله والمهاجرين والأنصار بعد فقدهم النبي ﷺ بعدما أودعوه في اللحد.

استَعْمَلوا، أو مَنْ استَعْمَلَ منهم في خِطابه ومسألَةِ رَسول اللَّه ﷺ الجفاء، وما لم يكُنْ له استِعْماله معه، تأسّيًا باليهودِ في ذلك أو ببعضِهم. فَقال لهم رَبّهم ناهيًا عن استِعْمال ذلك: لا تَقولوا لِنبيِّكُم ﷺ كما تَقول له اليهود: ﴿رَٰعِنَا﴾ تأسّيًا منكُم بهم، ولَكِنْ قولوا: ﴿ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾، فَإنَّ أذَى رَسول اللَّه ﷺ كُفر بي وجُحود لِحَقّي الواجِب لي عليكُم في تَعْظيمه وتَوْقيره، ولِمَنْ كَفَرَ بي عَذاب أليم؛ فَإنَّ اليهود والمُشْرِكينَ ما يَوَدّونَ أنْ يَنْزِل عليكُم من خَيْر من رَبّكم، ولَكِنّ كَثيرًا منهم ودّوا أنّهم يَرُدّونكُم من بعد إيمانكُم كُفّارًا حَسَدًا من عند أنْفُسهم لكم ولِنَبِيِّكُم مُحَمَّد ﷺ، من بعد ما تَبَيَّنَ لهم الحق في أمْر مُحَمَّد وأنّه نَبيّ إليهم وإلى خَلْقي كافّة.

وَقد قيلَ إنَّ اللَّه جَلّ ثَناؤه عَنَى بقولِه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كَعْب بن الأشرَف.

١٧٧٩ - **حَدَّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن الزُّهريّ في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو كَعْب بن الأشرَف[(١)].

١٧٨٠ - **وحَدَّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: ثنا أبو سُفْيان المعْمَريّ، عن معمَر، عن الزُّهريّ وقَتادة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: كَعْب بن الأشرَف[(٢)].

وَقال بعضهم بما:

١٧٨١ - **حَدَّثنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني ابن إسحاق. وَحَدَّثَنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا يونُس بن بُكَيْر، قال: ثنا مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، قال: حَدَّثَني سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس قال: كان حُيَيّ بن أخْطَبَ وأبو ياسِر بن أخْطَبَ من أشَدّ يَهودَ لِلْعَرَبِ حَسَدًا؛ إذْ خَصَّهم اللَّه برَسولِه ﷺ، وكانا جاهِدَيْنِ في رَدّ النَّاس عن الإسلام بما استَطاعا، فَأنزَلَ اللَّه فيهِما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ الآية[(٣)].

وَلَيْسَ لِقولِ القائِل: عَنَى بقولِه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كَعْب بن الأشرَف معنى مَفْهوم؛ لأنَّ كَعْب بن الأشرَف واحِد، وقد أخْبَرَ اللَّه جَلّ ثَناؤه أنَّ كَثيرًا منهم يَوَدّونَ لو يَرُدّونَ المُؤمِنينَ كَفّارًا بعد إيمانهِمْ. والواحِد لا يُقال له كَثير بمعنى الكثرة في العدَد، إلاَّ أنْ يكون قائِل ذلك أرادَ توجيه الكثرة التي وصَفَ اللَّه بها مَنْ وصَفَه بها في هذه الآية الكثرة في العِزّ ورِفْعة المنزِلة في قَوْمه وعَشيرَته، كما يُقال: فُلان في النَّاس كَثير، يُراد به كَثْرة المنزِلة والقدر. فَإنْ كان أرادَ ذلك فقد أخطَأ؛ لأنَّ اللَّه جَلّ ثَناؤه قد وصَفَهم بصِفةِ الجماعة، فَقال: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ فَذلك دَليل على أنّه عَنَى الكثرة في العدَد. أو يكون ظَنّ أنّه من الكلام الذي يَخْرَج مَخْرَج الخبَر عن الجماعة، والمقْصود بالخبَرِ عنه الواحِد، نَظير ما قُلْنا آنِفًا في بَيْت

(١)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢)[حسن] أبو سفيان المعمري هو محمد بن حميد اليشكري ثقة، وحسين المصيصي صدوق في غير شيخه الحجاج.

(٣)[ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت، مجهول.

جَميل؛ فَيكون ذلك أيْضًا خَطأً، وذلك أنَّ الكلام إذا كان بذلك المعنى فلا بُدّ من دَلالة فيه تَدُلّ على أنَّ ذلك معناه، ولا دَلالة تَدُلّ في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أنَّ المُراد به واحِد دون جَماعة كَثيرة، فَيجوز صَرْف تأويل الآية إلى ذلك وإحالة دَليل ظاهِرها إلى غير الغالِب في الاستِعْمال.

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾

وَيَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿حَسَدًا﴾ أنَّ كَثيرًا من أهل الكِتاب يَوَدّونَ لِلْمُؤمِنينَ ما أخْبَرَ جَلّ ثَناؤه عنهم أنَّهم يَوَدّونَه لهم من الرِّدّة عن إيمانهم إلى الكُفْر حَسَدًا منهم وبَغْيًا عليهم. والحسَد إذًا مَنصوب على غير النَّعْت لِلْكفَّارِ، ولَكِنْ على وجه المصْدَر الذي يَأتي خارِجًا من معنى الكلام الذي يُخالِف لَفْظه لَفْظ المصْدَر، كَقولِ القائِل لِغيرِه: تَمَنَّيْت لَك ما تَمَنَّيْت من السّوء حَسَدًا مِنّي لَك. فَيكون الحسَد مَصْدَرًا من معنى قوله: تَمَنَّيْتُ لك ما تمنَّيْتُ من السّوء؛ لأنَّ في قوله تَمَنَّيْتُ لَك ذلك، معنى حَسَدْتُك على ذلك. فَعلى هذا نَصْبُ الحسَد؛ لأنَّ في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ معنى: حَسَدكُم أهل الكِتاب على ما أعْطاكُم اللَّه من التّوْفيق، ووَهَبَ لكم من الرّشاد لِدينِه والإيمان به وبرَسوله ﷺ، وخَصَّكُم به من أنْ جَعَلَ رَسوله إليكُم رَجُلاً منكُم رَءوفًا بكُم رَحيمًا، ولم يجْعَله منهم، فَتَكونوا لهم تَبَعًا. فَكان قوله: ﴿حَسَدًا﴾ مَصْدَرًا من ذلك المعنى.

وَأمّا قوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ فَإنَّه يَعْني بذلك: من قِبَل أنْفسهِمْ، كما يقول القائِل: لي عندك كذا وكذا، بمعنى: لي قِبَلك. **وَكما:**

١٧٨٢- **حُدِّثْت** عن عَمّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع قوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: من قِبَل أنْفُسهِمْ(١).

وَإنَّما أخْبَرَ اللَّه جَلّ ثَناؤه عنهم المُؤمِنينَ أنَّهم ودّوا ذلك لِلْمُؤمِنينَ من عند أنْفُسهم إعْلامًا منه لهم أنَّهم لم يُؤمَروا بذلك في كِتابهِمْ، وأنَّهم يَأتونَ ما يَأتونَ من ذلك على عِلْم منهم بنَهْيِ اللَّه إيّاهم عنه.

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أيْ من بعد ما تَبَيَّنَ لِهؤلاء الكثير من أهل الكِتاب - الذينَ يَوَدّونَ أنَّهم يَرُدّونَكُم كُفّارًا من بعد إيمانكُم - الحقّ في أمْر مُحَمَّد ﷺ وما جاء به من عند رَبّه والمِلّة التي دَعا إليها فَأضاءَ لهم أنَّ ذلك الحقُّ الذي لا يَمْتَرونَ فيه. **كَما:**

١٧٨٣- **حَدَّثَنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿مِّنۢ

(١)[حسن] هذا سند ضعيف من معلقات المصنف، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، فقال: حدثنا أبي، ثنا أحمد بن عبد الرحمن، ثنا عبد الله بن أبي جعفر. . . فذكره.

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ من بعد ما تبيّنَ لهم أنَّ مُحَمَّدًا رَسول اللّه ﷺ، والإسلام دين اللّه (١).

١٧٨٤- حدّثني المُثَنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يقول: تَبيَّنَ لهم أنَّ مُحَمَّدًا رَسول اللّه ﷺ يجِدونه مَكْتوبًا عندهم في التَّوْراة والإنْجيل (٢).

١٧٨٥- وحُدّثت عن عَمّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع، مِثْله؛ وزادَ فيه: فَكَفَروا به حَسَدًا وبَغْيًا؛ إذْ كان من غيرهِمْ (٣).

١٧٨٦- وحَدّثني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدّيّ: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: فإنَّ الحقَّ هو مُحَمَّد ﷺ؛ وتَبَيَّنَ لهم أنه هو الرّسول (٤).

١٧٨٧- وحَدّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ قال: قد تَبَيَّنَ لهم أنّه رَسول اللّه (٥).

قال أبو جَعْفَرٍ: فَدَلَّ بقولِه ذلك أنَّ كُفْر الذينَ قَصَّ قِصَّتهم في هذه الآية باللّه وبِرَسولِه عِناد، وعلى عِلْم منهم ومعرفة، بأنَّهم على اللّه مُفْتَرونَ. كَما:

١٧٨٨- حَدّثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا عُثْمان بن سَعيد، قال: ثنا بشْر بن عِمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحّاك، عن ابن عَبّاس: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يقول اللّه تعالى ذِكْره: من بعد ما أضاءَ لهم الحقّ لم يجْهَلوا منه شَيْئًا، ولَكِنّ الحسَد حَمَلَهم على الجحْد. فَعَيَّرَهم اللّه ولامَهم ووَبَّخَهم أشَدّ الملامة (٦).

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿فَٱعْفُواْ﴾ فَتَجاوَزوا عَمّا كان منهم من إساءة وخَطَأ في رَأي أشاروا به عليكُم في دينكم، إرادةَ صَدّكُم عنه، ومُحاوَلَةَ ارْتِدادكُم بعد إيمانكُم وعَمّا سَلَف منهم من قِيْلهم لِنَبيِّكُم ﷺ: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]. ﴿وَٱصْفَحُواْ﴾ عَمّا كان منهم مَنْ جَهِلَ في ذلك ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، فَيَحْدُثَ لكم من أمْره فيكُم ما يَشاء، ويَقْضي فيهم بما يُريد. فَقَضَى فيهم بعد ذلك تعالى ذِكْره، وأتَى بأمْرِه، فَقال لِنَبيِّه ﷺ ولِلْمُؤمِنينَ بـه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ

---

(١)[حسن]من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال. ولكن أخرج ابن أبي حاتم في التفسير بسند حسن فقال: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم. . . فذكره.

(٣)[ضعيف]من معلقات المصنف.

(٤)[ضعيف]من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥)[صحيح]سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٦)[ضعيف]الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

﴿ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. فَنَسَخَ العفْو اللَّه جَلّ ثَناؤه عنهم والصَّفح بفَرْضِ قِتالهم على المُؤمِنينَ حتّى تَصير كَلِمَتهم وكَلِمة المُؤمِنينَ واحِدة، أو يُؤَدّوا الجِزْية عن يَدٍ صَغارًا. كَما:

١٧٨٩- حدَّثَني المُثَنّى، قال: ثنا أبو صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبّاس قوله: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ نَسَخَ ذلك قوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] (١).

١٧٩٠- حدَّثَنا بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فأتى اللَّه بأمْرِه فقال: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ فقرأ حتّى بَلَغَ: ﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] أيْ صَغارًا ونِقْمة لهم؛ فَنَسَخَتْ هذه الآية ما كان قَبْلها: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ (٢).

١٧٩١- وحدَّثَني المُثَنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع قولَه: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال: اعْفوا عن أهل الكِتاب حتّى يُحْدِث اللَّه أمْرًا. فأحدَث اللَّه بعدُ فقال: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] (٣).

١٧٩٢- حدَّثَنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق. قال: أخبرنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال: نَسَخَتْها: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] (٤).

١٧٩٣- حدَّثَني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال: هذا مَنسوح، نَسَخَه ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ (٥).

القولُ في تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

قال أبو جَعْفَر: قد دَلَّلْنا فيما مَضَى على معنى القدير وأنَّه القويّ. فَمعنى الآية هَهُنا: أنَّ اللَّه على كُلّ ما يَشاء ويريد - بالذينَ وصَفْتُ لكم أمْرهم من أهل الكِتاب وغيرهم - قَدير، إنْ شاءَ الانتِقام منهم بعِنادِهم رَبَّهم وإنْ شاءَ هَداهم لِما هَداكُم اللَّه له من الإيمان، لا يَتَعَذَّر عليه شَيْء أرادَه ولا يمتنع عليه أمْرٌ شاءَ قَضاءَه؛ لأنَّ له الخلْق والأمْر.

(١) [ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.
(٢) [حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.
(٣) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.
(٤) [صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٥) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾

قال أبو جَعْفَرٍ: قد دَلَّلْنا فيما مَضَى قبلُ على معنى إقامة الصَّلاة وأنَّها أداؤُها بحُدودِها وفُروضِها، وعلى تأويل الصَّلاة وما أصْلُها، وعلى معنى إيتاء الزَّكاة وأنَّه إعْطاؤُها بطيبِ نَفْس مُؤْتِيها على ما فُرِضَتْ ووَجَبَتْ، وعلى معنى الزّكاة واختِلاف المُخْتَلِفينَ فيها، والشَّواهِد الدَّالة على صِحّة القول الذي اختَرْنا في ذلك بما أغْنَى عن إعادَته في هذا الموضِع.

وأمّا قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ فإنَّه يَعْني جَلّ ثَناؤه بذلك: ومَهْما تَعْمَلوا من عَمَلٍ صالِح في أيّام حَياتكم فَتُقَدِّموه قَبْل وفاتِكم ذُخْرًا لأنْفُسِكُم في مَعادكم، تَجِدوا ثَوابه عند رَبِّكُم يوم القيامة، فَيُجازِيكُم به.

والخير: هو العمَل الذي يَرْضاه الله.

وإنَّما قال: ﴿تَجِدُوهُ﴾. والمعنى: تَجِدوا ثَوابه. كما:

١٧٩٤- حُدِّثْت عن عَمَّار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع قولَه: ﴿تَجِدُوهُ﴾ يَعْني: تَجِدوا ثَوابه عند الله [(١)].

قال أبو جَعْفَرٍ: لاستِغْناءِ سامِعِ ذلك بدَليلِ ظاهِر على معنى المُراد منه، كما قال عُمَرُ بنُ لَجَإٍ:

وَسَبَّحَتِ المدينة لا تَلُمْها رَأَتْ قَمَرًا بسوقِهم نَهارا [(٢)]

وإنَّما أرادَ: وسَبَّحَ أهل المدينة.

وَإنَّما أمَرَهم جَلّ ثَناؤه في هذا الموضِع بما أمَرَهم به من إقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة وتَقْديم الخيْرات لأنْفُسِهم، ليَتطَهَّروا بذلك من الخطَأ الذي سَلَف منهم في استِنْصاحهم اليهود، ورُكون مَنْ كان رَكَنَ منهم إليهم، وجَفاء مَنْ كان جَفا منهم في خِطابه رَسول الله ﷺ بقولِه: ﴿رَٰعِنَا﴾ إذْ كانتْ إقامة الصَّلَوات كَفَّارةً لِلذُّنوبِ، وإيتاء الزّكاة تَطْهيرًا لِلنّفوسِ والأبْدان من أدْناس الآثام، وفي تَقْديم الخيْرات إدْراك الفوْز برِضْوانِ الله.

القول في تأويل قوله جلَّ و عزَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٠﴾

وَهذا خَبَر من الله جَلّ ثَناؤه لِلَّذينَ خاطَبَهم بهذه الآيات من المُؤْمِنينَ أنَّهم مَهْما فَعَلوا من خَيْر أوشَرّ سِرًّا وعَلانية، فهو به بَصير لا يَخْفَى عليه منه شَيْء، فَيَجْزيهم بالإحسانِ جَزاءَه

---

(١)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٢)[الوافر] القائل: عمر بن لجأ التيمي. اللغة: وسَبَّحت المدينة، أي: وسبَّح أهل المدينة من باب: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]. تلمها: تلومها. المعنى: يقول الشاعر: لا تَلُم على أهل المدينة إذ سبحوا بعدما رأوا قمرًا وسط النهار بسوقِهم. وفي هذا البيت دلالة على عظيم ما رأوا؛ فبادروا بالتسبيح من فرط جماله. ويستخدم التسبيح في الأشياء الخارقة للعادات؛ كما قال الله في معرض حديثه عن معجزة الإسراء والمعراج: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وبالإساءةِ مِثْلها. وَهذا الكلام وإنْ كان خَرَجَ مَخْرَج الخبَر، فَإنَّ فيه وعْدًا ووَعيدًا، وأمْرًا وزَجْرًا؛ وذلك أنَّه أعْلَم القوْم أنَّه بَصير بجَميع أعْمالهم ليجِدوا في طاعَته، إذْ كان ذلك مَذْخورًا لهم عنده حتّى يُثيبَهم عليه، كما قال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ولْيَحْذَروا معصيَته؛ إذْ كان مُطَّلِعًا على راكِبها بعد تَقَدُّمه إليه فيها بالوعيدِ عليها. وَما أوعَدَ عليه رَبّنا جَلّ ثَناؤه فَمَنْهيٌّ عنه، وما وعَدَ عليه فَمَأمور به.

وَأمّا قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾ فَإنَّه مُبْصِر صُرِفَ إلى بَصير، كما صُرِفَ مُبْدِع إلى بَديع، ومُؤْلِم إلى أليم.

القول في تأويلِ قوله جَلّ ثَناؤه:
﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿وَقَالُوا۟﴾ وقالتِ اليهود والنّصارَى: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

فَإنْ قال قائِل: وكيف جَمع اليهود والنّصارَى في هذا الخبَر مع اختِلاف مَقالة الفريقَيْنِ، واليهود تَدْفَع النّصارَى عن أنْ يكون لها في ثَواب اللّه نَصيب، والنّصارَى تَدْفَع اليهود عن مِثْل ذلك؟

قيلَ: إنَّ معنى ذلك بخِلافِ الذي ذَهَبْتَ إليه، وإنَّما عَنَى به: وقالتِ اليهود: لَنْ يَدْخُل الجنّة إلاّ مَنْ كان هودًا، وقالتِ النّصارَى: لَنْ يَدْخُل الجنّة إلاّ النّصارَى. وَلَكِنّ معنى الكلام لَمّا كان مَفْهومًا عند المُخاطَبينَ به معناه جُمِعَ الفريقانِ في الخبَر عنهُما، فَقيلَ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ﴾. كما:

١٧٩٥ - **حدثني** موسى، قال: حدثنا عمرٌو، قال: حدثنا أسباطُ، عن السُّديّ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ الآية، قالتِ اليهود: لَنْ يَدْخُل الجنّة إلاّ مَنْ كان يَهوديًّا، وقالتِ النّصارَى: لَنْ يَدْخُل الجنّة إلاّ مَنْ كان نَصْرانيًّا [1].

وَأمّا قوله: ﴿مَن كَانَ هُودًا﴾ فَإنَّ في الهودِ قولَيْنِ:

أحَدهما: أنْ يكون جَمْع هائِد، كما عُوطٌ جَمْع عائِط، وعُوذٌ جمع عائِذ، وحُولٌ جَمْع حائِل، فَيكون جَمْعًا لِلْمُذَكَّرِ والمُؤَنّث بلَفْظٍ واحِد؛ والهائِد: التّائِب الرّاجِع إلى الحقّ.

والآخَر: أنْ يكون مَصْدَرًا أدّى عن الجميع، كما يُقال: رَجُل صَوْمٌ وقَوْم صَوْمٌ، ورَجُل فِطْر وقَوْم فِطْر ونِسْوة فِطْر.

وَقد قيلَ: إنَّ قوله: ﴿إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ إنَّما هو: إلاّ مَنْ كان يَهودِيًّا؛ ولَكِنّه حُذِفَت الياء الزّائِدة، ورَجَعَ إلى الفِعْل من اليهوديّة. وَقيلَ: إنّه في قِراءة أُبَيٍّ: (إلاّ مَنْ كان يَهوديًّا أو نَصْرانيًّا).

وَقد بَيّنّا فيما مَضَى معنى النّصارَى ولِمَ سُمّيَت بذلك وجُمِعَتْ كذلك بما أغْنَى عن إعادَته.

---

(١) [illegible] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

وَأمّا قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ فإنّه خَبَر من اللّه تعالى ذِكْره عن قول الذينَ قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ أنّه أمانيّ منهم يَتمَنّوْنَها على اللّه بغيرِ حَق ولا حُجّة ولا بُرْهان، ولا يَقين عِلْم بصِحّةِ ما يَدَّعونَ، ولَكِنْ بادِّعاءِ الأباطيل وأمانيّ النّفوس الكاذِبة. كَما:

١٧٩٦- حدثنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أمانيّ يَتمَنّوْنَها على اللّه كاذِبة[(١)].

١٧٩٧- حدثني المُثَنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ قال: أمانيّ تَمَنّوْا على اللّه بغيرِ الحق[(٢)].

القول في تأويل قوله جلّ ثَناؤه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾

وَهذا أمْر من اللّه جَلّ ثَناؤه لِنَبيِّه ﷺ بدُعاءِ الذينَ قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ إلى أمْرِ عَدْل بين جَميع الفِرَق مُسْلِمها ويَهودِها ونَصاراها، وهو إقامة الحُجّة على دَعْواهم التي ادَّعَوْا من أنّ الجنة لا يَدْخُلها إلاّ مَنْ كان هودًا أو نَصارَى.

يقول اللّه لِنَبيِّه مُحَمّد ﷺ: يا مُحَمّد قُلْ لِلزّاعِمينَ أنّ الجنّة لا يَدْخُلها إلاّ مَنْ كان هودًا أو نَصارَى دون غيرهم من سائِر البَشَر: هاتوا حُجّتكُم على ما تَزْعُمونَ من ذلك فَنُسَلِّم لكم دَعْواكُم إنْ كُنْتُم في دَعْواكُم - من أنّ الجنة لا يَدْخُلها إلاّ مَنْ كان هودًا أو نَصارَى - مُحِقّينَ.

والبُرْهان: هو البيان والحُجّة والبيِّنة. كَما:

١٧٩٨- حدثنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يقول: هاتوا بَيِّنَتكم[(٣)].

١٧٩٩- وحدثني موسَى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيّ: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ هاتوا حُجّتكم[(٤)].

١٨٠٠- وحدثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: ثنا حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ قال: حُجّتكم[(٥)].

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥)[حسن] سيأتي في سورة القصص عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [القصص: ٧٥] قال المصنف هناك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، قال: حجتكم لما كنتم تعبدون وتقولون). اهـ. أما هذا السند هنا فضعيف؛ ابن جريج ثقة مدلس، لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف؛ فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

١٨٠١- وحدّثني المُثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: حُجَّتكم [(١)].

وَهذا الكلام وإنْ كان ظاهِره ظاهِر دُعاء القائِلين: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ إلى إحضار حُجّة على دَعْواهم ما ادَّعَوْا من ذلك، فإنَّه بمعنى تَكْذيب من اللَّه لهم في دَعْواهم وقِيْلِهِمْ؛ لأنّهم لم يكونوا قادِرينَ على إحضار بُرْهان على دَعْواهم تلك أبَدًا.

وَقد أبانَ قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ على أنَّ الذي ذَكَرْنا من الكلام بمعنى التّكْذيب لِلْيَهودِ والنّصارَى في دَعْواهم ما ذَكَرَ اللَّه عنهم.

وَأمّا تأويل قوله: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ فإنَّه: أحضِروا وأتُوْا به.

القول في تأويل قوله جَلَّ ثناؤه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

يَعْني بقولِه جَلّ ثَناؤه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾: لَيْسَ الأمرُ كما قال الزّاعِمونَ: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾. ولَكِنْ مَنْ أسلَمَ وجهه لِلَّهِ وهو مُحْسِنٌ، فهو الذي يَدْخُلها ويُنَعَّمُ فيها. كَما:

١٨٠٢- حدّثني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدّيِّ، قال: أخْبَرَهم مَنْ يَدْخُل الجنّة فقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ الآية [(٢)].

وَقد بَيَّنّا معنى (بلى) فيما مَضَى قَبْل.

وَأمّا قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾. فإنَّه يَعْني بإسلام الوجه التّذَلُّل لِطاعَتِه والإذْعان لأمْرِه. وَأصْل الإسلام: الاستِسْلام؛ لأنّه من: استَسْلمت لأمْرِه. وهو الخُضوع لأمْرِه. وَإنّما سُمِّيَ المُسْلِم مُسْلِمًا بخُضوعِ جَوارِحه لِطاعةِ رَبِّه. كَما:

١٨٠٣- حدّثني المُثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع قولَه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ يقول: أخْلَصَ لِلَّه [(٣)].

وَكَما قال زَيْد بن عمرو بن نُفَيْل:

وَأسلمت وجهي لِمَنْ أسلمت لَه المُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلالاً [(٤)]

---

(١)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٤)[المتقارب] القائل: زيد بن عمرو بن نفيل. اللغة: المُزن: هو الغيم والسحاب، واحدته: مُزْنَةٌ، ومُزَيْنة تصغير مُزْنةٍ، وهي السحابة البيضاء. الزلال: الماء الصافي العذب البارد السائغ في الحلق. المعنى: يقول الشاعر قد أسلمت وجهيَ لله خالق السماوات والأرض الذي جعل السحب في السماوات تحمل ماءً عذبًا فراتًا سائغًا للشاربين؛ ففيه يعلن الشاعر خضوعه لنعم الله وآلائه، ومن ضمن تلك النعم الكثيرة نعمة الماء العذب الذي ينزله من السماء، ويقول الله مخاطبا عباده العاقلين: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

يَعْني بذلك: استَسْلمت لِطاعةِ مَنْ استَسْلَمَ لِطاعَتِه المُزْن وانقَدْتُ له.

وَخصَّ اللّه جَلّ ثَناؤه بالخبرِ عَمَّنْ أخْبَرَ عنه بقولِه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ بإسلام وجهه له دون سائِرِ جَوارِحه؛ لأنَّ أكْرَم أعْضاء ابن آدَم وجَوارِحه وجهه، وهو أعْظَمها عليه حُرْمَةً وحَقًّا، فإذا خَضَعَ لِشَيْءٍ وجهه الذي هو أكْرَم أجْزاء جَسَده عليه، فَغيره من أجْزاء جَسَده أحرَى أنْ يكونَ قد أخْضَع له. وَلِذلك تَذْكُر العرب في مَنْطِقها الخبَر عن الشّيْء فَتُضيفه إلى وجهه، وهيَ تَعْني بذلك نَفْس الشّيْء وعَيْنَه، كَقولِ الأعْشَى:

أُوَوِّلُ الحُكْمَ على وجهه ... لَيْسَ قَضائي بالهَوَى الجائِرِ (١)

يَعْني بقولِه: على وجهه: على ما هو به من صِحَّته وصَوابه. وَكَما قال ذو الرُمَّةِ:

فَطاوَعْت هَمّي وانجَلَى وجه بازِل ... من الأمْر لم يَتْرُكْ خِلاجًا بُزُولُها (٢)

يُريد: وانجَلَى البازِل من الأمْر فَتَبَيَّنَ. وما أشبَه ذلك، إذْ كان حُسْن كُلّ شَيْء وقُبْحه في وجهه، فكان وصْفها من الشّيْء وجهه بما تَصِفه به، إبانة عن عَيْن الشّيْء ونَفْسه. فَكَذلك معنى قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ إنَّما يَعْني: بَلَى مَنْ أسلَمَ لِلَّه بَدَنه، فَخَضَعَ له بالطَّاعةِ جَسَده؛ وهو محسنٌ في إسلامه له جَسَده، فله أجره عند ربه. فاكْتَفَى بذِكْرِ الوجْه من ذِكْر جَسَده، لِدَلالةِ الكلام على المعنى الذي أُريدَ به بذِكْرِ الوجْه.

وَأمَّا قوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فَإنَّه يَعْني به: في حال إحسانه. وَتأويل الكلام: بَلَى مَنْ أخْلَص طاعَته لِلَّه وعِبادَته لله مُحْسِنًا في فِعْله ذلك.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾

يَعْني بقولِه جَلّ ثَناؤه: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾: فَلِلْمُسْلِمِ وجهه لِلَّه مُحْسِنًا، جَزاؤُه وثَوابه على إسلامه وطاعَته رَبّه، عند اللّه في معاده.

وَيَعْني بقولِه: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: ولا خوفٌ على المُسْلِمينَ وُجوهَهم لِلَّه وهم مُحْسِنونَ، المُخْلِصينَ لله الدّين، في الآخِرة من عِقابه وعَذاب جَحيمه، وما قَدِموا عليه من أعْمالِهِمْ.

وَيَعْني بقولِه: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ولا هم يَحْزَنونَ على ما خَلَّفوا وراءَهم في الدُّنْيا، ولا أنْ يُمْنَعوا ما قَدِموا عليه من نَعيم ما أعَدَّ اللّهُ لأهلِ طاعَته.

(١)[السريع] القائل: الأعشى (جاهلي). اللغة: أوّل الحكم: قدره ودبره ورده إلى صوابه وأصله. على وجهه: على ما هو به من صحته وصوابه. والجائر: المائل عن سبيل الحق، جار: ظلم ومال. المعنى: يهجو الأعشى علقمة، ويقول في حق نفسه أنه يعالج الأمور كلها بحكمة ويستطيع أن يردها إلى الصواب، وأنه لا يسمح للعاطفة أن تتدخل في حكمه؛ فتقوده للظلم وغض الطرف عن أشياء لحساب أشياء أخرى.

(٢)[الطويل] القائل: ذو الرمة (أموي). اللغة: طاوعت همي: ما هم به في نفسه. بازل من الأمر: يعني: خطة يركبها. والخلاج: الشك والتردد والتنازع. المعنى: يمدح (ذو الرمة) (عبيد الله بن عمر بن عبيدَ الله بن معمر التميمي) فيقول له: طاوعت نفسي وهواجسها فانجلى لي الحق فاصلاً بين الشك واليقين، ولم يترك لي المجال في الحكم؛ إذ دعاني إليك، ومن قصدك لا يعرف للشك والتردد طريقًا؛ لأنه يهتدي إلى رجل قادر على معالجة الأمور بحكمة.

وَإنَّما قال جَلّ ثَناؤه: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وقد قال قَبْل: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ لأنَّ ﴿مَنْ﴾ التي في قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ في لَفْظ واحِد ومعنى جمع، فالتّوْحيد في قوله: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ﴾ لِلَفْظِ، والجميع في قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾. لِلْمعنى.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾

ذُكِرَ أنَّ هذه الآية نَزَلَتْ في قَوْم من أهل الكِتابينِ تَنازَعوا عند رَسول اللَّه ﷺ، فَقال ذلك بعضهم لِبعضٍ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٨٠٤- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة، وحَدَّثَنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا يونُس بن بُكَيْر، قالا جَميعًا: ثنا مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بنِ ثابِت، قال: حَدَّثَني سَعيد بن جُبَيْر، أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: لَمَّا قَدِمَ أهل نَجْران من النّصارَى على رَسول اللَّه ﷺ، أتَتْهم أحبارُ يَهودَ، فَتَنازَعوا عند رَسول اللَّه ﷺ، فَقال رافِع بن حُرَيْمِلةَ: ما أنتم على شَيْء. وكَفَرَ بعيسَى ابن مَرْيَم وبالإنْجيلِ. فَقال رَجُل من أهل نَجْران من النّصارَى: ما أنتم على شَيْء. وجَحَدَ نُبوّة موسَى وكَفَرَ بالتّوْراةِ، فأنْزَلَ اللَّه في ذلك من قولهما: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ إلى قوله: ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١).

١٨٠٥- **حُدِّثْت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قال: هؤلاء أهل الكِتاب الذينَ كانوا على عَهْد النّبيّ ﷺ (٢).

وَأمَّا تأويل الآية فإنه: وقالتِ اليهود: لَيْسَتِ النّصارَى في دينها على صَواب. وقالتِ النّصارَى: لَيْسَتِ اليهود في دينها على صَواب.

وَإنَّما أخْبَرَ اللَّه عنهم بقَيْلِهم ذلك لِلْمُؤمِنينَ، إعْلامًا منه لهم تَضْييعَ كُلِّ فَريق منهم حُكْم الكِتاب الذي يَظْهَر الإقْرار بصِحَّتِه وأنَّه من عند اللَّه، وجُحودهم مع ذلك ما أنْزَلَ اللَّه فيه من فُروضه؛ لأنَّ الإنْجيل الذي تَدين بصِحَّتِه وحَقيقَته النّصارَى، يُحَقِّق ما في التّوْراة من نُبوّة موسَى، وما فَرَضَ اللَّه على بَني إسرائيل فيها من الفرائِض، وأنَّ التّوْراة التي تَدين بصِحَّتِها وحَقيقَتها اليهود، تُحَقِّق نُبوّة عيسَى، وما جاء به من اللَّه من الأحكام والفرائِض. ثُمّ قال كُلُّ فَريق منهم لِلْفَريقِ الآخَر ما أخْبَرَ اللَّه عنهم في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ مع تِلاوة كُلِّ واحِد من الفريقَيْنِ كِتابه الذي يَشْهَد على كَذِبه في قيله ذلك.

(١)[ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت، مجهول.
(٢)[ضعيف] من معلقات المصنف.

فَأَخْبَرَ جَلّ ثَناؤه أنَّ كُلّ فَرِيق منهم قال ما قال من ذلك، على عِلْم منهم أنَّهم فيما قالوه مُبْطِلونَ، وأتَوْا ما أتَوْا من كُفْرهم بما كَفَروا به، على معرِفة منهم بأنَّهم فيه مُلْحِدونَ.

فإنْ قال لنا قائِل: أو كانتِ اليهود والنّصارَى بعد أنْ بَعَثَ اللَّه رَسوله ﷺ على شَيْء، فيكون الفريق القائِل ذلك منهم لِلفَرِيقِ الآخَر مُبْطِلاً في قيلِه ما قال من ذلك؟

قيلَ: قد رَوَيْنا الخبَر الذي ذَكَرْناه عن ابن عَبَّاس قَبْل، من أنَّ إنْكار كُلّ فَرِيق منهم إنَّما كان إنكارًا لِنُبوّةِ النَّبيّ الذي كان يَنْتَحِل التَّصْديق به وبِما جاء به الفريق الآخَر، لا دَفْعًا منهم أنْ يكون الفريق الآخَر - في الحال التي بَعَثَ اللَّه فيها نَبيّنا ﷺ - على شَيْء من دينه، بسَبَبِ جُحوده نُبوّة نَبيّنا مُحَمَّد ﷺ. وَكيف يجوز أنْ يكون معنى ذلك إنْكار كُلّ فَريق منهم أنْ يكون الفريق الآخَر على شَيْء بعد ما بُعث نَبيّنا ﷺ، وكِلُّ الفريقَيْنِ كان جاحِدًا نُبوّة نَبيّنا ﷺ في الحال التي أنْزَلَ اللَّه فيها هذه الآية؟ ولَكِنّ معنى ذلك: وقالتِ اليهود: لَيْسَتِ النّصارَى على شَيْء من دينها مُنْذُ دانَتْ دينها. وقالتِ النّصارَى: لَيْسَتِ اليهود على شَيْء مُنْذُ دانَتْ دينها. وَذلك هو معنى الخبَر الذي رَوَيْناه عن ابن عَبَّاسٍ آنِفًا. فَكَذَّبَ اللَّه الفريقَيْنِ في قَيْلهما ما قالا. كَما:

١٨٠٦- **حَدَّثَنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زريع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: ألا وبَلَى! قد كانتْ أوائِل النّصارَى على شَيْء، ولَكِنّهم ابْتَدَعوا وتفَرَّقوا؛ ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، ألا وبلى! قد كانت أوائلُ اليهودِ على شيء، ولكن القوْم افتروا وتَفَرّقوا وابْتَدَعوا [(١)].

١٨٠٧- **وَحَدَّثَنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ قال: قال مُجاهِد: قد كانت أوائِل اليهود والنّصارَى على شَيْء [(٢)].

وأمّا قوله: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ فإنَّه يَعْني كِتاب اللَّه التَّوْراة والإنْجيل، وهُما شاهِدانِ على فَريقَيْ اليهود والنّصارَى بالكُفْرِ، وخِلافهم أمْر اللَّه الذي أمَرَهم به فيه. كَما:

١٨٠٨- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا يونُس بن بُكَيْر، وحَدَّثَنا ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمة بن الفضْل، قالا جَميعًا: ثنا ابن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، قال: حَدَّثَني سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾. أي: كُلٌّ يَتْلو في كِتابه تَصْديق ما كَفَرَ به، أي: تَكْفُرُ اليهود بعيسَى وعندهم التَّوْراة فيها ما أخَذَ اللَّه عليهم من الميثاق على لِسان موسَى بالتَّصْديقِ بعيسَى، وفي

---

(١) [حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس، لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف، فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

الإنْجيل مِمَّا جاء به عيسَى تَصْديق موسَى، وما جاء به من التَّوْراة من عند اللَّه، وكُلٌّ يَكْفُرُ بما في يَد صاحِبه (١).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾

اختلَفَ أهلُ التأويل في الذينَ عَنَى اللَّه بقولِه: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ فقال بعضهم بما:

١٨٠٩- **حدَّثني** به المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾. قال: وقالتِ النَّصارَى مِثْل قول اليهود قَبْلهمْ.

١٨١٠- **حدَّثنا** بشْرٌ، قال: حدثنا يزيدُ، قال: حدثنا سعيدٌ، عن قَتادة: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ قال: قالتِ النَّصارَى مِثْل قولِ اليهودِ قَبْلهمْ (٢).

وَقالَ آخرونَ بما:

١٨١١- **حدَّثنا** به القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: قُلْت لِعَطاءِ: من هؤلاء الذينَ لا يَعْلَمونَ؟ قال: أُمَمٌ كانتْ قَبْل اليهود والنَّصارَى، وقَبْل التَّوْراة والإنْجيل (٣).

وَقال بعضهمْ: عَنَى بذلك مُشْركي العرب؛ لأنَّهم لم يكونوا أهلَ كِتاب، فَنُسِبوا إلى الجهْل، ونُفِي عنهم من أجْل ذلك العِلْم.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

١٨١٢- **حدَّثني** موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فهمُ العرب، قالوا: لَيْسَ مُحَمَّد على شَيْء (٤).

والصَّواب من القول في ذلك عندنا أنْ يُقال: إنَّ اللَّه أخْبَرَ تَبارَكَ وتعالى عن قَوْم وصَفَهم بالجهْلِ، ونَفَى عنهم العِلْم بما كانتِ اليهود والنَّصارَى به عالِمينَ - أنَّهم قالوا بجَهْلِهم نَظير ما قال اليهود والنَّصارَى بعضها لِبعضِ، مِمَّا أخْبَرَ اللَّه عنهم أنَّهم قالوه في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾. وَجائِز أنْ يكونوا هم المُشْرِكينَ من العرب، وجائِز أنْ يكونوا أُمّة كانتْ قَبْل اليهود والنَّصارَى. وَلا أُمَّةٌ هي أولَى أنْ يُقال هِي التي عُنَيْت بذلك من أُخْرَى، إذْ لم يكُنْ في الآية دَلالة على أيٍّ من أيٍّ، ولا خَبَر بذلك عن رَسول اللَّه ﷺ ثَبَتَتْ حُجَّته من جِهة النَّقْل المُسْتَفيض، ولا من جِهة نَقْل الواحِد العدْل.

---

(١) محمد مولى زيد مجهول.

(٢) [حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

وَإِنَّما قَصَدَ اللَّه جَلَّ ثَناؤه بقولِه: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾. إلى إعْلام المُؤْمِنِينَ أَنَّ اليهود والنّصارَى قد أتَوْا - من قيلِ الباطِل، وافتِراء الكذِب على اللَّه، وجُحود نُبوّة الأنْبياء والرُّسُل، وهم أهل كِتاب يَعْلَمونَ أنّهم فيما يقولونَ مُبْطِلونَ، وبِجُحودِهم ما يجْحَدونَ من مِلّتهم خارِجونَ، وعلى اللَّه مُفْتَرونَ - مِثْل الذي قاله أهل الجهْل باللَّه وكُتُبه ورُسُله الذينَ لم يَبْعَثِ اللَّه إليهم رَسولاً، ولا أوحَى إليهم كِتابًا.

وَهذه الآية تُنبِئُ عن أنَّ مَنْ أتَى شَيْئًا من مَعاصي اللَّه على عِلْم منه بنَهْيِ اللَّه عنها، فَمُصيبَته في دينه أعْظَم من مُصيبة مَنْ أتَى ذلك جاهِلاً به؛ لأنَّ اللَّه تعالى ذِكْره عَظَّمَ تَوْبيخ اليهودِ والنّصارَى بما وبَّخَهم به - في قيلِهم ما أخْبَرَ عنهم بقولِه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ - من أجْل أنّهم أهل كِتاب، قالوا ما قالوا من ذلك على عِلْم منهم بأنّهم فيه مُبْطِلونَ.

القول في تأويل قوله جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

يَعْني بذلك جَلّ ثناؤه: فاللَّه يَقْضي فَيَفْصِل بين هؤلاء المُخْتَلِفينَ القائِل بعضهم لِبعضِ: لَسْتُم على شَيْء من دينكُم. يوم قيام الخلْق لِرَبِّهم من قُبورهِمْ، فَيَتَبَيَّنُ المُحِقّ منهم من المُبْطِل، بإيتائِه المُحِقَّ ما وعَدَ أهل طاعَته على أعْمالهم الصَّالِحة، ومُجازاته المُبْطِل منهم بما أوعَدَ أهل الكُفْر به على كُفْرهم به، فيما كانوا فيه يَخْتَلِفونَ من أدْيانهم ومِلَلهم في دار الدُّنْيا.

وَأمَّا (القيامة)، فَهِيَ مَصْدَر من قول القائِل: قُمْتُ قِيامًا وقِيامةً، كما يُقال: عُدْتُ فُلانًا عِيادة. و: صُنْتُ هذا الأمْر صيانة. وَإِنَّما عَنَى بالقيامةِ: قيام الخلْق من قُبورهم لِرَبِّهم. فَمعنى ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: يوم قيام الخلائِق من قُبورهم لِمحشَرِهم.

القول في تأويل قوله جَلَّ ثناؤُهُ:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾

قد دَلَّلْنا فيما مَضَى قَبْل على أنَّ تأويل الظُّلْم: وَضْعُ الشّيْء في غير موضِعه.

فتأويل قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: وأيُّ امْرِئٍ أشَدُّ تَعَدِّيًا وجُراَةً على اللَّه وخِلافًا لأمْرِه، من امْرِئٍ مَنَعَ مَساجِد اللَّه أنْ يُعْبَد اللَّهُ فيها؟

والمساجِد جَمْع مسجِد، وهو كُلّ موضِع عُبِدَ اللَّه فيه. وَقد بَيَّنّا معنى السُّجود فيما مَضَى فَمعنى المسجِد: الموضِع الذي يُسْجَدُ لِلَّه فيه. كما يُقال لِلْموضِع الذي يُجْلَسُ فيه: المجْلِس. ولِلْموضِع الذي يُنْزَلُ فيه: المَنْزِل. ثُمّ يُجْمَع مَنازِل ومَجالِسَ، نَظير جمع مسجِدٍ؛ مَساجِد. وَقد حُكيَ سَماعًا من بعض العرب: مَسْجَدٌ. في واحِد المساجِد، وذلك كالخطَإِ من قائِله.

وأمّا قوله: ﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾. فَإِنَّ فيه وجهَيْنِ من التّأويل:

أحَدهما: أنْ يكون معناه: ومَنْ أظْلَم مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِد اللَّه من أنْ يُذْكَر فيها اسمه، فَتَكون ﴿أَن﴾ حينَئِذٍ نَصْبًا في قول بعض أهل العربيّة بفَقْدِ الخافِض، وتَعَلُّق الفِعْل بها. وفي قولِ بعضهم

خَفضُها بمعنى (مِن) وإن لم تكُن (مِن) ظاهرةً، إذ كان في الكلام عليها دلالةٌ.

والوجْه الآخَر: أنْ يكون معناه: ومَنْ أظلَم مِمَّنْ مَنَعَ أنْ يُذكَر اسم اللَّه في مَساجِده، فتَكون ﴿أَن﴾ حينئِذٍ في موضِع نَصْب تَكْريرًا على موضِع (المساجِد) ورَدًّا عليه.

وأمّا قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ فإنَّ معناه: ومَنْ أظلَم مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِد اللَّه أنْ يُذكَر فيها اسمه، ومِمَّنْ سَعَى في خَراب مَساجِد اللَّه. فـ﴿وَسَعَىٰ﴾ إذا عُطِفَ على ﴿مَنَعَ﴾.

فإنْ قال لنا قائِل: ومن الذين عَنى الله بقولِه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾؟ وأيّ المساجِد هي؟

قيلَ: إنَّ أهل التّأويل في ذلك مُخْتَلِفونَ؛ فَقال بعضهمْ: الذينَ مَنَعوا مَساجِد اللَّه أنْ يُذكَر فيها اسمه هم النّصارَى؛ والمسجِد بَيْت المقْدِس.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨١٣- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثَني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبّاس قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾: فإنّهم النّصارَى (١).

١٨١٤- **وحَدَّثَني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾: النّصارَى، كانوا يَطْرَحونَ في بَيْت المقْدِس الأذَى، ويَمْنَعونَ النّاس أنْ يُصَلّوا فيه (٢).

١٨١٥- **وحَدَّثَني** المُثَنّى قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله (٣).

وقال آخَرونَ: بل هو بُخْتُنَصَّرَ وجُنْدُه ومَنْ أعانَهم من النَّصارَى؛ والمسجِد: مسجِد بَيْت المقْدِس.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨١٦- **حَدَّثَنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حدثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ الآية: أُولَئِكَ أعْداء اللَّه النّصارَى، حَمَلَهم بُغض اليهود على أنْ أعانوا بُخْتُنَصَّرَ البابِليَّ المجوسيَّ على تَخْريب بَيْت المقْدِس (٤).

١٨١٧- **وحَدَّثَنا** الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة

(١)[ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٢)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي. وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٤)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ قال: هو بُخْتُنَصَّر وأصحابه خرَّبَ بَيْت المقْدِس، وأعانه على ذلك النّصارَى (١).

١٨١٨- وحدّثني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾: فإن الرّوم، كانوا ظاهَروا بُخْتُنَصَّرَ على خَراب بَيْت المقْدِس، حتّى خَرَّبَه وأمَرَ به أنْ تُطْرَح فيه الجيَف؛ وإنّما أعانَه الرّوم على خَرابه من أجْل أنَّ بَني إسرائيل قَتَلوا يَحْيَى بن زَكَريًّا (٢).

وقال آخرون: بَلَى عَنَى اللّه عَزَّ وجَلَّ بهذه الآية مُشْرِكي قُرَيْش، إذْ مَنَعوا رَسول اللّه ﷺ من المسجِد الحرام.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨١٩- حدّثني يونُس بن عبد الأعْلَى، قال، أخبرنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ قال: هؤلاء المُشْركونَ، حين حالوا بين رَسول اللّه ﷺ يوم الحُدَيْبية وبين أنْ يَدْخُل مَكّة حتّى نَحَرَ هَدْيه بذي طُوًى وهادَنَهم، وقال لهم: «**ما كان أحَدٌ يُرَدُّ عن هذا البيْت، وقد كان الرّجُل يَلْقَى قاتِل أبيه أو أخيه فيه فَما يَصُدّهُ**»، فقالوا: لا يَدْخُل علينا مَنْ قَتَلَ آباءَنا يوم بَدْر وفينا باقٍ. وَفي قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ قال: إذْ قَطَعوا مَنْ يَعْمُرها بذِكْره ويَأتيها لِلْحَجّ والعُمْرة (٣).

وأولَى التّأويلات التي ذكرناها بتأويلِ الآية قول مَنْ قال: عَنَى اللّه عَزَّ وجَلّ بقولِه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ النّصارَى؛ وذلك أنّهم هم الذينَ سَعَوْا في خَراب بَيْت المقْدِس، وأعانوا بُخْتُنَصَّرَ على ذلك، ومَنَعوا مُؤمِني بَني إسرائيل من الصّلاة فيه بعد مُنْصَرَف بُخْتُنَصَّرَ عنهم إلى بلاده.

والدّليل على صِحَة ما قُلْنا في ذلك: قيامُ الحُجّةِ بأنْ لا قولَ في معنى هذه الآية إلاّ أحَد الأقوال الثّلاثة التي ذَكَرناها، وأنْ لا مسجِد عَنَى اللّه عَزَّ وجَلّ بقولِه: ﴿فِى خَرَابِهَآ﴾ إلاّ أحَد المسجِدَيْنِ، إمّا مسجِد بَيْت المقْدِس، وإمّا المسجِد الحرام. وَإذْ كان ذلك كذلك، وكان معلومًا أنَّ مُشْركي قُرَيْش لم يَسْعَوْا قَطُّ في تَخريب المسجِد الحرام، وإنْ كانوا قد مَنَعوا في بعض الأوقات رَسول اللّه ﷺ وأصْحابه من الصّلاة فيه؛ صَحَّ وثَبَتَ أنَّ الذينَ وصَفَهم اللّه عَزَّ وجَلّ بالسّعْيِ في خَراب مَساجِده غيرُ الذينَ وصَفَهم اللّه بعِمارَتِها، إذْ كان مُشْرِكو قُرَيْش هم بَنَوْا المسجِد الحرام في الجاهِليّة، وبِعِمارَتِه كان افتِخارهمْ، وإنْ كان بعض أفعالهم فيه كان متهم على غير الوجه الذي يَرْضاه اللّه منهم.

وأُخرَى، أنَّ الآية التي قَبْل قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ مَضَت

---

(١)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

بالخبرِ عن اليهود والنَّصارَى وذَمِّ أفعالهمْ، والتي بعدها عقَّبَتْ بذَمِّ النَّصارَى والخبرَ عن افتِرائِهم على رَبِّهمْ، ولم يجْرِ لِقُرَيْشٍ ولا لِمُشْرِكي العرب ذِكْر، ولا لِلْمسجِدِ الحرام قَبْلها، فَيُوَجَّه الخبَر بقولِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ إليهم وإلى المسجِد الحرام. وَإذْ كان ذلك كذلك، فالذي هو أولَى بالآيةِ أنْ يُوَجَّه تأويلها إليه، هو ما كان نَظير قِصَّة الآية قَبْلها والآية بعدها، إذْ كان خَبَرها لِخَبَرِهما نَظيرًا وشَكْلاً، إلاَّ أنْ تَقوم حُجَّة يجِب التَّسْليم لها بخِلافِ ذلك وإنْ اتَّفَقَتْ قِصَصها فاشْتَبَهَتْ.

فَإنْ ظَنَّ ظانّ أنَّ ما قُلْنا في ذلك لَيْسَ كذلك - إذْ كان المُسْلِمونَ لم يَلْزَمهم قَطُّ فَرْض الصَّلاة في مسجِد بيت المُقَدَّس، فَمُنِعوا من الصَّلاة فيه، فَيجوز تَوْجيه قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ إلى أنَّه معنيٌّ به مسجِد بَيْت المقْدِس - فقد أخْطَأ فيما ظَنّ من ذلك. وَذلك أنَّ اللَّه تعالى ذكره إنَّما ظَلَّم مَنْ مَنَعَ مَنْ كان فَرْضه الصَّلاة في مسجد بَيْت المقْدِس من مُؤمِني بَني إسرائيل، وإيَّاهم قَصَدَ بالخبَرِ عنهم بالظُّلْم والسَّعْي في خَراب المسجِد، وإنْ كان قد دَلَّ بعُمومِ قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ أنَّ كُلّ مانِع مُصَلّيًا في مسجِد لِلَّه، فَرْضًا كانتْ صَلاته فيه أو تَطَوُّعًا، وكُلّ ساعٍ في خرابه فهو من المُعْتَدينَ الظَّالِمينَ.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾

وَهذا خَبَر من اللَّه جل ثناؤه عَمَّنْ مَنَعَ مَساجِد اللَّه أنْ يُذْكَر فيها اسمه، أنَّه قد حَرَّمَ عليهم دُخول المساجِد التي سَعَوْا في تَخْريبها ومَنَعوا عِباد اللَّه المُؤمِنينَ من ذِكْر اللَّه عَزَّ وجَلّ فيها ما داموا على مُناصَبة الحرْب إلاَّ على خَوْف ووَجَل من العُقوبة على دُخولِهُموها. كالذي:

١٨٢٠ - حدَّثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زُريع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾: وهم اليوم كذلك، لا يوجَد نَصْرانيّ في بَيْت المقْدِس إلاَّ نُهِكَ ضَرْبًا وأُبْلِغَ إليه في العُقوبة (١).

١٨٢١ - وحدّثنا الحسَنُ بنُ يحيى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة: قال اللَّه عَزَّ وجَلّ: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ وهم النَّصارَى، فلا يَدْخُلونَ المسجِد إلاَّ مُسارَقة، إنْ قُدِرَ عليهم عوقِبوا (٢).

١٨٢٢ - وحدّثني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾: فَلَيْسَ في الأرض روميّ يَدْخُلها اليوم إلاَّ وهو خائِف أنْ تُضْرَب عُنُقه، أو قد أُخيفَ بأداءِ الجِزْية فهو يُؤَدّيها (٣).

---

(١) [حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢) [حسن] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

١٨٢٣ - **وحدّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ قال: نادَى رَسول اللّه ﷺ: **«ألاَ يَحُجّ بعد العام مُشرِك، ولا يَطوف بالبيتِ عُرْيان»** قال: فَجَعَلَ المُشركونَ يقولونَ: اللَّهُمّ إنَّا مُنِعْنا أنْ نُبرَّكَ [(١)].

وإنّما قيلَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ فَأُخْرِجَ على وجه الخبَر عن الجميع وهو خَبَر عَمَّنْ مَنَعَ مَساجِد اللّه أنْ يُذْكَر فيها اسمه؛ لأنَّ (مَنْ) في معنى الجميع، وإنْ كان لَفْظه واحِدًا.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

أمّا قوله عَزَّ وجَلّ: ﴿لَهُمْ﴾ فإنّه يَعني للذينَ أخْبَرَ عنهم أنّهم مَنَعوا مَساجِد اللّه أنْ يُذْكَر فيها اسمه.

وأمّا قوله: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ فإنّه يَعْني بالخِزْيِ: الشرّ والعار والذِّلَّة؛ إمّا القتْل والسّبي، وإمّا الذِّلّة والصَّغار بأداءِ الجِزْية. كَما:

١٨٢٤ - **حَدّثَنا** الحسَنُ بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ قال: يُعْطونَ الجِزْية عن يَد وهم صاغِرونَ [(٢)].

١٨٢٥ - **وحَدّثَني** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدّيّ قوله: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: أمّا خِزْيهم في الدُّنْيا: فإنّهم إذا قامَ المهْديّ وفُتِحَتِ القسطنطينية قَتَلَهم، فذلك الخِزْي [(٣)].

وأما قولُه: ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾: فإن الآخرة صفةٌ للدار. وقد بيَّنَّا فيما مضى قبلُ لِمَ قيلَ لها: آخرةٌ.

وأمّا العذاب العظيم: فَإنّه عَذاب جَهَنّم الذي لا يُخَفَّف عن أهله، ولا يُقْضَى عليهم فيه فَيَموتوا.

وتأويل الآية: لهم في الدُّنيا الذِّلّة والهوان والقتْل والسّبْي، على مَنْعهم مَساجِد اللّه أنْ يُذْكَر فيها اسمه، وسَعْيهم في خَرابها، ولَهم - على معصيَتهم وكُفْرهم بربِّهم وسَعْيهم في الأرض فَسادًا - عَذاب جَهَنّم، وهو العذاب العظيم.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾

يَعني جَلَّ ثَناؤه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾: لِلّه مِلْكهما وتَدْبيرهما، كما يُقال: لِفُلانٍ هذه الدّار. يَعْني بها أنّها له مِلْكًا، فَكذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ يَعني أنّهما له مِلْكًا وخَلْقًا. والمشْرِق: هو موضِع شُروق الشّمْس، وهو موضِعُ طُلوعها منه. وكذلك المغربُ: الموضعُ الذي

---

(١)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.
(٢)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٣)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

تغرب فيه، كما يُقال لِموضِع طُلوعها منه مَطْلِع بكَسْرِ اللّام، كَما بَيَّنّا في معنى المسجِد آنِفًا.

فَإنْ قال قائِل: أوَما لِلَّه إلاّ مَشْرِق واحِد ومَغْرِب واحِد حتّى قيلَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾؟

قيلَ: إنَّ معنى ذلك غير الذي ذَهَبْت إليه، وإنَّما معنى ذلك: ولِلَّه المشرِق الذي تَشْرُق منه الشَّمْس كُلّ يوم، والمغرِب الذي تَغْرُب فيه كُلّ يوم.

فَتأويله إذ كان ذلك معناه: ولِلَّه ما بين قُطْرَيْ المشرِق، وما بين قُطْرَيْ المغرِب، إذْ كان شُروق الشَّمْس كُلّ يوم من موضِع منه لا تَعود لِشُروقِها منه إلى الحوْل الذي بعده، وكذلك غُروبها كُلّ يوم.

فَإنْ قال قائل: أوَلَيْسَ - وإنْ كان تأويل ذلك ما ذَكَرْتَ - فَلِلَّه كُلُّ ما دونه الخلْق خَلْقه؟

قيلَ: بَلَى.

فَإنْ قال: فكيف خَصَّ المشارِق والمغارِب بالخبَرِ عنها أنَّها له في هذا الموضِع دون سائِر الأشياء غيرها؟

قيلَ: قد اختَلَفَ أهل التّأويل في السَّبَب الذي من أجْله خَصَّ اللَّه ذِكْرَ ذلك بما خَصَّه به في هذا الموضِع، ونَحْنُ مُبَيِّنو الذي هو أولَى بتأويلِ الآية بعد ذِكْرنا أقْوالهم في ذلك.

فَقال بعضهمْ: خَصَّ اللَّه ذلك بالخبَرِ عنه من أجْل أنَّ اليهود كانتْ تَوَجَّه في صَلاتها وُجوهها قِبَل بَيْت المقْدِس، وكان رَسول اللَّه ﷺ وأصحابُه يَفْعَلون ذلك مُدّة، ثُمّ حَوّلوا إلى الكعْبة، فاستَنْكَرَتِ اليهود ذلك من فِعْل النَّبيّ ﷺ فقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾. فَقال اللَّه تَبارَكَ وتعالى لهم: المشارِق والمغارِب كُلّها لي، أصْرِف وُجوه عِبادي كيف أشاء منها، فأينما توَلّوا فَثَمَّ وجه اللَّه.

ذِكْر مَن قال ذلك:

١٨٢٦- **حَدَّثني** المُثَنّى، قال: حدثنا أبو صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طلحة، عن ابن عَبّاس، قال: كان أوَّل ما نَسَخَ من القُرْآن القِبْلَةُ، وذلك أنَّ رَسول اللَّه ﷺ لَمّا هاجَرَ إلى المدينة، وَكان أكْثَر أهلها اليهودُ، أمَرَه اللَّه عَزَّ وجَلّ أنْ يَسْتَقْبِل بَيْت المقْدِس، فَفَرِحَتِ اليهود، فاستَقْبَلَها رَسول اللَّه ﷺ بضْعة عَشَر شَهْرًا، فَكان رَسول اللَّه ﷺ يُحِبُّ قِبْلة إبراهيم فكان يَدْعو ويَنْظُر إلى السَّماء، فَأنْزَلَ اللَّه تَبارَكَ وتعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] فارْتابَ من ذلك اليهود، وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ فَأنْزَلَ اللَّه عَزَّ وجَلّ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢] وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ (١).

١٨٢٧- **وحَدَّثني** موسَى، قال: حدثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ بنَحْوه (٢).

---

(١)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٢)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

وَقال آخرونَ: بل أنْزَلَ اللَّه هذه الآية قَبْل أنْ يَفرِض على محمد نبيِّه ﷺ وعلى المُؤمِنين به التَوَجُّهَ شَطْر المسجِد الحرام، وَإنَّما أنزَلَها عليه مُعْلِمًا نَبيَّه بذلك وأصْحابه أنَّ لهم التَّوَجُّه بوُجوهِهم لِلصَّلاةِ حَيْثُ شاءوا من نَواحي المشرِق والمغرِب؛ لأنَّهم لا يوَجِّهونَ وُجوههم وجهًا من ذلك وناحية، إلاَّ كان جَلَّ ثَناؤه في ذلك الوجْه وتلك النَّاحية؛ لأنَّ له المشارِق والمغارِب، وأنَّه لا يَخلو منه مَكان، كما قال جَلَّ ثناؤه: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ﴾ [المجادلة: ٧] قالوا: ثُمَّ نَسَخَ ذلك بالفرْضِ الذي فَرَضَ عليهم في التَّوَجُّه شَطْر المسجِد الحرام.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨٢٨- **حَدَّثَنا** بشر بن مُعاذ، قال: حدثنا يَزيد، قال: حدثنا سَعيد، عن قَتادة: قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾: ثُمَّ نَسَخَ ذلك بعد ذلك، فَقال اللَّه: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [البقرة: ١٥٠] (١).

١٨٢٩- **وحدَّثني** الحسن بنُ يحيى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ قال: هي القِبْلة، ثُمَّ نَسَخَتْها القِبْلة إلى المسجِد الحرام (٢).

١٨٣٠- **حَدَّثَني** المُثَنّى، قال: حدثنا الحجَّاج بن المنهال، قال: حدَّثنا هَمَّام بن يَحْيَى، قال: سَمِعْت قَتادة في قول اللَّه: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ قال: كانوا يُصَلّون نَحو بَيْت المقْدِس ورَسول اللَّه ﷺ بمكّة قَبْل الهِجْرة، وبعد ما هاجَرَ رَسول اللَّه ﷺ صَلَّى نَحو بَيْت المقْدِس سِتّة عَشَر شَهرًا، ثُمَّ وُجِّهَ بعد ذلك نَحو الكعْبة البيْت الحرام، فَنَسَخَها اللَّه في آية أُخرَى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ إلى: ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ١٤٤] قال: فَنَسَخَتْ هذه الآية ما كان قَبْلها من أمْر القِبْلة (٣).

١٨٣١- **وحَدَّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: سَمِعْته - يَعْني ابن زَيْدٍ - يقول: قال اللَّهُ لِنَبيِّه ﷺ: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ قال: فَقال رَسول اللَّه ﷺ: **«هؤلاءِ قَوْم يَهود يَستَقْبِلونَ بَيْتًا من بُيوت اللَّه - لبيتِ المقدسِ - لو أنَّا استَقْبلناه»** فاستَقْبَلَه النَّبيّ ﷺ سِتّة عَشَر شَهرًا، فَبَلَغَه أنَّ يَهود تَقول: واللَّه ما دَرَى مُحَمَّد وأصْحابه أيْنَ قِبْلَتهم حتّى هَدَيْناهم. فَكَرِهَ ذلك النَّبيّ ﷺ، ورَفَعَ وجهه إلى السّماء، فَقال اللَّه تعالى ذكره: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية (٤).

وَقال آخرونَ: بل نَزَلَتْ هذه الآية على النَّبيّ ﷺ إذْنًا من اللَّه عَزَّ وجَلَّ له أنْ يُصَلّي التَطَوُّع

---

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وفيما تقدم عن قتادة كفاية.

(٤)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

حَيْثُ تَوَجَّهَ وجهه من شَرْق أو غَرْب، في مَسيره في سَفَره، وفي حال المُسايَفة، وشِدّة الخوْف، والتِقاء الزُّحوف - الفرائِض، وَأعْلَمه أنّه حَيْثُ وجَّهَ وجهه فهو هُنالِكَ، بقولِه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨٣٢ - **حدّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: حدثنا ابن إدْريس، قال: حدثنا عبد المِلك، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عُمَر أنّه كان يُصَلّي حَيْثُ تَوَجَّهَتْ به راحِلَته، ويَذْكُر أنَّ رَسول اللّه ﷺ كان يَفْعَل ذلك، ويَتأوّل هذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ (١).

١٨٣٣ - **وحَدّثني** أبو السَّائِب سَلْمُ بنُ جُنَادةَ، قال: حدثنا ابن فُضَيْل، عن عبد الملِك بن أبي سُلَيْمان، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عُمَر أنّه قال: لمَّا نَزَلَتْ هذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾: أنْ تُصَلّي أينما تَوَجَّهَتْ بك راحِلَتك في السّفَر تَطوُّعًا، «**كان رَسول اللّه ﷺ إذا رَجَعَ من مَكّة يُصَلّي على راحِلَته تَطوُّعًا، يومِئ برأسِه نَحو المدينة**» (٢).

وقال آخرونَ: بل نَزَلَتْ هذه الآية في قَوْم عَميَتْ عليهم القِبْلة فَلم يَعْرِفوا شَطْرها، فَصَلَّوْا على أنْحاء مُخْتَلِفة، فَقال اللّه عَزَّ وجَلّ لهم: لي المشارِق والمغارِب، فأين ولَّيْتُم وُجوهكُم فَهُنالِكَ وجهي، وهو قِبْلَتكم. يُعْلِمُهُم بذلك أنَّ صَلاتهم ماضية.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨٣٤ - **حدّثَنا** أحمَد بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ، قال: حدثنا أبو أحمَدَ الزُّبَيْريُّ، قال: حدثنا أبو الرّبيع السّمَّان، عن عاصِم بن عُبَيْد اللّه، عن عبد اللّه بن عامِر بن رَبيعة، عن أبيه، قال: كُنَّا مع رَسول اللّه ﷺ في لَيْلة سَوْداء مُظْلِمة، فَنَزَلْنا مَنْزِلاً، فَجَعَلَ الرّجُل يَأخُذ الأحجار فَيَعْمَل مسجِدًا يُصَلّي فيه. فَلَمَّا أن أصْبَحْنا، إذا نَحْنُ قد صَلَّيْنا على غير القِبْلة، فَقُلْنا: يا رَسول اللّه لَقد صَلَّيْنا لَيْلَتنا هذه لِغيرِ القِبْلة! فَأنْزَلَ اللّه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣).

١٨٣٥ - **وحَدّثني** المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا الحجَّاج، قال: حدثنا حَمَّاد، قال: أخبرنا حمَّادٌ، قال: قُلْت لِلنّخعيّ: إنّي كُنْت استَيْقَظْت - أو قال أُيْقِظْتُ. شَكَّ أبو جعفر - فَكان في السّماء سَحاب، فَصَلَّيْت لِغيرِ القِبْلة، قال: مَضَتْ صَلاتك، يقول اللّه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ (٤).

---

(١)[صحيح] أخرجه مسلم [٧٠٠] وغيره.

(٢)[صحيح] تقدم قبله.

(٣)[ضعيف] عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب - ضعيف. وأشعث بن سعيد البصري أبو الربيع السمان والد سعيد بن أبي الربيع - كذلك.

(٤)[صحيح لغيره] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وقد أخرجه ابن أبي شيبة فقال: حدثنا وكيع. وأخرجه عبد الرزاق، كلاهما - وكيع، وعبد الرزاق - عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم في الرجل يصلي لغير القبلة قال: (يجزيه). اهـ.

١٨٣٦- **حدّثنا** سُفيان بن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن أشعَث السَّمّان، عن عاصِم بن عُبَيْد اللَّه، عن عبد اللَّه بن عامِر بن رَبيعة، عن أبيه، قال: كُنّا مع النّبيّ ﷺ في لَيْلة مُظْلِمة في سَفَر، فَلم نَدْرِ أيْنَ القِبْلة فَصَلَّيْنا، فَصَلّى كُلّ رجل مِنّا على حياله، ثُمّ أصْبَحْنا فَذَكَرْنا ذلك لِلنّبيّ ﷺ، فأنْزَلَ اللَّه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (١).

وَقال آخَرونَ: بل نَزَلَتْ هذه الآية في سَبَب النّجاشيّ؛ لأنَّ أصْحاب رَسول اللَّه ﷺ تَنازَعوا في أمْره؛ من أجْل أنّه ماتَ قَبْل أنْ يُصَلّي القِبْلة، فَقال لهم اللَّه: المشارِق والمغارِب كُلّها لي، فَمَنْ وجَّهَ وجهه نَحْو شَيْء منها يُريدني به ويَبْتَغي به طاعَتي، وجَدَني هُنالِكَ. يَعْني بذلك أنَّ النّجاشيّ وإنْ لم يكُنْ صَلّى القِبْلة، فَإنّه كان يوَجِّه إلى بعض وُجوه المشارِق والمغارِب وجهه، يَبْتَغي بذلك رِضا اللَّه في صَلاته.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨٣٧- **وحَدّثَنا** محمد بن بَشّار، قال: حدَّثنا معاذُ بنُ هِشام، قال: حَدَّثَني أبي، عن قَتادة أنَّ النّبيّ ﷺ قال: «**إنَّ أخاكُم النّجاشيّ قد ماتَ فَصَلّوا عليه**» قالوا: نُصَلّي على رَجُل لَيْسَ بمُسْلِم! قال: فَنَزَلَتْ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩] قال قَتادة: فَقالوا وإنّه كان لا يُصَلّي القِبْلة. فَأنْزَلَ اللَّه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٢).

والصّواب من القول في ذلك أن يقال: إنَّ اللَّه تعالى ذِكْره إنّما خَصَّ الخبَر عن المشْرِق والمغْرِب في هذه الآية بأنّهما له مِلْكًا - وإنْ كان لا شَيْء إلاّ وهو له مِلْك - إعْلامًا منه لعِباده المُؤمِنينَ أنَّ له مِلْكَهُمَا ومِلْكَ ما بينهما من الخلائق، وأنَّ على جَميعهم - إذْ كان له مِلْكهم - طاعَته فيما أمَرَهم ونَهاهم، وفيما فَرَضَ عليهم من الفرائِض، والتّوجيه نَحْو الوجْه الذي وُجّهوا إليه، إذْ كان من حُكْم المماليك طاعة مالِكهِمْ، فَأخْرَجَ الخبَر عن المشْرِق والمغْرِب، والمُراد به ما بينهما من الخلْق، على النّحْو الذي قد بَيَّنْت من الاكْتِفاء بالخبَرِ عن سَبَب الشّيْء من ذِكْره والخبَر عنه، كما قيلَ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ وما أشبَه ذلك.

فَمعنى الآية إذًا: ولِلَّه مِلْك الخلْق الذي بين المشْرِق والمغْرِب يَستَعبِدهم بما شاءَ، ويَحْكُم فيهم ما يُريد عليهم طاعَته؛ فَوَلّوا أيّها المُؤمِنونَ وجوهكم نَحو وجهي، فَإنّكُم أيْنَما تولّوا وُجوهكُم فَهُنالِكَ وجهي.

فَأمّا القول في: هل هذه الآية ناسِخة أم مَنسوخة، أم لا هي ناسِخة ولا مَنسوخة؟ فإن الصّواب فيه من القول أنْ يُقال: إنّها جاءتْ مَجيء العُموم، والمُراد منها الخاصّ؛ وذلك أنَّ

---

(١)[ضعيف] تقدم قبله بواحد.

(٢)[ضعيف] السند صحيح إلى قتادة، وهو عن النبي ﷺ مرسل، وقد ثبتت صلاة النبي ﷺ على النجاشي، كما عند مسلم [٧٠٠] وغيره، بدون الزيادة التي هنا.

قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ مُحتَمِل: فأينما تولّوا في حال سَيْركُم في أسفاركم، في صَلاتكُم التَّطَوُّع، وفي حال مُسايَفَتكُم عَدوّكم، في تَطَوُّعكُم ومَكْتوبَتكم -فَثَمَّ وجه اللَّه. كما قال ابن عُمَر والنَّخعيّ ومَنْ قال ذلك مِمَّنْ ذَكَرْنا عنه آنِفًا.

وَمُحتَمَل: فَأيْنَما تولّوا من أرض اللَّه فَتَكونوا بها - فَثَمَّ قِبْلة اللَّه التي توَجُّهونَ وُجوهكُم إليها؛ لأنَّ الكعْبة مُمْكِن لكم التَّوَجُّه إليها منها، كما.

١٨٣٨- حدثنا أبو كُرَيْب، قال: حدَّثنا وكيع، عن أبي سِنان، عن الضَّحَّاك، والنَّضْر بن عَرَبيّ، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال: قِبْلة اللَّه، فَأيْنما كُنْتَ من شَرْق أو غَرْب فاستَقْبِلْها[(١)].

١٨٣٩- وَحَدَّثنا القاسِم، قال: حدثنا الحُسَيْن، قال: حدثنا حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخْبَرَني إبراهيم بن أبي بَكْر، عن مُجاهِد، قال: حَيْثُما كُنْتُم فَلكم قِبْلة تَسْتَقْبِلونَهاَ. قال: للكعْبة[(٢)].

وَمُحتَمَل: فَأيْنَما تولّوا وُجوهكُم في دُعائِكُم لي فَهُنالِكَ وجهي أستَجيب لكم دُعاءَكم. كما:

١٨٤٠- حَدَّثَنا القاسِم، قال: حدَّثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج، قال مُجاهِد: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قالوا: إلى أيْنَ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[(٣)].

فإذا كان قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ مُحتَمِلاً ما ذَكَرْنا من الأوجُه، لم يكُنْ لأحَدِ أنْ يَزْعُم أنَّها ناسِخة ولا مَنسوخة إلاَّ بحُجَّةٍ يجِب التَّسْليم لها؛ لأنَّ النَّاسِخ لا يكون إلاَّ بمَنْسوخٍ، ولم تَقُم حُجَّة يجِب التَّسْليم لها بأنَّ قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ معنيّ به: فَأيْنَما توَجُّهوا وُجوهكُم في صَلاتكُم فَثَمَّ قِبْلَتكم. وَلا أنَّها نزَلَتْ بعد صَلاة رَسول اللَّه ﷺ وأصْحابه نَحْو بَيْت المقْدِس أمْرًا من اللَّه لهم بها أنْ يَتَوَجَّهوا نَحْو الكعْبة، فَيجوز أنْ يُقال: هي ناسِخةُ الصَّلاة نَحْو بَيْت المقْدِس؛ إذْ كان من أهل العِلْم من أصْحاب رَسول اللَّه وأئِمّة التَّابِعينَ، مَنْ يُنْكِر أنْ تَكون نَزَلَتْ في ذلك المعنى. وَلا خَبَر عن رَسول اللَّه ﷺ ثابِت بأنَّها نَزَلَتْ فيه، وكان الاختِلاف في أمْرها موجودًا على ما وصَفْت. وَلا هي - إذْ لم تَكُنْ ناسِخة لِما وصَفْنا - قامَتْ حُجَّتها بأنَّها مَنْسوخة، إذْ كانتْ مُحْتَمِلة ما وصَفْنا من أن تَكون جاءتْ بعُمومٍ، ومعناها: في حال دون حال -إنْ كان عُنيَ بها التَّوَجُّه في الصَّلاة - وفي كُلّ حال - إنْ كان عُنيَ بها الدُّعاء - وغير ذلك من المعاني التي ذَكَرْنا.

وَقد دَلَّلْنا في كِتابنا: (كِتاب البيان عن أُصول الأحكام)، على ألا ناسِخ من آي القُرْآن وأخْبار

---

(١)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٢)[ضعيف] تقدم قبله بمعناه، وهذا سند ضعيف؛ إبراهيم بن أبي بكر الأخنسي مجهول، تفرد بالراوية عنه ابن جريج، والسند له ضعيف، فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣)[ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

رَسول اللَّه ﷺ إلاَّ ما نَفَى حُكْمًا ثابتًا، قد لزِمَ العِبادَ فَرْضُه غير مُحْتَمَل ظاهِرِه وباطِنه غير ذلك، فَأمَّا ما احتَمَلَ غير ذلك - من أنْ يكون بمعنى الاستِثْناء أو الخُصوص والعُموم، أو المُجْمَل، أو المُفَسَّر - فَمن النَّاسِخ والمنسوخ بمَعزِلٍ، بما أغْنَى عن تكْريره في هذا الموضِع. وإلا مَنْسوخ إلاَّ المنفيّ الذي كان قد ثَبَتَ حُكْمه وفَرْضه، ولم يَصِحّ واحِد من هَذَيْنِ المعنَيَيْنِ لِقولِه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ بحُجّةٍ يجِب التّسْليم لها، فيُقال فيه: هو ناسِخ أو مَنْسوخ.

وَأَمَّا قوله: ﴿فَأَيْنَمَا﴾ فَإنَّ معناه: حَيْثُما.

وَأَمَّا قوله: ﴿تُوَلُّوا﴾ فَإنَّ الذي هو أولَى بتأويلِه أنْ يكون: تولّون نَحْوه وإليه. كما يقول القائِل: ولَّيْت وجهِي نَحْو كذا ووَلَّيْته إليه، بمعنى: قابلته وواجَهْته.

وَإِنَّما قُلْنا: ذلك أَوْلَى بتأويلِ الآية لإِجماعِ الحُجّة على أنَّ ذلك تأويله وشُذوذ مَنْ تأوّلَه بأنها بمعنى: تولّونَ عنه فتستدبرونه، فالذي تَتَوَجَّهونَ إليه وجه اللَّه، بمعنى قِبْلة اللَّه.

وقوله: ﴿تُوَلُّوا﴾ مجزومٌ بحرفِ الجزاءِ، وهو قوله: ﴿فَأَيْنَمَا﴾. وَأَمَّا قوله: ﴿فَثَمَّ﴾ فَإنَّه بمعنى: هُنالِكَ.

واختُلِفَ في تأويل قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾؛ فقال بعضهمْ: تأويل ذلك: فَثَمَّ قِبْلة اللَّه. يَعْني بذلك: وجهه الذي وجَّهَهم إليه.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨٤١ - **حدّثنا** أبو كُرَيْب، قال: حدثنا وكيع، عن النَّضر بن عَرَبيّ، عن مُجاهِد: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال: قِبْلة اللَّه [١].

١٨٤٢ - **حدّثنا** القاسِم، قال: حدثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخْبَرَني إبراهيم، عن مُجاهِد، قال: حَيْثُما كُنْتُم فَلكم قِبْلة تَسْتَقْبِلونَها [٢].

وَقال آخَرونَ: معنى قول اللَّه: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: فَثَمَّ اللَّه تَبارَكَ وتعالى.

وَقال آخَرونَ: معنى قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: فَثَمَّ تُذكِرونَ بالتَوَجُّه إليه رِضا اللَّه الذي له الوجه الكريم.

وَقالوا: عَنَى بالوجْه: ذو الوجْه.

وقال قائِلو هذه المقالة: وجه اللَّه صِفة له.

فَإنْ قال قائِل: وما هذه الآية من التي قَبْلها؟ قيلَ: هي لها مواصِلة، وإنَّما معنى ذلك: وَمَنْ أظْلَم من النّصارَى الذينَ مَنَعوا عِباد اللَّه مَساجِده أنْ يُذْكَر فيها اسمه، وسَعَوْا في خَرابها، ولِلَّه المشْرِق والمغْرِب، فَأيْنَما وجَّهتم وُجوهكُم فاذْكُروه، فَإنَّ وجهه هُنالِكَ يَسَعكُم فَضْله وأرضه وبلاده، ويَعْلَم ما تَعْمَلونَ، ولا يَمْنَعكُم تَخْريب مَنْ خَرَّبَ مساجِد اللهِ ببَيْتِ المقْدِس، ومَنْعُهم مَنْ مَنَعوا من ذِكْر اللَّه فيه - أنْ تَذْكُروا اللَّه حَيْثُ كُنْتُم من أرض اللَّه تَبْتَغونَ به وجهه.

(١) [صحيح] تقدم برقم (١٨٤٠). (٢) [صحيح] تقدم برقم (١٨٤١).

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝١١٥﴾

يَعْني بقولِه: ﴿وَٰسِعٌ﴾: يَسَع خَلْقه كُلّهم بالكِفايةِ والإفضال والجود والتّدْبير.

وَأمّا قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ فَإِنّه يَعْني أنّه عَليم بأفعالِهم لا يَغيب عنه منها شَيْء ولا يَعْزُب عنه عِلْمه، بل هو بجَميعِها عَليم.

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه:

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾

يَعْني بقولِه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ الذينَ مَنَعوا مَساجِد اللّه أنْ يُذْكَر فيها اسمه، ﴿وَقَالُواْ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾.

وَتأويل الآية: ومَنْ أظْلَم مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِد اللّه أنْ يُذْكَر فيها اسمه وسَعَى في خَرابها، وقالوا اتَّخَذَ اللّه ولَدًا. وهم النّصارَى الذينَ زَعَموا أنَّ عيسَى ابن اللّه، فَقال جَلّ ثَناؤه مُكَذِّبًا قِيْلَهم ما قالوا من ذلك ومُنْتَفِيًا مِمَّا نَحلوه وأضافوا إليه بكَذِبِهم وفِرْيَتهم-: ﴿سُبْحَٰنَهُۥۖ﴾ يَعْني بذلك جَلّ ثَناؤه: تَنْزيهًا لله وتَبْرِّيًا من أنْ يكون له ولَد، وعُلوًّا وارْتِفاعًا عن ذلك. وَقد دَلَّلْنا فيما مَضَى على معنى قول القائِل: (سُبْحان اللّه) بما أغْنَى عن إعادَته في هذا الموضِع.

ثُمّ أخْبَرَ جَلّ ثَناؤه أنَّ له ما في السّمَوات والأرض مِلْكًا وخَلْقًا، ومعنى ذلك: وكيف يكون المسيح لِلّه ولَدًا، وهو لا يَخْلو من أنْ يكون في بعض هذه الأماكِن؛ إمَّا في السّمَوات، وإمَّا في الأرض، ولِلّه مُلْك ما فيهما ولو كان المسيح ابنًا كما زَعَمْتُم لم يكُنْ كَسائِرِ ما في السّمَوات والأرض من خَلْقه وعَبيده في ظُهور آثار الصّنْعة فيه.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝١١٦﴾

اختَلَفَ أهل التأويل في قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾؛ فَقال بعضهمْ: معنى ذلك: كلٌّ له مُطيعونَ.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

١٨٤٣- **حَدّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: مُطيعونَ (١).

١٨٤٤- **وَحَدّثَني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصِم، قال: حدثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللّه عَزَّ وجَلّ: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ قال: مُطيعونَ. وقال: طاعة الكافِر في سُجود ظِلّه (٢).

١٨٤٥- **وَحَدّثَني** المُثَنّى، قال: حدثنا أبو حُذَيْفة، قال: حدثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد بمِثْلِه، إلاّ أنّه زادَ: يسْجدِ ظِلُّه وهو كارِه (٣).

---

(١)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣)[ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

١٨٤٦- **وحدثني** موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السُّدِّيّ: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ يقول: كُلٌّ له مُطيعونَ يوم القيامة (١).

١٨٤٧- **وحدثني** المُثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا يَحْيَى بن سَعيد، عَمَّنْ ذَكَرَه، عن عِكْرِمة: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ قال: الطَّاعة (٢).

١٨٤٨- **وحُدِّثت** عن المنجاب، قال: حَدَّثَنا بشر بن عِمارة، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس: ﴿قَـٰنِتُونَ﴾: مُطيعونَ (٣).

وقال آخرونَ: معنى ذلك كُلٌّ له مُقِرّونَ بالعُبودَةِ.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨٤٩- **حدّثنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا يَحْيَى بن واضِح، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن بن واقِد، عن يَزيد النّحْويّ، عن عِكْرِمة: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ قال: كُلٌّ له مُقِرّ بالعُبودَةِ (٤).

وقال آخرون بما:

١٨٥٠- **حدّثني** به المُثَنى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ يقول: كُلٌّ له قائِم يوم القيامة (٥).

وللقُنوت في كَلام العرب مَعانٍ: أحَدها الطَّاعة، والآخَر القيام، والثَّالِث الكفّ عن الكلام والإمساك عنه.

وَأولَى مَعاني القُنوت في قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾: الطَّاعة والإقرار لِلّه بالعُبودَةِ بشَهادةِ أجْسامهم بما فيها من آثار الصَّنْعة، والدَّلالة على وحْدانيّة اللّه، وأنَّ اللّه تعالى ذِكْره بارِئُها وخالِقها. وَذلك أنَّ اللّه أكْذَب الذينَ زَعَموا أنَّ لِلّه ولَدًا بقولِه: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وخَلْقًا. ثُمّ أخْبَرَ عن جَميع ما في السّمٰوات والأرض أنّها مُقِرّة بدَلالَتِها على رَبّها وخالِقها، وأنَّ اللّه تعالى بارِئُها وصانِعها - وَإنْ جَحَدَ ذلك بعضهم فَألسِنَتهم - مُذْعِنة له بالطَّاعةِ بشَهادَتِها له بآثارِ الصّنْعة التي فيها بذلك، وأنَّ المسيح أحَدهمْ، فَأنّى يكون لِلّه ولَدًا وهذه صِفَته؟

وقد زَعَمَ بعض مَنْ قَصُرَتْ معرفَته عن تَوْجيه الكلام وُجْهَته أنَّ قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ خاصّةٌ لأهلِ الطَّاعة ولَيْسَتْ بعامّةٍ. وَغير جائِز ادِّعاء خُصوص في آية عامّ ظاهِرها إلاَّ بحُجّةٍ يجِب

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[ضعيف] فيه الرواي المبهم عن عكرمة، والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وإسحاق بن الحجاج الطاحونى المقرئ مثله.

(٣)[ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث.

(٤)[ضعيف] محمد بن حميد ضعيف.

(٥)[حسن] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وقد أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن، فقال: حدثنا أبي، ثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي، ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ (كل له قائم يوم القيامة). اهـ.

التَّسْليم لها لِما قد بَيَّنَّا في كِتابنا: (كِتاب البيان عن أُصول الأحكام).

وَهذا خَبَر من اللَّه جَلّ ثناؤه عن أنَّ المسيح - الذي زَعَمَتِ النَّصارَى أنَّه ابن اللَّه - مُكَذِّبهم هو والسَّمَوات والأرض وما فيهما، إمَّا باللِّسانِ، وإمَّا بالدَّلالةِ؛ وذلك أنَّه جَلّ ثناؤه أخْبَرَ عن جَميعهم بطاعَتِهم إيَّاه وإقْرارهم له بالعُبودَةِ عَقيب قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ فَدَلَّ ذلك على صِحَّة ما قُلْنا.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مُبْدِعها. وَإنَّما هو (مُفْعِل) فصُرِفَ إلى (فَعيل)، كما صُرِفَ المُؤلِم إلى الأليم، والمُسْمِع إلى السَّميع.

وَمعنى المُبْدِع: المُنْشِئ والمُحْدِث ما لم يَسْبِقه إلى إنْشاء مِثْله وإحداثه أحَد؛ ولِذلك سُمِّيَ المُبْتَدِع في الدِّين مُبْتَدِعًا، لإحداثِه فيه ما لم يَسْبِقه إليه غيره. وَكذلك كُلّ مُحْدِث فِعْلاً أو قولاً لم يَتَقَدَّمه فيه مُتَقَدِّم، فَإنَّ العرب تُسَمِّيه مُبْتَدِعًا. وَمن ذلك قول أعْشَى بَني ثَعْلَبة في مَدْح هَوْذَة بن عَليّ الحنفيّ:

يُرْعِي إلى قول سادات الرِّجال إذا ... أبْدَوْا له الحزْم أو ما شاءَهُ ابْتَدَعا[(١)]

أيْ يُحْدِث ما شاءَ.

وَقول رُؤبة بن العجَّاج:

فَأيّها الغاشي القِذافَ الأتْيَعا
إنْ كُنْتَ لِلَّه التَّقيّ الأطوَعا
فَلَيْسَ وجه الحقّ أنْ تَبَدَّعا[(٢)]

يَعْني: أنْ تُحْدِث في الدِّين ما لم يكُنْ فيه.

---

(١)[البسيط] القائل: الأعشى (جاهلي). اللغة: يرعى: يُصغِي بسمعه إليه مفرغه لذلك. سادات: أشراف. أبدوا: أظهروا. الحَزْمُ: ضبط الإنسان أمره، والأخذ فيه بالثقة. المعنى: هذا البيت من قصيدة في مدح هوذة بن علي الحنفي، ويقول فيها أيضًا:

مَن يَرَ هَوذَةَ أَو يَحلُل بِساحَتِهِ ... يَكُن لِهَوذَةَ فيما نابَهُ تَبَعا
تَلقى لَهُ سادَةَ الأَقوام تابِعَةً ... كُلٌّ سَيَرضى بِأَن يُرعى لَهُ تَبعا
يا هَوذُ يا خَيرَ مَن يَمشي عَلى قَدَمٍ ... بَحرَ المَواهِبِ لِلوُرّادِ وَالشَرَعا

ويريد: أنه يستمع ويصغي في اهتمام بالغ إلى أشراف القوم حتى ينتهوا من كلامهم إذا أظهروا له الشدة في كلامهم، أو لم يظهروا.

(٢)[الرجز] القائل: رؤبة بن العجاج. اللغة: الغاشي: من الغِشاءِ وهو الغِطاءُ، غَشَّيْت الشيءَ تَغْشِية إذا غطَّيْته. القذاف: سرعة السير والإبعاد فيه. الأتيع: من التَّيْع، وهو ما يَسيل على وجه الأرض من جَمَد ذائب. تبدعًا: من (بدع) وبدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعًا وابْتَدَعَه: أنشأه وبدأه. المعنى: يوجه الشاعرُ خطابه لمن يسلك مسالك بعيدة عن التي تعارف الناس عليها وألفوها؛ فيقول له: يا أيها الذي يتخبط في حياته، ويبتعد ويحيد عن الطريق المستقيم؛ فلو كان في قلبك بعض التقى والطاعة لله - عزَّ وجلَّ - فليس من الحق أن تسلك تلك الطرق، وتلبس على الناس أمورهم.

فمعنى الكلام: سُبْحان اللَّه أنّى يكون له ولَد! وهو مالِك ما في السّمَوات والأرض، تَشهَد له جَميعًا بدَلالَتِها عليه بالوحدانية، وتُقِرّ له بالطَّاعةِ؛ وهو بارِئُها وخالِقها، وموجِدها من غير أصْل، ولا مِثال احتَذاها عليه!

وهذا إعْلام من اللَّه عِباده، أنَّ مِمَّا يَشهَد له بذلك المسيح الذي أضافوا إلى اللَّه بُنوَّته، وإخبار منه لهم أنَّ الذي ابْتَدَعَ السّمَوات والأرض من غير أصْل وعلى غير مِثال، هو الذي ابْتَدَعَ المسيح من غير والِد بقُدْرَتِه.

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في ذلك قال جَماعة من أهل التّأويل.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٨٥١- **حَدَّثَنا** المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول: ابْتَدَعَ خَلْقها، ولم يَشْرَكه في خَلْقها أحَد[١].

١٨٥٢- **وَحَدَّثني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عمرٌو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدّيّ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول: ابْتَدَعها فخَلَقَها، ولم يَخْلُق مِثْلها شَيْئًا يتَمَثّل به[٢].

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

يَعْني بقوله جَلّ ثَناؤه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: وإذا أحكَم أمْرًا وحَتَمَه. وأصْل كُلّ قَضاء: الإحكام والفراغ منه؛ ومن ذلك قيلَ لِلْحاكِم بين النَّاس: القاضي بينهمْ، لِفَصْلِه القضاء بين الخُصوم، وقَطْعه الحُكْم بينهم وفَراغه. وَمنه قيلَ لِلْمَيِّتِ: قد قَضَى، يُراد به فَرَغَ من الدُّنيا، وفَصَلَ منها.

وَمنه قيلَ: ما يَنْقَضي عَجَبي من فُلان، يُراد: ما يَنْقَطِع. وَمنه قيلَ: تَقَضَّى النّهار: إذا انصَرَمَ. وَمنه قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أيْ: فَصَلَ الحُكْم فيه بين عِباده بأمْرِه إيَّاهم بذلك، وكذلك قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤] أيْ: أعْلمناهم بذلك وأخْبَرْناهم به، ففَرَغْنا إليهم منه. وَمنه قول أبي ذُؤَيْب:

وَعليهما مسرودَتانِ قَضاهُما ... داود أو صَنَعُ السّوابِغ تُبَّعُ[٣]

وَيُرْوَى:

(وتَعاوَرا مسرودَتَيْنِ قَضاهُما)

---

(١)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣)[الكامل] القائل: أبو ذؤيب الهذلي. اللغة: مسرودتان: يعني: درعين، من السرد، وهو الخرز أو النسج، قد نسجت خَلْقُهما نسجًا محكمًا. قضاهما: أحكمهما. داود: هو نبي الله عليه السلام. السوابغ: يقصد بها الدروع الكاملة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ: ١١] تُبّع: اسم لكل ملك من ملوك حمير. المعنى: يصف الشاعر شجاعة أبناءه وإقدامهم وعزتهم فيقول عنهما: إنهما بطلان قد أقدما على الموت، وقد لبسا دروعًا كاملة شديدة، كأن من أحكم صنعتهم سيدنا داود عليه السلام، أو ملك تبع.

وَيَعْني بقولِه: قَضاهُما: أحكَمهما. وَمنه قول الآخَر في مَدْح عُمَر بن الخطَّاب رَضيَ اللَّه عنه:

قَضَيْتَ أُمورًا ثُمّ غادَرْت بعدها بَوائِقَ في أكْمامها لم تَفَتَّقِ[1]

وَيُرْوَى: (بَوائِج).

وَأَمَّا قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فَإنّه يَعْني بذلك: وإذا أحكَم أمْرا فَحتَمَه، فَإنّما يقول له (كُنْ)، فَيكون ذلك الأمْر على ما أمَرَه اللَّه أنْ يكون وأرادَه.

فَإنْ قال لنا قائِل: وما معنى قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾؟ وفي أيّ حال يقول لِلأمْرِ الذي يَقْضيه كُنْ؟ أفي حال عَدَمه - وتلك حال لا يجوز أمْره، إذْ كان مُحالاً أنْ يَأمُر إلاَّ المأمور، فإذا لم يكُنْ المأموم استَحالَ الأمْر؛ وكَما مُحال الأمْر من غير آمِر، فَكَذلك مُحال الأمْر من آمِر إلاَّ لِمَأمورِ - أم يقول له ذلك في حال وُجوده، وتلك حال لا يجوز أمْره فيها بالحُدوثِ، لأنّه حادِث موجود، ولا يُقال لِلموجودِ: كُنْ موجودًا. إلاَّ بغيرِ معنى الأمْر بحُدوثِ عَيْنه؟

قيلَ: قد تَنازَعَ المُتأوّلونَ معنى ذلك، ونَحْنُ مُخْبِرونَ بما قالوا فيه، والعِلَل التي بها اعْتَلَّ كُلّ قائل منهم لِقولِه في ذلك؛ فقال بعضهمْ: ذلك خَبَر من اللَّه عن أمْره المحتوم - على وجه القضاء لِمَنْ قَضَى عليه قَضاء من خَلْقه الموجودينَ - أنّه إذا أمَرَه بأمْرٍ نَفَذَ فيه قَضاؤه، ومَضَى فيه أمْره. نَظيرُ أمْره من أمْر من بَني إسرائيل بأنْ يكونوا قِرَدة خاسِئينَ، وهم موجودونَ في حال أمْره إيَّاهم بذلك، وحَتْم قَضائِه عليهم بما قَضَى فيهم، وكالذي خَسَفَ به وبِدارِه الأرض، وما أشبَه ذلك من أمْره وقَضائِه فيمَنْ كان موجودًا من خَلْقه في حال أمْره المحتوم عليه. فَوَجَّه قائِلو هذا القول قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ إلى الخُصوص دون العُموم.

وَقال آخَرونَ: بل الآية عامّ ظاهِرها، فَلَيْسَ لأحَدِ أنْ يُحيلها إلى باطِن بغيرِ حُجّة يجِب التّسْليم لها. وقال: إنَّ اللَّه جل ثناؤه عالِم بكُلِّ ما هو كائِن قَبْل كَوْنه. فَلَمَّا كان ذلك كذلك كانتِ الأشياء التي لم تَكُنْ - وهيَ كائِنة لِعِلْمِه بها قَبْل كَوْنها - نَظائِر التي هي موجودة، فَجازَ أنْ يقول لها: (كوني)، ويَأمُرها بالخُروجِ من حال العدَم إلى حال الوُجود، لِتَصَوُّرِ جَميعها له،

---

[1] (الطويل) القائل: الشماخ الذبياني. روي البيت في ديوانه:

قَضَيتَ أُمورًا ثُمَّ غادَرتَ بَعدَها بَوائِجَ في أَكمامِها لَم تُفَتَّقِ

اللغة: البوائق: جمع (بائقة) وهي الداهية المنكرة التي فتحت ثغرة لا تُسَدُّ. الأكمام: جمع كُم (بضم الكاف وكسرها) وهو غلاف الثمرة قبل أن تنشق عنه. لم تفتق: لم تنشق. بوائج جمع بائجة: وهي الداهية الَتي تنفتق انفتاقا مُنكرًا فتعم الناس، وتَتابعت عليهم شرورها من قولهم: باج البرق وانباج وتبوج: إذا لمع وتكشف وعم السحاب، وانتشر ضوءه. المعنى: يرثي الشاعر في تلك القصيدة أميرَ المؤمنين عمر بن الخطاب: قد حكمت وفصلت بعض الأمور ثم غادرت بعدها، وكان وداعك شديدًا مثل الداهية، ولكنها لم تنفتق انفتاقًا منكرًا فتعم الناس، وتتابعت عليهم شرورها.

ولِعِلْمِه بها في حال العدَم.

وَقال آخَرونَ: بل الآية وإنْ كان ظاهِرها ظاهِر عُموم، فَتأويلها الخُصوص؛ لأنَّ الأمْر غير جائِز إلاَّ لِمَأمورِ على ما وصَفْت قَبْل. قالوا: وإذا كان ذلك كذلك، فالآية تأويلها: وإذا قَضَى أمْرًا؛ من إحياء مَيِّت، أو إماتة حَيّ، ونَحْو ذلك، فَإنَّما يقول لِحَيِّ كُنْ مَيِّتًا، ولِلمَيِّتِ كُنْ حَيًّا، وما أشبَه ذلك من الأمْر.

وَقال آخَرونَ: بل ذلك من اللَّه جل ثناؤه خَبَر عن جَميع ما يُنْشِئه ويُكَوِّنه أنَّه إذا قَضاه وخَلَقَه وأنْشَأه كان ووُجِدَ. وَلا قول هُنالِكَ عند قائِلي هذه المقالة إلاَّ وُجود المخْلوق، وحُدوث المقْضيّ. وقالوا: إنَّما قول اللَّه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ نَظيرُ قول القائِل: قال فُلان بِرَأسِه، وقال بيَدِه؛ إذا حَرَّكَ رَأسه أو أومَأ بيَدِه ولم يَقُلْ شَيْئًا. وَكَما قال أبو النَّجم:

قد قالتِ الأنْساعُ لِلْبَطْنِ الحَقِ
قِدْمًا فَآضَتْ كالفنيقِ المُحْنِق[(١)]

وَلا قول هُنالِكَ، وإنَّما عَنَى أنَّ الظَّهْر قد لَحِقَ بالبطْنِ. وَكَما قال عمرو بن حُمَمة الدَّوْسيّ:

فَأصْبَحْتُ مِثْل النَّسْر طارَتْ فِراخه ... إذا رامَ تَطْيارًا يُقال له قَعِ[(٢)]

وَلا قول هُناكَ، وإنَّما معناه: إذا رامَ طَيَرانًا ووَقَعَ، وكَما قال الآخَر:

امْتَلأ الحوْض وقال قَطْني
مهلاً رَوَيْدًا قد مَلأتَ بَطْني[(٣)]

وَأولَى الأقْوال بالصّوابِ في قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أنْ يُقال: هو عامّ في كُلّ ما قَضاه اللَّه ودبَّره، لأنَّ ظاهِر ذلك ظاهِر عُموم، وغير جائِز إحالة الظَّاهِر إلى الباطِن من التَّأويل بغيرِ بُرْهان لِما قد بَيَّنَّا في كِتابنا: (كِتاب البيان عن أُصول الأحكام). وَإذْ كان ذلك كذلك، فَأمْرُ اللَّه تعالى ذكره لِلشَّيْءِ إذا أرادَ تَكْوينَه موجودًا بقولِه: ﴿كُن﴾ في حال إرادَته جل ثناؤه إيَّاه مُكَوَّنًا، لا يَتَقَدَّم وُجودَ الذي أرادَ إيجاده وتَكْوينَه إرادَته إيَّاه، ولا أمْرَه بالكوْنِ والوُجود

---

(١)[الرجز] القائل: أبو النجم العجلي. اللغة: لحق البطن يلحق لحوقًا: ضمر. أي: قالت سيور التصدير لبطن الناقة: كن ضامرًا. يعني بذلك: ما أضناها من السير. قِدْمًا، أي: منذ القدم. آض: صار ورجع. الفنيق: الجمل الفحل المودعَ للفِحلة، لا يُركب ولا يُهان لكرامته عليهم، فهو ضخم شديد التركيب. المحنق: الضامر القليل اللحم. الإحناق: لزوق البطن بالصلب. المعنى: هذا الرجز يصف فيه الشاعر ناقة أنضاها السير فيقول: إن الناقة كانت ضامرة البطن قد أضناها السير، ثم عادت ورجعت كالجمل الضخم قليل اللحم.

(٢) القائل: (عامر العَدواني)، أو (عمرو بن حممة الدوسي). اللغة: فراخه: الفَرْخ ولد الطائر. رام، يُقال: رام الشيءَ يَرومُهُ رَوْمًا ومَرامًا: طلبه. قع، المراد: وقع. المعنى: يقول الشاعر: أنه أصبح كالنَّسر الذي طارت أولاده وكبرت، وأصبح هو غير قادر على الطير، ولو أراد أن يطير يقع؛ لأنه لم يصبح كسابق عهده.

(٣)[الرجز] القائل: لم أهتدِ لقائله. اللغة: قطني: حسبي وكفاني. سلا: كأنه من قولهم: انسل السيل: وذلك أول ما يبتدئ حين يسّيل، قبل أن يشتد. كأنه يقول: صبًا رويدًا. المعنى: يقول الشاعر: إن الحوض قد امتلأ، وأنه قد بلغ من الامتلاء الحد الذي لو نطق لقال: يكفيني، فقد امتلأت، بطني.

- ولا يَتأخَّر عنه. فَغير جائِزٍ أنْ يكون الشَّيْء مَأمورًا بالوُجودِ مُرادًا كذلك إلاَّ وهو موجود، ولا أنْ يكون موجودًا إلاَّ وهو مَأمور بالوُجودِ مُراد كذلك. وَنَظير قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾[الروم: ٢٥] بأنَّ خُروج القوْم من قُبورهم لا يَتقدَّم دُعاء اللَّه إياهم ولا يَتأخَّر عنه.

وَيُسْأَل مَنْ زَعَمَ أنَّ قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ خاصّ في التَّأويل - اعتِلالاً بأنَّ أمْرَ غير الموجود غير جائِز - عن دَعْوة أهل القُبور قَبْل خُروجهم من قُبورهمْ، أم بعده؟ أم هي في خاصّ من الخلْق؟ فَلَنْ يقول في ذلك قولاً إلاَّ أُلْزِم في الآخَر مِثْله.

وَأمَّا الذينَ زَعَموا أنَّ معنى قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ نظير قول القائِل: قال فُلان برَأسِه أو بيَدِه، إذا حَرَّكَه وأومَأ، ونَظير قول الشَّاعِر مخبرًا عن ناقتِه:

تَقول إذا دَرَأْتُ لها وَضِيني ... أهذا دينُه أبَدًا وديني(١)

وَما أشبَه ذلك، فَإنَّهم لا صَواب اللُّغة أصابوا ولا كِتاب اللَّه، وما دَلَّتْ على صِحَّته الأدِلَّة اتَّبَعوا. فَيُقال لِقائِلي ذلك: إنَّ اللَّه تعالى ذِكْره أَخْبَرَ عن نَفْسه أنَّه إذا قَضَى أمْرًا قال له: (كُنْ). أفَتُنْكِرونَ أنْ يكون قائِلاً ذلك؟ فَإنْ أنْكَروه كذَّبوا بالقُرْآنِ، وخَرَجوا من المِلَّة.

وإنْ قالوا: بل نُقِرّ به، ولَكِنَّا نَزْعُم أنَّ ذلك نَظير قول القائِل: قال الحائِط فَمال. ولا قول هُنالِكَ، وإنَّما ذلك خَبَر عن مَيْل الحائِط.

قيلَ لهم: أفَتُجيزونَ لِلْمُخْبِرِ عن الحائِط بالمَيْلِ أنْ يقول: إنَّما قول الحائِط إذا أرادَ أنْ يَميل أنْ يقول هَكَذا فَيَميل؟ فَإنْ أجازوا ذلك، خَرَجوا من معروف كَلام العرب، وخالَفوا مَنْطِقها وما يُعْرَف في لِسانها.

وَإنْ قالوا: ذلك غير جائِز. قيلَ لهم: إنَّ اللَّه تعالى ذِكْره أَخْبَرَهم عن نَفْسه أنَّ قوله لِلشَّيْءِ إذا أرادَه أنْ يقول له كُنْ فَيكون، فَأعْلَم عِباده قوله الذي يكون به الشَّيْء ووَصَفَه ووَكَّدَه. وَذلك عندكُم غير جائِز في العِبارة عَمَّا لا كَلام له ولا بَيان في مِثْل قول القائِل: قال الحائِط فَمالَ. فكيف لم تَعْلَموا بذلك فَرْق ما بين قول اللَّه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وقول القائِل: قال الحائِط فَمالَ؟ ولِلْبَيانِ عن فَساد هذه المقالة موضِع غير هذا نَأتي فيه على القول بما فيه الكِفاية إنْ شاءَ اللَّه.

(١)[الوافر] القائل: المثقب العبدي. اللغة: الوضين: حزام عريض من جلد منسوج يشد به رَحلِ البعير. ودرأ الوضين لناقته: بسطه على الأرض، ثم أبركها عليه ليشد عليها رحلها. وفي حديث عمر رضي اللَّه عنه أنه صَلَّى المَغرِبَ، فلما انْصَرَفَ دَرَأَ جُمْعةً من حَصَى المسجد، وأَلْقَى عَلَيْها رِدَاءَهُ، واسْتَلْقَى، أي: سَوَّاها بيدِه وبَسَطَها. ومنه قولهم: يا جارِيةُ ادْرَئِي إلَيَّ الوِسادَةَ؛ أي: ابْسُطِي. والدين: الدأب، والدِّين أيضًا: العادة، تقول العرب: ما زال دِيني ودَيدني، أي: عادتي. المعنى: يشير الشاعر بقوله هذا إلى ما استمرت به عادته مع ناقته؛ بحيث يبسط لها الوضين على الأرض ثم يُبركها عليه ليشد عليها رحله، لكن الناقة تستنكر عليه ذلك بأنه ليس من عادته معها، فهذه الحكاية كلها عن ناقته من المجاز المباعِد للحقيقة، وإنما أراد الشاعر أن الناقة لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول.

وَإذا كان الأمر في قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ هو ما وصَفْنا من أنّ حال أمْره الشّيْءَ بالوُجودِ حال وُجود المأمور بالوُجودِ، فبين بذلك أنّ الذي هو أولَى بقولِه: ﴿فَيَكُونُ﴾ أن يكون رُفِعَ على العطْف على قوله: ﴿يَقُولُ﴾ لأنَّ القول والكوْن حالهما واحِد. وَهوَ نَظير قول القائِل: تابَ فُلان فاهْتَدَى، واهْتَدَى فُلان فَتابَ. لأنَّه لا يكون تائِبًا إلاَّ وهو مُهْتَدٍ، ولا مُهْتَديًا إلاَّ وهو تائِب. فَكَذلك لا يكون أنْ يكون اللَّه آمِرًا شَيْئًا بالوُجودِ إلاَّ وهو موجود، ولا موجودًا إلاَّ وهو آمِره بالوُجودِ.

ولِذلك استَجازَ مَنْ استَجازَ نَصْب (فَيكونَ) مَنْ قَرأ: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونَ﴾ [النحل: ٤٠] بالمعنى الذي وصَفْنا على معنى: أنْ نَقولَ فَيكونَ.

وَأَمّا رَفع مَنْ رَفَعَ ذلك، فَإنَّه رَأى أنَّ الخبَر قد تَمَّ عند قوله: ﴿إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ إذْ كان معلومًا أنَّ اللَّه إذا حَتَمَ قَضاءَه على شَيْء كان المحتوم عليه موجودًا، ثُمّ ابْتَدأ بقولِه: ﴿فَيَكُونُ﴾، كما قال جَلّ ثَناؤه: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: ٥]، وكَما قال ابن أحمَر:

يُعالِج عاقِرًا أعْيَتْ عليه ... لِيُلْقِحها فَيُنْتِجها حوارًا[١]

يُريد: فَإذا هو يُنْتِجها حوارًا.

فَمعنى الآية: وقالوا اتَّخذَ اللَّه ولَدًا سُبْحانه أنْ يكون له ولَد بل هو مالِك السّمَوات والأرض وما فيهما، كُلّ ذلك له مُقِرّ بالعُبوديّةِ بدَلالَتِه على وخدانيّته. فأنّى يكون له ولَد، وهو ابْتَدعَ السّمَوات والأرض من غير أصْل، كما الذي ابْتَدعَ المسيح من غير والِد بقُدْرَتِه وسُلْطانه، الذي لا يَتَعَذَّر عليه به شَيْء أرادَه! بل إنَّما يقول له إذا قَضاه فَأرادَ تَكْوينَه: (كُنْ). فَيكون موجودًا كما أرادَه وشاءَه. فَكَذلك كان ابْتِداعه المسيح وإنْشاءُه إذْ أرادَ خَلْقه من غير والِد.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ﴾

اختَلَفَ أهل التأويل فيمَنْ عَنَى اللَّه بقولِه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ فَقال بعضهمْ: عَنَى الله بذلك النّصارَى.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٨٥٣- **حدّثني** مُحمّد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح،

---

(١)[الوافر] القائل: عمرو بن أحمر الباهلي. روي: (يُعالِجُ عاقِرًا عاصَت عَلَيهِ). اللغة: امرأةٌ عاقِرٌ وعُقَرَةٌ: لا تَحمِل، والمصدر: العُقْر، والفعل: عَقِرَتْ، وَعَقُرَتْ، وعُقِرَتْ. أعيت عليه، أي: التوت عليه. والحُوار: ولد البقرة. المعنى: هذا البيت من قصيدة قد قالها في صديق له، يقول فيه:

أرانا لا يزال لنا حميم ... كداء البطن سِلا أو صُفارا
يعالج عاقرا أعيت عليه ... ليلقحها، فينتجها حوارا
ويزعم أنه ناز علينا ... بشرته فتاركنا تبارا

فجعل هذا الصديق كداء البطن لا يدري من أين يهيج ولا كيف يتأتى له، وهو يعالج من الشر ما لا يقدر عليه، فكأنه يطلب الولد من عاقر، جعل ذلك مثلاً.

عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ قال: النّصارَى تَقوله[(١)].

١٨٥٤ - وحَدَّثني المُثَنّى، قال: حدثنا أبو حُذَيفة، قال: حدثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله؛ وزادَ فيه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: النّصارَى[(٢)].

وَقال آخَرونَ: بل عَنَى اللَّه بذلك اليهودَ الذينَ كانوا في زَمان رَسول اللَّه ﷺ.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨٥٥ - حَدَّثَنا أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا يونُس بن بُكَيْر، وَحَدَّثَنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنا سَلَمة بن الفضل، قالا جَميعًا: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولى زيد بن ثابت، قال: حَدَّثَني سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: قال رافِع بن حُرَيْمِلة لِرَسولِ اللَّه ﷺ: إنْ كُنْتَ رَسولاً من عند اللَّه كما تَقول، فَقُلْ لِلَّه فَلْيُكَلِّمْنَا حتّى نَسْمَع كَلامه! فَأنْزَلَ اللَّه في ذلك من قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ الآية كُلّها[(٣)].

وَقال آخَرونَ: بل عَنَى الله بذلك مُشْرِكي العرب.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨٥٦ - حَدَّثَنا بشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾: وهم كُفّار العرب[(٤)].

١٨٥٧ - وحَدَّثني المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ قال: هم كُفّار العرب[(٥)].

١٨٥٨ - وحَدَّثني موسَى، قال: حَدَّثَنا عمرٌو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدّيّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾: أمّا الذينَ لا يَعْلَمونَ: فَهم العرب[(٦)].

وَأولَى هذه الأقوال بالصِّحّةِ والصّواب قول القائِل: إنَّ اللَّه تعالى ذكره عَنَى بقولِه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النّصارَى دون غيرهِمْ؛ لأنَّ ذلك في سياق خَبَر اللَّه عنهم، وعن افترائِهم عليه

---

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[حسن] تقدم قبله، المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٣)[ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول.

(٤)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٥)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٦)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

وادِّعائِهم له ولَدًا. فَقال جَلّ ثَناؤه مُخبِرًا عنهم فيما أَخْبَرَ عنهم من ضَلالَتهم أنَّهم مع افتِرائِهم على اللَّه الكذِبِ بقولِه: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ تَمَنَّوْا على اللَّه الأباطيل، فَقالوا جَهْلاً منهم باللَّه وبِمَنْزِلَتِهم عنده وهم باللَّه مُشرِكونَ: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ كما يُكلِّم رَسوله وأنبياءَه، ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ﴾ كما أتَتْهم! ولا يَنْبَغي للَّهِ أنْ يُكلِّم إلاَّ أولياءَه، ولا يُؤتي آية مُعجِزة على دَعْوَى مُدَّعٍ إلاَّ لِمَنْ كان مُحِقًّا في دَعْواه وداعيًا إلى دينه وتَوْحيده. فَأمَّا مَنْ كان كاذِبًا في دَعْواه وداعيًا إلى الفِرْية عليه وادِّعاء البنينَ والبنات له، فَغير جائِز أنْ يُكلِّمه جَلّ ثَناؤه، أو يُؤتيه آية مُعْجِزة تَكون مُؤَيِّدة كذِبه وفِرْيَته عليه.

فأما الزَّاعِم أنَّ اللَّه عَنَى بقولِه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ العرب، فَإنَّه قائِل قولاً لا خَبَر بصِحَّتِه ولا بُرْهان على حَقيقَته في ظاهِر الكِتاب.

والقول إذا صارَ إلى ذلك كان واضِحًا خَطَؤُه، لأنَّه ادَّعَى ما لا بُرْهان على صِحَّته، وادِّعاء مِثْل ذلك لَنْ يَتَعَذَّر على أحَد.

وَأمَّا معنى قوله: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ فَإنَّه بمعنى: هَلاَّ يُكَلِّمنا اللَّه. كما قال الأشهَب بن رُمَيْلة:

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفضَلَ مَجْدِكم ... بَني ضَوْطَرَى لولا الكميَّ المُقَنَّعا[(١)]

يعني: فَهَلاَّ تَعُدّونَ الكميَّ المُقَنَّع؟ وكما:

١٨٥٩ - **حدّثنا** الحسَنُ بن يَحيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ قال: فَهَلاَّ يُكلِّمنا اللَّه[(٢)].

وأمَّا (الآية) فقد بينت فيما مضى قَبْل أنها العلامة، وَإنَّما أخبَرَ اللَّه عنهم أنَّهم قالوا: هَلاَّ تأتينا آية على ما نُريده ونَسْأل، كما أتَتِ الأنبياءَ والرُّسُلَ. فقال جل ثناؤه: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ﴾.

---

(١)[الطويل] القائل: جرير بن عطية. وقيل: الأشهب بن رميلة. اللغة: العقر: مصدر عقر الناقة بالسيف من باب ضرب؛ إذا ضرب قوائمها به. قال في (المصباح): لا يطلق العقر في غير القوائم، وربما قيل: عقر البعير: إذا نحره. و(النيب): جمع ناب، وهي الناقة المسنة. و(المجد): العز والشرف. و(بني ضوطرى): منادى بإضمار (يا)، قال ابن الأثير في (المرصع): بنو ضوطرى، ويقال فيه: أبو ضوطرى وهو ذم وسب. وقال: وضوطرى هو الرجل الضخم اللئيم الذي لا غناء عنده، وكذلك الضوطر والضيطر. ومثله في (سفر السعادة)؛ وزاد ضيطارًا، وقال: وجمع ضيطار: ضياطرة. وقال حمزة بن الحسين: العرب تقول: يا ابن ضوطر، أي: يا ابن الأمة. وقال اللخمي: الضوطر: المرأة الحمقاء. و(الكمي): الشجاع المتكمي في سلاحه؛ لأنه كمى نفسه، أي: سترها بالدرع؛ كذا في (الصحاح). و(المقنع) بصيغة اسم المفعول: الذي على رأسه البيضة والمِغفَر. المعنى: هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق؛ وحاصل المعنى: أنكم تعدون عقر الإبل المسنة التي لا يُنتفعُ بها ولا يُرجَى نسلها أفضل مجدكم، هلا تعدُّون قتل الشجعانِ أفضل مجدكم؟ وهذا تعريض بجبنهم وضعفهم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران.

(٢)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾

اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾، فقال بعضهم في ذلك بما:

١٨٦٠- حدثني مُحَمَّد بن عمرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ﴾: هم اليهود(١).

١٨٦١- وحدثني المُثَنى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾: اليهود(٢).

وقال آخرونَ: هم اليهود والنصارَى، لأنَّ الذينَ لا يَعْلَمونَ هم العرب.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨٦٢- حدثنا بشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيع، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ يَعْني اليهود والنصارَى وغيرهمْ(٣).

١٨٦٣- وحدثني موسَى، قال: حَدَّثَنا عمرٌو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: قالوا -يَعْني العرب- كما قالتِ اليهود والنصارَى من قَبْلهمْ(٤).

١٨٦٤- وحدثني المُثَنى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ﴾ يَعْني اليهود والنصارَى(٥).

قال أبو جعفر: قد دَلَّلْنا على أنَّ الذينَ عَنَى اللَّه تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ هم النَّصارَى، فالذينَ قالتْ النصارى مِثْل قولهم هم اليهود؛ لأن اليهودَ سَألَتْ موسَى عليه السلام أنْ يُريَهم رَبّهم جَهْرة، وأنْ يُسْمِعهم كَلام رَبّهمْ - كما قد بَيَّنَّا فيما مَضَى من كِتابنا هذا - وسَألوا من الآيات ما لَيسَ لهم مسألته تَحَكُّمًا منهم على رَبّهمْ، وكذلك تَمَنَّتِ النَّصارَى على رَبّها تَحَكُّمًا منها عليه أنْ يُسْمِعهم كَلامه ويُريَهم ما أرادوا من الآيات. فَأَخْبَرَ اللَّه جَلّ ثَناؤه عنهم أنَّهم قالوا من القول في ذلك مِثْل الذي قالته اليهود وتَمَنَّتْ على رَبّها مِثْل أمانيها، وأنَّ قولهم الذي قالوه من ذلك إنَّما يُشابِه قول اليهود من أجْل تَشابُه قُلوبهم في الضَّلالة والكُفر

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٥)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

باللَّه. فَهم وإنْ اختلَفَتْ مَذاهِبهم في كذِبهم على اللَّه وافتِرائِهم عليه، فقُلوبهم مُتشابِهة في الكُفْر برَبِّهم والفِرْية عليه، وتَحَكُّمهم على أنبياء اللَّه ورُسُله عليهم السّلام. وبمثل ما قُلْنا في ذلك قال مُجاهِد.

١٨٦٥- حدّثني المُثنّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قُلوب النّصارَى واليهود [(١)].

وَقال غيره: معنى ذلك تَشابَهَتْ قُلوب كُفَّار العرب واليهود والنّصارَى وغيرهمْ.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٨٦٦- حدّثنا بشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يَعْني العرب واليهود والنّصارَى وغيرهمْ [(٢)].

١٨٦٧- وحدّثني المُثنّى، حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع مثله [(٣)].

وَغير جائِز في قوله: ﴿تَشَٰبَهَتْ﴾ التّثقيل، لأنَّ التّاء في أوّلها زائِدة أُدْخِلَتْ في لقوله: (تفاعَلَ)، فإنْ ثُقِّلَتْ صارَتْ تاءَيْنِ؛ ولا يجوز إدْخال تاءَيْنِ زائِدَتَيْنِ عَلامة لِمعنى واحِد، وإنّما يجوز ذلك في الاستِقْبال لاختِلافِ معنى دُخولهما، لأنَّ إحداهُما تَدْخُل عَلَمًا لِلإستِقْبالِ، والأُخْرَى منهما التي في (تَفاعَلَ)، ثُمّ تُدْغَم إحداهُما في الأُخْرَى فَتُثَقَّل فيُقال: تَشابَهَ بعد اليوم قُلوبنا.

فَمعنى الآية: وقالتِ النّصارَى الجُهَّال باللَّه وبِعَظَمَتِه: هَلاَّ يُكَلِّمنا اللَّه رَبّنا كما كَلَّمَ أنبياءَه ورُسُله، أو تَجيئنا عَلامة من اللَّه نَعْرِف بها صِدْق ما نَحْنُ عليه على ما نَسْأل ونُريد؟ قال اللَّه جَلّ ثَناؤه: فَكَما قال هؤلاء الجَهَلة من النّصارَى وتَمَنّوْا على رَبّهمْ، قال مَنْ قَبْلهم من اليهود، فَسَألوا رَبّهم أنْ يُريَهم نَفْسه جَهْرة، ويُؤتيَهم آية، واحتَكَموا عليه وعلى رُسُله، وتَمَنّوْا الأمانيّ. فاشْتَبَهَتْ قُلوب اليهود والنّصارَى في تَمَرُّدهم على اللَّه وقِلّة معرِفَتهم بعَظَمَتِه وجُرْأتهم على أنْبيائِه ورُسُله، كما اشْتَبَهَتْ أقْوالهم التي قالوها.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾

يَعْني بقوله جَلّ ثَناؤه: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: قد بَيّنّا العلامات التي من أجْلها غَضِبَ اللَّه على اليهود وجَعَلَ منهم القِرَدة والخنازير، وأعَدَّ لهم العذاب المُهين في مَعادهمْ، والتي من أجْلها أخْزَى اللَّه النّصارَى في الدُّنْيا، وأعَدَّ لهم الخِزْي والعذاب الأليم في الآخِرة،

---

(١)[ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٢)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

والتي من أجْلها جَعَلَ سُكَّان الجِنان الذينَ أسلَموا وُجوهَهم لِلَّه وهم مُحْسِنونَ - في هذه السّورة وغيرها. فَأَعْلِموا الأسباب التي من أجْلها استَحَقَّ كُلّ فَريق منهم من اللَّه ما فَعَلَ به من ذلك، وخَصَّ اللَّه بذلك القوْمَ الذينَ يوقِنونَ؛ لأنَّهم هم أهل التّثَبُّت في الأُمور، والطَّالِبونَ معرفة حَقائِق الأشياء على يَقين وصِحّة. فَأخْبَرَ اللَّه جَلّ ثَناؤه أنّه بَيَّنَ لِمَنْ كانتْ هذه الصِّفة صِفَته ما بَيَّنَ من ذلك ليَزولَ شَكّه، ويَعْلَم حَقيقة الأمْر؛ إذْ كان ذلك خَبَرًا من اللَّه جَلّ ثَناؤه، وخَبَر اللَّه الخبر الذي لا يُعْذَر سامِعه بالشّكّ فيه. وَقد يَحْتَمِل غيره من الأخْبار ما يَحْتَمِل من الأسباب العارِضة فيه من السّهْو والغلَط والكذِب، وذلك مَنْفيّ عن خَبَر اللَّه.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

وَمعنى قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: إنَّا أرسَلْناك يا مُحَمَّد بالإسلام الذي لا أقْبَل من أحَد غيره من الأدْيان وهو الحقّ، مُبَشِّرًا مَنْ اتَّبَعَك فَأطاعَك وقَبِلَ منك ما دَعَوْته إليه من الحقّ، بالنّصْرِ في الدُّنْيا، والظّفر بالثّوابِ في الآخِرة، والنّعيم المُقيم فيها؛ ومُنْذِرًا مَنْ عَصاك فَخالَفَك ورَدَّ عليك ما دَعَوْته إليه من الحقّ بالخِزْيِ في الدُّنْيا، والذُّلّ فيها، والعذاب المُهين في الآخِرة.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٩﴾

وَقال أبو جَعْفَرٍ: قَرَأتْ عامّة القرأة: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ بضَمّ التّاء من ﴿تُسْـَٔلُ﴾ ورَفْع اللّام منها على الخبَر، بمعنى: يا مُحَمَّد إنَّا أرسَلْناك بالحقّ بَشيرًا ونَذيرًا، فَبَلِّغْ ما أُرْسِلْت به، فإنَّما عليك البلاغ والإنْذار، ولَسْت مسئولاً عَمَّنْ كَفَرَ بما أتَيْته به من الحقّ فكان من أهل الجحيم.

وَقَرَأ ذلك بعض أهل المدينة: (ولا تَسْألْ) جَزْمًا بمعنى النّهْي مَفْتوح التّاء من (تَسْألْ)، وبجَزْم اللّام منها. وَمعنى ذلك على قِراءة هؤلاء: إنَّا أرسَلْناك بالحقّ بَشيرًا ونَذيرًا لِتُبَلِّغ ما أُرْسِلْت به، لا لِتُسْأل عن أصْحاب الجحيم، فلا تُسْأل عن حالهِمْ.

وتأوّل الذين قَرءوا هذه القِراءة ما:

١٨٦٨- **حدّثنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا وكيع، عن موسَى بن عُبَيْدة، عن مُحَمَّد بن كَعْب، قال: قال رَسول اللَّه ﷺ: **«لَيتَ شِعْري ما فَعَلَ أبوايَ!»** فَنَزَلَتْ (ولا تَسْألْ عن أصحابِ الجحيم)[(١)].

١٨٦٩- **وحدّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا الثّوْريّ، عن موسَى بن عُبَيْدة عن مُحَمَّد بن كَعْب القُرَظيّ، قال: قال رَسول اللَّه ﷺ: **«لَيتَ شِعْري ما فَعَلَ أبوايَ! لَيتَ شِعْري ما فَعَلَ أبوايَ! لَيتَ شِعْري ما فَعَلَ أبوايَ!»** فَنَزَلَتْ: (إنا أرسَلْناك بالحقّ بشيرًا ونذيرًا ولا تَسْألْ عن أصحابِ الجحيم) فما ذَكَرهما حتَى تَوَفَّاه اللَّه[(٢)].

(١)[ضعيف] القرظي عن النبي ﷺ مرسل.

(٢)[ضعيف] تقدم قبله.

١٨٧٠- **وحدثني** القاسِم قال: حَدَّثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثنا حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخْبَرَني داود بن أبي عاصِم، أنَّ النَّبيّ ﷺ قال ذات يوم: «**لَيتَ شِعْري أيْنَ أبَوايَ؟**» فَنَزَلَتْ: (إنا أرسَلْناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا ولا تَسْألْ عن أصحابِ الجحيم) [١].

والصّواب عندي من القِراءة في ذلك قِراءة مَنْ قَرأ بالرّفْع على الخبَر؛ لأنَّ اللَّه جَلّ ثناؤه قَصّ قَصَص أقْوام من اليهود والنّصارَى، وذَكَرَ ضَلالَتهِمْ، وكُفْرهم باللَّه، وجَراءَتهم على أنبيائِه، ثُمّ قال لِنَبيِّه ﷺ: إنَّا أرسَلْناك يا مُحَمَّد بَشيرًا مَنْ آمَنَ بك واتَّبَعَك مِمَّنْ قَصَصْتُ عليك أنْباءَه ومَنْ لم أقْصُصْ عليك أنْباءَه، ونَذيرًا مَنْ كَفَرَ بك وخالَفَك، فَبَلِّغْ رِسالَتي، فَلَيْسَ عليك من أعْمال مَنْ كَفَرَ بك - بعد إبلاغك إيَّاه رِسالَتي - تَبِعة، ولا أنت مسئول عَمَّا عمل بعد ذلك. وَلم يجْرِ لِمسألةِ رَسول اللَّه ﷺ رَبَّه عن أصْحاب الجحيم ذِكْر، فيكون لِقولِه: (ولا تَسْألْ عن أصحابِ الجحيم) وجه يوَجَّه إليه. وَإنَّما الكلام موَجَّه معناه إلى ما دَلَّ عليه ظاهِره المفهوم، حتّى تأتي دَلالة بَيِّنة تَقوم بها الحُجّة على أنَّ المُراد به غير ما دَلَّ عليه ظاهِره؛ فَيكون حينَئِذٍ مُسَلَّمًا لِلْحُجّةِ الثّابِتة بذلك. وَلا خَبَر تَقوم به الحُجّة على أنَّ النّبيّ ﷺ نُهِى عن أنْ يَسْأل في هذه الآية عن أصْحاب الجحيم، ولا دَلالة تَدُلّ على أنَّ ذلك كذلك في ظاهِر التّنْزيل. فالواجِب أنْ يكون تأويل ذلك الخبَر عما ما مَضَى ذِكْره قَبْل هذه الآية وعَمَّنْ ذُكِرَ بعدها من اليهود والنّصارَى وغيرهم من أهل الكُفْر، دون النّهْي عن المسألة عنهم.

فَإنْ ظَنّ ظانّ أنَّ الخبَر الذي رويَ عن مُحَمَّد بن كَعْب صَحيح، فَإنَّ في استِحالة الشّكّ من الرّسول ﷺ - في أنَّ أهل الشِّرْك من أهل الجحيم، وأنَّ أبَوَيْه كانا منهم - ما يَدْفَع صِحّة ما قاله مُحَمَّد بن كَعْب إنْ كان الخبَر عنه صَحيحًا، مع أنَّ في ابْتِداء اللَّه الخبَر بعد قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بالواوِ بقولِه: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾، وتَرْكِه وَصْلَ ذلك بأوّلِه بالفاءِ، وأنْ يقول: (إنا أرسَلْناك بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا فلا تَسْألْ عن أصحابِ الجحيم)، أوضَحَ الدّلائِل على أنَّ الخبَر بقولِه: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾، أولَى من النّهْي، والرّفْع أولَى به من الجزْم.

وَقد ذُكِرَ أنَّها في قِراءة أُبَيّ: (وما تُسْألُ) وفي قِراءة ابن مسعود: (ولن تُسْألَ) وكِلْتا هاتَيْنِ القِراءَتَيْنِ تَشْهَد بالرّفْع والخبَر فيه بالصحة، دون النّهْي.

وَقد كان بعض نَحْويّي البصْرة يوَجِّه قوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ إلى الحال، كَأنَّه كان يَرَى أنَّ معناه: إنَّا أرسَلْناك بالحقِّ بَشيرًا ونَذيرًا غير مسئول عن أصْحاب الجحيم. وَذلك إذا ضَمَّ التَّاء، وقَرَأه على معنى الخبَر، وكان يُجيز على ذلك قِراءَته: (ولا تَسْألُ)، بفَتْح التّاء وضَمّ اللاّم على وجه الخبَر أيضًا: بمعنى إنَّا أرسَلْناك بالحقِّ بَشيرًا ونَذيرًا، غير سائِل عن أصْحاب الجحيم.

وَقد بَيَّنَّا الصّواب عندنا في ذلك.

---

(١)[ضعيف] داود بن أبي عاصم عن النبي ﷺ مرسل.

وَهذانِ القولانِ اللّذانِ ذَكَرْتهما عن البصْريّ في ذلك تَدْفَعهُما ما رويَ عن ابن مسعود وأُبَيّ من القِراءة؛ لأنّ إدْخالهما ما أدْخَلا في ذلك من ما ولَن يَدُلّ على انقِطاع الكلام عن أوّله وابتِداء قوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ وإذا كان ابتِداء لم يكُنْ حالاً.

وَأمّا أصْحاب الجحيم، فإنهم أهلُ الجحيمُ، والجحيمُ هي النّار بعَيْنِها إذا شَبّتْ وقودها، ومنه قول أُمَيّة بن أبي الصّلْت:

إذا شَـبَّـتْ جَـهَـنَّـم ثُـمّ دارَتْ وأعْرَضَ عن قَوابِسها الجحيم[(١)]

القول في تأويل قوله جَلّ ثناؤه:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ﴾: ولَيْسَتِ اليهود يا مُحَمَّد ولا النّصارَى براضيةٍ عنك أبَدًا، فَدَعْ طَلَب ما يُرْضيهم ويوافِقهم، وأقْبِلْ على طَلَب رِضا اللّه في دُعائِهم إلى ما بَعَثَك اللّه به من الحقّ! فإنّ الذي تَدْعوهم إليه من ذلك لهوَ السّبيل إلى الاجْتِماع فيه معك على الألْفة والدّين القيِّم. وَلا سَبيل لَك إلى إرْضائِهم باتِّباع مِلّتهمْ؛ لأنّ اليهوديّة ضِدّ النّصْرانيّة، والنّصْرانيّة ضِدّ اليهوديّة، ولا تَجْتَمِع النّصْرانيّة واليهوديّة في شَخْص واحِد في حال واحِدة، واليهود والنّصارَى لا تَجْتَمِع على الرِّضا بك، إلاّ أنْ تَكون يَهوديًا نَصْرانيًا، وذلك مِمّا لا يكون منك أبَدًا، لأنّك شَخْص واحِد، ولَنْ يجتَمِع فيك دينانِ مُتَضادّانِ في حال واحِدة. وَإذا لم يكُنْ لك إلى اجْتِماعهما فيك في وقْت واحِد سَبيل، لم يكُنْ لَك إلى إرْضاء الفريقَيْنِ سَبيل. وَإذا لم يكُنْ لَك إلى ذلك سَبيل، فالزَم هُدَى اللّه الذي لِجَمْعِ الخلْق إلى الألْفة عليه سَبيل.

وأمّا المِلّة فإنّها الدّين، وجَمْعها المِلَل.

ثُمّ قال جَلّ ثَناؤه لِنَبيّه مُحَمّد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا مُحَمّد - لِهؤلاء النّصارَى واليهود الذينَ قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ﴾ -: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ﴾ يَعْني أنّ بَيان اللّه هو البيان المُقْنِعُ والقضاء الفاصِل بيننا، فَهَلُمّوا إلى كِتاب اللّه وبَيانه الذي بَيّنَ فيه لِعِبادِه ما اختَلَفوا فيه - وهو التّوْراة التي تُقِرّونَ جَميعًا بأنّها من عند اللّه - يَتّضِح لكم فيها المُحِقّ مِنّا من المُبْطِل، وأيّنا أهل الجنّة، وأيّنا أهل النّار، وأيّنا على الصّواب، وأيّنا على الخطأ!

وإنّما أمَرَ اللّه نَبيّه ﷺ أنْ يَدْعوهم إلى هُدَى اللّه وبَيانه، لأنّ فيه تَكْذيب اليهود والنّصارَى

---

(١)[الوافر] القائل: أمية بن أبي الصلت. اللغة: قوابسها: غير معروف، وقد ظن الشيخ شاكر أن تكون (قدامسها) جمع قدموس، وهي الحجارة الضخمة الصلبة؛ كقوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾. وأعرض الشيء إذا اتسع وعرض. وقوله: (عن) أي: بسبب قذف هذه الحجارة فيها. المعنى: يريد أن جهنم قد فارت واتسعت بسبب تلك القوابس أو القداميس التي ألقت فيها، هذا المعنى يرجحه ذلك البيت الذي يليه، وفيه جواب (إذا):

تُـحَـشُّ بِـصَـنْـدَلٍ صُـمّ صِـلابٍ كَـأَنَّ الـضـاحِـيـاتِ لَـهـا قَـضـيـمُ

فيما قالوا من أنَّ الجنّة لَنْ يَدْخلها إلاّ مَنْ كان هودًا أو نَصارَى، وبَيان أمْر مُحَمَّد ﷺ، وأنه رسولُ اللهِ، وأنَّ المُكَذِّب به من أهل النّار دون المُصَدِّق به.

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه:

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بذلك: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ يا مُحَمَّد هَوَى هؤلاء اليهود والنّصارَى، فيما يُرْضيهم عنك من تَهَوُّد وتَنَصُّر، فَصِرْت من ذلك إلى إرْضائِهم، ووافَقْت فيه مَحَبَّتهم من بعد الذي جاءك من العِلْم، بضَلالَتِهم وكُفْرهم برَبِّهم، ومن بعد الذي اقْتَصَصْت عليك من نَبَئِهم في هذه السّورة، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾. يَعْني بذلك: لَيْسَ لَكَ يا مُحَمَّد من وليّ يَلي أمْرك، وقَيِّم يقوم به، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَنْصُرك من اللّه، فَيَدْفَع عنك ما يَنْزِل بك من عُقوبة، ويَمْنَعك من ذلك أنْ أحَلَّ بك ذلك رَبّك.

وَقد بَيَّنّا معنى (الوليّ) والنّصير فيما مَضَى قَبْل.

وَقد قيلَ إنَّ اللّه تعالى ذِكْره أنْزَلَ هذه الآية على نَبيّه عليه السلام؛ لأنَّ اليهود والنّصارَى دَعَته إلى أدْيانها، وقال كُلّ حِزْب منهم: إنَّ الهُدَى هو ما نَحْنُ عليه دون ما عليه غيرنا من سائِر المِلَل.

فَوَعَظَه اللّه أنْ يَفْعَل ذلك، وعَلَّمَه الحُجّة الفاصِلة بينهم فيما ادَّعَى كُلّ فَريق منهم.

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾

اختَلَفَ أهل التّأويل في الذينَ عَناهم اللّه جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فقال بعضهمْ: هم المُؤْمِنونَ برَسولِ اللّه، وبِما جاء به من أصْحابه.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٨٧١- **حَدّثَنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: حدثنا يَزيد بن زُرَيْع، عن سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: هؤلاء أصْحاب نَبيّ اللّه ﷺ، آمَنوا بكِتابِ اللّه وصَدَّقوا به (١).

وَقال آخَرونَ: بل عَنَى اللّه بذلك عُلَماء بَني إسرائيل الذينَ آمَنوا باللّه وصَدَّقوا رُسُله، فأقَرّوا بحُكْم التّوْراة، فَعَمِلوا بما أمَرَ اللّه فيها من اتِّباع مُحَمَّد ﷺ، والإيمان به، والتّصْديق بما جاء به من عند اللّه.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٨٧٢- **حَدّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ قال: مَن آمَن برسولِ اللّه مِن بني إسرائيلَ وبالتوراةِ. وقرأ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ قال: مَنْ كَفَرَ بالنّبيّ ﷺ من يَهود فأولَئِكَ هم الخاسِرونَ (٢).

---

(١)[حسن]من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[صحيح]سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

وَهذا القول أولَى بالصَّوابِ من القول الذي قاله قَتادة؛ لأنَّ الآيات قَبْلها مَضَتْ بأخْبارِ أهل الكِتابينِ، وتَبْديل مَنْ بَدَّلَ منهم كِتاب اللَّه، وتأوُّلهم إيَّاه على غير تأويله، وادِّعائِهم على اللَّه الأباطيل. وَلم يجْرِ لأصْحابِ مُحَمَّد ﷺ في الآية التي قَبْلها ذِكْر، فَيكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ موَجَّهًا إلى الخبَر عنهم، ولا لهم بعدها ذِكْر في الآية التي تَتْلوها، فَيكون موَجَّهًا ذلك إلى أنَّه خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ عن قَصَص أصْحاب رَسول اللَّه ﷺ بعد انقِضاء قَصَص غيرهِمْ، ولا جاء بأنَّ ذلك خَبَر عنهم أثَر يجِب التَّسْليم له.

فَإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولَى بمعنى الآية أنْ يكون موَجَّهًا إلى أنَّه خَبَر عَمَّنْ قَصَّ اللَّه نبأَه في الآية قَبْلها والآية بعدها، وهم أهل الكِتابينِ؛ التَّوْراة والإنْجيل. وَإذا كان ذلك كذلك، فَتأويل الآية: الذينَ آتَيْناهم الكِتاب الذي قد عَرَفْته يا مُحَمَّد، وهو التَّوْراة، فَقَرَءوه واتَّبَعوا ما فيه، فَصَدَّقوك وآمَنوا بك، وبِما جِئْت به من عندي، فأولَئِكَ يَتْلونَه حَقّ تِلاوَته. وَإنَّما أُدْخِلَتِ الألِف واللَّام في ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ لأنَّه معرِفة، وقد كان النَّبيّ ﷺ وأصْحابه عَرَفوا أيّ الكُتُب عَنَى به.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾

اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل قول اللَّه: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾؛ فَقال بعضهمْ: معنى ذلك يَتَّبِعونَه حَقّ اتِّباعه.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٨٧٣- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: حَدَّثَني ابن أبي عَديّ، وعبد الأعْلَى، وحَدَّثَنا عمرو بْن عَليّ، قال: حَدَّثَنا ابن أبي عَديّ جَميعًا، عن داود، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يَتَّبِعونَه حَقّ اتِّباعه(١).

١٨٧٤- **وَحَدَّثَني** ابنُ المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا عبد الوهَّاب، قال: حَدَّثَنا داود، عن عِكْرِمة بمِثْلِه(٢).

١٨٧٥- **وحَدَّثَنا** عمرو بن عَليّ، قال: حَدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْعٍ، قال: حَدَّثَنا داود بن أبي هِنْد، عن عِكْرِمة بمِثْلِه(٣).

١٨٧٦- **وَحَدَّثَني** الحسن بن عمرو العَنْقَزيّ، قال: حَدَّثَني أبي، عن أسباط، عن السُّدِّيّ، عن أبي مالِك، عن ابن عَبَّاس في قول اللَّه: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يُحِلّونَ حَلاله ويُحَرِّمونَ حَرامه ولا يُحَرِّفونَ(٤).

---

(١)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٢)[صحيح] رجاله ثقات وإسناده متصل.

(٣)[صحيح] تقدم قبله.

(٤)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

١٨٧٧- وحدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، قال: قال أبو مالك: أن ابن عباس قال في: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾. فذكر مثله؛ إلا أنه قال: ولا يحرفونه عن مواضعه(١).

١٨٧٨- وحدثنا عمرو بن علي، قال: حدثنا المؤمل، قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا زبيد، عن مرة، عن عبد الله في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يتبعونه حق اتباعه(٢).

١٨٧٩- وحدثت عن عمار، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: قال عبد الله بن مسعود: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئًا على غير تأويله(٣).

١٨٨٠- وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ومنصور بن المعتمر، عن ابن مسعود في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ولا يحرف عن مواضعه(٤).

١٨٨١- وحدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا عباد بن العوام عمن ذكره، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: يتبعونه حق اتباعه(٥).

١٨٨٢- وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا عباد بن العوام، عن الحجاج، عن عطاء، بمثله(٦).

١٨٨٣- وحدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن أبي رزين في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يتبعونه حق اتباعه(٧).

١٨٨٤- وحدثنا عمرو بن علي، قال: حدثنا المؤمل، قال: حدثنا سفيان، وحدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، وحدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: حدثنا يحيى بن إبراهيم، عن سفيان قالوا جميعًا: عن منصور، عن أبي رزين، مثله(٨).

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢)[ضعيف] مؤمل بن إسماعيل القرشي العدوي، ضعيف وقد تقدم.
(٣)[ضعيف] أبو العالية عن ابن مسعود مرسل.
(٤)[ضعيف] قتادة ومنصور، عن ابن مسعود مرسل.
(٥)[صحيح] تقدم برقم (١٨٧٥)، وهذا سند ضعيف.
(٦)[ضعيف] الحجاج بن أرطاة ضعيف.
(٧)[صحيح] رجاله كلهم ثقات وسنده متصل.
(٨)[صحيح] تقدم قبله، وهذا فيه أبو نعيم الفضل بن دكين، ثقة ثبت، ولكن يرويه عنه المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ويحيى بن إبراهيم السلمي متروك الحديث.

١٨٨٥- **وحدثنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حدثنا جَرير، عن مُغيرة، عن مُجاهِد: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: عَمَلاً به (١).

١٨٨٦- **وحدثني** يَعقوبُ بن إبراهيمَ، قال: حدَّثنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا عبد الملك، عن قَيْس بن سَعْد، عن مجاهِدٍ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يَتَّبِعونَه حَقّ اتِّباعه، ألم تَرَ إلى قوله: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢] يَعْني الشَّمْس إذا اتَّبعَها القمَر (٢).

١٨٨٧- **وحدثني** المُثَنَّى، قال: حدثنا سوَيْد بن نَصْر، قال: أخبرَنا ابن المُبارَك، عن عبد الملِك بن أبي سُلَيْمان، عن عَطاء وقَيْس، عن مُجاهِد في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يَعْمَلونَ به حَقّ عَمَله (٣).

١٨٨٨- **حدثني** المُثَنَّى، قال: حدَّثنا عمرُو بن عَوْن، قال: أخبرَنا هُشَيْم، عن عبد الملِك، عن قَيْس بن سَعْد، عن مُجاهِد، قال: يَتَّبِعونَه حَقّ اتِّباعه (٤).

١٨٨٩- **وحدثني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدَّثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله (٥).

١٨٩٠- **وحدثني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: حدَّثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: يَعْمَلونَ به حَقّ عَمَله (٦).

١٨٩١- **وحدثنا** عمرو بن عَليّ، قال: حدَّثنا مُؤَمَّل بن إسماعيل، قال: حدَّثنا حَمَّاد بن زَيْد، عن أيّوب، عن مُجاهِد في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يَتَّبِعونَه حَقّ اتِّباعه (٧).

١٨٩٢- **وحدثني** عمرو، قال: حدَّثنا أبو قُتَيْبة، قال: حدَّثنا الحسن بن أبي جَعْفَر، عن أيّوب، عن أبي الخليل، عن مُجاهِد: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يَتَّبِعونَه حَقّ اتِّباعه (٨).

١٨٩٣- **وحدثنا** عمرو، قال: حدَّثنا يَحْيَى القطَّان، عن عبد الملِك، عن عَطاء قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يَتَّبِعونَه حَقّ اتِّباعه، يَعْمَلونَ به حَقّ عَمَله (٩).

١٨٩٤- **وحدثنا** سُفْيان بن وكيع، قال: حَدَّثني أبي، عن المُبارَك، عن الحسن: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ

---

(١)[صحيح] سيأتي بعده بواحد، وهذا سند ضعيف؛ محمد بن حميد ضعيف.

(٢)[حسن] عبد الملك بن أبي سليمان واسمه: ميسرة العرزمي، صدوق. وبقية رجاله تقدموا.

(٣)[صحيح] أخرجه ابن المبارك في الزهد، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف ضعيف.

(٤)[حسن] تقدم قبله بواحد، وهذا سند ضعيف؛ المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٥)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٦)[صحيح] تقدم برقم (١٨٨٩)، وهذا سند ضعيف، المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٧)[حسن] تقدم برقم (١٨٩٠)، وهذا سند ضعيف؛ من أجل مؤمل.

(٨)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ الحسن بن أبي جعفر الجفري ضعيف.

(٩)[حسن] من أجل عبد الملك، وقد تقدم الحديث عنه.

﴿تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يَعْمَلونَ بمُحْكَمِه ويُؤمِنونَ بمُتَشابِهِه، ويكِلُونَ ما أشكَلَ عليهم إلى عالِمه [(١)].

١٨٩٥- وحدَّثنا بشر بن مُعاذ، قال: حدَّثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: أحَلّوا حَلاله، وحَرَّموا حَرامه، وعَمِلوا بما فيه. ذَكَرَ لنا أنَّ ابن مسعود كان يقول: إنَّ حَقّ تِلاوَته أنْ يُحَلّ حَلاله، ويُحَرَّم حَرامه، وأنْ يُقرَأه كما أنْزَلَه اللّه، ولا يُحَرَّف عن مَواضِعه [(٢)].

١٨٩٦- حدَّثنا عمرو، قال: حدَّثنا أبو داود، قال: حدَّثنا الحكَم بن عَطيّة، سَمِعْت قَتادة يقول: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يَتَّبِعونَه حَقّ اتِّباعه، يُحِلّونَ حَلاله، ويُحَرِّمونَ حَرامه، ويَقْرَءونَه كما أُنزِلَ [(٣)].

١٨٩٧- وحدَّثني المُثنّى، قال: أخبرنا عمرٌو بن عَوْن، قال: أخبرَنا هُشَيْم عن داود، عن عِكْرِمة: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يَتَّبِعونَه حَقّ اتِّباعه، أمَا سَمِعْت قول اللّه: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾؟ [الشمس: ٢] قال: إذا اتَّبعَها [(٤)].

وقال آخرونَ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: يَقْرَءونَه حَقّ قِراءَته.

والصَّواب من القول في تأويل ذلك أنَّه بمعنى: يَتَّبِعونَه حَقّ اتِّباعه. من قول القائِل: ما زِلْت أتْلو أثَره، إذا اتَّبَعَ أثَره؛ لإجماعِ الحُجّة من أهل التّأويل على أنَّ ذلك تأويله. وإذا كان ذلك تأويله، فَمعنى الكلام: الذينَ آتَيْناهم الكِتاب يا مُحَمَّد، من أهل التَّوْراة الذينَ آمَنوا بك وبِما جِئْتهم به من الحقّ من عندي - يَتَّبِعونَ كِتابي الذي أنْزَلْته على رَسولي موسَى صَلَوات اللّه عليه، فَيُؤمِنونَ به، ويُقِرّونَ بما فيه من نَعْتك وصِفَتك، وأنَّك رَسولي، فَرْضٌ عليهم طاعَتي في الإيمان بك والتَّصْديق بما جِئْتهم به من عندي، ويَعْمَلونَ بما أحلَلْت لهم، ويتجنَّبون ما حَرَّمْت عليهم فيه، ولا يُحَرِّفونَه عن مَواضِعه ولا يُبَدِّلونه ولا يُغَيِّرونَه عما أنْزَلْته عليهم بتأويلٍ ولا غيره.

وقولُه: ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ مُبالَغة في صِفة اتِّباعهم الكِتاب ولُزومهم العمَل به، كما يُقال: إنَّ فُلانًا لَعالِم حَقّ عالِم، وكَما يُقال: إنَّ فُلانًا لَفاضِل كُلّ فاضِل.

وَقد اختَلَفَ أهل العربيّة في إضافة (حَقّ) إلى المعرفة، فَقال بعض نَحْويّي الكوفة: غير جائِزة إضافَته إلى معرِفة لأنَّه بمعنى (أيّ)، وبِمعنى قولك: (أفضَل رَجُل) قال: و(أفعَل) لا يُضاف إلى واحِد معرِفة لأنَّه مُبَعَّض، ولا يكون الواحِد المعرفة مُبَعَّضًا. فَأحالوا أنْ يُقال: (مَرَرْت بالرَّجُلِ

---

(١)[ضعيف] مداره على مبارك بن فُضالة، وهو يدلس عن الحسن.

(٢)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣)[ضعيف] الحكم بن عطية العيشي البصري ضعيف يعتبر به.

(٤)[صحيح] تقدم قبل قليل، وكذلك أخرجه السجستاني في الزهد بسند صحيح فقال: نا أبو كامل، قال: نا يزيد، قال: نا داود، عن عكرمة: يتلونه حق تلاوته قال: يتبعونه حق اتباعه. اهـ. وهذا سند ضعيف من أجل المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

حَقّ الرّجُل، ومَرَرْت بالرّجُلِ جِدَّ الرّجُل)، كما أحالوا (مَرَرْت بالرّجُلِ أيِّ الرّجُل)، وأجازوا ذلك في (كُلّ الرّجُل) و(عَيْن الرّجُل) و(نَفْس الرّجُل)، وقالوا: إنّما أجَزْنا ذلك لأنَّ هذه الحُروف كانتْ في الأصْل تَوْكيدًا، فَلَمّا صِرْنَ مُدوحًا تُركْنَ مُدوحًا على أُصولِهنّ في المعرِفة.

وَزَعَموا أنَّ قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ إنّما جازَتْ إضافَته إلى التّلاوة، وهيَ مُضافة إلى معرِفة؛ لأنَّ العرب تَعْتَدّ بالهاءِ إذا عادَتْ بالنَكِرة نَكِرةً، فَيقولونَ: (مَرَرْت برَجُلٍ واحِد أُمِّه، ونَسيج وحْده، وسَيِّد قَوْمه). قالوا: فَكَذلك قوله: ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ إنّما جازَتْ إضافة (حَقّ) إلى التّلاوة وهيَ مُضافة إلى (الهاء)، لاعْتِدادِ العرب بـ(الهاء) التي في نَظائِرها في عِداد النَكِرات.

قالوا: ولو كان تأويل ذلك: حَقَّ التّلاوة لَوَجَبَ أنْ يكون جائِزًا: (مَرَرْت بالرّجُلِ حَقّ الرّجُل). فَعلى هذا القول تأويل الكلام: الذينَ آتَيْناهم الكِتاب يَتْلونَه حَقّ تِلاوة.

وَقال بعض نَحْويّي البصْرة: جائِزة إضافة (حَقّ) إلى النَكِرات مع النَكِرات، ومع المعارِف إلى المعارِف؛ وإنّما ذلك نَظير قول القائِل: مَرَرْت بالرّجُلِ غُلام الرّجُل، وبِرَجُلٍ غُلام رَجُل. فَتأويل الآية على قول هؤلاء: الذينَ آتَيْناهم الكِتاب يَتْلونَه حَقّ التِلاوة.

وَأولَى ذلك بالصّوابِ عندنا القول الأوّل؛ لأنَّ معنى قوله: ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: أيّ تِلاوة، بمعنى مَدْح التّلاوة التي تَلوها وتَفْضيلها. (وأيّ) غير جائِزة إضافَتها إلى واحِد معرِفة عند جَميعهمْ، فكذلك (حَقّ) غير جائِزة إضافَتها إلى واحِد معرِفة، وإنّما أُضيفَ في قوله: ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ إلى ما فيه الهاء لِما وصَفْت من العِلّة التي تَقَدَّمَ بَيانُناها.

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: هؤلاء الذينَ أخْبَرَ عنهم أنّهم يَتْلونَ ما آتاهم من الكِتاب حَقّ تِلاوَته.

وَأمّا قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ فَإنّه يَعْني يُصَدِّقونَ به. والهاء التي في قوله ﴿بِهِۦۗ﴾ عائِدة على الهاء التي في ﴿تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، وهُما جَميعًا من ذِكْر الكِتاب الذي قاله اللّه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فَأخْبَرَ اللّه جَلّ ثَناؤه أنَّ المُؤمِن بالتّوْراةِ هو المُتَّبِع ما فيها من حَلالها وحَرامها، والعامِل بما فيها من فَرائِض اللّه التي فَرَضَها فيها على أهلها، وأنَّ أهلها الذينَ هم أهلها مَنْ كان ذلك صِفَته دون مَنْ كان مُحَرِّفًا لها مُبَدِّلاً تأويلها مُغَيِّرًا سُنَنها تارِكًا ما فَرَضَ اللّه فيها عليه.

وَإنّما وصَفَ جَلّ ثَناؤه مَنْ وصَفَ بما وصَفَ به من مُتَّبِعي التّوْراة، فأثْنَى عليهم بما أثْنَى به عليهم؛ لأنَّ في اتِّباعها اتِّباع مُحَمَّد نَبيّ اللّه ﷺ وتَصْديقه، لأنَّ التّوْراة تأمُر أهلها بذلك وتُخْبِرهم عن اللّه تعالى ذِكْره بنُبوَّتِه وفَرْضِ طاعَته على جَميع خَلْق اللّه من بَني آدَم، وإنَّ في التّكْذيب بمُحَمَّدٍ ﷺ التّكْذيب بها. فَأخْبَرَ جَلّ ثَناؤه أنَّ مُتَّبِعي التّوْراة هم المُؤمِنونَ بمُحَمَّدٍ ﷺ، وهم العامِلونَ بما فيها. **كَما:**

١٨٩٨ - **حَدّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ

بِهِۦ﴾ قال: مَنْ آمَنَ برَسولِ اللَّه ﷺ من بَني إسرائيل، وبالتَّوْراةِ، وأنَّ الكافِر بمُحَمَّدٍ ﷺ هو الكافِر بها الخاسِر، كما قال جَلّ ثَناؤه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (١).

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: ومَنْ يكْفُر بالكِتابِ الذي أَخْبَرَ أنَّه يَتْلوه مَنْ آتاه من المُؤمِنينَ حَقّ تِلاوَته.

وَيَعْني بقولِه جَلّ ثَناؤه: ﴿يَكْفُرْ﴾: يجْحَد ما فيه من فَرائِض اللَّه ونُبوّة مُحَمَّد ﷺ، وتَصْديقه، ويُبَدِّله، فيُحَرِّف تأويله؛ أولَئِكَ هم الذينَ خَسِروا عِلْمهم وعَمَلهم فَبَخَسوا أنفُسهم حُظوظها من رَحْمة اللَّه واستَبْدَلوا بها سَخَط اللَّه وغَضَبه.

وَقال ابن زَيْد في ذلك بما:

١٨٩٩ - **حَدَّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ قال: مَنْ كَفَرَ بالنَّبيِّ ﷺ من يَهود، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (٢).

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه:
﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

وَهذه الآية عِظة من اللَّه تعالى ذِكْره لِلْيَهودِ الذينَ كانوا بين ظَهْرانَيْ مُهاجَر رَسول اللَّه ﷺ، وتَذْكير منه لهم ما سَلَف من أياديه إليهم في صُنْعه بأوائِلِهم استِعْطافًا منه لهم على دينه، وتَصْديق رَسوله مُحَمَّد ﷺ؛ فَقال: يا بَني إسرائيل اذْكُروا أياديَّ لَدَيْكم، وصَنائِعي عندكم، واستِنْقاذي إيَّاكُم من أيْدي عَدوّكُم فرعون وقَوْمه، وإنْزالي عليكُم المنّ والسَّلْوَى في تَيْهكم، وتَمْكيني لكم في البلاد، بعد أنْ كُنتُم مُذَلَّلينَ مَقْهورينَ، واختِصاصي الرُّسُل منكم، وتَفْضيلي إيَّاكُم على عالَم مَنْ كنتم بين ظَهْرانيه، أيَّام أنتم في طاعَتي تَبْتَغون مرضاتي، فراجِعوا طاعتي؛ باتِّباعِ رَسولي إليكم، وتَصْديقِه وتَصْديقِ ما جاءكُم به من عندي، ودَعوا التَّمادي في الضَّلال والغيّ.

وَقد ذَكَرْنا فيما مَضَى النِّعَم التي أنْعَمَ اللَّه بها على بَني إسرائيل، والمعاني التي ذَكَّرهم الله جَلّ ثَناءَه من آلائِه عندهمْ، والعالَم الذي فُضِّلوا عليه فيما مَضَى قَبْل، بالرِّواياتِ والشَّواهِد، فَكَرِهْنا تَطْويل الكِتاب بإعادَتِه، إذْ كان المعنى في ذلك في هذا الموضِع وهُنالِكَ واحِدًا.

القول في تأويل قوله جَلّ ثَناؤه:
﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

وَهذه الآية تَرْهيب من اللَّه جَلّ ثَناؤه لِلَّذينَ سَلَفَتْ عِظَته إيَّاهم بما وعَظَهم به في الآية قَبْلها. يقول اللَّه لهم: واتَّقوا يا معشَر بَني إسرائيل المُبَدِّلينَ كِتابي وتَنْزيلي، المُحَرِّفينَ تأويله عن

---

(١)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.
(٢)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

وجهه، المُكَذِّبينَ برَسولي مُحَمَّد ﷺ - عَذابَ يوم لا تَقْضي فيه نَفس عن نَفس شَيْئًا، ولا تُغْني عنها غِناء، أنْ تَهْلِكوا على ما أنتم عليه من كُفرِكُم، وتَكْذيبكُم رَسولي، فَتَموتوا عليه؛ فَإنَّه يوم لا يُقْبَل من نَفْس فيما لَزِمَها فِدْية، ولا يَشْفَع فيما وجَبَ عليها من حَقّ لها شافِع، ولا هم يَنْصُرهم ناصِر من اللَّه إذا انتَقَمَ منها بمعصيَتِها إيَّاه. وَقد مَضَى البيان عن كُلّ مَعاني هذه الآية في نَظيرَتها قَبْل، فَأغْنَى ذلك عن إعادَته في هذا الموضِع.

القول في تأويل قوله جلّ ثَناؤه: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾: وإذ اختَبَرَ، يُقال منه: ابْتَلَيْت فُلانًا أبتَليه ابتِلاء. وَمنه قول اللَّه عَزَّ وجَلّ ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٦] يَعْني به: اختَبِروهم. وَكان اختِبار اللَّه تعالى ذِكْره إبراهيم اختِبارًا بفَرائِض فَرَضَها عليه، وأمْر أمَرَه به، وذلك هو الكَلِمات التي أوحاهُنّ إليه وكَلَّفَه العمَل بِهِنّ امْتِحانًا منه له واختِبارًا.

ثُمّ اختَلَفَ أهل التّأويل في صِفة الكَلِمات التي ابْتَلَى اللَّه بها إبراهيمَ خَليلَه صَلَوات اللَّه عليه، فَقال بعضهمْ: هي شَرائِع الإسلام، وهيَ ثَلاثونَ سَهْمًا.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٠٠- **حَدّثَنا** مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: ثنا عبد الأعْلَى، قال: ثنا داود، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال: قال ابن عَبَّاس: لم يُبْتَلَ أحَد بهذا الدّين فَأقامَه إلاّ إبراهيمُ، ابتَلاه اللَّه بكَلِماتٍ فَأتَمَّهنّ؛ قال: فَكَتَبَ اللَّه له البراءة، فَقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧] قال: عَشر منها في الأحزاب، وعَشر منها في بَراءة، وعَشر منها في المُؤْمِنينَ؛ وسَألَ سائِل. وَقال: إنَّ هذا الإسلام ثَلاثونَ سَهْمًا (١).

١٩٠١- **وَحَدّثَني** إسحاق بن شاهين الواسطي، قال: ثنا خالِد الطَّحَّان، عن داود، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: ما ابْتُليَ أحَد بهذا الدّين فَقامَ به كُلّه غير إبراهيم؛ ابْتُليَ بالإسلام فَأتَمَّه، فَكَتَبَ اللَّه له البراءة، فَقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧] فَذَكر عَشرًا في (بَراءة)، فَقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وعَشرًا في (الأحزاب): ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وعَشرًا في سورة (المُؤمِنينَ)، إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١- ٩] وعَشرًا في (سَألَ سائِلٌ): ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٢٢- ٣٤] (٢).

١٩٠٢- **وَحَدّثَنا** عبدُ اللَّه بنُ أحمَد بن شَبُّويَه، قال: ثنا عَليّ بن الحسن، قال: ثنا خارِجة بن مُصْعَب، عن داود بن أبي هِنْد، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس قال: الإسلام ثَلاثونَ سَهْمًا، وما ابْتَلى الله بهذا الدّين أحَد فَأقامَه إلاّ إبراهيم، قال اللَّه ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]

---

(١)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٢)[حسن] خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد الطحان، أحد العلماء، ثقة عابد. وإسحاق بن شاهين بن الحارث الواسطي أبو بشر بن أبي عمران، صدوق.

فَكَتَبَ اللَّه له بَراءة من النَّار [(١)].

وَقال آخَرونَ: هي خِصال عَشر من سُنَن الإسلام.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٠٣- **حَدَّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن ابن طاوُس، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ قال: ابتَلاه اللَّه بالطَّهارةِ: خَمْس في الرّأس، وخَمْس في الجسَد، في الرّأس: قَصّ الشَّارِب، والمضْمَضة، والاستِنْشاق، والسِّواك، وفَرْق الرّأس. وَفي الجسَد: تَقْليم الأظْفار، وحَلْق العانة، والخِتان، ونَتْف الإبِط، وغَسْل أثَر الغائِط والبوْل بالماءِ [(٢)].

١٩٠٤- **وحَدَّثَني** المُثَنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: أخبرنا عبد الرَّزَّاق، عن معمَر، عن الحكَم بن أبانَ، عن القاسِم بن أبي بزَّة، عن ابن عَبَّاس بمِثْلِه، ولم يَذْكُر أثَر البوْل [(٣)].

١٩٠٥- **وحَدَّثَنا** مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: ثنا سُلَيْمان، قال: ثنا أبو هِلال، قال: ثنا قَتادة في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ قال: ابتَلاه: أمره بالخِتانِ، وحَلْق العانة، وغَسْل القُبُل والدُّبُر، والسِّواك، وقَصّ الشَّارِب، وتَقْليم الأظافِر، ونَتْف الإبِط. قال أبو هِلال: ونَسيت خَصْلة [(٤)].

١٩٠٦- **وحُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن مَطَر، عن أبي الجَلْد قال: ابْتُليَ إبراهيمُ بعَشَرةِ أشياء هُنَّ في الإنسان سُنَّةٌ: الاستِنْشاق، وقَصُّ الشَّارِب، والسِّواك، ونَتْف الإبِط، وقَلْم الأظْفار، وغَسْل البراجِم، والخِتان، وحَلْق العانة، وغَسْل الدُّبُر والفرْج [(٥)].

وَقال بعضهمْ: بل الكلِمات التي ابْتُليَ بهِنّ عَشر خِلال؛ بعضهنّ في تَطْهير الجسَد، وبعضهنّ في مَناسِك الحجّ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٠٧- **حَدَّثني** المُثَنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا مُحَمَّد بن حَرْب، قال: ثنا ابن لَهِيعَة، عن ابن هُبَيْرة، عن حَنَش، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾. قال: سِتّة في الإنسان، وأربَعة في المشاعِر؛ فالتي في الإنسان؛ حَلْق العانة، والخِتان، ونَتْفُ الإبِط، وتَقْليم الأظْفار، وقَصّ الشَّارِب، والغُسْل يوم الجُمُعة. وَأربَعة في المشاعِر: الطّواف، والسّعي

(١)[صحيح] مداره على داود، والأسانيد إليه صحيحة وحسنة، كما عند الحاكم وغيره، وهذا سند ضعيف من أجل خارجة بن مصعب بن خارجة الضبعي أبو الحجاج الخراساني السرخسي، متروك الحديث.
(٢)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٣)[صحيح] تقدم قبله.
(٤)[ضعيف] محمد بن سليم أبو هلال الراسبي ضعيف يعتبر به.
(٥)[ضعيف] من معلّقات المصنف، ومطر الوراق ضعيف.

بين الصَّفا والمرْوة، ورَمْي الجِمار، والإفاضة[(١)].

وَقال آخَرونَ: بل ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ومَناسِكُ الحجِّ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٠٨- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا ابن إدْريس، قال: سَمِعْت إسماعيل بن أبي خالِد، عن أبي صالِح في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾: فَمنهُنَّ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وآيات النُّسُك[(٢)].

١٩٠٩- **وَحَدَّثَني** أبو السَّائِب، قال: ثنا ابن إدْريس، قال: سَمِعْت إسماعيل بن أبي خالِد، عن أبي صالِح مولَى أُمِّ هانِئ في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾. قال: منهُنَّ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ومنهُنّ آيات النُّسُكِ، و: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧][(٣)].

١٩١٠- **وَحَدَّثَنا** مُحمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾. قال: قال اللَّهُ لإبراهيمَ: إنِّي مُبْتَليك بأمْرٍ، فَما هو؟ قال: تَجْعَلني لِلنَّاسِ إمامًا. قال: نَعَمْ. قال: ومن ذُرِّيَّتي؟ قال: لا يَنال عَهْدي الظَّالِمينَ. قال: تَجْعَلُ البيْت مَثابة لِلنَّاسِ؟ قال: نَعَمْ. وَأمْنًا؟ قال: نَعَمْ. وَتَجْعَلُنا مُسْلِمَيْنِ لَك، ومن ذُرِّيَّتنا أُمّة مُسْلِمة لَك؟ قال: نَعَمْ. وَتُرينا مَناسِكنا وتَتوب علينا؟ قال: نَعَمْ. قال: وتَجْعَل هذا البلَد آمِنًا؟ قال: نَعَمْ. قال: تَرْزُق أهله من الثَّمَرات مَنْ آمَنَ؟ قال: نَعَمْ[(٤)].

١٩١١- **وَحَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد نحوَه[(٥)].

١٩١٢- **وَحَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح أخْبَرَه به عن عِكْرِمة، قال: فَعَرَضْتُهُ على مُجاهِدٍ فَلم يُنْكِره[(٦)].

١٩١٣- **وَحَدَّثَنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد بنَحْوِه. قال ابن جُرَيْج: فاجْتَمع على هذا القول مُجاهِد وعِكْرِمة جَميعًا[(٧)].

(١)[ضعيف] ابن لهيعة ضعيف دائمًا، والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٣)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٤)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٥)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٦)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٧)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف، فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

١٩١٤- وحدثنا سفيان، قال: حدثني أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: ابتُلي بالآياتِ التي بعدها: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١).

١٩١٥- وحُدِّثت عن عمَّار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الرّبيع في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾: فالكلمات: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾. وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾. وقوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. وقوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ الآية. وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ الآية. قال: فذلك كلُّه من الكلِمات التي ابتُليَ بهِنّ إبراهيم (٢).

١٩١٦- وحدَّثني محمَّد بن سَعدٍ، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثني عمِّي، قال: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عبَّاس قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾: فمنهُنّ: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ومنهُنَّ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾، ومنهنّ الآيات في شأن النُّسُك، والمقام الذي جُعِلَ لإبراهيم، والرِّزق الذي رُزِقَ ساكِنو البيْت ومُحمَّدٌ بُعِث في ذُرِّيَّتهما صلى الله عليهم (٣).

وقال آخرونَ: بل ذلك مَناسِك الحجّ خاصّة.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٩١٧- حدَّثنا ابن بَشّار، قال: ثنا سَلْم بن قُتَيْبة، قال: ثنا عمرٌو بن نَبْهان، عن قَتادة، عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال: مَناسِك الحجّ (٤).

١٩١٨- وحدَّثنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة، قال: كان ابن عبَّاس يقول في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال: هي المناسِك (٥).

١٩١٩- وحدَّثنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة، قال: قال ابن عبَّاس: ابتَلاه بالمناسِكِ (٦).

١٩٢٠- وحُدِّثت عن عَمَّار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، قال: بَلَغَنا عن ابن عبَّاس أنّه قال: إنَّ الكلِمات التي ابتُليَ بها إبراهيمُ، المناسِك (٧).

١٩٢١- وحدَّثنا أحمَد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: ثنا شَريك، عن أبي

---

(١)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل سفيان بن وكيع.

(٢)[ضعيف] من معلقات المصنف. (٣)[ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٤)[ضعيف] قتادة عن ابن عباس مرسل، وعمر بن نبهان العبدي ضعيف، وله أسانيد أخرى ضعيفة ستأتي.

(٥)[ضعيف] تقدم قبله، والسند هنا حسن لقتادة.

(٦)[ضعيف] تقدم قبله، وهذا سند صحيح لقتادة أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٧)[ضعيف] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف أيضًا من معلقات المصنف، وكذلك من بلاغات أبي جعفر.

إسحاق، عن التَّميميّ، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال: مَناسِك الحجّ[1].

١٩٢٢- **حَدَّثَني** المُثَنى، قال: ثنا الحِمَّاني، قال: ثنا شَريك، عن أبي إسحاق، عن التَّميميّ، عن ابن عَبَّاسٍ في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال: منهُنّ مَناسِك الحجّ[2].

وَقال آخَرونَ: هي أُمور منهُنّ الخِتان.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٢٣- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: ثنا سَلْم بن قُتَيْبة، عن يونُس بن أبي إسحاق، عن الشَّعْبيّ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال: منهُنّ الخِتان[3].

١٩٢٤- **وَحَدَّثَنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: ثنا يَحْيَى بن واضِح، قال: ثنا يونُس بن أبي إسحاق، قال: سَمِعْت الشَّعْبيّ يقول. فَذَكَر مِثْله[4].

١٩٢٥- **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمَد، قال: ثنا يونُس بن أبي إسحاق، قال: سَمِعْت الشَّعْبيّ - وسَأَلَه أبو إسحاق عن قول اللَّه: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ - قال: منهُنّ الخِتان يا أبا إسحاق[5].

وَقال آخَرونَ: بل ذلك الخِلال السِّتّ؛ الكوْكَب، والقمَر، والشَّمْس، والنَّار، والهِجْرة، والخِتان، التي ابْتُلِيَ بهِنّ فَصَبَرَ عليهِنّ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٢٦- **حَدَّثَني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيّة، عن أبي رَجاء، قال: قُلْت لِلْحَسَنِ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾؟ قال: ابْتَلاه بالكوْكَبِ فَرضيَ عنه، وابْتَلاه بالقمَرِ فَرضيَ عنه، وابْتَلاه بالشَّمْسِ فَرضيَ عنه، وابْتَلاه بالنَّارِ فَرضيَ عنه، وابْتَلاه بالهِجْرةِ، وابْتَلاه بالخِتانِ[6].

١٩٢٧- **وَحَدَّثَنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة، قال: كان الحسن يقول: إِي واللَّه، لابْتَلاه بأمْرٍ فَصَبَرَ عليه، ابْتَلاه بالكوْكَبِ، والشَّمْس، والقمَر، فَأَحسَن في ذلك، وعَرَفَ أنَّ رَبّه دائِم لا يَزول، فَوَجَّهَ وجهه لِلَّذي فَطَرَ السَّمَوات والأرض حَنيفًا وما كان من

---

(١)[ضعيف] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، فيه أبو إسحاق السبيعي مدلس ولم يصرح، وشريك ضعيف، والتميمي هو أربدة البصري، لا أدري هل سمع من ابن عباس أم لا؟

(٢)[ضعيف] تقدم قبله.

(٣)[صحيح] يونس بن أبي إسحاق ثقة، سيأتي التصريح بسماعه من الشعبي. سلم بن قتيبة الشعيري أبو قتية الخراساني الفريابي ثقة كذلك، وبقية رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٤)[صحيح] تقدموا، وهذا سند ضعيف من أجل شيخ المصنف. ويحيى بن واضح الأنصاري مولاهم أبو تميلة المروزي الحافظ، صدوق.

(٥)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند حسن من أجل الزبيري، وشيخ المصنف.

(٦)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

المُشْرِكينَ، ثُمّ ابْتَلاه بالهِجْرةِ فَخَرَجَ من بلاده وقَوْمه حتّى لَحِقَ بالشّامِ مُهاجِرًا إلى اللّه، ثُمّ ابْتَلاه بالنّارِ قَبْلَ الهِجْرة فَصَبَرَ على ذلك، وابْتَلاه اللّه بذَبْحِ ابنه وبالخِتانِ فَصَبَرَ على ذلك[١].

١٩٢٨- وحَدّثنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عَمَّنْ سَمِعَ الحسن يقول في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال: ابتَلاه بذَبْحِ ولَده، وبالنّارِ، وبالكوْكَبِ، والشّمْس، والقمَر[٢].

١٩٢٩- وحَدّثنا ابن بَشّار، قال: ثنا سَلْم بن قُتَيْبة، قال: ثنا أبو هِلال، عن الحسن: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال: ابْتَلاه بالكوْكَبِ، وبالشّمْسِ، والقمَر، فَوَجَدَه صابِرًا[٣].

وَقال آخرونَ بما:

١٩٣٠- حَدّثنا به موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عمرو بن حَمّاد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: الكلِمات التي ابْتَلَى بهِنّ إبراهيمَ رَبُّه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ إلى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[٤].

والصّواب في ذلك من القول عندنا أنْ يُقال: إنَّ اللّه عَزَّ وجَلّ أخْبَرَ عِباده أنّه اختَبَرَ إبراهيمَ خَليلَه بكَلِماتٍ أوحاهُنّ إليه، وأمَرَه أنْ يَعْمَل بهِنّ، فعمِل بهن وأتَمّهنّ، كما أخْبَرَ اللّه جَلّ ثَناؤه عنه أنّه فَعَلَ. وَجائِزٌ أنْ تَكون تلك الكلِمات جَميع ما ذَكَره مَنْ ذَكَرْنا قوله في تأويل الكلِمات، وجائِز أنْ تَكون بعضه؛ لأنَّ إبراهيم صَلَوات اللّه عليه قد كان امْتُحِنَ فيما بَلَغَنا بكُلِّ ذلك، فَعَمِلَ به وقامَ فيه بطاعةِ اللّه وأمْره الواجِب عليه فيه.

وَإذْ كان ذلك كذلك، فَغير جائِز لأحَدِ أنْ يقول: عَنَى اللّه بالكلِماتِ اللّواتي ابْتُليَ بهِنّ إبراهيم شَيْئًا من ذلك بعَيْنِه دون شَيْء، ولا عَنَى به كُلّ ذلك. إلاّ بحُجّةٍ يجِب التّسْليم لها من خَبَر عن الرّسول ﷺ، أو إجماع من الحُجّة؛ ولم يَصِحّ بشَيْء من ذلك خَبَر عن الرّسول بنَقْلِ الواحِد، ولا بنَقْلِ الجماعة التي يجِب التّسْليم لِما نَقَلَتْه. غير أنّه قد رُوِيَ عن النّبيّ ﷺ في نَظير معنى ذلك خَبَرانِ لو ثَبَتا، أو أحَدهما، كان القول به في تأويل ذلك هو الصّواب.

أحَدهما ما:

١٩٣١- حَدّثنا به أبو كُرَيْب، قال: ثنا رِشْدين بن سَعْد، قال: حَدّثَني زَبّانُ بن فائِد، عن سَهْل بن مُعاذ بن أنَس، عن أبيه، قال: كان النّبيّ ﷺ يقول: «**ألا أُخْبِركُم لِمَ سَمّى اللّه إبراهيمَ خَليلَه الذي وفَى؟ لأنّه كان يقول كُلّما أصْبَحَ وكُلّما أمْسَى:** ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.
(٢)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ فيه هذا الرجل المبهم الذي سمع الحسن.
(٣)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف فيه أبو هلال الراسبي، تقدم الحديث على ضعفه.
(٤)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

تُصْبِحُونَ﴾[الروم: ١٧] » حتَّى يَخْتِمِ الآيةَ(١) .

والآخر ما:

١٩٣٢- حدَّثنا به أبو كُرَيْب، قال: ثنا الحسن بن عَطيّة، قال: ثنا إسرائيل، عن جَعْفَر بن الزّبير، عن القاسِم، عن أبي أُمامةَ، قال: قال رَسول اللّه ﷺ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[النجم: ٣٧] قال: «أتَدْرونَ ما وفَّى»؟ قالوا: اللّه ورَسوله أعْلَم، قال: «**وَفَّى عَمَلَ يومه أربَع رَكَعات في النّهار**»(٢) .

فَلو كان خَبَر سَهْل بن مُعاذ عن أبيه صَحيحًا سَنَده . كان بَيّنًا أنَّ الكلِمات التي ابْتُليَ بهِنّ إبراهيم فَقامَ بهِنّ هي قوله كُلَّما أصْبَحَ وأمْسَى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[الروم: ١٧-١٨] ، أو كان خَبَر أبي أُمامةَ عُدولاً نَقَلَتُه، كان معلومًا أنَّ الكلِمات التي أُوحينَ إلى إبراهيم فابْتُليَ بالعمَلِ بهِنّ أنْ يُصَلّي كُلّ يوم أربَع رَكَعات . غير أنَّهُما خَبَرانِ في أسانيدهما نَظَر .

فالصّواب من القول في معنى الكلِمات التي أخْبَرَ اللّه أنّه ابْتَلَى بهِنّ إبراهيم ما بَيَّنّا آنِفًا .

وَلو قال قائِل في ذلك: إنَّ الذي قاله مُجاهِد وأبو صالِح والرّبيع بن أنَس أولَى بالصّوابِ من القول الذي قاله غيرهمْ؛ كان مَذْهَبًا؛ لأنَّ قوله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ وسائِر الآيات التي هي نَظير ذلك - كالبيانِ عن الكلِمات التي ذَكَرَ اللّه أنّه ابْتَلَى بهِنّ إبراهيم .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾

ويَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فأتَمّ إبراهيم الكلِمات . وإتْمامه إيَّاهُنَّ إكْماله إيَّاهُنَّ بالقيامِ لِلّه بما أوجَبَ عليه فيهِنّ وهو الوفاء الذي قال اللّه جَلّ ثَناؤه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[النجم: ٣٧] . يَعْني بذلك: وفَّى بما عَهِدَ إليه بالكلِماتِ، فأمَرَه به، من فَرائِضه ومِحَنه فيها . كَما:

١٩٣٣- حدَّثني مُحَمَّد بن المُثَنّى، قال: ثنا عبد الأعْلَى، قال: ثنا داود، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبّاس: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ . أيْ: فَأدّاهُنّ(٣) .

١٩٣٤- وحدَّثني بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْعٍ، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ . أيْ: عَمِلَ بهِنّ، فَأتَمّهنّ(٤) .

---

(١)[ضعيف]: سهل بن معاذ بن أنس الجهني شامي ضعيف، وزبان بن فائد ضعيف، من معلقات المصنف صلاحه وزهده، وعليه مدراه، ورشدين بن سعد بن مفلح بن هلال كذلك ضعيف .

(٢)[ضعيف جدًا] جعفر بن الزبير الحنفي متروك الحديث، وقد أخرجه الطبراني في مسند الشاميين بسند آخر ضعيف جدًا مثل هذا .

(٣)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل .

(٤)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي . ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط .

١٩٣٥- **وَحُدِّثت** عن عَمَّار، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾. أيْ: عَمِلَ بهنّ فأتَمّهنّ[(١)].

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: فَقال اللّه: يا إبراهيم، إنِّي مُصَيِّرك لِلنَّاسِ إمامًا يُؤتَمّ به ويُقْتَدَى به. **كَما:**

١٩٣٦- **حُدِّثت** عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ليُؤمَّ به، ويُقْتَدَى بِهِ[(٢)].

يُقال منه: أمَمْت القوْم فأنا أؤمّهم أمًّا وإمامة. إذا كُنْت إمامهمْ.

وَإنّما أرادَ جَلّ ثَناؤه بقولِه لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إنِّي مُصَيِّرك تَؤمّ مَنْ بعدك من أهل الإيمان بي وبِرُسُلي، فَتَقَدَّمُهم أنت، ويَتّبِعونَ هَديك، ويَسْتَنّونَ بسُنّتِك التي تَعْمَل بها، بأمْري إيّاكَ ووَحْيي إليك.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بذلك، قال إبراهيم - لَمَّا رَفَعَ اللّه مَنْزِلَته وكَرَّمَه، وَأعْلَمَه ما هو صانِع به من تَصْيِيره إمامًا في الخيْرات لِمَنْ في عَصْره ولِمَنْ جاء بعده من ذُرِّيَّته وسائِر النَّاس غيرهم يُهْتَدي بهَدْيِه ويَقْتَدي بأفعالِه وأخْلاقه - : يا رَبّ ومن ذُرّيّتي فاجْعَلْ أئِمّة يُقْتَدي بهم كالذي جَعَلْتني إمامًا يُؤتَمّ به ويُقْتَدَى بي. مسألة من إبراهيمَ رَبَّه سَألَه إيّاها. **كَما:**

١٩٣٧- **حُدِّثت** عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع، قال: قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ يقول: واجْعَلْ من ذُرّيّتي مَنْ يُؤتَمّ ويُقْتَدَى به[(٣)].

وَقد زَعَمَ بعض النَّاس أنَّ قول إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ مسألةٌ منه رَبَّه لِعَقِبه أنْ يكونوا على عَهْده ودينه، كما قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فَأخْبَرَ اللّه جَلّ ثَناؤه أنَّ في عَقِبه الظّالِم المُخالِف له في دينه بقولِه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

والظَّاهِر من التّنْزيل يَدُلّ على غير الذي قاله صاحِب هذه المقالة؛ لأنَّ قول إبراهيم صَلَوات اللّه عليه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ في إثْر قول اللّه له جَلّ ثَناؤه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فَمعلوم أنَّ الذي سَألَه إبراهيم لِذُرّيّته لو كان غير الذي أخْبَرَهُ رَبُّه أنّه أعْطاه إيّاه لَكان مُبَيّنًا؛ ولَكِنّ المسألة لَمّا كانتْ مِمّا جَرَى ذِكْره، اكْتُفِيَ بالذِّكْرِ الذي قد مَضَى من تَكْريره وإعادَته، فَقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ بمعنى: ومن ذُرِّيَّتي فاجْعَلْ مِثْل الذي جَعَلْتني به من الإمامة لِلنَّاسِ.

---

(١)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٢)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٣)[ضعيف] من معلقات المصنف.

القولُ في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

وهذا خَبَر من اللَّه جَلّ ثَناؤه عن أنَّ الظَّالِم لا يكون إمامًا يَقْتَدي به أهل الخيْر. وهو من اللَّه جَلّ ثَناؤه جَواب لإبراهيم في مسألَته إيَّاه أنْ يجْعَل من ذُرّيَّته أئِمّة مِثْله. فَأَخْبَرَه أنَّه فاعِل ذلك إلاَّ بمَنْ كان من أهل الظُّلْم منهم، فَإِنَّه غيرُ مُصَيِّرِه كذلك، ولا جاعِله في مَحَلّ أوليائِه عنده بالتَّكْرِمةِ بالإمامةِ؛ لأنَّ الإمامة إنَّما هي لأوليائِه وأهل طاعَته دون أعْدائِه والكافِرينَ به.

واختَلَفَ أهل التّأويل في العهْد الذي حَرَّمَ اللَّه تعالى ذكره الظَّالِمينَ أنْ يَنالوه، فَقال بعضهمْ: ذلك العهْد هو النُّبوّة.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٣٨- **حَدَّثَنا** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدّيّ، قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يقول: عَهْدي: نُبوَّتي[(١)].

فَمعنى تأويل هذا القول في تأويله الآية: لا يَنال النُّبوّة أهل الظُّلْم والشِّرْك.

وَقال آخرونَ: معنى العهْد عَهْد الإمامة، فَتأويل الآية على قولهمْ: لا أجْعَل مَنْ كان من ذُرّيَّتك يا إبراهيمُ ظالِمًا إمامًا لِعِبادي يُقْتَدَى به.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٣٩- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: لا يكون إمامًا ظالِمٌ[(٢)].

١٩٤٠- **وَحَدَّثني** المُثَنّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: قال: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: لا يكون لي إمامًا ظالِمٌ[(٣)].

١٩٤١- **وَحَدَّثني** المُثَنّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن عِكْرِمة بمِثْلِه[(٤)].

١٩٤٢- **وَحَدَّثَنا** محمدُ بنُ بَشَّارٍ، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا سُفْيان، عن مَنْصور، عن مُجاهِد في قوله: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: لا يكون إمامًا ظالِمٌ يُقْتَدَى به[(٥)].

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[صحيح] هذا سند حسن من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، وسيأتي بعده باثنين بسند صحيح، والعلم عند الله.

(٣)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٤)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٥)[صحيح] تقدم قبله بواحد، وهذا سند صحيح، رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

١٩٤٣- وحدثنا أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: ثنا سُفيان، عن مَنصور، عن مُجاهِد، مِثله[١].

١٩٤٤- وحدثنا مُشرِّفُ بن أبانِ الخطَّابُ، قال: ثنا وكيع، عن سُفيان، عن خُصَيْفٍ، عن مُجاهِد في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: لا أجعَل إمامًا ظالِمًا يُقتَدى به[٢].

١٩٤٥- وحدّثني مُحَمَّد بن عُبَيْد المُحارِبيّ، قال: ثنا مُسْلِم بن خالِد الزَّنْجيّ، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: لا أجعَل إمامًا ظالِمًا يُقتَدَى به[٣].

١٩٤٦- وحدثنا القاسِم، قال: حدثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: لا يكون إمامًا ظالِم.

قال ابن جُرَيْج: وأمّا عَطاء فإنّه قال: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ فأبَى أنْ يجعَل من ذُرّيَّته ظالِمًا إماماً؛ قُلْت لِعَطاءٍ: ما عَهْده؟ قال: أمْره[٤].

وَقال آخَرونَ: معنى ذلك: أنّه لا عَهْد عليك لِظالِمٍ أنْ تُطيعه في ظُلْمه.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٤٧- حدّثَني مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثَني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبّاس قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يَعْني لا عَهْد لِظالِمٍ عليك في ظُلْمه أنْ تُطيعه فيه[٥].

١٩٤٨- وحدّثني المُثَنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرّحْمَن بن عبد اللّه، عن إسرائيل، عن مُسْلِم الأعْوَر، عن مُجاهِد، عن ابن عَبّاس: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: لَيسَ لِلظّالِمينَ عَهْد، وإنْ عاهَدْتَه فانْقُضْه[٦].

١٩٤٩- وحدثنا القاسِم، قال: حدثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن سُفيان، عن

---

(١)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند حسن من أجل الأهوازي.

(٢)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان، وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن، سيء الحفظ.

(٣)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ فيه محمد الزنجي شيخ الشافعي، ضعيف الحديث.

(٤)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، ابن جريج ثقة مدلس، لم يسمع التفسير من مجاهد. والسند إليه ضعيف، فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٥)[صحيح] هذا سند ضعيف؛ فيه عائلة العوفي الضعفاء، ولكن أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح، فقال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا إسحاق الأزرق، ثنا سفيان، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: (ليس لظالم عليك عهد في معصية الله أن تطيعه). اهـ.

(٦)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ مسلم بن كيسان الضبي الملائي البراد أبو عبد الله الكوفي الأعور ضعيف.

هارونَ بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عبَّاس، قال: لَيْسَ لِظالِمٍ عَهْد [(١)].

وَقال آخَرونَ: معنى العهْد في هذا الموضِع: الأمان.

فَتأويل الكلام على معنى قولهمْ، قال اللَّه: لا يَنال أماني أعْدائي، وأهلَ الظُّلْم لِعِبادي. أيْ: لا أُؤَمِّنهم من عَذابي في الآخِرة.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٩٥٠- **حدثنا** بشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ذلكُم عند اللَّه يوم القيامة لا يَنال عَهْده ظالِم، فَأمَّا في الدُّنْيا فقد نالوا عَهْد اللَّه، فوارَثوا به المُسْلِمينَ وعادوهم وناكَحوهم به، فَلَمَّا كان يوم القيامة قَصَرَ اللَّه عَهْده وكَرامَته على أوليائِه [(٢)].

١٩٥١- **وحدثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ قال: لا يَنال عَهْد اللَّه في الآخِرة الظَّالِمونَ، فَأمَّا في الدُّنْيا فقد نالَه الظَّالِم فأمِن به، وأكَلَ به وعاشَ [(٣)].

١٩٥٢- **وحدثني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرَّحْمَن بن عبدِ اللهِ، عن إسرائيل، عن مَنْصور، عن إبراهيم: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ قال: لا يَنال عَهْد اللَّه في الآخِرة الظَّالِمونَ، فَأمَّا في الدُّنْيا فقد نالَه الظَّالِم فَأمِنَ به وأكَلَ وأبْصَرَ وعاشَ [(٤)].

وَقال آخَرونَ: بل العهْد الذي ذَكَرَه اللَّه في هذا الموضِع: دين اللَّه.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٩٥٣- **حُدِّثت** عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع، قال: قال اللَّه لإبراهيم: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ قال: فَعَهْد اللَّه الذي عَهِدَ إلى عِباده: دينه. يقول: لا يَنال دينه الظَّالِمينَ، ألا تَرَى أنه قال: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣] يقول: لَيْسَ كُلّ ذُرِّيَّتك يا إبراهيم على الحق [(٥)].

١٩٥٤- **وحدثني** محمد بن جَعْفَر، قال: أخبرَنا يَزيد، قال: أخبرَنا جوَيْبِر، عن الضَّحَّاك في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ قال: لا يَنالُ طاعتي عَدوٌّ لي يَعْصيني، ولا أنْحَلها إلاَّ وليًّا يُطيعني [(٦)].

---

(١)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢)[صحيح] كما سيأتي بعده، وهذا سد حسن من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من [illegible]

(٣)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٥)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٦)[ضعيف] جويبر بن سعيد الأزدي متروك.

وَهذا الكلام وإنْ كان ظاهِره ظاهِرَ خَبَرٍ عن أنّه لا يَنال من ولدِ إبراهيم صَلَوات اللّه عليه عَهْدُ اللّه - الذي هو النُّبوّة والإمامة لأهلِ الخيْر، بمعنى الاقْتِداء به في الدُّنْيا، والعهْد الذي بالوفاءِ به للهِ يَنْجو في الآخِرة، مَنْ وفَّى لِلّه به في الدُّنْيا - مَنْ كان منهم ظالِمًا مُعْتَدِيًا، جائِرًا عن قَصْد سَبيل الحقّ.

فَهوَ إعْلام من اللّه تعالى ذِكْره لِإبراهيم أنَّ مِنْ ولَده مَنْ يُشْرِك به، ويزول عن قَصْد السّبيل، ويَظْلِم نَفْسه وعِباده. **كالذي**:

١٩٥٥- **حدثني** إسحاق بن إبراهيم بن حَبيب بن الشّهيد، قال: ثنا عَتَّاب بن بشْر، عن خُصَيف، عن مُجاهِد في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: إنّه سَيكونُ في ذُرّيَّتك ظالِمونَ (١).

وَأمَّا نَصْب ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فَلأنَّ العهْد هو الذي لا يَنال الظّالِمينَ. وَقد ذُكِرَ أنّه في قِراءة ابن مسعود: (لا ينال عهدي الظالمون). بمعنى أن الظالمين هم الذين لا ينالون عهد الله.

وإنما جاز الرفع في ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والنّصْب، وكذلك في العهْد؛ لأنَّ كُلّ ما نالَ المرْءَ فقد نالَه المرْء، كما يُقال: نالَني خَيْر فُلان ونِلْت خَيْره، فَيوَجّه الفِعْل مَرّة إلى الخيْر ومَرّة إلى نَفْسه.

وَقد بَيّنّا معنى الظُّلْم فيما مَضَى فَكَرِهْنا إعادَته.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾

أمّا قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾ فإنّه عَطَفَ بـ (إذ) على قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾.

وَقوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ معطوف على قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾ [البقرة: ١٢٢] واذْكُروا إذ ابْتَلَى إبراهيمَ رَبُّه، وإذْ جَعَلْنا البيْت مَثابة.

والبيْتُ الذي جَعَلَه اللّه مَثابة لِلنّاسِ هو البيْت الحرام.

وَأمّا المثابة فَإنَّ أهل العربيّة مُخْتَلِفونَ في معناها، والسّبَب الذي من أجْله أُنّثَتْ؛ فَقال بعض نَحْويّي البصْرة: أُلْحِقَتِ الهاء في المثابة لَمّا كَثُرَ مَنْ يَثُوبُ إليه، كما يُقال: سَيَّارةٌ. لِمَنْ يُكْثِر ذلك ونَسَّابة.

وَقال بعض نَحْويّي الكوفة: بل المَثاب والمَثابة بمعنى واحِد، نَظيرُ المَقام والمَقامةِ. والمقامُ ذُكّرَ - على قوله - لأنّه أُريدَ به الموضِع الذي يُقام فيه، وأُنّثَتِ المقامة لأنّه أُريدَ بها البُقْعة.

وَأنْكَرَ هؤلاء أنْ تَكون المثابة للسّيَّارةِ والنّسّابة نَظيرَةً، وقالوا: إنّما أُدْخِلَتِ الهاء في السّيّارة والنّسّابة تَشْبيهًا لها بالدّاهيةِ. والمثابة مَفْعَلة من ثابَ القوْم إلى الموضِع: إذا رَجَعوا إليه، فَهم يَثوبونَ إليه مَثابًا ومَثابة وثَوابًا.

فمعنى قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: وإذْ جَعَلْنا البيْت مَرْجِعًا لِلنّاسِ ومَعاذًا، يَأتونه كُلّ

---

(١)[ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان، وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيء الحفظ.

عام ويَرْجِعونَ إليه، فلا يَقْضونَ منه وطَرًا. وَمن المثاب قول ورَقة بن نَوْفَل في صِفة الحرَم:

مَـثـابٌ لأفـنـاءِ الـقـبـائِـلِ كُـلِّـهـا تَخُبُّ إليه اليَعْمَلاتُ الطَّلائِحُ(١)

وَمنه قيلَ: ثابَ إليه عَقْله، إذا رَجَعَ إليه بعد عُزوبه عنه. وَبِنَحْوِ ما قُلْنا في تأويل ذلك قال أهل التّأويل.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٩٥٦- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدثنا: أبو عاصم، قال: حدثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللّه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: لا يَقْضونَ منه وطَرًا(٢).

١٩٥٧- **وَحَدَّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله(٣).

١٩٥٨- **وَحَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: يَثوبونَ إليه، لا يَقْضونَ منه وطَرًا(٤).

---

(١)[الطويل] القائل: ورقة بن نوفل. رواه الشافعي في (الأم): (مثابًا لأفناء القبائل كلها تخب إليه اليعملات الذوامل). اللغة: المَثابةُ: الموضع الذي يُثابُ إليه، أي: يُرْجَعُ إليه مرَّة بعد أُخرى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾. وإنما قيل للمنزل مَثابةٌ؛ لأنَّ أهلَه يَتَصَرَّفُون في أُمورهم ثم يَثُوبون إليه، والجمع: المَثابُ. والمثابة والمثاب واحد. أفناء القبائل: أخلاطهم ونزاعهم من هاهنا وهاهنا. وخَبَتِ الدابة تَخِبُّ خَبَبًا: هو ضرب سريع من العدو. واليعملات: جمع يعملة؛ وهي الناقة السريعة المطبوعة على العمل، اشتق اسمها من العمل، والعمل: الإسراع والعجلة. والطلائح: جمع طليح. ناقة طليح أسفار: جهدها السير وهزلها، فهي ضامرة هزلاً. يعني: الإبل أنضاها أصحابها في إسراعهم إلى حج البيت. وأما (الذوامل) في الرواية الأخرى، فهي جمع ذاملة. ناقة ذمول وذاملة: وهي التي تسير سيرًا لينًا سريعًا. المعنى: هذا البيت من أبيات قالها ورقة بن نوفل ذكرها ابن كثير في (البداية والنهاية) وكان قد سبقه أبيات في ذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام:

فمتبع دين الذي أسس البنا وكان له فضل على الناس راجح
وأسس بنيانًا بمكة ثابتًا تلألأ فيه بالظلام المصابح
مثابًا لأفناء القبائل كلها تخب إليه اليعملات الطلائح

وقد صرح بالثناء عليه، فهو الذي بنى البيت الحرام بمكة المكرمة، الذي يعد منارة أضاءت ومازلت تضيء الكون كله بنورها، ومن ثَمَّ يأتي إليها الناس من كل صوب وجهة آمِّين البيت الحرام، وتسرع إليه الإبل مجتهدةً في سيرها طلبًا للوصول إليه.

(٢)[صحيح] كما سيأتي بعده وهذا سند حسن من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣)[صحيح] تقدم قبله.

(٤)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

١٩٥٩- **وحدّثني** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: أمَّا المثابة فهو الذي يَثوبونَ إليه كُلّ سَنة لا يَدَعه الإنْسان إذا أتاه مَرّة أنْ يَعود إليه (١).

١٩٦٠- **وحدّثني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثني أبي، قال: حَدَّثني عَمّي، قال: حَدَّثني أبي عن أبيه، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ يقول: لا يَقْضونَ منه وطَرًا، يَأتونه ثُمّ يَرْجعونَ إلى أهليهم ثُمّ يَعودونَ إليه (٢).

١٩٦١- **وحدّثني** عبد الكريم بن أبي عُمَيْر، قال: حَدَّثني الوليد بن مُسْلِم، قال: قال أبو عمرو، حَدَّثني عَبْدَةُ بن أبي لُبابة في قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: لا يَنْصَرِف عنه مُنْصَرِفٌ وهو يَرَى أنّه قد قَضَى منه وطَرًا (٣).

١٩٦٢- **وحدّثني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا عبد الملِك، عن عَطاء في قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: يَثوبونَ إليه من كُلّ مَكان، ولا يَقْضونَ منه وطَرًا (٤).

١٩٦٣- **وحدّثنا** ابن حُمَيْدٍ، قال: حدثنا جَرير، عن عبد الملِك، عن عَطاء، مِثْله (٥).

١٩٦٤- **وحدّثني** مُحَمَّد بن عُمَارة الأسَديّ، قال: ثنا سَهْل بن عامِر، قال: ثنا مالِك بن مِغْوَل، عن عَطيّة في قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: لا يَقْضونَ منه وطَرًا (٦).

١٩٦٥- **وحدّثنا** مُحَمَّد بن بَشّار، قال: ثنا عبد الرّحْمَن، قال: ثنا سُفْيان، عن أبي الهُذَيْل، قال: سَمِعْت سَعيد بن جُبَيْر يقول: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: يَحُجّونَ ويَثوبونَ (٧).

١٩٦٦- **وحدّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا الثَّوْريّ، عن أبي الهُذَيْل، عن سَعيد بن جُبَيْر في قوله: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: يَحُجّونَ ويَثوبونَ (٨).

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٣)[ضعيف] عبدة بن أبي لبابة الأسدي الغاضري، إمام فاضل ورع. وعبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو واسمه: يحمد الشامي أبو عمرو الأوزاعي، إمام أهل الشام في زمانه في الحديث والفقه، والوليد بن مسلم القرشي صدوق مدلس التسوية، لابد أن يصرح عن شيخه. وعبد الكريم بن أبي عمير الدهان مجهول الحال.

(٤)[حسن] من أجل عبد الملك بن أبي ميسرة العرزمي.

(٥)[حسن] تقدم قبله.

(٦)[ضعيف] سهل بن عامر البجلي ضعيف الحديث، ومحمد بن عمار الأسدي لم أقف عليه.

(٧)[صحيح] حصين بن عبد الرحمن السلمي أبو الهذيل الكوفي ابن عم منصور بن المعتمر الثقة المأمون - من كبار أصحاب الحديث. وسفيان هو الثوري. وعبد الرحمن هو ابن مهدي.

(٨)[صحيح] تقدم قبله، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

١٩٦٧- **وحدّثنا** الحسنُ بنُ يحيى، قال: حدَّثنا عبد الرزاقِ، قال: أخبرنا الثوريُّ عن أبي الهُذيل، عن سعيد بن جُبَيْرٍ قوله: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: يحُجّون، ثم يَحُجّون، ولا يَقْضون منه وَطَرًا(١).

١٩٦٨- **وحدّثني** المُثنى، قال: ثنا ابن دُكَيْنٍ، قال: ثنا مِسْعَر، عن غالِب، عن سَعيد بن جُبَيْر: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: يَثوبونَ إليه(٢).

١٩٦٩- **وحدّثنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْعٍ، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: مَجْمَعًا(٣).

١٩٧٠- **وحدّثني** المُثنى، قال: ثنا عبد اللّه بن صالِح، قال: حَدَّثني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبّاس: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ يقول: يَثوبونَ إليه(٤).

١٩٧١- **وحُدّثت** عن عَمّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ يقول: يَثوبونَ إليه(٥).

١٩٧٢- **وحدّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: يَثوبونَ إليه من البُلْدان كُلّها ويأتونَه(٦).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَمْنًا﴾

والأمن: مَصْدَر من قول القائِل أمِنَ يَأمَن أمْنًا. وإنَّما سَمَّاه اللّه أمْنًا لأنّه كان في الجاهِليّة مَعاذًا لِمَنْ استَعاذَ به، وكان الرّجُل منهم لو لَقيَ به قاتِلَ أبيه أو أخيه لم يَهْجُه ولم يَعْرِض له حتّى يَخرُج منه، وكان كما قال جَلّ ثَناؤه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

١٩٧٣- **حدّثني** يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ قال: مَنْ أَمَّ إليه فهو آمِن؛ كان الرّجُل يَلْقَى قاتِل أبيه أو أخيه فلا يَعْرِض له(٧).

١٩٧٤- **حدّثني** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: أمَّا ﴿وَأَمْنًا﴾ فَمَنْ دَخلَه كان آمِنًا(٨).

١٩٧٥- **حدّثني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عِيسَى، عن ابن أبي نَجيح،

---

(١)[صحيح] تقدم قبله. (٢)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.
(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.
(٤)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.
(٥)[ضعيف] من معلّقات المصنف.
(٦)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.
(٧)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.
(٨)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿وَأَمْنًا﴾ قال: تَحريمه لا يَخاف فيه مَنْ دَخَله (١).

١٩٧٦ - وحُدِّثت عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ يقول: أمْنًا من العدوّ أنْ يَحمِل فيه السِّلاح، وقد كان في الجاهِليّة يُتَخَطَّف النَّاس من حَوْلهم وهم آمِنونَ لا يَسْبَونَ (٢).

١٩٧٧ - وَحُدِّثت عن المنجاب، قال: أخبرَنا بشر، عن أبي رَوْق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ قال: أمْنًا لِلنَّاسِ (٣).

١٩٧٨ - وحَدَّثنا القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد في قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ قال: تَحريمه لا يخاف فيه مَنْ دَخَله (٤).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾

اختلَفَ القَرَأَةُ في قِراءة ذلك، فقَرَأه بعضهمْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ بكَسْرِ الخاء على وجه الأمْر باتِّخاذِه مُصَلًّى؛ وهيَ قِراءة عامّة قَرَأةِ المِصْرَيْنِ؛ الكوفة والبصْرة، وقِراءة عامّة قَرَأةِ أهل مَكّة، وبعضِ قَرَأةِ أهل المدينة.

وَذَهَبَ الذينَ قَرَءوا ذلك إلى الخبَر الذي:

١٩٧٩ - حَدَّثنا أبو كُرَيْب ويَعْقوب بن إبراهيم، قالا: حَدَّثنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا حُمَيْد، عن أنَس بن مالِك، قال: قال عُمَر بن الخطَّاب: قُلْت: يا رَسول اللَّه، لو اتَّخذْت المقام مُصَلًّى! فأنْزَلَ اللَّه: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (٥).

١٩٨٠ - وحَدَّثنا مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: ثنا ابن أبي عَديّ، وحَدَّثني يَعْقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيّة جَميعًا، عن حُمَيْد، عن أنَس، عن عُمَر، عن النَّبيّ ﷺ مِثْله (٦).

١٩٨١ - وحَدَّثنا عمرو بن عَليّ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا حُمَيْد، عن أنس، قال: قال عُمَر بن الخطَّاب: قُلْت: يا رَسول اللَّه، فذَكَرَ مِثْله (٧).

قالوا: فَإنَّما أنْزَلَ اللَّه تعالى ذِكْره هذه الآية أمْرًا منه نَبيّه ﷺ باتِّخاذِ مَقام إبراهيم مُصَلًّى؛ فَغير جائِز قِراءَتها وهيَ أمْر على وجه الخبَر. وَقد زَعَمَ بعض نَحْويّي البصْرة أنّ قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٣)[ضعيف] الضحاك عن ابن عباس مرسل، وبشر بن عمارة الخثعمي ضعيف الحديث. ثم هو من معلقات المصنف.

(٤)[ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف؛ فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٥)[صحيح] أخرجه البخاري [٤٠٢] وغيره.

(٦)[صحيح] تقدم قبله. (٧)[صحيح] تقدم قبله.

﴿مَقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ جزمٌ معطوفٌ على قوله: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾ واتَّخِذوا مصلًّى من مَقام إبراهيمَ. فَكان الأمْر بهذه الآية وباتِّخاذِ المُصَلَّى من مَقام إبراهيم - على قول هذا القائِل - لِلْيَهودِ من بَني إسرائيل الذينَ كانوا على عَهْد رَسول اللَّه ﷺ. **وقال الرّبيع بن أنَس بما:**

١٩٨٢- **حُدِّثت** به عن عَمّار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: من الكلِمات التي ابْتُليَ بها إبراهيم قوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. يأمُرهم أنْ يَتَّخِذوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى، فَهم يُصَلّونَ خَلْف المقام (١).

فَتأويل قائِل هذا القول: وإذِ ابتلَى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمهنَّ، قال: إني جاعِلُكَ للناسِ إمامًا. قال: اتَّخِذُوا من مقامِ إبراهيمَ مصلًّى.

والخبَر الذي ذَكَرْناه عن عُمَر بن الخطّاب، عن رَسول اللَّه ﷺ قَبْل، يَدُلّ على خِلاف الذي قاله هؤلاء، وأنَّه أمْر من اللَّه تعالى ذِكْره بذلك رَسول اللَّه ﷺ والمُؤمِنينَ به وجَميعَ الخلْق المُكَلَّفينَ.

وَقَرَأه بعض قرأةِ أهل المدينة والشّام: (واتَّخَذوا) بفَتْح الخاء على وجه الخبَر.

ثُمّ اختُلِفَ في الذي عُطِفَ عليه بقولِه: (واتَّخَذوا) إذا قُرِئَ كذلك على وجه الخبَر، فَقال بعض نَحْويّي البصْرة: تأويله إذا قُرِئَ كذلك: وإذْ جَعَلْنا البيْتَ مَثابةً لِلنّاسِ وأمْنًا وإذْ اتَّخَذوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى.

وَقال بعض نَحْويّي الكوفة: بل ذلك معطوف على قوله: ﴿جَعَلْنَا﴾. فَكأن معنى الكلام على قوله: وإذْ جَعَلْنا البيْتَ مَثابةً لِلنّاسِ واتَّخَذوه مُصَلًّى.

والصّواب من القول والقِراءة في ذلك عندنا: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ بكَسْرِ الخاء، على تأويل الأمْر باتِّخاذِ مَقام إبراهيم مُصَلًّى؛ لِلْخبَرِ الثّابِت عن رَسول اللَّه ﷺ الذي ذَكَرْناه آنِفًا، وأنَّ عمرو بن عَليٍّ:

١٩٨٣- **حَدّثَنا** قال: ثنا يَحْيَى بن سَعيد، قال: ثنا جَعْفَر بن مُحَمَّد، قال: حَدَّثَني أبي، عن جابِر بن عبد اللَّه: أنَّ رَسول اللَّه ﷺ قَرَأ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ (٢).

ثُمّ اختَلَفَ أهل التّأويل في تأويل قوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وفي مَقام إبراهيم.

فَقال بعضهمْ: مَقام إبراهيم: هو الحجُّ كُلُّه.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٨٤- **حَدّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق، قال: أخبرَنا ابن جُرَيْجٍ، عن عَطاء، عن ابن عَبّاس في قوله: ﴿مَقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ قال: الحجّ كُلّه مَقام إبراهيم (٣).

(١)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٢)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل على شرطهما.

(٣)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

١٩٨٥- وَحدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا سُفيان بن عُيَيْنَةَ، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ قال: الحجّ كُلّه[(١)].

١٩٨٦- وحَدَّثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سُفيان، عن ابن جُرَيْج، عن عَطاء، قال: الحجّ كُلّه مَقام إبراهيم[(٢)].

وَقال آخَرونَ: مَقامُ إبراهيمَ عَرَفةُ والمُزْدَلِفةُ والجِمارُ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٨٧- حَدَّثني مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن عَطاء بن أبي رَباح: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. قال: لأنّي قد جَعَلْته إمامًا فَمَقامه عَرَفة والمُزْدَلِفة والجِمار[(٣)].

١٩٨٨- وَحدَّثنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. قال: مَقامُه جَمْعٌ وعَرَفةُ ومِنًى. لا أعْلَمه إلاّ وقد ذَكَرَ مَكّة[(٤)].

١٩٨٩- وَحدَّثنا عمرو بن عَليّ، قال ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن عَطاء، عن ابن عَبّاس في قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. قال: مَقامه عَرَفة[(٥)].

١٩٩٠- وَحدَّثنا عمرو بن عَليّ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا داود، عن الشّعْبيّ قال: نَزَلَتْ عليه وهو واقِف بعَرَفة مَقام إبراهيم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الآية[(٦)].

١٩٩١- وَحدَّثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا بشر بن المُفَضّل، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن الشّعْبيّ، مِثْله[(٧)].

وَقال آخَرونَ: مَقام إبراهيم: الحرَم.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

١٩٩٢- حُدِّثت عن حَمّاد بن زَيْد، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. قال: الحرَم كُلّه مَقام إبراهيم[(٨)].

(١)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.
(٢)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.
(٣)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي.
(٤)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.
(٥)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي. وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.
(٦)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.
(٧)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.
(٨)[صحيح] أخرجه ابن زنجويه في الأموال قال: أنا حميد أنبأنا أبو نعيم، أنبأنا حماد بن زيد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، أنه كان يقول: (الحرم كله مقام إبراهيم). اهـ. أما سند المصنف فهو من معلقاته.

وَقال آخَرونَ: مَقام إبراهيم: الحجَر الذي قامَ عليه إبراهيم حين ارْتَفَعَ بناؤه، وضَعُفَ عن رَفْعِ الحِجارة.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٩٩٣- **حدثنا** ابن سِنان القزّازُ، قال: ثنا عُبَيْد اللَّه بن عبد المجيد أبو علي الحنَفيّ، قال: ثنا إبراهيم بن نافِع، قال: سَمِعْت كَثير بن كَثير يُحَدِّث عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: جعَلَ إبراهيم يَبنيه، وإسماعيل يُناوِله الحِجارة، ويقولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فلَمّا ارْتَفَعَ البُنْيان وضَعُفَ الشَّيْخ عن رَفْعِ الحِجارة قامَ على حَجَر، فهو مَقام إبراهيم [١].

وَقال آخَرونَ: بل مَقام إبراهيم، هو مَقامه الذي هو في المسجِد الحرام.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٩٩٤- **حدثنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾: إنَّما أُمِروا أنْ يُصَلّوا عنده ولم يُؤْمَروا بمسحِه، ولَقد تَكَلَّفَتْ هذه الأُمّة شَيْئًا ما تَكَلَّفَتْه الأُمَم قَبْلها، ولَقد ذَكَرَ لنا بعض مَنْ رَأى أثرَ عَقِبه وأصابِعه، فما زالَتْ هذه الأُمّة يَمْسَحونَه حتّى اخلولَقَ وانمَحَى [٢].

١٩٩٥- **وحُدِّثت** عن عَمّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾: يَأمُرُهم أن يتَّخِذوا مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى، فهم يُصَلّونَ خَلْفَ المقام [٣].

١٩٩٦- **وحدثني** موسى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾: وهو الصَّلاة عند مَقامه في الحجّ. والمقام: هو الحجَر الذي كانتْ زَوْجة إسماعيل وضَعتْ تَحت قَدَمِ إبراهيم حين غَسَلَتْ رَأسه، فَوَضَعَ إبراهيم رِجْله عليه وهو راكِب، فَغَسَلَتْ شِقّه ثُمّ رفَعَتْه من تَحته وقد غابَتْ رِجْله في الحجَر، فَوَضَعَتْه تَحت الشِّقّ الآخَر فَغَسَلَتْه، فَغابَتْ رِجْله أيْضًا فيه، فَجَعَلَها اللَّه من شَعائِره، فَقال: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [٤].

وَأولَى هذه الأقْوال بالصَّوابِ عندنا ما قاله القائِلونَ إنَّ مَقام إبراهيم: هو المقام المعروف بهذا الاسم، الذي هو في المسجِد الحرام؛ لِما رَوَيْنا آنِفًا عن عُمَر بن الخَطّاب، ولِما:

---

(١)[حسن] كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة، ثقة عن سعيد بن جبير على شرط البخاري، وإبراهيم بن نافع المخزومي ثقة ثبت. وعبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي البصري، صدوق؛ لم يثبت أن يحيى بن معين ضعفه. محمد بن سنان القزاز يكنى أبا الحسن بصري ثقة، ومدار الأثر على إبراهيم بن نافع، كما عند ابن أبي حاتم في التفسير وغيره.

(٢)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٤)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

١٩٩٧- حَدَّثَنا به يوسُف بن سُلَيمان، قال: ثنا حاتِم بن إسماعيل، قال: ثنا جَعْفَر بن مُحَمَّد، عن أبيه، عن جابِر قال: استَلَمَ رَسول اللّه ﷺ الرُّكْن، فَرَمَلَ ثَلاثًا ومَشى أربعًا، ثُمّ نَفَذَ إلى مَقام إبراهيم فَقَرَأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾. فَجَعَلَ المقام بينه وبين البيْت، فَصَلّى رَكْعَتَيْنِ (١).

فَهذانِ الخبَرانِ يُنْبِئانِ أنَّ اللّه تعالى ذِكْره إنَّما عَنَى بمَقام إبراهيم الذي أمَرَنا باتِّخاذِه مُصَلًّى منه، هو الذيَ وصَفْنا. وَلو لم يكُنْ على صِحّة ما اختَرْنا في تأويل ذلك خَبَر عن رَسول اللّه ﷺ، لَكان الواجِب من القول فيه ما قُلْنا؛ وذلك أنَّ الكلام محمول معناه على ظاهِره المعروف دون باطِنه المجْهول، حتّى يَأتي ما يَدُلّ على خِلاف ذلك مِمَّا يجِب التَّسْليم له. وَلا شَكَّ أنَّ المعروف في النّاس بمَقام إبراهيم هو ما وصَفتُ دونَ جميعِ الحرَم، ودونَ مَواقِفِ الحجِّ كلِّها. وأمّا المُصَلّى الذي قال اللّه تعالى ذِكْره: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾. فإنَّ أهل التّأويل مُخْتَلِفونَ في معناه، فَقال بعضهمْ: هو المُدَّعَى.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٩٩٨- حَدَّثَني المُثَنّى قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا سُفْيان بن عُيَيْنَةَ، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ قال: مُصَلًّى إبراهيم مُدَّعًى (٢).

وَقال آخَرونَ: بل معنى ذلك: بل اتَّخِذوا مُصَلًّى تُصَلُّونَ عندَه.

ذِكر مَن قال ذلك:

١٩٩٩- حَدَّثَنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة، قال: أُمِروا أنْ يُصَلّوا عنده (٣).

٢٠٠٠- وَحَدَّثَني موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عمرُو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: هو الصَّلاة عنده (٤).

فَكَأنَّ الذينَ قالوا: تأويل المُصَلّى هَهُنا المُدَّعَى، وجَّهوا المُصَلّى إلى أنّه مُفْعَل من قول القائِل: صَلَّيْت. بمعنى دَعَوْت. وَقائِلو هذه المقالة هم الذينَ قالوا: إنَّ مَقام إبراهيم هو الحجّ كُلّه.

فكأن معناهم في تأويل هذه الآية: واتَّخِذوا عَرَفة والمُزْدَلِفة والمشْعَر والجمرات وسائِر أماكِن

(١)[صحيح] أخرجه مسلم [١٢١٨] وغيره.

(٢)[حسن] كما أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير فقال: حدثنا سهل بن بحر العسكري بالري، ثنا جعفر بن حميد، أنبأ ابن المبارك، عن زكريا بن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ قال: (مدعا). اهـ. أما سند المصنف فضعيف؛ المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

الحجّ التي كان إبراهيم يقوم بها مُدَّعًى تَدْعونَني عندها، وتأتَمّونَ بإبراهيم خَليلي صلوات الله عليه فيها، فإنّي قد جعَلْته لِمَنْ بعده - من أوليائي وأهل طاعَتي - إمامًا يَقْتَدونَ به وبِآثارِه، فاقْتَدوا به.

وَأمّا تأويل القائِلينَ القول الآخَر، فإنَّه: اتَّخِذوا أيّها النّاس من مَقام إبراهيم مُصَلًّى تُصَلّونَ عنده، عِبادة منكم لي، وتَكْرِمةً مِنّي لإبراهيم.

وَهذا القول هو أولَى بالصّوابِ عندنا؛ لِما ذَكَرْنا من الخبَر عن عُمَر بن الخطّاب وجابِر بن عبد الله، عن رَسول الله ﷺ.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾

يَعْني جل ثناؤه بقولِه: ﴿وَعَهِدْنَآ﴾: وأمَرْنا. كما:

٢٠٠١- **حدّثنا** القاسِم، قال: حدثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قُلْت لِعَطاءٍ: ما عَهْده؟ قال: أمْره [(١)].

٢٠٠٢- **وحدّثني** يونُس، قال: أخْبَرَني ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾. قال: أمَرْناه [(٢)].

فَمعنى الآية: وأمَرْنا إبراهيم وإسماعيل بتَطْهيرِ بَيْتي لِلطّائِفينَ. والتّطْهير الذي أمَرَهُما الله به في البيْت، هو تَطْهيره من الأصْنام وعِبادة الأوثان فيه ومن الشّرْك بالله.

فإنْ قال قائِل: وما معنى قوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾؟ وهَلْ كان أيّام إبراهيم - قَبْل بنائِه البيْت - بَيْتٌ يُطَهَّرُ من الشّرْك وعِبادة الأوثان في الحرَم، فَيجوز أنْ يكونا أُمِرا بتَطْهيرِه؟

قيلَ: لِذلك وجهانِ من التّأويل، قد قال بكُلٍّ واحِد من الوجْهَيْنِ من أهل التّأويل جَماعة؛ أحَدهما: أنْ يكون معناه: وعَهِدْنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن ابْنِيَا بَيْتي مُطَهَّرًا من الشّرْك والرَّيْب، كما قال جل ثناؤه: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾، [التوبة: ١٠٩] فَكَذلك قوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾. أيْ: ابنيا بَيْتي على طُهْر من الشّرْك بي والرّيْب. كما:

٢٠٠٣- **حدّثني** موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عمرو بن حَمّاد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾. يقول: ابنيا بَيْتي للطائفين [(٣)].

فَهذا أحَد وجهَيْه.

والوجه الآخَر منهُما: أنْ يكونا أُمِرا بأنْ يُطَهِّرا مَكان البيْت قَبْل بِنَائه والبيْت بعد بِنائه مِمّا كان

(١)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.
(٢)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.
(٣)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

أهل الشِّرْك باللَّه يجْعَلونَه فيه على عَهْد نوح ومَنْ قَبْله من الأوثان؛ ليكونَ ذلك سُنّة لِمَنْ بعدهما، إذْ كان اللَّه جل ثناؤه قد جَعَلَ إبراهيم إمامًا يُقْتَدى به بعده. كَما:

٢٠٠٤- حَدَّثَني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ قال: من الأصْنام التي يَعْبُدونَ التي كان المُشرِكونَ يُعَظِّمونَها (١).

ذكر من قال: معنى قوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ أي: طهِّراه من الشِّرْكِ والرِّيَب

٢٠٠٥- حَدَّثَنا أحمَد بن إسحاق الأهوازيُّ، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: ثنا سُفْيان، عن ابن جريج، عن عَطاء، عن عُبَيْد بن عُمَيْر: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ قال: من الآفات والرِّيَب (٢).

٢٠٠٦- وَحَدَّثَني المُثَنّى، قال: ثنا أبو نُعيم، قال: حَدَّثَنا سُفيان، عن ابن جُرَيْجٍ، عن عَطاء، عن عُبَيْد بن عُمَيْر، مِثْله (٣).

٢٠٠٧- حَدَّثَني أحمَد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمَد، قال: ثنا سُفيان، عن لَيْث، عن مُجاهِد، قال: من الشِّرْك (٤).

٢٠٠٨- وحَدَّثَنا أحمَد، قال: ثنا أبو أحمَد، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي حُصَيْن، عن مُجاهِد: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ قال: من الأوثان (٥).

٢٠٠٩- وحَدَّثَنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ قال: من الشِّرْك وعِبادة الأوثان (٦).

٢٠١٠- حَدَّثَنا بشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة بمِثْلِه، وزادَ فيه: وقول الزّور (٧).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾

اختَلَفَ أهل التّأويل في معنى (الطَّائِفينَ) في هذا الموضِع، فَقال بعضهمْ: هم الغُرَباء الذينَ ينتابون البيْت الحرام من غُرْبة.

(١)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٢)[صحيح] الزبيري تابعه أبو نعيم في الذي بعده، ولكنها متابعة لا تصح من أجل المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣)[صحيح] تقدم قبله. (٤)[ضعيف] الليث بن أبي سليم ضعيف.

(٥)[حسن لغيره] إسماعيل بن خليفة العبسي أبو إسرائيل بن أبي إسحاق الملائي الكوفي مولى سعد بن حذيفة، ضعيف الحديث. وقد تابعه عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي الفدكي كما عند ابن أبي حاتم في التفسير، ولكنه أيضًا ضعيف، ولعله يجبره. وعثمان بن عاصم بن حصين ويقال: عثمان بن عاصم بن زيد بن كثير بن زيد بن مرة أبو حصين الأسدي الكوفي، حديثه عن مجاهد على شرط البخاري.

(٦)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٧)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

ذكر مَن قال ذلك:

٢٠١١- **حدثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا أبو بَكْر بن عَيَّاش، قال: ثنا أبو حُصَيْن، عن سَعيد بن جُبَيْر في قوله: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ قال: مَنْ أتاه من غُرْبة (١).

وَقال آخَرونَ: بل الطَّائِفونَ هم الذينَ يَطوفونَ به غريبًا كان أو من أهله.

ذكر مَن قال ذلك:

٢٠١٢- **حدثنا** مُحَمَّد بن العلاء، قال: ثنا وكيع، عن أبي بَكْر الهُذَليّ، عن عَطاء: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ قال: إذا كان طائِفًا بالبيْتِ، فهو من الطَّائِفينَ (٢).

وَأولَى التَّأويلَيْنِ بالآيةِ ما قاله عَطاء؛ لأنَّ الطَّائِف هو الذي يَطوف بالشَّيْءِ دون غيره، والطَّارِئ من غُرْبة لا يَسْتَحِقّ اسمَ طائِف بالبيْتِ إنْ لم يَطُفْ به.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ والمُقيمينَ به، والعاكِف على الشَّيْء: المُقيم عليه، كما قال نابغة بَني ذُبْيانَ:

عُكُوفًا لَدَى أَبْياتِهِمْ يَثْمِدُونَهُمْ ... رَمَى اللَّهُ في تلكَ الأكُفِّ الكَوانِعِ (٣)

وَإنَّما قيلَ لِلْمُعْتَكِفِ: مُعْتَكِف من أجْل مُقامه في الموضِع الذي حَبَسَ نَفْسه فيه لِلَّه تعالى.

---

(١)[حسن] أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرئ، قال صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه: صدوق صاحب قرآن وخير. وأبو حصين عن ابن جبير على شرط البخاري.

(٢)[ضعيف] أبو بكر الهذلي سلمى بن عبد الله بن سلمى، متروك الحديث.

(٣)[**الطويل**] القائل: النابغة الذبياني، روي:

قُعودًا لَدى أَبياتِهِم يَثمِدونَها ... رَمى اللهُ في تِلكَ الأُنوفِ الكَوانِعِ

اللغة: عكوفًا: عَكَف على الشيء يَعْكُفُ ويَعْكِفُ عَكْفًا وعُكوفًا: أقام عليه مُواظِبًا لا يصرفُ عنه. يثمدونهم: أصله من قولهم: ثمد الماء يثمده ثمدًا، رفع عنه التراب ليخرج. وماء مثمود: كثر عليه الناس حتى فني ونفد إلا أقله. وأخذوا منه: (رجل مثمود)، إذا ألح الناس عليه في السؤال، فأعطى حتى نفد ما عنده. رمى الله، يعني: أصابها بما يستأصلها. والكوانع: جمع كانع، وهو الخاضع الذي تدانى وتصاغر وتقارب بعضه من بعض، كأنه يتقبض من ذلته. المعنى: هذا البيت من أبيات قالها لزرعة بن عامر العامري، حين بعثت بنو عامر إلى حصن بن حذيفة وابنه عيينة بن حصن: أن اقطعوا حِلف ما بينكم وبين بني أسد، وألحقوهم ببني كنانة، ونحالِفُكم، ونحن بنو أبيكم. وكان عيينة همّ بذلك، فقالت بنو ذبيان: أخرجوا من فيكم من الحلفاء، ونخرج من فينا، فأبوا، فقال النابغة:

لِيَهْنَ بني ذبيان أن بلادهم ... خلت لهم من كل مولى وتابع

سوى أسد، يحمونها كل شارق ... بألفي كمي، ذي سلاح، ودارع

ثم مدح بني أسد، وذم بني عبس، وتنقص بني سهم ومالك من غطفان وعبد بن سعد بن ذبيان، وهجاهم بهذا البيت؛ يقول: يظل بنو سعد ومالك لدى أبيات عبد بن سعد يستنزفون أموالهم. يصفهم بالخسة وسقوط الهمة، ويصفهم بالخسة والطمع والسؤال الذليل داعيًا الله عز وجل أن يصيب أكفهم بما يستأصلها، وفي ذلك استحقار لهم واشمئزاز منهم.

ثُمّ اختَلَفَ أهلُ التّأويل فيمَنْ عَنَى اللّه بقولِه: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ فقال بعضهمْ: عَنَى به الجالِس في البيْت الحرام بغيرِ طَواف ولا صَلاة.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠١٣- **حدثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن أبي بَكْر الهُذَليّ، عن عَطاء، قال: إذا كان طائفًا بالبيْتِ فهو من الطّائفينَ، وإذا كان جالِسًا فهو من العاكِفين [١].

وَقال بعضهمْ: العاكِفونَ هم المُعْتَكِفونَ المُجاوِرونَ.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠١٤- **حدثنا** أحمَد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: ثنا شَرِيك، عن جابِر، عن مُجاهِد وعِكْرِمة: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ قال: العاكِفونَ المُجاوِرونَ [٢].

وَقال بعضهمْ: العاكِفونَ هم أهل البلَد الحرام.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠١٥- **حدثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا أبو بَكْر بن عَيّاش، قال: ثنا أبو حُصَيْن، عن سَعيد بن جُبَيْر في قوله: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ قال: أهل البلَد [٣].

٢٠١٦- **وحدثنا** بشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْعٍ، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: قال: العاكِفونَ: أهله [٤].

وَقال آخَرونَ: العاكِفونَ: هم المُصَلّونَ.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠١٧- **حدثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: قال ابن عَبّاس في قوله: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ قال: العاكِفونَ: المُصَلّونَ [٥].

وَأولَى هذه التّأويلات بالصّوابِ ما قاله عَطاء، وهو أنّ العاكِف في هذا الموضِع: المُقيم في البيْت مُجاوِرًا فيه بغيرِ طَواف ولا صَلاة؛ لأنّ صِفة العُكوف ما وصَفْنا من الإقامة بالمكانِ. والمُقيم بالمكانِ قد يكون مُقيمًا به وهو جالِس ومُصَلٍّ وطائِف ونائِم، وعلى غير ذلك من

(١) [ضعيف] تقدم قبله بواحد.

(٢) [ضعيف] جابر بن يزيد الجعفي متروك، وشريك ضعيف سيء الحفظ.

(٣) [حسن] أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرئ، قال صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه: صدوق صاحب قرآن وخير. وأبو حصين عن ابن جبير على شرط البخاري.

(٤) [حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٥) [ضعيف] ابن جريج ثقة مدلس لم يدرك ابن عباس، والسند إليه ضعيف؛ فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

الأحوال؛ فَلَمَّا كان جل ثناؤه قد ذَكَرَ في قوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ المُصَلِّينَ والطَّائِفينَ، عُلِمَ بذلك أنَّ الحال التي عَنَى اللَّه جل ثناؤه من العاكِف غير حال المُصَلِّي والطَّائِف، وأنَّ الذي عَنَى من أحواله هو العُكوف بالبيْتِ على سَبيل الجِوار فيه، وإنْ لم يكُنْ مُصَلِّيًا فيه ولا راكِعًا ولا ساجِدًا.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝١٢٥﴾

يَعْني جل ثناؤه بقولِه: ﴿وَٱلرُّكَّعِ﴾ جَماعة القوْم الرَّاكِعينَ فيه له، واحِدهم راكِع.

وَكَذلك ﴿ٱلسُّجُودِ﴾ هم جَماعة القوْم السَّاجِدينَ فيه له، واحِدهم ساجِد، كما يُقال رَجُل قاعِد، ورِجال قُعود، ورَجُل جالِس، ورِجال جُلوس. وكَذلك: رَجُل ساجِد، ورِجال سُجود.

وَقيلَ: عَنَى بـ ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: المُصَلُّون.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٠١٨- **حدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: حَدَّثَنا وكيع، عن أبي بَكْر الهُذَليّ، عن عَطاء: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ قال: إذا كان يُصَلِّي فهو من الرُّكَّع السُّجود(١).

٢٠١٩- **حدَّثَنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أهل الصَّلاة(٢).

وَقد أتينا فيما مَضَى على بَيان معنى الرُّكوع والسُّجود، فَأَغْنَى ذلك عن إعادَته.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾

يَعْني جل ثناؤه بقولِه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾: واذْكُروا إذْ قال إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هذا البلَد بَلَدًا آمِنًا، يَعْني بقولِه: ﴿ءَامِنًا﴾: آمِنًا من الجبابِرة وغيرهم أنْ يُسَلَّطوا عليه، ومن عُقوبة اللَّه أنْ تَناله، كما تَنال سائِر البُلْدان، من خَسْف، وائْتِفاك، وغَرَق، وغير ذلك من سَخَط اللَّه ومُثُلاته التي تُصيب سائِر البلاد غيره. كَما:

٢٠٢٠- **حدَّثَنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة، قال: ذُكِرَ لنا أنَّ الحرَم حُرِّمَ بحيالِه إلى العرْش. وذُكِرَ لنا أنَّ البيْت هَبَطَ مع آدَم حين هَبَطَ، قال اللَّه له: أُهْبِطُ معك بَيْتي يُطاف حَوْله كما يُطاف حَوْل عَرْشي. فَطافَ حَوْله آدَم ومَنْ كان بعده من المُؤْمِنينَ، حتَّى إذا كان زَمان الطُّوفان - حين أغْرَقَ اللَّه قَوْم نوح - رَفَعَه وطَهَّرَه فلم تُصِبْه عُقوبة أهل الأرض، فَتَتَبَّعَ منه إبراهيم أثَرًا فَبَناه على أساس قَديم كان قَبْله(٣).

---

(١)[ضعيف] فيه أبو بكر الهذلي متروك الحديث.

(٢)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

فإنْ قال لنا قائِل: أوَمَا كان الحرَم آمِنًا إلاَّ بعد أنْ سَألَ إبراهيمُ رَبَّه له الأمان؟ قيلَ: قد اختُلِفَ في ذلك، فَقال بعضهمْ: لم يَزَلْ الحرَم آمِنًا من عُقوبة اللّه وعُقوبة جَبابِرة خَلْقه، مُنذُ خُلِقَتِ السَّموات والأرض.

واعتلُّوا في ذلك بما:

٢٠٢١- **حدَّثَنا**أبو كُرَيْب، قال: ثنا يونُس بن بُكَيْر، عن مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني سَعيد بن أبي سَعيد المَقْبُريُّ، قال: سَمِعْت أبا شُرَيْح الخُزاعيّ يقول: إن رسول الله ﷺلَمَّا افْتَتَحَ مَكّة قَتَلَتْ خُزاعة رَجُلاً من هُذَيْلٍ، فَقامَ رَسول اللّه ﷺخَطيبًا فقال: «**يا أيّها النّاس إنَّ اللّه حَرَّمَ مَكّة يوم خَلَقَ السَّموات والأرض، فَهيَ حَرام بحرام اللّه إلى يوم القيامة؛ لا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤمِن باللّه واليوم الآخِر أنْ يَسفِك بها دَمًا، أو يَعْضِدَ بها شَجَرًا، وإنَّها لا تَحِلُّ لأحَدٍ بعدي، لا تَحِلُّ لي إلاَّ هذه السَّاعة غَضَبًا على أهلها، ألا فَهيَ قد رَجَعَتْ على حالها بالأمْسِ، ألا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ، فَمَنْ قال: إنَّ رَسول اللّه ﷺقد قَتَلَ بها، فَقولوا: إنَّ اللّه قد أحَلَّها لِرَسولِه ولم يُحِلَّها لَك**»(١).

٢٠٢٢- **حدَّثَنا**أبو كُرَيْب، قال: ثنا عبد الرّحيم بن سُلَيْمان، وحَدَّثَنا ابن حُمَيْد وابن وكيع، قالا: ثنا جَرير جَميعًا، عن يَزيد بن أبي زياد، عن مُجاهِد، عن ابن عَبَّاس قال: قال رَسول اللّه ﷺلِمَكّة حين افتَتَحَها: «**هذه حَرَم حَرَّمَها اللّه يوم خَلَقَ السَّموات والأرض وخَلَقَ الشَّمْس والقَمَر ووَضَعَ هَذَيْنِ الأخْشَبينِ، لم تَحِلّ لأحَدٍ قَبْلي، ولا تَحِلّ لأحَدٍ بعدي، أُحِلَّتْ لي ساعة من نَهار**»(٢).

قالوا: فَمَكّة مُنذُ خُلِقَتْ حَرَم آمِن من عُقوبة اللّه وعُقوبة الجبابِرة. قالوا: وقد أخْبَرَت عن صِحّة ما قُلْنا من ذلك الرِّواية الثّابتة عن رَسول اللّه ﷺالتي ذَكَرْناها. قالوا: ولم يَسْأل إبراهيمُ رَبَّه أنْ يُؤَمِّنه من عُقوبَته وعُقوبة الجبابِرة، ولَكِنّه سَألَه أنْ يُؤَمِّن أهله من الجدوب والقُحوط، وأنْ يَرْزُق ساكِنيه من الثَّمَرات، كما أخْبَرَ رَبّه عنه أنّه سَألَه بقولِه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾. قالوا: وإنَّما سَألَ رَبّه ذلك؛ لأنّه أسكَنَ فيه ذُرِّيَّته، وهو غير ذي زَرْع ولا ضَرْع، فاستَعاذَ برَبِّه من أنْ يُهْلِكهم بها جوعًا وعَطَشًا، فَسَألَه أنْ يُؤَمِّنهم مِمَّا حَذِرَ عليهم منه. قالوا: وكيف يجوز أنْ يكون إبراهيم صلوات الله عليه سَألَ رَبّه تَحْريم الحرَم، وأنْ يُؤَمِّنه من عُقوبَته وعُقوبة جَبابِرة خَلْقه، وهو القائِل حين حَلَّه، ونَزَلَه بأهلِه ووَلَده: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾؟ [إبراهيم: ٣٧]قالوا: فَلو كان إبراهيم هو الذي حَرَّمَ الحرَم أو سَألَ رَبّه تَحْريمه لما قال: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ عند نُزوله به، ولَكِنّه حُرِّمَ قَبْله، وحُرِّمَ بعده. وَقال آخَرونَ: كان الحرَم حَلالاً قَبْل دَعْوة إبراهيم كَسائِرِ البلاد

(١)[صحيح] أخرجه البخاري [٤٢٥٩]، ومسلم [١٦٥٤] وغيرهما.

(٢)[صحيح] أخرجه البخاري [١٣٤٩]، ومسلم [١٣٥٢] وغيرهما.

غيره، وإنَّما صارَ حَرامًا بتَحْريم إبراهيم إيَّاه، كما كانتْ مَدينة رَسول اللَّه ﷺ حَلالاً قَبْل تَحْريم رَسول اللَّه ﷺ إيَّاها. فصارت حرامًا بتحريم رسول الله ﷺ إياها.

قالوا: والدليل على صحة ما قُلنا في ذلك ما:

٢٠٢٣- **حَدَّثَنا** به ابن بَشَّار، قال: ثنا عبد الرَّحْمَن بن مَهْديّ، قال: ثنا سُفْيان، عن أبي الزُّبَيْر، عن جابِر بن عبد اللَّه، قال: قال رَسول اللَّه ﷺ «**إنَّ إبراهيم حَرَّمَ بَيْت اللَّه وأمَّنَه، وإنِّي حَرَّمْت المدينة ما بين لابَتَيْها فلا يُصاد صَيْدها ولا تُقْطَع عِضاهها**»(١).

٢٠٢٤- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب وأبو السَّائِب، قالا: حدثنا ابن إدريس، وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الرَّحيم الرَّازيّ، قالا جميعًا: سَمِعنا أشعَث، عن نافِع، عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رَسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ إبراهيم كان عبد اللَّه وخَليله، وإنِّي عبد اللَّه ورَسوله، وإنَّ إبراهيم حَرَّمَ مَكَّة وإنِّي حَرَّمْت المدينة ما بين لابَتَيْها عِضاها وصيدها، ولا يُحْمَل فيها سِلاح لِقِتالٍ، ولا يُقْطَع منها شَجَرة إلاَّ لِعَلَفِ بَعيرٍ**»(٢).

٢٠٢٥- **وَحَدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا قُتَيْبة بن سَعيد، قال: ثنا بَكْر بن مُضَر، عن ابن الهادِ، عن أبي بَكْر بن مُحَمَّد، عن عبد اللَّه بن عمرو بن عُثْمان، عن رافِع بن خَديج، قال: قال رَسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ إبراهيم حَرَّمَ مَكَّة، وإنِّي أُحَرِّم ما بين لابَتَيْها**»(٣).

وَما أشبَه ذلك من الأخْبار التي يَطول باستيعابِ ذكرها الكِتاب.

قالوا: وقد أخْبَرَ اللَّه تعالى ذِكْره في كِتابه أنَّ إبراهيم قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ ولم يُخْبِر عنه أنَّه سَألَ أنْ يجْعَله آمِنًا من بعض الأشياء دون بعض، فَلَيْسَ لأحَدٍ أنْ يَدَّعيَ أنَّ الذي سَألَه من ذلك الأمان له من بعض الأشياء دون بعض إلاَّ بحُجَّةٍ يجِب التَّسْليم لها.

قالوا: وأمَّا خَبَر أبي شُرَيْح وابن عَبَّاس فَخَبَرانِ لا تَثْبُت بهِما حُجَّة لِما في أسانيدهما من الأسباب التي يجِب التَّثبتُ فيها من أجْلها.

والصَّواب من القول في ذلك عندنا أنَّ اللَّهَ جلَّ ثناؤُه جَعَلَ مَكَّةَ حَرَمًا حين خَلَقَها وأنْشَأها، كما أخْبَرَ النَّبيّ ﷺ أنَّه حَرَّمَها يوم خَلَقَ السَّماوات والأرض بغيرِ تَحْريم منه لها على لِسان أحَدٍ من أنْبيائِه ورُسُله، ولَكِنْ بمَنْعِه جلَّ ثناؤه مَنْ أرادَها بسوءٍ، وبِدَفْعِه عنها من الآفات والعُقوبات، وعن ساكِنيها ما أُحِلَّ بغيرِها وغير ساكِنيها من النَّقِمات؛ فَلم يَزَلْ ذلك أمْرها حتَّى بَوَّأها اللَّه إبراهيم خَليله، وأسكَنَ بها أهله هاجَرَ ووَلَده إسماعيل، فَسَألَ حينَئِذٍ إبراهيمُ رَبَّه إيجاد فَرْض تَحْريمها على عِباده على لِسانه؛ ليكونَ ذلك سُنَّة لِمَنْ بعده من خَلْقه، يَسْتَنونَ به فيها، إذْ كان جلَّ ثناؤُه قد اتَّخَذَه خَليلاً، وأخْبَرَه أنَّه جاعِله، لِلنَّاسِ إمامًا يُقْتَدَى به، فَأجابَه رَبّه إلى ما سَألَه،

(١)[صحيح] أخرجه مسلم [١٣٦٢] وغيره.
(٢)[صحيح] أخرجه مسلم [١٣٧٣] وغيره
(٣)[صحيح] أخرجه مسلم [١٣٦١] وغيره.

وألزم عِباده حينئذٍ فَرْض تَحْريمه على لِسانه، فصارَتْ مَكّة بعد أنْ كانتْ مَمْنوعة بمَنْعِ اللّه إيّاها بغيرِ إيجاب اللّهِ فَرْضَ الامْتِناع منها على عِباده، ومُحَرَّمة بدَفْعِ اللّه عنها بغيرِ تَحْريمه إيَّاها على لِسان أحَد من رُسُله - فَرَضًا تَحْريمها على خَلْقه على لِسانِ خَليله إبراهيم عليه السلام، وواجِبًا على عِباده الامْتِناع من استِحْلالها، واستِحْلال صَيْدها وعِضاهها، بإيجابِه الامْتِناع من ذلك؛ ببَلاغِ إبراهيم رِسالة اللّه إليه بذلك إليهم؛ فَلِذلك أُضيفَ تَحْريمها إلى إبراهيمَ صلوات اللّه عليه، فَقال رَسول اللّه ﷺ: «**إنَّ إبراهيم حَرَّمَ مَكّة**»؛ لأنَّ فَرْض تَحْريمها الذي ألْزَم اللّه عِباده على وجه العِبادة له به، دون التَّحْريم الذي لم يَزَلِ اللّهُ منفردًا لها به على وجه الكِلاءة والحِفْظ لها قَبْل ذلك - كان عن مسألة إبراهيم رَبّه إيجاب فَرْض ذلك على لِسانه، لَزِمَ العِباد فَرْضه دون غيره.

فَقد تَبَيَّنَ إذن بما قُلْنا صِحّة معنى الخبَرَيْنِ؛ أعْني خَبَر أبي شُرَيْح وابن عَبّاس عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**إنَّ اللّه حَرَّمَ مَكّة يوم خَلَقَ الشّمْس والقمَر**». وَخَبَرَ جابِر وأبي هُرَيْرَةَ ورافِع بن خَديج وغيرهِمْ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**اللّهُمّ إنَّ إبراهيم حَرَّمَ مَكّة**» وأنْ لَيْسَ أحَدهما دافِعًا صِحّة معنى الآخَر كما ظَنّه بعض الجُهَّال.

وَغير جائِز في أخْبار رَسول اللّه ﷺ أنْ يكون بعضها دافِعًا بعضًا إذا ثَبَتَ صِحَّتها، وقد جاء الخبَرانِ اللّذانِ رويا في ذلك عن رَسول اللّه ﷺ مَجيئًا ظاهِرًا مُسْتَفيضًا يَقْطَع عُذْر مَنْ بَلَغَه.

وأمّا قول إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فَإنّه إنْ يكُنْ قال ذلك قَبْل إيجاب اللّه فَرْض تَحْريمه على لِسانه على خَلْقه، فَإنّما عَنَى بذلك تَحْريم اللّه إيّاه الذي حَرَّمَه بحياطَتِه إيّاه وكِلاءَته من غير تَحْريمه إيّاه على خَلْقه على وجه التّعَبُّد لهم بذلك، وَإنْ يكُنْ قال ذلك بعد تَحْريم اللّه إيّاه على لِسانه على خَلْقه على وجه التّعَبُّد، فلا مسألة لأحَدٍ علينا في ذلك.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾

وَهذه مسألة من إبراهيم رَبّه أنْ يَرْزُق مُؤمِني أهل مَكّة من الثّمَرات دون كافِريهم. وَخَصَّ بمسألةِ ذلك لِلْمؤمِنينَ دون الكافِرينَ، لِما أعْلَمه اللّه - عند مسألَته إيّاه أنْ يجعلَ من ذُرِّيَّتَهُ أئِمّة يُقْتَدَى بهم - أنَّ منهم الكافِر الذي لا يَنال عَهْده، والظّالِم الذي لا يُدْرِك وِلايَته. فَلَمّا علِم أنَّ من ذُرِّيّته الظّالِم والكافِر، خَصَّ بمسألَتِه رَبّه أنْ يَرْزُق من الثّمَرات من سُكّان مَكّة المُؤمِن منهم دون الكافِر، وقال اللّه له: قد أجَبْت دُعاءَك، وسَأرْزُقُ مع مُؤمِني أهل هذا البَلَد كفّارَهمْ، فَأُمَتّعه به قَليلاً.

فأمّا (مَنْ) في قوله: ﴿مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فَإنّه نصبٌ على التّرْجَمة، والبيان عن الأهل، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ [البقرة: ٢١٧] بمعنى: يَسْألونَك عن قِتال في الشّهْر الحرام، وكَما قال تعالى ذِكْره: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧] بمعنى: ولِلّه حِجّ البيْت على مَنْ استطاعَ إليه سَبيلاً.

وَإنَّما سَأَلَ إبراهيمُ رَبَّه ما سَأَلَ من ذلك؛ لأنه حَلَّ بوادٍ غير ذي زَرْع ولا ماء ولا أهل، فَسَأَلَ أنْ يَرْزُق أهله ثَمَرًا، وأنْ يجْعَل أفئِدةً من النَّاس تَهْوي إليهم، فَذُكِرَ أنَّ إبراهيم لَمَّا سَأَلَ ذلك رَبّه نَقَلَ اللَّه الطَّائِفة من فِلَسْطين.

٢٠٢٦- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق بن الحجَّاج، قال: ثنا هِشام، قال: قَرَأت على مُحَمَّد بن مُسْلِمِ الطَّائفيِّ أنَّ إبراهيم لَمَّا دَعا لِلْحَرَمِ ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ نَقَلَ اللَّه الطَّائِف من فِلَسْطين (١).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾

اختَلَفَ أهل التَّأويل في قائِل هذا القول وفي وجه قِراءَته، فَقال بعضهمْ: قائِل هذا القول رَبُّنا تعالى ذِكْره، وتأويله على قولهمْ: قال الله: ومَن كفَر بي فأُمَتِّعُه برِزْقي من الثَّمَرات قليلاً في الدُّنيا إلى أنْ يَأتيه أجَله. وَقَرَأ قائِل هذه المقالة ذلك: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ بتَشْديدِ التَّاء ورَفْع العيْن.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠٢٧- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع، قال: حَدَّثَني أبو العالية، عن أُبَيِّ بن كَعْب في قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ قال: هو قول الرَّبّ تبارك وتعالى (٢).

٢٠٢٨- وَحَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: قال ابن إسحاق: لَمَّا قال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وعَزَلَ الدَّعْوة عَمَّنْ أبَى اللَّه أنْ يجْعَل له الوِلاية؛ انقِطاعًا إلى اللَّه ومَحَبَّته وفِراقًا لِمَنْ خالَفَ أمْره، وإنْ كانوا من ذُرّيَّته حين عَرَفَ أنَّه كائن منهم ظالِم لا يَنال عَهْده، بخَبَرِه عن ذلك حين أخْبَرَه فَقال اللَّه: ومن كفر، فَإنِّي أرزُق البَرَّ والفاجِر فَأُمتِّعُهُ قَلِيلاً (٣).

وَقال آخرونَ: بل قال ذلك إبراهيم خَليل الرَّحْمَن على وجه المسألة منه رَبّه أنْ يَرْزُق الكافِر أيْضًا من الثَّمَرات بالبلَدِ الحرام، مِثْل الذي يَرْزُق به المُؤمِن ويُمَتِّعه بذلك قَليلاً في حياته حتى تَخْتَرِمَه مَنيَّتُه. وقرأ قائلوا ذلك: (وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتِعْهُ قَليلاً ثُمَّ اضْطَرَّه إلى عَذاب النَّار) بتَخْفيفِ (التَّاء) وجَزْم (العيْن) وفَتْح (الرَّاء) مَنْ (اضْطَرَّهُ)، وَوَصْلِ (ثُمَّ اضْطَرَّه) بغيرِ قَطْع أَلِفها، على وجه الدُّعاء من إبراهيم رَبّه لَهم والمسألة.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠٢٩- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع،

(١)[ضعيف]المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[حسن]كما أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، فقال: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم، عن أبي جعفر، عن الربيع، قال أبو العالية: قال أبي بن كعب: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ (إن هذا من قول الرب). اهـ. وسند المصنف ضعيف؛ المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وإسحاق بن الحجاج الطاحونى المقرئ مثله.

(٣)[ضعيف]سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

قال: قال أبو العالية: كان ابن عَبَّاس يقول: ذلك قول إبراهيم يَسْأَل رَبّه أنَّ (مَنْ كَفَرَ فأمْتِعْه قَليلاً)(١).

٢٠٣٠- وحدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: حَدَّثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن لَيْث، عن مُجاهِد: (وَمَنْ كَفرَ فَأمْتِعْه قَليلاً) يقول: ومَنْ كَفَرَ فأرزُقه أيْضًا (ثُمّ اضْطَرّه إلى عَذابِ النَّارِ)(٢).

والصّواب من القِراءة في ذلك عندنا والتّأويل، ما قاله أُبَيُّ بن كَعْب وقرأ به؛ لِقيامِ الحُجّة بالنّقْلِ المُسْتَفيض وراثة بتَصْويبِ ذلك، وشُذوذ ما خالَفَه من القِراءة.

وَغير جائِز الاعْتِراض بمَنْ كان جائِزًا عليه في نَقْله الخطَأ والسّهْو، على مَنْ كان ذلك غير جائِز عليه في نَقْله. وَإِذْ كان ذلك كذلك، فَتأويل الآية: قال اللّه: يا إبراهيم قد أجَبْت دَعْوَتك، ورَزَقْت مُؤمِني أهل هذا البلَد من الثّمَرات وكُفّارهم مَتاعًا لهم إلى بُلوغ آجالهمْ، ثُمّ أَضطرُّ كُفّارَهم بعد ذلك إلى النّار.

وَأمّا قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ فإنّه يَعْني: فَأجعل ما أرزُقه من ذلك في حَياته مَتاعًا يَتَمَتّع به إلى وقْت مَماته.

وَإنّما قُلْنا: إنّ ذلك كذلك؛ لأنَّ اللّه جلَّ ثناؤه إنّما قال ذلك لإبراهيم جَوابًا لِمسألَتِه ما سَألَ من رِزْق الثّمَرات لِمُؤمِني أهل مَكّة، فَكان معلومًا بذلك أنَّ الجواب إنّما هو فيما سَألَه إبراهيم لا في غيره.

وَبالذي قُلْنا في ذلك قاله مُجاهِد، وقد ذَكَرْنا الرّواية بذلك عنه.

وَقال بعضهمْ: تأويله: فَأُمَتّعه بالبقاءِ في الدُّنْيا.

وَقال غيره: فَأُمَتّعه قَليلاً في كُفْره ما أقامَ بمَكّة، حتّى أبْعَثَ مُحَمّدًا ﷺ فَيَقْتُله إنْ أقامَ على كُفْره أو يُجْلِيَهُ عنها. وَذلك وإنْ كان وجهًا يَحْتَمِله الكلام فَإنَّ دَليل ظاهِر الكلام على خِلافه؛ لِما وصَفْنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ﴾

يَعْني جلَّ ثناؤه بقولِه: ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ﴾: ثُمّ أدْفَعه إلى النّار وأسوقه إليها، كما قال قليلاً: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]. ومعنى الاضْطِرار: الإكْراه، يُقال: اضْطَرَرْت فُلانًا إلى هذا الأمْر: إذا ألْجأته إليه وحَمَلْته عليه. فَكذلك معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ﴾: أدْفَعه إليه، وأسوقه سَحْبًا وجَرًّا على وجهه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾

قد دَلّلْنا على أنَّ (بِئْسَ) أصْله (بَئِسَ) من البُؤْس، سُكّنَ ثانيه ونُقِلَتْ حَرَكة ثانيه إلى أوّله، كما

(١)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[ضعيف] الليث بن أبي سليم ضعيف، والمثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

قيلَ لِلْكَبِدِ كِبْد، وما أشبَه ذلك.

فمعنى الكلام: وساءَ المصير عَذاب النَّار، بعد الذي كانوا فيه من مَتاع الدُّنْيا الذي مَتَّعْتهم فيها. وَأمَّا ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ فإنَّه مَفْعِل من قول القائِل: صِرْت مَصيرًا صِلْحًا، وهو الموضِع الذي يَصير إليه من جهنم، فتأويلُ الكلامِ: وبئس المكانُ الذي يصيرُ إليه الكافِر باللَّه عَذاب النَّار.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾

يَعْني جلَّ ثناؤُه بقولِه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ واذْكُروا إذْ يَرْفَع إبراهيم القواعِد من البيْت.

و(القواعِد) جَمْع قاعِدة، يُقال لِلْواحِدةِ من قَواعِد البيْت قاعِدة، ولِلْواحِدةِ من قَواعِد النِّساء -وهنَّ عَجائِزُهنَّ- قاعِد فَتُلْقى هاء التَّأنيث؛ لأنَّها فاعِل من قول القائِل: قد قَعَدَت عن الحيْض. ولا حَظَّ فيه لِلذُّكورةِ، كما يُقال: امْرَأة طاهِر وطامِث؛ لأنَّه لا حَظَّ في ذلك لِلذُّكورِ. وَلو عُنِيَ به القُعود الذي هو خِلاف القيام لَقيلَ قاعِدة، ولم يَجُزْ حينَئِذٍ إسقاط هاء التَّأنيث. وَقَواعِد البيْت: إساسه. ثُمَّ اختَلَفَ أهل التَّأويل في (القواعِد) التي رَفَعَها إبراهيم وإسماعيل من البيْت، أهُما أحدَثا ذلك، أم هي قَواعِد كانتْ له قَبْلهما؟ فَقال قَوْم: هي قَواعِد بَيْت كان بَناه آدَم أبو البشَر بأمْرِ اللَّه إيَّاه بذلك، ثُمَّ دَرَسَ مَكانه وتَعَفَّى أثَره بعده حتَّى بَوَّأه اللَّه إبراهيم عليه السَّلام، فَبَناه.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠٣١- **حدثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا ابن جُرَيْج، عن عَطاء، قال: قال آدَم: أي رَبِّ إنِّي لا أسمَع أصْوات الملائِكة. قال: خَطيئَتُك، ولَكِنْ اهْبِطْ إلى الأرض فابن لي بَيْتًا، ثُمَّ احفُفْ به كما رَأيْت الملائِكة تَحُفّ ببَيْتي الذي في السَّماء. فَيَزْعُم النَّاس أنَّه بَناه من خَمْسة أجْبُل؛ من حِراء، وطور زَيْتا، وطور سيناء، ولُبنان، والجوديّ، وكان رُبَضه من حِراء؛ فَكان هذا بناء آدَم حتَّى بَناه إبراهيم بعد [(١)].

٢٠٣٢- **وحدثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن أيّوب، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: القواعِد التي كانتْ قَواعِد البيْت قَبْل ذلك [(٢)].

وَقال آخَرونَ: بل هي قَواعِد بَيْت كان اللَّه جلَّ ثناؤُه أهبَطَه لِآدَم من السَّماء إلى الأرض،

(١)[صحيح]أخرجه عبد الرزاق في المصنف، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢)[صحيح]أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن. وتابع عبدَ الرزاق محمدُ بن ثور كما عند بن أبي حاتم في التفسير.

يَطوف به كما كان يَطوف بعَرْشِه في السّماء، ثُمّ رَفَعَه إلى السّماء أيّام الطّوفان، فَرَفَعَ إبراهيم قَواعِد ذلك البيْت.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠٣٣- **حدّثنا** مُحَمَّد بن بَشّار، قال: ثنا عبد الوهّاب، قال: ثنا أيّوب، عن أبي قِلابَةَ، عن عبد اللّه بن عمرو قال: لَمّا أهبَطَ اللّه آدَمَ من الجنّة قال: إنّي مُهْبِط معك - أو مُنْزِل - معك بَيْتًا يُطاف حَوْله، كما يُطاف حَوْل عَرْشي، ويُصَلّى عنده، كما يُصَلّى عند عَرْشي. فَلَمّا كان زَمَن الطّوفان رُفِعَ، فَكانتِ الأنبياء يَحُجّونَه ولا يَعْلَمونَ مَكانه، حتّى بَوّأه اللّه إبراهيمَ وأعْلَمه مَكانه، فَبَناه من خَمْسة أجْبُل: من حِراء، وثَبير، ولُبنان، وجَبَل الطّور، وجَبَل الخمَر (١).

٢٠٣٤- **وحَدّثني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: ثنا إسماعيل ابن عُلَيّة، قال: ثنا أيّوب، عن أبي قِلابةَ، قال: لَمّا أُهْبِطَ آدَمُ، ثُمّ ذَكَرَ نَحوه (٢).

٢٠٣٥- **حدّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا هِشام بن حَسّان، عن سَوّارٍ خَتنِ عطاء، عن عَطاء بن أبي رَباح، قال: لَمّا أهبَطَ اللّه آدَمَ من الجنّة كان رِجْلاه في الأرض ورَأسه في السّماء، يَسْمَع كَلام أهل السّماء ودُعاءَهم، يَأنَس إليهم، فَهابَتِ الملائِكة حتّى شَكَتْ إلى اللّه في دُعائِها وفي صَلاتها، فَخَفَضَه اللهُ إلى الأرض؛ فَلَمّا فَقَدَ ما كان يَسْمَع منهم، استَوْحَشَ حتّى شَكا ذلك إلى اللّه في دُعائِه وفي صَلاته، فَوُجِّهَ إلى مَكّة، فَكان موضِع قَدَمه قَرْية وخَطْوه مَفازة، حتّى انتَهَى إلى مَكّة. وَأنْزَلَ اللّه ياقوتة من ياقوت الجنّة، فَكانتْ على موضِع البيْت الآن، فَلم يَزَلْ يَطوف به حتّى أنْزَلَ اللّه الطّوفان، فَرُفِعَتْ تلك الياقوتة، حتّى بَعَثَ اللّه إبراهيمَ فَبَناه، فَذلك قول اللّه: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] (٣).

٢٠٣٦- **وحَدّثنا** الحسن، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة، قال: وضَعَ اللّه البيْت مع آدَم؛ أهبَطَ اللّه آدَمَ إلى الأرض، وكان مَهْبِطه بأرضِ الهِنْد، وكان رَأسه في السّماء ورِجْلاه في الأرض، فَكانتِ الملائِكة تَهابه، فَنُقِصَ إلى سِتّينَ ذِراعًا. فَحَزِنَ آدَم إذْ فَقَدَ أصْوات الملائِكة وتَسْبيحهم فَشَكا ذلك إلى اللّه تعالى فَقال اللّه: يا آدَم إنّي قد أهْبَطت إليك بَيْتًا تَطوف به كما يُطاف حَوْل عَرْشي، وتُصَلّي عنده كما يُصَلّى عند عَرْشي. فانطَلَقَ إليه آدَم فَخَرَجَ، ومُدّ له في خَطْوه، فَكان بين كُلّ خُطْوَتَيْنِ مَفازة، فَلم تَزَلْ تلك المفاوِز بعد ذلك، فَأتَى آدَم البيْت وطافَ به ومَنْ بعده من الأنبياء (٤).

٢٠٣٧- **وحَدّثنا** الحسَنُ، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن أبانٍ: أنّ البيْت

---

(١)[ضعيف] أبو قلابة عن عمرو مرسل. (٢)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٣)[ضعيف] أخرجه عبد الرزاق في المصنف، ومن طريقه المصنف، فيه سوار، لم أقف عليه.

(٤)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير والمصنف، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

أُهْبِطَ ياقوتة واحِدة أو دُرَّة واحِدة، حتّى إذا أغْرَقَ اللَّه قَوْم نوح رَفَعَه وبَقيَ أساسه، فَبَوَّأه اللَّه لإبراهيم، فَبَناه بعد ذلك[١].

وَقال آخَرونَ: بل كان موضِع البيْت رَبْوة حَمْراء كَهَيْئةِ القُبّة. وَذلك أنَّ اللَّه لَمَّا أرادَ خَلْق الأرض عَلا الماء زُبْدة حَمْراء أو بَيْضاء، وذلك في موضِع البيْت الحرام. ثُمّ دَحا الأرض من تَحْتها، فَلم يَزَلْ ذلك كذلك حتّى بَوَّأه اللَّه إبراهيم، فَبَناه على أساسه. وَقالوا: أساسه على أركان أربَعة في الأرض السَّابِعة.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

٢٠٣٨- **حَدَّثَني** يونُس بن عبد الأعلى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال جَرير بن حازِم، حَدَّثَني حُمَيْد بن قَيْس، عن مُجاهِد، قال: كان موضِع البيْت على الماء قَبْل أنْ يَخْلُق اللَّه السّمَوات والأرض، مِثْل الزُّبْدة البيْضاء، ومن تَحْته دُحيَتِ الأرض[٢].

٢٠٣٩- **وَحَدّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزَّاق، قال، أخبرَنا ابن جُرَيْجٍ، قال: قال عَطاء وعمرو بن دينار: بَعَثَ اللَّه رياحًا فَصَفَقَتِ الماء، فَأُبْرِزَتْ في موضِع البيْت عن حَشَفة كَأنَّها القُبّة، فَهذا البيْت منها فَلِذلك هي أُمّ القُرَى. قال ابن جُرَيْجٍ: قال عَطاء: ثُمّ وتَدها بالجِبالِ كَيْ لا تُكْفَأ؛ تَمِيد، فَكان أوَّل جَبَل (أبو قُبَيْس)[٣].

٢٠٤٠- **حَدّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا يَعْقوب القمّيّ، عن حَفْص بن حُمَيْد، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس قال: وُضِعَ البيْت على أركان الماء على أربَعة أركان قَبْل أنْ تُخْلَق الدُّنْيا بألفَيْ عام، ثُمّ دُحيَتِ الأرض من تَحْت البيْت[٤].

٢٠٤١- **وَحَدّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا يَعْقوب، عن هارونَ بن عنتَرة، عن عَطاء بن أبي رَباح، قال: وجَدوا بمَكّة حَجَرًا مَكْتوبًا فيه: (إنّي أنا اللَّه ذو بَكّة بَنَيْتُه يوم صَنَعْتُ الشّمْس والقمَر، وحَفَفْتُه بسَبْعةِ أمْلاكٍ حنفاءَ)[٥].

(١)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن. وأبان بن أبي عياش متروك الحديث، ولكنه قوله.

(٢)[صحيح] حميد بن قيس عن مجاهد على شرطهما، وبقية رجاله تقدموا.

(٣)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن. وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، فقال: حدثنا أبي، حدثني الأنصاري، حدثني ابن جريج، قال عطاء وعمرو بن دينار - يزيد أحدهما على الآخر -: فبعث الله رياحًا فشققت الماء، فأبرزت موضع البيت على حشفة بيضاء، فمد الله الأرض منها، فلذلك هي أم القرى. اهـ.

(٤)[حسن] مداره على حفص بن حميد، والسند إليه حسن كما عند أبي الشيخ في العظمة قال: حدثنا أبو يعلى، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا يعقوب، حدثنا حفص، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: (وضع البيت في الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي سنة، ثم دحيت الأرض تحت البيت). اهـ. أما سند المصنف فضعيف من أجل شيخ المصنف، والعلم عند الله.

(٥)[ضعيف] محمد بن حميد ضعيف الحديث.

٢٠٤٢- وَحَدَّثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، قال: حَدَّثني عبد اللَّه بن أبي نجيح، عن مُجاهِدٍ وغيره من أهلِ العِلْم، أنَّ اللَّه لَمَّا بَوَّأ إبراهيمَ مَكان البيْت، خَرَجَ إليه من الشَّام، وخَرَجَ معه بإسماعيل وبأُمِّه هاجَر، وإسماعيلُ طِفْلٌ صَغير يَرْضَع، وحُمِلُوا - فيما حَدَّثني - على البُراق ومعه جِبْريل يَدُلّه على موضِع البيْت ومَعالِم الحرَم. فَخَرَجَ وخَرَجَ معه جِبْريل - فَقال: كان لا يَمُرّ بقَرْيةٍ إلاّ قال: أبهذه أُمِرْت يا جِبْريل؟ فيقول جِبْريل: امْضِه - حتّى قَدِمَ به مَكّة، وهيَ إذْ ذاكَ عِضاه سَلَم وسَمُرٍ وبها أُناس يُقال لهم العماليق خارِج مَكّة وما حَوْلها، والبيْت يومئذٍ رَبْوة حَمْراء مَدَرة، فَقال إبراهيم لِجِبْريل: أهَهُنا أُمِرْت أنْ أضَعهُما؟ قال: نَعَم. فَعَمَدَ بهِما إلى موضِع الحِجْر فأنْزَلَهُما فيه، وأمَرَ هاجَرَ أُمّ إسماعيل أنْ تَتَّخِذ فيه عَريشًا، فَقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] (١).

قال ابن حُمَيْد: قال سَلَمة: قال ابن إسحاق: ويَزْعُمونَ - واللَّهُ أعْلَم - أنَّ مَلَكًا من الملائِكة أتَى هاجَرَ أُمّ إسماعيل - حين أنْزَلَهُما إبراهيم مَكّة قَبْل أنْ يَرْفَع إبراهيم وإسماعيل القواعِد من البيْت - فَأشارَ لهُما إلى البيْت، وهو رَبْوة حَمْراء مَدَرة، فَقال لها: هذا أوّل بَيْت وُضِعَ للناس، وهو بَيْت اللَّه العتيق، واعْلَمي أنَّ إبراهيم وإسماعيل هُما يَرْفَعانِه. فاللَّه أعْلَم (٢).

٢٠٤٣- وَحَدَّثَنا الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا هِشام بن حَسَّان، قال: أخْبَرَني حُمَيْد، عن مُجاهِد، قال: خَلَقَ اللَّه موضِع هذا البيْت قَبْل أنْ يَخْلُق شَيْئًا من الأرض بألفَيْ سَنة، وأركانه في الأرض السَّابِعة (٣).

٢٠٤٤- وَحَدَّثَنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزَّاق، قال: أخبرَنا ابن عُيَيْنَةَ، قال: أخْبَرَني بِشْر بن عاصِم، عن ابن المُسَيَّب، قال: حَدَّثَنا كَعْب أنَّ البيْت كان غُثاءة على الماء قَبْل أنْ يَخْلُق اللَّه الأرض بأربَعينَ سَنة، ومنه دُحيَتِ الأرض. قال: وحَدَّثَنا عَليّ بن أبي طالِب أنَّ إبراهيم أقْبَلَ من أرمينيّة معه السّكينة، تَدُلّه حتى تَبَوَّأ البيْت كما تَتَبَوَّأ العنكَبوت بَيْتها. قال: فَرَفَعَتْ عن أحجار يُطيقه - أو لا يُطيقه - ثَلاثونَ رَجُلاً. قال: قُلْت يا أبا مُحَمَّد، فَإنَّ اللَّه يقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: كان ذلكَ بعد (٤).

---

(١)[ضعيف] مداره على ابن إسحاق، والأسانيد إليه ضعيفة فهنا فيه سلمة، وشيخ المصنف، وقد تقدم ضعفهما، وأخرجه الأزرقي في أخبار مكة بسند ضعيف جدًا، فقال: حدثنا أبو الوليد قال: حدثني جدي، قال: حدثني سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني محمد بن إسحاق. . . فذكره.

(٢)[ضعيف] سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٣)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في المصنف، ومن طريقه المصنف، وهو على شرط مسلم، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في المصنف، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

والصّواب من القول في ذلك عندنا أنْ يُقال: إنّ اللّه جلّ ثناؤه أخْبرَ عن إبراهيم خَليله أنّه وابنه إسماعيل رَفَعا القواعِد من البيْت الحرام. وَجائِز أنْ يكون ذلك قَواعِد بَيْت كان أهبَطَه مع آدم، فَجَعَلَه مَكان البيْت الحرام الذي بمَكّة. وَجائِز أنْ يكون ذلك كان القُبّة التي ذَكَرها عَطاء مِمَّا أنْشأه اللّه من زَبَد الماء. وَجائِز أنْ يكون كان ياقوتة أو دَرَّة أُهْبِطتا من السّماء. وَجائِز أنْ يكون كان آدم بَناه ثُمّ تهَدَّمَ حتى رَفَعَ قَواعِده إبراهيم وإسماعيل. وَلا عِلْم عندنا بأيِّ ذلك كان من أيٍّ؛ لأنَّ حَقيقة ذلك لا تُدْرَك إلاّ بخَبرٍ عن اللّه أو عن رَسوله ﷺ بالنّقْلِ المُسْتَفيض. ولا خَبر بذلك تَقوم به الحُجّة فَيجِب التّسْليم لها، ولا هو - إذْ لم يكُنْ به خَبَر على ما وصَفْنا - مِمَّا يُدرَك علمُه بالاستِدْلالِ والمقاييس فَيُمَثَّلَ بغيرِه، ويُسْتَنْبَط عِلْمه من جِهة الاجْتِهاد، فلا قول في ذلك هو أولَى بالصّوابِ مما قُلْنا. واللّه تعالى أعْلَم.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤهُ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾

يَعْني تعالى ذِكْرُهُ بذلك: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾. يقولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾. وذُكِرَ أنَّ ذلك كذلك في قِراءة ابن مسعود، وهو قول جَماعة من أهل التّأويل.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٠٤٥- **حَدّثني** موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ، قال: بنَيا وهُما يَدْعوانِ الكلِمات التي ابْتَلَى بها إبراهيمَ ربُّه، قال: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ - ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ (١).

٢٠٤٦- **وحَدّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: أخْبَرَني ابن كَثير، قال: ثنا سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ قال: قاما يَرْفَعانِ القواعِد من البيْت، ويقولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال: وإسماعيل يَحْمِل الحِجارة على رَقَبَته والشّيْخ يَبْني (٢).

فَتأويل الآية على هذا القول: وإذْ يَرْفَع إبراهيم القواعِد من البيْت وإسماعيل قائِلَيْن: رَبّنا تَقَبَّلْ مِنَّا.

وَقال آخَرونَ: بل قائِل ذلك كان إسماعيل.

فَتأويل الآية على هذا القول: وإذْ يَرْفَع إبراهيم القواعِد من البيْت، وإذْ يقول إسماعيل: رَبّنا تَقَبَّلْ مِنَّا. فَيَصير حينَئِذٍ ﴿إِسْمَٰعِيلُ﴾ مَرْفوعًا بالجُمْلةِ التي بعده، و(يقول) حينَئِذٍ خَبَر له دون إبراهيم.

ثُمّ اختَلَفَ أهل التّأويل في الذي رَفَعَ القواعِد بعد إجماعهم على أنَّ إبراهيم كان مِمَّنْ رَفَعَها؛ فَقال بعضهمْ: رَفَعَها إبراهيم وإسماعيل جَميعًا.

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٠٤٧- **حدّثني** موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عمرو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ قال: فانطَلَقَ إبراهيم حتّى أتَى مَكّة، فقامَ هو وإسماعيل وأخَذا المعاوِل لا يَدْريانِ أيْنَ البيْت، فبَعَثَ اللَّه ريحًا يُقال لها ريح الخَجُوج، لها جَناحانِ ورَأس في صورة حَيّة. فكَنَسَتْ لهُما ما حَوْل الكعْبة عن أساس البيْت الأوَّل، واتَّبَعاها بالمعاوِلِ يَحْفِرانِ حتّى وضَعا الأساس؛ فذلك حين يقول: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] فلَمَّا بَنَيا القواعِد فبَلَغا مَكان الرُّكْن قال إبراهيم لإسماعيل: يا بُنَيّ اطْلُبْ لي حَجَرًا حَسَنًا أضَعه هَهُنا! قال: يا أبَت إنّي كَسْلان لَغِبٌ. قال: عَلَيَّ بذلك. فانطَلَقَ يطْلُبُ حَجَرًا فجاءه بحَجَرٍ، فَلم يَرْضَه، فقال: ائْتِني بحَجَرٍ أحسَنَ من هذا. فانطَلَقَ يطْلُبُ له حَجَرًا؛ وجاءه جِبْريل بالحجَرِ الأسوَد من الهِند، وكان أبْيَض ياقوتة بَيْضاء مِثْل الثَّغامة، وكان آدَم هَبَطَ به من الجنّة فاسوَدَّ من خَطايا النّاس، فجاءه إسماعيل بحَجَرٍ فوَجَدَه عند الرُّكْن، فقال: يا أبَت مَنْ جاءك بهذا؟ فقال: جاء به مَنْ هو أنْشَط منك. فبَنَياه [(١)].

٢٠٤٨- **وحدّثنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن عمرَ بن عبد اللَّه بن عروةَ، عن عُبَيْد بن عُمَيْر اللَّيْثيِّ، قال: بَلَغَني أنَّ إبراهيم وإسماعيل هُما رَفَعا قَواعِد البيْت [(٢)].

وقال آخرون: بل رَفَعَ قَواعِد البيْت إبراهيمُ، وكان إسماعيلُ يُناوِله الحِجارة.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٠٤٩- **حدّثنا** أحمَد بن ثابِت الرّازيّ، قال: ثنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن أيّوب، وكَثير بن كَثير بن المُطَّلِب بن أبي وداعة - يَزيد أحَدهما على الآخر - عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبّاس، قال: جاء إبراهيم وإسماعيل يَبْري نَبْلًا قَريبًا من زَمْزَم، فلَمّا رَآه قامَ إليه، فصَنَعا كما يَصْنَع الوالِد بالوَلَدِ، والولَد بالوالِدِ، ثُمّ قال: يا إسماعيل إنَّ اللَّه أمَرَني بأمْرٍ، قال: فاصْنَعْ ما أمَرَكَ رَبّك. قال: وتُعينني؟ قال: وأُعينك، قال: فإنَّ اللَّه أمَرَني أنْ أبني هَهُنا بَيْتًا. وأشارَ إلى الكعْبة مُرْتَفِعة على ما حَوْلها. قال: فعند ذلك رَفَعا القواعِد من البيْت، قال: فجَعَلَ إسماعيل يَأْتي بالحِجارةِ، وإبراهيم يَبْني، حتّى إذا ارْتَفَعَ البِناء جاء بهذا الحجر فوَضَعَه له، فقامَ عليه وهو يَبْني، وإسماعيل يُناوِله الحِجارة وهُما يقولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ حتّى دَوَّرَ حَوْلَ البيْتِ [(٣)].

٢٠٥٠- **حدّثنا** ابن سِنانٍ القزّاز، قال: ثنا عُبَيْدُ اللَّه بن عبد المجيد أبو عَليّ الحنَفيّ، قال:

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٢)[ضعيف] محمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح. وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٣)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في المصنف، ومن طريقه المصنف، وكذلك من طريقه البخاري [٣٣٦٤].

ثنا إبراهيم بن نافِع قال: سَمِعْت كَثير بن كَثير يُحَدِّث عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس قال: جاء - يَعْني إبراهيم - فَوَجَدَ إسماعيل يُصْلِح نَبْلًا له من وراء زَمْزَم، قال إبراهيم: يا إسماعيل إنَّ رَبَّك قد أمَرَني أنْ أبني له بَيْتًا. فَقال له إسماعيل: فَأَطِعْ رَبَّك فيما أمَرَكْ به. فَقال له إبراهيم: قد أمَرَكَ أنْ تُعينَني عليه، قال: إذن أفعَل، قال: فَقامَ معه، فَجَعَلَ إبراهيم يَبنيه وإسماعيل يُناوِله الحِجارة، ويقولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فَلَمَّا ارْتَفَعَ البُنْيان وضَعُفَ الشَّيْخ عن رَفْع الحِجارة، قامَ على حَجَر فهو مَقام إبراهيم؛ فَجَعَلَ يُناوِله ويقولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(١).

وَقال آخَرونَ: بل الذي رَفَعَ قَواعِد البيْت إبراهيم وحْده وإسماعيل يومَئِذٍ طِفْلٌ صَغيرٌ.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠٥١- **حَدَّثنا** مُحَمَّد بن بَشَّارٍ ومُحَمَّد بن المُثَنَّى، قالا: ثنا مُؤَمَّلٌ، قال: ثنا سُفْيان، عن أبي إسحاق، عن حارِثة بن مُضَرِّبٍ، عن عَليّ، قال: لَمَّا أُمِرَ إبراهيم ببِناءِ البيْت، خَرَجَ معه إسماعيلُ وهاجَرُ، قال: فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّة رَأى على رَأسِه في موضِع البيْت مِثْل الغمامةِ فيه مِثْلُ الرَّأس، فَكَلَّمَه، فَقال: يا إبراهيمُ، ابْنِ على ظِلِّيَ - أو على قدري - ولا تُزِدْ ولا تَنْقُصْ. فَلَمَّا بَنَى خَرَجَ وخَلَّفَ إسماعيلَ وهاجَرَ، فَقالتْ هاجَرُ: يا إبراهيمُ إلى مَنْ تَكِلنا؟ قال: إلى اللَّه. قالتْ: انطَلِقْ فَإنَّه لا يُضَيِّعنا. قال: فَعَطِشَ إسماعيلُ عَطَشًا شَديدًا، قال: فَصَعِدَتْ هاجَرُ الصَّفا فَنَظَرَتْ فَلم تَرَ شَيْئًا، ثُمّ رَجَعَتْ إلى الصَّفا فَنَظَرَتْ فَلم تَرَ شَيْئًا، حتّى فَعَلَتْ ذلك سَبْعَ مِرارٍ، فَقالتْ: يا إسماعيلُ مُتْ حَيْثُ لا أراك. فَأتَتْه وهو يَفْحَصُ برِجْلِه من العطَش، فَناداها جِبْريلُ، فَقال لها: مَنْ أنت؟ فَقالتْ: أنا هاجَرُ أُمُّ ولَد إبراهيم. قال: إلى مَنْ وكَلكما؟ قالتْ: وكَلَنا إلى اللَّه. قال: وكَلكما إلى كافٍ. قال: فَفَحَصَ الغلامُ الأرض بأُصْبُعِه فَنَبَعَتْ زَمْزَمُ، فَجَعَلَتْ تَحْبِسُ الماء، فَقال: دَعيه فَإنَّها رَواءٌ(٢).

٢٠٥٢- **حَدَّثنا** هناد بنُ السريِّ، قال: ثنا أبو الأحوَص، عن سِماك، عن خالِد بن عُرْعُرةَ، أنَّ رَجُلًا قامَ إلى عَليٍّ فَقال: ألا تُخْبِرني عن البيْتِ أهوَ أوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ في الأرض؟ فَقال: لا. ولَكِنه هو أوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ فيه البرَكةُ، مَقامُ إبراهيم، ومَنْ دَخَلَه كان آمِنًا، وإنْ شِئْت أنْبَأتُك كيف بُنِيَ، إنَّ اللَّهَ أوحَى إلى إبراهيمَ أنْ ابنِ لي بَيْتًا في الأرض، قال: فَضاقَ إبراهيم بذلك ذَرْعًا، فَأرسَلَ اللَّهُ السَّكينة، وهي ريحٌ خَجُوجٌ، ولَها رَأسانِ - فَأتْبَع أحَدُهما صاحِبَه حتّى انتَهَتْ إلى مَكَّة، فَتَطَوَّتْ على موضِع البيْت كَتَطَوِّي الحَجَفَةِ، وأُمِرَ إبراهيمُ أنْ يَبني حَيْثُ تَسْتَقِرُّ السَّكينةُ. فَبَنَى إبراهيم وبَقِيَ حَجَرٌ، فَذَهَبَ الغُلامُ يَبْني شَيْئًا، فَقال إبراهيم: لا، أبْغِني حَجَرًا كما آمُرُك. قال: فانطَلَقَ الغُلام يَلْتَمِسُ له حَجَرًا، فَأتاه به فَوَجَدَه قد رَكَّبَ الحجَرَ الأسوَدَ في مَكانه، فَقال: يا أبَتِ، مَنْ أتاك بهذا

(١)[صحيح] تقدم قبله.

(٢)[ضعيف] مداره على أبي إسحاق السبيعي مدلس، ولم يصرح في أي طريق من طرقه.

الحجَر؟ فقال: أتاني به مَنْ لم يَتَّكِلْ على بَنائِك، جاء به جِبْريلُ من السَّماءِ. فَأَتَمَّاه [١].

٢٠٥٣- **وحدثنا** مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: ثنا مُحَمَّد بن جَعْفَر، قال: ثنا شعبةُ، عن سِماك، قال: سَمِعْت خالِد بن عُرْعُرةَ يُحَدِّث عن عَليٍّ بنَحْوِه [٢].

٢٠٥٤- **وحدثنا** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شُعْبة وحَمَّاد بن سَلَمة وأبو الأحوَصِ، كُلُّهم عن سِماك، عن خالِد بن عُرْعُرة، عن عَليٍّ بنَحْوِه [٣].

فَمَنْ قال: رَفَعَ القواعِدَ إبراهيمُ وإسماعيلُ. أو قال: رَفَعَها إبراهيم وكان إسماعيل يُناوِلُه الحِجارة، فالصَّوابُ في قوله أنْ يكون المُضْمَر من القول لإبراهيم وإسماعيل، ويكون الكلامُ حينَئِذٍ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ يقولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾.

وَقد كان يَحْتَمِل على هذا التَّأويل أنْ يكون المُضْمَرُ من القول لإسماعيلَ خاصَّةً دون إبراهيم، ولإبراهيمَ خاصَّةً دونَ إسماعيلَ؛ لولا ما عليه عامَّةُ أهل التَّأويل من أنَّ المُضْمَرَ من القول في ذلك لإبراهيمَ وإسماعيلَ جَميعًا.

وَأمَّا على التَّأويل الذي رُوِيَ عن عَليٍّ - أنَّ إبراهيمَ هو الذي رَفَعَ القواعِدَ دون إسماعيلَ - فلا يجوزُ أنْ يكون المُضْمَرُ من القول عند ذلك إلاَّ لإسماعيلَ خاصَّةً.

والصَّواب من القول عندنا في ذلك أنَّ المُضْمَر من القول لإبراهيمَ وإسماعيلَ، وأنَّ قَواعِد البيْتِ رَفَعَها إبراهيمُ وإسماعيلُ جَميعًا؛ وذلك أنَّ إبراهيم وإسماعيلَ إنْ كانا هُما بَنَياها ورفَعاها فهو ما قُلْنا. وإنْ كان إبراهيمُ تَفَرَّدَ بِبنائِها، وكان إسماعيلُ يُناوِلهُ أحجارَها، فَهُما أيْضًا رَفَعاها؛ لأنَّ رَفْعها كان بهما؛ من أحَدِهما البِناءُ، ومن الآخَر نَقْلُ الحِجارة إليها ومَعونةُ وضعِ الأحجار مَواضِعَها. وَلا تَمْتَنِعُ العربُ من إضافةِ البِناء إلى مَنْ كان بسَبَبِه البِناءُ ومَعونَتِه. وَإنَّما قُلْنا ما قُلْنا من ذلك لإجماعِ جَميع أهل التَّأويل على أنَّ إسماعيلَ معنيٌّ بالخبَرِ الذي أخْبَرَ اللَّهُ عنه وعن أبيه أنَّهما كانا يقولانِه، وذلك قولُهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. فَمعلومٌ أنَّ إسماعيل لم يكُنْ ليقولَ ذلك إلاَّ وهو إما رَجُلٌ كامِلٌ، وإما غُلامٌ قد فَهِمَ مَواضِعَ الضُّرِّ من النَّفْعِ، ولَزِمَتْه فَرائِضُ اللَّهِ وأحكامُه. وَإذا كان ذلك أمرَه في حال بناءِ أبيه، ما أمَرَه اللَّهُ ببنائِه ورَفْعِه قَواعِدَ بَيْتِ اللَّهِ - فَمعلومٌ أنَّه لم يكُنْ تارِكًا مَعونة أبيه، إمَّا على البِناء، وإمَّا على نَقْل الحِجارة. وَأيُّ ذلك كان منه، فقد دَخَلَ في معنى مَنْ رَفَعَ قَواعِد البيْت، وثَبَتَ أنَّ القول المُضْمَر خَبَرٌ عنه وعن والِده إبراهيمَ صلواتُ اللهِ عليهما. فَتأويل الكلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾، يقولانِ: رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا عَمَلنا، وطاعَتَنا إيَّاكَ وعِبادَتَنا لَك، في انتِهائِنا إلى أمْرِك الذي أمَرْتَنا به في بناء بَيْتِك الذي أمَرْتَنا بِبنائِه، إنَّك أنت السَّميعُ العليم. وَفي إخبار اللَّهِ جلَّ ثناؤه أنَّهما رَفَعا القواعِد من البيْت وهُما يقولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ دَليلٌ واضِحٌ على أنَّ بناءَهُما ذلك لم يكُنْ مسكنًا بناءَ مسكنٍ يَسْكُنانِه ولا مَنْزِلٍ يَنزِلانِه، بل

(١)[ضعيف] خالد بن عرعرة مجهول الحال، وسماك رواه عنه شعبة في بعض الطرق كما في الذي بعده.
(٢)[ضعيف] تقدم قبله. (٣)[ضعيف] تقدم قبله.

هو دَليل على أنَّهما بَنَياه ورَفَعا قَواعِده لِكُلِّ مَنْ أرادَ أنْ يَعْبُد اللَّهَ، تَقَرُّبًا منهُما إلى اللَّه بذلك؛ ولِذلك قالا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾، وَلو كانا بَنَياه مسكَنًا لأنفُسِهما لم يكُنْ لِقولِهما: ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ وجهٌ مَفهومٌ؛ لأنَّه كان يكونُ - لو كان الأمر كذلك - سألا ربَّهما أنْ يَتَقبَّل منهُما ما لا قُرْبة فيه إليه. ولَيْسَ من صفتهما مسألة اللَّهِ قَبولَ ما لا قُرْبة إليه فيه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾

وَتأويل قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: إنَّك أ السَّميع دُعاءَنا ومسألَتنا إيَّاكَ قَبول ما سَألناك قَبوله مِنَّا من طاعَتنا لك في بناء بَيْتك الذي أمَرْتنا ببنائِه، العليمُ بما في ضَمائِر نَفوسنا من الإذعان لَك في الطَّاعة والمصير إلى ما فيه لَك الرِّضا والمحَبَّة، وما نُبْدي وما نُخْفي من أعْمالنا. كَما:

٢٠٥٥- **حدَّثني** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: أخْبَرَني ابنُ كَثير، قال: ثنا سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس: ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يقول: تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّك سَميع الدُّعاء[(١)].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾

وَهذا أيْضًا خَبَر من اللَّه تعالى ذِكْره عن إبراهيم وإسماعيل أنَّهما كانا يَرْفَعانِ القواعِد من البيْت وهُما يقولانِ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ يَعْنيانِ بذلك: واجْعَلْنا مُسْتَسْلِمَيْنِ لأمْرِك خاضِعَيْنِ لِطاعَتِك، لا نُشْرِكُ معك في الطَّاعة أحَدًا سِواك، ولا في العِبادة غيرك.

وَقد دَلَّلْنا فيما مَضَى على أنَّ معنى الإسلام الخُضوعُ لِلَّه بالطَّاعةِ.

وَأمَّا قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ فإنَّهما خَصَّا بذلك بعض الذُّرِّيَّة؛ لأنَّ اللَّه تعالى ذِكْره قد كان أعْلَم إبراهيم خَليله ﷺ قَبْل مسألَته هذه أنَّ من ذُرِّيَّته مَنْ لا يَنال عَهْدهُ؛ لِظُلْمِه وفُجوره، فَخَصَّا بالدَّعْوةِ بعض ذُرِّيَّتهما. وَقد قيلَ: إنَّهما عَنَيا بذلك العرب.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٠٥٦- **حدَّثنا** موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عمرٌو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾: يَعْنيانِ العرب[(٢)].

وَهذا قول يَدُلُّ ظاهِرُ الكِتاب على خِلافه؛ لأنَّ ظاهِره يَدُلّ على أنَّهما دَعَوَا اللَّهَ أنْ يجْعَل من ذُرِّيَّتهما أهل طاعَته ووِلايَته والمستجيبين لأمْرِه، وقد كان في ولَد إبراهيمَ العربُ وغيرُ العرب، والمُسْتَجيب لأمْرِ اللَّه والخاضِعُ له بالطَّاعةِ من الفريقَيْنِ؛ فلا وجه لِقولِ مَنْ قال: عَنَى إبراهيمُ بدُعائِه ذلك فَريقًا من ولَده بأعْيانِهم دون غيرهم إلاَّ التَّحَكُّمَ الذي لا يَعْجِز عنه أحَد.

---

(١) [ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢) [ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

وَأمّا (الأُمّة) في هذا الموضِع، فإنَّه يَعْني بها الجماعة من النَّاس، من قول اللَّه تعالى ذكرُه: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾[الأعراف: ١٥٩].

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾

اختلَفتِ القَرَأةُ في قِراءة ذلك؛ فقَرَأه بعضهم: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ بمعنى رُؤية العيْن، أي: أظهِرْها لأعيُنِنا حتّى نَراها. وَذلك قِراءةُ عامَّة قراءةِ أهل الحِجاز والكوفة، وكان بعض مَنْ يوَجِّه تأويل ذلك إلى هذا التّأويل يُسكِّن الرّاء من (أرْنا)، غير أنّه يُشِمُّها كسْرة.

واختلَفَ قائِلو هذه المقالةِ وقَرَأةُ هذه القِراءة في تأويل قوله: ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ فقال بعضهم: هي مَناسِك الحجِّ ومَعالِمه.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠٥٧- **حدَّثنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: فأراهما اللَّه مَناسِكهما الطّواف بالبيْتِ، والسّعْي بين الصّفا والمرْوة، والإفاضة من عَرَفات، والإفاضةِ من جَمْع، ورَمْي الجِمار، حتّى أكمَلَ اللَّه الدِّين - أو دينه[(١)].

٢٠٥٨- **حدَّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر عن قَتادة في قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾. قال: أرِنا نُسُكنا وحَجَّنا[(٢)].

٢٠٥٩- **حدَّثنا** موسَى، قال: حَدَّثنا عمرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: لَمّا فرَغَ إبراهيمُ وإسماعيلُ من بُنيان البيْت أمَرَه اللَّهُ أنْ يُنادي فَقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[الحج: ٢٧] فنادَى بين أخشَبَيْ مَكّة: يا أيّها النّاس إنَّ اللّه يَأمُركُم أنْ تَحُجّوا بَيْته. قال: فوَقَرَتْ في قَلْب كُلِّ مُؤمِن، فأجابَه كُلُّ شيء سَمِعَه من جَبَل أو شَجَر أو دابّة: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ. فأجابوه بالتّلْبيةِ: لَبَّيْكَ اللّهُمَّ لَبَّيْكَ. وأتاه مَنْ أتاه. فأمَرَه اللّه أنْ يَخرُج إلى عَرَفات ونَعَتَها فَخرَجَ؛ فلَمّا بَلَغَ الشّجَرة عند العقَبة استَقْبَلَه الشّيْطان فردَّه، فرَماه بسَبْعِ حَصَيات يُكَبِّر مع كُلِّ حَصاة، فطارَ فوَقَعَ على الجمْرة الثّانية أيْضًا، فَصَدَّه فَرَماه وكَبَّرَ، فطارَ فَوَقَعَ على الجمْرة الثّالِثة، فَرَماه وكَبَّرَ، فلَمّا رَأى أنّه لا يُطيقه، ولم يَدْرِ إبراهيم أيْنَ يَذهَب، انطَلَقَ حتّى أتَى ذا المجاز، فَلَمّا نَظَرَ إليه فلم يَعْرفه جازَ فسُمِّيَ ذا المجاز، ثُمّ انطَلَقَ حتّى وقَعَ بعَرَفاتِ، فَلَمّا نَظَرَ إليها عَرَفَ النَّعْت، قال: قد عَرَفْتُ. فسُمِّيَ عَرَفات. فَوَقَفَ إبراهيمُ بعَرَفاتٍ. حتّى إذا أمْسَى ازْدَلَفَ إلى جَمْع، فَسُمِّيَتِ المُزْدَلِفة. فَوَقَفَ بجَمْعِ. ثُمّ أقبَل حتّى أتَى الشّيْطانُ حَيْثُ لَقيَه أوَّل مَرّة فَرماه بسَبْعِ حَصَيات سَبْع مَرَّات، ثُمّ أقامَ بمِنًى حتّى فَرَغَ من الحجِّ وأمرِه، وَذلك قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾[(٣)].

---

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

وَقال آخرونَ مِمَّنْ قَرَأ هذه القِراءة: المناسِكُ المذابِحُ. فَكان تأويل هذه الآية على قول مَنْ قال ذلك: وأرِنا كيف نَنْسُك لَك يا رَبَّنا نسائِكنا فَنَذْبَحها لَك.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠٦٠- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: ثنا عبد الرَّحْمَن، قال: ثنا سُفْيان، عن ابن جُرَيْجٍ، عن عَطاء: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾. قال: ذَبْحنا(١).

٢٠٦١- **حَدَّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبَرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا الثَّوْرِيّ، عن ابن جُرَيْج، عن عَطاء، قال: مَذابِحنا(٢).

٢٠٦٢- **وَحَدَّثَني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْلَه(٣).

٢٠٦٣- **وَحَدَّثَنا** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْلَه(٤).

٢٠٦٤- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: قال لي عَطاء: سَمِعْت عُبَيْد بن عُمَيْر يقول: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾. قال: أرِنا مَذابِحنا(٥).

وقرأ ذلك آخَرونَ: (وأرْنا مَناسِكَنا) بتَسْكينِ الرَّاء، وَزَعَموا أنَّ معنى ذلك: وعَلِّمْنا ودُلَّنا عليها. لا أنَّ معناها أرِناها بأبْصارِنا. وَزَعَموا أنَّ ذلك نَظيرُ قول حُطائِطِ بن يَعْفُر أخي الأسوَد بن يَعْفُر:

أرِينـي جَـوادًا مـاتَ هَـزْلاً لأنَّـني ... أرَى ما تَرَيْنَ أو بَخيلاً مُخَلَّدا(٦)

(١)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٢)[صحيح] تقدم قبله، وهذا أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٣)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٥)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٦)[الطويل] القائل: حُطائط بن يعفر. وقيل: حاتم الطائي. وقيل: دريد بن الصمة.

المعنى: البيت من قصيدة يخاطب فيها أمه وقد عاتبته على جوده، وقد سبق هذا البيت قوله:

فقلت ولم أعيَ الجوابَ: تبيني ... أكان الهزال حتف زيد وأربدا

أريني جوادًا مات هزلاً لعلني ... أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا

قوله: ولم أعي الجواب، يقال: عييت الأمر وعييت به عيًا، ورجل عيي وعي، وعيي عن حجته عيًا. يريد: أجبتها ولم أعجز عن محاجتها: تأملي وانظري؛ هل كان الفقر والهزال سبب موت من مات من عشيرتنا، وأريني سخيًا أماته الضر منا أو من غيرنا؛ لعلني أهتدي بهديك وأعتقد مذهبك، وأئتمر لك فيما ترينه رشادًا، أو بخيلاً بقي في الدنيا وعاش ما أراد لأطلب بموافقته ما حصل له من الدوام، وأنصرف عنه من الشقاء والفناء.

يَعْني بقولِه أرِني: دُلّيني عليه وعَرِّفيني مَكانه. ولم يَعْنِ به رُؤية العيْن. وَهذه قِراءة رويَتْ عن بعض المُتَقَدِّمينَ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٠٦٥- **حدَّثَنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: قال عَطاء: (أرْنا مَناسِكَنا): أخْرِجْها لَنا، عَلِّمْناها[١].

٢٠٦٦- **حدَّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا ابن جُرَيْج، قال: قال ابن المُسَيِّب: قال عَليّ بن أبي طالِب: لَمَّا فَرَغَ إبراهيم من بناء البيْت، قال: قد فَعَلْت أيْ رَبِّ فَأرْنا مَناسِكنا - أبْرِزْها لَنا، عَلِّمْناها، فَبَعَثَ اللَّهُ جِبْريل عليه السلام فَحَجَّ به[٢].

والقول عندي في ذلك أن تأويل (أرنا) بكسر الراء وتسكينها واحِد، فَمَنْ كَسَرَ الرَّاء جَعَلَ عَلامة الجزْم سُقوط الياء التي في قول القائِل أريتُه، أُرِيه. وأقَرَّ الرَّاء مَكْسورة كما كانتْ قَبْل الجزْم. وَمَنْ سَكَّنَ الرَّاء من (أرنا) تَوَهَّمَ أنَّ إعْراب الحرْف في الرَّاء فَسَكَّنَها للجزْم كما فَعَلوا ذلك في لم يَكُنْ ولم يكُ. وَسَواءٌ كان ذلك من رُؤية العيْن، أو من رُؤية القلْب. وَلا معنى لِفَرْقِ مَنْ فَرَّقَ بين رُؤية العيْن في ذلك ورُؤية القلْب.

وَأمَّا (المناسِكُ) فَإنَّها جَمْع (مَنْسِك)، وهو الموضِع الذي يُنْسَك لِلَّه فيه، ويُتَقَرَّب إليه فيه بما يُرْضيه من عَمَل صالِح؛ إمَّا بذَبْح ذَبيحة له، وإمَّا بصَلاةٍ أو طَوافٍ أو سَعْي، وغير ذلك من الأعْمال الصَّالِحةِ؛ ولِذلك قيلَ لِمَشاعِر الحجِّ مَناسِكُه؛ لأنَّها أماراتٌ وعَلاماتٌ يَعْتادها النَّاس، ويَتَرَدَّدونَ إليها.

وَأصْل (المنسِك) في كَلام العرب: الموضِع المُعْتاد الذي يَعْتادُه الرَّجُل ويَألَفه، يُقال: إن لِفُلانٍ مَنسِكًا. وذلك إذا كان له موضِعٌ يَعْتاده لِخَيْرٍ أو لِشَرٍّ؛ ولِذلك سُمِّيَتِ المناسِك مَناسِك، لأنَّها تُعْتاد ويُتَرَدَّد إليها بالحجِّ والعُمْرة، وبالأعْمالِ التي يُتَقَرَّب بها إلى اللَّه.

وَقد قيلَ: إنَّ معنى النُّسُك: عِبادة اللَّه، وإنَّ النَّاسِك إنَّما سُمِّيَ ناسِكًا بعِبادةِ رَبِّه. فَتأوَّلَ قائِل هذه المقالة قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: وعَلِّمْنا عِبادَتك كيف نَعْبُدك، وأيْنَ نَعْبُدك، وما يُرْضيك عَنَّا فَنَفْعَله. وَهذا القول وإنْ كان مَذْهَبًا يَحْتَمِلُه الكلام، فَإنَّ الغالِب على معنى المناسِك ما وصَفْنا قَبْلُ من أنَّها مَناسِك الحجِّ التي ذَكَرْنا معناها. وَخَرَجَ هذا الكلامُ من قول إبراهيم وإسماعيلُ على وجه المسألة منهُما رَبَّهما لأنفُسِهما، وإنَّما ذلك منهُما مسألةُ رَبِّهما لأنْفُسِهما وذُرِّيَّتِهما المُسْلِمينَ، فَلَمَّا ضَمَّا ذُرِّيَّتَهما المُسْلِمَيْنِ إلى أنْفُسهما صارا كالمُخْبِرَيْنِ عن أنْفُسهم بذلك. وَإنَّما

(١)[صحيح] هذا سند ضعيف من أجل الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج، ولكن تابعه الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أبو علي البغدادي، ثقة. كما أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير فقال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ (أخرجها لنا، علمناها). اهـ.

(٢)[ضعيف] أخرجه عبد الرزاق في المصنف، ومن طريقه المصنف، وابن جريج مدلس ولم يصرح، ويبعد أن يكون سمع من ابن المسيب، والعلم عند الله.

قُلنا إنَّ ذلك كذلك لِتَقَدُّم الدُّعاء منهُما لِلْمُسْلِمينَ من ذُرّيَّتهما قَبْلُ في أوّل الآية، وتأخُّره بعدُ في الآيةِ الأُخرَى. فَأمّا الذي في أوّل الآيةِ فَقولُهما: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾. ثُمّ جَمَعا أنفُسهما والأُمّة المُسْلِمة من ذُرّيَّتهما في مسألَتهما رَبّهما أنْ يُريَهم مَناسِكهم فَقالا: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾.

وَأمّا الذي في الآية التي بعدها: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ فَجَعَلا المسألةَ لِذُرّيَّتِهما خاصّة.

وَقد ذُكِرَ أنّها في قِراءة ابن مسعود: (وأرِهِمْ مَناسِكَهُمْ)، يَعْني بذلك: وأرِ ذُرّيَّتنا المُسْلِمة مَناسِكهم.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

أمّا التّوْبة فَأصْلها الأوبة من مَكْروه إلى محبوب، فَتَوْبة العبد إلى رَبّه: أوبَتُه مِمّا يكْرَهه اللّه منه بالنّدَمِ عليه والإقْلاع عنه، والعزْم على تَرْك العوْد فيه. وَتَوْبةُ الرّبِّ على عبده: عَوْدُه عليه بالعفْوِ له عن جُرْمه والصّفْح له عن عُقوبة ذَنْبه، مَغْفِرةً منه له، وتَفَضُّلاً عليه.

فَإنْ قال لنا قائِل: وهَلْ كان لهُما ذُنوب فاحتاجا إلى مسألة رَبّهما التّوْبة؟

قيلَ: إنّه لا أحَد من خَلْق اللّه إلاّ ولَه من العمَل فيما بينه وبين رَبّه ما يجِب عليه الإنابة منه والتّوْبة، فَجائِز أنْ يكون ما كان من قِيلِهما ما قالا من ذلك، وإنّما خَصّا به الحال التي كانا عليها من رَفْع قَواعِد البيْت؛ لأنَّ ذلك كان أحرَى الأماكِن أنْ يَسْتَجيب اللّه فيها دُعاءَهُما، وليجْعَلا ما فَعَلا من ذلك سُنّةً يُقْتَدَى بها بعدهما، وتَتَّخِذُ النّاسُ تلك البُقْعةَ بعدهما موضِع تَنَصُّل من الذُّنوب إلى اللّه.

وَجائِز أنْ يكونا عَنَيا بقولِهما: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾: وتُبْ على الظَّلَمة من أولادنا وذُرّيَّتنا، الذينَ أعْلمتَنا أمْرهم من ظُلْمهم وشِرْكهمْ، حتّى يُنيبوا إلى طاعَتك. فَيكون ظاهِر الكلام على الدُّعاء لأنْفُسِهما، والمعنيُّ به ذُرّيَّتُهما، كما يُقال: أكرَمَني فُلان في ولَدي وأهلي، وبَرَّني فُلان. إذا بَرَّ ولَدَه.

وَأمّا قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فَإنّه يَعْني به: إنّك أنت العائِدُ على عِبادك بالفضْلِ والمُتَفَضِّل عليهم بالعفْوِ والغُفْران، الرّحيم بهم، المُسْتَنْقِذ مَنْ تُشاء منهم برَحْمَتِك من هَلَكَته، المُنْجي مَنْ تُريد نَجاته منهم برَأفَتِك من سَخَطك.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾

وَهذه دَعْوة إبراهيمَ وإسماعيلَ صلواتُ اللهِ عليهما لِنَبيِّنا مُحَمَّد ﷺ خاصّة، وهيَ الدَّعْوة التي كان نَبيّنا ﷺ يقول: «**أنا دَعْوة أبي إبراهيم وبُشْرَى عيسَى**».

٢٠٦٧- **حَدّثَنا** بذلك ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن ثَوْر بن يَزيد، عن خالِد بن معدان الكَلاعيّ: أنَّ نَفَرًا من أصْحاب رَسول اللّه ﷺ قالوا له: يا رَسول اللّه أخْبِرْنا

عن نَفسك. قال: «نَعَمْ، أنا دَعْوة أبي إبراهيم، وبُشْرَى عيسَى عليه السلام»(١).

٢٠٦٨- حَدَّثني عِمْران بن بَكّار الكَلاعيّ، قال: ثنا أبو اليمان، قال: ثنا أبو بكرِ بن أبي مَرْيَم، عن سَعيد بن سوَيْد، عن العِرْباضِ بن سارية السُّلَميّ، قال: سَمِعْت رَسول اللَّه ﷺ يقول: «إنِّي عند اللَّه في أمِّ الكِتاب لخاتَمُ النَّبيِّينَ وإنَّ آدَم لَمُنْجَدِلٌ في طينَته، وسَوْفَ أُنَبِّئُكم بتأويلِ ذلك؛ أنا دَعْوةُ أبي إبراهيم، وبِشارةُ عيسَى قَوْمه، ورُؤيا أُمِّي»(٢).

٢٠٦٩- حَدَّثَني يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبَرَنا ابن وهْب، قال: أخْبَرَني مُعاويةُ بنُ صالحٍ، وحَدَّثَني عُبَيْد بن آدَم بن أبي إياس العسْقَلانيُّ، قال: حَدَّثَني أبي، قال: ثنا اللَّيْث بن سَعْد، عن مُعاوية بن صالِح، قالا جَميعًا، عن سَعيد بن سوَيْد، عن عبد اللَّه بن هِلال السُّلَميّ، عن عِرْباض بن سارية السُّلَميّ، عن النَّبيّ ﷺ بنَحْوِه(٣).

٢٠٧٠- وحَدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا أبو صالِح، قال: حدَّثني مُعاويةُ، عن سَعيد بن سوَيْد، عن عبد الأعْلَى بن هِلال السُّلَميّ، عن عِرْباض بن سارية أنَّه قال: سَمِعْت رَسول اللَّه ﷺ يقول. فَذَكَرَ نَحْوه(٤).

وَبمثل الذي قُلْنا في ذلك قال جَماعة من أهل التّأويل.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٠٧١- حَدَّثَنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: فَفَعَلَ اللَّه ذلك، فَبَعَثَ فيهم رَسولاً من أنْفُسهم يَعرِفونَ وجهَهُ ونَسَبه، يُخْرِجهم من الظُّلُمات إلى النّور، ويَهْديهم إلى صِراط العزيزِ الحميد(٥).

٢٠٧٢- وحَدَّثنا موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: وهو مُحَمَّد ﷺ(٦).

(١)[صحيح] قال الشيخ شاكر: ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي، ثقة من أثبت الرواة. خالد بن معدان الكلاعي الحمصي: تابعي ثقة ثبت. وهذا الإسناد مرسل؛ لأن خالد بن معدان لم يذكر أنه عن أحد من الصحابة. وكذلك هو في سيرة ابن هشام في قصة مطولة، وكذلك رواه الطبري في التاريخ بهذا الإسناد مطولاً أيضًا مرسلاً، ولكنه ثبت موصولاً من رواية ابن إسحاق أيضًا: فرواه الحاكم في المستدرك من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: (حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك؟ . . .) فذكر الحديث مختصرًا، بنحو مما هنا. ثم قال الحاكم: (خالد بن معدان: من خيار التابعين، صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة. فإذا أسند حديثا إلى الصحابة، فإنه صحيح الإسناد، وإن لم يخرجاه). ووافقه الذهبي على تصحيحه. اهـ.

(٢)[صحيح لغيره] هذا سند ضعيف، وله شاهد في الذي قبله، وانظر الضعيف [٢٠٨٥].

(٣)[صحيح لغيره] تقدم قبله. (٤)[صحيح لغيره] تقدم قبله.

(٥)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٦)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

٢٠٧٣- وحُدِّثت عن عمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه عن الرّبيع قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: هو محمَّد ﷺ، فقيلَ له: قد استجبتُ لك، وهو في آخِر الزّمان[(١)].

وَيَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾: يَقْرأ عليهم كِتابك الذي توحيه إليه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

وَيَعْني بالكِتابِ القُرْآن. وَقد بَيَّنْت فيما مَضَى لِمَ سُمّيَ القُرْآن كِتابًا وما تأويله. وَهوَ قول جَماعة أهل التّأويل.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٠٧٤- حَدّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: قال: الكتابُ القُرْآن[(٢)].

ثُمّ اختلَفَ أهل التّأويل في معنى (الحِكْمة) التي ذَكَرَها اللّهُ في هذا الموضِع، فَقال بعضهم: هي السُّنّة.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٠٧٥- حَدّثنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: السُّنّة[(٣)].

وَقال بعضهم: الحِكْمةُ هي المعرِفةُ بالدّينِ والفِقْه فيه.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٠٧٦- حَدّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قُلْت لِمالِكٍ: ما الحِكْمة؟ قال: المعرِفةُ بالدّينِ، والفِقْهُ فيه، والاتّباعُ له[(٤)].

٢٠٧٧- وَحَدّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ قال: الحِكْمة: الدّين التي لا يَعْرِفونَها إلاّ به ﷺ يُعَلِّمهم إيَّاها. قال: والحِكْمةُ: العقْلُ في الدّين. وقَرأ: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩]، وقال لِعيسَى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾[آل عمران: ٤٨]، قال: وقَرأ ابن زَيْد: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾[الأعراف: ١٧٥]، قال: لم يَنْتَفِع بالآياتِ حين لم تَكُنْ معها حِكْمة. قال: والحِكْمةُ شيْء يجْعَله اللّه في القَلْب يُنَوِّره له به[(٥)].

---

(١)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٢)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٥)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

والصَّوابُ من القول عندنا في (الحِكْمة)، أنَّها العِلْم بأحكامِ اللَّه التي لا يُدْرَك عِلْمُها إلاَّ ببيانِ الرّسول ﷺ والمعرِفةِ بها، وما دَلَّ عليه ذلك من نَظائِره. وَهوَ عندي مَأخوذ من (الحُكْم) الذي بمعنى الفصْل بين الحقِّ والباطِل بمَنْزِلةِ (الجِلْسة والقِعْدة) من (الجُلوس والقُعود)، يُقال منه: إنَّ فُلانًا لَحَكيم بَيِّن الحِكْمة، يَعْني بذلك أنَّه لَبَيِّنُ الإصابة في القول والفِعْل.

وَإذْ كان ذلك كذلك، فَتأويل الآية: رَبّنا وابْعَثْ فيهم رَسولاً منهم يَتْلو عليهم آياتك، ويُعَلِّمهم كِتابك الذي تُنَزِّله عليهم، وفَصْل قَضائِك، وأحكامك التي تُعَلِّمه إيَّاها.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾

قد دَلَّلْنا فيما مَضَى قَبْل على أنَّ معنى التَّزْكية: التَّطْهير، وأنَّ معنى الزَّكاةِ النَّماءُ والزّيادةُ. فَمعنى قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ في هذا الموضِع: ويُطَهِّرهم من الشِّرْك باللَّه وعِبادة الأوثان ويُنَمّيهم ويُكَثِّرهم بطاعةِ اللَّه. كَما:

٢٠٧٨- **حَدَّثَني** المُثَنَّى بن إبراهيم، قال: ثنا عبد اللَّه بن صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قال: يَعْني بالزَّكاةِ، طاعةَ اللَّهِ والإخلاص(١).

٢٠٧٩- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: ثنا حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْجٍ: قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قال: يُطَهِّرهم من الشِّرْك ويُخَلِّصهم منه(٢).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بذلك: إنَّك يا رَبِّ أنت العزيز. يعني: القويُّ الذي لا يُعْجِزه شَيْء أرادَه، فافعَلْ بنا وبِذُرّيَّتِنا ما سَألناه وطَلَبناه منك. والحكيمُ: الذي لا يَدْخُل تَدْبيره خَلَل ولا زَلَل، فَأعْطِنا ما يَنْفَعُنا ويَنْفَع ذُرّيَّتنا، ولا يُنْقِصُك ولا يُنْقِص خَزائِنَك.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾: وأيُّ النَّاس يَزْهَد في مِلّة إبراهيم ويَتْرُكها رَغْبة عنها إلى غيرها. وَإنَّما عَنَى اللَّهُ بذلك اليهودَ والنّصارَى لاختيارِهم ما اختاروا من اليهوديّة والنّصرانيّة على الإسلام؛ لأنَّ مِلّة إبراهيم هي الحنيفيّة المُسْلِمة، كما قال تعالى ذِكْره: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧] فَقال تعالى ذِكْره لهم: ومَنْ يَزْهَد في مِلّة إبراهيم الحنيفيّة المُسْلِمة إلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسه. كَما:

٢٠٨٠- **حَدَّثَنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيدُ بن زُرَيع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: رَغِبَ عن مِلَّته اليهود والنّصارَى، واتَّخذوا اليهوديّة والنّصرانيّة بدْعة لَيسَتْ من اللَّه، وتَركوا مِلّة إبراهيم - يَعْني الإسلام - حَنيفًا، كذلك بَعَثَ اللَّه

(١)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.
(٢)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

نَبِيّه مُحَمَّدًا ﷺ بمِلّةِ إبراهيم (١).

٢٠٨١- حُدِّثت عن عَمّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع في قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ قال: رَغِبَتِ اليهود والنّصارَى عن مِلّة إبراهيم وابْتَدَعوا اليهوديّة والنّصْرانيّة ولَيْسَتْ من اللّه، وتَرَكوا مِلّة إبراهيمَ الإسلامَ (٢).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقوله: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: إلاّ مَنْ سَفِهَتْ نَفْسُه، وقد بَيَّنّا فيما مَضَى أنَّ معنى السّفَه: الجهْل. فَمعنى الكلام: وما يَرْغب عن مِلّة إبراهيم الحنيفيّة إلاّ سَفيهٌ جاهِلٌ بموضِعِ حَظِّ نَفْسه فيما يَنْفَعها ويَضُرّها في مُعادها. كَما:

٢٠٨٢- حَدّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾. قال: إلاّ مَنْ أخْطأَ حَظّه (٣).

وَإنّما نَصبَ (النّفس) على معنى المُفَسّر؛ وذلك أنَّ السّفَه في الأصْل لِلنّفسِ، فَلَمّا نُقِلَ إلى (مَنْ) نُصِبَتْ (النّفس) بمعنى التّفسير، كما يُقال: هو أوسَعكُم دارًا، فَتَدْخُل (الدّار) في الكلام على أنَّ السّعة فيها لا في الرّجُل. فَكَذلك النّفس أُدْخِلَتْ؛ لأنَّ السّفَه لِلنّفْسِ لا لـ(مَنْ)؛ ولِذلك لم يجُزْ أنْ يُقال: نفسه سَفِهَ أخوك، وإنّما جازَ أنْ يُفَسّر بالنّفسِ وهيَ مُضافة إلى معرِفةٍ؛ لأنّها في تأويل نَكِرة.

وَقد قال بعضُ نَحويّي البصْرة: إنَّ قوله: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: جَرَتْ مَجْرَى (سَفِهَ) إذا كان الفِعْل غير مُتَّعَد. وَإنّما عَدّاه إلى (نَفْسه) و(رَأْيه) وأشباه ذلك مِمّا هو في المعنى نَحو سَفِهَ، إذا هو لم يَتَعَدَّ. فأمّا (غَبِنَ) و(خَسِرَ) فقد يَتَعَدّى إلى غيره، يُقال: غَبِنَ خَمْسينَ، وخَسِرَ خَمْسينَ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾: ولَقد اصْطَفَيْنا إبراهيم. والهاءُ التي في قوله: ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ من ذِكْر إبراهيم.

والاصْطِفاءُ: الافتِعالُ من الصَّفْوة، وكذلك اصْطَفَيْنا افتَعَلْنا، منه، صُيِّرَتْ تاؤُها طاء لِقُرْبِ مَخْرَجِها من مَخْرَجِ الصّاد.

وَيَعْني بقولِه: ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ اخْتَرْناه واجْتَبيناه لِلْخُلّةِ، ولِنُصَيِّرَه في الدُّنْيا لِمَنْ بعده إمامًا. وَهذا خَبَر من اللّه تعالى ذِكْره عن أنَّ مَنْ خالَفَ إبراهيم فيما سَنّ لِمَنْ بعده فهو لِلّه مُخالِف، وإعْلامٌ منه خَلْقه أنَّ مَنْ خالَفَ ما جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ فهو لإبراهيم مُخالِف؛ وذلك أنَّ اللّه تعالى ذِكْره أخْبَرَ أنّه اصْطَفاه لِخُلّتِه، وجَعَلَه لِلنّاسِ إمامًا، وأخْبَرَ أنَّ دينه كان الحنيفيّة المُسْلِمة. فَفي ذلك أوضَح البيان من اللّه تعالى ذِكْره عن أنَّ مَنْ خالَفَه فهو لِلّه عَدوّ لِمُخالَفَتِه الإمام الذي نَصَبَه لِعِبادِه.

---

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٣)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: وإنَّ إبراهيم في الدَّار الآخِرة لَمن الصَّالِحينَ. والصَّالِح من بَني آدَم هو المُؤدّي حُقوق اللَّه عليه. فأخْبَرَ تعالى ذِكْره عن إبراهيم خَليلِه أنَّه في الدُّنيا له صَفيّ، وفي الآخِرة وليّ، وأنَّه وارِدٌ مَوارِدَ أوليائِه الموفينَ بعَهْدِه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾: إذْ قال لإبراهيمَ رَبُّه: أخْلِصْ لي العِبادة، واخضَعْ لي بالطَّاعةِ، وقد دَلَّلْنا فيما مَضَى على معنى (الإسلام) في كَلام العرب، فأغْنَى ذلك عن إعادَته.

وأمَّا معنى قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فإنَّه يَعْني تعالى ذِكْره: قال إبراهيم مُجيبًا لِرَبِّه: خَضَعْت بالطَّاعةِ، وأخْلَصْتُ العِبادةَ لِمالِك جَميع الخلائِق ومُدَبِّرِها دون غيره.

فإنْ قال قائِل: قد عَلِمْت أنَّ (إذْ) وقْتٌ فَما الذي وُقِّتَ به، وما الذي جلَبَه؟

قيلَ: هو صِلة لِقولِه: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾. وتأويل الكلام: ولَقد اصْطَفَيْناه في الدُّنيا حين قال رَبّه: أسلِمْ، قال: أسلمتُ لِرَبِّ العالَمينَ. وإنما معنى الكلام: ولَقد اصْطَفَيْناه في الدُّنيا حين قلنا له: أسلِمْ. قال: أسلمتُ لِرَبِّ العالَمينَ. فأظْهَر اسم اللَّهِ تعالى ذكرُه في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ﴾ على وجه الخبَر عن غائِبٍ، وقد جَرَى ذِكْرُه قَبْلُ على وجه الخبَر عن نَفْسه، كما قال خُفَاف بن نُدْبَة:

أقولُ له والرُّمْحُ يَأطِرُ مَتْنَهُ ... تأمَّلْ خُفَافًا إنَّني أنا ذالِكا (١)

فإنْ قال لنا قائِل: وهَلْ دَعا اللَّهُ جلَّ ثناؤه إبراهيم إلى الإسلام؟ قيلَ له: نَعَمْ، قد دَعاه إليه.

فإنْ قال: وفي أيِّ حالٍ دَعاه إليه؟ قيلَ: حين قال: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨-٧٩]. وذلك هو الوقت الذي قال له رَبّه أسلِم. من بعد ما امْتَحَنَه بالكوكَبِ والقمَرِ والشَّمْس.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾: ووَصَّى بهذه الكلِمة؛ أعْني بالكلِمةِ قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ وهيَ الإسلام الذي أمَرَ به نَبيّه ﷺ، وهو إخلاص العِبادة والتَّوْحيد لِلَّه، وخُضوعُ القلْبِ والجوارِحِ له.

ويَعْني بقولِه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾: عَهِدَ إليهم بذلك وأمَرَهم به.

---

(١) [الطويل] القائل: خفاف بن ندبة السلمي (مخضرم). اللغة: أقول له: يعني لمالك بن حِمار. يأطر: أطر الشيء يأطره أطرًا، هو أن تقبض على أحد طرفي الشيء ثم تعوجه وتعطفه وتثنيه. متنه: المَتْنُ من كل شيء ما صَلُبَ من ظَهْره، والجمع: مُتون. المعنى: يقول الشاعر: إن طعنة الرمح التي أصابت صُلب ظهره جعلته يتثنى من ألمها، ثم ينحني ليهوى صريعًا؛ إذ أصاب الرمح مقتله.

وَأَمَّا قوله: ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ فإنَّه يَعْني: ووَصَّى بذلك أيْضًا يَعْقوب بَنيه. كَما:

٢٠٨٣- حَدَّثَنا بشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾. يقول: ووَصَّى بها يَعْقوبُ بَنيه بعد إبراهيم [(١)].

٢٠٨٤- وحَدَّثني مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمِّي، قال: حَدَّثَني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾: وصَّاهم بالإسلامِ، ووَصَّى يَعْقوب بمِثْلِ ذلك [(٢)].

وَقال بعضهم: قوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ خَبَرٌ مُنْقِضٍ، وقوله: ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ خَبَر مُبْتَدأ، كأنَّه قال: ووَصَّى بها إبراهيم بَنيه بأنْ يقولوا: أسلمنا لِرَبِّ العالَمينَ، ووَصَّى يَعْقوب بَنيه أنْ: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

وَلا معنى لِقولِ مَنْ قال ذلك؛ لأنَّ الذي أوصَى به يَعْقوب بَنيه نَظير الذي أوصَى به إبراهيم بَنيه من الحثّ على طاعة اللّه والخُضوع له والإسلام.

فَإنْ قال قائِل: فَإنْ كان الأمْرُ على ما وصَفْت من أنَّ معناه: ووَصَّى بها إبراهيم بَنيه ويَعْقوب أن يا بَنيَّ، فَما بال (أنْ) محذوفة من الكلام؟

قيلَ: لأنَّ الوصيّة قولٌ فَحُمِلَتْ على معناها، وذلك أنَّ ذلك لو جاء بلَفْظِ القول لم تَحْسُن معه (أنْ)، وإنَّما كان يُقال: وقال إبراهيم لِبَنيه ويَعْقوب: (يا بَنيَّ). فَلَمَّا كانتِ الوصيّة قولاً حُمِلَتْ على معناها دون لفظِها، فَحُذِفَتْ (أنْ) التي تَحْسُن معها، كما قال تعالى ذِكْره: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[النساء: ١١] وكَما قال الشَّاعِر:

إنِّـي سَـأُبْـدي لَـك فيـمـا أُبْـدي
لـي شَـجَـنـانِ شَـجَـنٌ بـنَـجْـدِ
وَشَـجَـنٌ لـي ببـلادِ السِّـنْـدِ [(٣)]

فَحُذِفَتْ (أنْ) إذ كان الإبداء باللِّسانِ في المعنى قولاً، فَحَمَلَه على معناه دون لَفْظه.

وَقد قال بعض أهل العربيَّة: إنَّما حُذِفَتْ (أنْ) من قوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ اكْتِفاءً بالنِّداء، يَعْني بالنِّداءِ قوله: ﴿يَٰبَنِيَّ﴾، وزَعَمَ أنَّ عِلَّته في ذلك أنَّ من شَأن العرب الاكْتِفاء

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٣)[الرجز] القائل: غير معروف. اللغة: الشَّجَنُ: هوى النفس، وهو الحاجة، والجمع: أَشجان، والشَّجَنُ، بالتحريك: الحاجة أينما كانت، والجمع: أَشجانٌ وشُجُونٌ، قال:

ذَكَرْتُكِ حيثُ اسْتَأْمَنَ الوَحشُ والتَقَتْ رِفاقٌ من الآفاقِ شَتَّى شُجُونُها

وكنوا به عن المرأة المحبوبة التي تشغل القلب بالهم والحزن؛ من فراق أو دلال أو تجن، وهو ما أوضحه الشاعر في الأبيات السابقة؛ فقد شغل قلبه بهمين: هم بنجد. والآخر بالسند.

بالأدَواتِ من (أنْ) كَقولِهم: نادَيْت هَلْ قُمْت؟ ونادَيْت أيْنَ زَيْد؟ قال: ورُبَّما أدْخَلوها مع الأدَوات فَقالوا: نادَيْتُ أنْ هَلْ قُمْت؟

وقد قَرَأ جماعةٌ مِن القَرَأةِ: (وأوصى بها إبراهيمُ) بمعنى: عَهِد.

وأما مَن قرأ: ﴿وَوَصَّىٰ﴾ مشدَّدةً، فإنه يعني بذلك أنه عَهِدَ إليهم عَهْدًا بعد عَهْد، وأوصَى وصيّة بعد وصيّة.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: إنَّ اللَّه اختارَ لكم هذا الدّين الذي عَهِدنا فيه إليكُم واجْتَباه لكمْ. وَإنَّما أدْخَلَ الألِف واللّام في ﴿ٱلدِّينَ﴾؛ لأنَّ الذينَ خوطِبوا من ولَدهما وبَنيهِما بذلك كانوا قد عَرَفوه بتَوْصيتِهما إيَّاهم به وعهدِهما إليهم فيه، ثُمَّ قالا لهم بعد أنْ عَرَّفاهُموه: إنَّ اللَّه اصْطَفَى لكم هذا الدِّين الذي قد عَهِدنا إليكُم فيه، فاتَّقوا أنْ تَموتوا إلاَّ وأنتم عليه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

إنْ قال لنا قائِل: أوَ إلى بَني آدَم الموت والحياة فيُنْهَى أحَدهم أنْ يَموت إلاَّ على حالة دون حالة؟

قيلَ له: إنَّ معنى ذلك على غير الوجه الذي ظَنَنْت، وإنَّما معناه: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: فلا تُفارِقُنَّ هذا الدّين - وهو الإسلام - أيّام حَياتكم؛ وذلك أنَّ أحَدًا لا يَدْري مَتَى تأتيه مَنيَّته، فَلِذلك قالا لهم: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لأنَّكُم لا تَدْرونَ مَتَى تأتيكُم مَناياكُم من لَيْل أو نَهار، فلا تُفارِقوا الإسلام فتَأتيكُم مَناياكُم وأنتم على غير الدّين الذي اصْطَفاه لكم رَبّكُم فَتَموتوا ورَبّكُم عليكُم ساخِط فتَهْلِكوا.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: أكُنْتُمْ شهداء، ولَكِنّه استَفْهَمَ بـ(أم) إذْ كان استِفْهامًا مُسْتأنَفًا على كَلام قد سَبَقَه، كما قيلَ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾[السجدة: ١: ٣] وكذلك تَفعَل العربُ في كُلّ استِفْهام ابْتَدَأتْه بعد كَلام قد سَبَقَه تَسْتَفْهِم فيه بـ(أم)، والشُّهَداء جَمْع شَهيد كما الشُّركاء جَمْع شَريك، والخُصَماء جَمْع خَصيم.

وَتأويل الكلام: أكُنْتم يا معشَر اليهود والنّصارَى المُكَذِّبين بمُحَمَّدٍ ﷺ، الجاحِدينَ نُبوَّته - حُضور يَعْقوب وشُهودهُ إذْ حَضَرَه الموت، أي إنَّكُم لم تَحْضُروا ذلك. فلا تَدَّعوا على أنْبيائي ورُسُلي الأباطيل، وتَنْحُلوهم اليهوديّة والنّصْرانيّة، فَإنّي ابْتَعَثْت خَليلي إبراهيم ووَلَده إسحاق وإسماعيل وذُرّيَّتهم بالحنيفيّةِ المُسْلِمة، وبِذلك وصّوا بَنيهم، وبِه عَهِدوا إلى أولادهم من بعدهمْ، فَلو حَضَرْتُموهم فَسَمِعْتُم منهم عَلِمْتُم أنَّهم على غير ما تَنْحُلونهم من الأدْيان والمِلَل.

وَهذه الآيات نَزَلَتْ تَكْذيبًا من اللَّه تعالى لِلْيَهودِ والنَّصارَى في دَعْواهم إبراهيم وولَدَهُ ويَعْقوب أنَّهم كانوا على مِلَّتهمْ، فَقال لهم في هذه الآية: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ فَتَعْلَموا ما قال لِوَلَدِه وقال له ولَده. ثُمّ أَعْلَمهم ما قال لهم وقالوا له.

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذِكْر مَن قال ذلك:

٢٠٨٥- **حدثني** المُثَنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: يَعْني أهل الكِتاب[(١)].

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٣﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾: إذْ قال يَعْقوب لِبَنيه. و﴿إِذْ﴾ هذه مُكَرَّرة إبدالاً من ﴿إِذْ﴾ الأولَى بمعنى: أم كُنتُم شُهَداء يَعْقوب إذْ قال يَعْقوب لِبَنيه حين حُضور موته؟

وَيعْني بقولِه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾: أيَّ شَيْء تَعْبُدونَ من بعدي، أيْ من بعد وفاتي؟ ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ يَعْني به: قال بَنوه له: نَعْبُد معبودك الذي تَعْبُده، ومعبود آبائِك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، أي نُخْلِص له العِبادة ونوَحّد له الرُّبوبيّة فلا نُشرِك به شَيْئًا ولا نَتَّخِذ دونه رَبًّا.

وَيَعْني بقولِه: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: ونَحنُ له خاضِعونَ بالعُبودَةِ والطّاعة.

وَيَحْتَمِل قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ أنْ تَكون بمعنى الحال، كَأنَّهم قالوا: نَعْبُد إلَهك مُسْلِمينَ له بطاعَتِنا وعِبادَتنا إيّاه. وَيَحْتَمِل أنْ يكون خَبَرًا مُسْتأنَفًا، فَيكون بمعنى: نَعْبُد إلَهك بعدك، ونَحْنُ له الآن وفي كُلّ حال مُسْلِمونَ.

قال أبو جعفر: وَأحسَن هَذَيْنِ الوجْهَيْنِ في تأويل ذلك أنْ يكون بمعنى الحال، وأنْ يكون بمعنى: نَعْبُد إلَهك وإلَه آبائِك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق مُسْلِمينَ لِعِبادَتِه.

وَقيلَ: إنَّما قُدِّمَ ذِكْر إسماعيل على إسحاق لأنَّ إسماعيل كان أسَنّ من إسحاق.

ذِكْر مَن قال ذلك:

٢٠٨٦- **حدثني** يونُس بن عبد الأعْلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾. قال: يُقال بَدَأ بإسماعيل لأنّه أكْبَر[(٢)].

وَقَرَأ بعض القَرَأةِ: (وَإلَه أبيكَ إبراهيمَ) ظَنًّا منه أنَّ إسماعيل إذْ كان عَمًّا ليَعْقوب، فلا يجوز أنْ يكون فيمَنْ تُرْجِمَ به عن الآباء وداخِلاً في عِدادهمْ. وَذلك من قارِئِه كذلك قِلّة عِلْم منه بمَجاري كَلام العرب. والعرب لا تَمْتَنِع من أنْ تَجْعَل الأعْمام بمعنى الآباء، والأخْوال بمعنى

(١) [ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢) [صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

الأُمّهات، فَلِذلك دَخَلَ إسماعيل فيمَنْ تُرْجِمَ به عن الآباء.

وَ﴿ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ تَرْجَمة عن الآباء في موضِع جَرٍّ، ولَكِنَّهم نُصِبوا بأَنَّهم لا يُجْرَونَ.

والصّواب من القِراءة عندنا في ذلك: ﴿ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾: لإجماع القَرَأةِ على تَصْويب ذلك وشُذوذ مَنْ خالَفَه من القَرَأةِ مِمَّنْ قَرَأ خِلاف ذلك، ونُصِبَ قوله: ﴿ إِلَهًا﴾ على الحال من قوله ﴿ إِلَهَكَ﴾ .

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب ووَلَدهمْ. يقول لِلْيَهودِ والنّصارَى: يا معشَر اليهودِ والنّصارَى دَعَوْا ذِكْر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والمُسْلِمينَ من أولادهم بغيرِ ما هم أهله ولا تَنْحَلوهم الكُفْر واليهوديّة والنّصْرانيّة فَتُضيفوها إليهم، فَإنّهم أُمّة - ويَعْني بالأُمّةِ في هذا الموضِع الجماعة، والقرْن من النّاس - ﴿ قَدْ خَلَتْ﴾: قد مَضَتْ لِسَبيلِها.

وَإنّما يُقال لِلّذي قد مات فَذَهَبَ: قد خَلا. لِتَخَلّيه من الدُّنْيا، وانفِراده مما كان من الأُنْس بأهلِه وقُرَنائِه في دُنْياه، وأصْله من قولهم: خَلا الرّجُلُ، إذا صارَ إلى المكانِ الذي لا أنيس له فيه وانفَرَدَ من النّاس، فاستَعْمَلَ ذلك في الذي يَموت على ذلك الوجْه.

ثُمّ قال تعالى ذِكْره لِلْيَهودِ والنّصارَى: إنَّ لِمَنْ نَحَلْتُموه ضَلالَكُم وكُفْرَكُم الذي أنتم عليه من أنبيائي ورُسُلي ما كَسَبَ.

والهاءُ والألِفُ في قوله: ﴿ لَهَا﴾ عائِدة إنْ شِئْت على ﴿ تِلْكَ﴾، وإنْ شِئْت على ﴿ أُمَّةٌ﴾.

وَيَعْني بقولِه: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي ما عَمِلَتْ من خَيْر، ولكم يا معشَر اليهود والنّصارَى مِثْلُ ذلك ما عَمِلْتُمْ. وَلا تُؤاخَذونَ أنتم أيّها النّاحِلوهم ما تنحلونهم من المِلَل، فَتُسْألوا عَمّا كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب ووَلَدهم يَعْمَلونَ فَيكْسِبونَ من خَيْر وشَرّ؛ لأنَّ لِكُلِّ نَفْس ما كَسَبَتْ، وعليها ما اكْتَسَبَتْ. فَدَعَوْا انتِحالهم وانتِحال مِلَلِهِمْ، فَإنَّ الدّعاوَى غير مُغْنِيَتِكُم عند اللّه شيئًا، وإنّما يُغْني عنكُم عنده ما سَلَف لكم من صالِح أعْمالِكُم إنْ كُنْتُم عَمِلْتُموها وقَدَّمْتُموها أمامَكم.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾: وقالتِ اليهود لِمُحَمَّدٍ ﷺ وأصْحابه من المُؤْمِنينَ: كونوا يهودًا تَهْتَدوا. وقالتِ النّصارَى لهم: كونوا نَصارَى تَهْتَدوا.

ويَعْني بقولِه: ﴿ تَهْتَدُوا﴾: أيْ تُصيبوا طَريق الحقّ. كَما:

٢٠٨٧- **حدّثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا يونُس بن بُكَيْر وحَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة

جَميعًا، عن ابن إسحاق، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، قال: حَدَّثني سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: قال عبد اللَّه بن صُوريا الأعْوَر لِرَسولِ اللَّه ﷺ: ما الهُدَى إلاَّ ما نَحنُ عليه، فاتَّبِعْنا يا مُحَمَّد تَهْتَدِ. وقالتِ النّصارَى مِثْل ذلك. فَأنْزَلَ اللَّه فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

فاحتَجَّ اللَّه لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ أبْلَغَ حُجَة وأوجَزَها وأكْمَلَها، وعَلَّمَها مُحَمَّدًا نَبيّه ﷺ فقال: يا مُحَمَّد قُلْ لِلْقائِلينَ لَك من اليهود والنّصارَى ولأصْحابِك: كونوا هودًا أو نَصارَى تَهْتَدوا -: بل تَعالوا فلْنَتَّبع مِلّة إبراهيم التي يُجْمِعُ جَميعنا على الشّهادة لها بأنّها دين اللَّه الذي ارْتَضاه واجْتَباه وأمَرَ به، فَإنَّ دينه كان الحنيفيّة المُسْلِمة، ونَدَعْ سائِر المِلَل التي نَخْتَلِف فيها فيُنْكِرها بعضنا ويُقِرُّ بها بعضنا، فَإنَّ ذلك على اختِلافه لا سَبيل لنا إلى الاجْتِماع عليه كما لنا السّبيل إلاَّ الاجْتِماع على مِلّة إبراهيم.

وفي نصب قوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أوجه ثلاثة:

أحَدها: أنْ يوَجّه معنى قوله: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ إلى معنى: وقالوا اتَّبِعوا اليهوديّة والنّصْرانيّة. لأنّهم إذْ قالوا: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ إلى اليهوديّة والنّصْرانيّة دَعوهم، ثُمّ يُعْطَفُ على ذلك المعنى بالمِلّةِ، فَيكون معنى الكلام حينَئِذٍ: قُلْ يا مُحَمَّد: لا نَتَّبِع اليهوديّة والنّصْرانيّة، ولا نَتَّخِذها مِلّة، بل نَتَّبع مِلّة إبراهيم حَنيفًا. ثُمّ يُحْذَفُ (نَتَّبع) الثّانية، ويَعْطِف بالمِلّةِ على إعْراب اليهوديّة والنّصْرانيّة.

والآخَر: أنْ يكون نَصْبه بفِعْلٍ مُضْمَر بمعنى (نَتَّبع).

والثّالِث: أنْ يكون أُريدَ: بل نَكون أصْحاب مِلّة إبراهيم، أو أهل مِلّة إبراهيم. ثُمّ حَذَفَ (الأهل) و(الأصْحاب)، وأُقيمَتْ (المِلّة) مُقامهمْ، إذْ كانتْ مُؤَدّية عن معنى الكلام، كما قال الشّاعِر:

حَسِبْت بُغامَ راحِلَتي عَناقًا ... وما هي ويْبَ غيرك بالعَناقِ (٢)

يَعْني صَوْت عَناق. فَتَكون المِلّة حينَئِذٍ مَنصوبة عَطْفًا في الإعْراب على اليهود والنّصارَى. وَقد يجوز أنْ يكون مَنصوبًا على وجه الإغْراء، باتِّباع مِلّة إبراهيم.

وَقَرأ بعض القرأة ذلك رَفْعًا، فَتأويله على قِراءة مَنْ قَرَأه رَفْعًا: بل الهُدَى مِلّةُ إبراهيم.

---

(١)[ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

(٢)[الوافر] القائل: غير معروف. اللغة: البغام: صوت الظبية أو الناقة، واستعاره هنا للمعز. وقوله: عناق في البيت: هي أنثى المعز. وقوله: ويب، أي: ويل. المعنى: البيت من قصيدة يقولها الذئب تبعه في طريقه وأراد أن يثب على ناقته، فأصدرت صوتًا رخيمًا ظن منه أنها عناق، وما هي بذلك.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ:
﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

والمِلَّةُ: الدِّين، وَأمَّا الحنيف: فَإنَّه المُستَقيم من كُلِّ شيْء. وَقد قيلَ: إنَّ الرَّجُل الذي تُقْبِل إحدَى قَدَمَيْه على الأُخْرَى إنَّما قيلَ له أحنَف نَظَرًا له إلى السَّلامة، كما قيلَ لِلْمَهْلَكَةِ من البلاد: المفازة، بمعنى الفوْز بالنَّجاةِ فيها والسَّلامة؛ وكَما قيلَ لِلَّديغِ: السَّليم، تَفاؤُلاً له بالسَّلامةِ من الهلاك، وما أشبَه ذلك.

فَمعنى الكلام إذن: قُلْ يا مُحَمَّد بل نَتَّبع مِلَّة إبراهيم مُسْتَقيمًا. فَيكون (الحنيف) حينَئِذٍ حالاً من (إبراهيم).

وَأمَّا أهل التَّأويل فَإنَّهم اختَلَفوا في تأويل ذلك؛ فَقال بعضهمْ: الحنيف: الحاجّ. وَقالَ: إنَّما سُمِّيَ دين إبراهيم الإسلام الحنيفيَّة؛ لأنَّه أوَّل إمام لَزِمَ العِباد الذينَ كانوا في عَصْره والذينَ جاءوا بعده إلى يوم القيامة - اتِّباعُهُ في مَناسِك الحجّ، والائْتِمامِ به فيه. قالوا: فَكُلّ مَنْ حَجّ البيْت فَنَسَكَ مَناسِك إبراهيم على مِلَّته، فهو حَنيف مُسْلِم على دينِ إبراهيم.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٠٨٨- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: ثنا عبد الرَّحْمَن بن مَهْديّ، قال: ثنا القاسِم بن الفضْل، عن كَثير أبي سَهْل، قال: سَألت الحسن عن الحنيفيّة، قال: حَجُّ البيْت (١).

٢٠٨٩- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عُمارة الأسَديّ، قال: ثنا عبيدُ اللَّه بن موسَى، قال: أخبرَنا فُضَيْل، عن عَطيّة في قوله: ﴿حَنِيفًا﴾ قال: الحنيف: الحاجّ (٢).

٢٠٩٠- **وَحَدَّثَني** الحُسَيْن بن عَليّ الصُّدائيّ، قال: ثنا أبي، عن الفُضَيْل، عن عَطيّة مِثْله (٣).

٢٠٩١- **وَحَدَّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا حَكَّام بن سَلْم، عن عنبَسة، عن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن، عن القاسِم بن أبي بزّة، عن مُجاهِد، قال: الحنَيف: الحاجّ (٤).

٢٠٩٢- **وَحَدَّثَني** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا ابن التَّيْميّ، عن كَثير بن زياد، قال: سَألت الحسن عن الحنيفيّة، قال: هو حَجّ هذا البيْت. قال ابن التَّيْميّ:

---

(١)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل. وكثير بن زياد أبو سهل البرساني الأزدي العتكي البصري ثقة من أكابر أصحاب الحسن.

(٢)[حسن] فضيل بن مرزوق الأغر الرقاشي، صدوق. محمد بن عبادة بن البختري الأسدي كذلك. وعطية العوفي ضعيف، ولكنه قوله.

(٣)[حسن] تقدم قبله، الحسين بن علي بن يزيد بن سليم الصدائي الأكفاني البغدادي ثقة من الأولياء.

(٤)[صحيح] كما سيأتي بعد واحد، وهذا سند ضعيف من أجل محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى صدوق سيء الحفظ جدًا.

وأخْبَرَني جوَيْبِر، عن الضَّحَّاك بن مُزاحِم مِثْله[١].

٢٠٩٣- وحدثنا ابن بَشَّار، قال: ثنا ابن مَهْديّ، قال: ثنا سُفْيان، عن السُّدِّيّ، عن مُجاهِد: ﴿حُنَفَآءَ﴾[الحج: ٣١] قال: حُجَّاجًا[٢].

٢٠٩٤- وحدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا عبد اللَّه بن صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿حَنِيفًا﴾ قال: حاجًّا[٣].

٢٠٩٥- حُدِّثت عن وكيع، عن فُضَيْل بن غَزْوانَ، عن عبد اللَّه بن القاسِم، قال: كان ناسٌ من مُضَر يَحُجّونَ البيْت في الجاهِليّة يُسَمَّوْنَ حُنَفاء، فَأَنْزَلَ اللَّه تعالى ذِكْره: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾[الحج: ٣١][٤].

وقال آخرونَ: الحنيف: المُتَّبِع، كما وصَفْنا قَبْل من قول الذينَ قالوا: إنَّ معناه الاستِقامة.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠٩٦- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: ثنا عبد الرَّحْمَن، قال: ثنا سُفْيان، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿حُنَفَآءَ﴾ قال: مُتَّبِعينَ[٥].

وَقال آخرونَ: إنَّما سُمّيَ دين إبراهيم الحنيفيّة؛ لأنَّه أوَّل إمام سَنّ لِلْعِبادِ الخِتان، فاتَّبَعَه مَنْ بعده عليه. قالوا: فَكُلُّ مَنْ اختَتَنَ على سَبيل اختِتان إبراهيم، وهو على ما كان عليه إبراهيم من الإسلام، فهو حَنيف على مِلَّةِ إبراهيم.

وَقال آخرونَ: قوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾: بل مِلّة إبراهيم مُخْلِصًا. فالحنيف على قولهمْ: المُخْلِص دينه لِلّه وحْده.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٠٩٧- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن الحُسَيْن، قال: ثنا أحمَد بن المُفَضَّل، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[النساء: ١٢٥] يقول: مُخْلِصًا[٦].

وَقال آخرونَ: بل الحنيفيّة الإسلام، فَكُلّ مَنْ ائتَمَّ بإبراهيم في مِلَّته فاستَقامَ عليها فهو حَنيف.

---

(١)[صحيح] تقدم برقم (٢٠٩٠)، وابن التيمي يقول فيه الشيخ شاكر: لم أجد نصًّا يعين من هو؟ ونسبة (التيمي) فيها سَعة. وأنا أرجح أن يكون: معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي؛ فإنه من هذه الطبقة، ويروي عنه عبد الرزاق. ولعل عبد الرزاق ذكره بهذه النسبة لئلا يشتبه باسم معمر، وهو ابن راشد، إذ يُكثر عبد الرزاق الرواية عن معمر. فخشي التصحيف لو قال هنا: معتمر. فخرج منه بقوله: ابن التيمي. اهـ.

(٢)[حسن] من أجل إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، وبقية رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٣)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٤)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٥)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٦)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

قال أبو جَعْفرٍ: والحنيف عندي هو الاستِقامة على دين إبراهيم واتِّباعُهُ على مِلَّته؛ وَذلك أنَّ الحنيفيّة لو كانتْ حَجّ البيْت، لَوَجَبَ أنْ يكون الذينَ كانوا يَحُجّونَه في الجاهِليّة من أهلِ الشّرْك كانوا حُنَفاء، وقد نَفَى اللّه جلّ ثناؤُهُ أنْ يكون ذلك تَحنُّفًا بقولِه: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] وكَذلك القول في الخِتان؛ لأنَّ الحنيفيّة لو كانتْ هي الخِتان لَوَجَبَ أنْ يكون اليهود حُنَفاء، وقد أخْرَجهم اللّهُ من ذلك بقولِه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ فقد صَحَّ إذن أنَّ الحنيفيّة لَيْسَتِ الخِتان وحْده، ولا حَجّ البيْت وحْده، ولَكِنّه هو ما وصَفْنا من الاستِقامة على مِلّة إبراهيم واتباعه عليها والائتِمام به فيها.

فإنْ قال قائِل: أوَما كان مَن كان قبلَ إبراهيمَ عليه السلامُ من الأنبياءِ وأتباعِهم مستقيمين على ما أُمِروا به من طاعةِ الله استقامةَ إبراهيمَ وأتباعِه؟ قيل: بلى.

فإنْ قال قائِل: فكيف أُضيفَ (الحنيفيّة) إلى إبراهيم وأتْباعه على مِلّته خاصّة دون سائِر الأنْبياء قَبْله وأتْباعهم؟

قيلَ: إنَّ كُلّ مَنْ كان قَبْل إبراهيم من الأنْبياء كان حَنيفًا مُتَّبِعًا طاعة اللّه، ولَكِنّ اللّه تعالى ذِكْره لم يجْعَل أحَدًا منهم إمامًا لِمَنْ بعده من عِباده إلى قيام السَّاعة، كالذي فَعَلَ من ذلك بإبراهيم، فَجَعَلَه إمامًا فيما بَيَّنَه من مَناسِك الحجّ والخِتان، وغير ذلك من شَرائع الإسلام - يُقْتَدَى به أبَدًا إلى قيام السَّاعة، وجَعَلَ ما سَنّ من ذلك عَلَمًا مُمَيِّزًا بين مُؤمِني عِباده وكُفّارهم والمُطيع منهم له والعاصي، فَسُمّيَ الحنيف من النَّاس حَنيفًا باتّباعِه مِلّته واستِقامَته على هَدْيه ومنهاجه، وسُمّيَ الضَّال عن مِلّته بسائِر أسماء المِلَل، فَقيلَ: يَهوديٌّ ونَصْرانيٌّ ومَجوسيٌّ، وغير ذلك من صُنوف المِلَل.

وَأمَّا قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فإنه يقول: إنَّه لم يكُنْ مِمَّنْ يَدين بعِبادةِ الأوثان والأصْنام. وَلا كان من اليهود. وَلا من النّصارَى، بل كان حَنيفًا مُسْلِمًا.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤُهُ:

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

يَعْني بذلك جلّ ثناؤُهُ: قولوا أيّها المُؤمِنونَ لِهؤلاء اليهود والنّصارَى الذينَ قالوا لكمْ: كونوا هودًا أو نَصارَى تَهْتَدوا -: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، أيْ صَدَّقْنا.

وَقد دَلّلْنا فيما مَضَى أنَّ معنى الإيمان التّصْديق بما أغْنَى عن إعادَته.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ يقول أيْضًا: صَدَّقْنا بالكِتابِ الذي أنْزَلَ اللّه إلى نَبيّنا مُحَمَّد ﷺ. فأضافَ الخِطاب بالتّنْزيلِ إليهم إذْ كانوا مُتَّبِعيه ومَأمورينَ مَنْهيّينَ به، فَكان - وإنْ كان تَنْزيلاً إلى رَسول اللّه ﷺ - بمعنى التّنْزيل إليهم لِلّذي لهم فيه من المعاني التي وَصَفْتُ.

وَيَعْني بقولِه: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: وصَدَّقْنا أيْضًا وآمَنَّا بما أُنْزِلَ إلى إبراهيم وإلى إسماعيل

وإسحاق ويَعْقوب والأسباط. وهم الأنبياء من ولَد يَعْقوب.

وَقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ يَعْني: وآمَنَّا أيْضًا بالتَّوْراةِ التي آتاها اللَّه موسَى، وبالإنْجيلِ الذي آتاه عيسَى، والكُتُب التي آتى النَّبيِّينَ كُلَّهمْ، وأقْرَرْنا وصَدَّقْنا أنَّ ذلك كُلّه حَقٌّ وهُدًى ونورٌ من عند اللَّه. وَأنَّ جَميع مَنْ ذَكَرَ اللَّه من أنبيائِه كانوا على حَقّ وهُدًى يُصَدِّق بعضهم بعضًا على منهاج واحِد في الدُّعاء إلى تَوْحيد اللَّه والعمَل بطاعَتِه.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ يقول: لا نُؤمِن ببعضِ الأنْبياء ونَكْفُر ببعضٍ، ونَتَبَرَّأ من بعض، ونَتَوَلَّى بعضًا، كما تَبَرَّأتِ اليهود من عيسَى ومُحَمَّد عليهِما السّلام وأقَرَّتْ بغيرِهما من الأنْبياء، وكَما تَبَرَّأتِ النَّصارَى من مُحَمَّد ﷺ وأقَرَّتْ بغيرِه من الأنْبياء؛ بل نَشْهَد لِجَميعِهم أنَّهم كانوا رُسُل اللَّه وأنْبياءَه، بُعِثوا بالحقّ والهُدَى.

وَأمَّا قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ فَإنَّه يَعْني تعالى ذِكْره: ونَحْنُ له خاضِعونَ بالطَّاعةِ، مُذْعِنونَ له بالعُبودةِ. فَذُكِرَ أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال ذلك لِلْيَهودِ، فَكَفَروا بعيسَى وبِمَنْ يُؤمِن به. كَما:

٢٠٩٨- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا يونُس بن بُكَيْر، قال: ثنا مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَنا مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، مولَى زَيْد بن ثابِت قال: حَدَّثَني سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: أتَى رَسول اللَّه ﷺ نَفَرٌ من يهود فيهم أبو ياسِر بن أخْطَبَ ورافِع بن أبي رافِع وعازَر وخالِد وزَيْد وإزار بن أبي إزار وأَشْيَع، فَسَألوه عَمَّنْ يُؤمِن به من الرُّسُل، فَقال: «**أُومِن باللَّه وما أُنْزِلَ إلينا، وما أُنْزِلَ إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط، وما أُوتِيَ موسَى وعيسَى، وما أُوتِيَ النَّبيونَ من رَبِّهِمْ، لا نُفَرِّق بين أحَد منهم ونَحْنُ له مُسْلِمونَ**». فَلَمَّا ذَكَرَ عيسَى جَحَدوا نُبوَّته وقالوا: لا نُؤمِن بعيسَى، ولا نُؤمِن بمَنْ آمَنَ به. فَأنْزَلَ اللَّه فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩] (١).

٢٠٩٩- **وَحَدَّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: ثنا مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عِكْرِمة أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس، قال: أتَى رَسول اللَّه ﷺ. فَذَكَرَ نَحْوه، إلاَّ أنَّه قال: ونافِع بن أبي نافِع، مَكان رافِع بن أبي رافِع (٢).

وَقال قَتادة: أُنْزِلَتْ هذه الآية أمْرًا من اللَّه تعالى ذِكْره لِلْمُؤمِنينَ بتَصْديقِ رُسُله كُلِّهمْ.

٢١٠٠- **حَدَّثَنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: أمَرَ اللَّه المُؤمِنينَ أنْ يُؤمِنوا ويُصَدِّقوا بأنْبيائِه ورُسُله كُلِّهمْ، ولا يُفَرِّقوا بين أحَد منهم (٣).

---

(١)[ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول.

(٢)[ضعيف] تقدم قبله.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

وَأمَّا الأسباط الذينَ ذَكَرهم اللَّه فَهم اثْنا عَشَر رَجُلاً من ولَد يَعْقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ولَد كُلّ رَجُل منهم أُمّة من النَّاس، فَسُمُّوا أسباطًا. كَما:

٢١٠١- حَدَّثنابِشر بن مُعاذ قال: ثنا يَزيد، قال ثنا سَعيد، عن قَتادة قال: الأسباط: يوسُف وإخوَته بَنو يَعْقوب، ولَد اثْنَيْ عَشَر رَجُلاً، فَوَلَد كُلُّ رَجُل منهم أُمّة من النَّاس، فَسُمّوا أسباطًا (١).

٢١٠٢- حَدَّثني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: أمَّا الأسباط فَهم بَنو يَعْقوب: يوسُف، وبنيامين، وروبيل، ويهوذا، وشمعون، ولاوي، ودان، وقهاث (٢).

٢١٠٣- حَدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع، قال: الأسباط: يوسُف وإخوَته بَنو يَعْقوب اثْنا عَشَر رَجُلاً، فَوُلِدَ لِكُلِّ رَجُل منهم أُمّة من النَّاس، فَسُمّوا الأسباط (٣).

٢١٠٤- حَدَّثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قال: حَدَّثَني مُحَمَّد بن إسحاق، قال: نَكَحَ يَعْقوب بن إسحاق - وهو إسرائيل - ابنة خاله ليا ابنة ليان بن تبويل بن إلْياس، فَوَلَدَتْ له روبيل بن يَعْقوب، وكان أكْبَر ولَده، وشمعون بن يَعْقوب، ولاوي بن يَعْقوب، ويهوذا بن يَعْقوب، وربالون بن يَعْقوب، ويشجر بن يَعْقوب، ودينة بنت يَعْقوب، ثُمّ تُوُفِّيَتْ ليا بنت ليان، فَخَلَفَ يَعْقوب على أُخْتها راحيل بنت ليان بن توبيل بن إلْياس، فَوَلَدَتْ له يوسُف بن يَعْقوب وبنيامين بن يَعْقوب، وهو بالعربيّةِ شداد، ووُلِدَ له من سُرِّيَّتَيْنِ له اسم إحداهُما زِلْفة، واسم الأُخْرَى بلهة، أربَعة نفَر: دان بن يَعْقوب، ونفثالى بن يَعْقوب، وجاد بن يَعْقوب، وأشرُ بن يَعْقوب، فَكان بَنو يَعْقوب اثْنَيْ عَشَر رَجُلاً، نَشَرَ اللَّه منه اثْنَيْ عَشَر سِبْطًا لا يُحْصِي عَدَدهم ولا يَعْلَم أنسابهم إلاَّ اللَّه، يقول اللَّه تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠] (٤).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤهُ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: فَإنْ صَدَّقَ اليهود والنّصارَى باللَّه وما أُنْزِلَ إليكُم وما أُنْزِلَ إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط، وما أوتيَ موسَى وعيسَى، وما أوتيَ النّبيّونَ من رَبّهِمْ، وأقَرُّوا بذلك مِثْل ما صَدَّقْتُم أنتم به أيّها المُؤمِنونَ وأقْرَرْتُمْ، فقد وُفِّقوا ورَشَدوا ولَزِموا طَريق الحقّ فاهْتَدَوْا، وهم حينَئِذٍ منكُم وأنتم منهم بدُخولِهم في مِلّتكُم بإقْرارِهم بذلك.

فَدَلَّ تعالى ذِكْره بهذه الآية على أنّه لم يَقْبَل من أحَد عَمَلاً إلاَّ بالإيمانِ بهذه المعاني التي عَدَّها قَبْلها. كَما:

---

(١)[حسن]من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[ضعيف]من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٣)[ضعيف]المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٤)[ضعيف]سلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

٢١٠٥- حدثنا المُثَنّى، قال: ثنا أبو صالِح، قال: حدثني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ ونَحْو هذا. قال: أَخْبَرَ اللّه سُبْحانه أنّ الإيمان هو العُرْوة الوُثْقَى، وأنّه لا يَقْبَل عَمَلاً إلاّ به، ولا يُحَرِّمُ الجنّة إلاّ على مَنْ تَرَكه (١).

وَقد رُوِيَ عن ابن عَبَّاس في ذلك قِراءةٌ جاءتْ مَصاحِف المُسْلِمينَ بخِلافِها، وأجمعتْ قرأة القُرْآن على تَرْكها.

وَذلك ما:

٢١٠٦- حدثنا به مُحَمَّد بن المُثَنّى، قال: ثنا مُحَمَّد بن جَعْفَر، قال: ثنا شُعْبة، عن أبي حمْزة، قال: قال ابن عَبَّاس: لا تَقولوا: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ فإنَّه لَيْسَ لِلّه مِثْل، ولَكِنْ قولوا: (فَإِنْ آمَنوا بالذي آمَنْتُم به)، أو قال: (فَإِنْ آمَنوا بما آمَنْتُم به) (٢).

فَكأن ابن عَبَّاس في هذه الرِّواية - إنْ كانتْ صَحيحة عنه - وَجَّهَ تأويل قِراءة مَنْ قَرَأ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: فَإِنْ آمَنوا بمِثْلِ اللّه، وبمِثْلِ ما أُنْزِلَ على إبراهيم وإسماعيل. وذلك إذا صُرِفَ إلى هذا الوَجْه شِرْك - لا شَكَّ - باللّه العظيم؛ لأنَّه لا مِثْل لِلّه تعالى ذِكْره، فَيُؤْمَنَ أو يُكْفَرَ به. وَلَكِنَّ تأويل ذلك على غير المعنى الذي وُجِّهَ إليه تأويله، وإنَّما معناه ما وصَفْنا، وهو: فَإِنْ صَدَّقوا مِثْل تَصْديقكُم بما صَدَّقْتُم به من جَميع ما عَدَدْنا عليكُم من كُتُب اللّه وأنْبيائِه، فقد اهْتَدَوْا. فالتَّشْبيه إنَّما وقَعَ بين التَّصْديقَيْنِ والإقْرارَيْنِ اللَّذَيْنِ هُما إيمان هؤلاء وإيمان هؤلاء، كَقولِ القائِل: مَرَّ عمرو بأخيك مِثْل ما مَرَرْتُ به. يَعْني بذلك مَرَّ عمرو بأخيك مِثْل مُروري به، فالتَّمْثيل إنَّما دَخَلَ تَمْثيلاً بين المُرورَيْنِ، لا بين عمرو وبين المُتَكَلِّم؛ فَكَذلك قوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ إنَّما وقَعَ التَّمْثيل بين الإيمانَيْنِ لا بين المُؤْمَنِ به.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: وإنْ تَوَلَّى هؤلاء الذينَ قالوا لِمُحَمَّدٍ ﷺ وأصْحابه كونوا هودًا أو نَصارَى. فَأَعْرَضوا، فَلم يُؤْمِنوا بمِثْلِ إيمانكُم أيّها المُؤْمِنونَ باللّه، وبما جاءتْ به الأنْبياء، وابْتُعِثَتْ به الرُّسُل، وفَرّقوا بين رُسُل اللّه، وبين اللّه ورُسُله، فَصَدَّقوا ببعضٍ وكَفَروا ببعضٍ، فاعْلَموا أيّها المُؤْمِنونَ أنّهم إنَّما هم في عِصْيان وفِراق وحَرْب لِلّه ولِرَسوله ولكُمْ. كما:

٢١٠٧- حدثنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: حدَّثنا سعيدٌ، عن قَتادة: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ أيْ في فِراق (٣).

(١)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٢)[صحيح] مداره على شعبة، والأسانيد إليه صحيحة، وأبو جمرة - وليس أبو حمزة - هو نصر بن عمران بن عصام، عن ابن عباس على شرطهما.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

٢١٠٨- وحدثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ يَعْني فِراق [١].

٢١٠٩- وحدثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ قال: الشِّقاق: المنازعة والمُحارَبة، إذا شاقَّ فقد حارَبَ، وإذا حارَبَ فقد شاقّ، وهُما واحِد في كَلام العرب. وقَرَأ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥] [٢].

وأصْل الشِّقاق عندنا والله أعْلَم مَأخوذٌ من قول القائِل: (شَقَّ عليه هذا الأمْر) إذا كَرَثَهُ رآذاه، ثُمّ قيلَ: (شاقّ فُلان فُلانًا) بمعنى: نالَ كُلّ واحِد منهُما من صاحِبه ما كرثه وآذاه وأثْقَلَته مُساءَته، ومنه قول الله تعالى ذِكْره: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥] بمعنى فِراق بينهما.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤهُ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾: فَسَيكْفيك الله يا مُحَمَّد هؤلاء الذينَ قالوا لَك ولأصْحابِك: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ من اليهود والنّصارَى، إنْ هم تَوَلَّوْا عن أنْ يُؤمِنوا مِثْلَ إيمان أصْحابك بالله، وبِما أُنْزِلَ إليك، وما أُنْزِلَ إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وسائِر الأنْبياء غيرهِمْ، وفرَّقوا بين الله ورُسُله، إمَّا بقَتْلٍ بالسّيْف، وإمَّا بجَلاءٍ عن جِوارك، وغير ذلك من العُقوبات، فَإنَّ الله هو السّميع لِما يقولونَ لَك بألسِنَتِهم ويُبْدونَ لَك بأفواهِهم من الجهْلِ والدُّعاء إلى الكُفْر والمِلَل الضّالة، العليم بما يَنْطَوونَ لَك ولأصْحابِك من المُؤمِنينَ عليه في أنْفُسهم من الحسَد والبغْضاء. فَفَعَلَ الله بهم ذلك عاجِلاً وأنْجزَ وعْده، فَكَفَاهم نَبيّه ﷺ بتَسْليطِه إيَّاه عليهم حتّى قَتَلَ بعضهم وأجْلَى بعضًا وأذَلّ بعضًا وأخْزاه بالجِزْيَةِ والصَّغار.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤهُ:
﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بالصِّبْغةِ: صِبْغة الإسلام، وذلك أنَّ النّصارَى إذا أرادَتْ أنْ تُنصِّر أطفالهم جعَلَتْهم في ماء لهم تَزْعُم أنَّ ذلك لها تَقْديس بمَنْزِلةِ الخِتانةِ لأهلِ الإسلام، وأنَّه صِبْغة لهم في النّصْرانيّة، فَقال الله تعالى ذِكْره إذْ قالوا لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ وأصْحابه المُؤمِنينَ به: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾: قُلْ لهم يا مُحَمَّد: أيّها اليهود والنّصارَى، بل اتَّبِعوا مِلّة إبراهيم صِبْغة الله التي هي أحسَن الصّبْغ، فَإنَّها هي الحنيفيّة المُسْلِمة، ودَعوا الشِّرْك بالله والضّلال عن مَحَجّة هُداه. ونَصْب (الصِّبْغة) مَنْ قَرَأها نَصْبًا على الرّدّ على (المِلّة)، وكذلك رَفْع (الصِّبْغة) مَنْ رَفَعَ المِلّة على رَدّها عليها. وقد يجوز رَفْعها على غير هذا الوجه، وذلك على الابْتِداء، بمعنى: هي

(١)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

صِبْغة اللَّه. وَقد يجوز نَصْبها على غير وجه الرّدّ على (المِلّة)، ولَكِنْ على قوله: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ صِبْغةَ اللَّه، بمعنى: آمَنَّا هذا الإيمان، فَيكون الإيمان حينَئِذٍ هو صِبْغةَ اللَّه.

وَبمِثْلِ الذي قُلْنا في تأويل (الصِّبْغة) قال جَماعة من أهل التّأويل.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢١١٠- **حَدّثنا** بشر قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾: إنَّ اليهود تَصْبُغ أبناءَها يَهود، والنّصارَى تَصْبُغ أبناءَها نَصارَى، وإنَّ صِبْغة اللَّه الإسلام، فلا صِبْغة أحسَن من الإسلام ولا أطهر، وهو دين اللَّه الذي بَعَثَ به نوحًا والأنبياء بعده [(١)].

٢١١١- **حَدّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال لي عَطاء: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: صَبغَتِ اليهود أبناءَهم، خالَفوا الفِطْرة [(٢)].

واختَلَف أهل التّأويل في تأويل قوله: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾؛ **فَقال بعضهمْ:** دين اللَّه.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢١١٢- **حَدّثنا** الحسن بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ قال: دينَ اللَّه [(٣)].

٢١١٣- **وحَدّثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن أبي جَعْفَر، عن الرّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ قال: دين اللَّه، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾: ومَنْ أحسَن من اللَّه دينًا؟ [(٤)].

٢١١٤- **وحَدّثنا** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع، مِثْله [(٥)].

٢١١٥- **وحَدّثنا** أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: ثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: ثنا سُفْيان، عن رَجُل، عن مُجاهِد، مِثْله [(٦)].

٢١١٦- **وحَدّثني** المُثَنّى، قال: ثنا أبو نَعيم، قال: ثنا سُفْيان، عن مُجاهِد، مِثْله [(٧)].

(١)[حسن]من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[ضعيف]الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣)[صحيح]أخرجه عبد الرزاق، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤)[صحيح]رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٥)[صحيح]تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٦)[حسن]من أجل الأهوازي، وبقية رجاله ثقات تقدموا.

(٧)[حسن]تقدم قبله، ومتابعة أبي نعيم للزبيري هنا غير صحيحة؛ لأن المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

٢١١٧- **وحدَّثني** المُثَنى، قال: ثنا أبو حُذَيفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله (١).

٢١١٨- **وحدَّثنا** أحمَد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمَد، قال: ثنا فُضَيْل بن مَرْزوق، عن عَطيّة قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ قال: دين اللَّه (٢).

٢١١٩- **وحدَّثنا** موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عمرُو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ يقول: دين اللَّه، ومَنْ أحسَن من اللَّه دينًا؟ (٣).

٢١٢٠- **وحدَّثني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثَني أبي عن أبيه، عن ابن عَبَّاس: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ قال: دين اللَّه (٤).

٢١٢١- **وحدَّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قول اللَّه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ قال: دين اللَّه (٥).

٢١٢٢- **وحدَّثني** ابن البَرْقيّ، قال: ثنا عمرُو بن أبي سَلَمة، قال: سَألت ابن زَيْد عن قول اللَّه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ قال: دينَ اللَّهِ (٦).

وَقال آخَرونَ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: فِطْرةَ اللَّه.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢١٢٣- **حدَّثني** مُحَمَّدُ بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ قال: فِطْرة اللَّه التي فَطَرَ النَّاس عليها (٧).

٢١٢٤- **وحدَّثني** المُثَنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا مُحَمَّد بن حَرْب، قال: ثنا ابن لهيعة، عن جَعْفَر بن رَبيعة، عن مُجاهِد: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: الصِّبْغة: الفِطْرة (٨).

٢١٢٥- **وحدَّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حدثني حَجَّاج عن ابن جُرَيْج، عن مُجاهِد، قال: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: الإسلام، فِطْرة اللَّه التي فَطَرَ النَّاس عليها. قال ابن جُرَيْج: قال

(١)[حسن] تقدم قبله، والمثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٢)[حسن] كل رجاله من أهل الصدق، حديثهم حسن، تقدموا، وعطية العوفي ضعيف، ولكنه قوله.

(٣)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤)[ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٥)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٦)[صحيح] تقدم قبله وهذا سند ضعيف.

(٧)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٨)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف.

لي عبد اللَّه بن كَثير ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ قال: دين اللَّه ومَنْ أحسَن من اللَّه دينًا؟ قال: هي فِطْرة اللَّه (١).

قال أبو جعفرٍ: ومَنْ قال هذا القول، فَوَجَّه الصِّبْغة إلى الفِطْرة، فمعناه: بل نَتَّبع فِطْرة اللَّه ومِلَّته التي خَلَقَ عليها خَلْقه، وذلك الدِّين القيِّم، من قول اللَّه تعالى ذِكْره: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] بمعنى: خالِقِ السَّمواتِ والأرض.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

وقوله تعالى ذِكْره: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ أمر من اللَّه تعالى ذِكْره نبيَّه ﷺ أنْ يقوله لِلْيهودِ والنَّصارَى الذينَ قالوا له ولِمَنْ تَبِعَه من أصْحابه: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ فقال لِنَبيِّه مُحمَّد ﷺ: قُلْ: بل نَتَّبع مِلّة إبراهيم حَنيفًا، صِبْغة اللَّه، ونَحْنُ له عابِدونَ- ويَعْني بالعابدين: الخاضِعينَ لِلَّه المُسْتَكينينَ له - في اتِّباعنا مِلّة إبراهيم ودَيْنونَتنا له بذلك، غير مُسْتَكْبِرينَ عليه في اتِّباع أمْره والإقْرار بِرسالَةِ رُسُله، كما استَكْبَرَتِ اليهود والنَّصارَى، فكَفَروا بمُحَمَّدٍ ﷺ استِكْبارًا وبَغْيًا وحَسَدًا.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ:
﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾: قُلْ يا مُحَمَّدُ لِمَعاشِر اليهود والنَّصارَى الذينَ قالوا لَكَ ولأصْحابِك ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾، وزَعَموا أنَّ دينهم خَيْر من دينكم، وكِتابهم خَيْر من كِتابكُم لأنَّه كان قَبْل كِتابكم، وزَعَموا أنَّهم من أجل ذلك أولَى باللَّه منكم -: أتُحاجّونَنا في اللَّه، وهو رَبّنا ورَبّكم؟ بيَدِه الخيْرات، وإليه الثّواب والعِقاب، والجزاء على الأعْمال، الحسنات منها والسَّيِّئات، فتَزْعُمونَ أنَّكم أولَى باللَّه مِنَّا من أجْل أنَّ نَبيَّكم قَبْل نَبيِّنا، وكِتابكُم قَبْل كِتابنا، ورَبّكم ورَبّنا واحِد، وإنَّما لِكُلِّ فَريق مِنَّا ما عَمِلَ واكْتَسَبَ من صالِح الأعْمال وسَيِّئِها، وعليها يُجازَى فيُثاب أو يُعاقَب لا على الأنْساب وقِدَم الدِّين والكِتاب.

ويَعْني بقولِه: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ قُلْ: أتُخاصِمونَنا وتُجادِلونَنا. كما:

٢١٢٦- **حدَّثني** مُحمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾ قُلْ أتُخاصِمونَنا (٢).

٢١٢٧- **حدَّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾: أتُخاصِمونَنا (٣).

---

(١)[حسن دون قوله: (الإسلام)] تقدم قبله، بدون هذه الزيادة، وهذا سند ضعيف؛ ابن جريج ثقة مدلس، لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف؛ فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

٢١٢٨ - **حدَّثني** مُحمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثني أبي، قال: حَدَّثني عَمِّي، قال: حَدَّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عبَّاس: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾: أتُجادِلونَنا[(١)].

فأمَّا قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ فإنَّه يَعْني: ونَحْنُ لِلَّه مُخْلِصو العِبادة والطَّاعة لا نُشْرِك به شَيْئًا، ولا نَعْبُد غيره أحَدًا، كما عَبَدَ أهل الأوثان معه الأوثان، وأصْحاب العِجْل معه العِجْلَ. وَهذا من اللَّه تعالى ذِكْره تَوْبيخ لِلْيَهودِ واحتِجاج لأهلِ الإيمان، بقولِه تعالى ذِكْره لِلْمُؤمِنينَ من أصْحاب مُحَمَّد ﷺ: قولوا - أيُّها المُؤمِنونَ لِلْيَهودِ والنَّصارَى الذينَ قالوا لكمْ: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ -: أتُجادلوننا في اللهِ.

وإنما يَعْني بقولِه: ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ في دين اللَّه الذي أَمَرَنَا أنْ نَدينه به، ورَبّنا ورَبّكُم واحِد عَدْل لا يجور، وإنَّما يُجازي العِباد على ما اكْتَسَبوا. فَتَزْعُمونَ أنَّكُم أولَى باللَّه مِنَّا لِقِدَم دينكُم وكِتابكُم ونَبيّكم، ونَحْنُ مُخْلِصونَ له العِبادة لم نُشْرِك به شَيْئًا، وقد أشرَكْتُم في عِبادَتكُم إيَّاه، فَعَبَدَ بعضكُم العِجْل وبعضكُم المسيح. فأنَّى تكونوا خَيْرًا مِنَّا، وأولَى باللَّه مِنَّا؟

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾

قال أبو جَعفَرٍ: وفي قِراءة ذلك وجهانِ:

أحَدهما: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ بالتَّاءِ، فَمَنْ قَرَأه كذلك فَتأويله: قُلْ يا مُحَمَّد - لِلْقائِلينَ لَك من اليهود والنَّصارَى ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ -: أتُجادِلونَنا في اللَّه؟ أم تَقولونَ إنَّ إبراهيم؟ فَيكون ذلك معطوفًا على قوله: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾.

والوجه الآخر منهما: (أم يقولون) بالياءِ. وَمَنْ قَرَأ ذلك كذلك وجَّه قوله: (أم يقولون) إلى أنَّه استِفْهام مُسْتأنَف، كقولِه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ﴾ [يونس: ٣٨] وكَما يُقال: إنَّها لَإبل أم شاه؟ وَإنَّما جَعَلَه استِفْهامًا مُسْتأنَفًا لِمَجيءِ خَبَر مُسْتأنَف، كما يُقال: أتَقومُ أم يقوم أخوك؟ فَيَصير قوله: (أم يقوم أخوك) خَبَرًا مُسْتأنَفًا لِجُمْلةٍ لَيست من الأوَّل واستِفْهامًا مُبْتَدَأ. وَلو كان نَسَقًا على الاستِفْهام الأوَّل لَكان خَبَرًا عن الأوَّل، فَقيلَ: أتَقومُ أم تَقْعُد؟

وَقد زَعَمَ بعض أهل العربيّة أنَّ ذلك إذا قُرِئَ كذلك بالياءِ، فَإنْ كان الذي بعد (أم) جُمْلة تامَّة فهو عَطْف على الاستِفْهام الأوَّل؛ لأنَّ معنى الكلام: قيلَ أيُّ هَذَيْنِ الأمْرَيْنِ كائِن، هذا أم هذا؟

والصَّواب من القِراءة عندنا في ذلك: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ بالتَّاءِ دون الياء عَطْفًا على قوله: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ بمعنى: أيَّ هَذَيْنِ الأمْرَيْنِ تَفْعَلونَ؟ أتُجادِلونَنا في دين اللَّه؟ فَتَزْعُمونَ أنَّكُم أولَى مِنَّا، وأهدَى مِنَّا سَبيلاً، وأمْرنا وأمْركُم ما وصَفْنا على ما قد بَيَّنَّاه آنِفًا، أم تَزْعُمونَ أنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب ومَنْ سَمَّى اللَّه كانوا هودًا أو نَصارَى على مِلَّتكم، فَيَضِحُ لِلنَّاسِ بَهْتكُم وكذِبكم؛ لأنَّ اليهوديّة والنَّصْرانيّة حَدَثَتْ بعد هؤلاء الذينَ سَمَّاهم اللَّه من أنبيائِه، وغير

(١) [ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

جائزة قِراءة ذلك بالياءِ لِشُذوذِها عن قِراءة القَرَأة.

وَهذه الآية أيْضًا احتِجاج من اللّه تعالى ذِكْره لِنَبيِّه ﷺ على اليهود والنّصارَى الذينَ ذَكَرَ اللّه قَصَصَهُمْ. يقول اللّه لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ: قُلْ يا مُحَمَّد لِهؤلاء اليهود والنّصارَى: أتُحاجّونَنا في اللّه، وتَزْعُمونَ أنَّ دينكُم أفضَل من ديننا، وأنَّكُم على هُدًى ونَحْنُ على ضَلالة ببُرْهانٍ من اللّه تعالى ذِكْره فَتَدْعونَنا إلى دينكُم؟ فهاتوا بُرْهانكُم على ذلك فَنَتَّبِعكُم عليه. أم تَقولونَ إنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط كانوا هودًا أو نَصارَى على دينكُم؟ فَهاتوا على دَعْواكُم ما ادَّعَيْتُم من ذلك بُرْهانًا فَنُصَدِّقكُم! فَإنَّ اللّه قد جَعَلَهم أئِمّة يُقْتَدَى بهم. ثُمّ قال تعالى ذِكْره لِنَبيِّه ﷺ: قُلْ لهم يا مُحَمَّد إنِ ادَّعَوْا أنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط كانوا هودًا أو نَصارَى: أأنتم أعْلَم بهم وبِما كانوا عليه من الأذيان أم اللّه؟

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾

يَعْني جَلّ ثناؤه بذلك: فَإنْ زَعَمَتْ يا مُحَمَّد اليهودُ والنّصارَى الذينَ قالوا لَك ولأصْحابِك ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، أنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط كانوا هودًا أو نَصارَى، فَمَنْ أظْلَم منهم؟! يقول: وأيّ امْرِئٍ أظْلَم منهم وقد كَتَموا شَهادة عندهم من اللّه بأنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط كانوا مُسْلِمينَ. فَكَتَموا ذلك ونَحلوهم اليهوديّة والنّصْرانيّة.

واختَلَفَ أهل التأويل في تأويل ذلك:

٢١٢٩- **فَحَدَّثني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قال: في قول يَهود لإبراهيم وإسماعيل ومَنْ ذُكِرَ معهُما: إنَّهم كانوا يَهودَ أو نَصارَى. فَيقول اللّه: لا تَكْتُموا مِنّي شَهادة إنْ كانتْ عندكُم فيهم. وَقد عَلِمَ أنَّهم كاذِبونَ (١).

٢١٣٠- **وحَدّثني** المُثَنّى قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: في قول اليهود لإبراهيم وإسماعيل ومَنْ ذُكِرَ معهُما: إنَّهم كانوا يَهودَ أو نَصارَى. فَقال اللّه لهم: لا تَكْتُموا مِنّي الشّهادة فيهم إنْ كانتْ عندكُم فيهم. وَقد عَلِمَ اللّه أنَّهم كانوا كاذِبينَ (٢).

٢١٣١- **وحَدّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني إسحاق، عن أبي الأشهَب، عن الحسن أنَّه تَلا هذه الآية: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ

---

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ قال الحسن: واللَّه لَقد كان عند القوْم من اللَّه شَهادة أنَّ أنبياءَه بُرَآءُ من اليهوديّة والنّصْرانيّة، كما أنَّ عند القوْم من اللَّه شَهادة أنَّ دِماءَكُم وأموالكُم حَرام بينكُم، فَبِمَ استَحَلّوها؟ (١)

٢١٣٢- **وحُدِّثتُ** عن عَمَّار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾: أهل الكِتاب، كَتَموا الإسلام وهم يَعْلَمونَ أنّه دين اللَّه، وهم يجِدونَه مَكْتوبًا عندهم في التّوْراة والإنْجيل: أنَّهم لم يكونوا يَهودَ ولا نَصارَى، وكانتِ اليهوديّة والنّصْرانيّة بعد هؤلاء بزَمانٍ (٢).

وَأنّه عَنَى تعالى ذِكْره بذلك أنَّ اليهود والنّصارَى إنْ ادَّعَوْا أنَّ إبراهيم ومَنْ سُمّيَ معه في هذه الآية كانوا هودًا أو نَصارَى، تَبَيَّن لأهلِ الشِّرْك الذينَ هم نُصَراؤُهم كذِبهم وادِّعاؤُهم على أنْبياء اللَّه الباطِل؛ لأنَّ اليهوديّة والنّصْرانيّة حَدَثَتْ بعدهمْ، وإنْ هم نَفَوْا عنهم اليهوديّة والنّصْرانيّة، قيلَ لهم: فَهَلُمّوا إلى ما كانوا عليه من الدّين، فَإنّا وأنتم مُقِرّونَ جَميعًا بأنَّهم كانوا على حَقٍّ، ونَحْنُ مُخْتَلِفونَ فيما خالَفَ الدّين الذي كانوا عليه.

وقال آخرونَ: بل عَنَى تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ اليهودَ في كِتْمانهم أمْر مُحَمَّد ﷺ ونُبوَّته، وهم يَعْلَمونَ ذلك ويجِدونَه في كُتُبهِمْ.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

٢١٣٣- **حَدَّثَنا** بِشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ﴾: أولَـٰئِكَ أهل الكِتاب، كَتَموا الإسلام وهم يَعْلَمونَ أنّه دين اللَّه، واتَّخذوا اليهوديّة والنّصْرانيّة، وكَتَموا مُحَمَّدًا ﷺ وهم يَعْلَمونَ أنّه رَسول اللَّه ﷺ، يجِدونَه مَكْتوبًا عندهم في التّوْراة والإنْجيل (٣).

٢١٣٤- **وحَدَّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ قال: الشّهادةُ، النّبيُّ ﷺ مَكْتوب عندهمْ، وهو الذي كَتَموا (٤).

٢١٣٥- **وحَدَّثَني** المُثَنّى، قال: حدثني إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن

---

(١)[حسن] جعفر بن حيان السعدي أبو الأشهب العطاردي البصري الخراز الأعمى - ثقة. حديثه عن الحسن على شرطهما. وإسحاق بن عيسى بن الطباع البغدادي، صدوق. والحسين المصيصي صدوق في غير شيخه الحجاج. والقاسم بن الحسن بن يزيد الصائغ وثقه الخطيب في التاريخ، وقد تقدم.

(٢)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

الرّبيع، نَحو حَديث بشر بن مُعاذ عن يَزيد بنِ زريع [١].

٢١٣٦- **حدّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قال: هم يَهود يُسْألونَ عن النّبيّ ﷺ وعن صِفَته في كِتاب اللّه عندهمْ، فَيكْتُمونَ الصِّفة [٢].

وَإنّما اختَرْنا القول الذي قُلْناه في تأويل ذلك؛ لأنّ قوله تعالى ذِكْره: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ في إثْر قِصّة مَنْ سَمّى اللّه من أنْبيائِه، وأمام قَصِّه لهم. فَأَولَى بالذي هو بين ذلك أنْ يكون من قَصَصهم دون غيره.

فَإنْ قال قائِل: وأيّة شَهادة عند اليهود والنّصارَى من اللّه في أمْر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط؟

قيلَ: الشّهادة التي عندهم من اللّه في أمْرهمْ، مَا أنْزلَ اللّه إليهم في التّوْراة والإنْجيل، وأمْرَهم فيهما بالاستِنانِ بسُنّتِهم واتّباع مِلّتهمْ، وأنّهم كانوا حُنَفاء مُسْلِمينَ. فتلك هيَ الشّهادة التي عندهم من اللّه التي كَتَموها حين دَعاهم نَبيّ اللّه ﷺ إلى الإسلام، فَقالوا له: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] وقالوا له ولأصْحابه: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾. فَأنْزلَ اللّه فيهم هذه الآيات في تَكْذيبهم وكِتْمانهم الحقّ، وافتِرائِهم على أنْبياء اللّه الباطِل والزّور.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤهُ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بذلك: وقُلْ لِهؤلاء اليهود والنّصارَى الذينَ يُحاجّونَك يا مُحَمّد: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من كِتْمانكُم الحقّ فيما ألْزَمَكُم في كِتابه بَيانه لِلنّاسِ، من أمْر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط وأمْر الإسلام، وأنّهم كانوا مُسْلِمينَ، وأنّ الحنيفيّة المُسْلِمة دين اللّه الذي على جَميع الخلْق الدَّيْنونة به دون اليهوديّة والنّصْرانيّة وغيرهما من المِلَل. وَلا هو ساهٍ عن عِقابكُم على فِعْلكُم ذلك، بل هو مُحْصٍ عليكُم حتّى يُجازيكُم به من الجزاء ما أنتم له أهل في عاجِل الدُّنيا وآجِل الآخِرة. فَجازاهم جلّ ذكره عاجِلاً في الدُّنيا بقَتْلِ بعضهم وتشريدِ بعضِهم وإجلائِه عن وطَنه وداره، وهو مُجازيهم في الآخِرة العذابَ المُهين.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط. كما:

٢١٣٧- **حدّثنا** بشْر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: حدثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ

---

(١)[ضعيف]المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[صحيح]سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

قَدْ خَلَتْ﴾ يَعْني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط[1].

٢١٣٨ - حدَّثني المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد اللَّه بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع بن أنس بمِثْلِه[2].

وَقد بَيَّنَّا فيما مَضَى أنَّ الأُمَّة: الجماعة.

فمعنى الآية إذن: قُلْ يا مُحَمَّد - لِهؤلاء الذينَ يُجادِلونَك في اللَّه من اليهود والنَّصارَى إنْ كَتَموا ما عندهم من الشَّهادة في أمْر إبراهيم ومَنْ سَمَّيْنا معه، وأنَّهم كانوا مُسْلِمينَ، وزَعَموا أنَّهم كانوا هودًا أو نَصارَى فَكَذَبوا -: إنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط أُمَّة قد خَلَتْ؛ أيْ مَضَتْ لِسَبيلِها، فَصارَتْ إلى رَبِّها، وخَلَتْ بأعْمالِها، وإنما لها عند اللَّه ما كانت كَسَبَتْ من خَيْر في أيَّام حَياتها، وعليها ما اكْتَسَبَتْ من شَرّ، لا يَنْفَعها غير صالِح أعْمالها ولا يَضُرّها غير سَيِّئها. فاعْلَموا أيّها اليهود والنَّصارَى ذلك، فإنَّكم إنْ كان هؤلاء - وهم الذينَ بهم تَفْتَخِرونَ وتَزْعُمونَ أنَّ بهم تَرْجونَ النَّجاة من عَذاب رَبِّكم مع سَيِّئاتكم، وعَظيم خَطيئاتكم - لا يَنْفَعهم عند اللَّه غير ما قَدَّموا من صالِح الأعْمال، ولا يَضُرّهم غير سَيِّئها؛ فَأنتم كذلك أحرَى ألاَّ يَنْفَعكُم عند اللَّه غير ما قَدَّمْتُم من صالِح الأعْمال، ولا يَضُرّكُم غير سَيِّئها. فاحذَروا على أنْفُسكُم وبادِروا خُروجها بالتَّوْبةِ والإنابة إلى اللَّه مِمَّا أنتم عليه من الكُفْر والضَّلالة والفِرْية على اللَّه وعلى أنْبيائِه ورُسُله، ودَعوا الاتِّكال على فَضائِل الآباء والأجْداد، فَإنَّما لكم ما كَسَبْتُمْ، وعليكُم ما اكْتَسَبْتُمْ، ولا تُسْألونَ عَمَّا كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويَعْقوب والأسباط يَعْمَلونَ من الأعْمال؛ لأنَّ كُلَّ نَفْس قَدِمَتْ على اللَّه يوم القيامة، فَإنَّما تُسْأل عَمَّا كَسَبَتْ وأسلَفَتْ دون ما أسلَفَ غيرُها.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾

يَعْني بقولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: سَيقولُ الجُهَّال من النَّاس، وهم اليهود وأهل النِّفاقِ. وَإنَّما سَمَّاهم اللَّه عَزَّ وجَلَّ سُفَهاء لأنَّهم سَفِهوا الحقّ، فَتَجاهَلَتْ أحبار اليهود، وتَعاظَمَتْ جُهَّالهم وأهل الغباء منهم عن اتِّباع مُحَمَّد ﷺ، إذْ كان من العرب ولم يكُنْ من بَني إسرائيل، وتَحَيَّرَ المُنافِقونَ فَتَبَلَّدوا.

وَبِما قُلْنا في السُّفَهاء أنَّهم هم اليهود وأهل النِّفاق، قال أهل التَّأويل.

ذِكر مَنْ قال: هم اليهود:

٢١٣٩ - حدَّثني مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ قال: اليهود

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

تَقوله حين تَرَكَ بَيْت المقْدِس(١).

٢١٤٠- **وحَدَّثني** المُثَنَّى، قال: حدثنا أبو حُذَيْفة، قال: حدثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله(٢).

٢١٤١- **وحَدَّثنا** أبو كُرَيْب قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البَرَاء: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال: اليهود(٣).

٢١٤٢- **وحُدِّثت** عن أحمَد بن يونُس، عن زُهَيْر، عن أبي إسحاقَ، عن البراء: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال: اليهود(٤).

٢١٤٣- **وحَدَّثني** المُثَنَّى، قال: حدثنا الحِمَّاني، قال: حدثنا شَريك، عن أبي إسحاق، عن البراء في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال: أهل الكِتاب(٥).

٢١٤٤- **وحَدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس قال: اليهود(٦).

وَقال آخَرونَ: السُّفَهاءُ: المُنافِقونَ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢١٤٥- **حَدَّثَنا** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ قال: نَزَلَتْ ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ في المُنافِقينَ(٧).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾: أيُّ شَيْء صَرَفَهم عن قبلتهم؟ وهو من قول القائِل: ولَّاني فُلان دُبُره: إذا حَوَّلَ وجهه عنه واستَدْبَرَه فَكَذلك قوله: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ أيُّ شَيْء حَوَّلَ وُجوهَهمْ؟

وَأمَّا قوله: ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ فَإنَّ قِبْلة كُلِّ شَيْء: ما قابَلَ وجهه، وإنَّما هي (فِعْلة) بِمَنْزِلةِ الجِلْسة والقِعْدة وصِفوةِ الشيءِ، من قول القائِل: قابلت فُلانًا: إذا صِرْت قُبالَته أُقابِله، فهو لي قِبْلةٌ، وأنا

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٣)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل. وأبو إسحاق السبيعي مدلس ولم يصرح، ولكنه مكثر عن البراء.

(٤)[صحيح] تقدم قبله، وهذا رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٥)[ضعيف] شريك ضعيف سيء الحفظ. والحماني يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون بن عبد الرحمن الحماني - ضعيف يعتبر به. والمثنى مجهول الحال.

(٦)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه.

(٧)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

له قِبْلة، إذا قابَلَ كُلّ واحِد منهُما بوَجْهِه وجه صاحِبه.

فتأويل الكلام إذَنْ - إذْ كان ذلك معناه - سَيقولُ السُّفَهاء من النَّاس لكم أيّها المُؤمِنونَ باللّه وبرُسلِه، إذا حَوَّلْتُم وُجوهكُم عن قِبْلة اليهود التي كانتْ لكم قِبْلة قَبْل أمْري إيَّاكُم بتَحْويلِ وُجوهكُم عنها شَطْر المسجِد الحرام: أيُّ شَيْء حَوَّلَ وُجوه هؤلاء، فَصَرَفَها عن الموضِع الذي كانوا يَسْتَقْبِلونَه بوُجوهِهِم في صَلاتهم؟

فَأعْلَم اللّه جَلّ ثَناؤه نَبيّه ﷺ ما اليهود والمُنافِقونَ قائِلونَ من القول عند تَحْويل اللهِ قِبْلَته وقِبْلة أصْحابه عن الشَّام إلى المسجِد الحرام، وعَلَّمَه ما يَنْبَغي أنْ يكون من رَدّه عليهم من الجواب، فَقال له: إذا قالوا ذلك لَك يا مُحَمَّد، فَقُلْ لهم: ﴿لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وَكان سَبَب ذلك أنَّ النّبيّ ﷺ صَلّى نَحو بَيْت المقْدِس مُدّة سَنَذْكُرُ مَبْلَغها فيما بعد إنْ شاءَ اللّه تعالى ثُمّ أرادَ اللّه تعالى صَرْف قِبْلة نَبيّه ﷺ إلى المسجِد الحرام، فَأخْبَرَه عَمَّا اليهود قائِلوه من القول عند صَرْفه وجهَهُ ووَجوه أصْحابه شَطْره، وما الذي يَنْبَغي أنْ يكون من مرَدِّهِ عليهم من الجواب.

ذِكْرَ المُدَّةِ التي صَلّى رَسول اللّه ﷺ وأصحابه نَحو بَيت المقْدِس وما كان سَبَب صَلاته نَحوه؛ وما الذي دَعا اليهود والمُنافِقينَ إلى قِيل ما قالوا عند تَحويل اللّه قِبلة المُؤمِنينَ عن بَيت المقْدِس إلى الكعبة:

اختَلَفَ أهل العِلْم في المُدّة التي صَلّى رَسول اللّه ﷺ نَحو بَيْت المقْدِس بعد الهِجْرة.

فَقال بعضهم بما:

٢١٤٦- **حدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا يونُس بن بُكَيْر، وحَدَّثَنا ابن حُمَيْد، قال: حدثنا سَلَمة، قالا جَميعًا: حدثنا مُحَمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحَمَّدُ بن أبي مُحَمَّد مولى زيد بن ثابت، قال: حدَّثني سَعيد بن جُبَيْر أو عِكْرِمة - شَكَّ مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد - عن ابن عَبَّاس قال: لَمَّا صُرِفَتِ القِبْلة عن الشَّام إلى الكعْبة - وصُرِفَتْ في رَجَب على رَأس سَبْعة عَشَر شَهْرًا من مَقْدِم رَسول اللّه ﷺ المدينة - أتَى رَسولَ اللّه ﷺ رِفاعةُ بن قَيْس، وقَرْدَمُ بن عمرو، وكَعْب بن الأشْرَف، ونافِع بن أبي نافِع - هَكَذا قال ابن حُمَيْد، وقال أبو كُرَيْب: ورافِع بن أبي رافِع - والحجَّاج بن عمرو، حَليف كَعْب بن الأشْرَف والرّبيع بن الرّبيع بن أبي الحُقَيْق وكِنانَةُ بن الرّبيع بن أبي الحقيق، فَقالوا: يا مُحَمَّد ما ولأكَ عن قِبْلَتك التي كُنْت عليها وأنت تَزْعُم أنَّك على مِلّة إبراهيم ودينه؟ ارْجِعْ إلى قِبْلَتك التي كُنت عليها نَتَّبِعْك ونُصَدِّقْك! وإنَّما يُريدونَ فِتْنَته عن دينه، فَأنْزَلَ اللّه فيهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[البقرة: ١٤٣][(١)].

---

(١)[ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.

٢١٤٧- **حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو بَكر بن عَيَّاش، قال: قال البراء: صَلَّى رَسول اللّه ﷺ نَحو بَيْت المقْدِس سَبْعة عَشَر شَهْرًا، قال: وكان يَشْتَهي أنْ يُصْرَف إلى الكعْبة. قال: فَبينا نَحْنُ نُصَلِّي ذات يوم، فَمَرَّ بنا مارٌّ، فَقال: ألا هَلْ عَلِمْتُم أنَّ النَّبيّ ﷺ قد صُرِفَ إلى الكعْبة؟ قال: وقد صَلَّينا رَكْعَتَيْنِ إلى هاهُنا، وصَلَّينا رَكْعَتَيْنِ إلى هاهُنا. قال أبو كُرَيب: فَقيلَ له: فيه أبو إسحاق؟ فَسَكَتَ (١).

٢١٤٨- **وحدثنا** ابن وكيع، قال: ثنا يَحْيَى بن آدَم، عن أبي بَكْر بن عَيَّاش، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: صَلَّيْنا بعد قُدوم النَّبيّ ﷺ المدينة ستةَ عَشَر شَهْرًا إلى بَيْت المقْدِس (٢).

٢١٤٩- **وحدثنا** مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: ثنا يَحْيَى، عن سُفْيان، قال: ثنا أبو إسحاق، عن البراء بن عازِب قال: صَلَّيْت مع النَّبيّ ﷺ نَحو بَيْت المقْدِس سِتَّة عَشَر شَهْرًا أو سَبْعة عَشَر شَهْرًا - شَكَّ سُفْيان - ثُمّ صُرِفْنا إلى الكعْبة (٣).

٢١٥٠- **وحدثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا النُّفَيْليّ، قال: ثنا زُهَيْر، قال: ثنا أبو إسحاق، عن البراء أنَّ رَسول اللّه ﷺ كان أوَّل ما قَدِمَ المدينة نَزَلَ على أجْداده أو أخْواله من الأنْصار، وأنَّه صَلَّى قِبَلَ بَيْت المقْدِس سِتّة عَشَر أو سبعةَ عشرَ شَهْرًا، وكان يُعْجِبه أنْ تَكون قِبْلَتُهُ قِبَل البيْت، وأنَّه صَلَّى صَلاة العصْر ومعه قَوْم. فَخَرَجَ رَجُل مِمَّنْ صَلَّى معه، فَمَرَّ على أهل المسجِد وهم رُكوع، فَقال: أشهَد لَقد صَلَّيْت مع رَسول اللّه قِبَل مَكّة. فَداروا كما هم قِبَل البيْت، وكان يُعْجِبه أنْ يُحَوَّل قِبَل البيْت. وَكان اليهود قد أعْجَبَهم هذا؛ أنْ كان رَسول اللّه يُصَلِّي قِبَل بَيْت المقْدِس وأهل الكِتاب، فَلَمَّا ولَّى وجهه قِبَل البيْت أنْكَروا ذلك (٤).

٢١٥١- **وحدثنا** عِمْران بن موسَى، قال: ثنا عبد الوارِث، قال: ثنا يَحْيَى بن سَعيد، عن ابن المُسَيَّب، قال: صَلَّى رَسول اللّه ﷺ نَحو بَيْت المقْدِس بعد أنْ قَدِمَ المدينة سِتّة عَشَر شَهْرًا، ثُمّ وُجِّهَ نَحو الكعْبة قَبْل بَدْر بشَهْرَيْنِ (٥).

وَقال آخرون بما:

٢١٥٢- **حدثنا** عمرو بن عَليّ، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عُثْمان بن سَعْد الكاتِب، قال: حدثنا أنَس بن مالِك قال: صُرِفَ نَبيُّ اللَّهِ ﷺ نَحو بَيْت المقْدِس تِسْعة أشهُر أو عَشرة أشهُر. فَبينَما هو قائِم يُصَلّي الظُّهر بالمدينةِ وقد صَلَّى رَكْعَتَيْنِ نَحو بَيْت المقْدِس، انصَرَفَ بوَجْهِه إلى الكعْبة، فَقال السُّفَهاء: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ (٦).

---

(١)[صحيح] أخرجه البخاري في مواطن كثيرة منها [٤٤]، ومسلم [٥٢٥] وغيرهما.

(٢)[صحيح] تقدم قبله. (٣)[صحيح] تقدم قبله.

(٤) [صحيح] تقدم قبله. (٥)[ضعيف] ابن المسيب عن النبي ﷺ مرسل.

(٦)[ضعيف] عثمان بن سعد التميمي ضعيف الحديث.

وَقال آخرونَ بما:

٢١٥٣- حدّثنا مُحَمَّد بن المُثَنّى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا المسعوديّ، عن عمرو بن مُرّة، عن ابن أبي لَيْلَى، عن مُعاذ بن جَبَل: أنَّ رَسول اللّه ﷺ قَدِمَ المدينة، فَصَلّى نَحْو بَيْت المقْدِس ثلاثة عَشَر شَهْرًا (١).

٢١٥٤- وحدّثني أحمَد بن المِقْدام، قال: ثنا المُعْتَمِر بن سُلَيْمان، قال: سَمِعْت أبي، قال: ثنا قَتادة، عن سَعيد بن المُسَيَّب أنَّ الأنصار صَلَّتِ القِبْلة الأولَى قَبْل قُدوم النّبيّ ﷺ بثَلاثِ حِجَج، وأنَّ النّبيّ ﷺ صَلّى القِبْلة الأولَى بعد قُدومه المدينة سِتّة عَشَر شَهْرًا أو كما قال، وكِلا الحديثَيْنِ يُحَدِّث قَتادة عن سَعيد بن المسيب (٢).

ذَكَرَ السّبَب الذي كان من أجله ﷺ يُصَلّي نَحو بَيت المقْدِس، قَبل أن يُفرَض عليه التّوَجُّه شَطْر الكعبة:

اختَلَفَ أهل العِلْم في ذلك؛ فَقال بعضهمْ: كان ذلك باختيارِ من النّبيّ ﷺ، من غير أن يكون اللهُ فرض ذلك عليه.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢١٥٥- حدّثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا يَحْيَى بن واضِح أبو تميلة، قال: ثنا الحُسَيْن بن واقِد، عن عِكْرِمة، وعن يَزيد النّحْويّ، عن عِكْرِمة، والحسن البصْريّ قالا: أوّل ما نُسِخَ من القُرْآن القِبْلة، وذلك أنَّ النّبيّ ﷺ كان يَسْتَقْبِل صَخْرة بَيْت المقْدِس وهيَ قِبْلة اليهود، فاستَقْبَلَها النّبيّ ﷺ سَبْعة عَشَر شَهْرًا، ليُؤمِنوا به ويَتّبِعوه، ويَدْعوا بذلك الأُمّيّينَ من العرب، فَقال اللّه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

٢١٥٦- وحدّثني المُثَنّى بن إبراهيم، قال: حدَّثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ يَعْنونَ بَيْت المقْدِس (٣).

قال الرّبيع: قال أبو العالية: إنَّ نَبيّ اللّه ﷺ خُيِّرَ بين أنْ يوَجِّه وجهه حَيْثُ شاءَ، فاختارَ بَيْت المقدس لِكَيْ يَتألَّف أهلَ الكِتاب، فَكانتْ قِبْلةً سِتّة عَشَر شَهْرًا، وهو في ذلك يُقَلِّب وجهه في السّماء ثُمّ وجَّهَه اللّه إلى البيْت الحرام.

وَقال آخَرونَ: بل كان فِعْل ذلك من النّبيّ ﷺ، وأصْحابه بفَرْضِ اللّه عليهم.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢١٥٧- حدّثني المُثَنّى، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالِح، قال: حدثنا مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبّاس قال: لَمّا هاجَر رَسول اللّه ﷺ إلى المدينة، وكان أكْثَر أهلها اليهود، أمَرَه اللّه أنْ يَسْتَقْبِلَ بَيْت المقْدِس، فَفَرِحَتِ اليهود فاستَقْبَلَها رَسول اللّه ﷺ بضْعة

(١)[ضعيف] مداره على المسعودي، عن عبد الرحمن، وعبد الرحمن، عن معاذ مرسل، والطيالسي سمع من المسعودي بعد الاختلاط، وكذلك يزيد بن هارون.

(٢)[ضعيف] قتادة يدلس عن ابن المسيب. (٣)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

عَشَر شَهْرًا، فَكان رَسول اللَّه ﷺ يُحِبُّ قِبْلة إبراهيم عليه السّلام، وكان يَدْعو ويَنْظُر إلى السّماء، فَأَنْزَلَ اللَّه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية، فارْتابَ من ذلك اليهود، وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾؟ فأنْزَلَ اللّه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾[١].

٢١٥٨- حَدّثَنا القاسِم، قال: حدثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: صَلّى رَسول اللَّه ﷺ أوّل ما صَلّى إلى الكعْبة، ثُمّ صُرِفَ إلى بَيْت المقْدِس، فَصَلَّتِ الأنْصار نَحْو بَيْت المقْدِس قَبْل قُدومه عليه السلام ثَلاث حِجَج وصَلّى بعد قُدومه سِتّة عَشَر شَهْرًا، ثُمّ ولاّه الله إلى الكعْبة[٢].

ذِكرَ السَّبَب الذي من أجله قال مَن قال: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾:

اختَلَفَ أهل التّأويل في ذلك، فَروِيَ عن ابن عَبَّاس فيه قولانِ:

أحَدهما ما:

٢١٥٩- حَدّثنا به ابن حُمَيْد، قال: حدثنا سَلَمة، قال: حدثنا ابن إسحاق، قال: حَدَّثني مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد، عن عِكْرِمة، أو عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس قال: قال ذلك قَوْم من اليهود لِلنّبيِّ ﷺ، فَقالوا له: ارْجِعْ إلى قِبْلَتك التي كُنْت عليها نَتَّبِعك ونُصَدِّقك؛ يُريدونَ فِتْنَته عن دينه[٣].

والقول الآخَر: ما ذَكَرْت من حَديث عَليّ بن أبي طَلْحة عنه الذي مَضَى قَبْل.

٢١٦٠- حَدّثَنا بِشْر بن مُعاذ، قال: حدثنا يَزيد بن زُرَيع، عن سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾ قال: صَلَّتِ الأنْصار نَحْو بَيْت المقْدِس حَوْلَيْنِ قَبْل قُدوم نبيِّ الله ﷺ المدينة وصَلّى نَبيّ اللّه ﷺ بعد قُدومه المدينة مُهاجِرًا نَحْو بَيْت المقْدِس سِتّة عَشَر شَهْرًا ثُمّ وجَّهَه اللّه بعد ذلك إلى الكعْبة البيْت الحرام. فَقال في ذلك قائِلونَ من النّاس: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾؟ لَقد اشْتاقَ الرّجُل إلى مولِده. فَقال اللّه عَزَّ وجَلّ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤].

وقالَ آخَرون: بل قائِلو هذه المقالة المُنافِقونَ، وإنّما قالوا ذلك استِهْزاء بالإسلامِ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢١٦١- حَدّثَني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: لَمَّا وُجِّهَ

(١)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.
(٢)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.
(٣)[ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول. وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان.
(٤)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

النبيِّ ﷺ قِبَل المسجد الحرام اختلَفَ النَّاس فيها، فكانوا أصْنافًا، فقال المُنافِقونَ: ما بالهم كانوا على قِبْلة زَمانًا ثُمّ تَركوها وتَوجَّهوا غيرها؟! فأنْزَلَ اللّه في المُنافِقينَ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ الآية كُلّها(١).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه:
﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

يَعْني جل ثناؤه بذلك: قُلْ يا مُحَمَّد - لِهؤلاء الذينَ قالوا لَكَ ولأصْحابِك: ما ولاّكُم عن قِبْلَتِكُم من بَيْت المقْدِس التي كُنتُم على التّوَجُّه إليها، إلى التّوَجُّه شَطْر المسجِد الحرام؟ -: لِلّه مُلْك المشرِق والمغرِب - يَعْني بذلك: مُلْك ما بين قُطْرَيْ مَشْرِق الشَمْس، وقُطْرَيْ مَغْربها، وما بينهما من العالَم - يَهْدي مَنْ يَشاء من خَلْقه فيُسَدِّده، ويوَفِّقه إلى الطّريق القويم وهو الصِّراط المُسْتَقيم - وَيَعْني بذلك: إلى قِبْلة إبراهيم الذي جَعَلَه لِلنَّاسِ إمامًا - وَيَخْذُل مَنْ يَشاء منهم فَيُضِلُّه عن سَبيل الحقّ. وَإنَّما عَنَى جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: قُلْ يا مُحَمَّد: إنَّ اللّه هَدانا بالتّوَجُّه شَطْر المسجِد الحرام لِقِبْلَةِ إبراهيم وأضَلَّكُم أيّها اليهود والمُنافِقونَ وجَماعة الشِّرْك باللّه، فَخَذَلكم عَمَّا هَدانا له من ذلك.

القول في تأويل جل ثناؤه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾

يَعْني جَلَّ ثَناؤه بقولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ كما هَدَيْناكُم أيّها المُؤمِنونَ بمُحَمَّدٍ عليه الصّلاة والسّلام، وبِما جاءكُم به من عند اللّه، فَخَصَصْناكُم بالتّوْفيق لِقِبْلَةِ إبراهيم ومِلّته، وفَضَّلْناكُم بذلك على مَنْ سِواكُم من أهل المِلَل؛ كذلك خَصَصْناكُم أيضًا ففَضَّلْناكُم على غيركُم من أهل الأديان بأنْ جَعَلْناكُم أُمّة وسَطًا. وَقد بَيَّنّا أنَّ (الأُمّة) هي القرْن من النَّاس والصِّنْف منهم وغيرهِمْ.

وَأمّا (الوسَط) فَإنّه في كَلام العرب: الخيار، يُقال منه: فُلان واسِطُ الحسَب في قَوْمه: أيْ مُتَوَسِّط الحسَب، إذا أرادوا بذلك الرّفْع في حَسَبه، وهو وسَط في قَوْمه وواسِط، كما يُقال شاة يابِسة اللَّبَن، ويَبَسة اللَّبَن، وكَما قال جَلّ ثَناؤه: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾[طه: ٧٧]، وقال - زُهَيْر بن أبي سُلْمَى في الوسَط:

هم وسَط يَرْضَى الأنام بحُكْمِهم ... إذا نَزَلَتْ إحدَى اللَّيالي بمُعْظَمِ(٢)

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[الطويل] القائل: زهير بن أبي سلمى، روي في ديوانه:

لِحَيٍّ حِلالٍ يَعصِمُ الناسَ أمرُهُم ... إذا طَلَعَت إحدى اللَيالي بِمُعظَمِ

وروي: إذا طرقت إحدى الليالي. المعنى: يمدح زهير القوم الذين سعوا بالصلح بين بني عبس وذبيان بأنهم سادة في عشيرتهم، يحكمون فيرضى القوم بحكمهم العادل إعزازًا وتقديرًا لهم:

لحي حلال يعصم الناس أمرهم ... إذا طلعت إحدى الليالي بمعظم

كرام فلا ذو الوتر يدرك وتره ... لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم

قال أبو جعفرٍ: وأنا أرَى أنَّ الوسَط في هذا الموضِع هو الوسَط الذي بمعنى الجُزْء الذي هو بين الطَّرَفَيْنِ، مِثْل (وسَط الدَّار)، مُحرَّكةُ الوسَط مُثَقَّلتُه، غير جائِز في سينه التَّخْفيف. وأرَى أنَّ اللَّه تبارك وتعالى إنَّما وصَفَهم بأنَّهم وسَط لِتَوَسُّطِهم في الدِّين فلا هم أهل غُلوٍّ فيه غُلوّ النّصارَى الذينَ غَلوا بالتّرَهُّبِ وقيلهم في عيسَى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تَقْصير فيه تَقْصير اليهود الذينَ بَدَّلوا كِتاب اللَّه وقَتَلوا أنبياءَهم وكذَبوا على رَبّهم وكَفَروا به؛ ولَكِنّهم أهل تَوَسُّط واعْتِدال فيه، فَوَصَفَهم اللَّه بذلك، إذْ كان أحَبّ الأُمور إلى اللَّه أوسَطها.

وَأمَّا التّأويل فَإنَّه جاء بأنَّ الوسَط العدْل، وذلك هو معنى الخيار لأنَّ الخيار من النَّاس عُدولهمْ.

ذِكر مَن قال: الوسط العدل:

٢١٦٢- **حَدَّثَنا** سلمُ بن جُنادةَ ويَعْقوب بن إبراهيم، قالا: ثنا حَفْص بن غياث، عن الأعْمَش، عن أبي صالِح، عن أبي سَعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: «**عدلاً**»(١).

٢١٦٣- **حَدَّثَنا** مُجاهِد بن موسَى ومُحَمَّد بن بَشَّار، قالا: ثنا جَعْفَر بن عَوْن، عن الأعْمَش عن أبي صالِح عن أبي سَعيد، عن النّبيّ ﷺ، مِثْله(٢).

٢١٦٤- **وحَدَّثَنا** مُحَمَّد بن بَشَّار قال: حدثنا مُؤَمَّل، قال: حدثنا سُفْيان، عن الأعْمَش، عن أبي صالِح، عن أبي سَعيد الخُدْريّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: (عدلاً)(٣).

٢١٦٥- **وحَدَّثني** عَليّ بن عيسَى، قال: حدَّثنا سَعيد بن سُلَيْمان، عن حَفْص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي صالِح، عن أبي هُرَيْرةَ، عن النّبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: «**عدلاً**»(٤).

٢١٦٦- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: حدَّثنا ابن يَمان، عن أشعَث، عن جَعْفَر، عن سَعيد: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدلاً(٥).

وأراد بهذا الحي حي الساعين بالصلح بين عبس وذبيان. قال الأعلم: الحِلال: جمع حِلَّة بالكسر، وهي مائة بيت. يقول: ليسوا بحلة واحدة، ولكنهم حلال كثيرة. وقوله: يعصم الناس أمرهم، أي: يلجئون إلى هذا الحي ويتمسكون به فيعصمهم مما نابهم. وأصل الحلة: الموضع الذي يُنزل به، فاستعير لجماعة الناس. وقوله: إحدى الليالي، أراد ليلة من الليالي، وفي الكلام معنى التفخيم والتعظيم، كما يقال: أصابته إحدى الدواهي، أي: داهية شديدة. والمعظم: الأمر العظيم. وقوله: فلا ذو الوتر، يقول: هم أعزة لا ينتصر منهم صاحب دم، ولا يدرك وتره فيهم. وقوله: بمُسلَم، أي: إذا جنى عليهم جان منهم شرًا إلى غيرهم لم يسلموه لعزهم ومنعتهم.

(١)[صحيح] أخرجه البخاري [٤٤-٣٣٣٩-٧٣٤٩] وغيره.

(٢)[صحيح] تقدم قبله.

(٣)[ضعيف] مؤمل بن إسماعيل القرشي العدوي، تقدم ضعفه.

(٤)[ضعيف] حفص بن غياث عن أبي صالح السمان مرسل، بين وفاتهما تسعين عامًا.

(٥)[ضعيف] يحيى بن يمان العجلي أبو زكريا الكوفي ضعيف يعتبر به.

٢١٦٧- **وحدَّثني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدَّثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدلاً (١).

٢١٦٨- **وحدَّثني** المُثنَى، قال: حدَّثنا أبو حُذَيفة، قال: حدَّثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثله (٢).

٢١٦٩- **وحدَّثنا** بشر بن مُعاذ، قال: حدَّثنا يَزيد، قال: حدَّثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدلاً (٣).

٢١٧٠- **وحدَّثنا** الحسَنُ بن يَحيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عُدولاً (٤).

٢١٧١- **وحدَّثني** المُثَنى، قال: حدَّثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع في قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدلاً (٥).

٢١٧٢- **وحدَّثني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثَني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يقول: جَعَلكم أُمّة عدلاً (٦).

٢١٧٣- **وحدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا سوَيْد بن نَصْر، قال: أخبرَنا ابن المُبارَك، عن رِشْدين بن سَعْد، قال: أخبرَنا ابن أنْعُم المَعَافِريُّ، عن حِبَّان بن أبي جَبَلَةَ يُسْنِدُه إلى رَسول اللَّه ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. قال: «**الوسَط: العدْل**» (٧).

٢١٧٤- **وحدَّثنا** القاسِم، قال: ثنا الحُسَيْن، قال: حدثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، عن عَطاء ومُجاهِد وعبد اللَّه بن كَثير: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ قالوا: عدلاً، قال مُجاهِد: عُدولاً (٨).

٢١٧٥- **وحدَّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: هم وسَط بين النّبيّ ﷺ وبين الأمَم (٩).

---

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٦)[ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٧)[ضعيف] حبان بن أبي جبلة، عن النبي ﷺ مرسل. وابن أنعم المعافر الإفريقي ضعيف. ورشدين بن سعد كذلك. وبقية رجاله تقدموا.

(٨)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٩)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾

والشُّهَداء جَمْع شَهيد.

فَمعنى ذلك: وكذلك جعَلْناكُم أُمّة عدلاً لِتَكونوا شُهَداء لأنبيائي ورُسُلي على أُمَمِها بالبلاغِ أنَّها قد بَلَّغَتْ ما أُمِرَتْ ببَلاغِه من رِسالاتي إلى أُمَمِها، ويكون رَسولي مُحَمَّد ﷺ شَهيدًا عليكُم بإيمانِكُم به، وبِما جاءَكُم به من عندي.

وقيل: معنى: (عَلَيْكم) في قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾: لكم. كأن تأويلَه عندهم: ويكونَ الرسولُ شهيدًا لكم.

وقال قائلُ هذه المقولة: هذا نظيرُ قولِه: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] إنما هو: وما ذبح للنصُبِ.

٢١٧٦- **حدّثني** أبو السَّائِب، قال: حدَّثنا حَفص، عن الأعْمَش، عن أبي صالِح، عن أبي سَعيد، قال: قال رَسول اللّه ﷺ: «**يُدْعَى بنَوح عليه السّلام يوم القيامة، فَيُقال له: هَلْ بَلَّغت ما أُرسِلْت به؟ فيقول: نَعَم، فَيُقال لِقَوْمِه: هَلْ بَلَّغَكُم؟ فيقول: ما جاءنا من نَذير، فيُقال له: مَنْ يَعْلَم ذلك؟ فيقول مُحَمَّد وأُمَّته**» فهو قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ (١).

٢١٧٧- **وحدّثنا** مُجاهِد بن موسَى، قال: حدَّثنا جَعْفَر بن عَوْن، قال، أخبرنا الأعْمَش، عن أبي صالِح، عن أبي سَعيد، عن النّبيّ ﷺ بنَحْوِه، إلاَّ أنّه زادَ فيه: «**فَتُدْعَوْنَ فتشْهَدونَ أنّه قد بَلَّغَ**» (٢).

٢١٧٨- **وحدّثنا** مُحَمَّد بن بَشَّار، قال: حدَّثنا مُؤَمَّل، قال: حدَّثنا سُفيان، عن الأعْمَش، عن أبي صالِح، عن أبي سَعيد الخُدْري: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بأنَّ الرُّسُل قد بَلَّغوا ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾: بما عَمِلْتُم أو فَعَلْتُمْ (٣).

٢١٧٩- **وحدّثنا** أبو كُرَيْب، قال: حدَّثنا ابن فُضَيْل، عن أبي مالِك الأشْجَعيّ، عن المُغيرة بن عُتَيْبةَ بن النَهَّاس، أنَّ مُكْتِبًا لهم حَدَّثَهم عن جابِر بن عبد اللّه. أنَّ النّبيّ ﷺ قال: «**إنّي وأُمَّتي لَعلى كَوْم يوم القيامة مُشْرِفينَ على الخلائِق ما أحَد من الأُمَم إلاّ ودَّ أنّه منا أيَّتُها الأمّة، وما من نَبيّ كذَّبَه قَوْمه إلاّ نَحْنُ شُهَداؤه يوم القيامة أنّه قد بَلَّغَ رِسالات رَبّه ونَصَحَ لهم**» قال: «**والرسولُ عليكم شهيدً**» (٤).

٢١٨٠- **وحدّثني** عِصام بن رَوَّاد بن الجرَّاح العسْقَلانيّ، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثنا

---

(١)[صحيح] أخرجه البخاري [٣٣-٤٤٨٧-٧٣٤٩] وغيره.

(٢)[صحيح] تقدم قبله.

(٣)[ضعيف] مؤمل بن إسماعيل القرشي العدوي، تقدم ضعفه.

(٤)[ضعيف] فيه المكاتب، مبهم. والمغيرة بن عتبة بن النهاس العجلي مجهول.

الأوزاعيّ، عن يَحْيَى بن أبي كَثير، عن عبد اللّه بن أبي الفضْل، عن أبي هُرَيْرةَ قال: خَرَجْت مع النبيّ ﷺ في جِنازة، فَلَمَّا صُلِّيَ على الميِّت قال النَّاس: نِعْمَ الرّجُل. فَقال النبيّ ﷺ: «وجَبَتْ». ثُمّ خَرَجْتُ معه في جِنازة أُخرَى، فَلَمَّا صَلَّوْا على الميِّت قال النَّاس: بئْسَ الرّجُل. فَقال النبيّ ﷺ: «وجَبَتْ». فَقامَ إليه أُبَيّ بن كَعْب فَقال: يا رَسول اللّه ما قولك: وجَبَتْ؟ قال: «قول اللّه: ﴿لِتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾»(١).

٢١٨١- وحدَّثني عَليّ بن سَهْل الرّمْليّ، قال: حدَّثنا الوليد بن مُسْلِم، قال: حَدَّثني أبو عمرو، عن يَحْيَى، قال: حَدَّثني عبد اللّه بن أبي الفضْل المدينيّ، قال: حَدَّثني أبو هُرَيْرةَ قال: أُتيَ رَسول اللّه ﷺ بجِنازةٍ، فَقال النَّاس: نِعْمَ الرّجُل، ثُمّ ذَكَرَ نَحْو حَديث عِصام عن أبيه(٢).

٢١٨٢- حَدَّثنا العباسُ بنُ الوليد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثني الأوزعيُّ، قال: حدَّثني يحيى بنُ أبي كثيرٍ، قال: حدَّثني عبدُ الله، قال: حدَّثني أبو هريرةَ، عن رسول الله ﷺ بنحوه(٣).

٢١٨٣- وحَدَّثنا أبو كُرَيْب، قال: حدَّثنا زَيْد بن حَبّاب، قال: حدَّثنا عِكْرِمة بن عَمَّار، قال: حَدَّثَني إياس بن سَلَمة بن الأكْوَع، عن أبيه، قال: كُنَّا مع النّبيّ ﷺ، فَمُرَّ بجِنازةٍ عليه فَأُثْنيَ عليها ثناءٌ حَسَن، فَقال: «وجَبَتْ»، ومُرَّ عليه بجِنازةٍ أُخرَى، فَأُثْنيَ عليها دون ذلك، فَقال: «وجَبَتْ»، قالوا: يا رَسول اللّه ما وجَبَتْ؟ قال: «**الملائكة شُهَداء اللّه في السّماء وأنتم شُهَداء اللّه في الأرض فما شَهِدْتُم عليه من شيءٍ وجَبَت**». ثُمّ قَرأ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] الآية(٤).

٢١٨٤- وحَدَّثني مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدَّثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿لِتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ تَكونوا شُهَداء لِمُحَمَّدٍ ﷺ على الأُمَم اليهود والنّصارَى والمجوس(٥).

٢١٨٥- وحَدَّثني المُثَنَّى، قال: حدَّثنا أبو حُذَيْفة، قال: حدَّثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله(٦).

٢١٨٦- وحَدَّثني مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدَّثنا أبو عاصِم، عن عيسَى، عن ابن أبي نَجيح،

---

(١)[صحيح] أخرجه البخاري [١٣٦٧] وغيره.
(٢)[صحيح] تقدم قبله.
(٣)[صحيح] تقدم قبله.
(٤)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل، ولا أعلم له علة.
(٥)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.
(٦)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

قال: يَأتي النبيّ ﷺ يوم القيامة بإذنِه لَيس معه أحد فَتَشهَد له أُمّة مُحَمّد ﷺ أنْ قد بَلَّغَهم[(١)] .

٢١٨٧- **وحَدّثني** المُثَنى، قال: حدَّثنا أبو حُذَيْفة، قال: حدَّثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن أبيه أنّه سَمِعَ عُبَيْد بن عُمَيْر يقول، فذكر مِثْله[(٢)] .

٢١٨٨- **وحَدّثنا** القاسِم، قال: حدَّثنا الحُسَيْن، قال: حدَّثني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: حَدَّثني ابن أبي نَجيح، عن أبيه قال: يَأتي النّبيّ ﷺ يوم القيامة، فَذَكَرَ مِثْله، ولم يَذْكُر عُبَيْد بن عُمَيْر[(٣)] .

٢١٨٩- **وحَدّثنا** بِشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أيْ أنّ رُسُلهم قد بَلّغَتْ قَوْمها عن رَبّها، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ على أنّه قد بَلّغَ رِسالات رَبّه إلى أُمّته[(٤)] .

٢١٩٠- **وحَدّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ لِتَكونَ هذه الأُمّة شُهَداء على النّاس أنّ الرُسُل قد بَلّغَتْهم، ويكون الرّسول على هذه الأُمّة شَهيدًا، أنْ قد بَلّغَ ما أُرْسِلَ به[(٥)] .

٢١٩١- **حَدّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن زَيْد بن أسلَمَ: أنّ قَوْم نوح يقولونَ يوم القيامة: لم يُبَلّغنا نوح. فَيُدْعَى نوح فَيُسْأل: هَلْ بَلّغتهم؟ فيقول: نَعَمْ، قد بلغتهم. فَيُقال: مَنْ شُهودك؟ فيقول: أحمَد وأُمّته. فَتُدْعَوْنَ فَتُسْألونَ، فَتَقولونَ: نَعَم قد بَلّغَهم. فيقول قَوْم نوح: كيف تَشْهَدونَ علينا ولم تُدْرِكونا؟ قالوا: قد جاءنا نَبيّ الله فَأخبرَنا أنّه قد بَلّغَكم، وأُنْزِلَ عليه أنّه قد بَلّغَكم، فَصَدّقْناه. قال: فَيُصَدَّق نوح ويُكَذّبونَهم. قال: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾[(٦)] .

٢١٩٢- **حَدّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن زَيْد بن أسلَمَ: أنّ الأُمَم يقولونَ يوم القيامة: والله لَقد كادَتْ هذه الأُمّة أنْ يَكونوا أنْبياء كُلّهم. لِما يَرَوْنَ الله أعطاهم[(٧)] .

٢١٩٣- **وحَدّثني** المُثَنى، قال: حدَّثنا سوَيْد بن نَصْر، قال: حدَّثنا ابن المُبارَك، عن رِشْدينَ بن سَعْد، قال: أخْبَرَني ابن أنْعُم المعافِري، عن حِبّان بن أبي جَبَلَةَ يُسْنِدُه إلى

---

(١)[ضعيف] لإرساله.

(٢)[ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٣)[ضعيف] لإرساله.

(٤)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٥)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٦)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٧)[حسن] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

رَسول اللَّه ﷺ قال: «إذا جَمع اللَّه عِباده يوم القيامة، كان أوَّل مَنْ يُدْعَى إسرافيل، فَيقول له رَبه: ما فَعَلْت في عَهْدي؟ هَلْ بَلَّغت عَهْدي؟ فيقول: نَعَم رَبِّ قد بَلَّغته جِبْريل، فَيُدْعى جِبْريل فَيُقال له هَلْ بَلَّغك إسرافيل عَهْدي؟ فَيقول: نَعَم رَبِّ قد بَلَّغني. فَيُخَلَّى عن إسرافيل، ويُقال لِجِبْريل: هَلْ بَلَّغت عَهْدي؟ فيقول: نَعَم قد بَلَّغت الرُسُل فَتُدْعَى الرُسُل فَيُقال لهم: هَلْ بَلَّغَكُم جِبْريل عَهْدي؟ فَيقولون: نَعَم رَبَّنا فَيُخَلَّى عن جِبْريل، ثُمَّ يُقال لِلرُسُلِ: ما فَعَلْتُم بعَهْدي؟ فَيقولون: بَلَّغنا أُمَمنا. فَتُدْعَى الأُمَم فَيُقال: هَلْ بَلَّغَكُم الرُسُل عَهْدي؟ فَمنهم المُكَذِّب ومنهم المُصَدِّق، فَتَقول الرُسُل إنَّ لنا عليهم شُهودًا يَشْهَدونَ أن قد بَلَّغنا مع شَهادَتك. فيقول: مَنْ يَشْهَد لكم؟ فيقولون أُمَة أحمد. فَتُدْعَى أُمَة أحمد، فيقول: أتَشهَدونَ أنَّ رُسُلي هؤلاء قد بَلَّغوا عَهْدي إلى مَنْ أُرْسِلوا إليه؟ فَيقولونَ: نَعَم رَبَّنا شَهِدْنا أنْ قد بَلَّغوا فَتَقول تلك الأُمَم: ربَّنا كيف يَشْهَد علينا مَنْ لم يُدْرِكنا؟ فَيقول لهم الرَّبّ تَبارَكَ وتعالى: كيف تَشْهَدونَ على مَنْ لم تُدْرِكوا؟ فيقولونَ: رَبَّنا بَعثْت إلينا رَسولاً، وأنْزَلْت إلينا عَهْدك وكِتابك، وقَصَصْت علينا أنَّهم قد بَلَّغوا، فَشَهِدْنا بما عَهِدت إلينا. فَيقول الرَّبّ: صَدَقوا فَذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ والوَسَط: العَدْل. ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾». قال ابن أنْعُم: فَبَلَغَني أنَّه يَشْهَد يومئذٍ أُمَة مُحمَّد إلاَّ مَنْ كان في قَلْبه حِنَةٌ على أخيه[(١)].

٢١٩٤- حدَّثنا المُثَنَّى، قال: حدَّثنا إسحاق، قال: حدَّثنا أبو زُهَيْر، عن جوَيْبِر، عن الضَّحَّاك في قوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: يَعْني بذلك الذينَ استَقاموا على الهُدَى، فَهم الذينَ يكونونَ شُهَداء على النَّاس يوم القيامة لِتَكْذيبِهم رُسُلَ اللَّه، وكُفْرهم بآياتِ اللَّه[(٢)].

٢١٩٥- وَحُدِّثْتُ عن عَمَّار بن الحسن، قال: حدَّثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع قوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾. يقول: لِتَكونوا شُهَداء على الأُمَم الذينَ خَلوا من قَبْلكُم بما جاءتْهم به رُسُلهمْ، وبما كذَّبوهم، فَقالوا يوم القيامة وعَجِبوا: إنَّ أُمَة لم يكونوا في زَمانِنا، فَآمَنوا بما جاءتْ به رُسُلنا، وكذَّبنا نَحْنُ بما جاءوا به. فَعَجِبوا كُلَّ العجَب[(٣)].

وقوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يَعْني: بإيمانِهم به، وبما أُنْزِلَ عليه.

٢١٩٦- حدَّثني مُحمَّد بن سَعْد، قال: حدَّثني أبي، قال: حَدَّثني عَمِّي، قال: حَدَّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عبَّاس: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: يَعْني أنَّهم شهداءُ على القُرون بما سَمَّى اللَّه لهم[(٤)].

---

(١)[ضعيف] تقدم برقم (٢١٧٥).

(٢)[ضعيف] جويبر بن سعيد الأزدي متروك.

(٣)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٤)[ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

٢١٩٧- **حدثنا** القاسم، قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قلت لعطاء: ما قوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؟ قال: أمة محمد شهداء على من ترك الحق حين جاءه والإيمان والهدى ممن كان قبلنا. وقالها عبد الله بن كثير. قال: وقال عطاء: هم شهداء على من ترك الحق، من تركه من الناس أجمعين، جاء ذلك أمة محمد ﷺ في كتابهم: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ على أنهم قد آمنوا بالحق حين جاءهم وصدقوا به(١).

٢١٩٨- **حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. قال: رسول الله ﷺ شاهد على أمته، وهم شهداء على الأمم، وهم أحد الأشهاد الذين قال الله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] والأشهاد أربعة؛ الملائكة الذين يحصون أعمالنا لنا وعلينا. وقرأ قوله: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]. وقال: هذا يوم القيامة. قال: والنبيون شهداء على أممهم. قال: وأمة محمد ﷺ شهداء على الأمم. قال: والأطوار: الأجساد والجلود(٢).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه:

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾: ولم نجعل صرفك عن القبلة التي كنت على التوجه إليها يا محمد فصرفناك عنها إلا لنعلم من يتبعك ممن ينقلب على عقبيه.

والقبلة التي كان ﷺ عليها، التي عناها الله بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ هي القبلة التي كان يتوجه إليها قبل أن يصرفه إلى الكعبة. كما:

٢١٩٩- **حدثني** موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، عن أسباط، عن السدي: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ يعني بيت المقدس(٣).

٢٢٠٠- **حدثنا** القاسم، قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾؟ قال: القبلة: بيت المقدس(٤).

وإنما ترك ذكر الصرف عنها اكتفاء بدلالة ما قد ذكر من الكلام على معناه كسائر ما قد ذكرنا فيما مضى من نظائره.

وإنما قلنا ذلك معناه لأن محنة الله أصحاب رسوله في القبلة إنما كانت - فيما تظاهرت به الأخبار - عند التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة، حتى ارتد - فيما ذكر - رجال ممن كان قد أسلم واتبع رسول الله ﷺ، وأظهر كثير من المنافقين من أجل ذلك نفاقهم، وقالوا: ما بال

(١)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.
(٢)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.
(٣)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٤)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

مُحَمَّد يُحَوِّلنا مَرّة إلى ها هُنا، ومَرّة إلى ها هُنا، ومَرّة إلى ها هُنا؟ وقال المُسْلِمونَ في أنفسهم وفيمن مَضَى من إخوانهم المُسْلِمينَ، وهم يُصَلُّونَ نَحو بَيْت المقْدِس: بَطَلَتْ أعْمالنا وأعْمالهم وضاعَتْ. وَقال المُشْرِكونَ: تَحَيَّرَ مُحَمَّدٌ في دينه. فَكان ذلك فِتْنة لِلنّاسِ وتَمْحيصًا لِلْمُؤمِنينَ، فَلِذلك قال جَلّ ثناؤه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ بمعنى وما جَعَلْنا صَرْفك عن القِبْلة التي كُنت عليها، وتَحْويلك إلى غيرها، كما قال جَلّ ثَناؤه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. بمعنى: وما جَعَلْنا خَبرك عن الرُّؤيا التي أرَيْناك. وذلك أنَّه لو لم يكُنْ أخْبَرَ القوْم بما كان أُريَ ﷺ، لم يكُنْ فيه على أحَدٍ فِتْنةٌ، وكذلك القِبْلة الأولَى التي كانتْ نَحو بَيْت المقْدِس لو لم يكُنْ صَرْفٌ عنها إلى الكعْبة لم يكُنْ فيها على أحَدٍ فِتْنةٌ ولا مِحْنةٌ.

ذِكر الأخبار التي رويَت في ذلك بمعنى ما قُلْنا:

٢٢٠١- **حَدَّثنا** بشر بن مُعاذ، قال: حدَّثنا يَزيد بن زُرَيع، عن سَعيد، عن قَتادة، قال: كانتِ القِبْلة فيها بَلاء وتَمْحيص صَلَّتِ الأنْصار نَحو بَيْت المقْدِس حَوْلَيْنِ قَبْل قُدوم نَبيّ اللَّه ﷺ المدينة وصَلَّى نَبيّ اللَّه بعد قُدومه المدينة مُهاجِرًا نَحو بَيْت المقْدِس ستةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمّ وجَّهَه اللَّه بعد ذلك إلى الكعْبة البيْت الحرام، فقال في ذلك قائِلونَ من النَّاس: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾؟ لَقد اشْتاقَ الرَّجُل إلى مولِده! قال اللَّه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فَقال أُناس لَمَّا صُرفَتِ القِبْلة نَحو البيْت الحرام: كيف بأعْمالِنا التي كُنَّا نَعْمَل في قِبْلَتنا الأولَى؟ فَأنْزَلَ اللَّه جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ وقد يَبْتَلي اللَّه العِباد بما شاءَ من أمْره، الأمْرَ بعد الأمْرِ، ليَعْلَم مَنْ يُطيعه مِمَّنْ يَعْصيه. وَكُلُّ ذلك مَقْبول إذا كان في إيمان باللَّه، وإخلاص له، وتَسْليم لِقَضائِه (١).

٢٢٠٢- **حَدَّثني** موسَى قال: حدَّثنا عمرٌو، قال: حدَّثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: كان النَّبيّ ﷺ يُصَلّي قِبَل بَيْت المقْدِس، فَنَسَخَتْها الكعْبة. فَلَمَّا تَوَجَّهَ قِبَل المسجِد الحرام، اختَلَفَ النَّاس فيها، فَكانوا أصْنافًا؛ فَقال المُنافِقونَ: ما بالهم كانوا على قِبْلةٍ زَمانًا ثُمّ تَرَكوها وتَوَجَّهوا غيرها؟! وقال المُسْلِمونَ: لَيتَ شِعْرنا عن إخواننا الذينَ ماتوا وهم يُصَلّونَ قِبَل بَيْت المقْدِس، هَلْ تَقَبَّلَ اللَّه مِنَّا ومنهم أم لا؟ وقالتِ اليهود: إنَّ مُحَمَّدًا اشْتاقَ إلى بَلَد أبيه ومولِده، ولو ثَبَتَ على قِبْلَتنا لَكُنَّا نَرْجو أنْ يكون هو صاحِبنا الذي نَنْتَظِر. وَقال المُشْرِكونَ من أهل مَكّة: تَحَيَّرَ مُحَمَّدٌ على دينه، فَتَوَجَّهَ بقِبْلَتِه إليكم، وعَلِمَ أنَّكم كُنتُم أهدَى منه، ويوشِك أنْ يَدْخل في دينكم. فَأنْزَلَ اللَّه في المُنافِقينَ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ إلى

(١) [حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

قوله: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ وأنْزَلَ في الآخَرينَ الآيات بعدها[(١)].

٢٢٠٣- **حدَّثنا** القاسِم، قال: حدَّثنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قُلْت لِعَطاءِ: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾؟ فَقال عَطاء: يَبْتَليهم ليَعْلَم مَنْ يُسْلِم لأمْرِه. قال ابن جُرَيْج: بَلَغَني أنَّ ناسًا مِمَّنْ أسلَمَ رَجَعوا فَقالوا: مَرّة هَهُنا ومَرّة هَهُنا[(٢)]!

فإنْ قال لنا قائِل: أوَ ما كان اللَّه عالِمًا بمَنْ يَتَّبِع الرّسول مِمَّنْ يَنْقَلِب على عَقِبَيْه إلاَّ بعد اتِّباع المُتَّبِع، وانقِلاب المُنقَلِب على عَقِبَيْه، حتّى قال: ما فَعَلْنا الذي فَعَلْنا من تَحويل القِبْلة إلاَّ لِنَعْلَم المُتَّبِعَ رَسولَ اللَّهِ من المُنْقَلِب على عَقِبَيْه؟

قيلَ: إنَّ اللَّه جَلّ ثَناؤه هو العالِم بالأشياءِ كُلِّها قَبْل كَوْنها ولَيْسَ قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ بخَبَرٍ عن أنّه لم يَعْلَم ذلك إلاَّ بعد وُجوده.

فإنْ قال: فَما معنى ذلك؟ قيلَ له: أمَّا معناه عندنا فإنّه: وما جَعَلْنا القِبْلة التي كُنْت عليها إلاَّ ليَعْلَم رَسولي وحِزْبي وأوليائي مَنْ يَتَّبع الرّسول مِمَّنْ يَنْقَلِب على عَقِبَيْه.

فقال جَلّ ثَناؤه: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ ومعناه: ليَعْلَم رَسولي وأوليائي. إذْ كان رَسوله وأولياؤه من حِزْبه، وكان من شَأن العرب إضافة ما فَعَلَتْه أتْباع الرَّئيس إلى الرَّئيس، وما فَعَلَ بهم إليه؛ نَحْو قولهمْ: فَتَحَ عُمَرُ بنُ الخطَّاب سَوادَ العِراق، وجَبَى خَراجها، وإنَّما فَعَلَ ذلك أصْحابه عن سَبَب كان منه في ذلك.

وَكالذي رُوِيَ في نَظيره عن النَّبيّ ﷺ أنّه قال: «**يقول اللَّه: مَرِضْتُ فَلم يَعُدْني عبدي، واستَقْرَضْته فَلم يُقْرِضني، وشَتَمَني ولم يَنْبَغِ له أنْ يَشْتُمني**».

٢٢٠٤- **حدَّثنا** أبو كُرَيْب قال: ثنا خالِد عن مُحَمَّد بن جَعْفَر، عن العلاء بن عبد الرّحْمَن، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرةَ قال: قال رَسول اللَّه ﷺ: «**يقول اللَّه: استَقْرَضْت عبدي فَلم يُقْرِضني، وشَتَمَني ولم يَنْبَغِ له أنْ يَشْتُمني يقول: وادَهْراه. وأنا الدَّهْر أنا الدَّهْر**»[(٣)].

٢٢٠٥- **حدَّثنا** ابن حُمَيْد، قال: حدَّثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرّحْمَن، عن أبيه، عن أبي هُرَيْرةَ عن النَّبيّ ﷺ بنَحْوِه[(٤)].

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣)[حسن] أخرجه أحمد [٢/ ٣٠٠ (٧٩٧٥)] قال: حدَّثنا محمد بن يزيد، وهو الواسطي. وفي [٢/ ٥٠٦ (١٠٥٨٦)] قال: حدَّثنا يزيد. و(البُخاري) في (خلق أفعال العباد) [٥٧] قال: حدَّثنا موسى، حدَّثنا حماد. و(أبو يَعْلَى) [٦٤٦٦] قال: حدَّثنا عمرو الناقد، حدثنا محمد بن يزيد الواسطي. و(ابن خزيمة) [٢٤٧٩] قال: حدَّثنا أبو هاشم، زياد بن أيوب، حدَّثنا محمد بن يزيد بن هارون. ثلاثتهم: محمد بن يزيد، ويزيد بن هارون، وحماد بن سلمة عن محمد بن إسحاق، عن العلاء بن عبد الرحمان، عن أبيه... فذكره. وابن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح في أي طريق من طرقه. وقد تابعه ابن طهمان في مشيخته.

(٤)[حسن] تقدم قبله.

فَأضافَ تعالى ذِكره الاستِقْراض والعيادة إلى نَفْسه، وإن كان ذلك بغيرِه إذْ كان ذلك عن سَبَبه.

وَقد حُكيَ عن العرب سَماعًا: أجوع في غير بَطْني، وأعْرَى في غير ظَهْري، بمعنى جَوْع أهله وعياله وعُرْي ظُهورهِمْ، فَكَذلك قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ بمعنى يَعْلَم أوليائي وحِزبي.

وَبِنَحْوِ ما قُلْنا في ذلك قالت جماعةٌ من أهل التّأويل.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

٢٢٠٦- **حدّثني** المُثَنَّى، قال: حَدَّثَنا أبو صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاويةُ، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ قال ابن عَبَّاس: لِنُمَيِّزَ أهل اليقين من أهل الشَّكِّ والرِّيبة [(١)].

وَقد قال بعضهم: إنَّما قيلَ ذلك من أجْل أنَّ العرب تَضَع العِلْم مَكان الرُّؤية، والرُّؤية مَكان العِلْم، كما قال جَلَّ ثناؤه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]. فَزَعَمَ أنَّ معنى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تَعْلَم؟ وزَعَمَ أنَّ معنى قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ بمعنى: إلاَّ لِنَرَى مَنْ يَتَّبِع الرَّسول. وَزَعَمَ أنَّ قول القائِل: رَأيْتُ وعَلِمْت وشَهِدْت. حُروف تَتَعاقَب فَيوضَع بعضها موضِع بعض، كما قال جَرير بن عَطيّة:

كَأنَّك لم تَشْهَد لَقيطًا وحاجِبًا ... وعمرَو بن عمرِو إذ دَعا يالَ دارِم [(٢)]

بِمعنى: كَأنَّك لم تَعْلَم لَقيطًا؛ لأنَّ بين هُلْكِ لَقيط وحاجِب وزَمان جَرير ما لا يَخْفَى بُعْدُهُ من المُدّة. وَذلك أنَّ الذينَ ذَكَرَهم هَلَكوا في الجاهِليّة، وجَرير كان بعد بُرْهة مَضَتْ من مَجيء الإسلام.

وهذا تأويل بَعيد؛ من أجْل أنَّ الرُّؤية وإنْ استُعْمِلَتْ في موضِع العِلْم من أجْل أنَّه مُستَحيل أنْ يَرَى أحَد شَيْئًا، فلا توجِب له رُؤيَته إيَّاه عِلْمًا بأنَّه قد رَآه إذا كان صَحيح الفِطْرة فَجازَ من الوجه الذي أثْبَتَه رُؤيةً أنْ يُضاف إليه إثْباته إيَّاه عِلْمًا، وصَحَّ أنْ يَدُلّ بذِكْرِ الرُّؤية على معنى العِلْم من أجْل ذلك. فَلَيْسَ ذلك وإنْ جاز في الرُّؤية - لِما وَصَفْنا - بجائِزٍ في العِلْم، فَيَدُلّ بذِكْرِ الخبَر عن العِلْم على الرُّؤية لأنَّ المرْء قد يَعْلَم أشياء كَثيرة لم يَرَها ولا يَراها ويَسْتَحيل أنْ يَرَى شَيْئًا إلاَّ عَلِمَه، على ما قد قَدَّمْنا البيان، مع أنَّه غير موجود في شَيْء من كَلام العرب أنْ يُقال: عَلِمْت كذا

(١)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث يكتب حديثه.

(٢)[الطويل] القائل: جرير بن عطية. رواية الديوان: (إذ دعوا يال دارم). من قصيدته في هجاء الفرزدق، وقد عدد فيها أيام قومه، والخطاب في قوله: (كأنك) للفرزدق، ويذكر (يوم جبلة)، وهو من أعظم أيامهم، وكان قبل الإسلام بأربعين سنة، عام ولد النبي ﷺ، وهو لعامر وعبس على ذبيان وتميم. وقتل يومئذ لقيط بن زرارة، وأسر حاجب بن زرارة، وأسر عمرو بن عمرو بن عدس، وهم من بني عبد الله بن دارم، وهم عمومة الفرزدق، وهو من بني مجاشع بن دارم، ومن ثم ذكره جرير بذلك اليوم مخوفًا له وشامتًا فيه، ومصغرًا من شأنهم؛ فقد هزموا شرَّ هزيمة.

بمعنى رَأيته، وإنَّما يجوز تَوْجيه مَعاني ما في كِتاب اللَّه الذي أنْزلَه على مُحَمَّد ﷺ من الكلام إلى ما كان موجودًا مِثله في كَلام العرب دون ما لم يكُنْ موجودًا في كَلامها، فَموجود في كَلامها (رَأيت) بمعنى (عَلِمْت)، وغير موجود في كَلامها (عَلِمْت) بمعنى (رَأيْت)، فيجوز تَوْجيه قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إلى معنى: إلاَّ لِنَرَى.

وَقال آخرونَ: إنَّما قيلَ: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ من أجل أنَّ المُنافِقينَ واليهود وأهل الكُفر باللَّه أنْكَروا أنْ يكون اللَّه تعالى ذِكْره يَعْلَم الشَّيْء قَبْل كَوْنه، وقالوا - إذْ قيلَ لهم: إنَّ قَوْمًا من أهل القِبْلة سَيَرْتَدّونَ على أعْقابهمْ إذا حوِّلَتْ قِبْلة مُحَمَّد إلى الكعْبة -: ذلك غير كائِن. أو قالوا: ذلك باطِل. فَلَمَّا فَعَلَ اللَّه ذلك، وحَوَّلَ القِبْلة، وكَفَرَ من أجْل ذلك مَنْ كَفَرَ، قال جَلَّ ثَناؤه: ما فَعَلْت إلاَّ لِيُعْلَم عندكُم - أيّها المُنْكِرونَ عِلْمي بما هو كائِن من الأشياء قَبْل كَوْنه - أنّي عالِم بما هو كائِن مِمَّا لم يكُنْ بعد.

فَكَأنَّ معنى قائِلي هذا القول في تأويل قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: إلاَّ ليتبين لكم أنَّا نَعْلَم مَنْ يَتَّبع الرّسول مِمَّنْ يَنْقَلِب على عَقِبَيْه. وَهذا وإنْ كان وجهًا له مَخْرَج، فَبَعيد من المفهوم.

وَقال آخرونَ: إنَّما قيلَ: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ - وهو بذلك عالِم قَبْل كَوْنه وفي حال كونه - على وجه التَّرَفُّق بعِبادِه، واستِمالَتهم إلى طاعته، كما قال جَلَّ ثَناؤه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] وقد عَلِمَ أنّه على هُدًى وأنَّهم على ضَلال مُبين، ولَكِنّه رَفَقَ بهم في الخِطاب، فَلم يَقُلْ: إنَّا على هُدَى، وأنتم على ضَلال. فَكَذلك قولُه: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ معناه عندهمْ: إلاَّ لِتَعْلَموا أنتم إذْ كُنتُم جُهَّالاً به قَبْل أنْ يكون. فَأضافَ العِلْم إلى نَفْسه رِفقًا بخِطابِهم.

وَقد بَيَّنَّا القول الذي هو أولَى ذلك بالحقّ.

فأمَّا قوله: ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فإنَّه يَعْني: الذي يَتَّبع مُحَمَّدًا ﷺ رسول الله فيما يَأمُره اللَّه به، فَيتوَجَّهُ نَحو الوجْه الذي يَتَوَجَّه نَحوه مُحَمَّد ﷺ.

وَأمَّا قوله: ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ فإنَّه يَعْني به: من الذي يَرْتَدّ عن دينه، فَيُنافِق، أو يكْفر، أو يُخالِف مُحَمَّدًا ﷺ في ذلك مِمَّنْ يُظْهِر اتِّباعه. **كَما**:

٢٢٠٧- **حَدَّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ قال: مَنْ إذا دَخلَتْه شُبْهة رَجعَ عن اللَّه، وانقلَبَ كافِرًا على عَقِبَيْه[(١)].

وَأصْل المُرْتَدّ على عَقِبَيْه - وهو المُنْقَلِب على عَقِبَيْه - الرَّاجِع مُسْتَدْبِرًا في الطَّريق الذي قد كان قَطَعَه مُنْصَرِفًا عنه، فَقيلَ ذلك لِكُلِّ راجِع عن أمْر كان فيه من دين أو خبر، ومن ذلك قوله: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤] بمعنى رَجَعا في الطَّريق الذي كانا سَلَكاه.

وَإنَّما قيلَ لِلْمُرْتَدِّ مُرْتَدّ، من ذلك؛ لِرُجوعِه عن دينه ومِلَّته التي كان عليها. وَإنَّما قيلَ رَجَعَ

(١)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

على عَقِبَيْه لِرُجوعِه دُبُرًا على عَقِبيه إلى الوجْه الذي كان فيه بَدْء سَيْره قَبْل مَرْجِعِهِ عنه، فَجُعِل ذلك مَثَلاً لِكُلِّ تارِكٍ أمْرًا وآخِذٍ آخَر غيره إذا انصَرَفَ عمَّا كان فيه إلى الذي كان له تارِكًا فأخَذَه، فَقيلَ ارْتَدَّ فُلان على عَقِبيه، وانقَلَبَ على عَقِبَيْه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾

اختَلَفَ أهل التأويل في التي وصَفَها اللَّه جلَّ ثناؤُهُ بأنَّها كانتْ كَبيرة إلاَّ على الذينَ هَدَى اللَّه.

فَقال بعضهمْ: عَنَى جَلَّ ثَناؤه بالكبيرةِ: التَّوْلية من بَيْت المقْدِس شَطْر المسجِد الحرام والتَّحْويلة، وإنَّما أُنِّث الكبيرة لِتأنيثِ التَّوْلية.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

٢٢٠٨- **حدَّثني** المُثَنَّى قال: حدثنا عبد اللَّه بن صالِح، قال: حدَّثني معاويةُ بنُ صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: قال اللَّه: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يَعْني تَحْويلها (١).

٢٢٠٩- **حدَّثني** مُحَمَّد بن عمرو الباهليُّ، قال: حدثنا الضَّحَّاكُ بنُ مَخْلَدٍ، قال: حدَّثَنَا عيسَى بن مَيْمون، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ قال: ما أُمِروا به من التَّحوُّلِ إلى الكعْبة من بيْت المقْدِس (٢).

٢٢١٠- **حدَّثني** المُثَنَّى قال: حدَّثَنَا أبو حُذَيْفة، قال: حدَّثَنَا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله (٣).

٢٢١١- **حدَّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ قال: كَبيرة حين حوِّلَتِ القِبْلة إلى المسجِد الحرام، فَكانتْ كَبيرة إلاَّ على الذينَ هَدَى اللَّه (٤).

وَقال آخَرونَ: بل الكبيرة هي القِبْلة بعَيْنِها التي كان ﷺ يَتَوَجَّه إليها من بَيْت المقْدِس قَبْل التَّحْويل.

ذِكْر مَنْ قال ذلك:

٢٢١٢- **حُدِّثت** عن عَمَّار، قال: حَدَّثَنا عبد اللَّه بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أيْ قِبْلة بَيْت المقْدِس، ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ (٥).

---

(١)[**ضعيف**]أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٢)[حسن]من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣)[حسن]تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٤)[**صحيح**]أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥)[**ضعيف**]من معلقات المصنف.

وقال بعضهم: بل الكبيرة: هي الصَّلاة التي كانوا صَلَّوْها إلى القِبْلة الأولَى.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٢١٣- **حدثني** يونُس بن عبد الأعلَى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ قال: صَلاتكُم حتَّى يَهْديكُم الله القِبْلة [(١)].

٢٢١٤- **وقد حدثني** يونُس مَرّة أُخرَى فقال: أخبرَنا ابن وهْب قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ قال: صَلاتكم هاهُنا - يَعْني إلى بَيْت المقْدِس سِتّة عَشَر شَهْرًا - وانحِرافَكم هاهُنا [(٢)].

وقال بعض نَحْويّي البصْرة: أُنِّثَتِ الكبيرة لِتأنيثِ القِبْلة، وإيَّاها عَنَى جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾.

وقال بعض نَحْويّي الكوفة: بل أُنِّثَتِ الكبيرة لِتأنيثِ التَّوْلية والتَّحْويلة.

فتأويل الكلام على ما تأوَّلَه قائِلو هذه المقالة: وما جَعَلْنا تَحْويلَتنا إيَّاكَ عن القِبْلة التي كُنْت عليها وتولِيَتَنَاكَ عنها إلاَّ لِنَعْلَم مَنْ يَتَّبِع الرَّسول مِمَّنْ يَنْقَلِب على عَقِبَيْه، وإنْ كانتْ تَحْويلَتنا إيَّاكَ عنها وتولِيَتَنَاكَ لَكَبيرة إلاَّ على الذينَ هَدَى اللَّه.

وَهذا التَّأويل أولَى التَّأويلات عندي بالصَّوابِ؛ لأنَّ القَوْم إنَّما كَبُرَ عليهم تَحْويل النَّبيّ ﷺ وجهه عن القِبْلة الأولَى إلى الأُخْرَى لا عَيْن القِبْلة ولا الصَّلاة؛ لأنَّ القِبْلة الأولَى والصَّلاة قد كانتْ وهَي غير كَبيرة عليهم إلاَّ أنْ يُوَجِّه موَجِّه تأنيث الكبيرة إلى القِبْلة، ويقول: اجْتُزِئَ بذِكْرِ القِبْلة من ذِكْر التَّوْلية والتَّحْويلة لِدَلالةِ الكلام على معنى ذلك، كما قد وصَفْنا ذلك في نَظائِره، فَيكون ذلك وجهًا صَحيحًا ومَذْهَبًا مَفْهومًا.

وَمعنى قوله: ﴿لَكَبِيرَةً﴾: عَظيمة. **كَما:**

٢٢١٥- **حدثنا** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ قال: كَبيرةٌ في صُدور النَّاس - فيما يَدْخُل الشَّيْطان به ابن آدَم. قال: ما لَهم صَلَّوْا إلى هاهُنا سِتّة عَشَر شَهْرًا ثُمّ انحَرَفوا؟! فَكَبُرَ في صُدور مَنْ لا يَعْرِف ولا يَعْقِل والمُنافِقينَ، قالوا: أيُّ شَيْء هذا الدّين؟! وأمَّا الذينَ آمَنوا فَثَبَّتَ اللَّه ذلك في قُلوبهمْ. وَقَرأ قول اللَّه ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ قال صَلاتُكم حتَّى يَهْديكُم للقِبْلة [(٣)].

وأمَّا قوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فإنَّه يَعْني به: وإنْ كانت نَقْلَتُنَاكَ عن القِبْلة التي كُنْت عليها لَعَظيمة إلاَّ على مَنْ وفَّقَه اللَّه فَهَداه لِتَصْديقِك، والإيمان بذلك، واتِّباعك فيه وفيما أنْزَلَ اللَّه عليك. **كَما:**

---

(١)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٢)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٣)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

٢٢١٦- حدثني المُثنى، قال: حدثَنا أبو صالِح، قال: حدثني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عبَّاس: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يقول: إلاّ على الخاشِعينَ، يَعْني المُصدِّقينَ بما أنزَلَ اللَّه (١).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾

قيلَ: عَنَى بالإيمانِ في هذا الموضِع الصّلاة.

ذِكر الأخبار التي رويَت بذلك وذِكر قول مَن قاله:

٢٢١٧- حدثنا أبو كُرَيب، قال: حدثَنا وكيع وعُبَيْد اللَّه، وحَدَّثنا سُفيان بن وكيع، قال حدَّثَنا عُبَيْد اللَّه بن موسَى جَميعًا عن إسرائيل، عن سِماك، عن عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: لَمَّا وجَّهَ رَسوله اللَّه ﷺ إلى الكعْبة قالوا: كيف بمَنْ ماتَ من إخواننا قَبْل ذلك وهم يُصَلّونَ نَحو بَيْت المقْدِس؟! فَأنزَلَ اللَّه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ (٢).

٢٢١٨- حدثني إسماعيل بن موسَى السُّدِّيُّ، قال: أخبرَنا شَريك، عن أبي إسحاق، عن البراء في قول اللَّه عَزَّ وجَلّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ قال: صَلاتكم نَحو بَيْت المقْدِس (٣).

٢٢١٩- حدثنا أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ قال: حدثَنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: حدثَنا شَريك، عن أبي إسحاق، عن البراء نَحْوه (٤).

٢٢٢٠- حدثني المُثنى، قال: حدثَنا عبد اللَّه بن مُحَمَّد بن نُفَيْل الحرَّانيّ، قال: حدثَنا زُهَيْر، قال: حدثَنا أبو إسحاق، عن البراء قال: ماتَ على القِبْلة قَبْل أنْ تُحَوَّل إلى البيْت رِجال وقُتِلوا، فَلم نَدْرِ ما نَقول فيهم، فَأنزَلَ اللَّه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ (٥).

٢٢٢١- حدثنا بشر بن مُعاذ، قال: حدثَنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حدثَنا سَعيد، عن قَتادة، قال: قال أُناس من النَّاس لَمَّا صُرِفَتِ القِبْلة نَحو البيْت الحرامَ: كيف بأعْمالِنا التي كُنَّا نَعْمَل في قِبْلَتنا الأولى؟! فَأنزَلَ اللَّه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ (٦).

٢٢٢٢- حدثني موسَى بن هارونَ، قال: حَدثَنا عمرو، قال: حدثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ، قال: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسول اللَّه ﷺ قِبَل المسجِد الحرام، قال المُسْلِمونَ: لَيْتَ شِعْرنا عن إخواننا الذينَ ماتوا وهم يُصَلّونَ قِبَل بَيْت المقْدِس، هَلْ تَقَبَّلَ اللَّه مِنَّا ومنهم أم لا؟ فَأنزَلَ اللَّه فيهم: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ قال: صَلاتكُم قِبَل بَيْت المقْدِس. يقول: إنَّ

(١)[ضعيف]أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٢)[ضعيف]سماك مضطرب في عكرمة. (٣)[ضعيف]شريك سيئ الحفظ.

(٤)[ضعيف]تقدم قبله.

(٥)[صحيح]أخرجه البخاري في مواطن كثيرة منها [٤٤]، ومسلم [٥٢٥] وغيرهما.

(٦)[حسن]من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

تلك كانت طاعة وهذه طاعة [١].

٢٢٢٣- **حُدِّثت** عن عَمَّار، قال: حدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع قال: قال ناس لَمَّا صُرِفَتِ القِبْلة إلى البيْت الحرام: كيف بأعمالِنا التي كُنَّا نَعْمَل في قِبْلَتنا الأولَى؟ فَأَنْزَلَ اللَّه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ الآية [٢].

٢٢٢٤- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: أخْبَرَني داود بن أبي عاصِم، قال: لَمَّا صُرِفَ رَسول اللَّه ﷺ إلى الكعْبة، قال المُسْلِمونَ: هَلَكَ أصْحابنا الذينَ كانوا يُصَلُّونَ إلى بَيْت المقْدِس. فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [٣].

٢٢٢٥- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمِّي، قال: حَدَّثَني أبي عن أبيه، عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ يقول: صَلاتكُم التي صَلَّيْتُم من قَبْل أنْ تكون القِبْلة. وَكان المُؤْمِنونَ قد أشفَقوا على مَنْ صَلَّى منهم أنْ لا تُقْبَل صَلاتهمْ [٤].

٢٢٢٦- **حَدَّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ قال: صَلاتكم [٥].

٢٢٢٧- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن إسماعيل الضِّراريُّ، قال: أخبرَنا المُؤَمَّل، قال: حدَّثَنا سُفْيان، حدَّثَنا يَحْيَى بن سَعيد، عن سَعيد بن المُسَيَّب في هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ قال: صَلاتكُم نَحْو بَيْت المقْدِس [٦].

قال أبو جعفر: قد دَلَّلْنا فيما مَضَى على أنَّ معنى الإيمان التَّصْديق، وأنَّ التَّصْديق قد يكون بالقولِ وحْده وبالفِعْلِ وحْده وبِهِما جَميعًا.

فَمعنى قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ - على ما تَظاهَرَتْ به الرِّواية من أنَّه الصَّلاة -: وما كان اللَّه ليُضيعَ تَصْديقكم رَسوله عليه الصَّلاة والسَّلام بصَلاتِكُم التي صَلَّيْتُموها نَحْو بَيْت المقْدِس عن أمْره لأنَّ ذلك كان منكُم تَصْديقًا لِرَسولي، واتِّباعًا لأمْري، وطاعة منكُم لي. وإضاعَته إيَّاه جَلَّ ثَناؤه - لو أضاعَه - تَرْكُ إثابة أصْحابه وعامِليه عليه، فَيَذْهَب ضَياعًا ويَصير باطِلاً، كَهَيْئةِ إضاعة الرَّجُل ماله، وذلك إهْلاكه إيَّاه فيما لا يَعْتَاضُ منه عِوَضًا في عاجِل ولا آجِل.

فَأَخْبَرَ اللَّه جَلَّ ثَناؤه أنَّه لم يكُنْ بالذي يُبْطِل عَمَل عامِل عَمِلَ له عَمَلاً وهو له طاعة فلا يُثيبه

---

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٣)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤)[ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٥)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٦)[ضعيف] مؤمل بن إسماعيل القرشي العدوي أبو عبد الرحمن البصري مولى آل عمر بن الخطاب، وقيل: مولى بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، قال أبو حاتم: صدوق، شديد في السنة، كثير الخطأ، وقيل: دفن كتبه وحدث حِفظًا فغلط.

عليه، وإنْ نُسِخَ ذلك الفرْض بعد عَمَل العامِل إيَّاه على ما كَلَّفه من عَمَله.

فَإنْ قال لنا قائِل: وكيف قال اللَّه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ فَأضافَ الإيمان إلى الأحياء المُخاطَبينَ، والقومُ المُخاطَبونَ بذلك إنَّما كانوا أشفقوا على إخوانهم الذينَ كانوا ماتوا وهم يُصَلّونَ نَحْو بَيْت المقْدِس، وفي ذلك من أمْرِهم أُنْزِلَتْ هذه الآية؟

قيلَ: إنَّ القوْم وإنْ كانوا قد أشفَقوا من ذلك، فإنَّهم أيْضًا قد كانوا مُشْفِقينَ من حُبوط ثَواب صَلاتهم التي صَلَّوْها إلى بَيْت المقْدِس قَبْل التَّحْويل إلى الكعْبة، وظَنّوا أنَّ عَمَلهم ذلك قد بَطَلَ وذَهَبَ ضَياعًا، فأنْزَلَ اللَّه هذه الآية حينَئِذٍ، فَوَجَّه الخِطاب بها إلى الأحياء، ودَخَلَ فيهم الموتَى منهم؛ لأنَّ من شَأن العرب إذا اجْتَمع في الخبَر المُخاطَب والغائِب أنْ يُغَلِّبوا المُخاطَب، فَيَدْخُل الغائِب في الخِطاب، فَيقولوا لِرَجُلٍ خاطَبوه على وجه الخبَر عنه وعن آخَر غائِب غير حاضِر: فَعَلْنا بكُما وصَنَعْنا بكُما. كَهَيْئةِ خِطابهم لهُما وهُما حاضِرانِ، ولا يَسْتَجيزونَ أنْ يقولوا فَعَلْنا بهِما. وهم يُخاطَبونَ أحَدهما فَرَدُّوا المُخاطَب إلى عِداد الغائِبِ.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾

ومعنى قولِه جَلَّ ثَناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ أنَّ اللَّه بجَميعِ عِباده ذو رَأفة.

والرَّأفة على مَعاني الرَّحْمة، وهيَ عامَّة لِجَميعِ الخلْق في الدُّنْيا ولِبعضِهم في الآخِرة. وَأمَّا الرَّحيم، فإنَّه ذو الرَّحْمة لِلْمُؤمِنينَ في الدُّنْيا والآخِرة على ما قد بَيَّنّا فيما مَضَى قَبْل.

وَإنَّما أرادَ جَلَّ ثَناؤه بذلك أنَّ اللَّه أرحَم بعِبادِه من أنْ يُضِيع لهم طاعة أطاعوه بها فلا يُثيبهم عليها، وأرأف بهم من أنْ يُؤاخِذهم بتَرْكِ ما لم يَفْرِض عليهم، أيْ: فلا تأسَوْا على موتاكُم الذينَ ماتوا وهم يُصَلّونَ إلى بَيْت المقْدِس؛ فَإنِّي لهم -على طاعَتهم إيَّايَ بصَلاتِهم التي صَلَّوْها كذلك- مُثيب؛ لأنِّي أرحَم بهم من أنْ أُضَيِّع لهم عَمَلًا عَمِلوه لي. وَلا تَحْزَنوا عليهم، فَإنِّي غير مُؤاخِذهم بتَرْكِهم الصَّلاة إلى الكعْبة؛ لأنِّي لم أكُنْ فَرَضْت ذلك عليهم، وأنا أرأف بخَلْقي من أنْ أُعاقِبهم على تَرْكهم ما لم آمُرهم بعَمَلِه.

وَفي الرَّءوف لُغات: إحداها (رَؤُفٌ) على مِثال (فَعُلَ) كما قال الوليد بن عُقْبة:

وَشَرُّ الطَّالِبينَ فلا تَكُنْه ... بِقاتِلِ عَمِّه الرَّؤُفُ الرَّحيمُ (١)

وَهيَ قِراءةُ عامَّة قرأة أهل الكوفة.

والأُخْرَى: (رَءوفٌ) على مِثال: (فَعول). وهيَ قِراءة عامَّة قرأة أهلِ المدينة. و(رَئِفٌ)، وهيَ

(١) [الوافر] القائل: الوليد بن عقبة. المعنى: هذا البيت من شعر الوليد بن عقبة، الذي كتب به إلى معاوية يحض معاوية على قتال علي رضي الله عنهما، وكأن هذا البيت قبل البيت الذي يقول فيه:

لَكَ الْوَيْلاتُ! أَقْحِمْهَا عَلَيْهِمْ ... فخيرُ الطَّالبي التِّرَةِ الغَشُومُ

وقوله: (لا تكنه)، دعاء له، واستنكار أن يكون كهذا الطالب الثائر الذي يطالب بدم عمه، وهو رءوف رحيم بعدوه وقاتل عمه، وهو شر طالب ثأر.

لُغةُ غَطَفانَ، على مِثال: (فَعِل) مِثْل: (حَذِر). و(رَأْفٌ) على مِثال (فَعْل) بجَزْمِ الهمزِ، وهيَ لُغةٌ لِبَني أسَد. والقِراءة على أحَد الوجْهَيْنِ الأوَّلَيْن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾

يَعْني بذلك جَلّ ثَناؤه: قد نَرَى يا مُحَمَّد نَحْنُ تَقَلُّب وجهك في السّماء. وَيَعْني بالتَّقَلُّبِ: التَّحوُّل والتّصَرُّف. وَيَعْني بقولِه: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ نَحو السّماء وقِبَلها.

وَإنَّما قيلَ ذلك له ﷺ - فيما بَلَغنا - لأنَّه كان قَبْل تَحْويل قِبْلَته من بَيْت المقْدِس إلى الكعْبة يَرْفَع بَصَره إلى السّماء، تَنظُّرًا من اللَّه جَلّ ثَناؤه أمْرَه بالتَّحوُّلِ نَحو الكعْبة. كَما:

٢٢٢٨- **حَدَّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: كان النبيُّ ﷺ يُقَلِّب وجهه في السّماء يُحِبّ أنْ يَصْرِفه اللَّه إلى الكعْبة حتّى صَرَفَه اللَّه إليها(١).

٢٢٢٩- **حَدَّثنا** بِشر بن مُعاذ، قال: حَدَّثَنا يَزيد، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فكان نَبيُّ اللَّه ﷺ يُصَلّي نَحو بَيْت المقْدِس، يَهْوَى ويَشْتَهي القِبْلة نَحْو البيْت الحرام، فَوَجَّهَه اللَّه لِقِبْلةٍ كان يَهْواها ويَشْتَهيها(٢).

٢٢٣٠- **حَدَّثَنا** المُثَنّى، قال: حَدَّثَني إسحاق، قال: حَدَّثَني ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع في قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يقول: نَظَرَك في السّماء. وَكان النَّبيّ ﷺ يُقَلِّب وجهه في الصّلاة وهو يُصَلّي نَحو بَيْت المقْدِس، وكان يَهْوَى قِبْلةَ البيْت الحرام، فَوَلاَّه اللَّه قِبْلة كان يَهْواها(٣).

٢٢٣١- **حَدَّثَني** موسى، قال: حَدَّثَنا عمرٌو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدّيِّ، قال: كان النَّاس يُصَلّونَ قِبَل بَيْت المقْدِس، فَلَمّا قَدِمَ النَّبيّ ﷺ المدينة على رَأس ثَمانية عَشَر شَهْرًا من مُهاجَرِه، وكان إذا صَلّى رَفَعَ رَأسه إلى السّماء يَنْظُر ما يُؤمَرُ، وكان يُصَلّي قِبَل بَيْت المقْدِس. فَنَسَخَتْها الكعْبة. وكان النَّبيّ ﷺ يُحِبّ أنْ يُصَلّي قِبَل الكعْبة، فأنزَلَ اللَّه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية(٤).

ثُمّ اختُلِفَ في السَّبَب الذي من أجْله كان النبي ﷺ يَهْوَى قِبْلة الكعْبة.

فقال بعضهمْ: كَرِهَ قِبْلة بَيْت المقْدِس، من أجْل أنَّ اليهود قالوا: يَتّبعُ قبلتَنا ويُخالِفنا في ديننا!

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٢٣٢- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حَدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، عن

---

(١)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال. (٤)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

مُجاهِد، قال: قالتِ اليهودُ: يُخالِفنا مُحمَّد ويتَّبعُ قِبلَتنا. فكان يَدْعو اللَّه ويَسْتفرِضُ القِبْلةِ، فنزَلَتْ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ - وانقطَعَ قول يَهودَ: يُخالِفنا ويتَّبعُ قِبلَتنا! - في صَلاة الظُّهر، فَجعَلَ الرِّجال مَكان النِّساء، والنِّساء مَكان الرِّجال (١).

٢٢٣٣- حدَّثني يونُس، قال، أخبرَنا ابن وهب، قال: سَمِعْته - يَعْني ابن زَيْد - يقول: قال اللَّه لِنبيِّه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] قال: فَقال رَسول اللَّه ﷺ: «**هؤلاء قَوْمُ يَهودَ يَستَقبِلونَ بَيْتًا من بُيوت اللّه - لِبَيْتِ المقْدِس - ولو أنَّا استقْبلناه**»، فاستَقْبَلَه النّبيّ ﷺ سِتّة عَشَر شَهْرًا، فَبلَغَه أنَّ يَهود تَقولُ: واللّهِ ما دَرى مُحَمَّد وأصْحابه أيْنَ قِبْلَتهم حتّى هَدَيْناهم. فكَرِهَ ذلك النّبيّ ﷺ، ورَفَعَ وجهه إلى السّماء، فَقال اللَّه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية (٢).

وَقال آخرونَ: بل كان يَهْوَى ذلك من أجْل أنَّه كان قِبْلة أبيه إبراهيمَ عليه السّلام.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٢٣٤- حدَّثني المُثَنّى، قال: حَدثنا عبد اللَّه بن صالِح، قال: حدثني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: أنَّ رَسول اللَّه ﷺ لَمَّا هاجَر إلى المدينة، وكان أكْثر أهلها اليهود، أمَرَه اللَّه أنْ يَسْتَقبِل بَيْت المقْدِس، فَفرِحَتِ اليهود، فاستَقْبَلَها رَسول اللَّه ﷺ بضعةَ عَشَر شَهْرًا، فَكان رَسول اللَّه ﷺ يُحِبّ قِبْلة إبراهيم، فَكان يَدْعو ويَنْظُر إلى السَّماء، فأنْزَلَ اللَّه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ الآية (٣).

وَأمّا قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ فإنَّه يَعْني: فَلَنصْرِفَنَّك عن بَيْت المقْدِس إلى قِبْلة ترضاها. ويعني بقولِهِ: ﴿تَرْضَاهَا﴾ تَهْواها وتُحِبّها.

وَأمّا قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ فإنه يَعْني به: اصْرِفْ وجهك وحَوِّلْه.

وَقوله: ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يَعْني بالشَّطْرِ: النَّحْوَ والقصْدَ والتِّلْقاءَ، كما قال الهُذَليّ:

إنَّ العَسيرَ بِها داء مُخامِرُها ... فَشَطْرَها نَظَرُ العيْنَيْنِ مَحْسُورُ (٤)

يَعْني بقوله شَطْرها: نَحوها. وكَما قال ابن أحمَر:

(١)[**ضعيف**] ابن جريج ثقة مدلس لم يسمع التفسير من مجاهد، والسند إليه ضعيف فيه الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٢)[**صحيح**] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٣)[**ضعيف**] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٤)[**البسيط**] القائل: قيس بن خويلد الهذلي. ورواية الشافعي في الرسالة: (إن العسيب) بالباء في آخره. ورواية ديوانه وابن هشام: (إن النعوس). اللغة: والعسير: التي تعسر بذنبها إذا حملت، أي: تشيله وترفعه، ومنه سمي الذنب عوسرًا، أي: تضرب بذنبها. ومعنى ذلك أنه ظهر من جهدها وسوء حالها ما أطيل معه النظر إليها حتى تحسر العينان. والحسير: المعيى، وفي القرآن قوله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝﴾ [الملك: ٤] وهو يصف ناقته، ويذكر حزنه وحبه لها، فهو من الداء الذي خامرها مشفقٌ عليها، يطيل النظر إليها حتى تحسر عيناه ويكل.

تَعْدو بنا شَطْر جَمْعٍ وهيَ عاقِدةٌ قد كارَبَ العقْدُ من إيفادِها الحقَبا[(١)]

وَبِنَحْوِ الذي قُلْنا في ذلك قال أهل التّأويل.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٢٣٥- **حَدَّثَني** سُفْيان بن وكيع، قال: حَدثنا أَبي، عن سُفْيان، عن داود بن أبي هِنْد، عن ابن أبي العالية: ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قال: تِلْقاءه.[(٢)]

٢٢٣٦- **حَدَّثَني** المُثَنى، قال: حَدثنا عبد الله بن صالِح قال: حَدَّثَني مُعاوية بن صالح، عن عَليّ بن أبي طَلْحة، عن ابن عَبَّاس: ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ نَحْوه[(٣)].

٢٢٣٧- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: حَدثنا أبو عاصِم، قال: حَدثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ نَحْوه[(٤)].

٢٢٣٨- **حَدَّثَني** المُثَنى، قال: حَدثنا أبو حُذَيْفة، قال: حَدثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله[(٥)].

٢٢٣٩- **حَدَّثَنا** بشر بن مُعاذ، قال: حَدثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حَدثنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أيْ: تِلْقاء المسجِد الحرامِ[(٦)].

---

(١)[البسيط] القائل: عمرو بن أحمر الباهلي، رواية ديوانه:

تَعدو بِنا شَطرَ جَمعٍ وَهيَ موفِدَةٌ قَد قارَبَ العَقدُ مِن إيفادِها الحَقَبا

تعدو، أي: الناقة، من العدو، وهو ما قارب الهرولة، وهو دون الجري. وبنا، أي: بي وبغلامي؛ فإنه كان زميلي على الناقة. والشطر هنا بمعنى الجهة. وجمع: اسم المزدلفة؛ وسميت به إما لأن الناس يجتمعون بها، وإما لأن آدم اجتمع هناك بحواء. والعاقدة: الناقة التي قد أقرت باللقاح؛ لأنها تعقد بذنبها فيعلم أنها حملت. وقيل: العاقدة: التي تضع عنقها على عجزها. وقوله: كارب، أي: أوشك وكاد وقارب ودنا. والإيفاد: الإسراع، مصدر أوفد بالفاء، أي: أسرع. والحَقَب، بفتح المهملة والقاف: حبل يشد به الرحل إلى بطن البعير مما يلي ثيله، أي: ذكره، كي لا يجتذبه التصدير. تقول منه: أحقبت البعير. وروي أيضًا:

تعدو بنا شطر جمعٍ وهي موفِدةٌ قد قارب الغرض من إيفادها الحقبا

وموفدة: اسم فاعل بمعنى مسرعة، من الإيفاد المذكور. والغرض، بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة بعدها ضاد معجمة، ويقال له: غرضة بالضم، وهو التصدير، وهو للرجل بمنزلة الحزام للسرج، والبطان للقتب. المعنى: يقول: قد لوت عنقها وعسرت بذنبها، وتخامصت ببطنها، فقرب كل واحد من الغرض والحقب، من صاحبه، وذلك من شدة السير.

(٢)[ضعيف] من أجل سفيان بن وكيع.

(٣)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٤)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٥)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٦)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

٢٢٤٠- حدثنا الحسنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قال: نَحْو المسجِد الحرام [(١)].

٢٢٤١- حدثني المُثَنَّى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: تِلْقاءه [(٢)].

٢٢٤٢- وحدثنا القاسِم، قال: حدثنا الحُسَيْن، قال: حدثني حَجّاج، قال: قال ابن جُرَيْج: أخبَرَني عمرو بن دينار، عن ابن عَبّاس أنّه قال: ﴿شَطْرَهُ﴾ نَحْوه [(٣)].

٢٢٤٣- حدثني المُثَنَّى، قال: ثنا الحِمّاني، قال: حدثنا شَريك، عن أبي إسحاق، عن البراء: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ قال: قِبَله [(٤)].

٢٢٤٤- حدثني يونُس قال: أخبرَنا ابن وهب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿شَطْرَهُ﴾ ناحيَته، جانبه. قال: وجَوانِبُه: شُطوره [(٥)].

ثُمّ اختَلَفوا في المكان الذي أمَرَ اللّه نَبيّه ﷺ أنْ يولّي وجهه إليه من المسجِد الحرام.

فقال بعضهمْ: القِبْلة التي حوّلَ إليها النّبيّ ﷺ وعَناها اللّه جل ثناؤه بقولِه: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ حِيالَ مِيزابِ الكعْبةِ.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٢٤٥- حدثني عبد اللّه بن أبي زياد، قال: حدثنا عُثْمان بن عمر، قال: أخبرنا شُعْبة، عن يَعْلَى بن عَطاء، عن يَحْيَى بن قمِطّةَ، عن عبد اللّه بن عمرو: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ قال: حِيال مِيزابِ الكعْبة [(٦)].

٢٢٤٦- حدثنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرزّاق، قال: حدثنا هُشَيْم، عن يَعْلَى بن عَطاء، عن يَحْيَى - يعني ابن قمِطّةَ - قال: رَأيْت عبد اللّه بن عمرو جالِسًا في المسجِد الحرام بإزاءِ الميزاب، وتَلا هذه الآية: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ قال: هذه القِبْلة، هذه القِبْلة [(٧)].

٢٢٤٧- حدثنا القاسِم، قال: حدثنا الحُسَيْن، قال: حدَّثَنا هُشَيْم بإسنادِه، عن عبد اللّه بن عمرو، نَحْوه، إلاّ أنّه قال: استَقْبَلَ الميزاب فَقال: هذا القِبْلة التي قال اللّه لِنَبيِّه: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [(٨)].

---

(١)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤)[ضعيف] شريك تقدم أنه ضعيف، ويحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون بن عبد الرحمن الحماني - ضعيف كذلك يعتبر به.

(٥)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٦)[ضعيف] يحيى بن قمطة مجهول، تفرد بالرواية عنه يعلى بن عطاء.

(٧)[ضعيف] تقدم قبله. (٨)[ضعيف] تقدم قبله.

وَقال آخَرونَ: بل ذلك البيْت كُلُّه.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٢٤٨- **حَدَّثَني** عمرانُ بنُ موسى القزَّازُ، قال: حدَّثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ، قال: حدَّثنا عطاءُ بنُ السائبِ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن ابن عباسٍ، قال: البيتُ كلُّه قبلةٌ، وقبلةُ البيتِ البابُ (١).

٢٢٤٩- **حَدَّثَني** يَعْقوب بنُ إبراهيمَ، قال: حدَّثنا هشيمٌ، قال: أخبرنا عَطاء بن السَّائِب، عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عَبَّاس مثله (٢).

٢٢٥٠- **حَدَّثَني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: حَدثنا ابن عُلَيّة، عن عَطاء بن السَّائِب، عن سَعيد بن جُبَيْر، قال: قال ابن عَبَّاس: البيْت كُلُّه قِبْلةٌ، وهذه قِبْلة البيْت. يَعْني التي فيها الباب (٣).

والصَّواب من القول في ذلك عندي ما قال اللَّه جَلَّ ثَناؤه: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ فالمولِّي وجهه شَطْر المسجِد الحرام هو المُصيب القِبْلة. وَإنَّما على مَنْ تَوَجَّهَ إليه النِّيَّة بقَلْبِهِ أنَّه مُتَوَجِّه إليه، كما أنَّ على مَنْ ائْتَمَّ بإمام فَإنَّما عليه الائتِمام به وإنْ لم يكُنْ مُحاذيًا بَدَنُه بَدَنَه، وإنْ كان في طَرَف الصَّفّ والإمام في طَرَف آخَر، عن يَمينه أو عن يَساره، بعد أنْ يكون مَنْ خَلْفه مُؤتَمًّا به مُصَلِّيًا إلى الوجْه الذي يُصَلِّي إليه الإمام. فَكَذلك حُكْم القِبْلة، وإنْ لم يُحاذِها كُلّ مُصَلٍّ ومُتَوَجِّه إليها ببَدَنِه، غير أنَّه مُتَوَجِّه إليها. وإنْ كان عن يَمينها أو عن يَسارها مُقابِلها، فهو مُسْتَقْبِلها، بعد ما بينه وبينها أو قَرُبَ، مِن عن يَمينها أو عن يَسارها، بعد أنْ يكون غير مُسْتَدْبِرها، ولا مُنْحَرِفٍ عنها ببَدَنِه ووَجْهه. **كَما:**

٢٢٥١- **حَدَّثَنا** أحمَد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: حَدثنا أبو أحمَد الزُّبَيْريّ، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عَمِيرة بن زياد الكِنْديّ، عن عَليٍّ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ قال: شَطْره فينا قِبَلَه (٤).

وقِبْلة البيْت الحرام: بابُه. **كَما:**

٢٢٥٢- **حَدَّثَني** يَعْقوب بن إبراهيم والفضْل بن الصَّبَّاح، قالا: حَدثنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا عبد الملِك، عن عَطاء قال: قال أُسامة بن زَيْد: رَأيْت رَسول اللَّه ﷺ حين خَرَجَ من البيْت أقْبَلَ بوَجْهِهِ إلى الباب فَقال: «**هذه القِبْلةُ، هذه القِبْلةُ**» (٥).

(١)[ضعيف]مداره على عطاء بن السائب، وكل من رواه عنه لم يُذكر فيمن سمع منه قبل الاختلاط.

(٢)[ضعيف]تقدم قبله.

(٣)[ضعيف]تقدم قبله.

(٤)[ضعيف]مداره على السبيعي، وهو مدلس ولم يصرح، وعميرة بن زياد الكندي مجهول، تفرد بالرواية عنه السبيعي.

(٥)[ضعيف]عطاء بن أبي رباح عن أسامة مرسل.

٢٢٥٣- **حدّثنا** ابن حُمَيْد وسُفيان، قالا: حدثنا جَرير بن عبد الحميد، عن عبد الملِك بن أبي سُلَيمان، عن عَطاء، قال: حَدثَني أُسامة بن زَيْد، قال: خَرجَ النّبيّ ﷺ من البيْت، فَصلّى رَكْعَتَيْنِ مُسْتقْبِلاً بوَجْهه الكعْبة، فَقال: «**هذه القِبْلة**» مرَّتَيْنِ (١).

٢٢٥٤- **حدّثنا** أبو كُرَيْب، قال: حدثنا عبد الرّحيم بن سُلَيْمان، عن عبد الملِك، عن عَطاء، عن أُسامة بن زَيْد، عن رَسول اللّه ﷺ نَحْوه (٢).

٢٢٥٥- **حدّثنا** سَعيد بن يَحْيَى الأُمَويّ، قال: حدثنا أَبيّ، قال: حدثنا ابن جُرَيْج، قال: قُلت لِعَطاءٍ: أَسَمِعْتَ ابن عبّاس يقول: إنّما أُمِرْتُم بالطّوافِ، ولم تُؤمَروا بدُخوله؟ قال: لم يكُنْ يَنْهَى عن دُخوله، ولكِنّي سَمِعْته يقول: أخْبَرَني أُسامة بن زَيْد أنّ رَسول اللّه ﷺ لَمّا دَخلَ البيْت دَعا في نَواحيه كُلّها، ولم يُصلّ حتى خَرجَ، فَلمّا خَرجَ رَكَعَ في قُبُل القِبْلة رَكْعَتَيْنِ، وقال: «**هذه القِبْلة**» (٣).

فَأخْبَرَ ﷺ أنّ البيْت هو القِبْلة، وأنّ قِبْلة البيْت بابه.

القول في تأويل قوله عز وجل: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾

يَعْني بذلك جَلّ ثَناؤه: وأيْنَما كُنتُم من الأرض أيّها المُؤمِنونَ، فَحَوّلوا وُجوهكُم في صَلاتكُم نَحو المسجِد الحرام وتِلْقاءَه.

والهاء التي في ﴿شَطْرَهُۥ﴾ عائِدة إلى المسجِد الحرام. فَأوجَبَ جَلّ ثَناؤه بهذه الآية على المُؤمِنينَ فَرْض التّوَجّه نَحو المسجِد الحرام في صَلاتهم حَيْثُما كانوا من أرض اللّه، وأُدْخِلَتِ الفاء في قوله: ﴿فَوَلُّوا۟﴾ جوابًا لِلْجزاءِ، وذلك أنّ قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ جزاءٌ، ومعناه: حَيْثُما تَكونوا فَوَلّوا وُجوهكُم شَطْره.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾

يَعْني بقولِه جَلّ ثَناؤه: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أحبار اليهود وعُلَماء النّصارَى.

وَقد قيلَ: إنّما عَنَى بذلك اليهودَ خاصّة.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٢٥٦- **حدّثنا** موسَى، قال: حدثنا عمرٌو، قال: حدثنا أسباطُ، عن السُّدّيّ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ قال: أُنْزِلَ ذلك في اليهود (٤).

وَقوله: ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يَعْني به هؤلاء الأحبارَ والعُلَماءَ من أهل الكِتاب،

---

(١)[ضعيف] سفيان بن وكيع، ومحمد بن حميد كلاهما ضعيفان، لا يقوي أحدهما الآخر، وهذا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس، كما سيأتي بعده بواحد.

(٢)[ضعيف] تقدم قبله.

(٣)[صحيح] أخرجه مسلم[١٣٣٠] وغيره.

(٤)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

يَعلَمونَ أنَّ التوَجُّه نَحْو المسجِد الحرام الحقُّ الذي فَرَضه اللَّه عزَّ وجَلّ على إبراهيم وذُرّيّته وسائِر عِباده بعده.

وَيَعْني بقولِه: ﴿مِن رَّبِّهِمْۗ﴾ أنّه الفرْض الواجِب على عِباد اللَّه تعالى ذِكْره، وهو الحقّ من عند رَبّهم، فَرَضَه عليهم.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤﴾

يَعْني بذلك جل ثناؤه: ولَيْسَ اللَّه بغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلونَ أيّها المُؤمِنونَ في اتِّباعكُم أمْره، وانتِهائِكُم إلى طاعَته فيما ألزَمَكُم من فَرائِضه، وإيمانكُم به في صَلاتكُم نَحْو بَيْت المقْدِس، ثُمّ صَلاتكُم من بعد ذلك شَطْر المسجِد الحرام، ولا هو ساهٍ عنه، ولَكِنّه جَلّ ثَناؤه مُحْصِيه لكم، ومُدَّخِرُه لكم عنده، حتّى يُجازيكُم به أحسَن جَزاء، ويُثيبكُم عليه أفضَل ثَواب.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ﴾

يَعْني بذلك جل ثناؤه: ولَئِنْ جِئْت يا مُحَمَّد اليهود والنّصارَى بكُلِّ بُرْهان وحُجّة، وهيَ الآية، بأنَّ الحقّ هو ما جِئْتهم به من فَرْض التّحَوُّل من قِبْلة بَيْت المقْدِس في الصّلاة إلى قِبْلة المسجِد الحرام، ما صَدَّقوا به ولا اتَّبَعوا - مع قيام الحُجّة عليهم بذلك - قِبلَتك التي حَوَّلْتُك إليها، وهيَ التّوَجُّه شَطْر المسجِد الحرام.

وَأُجيبَتْ ﴿وَلَئِنۡ﴾ بالماضي من الفِعْل، وحُكْمها الجواب بالمُسْتَقْبَلِ، تَشْبيهًا لها بـ (لو)، فَأُجيبَتْ بما تُجاب به (لو) لِتَقارُبِ معنَيَيْهِما. وقد مَضَى البيان عن نَظير ذلك فيما مَضَى.

وَأُجيبَتْ ﴿وَلَئِنۡ﴾ بجَوابِ الأيْمان، ولا تَفْعَل العرب ذلك إلاّ في الجزاء خاصّة؛ لأنَّ الجزاء مُشابِه اليمين في أنَّ كُلَّ واحِد منهُما لا يَتِمُّ أوّله إلاّ بآخِره، ولا يَتِمُّ وحْده، ولا يَصِحّ إلاّ بما يُؤَكَّد به بعده. فَلَمَّا بَدَأ باليمينِ فَأُدْخِلَتْ على الجزاء، صارَتِ اللاّم الأولَى بمَنْزِلةِ يَمينٍ، والثّانية بمَنْزِلةِ جَوابٍ لها، كما قيلَ: لَعُمْرك: لَتَقومَنَّ، إذْ كَثُرَتِ اللاّم من (لَعُمْرك) حتى صارَتْ كَحَرْفٍ من حُروفه، فَأُجيبت بما تجاب به الأيْمان، إذْ كانتِ اللاّم تَنوب في الأيْمان عن الأيْمان دون سائِر الحُروف غيرها التي هي أجوبة الأيْمان، فَتَدُلّ على الأيْمان، وتَعْمَلُ عَمَل الأجْوبة، ولا تَدُلُّ سائِر أجْوِبة الأيْمان لنا على الأيْمان، فَشُبِّهَتِ اللاّم التي هي جَوابٌ للأيْمان بالأيْمانِ، لِما وصَفْنا، فَأُجيبَتْ بأجْوبَتِها.

فَكان معنى الكلام، إذ كان الأمْر على ما وصَفْنا: واللهِ لو أتَيْتَ الذينَ أوتوا الكِتاب بكُلِّ آية ما تَبِعوا قِبْلَتك.

وَأمّا قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ يقول: وما لَك من سَبيلٍ يا مُحَمَّد إلى اتِّباع قِبْلَتهم، وذلك أنَّ اليهود تَسْتَقْبِل بَيْت المقْدِس بصَلاتِها، وأنَّ النّصارَى تَسْتَقْبِل المشْرِق، فَأنّى يكون لَك السّبيل إلى اتِّباع قِبْلَتهم مع اختِلاف وُجوهها؟! يقول: فالزَم قِبْلَتك التي أُمِرْت بالتّوَجُّه إليها، ودَعْ عنك

ما تَقوله اليهود والنّصارَى، وتَدْعوك إليه من قِبْلَتهم واستِقْبالها.

وَأَمّا قوله: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ فَإِنَّه يَعْني: وما اليهود بتابِعةٍ قِبْلة النّصارَى، وما النّصارَى بتابعةٍ قِبْلة اليهود، فَمُتَوَجِّهة نَحْوها. كَما:

٢٢٥٧- حَدَّثَني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: حَدثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يقول: ما اليهود بتابِعي قِبْلة النّصارَى، ولا النّصارَى بتابِعي قِبْلة اليهود. قال: وإنّما أُنزلَتْ هذه الآية من أجل أنَّ النّبيَّ ﷺ لَمّا حوّلَ إلى الكعْبة، قالتِ اليهود: إنَّ مُحَمَّدًا اشْتاقَ إلى بَلَد أبيه ومولِده، ولو ثَبَتَ على قِبْلَتنا لَكُنّا نَرْجو أنْ يكون هو صاحِبنا الذي نَنْتَظِر. فَأَنزَلَ اللّه جل ثناؤه فيهم: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

٢٢٥٨- وحَدَّثَني يونُس بن عبد الأعلى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ مِثْل ذلك (٢).

وَإِنَّما قلنا: يَعْني جَلّ ثَناؤه بذلك أنَّ اليهود والنّصارَى لا تَجْتَمِع على قِبْلة واحِدة، مع إقامة كُلّ حِزْب منهم على مِلّته. فَقال تعالى ذِكْره لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ: يا مُحَمَّد لا تُشْعِرْ نَفْسك رِضا هؤلاء اليهود والنّصارَى، فَإِنَّه أمْر لا سَبيل إليه؛ لأنّهم مع اختِلاف مِلَلهم لا سَبيل لَك إلى إرْضاء كُلّ حِزْب منهم، من أجل أنّك إنْ اتَّبَعْت قِبْلة اليهود أسخَطْت النّصارَى، وإنْ اتَّبَعْت قِبْلة النّصارَى أسخَطْت اليهود، فَدَعْ ما لا سَبيل إليه، وادْعُهم إلى ما لهم السّبيل إليه، من الاجْتِماع على مِلّتك الحنيفيّة المُسْلِمة، وقِبْلَتك قِبْلة إبراهيم صلوات الله عليه والأنْبياء من بعده.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه:

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

يَعْني بقولِه جَلّ ذِكره: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ ولَئِنْ التَمست يا مُحَمَّد رِضا هؤلاء اليهود والنّصارَى الذينَ قالوا لَك ولأَصْحابِك: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥]. فاتَّبَعْت قِبْلَتهم، يَعْني: فَرَجَعْتَ إلى قِبْلَتهمْ.

وَيَعْني بقولِه: ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ من بعد ما وصَلَ إليك من العِلْم، بإعْلامي إيّاكَ أنّهم مُقيمونَ على باطِل، وعلى عِناد منهم لِلْحَقّ، ومعرفة منهم بأنَّ القِبْلة التي وجَّهْتُك إليها هي القِبْلة التي فَرَضْتُ على أبيك إبراهيم صلوات الله عليه وسائِر ولَده، ومن بعده من الرُّسُل، التَوَجُّه نَحْوَها.

﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يَعْني: أنّك إذا فَعَلْت ذلك، من عِبادي الظّلَمة أنْفسهمْ، المُخالِفينَ أمْري، والتّارِكينَ طاعَتي، وأحَدهم وفي عِدادهمْ.

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٢)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ:
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾

يَعْني جَلَّ ثَناؤه بقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ أحبار اليهود وعُلَماء النّصارَى. يقول: يَعْرِف هؤلاء الأحبار من اليهود، والعُلَماء من النّصارَى، أنَّ البيْت الحرام قِبْلَتُهم وقِبْلةُ إبراهيمَ وقِبْلة الأنبياء قَبْلك، كما يَعْرِفونَ أبناءَهم. كَما:

٢٢٥٩- **حَدَّثَنا** بشر بن مُعاذ، قال: حدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حدثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ يقول: يَعْرِفونَ أنَّ البيْت الحرام هو القِبْلة (١).

٢٢٦٠- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حدَّثَنا إسحاق، قال: حدَّثَنا عبد اللَّه بن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع في قول اللَّه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ يَعْني القِبْلة (٢).

٢٢٦١- **حُدِّثْت** عن عَمَّارٍ، قال: حدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ عَرَفوا أنَّ قِبْلة البيْت الحرام هي قِبْلَتهم التي أُمِروا بها، كما عَرَفوا أبناءَهم (٣).

٢٢٦٢- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثَني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ يَعْني بذلك الكعْبة البيْت الحرام (٤).

٢٢٦٣- **حَدَّثَني** موسَى بن هارونَ، قال: حدَّثَنا عمرٌو، قال: حدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ يَعْرِفونَ الكعْبة أنها هي قِبْلة الأنْبياء، كما يَعْرِفونَ أبناءَهم (٥).

٢٢٦٤- **حَدَّثَني** يونُس قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ قال: اليهود يَعْرِفونَ أنَّها هي القِبْلة مَكَّةُ (٦).

٢٢٦٥- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حدَّثَنا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، قال: قال ابن جُرَيْج في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ قال: القِبْلة والبيْت (٧).

---

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣)[ضعيف] تقدم قبله، وهذا من معلقات المصنف.

(٤)[ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء.

(٥)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٦)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٧)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ:
﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٤٦﴾

يقول جَلّ ثناؤه: وإنَّ طائِفة من الذينَ أوتوا الكِتاب، وهم اليهود والنّصارَى.

وَكان مُجاهِد يقول: هم أهل الكِتاب.

٢٢٦٦- **حَدَّثني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدَّثَنَا أبو عاصِم، قال: حدثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد بذلك[(١)].

٢٢٦٧- **حَدَّثنا** القاسِم، قال: حدَّثَنَا الحُسَيْن، قال: حَدَّثني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، مِثْله[(٢)].

٢٢٦٨- **حَدَّثني** المُثَنَّى، قال: حدَّثَنَا أبو حُذَيْفة، قال: حدَّثَنَا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد مِثْله[(٣)].

﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ وذلك الحقّ هو القِبْلة التي وجَّهَ اللَّه عَزَّ وجَلّ إليها نَبيّه مُحَمَّدًا ﷺ، بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] التي كانتِ الأنبياء من قَبْل مُحَمَّد ﷺ يَتوَجَّهونَ إليها. فَكَتَمَتْها اليهود والنّصارَى، فَتَوَجَّهَ بعضهم شَرْقًا، وبعضهم بَيْت المقْدِس، ورَفَضوا ما أمَرَهم اللَّه به، وكَتَموا مع ذلك أمْر مُحَمَّد ﷺ، وهم يجِدونَه مَكْتوبًا عندهم في التَّوْراة والإنْجيل، فَأطلَعَ اللَّه عَزَّ وجَلّ نبيه مُحَمَّدًا ﷺ وأُمَّته على خيانَتهم اللَّهَ تَبارَكَ وتعالى وعِبادَه، بكِتمانهم ذلك، وأخْبَرَ أنَّهم يَفْعَلونَ ما يَفْعَلونَ من ذلك على عِلْم منهم بأنَّ الحقّ غيرُه، وأنَّ الواجِب عليهم من اللَّه جَلّ ثَناؤه خِلافُه، فَقال: ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنه لَيْسَ لهم كِتْمانُه، فَيَتَعَمَّدونَ معصية اللَّهِ تَبارَكَ وتعالى كما:

٢٢٦٩- **حَدَّثنا** بِشر بن مُعاذ، قال: حدَّثَنَا يَزيد بن زُرَيْع، قال: حدَّثَنَا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فكَتَموا مُحَمَّدًا ﷺ[(٤)].

٢٢٧٠- **حَدَّثنا** المُثَنَّى، قال: حدَّثَنَا أبو حُذَيْفة، قال: حدَّثَنَا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: يكْتُمونَ مُحَمَّدًا ﷺ، وهم يجِدونَه مَكْتوبًا عندهم في التَّوْراة والإنْجيل[(٥)].

---

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٣)[ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي، ضعيف، يكتب حديثه.

(٤)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٥)[ضعيف] المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي، ضعيف، يكتب حديثه.

٢٢٧١- **حدثنا** المُثنى قال: حدَّثَنا إسحاق، قال: حدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يَعْني القِبْلة (١).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

يقول جَلّ ثَناؤه: اعْلم يا مُحَمَّد أنَّ الحقّ ما أعْلَمَك رَبُّك وأتاك من عنده، لا ما يقول لَك اليهود والنّصارَى. وَهذا من اللّه جل وعز خَبَر لِنَبيِّه ﷺ، عن أنَّ القِبْلة التي وجَّهه نَحوها هي القِبْلة الحقّ التي كان عليها إبراهيم خَليلُ الرّحْمَن، ومَنْ بعده من أنبياء اللّه. يقول تعالى ذِكْره له: فاعْمَلْ بالحقِّ الذي أتاك من رَبّك يا مُحَمَّد، ولا تَكونَنَّ من المُمْتَرينَ، يَعْني بقولِه: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أيْ: فلا تَكونَنَّ من الشَّاكّينَ في أنَّ القِبْلة التي وجَّهْتُك نَحوها قِبْلة إبراهيم خَليلي وقِبْلةُ الأنبياءِ غيرِه كما:

٢٢٧٢- **حدّثني** المُثَنى، قال: حَدَّثني إسحاق، قال: حدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع، قال: قال اللّه لِنَبيِّه ﷺ: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ يقول: لا تَكُنْ في شَكٍّ، فإنَّها قِبْلَتُك وقِبْلة الأنبياء قَبْلك (٢).

٢٢٧٣- **حدّثني** يونُس قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ قال: من الشَّاكّينَ؛ لا تَشُكَّنَّ في ذلك (٣).

وإنما المُمْتَرِي مُفْتَعِلٌ، من المِرْية، والمِرْية هي الشّكّ، ومنه قول الأعْشَى:

تَـدِرُّ عـلـى أسـؤُقِ الـمُـمْـتَـريـ ... نَ رَكْضًا إذا ما السّرابُ ارْجَحَنْ (٤)

فَإنْ قال قائِل: أوَ كان النّبيّ شاكًا في أنَّ الحقّ من رَبّه، أو في أنَّ القِبْلة التي وجَّهَه اللّه إليها حَقٌّ من اللّه، حتَى نُهِيَ عن الشّكّ في ذلك، فَقيلَ له: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾؟

قيلَ: ذلك من الكلام الذي تُخرجه العرب مَخرَجَ الأمْر أو النّهْي لِلْمُخاطَبِ به، والمُراد به غيرُه، كما قال جَلّ ثَناؤه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ ثُمّ قال: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ١، ٢]. فَخَرَجَ الكلام مَخرَجَ الأمْر لِلنَّبيّ والنّهْي له، والمُراد به أصْحابه المُؤمِنونَ به. وَقد بَيَّنّا نَظير ذلك فيما مَضَى قَبْل بما أغْنَى عن إعادَتِه.

---

(١)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٤)[المتقارب] القائل: الأعشى. اللغة: در الفرس يدر دريرًا ودرة: عدا عدوًا شديدًا، لا يثنيه شيء. والأسوق جمع ساق، ويجمع أيضًا على: سُوق وسِيقان. والمِرْيةُ والمُرْيةُ: الشّكُّ والجدَل، بالكسر والضم، وقرئ بهما قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]. وارجحن السراب: ارتفع واتسع واهتز، وذلك في وقت ارتفاع الشمس. المعنى: يصف الشاعرُ خيلاً مغاوير لقيس بن معد يكرب الكندي، أغارت على قوم مسرعة حثيثة، فبينا هم يتمارون إذ غشيتهم الخيل فصرعتهم، فوطئتهم وطئًا شديدًا، ومرت على سيقانهم عدوًا.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤُهُ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾

يَعْني بقولِه: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ ولِكلِّ أهل مِلّةٍ. فَحَذَفَ أهل مِلّة، واكْتَفَى بدَلالةِ الكلام عليه. كَما:

٢٢٧٤- **حَدَّثني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: حَدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حَدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ قال: لِكُلِّ صاحِب مِلّة(١).

٢٢٧٥- **وحَدَّثَني** المُثَنّى، قال: حَدَّثَنا إسحاق، قال: حَدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ فَلِلْيَهودِيّ وِجْهةٌ هو موَلّيها، ولِلنّصارِيّ وِجْهةٌ هو موَلّيها، وهَداكُم اللَّه أنتم أيّتها الأُمّة لِلقِبْلةِ التي هي قبلةٌ(٢).

٢٢٧٦- **حَدَّثَني** القاسِم، قال: حَدَّثَني الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قُلْت لِعَطاءِ: قولُه: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ قال: كُلُّ أهل دين؛ اليهود والنّصارَى. قال ابن جُرَيْج: قال مُجاهِد: لِكُلِّ صاحِب مِلّة(٣).

٢٢٧٧- **حَدَّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ قال: لِلْيَهودِ قِبْلةٌ. ولِلنّصارَى قِبْلة. ولكم قِبْلةٌ. يُريد المُسْلِمينَ(٤).

٢٢٧٨- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن سَعْد، قال: حَدَّثَني أبي، قال: حَدَّثَني عَمّي، قال: حَدَّثَني أبي، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾. يَعْني بذلك أهلَ الأدْيانِ، يقول: لِكُلِّ قِبْلةٌ يَرْضَوْنَها، ووَجْهُ اللَّه حَيْثُ تَوَجَّهَ المُؤمِنونَ، وذلك أنَّ اللَّه قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥](٥).

٢٢٧٩- **حَدَّثَني** موسَى، قال: حَدَّثَنا عمرٌو، قال: حَدَّثَنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يقول: لِكُلِّ قَوْم قِبْلة قد وُلُّوها(٦).

فَتأويل أهل هذه المقالة في هذه الآية: ولِكُلِّ أهل مِلّة قِبْلة هو مُسْتَقْبِلها ومُوَلّ وجهه إليها.

وَقال آخَرونَ بما:

٢٢٨٠- **حَدَّثنا** به الحَسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾. قال: هي صَلاتهم إلى بَيْت المقْدِس، وصَلاتهم إلى الكعْبة(٧).

وَتأويلُ قائِلي هذه المقالة: ولِكُلِّ ناحية وجَّهَك إليها رَبّك يا مُحَمَّد قِبْلة، اللَّه موَلّيها عِبادَه.

وَأمّا الوِجْهة، فإنّها مَصْدَر مِثْل القِعْدة والمِشْية، من التّوَجُّه، وتأويلها: مُتَوَجَّهٌ يَتَوَجّه إليه

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

(٤)[صحيح] سنده متصل ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

(٥)[ضعيف] فيه عائلة العوفي الضعفاء. (٦)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٧)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف. وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

بوَجْهِه في صَلاته . كَما :

٢٢٨١- **حَدَّثني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وِجْهَةٌ﴾ . قِبْلة[(١)] .

٢٢٨٢- **حَدَّثني** المُثَنى، قال: حدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حدَّثَنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله[(٢)] .

٢٢٨٣- **حَدَّثَني** المُثَنى، قال: حدَّثَنا إسحاق، قال: حدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ قال: وجهٌ[(٣)] .

٢٢٨٤- **حَدَّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد: ﴿وِجْهَةٌ﴾: قِبْلة[(٤)] .

٢٢٨٥- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: حدَّثَنا جَرير، قال: قُلْت لِمَنْصورٍ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ قال: نَحْنُ نَقْرَؤُها: (ولِكُلٍّ جَعَلْنا قِبْلة يَرْضَوْنَها)[(٥)] .

وَأمّا قوله: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ . فَإنَّه يَعْني: هو موَلٍّ وجهه إليها، ومُسْتَقبِلُها . **كَما**:

٢٢٨٦- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدَّثَنا أبو عاصِم، قال: حدَّثَنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ قال: هو مُسْتَقبِلها[(٦)] .

٢٢٨٧- **حَدَّثَني** المُثَنى، قال: حدَّثَنا أبو حُذَيْفة، قال: حدَّثَنا شِبْل عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله[(٧)] .

وَمعنى التَّوْلية هاهُنا: الإقْبال، كما يقول القائِل لِغيرِه: انصَرِفْ إلَيَّ، بمعنى أقْبِلْ إلَيَّ . والانصِراف المُسْتَعْمَل إنَّما هو الانصِراف عن الشَّيْء، ثُمّ يُقال: انصَرَفَ إلى الشَّيْء . بمعنى: أقْبَلَ إليه مُنْصَرِفًا عن غيره . وَكَذلك يُقال: ولَّيْت عنه . إذا أدْبَرْتَ عنه . ثُمّ يُقال: ولَّيْت إليه . بمعنى: أقْبلت إليه موليًا عن غيره .

---

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله .

(٢)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه .

(٣)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال .

(٤)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله .

(٥)[حسن] هذا سند ضعيف فيه ابن حميد شيخ المصنف، ولكن أخرجه السجستاني في المصاحف بسند حسن، فقال: حدثنا يوسف بن موسى قال: سمعت جريرًا يقول: سألت منصورًا عن قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾، فقال: نحن نقرأ: (ولكل جعلنا قبلة يرضونها) بالياء . اهـ .

(٦)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله .

(٧)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، ولكن تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق .

والفِعْل - أعْني التَوْلِيةَ - في قوله: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ لـ(لكُلّ) و﴿هُوَ﴾ التي مع ﴿مُوَلِّيهَا﴾ هي الكُلُّ، وُحِّدَتْ لِلَفظِ الكُلّ. فمعنى الكلام إذًا: ولِكُلّ أهل مِلّة وِجْهةٌ، الكُلُّ منهم مولّوها وُجوههَمْ.

وَقد رُويَ عن ابن عبَّاس وغيره أنَّهم قرَءوها: (هو مُوَلَّاها). بمعنى أنَّه مُوَجَّهٌ نَحوها. ويكون الكل حينئذٍ غير مُسَمًّى فاعِله، ولو سُمِّيَ فاعِله لَكان الكلام: ولِكُلّ ذي مِلّة وِجْهةٌ، اللّهُ مولّيه إيَّاها. بمعنى: موَجِّهُه إليها.

وَقد ذُكِرَ عن بعضهم أنَّه قَرأ ذلك: (ولِكُلِّ وِجْهةٍ هو موليها) بتَرْكِ التّنْوين والإضافة.

وَذلك لَحنٌ لا تَجوز القِراءة به؛ لأنَّ ذلك إذا قُرِئَ كذلك، كان الخبَر غير تامٍّ، وكان كَلامًا لا معنى له، وذلك غير جائِز أنْ يكون من اللّه تعالى ذكره.

والصَّواب عندنا من القِراءة في ذلك: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ بمعنى: ولِكُلّ وِجْهةٌ وقِبْلة، ذلك الكُلُّ موَلٍّ وجهه نَحوها؛ لِإجماعِ الحُجّة من القَرَأةِ على قِراءة ذلك كذلك، وتَصْويبِها إيَّاها، وشُذوذ مَنْ خالَفَ ذلك إلى غيره، وَما جاء به النّقْل مُسْتَفيضًا فَحُجَّةٌ، وما انفرَدَ به مَنْ كان جائِزًا عليه السّهْو والغَلطُ، فَغير جائِز الاعْتِراض به على الحُجّة.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

يَعْني جلَّ ثناؤُهُ بقولِه: ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾: فَبادِروا وسارِعوا، من الاستِباق، وهو المُبادَرة والإسراع. كَما:

٢٢٨٨- **حدَّثني** المُثَنّى قال: حدَّثَني إسحاق، قال: حدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾. يقول: فَسارِعوا في الخيْرات(١).

وَإنّما يَعْني جلَّ ثناؤُهُ بقولِه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أيْ: قد بَيَّنْت لكم أيّها المُؤمِنونَ الحقّ، وهَدَيْتُكم لِلْقِبْلةِ التي ضَلَّتْ عنها اليهود والنّصارَى، وسائِر أهل المِلَل غيرِكم، فَبادِروا بالأعْمالِ الصَّالِحة، شُكْرًا لِربِّكم، وتَزَوَّدوا في دُنْياكُم لآخرتِكم، فَإنّي قد بَيَّنْت لكم سَبيل النّجاة، فلا عُذْر لكم في التّفْريط، وحافِظوا على قِبْلَتكم، فلا تُضَيِّعوها كما ضَيَّعَتْها الأُمَم قَبْلكُم، فَتَضِلّوا كما ضَلَّتْ كالذي:

٢٢٨٩- **حدّثنا** بشر بن مُعاذ، قال: حدَّثَنا يَزيد بن زُرَيْعٍ، قال: حدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يقول: لا تُغْلَبُنَّ على قِبْلَتكم(٢).

٢٢٩٠- **حدّثني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ قال: الأعْمال الصَّالِحة(٣).

---

(١)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

القول في تأويل قوله:

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

ومعنى قوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ في أيِّ مكان وبقعة تهلِكون فيه، يأتِ بكم الله جميعًا يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. كما:

٢٢٩١- **حُدِّثْتُ** عن عمارٍ، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ يقول: أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا يوم القيامة [(١)].

٢٢٩٢- **حَدَّثَنا** موسى، قال: حدثنا عمرٌو، قال: حدثنا أسباطُ، عن السدي: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾. يعني يومَ القيامة [(٢)].

وإنما حضَّ اللهُ المؤمنين بهذه الآية على طاعته، والتزوُّد في الدنيا للآخرة، فقال جل ثناؤه لهم: فاستبقوا أيها المؤمنون إلى العمل بطاعة ربكم، ولزوم ما هداكم له من قبلة إبراهيم خليله وشرائع دينه، فإن الله يأتي بكم وبمن خالف قبلَتكم ودينكم وشريعتكم جميعًا يوم القيامة، من حيث كنتُم من بقاع الأرض، حتى يوفِّيَ المحسنَ منكم جزاءه بإحسانه، والمسيءَ عقابه بإساءته، أو يتفضَّلَ فيصفَحَ.

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فإنه تعالى ذكره يعني: إنَّ الله على جَمْعكم -بعد مماتكم- من قبوركم إليه، من حيث كنتم وكانت قبوركم، وعلى غير ذلك مما يشاء قادرٌ، فبادروا خروجَ أنفسكم بالصالحات من الأعمال قبل مماتكم، ليومِ بعثكم وَحشرِكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

يَعْني جَلّ ثَناؤه بقولِه: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ ومن أيِّ موضِع خَرَجْت إلى أيِّ موضِع وجَّهْت، فَوَلِّ يا مُحَمَّد وجهك. يقول: حَوِّلْ وجهك.

وَقد دَلَّلْنا على أنَّ التَّوْلية في هذا الموضِع شَطْر المسجِد الحرام، إنَّما هي الإقْبال بالوجْه نَحْوه، وقد بَيَّنَّا معنى الشَّطْرِ فيما مَضَى.

وَأمَّا قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ﴾ فَإنَّه يَعْني به جل ثناؤه: وإنَّ التَّوَجُّه شَطْره لَلْحَقّ الذي لا شَكَّ فيه من عند رَبِّك، فَحافِظوا عليه، وأطيعوا اللّه في بتَوَجُّهكُم قِبَله.

وَأمَّا قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فَإنَّه يقول: فَإنَّ اللّه لَيْسَ بساهٍ عن أعْمالكُم ولا بغافِلٍ عنها، ولَكِنّه مُحْصيها لكم حتى يُجازيكُم بها يوم القيامة.

---

(١)[ضعيف] من معلقات المصنف.

(٢)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

القول في تأويل قوله:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾

يَعْني بقولِه: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ومن أيِّ مَكانٍ وبُقْعةٍ شَخَصْتَ فَخَرَجْتَ يا مُحَمَّد، فَحوِّلْ وجهك تِلْقاء المسجد الحرام، وهو شَطْره.

ويَعْني بقولِه: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ وأينما كُنْتُم أيّها المُؤْمِنونَ من أرض اللّه، فوَلُّوا وُجوهكُم في صَلواتِكُم تُجاهه وقِبَله وقَصْدَه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُهُ:

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾

فَقال جَماعة من أهل التّأويل: عَنَى اللّه بالنَّاسِ في قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ أهل الكِتاب.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٢٩٣- **حدَّثنا** بشْرٌ، قال: حدَّثَنا يَزيد، قال: حدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يَعْني بذلك أهل الكِتاب، قالوا حين صُرِفَ نَبيُّ اللّه إلى الكعْبة البيْت الحرام: اشْتاقَ الرّجُل إلى بَيْت أبيه ودين قَوْمه (١).

٢٢٩٤- **حدَّثني** المُثَنّى، قال: حدَّثَنا إسحاق، قال: حدَّثَنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع في قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يَعْني بذلك أهل الكِتاب، قالوا حين صُرِفَ نَبيّ اللّه إلى الكعْبة: اشْتاقَ الرّجُل إلى بَيْت أبيه ودين قَوْمه (٢).

فإنْ قال قائِلٌ: فَأيَّةُ حُجّةٍ كانتْ لأهلِ الكِتاب بصَلاةِ رَسول اللّه وأصْحابه نَحْو بَيْت المقْدِس على رَسول اللّه ﷺ وأصْحابه؟ قيلَ: قد ذَكَرْنا فيما مَضَى ما رويَ في ذلك، قيلَ: إنّهم كانوا يقولونَ: ما دَرَى مُحَمَّد وأصْحابه أيْنَ قِبْلَتُهم حتّى هَدَيْناهم نَحْنُ! وقولهمْ: يُخالِفنا مُحَمَّد في ديننا ويَتّبَع قِبْلَتنا! فَهيَ الحُجّة التي كانوا يَحْتَجّونَ بها على النبيِّ ﷺ وأصْحابه، على وجه الخُصومة منهم لهم، والتّمْويه منهم بها على الجُهّال وأهل الغَباءِ من المُشْرِكينَ.

وَقد بَيَّنَّا فيما مَضَى أنَّ معنى حِجاج القَوْم إيَّاه الذي ذَكَرَه اللّه في كِتابه إنّما هي الخُصومات والجِدال، فَقَطَعَ اللّه ذلك من حُجّتهم وحَسَمَه، بتَحْويلِ قِبْلة نَبيّه ﷺ والمُؤْمِنينَ به، من قِبْلة اليهود إلى قِبْلة خَليله إبراهيم عليه السّلام.

فذلك هو معنى قول اللّه: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يَعْني بـ (النَّاسِ)، الذينَ كانوا يَحْتَجّونَ عليهم بما وصَفْتُ.

وَأمّا قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ فَإنّهم مُشْرِكو العرب من قُرَيْش، فيما تأوّلَه أهل التّأويل.

---

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٢٩٥- **حَدَّثني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدَّثَنَا أبو عاصِم، قال: حدَّثَنَا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾: قَوْمُ مُحَمَّد ﷺ[١].

٢٢٩٦- **حَدَّثَني** موسَى، قال: حدَّثَنَا عمرٌو، قال: حدَّثَنَا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: هم المُشرِكونَ من أهل مَكَّة[٢].

٢٢٩٧- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حدَّثَنَا إسحاق، قال: حدَّثَنَا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾: يَعْني مُشرِكي قُرَيْش[٣].

٢٢٩٨- **حَدَّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرَّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة وابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ قال: هم مُشرِكو العرب[٤].

٢٢٩٩- **حَدَّثَنا** بشرٌ، قال: حدَّثَنَا يَزيد، قال: حدثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾: والذينَ ظَلَموا مُشرِكو قُرَيْش[٥].

٢٣٠٠- **حَدَّثَنا** القاسِم، قال: حدَّثَنَا الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال عَطاء: هم مُشرِكو قُرَيْش. قال ابن جُرَيْج: وأخبَرَني عبد اللَّه بن كَثير أنَّه سَمِعَ مُجاهِدًا يقول مِثْلَ قولِ عَطاءٍ[٦].

فإنْ قال قائِل: فأيَّةُ حُجَّة كانتْ لِمُشرِكي قُرَيْش على رَسول اللَّه وأصْحابه في تَوَجُّههم في صَلاتهم إلى الكعْبة؟ وهَلْ يجوز أنْ يكون لِلْمُشرِكينَ على المُؤمِنينَ - فيما أمَرَهم اللَّه به أو نَهاهم عنه - حُجَّة؟

قيلَ: إنَّ معنى ذلك بخِلافِ ما تَوَهَّمْتَ وذَهَبْت إليه، وإنَّما الحُجَّة في هذا الموضِع الخُصومة والجدل ومعنى الكلام: لِئَلَّا يكون لأحَدٍ من النَّاس عليكُم خُصومة ودَعْوَى باطِلٍ، غير مُشرِكي قُرَيْش، فَإنَّ لهم عليكُم دَعْوَى باطِلٍ وخُصومةً بغيرِ حَقٍّ، بقَيْلِهم لكمْ: رَجَعَ مُحَمَّد إلى قِبْلَتنا، وسَيَرْجِعُ إلى ديننا. فَذلك من قولِهم وأمانيِّهم الباطِلة، هي الحُجَّة التي كانتْ لِقُرَيْشٍ على رَسول اللَّه ﷺ وأصْحابه، ومن أجْل ذلك استَثْنَى اللَّه تعالى الذينَ ظَلَموا من قُرَيْش من سائِر النَّاس غيرِهِمْ، إذْ نَفَى أنْ يكون لأحَدٍ منهم في قِبْلَتهم التي وجَّهَهم إليها حُجَّة.

وبِمِثْلِ الذي قُلْنا في ذلك قال أهل التَّأويل.

---

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه(٣)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٤)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٦)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٣٠١- **حدّثني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: حدَّثَنَا أبو عاصِم، قال: حدَّثَنِي عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول اللَّه: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قوم مُحَمَّد ﷺ. قال مُجاهِد: يقول: حُجَّتُهمْ قولهمْ: قد راجَعْتَ قِبْلَتنا (١).

٢٣٠٢- **حدّثني** المُثَنّى، قال: حدَّثَنَا أبو حُذَيْفة، قال: حدَّثَنَا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد مِثْله، إلاّ أنَّه قال: قولهمْ: قد رَجَعْت إلى قِبْلَتنا؟ (٢)

٢٣٠٣- **حدّثنا** الحسَنُ بن يَحْيَى قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرنا معمَر، عن قَتادة وابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، في قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قالا: هم مُشْرِكو العرب، قالوا حين صُرِفَتِ القِبْلة إلى الكعْبة: قد رَجَعَ إلى قِبْلَتكم فيوشِكُ أنْ يَرْجِع إلى دينكم. قال اللّه: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ (٣).

٢٣٠٤- **حدّثنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: حدثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ والذينَ ظَلَموا مُشْرِكو قُرَيْش. يقول: إنَّهم سَيَحْتَجُّونَ عليكُم بذلك. فكانتْ حُجَّتهم على نَبيِّ اللّه بانصِرافِه إلى البيْت الحرام أنَّهم قالوا: سَيَرْجِعُ إلى ديننا كما رَجَعَ إلى قِبْلَتنا. فأنْزَلَ اللّه في ذلك كُلّه (٤).

٢٣٠٥- **حدّثنا** المُثَنّى، قال: حدَّثَنَا إسحاق، قال: حدَّثَنَا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع مِثْله (٥).

٢٣٠٦- **حدّثني** موسَى، قال: حدَّثَنَا عمرٌو، قال: حدَّثَنَا أسباطُ، عن السُّدِّيّ فيما يَذْكُر عن أبي مالِك، وعن أبي صالِح، عن ابن عَبَّاس، وعن مُرّة الهمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن ناسٍ من أصْحاب النبيّ قالوا: لَمَّا صُرِفَ نَبيّ اللّه نَحْو الكعْبة بعد صَلاته إلى بَيْت المقْدِس، قال المُشْرِكونَ من أهل مَكّة: تَحَيَّرَ على مُحَمَّد دينُه، فتَوَجَّهَ بقِبْلَتِه إليكُم، وعَلِمَ أنَّكم كُنْتُم أهدَى منه سَبيلاً، ويوشِك أنْ يَدْخُل في دينكم. فأنْزَلَ اللّه فيهم: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ (٦).

---

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٣)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٥)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٦)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

٢٣٠٧- حدثنا القاسم، قال: حَدَّثَني الحُسَيْن، قال: حَدَّثَني حَجّاج، عن ابن جُرَيْج قال: قُلْت لِعَطاءٍ: قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قال: قالتْ قُرَيْش لَمَّا رَجَعَ إلى الكعْبة وأمَرَ بها: ما كان يَسْتَغْنى عَنَّا، قد استَقْبَلَ قِبْلَتنا. فَهيَ حُجَّتُهمْ، وهم الذينَ ظَلَموا. قال ابن جُرَيْج: وأخْبَرَني عبد اللَّه بن كَثير أنّه سَمِعَ مُجاهِدًا يقول مِثْل قول عَطاء، فَقال مُجاهِد: حُجَّتهمْ: قولُهم: رَجَعْتَ إلى قِبْلَتنا[1].

فَقد أبانَ تأويل مَنْ ذَكَرْنا تأويله - من أهل التّأويل - قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ عن صِحّة ما قُلْنا في تأويله، وأنّه استِثْناء على صحةٍ، بمعنى الاستِثْناء المعروف، الذي يَثْبُتُ فيه لِما بعد حَرْف الاستِثْناء ما كان مَنْفيًا عَمّا قَبْله، كما قول القائِل: ما سارَ من النّاس أحَد إلاّ أخوك. إثْباتٌ لِلأخ من السّيْر ما هو مَنْفيّ عن كُلّ أحَد من النّاس. فَكَذلك قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ نَفْي عن أنْ يكون لأحَدٍ خُصومة وجَدَل قِبَل رَسول اللَّه ﷺ، ودَعْوَى باطِل عليه وعلى أصْحابه، بسَبَبِ تَوَجُّههم في صَلاتهم قِبَل الكعْبة، إلاّ الذينَ ظَلَموا أنْفُسهم من قُرَيْش، فَإنَّ لهم قِبَلَهُم خُصومةً ودَعْوَى باطِل، بأنْ يقولوا: إنّما تَوَجَّهْتُم إلينا وإلى قِبْلَتنا لأنّا كُنّا أهدَى منكُم سَبيلاً، وأنّكُم كُنْتُم بتَوَجُّهِكُم نَحْو بَيْت المقْدِس على ضَلالٍ وباطِلٍ.

وَإذ كان ذلك معنى الآية بإجماع الحُجّة من أهل التّأويل، فَبَيِّنٌ خَطَأ قول مَنْ زَعَمَ أنَّ معنى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ ولا الذينَ ظَلَموا منهم. وأنَّ معنى ﴿إِلَّا﴾ بمعنى الواو؛ لأنَّ ذلك لو كان معناه، لَكان النّفْيُ الأوّل عن جَميع النّاس - أنْ يكون لهم حُجّة على رَسول اللَّه ﷺ وأصْحابه في تَحَوُّلهم نَحْو الكعْبة بوُجوهِهم - مُبَيِّنًا عن المعنى المُراد، ولم يكُنْ في ذِكْر قولِه بعد ذلك: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ إلاّ التّلْبيس الذي يَتَعالى عن أنْ يُضاف إليه، أو يوصَف به. هذا مع خُروج معنى الكلام إذا وجِّهَت ﴿إِلَّا﴾ إلى معنى الواو وبمعنى العطْف، من كَلام العرب. وذلك أنّه غير موجودة (إلاّ) في شَيْء من كَلامها بمعنى الواو، إلاّ مع استِثْناء سابِق قد تَقَدَّمَها، كَقولِ القائِل: سارَ القوْم إلاّ عَمْرًا إلاّ أخاك. بمعنى: إلاّ عَمْرًا وأخاك. فَتَكون (إلاّ) حينَئِذٍ مُؤَدّيةً عَمّا تُؤَدّي عنه الواو لِتَعَلُّقِ (إلاّ) الثّانية بـ (إلاّ) الأولَى. ويُجْمَع فيها أيْضًا بين (إلاّ) والواو، فَيُقال: سارَ القوْم إلاّ عَمْرًا، وإلاّ أخاك، فَتُحْذَف إحداهُما فَتَنوب الأُخْرَى عنها، فَيُقال: سارَ القوْم إلاّ عَمْرًا وأخاك، أو إلاّ عَمْرًا إلاّ أخاك، لِما وصَفْنا قَبْل.

فإذْ كان ذلك كذلك، فَغير جائِز لِمُدَّعٍ من النّاس أنْ يَدَّعي أنَّ ﴿إِلَّا﴾ في هذا الموضِع بمعنى الواو التي تأتي بمعنى العطْف.

وَواضِحٌ فَسادُ قولِ مَنْ زَعَمَ أنَّ معنى ذلك: إلاّ الذينَ ظَلَموا منهم، فَإنَّهم لا حُجّة لهم، فلا تَخْشَوْهم، كَقولِ القائِل في الكَلام: النّاس كُلّهم لَك حامِدونَ، إلاّ الظّالِم المُعْتَدي عليك، فَإنَّ ذلك لا يُعْتَدُّ بعُداونه، ولا بتَرْكِه الحمد لِموضِعِ العداوة. وَكَذلك الظّالِم لا حُجّة له، وقد سُمّيَ

(١)[ضعيف] الحسين بن داود المصيصي الذي كان يلقن شيخه الحجاج.

ظالِمًا - لإجماعِ جَميع أهل التّأويل على تَخطِئة ما ادَّعَى من التّأويل في ذلك. وَكَفَى شاهِدًا على خَطَأ مَقالةِ إجماعُهم على تَخطِئتِها.

وَظاهِرٌ بطولُ قول مَنْ زَعَمَ أنّ الذينَ ظَلَموا هَهُنا ناس من العرب كانوا يَهودًا أو نَصارَى، فكانوا يَحتَجّونَ على النّبيّ، فأمّا سائِر العرب، فَلم تَكُنْ لهم حُجّة، وكانتْ حُجَّةُ مَنْ يَحتَجّ مُنْكَسِرةً؛ لأنَّك تَقول لِمَنْ تُريد أنْ تَكسِر عليه حُجَّته: إنَّ لَك عَلَيَّ حُجّة، ولَكِنَها مُنْكَسِرةٌ، إنَّك لَتَحتَجُّ بلا حُجّة، وحُجَّتك ضَعيفة.

وَوَجّه معنى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ إلى معنى: إلاَّ الذينَ ظَلَموا منهم من أهل الكِتاب، فَإن لهم عليكُم حُجّةً واهيةً، أو حُجّةً ضَعيفةً. ووَهاءُ قول مَنْ قال: (إلاَّ) في هذا الموضِع بمعنى (لَكِنْ). وضَعفُ قولِ مَنْ زَعَمَ أنّه ابتِداء بمعنى: إلاَّ الذينَ ظَلَموا منهم فلا تَخشَوْهم؛ لأنَّ تأويل أهل التّأويل جاء في ذلك بأنَّ ذلك من اللّه خَبَر عن الذينَ ظَلَموا منهم أنَّهم يَحتَجّونَ على النّبيّ وأصْحابه بما قد ذَكَرْنا، ولم يَقْصِد في ذلك إلى الخبَر عن صِفة حُجَّتهم بالضّعْفِ ولا بالقوّةِ -وإنْ كانتْ ضَعيفةً لأنَّها باطِلةٌ- وإنَّما قَصَدَ فيه الإثْبات لِلَّذينَ ظَلَموا ما قد نَفَى عن الذينَ قَبْل حَرْف الاستِثْناء من الصِّفة.

٢٣٠٨- **حَدّثني** المُثَنَّى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، قال: قال الرّبيع: إنَّ يَهوديًا خاصَمَ أبا العالية فَقال: إنَّ موسَى كان يُصَلّي إلى صَخْرة بَيْت المقْدِس. فَقال أبو العالية: كان يُصَلّي عند الصّخْرة إلى البيْت الحرام. قال: قال: فَبيني وبينك مسجِد صالِح، فَإنَّه نَحته من الجبَل. قال أبو العالية: قد صَلَّيْت فيه وقِبْلَتُه إلى البيْت الحرام. قال الرّبيع: وأخْبَرَني أبو العالية أنّه مَرَّ على مسجِد ذي القرْنَيْنِ وقِبْلَتُه إلى الكعْبة [(١)].

وأمّا قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ يَعْني: فلا تَخشَوْا هؤلاء الذينَ وصَفْت لكم أمْرهم من الظّلَمة، في حُجَّتهم وجِدالهم وقولهم ما يقولونَ من أنَّ مُحَمَّدًا قد رَجَعَ إلى قِبْلَتنا، وسَيَرْجِعُ إلى ديننا، أو أنْ يَقْدِرُوا لكم على ضُرٍّ في دينكُم أو صَدّكُم عَمَّا هَداكُم اللّه له من الحقّ، ولَكِنْ اخشَوْني، فَخافوا عِقابي في خِلافكُم أمْري إنْ خالَفْتُموه.

وَذلك من اللّه تَقَدَّمٌ إلى عِباده المُؤمِنينَ، بالحضّ على لُزوم قِبْلَتهم والصّلاة إليها، وبالنَّهْي عن التّوَجُّه إلى غيرها. يقول جَلَّ ثَناؤه: واخشَوْني أيّها المُؤمِنونَ، في تَرْك طاعَتي فيما أمَرْتُكم به من الصّلاة شَطْر المسجِد الحرام.

وَقد حُكيَ عن السُّدّيّ في ذلك ما:

٢٣٠٩- **حَدّثني** موسَى بن هارونَ، قال: حدثنا عمرو بن حَمّاد، قال: حدثنا أسباطُ، عن السُّدّيّ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ يقول: لا تَخشَوْا أنْ أرُدّكُم في دينهم [(٢)].

---

(١)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٢)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾، ومن حيث خرجتَ من البلاد والأرض، وإلى أيّ بقعة شَخَصْتَ فولِّ وجهَك شطرَ المسجدِ الحرام، وحيثُ كنت يا محمد والمؤمنون، فولّوا وجوهكم في صلاتكم شَطرَه، واتخذوه قبلة لكم، كيلا يكون لأحد من الناس سوى مشركي قريش حجةٌ، وكي أُتِمَّ بذلك - من هدايتي لكم إلى قبلة خليلي إبراهيم، الذي جعلته إمامًا للناس - نعمتي، فأكمل لكم به فضلي عليكم، وأتمم به شرائع ملتكم الحنيفية المسلمة التي وصيتُ بها نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء غيرهم. وذلك هو نعمتُه التي أخبر جل ثناؤه أنه متمُّها على رسوله ﷺ والمؤمنين به من أصحابه.

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، يعني: وكي تَهتدوا فتَرْشُدوا للصواب من القِبَل. و﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾.

القول في تأويل قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾

يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾. ولأُتِمّ نِعْمَتي عليكم ببيانِ شَرائعِ مِلَّتكم الحنيفيّة، وأُهْديكُم لِدينِ خَليلي إبراهيم، وأجْعَل لكم دَعْوَته التي دَعاني بها ومسألَته التي سَألَنيها فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨] كما جَعَلْت لكم دَعْوَته التي دَعاني بها ومسألَته التي سَألَنيها، فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] فابْتَعَثْت منكُم رَسولي الذي سَألَني إبراهيم خَليلي وابنه إسماعيل أنْ أبْعَثه من ذُرِّيَّتهما.

فـ﴿كَمَآ﴾ إذن - إذْ كان ذلك معنى الكلام - صِلة لِقولِ اللّه: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ وتأويله: ولأُتمَّ نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم.

وَقد قال قَوْم: إنَّ معنى ذلك: فاذْكُروني كما أرسَلْنا فيكُم رَسولاً منكُم أذْكُرْكم. وَزَعَموا أنَّ ذلك من المُقَدَّم الذي معناه التّأخير، فَأغْرَقوا النّزْع، وبَعُدوا من الإصابة، وحَمَلوا الكلام على غير معناه المعروف وسِوَى وجهه المفهوم. وَذلك أنَّ الجاري من الكلام على ألسُن العرب المفهوم في خِطابهم بينهُم إذا قال بعضهم لِبعضٍ: وكَما أحسَنْت إليك يا فُلان فَأحسِنْ. أنْ لا يَشْتَرِطوا لأُحسن. لأنَّ الكاف في (كما) شَرْط، معناه: افعَلْ كما فَعَلْت. فَفي مَجيء جَواب: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾. بعده وهو قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ أوضح دَليل على أنَّ قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ من صِلة الفِعْل الذي قَبْله، وأنَّ قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ خَبَرٌ مُبْتَدَأ مُنْقَطِعٌ عن الأوَّل، وأنَّه من سَبَب قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ بمعزِلٍ.

وَقد زَعَمَ بعض النّحْويّينَ أنَّ قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ إذا جُعِلَ قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ جوابًا له

مع قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ نظير الجزاء الذي يُجاب بجَوابين، كَقولِ القائِل: إذا أتاك فُلان فَائتِه تُرْضِه، فَيَصير قوله فَائتِه تُرْضِه جَوابين لِقولِه: إذا أتاك، وكَقولِه: إنْ تأتِني أُحْسِنْ إليك أُكْرِمْك.

وَهذا القول وإنْ كان مَذْهَبًا من المذاهِب، فَلَيْسَ بالأشهر الأفصَح في كَلام العرب. والذي هو أولَى بكِتابِ اللّه أنْ يوَجَّه إليه من اللُّغات الأفصَح الأعْرَف من كَلام العرب دون الأنْكَر الأجْهَل من مَنْطِقها. هذا، مع بُعْد وجهه من المفهوم في التّأويل.

ذِكر مَن قال: إنّ قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ جواب لقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾:

٢٣١٠- **حَدّثني** مُحَمّد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصِم، قال: حدثنا عيسَى، قال: سَمِعْت ابن أبي نَجيح يقول في قول اللّه: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ كما فَعَلْت فاذْكُروني[(١)].

٢٣١١- **حَدّثنا** المُثَنّى، قال: حدثنا أبو حُذَيْفة، قال: حدثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله[(٢)].

وأما قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ فَإنّه يَعْني بذلك العرب، قال لهم: الزَموا أيّها العرب طاعَتي، وتَوَجّهوا إلى القِبْلة التي أمَرْتُكم بالتّوَجُّه إليها، لِتَنْقَطِع حُجّة اليهود عنكم، فلا تَكون لهم عليكُم حُجّة، ولأُتِمّ نِعْمَتي عليكُم وتَهْتَدوا، كما ابْتَدَأتُكم بنِعْمَتي فأرسَلْت فيكم رَسولاً إليكُم منكم. وذلك الرّسول الذي أرسَلَه إليهم منهم مُحَمّد ﷺ. كما:

٢٣١٢- **حَدّثني** المُثَنّى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع في قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ يَعْني مُحَمّدًا ﷺ[(٣)].

وَأمّا قوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا﴾ فَإنّه يَعْني آيات القُرْآن، وبقولِه: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ ويُطَهِّركُم من دَنَس الذُّنوب، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو القرآن، يَعْني أنّه يُعَلِّمهم أحكامه، ويَعْني بالحِكْمةِ: السُّنَن والفِقْه في الدّين. وَقد بَيّنّا جَميع ذلك فيما مَضَى قَبْل بشَواهِدِه.

وَأمّا قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ فَإنّه يَعْني: ويُعَلِّمكُم من أخْبار الأنْبياء، وقَصَص الأُمَم الخالية، والخبَر عَمّا هو حادِث وكائِن من الأُمور التي لم تَكُنْ العرب تَعْلَمها، فعلّمهموها رَسول اللّه ﷺ. فَأخْبَرَهم الله أنّ ذلك كُلّه إنّما يُدْرِكونه برَسولِ الله ﷺ.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

يَعْني بذلك: فاذْكُروني أيّها المُؤمِنونَ بطاعَتِكم إيّايَ فيما آمُركُم به وفيما أنهاكُم عنه، أذْكُركُم برَحْمَتي إيّاكُم ومَغْفِرَتي لكُمْ. كَما:

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٣)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

٢٣١٣- حَدَّثَنا ابن حُمَيْد قال: حدثنا ابن المُبارَك، عن ابن لهيعة، عن عَطاء بن دينار، عن سَعيد بن جُبَيْر في: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال: اذْكُروني بطاعَتي، أذْكُركُم بمَغْفِرَتي(١).

وَقد كان بعضهم يَتأوَّل ذلك أنَّه من الذِّكْر بالثَّناءِ والمدْح.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٣١٤- حَدَّثَني المُثَنَّى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع في قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ إنَّ اللّه ذاكِر مَنْ ذَكَرَه، وزائِد مَنْ شَكَرَه، ومُعَذِّب مَنْ كَفَرَه(٢).

٢٣١٥- حَدَّثَني موسَى قال: حدثنا عمرٌو، قال: حدثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال: لَيْسَ من عبد يَذْكُر اللّه إلاَّ ذَكَرَه اللّه، لا يَذْكُره مُؤمِن إلاَّ ذَكَرَه برَحْمةٍ، ولا يَذْكُره كافِر إلاَّ ذَكَرَه بعَذاب(٣).

القول في تأويل قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

يَعْني: اشْكُروا لي أيّها المُؤمِنونَ فيما أنْعَمْت عليكُم به من الإسلام، والهِداية لِلدِّينِ الذي شَرَعْته لأنْبيائي وأصْفيائي، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾. يقول: ولا تَجْحَدوا إحساني إليكم، فَأسلُبَكُم نِعْمَتي التي أنْعَمْت عليكم، ولَكِنْ اشْكُروا لي عليها، وأزيدكُم فَأُتَمِّم نِعْمَتي عليكم، وأهديكُم لِما هَدَيْت له مَنْ رَضيت عنه من عِبادي، فَإنّي وعَدْت خَلْقي أنَّ مَنْ شَكَرَ لي زِدْتُه، ومَنْ كَفَرَني حَرَمْته وسَلَبْته ما أعْطَيْته. والعرب تَقول: شَكَرْت لَك صنيعتك، ولا تكاد تقول: شكرتك. وكذلك تقول: نَصَحْت لَك، ولا تَكاد تَقول نَصَحْتُك، ورُبَّما قالتْ شَكَرْتُك ونَصَحْتُك، من ذلك قول الشّاعِر:

هُمُ جَمَعوا بُؤسَى ونُعْمَى عليكُمُ   فَهَلَّا شَكَرْت القَوْم إذْ لم تُقاتِلِ(٤)

وَقال النّابِغة في: نَصَحْتُك:

نَصَحْت بَني عَوْف فلم يَتَقَبَّلوا   رَسولي ولم تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ وسائِلي(٥)

---

(١)[ضعيف] مداره على ابن لهيعة، وهو ضعيف دائمًا.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال. (٣)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

(٤)[الطويل] القائل: نسبه أبو حيان في تفسيره إلى عمر بن لجأ. اللغة: والبؤسى والبأساء: البؤس. والنعمى والنعماء: النعمة. والعرب لا تكاد تقول: شكرتك، إنما تقول: شكرت لك، ونصحت لك. ولا يقولون: نصحتك، وربما قيلتا. المعنى: يخاطب الشاعر صاحبه مذكرًا له بفضل هؤلاء القوم عليه، فقد جمعوا بجوار بؤسهم النعماء، لذلك يحضه على أن يشكر لهم منعهم إياه من أن يقاتل.

(٥)[الطويل] القائل: النابغة الذبياني. رواية ديوانه: وَصاتي وَلَمْ تَنجَح لَدَيهِم وَسائِلي. اللغة: الوصاة: الوصية. وقوله: رسولي. الرسول: الرسالة. والوسائل جمع وسيلة: وهي ما يتقرب به المرء إلى غيره من حرمة أو آصرة. المعنى: يقول الشاعر: قد تقدمت بالنصيحة لبني عوف بن سعد بن ذبيان في حربهم مع عمرو بن الحارث الأصغر فلم يتقبلوا نصيحتي، ولم تفد معهم الرسائل والوصاة، ولم تنجح كذلك شتى الوسائل.

وَقد دَلَّلنا على أنَّ معنى الشُّكر: الثناء على الرّجُل بأفعالِه المحمودة، وأنَّ معنى الكُفر تَغْطية الشَّيْء، فيما مَضَى قَبْل فَأغْنَى ذلك عن إعادَته.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

وَهذه الآية حَضٌّ من اللّه على طاعَته واحتِمال مَكْروهها على الأبْدان والأموال، فَقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ﴾ على القيام بطاعَتي وأداء فَرائِضي في ناسِخ أحكامي والانصِراف عَمَّا أنْسَخه منها إلى الذي أُحدِثه لكم من فَرائِضي وأنْقُلكُم إليه من أحكامي، والتّسْليم لأمْري فيما آمُركُم به في حين إلْزامكُم حُكْمه، والتّحَوُّل عنه بعد تَحْويلي إيَّاكُم عنه - وإنْ لَحِقَكُم في ذلك مَكْروه من مَقالة أعْدائِكُم من الكُفَّار تَحذُّلٌ منهم لكم بالباطِل، أو مَشقّة على أبْدانكُم في قيامكُم به أو نَقْص في أموالكُم - وعلى جِهاد أعْدائِكُم وحَرْبهم في سَبيلي، بالصَّبْرِ منكُم لي على مَكْروه ذلك ومَشقَّته عليكم، واحتِمال عبْئِه وثِقَله، وبالعزاء منكم عمَّن قُتل في سبيلي ثُمّ بالفزَع منكُم فيما يَنوبكُم من مُفْظِعات الأُمور إلى الصّلاة لي، فَإنّكُم بالصّبْرِ على المكارِه تُدْرِكونَ مَرْضاتي، وبالصّلاةِ لي تَسْتَنْجِحونَ طَلَباتكُم قَبْلي وتُدْرِكونَ حاجاتكُم عندي، فَإنّي مع الصَّابِرينَ على القيام بأداءِ فَرائِضي وتَرْك مَعاصيَّ، أنْصُرهم وأرعاهم وأكْلَؤُهم حتّى يَظْفَروا بما طَلَبوا وأمّلوا من قِبَلي؛ وقد بَيّنْت معنى الصّبْر والصّلاة فيما مَضَى قَبْل فَكرِهْنا إعادَته. كَما:

٢٣١٦- **حدّثني** المُثَنّى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جَعْفَر، عن الرّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ يقول: استَعينوا بالصّبْرِ والصّلاة على مَرْضاة اللّه، واعْلَموا أنّهُما من طاعة اللّه (١).

٢٣١٧- **حُدّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ اعْلَموا أنّهُما عَوْن على طاعة اللّه (٢).

وَأمّا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فَإنَّ تأويله: أنَّ اللّه ناصِره وظَهيره وراضٍ بفِعْلِه، كَقولِ القائِل لآخر: (افعَلْ يا فُلان كذا وأنا معك)، يَعْني إنّي ناصِرك على فِعْلك ذلك ومُعينُك عليه.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه:

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

يَعْني بذلك: يا أيّها الذينَ آمَنوا استَعينوا بالصّبْرِ على طاعَتي في جِهاد عَدوّكُم، وتَرْك مَعاصيَّ وأداء سائِر فَرائِضي عليكم، ولا تَقولوا لِمَنْ يُقْتَل منكم في سَبيل اللّه هو مَيّت. فَإنَّ الميّت من خَلْقي هو مَنْ سَلَبْته حَياته وأعْدَمْته حَواسّه، فلا يَلْتَذّ لَذّة ولا يُدْرِك نَعيمًا؛ وَإنَّ مَنْ قُتِلَ منكُم ومن

(١)[صحيح] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال، وآدم بن أبي إياس الخرساني صاحب تصانيف، ومنه كتاب التفسير المعروف، ومع هذا فقد تابعه عصام بن رواد بن الجراح بن معدان، وهو صدوق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عصام بن رواد، ثنا آدم... فذكره.

(٢)[ضعيف] من معلقات المصنف.

سائِر خَلْقي في سَبيلي أحياء عندي في حَبْرة ونَعيم وعَيْش هَنيّ ورِزْق سَنيّ، فَرِحينَ بما آتَيْتُهم من فَضْلي وحَبَوْتُهم به من كَرامَتي. كَما:

٢٣١٨- حدّثني مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: يُرزَقون من ثَمَر الجنّة ويجِدونَ ريحها ولَيْسوا فيها[١].

٢٣١٩- حدّثني المُثَنّى، قال: ثنا أبو حُذَيفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، مِثْله[٢].

٢٣٢٠- حدّثنا بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ كُنّا نُحدَّث أنَّ أرواح الشُّهَداء تعارَف في طَيْر بيض يَأكُلْنَ من ثِمار الجنّة، وأنَّ مَساكِنهم السِّدْرة وأنَّ لِلْمُجاهِدِ في سَبيل اللّه ثَلاث خَصْلاتٍ: مَنْ قُتِلَ في سَبيل اللّه منهم صارَ حَيًّا مَرزوقًا، ومَنْ غُلِبَ آتاه اللّه أجْرًا عَظيمًا، ومَنْ مات رَزَقَه اللّه رِزْقًا حَسَنًا[٣].

٢٣٢١- حدّثنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾. قال: أرواح الشُّهَداء في صوَر طَيْر بيض[٤].

٢٣٢٢- حدّثني المُثَنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾. قال: أحياءٌ في صوَر طَيْر خُضْر يَطيرونَ في الجنّة حَيْثُ شاءوا منها يَأكُلونَ من حَيْثُ شاءوا[٥].

٢٣٢٣- حدّثني المُثَنّى، قال: حدَّثنا إسحاق، قال: ثنا مُحَمَّد بن جَعْفَر، قال: ثنا عُثْمان بن غِياث، قال: سَمِعْت عِكْرِمة يقول في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ قال: أرواح الشُّهَداء في طَيْر بيضٍ في الجنّة[٦].

فإنْ قال لنا قائِل: وما في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ من

---

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

(٣)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٤)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٥)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٦)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

خُصوصيّة الخبَر عن المقْتول في سَبيل اللّه الذي لم يُعمَّ به غيره، وقد عَلِمْت تَظاهُر الأخْبار عن رَسول اللّه ﷺ أنّه وصَفَ حال المُؤمِنينَ والكافِرينَ بعد وفاتهمْ، فَأخْبَرَ عن المُؤمِنينَ أنّهم تُفْتَح لهم من قُبورهم أبْواب إلى الجنّة يتَنَسَّمُون منها رَوْحها، ويَسْتَعْجِلونَ اللّهَ قيامَ السّاعة؛ لِيَصيروا إلى مَساكِنهم منها ويجْمَع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها، وعن الكافِرينَ أنّهم تُفتَّح لهم من قُبورهم أبْواب إلى النّار يَنْظُرونَ إليها ويُصيبهم من نَتِنها ومَكْروهها، ويُسَلِّط عليهم فيها إلى قيام السّاعة مَنْ يَقْمَعُهم فيها، ويَسْألونَ اللّه فيها تأخير قيام السّاعة؛ حَذارًا من المصير إلى ما أُعِدَّ اللّه لهم فيها مع أشباه ذلك من الأخْبار. فَإذا كانتِ الأخْبار بذلك مُتَظاهِرة عن رَسول اللّه ﷺ، فَما الذي خُصَّ به القتيل في سَبيل اللّه مِمّا لم يُعمَّ به سائِر البشَر غيرُه من الحياة، وسائِر الكُفّار والمُؤمِنينَ غيره أحياء في البرْزَخِ، أمّا الكُفّار فَمُعَذَّبونَ فيه بالمعيشةِ الضَّنْكِ، وأمّا المُؤمِنونَ فَمُنَعَّمونَ بالرَّوْح والرَّيْحان ونَسيم الجِنَانِ؟

قيلَ: إنَّ الذي خَصَّ اللّه به الشُّهَداء في ذلك وأفادَ المُؤمِنينَ بخَبَرِه عنهم جل ثناؤه إعْلامه إيّاهم أنّهم مَرْزُوقونَ من مَآكِل الجنّة ومَطاعِمِها في بَرْزَخهم قَبْل بَعْثِهِمْ، ومُنَعَّمونَ بالذي يُنَعَّمُ به داخِلوها بعد البعْث من سائِر البشَر من لَذيذ مَطاعِمها، الذي لم يُعْطِها اللّهُ أحَدًا غيرهم في بَرْزَخه قَبْل مَبْعَثِه، فَذلك هو الفضيلة التي فَضَّلَهم بها وخَصَّهم بها مِنْ غيرهمْ، والفائِدة التي أفادَ المُؤمِنينَ بالخبَرِ عنهم، فَقال جلَّ وعزَّ لِنَبيِّه مُحَمَّد ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩: ١٧٠].

وبِمِثْلِ ذلك جاء الخبَرُ عن رَسول اللّه ﷺ.

٢٣٢٤- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب قال: ثنا عبد الرّحيم بن سُلَيْمان وعَبَدة بن سُلَيْمان، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن الحارِث بن فُضَيْل، عن محمود بن لَبيد، عن ابن عَبّاس، قال: قال رَسول اللّه ﷺ: «**الشُّهَداء على بارِق؛ نَهرٍ ببابِ الجنّة، في قُبَّةٍ خضراءَ - وقال عَبْدَةُ: في رَوْضة خَضْراء - يَخرُجُ عليهم رِزقهم من الجنّة بُكْرة وعَشيًا**»(١).

٢٣٢٥- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب قال: ثنا جابِر بن نوح، عن الإفريقيّ، عن ابن يسارِ السُّلَميّ أو أبي يسارٍ - الطبريُّ يشكُّ - قال: أرواح الشُّهَداء في قِباب بيض من قِباب الجنّة، في كُلِّ قُبّة زَوْجَتانِ، رِزقهم في كُلّ يوم طَلَعَتْ فيه الشّمْس ثَوْرٌ وحوتٌ، فَأمّا الثّوْر فَفيه طَعْم كُلّ ثَمرة في الجنّة، وأمّا الحوت فَفيه طَعْم كُلِّ شَراب في الجنّة(٢).

فَإنْ قال قائِل: فَإنَّ الخبَر عَمّا ذَكَرتْ أنَّ اللّه أفادَ المُؤمِنينَ بخَبَرِه عن الشُّهَداء من النِّعْمة التي خَصَّهم بها في البرْزَخ، غير موجود في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ وإنّما فيه الخبَر عن حالهم، أمواتٌ هُمْ أمْ أحياءٌ.

---

(١)[حسن] محمد بن إسحاق صدوق مدلس، وقد صرح في بعض طرقه.

(٢)[ضعيف] جابر بن نوح، والإفريقي ضعيفان.

قيلَ: إنَّ المقصود بذِكرِ الخبَر عن حَياتهم إنَّما هو الخبَر عَمَّا هم فيه من النِّعْمة، ولَكِنَّه جلَّ ذِكْره لَمَّا كان قد أنبَأ عِباده عَمَّا قد خَصَّ به الشُّهَداء - في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وعلِمُوا حالهم بخَبَرِه ذلك، ثُمَّ كان المُراد من اللَّه في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ نَهْيَ خَلْقه عن أنْ يقولوا لِلشُّهَداءِ: أنَّهم موتَى - تَرَكَ إعادة ذِكْر ما قد بَيَّنَ لهم من خَبَرِهمْ.

وَأمَّا قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ فإنَّه يَعْني به: ولَكِنَّكم لا تَرَوْنَهم، فَتَعْلَموا أنَّهم أحياءٌ، وإنَّما تَعْلَمونَ ذلك بخَبَري إيَّاكُم به.

وَإنَّما رُفِعَ قوله: ﴿أَمْوَاتٌ﴾ بإضمارِ مُكَنِيّ من أسماءِ: مَنْ يُقْتَلُ في سَبيلِ اللَّهِ.

وَمعنى ذلك: ولا تَقولوا لِمَنْ يُقْتَل في سَبيل اللَّه: هم أموات. وَلا يجوز النَّصب في (الأموات)؛ لأنَّ (القول) لا يَعْمَل فيهم. وَكَذلك قوله: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾، رَفْعٌ بمعنى بل هم أحياء.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾

وَهذا إخبار من اللَّه تعالى ذِكْره أتباع رَسوله ﷺ أنَّه مُبْتَليهم ومُمْتَحِنهم بشَدائِد من الأُمور؛ ليَعْلَم مَنْ يَتَّبع الرَّسول مِمَّنْ يَنْقَلِب على عَقِبَيْه، كما ابْتَلاهم فامْتَحَنَهم بتَحْويلِ القِبْلة من بَيْت المقْدِس إلى الكعْبة، وكَما امْتَحَنَ أصْفياءَه قَبْلهمْ، ووَعَدَهم ذلك في آية أُخرَى فَقال لهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وبِنَحْوِ الذي قُلْنا في ذلك كان ابن عَبَّاس وغيرُه يقول.

٢٣٢٦- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: حدَّثنا عبد اللَّه بن صالِح، قال: حَدَّثَني مُعاوية، عن عَليّ، عن ابن عَبَّاس قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ ونَحْو هذا، قال: أخْبَرَ اللَّه سبحانه المُؤمِنينَ أنَّ الدُّنيا دار بَلاء، وأنَّه مُبْتَليهم فيها، وأمَرَهم بالصَّبْرِ وبَشَّرَهم، فَقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ثُمَّ أخْبَرَهم أنَّه هكذا فَعَلَ بأنْبيائِه وصِفْوَته؛ لِتَطيبَ أنْفُسهمْ، فَقال: ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤](١).

ومعنى قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾: ولنختبرنكم. وَقد أتَيْنا على البيان عن أنَّ معنى الابْتِلاء الاخْتِبار فيما مَضَى قَبْل.

وَقوله: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ يَعْني من الخوْف من العدوّ وبالجوع، وهو القحْط. يقول: لنختبرنكم بشَيْءٍ من خَوْف يَنالكُم من عَدوّكُم وبِسَنَةٍ تُصيبكُم يَنالكُم فيها مَجاعة وشِدّة وتَعَذُّر المطالِب عليكُم فَتَنْقُص لِذلك أموالكم، وحُروب تكون بينكُم وبين أعْدائِكُم من الكُفَّار، فَيَنْقُص لها عَدَدكم، وموت ذَراريِّكُم وأولادكم، وجُدوب تَحْدُث، فَتَنْقُص لها ثِمارِكم. كُلّ ذلك

(١)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

امْتِحان مِنّي لكم واختِبار مِنّي لكمْ، فَيَتَبيَّن صادِقوكُم في إيمانهم من كاذِبيكُم فيه، ويُعْرَف أهل البصائِر في دينهم منكُم من أهل النِّفاق فيه والشّكّ والارْتياب. كُلّ ذلك خِطاب منه لأتْباعِ رَسول اللَّه ﷺ وأصْحابه. كَما:

٢٣٢٧- **حدّثني** هارونَ بن إدْريس الأصَمّ الكوفيّ، قال: ثنا عبد الرّحْمَن بن مُحَمَّد المُحارِبيّ، عن عبد الملِك عن عَطاء في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ قال: هم أصْحاب مُحَمَّد ﷺ [(١)].

وَإنّما قال جل ثناؤه: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ ولم يَقُلْ (بِأشياء) لاختِلافِ أنْواع ما أعْلَم عِباده أنّه مُمْتَحِنهم به. فَلَمّا كان ذلك مُخْتَلِفًا - وكانتْ (من) تَدُلّ على أنَّ كُلّ نَوْع منها مُضْمَرًا (شَيْء) وأنّ معنى ذلك: ولَنَبْلوَنّكُم بشَيْءٍ من الخوْف وبِشَيْءٍ من الجوع وبِشَيْءٍ من نَقْص الأموال - اكْتَفَى بدَلالةِ ذِكْر (الشّيْء) في أوّله من إعادَته مع كُلّ نَوْع منها. فَفَعَلَ جل ثناؤه كُلّ ذلك بهم وامْتَحَنَهم بضُروبِ المِحَن. كَما:

٢٣٢٨- **حدّثني** المُثَنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ قال: قد كان ذلك، وسَيكونُ ما هو أشَدّ من ذلك. قال اللَّه عند ذلك: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [(٢)].

ثُمّ قال جل ثناؤه لِنَبيِّه محمد: وبَشِّرْ يا محمد الصّابِرينَ على امْتِحاني بما أمْتَحِنهم به، والحافِظينَ أنْفُسهم عن التّقَدُّم على نَهْيي عَمّا أنْهاهم عنه، والآخِذينَ أنْفُسهم بأداءِ ما أُكَلِّفهم من فَرائِضي مع ابْتِلائي إيّاهم بما ابْتَلَيْتهم به القائِلينَ إذا أصابَتْهم مُصيبة: نحن لله ونحن إليه راجِعونَ. فَأمَرَه اللَّه عوز وجل بأنْ يَخُصّ بالبِشارةِ على ما يَمْتَحِنهم به من الشّدائِد أهل الصّبْر الذينَ وصَفَ اللَّه صِفَتهمْ.

وأصْل (التّبْشير): إخبار الرّجُلِ الرّجُلَ الخبَر يَسُرّه أو يَسوءه لم يَسْبِقه به إليه غيره.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

يَعْني بذلك: وبَشِّرْ يا مُحَمَّدُ، من الصّابِرينَ، الصّابِرينَ الذينَ يَعْلَمونَ أنّ جَميع ما بهم من نِعْمة فَمِنّي، فَيُقِرّونَ بعُبوديّتي، ويوَحِّدونَني بالرُّبوبيّةِ، ويُصَدِّقونَ بالمعادِ والرُّجوع إلَيَّ، فَيَسْتَسْلِمونَ لِقَضائي، ويَرْجَوْنَ ثَوابي، ويَخافونَ عِقابي، ويقولونَ - عند امْتِحاني إيّاهم ببعضِ مِحَني، وابْتِلائي إيّاهم بما وعَدْتُهم أنْ أبْتَليَهم به من الخوْف والجوع ونَقْص الأموال والأنْفُس والثّمَرات وغير ذلك من المصائِب التي أنا مُمْتَحِنهم بها -: إنّا مَماليكُ رَبّنا ومعبودِنا أحْياءً ونَحْنُ عَبيده، وإنّا إليه بعد مَماتنا صائِرونَ. تَسْليمًا لِقَضائي ورِضا بأحكامي.

---

(١)[ضعيف] هارون بن إدريس الكوفي الأصم مجهول الحال.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناره:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾

يَعني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هؤلاء الصَّابِرينَ الذينَ وصَفَهم ونَعَتَهم. ﴿عَلَيْهِمْ﴾، يَعْني: لهم ﴿صَلَوَٰتٌ﴾ يَعْني: مَغْفِرة. وَصَلَوات اللَّه على عِباده: غُفرانُه، كالذي رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ على آل أبي أَوْفَى**» يَعْني: اغْفِرْ لهم.

وَقد بَيَّنَّا الصَّلاةَ وما أصْلُها في غير هذا الموضِع. وَقولُه: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾، يَعْني: ولَهم مع المغْفِرة التي صَفَحَ عن ذُنوبهم وتَغَمَّدَها، رَحْمةٌ من اللَّه ورَأْفةٌ. ثُمّ أخْبَرَ عزَّ وجلَّ - مع الذي ذَكَرَ أنّه مُعْطيهم على اصْطِبارِهم على مِحَنه تَسْليمًا منهم لِقَضائِه من المغْفِرة والرّحْمة - أنَّهم هم المُهْتَدونَ المُصيبونَ طَريق الحقّ، والقائِلونَ ما يُرْضِي عنهم ربَّهم، والفاعِلونَ ما استَوْجَبُوا به من اللَّه الجزيلَ من الثّواب. وَقد بَيَّنَّا معنى الاهْتِداء فيما مَضَى، وأنَّه بمعنى الرُّشْد بالصّوابِ.

وَبِمعنى ما قُلْنا في ذلك قال جَماعة من أهل التّأويل.

ذِكر مَنْ قالَ ذلك:

٢٣٢٩- **حَدَّثَني** المُثَنى، قال: ثنا عبد اللَّه بن صالِح، قال حَدَّثَني مُعاوية بن صالِح، عن عَليّ، عن ابن عَبّاس في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ قال: أخْبَرَ اللَّه أنَّ المُؤمِن إذا سَلَّمَ الأمْر إلى اللَّه، ورَجَعَ واسْتَرْجَعَ عند المُصيبة، كَتَبَ اللهُ له ثَلاثَ خِصالٍ من الخيْر: الصّلاة من اللَّه، والرّحْمة، وتَحْقيق سَبيلِ الهُدَى. وَقال رَسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ استَرْجَعَ عند المُصيبةِ جَبَرَ اللَّه مُصيبَته، وأحسَن عُقْباه، وجَعَلَ له خَلَفًا صالِحًا يَرْضاه**»[(١)].

٢٣٣٠- **حَدَّثَني** المُثَنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يقول: الصّلَوات والرّحْمة على الذينَ صَبَروا واسْتَرْجَعوا[(٢)].

٢٣٣١- **حَدَّثَنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن سُفْيان العُصْفُرِيّ، عن سَعيد بن جُبَيْر، قال: ما أُعْطِيَ أحَد ما أُعْطيَتْ هذه الأمّة: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ولو أُعْطِيَها أحَد لأُعْطِيَها يَعْقوب، ألم تَسْمَع إلى قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤][(٣)].

---

(١)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٣)[ضعيف] سفيان بن زياد العصفري أبو الورقاء الأحمري ثقة، وهو من الطبقة الحادية عشرة من أوساط الآخذين عن تبع الأتباع، وابن جبير من الطبقة الثالثة من أوساط التابعين، فكيف يكون بينهما سماع أو لقاء؟!

القول في تأويل قوله تعالى:
﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾

والصّفا: جَمْع صَفاةٍ، وهيَ الصّخْرة المَلْساء، ومنه قول الطِّرمَّاح بن حكيم:

أَبَى لي ذو القُوَى والطَّوْل ألاَّ يُؤَبِّسَ حافِرٌ أَبَدًا صَفَاتِي (١)

وَقد قيل: إنَّ الصّفا واحِد، وأنَّه يُثنّى صَفَوَانِ، ويُجْمَع أَصْفاءٌ وصُفِيًّا وصِفيًّا. واستَشْهَدوا على ذلك بقولِ الرَّاجِز:

كَأَنَّ مَتْنَيْهِ مِن النَّفِيِّ
مَواقِعُ الطَّيْرِ على الصُّفِيِّ (٢)

وَقالوا: هو نَظير عَصًا وعُصِيٍّ ورَحا ورُحِيٍّ وأَرْحَاءَ.

وَأمّا المرْوة فإنَّها الحصاة الصّغيرة الصّلبة يُجْمَع قَليلها؛ مَرَوَاتٌ، وكَثيرها؛ المرْوُ مِثْل تَمْرة وتَمَراتٍ وتَمْرٍ.

كما قال الأعشَى مَيْمون بن قَيْس:

وَتُولِّي الأرضَ خُفًّا زائِلًا فَإذا ما صادَفَ المَرْوَ رَضَحْ (٣)

يَعْني بالمَرْوِ: الحصَى الصِّغار، وَمن ذلك قول أبي ذُؤَيْب الهُذَليِّ:

حتّى كأنِّي لِلْحَوادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفا المُشَرَّقِ كُلّ يوم تُقْرَع (٤)

---

(١)[الوافر] القائل: الطِّرمَّاح. رواية ديوانه: يُؤَبِّس جافِرٌ أَبَدًا صَفاتي. اللغة: الطول: القدرة والغنى. وذو الطول والقوة هو الله سبحانه. وأبس الشيء يؤبسه: ذلله ولينه، أو كسره. الصفاة: جمعها: الصفا؛ وهي الصخرة الملساء. المعنى: يقول الشاعر: أبى الله سبحانه وتعالى ذو القوة والطول ألاّ تكسر صفاته تحت حافرٍ. وفي ذلك افتخار بنفسه وتشريف لها من أن يهزم أو يذل.

(٢)[الرجز] القائل: رؤبة بن العجاج. وقيل: الأخيل الطائي. روي: كأن متنيه من النفي. اللغة: والنَّفِيُّ: ما نفى الرِّشاء من الماء، وما تَنفيه مشافرُ الإبل من الماء المَدِير، وما تطاير من دلو المستقي. والطوي: البئر المطوية بالحجارة. والصفي: جمع صفاة؛ وهي الصخرة الصلبة الملساء. المعنى: يقول الشاعر إن ما قطر على ظهره من الماء الملح قد يبس، فشبَّه مكانَه على ظهر الساقي والمستَقي بِذَرق الطَّير علِى الصَّفا.

(٣)[الرمل] القائل: الأعشى. رواية ديوانه: وَتُوَلّي الأرضَ خُفًّا مُجمَرًا. اللغة: والخف المجمر: هو الصلب الشديد المجتمع، نكبته الحجارة فصلب. المرو: الصخر الصغار الصُّلب. رضح الخف الحصى والنوى رضحًا: دقه فكسره. المعنى: يصف الأعشى ناقته وشدتها ونشاطها، فهي من شدة الخف وصلابته؛ تدق الحصا الصلب وتدكه دكًّا فتكسره، وذلك محمود في الإبل.

(٤)[الكامل] القائل: أبو ذؤيب الهذلي. اللغة: المروة: الحصى الصغيرة الصلبة. المشرق: المصلى بمنى. قال ابن الأنباري: وإنما خص المشرق، لكثرة مرور الناس به. ثم قال: ورواها أبو عبيدة: المشقر، يعني: سوق الطائف. المعنى: هذا البيت من قصيدته التي يرثي فيها أبنائه الذين قد قضوا جميعًا وتركوه وحيدًا يقول في مطلعها:

أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ

فقد تتابعت عليه المصائب فجعلته كالصخرة التي يقرعها الناس كل يوم بنعالهم، ومن فسر رواية: (بصفا المشقر) يقول: كأني مروة في السوق يمر الناس بها، يقرعها واحد بعد واحد.

وَيُقال: المُشَقَّرُ. وَإنما عَنَى اللَّهُ تعالى ذِكْرُه بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾. في هذا الموضِع: الجبَلَيْنِ المُسَمَّيَيْنِ بهَذَيْنِ الاسمَيْنِ اللَّذَيْنِ في حَرَمِه دون سائِرِ الصَّفا والمرْو، ولِذلك أدْخَلَ فيهما الألِف واللَّام؛ ليُعْلِم عِبادَه أنَّه عَنَى بذلك الجبَلَيْنِ المعروفَيْنِ بهَذَيْنِ الاسمَيْنِ، دون سائِرِ الصَّفا والمرْوِ.

وَأمَّا قوله: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾. فإنَّه يَعْني به: مِن مَعالِم اللَّه التي جَعَلَها جلَّ ثناؤه لِعِبادِه مَعلَمًا ومَشْعَرًا يَعْبُدونَه عندها إمَّا بالدُّعاءِ، وإمَّا بالذِّكْرِ وإمَّا بأداءِ ما فُرِضَ عليهم من العمَل عندها، ومنه قول الكُمَيْتِ:

نَقَتِّلُهُم جِيلًا فَجِيلًا نَراهُمُ   شَعائِر قُرْبانٍ بهم نَتَقَرَّبُ (١)

وَكان مُجاهِد يقول في الشَّعائِر ما:

٢٣٣٢- **حدَّثني** به مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، حدَّثنا عيسَى، وحَدَّثني المُثَنَّى، قال: حدَّثنا أبو حُذَيفة، قال: حدَّثنا شِبْلٌ، جميعًا عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ قال: من الخيرِ الذي أخْبَرَكُم عنه (٢).

فَكَأنَّ مُجاهِدًا كان يَرَى أنَّ الشَّعائِر إنَّما هو جَمْع شَعيرة من إشْعار اللَّه عِبادَه أمْرَ الصَّفا والمرْوة، وما عليهم في الطَّواف بهِما، بمعنى إعْلامِهِم ذلك، وذلك تأويلٌ من المفْهوم بَعيدٌ.

وَإنَّما أعْلَمَ اللَّه تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ عِبادَه المُؤمِنينَ أنَّ السَّعْي بينهما من مَشاعِر الحجّ التي سَنَّها لهم، وأمَرَ بها خَليله إبراهيم ﷺ، إذْ سَألَه أنْ يُريَه مَناسِكَ الحجّ، وَذلك وإنْ كان مَخْرَجُه مَخْرَجَ الخبَر، فإنَّه مُرادٌ به الأمْر؛ لأنَّ اللَّه تعالى ذِكْره قد أمَرَ نَبيَّه مُحَمَّدًا ﷺ باتِّباع مِلَّة إبراهيم عليه السَّلام، فقال له: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] وجَعَلَ تعالى ذِكْره إبراهيم إمامًا لِمَنْ بعده، فَإذا كان صَحيحًا أنَّ الطَّواف والسَّعْي بين الصَّفا والمرْوة من شَعائِر اللَّه ومن مَناسِك الحجّ، فَمعلوم أنَّ إبراهيم ﷺ قد عَمِلَ به وسَنَّه لِمَنْ بعده، وقد أُمِرَ نَبيُّنا ﷺ وأُمَّتُه باتِّباعِه، فَعليهم العمَل بذلك على ما بَيَّنَه رَسول اللَّه ﷺ.

---

(١)[الطويل] القائل: الكميت بن زيد الأسدي. رواية ديوانه: نراهم. اللغة: نقتلهم: الضمير عائد إلى الخوارج الذين عدد أسماءهم في بيتين قبل:

عَلامَ إذَا زُرْنَا الزُّبَيْر وَنَافِعًا   بغارتنا، بَعْدَ المقَانِب مِقْنَبُ
وَشَاطَ عَلَى أَرْمَاحِنَا بِادِّعَائِهَا   وَتَحْوِيلِهَا عَنْكُمْ شَبِيبٌ وقَعْنَبُ

والجيل: الأمة، أو الصنف من الناس. الشعائر هنا جمع شعيرة: وهي البدنة المهداة إلى البيت، وسميت بذلك لأنه يؤثر فيها بالعلامات. وإشعار البُدن: إدماؤها بطعن أو رمي أو حديدة حتى تدمي. المعنى: يصف الكميت شدة الجرح والتقتيل المستمر في الخوارج جيلاً فجيلاً؛ حتى صاروا ملطخين بالدماء كالشعائر المهداة إلى البيت الحرام.

(٢)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾

يَعْني تعالى ذِكْره: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ فَمَنْ أتاه عائِدًا إليه بعد بَدْء، وكذلك كُلُّ مَنْ أكْثَر الاختِلاف إلى شَيْء فهو حاجٌّ إليه؛ ومنه قول الشَّاعِر:

وَأشهَدَ مِن عَوْف حُلُولاً كَثيرةً يَحُجّونَ بَيْت الزِّبْرِقان المُزَعْفَرا (١)

يَعْني بقولِه يَحُجّونَ: يُكْثِرونَ التَرَدُّد إليه لِسُؤْدَدِه ورياسَته.

وَإنَّما قيلَ لِلْحاجِّ: حاجٌّ. لأنَّه يَأتي البيْت قَبْل التّعْريف، ثُمّ يَعود إليه لِلطَوافِ يوم النَّحْر بعد التّعْريف، ثُمّ يَنْصَرِف عنه إلى مِنًى، ثُمّ يَعود إليه لِطَوافِ الصَّدَرِ، فَلِتَكْرارِه العَوْدَ إليه مَرّة بعد أُخْرَى قيلَ له: حاجٌّ. وَأمَّا المُعْتَمِر فإنَّما قيلَ له: مُعْتَمِرٌ. لأنَّه إذا طافَ به انصَرَفَ عنه بعد زيارَته إيَّاه، وأما قولُه: ﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ فإنه يعني: أو اعْتَمَرَ البيْت، ويَعْني بالاعْتِمارِ الزّيارة، فَكُلّ قاصِدٍ لِشَيْءٍ فهو له مُعْتَمِرٌ ومنه قول العجَّاج:

لَقَد سَما ابن مَعمَرٍ حين اعْتَمَرْ
مَغْزَى بَعيدًا مِن بَعيدٍ وضَبَرْ (٢)

يَعْني بقولِه (حين اعْتَمَرَ): حين قَصَدَه وأمَّه.

---

(١)[الطويل]القائل: المخَبَّلُ السَّعْدِيُّ. اللغة: قوله: وأشهد بالنصب عطف على الأكبر قبله. وعوف: أبو قبيلة، وهو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. والحلول: القوم النزول؛ من حَلَّ بالمكان إذا نزل فيه. ويحجون: يقصدون. قال ابن دريد في (الجمهرة): الحج: القصد. والسِّبُّ، بكسر السين المهملة: العُمامة، قال ابن دريد في (الجمهرة): السب بالكسر: الشقة البيضاء من الثياب، وهي السبيبة أيضًا. وأنشد هذا البيت. وقال: يريد العمامة هاهنا. وكانت سادات العرب تصبغ العمائم بالزعفران. وقد فسر قومٌ هذا البيت بما لا يذكر؛ من جملة من فسره بالقبيح الأصمعي، قال في كتاب (الفرق بين ما للإنسان والوحوش): قالوا في الدبر من الإنسان دون البهائم: استٌ وستٌ وسهٌ بالهاء، ويسمى أيضًا السبة بالضم، والسبة بالفتح، والسبة بالكسر. المعنى: قال ابن السيرافي في (شرح أبيات الإصلاح): قال بعض الناس: إن الشاعر قصد بهذا البيت معنى قبيحًا، وكنى بهذا اللفظ عنه. وإنما أراد أن الزبرقان كان به داء الأبنة يؤتى من أجله. وقال أبو محمد الأسود: من زعم أن المخبل كنى هاهنا عن قبيح فقد أخطأ، وإنما قصد بسب الزبرقان أن بني سعد بن زيد مناة كانوا يحجون عصابته، إذا استهلوا رجبًا في الجاهلية إجلالاً له، وإعظامًا لقدره. وذكر ذلك ربيعة بن سعد النمري يمدح الزبرقان: [البسيط]

كانت تحج بنو سعدٍ عصابته إذا استهلوا على أنصابه رجبا
سبٌّ يزعفره سعدٌ ويعبده في الجاهلية ينتابونه عصبا

والعصابة: ما يعصب به الرأس. انتهى. والزبرقان هو ابن بدر الصحابي، ولاّه النبي ﷺ صدقات بني تميم. قال صاحب (زهر الآداب): سمي الزبرقان لجماله. والزبرقان: القمر قبل تمامه، وقيل: لأنه كان يزبرق عمته في الحرب، أي: يصفرها. انتهى. واسمه حصين بن بدر، وإياه عنى المخبل بقوله من هذه القصيدة. وقال السخاوي في (سفر السعادة): وإنما سمي الزبرقان لصفرة عمامته. وزبرقت الثوب، أي: صفرته. وقال: المزعفر لأن السب مذكر وإن كان المراد به العمامة.

(٢)[الرجز]القائل: العجاج. اللغة: سما، من سما يسمو: إذا علا وارتفع. حين اعتمر، أي: حين قصده وتوجه إليه. قوله: مغزى، أي: غزوًا. وضبر: جمع قوائمه ليثِبَ ثم وثب. المعنى: البيت من قصيدة مدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي؛ وهو يصف بعده جيش عمر بن عبيد الله، وكان فتح الفتوح الكثيرة، وبزغ نجمه، وقويت شوكته، وعظم أمره، فاشتد في قتال الخوارج، فجمع قواه ثم وثب عليهم وثبة الليث على فريسته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يقول: فلا حَرَجَ عليه ولا مَأثَم في طَوافه بهِما.

فإنْ قال قائِل: وما وجه هذا الكلام، وقد قُلْتَ لنا إنَّ قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ وإنْ كان ظاهِرُه ظاهِرَ الخبَر، فإنَّه في معنى الأمْر بالطَّوافِ بهما؟ فكيف يكون أمْرًا بالطَّوافِ، ثُمَّ يُقال: لا جُناح على مَنْ حَجّ البيْت أو اعْتَمَرَ في الطَّواف بهِما. وإنَّما يُوضَع الجُناح عمَّنْ أتَى ما عليه بإتْيانِه الجُناح والحَرَج، فالأمْرُ بالطَّوافِ بهِما، والتَّرْخيص في الطَّواف بهِما غير جائِز اجْتِماعُهما في حال واحِدة؟! قيلَ: إنَّ ذلك بخِلافِ ما إليه ذَهَبتَ، وإنَّما معنى ذلك عند أقْوام أنَّ النَّبيّ ﷺ لَمَّا اعْتَمَرَ عُمْرة القضيَّة تَخَوَّبَ أقْوام كانوا يَطوفونَ بهِما في الجاهِليّة قَبْل الإسْلام لِصَنَمَيْنِ كانا عليهِما؛ تَعْظيمًا منهم لهُما فَقالوا: وكيف نَطوف بهِما، وقد عَلِمْنا أنَّ تَعْظيم الأصْنام وجَميع ما كان من ذلك يُعْبَد من دون اللَّه باللهِ شِرْك، وطَوافنا بهَذَيْنِ الحجَرَيْنِ أحَدُ ذلك؛ لأنَّ الطَّوافَ بهِما في الجاهِليّة إنَّما كان لِلصَّنَمَيْنِ اللَّذَيْنِ كانا عليهِما، وقد جاء اللَّه بالإسلامِ اليوم ولا سَبيل إلى تَعْظيم شَيْء مع اللَّه بمعنى العِبادة له؟! فَأنْزَلَ اللَّه تعالى ذِكْره في ذلك مِن أمْرِهِمْ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ يَعْني: إنَّ الطَّواف بهِما. فَتَرَكَ ذِكْر الطَّواف بهِما اكْتِفاء بذِكْرِهِما منه، إذْ كان معلومًا عند المُخاطَبينَ به أنَّ معناه: من مَعالِم اللَّه التي جَعَلَها عَلَمًا لِعِبادِه يَعْبُدونَه عندهما بالطَّوافِ بينهما ويَذْكُرونَه عليهِما وعندهما، بما هو له أهلٌ من الذِّكْر، فَمَنْ حَجّ البيْت أو اعْتَمَرَ فلا يَتَحَوَّبَنَّ مِن الطَّواف بهِما، من أجْل ما كان أهل الجاهِليّة يَطوفونَ بهِما، من أجْل الصَّنَمَيْنِ اللَّذَيْنِ كانا عليهِما، فإنَّ أهل الشِّرْك كانوا يَطوفونَ بهِما كُفْرًا، وأنتم تَطوفونَ بهِما إيمانًا بي وتَصْديقًا لِرَسولي، وطاعة لأمْري، فلا جُناح عليكُم في الطَّواف بهِما. والجُناح: الإثْم. كَما:

٢٣٣٣- **حَدَّثني** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيّ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ يقول: لَيْسَ عليه إثْم ولَكِنْ له أجْرٌ [١].

وَبِمِثْلِ الذي قُلْنا في ذلك تَظاهَرَتِ الرِّواية عن السَّلَف من الصَّحابة والتَّابِعينَ.

ذِكْر الأخبار التي رويَتْ بذلك:

٢٣٣٤- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن عبد الملِك بن أبي الشَّوارِب قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا داود، عن الشَّعْبيّ، أنَّ وثَنًا كان في الجاهِليّة على الصَّفا يُسَمَّى إسَافًا، ووَثَنًا على المَرْوة يُسَمَّى نائِلة؛ فكان أهل الجاهِليّة إذا طافوا بالبيْتِ مَسَحوا الوثَنَيْنِ؛ فَلَمَّا جاء الإسلام وكُسِرَتِ الأوْثان، قال المُسْلِمونَ: إنَّ الصَّفا والمرْوة إنَّما كان يُطاف بهِما من أجْل الوثَنَيْنِ، ولَيْسَ الطَّواف بهِما من

(١)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

الشعائِر. قال: فَأنْزَلَ اللَّه أنَّهما من الشَّعائِر: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ (١).

٢٣٣٥- حَدَّثني يَعْقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن داود بن أبي هِنْد، عن الشَّعْبيّ، نَحْوه، وزادَ فيه، قال: فَجَعلَه اللَّه تَطَوُّعَ خَيْرٍ (٢).

٢٣٣٦- حدَّثَنا مُحَمَّد بن المُثَنَّى، قال: ثنا عبد الوهَّاب، قال: ثنا داود، عن عامِر، قال: كان صَنَمٌ بالصَّفا يُدْعَى إسافًا، ووَثَنٌ بالمرْوةِ يُدْعَى نائِلة. ثُمّ ذَكَرَ نَحْو حَديث ابن أبي الشَّوارِب وزادَ فيه، قال: فَذُكِّرَ الصَّفا من أجْل الوثَن الذي كان عليه مذكَّرًا، وأُنِّثَ المرْوة من أجْل الوثَن الذي كان عليه مُؤَنَّثًا (٣).

٢٣٣٧- حدَّثَني يَعْقوب، قال: ثنا ابن أبي زائِدة، قال: أخْبَرَني عاصِم الأحوَل، قال: قُلْت لأنَسِ بن مالِك: أكُنْتُم تَكْرَهونَ الطَّواف بين الصَّفا والمرْوة حتّى نَزَلَتْ هذه الآية؟ فَقال: نَعَم كُنَّا نَكْرَه الطَّواف بينهما؛ لأنَّهما من شَعائِر الجاهِليّة حتّى نَزَلَتْ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ (٤).

٢٣٣٨- حدَّثَني عَليُّ بن سَهْلٍ الرَّمْليُّ، قال: ثنا مُؤَمَّل بن إسماعيل، قال: ثنا سُفْيان، عن عاصِم، قال: سَألت أنَسًا عن الصَّفا والمرْوة، فَقال: كانتا من مَشاعِر أهل الجاهِليّة، فَلَمَّا كان الإسلام أمْسَكوا عنهُما، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ (٥).

٢٣٣٩- حدَّثني عبد الوارِث بن عبد الصَّمَد بن عبد الوارِث، قال: حدَّثني أبي قال: حَدَّثني الحُسَيْنُ المُعَلِّم، قال: ثنا شيبانُ أبو مُعاوية، عن جابِر الجُعْفيّ، عن عمرو بن حَبَشيّ، قال: قُلْت لابنِ عُمَر: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ قال: انطَلِقْ إلى ابن عَبَّاس فاسأله، فَإنَّه أعْلَم مَنْ بَقيَ بما أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأتَيْته فَسَألته، فَقال: إنَّه كان عندهما أصْنامٌ، فَلَمَّا حُرِّمْنَ أمْسَكوا عنِ الطَّواف بينهما حتّى أُنْزِلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ (٦).

٢٣٤٠- حدَّثَني المُثَنَّى، قال: ثنا عبد اللَّه، قال: حَدَّثَني مُعاوية، عن عَليٍّ، عن ابن عَبَّاس قولَه: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ وذلك أنَّ ناسًا تَحَرَّجوا أنْ يَطوفوا بين الصَّفا والمرْوة،

(١)[صحيح] كما سيأتي بعده، وهذا سند حسن، محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب صدوق.

(٢)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٣)[صحيح] تقدم قبله، وهذا رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٤)[حسن] من أجل عاصم الأحول. ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة الحافظ، قال ابن المديني: لم يكن بالكوفة بعد الثوري أثبت منه، انتهى إليه العلم بعد الثوري.

(٥)[حسن] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف، محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول، ومحمد بن إسحاق صدوق مدلس، ولم يصرح، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن حميد ضعيفان. من أجل مؤمل، وقد تقدم تضعيفه.

(٦)[ضعيف] جابر الجعفي متروك.

فأخبَرَ اللّه أنَّهما من شَعائِره، والطّواف بينهما أحَبُّ إليه، فَمَضَتِ السُّنّة بالطّوافِ بينهما (١).

٢٣٤١- حدّثني موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ قال: زَعَمَ أبو مالِك عن ابن عَبّاس أنّه كان في الجاهِليّة شَياطين تَعْزِف اللّيْل أجْمَع بين الصّفا والمرْوة، وكانتْ بينهما آلِهة، فَلَمّا جاء الإسلام وظَهَرَ، قال المُسْلِمونَ: يا رَسول اللّه لا تَطُوفَنَّ بين الصّفا والمرْوة، فإنّه شِرْكٌ كُنّا نَصْنَعُه في الجاهِليّة فأنْزَلَ اللّه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (٢).

٢٣٤٢- حدّثني يَعْقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيّة، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ قال: قالتِ الأنْصار: إنَّ السَّعْي بين هَذَيْنِ الحجَرَيْنِ من أمْر الجاهِليّة. فَأنْزَلَ اللّه تعالى ذِكْره: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ (٣).

٢٣٤٣- حدّثني مُحَمّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد نَحْوه (٤).

٢٣٤٤- حدّثني المثنى، قال: حدَّثنا أبو حُذيفةَ، قال: حدَّثنا شِبلٌ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ، عن مجاهِدٍ نحوه (٥).

٢٣٤٥- حدّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ قال: كان أهل الجاهِليّة قد وضَعوا على كُلِّ واحِد منهُما صَنَمًا يُعَظِّمونَهُما؛ فَلَمّا أسلَمَ المُسْلِمونَ كَرِهوا الطّواف بالصّفا والمرْوة لِمَكانِ الصّنَمَيْنِ، فقال اللّه: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ وقَرأ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وسَنّ رَسول اللّه ﷺ الطّواف بهما (٦).

٢٣٤٦- حدّثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا جَرير، عن عاصِم، قال قُلْت لأنَسِ بنِ مالِكٍ: الصّفا والمرْوة أكُنْتُم تَكْرَهونَ أنْ تَطوفوا بِهِما مع الأصْنام التي نُهيتُم عنها؟ قال: نَعَم حتّى نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ (٧).

٢٣٤٧- حدّثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا جَرير، عن عاصِم، قال: سَمِعْت أنَس بن مالِك يقول:

---

(١)[ضعيف] أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.
(٢)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.
(٣)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل، وابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.
(٤)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند حسن من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي.
(٥)[حسن] تقدم قبله، المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.
(٦)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.
(٧)[صحيح] تقدم برقم (٢٣٩٩)، وهذا سند ضعيف، من أجل محمد بن حميد، تقدم تضعيفه.

إنَّ الصّفا والمرْوة من مَشاعِر قُرَيْش في الجاهِليّة، فَلَمَّا كان الإسلام تَرَكْناهُما [(١)].

وَقال آخرونَ: بل أَنْزَلَ اللَّه تعالى ذِكْره هذه الآية في سَبَب قَوْم كانوا في الجاهِليّة لا يَسْعَوْنَ بينهما، فَلَمَّا جاء الإسلام تَحَوَّبوا السّعْي بينهما كما كانوا يَتَحَوَّبُونَه في الجاهِليّة.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٣٤٨- **حَدَّثَنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، عن سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، فَكان حَيٌّ من تِهامَة في الجاهِليّة لا يَسْعَوْنَ بينهما، فَأَخْبَرَهم اللَّه أَنَّ الصّفا والمرْوة من شَعائِر اللَّه، وكان من سُنّة إبراهيمَ وإسماعيلَ الطّواف بينهما [(٢)].

٢٣٤٩- **حَدَّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة، قال: كان ناس من أهل تِهامة لا يَطوفونَ بين الصّفا والمرْوة، فَأَنْزَلَ اللَّه: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [(٣)].

٢٣٥٠- **حَدَّثَني** المُثَنّى، قال: ثنا عبد اللَّهِ قال: حَدَّثَني اللَّيْث، قال: حَدَّثَني عُقَيْل، عن ابن شِهاب، قال: حَدَّثَني عُرْوة بن الزُّبَيْر، قال: سَأَلت عائِشة فَقُلْت لها: أرَأَيْتِ قول اللَّه: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ وقُلْتُ لِعائِشة: واللَّه ما على أحَد جُناح أنْ لا يَطَّوَّف بالصّفا والمرْوة؟ فَقالتْ عائِشة: بِئْسَ ما قُلْتَ يا ابن أُخْتي، إنَّ هذه الآية لو كانتْ كما أَوَّلْتَها كانتْ: لا جُناح عليه أنْ لا يَطَّوَّف بهما، ولَكِنّها إنّما أُنْزِلَتْ في الأنْصار كانوا قَبْل أنْ يُسْلِموا يُهِلّونَ لِمَناة الطّاغيةِ التي كانوا يَعْبُدونَ بالمُشَلَّلِ وكان مَنْ أَهَلَّ لها يَتَحَرَّج أنْ يَطوف بين الصّفا والمرْوة، فَلَمَّا أسلموا سَألوا رَسول اللَّه ﷺ عن ذلك، فَقالوا: يا رَسول اللَّه إنَّا كُنَّا نَتَحَرَّج أنْ نَطوف بالصّفا والمرْوة. فلما سألوا رسول الله عن ذلك؛ أَنْزَلَ اللَّه تعالى ذِكْره: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. قالتْ عائِشة: ثُمّ قد سَنّ رَسول اللَّه ﷺ الطّواف بينهما، فَلَيْسَ لأحَدٍ أنْ يَتْرُك الطّواف بينهما [(٤)].

٢٣٥١- **حَدَّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق قال: أخبرَنا معمَر، عن الزُّهْريّ، عن عُرْوة، عن عائِشة، قالتْ: كان رِجال من الأنْصار مِمَّنْ يُهِلُّ لِمَناة في الجاهِليّة، ومَناةُ صَنَم بين مَكّة والمدينة، قالوا: يا نَبيّ اللَّه، إنَّا كُنَّا لا نَطوف بين الصّفا والمرْوة تَعْظيمًا لِمَناة، فَهَلْ علينا من حَرَج أنْ نَطوف بهما؟ فَأَنْزَلَ اللَّه تعالى ذِكْره: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ

---

(١)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف؛ محمد بن حميد ضعيف.

(٢)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤)[صحيح] أخرجه البخاري في مواطن كثيرة منها [١٧٠٣]، ومسلم [٢٣٤١] وغيرهما.

ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ قال عُرْوة: فَقُلْت لِعائِشة: ما أُبالي أنْ لا أطوف بين الصّفا والمرْوة، قال اللّه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ قالتْ: يا ابن أُختي، ألا تَرى أنّه يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾. قال الزُّهْريّ: فَذَكَرْتُ ذلك لأبي بَكْر بن عبد الرّحْمَن بن الحارث بن هِشام، فَقال: هذا العِلْم! قال أبو بَكْر: ولَقَد سَمِعْت رِجالاً من أهل العِلْم يقولونَ: لَمّا أنْزَلَ اللّه الطّواف بالبيْتِ ولم يُنْزِلِ الطّواف بين الصّفا والمرْوة، قيلَ لِلنّبيّ ﷺ: إنّا كُنّا نَطوف في الجاهِليّة بين الصّفا والمرْوة، وإنّ اللّه قد ذَكَرَ الطّواف بالبيْتِ، ولم يَذْكُر الطّواف بين الصّفا والمرْوة، فَهَلْ علَيْنا من حَرَج أنْ لا نَطوف بِهِما؟ فَأنْزَلَ اللّه تعالى ذِكْره: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ الآية كُلّها. قال أبو بَكْر: فَأسمَعُ هذه الآية نَزَلَتْ في الفريقَيْنِ كِلَيْهما؛ فيمَنْ طاف وفيمَنْ لم يَطُفْ (١).

٢٣٥٢- حدّثنا الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزّاق قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة، قال: كان ناسٌ من أهل تِهامة لا يَطوفونَ بين الصّفا والمرْوة، فأنْزَلَ اللّه: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ (٢).

والصّواب من القول في ذلك عندنا، أنْ يُقال: إنّ اللّه تعالى ذِكْره قد جَعَلَ الطّواف بين الصّفا والمرْوة من شَعائِر اللّه، كما جَعَلَ الطّواف بالبيْتِ من شَعائِره، فَأمّا قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ فَجائِزٌ أنْ يكون قيلَ لِكِلا الفريقَيْنِ اللّذَيْنِ تَحَوَّبَ بعضهم الطّواف بهما من أجْل الصّنَمَيْنِ اللّذَيْنِ ذَكَرهما الشّعْبيّ، وبعضهم من أجْل ما كان من كَراهَتِهم الطّواف بهما في الجاهِليّة على ما رُوِيَ عن عائِشة. وَأيّ الأمْرَيْنِ كان من ذلك فَلَيْسَ في قول اللّه تعالى ذِكْره: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ دَلالةٌ في الآية على أنّه عَنَى به وضْعَ الحرَج عَمَّنْ طاف بهما، من أجْل أنّ الطّواف بهما كان غيرَ جائِز بحَظْرِ اللّه ذلك، ثُمّ جَعَلَ الطّواف بهما رُخْصة؛ لِإجماع الجميع، على أنّ اللّه تعالى ذِكْره لم يَحظُرْ ذلك في وقْتٍ، ثُمّ رَخّصَ فيه بقولِه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾.

وَإنّما الاختِلاف في ذلك بين أهل العِلْم على أوجُه؛ فَرَأى بعضهم أنّ تارِك الطّواف بينهما تارِكٌ من مَناسِك حَجّهِ ما لا يُجزِئُه منه غيرُ قَضائِه بعَيْنِه، كما لا يُجْزِئُ تارِكَ الطّوافِ، الذي هو طَواف الإفاضة إلاّ قَضاؤُه بعَيْنِه، وقالوا: هُما طَوافانِ أمَرَ اللّه بهما؛ أحَدُهما بالبيْتِ، والآخر بين الصّفا والمرْوة، حُكْمُهما واحدٌ.

وَرَأى بعضهم: أنّ تارِكَ الطّوافِ بِهما يجزِئُه مِن تَرْكه فِدْيةٌ، ورَأوا أنّ حُكْم الطّواف بِهما حُكْم رَمْي بعض الجمَرات، والوُقوف بالمَشْعَرِ، وطَواف الصّدَر، وما أشبَه ذلك مِمّا يُجْزِئُ تارِكه مِن تَرْكه فِدْية، ولا يَلْزَمه العوْد لِقَضائِه بعَيْنِه. وَرَأى آخرونَ: أنّ الطّواف بِهما تَطَوّعٌ؛ إنْ

(١)[صحيح] تقدم قبله.
(٢)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

فَعَلَه فاعلٌ كان مُحْسِنًا، وإنْ تَرَكَه تارِكٌ لم يَلْزَمه بتَرْكِه شَيْء. واللَّه تعالى أعْلَم.

ذِكر مَن قال: إنّ الطواف بين الصفا والمروة واجِبٌ ولا يُجزِئُ منه فِدية ومَن تركَه فعليه العَوْدُ له:

٢٣٥٣- **حَدَّثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا وكيع، عن هِشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائِشة قالتْ: لَعَمْري ما حَجّ مَنْ لم يَسَع بين الصّفا والمرْوة؛ لأنَّ اللَّه تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ (١).

٢٣٥٤- **حَدّثني** يونُس بنُ عبدِ الأعلى، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال مالِكُ بنُ أنَس: مَنْ نَسيَ السّعْي بين الصّفا والمرْوة، حتّى يَسْتَبْعِد من مَكّة فَلْيَرْجِعْ فَلْيَسْعَ، وإنْ كانَ قدْ أصابَ النِّساء فَعليه العُمْرةُ والهدْي (٢).

وَكان **الشّافِعيّ يقول**: على مَنْ تَرَكَ السّعْي بين الصّفا والمرْوة حتّى يرَجعَ إلى بَلَده العَوْدُ إلى مَكّة حتّى يَطوف بينهما، لا يجْزئُه غيرُ ذلك، حَدَّثَنا بذلك عنه الرّبيع.

ذِكر مَن قال: يجزئُ منه دَم ولَيس عليه عَوْدٌ لِقَضائه: قال الثَوريّ فيما:

٢٣٥٥- **حَدّثني** به عَليّ بن سَهْل، عن زَيْد بن أبي الزّرْقاء عنه، وأبو حَنيفة، وأبو يوسُف، ومُحَمّد: إنْ عادَ تاركُ الطّواف بينهما لِقَضائِه فَحَسَنٌ، وإنْ لم يَعُدْ فَعليه دَمٌ (٣).

ذِكر مَن قال: الطّواف بينهما تَطَوُّعٌ ولا شَيْء على مَنْ تَرَكَه، ومَنْ كان يَقْرَأ: (فلا جُناح عليه أن لا يَطَّوَّف بِهِما):

٢٣٥٦- **حَدّثَنا** مُحمَّد بن بَشَّار، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا ابن جُرَيْج، قال: قال عَطاء: لو أنَّ حاجًا أفاضَ بعدَما رَمَى الجَمْرة؛ جَمْرةِ العقَبة، فَطافَ بالبيْتِ ولم يَسْعَ، فَأصابَها - يَعْني امْرَأته - لم يكُنْ عليه شَيْء؛ لا حَجّ ولا عُمْرة؛ من أجْل قول اللَّه في مُصْحَف ابن مسعود: (فَمَنْ حَجّ البيْت أو اعْتَمَرَ فلا جُناح عليه أنْ لا يَطَّوَّف بهما) فَعاوَدْته بعد ذلك، فَقُلْت له: إنّه قد تَرَك سُنّة النّبيّ ﷺ! قال: ألا تَسْمَعه يقول: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤] فَأبَى أنْ يجْعَل عليه شَيْئًا (٤).

٢٣٥٧- **حَدّثني** يَعْقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هُشَيْم، قال: أخبرَنا عبد الملِك، عن عَطاء، عن ابن عَبّاس أنّه كان يَقْرَأ: (إنّ الصّفا والمرْوةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّه فَمَنْ حَجَّ البيْتَ أوِ اعْتَمَرَ فلا جُناحَ عليه أنْ لا يَطَّوَّفَ بهما) (٥).

٢٣٥٨- **حَدّثني** عَليّ بن سَهْل، قال: ثنا مُؤَمّل، قال: ثنا سُفْيان، عن عاصِم، قال سَمِعْت

(١)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.
(٢)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.
(٣)[صحيح] علي بن سهل بن قادم، ثقة. وزيد بن أبي الزرقاء كذلك.
(٤)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.
(٥)[حسن] من أجل عبد الملك، وقد تقدم.

أنَسًا يقول: الطّواف بينهما تَطوُّع [(١)].

٢٣٥٩- حدّثني المُثَنّى، قال: ثنا حَجّاج، قال: ثنا حَمَّاد، قال: أخبرَنا عاصِم الأحوَل، قال: قال أنَس بن مالِك: هُما تَطوُّع [(٢)].

٢٣٦٠- حدّثني مُحَمَّد بن عمرو: قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد نَحْوه [(٣)].

٢٣٦١- حدّثني المُثَنّى، قال: ثنا أبو حُذَيفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ قال: فَلم يُحرِّج مَنْ لم يَطُفْ بهما [(٤)].

٢٣٦٢- حدّثنا المُثَنّى، قال: ثنا حَجّاج قال: ثنا حمادٌ، عن قَيْس، عن عَطاء، أنَّ عبد اللّه بن الزُّبَيْر، قال: هُما تَطوُّع [(٥)].

٢٣٦٣- حدّثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا جَرير، عن عاصِم، قال: قُلت لأنَسِ بن مالِك: السّعْي بين الصّفا والمرْوة تَطوُّع؟ فقال: تَطوُّع [(٦)].

والصّواب من القول في ذلك عندنا أنَّ الطّواف بهما فَرْض واجِب، وأنَّ على مَنْ تَرَكَه العوْدَ لِقَضائِه ناسيًا كان ترَكهَ أو عامِدًا، لا يجْزيه غير ذلك؛ لِتَظاهُرِ الأخْبار عن النبيِّ ﷺ أنّه حَجّ بالنَّاسِ فَكان مِمَّا عَلَّمَهم من مَناسِك حَجّهم الطّوافُ بِهما.

ذِكر الرّواية عنه بذلك:

٢٣٦٤- حدّثني يوسُف بن سَلْمان البصري، قال: ثنا حاتِم بن إسماعيل، قال: ثنا جَعْفَر بن مُحَمَّد، عن أبيه، عن جابِر قال: لَمَّا دَنا رَسول اللّه ﷺ من الصّفا في حَجّتِه، قال: «﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ ابْدءوا بما بَدأ اللّه به» فَبَدأ بالصّفا فَرَقِيَ عليه [(٧)].

٢٣٦٥- حدّثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا محمود بن مَيْمون أبو الحسن، عن أبي بَكْر بن عَيَّاش، عن ابن عَطاء، عن أبيه، عن ابن عَبَّاس: أنَّ النبيّ ﷺ قال: «﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾»، فَأتَى الصّفا فَبَدأ بها، فَقامَ عليها ثُمّ أتَى المرْوة فَقامَ عليها وطافَ سَبْعًا [(٨)].

فَإذ كان صَحيحًا بإجماع الجميع من الأُمّة أنَّ الطّواف بِهما مما علّم النبيُّ أُمّته في مَناسِكهم

(١) [ضعيف] من أجل مؤمل.

(٢)[ضعيف] المثنى مجهول الحال.

(٣)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٤)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال. وإن كان ما قبله يشهد لمعناه.

(٥)[ضعيف] عيسى بن قيس مجهول.

(٦) [ضعيف] من أجل ابن حميد.

(٧)[صحيح] أخرجه مسلم [١٢١٨] وغيره.

(٨)[ضعيف] يعقوب بن عطاء ضعيف، ومحمود بن ميمون مجهول الحال.

وعَمِله في حَجّه وعُمْرَته، وكان بَيانه لأُمَّتِه جُمَلَ ما نَصَّ اللّه في كِتابه وفَرَضه في تَنْزيله، وأَمَرَ به مِمَّا لا يُدْرِك عِلْمه إلاَّ ببَيانِه عليه السلام، لازِمًا العمَلُ به أُمَّته؛ لِما قد بَيَّنَّا في كِتابنا (كِتاب البيان عن أُصول الأحكام) إذا اختَلَفَتِ الأمّة في وُجوبه، ثُمّ كان مُخْتَلَفًا في الطّواف بينهما: هَلْ هو واجِب أو غير واجِب - كان بَيِّنًا وُجوبُ فَرْضه على مَنْ حَجّ أو اعْتَمَرَ لِما وصَفْنا.

وكذلك وُجوب العوْد لِقَضاءِ الطّواف بين الصّفا والمرْوة، لَمّا كان مُخْتَلَفًا فيها على مَنْ تَرَكَه مع إجماع جَميعهمْ، على أنَّ ذلك مِمَّا فَعَلَه رَسول اللّه ﷺ وعَلَّمَه أُمَّته في حَجّهم إذْ عَلَّمَهم مَناسِك حَجّهمْ، كما طافَ بالبيْتِ وعَلَّمَه أُمَّته في حَجّهم وعُمْرَتِهمْ، إذْ عَلَّمَهم مَناسِك حَجّهم وعُمْرَتهمْ. ثم أجْمَع الجميع على أنَّ الطّواف بالبيْتِ لا تَجْزِئ منه فِدْية ولا بَدَل، ولا يجْزِئ تارِكَه إلاَّ العوْدُ لِقَضائِه؛ كان نَظيرًا له الطّواف بالصّفا والمرْوة، لا تَجْزِئ منه فِدْيةٌ ولا جَزاءٌ، ولا يجْزِئ تارِكَه إلاَّ العوْدُ لِقَضائِه، إذْ كانا كِلاهُما طَوافَيْنِ؛ أحَدهما بالبيْتِ، والآخَر بالصّفا والمرْوة. وَمَنْ فَرَّقَ بين حُكْميهما عُكِسَ عليه القول فيه، ثُمّ سُئِلَ البُرْهان على التّفرِقة بينهما.

فَإنْ اعْتَلَّ بقِراءةِ مَنْ قَرَأ: (فلا جُناح عليه أنْ لا يَطَّوَّف بهما).

قيلَ: ذلك قراءةُ خِلاف ما في مَصاحِف المُسْلِمينَ غير جائِز لأحَدٍ أنْ يَزيد في مَصاحِفهم ما لَيْسَ فيها. وَسَواء قَرَأ ذلك كذلك قارِئ، أو قَرَأ قارِئ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] (فلا جُناح عليهم أنْ لا يَطَّوَّفوا به). فَإنْ جازتْ إحدَى الزّيادَتَيْنِ اللّتَيْنِ لَيْسَتا في المَصاحِفِ كانتِ الأُخْرَى نَظيرَتَها، وإلاَّ كان مُجيزُ إحداهُما إذا مَنَعَ الأُخْرَى مُتَحَكِّمًا، والتّحَكُّم فلا يَعْجِز عنه أحَد، وَقد رويَ إنْكار هذه القِراءة وأنْ يكون التّنْزيل بها عن عائِشة.

٢٣٦٦- **حدّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: أخْبَرَني مالِك بن أنَس، عن هِشام بن عُرْوة، عن أبيه، قال: قُلْت لِعائِشة زَوْجِ النّبيّ ﷺ وأنا يومَئِذٍ حَديث السِّنّ: أرَأيْتِ قول اللّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ فما نَرَى على أحَد شَيْئًا أنْ لا يَطَّوَّف بهما؟ فَقالتْ عائِشة: كَلا، لو كانتْ كما تَقول كانتْ: فلا جُناح عليه أنْ لا يَطَّوَّف بهما. إنَّما أُنْزِلَتْ هذه الآيةُ في الأنْصار؛ كانوا يُهِلّونَ لِمَناة وكانتْ مَناة حَذْو قُدَيد، وكانوا يَتَحَرَّجونَ أنْ يَطُوفوا بين الصّفا والمرْوة؛ فَلَمَّا جاء الإسلام سَألوا رَسول اللّه ﷺ عن ذلك، فَأنْزَلَ اللّه: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ (١).

وقد يَحْتَمِل قِراءةُ مَنْ قَرَأ: (فلا جُناح عليه أنْ لا يَطَّوَّف) أن يكون معناها: فلاجناحَ عليه أن يطَّوَّف ﴿بِهِمَاۚ﴾ - أنْ تَكون (لا) التي مع (أنْ) صِلة في الكلام، إذْ كان قد تَقَدَّمَها جَحْد في الكلام قَبْلها، وهو قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ فيكون نَظير قول اللّه تعالى ذِكْره: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا

(١)[صحيح] أخرجه البخاري ومسلم، وقد تقدم.

﴿تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢] بمعنى ما مَنَعَك أنْ تَسْجُد، كما قال الشَّاعِر:

ما كان يَرْضَى رَسولُ اللَّه فِعْلَهُمْ والطَّيِّبانِ أبو بَكْرٍ ولا عُمَرُ (١)

فلو كان رَسْم المُصْحَف كذلك لم يكُنْ فيه لِمُحْتَجٍّ به حُجَّة، مع احتِمال الكلام ما وصَفْنا لِما بَيَّنَّا مِن أنَّ ذلك مِمَّا علَّمَ رَسولُ اللَّه ﷺ أُمَّته في مَناسِكهم على ما ذَكَرْنا، ولِدَلالةِ القياس على صِحَّته، فكيف وهو خِلاف رُسوم مَصاحِف المُسْلِمينَ، ومِمَّا لو قَرَأ به اليوم قارِئ كان مُسْتَحِقًّا العُقوبةَ لِزيادَتِه في كِتاب اللَّه عَزَّ وجَلَّ ما لَيْسَ منه؟!

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

اختلَفَ القَرَأَةُ في قِراءة ذلك؛ فقَرَأَته عامّة قَرَأَةِ أهل المدينة والبصْرة: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ على لَفظِ المُضيّ بالتَّاءِ وفَتْح العيْن.

وقرَأَته عامّة قَرَأَةِ الكوفيِّينَ: (ومَنْ يَطَّوَّعْ خيرًا) بالياءِ وجَزْم العيْن وتَشْديد الطَّاء، بمعنى: ومَنْ يَتَطَوَّع. وذُكِرَ أنَّها في قِراءة عبد اللَّه: (ومَنْ يَتَطَوَّع). فقَرَأت ذلك قَرَأةُ أهل الكوفة على ما وصَفْنا اعْتِبارًا بالذي ذَكَرْنا من قِراءة عبد اللَّه بن مسعود سِوَى عاصِم فإنَّه وافَقَ المدَنيِّينَ، فشَدَّدوا الطَّاء طَلَبًا لإدْغام التَّاء في الطَّاء.

وكِلْتا القِراءَتَيْنِ معروفة صَحيحة مُتَّفَقٌ معنياهُما غير مُخْتَلِفَيْنِ؛ لأنَّ الماضيَ من الفِعْل مع حُروف الجزاء بمعنى المُسْتَقْبَل، فبِأيِّ هاتين القِراءَتَيْنِ قَرَأ ذلك قارِئٌ فمُصيب.

ومعنى ذلك: فمَنْ تَطَوَّعَ بالحجِّ والعُمْرة بعد قَضاء حَجَّتِه الواجِبةِ عليه، فإنَّ اللَّه شاكِر له على تطَوُّعه له بما تَطَوَّعَ به من ذلك ابْتِغاء وجهه فمُجازيه به، عَليمٌ بما قَصَدَ وأرادَ بتَطَوُّعِه بما تَطَوَّعَ منه.

وإنَّما قُلْنا إنَّ الصّواب في معنى قوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ هو ما وصَفْنا دون قول مَنْ زَعَمَ أنَّه معنيٌّ به: فمَنْ تَطَوَّعَ بالسّعْي والطّواف بين الصّفا والمرْوة. لأنَّ السَّاعيَ بينهما لا يكون مُتَطَوِّعًا بالسّعْي بينهما إلاَّ في حَجٍّ تَطَوُّع أو عُمْرة تَطَوُّع لِما وصَفْنا قَبْل. وإذْ كان ذلك كذلك كان معلومًا أنَّه إنَّما عَنَى بالتَّطَوُّع بذلك التَّطَوُّعَ بما يُعْمَل ذلك فيه من حَجّ أو عُمْرة.

وأمَّا الذينَ زَعَموا أنَّ الطّواف بهما تَطَوُّع لا واجِب، فإنَّ الصّواب أنْ يكون تأويل ذلك على قولِهمْ: فمَنْ تَطَوَّعَ بالطّوافِ بهما فإنَّ اللَّه شاكِر. لأنَّ لِلْحاجِّ والمُعْتَمِر على قولهم الطّوافَ بهما إنْ شاءَ، وتَرْكَ الطّواف، فيكون معنى الكلام على تأويلهِمْ: فمَنْ تَطَوَّعَ بالطّوافِ بالصّفا

---

(١)[البسيط] القائل: جرير بن عطية. رواية ديوانه: مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ دِينَهُمُ. اللغة: الرِّضا، مقصورٌ: ضدُّ السَّخَطِ. وفي حديث الدعاء: «اللهم إني أعوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ، وبمُعافاتِكَ من عُقوبَتِكَ». وقد رَضِيَ يَرْضى رِضًا ورُضًا ورِضوانًا ورُضوانًا، الأخيرة عن سيبويه. المعنى: يتحدث الشاعر عن رجلين لم يكن الرسول ﷺ راضٍ عما يفعلانه أيام حياته، وكذلك لم يرض عنهما مِن بعده الطيبان: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطّاب رضي الله عنه.

والمرْوة، فإنَّ اللَّه شاكِرٌ تَطوُّعَه ذلك، عَليمٌ بما أرادَ ونَوَى الطَّائِفُ بهِما كذلك. كما:

٢٣٦٧- حدَّثني مُحمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى، عن ابن أبي نَجيح عن مُجاهِد: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾. قال: مَنْ تَطوَّعَ خيْرًا فهو خَيْر له، تَطوَّعَ رَسول اللَّه فَكانتْ من السُّنَن (١).

وَقال آخرونَ: معنى ذلك: ومَنْ تَطوَّعَ خيْرًا فاعْتَمَرَ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٣٦٨- حدَّثني يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ مَنْ تَطوَّعَ خيْرًا فاعْتَمَرَ فَإنَّ اللَّه شاكِر عَليم؛ قال: فالحجّ فَريضة، والعُمْرة تَطوُّع، لَيْسَتِ العُمْرة واجِبة على أحَد من النَّاس (٢).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤُه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾

وإنما يعني بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: عُلَماءَ اليهود وأحبارها وعُلَماءَ النّصارَى؛ لِكِتْمانِهم النَّاسَ أمْر مُحمَّد ﷺ، وتَرْكهم اتِّباعَهُ، وهم يجِدونَه مَكْتوبًا عندهم في التَّوْراة والإنْجيل.

و(البيِّنات) التي أنْزَلَها اللَّه عزَّ وجلَّ ما بَيَّنَ من أمْر نُبوّةِ مُحمَّد ﷺ ومَبْعَثه وصِفَتهِ في الكِتابينِ اللَّذَيْنِ أخْبَرَ اللَّه تعالى ذِكْره أنَّ أهلَهُما يجِدونَ صِفَته فيهِما.

وَيَعْني تعالى ذِكْره بـ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾: ما أوضَح لهم من أمْره في الكُتُب التي أنْزَلَها على أنْبيائِهم، فَقال عزَّ ذكره: إنَّ الذينَ يكْتُمونَ النَّاس الذي أنْزَلْنا في كُتُبهم من البيان عن أمْر مُحمَّد ﷺ ونُبوَّته وصِحّة المِلّة التي أرسَلْتُهُ بها وحَقيقتِها فلا يُخْبِرونَهم به وهم يَعْلَمونَ تَبْييني ذلك لِلنَّاس وإيضاحي لهم في الكِتاب الذي أنْزَلْته إلى أنْبيائِهم - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠] الآية كما:

٢٣٦٩- حدَّثنا أبو كُرَيْب، قال: ثنا يونُس بن بُكَيْر، وحَدَّثنا ابن حُمَيْد، قال: ثنا سَلَمة، قالا جَميعًا: ثنا مُحمَّد بن إسحاق، قال: حَدَّثَني مُحمَّد بن أبي مُحمَّد مولَى زَيْد بن ثابِت، قال: حَدَّثَني سَعيد بن جُبَيْر، أو عِكْرِمة، عن ابن عَبَّاس، قال: سَألَ مُعاذ بن جَبَل أخو بَنى سَلِمَة وسَعْد بن مُعاذ أخو بَني عبد الأشهَل وخارِجة بن زَيْد أخو بَني الحارِث بن الخزْرَج - نَفَرًا من أحبار يَهود، قال أبو كُرَيْب: عَمَّا في التَّوْراة. وقال ابن حُمَيْد عن بعض ما في التَّوْراة. فَكَتَموهم إيَّاه، وأبَوْا أنْ يُخْبِروهم عنه، فَأنْزَلَ اللَّه تعالى ذِكْره فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ

(١)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

وَالْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أُولَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾[١].

٢٣٧٠- **حدثني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: حدَّثني عيسَى، وحدَّثني المُثنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيفة، قال: ثنا شِبْل، جميعًا عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾. قال: هم أهل الكِتاب[٢].

٢٣٧١- **حدثني** المُثنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ قال: كَتَموا مُحَمَّدًا ﷺ وهم يجِدونَه مَكْتوبًا عندهمْ، فكَتَموه حَسَدًا وبغْيًا[٣].

٢٣٧٢- **حدثنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قولَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أولَئِكَ أهل الكِتاب، كَتَموا الإسلام وهو دين اللَّه، وكَتَموا مُحَمَّدًا ﷺ، وهم يجِدونَه مَكْتوبًا عندهم في التَّوْراة والإنجيل[٤].

٢٣٧٣- **حدثني** موسَى، قال: ثنا عمرُو بن حمادٍ، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ زَعَموا أنَّ رَجُلًا من اليهود كان له صَديق من الأنْصار يُقال له: ثَعْلَبة بن عَنَمةَ، قال له: هَلْ تَجِدونَ مُحَمَّدًا عندكُم؟ قال: لا. قال: مُحَمَّدٌ: (البيِّنات)[٥].

ويعني بقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ﴾ بعضَ النَّاس؛ لأنَّ العِلْم بنبوّةِ مُحَمَّد ﷺ وصِفَته ومَبْعَثه لم يكُنْ إلَّا عند أهل الكِتابِ دون غيرهم، وإيَّاهم عَنَى بذلك عزَّ وجلَّ. ويعني جلَّ ذِكْره بالكتاب: التَّوْراة والإنجيل، وهذه الآية وإنْ كانتْ نَزَلَتْ في خاصّ من النَّاس، فإنَّها معنيٌّ بها كُلُّ كاتِم عِلْمًا فَرَضَ اللَّه تعالى عليه بيانَهُ لِلنَّاسِ. وذلك نَظيرُ الخبَر الذي رُوِيَ عن رَسول اللَّه ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ سُئِلَ عن عِلْم يَعْلَمه فَكَتَمَه، أُلْجِم يوم القيامة بِلِجام من نار**».

وكان أبو هُرَيرة يقول بما:

٢٣٧٤- **حدثنا** به نَصْر بن عَليّ الجهْضَميّ، قال: ثنا حاتِم بن وِرْدان، قال: ثنا أيّوب السَّخْتيانيّ، عن محمدٍ، عن أبي هُرَيْرةَ، قال: لولا آية في كِتاب اللَّه ما حَدَّثْتُكم. وَتَلا: ﴿إِنَّ

(١)[ضعيف] محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مجهول.

(٢)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٣)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال.

(٤)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٥)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

﴿ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ (١).

٢٣٧٥- **حدَّثني** مُحمَّد بن عبد اللَّه بن عبد الحكَم قال: ثنا أبو زُرْعةَ وهبُ اللَّه بن راشِد، عن يونُس قال: قال ابن شِهاب، قال ابن المُسَيَّب قال أبو هُرَيْرةَ: لولا آيَتانِ أنزَلَهما اللَّه في كِتابه ما حَدَّثت شيئًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ إلى آخِر الآية. والآية الأُخْرَى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧] إلى آخِر الآية (٢).

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾

يَعْني تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: هؤلاء الذينَ يكْتُمونَ ما أنْزَلَه اللَّه من أمْر مُحمَّد ﷺ وصِفَته وأمْر دينه أنَّه الحقُّ، من بعد ما بَيَّنَه اللَّه لهم في كُتُبهِمْ، يَلْعَنهم بكِتْمانِهم ذلك وتَرْكهم تَبْيينَهُ لِلنَّاسِ.

واللَّعْنة الفَعْلة، مِن لَعَنَه اللَّه، بمعنى: أقْصاه الله وأبْعَده وأسحَقَه. وَأَصْل اللَّعْن: الطَّرْدُ، كما قال الشَّمَّاخ بن ضِرار، وذَكَرَ ماء ورَدَ عليه:

ذَعَرْتُ بـه الـقـطـا ونَـفَـيْـتُ عـنـه ... مَقامَ الذِّئْبِ كالرَّجُلِ اللَّعين (٣)

يَعْني به مَقام الذِّئْب الطَّريد. و(اللَّعينُ) مِن نَعْتِ الذِّئْب، وإنَّما أرادَ مَقام الذِّئْب اللَّعين كالرَّجُلِ.

فمعنى الآية إذن: أولَئِكَ يُبْعِدهم اللَّه منه ومن رَحْمَته، ويَسْأل رَبَّهم اللاَّعِنونَ أنْ يَلْعَنهم؛ لأنَّ لَعْنة بَني آدَم وسائِر خَلْق اللَّه ما لَعَنوا أنْ يقولوا: (اللَّهُمَّ العنه)، وإنْ كان معنى اللَّعْن هو ما وصَفْنا من الإقْصاء والإبعاد. وأما من اللهِ فالإبعادُ من رحمته.

وَإنَّما قُلْنا: إنَّ لَعْنة اللاَّعِنينَ هي ما وصَفْنا: من مسأَلَتهم رَبَّهم أنْ يَلْعَنهم، وقولِهم: لَعَنَه اللَّه، أو عليه لَعْنة اللَّه. لأنَّ مُحَمَّدَ بن خالِد بن خِداش ويَعْقوب بن إبراهيم:

٢٣٧٦- **حدَّثاني** قالا: ثنا إسماعيل بن عُلَيَّة، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد في قوله:

---

(١)[صحيح] سيأتي بعده.

(٢)[صحيح] أخرجه مسلم [٢٤٩٢] وغيره.

(٣)[الوافر] القائل: الشماخ الذبياني (مخضرم). اللغة: ذعرت: الذُّعْرُ بالضم الخَوْفُ والفزَعُ وهو الاسم ذَعَرَهُ يَذْعَرُهُ ذَعْرًا فانْذعَرَ، وهو مُنْذَعِرٌ وأَذْعَرَه كلاهما أفزعه وصيره إلى الذُّعْر. القطا: طائر معروف، سمي بذلك لثِقَل مَشْيِه، واحدته: قَطاة، والجمع: قَطَوات وقَطَياتٌ، ومشيها: الاقْطِيطاء. نفيت: طردت وأبعدت. اللعين: المطرود وهو الخليع لكثرة جناياته، وكان الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جُعل له تمثال من طين ونصب وقيل: ألا إن فلانًا غدر فالعنوه:

وَمـاءٍ قَـد وَرَدتُ لِـوَصلِ أَروى ... عَـلَـيـهِ الطَـيرُ كَـالوَرَقِ اللَـجـيـنِ
ذَعَـرتُ بِـهِ القَـطـا وَنَـفَـيـتُ عَـنـهُ ... مَـقـامَ الذِئـبِ كَـالـرَجُـلِ اللَـعـيـنِ

المعنى: يقول الشاعر: ذعرت القطا بذلك الماء، ونفيت عن ذلك الماء مقام الذئب، أي: وردت الماء فوجدت الذئب عليه فنحَّيته عنه، أراد مقام الذئب كالرجل اللعين المنفي المقصى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ قال: اللاعنون: البهائِم، قال: إذا أسنَتَتِ السَّنةُ، قالتِ البهائِم: هذا من أجْل عُصاة بَني آدَم، لَعَنَ اللّه عُصاة بَني آدَم!! [(١)].

واختلَفَ أهل التَّأويل فيمَنْ عَنَى اللّه تعالى ذِكْره باللَّاعِنينَ، فَقال بعضهم: عَنَى بذلك دَوابَّ الأرضِ وهَوامَّها.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٣٧٧- **حَدَّثَنا** مُحَمَّد بن حُمَيْد، قال: ثنا جَرير، عن مَنْصور، عن مُجاهِد، قال: تَلْعَنهم دَوابُّ الأرض وما شاءَ اللّه من الخنافِس والعقارِب تَقول: نُمْنَع القطْرَ بذُنوبِهم [(٢)].

٢٣٧٨- **حَدَّثَنا** ابن بَشَّار، قال: ثنا عبد الرَّحْمَن، قال: ثنا سُفْيان، عن مَنْصور، عن مُجاهِد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾. قال: دَوابُّ الأرض: العقارِبُ والخنافِسُ يقولونَ: مُنِعْنا القطْرَ بخَطايا بَني آدَم [(٣)].

٢٣٧٩- **حَدَّثَنا** ابن حُمَيْد، قال: ثنا حَكَّام، عن عمرو، عن مَنْصور، عن مُجاهِد: ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ قال: تَلْعَنهم الهوامُّ ودَوابُّ الأرضِ تَقول: أُمْسِكَ القطْرُ عَنَّا بخطايا بَني آدَم [(٤)].

٢٣٨٠- **حَدَّثَنا** مُشَرَّف بن أبانَ الخطَّابُ قال: ثنا وكيع، عن سُفْيان، عن خُصَيف، عن عِكْرِمة في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ قال: يَلْعَنهم كُلُّ شَيْء حتّى الخنافِسُ والعقارِبُ، يقولونَ: مُنِعْنا القطْرَ بذُنوبِ بَني آدَمَ [(٥)].

٢٣٨١- **حَدَّثَني** مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصِم، قال: ثنا عيسَى عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد، قال: اللَّاعِنونَ: البهائِم [(٦)].

٢٣٨٢- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا أبو حُذَيْفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن مُجاهِد: ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: البهائِمُ تَلْعَنُ عُصاةَ بَني آدَم حين أمْسَكَ اللّه عنهم بذُنوبِ بَني آدَم القَطْرَ فَتَخرُج البهائِمُ فَتَلْعَنهم [(٧)].

٢٣٨٣- **حَدَّثَني** يونُسُ، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: أَخْبَرَني مُسْلِم بن خالِد، عن ابن أبي

---

(١)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل، وابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٢)[صحيح] كما في الذي بعده، وهذا سند ضعيف من أجل ابن حميد.

(٣)[صحيح] رجاله كلهم ثقات تقدموا، وسنده متصل.

(٤)[صحيح] تقدم قبله، وهذا سند ضعيف من أجل ابن حميد.

(٥)[ضعيف] خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان، ويقال: مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن سيئ الحفظ.

(٦)[حسن] من أجل عيسى بن ميمون، ومحمد بن عمرو الباهلي، وقد تقدم الحديث عن هذا الإسناد، وأنَّ ابن أبي نجيح لم يسمع من مجاهد، ولكنه أخذه من القاسم الذي سمعه من مجاهد، والعلم عند الله.

(٧)[ضعيف] وإن كان ما تقدم يشهد لمعناه، وفيه الكفاية، وهذا فيه المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ضعيف، يكتب حديثه.

نَجيح، عن مُجاهِد في قول الله: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾: البهائِمِ؛ الإبِلُ والبقَرُ والغنَمُ، تَلْعَن عُصاةَ بَني آدَم إذا أَجْدَبَتِ الأرض (١).

فإنْ قال قائِل: وما وجه قول هؤلاءِ الذينَ وجَّهوا تأويل قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ إلى أنَّ اللَّاعِنينَ هم الخنافِسُ والعقارِبُ وغيرُ ذلك من هَوامِّ الأرض، وقد علِمْتَ أنَّ العربَ إذا جَمعتْ ما كان من نَوْع البهائِم وغير بَني آدَم، فإنَّما تَجمَعُه بغيرِ الياء والنّون وغير الواو والنّون، وإنّما تَجمَعه بالتَّاءِ، وما خالَفَ ما ذكَرْنا، فتَقول اللَّاعِناتُ ونَحْو ذلك؟

قيلَ: إن الأمْر وإنْ كان كذلك، فإنَّ من شَأن العربِ إذا وصَفَتْ شَيْئًا من البهائِم أو غيرها مِمَّا حُكْم جَمْعه أنْ يكون بالتَّاءِ أو بِغيرِ صورة جَمْع ذُكْران بَني آدَم بما هو من صِفَةِ الآدَمِيِّينَ - أنْ يجْمَعوه جَمْع ذُكورهِمْ، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١]. فَأخْرَجَ خِطابها على مِثال خِطاب ذكورِ بَني آدَم إذْ كَلَّمَتْهم وكَلَّموها، وكما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وكَما قال: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وقال آخرونَ: عَنَى اللَّه تعالى ذِكْره بقولِه: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾: الملائِكةَ والمُؤمِنينَ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٣٨٤- **حَدَّثنا** بِشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيدُ، قال: حَدَّثَنا سَعيد، عن قَتادة ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾. قال: يقول اللَّاعِنونَ من مَلائِكة اللّه ومن المُؤمِنينَ (٢).

٢٣٨٥- **حَدَّثَنا** الحسَنُ بن يَحْيَى، قال: أخبرَنا عبد الرّزَّاق، قال: أخبرَنا معمَر، عن قَتادة في قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ قال: اللاعنون: الملائِكة (٣).

٢٣٨٦- **حَدَّثَني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع بن أنَس، قال: اللَّاعِنونَ من مَلائِكة اللّه والمُؤمِنينَ (٤).

وَقال آخرونَ: يَعْني باللَّاعِنينَ: كُلَّ ما عَدا بَني آدَم والجِنِّ.

ذِكر مَنْ قال ذلك:

٢٣٨٧- **حَدَّثَني** موسَى، قال: ثنا عمرٌو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ قال: قال البراء بن عازِب: إنَّ الكافِرِ إذا وُضِعَ في قَبْره أتَتْه دابَّة كان عَيْنَيْها قدرانِ من نُحاس معها عَمودٌ من حَديد، فتَضْربه ضَرْبة بين كَتِفَيْه فَيَصيح فلا يَسْمَع أحَد صَوْته إلاَّ لَعَنَه، ولا يَبْقَى شَيْء إلاَّ سَمِعَ صَوْته، إلاَّ الثَّقَلَيْنِ الجِنَّ والإنس (٥).

---

(١)[ضعيف] مسلم بن خالد الزنجي ضعيف.

(٢)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٣)[صحيح] أخرجه عبد الرزاق في التفسير، ومن طريقه المصنف، وسند المصنف حسن من أجل الحسن.

(٤)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال. (٥)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

٢٣٨٨- **حدَّثنا المُثَنّى**، قال، ثنا إسحاق، قال، ثنا أبو زُهَير، عن جوَيْبِر، عن الضَّحَّاك في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾. قال: الكافِر إذا وُضِعَ في حُفْرَته ضُرِبَ ضَرْبة بمِطْرَقٍ فيَصيح صَيْحة فيَسْمَع صَوْته كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الثَّقَلَيْنِ الجِنَّ والإنْسَ فلا يَسْمَعُ صَيْحَته شَيْء إلاَّ لَعَنَه(١).

وَأولَى هذه الأقوال بالصِّحّةِ عندنا قول مَنْ قال: اللاَّعِنونَ: الملائِكة والمُؤمِنونَ؛ لأنَّ اللّه تعالى ذِكْره قد وصَفَ الكُفَّار بأنَّ اللَّعْنة التي تَحِلُّ بهم إنَّما هي من اللّهِ والملائِكة والنَّاسِ أجْمَعينَ، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١] فكَذلك اللَّعْنة التي أخْبَرَ اللّه جلَّ ذِكْره أنَّها نازلةٌ بالفريقِ الآخَر: الذينَ يكْتُمونَ ما أنْزَلَ اللّه من البيِّنات والهُدَى من بعد ما بَيَّنَه لِلنَّاسِ، هي لَعْنة اللّه الذين أخْبَرَ أنَّ لَعْنَتهم حالَّةٌ بالذينَ كَفَروا وماتوا وهم كُفَّار، وهم اللاَّعِنونَ؛ لأنَّ الفريقَيْنِ جَميعًا أهل كُفْر.

وَأمَّا قول مَنْ قال: إنَّ اللاَّعِنينَ هم الخنافِسُ والعقارِبُ وما أشبَه ذلك من دَبيب الأرض وهَوامِّها، فإنَّه قول لا تُدْرَك حَقيقَته إلاَّ بخَبَرٍ عن اللّه أنَّ ذلك من فِعْلها وقِيلِها تَقوم به الحُجّة، ولا خَبَر بذلك عن نَبيِّ اللّه ﷺ، فيَجوز أنْ يُقال إنَّ ذلك كذلك.

وَإذْ كان ذلك كذلك، فالصَّواب من القول فيما قالوه أنْ يُقال: إنَّ الدَّليل من ظاهِر كِتاب اللّه موجودٌ بخِلافِ أهل التّأويل، وهو ما وصَفْنا. فإنْ كان جائِزًا أنْ تَكون البهائِمُ وسائِر خَلْق اللّه تَلْعَن الذينَ يكْتُمونَ ما أنْزَلَ اللّه في كِتابه من صِفة مُحَمَّد ﷺ ونَعْتِه ونُبوَّته، بعد عِلْمهم به، وتَلْعَن معهم جَميع الظَّلَمة، غيرَ أنه غيرُ جائِزٍ قَطْعُ الشَّهادةِ بأنَّ اللّه عَنَى باللاَّعِنينَ البهائِم والهوامَّ ودَبيب الأرض، إلاَّ بخَبَرٍ لِلْعُذْرِ قاطِع، ولا خَبَر بذلك، وكِتابُ اللّه الذي ذَكَرْناه دالٌّ على خِلافه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾

يَعْني بذلك جلَّ ثناؤه أنَّ اللّه واللاَّعِنينَ يَلْعَنونَ الكاتِمي النَّاسِ ما عَلِموا من أمْر نُبوّة مُحَمَّد ﷺ وصِفَته ونَعْته في الكِتاب الذي أنْزَلَه اللّه وبَيَّنَه لِلنَّاسِ، إلاَّ مَنْ أنابَ من كِتْمانه ذلك منهم وراجَعَ التَّوْبة بالإيمانِ بمُحَمَّدٍ ﷺ، والإقْرارِ به وبِنُبوَّتِه، وتَصْديقه فيما جاء به من عند اللّه وبَيان ما أنْزَلَ اللّه في كُتُبه التي أنْزَلَها إلى أنْبيائِه من الأمْر باتِّباعِه، وأصْلَحَ حال نَفْسه بالتَّقَرُّبِ إلى اللّه من صالِح الأعْمال بما يُرْضيه عنه، وبَيَّنَ الذي عَلِمَ من وحْي اللّه الذي أنْزَلَه إلى أنْبيائِه وعَهِدَ إليهم في كُتُبه فلَم يكْتُمه وأظْهَرهُ فلَم يَخْفِه. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: فهؤلاء الذينَ فَعَلوا هذا الذي وصَفْتُ منهم، هم الذينَ أتوب عليهم، فأجْعَلُهم من أهل الإياب إلى طاعَتي والإنابة إلى مَرْضاتي.

---

(١) جويبر بن سعيد الأزدي متروك.

ثُمَّ قال جلَّ ثناؤُه: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ﴾ يقول: وأنا الذي أرجِع بقُلوبِ عَبيدي المُنْصَرِفةِ عَنّي إلَيَّ، والرَّادُها بعد إدْبارِها عن طاعَتي إلى طَلَب مَحَبَّتي، والرَّحيم بالمُقْبِلينَ بعد إقْبالهم إلَيَّ، أتَغَمَّدهم مِنِّي بعَفْوٍ وأصْفَحُ عن عَظيم ما كانوا اجْتَرَموا فيما بيني وبينهم بفَضْلِ رَحْمَتي لهم.

فَإنْ قال قائِل: وكيف يُتاب على مَنْ قد تابَ؟ وما وجه قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾؟ وهَلْ يكون تائِبٌ إلاَّ وهو مَتوبٌ عليه أو مَتوبٌ عليه إلاَّ وهو تائِب؟

قيلَ: ذلك مِمَّا لا يكون أحَدهما إلاَّ والآخَر معه، فَسَواء قيلَ: إلاَّ الذينَ تِيبَ عليهم فَتابوا، أو قيلَ: إلاَّ الذينَ تابوا فَإنِّي أتوب عليهم. وقد بَيَّنَّا وجه ذلك فيما جاء من الكلامِ هذا المجيءَ في نَظيره فيما مَضَى من كِتابنا هذا، فَكَرِهْنا إعادَته في هذا الموضِع.

وَبِنَحْوِ ما قُلْنا في ذلك قال أهل التَّأويل.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٣٨٩- **حَدَّثَنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ يقول: أصْلَحوا فيما بينهم وبين اللَّه، وبَيَّنوا الذي جاءهم من اللَّه، فَلم يكْتُموه، ولم يجْحَدوا به: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(١)].

٢٣٩٠- **حَدَّثَني** يونُس، قال: أخبرَنا ابن وهْب، قال: قال ابن زَيْد في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ قال: بَيَّنوا ما في كِتاب اللَّه لِلْمُؤمِنينَ، ولما سَألوهم عنه من أمْر النَّبيّ ﷺ، وهذا كُلّه في يَهود[(٢)].

وَقد زَعَمَ بعضهم أنَّ معنى قوله: ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ إنَّما هوَ: وبَيَّنوا التَّوْبة بإخلاصِ العمَل.

وَدَليلُ ظاهِر الكِتاب والتَّنْزيل بخِلافِه؛ لأنَّ القوْم إنَّما عوتِبوا في هذه الآية على كِتْمانهم ما أنْزَلَ اللَّه تعالى ذِكْره وبَيَّنَه في كِتابه من أمْر مُحَمَّد ﷺ ودينه. ثُمَّ استَثْنَى منهم جلَّ ثناؤُه الذينَ يُبَيِّنونَ أمْرَ مُحَمَّد ﷺ ودينه وَيَتوبونَ مِمَّا كانوا عليه من الجُحود والكِتْمان، فَأخْرَجَهم من عِدادِ مَنْ يَلْعَنه اللَّه ويَلْعَنه اللاَّعِنونَ. وَلم يكُنْ العِتاب على تَرْكهم تَبْيينَ التَّوْبة بإخلاصِ العمَل.

والذينَ استَثْنَى اللَّه من الذينَ يكْتُمونَ ما أنْزَلَ اللَّه من البيِّنات والهُدَى من بعد ما بَيَّنَه لِلنَّاسِ في الكِتاب؛ عبدُ اللَّه بن سَلام وذَووه من أهل الكِتاب الذينَ أسلَموا فَحَسُنَ إسلامُهم واتَّبَعوا رَسول اللَّه ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾

يَعْني جلَّ ثناؤُه بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إنَّ الذينَ جَحَدوا نُبوَّة مُحَمَّد ﷺ وكذَّبوا به من

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[صحيح] سنده متصل، ورجاله ثقات إلا عبد الرحمن بن زيد، يكتب حديثه، ولكنه قوله.

اليهود والنصارَى، وسائِر أهلِ المِلَل والمُشرِكينَ من عَبَدة الأوثان، ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يَعْني: وماتوا وهم على جُحودهم ذلك وتَكْذيبهم مُحَمَّدًا ﷺ؛ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يَعْني: بـ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذينَ كَفَروا وماتوا وهم كُفَّار ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ يقول: أبْعَدهم اللّه وأسحَقهم من رَحْمَته، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يَعْني ولَعَنَتهم الملائِكةُ والنَّاسُ أجْمَعونَ. وَلَعْنة الملائِكةِ والنَّاسِ إيَّاهم قولُهم: عليهم لَعْنة اللّه. وقد بَيَّنَّا معنى اللَّعْنةِ فيما مَضَى قَبْلُ، بما أغْنَى عن إعادَته.

فَإِنْ قال قائِل: وكيف تَكون على الذي يَموتُ كافِرًا بمُحَمَّدٍ لعنةُ جميع الناسِ، وقد عَلِمتَ أنَّ من يَكفُرُ بمحمدٍ ﷺ من أصْناف الأُمَم، أكْثَرُ مِمَّنْ يُؤمِن به ويُصَدِّقه؟

قيلَ: إنَّ معنى ذلك على خِلاف ما ذَهَبْتَ إليه.

وَقد اختَلَفَ أهل التَّأويل في تأويل ذلك فَقال بعضهم: عَنَى اللّه بقولِه: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أهلَ الإيمانِ به وبِرَسولِه خاصَّةً دون سائِر البَشَر.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٣٩١- **حَدَّثَنا** بشر بن مُعاذ، قال: ثنا يَزيد بن زُرَيْع، قال: ثنا سَعيد، عن قَتادة قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يَعْني بالنَّاسِ أجْمَعينَ: المُؤمِنينَ(١).

٢٣٩٢- **وحَدَّثني** المُثَنَّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يَعْني بالنَّاسِ أجْمَعينَ: المُؤمِنينَ(٢).

وَقال آخَرونَ: بل ذلك يومَ القِيامة، يوقَفُ على رُءوس الأشهادُ الكافِرُ فَيَلْعَنهُ النَّاسُ كُلُّهم.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٣٩٣- **حُدِّثت** عن عَمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: أنَّ الكافِر يوقَفُ يوم القيامة فَيَلْعَنه اللّه، ثُمّ يلْعَنه الملائِكةُ، ثُمّ يَلْعَنه النَّاسُ أجْمَعونَ(٣).

وَقال آخَرونَ: بل ذلك قول القائِل كائِنًا مَنْ كان: لَعَنَ اللّهُ الظَّالِم. فَيَلْحَقُ ذلك كُلَّ كافِرٍ لأنَّه من الظَّلَمة.

ذِكر مَن قال ذلك:

٢٣٩٤- **حَدَّثَني** موسَى بن هارونَ، قال: ثنا عمرو بن حَمَّاد، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: فَإِنَّه لا يَتَلاعَن اثْنانِ مُؤمِنانِ ولا كافِرانِ فَيقول أحَدُهما: لَعَنَ اللّه الظَّالِم. إلاَّ وجَبَتْ تلك اللَّعْنةُ على الكافِرِ؛ لأنَّه ظالِم، فَكُلُّ أحَدٍ من الخلْق يَلْعَنه(٤).

---

(١)[حسن] من أجل بشر، صالح الحديث، صدوق كما قال أبو حاتم الرازي. ويزيد بن زريع سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط.

(٢)[ضعيف] المثنى شيخ المصنف مجهول الحال. (٣)[ضعيف] من معلقات المصـ...

(٤)[ضعيف] من أجل أسباط بن نصر، يكتب حديثه.

وَأَولَى هذه الأقوال بالصَّوابِ عندنا قولُ مَنْ قال: عَنَى اللَّه بذلك جَميعَ النَّاس بمعنى لَعْنِهم إيَّاهُ بقولِهم: لَعَنَ اللَّه الظَّالِمَ أو الظَّالِمينَ. فَإِنَّ كُلَّ أحَدٍ من بَني آدَم لا يَمْنَع من قِيْل ذلك كائِنًا مَنْ كان، ومن أيِّ أهلِ مِلَّة كان، فَيَدْخُل بذلك في لَعْنَته كُلُّ كافِرٍ كائِنًا مَنْ كان وذلك بمعنى ما قاله أبو العالية؛ لأنَّ اللَّه جلَّ ثناؤه أخْبَرَ عَمَّنْ شَهِدَهم يوم القيامة أنَّهم يَلْعَنونَهم، فَقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وأمَّا ما قاله قَتادةُ من أنَّه عَنِيَ به بعض النَّاس، فَقولٌ ظاهِرُ التَّنْزيل بخِلافِه، ولا بُرْهان على حَقيقَته من خَبَر ولا نَظَر. فَإِنْ كان ظَنَّ أنَّ المعنيَّ به المُؤْمِنونَ؛ من أجْل أنَّ الكُفَّار لا يَلْعَنونَ أنْفُسهم ولا أولياءَهم، فَإِنَّ اللَّه جلَّ ثناؤُه قد أخْبَرَ أنَّهم يَلْعَنونَهم في الآخِرة، ومعلومٌ منهم أنَّهم يَلْعَنونَ الظَّلَمة، وداخِلٌ في الظَّلَمة كُلُّ كافِرٍ بظُلْمِه نَفْسَه، وجُحودِه نِعْمةَ رَبِّه، ومُخالَفَته أمْرَه.

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾

قال أبو جعفر: إنْ قال لنا قائِل: ما الذي نَصَبَ ﴿خَٰلِدِينَ﴾؟

قيلَ: نُصِبَ على الحالِ من الهاءِ والميم اللَّتَيْنِ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾. وَذلك أنَّ معنى قولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾: أولَئِكَ يَلْعَنهم اللَّه، فتأويلُ الكلام: أولئك يَلعنهم الله والملائِكة والنَّاس أجْمَعونَ، خالِدينَ فيها. وَلِذلك قَرَأ ذلك: (أولَئِكَ عليهم لَعْنة اللَّه والملائِكة والنَّاسُ أجْمَعونَ) مَنْ قَرَأه كذلك تَوْجيهًا منه إلى المعنى الذي وَصَفْتُ وذلك وإنْ كان جائِزًا في العربيَّة، فَغيرُ جائِزة القِراءةُ به؛ لأنَّه خِلافُ القراءةِ لِمَصاحِف المُسْلِمينَ وما جاء به المُسْلِمونَ من القِراءة مُسْتَفيضًا فيهم وغيرُ جائِزِ الاعْتِراضُ بالشَّاذِّ من القول على ما قد ثَبَتَتْ حُجَّته بالنَّقْلِ المُسْتَفيض.

وَأمَّا الهاءُ والألِفُ اللَّتانِ في قوله: ﴿فِيهَا﴾ فَإِنَّهُما عائِدَتانِ على اللَّعْنة، والمُرادُ بالكلام ما صارَ إليه الكافِر باللَّعْنةِ من اللَّه ومن مَلائِكَته ومن النَّاس، والذي صارَ إليه بها، نارُ جَهَنَّم، فَأجْرَى الكلام على اللَّعْنة والمُرادُ بها ما صارَ إليه الكافِرُ، كما قد بَيَّنَّا من نَظائِر ذلك فيما مَضَى قَبْل. كما:

٢٣٩٥- **حُدِّثت** عن عَمَّار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرَّبيع، عن أبي العالية: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: خالِدينَ في جَهَنَّم في اللَّعْنة(١).

وَأمَّا قوله: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ فَإِنَّه خَبَر من اللَّه عن دَوام العذاب لهم أبَدًا من غير تَوْقيةٍ ولا تَخْفيف، كما قال جلَّ ثناؤُه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وكما قال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦].

وَأمَّا قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ فَإِنَّه يَعْني ولا هم يَنتظِرونَ لمعذِرةٍ يَعْتَذِرونَ. **كما:**

(١) [ضعيف] من معلقات المصنف.

٢٣٩٦- حُدِّثت عن عمَّار، قال: ثنا ابن أبي جَعْفَر، عن أبيه، عن الرّبيع، عن أبي العالية: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يقول: لا يُنظَرون فيعتذرون، كقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات ٣٥- ٣٦] (١)

القول في تأويل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝﴾

قد بيَّنَّا فيما مضى معنى الألوهة وأنها اعتباد الخلق. فمعنى قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ والذي يستحقُّ عليكم أيها الناس الطَّاعة له، ويستوجب منكم العبادة؛ معبود واحد وربٌّ واحد، فلا تعبدوا غيره ولا تُشركوا معه سواه فإنَّ مَنْ تُشركونه معه في عبادتكم إيَّاه هو خَلْق من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد لا مِثْل له ولا نظير.

واختُلِفَ في معنى وحدانيته جلَّ ثناؤه، فقال بعضهم: معنى وحدانيَّة اللَّه معنى نَفْي الأشباه والأمثالِ عنه كما يُقال: فُلان واحِدُ النَّاس وهو واحِدُ قَوْمه. يَعْني بذلك أنَّه لَيْسَ له في النَّاس مِثْل، ولا له في قَوْمه شَبيه ولا نَظيرٌ. قالوا: فَكَذلك معنى قولنا: اللَّه واحِد. نَعْني به اللَّه جلَّ ثناؤه لا مِثْل له ولا نَظير.

فَزَعموا أنَّ الذي دَلَّهم على صِحَّة تأويلِهم ذلك أنَّ قول القائِل (واحِدٌ) اسم لمَعانٍ أربَعة:

أحَدها: أنْ يكون واحِدًا من جِنْس كالإنسانِ الواحِد من الإنس.

والآخَر: أنْ يكون غير مُتَنَصِّف كالجُزْءِ الذي لا يَنْقَسِم.

والثَّالِث: أنْ يكون معنيًا به المِثْلُ والاتِّفاق كَقولِ القائِل: هذانِ الشَّيْئانِ واحِد. يُراد بذلك أنَّهُما مُتَشابِهانِ حتَّى صارا لاشْتِباهِهِما في المعاني كالشَّيْءِ الواحِد.

والرَّابع: أنْ يكون مُرادًا به نَفْي النَّظير عنه والشَّبيه.

قالوا: فَلَمَّا كانتِ المعاني الثَّلاثة من مَعاني الواحِد مُنْتَفية عنه صَحَّ المعنى الرَّابعُ الذي وصَفْناه. وَقال آخَرونَ: معنى وحْدانيَّته عزَّ ذِكْره معنى انفِراده من الأشياء وانفِراد الأشياء منه.

وقالوا: وإنَّما كان مُنْفَرِدًا وحْده، لأنَّه غير داخِل في شَيْء ولا داخِل فيه شَيْء. قالوا: ولا صِفةَ لِقولِ القائِل: (واحِد) من جَميع الأشياء إلاَّ ذلك.

وَأنكَرَ قائِلو هذه المقالة المعاني الأربعَةَ التي قالها الآخَرونَ.

وَأمَّا قوله جلَّ ثناؤه: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإنَّه خَبَر منه جلَّ جلاله أنْ لا رَبَّ لِلْعالَمينَ غيره، ولا مُسْتَوْجِبَ على العِباد العِبادةَ سِواه، وأنَّ كُلَّ ما سِواه فَهم خَلْقه، والواجِب على جَميعهم طاعَتهُ، والانقيادُ لأمْره وتَرْكُ عِبادة ما سِواه من الأنْداد والآلِهة وهَجْر الأوثان والأصْنام؛ لأنَّ جَميع ذلك خَلْقُه وعلى جَميعهم الدَّينونةُ له بالوحدانية والألُوهة، ولا تَنْبَغي الألُوهة إلاَّ له، إذْ كان ما بهم من نِعْمة في الدُّنْيا فَمنه دون ما يَعْبُدونَه من الأوثان، ويُشْرِكونَ معه من الأشراك وما يَصيرونَ إليه من نِعْمة في الآخِرة فَمنه، وأنَّ ما أشرَكوا معه من الأشراك لا يَضُرُّ ولا يَنْفَع في عاجِل ولا في

(١) [ضعيف] من معلقات المصنف

آجِل، ولا في دُنيا، ولا آخِرة. وَهذا تَنبيهٌ من اللَّه جلَّ ثناؤه أهل الشِّرْك به على ضَلالهِمْ، ودُعاء منه لهم إلى الأوبة من كُفرهِمْ، والإنابةِ من شِرْكهِمْ. ثُمّ عَرَّفَهم جلَّ ذِكْره بالآيةِ التي تَتْلوها موضِع استِدْلال ذَوي الألباب منهم على حَقيقة ما نَبَّهَهم عليه من تَوْحيده وحُجَجه الواضِحة القاطِعةِ عُذْرَهمْ، فَقال تعالى ذِكْره: أيّها المُشْرِكونَ إنْ جَهِلْتُم أو شَكَكْتُم في حَقيقة ما أخْبَرْتُكُم من الخبَر؛ من أنَّ إلَهكُم إلَه واحِدٌ دون ما تَدْعونَ أُلوهَته من الأنْداد والأوثان، فَتَدَبَّروا حُجَجي وفَكِّروا فيها، فَإنَّ من حُجَجي: خَلْقَ السّمَوات والأرض، واختِلاف اللَّيْل والنّهار، والفُلْك التي تَجْري في البحْر بما يَنْفَع النَّاس، وما أنْزَلْت من السّماء من ماء فَأحيَيْت به الأرض بعد موتها، وما بَثَثْت فيها من كُلِّ دابّة، والسّحاب الذي سَخَّرْته بين السّماء والأرض. فَإنْ كان ما تَعْبُدونَه من الأوثان والآلِهة والأنْداد وسائِر ما تُشْرِكونَ به - إذا اجْتَمع جَميعه فَتَظاهَرَ أو انفَرَدَ بعضه دون بعض، يَقْدِر على أنْ يَخْلُق نَظير شَيْء من خَلْقي الذي سَمَّيْتُ لكم، فَلكم بعِبادَتِكُم ما تَعْبُدونَ من دوني حينَئِذٍ عُذْر، وإلاّ فلا عُذْر لكم في اتِّخاذ إلَهٍ سِوايَ، ولا إلَه لكم ولِما تَعْبُدونَ غيري.

قال أبو جعفر: فَلْيَتَدَبَّرْ أولو الألباب إيجاز اللَّه جلَّ ثناؤه واحتِجاجه على جَميع أهل الكُفْر به والمُلْحِدينَ في تَوْحيده، في هذه الآية وفي التي بعدها بأوجَز كَلام وأبْلَغ حُجّة وألْطَف معنى، يُشْرِف بهم على معرِفة فَضْل حِكْمة اللَّه وبيَانه.

فهرس

القولُ في تأويلِ اسماءِ فَاتحة الكِتابِ

القول في تفسير السورة التى يذكر فيها البقرة